

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدئ به الكلام وختم، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم.
أما بعد فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة، ونكتها قليلة، وأنوار الأقاويل موجودة، وثمارها عزيزة وأجسام النثر والنظم حجة، وأرواحهما نزره، وقشورهما معرضة، ولبونها معوزة. ولما كان الشعر عمدة الأدب، وعلم العرب الذي اختص به عن سائر الأمم، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل، على النبي منهم المرسل، صلوات الله عليه وآله وسلم، كانت أشعار الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين، وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين، وأشعار المولدين أبعد من أشعار المحدثين، وكانت أشعار العصرين أجمع لنوادير المحاسن، وأنظم للطوائف البدائع من أشعار سائر المذكورين؛ لانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز، ومن حد الشعر إلى حد السحر، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطريهم، وثمرات قرائنهم، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة، ورويق الطلاوة.

وكذاك قد ساد النبي محمد ... كل الأنام وكان آخر مرسل
وقد سبق مؤلفوا الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم، وتدوين كلماتهم، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم، فكم من كتاب فاخر عملوه، وعقد باهر نظموه، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلال جدته، وبلى بردته، ومج السمع لمردداته، وملالة القلب من مكرراته. وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة، ولذة الجدة، وحلاوة قرب العهد، وازدياد الجودة على كثرة النقد، غير محصورة بكتاب يضم نشرها، وينظم شذرها، ويشد أزرها، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها، ويخلد فوائدها، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة، والعمر في إقباله، والشباب بمائة، فافتتحت باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار والرتب، ومقيماً ثمار الورق، مقام نثار الورق، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه، ولا تتسع لتوفية شرطه، فارتفع كعجالة الراكب، وقبسة العجلان، وقضيت به حاجة في نفسي. وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه، والمنتسخين يتداولونه، حتى يصير من أنفس ما تشع عليه أنفس أدباء الإخوان، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان، فتواترت الأخبار، وشهدت الآثار، بحرص أهل الفضل على غدره وعدهم إياه من فرص العمر وغرره واهتزازهم لزهرة، واقتفارهم لفقره، وحين أعرته على الأيام بصري، وأعدت فيه نظري، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب: أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة؟ ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى، وزيادات حجة عليه حصلت من أفواه الرواة لدي. فقلت: إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء، وموقع من قلوب الفضلاء، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم، ولم يصافح أذهانهم، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإجماع، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام، وأرمي في الإشباع والتمام هدف المرام؟

فجعلت أبنيه وأنقصه، وأزيدة وأقصه، وأحوه وأثبته، وأنتسخه ثم أنسخه، وربما أفتتحه ولا أختتمه، وأنتصفه فلا أستتمه، والأيام تحجز، وتعد ولا تنجز، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة، وشارفت أوان الثبات والمسكة، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر، وانتهزت رقدة من عين الزمان، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب، وخفة من زحمة الشوائب، واستمرت في تقرير هذه النسخة الأخيرة، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة، بعد أن غيرت ترتيبها، وجددت تبويبها، وأعدت ترصيفها، وأحكمت تأليفها. وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه، وفيها عيشه، فلا يزال ينقض أركانها، ويعيد بنائها، ويستجدها على أنحاء عدة، وهينات مختلفة، ويستضيف إليها مجالس كالطاووس، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس ثم يقورها آخر الأمور قوراء توسع العين قرة، والنفس مسرة. ويدعها حسناء تخجل منها الدور، وتنقاصر عنها القصور. فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى، وورد من جنة الدنيا إلى جنة المأوى.

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل، ونجوم الأرض من أهل العصر، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره، ولم تفتض عذره، ولم ينتقص قدم العهد وتطول المدة زبره وتشتمل من نسج طباعهم، وسبك أفهامهم، وصوغ أذهانهم، على الحلل الفاخرة الفائقة، والحلى الرائقة الشائقة. وتتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار، وأطيب من فوح نسيم الأسحار، بروائح الأنوار والأزهار، ما لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى.

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب، وحية القلب، وناظر العين، ونكتة الكلمة، وواسطة العقد، ونقش الفص، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات، وأخذ في طريق الاختصار، ونبد من أخبار المذكورين، وغرر من فصوص فصول المترسلين، يميل إلى جانب الاقتصار. فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان - مما ليس من أبيات القصائد، ووسائط القلائد - فلأن الكلام معقود به، والمعنى لا يتم دونه ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير. وإنما ينفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائله، لا بكثرة طائله.

وخير الشعر أكرمه رجالاً... وشر الشعر ما قال العبيد

وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره، كما قال الله تعالى: " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " وقال تعالى: " يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين " وكما قال حسان ابن ثابت: وذكر بني هاشم:

بها ليل منهم جعفر وابن أمه ... علي، ومنهم أحمد المتخير

وكما قال الصلتان العبدى:

فملتنا أننا مسلمون ... على دين صديقنا والنبي

وإن قدمت متأخراً فسيبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور، وقد تقدمه في المسير: إن تقدمتك كنت مطرماً لك، وإن تأخرت فلحق الخدمة.

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال: إن تقدمت فحاجب، وإن تأخرت فذاك واجب.

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام: يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول: القسم الأول: في

محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ولمع من أخبارهم.

القسم الثاني: في محاسن أشعار أهل العراق، وإنشاء الدولة الدبلوماسية من طبقات الأفاضل، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم، وفصوص من فصول المترسلين منهم.

القسم الثالث: في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان من وزراء الدولة الدبلوماسية وكتابها وقضاها وشعرائها وسائر فضلائها، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم.

القسم الرابع: في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية، والطائرين على الحضرة ببخارى من الآفاق، والمتصرفين على أعمالهم، وما يستطرف من أخبارهم، وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطائرين عليها والمقيمين بها.

وفيما لم يقع إلي من جنس هذا الكتاب كثرة، ولعله يزيد على ما حصل لدي، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار؟ وفي الزوايا خبايا، ولا نهاية للخواطر، ولا منقطع لمواد المحاسن، وما على المؤلف إلا جهده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم

وغيرهم من أهل الشام، وما يجاورها من مصر والموصل ولمع من أخبارهم وفيه

عشرة أبواب

الباب الأول من القسم الأول

في فضل شعراء الشام على سائر البلدان

وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها من شعراء عرب العراق وما يجاورها، في الجاهلية والإسلام، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي. ومنصوراً النمري، والأشجع السلمي ومحمد بن زرعة الدمشقي، وربيعة الرقي. على أن في الطائين اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية، وهما.

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي، والمريمي، والعباسي المصيبي، وأبو الفتح كشاجم، والصنوبري، وأبو المعتصم الأنطاكي، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف.

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم.

والسبب في تبرز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر: قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجم، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة لأهل العراق لنجورة الفرس والنبط، ومدخلتهم إياهم، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين أدوات السيف والقلم، وما منهم إلا أديب جواد، يحب الشعر وينتقده، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل - انبعثت قرائنهم في الإجابة، فقادوا محاسن الكلام بألن زمام، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا.

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى، التي هي طريقة البحري في الجزالة والعنوبة. والفصاحة والسلاسة، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم، ويستملئ الطارئ عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف، حتى كسر دفترًا ضخم الحجم عليها، وكان لا يفارق مجلسه، ولا يملأ أحد منه عينه غيره، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه، وفي سن قلمه، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله، فمن ذلك قول القائل:

سلام على تلك المعاهد إنما ... شريعة وردي أو مهب شمالي
ليالي لم نحذر حزون قطيعة ... ولم نمش إلا في سهول وصال
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها ... بخلب برق أو بطيف خيال
وقول الآخر:

إذا دنت المنازل زاد شوقي ... ولا سيما إذا بدت الخيام
فلمح العين دون الحي شهر ... ورجع الطرف دون السير عام
وقول الآخر:

فسقى الله بلدة أنت فيها ... كدموعي عند اعتراض الفراق
وأرائيك فالصبا قد ترقى ... يا بروحي إلى أعالي التراقي
وقول الآخر:

ووالله لا فارقت عقدة وده ... ولا حلت ما عمرت عن حفظ عهده
ولا بد أن الدهر كاشف أهله ... ويظهر للمولى موالاة عبده

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمر، وعنفوان أمره، قد دوخ بلاد الشام، وحصل من حضرة سيف الدولة بجلب في مجمع الرواة والشعراء، ومطرح الغرباء الفضلاء، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه، وأبي الحسن الشمشاطي، وغيرهما من أئمة الأدباء، وأبي الطيب المتنبي، وأبي العباس النامي، وغيرهما من فحول الشعراء، بين علم يدرسه، وأدب يقتبسه، ومحاسن ألفاظ يستفيد منها، وشوارد أشعار يصيدها، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر، وأمراء النظم والنثر، وكان يقول: ما فتق قلبي، وشحد فهمي، وصقل ذهني، وأرهف حد لساني، وبلغ هذا المبلغ بي، إلا تلك الطوائف الشامية، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي، وامتزجت بأجزاء نفسي، وغصن الشباب رطيب، ورداء الحدأة قشيب، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يرضن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها ماء الظرف، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول، بمشيئة الله تعالى.

وممن خرجته تلك البلاد، وأخرجته، وكلامه مقبول محبوب، آخذ بمجامع القلوب: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، فإنه جنى ثمارها، واستصحب أنوارها، حتى ارتقى إلى الخلق العلي، وتطبع بطبع البحتري. **مالباب الثاني**

في ذكر سيف الدولة

أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وسياق قطعة من أخباره، وملح أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلاذهم وكان - رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه! - غرة الزمان، وعماد الإسلام، ومن سداد الثغور، وسداد الأمور، وكانت وقائعهم في عصاة العرب تكف بأسها وتنزع لباسها وتفل أنيابها، وتذل صعايبها، وتكفي الرعية سوء آدابها. وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم شهرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبله الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يجلب إليها، ما ينفق لديها. وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول:

ذهب الذين قهرهم مداحهم ... هنز الكماة عوالي المران
كانوا إذا امتدحوت رأوا ما فيهم ... ملأ ريحهم منهم بمكان
وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كقول أبي الطيب المتنبي:

خليلي إني لا أرى غير شاعر ... فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد
له من كرم الطبع في الحرب منتض ... ومن عادة الإحسان والصفح عامد
ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنت أن الدهر للناس ناقد
ومن القصيدة المرموقة:

فلم يبق إلا من حماها من الظبا ... لما شفتيها والندي النواهد
تبكي عليهن الباطريق في الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قصت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الإقدام أنك فيهم ... على القتل مرموق كأنك شاكد
وأن دماً أجريته بك فاخر ... وأن فؤاداً رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد
نهب من الأعمار ما لو حويته ... لهنت الدنيا بأنك خالد
فأنت حسام الملك والله ضارب ... وأنت لواء الدين والله عاقد

أحبك يا شمس الزمان وبدره ... وإن لآمني فيك السهى والفراق
وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك بارد
وكقول السري بن أحمد الموصل:

أعزمتك الشهاب أم النهار ... أراحتك السحاب أم البحار
خلقت منية ومنى فأضحت ... تمور بك البسيطة أو تمار
تحلي الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سور أو سوار
سيوفك من شكاة الشجر برء ... ولكن للعدى فيها بوار
وكفأك الغمام الجون يسري ... وفي أحشائه ماء ونار
يمين من سجيته المنايا ... ويسري من عطيتها اليسار
حضرنا والملوك له قيام ... تغض نواظراً فيها انكسار
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً ... ولم نر قبله ليثاً يزار
فكان لجوهر الجند انتظام ... وكان لجوهر المدح انتشار
فعمشت مخيراً لك في الأمانى ... وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيف ... وجارك للربيع الطلق جار
وكقول أبي فراس الحرث بن سعيد:

أشدة ما أراه فيك اليوم أم كرم ... تجود بالنفس والأرواح تصطم
يا باذل النفس والأموال مبتسماً ... أما يهولك لا موت ولا عدم؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى ... أن السلامة من وقع القنا تصم
نشدتك الله لا تسمح بنفس علا ... حياة صاحبها تحيا بها أمم
إذا لقيت رقاق البيض منفرداً ... تحت العجاج فلم تستكشر الخدم

تفدي بنفسك أقواماً صنعتهمو ... وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتال به ... وليس يفضل عنك الخيل والبهم
تضن بالطعن عنا ضن ذي بخل ... ومنك في كل حال يعرف الكرم
لا تبخلن على قوم إذا قتلوا ... أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبيت ما لبسوا أركبت ما ركبوا ... عرفت ما عرفوا علمت ما علموا
هم الفوارس في أيديهم أسل ... فإن رأوك فأسد والقنا أجم
وكقول أبي العباس بن محمد النامي:

خلقت كما أراذك المعالي ... فأنت لمن رجاك كما يريد
عجيب أن سيفك ليس يروى ... وسيفك في الوريد له ورود
وأعجب منه رمحك حين يسقى ... فيصحو وهو نشوان يمد
وكقول أبي الفرج البغاء:

نداك إذا ضن الغمام غمام ... وعزملك إن فل الحسام حسام
فهذا يئيل الرزق وهو ممنع ... وذاك يرد الجيش وهو هام
ومن طلب الأعداء بالمال والظبا ... وبالسعد لم يبعد عليه مرام
وكقول أبي الفرج الوأواء:
من قاس جدواك بالسحاب فما ... أنصف بالحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبداً ... وهو إذا جاد داعم العين
وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق:
حاشاك أن تدعيك العرب واحدها ... يا من ترى قدميه طينة العرب
فإن يكن لك وجه مثل أوجههم ... عند العيان فليس الصفر كالذهب
وإن يكن لك نطق مثل نطقهم ... فليس مثل كلام الله في الكتب
وكانت غمام جوده تفيض، ومآثر كرمه تستفيض، فتؤرخ بها أيام الجد، وتخلد في صحائف حسن الذكر.

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي، قال: كنت واقفاً في السماطين بين يدي سيف الدولة مجلب، والشعراء ينشدونه، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة، فاستأذن الحجاب في الإنشاد، فأذنوا له، فأنشد:
أنت علي وهذه حلب ... قد نفذ الزاد وانتهى الطلب
بمذه تفخر البلاد وبالأمر ... تزهى على الورى العرب
وعبدك الدهر قد أضرب بنا ... إليك من جور عبدك الهرب
فقال سيف الدولة، " أحسنت، والله أنت! " . وأمر له بمائتي دينار.
وحكى ابن ليبب غلام أبي الفرج البغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل، وعليه اسمه وصورته، فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير، فقال ارتجلاً:
نحن بجود الأمير في حرم ... نرتع بين السعود والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم ... يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته ... في دهرنا عوذة من العدم
فزاده عشرة أخرى.
وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه، فقال لهم سيف الدولة: أيكم يميز قولي، وليس له إلا سيدي -
يعني أبا فراس - :

لك جسمي تعلمه ... فدمي لم تحله

لك من قلبي المكا ... ن فلم لا تحله

فارتجل أبو فراس، وقال:

أنا إن كنت مالكاً ... فلي الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنج تغل ألفي دينار.

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها:
على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها، فلما بلغ قوله فيها:
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
قال: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقد على امرئ القيس بيتاه:
كأنني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... خلي لي كري كرة بعد إجحاف
وبيتاك لا يلتئم شطراهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين، وكان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل ... خلي لي كري كرة بعد إجحاف
ولم أسبأ الزق الروي للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولك أن تقول
وقفت وما في الموت شك لواقف ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
فقال: أيد الله مولانا! إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه، فقد أخطأ امرؤ
القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك، لأن البزاز يعرف جملته، والحائك
يعرف جميلته وتفاريقه، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة
الركوب للصيد! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت
في أول البيت أتبعته بذكر الردى - وهو الموت - ليجانسه، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون
عبوساً، وعينه من أن تكون باكية، قلت " ووجهك وضاح وثغرك باسم " لأجمع بين الأضداد في المعنى، وإن لم
يتسع اللفظ لجميعها. فأعجب سيف الدولة بقوله، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات، وفيها خمسمائة
دينار.

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفاً، ومع
كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر، فقال أحدهما من قصيدة طويلة، وهي:
لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً ... إلا ومالك في النوال حبيس
خولتنا شمساً وبدراً أشرقت ... بهما لدينا الظلمة الخنديس
رشاً أتانا وهو حسناً يوسف ... وغزالة هي بهجة بلقيس
هذا، ولم تقنع بذلك وهذه ... حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهي تحمل بدرة ... وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وبررتنا مما أجادت حوكه ... مصر، وزادت حسنه تيس
فعدا لنا من جودك المأكول وال ... مشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة: أحسنت إلا في لفظة " المنكوح " ، فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .
حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي، قال: طلب مني رسول سيف الدولة – وكان قد قدم إلى الحضرة – شيئاً من شعري، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فدافعت أياًماً، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات، وهي:

إن كنت خنتك في الأمانة ساعة ... فذمت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكاً في العلا ... وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو أني حالف بغموسها ... لغريم دين ما أراد مزيدا
وقال فلما عاد الرسول إلى الحضرة، ودخلت عليه مسلماً، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي، وفيه ثلاثمائة دينار.

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه، قال: لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها، وهزم عساكره عن صفين، فقال له المتنبّي:
يا سيف دولة ذي الجلال ومن له ... خير الخلائف والأنام سمي
أو ما ترى صفين كيف أتيتها ... فانجاب عنها العسكر الغربي
فكانه جيش ابن حرب رعته ... حتى كأنك يا علي علي
وقال أبو فراس من قصيدة طويلة:
أتى الشام لما استدأب البهم واغتدت ... بها أذؤب البيداء وهي قساور
فتقف مناد، وأصلح فاسد ... وذل جبار، وأذعر ذاعر
وكان ظهر رجل في المغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه، والتفت عليه القبائل، وافتتح مدائن من أطراف الشام، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان، وهو خليفة سيف الدولة على حمص، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال، فأسر سيف الدولة من حلب يغذ السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق، فأوقع به، وقتله، ووضع السيف في أصحابه، فلم ينح إلا من سبق فرسه، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل، وبين يديه رأس الخارجي على رمح، فقال أبو فراس يذكر ذلك:

وأنقذ من مس الحديد وقله ... أبا وائل، والدهر أجدع صاغر
وآب ورأس القرمطي أمامه ... له جسد من أكعب الرمح ضامر
وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح.
ولبعضهم في مثل ذلك:

وعاد لكنه رأس بلا جسد ... يسري، ولكن على ساق بلا قدم
وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل:
ولو كنت في أسر غير الهوى ... ضمنت ضمان أبي وائل

فدى نفسه بضمان النضار ... وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة ... فجئن بكل فتى باسل
كأن خلاص أبي وائل ... معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت ... على البعد عندك كالقائل
فليبتك بك في جحفل ... له ضامن وبه كافل
وعدت إلى حلب ظافراً ... كعود الحلي إلى العاقل
وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب، وأدناهم، وآمن سربهم، فقهروا العرب وعلت كلمتهم، إلى أن بدرت
منهم جفوة أحفظته فأسرى إليهم، وأوقع بهم، وملك حرمهم وأموالهم، ثم صفح عنهم وكرم، وجمع الحرم،
ووكل بمن الخدم وأفضل عليهن، فقال أبو الطيب من قصيدة:
فعدن كما أخذن مكرمات ... عليهن القلائد والملايل
يثبنك بالذي أوليت شكراً ... وأين من الذي تولي الثواب
وليس مصيرهن إليك شيئاً ... ولا في صونهن لديك عاب
ولا في فقدهن بني كلاب ... إذا أبصرن غرتك اغتراب
وكيف يتم بأسك في أناس ... تصيهم فيؤلمك المصاب
ترفق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجاني عتاب
هذا كلام ما لحسنه غاية.
وعين المخطئين هم، وليسوا ... بأول معشر خطئوا فتأبوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم ... وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادي ... ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده دلال ... وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جرته سفهاء قوم ... وحل بغير جارمه العذاب
كأنما اقتبس من قول الله سبحانه: " أهلكنا بما فعل السفهاء منا " ونحو من هذا قول زياد في خطبته البتراء "
والله لاخذن الحسن بالمسيء "
ولو غير الأمير غزا كلاباً ... ثناه عن شمسهم ضباب
وما أحسن ما كني عن الحرم بالشموس، وعن الحمامة دونهم بالضباب.
ولكن ربه أسرى إليهم ... فما نفع الوقوف ولا الذهاب
كذا فليسر من طلب المعالي ... ومثل سراك فليكن الطلاب
وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه:
وما أنس لا أنس يوم المغار ... محجة لفظتها الحجب
دعاك ذووها بسوء الفعّال ... لما لا تشاء وما لا تحب
فوافتك تعثر في مرطها ... وقد رأيت الموت من عن كشب
وقد خلط الخوف لما طلع ... ت دل الجمال بذل الرعب

تسرع في الخطو لا خفة ... وتهتز في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت ... بدا لك منهن جيش لجب
وما زلت، مذ كنت، تأقي الجميل ... وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت ... أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهن إذ لا حمى ... وكنت أباهن إذ ليس أب
فولين عنك يفدينها ... ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو ... ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم ... يذل الأمان ورد النهب
وقد رحن من مهجات القلوب ... بأوفر غنم وأغلى نشب
فإن هن يا بن الكرام السراة ... رددن القلوب رددنا السلب
وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب:
قد ضج جيشك من طول القتال به ... وقد شككتك إلينا الخيل والإبل

وقد درى الروم مذ جاورت أرضهم ... أن ليس يعصمهم سهل ولا جبل
في كل يوم تزور الثغر لا ضجر ... يشيك عنه، ولا شغل، ولا ملل
فالنفس جاهدة، والعين ساهرة، ... والجيش منهمك، والمال مبتذل
توهمتك كلاب غير قاصدها ... وقد تكنفك الأعداء والشغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه ... وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسان أسنتها ... سود البراقع والأكوار والكلل
فكنت أكرم مسئول وأفضله ... إذا وهبن فلا من ولا بخل
ويقال: إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرقنة وملطية ونواحيها
فقتل وأحرق وسبى، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل
صناديد رجاله، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم، وقد عبر الفرات إلى
بلد الروم، ولم يفعله أحد قبله، حتى أغار على بطن هنزيط، فلما رأى فردس بعد مغزاة وخلو بلاد الشام منه
غزا نواحي أنطاكية، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل: لا ينتظر متأخراً، ولا يلوي على متقدم، حتى عارضه
بمرعش، فأوقع به وهزمه، وقتل رؤوس البطارقة، وأسرقسطنطين بن الدمستق، وأصابته الدمستق ضربة في
وجهه، وأكثر الشعراء في هذه الواقعة، فقال أبو الطيب:

لكل امرئ من دهره ما تعودا ... وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
وأن يكذب الإرجاف عنه بضده ... ويمسي بما تنوي أعاديته أسعدا
ورب يريد ضره ضر نفسه ... وهاد إليه الجيش أهدي وما هدى
ومنها:

سريت إلى جيحان من أرض آمد ... ثلاثاً، لقد أدناك ركض وأبعدا

فولى وأعطاك ابنه وجيوشه ... جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبت زرق الأسنة غيره ... ولكن قسطنطين كان له الفدا
وقال أبو فراس:

وآب بقسطنطين وهو مكبل ... تحف بطاريق به وزازر
وولى على الرسم الدمستق هارباً ... وفي وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه ... وللشدة الصماء تقنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ... وتدفع بالأمر الكبير الكبائر
وسار سيف الدولة لبناء الحدث - وهي قلعة عظيمة الشأن - فاشتد ذلك على ملك الروم، فجمع عظماء أهل
مملكته، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى، حتى
أحاطوا بعسكر سيف الدولة، والتهبت الحرب، واشتد الخطب، وساءت ظنون المسلمين، ثم أنزل الله نصره،
فحمل سيف الدولة يحرق الصفوف طلباً للدمستق، فولى هارباً، وأسر صهره وابن بنته، وقتل خلق كثير من
الروم، وأكثر الشعراء في هذه الواقعة، فقال أبو الطيب وذكر الحدث:

بناها فأعلى والقنا تفرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تائم
تفيت الليالي كل شيء أخذته ... وهن لما لما يأخذن منك غوارم
وذكر ولد الدمستق فقال:

وقد فجعته بابنه وابن صهره ... وبالصهر حملات الأمير الغواشم
مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا ... بما شغلته هامهم والمعاصم
 ويفهم صوت المشرفية فيهم ... على أن أصوات السيوف أعاجم
يسر بما أعطاك لا عن جهالة ... ولكن مغنوماً نجا منك غانم
وقال السري في بناء الحدث:

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت ... منه الحوادث حتى ذل جانبه
أعدته عدوياً في مناسبه ... من بعد ما كان رومياً مناسبه
فقد وفي عرضه بالبيد واعترضت ... طولاً على منكب الشعري مناكبه
مصغ إلى الجو أعلاه فإن خفقت ... زهر الكواكب خلناها تخاطبه
كأن أبراجه من كل ناحية ... أبراجها والدجى وحف غياهبه
ولأبي فراس في ذكرها:

رأى الثغر مثغوراً فسد بسيفه ... فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر

ملح شعر سيف الدولة

وما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم لسيف الدولة في وصف قوس قزح، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتة:

وساق صبيح للصبح دعوته ... فقام وفي أجفانه سينة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً ... على الجو دكناً والحواشي على الأرض
يطرزها قوس الغمام بأصفر ... على أحرر في أخضر تحت مبيض
كأذيال أقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض
وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوق، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال:
فانظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر
وقول أبي فراس - وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس - :
وكأنما البرك الملاء تحفها ... ألوان ذاك الروض والزهر
بسط من الديباج بيض فروزت ... أطرافها بفرواز خضر
وقوله من قصيدة:

والماء يفصل بين الزهر ال ... روض في الشطين فصلا
كبساط وشي جردت ... أيدي القيون عليه نصلا
وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني، قال: أنشدني سيف الدولة لنفسه. وأنا أراه من قوله في صباه:
أقبله على جزع ... كشرب الطائر الفرع
رأى ماء فأطعمه ... وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصة فدنا ... ولم يلتذ بالجرع
ينظر معناها إلى قول ابن المعتز:

فكم عناق لنا وكم قبل ... مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الرطب
ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم، لا يرى الدنيا إلا بها، ويشفق من الريح الهابة
عليها، فحسدتها سائر حظاياها على لطف محلها منه، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف
الدولة ذلك، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها، وقال:

راقبني العيون فيك فأشفق ... ت ولم أحل قط من إشفاق
ورأيت العلول يحسدني في ... ك مجدداً يا أنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً ... والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراق
وأنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني ابن خالويه بحلب لسيف الدولة:
تجنّي علي الذنب والذنب ذنبه ... وعاتبني طلماً وفي شقه العتب
وأعرض لما صار قلبي بكفه ... فهلاً جفاني حين كان لي القلب!

إذا برم المولى بخدمة عبده ... تجنى له ذنباً وإن لم يكن ذنب
يشبه هذا المعنى:

وإذا ما الجفاء جهز جيشاً ... سيقته طليعة من تجنى
وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس، قال: أنشدني شاعر يعرف بالمتيم لسيف الدولة:
قد جرى في دمه دمه ... فإلى كم أنت تظلمه؟
رد عنه الطرف منك فقد ... جرحته منك أسهمه
كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه؟
وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما:
رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها ... وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يك بي عنها نكول، وإنما ... تجافيت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصلياً ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السقي
وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون:
كأنما النار والرماد معاً ... وضوءها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسها خجل ... فاستترت تحت عنبر أشهب
نظيرهما في الحسن قول كشاجم:
كأنما الجمر والرماد وقد ... كاد يوارى من ناره النورا
ورد جني القطف أحمر قد ... ذرت عليه الأكف كافورا
وقول أبي طالب المأموني:
ما ترى كيف أسقمها ال ... قر فأصحت تخبوا وطوراً تسعر
وغدا الجمر والرماد عليه ... في قميص مذهب ومعنبر

الباب الثالث

في ذكر أبي فراس

الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره وغرر أخباره وأشعاره

هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره، وابن عم ناصر الدولة.
كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ونبلاً، ومجداً وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره
مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع،
وسمة الظرف، وعزة الملك. ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يعد أشعر منه
عند أهل الصنعة ونقدة الكلام، وكان الصاحب يقول: " بدئ الشعر بملك، وختم بملك " يعني امرأ القيس وأبا
فراس، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحلى جانبه فلا ينبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم

يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان قهيباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً. وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله، وأبو فراس ينشر الدر الثمين في مكاتباته إياه، ويوفيه حق سؤدده، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته.

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه

سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال: " كتب أبو فراس إلى سيف الدولة، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنجى كتاباً صدره: " كتابي - أطال الله بقاء مولانا! - من المنزل وقد وردته ورود السالم الغائم مثقل البطن والظهر وفراً وشكراً " . فاستحسن سيف الدولة بلاغته، ووصف براعته. وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه:

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عني محيد

إذ أنت سيدي الذي ... ربيتني، وأبي سعيد

في كل يوم أستفي ... د من العلاء وأستزيد

ويزيد في إذا رأي ... تك في الندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلماً ينشط مجلس الأنس؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب، وممارسة الحروب، فوافته حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يحثه على استحضارها، فقال:

مملك الجوزاء أو أرفع ... وصدرك الدهناء بل أوسع

وقلبك الرحب الذي لم يزل ... للجد والهزل به موضع

رقه بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلي الوزير فأمر القيان والقوالين بحفظها وتلحينها، وصار لا يشرب إلا عليها.

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة:

يا أيها الملك الذي ... أضحت له جمل المناقب

نتج الربيع محاسناً ... ألحقنها غرر السحائب

راقت ورق نسيمها ... فحككت لنا صور الحباب

حضر الشراب فلم يطب ... شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر حضرته لعله وجدها، فكتب إليه:

لقد نافسني الدهر ... بتأخيري عن الحضرة

فما ألقى من العل ... ة ما ألقى من الحسرة

وأهدى الناس إلى سيف الدولة في بعض الأعياد وأكثرها، فكتب إليه أبو فراس:

نفسى فداؤك قد بعث ... ت تهدي بيد الرسول

أهديت نفسي، إنما ... يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي ... صلة المبشر بالقبول
لما رأيته في الأنا ... م بلا مثال أو عديل
وكتب إليه يعاتبه:

قد كنت عدتي التي أسطو بها ... ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملت ... والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقى لبره ... أغضى على ألم لضرب الوالد
وعزم سيف الدولة على الغزو، واستحلاف أبي فراس على الشام، فكتب إليه قصيدة منها:
قالوا المسير فهز الرمح عامله ... وارتاح في جفنه الصمصامة الخدم
حقاً لقد ساءني أمر ذكرت له ... لولا فراقك لم يوجد له ألم
لا تشغلن بأمر الشام تحرسه ... إن الشام على من حله حرم

وإن للثغر سوراً من مهابته ... فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره ... لكن سألت، ومن عاداته " نعم "
وقال له:

وما لي لا أثني عليك وطالما ... وفيت بعهدي والوفاء قليل
وأوعدتني حتى إذا ما ملكني ... صفحت، وصفح المالكين جميل
وكتب إليه يعزيه:

لا بد من فقد ومن فاقد ... هيهات ما في الناس من خال
كن المعزي لا المعزى به ... إن كان لا بد من الواحد
وكتب إليه:

أيا عاتباً لا أهل الدهر عتبه ... علي، ولا عندي لأنعمه جحد
سأسكت إجلالاً لعلمك أني ... إذا لم تكن خصمي لي الحجاج اللد
وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان
والكفران، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه. فشق ذلك على سيف الدولة،
وأمر بقتل فتكته فكتب إليه أبو فراس:

ما زلت تسعى بجد ... برغم شانيك مقبل
تري لنفسك أمراً ... وما يرى الله أفضل
وكتب إليه يستعطفه:

إن لم تجاف عن الذنو ... ب وجدتما فينا كثيره
لكن عادتكم الجمي ... لة أن تغض على بصيره
وكتب إليه يستعطفه:

دع العبرات تنهمر انهمارا ... ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقر عيني ... ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممن ... تعز عليه فرقة اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدوا ... لنفس أو يؤوب، ولا قرارا
ستذكرني إذا طردت رجال ... دقت الرمح بينهم مرارا
وأرض كنت أملؤها رجالاً ... وجو كنت أرهجه غبارا
إذا بقي الأمير قرير عين ... فديناه اختياراً واضطارا
يمد على أكابرنا جناحاً ... ويكفل عند حاجتها الصغارا
أراي الله طلعتة سريعاً ... وأصحابه السلامة حيث سارا
وبلغه أمانيه جميعاً ... وكان له من الحدثان جارا
وكتب إليه:

ألا من مبلغ سروات قومي ... إذا حدثن جمجمن الكلاما
بأني لم أدع فتيات قومي ... وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهن ببذل نفسي ... ونار الحرب تضطرم اضطراما
ولما لم أجد إلا فراراً ... أشد من المنية أو حماما
حملت على ورود الموت نفسي ... وقلت لصحبي موتوا كراما
وهل عذر وسيف الدين ركني ... إذا لم أركب الخطط العظاما
وهل فعله في كل أمر ... وأجعل فضله أبداً إماما
وقد أصبحت منتسباً إليه ... وحسي أن أكون له غلاما
أراي كيف أكتسب المعالي ... وأعطاني على الدهر الذماما
ورباني ففقت به البرايا ... وأنشأني فسدت به الأناما
فأحياء الإله لنا طويلاً ... وزاد الله نعمته دواما

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان قد حسن بلاؤه في تلك
الوقعة:

ألم ترنا أعز الناس جارا ... وأمنعهم وأمرعهم جنابا
لنا الجبل المطل على نزار ... حللنا النجد منه والهضابا
يفضلنا الأنام ولا نحاشي ... بأنا الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعب ... فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنا ... إذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا ... كما هيجت آساداً غضابا

أسنته إذا لاقى طعناً ... صوارمه إذا لاقى ضراباً
دعانا والأسنة مشرعات ... فكنا عند عودته الجواباً
صنائع فاق صانعها ففاقت ... وغرس طاب غارسه فطاباً
وكنا كالسهم إذا أصابت ... مراميها فراميها أصاباً

هذا أحسن ما قيل في معناه، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي في كتاب فتح تولاه
للمصاحب بأصفهان وهناً مولاه كافي الكفاة، فكتب هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه، وثمرات صرائمه، فما
يرى عبده وصنيعته، وسائر من يكتفه ظله وتريشه عنايته، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا
لأداء حق من حقوقه النعمة، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب، وما لها في الخدمة نصيب " .
ولأبي فراس من قصيدة أولها:

أيلحاني على العبرات لاحي ... وقد يئس العواذل من صلاحي
تملكني الهوى بعد التآي ... وراضني الهوى بعد الجماح
إلا يا هذه هل من مقييل ... لضيفان الصباة أو مراح
فلولا أنت ما قلقت ركابي ... ولا هابت إلى نجد رياحي
ومنها:

ومن جراك أوطنت الفيا في ... وفيك غذيت ألبان اللقاح
أصاحب كل خل بالنجافي ... وآسو كل داء بالسماح
إذا ما عن لي أرب بأرض ... ركبت له ضمينات النجاح
ولي عند العداة بكل أرض ... ديون في كفالات الرماح
وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء:
إنا إذا اشتد الزما ... ن وناب خطب وادلهم
ألفيت حول بيوتنا ... عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ... ف وللندی حمر النعم
هذا وهذا دأبنا ... يودی دم ويراق دم
وله من قصيدة أولها:

أقلبي فأيام الحب قلائل ... وفي قلبه شغل عن اللوم شاغل
ويقول فيها:

تطالبني البيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدي في المخايل
والله ما قصر في طلب العلا ... ولكن كأن الدهر عني غافل
مواعيد أيام تطالني بها ... مرءات أزمان ودهر مخاتل
وأخلاف أيام عما أريغه ... كما دفع الدين الغريم المماطل
خليلي، شدا لي على ناقتي كما ... إذا ما بدا شيب من الفجر ناصل

فمثلي من نال المعالي بسيفه ... وربتما غالته عنها الغوائل
وما كل طلاب من الناس بالغ ... ولا كل سيار إلى الجند واصل
وإن مقيماً منجج العز خائب ... وإن مريعاً خائب الجهد نائل
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... وإني لها فوق السماكين جاعل
أصاغرنا في المكرمات أكابر ... وآخرنا في المآثرات أوائل
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصولاً ... وإن قلت قولاً لم أجد من يقاوم
وله من قصيدة أخرى:

عذيري من طوالع في عذارى ... ومن رد الشباب المستعار
وثوب كنت ألبسه أنيق ... أجزر ذيله بين الجواري
وما زادت عن العشرين سني ... فما عذر المشيب إلى عذارى؟
أخذه من قول أبي نواس:

وإذا عددت السن كم هي لم أجد ... للشيب عذراً للنزول براسي
رجع وما استمتعت من راعي النصابي ... إلى أن جاءني داعي الوقار
تلاعب بي على هوج المطايا ... خلّاق لا تفر على الصغار
ونفس دون مطلبها الثريا ... وكف دونها فيض البحار
وما يغنيك من هم طوال ... إذا قرنت بأحوال قصار
عزيز حيث حط السير رحلي ... تداريني الأنام ولا أداري
فأهلي من أنخت إليه عيسي ... وداري حيث كنت من الديار
وله:

لنا بيت على عنق الثريا ... بعيد مذاهب الأطناب سامي
تظله الفوارس بالعوالي ... وتفرشه الولاتد بالطعام
وله:

لقد علمت سراة الحي أنا ... لنا الجبل المنع جانبا
يفيء الراغبون إلى ذراه ... ويأوي الخائفون إلى حماه
وله:

لئن خلق الأنام لحث كأس ... ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو همدان إلا ... نجد أو لبأس أو جود
وله:

علونا جوشناً بأشد منه ... وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ... ظننت البر بجرأ من سلاح
وألسنة من العذبات حمر ... تخاطبنا بأفواه الرياح

وأروع جيشه ليل بهيم ... وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته كريم ... قليل الصفح ما بين الصفاح
وكان ثباته للقلب قلباً ... وهيبته جناحاً للجناح
وله من قصيدة:

قتلت فتى بني عمرو بن عبد ... وأوسعهم على الضيفان ساحا
ولست أرى فساداً في فساد ... يجر على فريقه صلاحا
كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردها، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف من أصحابه، وعليهم كثير
من عوسجة، فهزمهم، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف
الدولة، وقال في ذلك:

سلي عنا سراة بني كلاب ... ببالس عند مشتجر العوالي
لقيناهم بأسياق قصار ... كفين مؤونة الأسل الطوال
فولى بابت عوسجة كثير ... وساغ الخطو في صنك انجال
يرى البرغوث إذ نجاه منا ... أجل عقيلة وأحب مال
تدور به إماء بني قريط ... وتسأله النساء عن الرجال
يقلن له السلامة خير غنم ... وإن الذل في ذاك المقل
وعادوا سامعين لنا فعدنا ... إلى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخط ... أسونا ما جرحنا بالنوال
أخذه من قول أبي نواس:
وكلت بالدهر عيناً غير غافلة ... بجود كفك تأسو كل ما جرحا
وله من قصيدة أولها:

وقوفك بالديار عليك عار ... وقد رد الشباب المستعار
ومنها:

وكم من ليلة لم أرو منها ... حننت لها وأرقني اذكار
عسفت بها عواري الليالي ... أحق الخيل بالركض المعار
فبت أعل حمراً من رضاب ... لها سكر وليس لها خمار
إلى أن رق ثوب الليل عنا ... ونادت قم فقد برد السوار
ومنها:

إذا ما العز أصبح في مكان ... سموت له، وإن بعد المزار
مقامي حيث لا أهوى قليل ... ونومي عند من أقلى غرار
أبت لي همتي وغرار سيفي ... وعزمي والمطية والقفار
ونفس لا تجاورها الدنيا ... وعرض لا يرف عليه عار
وقوم مثل من صحبوا كرام ... وخيل مثل من حملت خيار

وكم من بلد شتتاهن فيه ... ضحى وعلامنا بره المعار

وكم ملك نزعنا الملك عنه ... وجبار به دمه جبار

وله من قصيدة أخرى:

ولو نيلت الدنيا بفضل منحتها ... فضائل تحويها وتبقى فضائل

ولكنها الأيام تجري بما جرت ... فيسفل أعلاها وتعلو الأسافل

لقد قل أن تلقى من الناس مجماً ... وأخشى قريباً أن يقل الجمال

ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي ... وإن سأل الأعمار ما هو سائل

وله:

بخلت بنفسي أن يقال مبخل ... وأقدمت جبناً أن يقال جبان

وملكي بقايا ما وهبت مفاضة ... ورمح وسيف قاطع وسان

وله:

بأطراف المثقفة العوالي ... تفردتها بأوساط المعالي

وما تحلو مجاني العز يوماً ... إذا لم تجنّها سمر العوالي

مما لكنا مكاسبنا إذا ما ... توارثها رجال عن رجال

إذا لم تمس لي نار بأرض ... أبيت لنار غيري غير صالي

وله:

غيري يغيره الفعال الجافي ... ويحول عن شيم الكريم الوافي

لا أرتضي ودّاً إذا هو لم يدم ... عند الجفاء وقلة الإنصاف

تعس الحريص وقل ما يأتي به ... عوضاً عن الإلحاح والإلحاف

إن الغني هو الغني بنفسه ... ولو أنه عاري المناكب حافي

ما كل ما فوق البسيطة كافياً ... وإذا قنعت فبعض شيء كافي

وتعاف لي طمع الحريص فتوتي ... ومروءتي وقناعتي وعفا في

ما كثرة الخيل العتاق بزائدي ... شرفاً، ولا عدد السوام الضافي

خيلي وإن قلت كثير نفعها بين الصوارم والقنا الرعاف

ومكارمي عدد النجوم، ومنزلي ... مأوى الكرام ومنزل الأضياف

لا أقتني لصروف دهري عدة ... حتى كأن خطوبه أحلافي

شيم عرفت بمن مذ أنا يافع ... ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وله:

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً ... وأن تمسي وسائدي العراب

وتربط في مجالسنا المذاكي ... وتنزل بين أرحلنا الركاب

وهذا العز أورثنا العوالي ... وهذا الملك ملكنا الضراب

فقصرك إن حالاً ملكتنا ... لحال لا تدم ولا تعاب
وله:

ونحن أناس لا توسط عندنا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تمون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسنة لم يغله المهر

الإخوانيات

قال وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء:

حللت من انجد أعلى مكان ... وبلغك الله أقصى الأمان
فإنك لا عدمتك العلاء! أخ لا كاخوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء ... كما كسيت بالكلام المعاني
وقال لصديق له وأحسن:

لم أواخذك بالجفاء لأني ... واثق منك بالوداد الصريح
فجميل العدو غير جميل ... وقبيح الصديق غير قبيح
وله:

ما كنت تصبر في القدي ... م فلم صبرت الآن عنا
ولقد ظننت بك الظن ... ن لأنه من ضن ظنا
وقال:

أشفقت من هجري فسل ... طت الظنون على اليقين
وضننت بي فظننت بي ... والظن من شيم الضنين
وقال وكتب بيها إلى أخيه:

ولقد أبيت وجل ما أدعو به ... حتى الصباح وقد أقض المضجع
لا هم إن أخي لديك وديعتي ... أبداً، وليس يضيع ما تستودع
وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم:

نفى النوم عن عيني خيال مسلم ... تأوب من أسماء والركب نوم
وخطب من الأيام أنساني الهوى ... وأحلى بفي الموت والموت علقم
ووالله ما شبت إلا علالة ... ومن نار غير الحب قلبي يضرم
فمن مبلغ عني الحسين ألوكة ... تضمنها در الكلام المنظم
لذيذ الكرى حتى أراك محرم ... ونار الأسي بين الحشا تنضرم
وأترك أن أبكي عليك تطيراً ... وقلبي يبكي والجوانح تلطم
لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجيع بمنكوب.

وأظهر للأعداء فيك جلادة ... وأكتم ما ألقاه، والله يعلم
وما أغربت فيك الليالي وإنما ... لتصدعنا من كل شعب وتثلم

طوارق خطب ما تغب وفودها ... وأحداث أيام تفذ وتنتم
فما عرفتني غير ما أنا عارف ... ولا علمتني غير ما كنت أعلم
ومنها:

أندعو كريماً من يجود بماله ... ومن جاد بالنفس النفيسة اكرم
إذا لم يكن ينجي الفرار من الردى ... على حالة فالصبر أرجى وأحزم
لعمري لقد أعذرت لو أن مسعداً ... وأقدمت لو أن الكتائب تقدم
وما عليك ابن السابقين إلى العلا ... تأخر أقوام وأنت مقدم
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا ... وأنت من القوم الذين هم هم
لعاً يا أخي لا مسك السوء! إنه ... هو الدهر في حاله بؤسي وأنعم
وكتب إليه قصيدة أخرى منها:

أبا العشائر إن أسرت فطالما ... أسرت لك البيض الخفاف رجلاً
لما أجلت المهر فوق رؤوسهم ... نسجت له حمر الشعور عقلاً
ما احسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه.

يا من إذا حمل الحصان على الوجى ... قال اتخذ حبك التريك نعلاً
ما كنت نهرة آخذ يوم الوغى ... لو كنت أوجدت الكميت مجالاً
أخذوك في كيد المضايق غيلة ... مثل النساء تربب الرئلاً

زلل من الأيام فيك يقيه ... ملك إذا عشر الزمان أقالاً
بالخيل ضمراً والسيوف قواضباً ... والسمر لدناً والرجال عجلاً
وقال:

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني ... ليست مؤاخذه الإخوان من شاني
يجني الخليل فاستحلي جنايته ... حتى أدل على عفوي وإحساني
إذا خليلي لم تكثر إساءته ... فأين موقع إحساني وغفراني
يجني علي وأحنو صافحاً أبداً ... لا شيء أحسن من حان على جاني
وقال:

ما لصاحبي إلا الذي من بشره ... عنوانه في وجهه ولسانه
كم صاحب لم أغن عن إنصافه ... في عشرة وغيت عن إحسانه
وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له:

ووارد مورد أنساً يؤكده ... صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت سحائبه منه على نزه ... تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطق جدد ... كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر
وروضة من رياض الفكر دجها ... صوب القرائح لا صوب من المطر

كأنما نشرت أيدي الربيع بها ... برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر
وقال لأبي الحصين القاضي:

من بحر شعرك أعترف ... وبفضل علمك أعترف
أنشدتني فكأنما ... شققت عن در الصدف
شعراً إذا ما قسته ... بجميع أشعار السلف
قصرن دون مداه تق ... صير الحروف عن الألف
وقال أيضاً:

إني عليك أبا حصين عاتب ... والحر يحتمل الصديق ويغفر
وإذا وجدت على الصديق شكوته ... سرّاً إليه، وفي المحافل أشكر
هكذا شرط الصداقة، لا كما حكاه أبو إسحاق الصايي في قوله:
ومن الظلم أن يكون الرضى س ... راء، ويبدو الإنكار وسط النادي
ومن العدل أن يشاع بهذا ... مثل ما شاع ذاك في الأشهداد

الشكوى والعتاب

سوى ما وقع في الروميات

قال:

أراي وقومي فرقنا مذاهب ... وإن جمعنا في الأصول المناسب
فأقصاهم أقصاهم من مساءتي ... وأقربهم مما كرهت الأقارب
غريب وأهلي حيث ما كر ناظري ... وحيد وحولي من رجالي عصائب
نسبيك من ناسبت بالود قلبه ... وجارك من صافيته لا المصائب
وأعظم أعداء الرجال ثقافتها ... وأهون من عاديته من تحارب
وما الذنب إلا العجز يركبه الفتى ... وما ذنبه إن حاربه المطالب
ومن كان غير السيف كافل رزقهفلذل منه لا محالة جانب
وقال:

مالي أعاتب؟ مالي؟ أين يذهب بي؟ ... قد صرح الدهر لي بالمنع والياس
أبغي الوفاء بدهر لا وفاء له ... كأني جاهل بالدهر والناس
وقال:

تمنيتم أن تفقدوني، وإنما ... تمنيتم أن تفقدوا العز أصيدا
أما أنا أعلى من تعدون همة؟ ... وإن كنت أدنى من تعدون مولدا
إلى الله أشكو عصة من عشيري ... يسيئون في القول غيباً ومشهدا
وإن حاربوا كنت الجن أمامهم ... وإن ضاربوا كنت المهند واليدا

وإن ناب خطب أو ألت ملمة ... جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا
وقال:

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا ... أيا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فيا ليت داني الرحم منا ومنكم ... إذا لم يقرب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
وقال:

ويغتابي من لو كفاني غيبه ... لكنت له العين البصيرة والأذنا
وعندي من الأخبار ما لو ذكرته ... إذا قرع المغتاب من ندم سنا
وقال:

إذا كان فضلي لا أسوغ نفعه ... فأفضل منه أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل ... يجوز على حوبائها حكم جاهل

الغزل والنسيب

قال:

تبسم إذ تبسم عن أقاح ... وأسفر حين أسفر عن صباح
وأتحفني براح من رضاب ... وراح من جنى خد وراح
فمن لألاء غرته صباحي ... ومن صهباء ريقته اصطباحي
وقال:

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهنتي، بل سوافه ... ولا الشمول ازدهنتي، بل شمائله
ألوى بعزمي أصداغ لوين له ... وغال صبري ما تحوي غلاته
وقال:

من أين الرشأ الغرير الأخور ... في الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كأن بعارضيه كليهما ... مسكاً تساقط فوق ورد أحمر
وقال:

قد كان بدر السماء حسناً ... والناس في حبة سواء
فزاده ربه عذاراً ... تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير ... يزيد في الخلق ما يشاء
وقال:

وظبي غرير في فؤادي كناسه ... إذا اكتنست عين الفلاة وحورها
فمن خلقه أجيادها وعبوثها ... ومن خلقه عصيانها ونفورها

وقال:

وشادن قال لي لما رأى سقمي ... وضعف جسمي والدمع الذي انسجما
أخذت دمعك من خدي، وجسمك من ... خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما
وقال:

أساء فرادته الإساءة حظوة ... حبيب علي ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيان ذنوبه ... ومن أين للوجه الجميل ذنوب؟
وقال:

أيها الغازي الذي يغ ... زر بجيش الحب جسمي
ما يقوم الأجر في غز ... وك للروم يآثم
وقال:

وإذا ينست من الدن ... و رغبت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هوا ... ك لأن روعي في جهاد
وقال:

وكنى الرسول عن الجواب تطرفاً ... ولئن كنى فلقد علمنا ما عنى
قل يا رسول ولا تحاش فإنه ... لا بد منه أساء بي أم أحسنا
الذنب لي فيما جناه لأنني ... مكنته من مهجتي فتمكنا
وقال:

عدتي عن زيادته عواد ... أقل مخوفها سمر الرماح
ولو أني أطعت رسيس شوقي ... ركبت إليه أعناق الرياح
وقال:

يا عسوفاً بالمستهام الشفيق ... وعنيفاً على الرفيق الرفيق
أسرق الدمع من نديمي بكأس ... فاحلي عقيها بالعقيق
وقال:

لطيرقي بالصداع نالت ... فوق منال الصداع مني
وجدت فيه اتفاق سوء ... صدعني مثل صدعني
وقال:

يا ليلة لست أنسى طيبها أبداً ... كأن كل سرور حاضر فيها
باتت وبت وبات الرق ثالثنا ... حتى الصباح تسقيني وأسقيها
كأن سود عناقيد بلمتها ... أهدت سلافتها حمراً إلى فيها
وقال:

مسيء محسن طوراً وطوراً ... فما أدري عدوي أم حبيبي
وبعض الظالمين وإن تناهى ... شهى الظلم مغتفر الذنوب

وقال:

قمر دون حسنه الأقمار ... وكثيب من النقا مستعار
وغزال فيه نفار، وما ين ... كر من شيمة الطباء النفار
لا أعاصيه في اجتراح المعاصي ... في هوى مثله تطيب النار
قد حذرت الملاح دهرًا ولكن ... ساقني نحو حبة المقدار
كم أردت السلو فاستعطفني ... رقية من رقاك يا عيار

وقال:

من السلوان في عيني ... لك آيات وآثار
أراها منك بالقلب ... وفي الأضلاع أبصار
إذا ما برد القلب ... ب فما تسخنه النار

وقال:

يا معشر الناس هل لي ... مما لقيت مجير
أصاب غرة قلبي ... ذاك الغزال الغرير
فعمر ليلي طويل ... وعمر يومي قصير

وقال:

أجهلي يا أم عمرو ... زادك الله جمالا
لا تبيني برخص ... إن في مثلي يغالي
أنا إن جدت بوصل ... أحسن العالم حالا

الأوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر:

كأنما الماء عليه الجسر ... درج بياض خط فيه سطر
كأننا لما هيا العبر ... أسرة موسى حين شق البحر
وجلست يوماً في البستان والماء يتدرج في البرك، فقال في وصفه، وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من
جنس صناعته، أو ربما بما يكسر رؤيته له:
أنظر إلى زهر الربيع ... والماء في برك البديع
وإذا الرياح جرت علي ... ه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا ... نح بيننا حلق الدروع
وقال في وصف النار والفحم:
لله برد ما أش ... د ومنظر ما كان اعجب
جاء الغلام بناره ... ه وجاء في فحم تلهب

فكأنما جمع الحل ... ي فمحرق منه ومذهب

وكأنها لما خبيت ... ما بيننا ند معشب

وقال:

مددنا علينا الليل والليل راضع ... إلى أن تردى رأسه بمشيب

بحال ترد الحاسدين بغيظهم ... وتطرف عنا عين كل رقيب

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... مبادي نصول في عذار خضيب

وقال:

وجلنار مشرف ... على اعالي شجرة

كأن في رءوسه ... أحمره وأصفره

قراضة من ذهب ... في خرق معصفرة

وقال في جارية مسبية:

وخريدة كرمت على آبائها ... زمناً، وعند سيائها لم تكرم

خطبت بحد السيف حتى زوجت ... كرهاً، وكان صداقها للمقسم

راحت وصاحبها لعرس حاضر ... برضا الإله وأهلها في مآتم

ينظر معنى البيت الأول " والثالث " إلى قول المتنبي:

تبكي عليهن البطاريق في الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده:

لما رأت أثر السنان بخده ... ظلت تقلبه بوجه عابس

خلف السنان به مواقع لشمها ... بنس الخلافة للمحب البائس

حسن الشاء بقبح ما صنع القنا ... يوم الطعان بصحن خد الفارس

الحكمة والموعظة

قال:

غنى النفس لمن يعق ... ل خير من غنى المال

وفضل الناس في الانف ... س، ليس الفضل في الحال

وقال:

المرء نصب مصائب لا تنقضي ... حتى يوارى جسمه في رمسه

فمؤجل يلقي الردى في اهله ... ومعجل يلقي الردى في نفسه

قال:

أنفق من الصبر الجميل فإنه ... لم يخش فقراً منفق من صبره

والمرء ليس ببالغ مدة مما ترى ... وعساك ان تكفي الذي تخشاه

وقال:

عرفت الشر لا للش ... ر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه

وقال:

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها ... إذا لم يكن للمبصرين بصائر
وهل ينفع الخطي غير مثقف ... وتظهر، إلا بالصقال، الجواهر
وكيف ينال الجمد والجسم وادع ... وكيف يحاز الحمد والوفر وافر
وقال:

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق إليك سبيل
وإن هو لم يرشدك في مسلك ... ضللت، ولو أن السماك دليل
وقال:

لست بالمستضيم من هو دوني ... اعتداء، ولست بالمستضام
رب أمر عففت عنه اختياراً ... حذراً من أصابع الأيتم
أبذل الحق للخصوم إذا ما ... عجزت عنه قدرة الحكام

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرقه الأدب، وأصابته عين الكمال، وأسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح، وقد أصاب سهم بقي نصله في فخذه، وحصل مشخناً بخرشنة، ثم بقسطنطينية، وتناولت مدته بما لتعذر المفاداة، وقد قيل: على كل نجاح رقيب من الآفات، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستراة سيف الدولة، وفرط الحين إلى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه، عن صدر حرج، وقلب شج، تزداد رقة ولطافة، وتبكي سامعها، وتعلق بالحفظ لسلاستها، فمنها قوله:

ما للعبيد من الذي ... يقضي بهي الله امتناع

ذدت الأسود عن الفرا ... نس ثم تفرسني الضباع!
وقوله:

قد عذب الموت بأفواهنا ... والموت خير من مقام الذليل

إنا إلى الله لما نابنا ... وفي سبيل الله خير السبيل

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذي أصابه قال:

فلا تصفن الحرب عندي، فإنها ... طعامي منذ بعث الصبا وشرابي

وقد عرفت وقع المسامير مهجتي ... وشقق عن زرق النصول إهابي

ولججت في حلو الزمان ومره ... وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال بخرشنة:

إن زرت خرشنة أسيراً ... فلقد حللت بها مغيراً
ولقد رأيت النار تنت ... هب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يجلب ... ب نحونا حوّاً وحوراً
من كان مثلي لم يبت ... إلا أميراً أو أسيراً
ليست تحل سراتنا ... إلا الصلور أو القبورا
وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها:
دعوتك للحفن القريح المسهد ... لدي، وللنوم القليل المشرد
وما ذاك بخلاً بالحياة وإنما ... لأول مبدول لأول مجتد
ولا زال عني أن شخصاً معرضاً ... لنبل العدا إن لم يصب فكأن قد
ولكنني أختار موت بني أبي ... على سروات الخيل غير موسد
وآبى وتأبى أن أموت موسداً ... بأيدي النصارى موت أكمد أكبد
نضوت على الأيام ثوب جلادتي ... ولكنني لم أنض ثوب التجلد
فمن حسن صبر بالسلامة واعد ... ومن ريب دهر بالردى متوعدي
فمثلك من يدعى لكل عزيمة ... ومثلي من يفدي بكل مسود
تشبث بها اكرومة قبل فوقها ... وقم في خلاصي صادق العزم واقعد
فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا ... وأسرع عواد إليكم معود
يدافع عن اعراضكم بلسانه ... ويضرب عنكم بالحسام المهند
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى ... طويل نجاد السيف رحب المقدد
ولا وأبى ما ساعدان كساعد ... ولا وأبى ما سيدان كسيد
وإنك للمولى الذي بك أفتدي ... وإنك للنجم الذي أهديتني كل مقصد
وانت الذي بلغني كل غاية ... مشيت إليها فوق أعناق حسدي
فيا ملبسي النعمى التي جل قدرها ... لقد أخلقت تلك الثياب فجدد
ألم تر أنني فيك صافحت حدها ... وفيك شربت الموت غير مصرد
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها ... بسعين فيها كل أشأم أنكد
يقولون جنب عادة ما عرفتها ... شديد على الإنسان ما لم يعود
فقلت أما والله ما قال قائل ... شهدت له في الخيل ألام مشهد
ولكن سألقاها فإما منية ... هي الظن أو بنيان عز مؤيد
ولم أدر أن اهر من عدد العدا ... وإن المنايا السود يرمين عن يد
وكتب إلى والدته وفد ثقل من الجراح التي به:
مصابي جليل والعزاء جميل ... وظني بأن الله سوف يدبل
جراح تحاماها الأساءة مخافة ... وسقمان باد منهما ودخيل
وأسر أقاسيه وليل نجومه ... أرى كل شيء غيرهن يزول

تطول بي الساعات وهي قصيرة ... وفي كل دهر لا يسرك طول
تناساني الأصحاب إلا عصابة ... ستلحق بالآخرى غداً وتحول
وإن الذي يبقى على العهد منهم ... وإن كثرت دعواهم لقليل
أقلب طرفي لا أرى غير صاحب ... يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أن المتارك محسن ... وإن خليلاً لا يضر وصول
كأنه مأخوذ من قول المتنبي:
إننا لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إنعام وإفضال
رجع:

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن ... إلى غير شاك للزمان وصول
أكل خليل أنكد غير منصف ... وكل زمان بالكرام بخيل
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوة ... أجاب إليها عالم وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ... وخلى أمير المؤمنين عقيل
فيا حسرتي من لي بخل موافق ... أقول بشجوي مرة ويقول
وإن وراء الستر أما بكأؤها ... علي، وإن طال الزمان، طويل
فيا أمتا لا تعدمي الصبر، إنه ... إلى الخير والنجح القريب رسول
فيا أمتا لا تحبطي الأجر، إنه ... على قدر الصبر الجميل جزيل
تأسي كفك الله ما تجدينه ... فقد غال هذا الناس قبلك غول
لقيت نجوم الأفق وهي صوارم ... وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أراع للنفس الكريمة خلة ... عشية لم يعطف علي خليل
ولكن لقيت الموت حتى تركته ... وفيه وفي حد الحسام فلول
ومن لم يوق الله فهو ممزق ... ومن لم يعز الله فهو ذليل
ومن لم يردده اله في الأمر كله ... فليس لمخلوق إليه سبيل
وكتب إلى سيف الدولة:

هل تعطفان على العليل ... لا بالأسير ولا القليل
باتت تقلبه الأك ... ف سحابة الليل الطويل
فقد الضيوف مكانه ... وبكاه أبناء السبيل
وتعطلت سمر الرما ... ح وأغمدت بيض النصول
يا فارح الكرب العظمي ... م وكاشف الخطب الجليل
كن يا قوي لذا الضعفي ... ف ويا عزيز لذا الذليل
قربه من سيف الهدى ... في ظل دولته الظليل
لم أرو منه ولا شفي ... ت بطول خدمته غليلي

ولئن حننت إلى ذرا ... ه لقد حننت إلى وصول
لا بالقطوب ولا الغضو ... ب ولا الكذوب ولا الملول
يا عدتي في النائبا ... ت وظلتي عند المقييل
أين المحبة والذما ... م وما وعدت من الجميل؟
احمل على النفس الكري ... مة في والقلب الحمول
وكتب إلى والدته:

لولا العجوز بمنيج ... ما خفت أسباب المنيه
ولكان لي عما سأل ... ت من الفدى نفس أبيه
لكن أردت مرادها ... ولو انجذبت إلى الدنية
أمسست بمنيج حرة ... بالحزن من بعدي حريه
فيها التقى والدين مع ... موعان في نفس زكيه
لا زال يطرق منبجاً ... في كل غادية تحيه
يا أمتا لا تحزني ... وثقي بفضل الله فيه
يا أمتا لا تيأسي ... لله ألطاف خفيه
أوصيك بالصبر الجمي ... ل فإنه خير الوصيه
وكتب إلى غلامين له:

هل تحسان لي رفيقا ... يحفظالود أو صديقاً صدوقا
لا رعى الله يا خليلي دهرأ ... فرقتنا صروفه تفريقا
كنت مولاكما وما كنت إلا ... والدأ محسنأ وعمأ شفيقا
فاذكراني وكيف لا تذكراني ... كلما استخون الصديق صديقا
بت أبكيكما وإن عجيبأ ... أن يبيت الأسير يبكي الطليقا
وكتب إلى غلامه منصور:

مغرم مؤلم جريح أسير ... إن قلبأ يطيق ذا لصبور
وكثير من الرجال حديد ... وكثير من القلوب صخور
قل لمن حل بالشأم طليقأ: ... بأبي قلبك الطليق الأسير
أنا أصبحت لا أطيق حراكأ ... كيف أصبحت أنت يا منصور
وكتب إليه:

ارث لصب بك قد زدته ... على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاثما ... لكنه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم في بلدة ... وهو أسير القلب في أخرى
وكتب إليه أيضاً:

يا ليل ما أغفل عما بي ... حباتي فيك وأحبابي
يا ليل نام الناس عن موجه ... ناء على مضجعه نابي
هيت له ريح شامية ... متت إلى القلب بأسباب
أدت رسالات حبيب بها ... فهمتها من بين أصحابي
بلغني أن الصاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستلحمهما ويكثر الإعجاب بهما .
وكتب إليهما:

لأيكم أذكر ... وفي أيكم أفكر
وكم لي على بلدي ... بكاء ومستعبر
ففي حلب عدتي ... وعزي والمفخر
وفي منبج من رضا ... ه أنفس ما أذخر
ومن حبها زلفة ... بها يكرم الخشر
وأصيبة كالفرأ ... خ أكبرهم أصغر
يخيل لي أمرهم ... كأنهم حضر
وقوم ألفناهم ... وغصن الصبا أخضر
فحزني ما ينقضي ... ودمعي ما يفتر
أيا غفلتا كيف لا ... أرجى كما احذر
وماذا القنوط الذي ... أراه وأستشعر
بلى، إن لي سيداً ... مواهبه أكثر
بذني أوردتني ... ومن فضلك المصدر
وقال وقد حضره العيد:

يا عبد ما عدت بمحروب ... على معنى القلب مكروب
يا عبد قد عدت إلى ناظر ... عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي رها ... أصبح في أثواب مريب
قد طلع العيد على أهلها ... بوجه لا حسن ولا طيب
ما لي وللدهر وأحداثه ... لقد رماني بالاعاجيب
وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية:
أقول وقد ناحت بقربي حمامة ... أيا جاري هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى ... ولا خطرت منك المهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم ... على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما انصف الدهر بيتنا ... تعالي أقاسمك المهموم تعالي
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة ... تردد في جسم يعذب بلي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ويندب سالي

لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي في الحوادث غالي
وكتب إلى سيف الدولة:

أما لجميل عندكن ثواب ... ولا لمسيء عندكن متاب
إذا خلل لم يهجر ك إلا ملالة ... فليس له، إلا الفراق، عتاب
إذا لم أجد من خلّة ما أريده ... فعندي لأخرى عزمة وركاب
وليس فراق ما استطعت فإن يكن ... فراق على حال فليس إياب
أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر:
إذا انصرفت نفسي عن السيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل

رجع:

صبور ولو لم يبق مني بقية ... قوّل ولو أن السيوف جواب
وقور وأحداث الزمان تنوشني ... وللموت حولي جينة وذهاب
بمن يتق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئاب على أجسادهن ثياب
تغايبت عن قوم فظنوا غباوة ... بمفرق أغبانا حصى وتراب!
ولو عرفوني بعض معرفتي بهم ... إذا علموا أنني شهدت وغابوا
إلى الله أشكو أننا بمنازل ... تحكم في آسادهن كلاب
تمر الليالي ليس للنفع موضع ... لدي ولا للمعتفين جناب
ولا شد لي سرج على متن سابح ... ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع ... ولا لمعت لي في الحروب حراب
ستذكر أيامي نمر وعامر ... وكعب، على علائها، وكناب
أنا الجار لا زادي بطيء عليهم ... ولا دون ما لي في الحوادث باب

ولا أطلب العوراء منها أصيبها ... ولا عورتني للطالين تصاب
بني عمنا، ما يفعل السيف في الوغى ... إذا قل منه مضرب وذباب
بني عمنا، نحن السواعد والظبا ... ويوشك يوماً أن يكون ضراب
وما أدعي ما يعلم الله غيره ... رحاب علي للعفاة رحاب
وأفعاله للراغبين كريمة ... وأمواله للطالين نهاب
ولكن بنا منه بكفي صارم ... وأظلم في عيني منه شهاب
ألم فيه بقول البحتري:

سحاب عدائي جوده وهو ريق ... وبحر خطائي فيضه وهو مفعم
وبدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً ... وموضع رحلي منه أسود مظلم
رجع:

وأبطأ عني والمنايا سريعة ... وللموت ظفر قد أطال وناب
فإن لم يكن ود قريب تعده ... ولا نسب بين الرجال قراب
فأحوط للإسلام أن لا يضيعني ... ولي عنه فيه حوطة ومناب
ولكنني راض على كل حالة ... لنعلم أي الخلتين سراب
وما زلت أرضى بالقليل محبة ... لديه، وما دون الكثير حجاب
وأطلب إبقاء على الود أرضه ... وذكرى منى في غيرها وطلاب
كذاك الوداد المحض لا يرتجى له ... ثواب، ولا يخشى عليه عقاب
ومثله للمتنبى:

وما أنا بالبأغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
رجع:

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع ... وفي كل يوم لقية وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر ... وللبحر حولي زخرة وعباب؟
أمن بعد بذل النفس فيما تريده ... أثاب بمر العتب حين أثاب
فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب
وكتب إليه:

بالكره مني واختيارك ... أن لا أكون حليف دارك
يا تاركى إني لشك ... رك ما حييت لغير تارك
كن كيف شئت فإنني ... ذاك المواسي والمشارك
وكتب إليه:

أبى عرب هذا الدمع إلا تسرعاً ... ومكنون هذا الحب إلا تضوعاً
وكنت أرى الحب أنى مع الصبر واجد ... إذا شئت لي مضى وإن شئت مرجعاً
فلما استمر الحب في غلوائه ... رعيت مع المضايعة الغر ما رعى
فحزني حزن الهائمين مبرحاً ... وسري سر العاشقين مضيعاً
وهبت شبابي والشباب مضنة ... لأبلغ من أبناء عمي أروعاً
أبيت معنى من مخافة عتبه ... وأصبح محزوناً وأمسي مروعاً
فلما مضى عصر الشبية كله ... وفارقتني شرخ الشباب فودعاً
تطلبت بين العتب والهجر فرجة ... فحاولت أمراً لا يرام ممنعاً
وصرت إذا ما رمت في الخير لذة ... تتبععتها بين الهموم تتبعاً
وها أنا قد حلّى الزمان مفارقي ... وتوجني بالشيب تاجاً مرصعاً
أما ليلة تمضي ولا بعض ليلة ... أسر بها هذا الفؤاد المفجعاً

أما صاحب فرد يدوم وفاؤه ... فيصفي لمن يصفى ويرعى لمن رعى
أفي كل دار لي صديق أوده ... إذا ما تفرقنا حفظت وضيعا
إذا خفت من أخوالي الروم خطة ... تخوفت من اعمامي العرب أربعا
وإن أوجعتني من أعادي شيمة ... لقيت من الاحباب أدهى وأوجعا
ولو قد رجوت الله لا شيء غيره ... رجعت إلى آلي وأملت أوسعا
لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ... ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا
وما مر إنسان فأخلف مثله ... ولكن يرجى الناس أمراً مرقعا

تنكر سيف الدين لما عتبه ... وعرض بي تحت الكلام وقرعا
فقلوا له من صادق الود: إنني ... جعلتك مما رايني منك مفزعا
ولو أنني أكننته في جوانحي ... لأروق ما بين الضلوع وفرعا
فلا تغترر بالناس، ما كل من ترى ... أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا
فلله إحسان علي ونعمة ... والله صنع قد كفاني التصنعا
أراني طرق المكرمات كما أرى ... علي، وأسعى لي علياً كما سعى
فإن يك بطء مرة فلطالما ... تعجل بي نحو الجميل فأسرعا
وإن يحف في بعض الامور فإنني ... لأشكره النعمى التي كان اودعا
وإن يستجد الناس بعدي فلم يزل ... بذاك البديل المستجد ممتعا
وكتب إليه أبو فراس: مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا
عنك في امري، فأجابه سيف الدولة بكلام حسن، وقال له: ومن يعرفك بخراسان؟ فكتب إليه أبو فراس:
أسيف الهدى وقريع العرب ... إلام الجفاء؟ وفيهم الغضب؟
وما بال كتبك قد أصبحت ... تنكبي مع هذي النكب
وأنت الكريم، وأنت الحليم ... وأنت العطوف، وأنت الحذب
وما زلت تسعفني بالجميل ... وتنزلي بالمكان الخصب
وإنك للجبل المشمخ ... رلي، بل لقومك، بل للعرب
علا يستفاد، وعاف يفاد، ... وعز يشاد، ونعمى ترب
وما غص مني هذا الإسار ... ولكن خلصت خلوص الذهب
فقيم يقرعني بالخمو ... ل مولى به نلت أعلى الرتب؟
وكان عتيداً لدي الجواب ... ولكن لهيبته لم أجب
أتنكر أني شكوت الزمان ... واني عتبتك فيمن عتب
فألا رجعت فأعتبتني ... وصيرت لي ولقومي الغلب
فلا تنسبن إلي الخمول ... عليك أقمت فلم أغترب
وأصبحت منك فإن كان فضل ... وإن كان نقص فأنت السبب

وإن خراسان إن انكرت ... علاي فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الأبعدون ... أمن نقص جد؟ أمن نقص أب
ألست وإياك من أسرة ... وبينك عرق النسب؟
وداد تناسب فيه الكرام ... وتربية ومحل أشب
ونفس تكبر إلا عليك ... وترغب إلاك عمن رغب
فلا تعدلن فداك ابن عم ... ك، لا، بل غلامك عما يجب
وأنصف فتاك فإنصافه ... من الفضل والنسب المكتسب
فكنت الحبيب، وكنت القريب ... ليالي أدعوك من عن كشب
فلما بعدت بدت جفوة ... ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرة ... لقلت صديقك من لم يغيب
وكتبت إليه أيضاً:

زمانى كله غضب وعتب ... وأنت علي والأيام ألب
وعيش العين لديك سهل ... وعيشي وحده بفناك صعب
فكيف وأنت دافع كل خطب ... مع الخطب الملم علي خطب
فلا تحمل على قلب جريح ... به لحوادث الأيام ندب
أمثلي تقبل الأقوال فيه ... ومثلك لحوادث الأيام ندب
جناني ما علمت، ولي لسان ... يقدر الدرع والإنسان، غضب
وزندي وهو زندك ليس يكبو ... وناري وهي نارك ليس تخبو
وفرعي فرعك السامي المولى ... وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه ... لأنك أصله والمجد ترب
فدت نفسي الأمير وكان حظي ... وقربي عنده ما دام قرب
فلما حالت الأعداء دوني ... وأصبح بيننا بحر ودرب
ظلت تبدل الأقوال بعدي ... ويبلغني اغتيابك ما يغيب
فقل ما شئت في فلي لسان ... مليء بالثناء عليك رطب

وقابلني بإنصاف وظلم ... تجدني في الجميع كما تحب
وبلغ أبا فراس أن والدته حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة، وتتضرع إليه، فلم يكن عنده ما
رجت من حسن الإيجاب، ووافق ذلك عنفاً من الدمستق بأي فراس ومن معه من الأسرى، وزيادة في إرهابهم،
فكتب إلى سيف الدولة:

يا حسرة ما أكاد أحمليها ... آخرها مزعج وأولها
عليلة بالشأم مفردة ... بات بأيدي العدى معللها
إذا اطمأنت، وأين؟ أو هدأت ... عنت لها ذكره تقلقلها

تسأل عنا الركبان جاهدة ... بأدمع ما تكاد تمهلها
يا من رأى لي بحصن خرشنة ... أسد شرى في القيود أرجلها
يا من رأى في الدروب شاحنة ... دون لقاء الحبيب أطولها
يا أيها الركبان هل لكما ... في حمل نجوى يخف حملها
يا امنا هذه منازلنا ... نتركها تارة ونزلها
ومنها:

يا سيداً ما تعد مكرمة ... إلا وفي راحتك أكملها
ليست تنال القيود من قدمي ... وفي اتباعي رضاك أحملها
لا تقيم والماء تدركه ... غيرك يرضى الصغرى ويقبلها
أنت سماء ونحن أنجمها ... أنت بلاد ونحن أجبلها
أنت سحاب ونحن وابله ... أنت يمين ونحن أشملها
بأي عذر رددت والهة ... عليك دون الورى معولها
جاءتك تفتح رد واحدها ... ينتظر الناس كيف تقفلها
تلك العقود التي عقدت لنا ... كيف وقد أحكمت تحللها
أرحامنا منك، لم تقطعها؟ ... ولم تزل دائماً توصلها
سمحت مني بمهجة كرمت ... أنت، على ياسها، مؤملها
إن كنت لم تبذل الفداء لها ... فلم أزل في هواك أبذلها
تلك المودات كيف تمهلها ... تلك المواعيد كيف تغفلها
أين المعالي التي عرفت بها ... تقولها دائماً وتفعلها؟
يا واسع الدار كيف توسعها ... ونحن في صخرة نزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله ... ثيابنا الصوف ما نبذلها!
يا راكب الخيل لو بصرت بنا ... نحمل أقيادنا وننقلها
رأيت في الضر أوجهاً كرمت ... فارق فيك الجمال أجملها
قد أثر الدهر في محاسنها ... تعرفها تارة وتحملها
لا يفتح الناس باب مكرمة ... صاحبها المستغاث يقفلها
أينبري دونك الكرام لها ... وأنت قمقامها وأجملها
وأنت إن عز حادث جلل ... قلبها المرتجى وحولها
منك تردى بالفضل أفضلها ... منك أفاد النوال أنولها
فإن سألنا سواك عارفة ... فبعد قطع الرجاء نسألها
لم يبق في الناس أمة عرفت ... إلا وفضل الامير يشملها
نحن أحق الورى برأفته ... فأين عنا وكيف معدلها
يا منفق المال لا يريد به ... إلا المعالي التي يؤثلها

أصبحت تشري مكارماً فضلاً ... فداؤنا ما علمت أفضلها

لا يقبل الله قبل فرضك ذا ... نافلة عنده تنفلها

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة:

يا سيدي أراكما ... لا تذكران أخاكما

أوجدتما بدلاً به ... يبني سماء علاكما

أوجدتما بدلاً به ... يفري نخور عداكما

من ذا يعاب بما لقي ... ت من الورى إلاكما

لا تقعدا بي بعدها ... وسلا الأمير أباكما

وخذا فداي جعلت من ... ريب المنون فداكما!

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنج:

قف في رسوم المستجا ... ب وناد أكناف المصلى

تلك المنازل والملا ... عب لا أراها الله محلا

أوطنتها زمن الصبا ... وجعلت منج لي محلا

حيث التفت رأيت ما ... ء سائحاً وسكنت ظلا

والماء يفصل بين زه ... ر الروض في الشطين فصلا

كبساط وشي جردت ... أيدي القيون عليه نصلا

من كان سر بما عرا ... ني فليمت ضراً وهزلا

ما غض مني حادث ... والقرم قرم حيث حلا

أنى حللت فإنني ... شرق العدا طفلاً وكهلا

ما كنت إلا السيف زا ... د على صروف الدهر صقلا

ولئن قتلت فإنما ... موت الكرام الصيد قتلى

يغتر بالدنيا الجهو ... ل وليس بالدنيا مملى

وقال من قصيدة:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى فني عليك ولا أمر

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ... ولكن مثلي لا يذاع له سر

إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرجا ... وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر

تكاد تضىء النار بين جوانحي ... إذا هي أذكتها الصباة والفكر

ومنها:

وإني لجرار لكل كتيبة ... معودة أن لا يخل بها النصر

وأصداً حتى ترتوي البيض والقنا ... وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ومنها:

أسرت وما صحي بعزل لدى الوغى ... ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئ ... فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أضحائي: الفرار أو الردى ... فقلت: هما أمران أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعينني ... كما ردها يوماً بسوأتة عمرو
وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها:

ما لي جزعت من الخطوب، وإنما ... أخذ الإله لبعض ما أعطاني
إن لم تكن طالت سني فإن لي ... رأي الكهول ونجدة الشبان
قمن بما سر الاعادي موقفي والدهر برز لي مع الاقران
يا دهر خنت مع الاصادق خلتي ... وغدرت بي في جملة الإخوان
لكن سيف الدولة المولى الذي ... لم أنسه وأراه لا ينساني
أيضيني من لم يزل لي حافظاً ... كرمًا ويخفضي الذي أعلاني
إني أغار على مكاني أن أرى ... فيه رجالاً لا تسد مكاني
وقال من قصيدة:

يعز على الأحبة بالسّام ... حبيب بات ممنوع المام
وإني للصبور على الرزايا ... ولكن الكلام على الكلام
جروح ما يزلن يردن مني ... على جرح قريب العهد دام
تاملني الدمستق إذ رأي ... فأبصر صيغة الليث الهمام
أتذكرني كأنك لست تدري ... بأي ذلك البطل المحامي
فلا هنتها نعمى بأخذي ... ولا وصلت سعودك بالتمام
أما من اعجب الأشياء عالج ... يعرفني الحلال من الرام
وتكنفه بطارقة تيوس ... تباري بالعنانين الضخام
لهم خلق الحمير فلسست تلقى ... فتى منهم يسير بلا حزام
يرغون العيوب، وأعجزتهم، ... وأي العيب يوجد في الحسام
ثناء طيب لا خلف فيه ... وآثار كآثار الغمام
ألاز على التعرض للمنايا ... ولي سمع أصم عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ... ولو عمر المعمر ألف عام
ألا يا صاحبي تذكراني ... إذا ما شتما البرق الشّامي
إذا ما لاح ليلمعان برق ... بعثت إلى الأحبة بالسلام
وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر، فأجابه:
ندبت لحسن الصبر قلب نجيب ... وناديت بالتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع ... وعود على ناب الزمان صليب

وقد علمت امي بأن منيتي ... بحد حسام أو بحد قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها ... بمهلكة في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها - وهي حبلى - كأن نار أخرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء
فانطفأت، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها لم تصدق، حتى قيل: إنه قد غرق في الماء، فأقامت المناحة.

تجشمت خوف العار أعظم خطة ... وأملت نصراً كان غير قريب
وللعار خلى رب غسان ملكه ... وفارق دين الله غير مصيب

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعب ... ولا خف خوف بالخزون خبيب
وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق: إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب، فقال
له أبو فراس: نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالاقلام؟ ثم قال:

أترعم يا ضخم اللغاديد أنا ... ونحن أسود الحرب، لا نعرف الحربا
فويلك! من للحرب إن لم نكن لها؟ ... ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا؟
ومن ذا يكف الجيش من جنياته ... ومن ذا يقود العين أو يصدم القلبا
وويلك، من أردى اخاك بمرعش ... وجلل ضرباً وجه والدك العضبا
وويلك من خلى ابن أختك موثقاً ... وخلاك باللقان تبتدر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتى كاننا ... وإياك لم يعصب بما قلبنا عصبا
لقد جمعنا الحرب من قبل هذه ... فكنا بها أسداً وكنت بها كلبا
وسل برد، سل عنا أباك وصهره ... وسل أهل برداليس أعظمهم خطبا
وسل قرقاشا والشمقمق صهره ... وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا
وسل صيدكم آل الملايين، إننا ... فنبنا ببيض الهند عرضهم فها
وسل أهل بيرام واهل بلنطس ... وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسل بالبطر صيس العساكر كلها ... وسل بالمسيطر ناطس الروم والعربا
ألم تكفهم قتلا ونهباً سيوفنا ... وأسد الشرى المألئ وإن جمدت رعبا
بأقلامنا أجمحت أم بسيوفنا؟ ... وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتب؟
تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا ... لقد أو سعتك النفس يا ابن استها كذبا
رعى الله أوفانا إذا قال ذمة وانفذنا طعنا وأثبتنا ضربا
وقال من قصيدة:

خليلي ما أعددتما لمتيم ... أسير لدى الأعداء جافى المراقد
فريد عن الاحباب لكن دموعه ... مثنان على الخدين غير فرائد
جمعت سيوف الهند من كل وجهة ... وأعددت للأعداء كل مجالد
إذا كان غير الله للمرء عدة ... أتنه الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة ... وكان يراها عدة للشدائد

وجرت منايا مالك بن نويرة ... عقيلته الحسناء أيام خالد
وأردى ذؤاباً في بيوت عتيبة ... بنوه وأهلوه بشدو القصائد
ولما خفف عن أبي فراس ورفه، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى، وأجيب إلى ملتسمه بعد أن أكرم وبجل قال:
ولله عندي في الإسار وغيره ... مواهب لم يخصص بها أحد قبلي
حللت عقوداً أعجز الناس حلها ... وما زلت لا عقدي يذم ولا حلي
إذا عاينتني الروم قد ذل صيدها ... كأنهم أسرى يدي بلا كبل
وأوسع أياماً حللت كرامة ... كأني من أهلي نقلت إلى أهلي
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي ... بأني في نعماء يشكرها مثلي
وما شاء ربي غير نشر محاسني ... وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

ما أخرج من مزدوجته الطردية

ما العمر ما طالت به الدهور ... العمر ما تم به السرور
أيام عزي ونفاذ أمري ... هي التي أحسبها من عمري
ما أجور الدهر على بنيه ... وأغدر الدهر بمن يصفيه
لو شئت مما قد قللت جداً ... عددت أيام السرور عدا
أنعت يوماً مر لي بالشام ... ألد ما مر من الأيام
دعوت بالصقار ذات يوم ... عند انتباهي سحراً من نومي
قلت له اختر سبعة كباراً ... كل نجيب يرد الغبار
يكون للأرنب منها اثنان ... وخمسة تفرد للغزلان
واجعل كلاب الصيد نوبتين ... يرسل منها اثنان بعد اثنين
ثم تقدمت إلى الفهاد ... والبازيارين بالاستعداد
وقلت إن خمسة لتقنع ... والزرقان الفرخ والملمع
وأنت يا طباح لا تباطا ... عجل لنا اللغات والأوساطا
ويا شرابي البلقسيات ... تكون للراح ميسرات
بالله لا تستصحبوا ثقيلاً ... واجتنبوا الكثرة والفضولا
ردوا فلانا وخذوا فلانا ... وضمنوني صيدكم ضمانا
فاخترت لما وقفوا طويلاً ... عشرين أو فوقها قليلاً
عصابة أكرم بها عصابه ... معروفة بالفضل والنجاة
ثم قدنا صيد عين باصر ... مظنة الصيد لكل خابر
جئناه والشمس قبيل المغرب ... تختال في ثوب الأصيل المذهب
وأخذ الدراج في الصياح ... مكتنفاً من سائر النواحي

في غفلة عنا وفي ضلال ... ونحن قد زرناه بالآجال
يطرب للصبح وليس يدري ... أن المنايا في طلوع الفجر
نحن نصلي والبنزة تخرج ... مجردات والخيول تسرح
وقلت للفهاد: إمض وانفرد ... وصح بنا إن عن ظبي واجتهد
فلم يزل غير بعيد عنا ... إليه يمضي ما يفر منا
وسرت في صف من الرجال ... كأنا نرحف للقتال
فما استويينا كلنا حتى وقف ... غليم كان قريباً من شرف
ثم أتاني عجباً قال السبق ... فقلت إن كان العيان قد صدق
سرت إليه فأراني جائحه ... ظننتها يقظى وكانت نائمة
ثم أخذت نبلة كانت معي ... ودرت دورين ولم أوسع
حتى تمكنت فلم أخط الطلب ... لكل حتف سبب من السبب
ومنها:

ثم دعوت القوم: هذا بازي ... فأيكم ينشط للبرزاز
فقال منهم رشاً: أنا، أنا ... ولو درى ما بيدي لأذعنا
ومنها:

جئت بباز حسن وهرج ... دون العقاب وفوق الزمج
زين لرائيه وفوق الزين ... ينظر من نارين في غارين
كأن فوق صدره والهادي ... آثار مشي الذر في الرماد
ذي منسر فخم وعين غائره ... وأفخذ مثل الجبال وافر
ضخم قريب الدستبان جداً ... يلقي الذي يحمل منه كداً
وراحة تحمل كفي سبطة ... زادت على قدر البراة بسطه
سر وقال هات قلت مهلاً ... احلف على الرد فقال كلا
أما يميني فهي عندي غالية ... وكلمتي مثل يميني وافية
فقلت خذه هبة بقبله ... فصدد عني وعلته خجلة
ثم ندمت غاية الندامة ... ولت نفسي أكثر الملامه
على مزاحي والرجال حضر ... وهو يزيد خجلاً ويحصر
فلم أزل أمسحه حتى انبسط ... وهش للصيد قليلاً ونشط
ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي:
حتى إذا جندله كالعندل ... أيقنت أن العظم غير الفضل
صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر ... انزل عن المهر وهات ما حضر
جاء بأوساط وجردباج ... من حجل الطير ومن دراج

فما تنازلنا عن الخيول ... يمنعنا الحرص من النزول
وجيء بالكأس وبالشراب ... فقلت: وفرها على أصحابي

أشبعني اليوم وروائي الفرح ... فقد كفاني بعض وسط وقدح
ومنها:

ثم انصرفنا والبغال موقره ... في ليلة مثل الصباح مسفرة
حتى أتينا رحلنا بليل ... وقد سبقنا بجياد الخيل

ثم نزلنا فطرحنا الصيد ... لما عددنا مائة وزيدا
فلم نزل نشوي ونقلي ونصب ... حتى طلبنا صاحباً فلم نصب
شرباً كما عن من الزقاق ... بغير ترتيب وغير ساق

ولم نزل سبع ليال عددا ... أسعد من راح وأحظى من غدا
وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمداني قال: قال صاحب أبو القاسم يوماً جلسائه وأنا فيهم - وقد جرى
ذكر أبي فراس - : لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً، فقلت: ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول:
رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تغز السباع إلى رباعك
ولا تعن العدو علي، إني ... يمين إن قطعت فمن ذراعك
فقال صاحب: صدقت، قلت: أيد الله مولانا قد فعلت. ولعمري إنه فد حسن، ولكن لم يشق غبار أبي فراس.

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها:
ما العمر ما طالت به الدهور ... العمر ما تم به السرور
هذه الأبيات:

أروح القلب ببعض الهزل ... تجاهلاً مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل ... والمزح أحياناً جلاء العقل

فصل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس، وما محاسن شيء كله حسن؟ وذلك لتناسبها وعذوبة
مشاعرها. ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان. وأصاب شاكلة الصواب، ولعمري إنها - كما
قرأته لبعض البلغاء - لو سمعته الوحش أنست، أو خوطبت به الخرس نطقت، أو استدعي به الطير نزلت.
ولما خرج قمر الفضل من سراره، وأطلق أسد الحرب، عن إساره، لم تطل أيام فرحته، ولم تسمح النوائب
بالتجافي عن مهجته. ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصايي في مرثيته على أنه قتل في وقعة كانت بينه وبين
موالي أسرته، وما أحسن وأصدق قول المتنبي:

فلا تنلك الليالي، إن أيديها ... إذا ضربن كسرن النبع بالغرب
ولا يعن عدواً أنت قاهره ... فإنهم يصدن الصقر بالحرب

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته، رحمه الله تعالى!:

أبنيقي لا تجزعي ... كل الانام إلى ذهاب
نوحى على بحسرة ... من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني ... فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا ... س لم يتمتع بالشباب
اللهم ارحم تلك الروح الشريفة!!

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان

وغيرهم من أمراء الشام وقضاها وكتابها

" أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال: قد تجوزت في قولي،
وأعفيت طبعي، واعتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان " وفيهم من يقول:

وقد علمت بما لاقتته منا ... قبائل يعرب وبنو نزار

لقيناهم بأرماح طوال ... تبشرهم بأعمار قصار

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر - :

أأخا الفوارس لو رأيت موافقي ... والخيـل من تحت الفوارس تنحط

لقرأت منها ما تخط يد الوغى ... والبيض تشكل والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم:

أعمام ما يدريك ما أفعالنا ... والخيـل تحت النقع كالأشباح

تطفو وترسب في الدماء كأنها ... صور الفوارس في كؤوس الراح

وأنشدت لأبي العشائر:

سطا علينا، ومن حاز الجمال سطا، ... ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا

له عذران قد خطا بوجنته ... فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا

وظل يخطو فكل قال من شغف: ... يا ليتـه في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة: دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت له: ما يجد الأمير؟ فأشار إلى

غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوان غفل عنه فأبق من الجنة، وأنشد:

أسقم هذا الغلام جسمي ... بما بعينيه من سقام

فتور عينيه من دلال ... أهدي فتوراً إلى عظامي

وامتزجت روحه بروحي ... تمازج الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة " الحر لا يقتل بالعبد " هذين البيتين، وهما لبعض آل

حمدان:

خذوا بدمي هذا الغزال، فإنه ... رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إنني أنا عبده ... ولم أر حراً قط يقتل بالعبد
وأنشدت لبعضهم، وهو أحسن ما سمعت في معناه:
للعبد مسألة لديك جوابها ... إن كنت تذكره فهذا وقته
ما بال ريفك ليس ملحاً طعمه ... ويزيدني عطشاً إذا ما ذقته!
ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب ابن داود بن حمدان، ورويت لغيره:
والذي جعل الموا ... لي في الهوى خدم العبيد
وأصار في أيدي الظبا ... قياد أعناق الأسود
وأقام ألوية المني ... بين أفنية الصدود
ما الورد أحسن منظراً ... من حسن توريد الحدود
ووجدت بخطه لحمدان الموصلي:
يا رسول الحبيب ويحك قد أل ... قى عليك الحبيب حسناً وطيباً
وتعلمت حسن ألفاظه تل ... ك فظرفت بادئاً ومجيباً
ولقد كدت أن أضمك لولا ... أن يسيء الظنون أو يستريباً
خيفة أن يكون ذاك كما قي ... ل قديماً: صار الرسول حبيباً
ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع:
يا خليلي، أسعداني فقد عي ... ل، اصطباري على احتمال البليه
غربة قارضية، وغرام ... عامري ومحنة علوية
ولأبي زهير، وهو مما يتغنى به:
وزعمت أني ظالم فهجرتني ... ورميت في قلبي بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعتفر لي زلتي ... هذا مقام المستجير العائد
وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم قائلها، ثم وجدتها في بعض التعليقات
منسوبة إلى بعض آل حمدان:
أجل عينيك في عيني تجدها ... مشربة ندى ورد الحدود
وصافحني تجد عبقاً بكفي ... يضوع إليك من ردع النهود
وخذ سمعي إليك فإن فيه ... بقايا من حديث كالعقود
وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي، قال: أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن بن القاضي
أبي القاسم التنوخي، قال: أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه، تغمدهم الله تعالى
برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته!
إني لأحسد " لا " في أسطر الصحف ... إذا رأيت اعتناق اللام للألف
وما أظنهما طال اجتماعهما ... إلا لما لقيا من شدة الشغف
قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

أفدى الذي زرته بالسيف مشتملاً ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له ... حتى لبست نجاداً من ذوائبه
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه ... من كان في الحب أشقانا بصاحبه
قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:
قالت لطيف خيال زارها ومضى: ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزدد
فقال: خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت: صدقت الوفا في الحب عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي!
وأنشدني أيضاً قال: أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها تبلى بسرعة:
أرى الثياب من الكتان يلمحها ... ضوء من البدر أحياناً فيليها
وكيف تنكر أن تبلى معاجرها ... والبدر في كل حين طالع فيها
وقد أحسن غاية الإحسان، والعرب تزعم أن البدر يبلى الثياب الحلوة، وقوله:
أيا من صبرت على فقده ... وإن كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كل الذي يشتهي ... حسود علينا بين دعا
وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة:
لو كنت أملك طرفي ما نظرت به ... من بعد فرقتكم يوماً إلى أحد
ولست أعتده من بعدكم نظراً ... لأنه نظر من مقلتي رمد

منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديان شاعران، من أولاد أمراء الشام، فمن مشهور ملح منصور قوله:
خنت الذي أهوى من الناس ... ونمت عن جودي وعن باسي
يوم أرى الدجن فلا أرتوي ... من ريق إلفي ومن الكاس
وقوله:

كأنها والقرط في أذنها ... بدر الدجى قرط بالمشتري
قد كتب الحسن على وجهها ... " يا أعين الناس قفي وانظري "
وقوله من أبيات:

يدير في كفه مداً ... ألد من غفلة الرقيب
كأنها إذ صفت ورق ... شكوى محب إلى حبيب
وقوله:

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا ... يا صاحبي فسقياني واشربا
كم ليلة سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
قام الغلام يديرها في كفه ... فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يبح للغروب كأنه ... قد سل فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء، وبيت منصور هذا من غرر ذلك، وأحسن ما سمعت فيه - على كثرته - قول القاضي التنوخي:

أحسن بدجلة والدجى متصوب ... والبدر في أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق ... وكأنه فيها طراز مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم:

ما زلت أسقاها على ... وجه غزال مونق
بقمر منتقب ... بخاتم منتطق

والبدر فوق دجلة ... والصبح لما يشرق
كحلية من ذهب ... على رداء أزرق

ومن ملح منصور قوله:

كتبت إليك بماء الجفون ... وقلبي بماء الهوى مشرب
فكفي تخط وقلبي يمل ... وعيني تمحو الذي تكتب
وقوله:

ألبسني ذلة العيد ... من قلبه صيغ من حديد

ونم طرقي بما ألقى ... من كمد دائم المزيد

وكيف يخفي الهوى عميد ... ودمه صاحب البريد
وقوله:

قالوا: عليك سبيل الصبر، قلت لهم: ... هيهات! إن سبيل الصبر قد ضاقت
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره ... حتى يعود إليه القلب مشتاقا
ولأحمد:

لا يكن للكأس في كف ... ك يوم الغيث لبث

أو ما تعلم أن ال ... غيث ساق مستحث
وله:

ولولا أن برذون ال ... هوى يعتلف الرطبه

ركبناه إلى الصيد ... وأرسلنا له كلبه

فصدنا ثعلب الهجرا ... ن تلك الحبة الضبه

وصيرنا لزيت الوص ... ل من جلد استهأ ربه
وله، ويروي لديك الجن:

قلت له والجفون قرحى ... قد أقرح الدمع ما يليها

ما لي في لوعتي شبيه ... قال: وأبصرت لي شبيها؟!
وله:

بدت من خلل الحجب ... كمثل اللؤلؤ الرطب

فأدمى خدها لحظي ... وأدمى لحظها قلبي
وله:

واعطشي إلى فم ... يمج خمراً من برد
إن قسم الناس فحس ... بي بك من كل أحد

أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها، والمختصين بسيف الدولة. وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدوح، وبينهما
وين أبي فراس مجاوبات، وإليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة:
أتاني عن بني ورقاء قول ... ألد جنئ من الماء القراح
وأطيب من نسيم الروض حفت ... به اللذات من روح وراح
ولو أني اقترحت على زماني ... لكنتم، يا بني ورقا، اقتراحي
ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها:
أصاح قلبه أم غير صاح ... وقد عنت له عفر البطاح
ظباء الوحش تحكي مائلات ... ظباء الإنس بالصور الملاح
ومنها:

يدرن مراض أجفان صحاح ... فيا عجي من المرضى الصحاح
وما زالت عيون العين فينا ... تؤثر فوق تأثير السلاح
ومنها:

أطلعة الهلال على قضيب ... ومسدة الظلام على الصباح!
عدتني عن زيارتك العراي ... ودهر للأكارم ذو اطراح!
ومنها:

أمدره تغلب لسناً وعلماً ... ومصقع نطقها عند التلاحي
لقد أوتيت علماً واضطلاعا ... بآداب وألفاظ فصاح
لمقولك المضاء إذا انتضاه ال ... قصيد على المهندة الصفاح
وله من قصيدة:

ألا ليت شعري، والحوادث جهة ... وما كنت في دهري إلى الناس شاكيا
أخترمي ريب المنون بحسرة ... تبلغ نفسي من شجائها التراقيا؟
إلى الله أشكو أن في الصدر حاجة ... تمر بها الأيام وهي كما هيا
ومنها في ذكر بني كعب وإحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم:
وإنهم لما استهاجوا صياله ... وما كان عن مستوجب البطش وانيا
كمن شب ناراً في شعار ثيابه ... وهيج ليثاً للفريسة ضاريا

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها:

لعل خيال العامرية زائر

عمرن بعمار من الإنس برهة ... فيها هن صفر ليس فيهن صافر

أخلت بمغناها دمي وخرائد ... وحلت بأقصاها مها وجآذر

أهن عيون باللحاظ دوائر ... على عاشقها أم سيوف بواتر؟

ضعائف يقهرن الأشداء قدرة ... عليهم وسلطان الصباية قاهر

ومنها:

ألا يا ابن عم يستزيد ابن عمه ... رويدك إني لانبساطك شاكر

تصفحت ما أنفذته فوجدته ... كما استودعت نظم العقود الجواهر

وذكرني روضاً بكته سماؤه ... فضاحكه مستأسد وهو زاهر

عرانس تجلوها عليك خدورها ... ولكنما تلك الخدور دفاتر

فعدلاً، فإن العدل في الحكم سيرة ... بها سار في الناس الملوك الأساور

ولما قال أبو فراس:

إنا إذا اشتد الزما ... ن وناب خطب وادلهم

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات:

أنتم كما قد قلت بل ... أعلى وأشرف يا ابن عم

ولكم سوابق كل فخ ... ر واللواحق من أمم

أحسنن والله العظمي ... م نظام بيتك حين تم

فيما ذكرت من السيو ... ف وما ذكرت من النعم

حتى كأن بنظمه ... للحسن دراً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق الصاي، وكانت بينهما مودة وتراور

فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق:

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه ... إن القطيعة موضع للريب

إن كان ودك في الطوية كامناً ... فاطلب صديقاً عالماً بالغيب!

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات:

قد يهجر الخل السليم الغيب ... للشغل وهو مبراً من ريب

ويواصل الرجل المنافق مبدياً ... لك ظاهراً مستبطناً للريب

لا تفرحن من الصديق بشاهد ... حتى يكون موافقاً للغيب

وتأمل المسود من شعر الفتى ... أهو الشبيه أم خضاب الشيب؟

وإذا ظفرت بذي وداد خالص ... فاغفر له ما دون غش الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها:

ومشمولة صرفت بشرهما ... وجوه لحاتي قاطبات الحواجب

إذا جال فيها المرح خلت حباها ... عيون الأفاعي أو قرون الجنادب
وعاذلة في بذل ما ملكت يدي ... رددت لها المسعى بصفقة خائب
فإن زئير الأسد من كل جانب ... ليشغل سمعي عن صياح الثعالب
أفي الحق أن قايست غير محقق ... فظاظة جندي إلى ظرف كاتب
ولا سيما أنت الذي نشرت له ... محاسن كالأعلام فوق المراقب
وما زلت بين الناس صدر محافل ... وعين مقامات وقلب مواكب
وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها:

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً ... جل باريك في الورى وتعالى
أنت بدر حسناً، وشمس علواً، ... وحسام عزماً، وبحر نوالاً

أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة:
لقد أضحت خلال أبي حصين ... حصوناً في الملمات الصعاب
كساني ظل وابله، وآوى ... غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضة سقيت سحاباً ... فأننت بالنسيم على السحاب
وكتب إليه أبو فراس - وقد عزم على المسير إلى الرقة - قصيدة افتتاحها:
يا طول شوقي إن كان الرحيل غداً ... لا فرق الله فيما بيننا أبداً
فأجابه القاضي بقصيدة أولها:
الحمد لله حمداً دائماً أبداً ... أعطاني الدهر ما لم يعطه أحداً
ومنها:

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً ... حقاً فإني أرى وشك الحمام غداً
ومنها في ذكر سيف الدولة:

لولا الأمير وأن الفضل مبدؤه ... منه لقلت بأن الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدراً ... تمضي أوامره، إن حل أو عقدا
يذل أعداءه عزاً، ويرفع من ... وإلاه فضلاً، ويبقى للعلا أبداً
وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً:

من وائب الدهر كان الدهر قاهره ... ومن شكا ظلمه قلت نواصره
إن كان سار فإن الروح تذكره، ... والعين تبصره، والقلب حاضره
يا من أخالسه ودي، وأمحضه ... نصحي، وتأتيه من وصفي جواهره
أتى كتابك والأنفاس خافتة ... والجسم مستسلم، والسقم قاهره
والطرف منكسر، والشوق طارقه، ... والوجد باطنه، والصبر ظاهره
فانتاشني وأعاد الروح في بدني ... وشد صدعاً وكسراً أنت جابره

ما زلت في نزهة منه وفي زهر ... وأحسن الروض ما دامت زواهره
حسبي بسيدنا فخراً أصول به ... هو الفخور وما خلق يفاحره
من ذا يطاوله؟ أم من يماجده؟ ... أم من يساجله؟ أم من يكاسره؟
أم من يفافقه؟ أم من يشاعره؟ ... أم من يجادله؟ أم من يناظره؟
أم من يقاربه في كل مكرمة؟ ... أم من يناضله؟ أم من يساوره؟
أم من يبارزه؟ أم من يواقفه ... في كل معترك؟ أم من يصابره؟
الحرب نزهته، والبأس همته ... والسيف عزمته، والله ناصره
والجود لذته، والشكر بغيته ... والعفو والعرف والتقوى ذخائره
ومنها:

هذا جواب عليل لا حراك به ... قد خانته فهمه، بل مات خاطره
يشكو إليك بعداً عنك أتلفه ... وطول شوق ونيراناً تخامره
إن كان قصر فيما قال مجتهداً ... فأنت بالعدل والإحسان عاذره
وقال أيضاً فيه:

آليت إني ما بقيت ... رهين شكر الحارث
فإذا المنية شارفت ... ورثت ذلك وارثي
رقي له من بعد سي ... دنا وليس لثالث
قسماً على صدق الضمير ... ولست فيه بخانث

أبو الفرج سلامة بن بحر

أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد بأجزاء الهواء رقة وخفة، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة، كقوله:
من سره العيد فما سرني ... بل زاد همي وأشجاني
لأنه ذكرني ما مضى ... من عهد أحبابي وإخواني
ونظيرهما لغيره:

من سره العيد الجدي ... د فما لقيت به سرورا
كان السرور يتم لي ... لو كان أحبابي حضورا
ولأي الفرج، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري:
نوح حمام يبشر غرد ... هيج شوقي وزاد في كمدي
واكبدي من عذابكم! وكذا ... من ذاق ما ذقت صاح واكبدي!
فارقت إلفي فصار في بلد ... بالرغم مني، وصرت في بلد
وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر، قال: أنشدني القاضي أبو الفرج بيروت لنفسه:

مولاي ما لي منك بخت ... قد ذبت من كمد وامت
تصفو بك الدنيا ولا ... يصفو لعبدك منك وقت
مولاي ما ذنبي إلي ... لك؟ فلو عرفت الذنب تبت

لا أني أنسيكم ... أو أني للعهد خنت
إن كان ذاك فلا بقي ... ت، وإن بقيت فلا سلمت

أبو محمد عبد الله بن عمرو

بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة الكتابة، أخذ بطرفي النظم والنثر،
وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه، ونفاذه في استغراق
الأغراض، وتحصيل المراد، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب " التاجي " ومدحه السري بقصائد منها
قوله من قصيدة:

محت رسم الكرى عن مقلتيه ... رواسم لا تمل من الرسم
تروم وقد فرعن بنا فروعاً ... من الفياض طيبة الأروم
إذا طافت بعبد الله لاقت ... سمات المجد في الوجه الوسيم
لك القلم الذي يضحي ويمسي ... به الإقليم محمي الحریم
هو الصل الذي لو عض صلاً ... لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حكم إذا بدأت وعادت ... حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكك خطامها فعلوت قساً ... برونقها وقيس بن الخطيم
نجوم لا تعوز فمن درار ... يسار بضوئهن ومن رجوم
كحلي الخود مؤتلف النواحي ... ووشي الروض مختلف الرقوم
وكان يعجن مداده بالمسك، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد، تفادياً من قول القائل:
دعي في الكتابة لا روي ... له فيها يعد ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه ... تلاق فريحتها أبداً كرية
وإشاراً لما قال الآخر:

في كفه مثل سنان الصعده ... أرقش بز الأفعوان جلده
كأنما النقش إذا استمده ... غالية مدوفة بنده
ومن ملح شعره قوله، ولم أسمع في معناه أحسن منه:
قم فاسقني بين خفق الناي والعود ... ولا تبع طيب موجود بمفقود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً ... قال السرور له قم غير مطرود

نحن الشهود وخفق العود خاطبنا ... نزوج ابن سحاب بنت عنقود
وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر، قال: أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في غلام أثير لديه استوحش منه لميله
إلى غلام آخر يقال له إقبال :
أنكرت إقبالي على إقبال ... وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات! لا تجزع فكل طريفة ... ربح يهون وأنت رأس المال
قال: وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام:
الآن تهجري وأنت المذنب ... وظننت أنك عاتب لا تعتب
وأمنت من قلبي الثقلب واثقاً ... بوفائه لك، والقلوب تقلب
وقال:
وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الكرام على الشراب
ولثمك وجنتي قمر منير ... يجول بخده ماء الشباب

أبو القاسم الشيطمي

قال يصف ثمرقة رآها بحلب سيف الدولة:
ثمرقة منها استعا ... ر الروض أصناف الملح
فيها لمن يبصر من ... ريش الطواويس ملح
كأنما دارت على ... سمائها قوس قرح

أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال:
نفسى الفداء لمن عصيت عواذلي ... في حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تطلع في أسرة وجهه ... والبدر يطلع من خلال قبائه
وله أيضاً:

مروع منك كل يوم ... محتمل فيك كل لوم
إن كنت أنكرت ملك رقي ... عصياً صراحاً بغير سوم
فقل لجني: أين قلبي؟ ... وقل لعيني: أين نومي؟

أبو الفتح البكتيري

يعرف بابن الكاتب الشامي، له شعر يتغنى بأكرمه ملاحه ولطافة، أنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني ابن
الكاتب لنفسه بالشام:
وروضة راضية عن الديم ... وطأها بناظري دون القدم

وصنتها صوني بالشكر النعم

قال: وأنشدني لنفسه:

قالوا: بكيت دماً؟ فقل ... ت: مسحت من خدي خلوقا

أبصرت لؤلؤ ثغره ... فنترت من جفني عقيقا

لولا التمسك بالهوى ... حملت في دمعي غريقا

وأنشدني غيره له:

قمر كأن قوامه ... من قد غصن مسترق

وكأنما اصطبح الربى ... ع بوجنتيه واغتبق

وكأنما قلم الزمر ... د فوق عارضه مشق

وله من أبيات:

سقاني بعينه كأس الهوى ... وثني وثلاث بالحاجب

كأن العذار على خده ... فذالك من مشقة الكاتب

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه:

ردوا الهدو كما عهدت إلى الحشا ... والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

من بعد مالكي رمت أن تغدروا ... ما بعد فرقة بيعين تخير

وله زعم في الميضاة:

أحق بيت من بيوت الورى ... بصونه قدماً وإيثاره

بيت إذا ما زاره زائر ... فقد قضى أعظم أوطاره

يدخله المولى بخز كما ... يدخله العبد بأطماره

وهو إذا ما كان مستنظفاً ... مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح ابن الكاتب، ولم ينصف فضله:

إن أبا الفتح فتى كاتب ... والشعر من آله فضل

أنشدنا شعراً فقلنا له: ... ذا غزل ويحك أم غزل؟

وملت عنه نحو أصحابنا ... أسألهم: هل عندكم نعل!؟

أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها، وذكر أنه من أفراد

مطبوعي تلك البلاد، فمنتها قوله:

أقول له يا مذيقي الهوى ... ولم أك فيما مضى ذقته

سألتك بالله لا تدني ... إلى أجل ما دنا وقته

ملكك فؤادي فعذبتة ... ولو أنه في يدي صنته

ومنها قوله:

أرسلت نظرة وامق لك خائف ... من عين واش لحظه ما يفتر
وجعلت أوههم أن قلبي مضمر ... شيئاً سوى نظري، وأنت المضمر
ومنها قوله:

وأريه أي سلوت، وإني ... لمشوق والله صب إليه
وهواه يدب في كل قلب ... كدبيب السواد في عارضيه
ومنها قوله وأنشدني غيره:

عذار كالطراز على الطراز ... وبدر في الحقيقة لا المجاز
ولو جاز السجود له سجدنا ... ولكن ليس ذاك بمستجاز

أبو عبد الله الحسين بن خالويه

أصله من همدان، ولكن استوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم،
وكانت إليه الرحلة من الآفاق، وآل حمدان يكرمونه، ويدرسون عليه، ويقتبسون منه، وله شعر لم يحضرني منه
الآن إلا قوله في وصف برد همدان:

إذا همدان اعتارها القر وانقضى ... برغمك أيلول وأنت مقيم
فعينك عمشاء وأنفك سائل ... ووجهك مسود البياض بهيم
وأنت أسير البرد تمشي بعله ... على السيف تحبو مرة وتقوم
بلاد إذا ما الصيف أقبل جنة ... ولكنها عند الشتاء جحيم
ولبعضهم في برد همدان:

همدان متلفة النفوس ببردها ... والزمهرير، وحرها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها ... فكأنما تموزها كانون
ولأبي علي كاتب بكر:

يا بلدة أسلمني بردها ... وبرد من يسكنها للقلق
لا يسلم الشاقي به من أذى ... من لثق أو دمع أو زلق
ولأبي الربيع البلخي في الشاش:

الشاش في الصيف جنة ... ومن أذى الحر جنة
لكنني تعتريني ... بها لدى البرد جنة

وفي مثل هذه الصنعة، وإن كان في غير المعنى، لغيره:

يا شادناً مت قبله ... قد صار في الحسن قبله

امن علي بقبله ... تشفي فؤاداً موله

ولا بن خالويه أيضاً:

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً ... فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل: ما لي رأيك راجلاً؟ ... فقلت له: من أجل أنك فارس!

أبو الفتح عثمان بن جنى

النحوي اللغوي

هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب، وصحب أبا الطيب دهرًا طويلاً، وشرح شعره،
ونبه على معانيه وإعرابه، وكان الشعر أقلّ خلاله لعظم قدره، وارتفاع حاله. فمن ذلك قوله في الغزل:
غزال غير وحشي ... حكى الوحشي مقلته
رآه الورد يجني الور ... د فاستكساه حلتته
وشم بأنفه الريحاً ... ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهباً ... ء فاختلسته نكهته
وله:

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتووا ... ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا
وجود المني أن لا يكاثر بالمني ... ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشد تصوراً ... تجده عن الدنيا أشد تصونا

الشمشاطي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد، لم يقع إلي من شعره إلا قوله في البنفسج:
إشرب على زهر البنفس ... ج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه ... آثار قرص في الحدود
وقوله في الجملنار:

وبدا الجملنار مثل حدود ... قد كساها الحياء ثوب عقار
صبغة الله كالعقيق تراه ... أحمرًا ناصعاً لدى الاخضرار
ومن يليق ذكره بهذا المكان من أعيان الشام، وليس يحضرني شعر أبو القاسم الآدمي، وإذا حصلت عليه ألحقته
به، وهذا آخر الباب الرابع.

الباب الخامس

في ذكر أبي الطيب المتنبي

وما له وما عليه

هو - وإن كان كوفي المولد - شامي المنشأ، وبها تخرج، ومنها خرج.
نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر، ثم هو شاعر الدولة المنسوب إليه، والمشهور به، إذ هو الذي جذب بضبعه، ورفع قدره، ونفق سعر شعره، وألقى عليه شعاع سعادته، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر، وكادت الليالي تنشده، والأيام تحفظه، كما قال وأحسن ما شاء:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً ... وغنى به من لا يغني مغرداً
وكما قال:

ولي فيك ما لم يقل قائل ... وما لم يسر قمر حيث سارا
وعندي لك الشرد السائرا ... ت لا يختصن من الأرض دارا
إذا سرن من مقول مرة ... وثبن الجبال وخضن البحارا
هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال:
ولكن إحسان الخليفة جعفر ... دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس في كل بلدة ... وهب هبوب الريح في البر والبحر
فليس اليوم مجالس الدرس، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا أقلام كتاب الرسائل، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنين والقوالين، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين. وقد ألفت الكتب في تفسيره، وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه. وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدر فيه والنضح عنه، والتعصب له وعليه. وذلك أول دليل دل على وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفردته عن أهل زمانه، بملك رقاب القوافي، ورق المعاني، فالكامل من عدت سقطاته، والسعيد من حسبت هفواته " وما زالت الأملاك تهجي وتمدح ".
وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه، وتفصيل الكلام في نقد شعره، والتنبيه على عيوبه، والإشارة إلى غرره وعرره، وترتيب المختار من قلانده وبدائعه، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في شعر الزمان، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام.

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كعدة سنة ثلاث وثلاثمائة، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها، ومن مدرها إلى وبرها، ويسلمه في المكاتب، ويردده في القبائل، ومحايله نواطق الحسنى عنه. وضوا من النجاح فيه، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائي نبله، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده. وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة، ورفع إليه ما هم به من الخروج، فأمر بحبس وتقييده، وهو القائل في الحبس قصيدته التي

أولها:

أياه خدد الله ورد الحدود ... وقد قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به:

أمالك رقي، ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجا ... والموت مني كحبل الوريد

دعوتك لما براني البلى ... وأوهن رجلي ثقل الحديد

ومنها:

وقد كان مشيهماً في النعال ... فقد صار مشيهماً في القود

وكنت من الناس في محفل ... فها أنا في محفل من قرود

تعجل في وجوب الحدود ... وحدي قبل وجوب السجود!

أي: إنما تجب الحدود على البالغ، وأنا صبي لم تجب علي الصلاة بعد، ويجوز أن يكون قد صغر سنه وأمر نفسه

عند الوالي، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف.

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبره:

أهون بطول الثواء والتلف ... والسجن والقيد، يا أبا دلف

غير اختيار قبلت برك بي ... والجوع يرضي الأسود بالجيف

يشبه قول أبي عيينة:

ما أنت إلا كلحم ميت ... دعا لي إلى أكله اضطرار

" رجع " :

كن أيها السجن كيف شئت فقد ... وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكاني فيك منقصة ... لم يكن الدر ساكن الصدف

ويحكى أنه تنبأ في صباه، وفتن شرذمة بقوة أدبه، وحسن كلامه، وحكى أبو الفتح عثمان بن جنى قال: سمعت

أبا الطيب يقول: إنما لقبى بالمتنبى لقولي:

أنا ترب الندى ورب القوافي ... وسمام العدا وغيظ الحسود

أنا في أمة تداركها ال ... ه غريب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول:

ما مقامي بأرض نخلة إلا ... كمقام المسح بين اليهود

وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شيايه، وتضاعفت عقود عمره، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه،

ويظهر ما يضمّر من كامن وسواسه، في الخروج على السلطان، والاستظهار بالشجعان، والاستيلاء على بعض

الأطراف، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله:

لقد تصبرت حتى لات مصطر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لأتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب أقوم من ساق على قدم

والطعن يحرقها والزجر يقلقها ... حتى كأن بها ضرباً من اللمم

قد كلمتها العوالي فهي كالحلة ... كأنما الصاب مذرور على اللجم
بكل منصلت ما زال منتظري ... حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ... ويستحل دم الحجاج في الحرم
وقوله:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التشموا مرد
تقال إذا لاقوا، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا
وطعن كأن الطعن لا طعن بعده ... وضرب كأن النار من حره برد
إذا شئت حفت بي على سابح ... رجال كأن الموت في فمها شهد
وقوله:

ولا تحبسن الجد زقاً وقينة ... فما الجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضرب أعناق الملوك وان ترى ... لك الهبوات السود والعسكر الجر
وتركك في الدنيا دويماً كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر
وقوله:

وإن عمرت جعلت الحرب والددة ... والسمهري أخاً، والمشرقي أبا
بكل أشعث يلقي الموت مبتسماً ... حتى كأن له في قتله أرباً

قح يكاد سهيل الخيل يقذفه ... من سرجه مرحاً للعرز أو طربا
الموت أعذري، والصبر أجهل بي، والبر أوسع، والدنيا لمن غلبا
وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله، ويمشي في مناكب الأرض، ويطوي المناهل والمراحل، ولا
زاد إلا من ضرب الحراب، على صفحة الخراب. ولا مطية إلا الخف أو النعل، كما قال:
لا ناقتي تقبل الرديف ولا ... بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها، ومشفرها ... زمامها، والشسوع مقودها
وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله:

إليك أبا العباس من بين من مشى ... عليها امتطينا الحضرمي الملسنا
قلائنص لم تعرف حينئذ على طلا ... ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا
وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف:

أظمتني الدنيا فما جنتها ... مستسقياً مطرت علي مصائبها
وحبيت من خوص الركاب بأسود ... من دارش فغدوت أمشي راكبا
وكما قال في الاعتداد بالرحلة، والقدرة على الرحلة:
ومهمه جبته على قدمي ... تعجز عنه العرامس الذلل
بصارمي مرتد، بمخبرتي ... مجتري، بالظلام معتمل
إذا صديق نكرت جانبه ... لم تعيني في فراقه الحيل

في سعة الخافقين مضطرب ... وفي بلاد من أختها بدل
وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها:
وعرفاهم بأني من مكارمه ... أقلب الطرف بين الخيل والحول
وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب، ويصطادها ما بين الكركي والعندليب.
ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها:
بأبي الشמוש الجناحات غواربا ... اللابسات من الحرير جلابيا
ومنها:
حال متى علم ابن منصور بها ... جاء الزمان إلي منها تائباً
إلا ديناراً واحداً، فسميت الدينارية.
ولما انحرف في سلك سيف الدولة، ودرت له أخلاف الدنيا على يده، كان من قوله فيه:
تركت السري خلفي لمن قل ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ... ومن وجد الإحسان قيلاً تقيداً
وهذا البيت من قلائده، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام:
هممي معلقة عليك رقابها ... مغلوقة، إن الوفاء إसार
ولكنه أخذ عباءة وردّها ديباجاً، وأرسلها مثلاً سائراً، وكرر هذا المعنى فزاد عليه حتى كاد يفسده في قوله:
يا من يقتل من أراد بسيفه ... أصبحت من قتلاك بالإحسان

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها:
أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلباه، قبل الركب والإبل
وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة، فلما انتهى إلى قوله:
يا أيها المحسن المشكور من جهتي ... والشكر من جهة الإحسان، لا قبلي
ما كان نومي إلا فوق معرفتي ... بأن رأيك لا يؤتى من الزلل
أقل أنل أقطع احمّل على سأل أعد ... زد هش بش تفضل أدن سر صل
وقع تحت أقل: قد أقلناك، وتحت أنل: يحمل إليه من الدراهم كذا، وتحت أقطع: قد أقطعناك الضيعة الفلانية
ضيعة ببلاد حلب، وتحت احمّل: يقاد إليه الفرس القلاني، وتحت عل: قد فعلنا، وتحت سل: قد فعلنا فاسل،
وتحت أعد: أعدناك إلى حالك من حسن رأينا، وتحت زد: يزداد كذا، وتحت تفضل: قد فعلنا، وتحت أدن: قد
أدنيّاك، وتحت سر: قد سرناك. وتحت صل: قد فعلنا.
قال ابن جني: فبلغني عن المتنبّي أنه قال: إنما أردت سر من السرية، فأمر له بجارية.
قال: وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي - وهو شيخ كان بحضرته ظريف - قال له - وحسد المتنبّي على ما
أمر به - : يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه، فهلا قلت له لما قال لك هش بش: هه هه هه، يحكي
الضحك، فضحك سيف الدولة، فقال له: ولك أيضاً ما تحب، وأمر له بصلة.

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب " الوساطة " أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال:

احل وامرر وضر وانفع ولن واخ ... شن ورش وابر وانتدب للمعالي

وحكى ابن جني قال: حدثني أبو علي الحسن بن أحمد الصنوبري، قال: خرجت من حلب أريد سيف الدولة، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس مثلثم قد أهوى نحوي برمح طويل، وسدده إلى صدري، فكدت أطح نفسي عن الدابة فرقاً، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه فإذا المتنبّي، وأنشدني:

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم ... كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم قال: كيف ترى هذا القول؟ أحسن هو؟ فقلت له: ويحك! قد قتلتني يا رجل، قال ابن جني: فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب، فعرفها وضحك لها، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله.

قال: وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة المتنبّي التي أولها:

واحر قلباه ممن قلبه شيم

فلما وصلت إلى قوله فيها:

وشر ما قصته راحتي قنص ... شهب البزاة سواء فيه والرخم

أعجب جداً به، ولم يزل يستعيده، حتى حفظه، ومعناه: إذا تساويت ومن لا قدر له في أخذ عطايك فأني فضل لي عليه؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل.

قال: وحدثني المتنبّي قال: حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر، قال: أحدثك بطريفة، كتبت إلى امرأتي بجران كتاباً تمثلت فيه ببيتك:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ... ولا نديم ولا كأس ولا سكن؟

فأجابني عن الكتاب، وقالت: ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة:

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم ... ثم استمر مريري وارعوى الوسن

قال: ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو يقول:

وإن بليت بود مثل ودكم ... فإنني بفراق مثله قمن

قال: سار وحق أبي.

قال: ولما سمع قوله لفنا خسرو:

وقد رأيت الملوك قاطبة ... وسرت حتى رأيت مولاها

قال: ترى هل نحن في الجملة؟ سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: كان أبو الطيب المتنبّي قاعداً تحت قول الشاعر:

وإن أحق الناس باللوم شاعر ... يلوم على البخل الرجال ويخل

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة، فصب بين يديه على حصير قد افترشه،

ووزن وأعيد في كيس، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصر، فأكب عليها
بجماعه ينقرها ويعالج استنقاذاً منه، ويشغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار بعضها، فتمثل بيت
قيس بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس بين غمامة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ثم استخرجها، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس، وقال: إنها تحضر المائدة.
وسمعه يقول: لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها:
مغاني الشعب طيباً في المغاني
وانتهى إلى قوله فيها:

وألقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيراً تفر من البنان
قال له عضد الدولة: لأقرنها في يديك، ثم فعل.

قال: ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد، وترفع عن مدح المهلب الوزير، ذهباً بنفسه عن مدح غير الملوك، شق
ذلك على المهلب، فأغرى به شعراء بغداد، حتى نالوا من عرضه، وتباروا في هجائه، وفيهم ابن الحجاج وابن
سكرة محمد بن عبد الله الزاهد الهاشمي، والحاتمي، وأسمعه ما يكره، وتماجنوا به، وتنادروا عليه، فلم يجبه ولم
يفكر فيهم، وقيل له في ذلك، فقال: إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء:

أرى المتشاعرين غروا بذي ... ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرأً به الماء الزلالا
وقولي:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ... ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل ... وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تحبيه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طي فيهم غير أنني ... بغيض إلي الجاهل المتعاقل
وقولي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني فاضل

قال: وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقعة شعراء بغداد فيه، واستحقارهم له،
وكان حاسداً له، طاعناً عليه، هاجياً إياه، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال:

قولاً لأهل زمان لا خلاق لهم ... ضلوا عن الرشيد من جهل بهم وعموا
أعطيتهم المتنبي فوق منيته ... فزوجوه برغم أمهاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها ... نعالهم في القفا السقاء تزدحم
قال: ومن قوله فيه:

متنيكم ابن سقاء كرفا ... ن ويوحى من الكنيف إليه
كان من فيه يسلم الشعر حتى ... سلحت فقحة الزمان عليه

ومن قوله أيضاً فيه:

ما أوقع المتنبي ... فيما حكى وادعاه

أبيح مالا عظيماً ... حتى أباح قفاه

يل سائلي عن غناه ... من ذاك كان غناه

إن كان ذاك نبياً ... فالجائليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً، وفارق بغداد متوجهاً إلى حضرة أبي الضل بن العميد مراغماً للمهلي الوزير، فورد أرجان، وأحمد مورده، فيحكي أن صاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان، وإجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة، ولم يكن استوزر بعد، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه، وتضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يقم له المتنبي وزناً، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية، وورد مشرع المنية، واتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقية، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته، وينعي عليه سيئاته، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته، وكان مثله معه كما قال الشاعر:

شتمت من يشتمني مغالطاً ... لأصرف العاذل عن لجاحته

فقال: لما وقع البراز في ال ... ثوب علمنا أنه من حاجته

وكما قال الآخر:

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ... ولم أر كالدنيا تدم وتحلب

وكما قال الآخر:

نبئت أي إذا ما غبت تشتمني ... قل ما بدا لك فاجبوب مسبوب

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانهم بألفاظه ومعانيه في

الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة: وأما قلعة كذا فقد كانت بقية الدهر المديد، والأمد البعيد، تعطس بأنف شامخ من المنعة، وتنبو بعطف جامع على الخطبة، وترى أن الأيام قد صاحتها على الإغفاء من القوارع، وعاهدتها على التسليم من الحوادث، فلما أتاح الله للدنيا ابن مجدها، وأبا بأسها ونجدتها، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم، فزرة الحوادث، وفرصة البوائق، ومجر العوالي، ومجرى السوابق. وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما:

حتى أتى الدنيا ابن مجدها ... فشكا إليه السهل والجبل

والآخر:

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

وفصل له - لن كان الفتح جليل الخطر، عظيم الأثر، فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له، يعلم معها أن الله أسراراً في علاه لا يزال يديها، ويصل أوائلها بتواليها.

وهو من قول أبي الطيب:

ولله سر في علاك، وإنما ... كلام العدى ضرب من الهذيان
فصل - ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنه.

وهو من قول أبي الطيب:

ولو قلم ألقيت في شق رأسه ... من السقم ما غيرت من خط كاتب
وقول نصر:

صنيت حتى صرت لو زج بي ... في ناظر النائم لم ينتبه
ومنه أخذ ابن العميد قوله:

فلو ان أبقيت في جسدي قذى ... في العين لم يمنع من الإغفاء

فصل للصاحب في التعزية - إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه، والأسوة في الدين وما يجب فيه، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه، ويؤخذ في ثارات الأسى بمذهبه، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته، إلا إذا رويناه له بعض ما اخذناه عنه، وأعدنا طائفة مما استفدناه منه.
وإنما هو حل من قول أبي الطيب:

أنت يا فوق أن يعزى عن الأح ... باب فوق الذي يعزبك عقلا

وبالفاظك اهتدى فإذا عزا ... ك قال الذي له قلت قبلا

وفصل له - وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر، على راحة المطر.

وهو من قول أبي الطيب:

وذكرى رائحة الرياض كلامها ... تبغي الشاء على الحيا فيفوح

والأصل فيه قول ابن الرومي:

شكرت نعمة الولي على الوسم ... ي ثم العهد بعد العهد

فهني تنني على السماء ثناء ... طيب النشر شائعاً في البلاد

من نسيم كأن مسراه في الأر ... واح مسرى الأرواح في الأجساد

ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما في قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطئ

البحر في وصف مراكبه وعجائبه: وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره، سعة صدره، ولو فعل ذلك

لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرض، وثنماً لا يكسر عن الترشف:

وكم من جبال جبت تشهد أنني ال ... جبال وبحر شاهد أنني البحر

وله من رسالة في التهئة بنت أولها - أهلاً بعقيلة النساء، وكريمة الآباء، وأم الأبناء، وجالية الأصهار، والأولاد

الأطهار، ثم يقول فيها:

ولو كان النساء كمثل هذي ... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهِلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مريثة والدته سيف الدولة إلا أنه يقول:

ولو كان النساء كمثل فقدنا

وللصاحب من كتاب تعزية - وقلنا: قد أخذ الزمان من أخذ، وترك من ترك، فهو لا شك يعفو عن القمر،
وقد أسلم الشمس للطفل ولا يصل الصروف بالصروف، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف، فأبي حكم الملوك،
وقد غبنك إذا قاسمك الأخوين، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني، والغابر بالماضي:

وعاد في طلب المتروك تاركه ... إنا لنفعل والأيام في الطلب

ما كان أقصر وقتاً كان بينهما ... كأنه الوقت بين الورد والقرب

أقول: هذا كمادة المصدر في النفث، وشكوى الحزن والبث، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض، وكل بين
الراحلة والرحل، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض، حتى ينقله إلى بطن التراب:

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هن من كسبه

فهذه الأرواح من جوه ... وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المنبّي، وتمثل به من شعره. ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا
الباب.

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه، هذا أبو إسحاق الصابي رسيه في ذلك وزميله، وقد قرأت له غير

فصل فيما أشرت إليه، ونهت عليه: فمنه ما كتب في تقريظ - شاب مقتبل الشبية، مكتمل الفضيلة، ولقد

آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال، فلا تجد الكهولة خلة

تتلافها بتناول المدة، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة.

وإنما هو حل نظم أبي الطيب، وإن كان في معنى آخر:

لا تجد الخمر في مكارمه ... إذا انتشى خلة تلافها

وأخذ من قول البحتري:

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم ... فما استطعن أن يحدثن فيك تكراً

ومنه ما كتب إلى ابن معروف قننة بقضاء القضاة - منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنة، لأن ما تكتسبه الولاية

بها من الصيت والذكر، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر، سابق لها عنده، وحاصل قبلها له، وإذا مد أحدهم

إليها يداً تجذبها إلى سفال، جذبتها يده إلى الخلل العالي، فكأن أبا الطيب المنبّي عنه أو حكاه بقوله:

فوق السماء وفوق ما طلبوا ... فإذا أرادوا غاية نزلوا

ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلّي إلى العاطل، والغيث إلى الروض الماحل.

وإنما من قول أبي الطيب:

وعدت إلى حلب ظافراً ... كعود الحلّي إلى العاطل

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما، فما الظن بغيرهما؟

وما احسن قول الشاعر:

ألا إن حل الشعر زينة كاتب ... ولكن منهم من يحل فيعقد

وممن يحدو حدوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشبي: زقد أناني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن، روضة حزن بل جنة عدن. وفي شرح النفس، وبسط الأنس، برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف في أجفان يعقوب. وهو من بيت أبي الطيب:

كأن كل سؤال في مسامعه ... قميص يوسف في أجفان يعقوب
وفصل لأبي بكر الخوارزمي - وكيف أمدح الأمير بخلق صن به الهواء، وامتألت من ذكره الأرض والسماء، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا أذن.
وهو حل نظم أبي الطيب:

تنشد أثوابنا مدائح ... بألسن ما هن أفواه
إذا مررنا على الأصم بما ... أغنته عن مسمعيه عيناه
ولأبي بكر من رسالة - ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم، وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم.
وهو قول أبي الطيب:

ولا تبال بشعر بعد شاعره ... قد أفسد القول حتى أحمد الصمم
وهذا ميدان عريض، وشوط بطين، وفيما ذكرته كفاية.
ولا استقرارات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه.

أنموذج لسرقات الشعراء منه

- قال المتنبي:

وقد أخذ التمام البدر فيهم ... وأعطاني من السقم الخافا
أخذه أبو الفرج البغاء فلفظه وقال:

أوليس من إحدى العجائب أنني ... فارقت حبيبت بعد فراقه
يا من يحاكى البدر عند تمامه ... ارحم فتى يحكيه عند محاقه
٢ - وقال أبو الطيب:

قد علم البين منا البين أجفانا ... تدمى، وألف ذا القلب أحزانا
أخذه المهلب الوزير وقال:

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على عيرة تجري
٣ - وقال أبو الطيب وهو من قلائده:

وكنت إذا يمت أرضاً بعيدة ... سريت فكنت السر والليل كاتمته
أخذه الصاحب وقال:

تجشمتها والليل وحف جناحه ... كأني سر والظلام ضمير
٤ - وقال أبو الطيب، وهو أيضاً من قلائده:

لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال :

لبسن برود الوشي لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين برود

وإنما فعل ببيتته ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف:

والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد

فقال :

ما بال هذي النجوم حائرة ... كأنها العمى ما لها قائد

وهذه مصالنة لا سرقة، وهي مذمومة جداً عند النقدة.

٥ - وقال أبو الطيب، وهو من فرائده:

سقاك وحيانا بك الله، لأنما ... على العيس نور والحدور كمائمه

أخذه السري بن أحمد، قال ابن جني: أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد، وهي

قوله:

حيا به الله عاشقيه فقد ... أصبح ريحانه لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره، والبيت نهاية في العذوبة، وخفة الروح.

٦ - والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله:

وخرق طال فيه السير حتى ... حسبناه يسير مع الركاب

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب:

يخدن بنا في جوزه وكأننا ... على كرة أو أرضه معنا سفر

٧ - وقال السري:

وأحلها من قلب عاشقها الهوى ... بيتاً بلا عمد ولا اطناب

وهو من قول أبي الطيب:

هام الفؤاد بأعرابية سكنت ... بيتاً من القلب لم تضرب به طنبها

٨ - وقال السري:

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه ... عندي وعند سواي من أنوائه

وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب:

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزلهن إلى ما عنده الديم^٩ وقال أبو الطيب، وهو من قلاته:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضاً:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين، وهما قريب من قريب، فقال:

فديتك ما بدا لي قصد حر ... سواك من الورى إلا بدلي

وأنتك منهم وكذلك أيضاً ... من الماء الفرائد واللاي

وتسكن دارهم وكذلك سكنى ال ... حجارة والزمرد في الجبال

وهذا معنى اخترعه المتنبي، وكرره في تفضيل البعض على الكل، فأحسن غاية الإحسان حيث قال:
فإن يك سيار بن مكرم إنقضى ... فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
١٠ - وقال:

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فإن في الخمر معنى ليس في العنب
ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال:
أبوك حوى العليا وأنت مبرز ... عليه إذا نازعته قصب الجدد
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله ... وفي النار نور ليس يوجد في الزند
وخير من القول المقدم فاعترف ... نتيجه والنحل يكرم للشهد
وقال أيضاً:

أبوك كريم غير أنك سابق ... مداه بلا ضيم عليه ولا ذيم
فلا يعجب الناس مما أقوله ... وأقضي به فالغيث أئدى من الغيم
١١ - وقال أبو الطيب:

وصرت أشك فيمن أصطفيه ... لعلمي أنه بعض الأنام
أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال:
قد ظلمناك بحسن ال ... ظن يا بعض الأنام
١٢ - وقال أبو الطيب:

أتى الزمان بنوه في شيبته ... فسرهم وأتيناها على الهرم
أخذه أبو الفتح وحسنه فقال:
لا غرو إن لم تجد في الدهر مخترفاً ... فقد أتيناها بعد الشيب والخرف
١٣ - وقال أبو الطيب:

هما الغرض الأقصى، ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا، وأنت الخلائق
امتثله أبو الحسن السلامي فقال:
وبشرت آمالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا، ويوم هو الدهر
١٤ - وقال أبو الطيب:

لم تزل تسمع المديح ولك ... ن سهيل الجياد غير النهاق
أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال:
وتغنيك في النداء طيور ... أنا وحدي ما بينهن الهزار
وإذا قد ذكرت أمودجاً من سرقات الشعراء منه، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء، سوى ما أورده
القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب " الوساطة " فشفي وكفى وبالغ فأوفى، وسوى ما مر منها في
أماكنها من فصول هذا الكتاب.

١ - قال مخلص الموصلي:

يا منزلأً ضن بالسلام ... سقيت رياءً من الغمام
ما ترك الدهر منك إلا ... ما ترك الشوق من عظامي
أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال:

ما زال كل هزيم الودق ينحلها ... والشوق ينحلي حتى حكت جسدي
٢ - وقال عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وإبنا بالملك مصفدينا
أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال:

إن أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة:
ونهب نفوس أهل النهب أولى ... بأهل الجند من نهب القماش
٣ - وقال بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل قهاوت كواكبها
أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال:

وكأنما كسي النهار بها دجى ... ليل، وأطلعت الرماح كواكبا
٤ - وقال مسلم بن الوليد:

أرادوا ليخفوا قبره من عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر
ألم به أبو الطيب فقال:

وما ربح الرياض لها ولكن ... كساها دفنهم في التراب طيبا
٥ - وقال الفرزدق:

وكنت فيهم كممطور ببلدته ... يسر أن جمع الأوطان والمطرا
أخذه أبو الطيب فقال:

وليس الذي يتبع الويل رائداً ... كمن جاءه في داره رائد الويل
٦ - وفي قوله في هذه القصيدة:

وخيل إذا مرت بوحش وروضة ... أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلي
رائحة من قول امرئ القيس:

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا: ... تعالوا إلى أن يأتي الصيد نخطب
٧ - وقال أبو نواس، ويقال: إنه أمدح بيت للمحدثين:

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة ... بجود كفيك تأسو كل ما جرحا
أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال:

تتبع آثار الرزايا بجوده ... تتبع آثار الأسته بالقتل

٨ - وقال أبو نواس، وهو من قلائده في وصف الخمر:

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى ... دعا همه من صدره برحيل
أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال:

وما هي إلا لحظة بعد لحظة ... إذا نزلت في قلبه رحل العقل
٩ - وقال ابن عيينة، ويروي للخليل:

زر وادي القصر، نعم القصر والوادي ... في منزل حاضر، إن شئت، أو بادي
ترقى به السفن والظلمان حاضرة ... والضرب والنون والملاح والحادي
وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضرة والبادية، ألم به أبو الطيب في
وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية جبلية تجمع الأضداد:

سقياً لدشت الأرزن الطوال ... بين المروج الفيح والأغيا
محاور الخنزير والرئبال ... داني الخنايص من الأشبال
مستشرف الدب على الغزال ... مجتمع الأضداد والأشكال
١٠ - وقال بعض العرب، وهو من الأمثال السائرة:

إذا بل من داء به ظن أنه ... نجا، وبه الداء الذي هو قاتله
أخذه أبو الطيب فقال واحسن:

وإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام
١١ - وقال بعض الرجاز:

هل يغلبني واحد أقاتله ... ريم على لباته سلسله
سلاحه يوم الوغى مكاحله

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال:
من طاعني ثغر الرجال جآذر ... ومن الرماح دما لج وخلاخل
ولذا اسم أغطية العيون جفونها ... من أنما عمل السيوف عوامل
وقال أبو تمام:

غربت خلائقه وأغرب شاعر ... فيه فأبدع مغرب في مغرب
أخذه أبو الطيب فقال:

شاعر المجد خدنه شاعر اللف ... ظ كلانا رب المعاني الدفاق
١٣ - وقال أبو تمام كـ

يمدون بالبيض القواطع أيدياً ... فهن سواء والسيوف قواطع
أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال:

همام إذ ما فارق الغمد سيفه ... وعايته لم تدر أيهما النصل
١٤ - وقال ابن الرومي:

لا قدست نعمى تسربلتها ... كم حجة فيها لزنديق
أخذه أبو الطيب فقال:

فإنه حجة يؤذي القلوب بما ... من دينه الدهر والتعطيل والقدم
١٥ - ولابن الرومي وأجاد:

وأحسن من عقد العقيلة جيدها ... وأحسن من سربالها المتجرد
أخذه أبو الطيب فقال:

ورب قبح وحلي ثقال ... أحسن منها الحسن في المعطال
١٦ - وقال عبيد الله طاهر:

وجربت حتى لا أرى الدهر مغرباً ... علي بشيء لم يكن في تجاري
أخذه أبو الطيب فقال:

قد بلوت الخطوب حلواً ومرأ ... وسلكت الأيام حزناً وسهلاً
وقتل الزمان علماً فما يغ ... رب قولاً ولا يجدد فعلاً
وكرر هذا المعنى فقال:

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتنا لم تردني بما علماً
١٧ - وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً
منها:

ولقد غبت الدهر إذ شاطرته ... بأبي الحسين وقد ربح عليه
وأبو محمد الجليل مصابه ... لكن يمى المرء خير يديه
فأخذ أبو الطيب هذا المعنى، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى، ويسليه ببقاء الكبرى
حيث قال:

قاسمتك المنون شخصين جوراً ... جعل القسم نفسه فيك عدلاً
فإذا قست ما أخذن بما غا ... درن سرى من الفؤاد أن جدك أعلى
١٨ - وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز، على تركه الإقرار بالنظر في شعر المحدثين: فمما أخذه منه
قوله:

وتكسب الشمس منك النور طالعةً ... كما تكسب منها نورها القمر
وهو معنى قول ابن المعتز:

البدر من شمس الضحى نوره ... والشمس من نورك تستملي
١٩ - وأخذ قوله، وهو من قلانده، ولعله أمير شعره:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز، ذكر ابن جني قال: حدثني المتنبي - وقت القراءة عليه - قال: قال لي ابن حنابلة وزير
كافور: أحضرت كتي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى، فلم يظفروا بذلك! وكان
أكثر من رأيت كتباً.

قال ابن جني: ثم إنني عثرت بالموضع الذي أخذه منه، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه

معنى بيت المتنبي كله على جلالته لفظه وحسن تقسيمه، وهو قوله:

فالشس غمامة والليل قواد

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث: إما يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه، وصار أولى به، وإما أن يكون قد
عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأرّبى عليه في جودة الأخذ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد
به، فله دره! وناهيك بشرف لفظه، وبراعة نسجه! وما احسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد، وما
أراه سبق إلى مثلها، وما زال الناس يعجبون من جمع البحري ثلاث مطابقات في قوله:

وأمة كان قبح الجور يستخطها ... دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة خمس مطابقات، ولكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله. وهي:

عذيري من الأيام مدت صروفها ... إلى وجه من أهوى يد النسخ والحو

وأبدت بوجهي طالعات أرى بما ... سهام أي يحى مسددة نحوي

فذاك سواك الحظ ينهي عن الهوى ... وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

٢٠ - وقال ابن الرومي:

أرى فضل مال المرء داء لعرضه ... كما أن فضل الزاد داء لجسمه

فليس لداء العرض شيء كبذله ... وليس لداء الجسم شيء كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال:

يتداوى من كثرة المال بالإق ... لال جوداً كأن مالا سقام

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ - قال في سيف الدولة:

وأنت المرء تمرضه الحشايا ... لهفته، وتشفيه الحروب

وقال يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر:

وما في طبه أي جواد ... أضر بجسمه طول الجمام

٢ - وقال يمدح بدر بن عمار:

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى ... من غير جرم واصلي صلة الضنا

وقال يمدح المغيث بن بشر العجلي:

إذا بدا حجب عينيك هيئته ... وليس يحجبه ستر إذا احتجبا

وقال وقد حجبه بدر عمار:

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة ... هيهات لست على الحجاب بقادر

من كان ضوء جبينه ونواله ... لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فإذا احتجب فأنت غير محجب ... وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ - وقال من قصيدة يمدحه بها:

أمير أمير عليه الندى ... جواد بخيل بأن لا يجودا

وقال:

إلا أن الندى أضحى أميراً ... على مال الأمير أبي الحسين

٥ - وقال يمدح بدر الدين بن عمار:

ومال وهبت بلا موعد ... وقرن سبقت إليه الوعيدا

وقال من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه:

لقد حال بالسيف دون الوعيد ... وحالت عطاياه دون الوعود

٦ - وقال من قصيدة يمدح بها أبا العشائر:

فسرت إليك في طلب المعالي ... وسار سواي في طلب المعاش

٧ - وقال يمدح سعيد بن عبد الله:

قد علم الين منا الين أجفانا ... تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

وقال في خلاص أبي وائل:

كأن الجفون على مقلتي ... ثياب شققن على ثاكل

٨ - وقال يمدح بدر بن عمار:

كأنك بالفقر تبغي الغنى ... وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

وقال في الحسين بن إسحاق التنوخي:

كأنك في الإعطاء للمال مبغض ... وفي كل حرب للمنية عاشق

٩ - وقال:

الذي زلت عنه شرقاً وغرباً ... ونداه مقابلي ما يزول

وقال في سيف الدولة:

ومن فر من إحسانه حسداً له ... تلقاه منه حيث ما سار نائل

١٠ - وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران:

فكأنما نتجت قياماً تحتهم ... وكأنما ولدوا على صهواتها

وقال في الحسن بن عبيد الله بن طغج:

وطعن غطاريف كأن أكفهم ... عرفن الردينيات قبل المعاصم

١١ - وقال يشكو الحمى بمصر:

جرحت مجرحاً لم يبق منه ... مكان للسيوف وللسهام

وقال في مراثية والده سيف الدولة:

رماي الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابني سهام ... تكسرت النصال على النصال

١٢ - وقال يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب:

وشكيتي فقد السهام لأنه ... قد كان لما كان لي أعضاء

وقال قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً:
لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي ... شيئاً تتيمة عين ولا جيد
١٣ - وقال يصف مدينة مرعش:
تصد الرياح الهوج عنها مخافة ... وتفرغ فيها الطير أن تلتقط الحبا
وقال من قصيدة في مدح كافور:
إذا أتها الرياح النكب في بلد ... فما تهب بها إلا بترتيب
١٤ - وقال يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج:
إذا ضوءها لاقى من الطير فرجة ... تدور فوق البيض مثل الدراهم
وقال من كلمة يمدح فيها عضد الدولة:
وألقي الشرق منها في ثيابي ... دنائراً تفر من البنان
وقال يمدح أبا شجاع محمد بن أوس:
ولقد بكيت على السباب ولتي ... مسودة، ولما وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه ... حتى لكدت بماء جفني أشرق
١٥ - وقال وقد أهده عبد الله بن خراسان هدية:
هدية ما رأيت مهديها ... إلا رأيت العباد في رجل
وقال يمدح بدر بن عمار:
أحلماً نرى أم زماناً جديداً ... أم الخلق في شخص حي أعيدا
ومثله في الحسين بن إسحاق التتوخي:
هي الغرض الأقصى، ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا، وأنت الخلاق
ثم كرره وزاد فيه فقال من كلمة يمدح فيها ابن العميد:
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً ... وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا
والأصل فيه قول أبي نواس:
ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد
وقال:
متى تخطي إليه الرجل سائلة ... تستجمع الخلق في تمثال إنسان
١٦ - وقال في سيف الدولة:
هو الشجاع يعد البخل من جبن ... وهو الجواد يعد الجبن من بخل
وقال وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته:
فقلت إن الفتى شجاعته ... تريه في الشح صورة الفرق
والأصل فيه قول أبي تمام:
أيقنت أن من السماح شجاعة ... تدمى، وأن من الشجاعة جودا

١٧ - وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة:

ومن أعتاض منك إذا افترقنا؟ ... وكل الناس زور ما خلاكا
وقال في مثله فتبرد وبالع:

إنما الناس أنت، وما لنا ... س بناس في موضع منك خال

١٨ - وقال في سيف الدولة:

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض ... ومن فوقها والبأس والكرم المحض
وقال فيه أيضاً:

وما أخصك في براء بتهنئة ... إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

١٩ - وقال يمدح كافوراً ولم يلقه بعد:

تجاوز قدر المدح حتى كأنه ... بأحسن ما يثنى عليه يعجب

وقال في عبد الله بن يحيى البحتري:

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني ... أني بقله ما أثبت أهجوكا

وقال يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته:

وكان من عدد إحسانه ... كأنه أسرف في سبه

والأصل في هذا قول البحتري:

جل عن مذهب المديح فقد كا ... د يكون المديح فيه هجاء

٢٠ - وقال وهو مما سبق إليه:

نال الذي نلت منه مني ... لله ما تصنع الخمر

وقال:

أفيكم فتى حي فيخبر ناعباً ... بما شربت مشروبه الراح من ذهني

٢١ - وقال يمدح سيف الدولة:

عليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتبا

وقال في أبي العشائر علي بن الحسين:

كأنك ناظر في كل قلب ... فما يخفى عليك محل غاش

وقال:

وكل الظن بالأسرار فانكشفت ... له سرائر أهل السهل والجبل

٢٢ - وقال لبدر بن عمار يمدحه:

فاغفر فدى لك واحبني من بعدها ... لتخصني بعيطه منها أنا

وقال:

له أياد إلي سائلة ... أعد منها ولا أعددها

٢٣ - وقال وهو من قلائده:

خير أعضائنا الرؤس ولكن ... فضلتها بقصدك الأقدام
وقال من " المتقارب " :

وإن القيام الألى حوله ... لتحسد أرجلها الأروس

٣٤ - وقال من قصيدة في مدح سيف الدولة:

وما الحسن في وجه الفتى شرف له ... إذا لم يكن في فعله والخلاتق
وقال في وصف الخيل:

إذا لم تشاهد غير حسن شيأها ... وأعطائها فالحسن عنك مغيب
وقريب منه قوله:

يحب العاقلون على التصافي ... وحب الجاهلين على الرسام

٢٥ - وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء:

ذل من يغط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام
وقال في صباه:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود

٢٦ - وقال لعللي بن إبراهيم التنوخي يمدحه:

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم ... أسرت إلى قلوبهم اهلوعا
وقال من " الخفيف " :

بعثوا الرعب في قلوب الأعداي ... فكأن القتال قبل التلاقي
وقال:

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت ... لك المهابة ما لا يصنع البهم
وقال:

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً ... قبل أن يبصروا الرماح خيالا
وقال:

صيام بأبواب القباب جيادهم ... وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو
وقال:

تغير عنه على الغارات هيئته ... وماله بأقاصي البر أهمل

والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم " نصرت بالرب " ثم أكثر الناس منه، ومن أوجز ما قالوا قول
علي بن جبلة العكوك:

غدا مجتمع العزم ... له وقصر عما تشتهي النفس وجده
وقال:

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب ... فكل بعيد اهم فيها معذب
٢٨ - وقال من الخفيف " :

ومعال إذا ادعاها سواهم ... لوزمته خيانة السراق

وقال:

مسكية النفحات إلا أنها ... وحشية بسواهم لا تعبق
والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه :
ومن ذا الذي ترضي سجايه كلها ... كفى المرء فضلاً أن تعد معائبه
ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده:
فحسن دراري الكواكب أن ترى ... طوالعفي داج من الليل غيهب

فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعدوبة لفظاً، والبارعة والجودة معنى، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن، فإذا كانت حاله
على الضد مجه السمع، وزجه القلب، ونبت عنه النفس، وجرى أوله على ما تقوله العامة " أول الندى دردى "

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمرى من أحرار الكلام وغرره، بل هي - كما نعاها عليه العائبون - مستشعة
لا يرفع السمع حجابها، ولا يفتح القلب لها بابه، كقوله:
هذي برزت لنا فهجت رسيماً ... ثم انصرفت وما شفيت نسيماً
فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من " هذي " ، وهو غير جائز عند النحويين، حتى ذكر الرئيس والنسيب،
فأخذ بطرفي النقل والبرد.
وكقوله:

أوه بديل من قولتي واهما

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك.

زكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد، والترتيب المتعسف، لغير معنى بديع يفني شرفه وغرابته في
استخراجه، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجه

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة، التي تنفر منها السوقة، فضلاً عن الملوك.

حكى الصاحب قال: ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر، فقال: وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع، فإن ابن

أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة لبتداؤها:

أقبر وما طلت ثراك يد الطل؟

فطيرت من افتتاحه بالقبر وتنغصت باليوم والشعر، فقلت: كذاك كانت حال ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله:

لا تقل بشري ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله " لا تقل بشرى " أشد نفار، وقال: أعمى وتبتدى بهذا في يوم مهرجان؟! قال صاحب: ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام، وتفوت الاوهام، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماتقي، وبالأعداد الموضوعية للموسيقى:

أحاد أم سداس في أحاد ... ليلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الحكل ووطانة الزط وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ المفلوطة والمعاني المنبوذة؟ فأني هزة تبقى هناك؟ وأي أريحية تثبت هنا؟ .

وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني، حين احتيج في الاعتذار له، والنصح عنه، إلى كلام لا يستأمله هذا البيت، ولا يتسع له هذا الباب.

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله:

ملث القطر أعطشها ربوعاً ... وإلا فاسقها السم النجيعا

وقوله:

أصلت فإننا أيها الطلل ... نبكي وترزم تحتنا الإبل

وقوله:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا ... وحسن الصبر زمو لا الرحالا

قال صاحب: ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة:

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لاأخذ من حالاته بنصيب

قال صاحب: لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبئ بنصيب من القلق!

ومنها

إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت، وقلة التناسب، وتنافر الأطراف، وتحالف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة، ويعود لهذه العادة السيئة، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط. فبينما هو يصوغ أفخر حلي، وينظم أحسن عقد، وينسج أنفاس وشي، ويختال في حديقة ورد، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة، أو تعويض اللفظ، أو تعقيد المعنى، إلى المبالغة في التكلف، والزيادة في التعمق، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة، والركاكة والتبرد والتوحش، باستعمال الكلمات الشاذة، فمحا تلك المحاسن، وكدر صفاءها، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها، واستهدف لسهام العائنين، وتحكك باللسنة الطاعنين: فمن متمثل بقول الشاعر:

أنت العروس لها جمال رائع ... لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات، ثم يتبعها بطعام ضرر، وشراب عكر، أو من يتبخر بالنبد المعشب المثلث، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الردية، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم، وطرائف

الحكم، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول: اعذروني فإن العذرة متعذرة.
فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع حلقة في المآقي؟
وهو ابتداء ما سمع بمثله، ومعنى تفرد بابتداعه، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال:
كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي
وقوله:

ليالي بعد الطاعنين شكول ... طوال، وليل العاشقين طويل
ين لي البدر الذي لا أريده ... ويخفين بدرًا ما إليه وصول
وما عشت من بعد الأحبة سلوة ... ولكنني للنائبات حمول
وما شرقي بالماء إلا تذكرًا ... لماء به أهل الخليط نزول
يجرمه لمع الأسنة فوقه ... فليس لظمان إليه سبيل
من قصيدة اخترع أكثر معانيها، وتسهل في ألفاظها، فجاءت مصنوعة، ثم اعترضته تلك العادة المذمومة، فقال:
أغرکم طول الجيوش وعرضها ... علي شروب للجيوش أكل
إذا لم تكن لليث إلا فريسة ... غذاه ولم ينفعك أنك فيل
ثم أتى بما هو أطم منه فقال، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها:
إذا كان بعض الناس سيفاً للدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول
فإن تكن الدولات قسماً فإنها ... لمن ورد الموت الزوام تدول
قال الصاحب: قوله " الدولات " و " تدول " من الألفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لكان سعيداً.

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبصرة، والدرة والآجرة:
لك يا منازل في الفؤاد منازل ... أقفرت أنت، وهن منك أواهل
وهذا ابتداء حسن ومعنى لكيف، ثم قال:
وأنا الذي اجتلب المنية طرفه ... فمن المطالب والقتيل القاتل
وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل:
لا تطلبوا بظلامي أحداً ... طرفي وقلبي في دمي اشتركا
فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحاة، ثم استمر في قصيدته، فجاء بالمتوسط المقارب والبديع النادر والرديء
النافر، حيث قال:

ولذا اسم اغطية العيون جفونها ... من أنما عمل السيوف عوامل
وهذا معنى في نهاية الحسن واللفظ، ثم قال:
كم وقفة سجرتك شوقاً بعدما ... غري الرقيب بنا ولج العاذل
فلم يحسن موقع قوله " سجرتك " أي ملأتك " هكذا الرواية بالجيم، ولو كانت بالخاء من السحر لم يكن بأس
" ثم قال وملح:

دون التعاقب ناحلين كشكلي ... نصب أذهما وضم الشاكل
أي: قريب بعضنا من بعض، ولم تتعاقب خوف الرقيب. ثم قال فأحسن غاية الإحسان:
للهو آونة تمر كأنها ... قبل يزودها حبيب راحل
جمع الزمان فما لذيذ خالص ... مما يشوب، ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ ... يته المنى وهو المقام الهائل
قال ابن جني: وهذا خروج غريب ظريف حسن، وما أعرفه لغيره، يقول: إن المنى رؤيته إلا أن هيئته قول. ثم
قال فجمع أوصافاً في بيت واحد:
للشمس فيه وللرياح وللسحا ... ب وللبحار وللأسود شمائل
ثم قال وتحذق وتبرد:
ولديه ملعقيان والأدب المفا ... د وملحياة ومللمات مناهل
وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام:
نأخذ من ماله ومن أدبه
ثم قال:
علامة العلماء واللج الذي ... لا ينتهي، ولكل لج ساحل
ثم قال فأحال:
لو طاب مولد كل حي مثله ... ولد النساء وما لهن قوابل
قال القاضي أبو الحسن: إم طيب المولد لا يستغنى به عن القابلة، وإن استغنى عنها كان ماذا؟ وأي فخر فيه؟
وأي شرف ينال به؟ ثم توسط وقارب فقال:
ليزد بنو الحسن الشراف تواضعاً ... هيهات تكتم في الظلام مشاعل
ستروا الندى ستر الغراب سفاده ... فبدا، وهل يخفي الرباب الهاطل؟
ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد:
جفخت وهم لا يجفخون بما بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل
يريد بالجفخ الفخر والبذخ، ثم قال:
يا أفخر الناس فيك ثلاثة: ... مستعظم، أو حاسد، أو جاهل
أي: يا هذا افخر، فحذف المنادى، وتباغض وتبادى، ثم قال:
لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا ... شعراً، ولكني الهزبر الباسل
ثم قال وأرسله مثلاً سائراً، وأحسن جداً:
وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل
ما نال أهل الجاهلية كلهم ... شعري، ولا سمعت بسحري بابل
ثم قال وتعسف في اللفظ:
أما وحقك وهو غاية مقسم ... للحق أنت، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

وتقدير الكلام: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به، وإنما ألم فيه بقول القائل:
وتزيردين طيب الطيب طيباً ... إن تمسيه، أين مثلك أيناً؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت:

قد علم البين منا البين أجفانا ... تدمى، وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها ... ليلبث الحي دون السير حيرانا
بالواخذات وحاديها وبى قمر ... يظل من وخدها في الخدر حشيانا
وحشيان - بالخاء المهملة - من الغريب الوحشي، الذي لا يأنس به السمع، ولا يقبله القلب، يقال: حشى
الرجل حشياً فهو حشيان، إذا أخذه البهر. يقول: إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه. ومن
المؤددين من يروي حشيانا بالخاء معجمة من الخشية.

ثم قال، وأحسن ولطف وظرف:

قد كنت أشفق من دمعي على بصري ... فالיום كل عزيز بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا، فأتى - كما قال الصاحب - بأخزى الخزايا، فقال:

لو استطعت ركبت الناس كلهم ... إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

قال الصاحب: ومن الناس أمه، فهل ينشط لركوبها؟ والمدوح لعل له عصابة لا يريد أن يركبوا إليه، فهل في
الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من هذا التبسط؟ ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله:

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم ... عما يراه من الإحسان عميانا

وقال، ثم قال وأجاد في مدح المدوح:

إن كوتبوا، أو لقوا، أو حوربوا، وجدوا ... في الخط واللفظ والهيحاء فرسانا

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت ... على رماحهم في الطعن خرصانا

كأنهم يردون الموت من ظمأ ... أو ينشقون من الخطي ريحانا

ثم قال:

خلائق لو حواها الزنج لا تقلبوا ... ظمي الشفاه جعاد الشعر غرانا

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره.

والعجب كل العجب من خاطر يقدر بمثل قوله في قصيدة:

وملمومة زرد ثوبها ... ولكنه بالقنا مخمل

يفاجئ جيشاً بما حينه ... وينذر جيشاً بما القسطل

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث به حيث يقول:

جعلتك في هذا القلب لي عدة ... لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه.

ومنها

استكراه اللفظ وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسمنها، ويأخذ عليها في الطريق الوعرة فيضل ويتعب ولا ينجح، إذ يقول في وصف الناقة:

فتبيت تسند مسنداً في نيهـا ... إسآدها في المهمه الأنضاء

وتقديره: فتبيت تسند مسند الأنضاء في نيهـا إسآدها في المهمة: أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا.

ويقول في المدح:

أنى يكون أبا البرايا آدم ... وأبوك، والثقلان أنت، محمد

وتقديره: أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان.

وقال من نسيب قصيدة:

إذا عذلوا فيها أجبت بأنه ... حبيبتا قلبي فؤادي هيا جمل

أراد " يا حبيبتى " ثم أبدل الياء من حبيبتى ألفاً تخفيفاً، و " قلبي " منصوب لأنه بدل من حبيبتا، و " فؤادي " بدل من قلبي، وهذا كقولك: أخي سيدي مولاي، نداء بعد نداء، ويقال في النداء: يا زيد، وأيا زيد، وهيا زيد.

وأشبه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله:

لساني وعيني والفؤاد وهمتي ... أود اللواتي إذا اسمها منك والشرط

وقوله:

فتى ألف جزء رأيه في زمانه ... أقل جزيء بعضه الرأي أجمع

وقوله:

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقت بمولد نسلها حواء

وهو مما اعتل لفظه، ولم يصح معناه، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وكد الخاطر، والحمل على القرينة، ثم إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل.

ومنها

عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عند المحتجين عند الاعتذار له، والمناضلة دونه، كقوله:

فدى من على الغبراء أولهم أنا ... لهذا الأبي الماجد الجائد القرم

ولم يحك عن العرب " الجائد " وإنما المحكى رجل جواد، وفرس جواد، ومطر جواد.

وكقوله:

فأرحم شعر تتصلن لدنه ... وأرحام مال لا تني تتقطع

وتشديد النون من " لدن " غير معروف في لغة العرب.

وكقوله:

شديد البعد من شرب الشمول ... ترنج الهند أو طلع النخيل
والمعروف عند العرب الأترج، والترنج مما يغلط فيه العامة. قال صاحب: لا أدري الاستهلال أحسن، أم المعنى
أبدع، أم قوله ترنج أفصح؟ وكقوله:

وتكرمت ركباتها عن مبرك ... تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا
فجمع الركبات ثم انتقل إلى الشنية فقال " تقعان " ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب.
وكقوله:

ليس إلاك يا علي همام ... سيفه دون عرضه مسلول
وكقوله:

لم تر من نادمت إلا كا ... لا لسوى ودك لي ذا كا
فوصل الضمير بإلا، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى: " ضل من تدعون إلا إياه " .
وكقوله:

لأنت أسود في عيني من الظلم
وألف التعجب لا تدخل على أفعل، وإنما يقال: أشد سواداً وحمرة وخضرة.
وكقوله:

جللاً كما بي فليك التبريح
وحذف النون من " يكن " إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين، لأنها تتحرك إلى الكسر، وإنما تحذف
استخفافاً إذا سكنت.
وكقوله:

أعط عنك تشبيهي بما وكأنه
والتشبيه بما محال وكقوله:

لعظمت حتى لو تكون أمانة ... ما كان مؤتمناً بها جبرين
قال صاحب: وقلب هذه اللام إلى النون، أبغض من وجه المنون، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام منه بهذا
الجاز، هذا على ما في البيت من الفساد والقيح.
وكقوله:

حملت إليه من ثنائي حديقة ... سقاها الحجا سقي الرياض السحاب
أي: سقي السحاب الرياض.

ومنها

الخروج عن الوزن

كقوله:

تفكره علم، ومنطقه حكم ... وباطنه دين، وظاهره ظرف
وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجئ عن العرب مفاعيلن " في عروض الطويل غير مصرع، وإنما جاء مفاعيلن " ،
قال صاحب: ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل، فما نجد له على خطئه مساعداً.
قال القاضي أبو الحسن: وقد عيب أيضاً بقوله:
إنما بدر بن عمار سحاب ... هطل فيه ثواب وعقاب
لأنه أخرج الرمل على " فاعلاتن " وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرفة، وإنما جاء الشعر
على " فاعيلن " وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن.

ومنها

استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبّي من المحدثين، بل من العصريين، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم،
بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة، ثم تعاطى الغريب الوحشي، والشاذ البدوي، بل ربما زاد في ذلك على
أقحاح المتقدمين – حصل كلامه بين طرفي نقيض، وتعرض لاعتراض الطاعنين.
فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره – قوله:
وما أرضى لمقلته بحلم ... إذا انتبهت توهمه ابتشاكاً
والابتشاك: الكذب، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث:
لساحيه على الأجداث حفش ... كأيدي الخيل أبصرت المخالي
الساحي: القاشر، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض، والحفش: مصدر حفش السيل حفشاً، إذا جمع
الماء من كل جانب إلى مستنقع.
وقوله في وصف السيف:
ودقيق قدي الهباء أنيق ... متوال في مستو هزهاز
قدي: بمعنى مقدار، يقال: بينهما قيد رمح، وقدي رمح.
وقوله:
تطس الحدود كما تطسن اليرمعا
تطسن: أي تدق، واليرمع: الحجارة الرخوة.
وقوله:
وإلى حصى أرض أقام بها ... بالناس من تقبيلها يلل
الليل: إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم، ولم أسمعه في غير شعره.
وقوله:
الشمس تشرق والسحاب كنهوراً

الكنهور: القطع من السحاب العظيمة.

وقوله:

وكيف أستر ما أوليت من حسن ... وقد غمرت نوالاً أيها النال
والنال: المعطي.

وقوله:

أسألها عن المتديريها

قال صاحب: لفظة " المتديريها " لو وقعت في بحر صاف لكدرته، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهدده، وليس
للمقت فيها نهاية، ولا للبرد معها غاية، المتديروها: المتخذوها داراً.

قال صاحب: ومن أطم ما يتعاطاه التفاح بالالفاظ النافرة، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد خباء، وغذي
لبن، لم يطأ الحضر، ولم يعرف المدر، فمن ذلك قوله:

أيفطمه التوارب قبل فطامه ... ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل
وليس ذلك سائغاً لمثله، وهو وليد قرية، ومعلم صبية.

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض:

أروض الناس من ترب وخوف ... وأرض أبي شجاع من أمان
وقوله في جمع اللغة:

عليم بأسرار الديانات واللغى

وقوله في جمع الدنيا:

أعز مكان في الدين سرج سابح

وقوله في جمع الأخ:

كل آخائه كرام بني الدنيا

قال صاحب: لو وقع " الآخاء " في رائية السماخ لاستثقل، فكيف مع أبيات منها:

قد سمعنا ما قلت في الأحلام ... وأنلناك بدرة في المنام

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته، وبهرجته نقاده.

ومنها

الركاكة والسفسفة

بالفاظ العامة والسوقة ومعانيهم كقوله:

رماني خساس الناس من صائب استه ... وآخر قطن من يديه الجنادل
وقوله:

وإن ما ريتني فاركب حصاناً ... ومثله تخر له صريعا

وقوله:

إن كان لا يدعى الفنى إلا كذا ... رجلاً فسم الناس طراً أصبعا
وقوله:

قسا فالأسد تفزع من يديه ... ورق فنحن نفزع أن يذوبا
وقوله:

تألم درزة والدرز لين ... كما يتألم العصب الصنيعا
وعلى ذكر الدرز فقد حكى صاحب في كتاب الروزنامة من حديث لحظة الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا
البيت، وهو أنه قال: سمعتها تقول: يا جارية، علي بالقميص المعمول في النسج، فقد آذاني نقل الدروز.
وقوله:

لسري لباسه خشن القط ... ن ومروي مرو لبس القروذ
وقوله:

ما أنصف القوم ضبه ... وأمه الطرطبه
رموا برأس أبيه ... وباكوا الأم غلبه
وقوله:

بياض وجه يريك الشمس طالعة ... ودر لفظ يريك الدر محلشا
وقوله:

إن كان مثلك كان أو هو كائن ... فبرئت حينئذ من الإسلام
قال صاحب: " حينئذ "، ههنا من غير منفلت .

قال: ومن ركيك صنعه، في وصف شعره، والزراية على غيره، قوله:

إن بعضاً من القريض هراء ... ليس شيئاً، وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والذه ... ن، ومنه ما يجلب البرسام

وقال: ههنا بيت نرضى باتباعه فيه، وما ظنك بمحكم مناوية ثقة بظهور حقه وإبراء زنده؟، ولو لم يكن التحكيم

بعد أبي موسى من موجب العزم، ومقتضى الحزم، وهو:

أطعناك طوع الدهر يا ابن يوسف ... بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
وقوله:

تقضم الجمر والحديد الأعادي ... دونه قضم سكر الأهواز
وقوله:

فكأنما حسب الأسنة حلوة ... أو ظنها البرني والآزادا

قال صاحب: إذا جمع السكر إلى البرني والآزاد تم الأمر.

قال: وكانت الشعراء تصف المآزر، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى
التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال:

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف.

قال القاضي: ومن أمثاله العامية قوله:
وكل مكان أتاه الفتى ... على قدر الرجل فيه الخطى

ومنها

إبعاد الاستعارة والخروج بها عن حدها

كقوله:

مسرة في قلوب الطيب مفرقتها ... وحسرة في قلوب البيض واليلب

وقوله:

تجمعت في فؤادهم همم ... ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله:

لم يحك نائلك السحاب، وإنما ... حمت به فصبيها الرخصاء

وقوله:

إلا يشب حلواء البنين على الصبا ... فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل
فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً، وللسحاب حمى، وللزمان فؤاداً، وللكبد شيئاً، وهذه استعارات لم تجر
على شبه قريب ولا بعيد، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة، وطرق من الشبه
والمقاربة.

قال صاحب: وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

فخف علينا بخلواء البنين.

ومنها

الاستكثار من قول ذا

قال القاضي: وهي ضعيفة في صناعة الشعر، دالة على التكلف، وربما وافقت موضعاً تليق به فاكتست قبولاً،
فأما في مثل قوله:

قد بلغت الذي أردت من الب ... ر ومن حق ذا الشريف عليك

وإذا لم تسر إلى الدار في وق ... تك ذا خفت أن تسير إليك

وقوله:

لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو ... عقلت بمولد نسلها حواء

وقوله:

عن ذا الذي حرم الليوث كماله ... تنسى الفريسة خوفه لجماله

وقوله:

وإن بكينا له فلا عجب ... ذا الجزر في البحر غير معهود

وقوله:

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم ... قفاه على الإقدام للوجه لاثم

وقوله:

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً ... إليه، وذا الوقت الذي كنت راجيا

وقوله:

وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجب

وقوله:

أريد من زمي ذا أن يبلغني ... ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

وقوله:

يضاحك في ذا اليوم كل حبيبة

فهو - كما تراه - سخافة وضعف، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً، واخذثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة، أو على سبيل الغلط والقلته.

ومنها

الإفراط في المبالغة

والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله:

ونالوا ما اشتهاوا بالخزم هوناً ... وصاد الوحش غلهم ديباً

وقوله:

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت ... بالخیل في لهوات الطفل ما سعلوا

وقوله:

وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالاً

وأقسم لو صلحت يمين شيء ... لما صلح العباد له شمالاً

وقوله:

بمن أضرب الأمثال؟ أم من أقيسه ... إليك وأهل الدهر دونك والدهر؟

وقوله:

ولو قلم ألقى في شق رأسه ... من السقم ما غيرت من خط كاتب
وقوله:

من بعد ما كان ليلي لا صباح له ... كأن أول يوم الحشر آخره
فهو مما يستهجن في صنعة الشعر، على أن كثيراً من النقدة لا يرتضون هذا الإفراط كله.

ومنها

تكرير اللفظ في البيت الواحد

من غير تحسين

كقوله:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجهل علمي أنه بي جاهل
وقوله في هذه القصيدة:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا ... قلاقل عيس كلهن قلاقل
قال صاحب: وما زال الناس يستبشعون قول مسلم:

سلت وسلت ثم سل سليلها ... فأتى سليل سليلها مسلولا
حتى جاء هذا المبدع فقال:

وأفجع من فقدنا من وجدنا ... قبيل الفقد مفقود المثال
وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي.
وقوله:

عظمت فلما لم تكلم مهابة ... تواضت وهو العظم عظماً عن العظم
قال صاحب: وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده:

فما للنوى جد النوى قطع النوى ... كذاك النوى قطعة لوصال

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله! وقوله:

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف
وقوله:

ولم أر مثل جبراني ومثلي ... كمثلي عند مثلهم مقام
وقوله:

العارض الهتن ابن العارض الهتن اب ... ن العارض الهتن ابن العارض الهتن
وقوله:

وإني وإن كان الدفين حبيبه ... حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي
وقوله:

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى ... وغيري بغير اللاذقية لاحق
وقوله:

ملولة ما تدوم ليس لها ... من ملل دائم بها ملل
وقوله:

قبيل أنت أنت وأنت منهم ... وجدك بشر الملك الهمام
وقوله:

وكلكم أتى مأتى أبيه ... فكل فعال كلكم عجاب
وقوله:

وما أنا وحدي قلت الشعر كله ... ولكن شعري فيك من نفسه شعر
وقوله:

إنما الناس حيث أنت، وما لنا ... س بناس في موضع خالي
وقوله:

ولولا تولى نفسه حمل حمله ... عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل
وقوله:

ونهب نفوس أهل النهب أولى ... بأهل النهب من نهب القماش
وقوله:

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده
وقوله:

أراه صغيراً قدرها عظم قدره ... فما لعظيم قدره عنده قدر
وقوله:

جواب مسائلي أله نظير ... ولا لك في سؤالك لا ألا
قال صاحب: ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً، وقد سمعت الفأفاء، ولم أسمع باللائاء، حتى رأيت هذا
المتكلف المتعسف، الذي لا يقف حيث يعرف.

ومنها

إساءة الأدب بالأدب

كقوله:

فعدداً أسيراً قد بللت ثيابه ... وبل ببوله الأفخاذا
وقوله:

وما بين كاذبي المستغبر ... كما بين كاذبي البائل
وقوله:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فإن لحت حاضت في الخدور العوائق
ويقال: لما أنكرت عليه " حاضت " غيره فجعله " ذابت " ، وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة
الملوك والرؤساء.

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة، ويعزیه عنها حيث يقول:

وهل سمعت سلاماً لي ألم بها ... فقد أطلت وما سلمت عن كشب

وما باله يسلم على حرم الملوك، ويذكر منهن ما يذكره في قوله:

يعلمن حين تحي حسن مبسمها ... وليس يعلم إلا الله بالشنب

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها، وضربت عنقه على قبرها،

قال صاحب: ولقد مررت على مريثة له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس، على سوء أدب النفس، وما
ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله:

بعيشك هل سلوت فإن قلبي ... وإن جانب أَرْضك غير سالي؟

فيتشوق إليها، ويخطئ خطأ لم يسبق إليه، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله، فأما استعماله إياه في هذا

الموضع فдал على ضعف البصر بمواقع الكلام، وفي هذه القصيدة:

رواة العز فوقك مسبطر ... وملك علي ابنك في كمال

ولعل لفظه السبطرار في مرثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال: ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع
قال:

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدته ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواربها.

أتتهن المصائب غافلاتفدمع الحزن في دمع الدلال!؟ومنها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخير الشاعر، ولكن للإسلام حقه من

الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونشراً، ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما

يتعلق به في موضع استحقيقه، فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته، وكثيراً ما قرع استحقيقه،

فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله:

يترشفن من فمي رشفات ... هن فيه أحلى من التوحيد

وقوله:

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ... ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي:

وأبهر آيات التهامي أنه ... أبوكم، وإحدى مالكم من مناقب

وقوله:

تنقاصر الأفهام عن إدراكه ... مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

وقد أفرط جداً؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .
وقوله:

الناس كالعابدين آلهة ... وعبدته كالموحد اللاها
وقوله:

لو كان علمك بالإله مقسماً ... في الناس ما بعث الإله رسولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل ال ... تورا والفرقان والإنجيلا
وقوله:

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه ... لما أتى الظلمات صرن شمساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه ... في يوم معركة لأعيا عيسى
عازر: اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام، بإذن الله عز وجل.
أو كان لج البحر مثل يمينه ... ما انشق حتى جاز فيه موسى
وكأن المعاني نلوذ من الزمان بظله ... أبداً، ونطرد باسمه إبليس
وقوله وقد جاز حد الإساءة:

أي محل أرتقي؟! ... أي عظيم أتقي؟!
وكل ما خلق ال ... ه وما لم يخلق
محتقر في همي ... كشعرة في مفريقي
وقبيح بمن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قدرة، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة، أن يقول مثل هذا الكلام
الذي لا تسعه معذرة.

ومنها

الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله:

أغار من الزجاج وهي تجري ... على شفة الأمير أبي الحسين
وهذه الغيرة إنما تكون بين الحب ومحبيه، كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن:
أغار إذا دنت من فيه كأس ... على در يقبله الزجاج

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهاها! وكقوله:

وغر الدمستق قول الوشا ... ة إن علياً ثقیل وصب
فجعل الأمراء يوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها " من الرعية " ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على
عدوه، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس في اللغة أن يقال: وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته.
وكقوله في وصف الحمى المعركة:

إذا ما فارقطني غسلتني ... كأنا عاكفان على حرام
وليس الحرام أخص بالأغتسال منه من الحلال.
وكقوله في وصف مهرة:
وزاد في الأذن على الخرائق
وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب، وتشبه بطرف القلم، وأذن الأرنب، على الضد من هذا الوصف.

ومنها

امتنال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة، ومعانيهم المغلقة، في مثل قوله في وصف فرس:
وتسعدني في غمرة بعد غمرة ... سيوح لها منها عليها شواهد
وقوله:
إذا ما الكأس أروعشت اليدين ... صحوت فلم تحل بيني وبين
وقوله:
نال الذي نلت منه مني ... لله ما تصنع الخمورا!
وقوله:
كبر العيان علي حتى إنه ... صار اليقين من العيان توها
وقوله:
ولولا أنني في غير نوم ... لكنت أظني مني خيالا
قال صاحب: ولو وقع قوله:
نحن من ضايق الزمان له في ... لك، وخانته قربك الأيام
في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعت المتصوفة دهرًا بعيداً.
ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله:
ولنك الدنيا إلي حبيبة ... فما عنك لي إلا إليك ذهاب

ومنها

الخروج عن طريق الشعر

إلى طريق الفلسفة كقوله:
ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهى، ومن السرور بقاء
وقوله:
والأسى قبل فرقة الروح عجز ... والأسى لا يكون قبل الفراق

وقوله:

إلف هذا الهوى أوقع في الآن ... فس أن الحمام مر المذاق

وقوله:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في الشجب

فقليل: تخلص نفس المرء سائلة، ... وقيل: تشرك جسم المرء في العطب

وقوله:

خلفت صفاتك في العيون كلامه ... كاخلط يملأ مسمعي من أبصرا

وقوله:

تمتع من سهاد أو رقاد ... ولا تأمل كرى تحت الرجام

فإن لثالث الحالين معنى ... سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني: أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها.

ومنها

استكراه التخلص

قال القاضي: لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكراً إلا قوله:

أحبك أو يقولوا: جر نمل ... ثيراً وابن إبراهيم ريعا

فأما قوله:

فأفنى وما أفنته نفسي، كأنما ... أبو الفرج القاضي له دوها كهف

وقوله:

لو استطعت ركبت الناس كلهم ... إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله:

أعز مكان في الدنا سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتاب

وبحر أبو المسك الخضم الذي له ... على كل بحر زخرة وعباب

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط.

ومنها

قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان، وترقى الدرجة العالية، وهي:

ولله سر في علاك، وإنما ... كلام العدا ضرب من الهذيان

أتلّمس الأعداء بعد الذي رأيت ... قيام دليل أو وضوح بيان؟

رأت كل من ينوي لك الغدر بيتلي ... بغدر حياة أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنك واحد ... وليس بقاض أن يرى لك ثاني
فما لك تختار القسي، وإنما ... عن السعد ترمي دونك الثقلان
وما لك تعنى بالأسنة والقنا ... وجدك طعان بغير سنان؟!
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ... وأنت غني عنه بالحدثان
أرد لي جهيلاً أو لم تجد به ... فإنك ما أحببت في أتاني
هذا البيت الذي هو عودتها.

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه ... لعوقه شيء عن الدوران
وقوله في قصيدة منها:
في خطة من كل قلب شهوة ... حتى كأن مداده الأهواء
ولكل عين قرة في قربه ... حتى كأن مغيبه الأقداء
هذا البيت الذي جعله المقطع.
لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمتم بمولد نسلها حواء
وكقوله في آخر القصيدة:
خلت البلاد من الغزاة ليلها ... فأعاضهاك الله كي لا تحزنا
هذا آخر المقابح والمعائب، وأول الاخاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم،
وسبق جميع من تأخر.

فمنها

حسن المطالع

كقوله:
فدينك من ربع وإن زدتنا كربا ... فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا
وقوله:
الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول، وهي الخل الثاني
فإذا هما اجتماعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان
وقوله:
إذا كان مدح فالنسيب المقدم ... أكل فصيح قال شعراً متيم؟
حب ابن عبد الله أولى: فإنه ... به يبدأ الذكر الجميل ويختتم
وقوله:

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل ... والطعن عند مجيئهن كالقيل
وقوله:

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما يهب اللثام
وقوله:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من أهم أخلاهم من الفطن
وقوله:

اليوم عهدكم فأين الموعد ... هيهات ليس ليوم عهدكم غد؟
الموت أقرب محلباً من بينكم ... والعيش أبعد منكم لا تبعدوا
وقوله:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك الأثم

ومنها

حسن الخروج والتخلص

كقوله:

مرت بنا بين تربيها فقلت لها: ... من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت: كالمغيث ... يرى ليث الشرى وهو من عجل لا إذا انتسبا
وقوله:

وغيث ظننا تحته أن عامراً ... علا لم يمت أوفى السحاب له قبر
وقوله:

وإلا فخانتني القوافي، وعاقني ... عن ابن عبيد الله ضعف العزائم
إذا صلت لم أترك مصالاً لصائل ... وإن قلت لم أترك مقالاً لعالم
وقوله:

نودعهم والبين فينا كأنه ... قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فييق
وقوله:

قمقانب بمقانب غادرتهما ... أقوات وحش كن من أقواتهما
أقبلتها غرر البلاد كأنما ... أيدي بني عمران في جبهاتها
وقوله:

حديق يذم من القواتل غيرها ... بدر بن عمار بن إسماعيل
وقوله:

ولو كنت في أسر غير الهوى ... ضمننت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان النضار ... وأعطى صدور القنا الذابل

ومنها

النسيب بالأعرابيات

كقوله:

من الجآذر في زي الأعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب؟
إن كنت تسأل شكاً في معارفها ... فمن بلاك بتسهيّد وتعذيب؟
سوائر ربما سارت هوادجها ... منيعة بين مطعون ومضروب
أي: لكثرة الرغبة فيهن، وشدة الذب عنهن، والمخاربة دونهن.
وربما وخذت أيدي المطي بها ... على نجيع من الفرسان مصبوب
كم زروة لي في الأعراب خافية ... أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثي وبياض الصبح يغري بي
قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه، وجودة تقسيمه، وكونه أمير شعره.
قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها ... وخالفوها بتقويض وتطبيب
فؤاد كل محب في بيوتهم ... ومال كل أخيز المال محروب
ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب
أفدي طباة فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صيغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة ... أوراكنهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست موهة ... تركت مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته ... رغبت عن شعر في الوجه مكذوب
وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن.
وله طريقة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها، فمنها قوله:
هام الفؤاد بأعرابية سكنت ... بيتاً من القلب لم تضرب به طنباً
مظلومة القد في تشبيه غصناً ... مظلومة الريق في تشبيه ضرباً
وقوله:

إن الذين أقمت واحتملوا ... أيامهم لديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا ... معهم، وينزل حيثما نزلوا
في مقلتي رشاً تديرهما ... بدوية فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها ... وصدورها ومن الذي تصل
وصفتها بقلّة الطعم، وهي محمودّة في نساء العرب.
ما أسأرت في القعب من لبن ... تركته وهو المسك والعسل

قالت ألا تصحو فقلت لها ... أعلمتني أن الهوى ثمل
وقوله:

ديار اللواتي دارهن عزيزة ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان الشني ينقش الوشي مثله ... إذا مسن في أجسادهن النواعم
ويسمن عن در تقلدن مثله ... كأن التراقي وشحت بالمباسم

ومنها

حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله:

قد كان يمنعني الحياء من البكا ... فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتى كأن لكل عظم رنة ... في جلده ولكل عرق مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرة ... سترت محاسنها ولم تك برقعها
فكأنها والدمع يقطر فوقها ... ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا
وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة.
وكقوله:

أيدري الربع أي دم أراقا؟ ... وأي قلوب هذا الركب شاقا؟
لنا ولأهلله أبداً قلوب ... تلاقي في حسوم ما تلاقي
معناه ينظر إلى قول ابن المعتز:
إنا على البعاد والنفرك ... لنلتقي بالذكر إن لم نلتقي
ومنها:

فليت هوى الأحبة كان عدلاً ... فحمل كل قلب ما أطاقا
ومنها:

وقد أخذ التمام البدر فيهم ... وأعطاني من السقم الخاقا
وبين الفرع والقدمين نور ... يقود بلا أزمته النياقا
وطرف إن سقى العشاق كأساً ... بها نقص سقانيها دهاقا
وخصر تثبت الأحداق فيه ... كأن عليه من حدق نطاقا
وقوله:

كأنما قدها إذا انفتفت ... سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحت خصرها عجز ... كأنه من فراقها وجل

وقوله:

مثلت عينك في حشاي جراحة ... فتشأها كلتاها نجلاء
نفذت علي السابري، وربما ... تندق فيه الصعدة السمراء
وكقوله:

كأن العيس كانت فوق جفني ... مناخات فلما ثرن سالا
لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرون الغائر لا لحسن ... ولكن خفن في الشعر الضلالا

ومنها

حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله:

بدت قمراً، ومالت غصن بان ... وفاحت عنبراً، ورنّت غزالا
وقوله:

ترنو إلي بعين الظبي مجهشة ... وتمسح الطل فوق الورد بالعم
وقوله:

قمرأ ترى وسحابتين بموضع ... من وجهه ثقل ما تحوي مآزره
وقوله:

عرفت نوائب الحدثان حتى ... لو انتسبت لكنت لها نقيباً
وقوله:

فأتيت معتزماً ولا أسد ... ومضيت منهزماً ولا عل
وقوله في وصف الخيل:

خرجنا من النقع في عارض ... ومن عرق الركض في وابل
وقوله:

وجياد يدخلن في الحرب أعرا ... ويخرجن من دم في جلال
واستعار الحديد لوناً وألقى ... لونه في ذوائب الأطفال

ومنها

الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله:

وإن نهارى ليلة مدلهمة ... على مقلة من فقدكم في غياهب
بعيدة ما بين الجفون كأنما ... عقدتم أعالي كل هذب بحاجب
ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار:

جفت عيني عن النغميض حتى ... كأن جفونها عنها قصار
وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته:
ورأسي مرفوع إلى النجم كأنما ... قفائي إلى صليبي بحيط مخيط
وقوله:

كأن رقيباً منك سد مسامعي ... عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد العين يعيش مقلتي ... فيبينهما في كل هجر لنا وصل
وقوله:

رأيت الحميا في الزجاج بكفه ... فتشبهتها بالشمس في البدر في البحر
وقوله في الحمى:

وزئرتي كأن بها حياء ... فليس تزور إلا بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي
وقوله في وصف الظبي:

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلبي ... وعادة العري عن التفضل
كأنه مضمخ بصندل
وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث:

وما أنا غير سهم في هواء ... يعود ولم يجد فيه امتساكا
قال ابن جني: قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع، فقال قوم: إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا
فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما، ثم يتصوب منحدرًا. وقال آخرون: لا لبثة له هناك، وإنما أول
وقت انحداره وقت صعوده.

وقوله - وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نمكت صاحبها، واشتدت به، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته
تلك الحال وزادته صفاء وسهولة:

وربتما شفيت غليل صدري ... بسير أو مقام أو حسام
وضاقت خطة فخرجت منها ... خروج الخمر من نسج القدم
وقوله وهو مما لم يسبق إليه:

كريم نفضت الناس لما لقيته ... كأنهم ما جف من زاد قادم
وكاد سروري لا يفني بندامتي ... على تركه في عمري المتقادم
وقوله وهو من بدائع:

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً ... وقد وخط النواصي والفروعا

وقوله في وصف الشعر:

إذا خلعت على عرض له حلاً... وجدتها منه في أجمي من الحلال
بذي الغباوة من إنشادها ضرر... كما تضر رياح الورد بالجعل
وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه.

ومنها

التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله:

وإنما نحن في جبل سواسية... شر على الحر من سقم على البدن
حولي بكل مكان منهم خلق... تخطي إذا جئت في استفهامها بمن
" من " إنما يستفهم بما عمن يعقل، يقول: هؤلاء كالبهائم، فقولك لهم " من أنتم " خطأ، إنما ينبغي أن يقال لهم
" ما أنتم " لأن موضع " ما " لما لا يعقل، ويحكي أن جريراً لما قال:
يا حبذا جبل الريان من جبل... وحبذا ساكن الريان من كانا
قال الفرزدق: ولو كان ساكنه قروداً؟ فقال له جرير: لو أردت هذا لقلت ما كانا ولم أقل من كانا.

وكقوله:

نتاج رأيك في وقت على عجل... كلفظ حرف وعاه سامع فهم
وقوله:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته... أجاب كل سؤال عن هل بلم
وقوله:

أَمْضَى إِرَادَتِهِ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ... وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَتَمَّ لَهُ هُنَا
" سوف " للاستقبال، و " قد " موضوعاً للمضي ومقاربة الحال، يقول: إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته، وقوله:
دون التعانق ناحلين كشكلكي... نصب أدقهما وضم الشاكل
وقوله:

ولولا كونكم في الناس كانوا... هراء كالكلام بلا معان
وقوله:

قشير وبلعجان فيها خفية... كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق
وقوله:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع، مثل: أقوم، ونقوم وتقوم، ويقول: إذا نويت فعلاً أوقعته
قبل فوته. وقبل أن يقال لم يفعل، وأن يفعل، وقوله:

وكان ابنا عدو كاثراه ... له يآءي حروف أنيسيان
" أنيسيان " تصغير إنسان وتحقيره، وإنسان عدد حروفه خمسة، وهو اسم مكبر، فإذا صغرته زدت عليه ياءين
فزادت حروفه ونقص معناه، فكذلك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين،
لسقوطهما وتخلفهما.

ومنها

المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن، كقوله:
نميت من الأعمار ما لو حويته ... لهنت الدنيا بأنك خالد
قال ابن جني: لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان،
وهذا هو المدح الموجه، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه، ثم تلقاه من آخر البيت
بذكر سرور الدنيا ببقائه، واتصال أيامه، وكقوله:
عمر العدو إذا لاقاه في رهج ... أقل من عمر ما يحوي إذا وهبا
مال كأن غراب البين يرقبه ... فكلما قيل هذا مجتد نعبا
وقوله:

تشرق تيجانه بغرته ... إشراق ألفاظه بمعناها
وقوله:

تشرق أعلاضهم وأوجهم ... كأنما في نفوسهم شيم
وقوله:

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا له ... كأنهم فيما وهبت ملام
وقوله:

يخيل لي أن البلاد مسامعي ... وأني فيها ما تقول العواذل
وقوله:

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت ... على رماحهم في الطعن خرصانا

ومنها

حسن التصرف في مدح سيف الدولة

بجنس السيفية

كقوله:

لقد رفع الله من دولة ... لها منك يا سيفها منصل

وقوله:

لولا سمي سيوفه ومضاه ... لما سللن لكن كالأجفان

وقوله:

عزاءك سيف الدولة المقتدى به ... فإنك نصل والشدائد للنصل

وقوله:

يسمى الحسام وليست من مشابهة ... وكيف يشتهب المخدم والخدم

كل السوف إذا طال الضراب بمايمسها غير سيف الدولة السأم

وقوله:

قهاب سيوف الهند وهي حدائد ... فكيف إذا كانت نزارية عربا

وقوله:

تخير في سيف: ربيعة أصله ... وطابعه الرحمن، والمجد صاقل

وقوله:

قلد الله دولة سيفها أن ... ت حساماً بالمكرمات محلى

فإذا اهتز للندى كان بحراً ... وإذا اهتز للعدا كان نصلا

وقوله:

وأنت حسام الملك والله ضارب ... وأنت لواء الدين والله عاقد

وقوله:

لقد سل سيف الدولة الجند معلماً ... فلا الجند مخفيه ولا الضرب ثالمه

على عاتق الملك الأغرنجاده ... وفي يد جبار السموات قائمه

وإن الذي سمي علياً لمنصف ... وإن الذي سماه سيفاً لظالمه

وما كل سيف يقطع الهام حده ... وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقوله:

إن الخليفة لم يمسك سيفه ... حتى بلاك فكنت عين الصارم

وإذا تتوج كنت درة تاجه ... وإذا تختم كنت فص الخاتم

وقوله:

من للسيوف بأن تكون سميها ... في أصله وفرنده ووفائه

طبع الحديد فكان من أجناسه ... وعلي المطبوع من آبائه

ومنها

الإبداع في سائر مدائحه

كقوله:

ملك سنان قناته وبنانه ... يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدور من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً
كالبحر يقذف للقريب جواهرأ ... جوداً، ويبعث للبعيد سحائباً
وقوله:

ليس التعجب من مواهب ماله ... بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأعمل ... ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مر يركض في سطور كتابه ... أحصى بحافر مهره ميماتها

كرم تبين في كلامك ماثلاً ... ويبين عتق الخيل في أصواتها
أعيا زوالك عن محل نلته ... لا تخرج الأقمار من هالاتها
فيه مدح، ومثل مضروب، وتشبيه نادر.

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة ... أنت البديع الفرد من أبياتها
وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة، وكقوله:
وما زلت حتى قادني الشوق نحوه ... يسايرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر
هذا ضد قولهم " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه " :
أزالت بك الأيام عتي كأثماً ... بنوها لها ذنب وأنت لها عذر
وكقوله:

ألا أيها المال الذي قد أباده ... تعز فهذا فعله بالكتائب
لعلك في وقت شغلت فؤاده ... عن الجود أو أكثر جيش محارب
وقوله:

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي ... فكأن القتال قبل التلاقي
وتكاد الطبما عودوها ... تنتضي نفسها إلى الأعناق
كل ذمر يزيد في الموت حسناً ... كبذور تمامها في الخاق
كرم خشن الجوانب منهم ... فهو كالماء في الشفار الرقاق
ومعال إذا ادعاه سواهم ... لزمته جناية السراق
وكقوله:

خير أعضائنا الرءوس ولكن ... فضلتها بقصدك الأقدام
وكقوله:

قوم بلوغ الغلام عندهم ... طعن نحر الكمأة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم ... لا صغر عاذر ولا هرم
إذا تولوا عداوةً كشفوا ... وإن تولوا صنيعاً كنتموا
تظن من فقدك اعتدادهم ... بأنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحثوف حاضرة ... أو نطقوا فالصواب والحكم
أو شهدوا الحرب لاقحاً أخلوا ... من مهج الدارعين ما احتكموا
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا ... فقولهم " خاب سائلي " القسم
أو ركبوا الخيل غير مسرجة ... فإن أفخاذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم ... كأنها في نفوسهم شيم
أعيذك من صروف دهركم ... فإنه في الكرام متهم
وكقوله:

الناس ما لم يروك أشباه ... والدهر لفظ وأنت معناه
والجود عين وأنت ناظره ... والبأس اع وأنت يمناه
يا راحلاً كل من يودعه ... مودع دينه ودنياه
إن كان فيما تراه من كرم ... فيك مزيد فزادك الله
وكقوله:

تمشي الكرام على آثار غيرهم ... وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
من كان محل الشمس موضعه ... فليس يرفعه شيء ولا يضع
وكقوله:

فلما رأوه وحده دون جيشه ... دروا أن كل العالمين فضول
وكقوله:

وأوردتهم صدر الحصان وسيفه ... فتى بأسه مثل العطاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله ... ولكنه بالدارعين بخيل
وكقوله:

أرى كل ذي ملك إليك مصيره ... كأنك بحر والملوك جداول
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة ... فوابلهم طل وطللك وابل
وقوله:

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً ... وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يتبعون إمامهم ... وأنت لأهل المكرمات إمام
ورب جواب عن كتاب بعثته ... وعنوانه للناظرين قتام
وكقوله:

هم المحسنون الكر في حومة الوغى ... وأحسن منهم كرههم في المكارم

ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ... ولكنها معدودة في البهائم
وكقوله:

أغر أعداؤه إذا سلموا ... بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشر إذا وهبوا ... ما دون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبة لست ربما نفل ... وبلدة لست حليها عطل
وكقوله:

لو كفر العالمون نعمته ... لما عدت نفسه سجايها

كالشمس لا تبتغي بما صنعت ... منفعة عندهم ولا جاها
وكقوله:

فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... وخلت بياضاً خلفها ومآقيا
وهذا أحسن ما يمدح به ملك أسود، ولا نهاية لحسنه، وشرف معناه، وجودة تشبيهه وتمثيله:
ترفع عن عون المكارم فعله ... فما يفعل الفعلات إلا عذاريا
أبا كل طيب، لا أبا المسك وحده ... وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر ... وقد جمع الرحمن فيك المعاني
ألم فيه بقول أبي نواس:

كأنما أنت شيء ... حوى جميع المعاني

ومنها

مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة الحبوب والصدیق، مع الإحسان والإبداع وهو مذهب له: تفرد به، واستكشر من سلوكه، اقتداراً
منه، وتبحراً في الألفاظ والمعاني، وفعاً لنفسه عن درجة الشعراء، وتدرجاً لها إلى مماثلة الملوك، في مثل قوله
لكافور:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوئ يبغي عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا ... وغربت، أني قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الود فالمال هين ... وكل الذي فوق التراب تراب
وقوله له " وقد أهدها مهراً أسوداً " :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها ... بقلب المشوق المستهام المتيهم
وقوله لابن العميد يودعه:

تفضلت الأيام بالجمع بيننا ... فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

فجد لي بقلب إن رحلت فإنني ... مخلف قلبي عند من فضله عندي
وقوله لعضد الدولة:

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت حفظت طري ... فلم أبصر به حتى أراكا
من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز، سأكتبها في آخر الباب.
وكقوله لسيف الدولة:

ما لي أكتم حباً قد برى جسدي ... وتدعي حب سيف الدولة الأمم؟
إن كان يجمعنا حب لغرته ... فليت أنا بقدر الحب نفتسم
يا أعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظن أن الليث يبتسم
أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم
يا من يعز علينا أن نفارقهم ... واجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة ... لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا، لو رعيتم ذاك، معرفة ... إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ... أنا الثريا وذان الشيب والهزم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه ... يزيلهن إلى من عنده الديم
أرى النوى تقتضي كل مرحلة ... لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركنا ضميراً عن ميامنا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ألا تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد بلاد لا صديق بها ... وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتي قنص ... شهب البزاة سواء فيه والرخم
وهي - على براعتها، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها - تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب، وقد تقدم ذكره.

ومنها

استعمال ألفاظ الغزل والنسيب

في أوصاف الحرب والجد وهو أيضاً مما لم يسبق إليه، وتفرد به، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل، وأعرب عن
جودة التصرف والتلاعب بالكلام، كقوله:

أعلى الممالك ما يبني على الأسل ... والطعن عند محبيهن كالقيل
وقوله، وهو من فرائده:

شجاع كأن الحرب عاشقة له ... إذا زارها فدته بالخييل والرجل
وكقوله:

وكم رجال بلا أرض لكثرتم ... تركت جمعهم أرضاً بلا رجل
وما زال طرفك يجري في دمائهم ... حتى مشى بك مشي الشارب الشمل
وكقوله:

والطعن شزر والأرض واجفة ... كأنما في فؤادها وهل
قد صبغت خدها الدماء كما ... يصبغ خد الخريدة الخجل
والخييل تبكي جلودها عرقاً ... بأدمع ما تسحها مقل
وكقوله:

تعود أن لا تقضم الحب خيله ... إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها ... من الدم كالريحان تحت الشقائق
وكقوله:

فأنتك دامية الأطل كأنما ... حذيت قوائمها العقيق الأحمر
وإذا الحمائل ما يحدن بنفنف ... إلا شققن عليه برداً أخضرا
وكقوله:

قد سودت شجر الجبال شعورهم ... فكأن فيه مسفة الغربان
وجرى على الورق النجيع القاني ... فكأنه النارج في الأغصان
وكقوله:

حمى أطراف فارس شمري ... يحض على التباقي في التفاني
بضرب هاج أطراب المنايا ... سوى ضرب المثالث والمثاني
كأن دم الجماجم في العناصي ... كسا البلدان ريش الحيقطان
فلو طرحت قلوب العشق فيها ... لما خافت من الحدق الحسان
وكقوله:

كرعن بسبت في إناء من الورد

ومنها

حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين، قال: سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف:

وصالكم هجر، وحكم قلى ... وعطفكم صد، وسلمكم حرب
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظة ... وكل ذلول من مراكمكم صعب
فقال: والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا الفن أولى بهذا الوصف:
ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ... ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذل، والروم في وجل ... والبر في شغل، والبحر في خجل
وكقوله:

الدهر معتذر، والسيف منتظر ... وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي ما نكحوا، والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا، والنار ما زرعوا
وقوله:

فلم يخل من نصر له من له يد ... ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل من أسمائه عود منبر ... ولم يخل دينار ولم يخل درهم
وقوله:

قليل عائدي، سقم فؤادي ... كثير حاسدي، صعب مرامي
عليل الجسم ممتنع القيام ... شديد السكر من غير المدام
وقوله:

بمصر ملوك لهم ما له ... ولكنهم ما لهم همه
فأجود من جودهم بخله ... وأحمد من حمدهم ذمه
وأشرف من عيشهم موته ... وأنفع من وجدهم عدمه
وقوله:

لم نفتقد بك من وزن سوى لثق ... ولا من البحر غير الريح والسفن
ولا من الليث إلا قبح منظره ... ومن سواه سوى ما ليس بالحسن
وقوله:

يجل عن التشبيه: لا الكف لجة ... ولا هو ضرغام، ولا الرأي مخذم
ولا جرحه يؤسى، ولا غوره يرى ... ولا حده ينبو ولا يتسلم
مهلك مقصود، وشانيك مفحم ... ومثلك مفقود، ونيلك خضرم
وقوله:

أذم إلى هذا الزمان أهيله ... فأعلمهم فدم، وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب، وأبصرهم عم، ... وأسهدهم فهد، وأشجعهم قرد
وقوله:

وغناك مسألة، وطيشك نفحة ... ورضاك فيشلة، وربك درهم

وقوله:

عربي لسانه، فلسفي ... رأيه، فارسية أعياده

وقوله:

سقتني بها القطربلي مليحة ... على كاذب من وعدها ضوء صادق
سهاد لأجفان، وشمس لناظر، ... وسقم لأبدان، ومسك لناشق
وأغيد يهوى نفسه كل عاقل ... عفيف، ويهوى جسمه كل فاسق

ومنها

حسن سياقة الأعداد

كقوله:

على ذا مضى الناس: اجتماع وفرقة ... وميت ومولود، وقال ووامق
وقوله:

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً ... ولا فيه مراتب، ولا منه عاصم
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا ... وراجيك والإسلام أنك سالم
وقوله:

لا يستحي أحد يقال له ... فضولك آل بويه أو فضلوا

قدروا عفواً، وعدوا وفوا، سئلوا ... أغنوا، علوا أعلوا، ولوا عدلوا
وقوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

ورب جواب عن كتاب بعثته ... وعنوانه للناظرين ق تمام

حروف هجاء الناس فيه ثلاثة: ... جواد، ورمح ذابل، وحسام

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً، اقتداراً واتساعاً في الصنعة، وقوله:

ومرهف سرت بين الجحفلين به ... حتى ضربت وموج الموت يلتطم

فالحيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جني: قد سبق الناس إلى ما ذكر ما جمعه في هذا البيت، ولكن لم يجتمع مثله في بيت ما علمت، وقد قال

البحثري:

اطلبا ثالثاً سواي فإني ... رابع العيس والدجى والبيد

وهذا اللفظ عذب، ولكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي، وقوله:

أنت الجواد بلا من ولا كدر ... ولا مطال ولا وعد ولا مذل

وقوله:

بي حر شوق إلى ترشفها ... ينفصل الصبر حين يتصل

فالتغر والفجر والمخلخل وال ... معصم دائي، والفاحم الرجل
وقوله:
ولكن بالفسطاط بجرأ أزرته ... حياقي ونصحي والهوى والقوافيا
وقوله:
أميناً وإخلافاً وغدراً وخسة ... وجبناً، أشخصاً لحت لي أم مخازيا؟

ومنها

إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله:
مصائب قوم عند قوم فوائد
وقوله:
ومن قصد البحر استقل السواقيا
وقوله:
وخير جليس في الزمان كتاب
وقوله:
إن المعارف في أهل النهى ذمم
وقوله:
وربما صحت الأجسام بالعلل
وقوله:
وفي الماضي لمن بقي اعتبار
وقوله:
وتأبى الطباع على الناقل
وقوله:
ومنفعة الغوث قبل العطب
وقوله:
هيهات تكتم في الظلام مشاعل
وقوله:
ومخطئ من رميه القمر
وقوله:
وما خير الحياة بلا سرور
وقوله:

بجبهة العير يفدى حافر الفرس
وقوله:

ولا رأي في الحب للعاقل
وقوله:

ولكن طبع النفس للنفس قائد
وقوله:

وليس يأكل إلا الميت الضيع
وقوله:

كل ما يمنح الشريف الشريف
وقوله:

والجوع يرضي الأسود بالجيف
وقوله:

ومن فرح النفس ما يقتل
وقوله:

ويستصحب الإنسان من لا يلائمه
وقوله:

إن النفيس غريب حيثما كانا
وقوله:

فمن الرديف وقد ركبت غضنفرًا
وقوله:

إذا عظم المطلوب قل المساعد
وقوله:

ومن يسد طريق العارض المطل
وقوله:

وأدنى الشرك في نسب جوار
وقوله:

وفي عنق الحسناء يستحسن العقد
وقوله:

لا تخرج الأقمار من هالاتها
وقوله:

إن النفوس عدد الآجال
وقوله:

ولكن صدم الشر بالشر أحزم
وقوله:

أنا الغريق فما خوفي من الليل
وقوله:

أشد من السقم الذي أذهب السقما
وقوله:

فإن الرفق بالجاني عتاب
وقوله:

إن القليل من الحبيب كثير
وقوله:

بغض إلي الجاهل المتعافل
وقوله:

وليس كل ذوات المخلب السبع
وقوله:

وللسيوف كما للناس آجال
وقوله:

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وقوله:

فأول قرح الخيل المهار
وقوله:

والر أوسع والدنيا لمن غلبا
وقوله:

ليس التكحل في العينين كالكحل
وقوله:

ويبين عتق الخيل في أصواتها

ومنها

استرسال المثالين

في مصراعي البيت الواحد

كقوله:

وكل امرئ يولي الجميل محب ... وكل مكان ينبت العز طيب

وقوله:

في سعة الخافقين مضطرب ... وفي بلاد من أختها بدل

وقوله:

الحب ما منع الكلام الألسنا ... وألذ شكوى عاشق ما أعلننا

وقوله:

ذل من يغط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

وقوله:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وقوله:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من أهم أحلامهم من الفطن

وقوله:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقوله:

لا تشتتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقوله:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

وما قتل الأحرار كالغفو عنهم ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

وقيدت نفسي في ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيلاً تقيدا

ومنها

إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها

كقوله:

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

وقوله:

يخفي العداوة وهي غير خفية ... نظر العدو بما أسر ييوح

وقوله:

والأمر لله، رب مجتهد ... ما خاب إلا لأنه جاهد

وقوله:

إليك فإني لست ممن إذا اتقى ... عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله:

خير الطيور على القصور، وشرها ... يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وقوله:

ليس الجمال لوجه صح مارنه ... أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وقوله:

وليس يصح في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

قال ابن جني: هذا كما يقول أهل الجدل " من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل " .

وقوله:

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ... ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ... إذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقوله:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقوله:

وأحب أي لو هويت فراقكم ... فارقتة والدهر أحيث صاحب

وقوله:

من خص بالدم الفراق فإني ... من لا يرى في الدهر شيئاً يحمد

وقوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بد

وقوله:

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

وقوله:

تلف الذي اتخذ الشجاعة جنة ... وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً

وقوله:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً ... فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وقوله:

وإذا خفيت على الغبي فعاذر ... أن لا تراني مقلّة عمياء

وقوله:

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا ... منها رضاك ومن للهور بالحول؟!
وقوله:

فأجرك الإله على مريض ... بعثت به إلى عيسى طيباً
وقوله:

إذا أتت الإساءة من لئيم ... ولم ألم المسيء فمن ألوم
وقوله:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني فاضل
وقوله:

إذا ما قدرت على نطقة ... فإني على تركها أقدر
وقوله:

واحتمال الأذى ورؤية جاني ... ه غداء تضوي به الأجسام
وقوله:

وتوهوا اللعب الوغى والطعن في ال ... هيجاء غير الطعن في الميدان
وقوله:

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزلا
وقوله:

ومن الخير ببطء سبيك عني ... أسرع السحب في المسير الجهم
وقوله:

وليس الذي يتبع الويل رائداً ... كمن جاءه في داره رائد الويل
وقوله:

أبلغ ما يطلب النجاح به ال ... طبع، وعند التعمق الزلل
وقوله:

كم من مخلص وعلاً في خوض مهلكة ... وقتلة قرنت بالدم في الجبن
وقوله:

وما قلت للبدر أنت اللجين ... ولا قلت للشمس أنت الذهب
ومن ركب الثور بعد الجوا ... د أنكر أظلافه والغيب
وقوله:

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب ... فقر الحمار بلا رأس إلى رسن
لا يعجبن مضيقاً حسن بزته ... وهل يروق دفيناً جودة الكفن
وقوله:

إذا ما الناس جرهم لبيب ... فإني قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودهم إلا خداعاً ... ولم أر دينهم إلا نفاقاً
وقوله:

ذريني أنل من لا ينال من العلا ... فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل
وقوله:

تمن يلد المستهام بمثله ... وإن كان لا يغني فتياً ولا يجدي
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا ... ولكنه غيظ الأسير على القد
وقوله:

ومكائد السفهاء واقعة بهم ... وعداوة الشعراء بنس المقتني
لعتن مقاربة اللثيم فإنها ... ضيف يجر من الندامة ضيفنا
وقوله:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شيأها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب
وقوله:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى منها وما يتوقع
ولن يغالط في الحقائق نفسه ... ويسومها طلب الخال فتطمع
كأنه مأخوذ من قول لبيد:

أكذب النفس إذا حدثها ... إن صدق النفس يزري بالأمل
وكقوله:

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا ينحلل في الجد مالك كله ... فينحل مجد كان في المال عقده
ودبره تدبير الذي الجد كفه ... إذا حارب الأعداء والمال زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
إذا كنت في شك من السيف فابله ... فإما تنفيه وإما تعده
وما الصارم الهندي إلا كغيره ... إذا لم يفارقه النجاد وغمده
وقوله:

إنما تنجح المقالة في المر ... إذا وافقت هوى في الفؤاد
وإذا الحلم لم يكن في طبع ... لم يحلم تقادم الميلا
إنما أنت والد، والأب القا ... طع أحنى من واصل الأولاد
وقوله:

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له ... إذا لم يكن في فعله والخلاق
وما بلد الإنسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الأصا

وجائزة دعوى المحبة والهوى ... وإن كان لا يخفى كلام المنافق
وما يوجع الحرمان من كف حارم ... كما يوجع الحرمان من كف رازق
وقوله:

إنما أنفـس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتـيالا
من أطاق التماس شيء غلاباً ... واقتسار لم يلتمسه سؤالا
كل غاد حاجة يتمنى ... أن يكون الغضنفر الرئبالا
وقوله:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال
وقلما يبلغ الإنسان غايته ... من كل ماشية بالرجل شمال
إنما لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإجمال
ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ... ما قاته، وفضول العيش أشغال
وقوله:

يرى الجبناء أن العجز حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيم
قيل له: أنى يكون الشجاع حكيماً؟ فقال: هذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه!
وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه ... على قدر القرائح والعلوم
وقوله:

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى ... يققاً يميت ولا سواداً يعصم
والهم يحترم الجسيم نخافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يخذعنك من عدو دمعه ... وارحم شبابك من عدو يرحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
قال ابن جني: أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين.
وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر، وقدرة على الإبداع ظاهرة.
والظلم من شيم النفوس، فإن تجد ... ذا عفة فلعله لا يظلم
ومن البلية عدل من لا يرعوي ... عن جهله، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
وقوله:

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صباً
فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا
وقوله:

وفيك إذا جنى الجاني أناة ... تظن كرامة وهي احتقار
بنو كعب وما أثرت فيهم ... يد لم يدمها إلا السوار
بما من قطعه ألم ونقص ... وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشركك في نزار ... وأدنى الشرك في نسب جوار
لعل بنيهم لبنيك جند ... فأول قرح الخيل المهار
وما في سطوة الأرباب عيب ... ولا في ذلة العبدان عار
وقوله:

من اقتضى بسوي الهندي حاجته ... أجب كل سؤال عن هل بدم
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هون على بصر ما شق منظره ... فإنما يقظات العين كالحلم
لا تشكون إلى خلق فتشمته ... شكوى الجريح إلى الغربان والرحم
وكن على حذر للناس تستره ... ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
وقت يضيع وعمر أنت مدته ... في غير أمته من سائر الأمم
أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرهم وأتيناها على الهرم
وقوله:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول، وهي الخل الثاني
فإذا هما اجتماعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان
وقوله " يمدح كافورا:

لما الله ذي الدنيا مناخاً لراكب ... فكل بعيد المهم فيها معذب!
ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ... ولا أشتكي فيها ولا أتعجب؟!
وبي ما يذود الشعر عني أقله ... ولكن قلبي، يا ابنة القوم، قلب
أما تغلط الأيام في بأن أرى ... بغيضاً تنائي أو حبيباً تقرب؟
وقوله يمدحه أيضاً:

أبي خلق الدنيا حبيباً تديمه ... فلما طلبي منها حبيباً ترده؟
وأسرع مفعول فعلت تغيراً ... تكلف شيء في طباعك ضده
وقوله يمدحه أيضاً:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم ... وصدق ما يعتاده من توهم
وعادي محبيه يقول عداته ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

ومنها:

وما كل هاو للجميل بفاعل ... ولا كل فعال له بمتعم

ومنها:

فأحسن وجه في الورى وجه محسن ... وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همه ... وأكثر إقداماً على كل معظم
لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها ... سرور محب أو مساءة مجرم؟
وقوله يمدح المغيث بن علي العجلي:

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما يهب اللثام
ودهر ناسه ناس صغار ... وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام
وشبه الشيء منجذب إليه ... وأشبهنا بدنيانا الطغام

ولو لم يعمل إلا ذو محل ... تعالى الجيش وانحط القتام
ولو حيز الحفاظ بغير عقل ... تجنب عنق صيقله الحسام
وقوله:

أبدأ تسترد ما تهب الدن ... يا فيا ليت جودها كان بخلا
فكفت كون فرحة تورث الغ ... م وخل يغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تح ... فظ عهداً ولا تتمم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها ... وبفك اليدين عنها تخلى
أي: كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً بفك يديه.
وفي هذه القصيدة:

شيم الغانيات فيها فلا أد ... ري لذا أنت اسمها الناس أم لا؟
ولذيذ الحياة أنفس في النف ... س وأشهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما م ... ل حياة وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب ... فإذا وليا عن المرء ولى

ومنها

افتضاضه أبكار المعاني

في المراثي والتعازي

كقوله:

سالم أهل الوداد بعهدهم ... يسلم للحزن لا لتخليد

أي: إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود، لأن كلا ميت.
فما ترجى الخلود من زمن ... أحمد حاله غير محمود
أي: أحمد حالك أن تبقى مع صديقك، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل.
وقوله:

الجد أخسر والمكارم صفقة ... من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل في زمانك منزلاً ... من أن تعايشهم وقدرك أرفع
قبلاً لوجهك يا زمان؛ فإنه ... وجه له من كل قبح برقع
أيوت مثل أبي شجاع فاتك ... ويعيش حاسده الخصي الأوكع؟
وقوله:

عدمته وكأني سرت أطلبه ... فما تريدني الدنيا على العدم
من لا يشابهه الأحياء في شيم ... أمسى يشابهه الأموات في الرمم
أحسن والله أبدع ما شاء!.
وقوله:

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا ... وأعيا دواء الموت كل طيب
سبقنا إلى الدنيا، فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي تملك سالب ... وفارقها الماضي فراق سليب
هذا كقول بعضهم في الموعظة: " وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون "

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً ... بشق قلوب لا بشق جيوب
فرب كتيب ليس تندى جفونه ... ورب كثير الدمع غير كتيب
وللواجد المكروب من زفراته ... سكون عزاء أو سكون لغوب
وقوله:

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى ... أن الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى ... رضوى على أيدي الرجال تسير
خرجوا به، ولكل باك خلفه ... صعقات موسى يوم ذك الطور
حتى أتوا جدثاً كأن ضريحه ... في كل قلب موحد محفور
كفل الشئ له برد حياته ... لما انطوى فكأنه منشور
وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته:

ولعمري لقد شغلت المنايا ... بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشت بالسوف من الده ... ر أسيراً وبالنوال مقللا
خطبة للحمام ليس لها رد ... وإن كانت المسماة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفواً ... ذات خدر أرادت الموت بعلا

هذا أحسن ما قيل في مريثة حرم الملوك .

وقوله في مريثة طفل لسيف الدولة وتعزيتته عنه :

فإن تك في قبر فإنك في الحشا ... وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكي على قدر سنه ... ولكن على قدر المخيلة والفضل
عزاءك سيف الدولة المقتدى به ... فإنك نصل، والشدائد للنصل
ولم أر أعصى فيك للحزن عبرة ... وأثبت عقلاً، والقلوب بلا عقل

تخون المنايا عهده في سليله ... وتنصره بين الفوارس والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبره ... ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل
وما الموت إلا سارق رق شخصه ... يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
يرد أبو الشبل الخميس عن ابنه ... ويسلمه عند الولادة للنمل
إذا ما تأملت الزمان وصرفه ... تيقنت أن الموت ضرب من القتل
وما الدهر أهل أن يؤمل عنده ... حياة وأن يشتاقي فيه إلى النسل
وقوله:

نحن بنو الدنيا فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه ... وهذه الأجسام من تربه
لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسببه لم يسبه
لم ير قرن الشمس في شرقه ... فشكت الأنفس في غربه
يموت راعي الضأن في جهله ... موتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره ... وازداد في الأمن على سره
وغاية المفرط في سلمه ... كغاية المفرط في حربه؟
فلا قضى حاجته طالب ... فواده يخفق من رعبه !

ومنها

الإيجاع في الهجاء

كقوله:

إن أوحشتك المعالي ... فإنها دار غربه
أو آنستك المخازي ... فإنها لك نسبة
وقوله:

إني نزلت بكذايين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدي، وجودهم ... من اللسان، فلا كانوا ولا الجود!
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم ... إلا وفي يده من ننتها عود
يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده.
وقوله:

العبد ليس لحر صالح بأخ ... لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الأسود المخصي مكربة ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد؟
أم أذنه في يد النحاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود
كأنه من قول أبي علي البصير:

عجز الراكب البصير، وأولى ... منه بالعجز راجل مكفوف
وقوله:

فلا ترج الخير عند امرئ ... مرت يد النحاس في رأسه
وقوله:

أخذت بمدحه فرأيت لهواً ... مقالي للأحيمق يا حكيم
ولما أن هجوت رأيت عياً ... مقالي لابن آوى يا حلیم
فهل من غادر في ذا وهذا ... فمدفوع إلى السقم السقيم
وقوله:

لقد كنت أحسب قبل الخصى ... بأن الرءوس مقر النهى
فلما نظرت إلى عقله ... رأيت النهى كلها في الخصى
وقوله يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ:

يمشي بأربعة على أعقابهِ ... تحت العلوج ومن وراء يلجم
وجفونه ما تستقر كأنها ... مطروفة أو فت فيها حصرم
وتراك أصغر ما تراه ناطقاً ... ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلماً فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم
يقلي مفارقة الأكف قذاله ... حتى يكاد على يد يتعمم

ومنها

إبراز المعاني اللطيفة

في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة والرمز بالطرف والملح

كقولہ فی الجمع بین مدح سیف الدولة وقد فارقه، و بین مدح کافور وقد قصده فی بیت واحد:
فراق ومن فارقت غیر مذمم ... وأم ومن یمت حیر میمم
ثم قال معرضاً بسیف الدولة:

وما منزل اللذات عندي بمنزل ... إذا لم أجد عنده وأكرم
رحلت فكم باک بأجفان شادن ... علي، وكم باک بأجفان ضیغم
المصراع الثاني تصدیق لقوله:
لیحدثن لمن ودعتهم ندم
وما ربة القرط الملیح مكانه ... بأجزع من رب الحسام المصمم

فلو كان ما بی من حبيب مقنع ... عذرت، ولكن من حبيب معمم
وهذا أيضاً مما نهت علیه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى الخبواب فی كثير من شعره:
رمى واتقى رمي، ومن دون ما اتقى ... هو كاسر كفي وقوسي وأسهمي
وكقوله فی مدح کافور والتعريض بالقدح فی سیف الدولة:
قالوا: هجرت إلیه الغیث؟ قلت ل ... هم إلی غیوث یدیه والشآبيب
إلی الذي تهب الدولات راحته ... ولا یمن علی آثار موهوب
ولا یروع بمغرور به أحداً ... ولا یفزع موفوراً بمنكوب
یا أيها الملك الغاني بتسمية ... فی الشرق والغرب عن نعت وتلقیب
یعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقلب سیف الدولة.
أنت الحبيب ولكني أعوذ به ... من أن أكون محباً غیر محبوب
وهذا أيضاً من ذاك.

وقوله من قصيدة لسیف الدولة بعد ما فارق حضرته باستزادة یومه وشكر أمسه، وهو من فرائده:
وإن فارقتني أمطاره ... فأكثر غدراهما ما نصب
وإني لأتبع تذكاره ... صلاة الإله وسقي السحب
ومنها التعريض بكافور:

ومن ركب الثور بعد الجوا ... د أنكر أظلافه والغیب
وقوله فی هز کافور والتعريض باستزادته:
أبا المسك هل فی الكأس فضل أناله ... فإني أغني منذ حين وتشرب
یقول: مدیحي إیاك كما یطرب الغناء الشارب، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك.
وهبت علی مقدار كفي زماننا ... ونفسي علی مقدار كفيك تطلب
وقوله أيضاً فی التعريض بالاستزادة:

أرى لی بقربي منك عیناً قریرة ... وإن كان قرباً بالبعاد یشاب
وهل نفعي أن ترفع الحجب بیننا ... ودون الذي أملت منك حجاب؟

أقل سلامي حب ما خف عنكم ... وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتي بيان عندها وخطاب
وكقوله في وصف الفرس:

ويوم كليل العاشقين كمنته ... أراقب فيه الشمس أيا ن تغرب
وعيني إلى أذني أغر كأنه ... من الليل باق بين عينيه كوكب
أي: كأنه قطعة من الليل، وكأن الغرة في وجهه كوكب، وعينه إلى أذنه لأنه كامن لا يرى شيئاً، فهو ينظر إلى
أذني فرسه، فإن رآه قد توجس بهما تأهب في أمر وأخذ لنفسه، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه، وتقول
العرب: أذن الوحشي أصدق من عينيه.

له فضلة عن جسمه في إهابه ... تحيء على صدر رحيب وتذهب
شقت به الظلماء أدنى عنانه ... فيطغي، وأرخيه مراراً فيلعب
أي: إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه، وإذا أرخيت عنانه لعب برأسه.
وأصرع أي الوحش قفيته به ... وأنزل عنه مثله حين أركب
وكقوله في التوديع:

وإني عنك بعد غد لغاد ... وقلبي في فنائك غير غاد
محبك حيث ما اتجهت ركابي ... وضيئك حيث كنت من البلاد
وكقوله:

سر حيث شئت يحله النوار ... وأراد فيك مرادك المقدار
وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة ... حيث اتجهت وديمة مدرار
وأراك دهرك ما تحاول في العدا ... حتى كأن صروفه أنصار
أنت الذي بجمع الزمان بذكره ... وتزينت بمحديثه الأسمار
وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو:

إني لأجبن عن فراق أحبتي ... وتحس نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدي غضب العداة جراءة ... ويلم بي عتب الصديق فأجزع
وكقوله في حسن الكناية:

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو ... ق إلينا، والشوق حيث النحول
وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به: أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على ذلك، وهي غير ناحلة فليست
مشتاقة.

وكقوله:

أبيض ما في تاجه ميمونه ... عفيف ما في ثوبه مأمونه
أي: عفيف الفرج، فكنى به.

وكقوله في حسن الحشو:

صلى عليك الله غير مودع ... وسقى ثرى أبويك صوب غمام

" غير مودع " حشو، ولكنه حسن .
وكقوله:

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل ما فيها، وحاشاك، فانيا
سبحان الله! ما أحسن الحشو بقوله " وحاشاك " ! وكقوله:
إذا خلت الأرض منك حصص، لا خل ... ت أبداً فلا سقاها من الوسمي باكره
وكقوله في العيادة:

لا نعذل المرض الذي بك، شائق ... أنت الرجال، وشائق علائها
ومنازل الحمى الجسوم، فقل لنا: ... ما عذرها في تركها خيرا؟
أي: لا عذر للحمى في تركها جسمك، إذ هو أفضل الجسوم.
وكقوله:

قصدت من شرقها ومغربها ... حتى اشتكتك البلاد والسبل
لم تبق إلا قليل عافية ... قد وفدت تجديكما العلل
وقوله:

تجشمك الزمان هوئاً ووداً ... وقد يؤذي من المقت الحبيب
وكيف تعلل الدنيا بشيء ... وأنت لعله الدنيا طيب؟
وكيف تنوبك الشوى بداء ... وأنت المستجار لما ينوب؟
وكقوله في التهنة وهي قننة سيف الدولة:
الجعد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك الألم
وما أخصك في برء بتهنة ... إذا سلمت فكل الناس قد سلموا
وكقوله:

إنما التهينات للأكفاء ... ولمن يدين من البعداء
وأنا لا يهنئ عضو ... بالمسرات سائر الأعضاء
وكقوله:

الصوم والفطر والأعياد والعصر ... منيرة بك، حتى الشمس والقمر
ما الدهر عندك إلا روضة أنف ... يا من شمائله في دهره زهر
ما ينتهي لك في أيامه كرم ... فلا انتهى لك في أعوامه عمر
فإن حظك من تكرارها شرف ... وحظ غيرك منها النوم والسهل
وكقوله:

تغير حللي والليالي بحالها ... وشيت وما شاب الزمان العراق
وكقوله:

تسود الشمس منا بيض أوجهنا ... ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما في الحكم واحدة ... لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم
وقوله:

مشب الذي يبكي الشباب مشبيه ... فكيف توقيه وبانيه هادمه
وما خضب الناس البياض لأنه ... قبيح، ولكن أحسن الشعر فاحمه

ومنها

حسن المقطع

كقوله:

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها ... وشرف الناس إذ سواك إنسانا
قال ابن جني: لا يعجبني قوله " سواك إنسانا " لأنه لا يليق بشرف ألفاظه، ولو قال " أنشاك " أو نحو ذلك
لكان أليق بالحال.
قلت أنا: ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً. لأن في القرآن " ثم سواك رجلاً " ولا أفصح ولا أشرف مما
ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله:

سما بك همي فوق الهموم ... فلست أعد يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا عل ... ي لم يقبل الدر إلا كبارا
وكقوله يمدح سيف الدولة:

أنلت عبادك ما أملوا ... أنالك ربك ما تأمل
وكقوله في المغيث بن علي العجلي:

وأعطيت الذي لم يعط خلق ... عليك صلاة ربك والسلام

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرتي، وربحت تجارتك بحضرة عضد الدولة. ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتي درهم – استأذنه
في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه، ثم يعود إليها، فأذن له، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة، ويقاد إليه
الحملان الخاص، وتعاد صلته بالمال الكثير، فامتشل ذلك، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره، وفي
أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه، وإن لم يقصد ذلك، فمنه قوله:

فلو أني استطعت خففت طرفي ... فلم أبصر به حتى أراكا
وهذه لفظة يتطير منها، ومنه:

إذا التوديع أعرض قال قلبي ... عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمنى ... معاودة لقلت ولا مناكا

أي: لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقله له: ولا بلغت أنت أيضاً منتك، وهذا أيضاً من ذاك، ومنه:
قد استشفيت من داء بداء ... وأقتل من أهلك ما شفاكا

أي: قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك، وكان داء لك، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة، ومفارقته
داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك، وهذا شبه قول النبي صلى الله عليه وسلم " كفى بالسلامة داء "
وقول حميد بن ثور:

وحسبك داء أن تصح وتسلما

و " أقتل ما أهلك ما شفاك ما " من ألفاظ الطيرة أيضاً، ومنه:

وكم دون الثوية من حزين ... يقول له قدومي ذا بذاكا

الثوية: من الكوفة، يقول له " قدومي ذا بذاك " أي هذا القدوم بتلك الغيبة، وهذا السرور بذلك الحزن، لم يقل
" إن شاء الله تعالى " ومنه:

ومن عذب الرضاب إذا انخنا ... يقبل رحل تروك والوراكا

تروك: اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها، والوراك: شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه.

يحرم أن يمس الطيب بعدي ... وقد عقب العبير به وصاكا

وهذا أيضاً من تلك الألفاظ، ومنه:

وفي الأحباب مختص بوجد ... وآخر يدعي معه اشتراكا

إذا اشتبهت دموع في خلور ... تبين من بكى ممن تباكى

وهذا أيضاً من ذاك، ومه:

فزل بعد عن أيدي ركاب ... لها وقع الأسنة في حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا، ومنه:

وأيا شئت يا طريقي فكوني ... أذاة أو نجاة أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال، فلما فارق أعمال فارس

حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط

باستصحاب الخفراء والمبذرقين، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه،

وتكشف الواقعة عن قتله وابنه محمد ونفر من غلمانه، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين

وثلثمائة.

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبي:

لا رعى الله سرب هذا الزمان ... إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

ما رأى الناس ثاني المتنبي ... أي ثان يرى لبكر الزمان؟

كان من نفسه الكبيرة في جي ... ش وفي كبرياء ذي سلطان

كان في لفظه نبياً، ولكن ... ظهرت معجزاته في المعاني

فصل وقد جمع بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله، وتصيره كتاباً برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من

أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك، وله الآن فيه كفاية، وبه

غنية، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة، وإن نشط لانتساح الجميع تضاعفت الفوائد لديه،

وانثالت القلائد عليه، بمشيئة الله وإرادته.
والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الباب السادس

في ذكر النامي والناشي والزاهي

وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي

شاعر من فحولة شعراء العصر، وخواص شعراء سيف الدولة، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة، وقد أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده، فمن ذلك قوله من قصيدة:

له من هواها ما لصب متيم ... وذمة حب عهده لم يذمم
أفارق نفسي شعبة بعد شعبة ... فريقين باتا منجداً بعد متهم
فقد كثرت في كل أرض ديارهم ... ككثرة عذالي علي ولومي
ولم أريوماً كان أثلم للحشا ... من اليوم بين الجزع والمتلثم
ومنها:

لكم يا بني العباس سيف على العدا ... حسام متى يعرض له الداء يحسم
أخف إلى يوم الوغى من حماية ... وأثبت من شوق بقلب متيم
وقوله من أخرى:

أمير العلا، إن العوالي كواسب ... علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول: سيفك في الطلا، ... وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر: فعلك للعلا، ... وقولك للتقوى، وكفك للرفد
ومنها في وصف أشعاره:

رياحن أذهان: سماحك غارس ... لها، فاجنها بالعرف من روضة الحمد
من المذهبات الدارميات شرد ... تدق معانيها على الملك الكندي
وقوله من أخرى:

أحقاً أن قالتي زرود ... وأن عهدوها تلك العهود
وقفت وقد فقدت الصبر حتى ... تبين موقفني أي الفقيد
وشكت في عذالي فقالوا ... لرسم الدار: أيكما العميد؟
ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري:
إذا ما الراح والأترج لاحا ... لعينك قلت: أيهما الشراب؟
وقول بعض أهل العصر:

لي سيد فاتن يعلمني ... بحسنه كيف يعبد الصنم
لما رأيته وفي يدي قلم ... لم يدر مولاي أين القلم
ومنها:

إليك صدعن أفئدة الليالي ... وفيهن السخائم والحقود
فعيدان الأراك لها عظام ... وأسقية السنان لها جلود
ومنها:

وشعر لو عبيد الشعر أصغى ... إليه لظل لي عبداً عبيد
كأن لفكرة نشر ابن حجر ... ونودي من حفيرته لبيد
وقوله من أخرى:

إلمامه بمغاني داره لم ... إذا لا أمامة في دار لها أمم
بأي حكم لأيام الفراق نأت ... بناعب كاعب والبين يحتكم؟
عقلت عيساً كأنني كنت حاسدها ... بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت ... يوم الحمى وهواها ليس ينصرم
أخذه من قول ابن الرومي:

يا رب حسانة منهن قد فعلت ... سوءاً وقد يفعل الأسواء حسان
رجع:

كأن قلبي معار للنوى جزعاً ... من قلب قرن علي وهو منهزم
ناط الحمائل في ليث وفي قمر ... وفي الحمائل قد نيطت به الهمم
كأنه أجل، أو طرفه وجل، ... أو سيفه قدر في الروح يحتكم
يا مظمئ الخيل أو تروى ذوابله ... والخيل تشرب من أشداقها اللجم
إذا ملائكة النصر اختلطت بها ... تشابه العالم النوري والنسم
لم تدع يا علم المجد المقابلنا ... إلا وسبح إجلالاً لك العلم
لا يكتنم النصر يوماً أنت شاهده ... واليوم من نفعه قد كاد ينكتنم

النصر أسرجها، والعز أجمها ... والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم
قال النهار له والشمس مغمدة ... وللمنايا شمس غمدها القمم:
هذا عجاج فأين الأفق وهو قنا؟ ... وتلك خيل فأين الأرض وهي دم؟
بحد سيفك سيف الدولة انحطمت ... قواعد الشرك والأرواح تنحطم
يحدث الذئب ذئب وهو مبتهج ... ويخبر النسر نسر وهو مبتسم
وقد أرضعتك ثدي الأرض درقها ... ورمحك ابن رضاع ليس ينفطم
من آل حمدان حيث الملك مقتبل ... والمال مقتسم والحمد مغتنم
قوم إذا حكموا يوماً لأنفسهم ... جار السماح عليهم في الذي حكموا
أمن علاً أم ندى أدعوك؟ أم بهما؟ ... فأنت ذا والحيا والصارم الخدم
أن يعجل الرأي تلحقه بغايته ... كذا الجواد من الإعجاب يحتدم
وإن تأنيت عزماً لم يفتك عدداً ... إن الأسود تمطى ثم تعترم
إن لم أقم أمماً للمدح من فكري ... فشك فيك يقيني أنك الأمم
إذا طلبتك لم ألحقك في أمد ... ما حيلتي؟ قد تناهى دونك الكلم
وما علي إذا ما كنت ناظمها ... فعطلت كل ما قالوا وما نظموا
وقوله من أخرى:

أمرن هواناً أن يصح لنسقما ... فأدمى قلوباً صاديات إلى الدمى
ومنها:

أرتنا جنى العناب للورد ظالماً ... ومن أقحوان مرمض متظلماً
ما أحسن هذا البيت وأظرفه، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالثغر الأشنب:
طوى البين ديباج الحدود، ونشرت ... يد البين وشياً للحدود منمنما
تقسمت الأهواء قلبي كما غدا ... نوال علي في العلا متقسما
ويوم كأجساد العذارى حليه ... فريد ندى في جيده قد تنظما
جلونا به وجهي عروس وكاعب ... على طفل زهر قد بكى وتبسما

وأخرس يصيينا بخمسة ألسن ... إلى أيها مد السنان تكلمنا
لذن غدوة حتى إذا الشمس ودعت ... مغاربها واستأذنتها النصرما
ثوبنا كأننا بعض أبناء قيصر ... غدا فيهم سيف الأمير محكما
أطعت العلا حتى كأنك عبدها ... وإن كنت مولاهما وكنت لها ابنما
مكارم لا تنفك تتعب حاسداً ... يؤخره سعي لها قد تقدما
زكت فكري فيها وأينع هاجسي ... فظلت على أهل القريض مقدما
وولد شعري فيك شعراً لمعشر ... فكنت عليهم مثل نعماك منعما
وقوله من أخرى:

سلاها لم اسود في ابيضاضه؟ ... وإلا سلاني كيف بيض مسودي؟
كأن برأسي عسكرين تحاربا ... فقد كثر استئمان جند إلى جند
وليل له نجم كليل عن السري ... تحير لا يهدى لقصد ولا يهدي
كأني وابن الغمد والطرف أنجم ... على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه رسا عل بالعنبر الوردي
وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها ... إزاء الثريا وهي مقطوعة العقد
فقلت: أخيل التغلي مغيرة ... أم الفجر يرمي الليل سداً على سد؟
فتى قسم الأيام بين سيوفه ... وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوماً بالعجاج وبالردى ... وبيض يوماً بالفضائل والجد
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا ... فغودرت العقبي لذي الحق لا الحشد؟
جهدت فلم ألغ مداك بمدحه ... وليس مع التقصير عندي سوى جهدي
يزيد على شأوي زياد وجرول ... وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي
وقوله من أخرى:

له سورة في البشر تقرأ في العلا ... وتثبت في صحف العطاء وتكتب
إذا ما علي أمطرتك سماءه ... رأيت العلا أنوارها تتحلب
يرجى ويخشى ضره وهو نافع ... كذا البحر في أزاته متهب
يروع ويبدو الأنس منه كأنه ال ... هوى لذعه بين الجوانح يعذب
وأزهر يبيض الندى منه في الرضى ... وتحمر أطراف القنا حين يغضب
أمير الندى، ما للندى عنك مذهب ... ولا عنك يوماً للرغائب مرغ
إذا فاخرت بالمكرمات قبيلة ... فتغلب أبناء العلا بك تغلب
قناة من العلياء أنت سناها ... وتلك أنايب عليها وأكعب
وخيل كأمثال القنا في لبودها ... فإن صهلت فهي اليراع المثقب
وضرب يريك الخيل مج نجيعة ... وأشبهها من لون أشقر يخضب
وقوله من أخرى:

سألت بالفراق صبا، وما ين ... بثها بالفراق مثل خير
هو بين الحشا صدوع، وفي الأع ... ين ماء، وجرة في الصدور
نحن أبناء ذا الهوى تسكن الآن ... فس منا إلى الضنا والزفير
نال منا يوم الفراق كما تا ... ل من الناكثين سيف الأمير
في خميس للنصر فيه لواء ... عقده من لوائه المنصور
رجله كالديبا، وفرسانه كالأ ... سد بأساً، وخيله كالصقور
وسجايك يا أبا الحسن الغ ... ر وإتعاين شكر الشكور
لو غدا الدهر صافحاً لي عن الح ... ظ وأعلى من جد حال عثور

لتعطرت من غبار مذاكي ... ك رواحي، وكان عطري بكوري
ثم صيرت من دماء أعادي ... ك خلوقي، وكان منه طهوري
ولقيت المنون تحت عوالي ... ك معداً ذخراً ليوم نشوري
سر على السعد تستظل من الأي ... ام ظلي سلامة وحيور
بين فرضين من جهاد وشهر ... أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لما ... خاطبته الأقدار بالتأمر
أنتم دارة العلا يا بني حم ... دان، سكان بيتها المعمور

وتسيرون في القنا فترى الآ ... جال مرتابة بذاك المسير
في شمس من الحديد عليها ... أنجم يفترقون فوق بدور
وعجاج كأنه من دخان الن ... د يلقي الهواء بالتعطير
عقب من علاكم فكأن ال ... أرض مسك، والجو من كافور
فتحوا بمدحتي فهي ريحا ... نة حمد تبقى بقاء الدهور
وقوله من أخرى:

ومنازلين إذا بدوا في شارق ... شبوا وقوده بوقود
ردوا على داود صنعه سرده ... لغناهم بالصبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظبا ... وشبا القنا غير المنايا السود
وقوله من أخرى:

ألم تر أعداء الأمير كوفره ... يظل لتوفير العلا غير وافر
وحساده مما تذبذب كخيله ... بلغن مدى أنفاسهن الزوافر
وقوله من أخرى:

وصارم مثل لحظ البرق أسللك في ... مثال جدول ماء فيه منسكب
تنأى به الهام عن أجسامهن كما ... تنأى الخواتيم عن مقروءة الكتب
وقوله من أخرى:

في ناظر الشمس إن عنت له رمد ... ومسمع الرعد إن أصغى له صمم
يردها ونظام الملك متسق ... والموت في خرز الأعناق ينتظم
أسعد بعيد إذا كارمته حكمت ... لك المعاني وأمضى حكمها الكرم
عيد وفتح وملك والأمير له ... دامت سلامته ما أوردق السلم!
الله أعطاك أقسام الفخار، فما ... خلق يساميك مذحيزت لك القسم
لو كان يرضى لك الدنيا لما فنيته ... ونلت فيها خلوداً أنت والنعم
وقوله في صفة منارة:

سامية في الجو مثل الفرقد ... قاعدة فيه وإن لم تقعد

يكاد عاليها وإن لم يبعديغرف من حوض الغمام باليد
وقوله:

خليلي، هل للمزن مقلة عاشق؟ ... أم النار في أحشائها وهي لا تدري
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت ... وكاللولؤ المبتول أدمعها تجري
تسريل وشياً من خروز تطرزت ... مطارفها طرزاً من البرق كالتبر
سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد ... فعاجت له نحو الرياض على قبر
فوشي بلا رقم، ونقش بلا يد ... ودمع بلا عين، وضحك بلا ثغر
ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ، فقال له: هل قلت شيئاً؟ قال: ما علمت، قال: فقل،
فقال ارتجالاً:

يد في برئها برء الأيادي ... ووعك للطريف وللتلاد
يد الحسن التي خلقت سماء ... مولكة بأرزاق العباد

أبو الحسن الناشئ الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني أبو الحسين الناشئ بحلب لنفسه:
إذا أنا عاتبت الملوك فيأتما ... أخط بأقلامي على الماء أحرفاً
وهبه ارعوى بعد الهتاب، ألم يكن ... تودده طبعاً فصار تكلفاً؟
قال: وأنشدني لنفسه:

ليس الحجاب من آلة الأشراف ... إن الحجاب بجانب الإنصاف
ولقل من يأتي فيحجب مرة ... فيعود ثانية بقلب صافي
وله في سيف الدولة يودعه:

أودع، لا أني أودع طائعاً ... وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعاً
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً ... لنفسي إن القيت بالنفس راجعاً
تحمّلت عنا بالصنائع والعلا ... فنستودع الله العلا والصنائع
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ... ولقاك روض العيش أخضر يانعا
وله:

إذا لم تنل همم الأكرمين ... وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها ... وكم راحة نتجت من تعب
وله أيضاً:

يا خليلي وصاحبي ... من لؤي بن غالب
حاكم الحب جائر ... موجب غير واجب
لك صدغ كأتما ... نونه نون كاتب
يلذع الناس إذا تعقرب لذع العقارب

أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن، كثير الملح والظرف، ولم يقع إلي شعره مجموعاً، وإنما تطرفته من أفواه الرواة، واستفدته من التعليقات.

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من الننف التي استفادها ببغداد، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها: منها للزاهي:

سفرن بدوراً، وانتقبن أهلة ... ومسن غصوناً، والتفتن جاذراً
وأطلعن في الأحياد بالدر أنجماً ... جعلن لحبات القلوب ضرائر
وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله:
بدت قمراً، ومالت غصن بان ... وفاحت عنبراً، ورنّت غزالا
ومن نسج على هذا الموال أبو عامر إسماعيل بن أحمد الشاشي، فإنه قال من قصيدة:
رأيت على أكوارنا كل ماجد ... يرى كل ما يبقى من المال مغرماً
ندوم أسيفنا، ونعلو قواضباً، ... وننقص عقباناً، ونطلع أنجماً
وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه:
يقولون: بغداد التي اشتقت برهة ... دساكرها والعكبري المقيرا
إذا فض عنه الختم فاح بنفسجاً، ... وأشرق مصباحاً، ونور عصفرا
ولبعض أهل العصر في غلام مغن:
فديتك يا أتم الناس ظرفاً ... وأصلحهم لمتخذ حبيباً
فوجهك نزهة الأبصار حسناً ... وصوتك متعة الأسماع طيباً
وسائلة تسائل عنك، قلنا ... لها في وصفك العجب العجيباً:
رنا طيباً، وغنى عندليباً، ... ولاح شقائقاً، ومشى قضييماً
وللزاهي:

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها ... عيون الندامي حين مالت إلى الغمض
وقد لاح فجر يغمر الجو نوره ... كما انفجرت بالماء عين على الأرض
وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه "كتاب روائع التوجيهات، من بدائع التشبيهات" للزاهي:
الريح تعصف والأغصان تعتنق ... والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له ... عين من الشمس تبدو ثم تنطبق
ومن مشهور شعر الزاهي قوله:

لولا عذارك ما خلعت عذارى ... ولكنت في وزر من الأوزار
ما كنت أحسب أن أعين أو أرى ... تخطيط ليل في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى ... سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قولي في الوعيد لأجله ... وعزمت فيك على دخول النار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان، في مجموعة المترجم بحاطب الليل، قصيدة للزاهي أولها:
الليل من فكري يصير ضياء ... والسيف تحت العجاج هباء
ومنها:

أحصي على دهري الذنوب بمقلة ... لدموعها لا أملك الإحصاء
سرقه من قول ديك الجن:
أنا أحصي فيك النجوم ولكن ... لذنوب الزمان لست بمحص
رجع:

عجباً لصرف الدهر كيف يخون من ... غمر البرية نجدة ووفاء
عدم الصباح فناب عنه بفكره ... وعلت يدها فطاول الجوزاء
وأنشدت له بيت معمي، وما أراه قاله:
من كان آدم جهلاً في سنه ... هجرته حواء حواء السنين من الدمى
آدم في حساب الجمل خمس وأربعون، وحواء خمسة عشر.
وله في وصف الأترج:

وذا جسم من الكافور في ذهب ... دارت عليه حواشيه بمقدار
كأنها وهي قدامي ممثلة في رأس دوحته تاج من النار

الباب السابع

في ذكر أبي الفرج عبد الواحد البغاء

وغر نثره ونظمه

هو: أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي، من أهل نصيبين.

نجم الآفاق، وشمامة الشام والعراق، وظرف الظرف، ونبوع اللطف، واحد أفراد الدهر، في النزم والنثر، له
كلام بل مدام، بل نظام من الياقوت، بل حب الغمام، فنثره مستوف أقسام العذوبة، وشروط الخلاوة
والسهولة، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً. وقد أخرجت من شعره. ما يشهد بالذي أجريت
من ذكره، وإنما لقب بالبغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف
المكاتبات وملح الجاوبات، وكان في عنفوان أمره وربعان شبابه متصلاً بسيف الدولة، مقيماً في جملته، ثم تنقلت
به بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده لموصل وبغداد ومناذمته بمها الملوك والرؤساء، وإخفاقه مرة وإنجاحه
أخرى، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التفائه معه
عند صدره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة، ورؤيته بها شيخاً عالي السن، متطاول الأمد،
نظيف اللبسة، بمهي الركبة، مليح اللثغة، ظريف الجملة، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته، ولم تأخذ من طرفه
وأدبه، وأنه مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليه صلته، ولم تأخذ من طرفه وأدبه، وأنه مدح أباه

الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلتته، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق، ثم عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجران سنة إحدى وتسعين كتاب أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة، ووقف إلى ثنية الوداع، ولست أدري ما فعل الدهر به، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته، لم أسمع أظرف منها في فيها، ولا ألطف ولا أعذب، ولا أخف؛ وإن كان فيها بعض الطول، والبديع غير مملول.

قال أبو الفرج: تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً، وقد سار عنها في بعض وقائعها، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال، واضطرت إلى أعمال الحيلة في التخلص والسلامة، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرئاسة، ومكانه من الفصل والصناعة، فأحسن تقبلي، وبالع في الإحسان بي، وحصلت تحت الضرورة في المقام، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة، والمتنزهات المطرفة، تسلياً وتعللاً، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر، فاستصحب بعض من كنت آنس به. وتقدمت لحمل ما يصلحنا، وتوجهنا نحوه، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقعة الطبع وسجاجة الخلق، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكافها، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحي أعلامه، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته إلى خطابي متوثباً، ولنظري إليه مترقباً، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحى الإيماء، فاستوحشت لذلك، وأنكرته ونهضت عجلان، واستحضرت، فأخرج إلي رقعة محتومة، وقال لي: قد لزم فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة، ووني وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عني، ففضضتها، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي: بين حزم يحث على الانقباض عنك، وحسن ظن يحض على التسامح بنفسك الحظ منك، إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة، ورفعت بيني وبينك سجع الحشمة، فأطعت بالانسياط أوامر الأنسة، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة، والمستماح منك - جعلني الله فداك! - زورة أرتجع بها ما اغتصبتني الأيام من المسرة مهنة بالنفرد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك.

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق، ولكن لأخذني بالاحتياط على حالي، فإن صادف ما خطبته منك - أيدك الله! - قبولاً، ولديك نفاقاً، فمنية غفل الدهر عنها، أو فارق مذهبه فيما أهدها إلي منها، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوتره وأهواه، وأترقبه من قربك وأتمناه، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها، وتناسيها واطراح ذكرها. وإذا بأبيات تتلو الخطاب، وهي:

يا عامر العمر بالفتوة وال... قصف وحث الكؤوس والطرب

هل لك في صاحب تناسب في ال ... غربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصراً على النوب
فإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشن الظن فيه بالكذب
وإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشن الظن فيه بالكذب
وإن أتى الزهد دون رغبتنا ... فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج: فورد علي ما حبرني، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطأ وترسلاً ونظماً، فشاهدته بالفراصة من ألفاظه، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته، وقلت للراهب: ويحك! من هذا؟ وكيف السبيل إلى لقائه؟ فقال: أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا، وأما السبيل إلى لقائه فمستمهل إن شئت قلت: دلني، قال: تظهر فتوراً، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصراً، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه، فرددت الرقعة إليه، وقلت: ارفعها إليه ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت مكاتبته، ومضى الراهب، وعدت إلى أصحابي بغير التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته، ومضى الراهب، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به، فأنكروا ذلك، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي، واستدعيت ما أركبه، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم، وقد كنا عملنا على المبيت، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف، وخرجت من باب الدير ومعني صبي كنت آنس به وبخدمته، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي، وتلقاني الراهب، وعدل بي إلى طريق في مضيق، وأدخلني إلى الدير من باب غامض، وصار بي إلى باب قلابة متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً، فقرعه بمركات مختلفة كالعلامة، فابتدروا منه غلام كأن البدر ركب على أزواره مهفهف الكشح مخطفه، معتدل القوام أهيفه، تحال الشمس برقعت غرته، والليل ناسب أصداعه وطرته، في غلالة تنم على ما تستره، وتحفو مع رقعته عما تظهره، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي، واستوقف نظري، ثم أجفل كالطبي المدعور، وتلوته والراهب إلى صحن القلابة، فإذا أنا ببيت فضي الحيطان، رخامي الأركان، يضم طارقة خيش، مفروشة بحصير مستعمل، فوثب إلينا منه مقتبل الشيبة، حسن الصورة، ظاهر النبل والهيئة، متزي من اللباس بزي غلامه، فلقيني حافياً يعثر بسرويله، واعتنقني، ثم قال: إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي، فاستحسننت اختصاره الطريق إلى بسطي، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي، وأفاض في شكري المسارعة إلى أمر. وأنا أواصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به، ثم قال: يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك، وقد كان الأمر على ما ذكر، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر الملوك وأجله الرؤساء. وأحضرنا خادم لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف، فقال: الأكل مني يا سيدي للحاجة، ومنك للمخالحة والمساعدة، فنلنا شيئاً، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة، وحبانا بذخائر رياضها: من المنظر الجناني، والنسيم العطري، وجاءنا الراهب من

الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه، ثم اقتعدنا غارب اللذة، وجرينا في ميدان المفاوضة، فلم يزل يناهيني نواذر الأخبار، وملح الأشعار، ونخلط ذلك من المرح بأظرفه، ومن التودد بلطفه، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه، وقال له: يا مترف، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته، فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد، ومضى فعاد يحمل طنبوراً، وجلس فقال لي: يا سيدي تأذن لي في خدمتك؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى:

يا مالكي وهو ملكي ... وسالي ثوب نسكي
نزه يقين الهوى في ... لك عن تعرض شك
لولاك ما كنت أبكي ... إلى الصباح وأبكي

فنظر إلي الغلام وتبسم، فعلمت أن الشعر له، فكدت والله أطير طرباً وفرحاً بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه، فاستدعيت كيزاناً فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم، فشربت سروراً بوجهه، وشرب بمثل ما شربت، ثم قال لي: أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء لها طرازاً ولذكرها معلماً، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني:

وليلة أوسعتني ... حسناً وهواً وأنسا
ما زلت ألثم بدرأ ... بها وأشرب شمساً
إذا أطلع الدبر سعداً ... لم يبق مذ بان نحساً
فصار للروح مني ... روحاً وللنفس نفساً
فطرب على قولي " ألثم بدرأ وأشرب شمساً "، وجذب غلامه فقبله، وقال: ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته، فبحياتي إلا ففعلت مثل ذلك بغلامك، فاتبع آثاره خوفاً من احتشامه، وأخذ الأبيات وجعل يرددّها، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها:
ولم أكن لغريمي ... والله أبذل فلساً
لو ارتضى لي خصمي ... بدير مران حبساً

فقلت: إذاً والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً، وداعبته في هذا المعنى بما حضر، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبته، وقال لي: قد خرج لك أكثر الحديث، فإن عذرت، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها، فتبينت ما يؤثره من كتمان أمره، فقلت له: يا سيدي، كل ما لا يتعرف بك نكرة. وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار، ونابت الخبرة عن الاستخبار، وجعل يشرب وينخب علي من غير إكراه ولا حث ولا استبطاء، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه، وأكب على مجاذبة غلامه والفتنة تنبيه في الوقت بعد الوقت، فأظهرت السكر وحاولت النوم، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه، فقلت له: إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه، فتبسم وقال لي بسكره، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك، وأظهرت النوم، وعاد يجاذب غلامه

بأعذب لفظ وأحلى معاتبه، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد، وعلامه تارة يقبل يده وتارة فمه، وغلبتني عيناى إلى أن أيقظني هواء السحر، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه، فخرجت، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي، فأقسمت عليه أن لا يفعل، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك:

ويوم كأن الدهر سأمحي به ... فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا ... إلى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر ال ... نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضه بالحسن ترفد روضة ... ومن نهر بالفيض يجري إلى نهر
وفي الهيكل المعمور منه افترعته ... وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها ... فما زلت منها أشرب التبر بالتبر
وحل علينا ما كان منها محرماً ... وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لي الأيام فيه مودة ... دعيتني في ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة ... تخاطبني عن معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة ... ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملء العين نبلاً وهمة ... محلى السجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبر حتى ظننته ... يريد اختداعي عن جناني ولا أدري
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا ... فكنت وإياه كقلبين في صدر

وشاء السرور أن يلينا بثالث ... فلاطفنا بالبدر أو بأختي البدر
بمعطي عيون ما اشتتهت من جماله ... ومضني قلوب بالتجنب والهجر
جنبنا جني الورد في غير وقته ... وزهر الربا من روض خديه والشجر
وقابلنا من وجهه وشرابه ... بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذاً ... بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأمتعنا من وجنتيه بمثل ما ... تمرج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منه الصحو إذ دعا ... إليه ولم نشكر به منه السكر
كأن الليالي نمن عنه فعندما ... تنبهن نكبن الوفاء إلى الغدر
مضى وكأني كنت فيه مهوماً ... يحدث عن طيف الخيال الذي يسري
وهل يحصل الإنسان من كل ما به ... تسامحه الأيام إلا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة، وأشد تأسف على ما سلبته من فراق الفتى، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤدياني إلى الطمع في لقائه، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق، وأنا في جملته، فما

بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب، وقد كنت حفظت اسمه، فخرج إلي مرعوباً، وهو لا يعرف السبب، فلما رأي استطار فرحاً، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك، ففعلت، فلما جلسنا للمحادثة قال: ما لي لا أراك تسأل عن صديقك؟ قلت: والله ما لي فكر ينصرف عنه، ولا أسف يتجاوز ما حرّمته منه، ولا سررت بعودي إلى هذه البلد إلا من أجله، ولذلك بدأت بقصدك، فاذاً لي خبره، فقال لي: أما الآن فنعم، هذا الفتى من المادرائين جليل القدر، عظيم النعمة، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير، فخاس به ضمانه، لعود السعر، وأشرف على الخروج من نعمته، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزي تاجر، فكان استناره عند بعض إخوانه ممن أخدمه، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه: إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إذا كان علي مأموناً فذكر له صديقه مذهبي، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته، وحصل في قلالي، فواصل الصوم، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا، ومعه الغلام والخادم، وقد لحقنا به ومعهم سفاتج وعليهما ثياب رثة. فلما نظر إلي الغلام قال: يا راهب، قد حل الفطر وجاء العيد، ووثب إليه فاعتنقته، وجعل يقبل عينيه ويبكي، ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حل إليه ألفي دينار، وقال له: ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة، فابتاع آلة وفرشاً، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه بالحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحبيطة المال عنه مقترناً بالكتب، فلما عمل على المسير قال للغلام: سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقدنا من مستقرنا، وسار وما له حسرة غيرك، ولا أسف إلا عليك، يقطع الأوقات بذكرك، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها، ما يبخل بتفقيدي، ولا يغيب بري، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره، وأتممت يومي عند الراهب، وكان آخر العهد به " انتهى كلامه " .

في بيان غرر من رسائله

الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه، وقد عصي، وأخذه إياه، وانكفاه بعد ذلك إلى حلب: الرياسة - أيد الله سيدنا! - حلة مرموقة، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم، فما تدرك إلا بالسماح، ولا تملك إلا بأطراف الرماح. ولا تنقص إلا بالحمد. ولا تخطب إلا بلسان الحمد، فكل من أدركها طلباً، واستحقها بأفعاله لقباً، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد، ورق الإخلاص لا التودد، فقد حرم نيل الكمال، وعدل عن الحقيقة إلى المحال: لأنه الغاية القصوى التي عجزت ... عن أن تؤمل إدراكاً لها الهمم

ما تستحق ملوك الدهر مرتبة ... في الفضل إلا له من فوقها قدم
ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحى ... وظله إن خطا صرف الردي حرم

فلو عدا الكرم الموصوف راحته ... عن أن يجاوزها لم يكرم الكرم
الشجاعة أقل أدواته، والبلاغة أصغر صفاته، يطرُق الدهر إذا نطق، وينطق الجَد إذا افتخر. فالآمال موقوفة
عليه، الثناء أجمع مصروف إليه، نمض بما قعدت همم الملوك عن ثقله، وضعف الدهر عن معاناة مثله. بهمم
سيفية، وعزائم علوية، فرد شمل الدين جديداً، وذميم الأيام حميداً، بحق أوضحه، وخلل أصلحه. وهدى أعاده،
وضلال أباده:

فلا انتزع الله الهدى عز بأسه ... ولا انتزه الله الوغى عز نصره
وأحسن عن حفظ النبي وآله ... ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المداح أدنى حقوقه ... بإغراق منظوم الكلام ونثره
لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر، وأيسر منه تفوت المبالغة في جميل الذكر، فأما هذا الفتح الشريف خطره،
الحميد أثره، المشهور بلاؤه، الواجب ثناؤه، الباسق فرعه، العام نفعه، فأشرف من أن يجد بالصفات، أو يعد
بأفصح العبارات، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة، على مشكور العرف والعادة، فيما ابتسم به من
نغر الدين، وشمل صلاحه كافة المسلمين:

كأنما ادخر الرحمن معظمة ... دون الملوك لسيف الدولة البطل
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا ... وصفاً، وأفضلهم في القول والعمل
فهزه وظبا الأسياف مغمدة ... واستله غير منسوب إلى الفل
حتى غدا الدين من بعد العبوس به ... جذلان يرفل من نعماء في حل
فلو تكلم في حال وقيل له: ... من خير هذا الوري؟ لم يسم غير علي

وله من رسالة أخرى

شهاب ذكاء، وطود وفاء، وكعبة فضل، وغمامة بذل، وحسام حق، ولسان صدق. فالليالي بأفعاله مشرقة،
والأقدار لخوفه مطرقة، تحمده أولياؤه، وتشهد له بالفضل أعداؤه: من المتقارب " :
يقابلنا البدر من برده ... ويشملنا السعد من سعده
ولو فخر الجَد لم تلقه ... فخوراً شيء سوى مجده

وله من رسالة أخرى

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت نت ملاحظة سيدنا حالي، وتداركه بطول التطول مرض آمالي، ما لا
أؤمل - مع المبالغة والإغراق فيه - فك نفسي بحال من رق أياديه، غير أنني أحسن لها النظر، وأجمل عندها
الأحدوثة والخبر، بالدخول في جملة الشاكرين، والاتسام بفضيلة المخلصين، إذ كان - أدام الله عزه! - قد نصر
نباهتي على الحمل، واستنقذني من التعهد للتأميل:
فصرت أمسك عن أوصاف نعمته ... عجزاً، وينطق عن آثارها حالي
لما تحصنت من دهري بمعقله ... سمت بحملانه ألحاظ إقبالي

وواصلتني صلات منه رحت بها ... أختال ما بين عز الجاه والمال
فليظن الدهر عقبي ما صبرت له ... إذ كان من بعض حسادي وعذالي
ألم أكده بحسن الانتظار إلى ... أن صنت حظي عن حل وترحال
بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ... ولا يدافع عن فضل وإفضال
يا عارضاً لم أشم مذ كنت بارقه ... إلا رويت بغيث منه هطال
رويد جودك قد ضاقت به هممي ... ورد عني برغم الدهر إقلالي
لم يبق لي أمل أرجو نداك به ... دهري لأنك قد أفنيت آمالي
والله ينهضي من شكر طوله، والنهوض بحقوق فضله. لما يبلغني رتبة الزيادة، ونيل السؤل والإرادة، بمنه
وكرمه.

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة.
والعادة جارية بإعانتني على ما أوثره من التجميل في الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد:
فإن رأى لا رأى سوءاً ولا برح الإقبال مشتملاً أيام دولته
أن يقتضي لي من إنعامه خلعة ... تنوب عن منطقي في شكر نعمته
إذا تأملها الحساد لائحة ... تيقنوا أنها عنوان نيته
فعل إن شاء الله.
وله من رسالة إلى المهلب الوزير:

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف مطاولته، ولا إمكان البلاغة مساجلته،
عدلت إلى شكر الله تعالى ما ألهمني من تأميل سيدنا، والتجميل بحمل منته، واكتساب الشرف بسمه ذكره.
متحققاً أني على البعد منه حاضر بالإخلاص، لا حق بذوي الخطوة والاختصاص. إذ كانت خدمة مثلي إنما هي
بليه لا بقر به ولا بجسمه :

وفي الحقيقة لولا أن معتقلي ... عن السري جود سيف الدولة الملك
لما اقتضرت على غير المسير إلى ... من حظه في المعالي غير مشترك
لكنه فللك الفضل المحيط، وما ... من عادة الشمس أن تنأى عن الفلك
وفي هذه الرسالة:

وإن رأى المتناهي من سيادته ... إلى اخل الذي لم يرقه أحد
أن يقتضي لي حصاً من مكارمه ... يغري على العدى من أجله الحسد
فالشمس تدنو ضياء وهي نازحة ... والسحب تروي ومن أوطأها البعد
وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء: وقد كنت أوتر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في
الأمير، غير أن الوقت لم يتسع لما أوتره فأنفذت هذه الأبيات، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما أوتره
من المواصلة بأمثالها، ولا والله ما حسبت فيها، ولا فيما تقدمها من المنشور، عنان القلم، وهي:
جاد رباً حللته يا همام ... من ندى كفك العزيز رهام

فقيبح إن استزدت له صو ... ب غمام وأنت فيه غمام
ما بأرض لم تبد فيها صباح ... ما بدار حلت فيها ظلام
سؤدد عنده التفاجر ذل ... وندى عنده الكرام لنام
وسجاياء كأنها الروض، إلا ... أنها للعدو موت زوام
أنتم أنفس العلاء بني ور ... قاء والناس كلهم أجسام
سخط المال من أكفكم ما ... حمدته السيوف والأقلام
وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة، يذكر رغبته في قصده
وإثارة الانقطاع إليه، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة: ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه، ووفق للانقطاع إلى
سعة نعمائه - فقد استظهر لما بقي من عمره، وحكم لنفسه بالفوز على دهره:
فما يقدح الفقر في حاله ... ولا يطمع الدهر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغما ... م وهو قريب على بعده؟
ومن علقت بأبي تغلب ... يداه احتذى البدر من سعده
همام قضى الله من عرشه ... له بالإمارة في مهده
فطود السيادة في دسته ... وشمس الرياسة في برده
ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في سفره، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى
الموصل، ووردها، ولقي أبا تغلب برسالة طويلة منها: أفصح دلائل الإقبال، وأصدق براهين السعادة - أطل الله
بقاء سيدنا! - ما شهدت العقول بصحته، ونطقت البصائر بحقيقته، ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما
أولاهما من اختيار سيدنا لحر استهما بناظر فضله، وسترهما بظل عدله، مفصحة بتكامل الإقبال، مبشرة بتصديق
الآمال:

محروسة ضمن الشكر الوفي لها ... عن الزيادة نيل السؤل في الدرك
تحقق الدهر أن الملك منذ نشأ ... له أبو تغلب اسم غير مشترك
واستخلف الفلك الدوار همته ... فلو وني أغنت الدنيا عن الفلك
موفر الحسنات، مأمون الهفوات، متناصر الصفات، رباعي النفاسات، حمداني السياسة، ناصري الرياسة، عطاردي
الذكاء، موفق الآراء، شمسي التأثير، فلكي التدبير، قمري التصوير، للصدق كلامه، والعدل أحكامه، وللوفاء
ذمامه. وللحسام عناؤه، وللقدر مضأؤه، وللشهاب عطاؤه:
دعوته فأجابني مكارمه ... ولو دعوت سوى نعماه لم تجب
وجدته الغيث مشغولاً بعبادته ... والروض يجني بما في عادة السحب
لوفاته النسب الوضاح كان له ... من فضله نسب يغني عن النسب
إذا دعت ملوك الأرض سيدها ... طراً دعت المعالي سيد العرب

فأجل بره، وتقبله مدة مقامه بحضرته، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة تسعة وخمسين وثلاثمائة، وجعل
يعاود الموصل مرة، ومدينة السلام أخرى.

وله من رسالة شكر: وكأني أرى عواقب اشتمالك علي، وتفقدك المتواصل إلي، من مرآة العقل، وبصيرة الذكاء والفضل، إذ كانت إمارات الإقبال على حالي بك لائحة، وشواهد السعادة لدي بعنايتك واضحة:

فمن نظر يسارع في صلاحه ... ومن وصف يبحث على نفاقي

فإنعام أسر من التدايني ... على عدم أفظ من الفراق

وله في مثلها: من كان جميل رأي سيدنا عدته، أمن من الدهر شدته، ومن فرع إلى إحسانه، استظهر على زمانه، ومن توجه برغبته إليه، لم تقدم الأيام عليه:

وأنا الذي علمت من طلب الغنى ... كيف الطريق إلى الغنى برجائه

فظللت مخصوصاً بمحمد عفاته ... وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه

وأفدت قدماً معجزات فضائلي ... من نور فطنته ونار ذكائه

فإذا نطقت نطقت من ألفاظه ... وإذا وهبت وهبت من نعمائه

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصلي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه، ويكتبه ويراسله، فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة، فلم يصبر عنه، فزاره في محبسه، ثم انصرف عنه ولم يعاوده، فكتب إليه أبو إسحاق:

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل ... يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص

مضى زمن تستام وصلي غالياً ... فأرخصته، والبيع غال ومرخص

وأنستني في محبسي بزيارة ... شفت كمداً من صاحب لك قد خلص

ولكنها كانت كحسوة طائر ... فواقاً كما يستفرص السارق الفرص

وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وأوجست خوفاً من تذكرك القفص

كذا الكرز اللماح ينجو بنفسه ... إذا عاين الأشرار تنصب للقفص

فحوشيت يا قس الطيور فصاحة ... إذا أنشد المنظوم أودرس القصص

من المنسر الأشغى ومن حزة المدى ... ومن بندق الرامي ومن قصة المقص

ومن صعدة فيها من الدبق لهدم ... لفرسانكم عند الطعان بما قعص

فهذي دواهي الطير وقيت شرها ... إذا الدهر من أحداثه جرع الغصص

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله:

أيا ماجداً مذ يمجد ما نكص ... وبدر تمام مذ تكامل ما نقص

ستخلص من هذا السرار، وأيما ... هلال توارى بالسرار فما خلص

برأفة تاج الملة الملك الذي ... لسؤدده في خطة المشتري خصص

تقنصت بالألطف شكري، ولم أكن ... علمت بأن الحر بالبر يقتنص

وصادفت أدنى فرصة فانتهازها ... بلقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص

أتني القوافي الباهرات تحمل ال ... بدائع من مستحسن الجد والرخص

فقابلت زهر الروض منها ولم أراع ... وأحرزت در البحر منها ولم أغص

فإن كنت بالبغاء قدماً ملقباً ... فكم لقب بالجور لا العدل مختصر
وبعد، فما أخشى تقنص جراح ... وقلبك لي وكر ورأيك لي قفص
فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة، فأعجب بهما واستظرفهما، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي
إسحاق من اعتقاله، ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة .
وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبح والخطايف، ثم كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة البغاء:
أعنتها صبيحة مليحة ... ناطقة باللغة الفصيحة
غدت من الأطيّار، واللسان ... يوهمني بأنما إنسان
تنهي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأسرار والأستارا
سكاء إلا أنما سميعة ... تعيد ما تسمعه طبيعة
وربما لقنت العضيّه ... فتغتدي بذينة سفيّه
زارتك من بلادها البعيده ... واستوطنت عندك كالعقيده
ضيف قراه الجوز والرز ... والضيف في أبياتنا يعز
تراه في منقارها الخلوقي ... كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عيتين كالفصين ... في النور والظلمة بصاين
تميس في حلتها الخضراء ... مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدودها الأقفاص ... ليس لها من حبسها خلاص
تحبسها وما لها من ذنب ... وإنما تحبسها للحب
تلك التي قلبي بها مشغوف ... كنييت عنها واسمها معروف
نشرک فيها شاعر الزمان ... والكاتب المعروف بالبيان
وذاك عبد الواحد بن نصر ... تقيه نفسي عاديّات الدهر!
فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة:
من منصفي من حكم الكتاب ... شمس العلوم قمر الآداب؟
أضحى لأوصاف الكلام محرزا ... وسام أن يلحق لما برزا
وهل يجاري السابق المقصر؟ ... أم هل يساوي المدرك المعذر؟
ما زال بي عن غرض معرضا ... ولي بما يصدره مستنهضا
فتارة يعتمد الخطافا ... ببدع تستغرق الأوصافا
وتارة يعني بنعت القبح ... من منطق لفضله محتج
يحوم حول غرض معلوم ... ومقصد في شعره مفهوم
حتى تجلت رغبة الصريح ... وسلم التلويح للتصريح
وصح أن البغاء مقصده ... بكل ما كان قديماً يورده
فلم يدع لقائل مقالا ... فيها ولا لحاظر مجالا

أهدى لها من كل نعت أحسنه ... وصاغ من حلي المعاني أزينه
أحال بالريش الأشيب الأخضر ... وباحمرار طوقها والمنسر
على اختلاط الروض بالشقيق ... وأخضر الميناء بالعقيق
ترهى بدواج من الزمرد ... ومقلة كسج في عسجد
وحسن منقار أشم قاني ... كأنما صيغ من المرجان
صيرها انفرادها في الحبس ... بنطقها من فصحاء الإنس
تميزت في الطير بالبيان ... عن كل مخلوق سوى الإنسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذب ... من غير تغيير لحد أو لعب
غذاؤها أركى طعام رغدا ... لا تشرب الماء ولا تخشى الصدا
ذات شغى تحسبه ياقوتا ... لا ترتضي غير الأرز قوتا
كأنما الحبة في منقارها ... حباية تطفو على عقارها
إقدامها ببأسها الشديد ... أسكنها في قفص الحديد
فهى كخود في لباس أخضر ... تأوي إلى خركاهة لم تستر
ووصفها المعجز ما لا يدرك ... ومثله في غيرها لا يملك
لو لم تكن لي لقباً لم أختصر ... لكن خشيت أن يقال منتصر
وإنما تنعت باستحقاق ... لوصفها حذق أبي إسحاق
شرفها وزاد في تشریفها ... بحكم أبداع في تفويها
فكيف أجزى بالثناء المنتخب ... من صرف المدح إلى اسمي واللقب
وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الألف:
أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله ... تسميت من بين الخلائق ببغا
بيانا منيراً كاللجين مضمناً ... نضاراً من المعنى أدبياً وأفرغا
فلو لامرئ القيس انتدبت مجارياً ... كبا أو لقس في فصاحته صغا
متى ما يرم ذا الاسم غيرك رائم ... ليبلغ من غايات فضلك مبلغا
فإني أسميه به ثم أنثني ... فأسليه باء من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلمت البلاغة طائعا ... إليك فأبي الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي ... بأن كنت منه ثم مني أبلغا
وما هجنت منك الخاسن لثغة ... وليس سوى الإنسان تلقاه ألثغا
أعرفها فيما تقدم خايأ ... لعير إذا ما صاح أو جمل رغا
فيا لك حرفاً زدت فضلاً بنقصه ... فأصبحت منه بالكمال مسوغا
بقيت ولا تعدم بقاء مرفهاً ... وعشت ولا تعدم معاشاً مرفعا

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه بالموصل - كتب عنه أبو إسحاق في معناها

فصلاً من كتاب استحسنه الناس وتحفظوه وأقر له بالبراعة والبلاغة كل بليغ، وهو: قد توجه أبو النجم بدر الحرمي، وهو الأمين على ما يلحظه، الوفي بما يحفظه، نحوك يا سيدي ومولاي - أدام الله عزك! - بالوديعة، وإنما نقلت من وطن إلى سكن، ومن منبت درت لها نعمائها، إلى منشأ تجود عليها سماؤه. وهي بضعة مني انفصلت إليك، وثمره من جنى قلبي حصلت لديك. وما بان عني من وصلت حبله بحبلك، وتخبرت له بارع فضلك. وبوأت المنزل الرحب من جميل خلائقك، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك. ولا ضياع على ما تضمنه أمانتك، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك. وأرجو أن يقرن الله موردتها بالطائر السعيد. والأمر الرشيد. والعز الرائد، والمجد الصاعد. والنماء في الائتلاف، والعصمة من الفرقة بالخلاف. حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة، والعصمة من الفرقة بالخلاف. حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة.

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن محمد بن ثوبة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه، وهو: وأما الوديعة - أعزك الله! - فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك، عناية بها، وحياطة لها، ورعاية لموالاتك فيها. فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه، وقال له: تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرتة.

ولما قرئ الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج البغواء، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور، وهو: وأما أبو النجم بدر الحرمي - أيده الله! - المستوجب للارتضاء والإجماع، الموفى بمناصحته على كل مراد، فقد أدى الأمانة إلى متحملها، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها، فحلت من محل العز في وطنها، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها: متنقلة من عطن الفضل والكمال، إلى كنف السعادة والإقبال. وصادرة عن أنبل ولادة ونسب، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها، ما صان رعايتي عن الوصاة بها، ونزره وفائي عن الاستزادة لها، وكيف يوصي الناظر بنوره؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره، وإن سبباً قرن بإجماع أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه! - ذكرى، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة - أدام الله تأييده! - حبلتي. ومنح عز الدولة - أيده الله! - مكنون ودي، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً، ودونها بالنية والفعل مناضلاً، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً - لحقيق بالتناهي في الإعظام، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام، والله يعين على ما اعتقدته من ذلك وأخفيه. ويوفقني لما يوفي على الحبة والبيغة فيه. بمنه وقدرته، وحوله وقوته.

هذا ما أخرج من

شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

فمنه قوله:

لقد عز العزاء علي لما ... تصدى لي لتقتلي الصدود

إذا بعد الحبيب فكل شيء ... من الدنيا ولذتها بعيد
وقوله:

يا سادتي، هذه نفسي تودعكم ... إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع
قد كنت أطمع في روح بالبقاء فما ... أظني بعدكم بالعيش أنتفع
وقوله:

حصلت من الهوى بك في محل ... يساوي بين قربك والفراق
فلو واصلت ما نقص اشتياقي ... كما لو بنت ما زاد اشتياقي
وقوله:

يا مسقمي بجفون سقمها سبب ... إلى مواصلة الأقسام في جسدي
وحق جفنيك لا استعفيت من كمدي ... دهري، ولو مت من هم ومن كمدي
عذرت من ظل في حبيك يحسدني ... لأنه فيك معذور على حسدي
وقوله:

يا من تشابه منه الخلق والخلق ... فما تسافر إلا نحوه الخدق
توريد دمعي من خديك مختلس ... مسقم جسدي من جفنيك مسترق

لم يبق لي رمق أشكو هواك به ... وإنما يشتكى من به رمق
وقوله:

ومهفهف لما اكتست وجناته ... حلل الملاحاة طرزت بعداره
لما انتصرت على عظيم جفائه ... بالثلب كان القلب من أنصاره
كملت محاسن وجهه فكأنما اق ... تبس الهلال النور من أنواره
وإذا ألح القلب في هجرانه ... قال الهوى: لا بد منه فداره
وقوله:

ما ضر من بعد السرور بعده ... لو كان يجمل في صيانة عبده
يبدو فأطرق هيبة ومخافة ... من أن يؤثر ناظري في خده
قد صرت أعجب أن علة طرفه ... ليست تؤثر علة في وده
وقوله:

يا طيف من أنا عبده من أين لي ... شكر يقوم ببعض ما توليه
ينأى فتدنيه إلي على النوى ... فأراه كالتحقيق في التشبيه
ما كان أحسن حالتي لو أن ما ... أوتيت من كرم وعطف فيه
وقوله:

علمت طيفك اسعافي فما هجعت ... عيناى إلا وطيف منك يطرمني
فكيف أشكر من إن نمت واصلني ... بالطيف منه وإن لم أغف قاطعني

وقوله:

خيالك منك أعرف بالغرام ... وأرأف بالحب المستهام
فلو يستطيع حين حظرت نومي ... علي لزار في غير المانم

وقوله:

قد كان أحسن شيء بعد بعدهم ... بروح مثلك أن تنأى عن الجسد
هم الوصال أعادوها إليك، فلم ... ذخرتها بعدهم للصبر والجلد؟
وعدت بالدمع تعليلاً كأنك قد ... أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحد

وقوله:

يا من إذا خفت فيه العذل آمني ... جميل إنصافه من عذل عذالي
ما يستحق زماني وهو سائحني مثل ودك أن أشكوه في حال
رآك غاية آمالي، فما برحت ... تسعى لياليه حتى نلت آمالي

وقوله:

أوليس من إحدى العجائب أنني ... فارقت فحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ... ارحم فتي يحكيه عند محاقه

وقوله:

جاورت بالحب قلباً لم تذر فكري ... للحب مستمتعاً فيه ولم تدع
مفرقاً بين هم غير مفترق ... عنه، وبين سلو غير مجتمع

وهذه غرر من

شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد الخبوب، وهو أحسن ما سمعت في معناه:
بنفسي ما يشكوه من راح طرفه ... ونرجسه مما دهى حسنه ورد
أراقت دمي ظلماً محاسن وجهه ... فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدوت عينه كالخند حتى كأنما ... سقى عينه من ماء توريده الخد
لئن أصبحت رمداً مقلة مالكي ... لقد طالما استشفيت بها مقل رمدا
وله في الفصد:

بأي الغائب الذي لم يغب ع ... ني فأشكو إليه هم المغيب
باشرته كف الطبيب، فلو نل ... ت الأمانى قبلت كف الطبيب
فعلت في ذراعاه ظبة المب ... ضع أفعال لحظه بالقلوب
فأسالت دماً كأن جفوني ... عصرته بدمعها المسكوب
طاب جداً فلو به سمح الده ... ر لأمسى عطري وأصبح طبي

وله غلام خرج غازياً:
يا غازياً أتت الأحزان غازية ... إلى فؤادي والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماء الروم فارمهم ... بسهم عينيك تقتل كل من برزا
وله في وصف معصرة:

ومعصرة أنخت بها ... وقرن الشمس لم يغيب
فخلت قزازها بالرا ... ح بعض معادن الذهب
وقد ذرفت لفقد الكر ... م فيها أعين العنب
وجاش عباب واديها ... بمنهل ومنسكب
وياقوت العصير بها ... يلاعب لؤلؤ الحب
فيا عجباً لعاصرها ... وما يغني به عجي!
وكيف يعيش وهو يخو ... ض في بحر من اللهب؟
قوله في الخمر والقدر:

بالقفص للقفص منزل كذب ... ما للتصايي في غيره أرب
جادت به ديمة السرور، وح ... ل اللهو فيه، وعرس المطرب

دارت نجوم السرور في فلك ... منه له من فتوتي قطب
من كل جسم كأنه عرض ... يكاد لطفاً باللحظ ينتهب
نور وإن يغيب، ووهم وإن ... صح، وماء لو كان ينسكب
لا عيب فيه سوى إذاعته ال ... سر الذي في حشاه يحتجب
كأنما صاغه النفاق فما ... يخلص صدق منه ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره ... على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه ... بالراح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية ... فيه علينا الأوتار والنخب
فالراح بدر، والجام هالته ... والأفق كفي، والأنجم الحبيب
حال به الماء عن طبيعته ... بالمرج حتى خلناه يلتهب
ونحن في مجلس تدبير به ال ... حمر علينا الأقداح لا العلب
ينسى بأوطانه الحنين إلى ال ... أوطان من السرور ويغترب
لولا حفاظي المشهور ما أمنت ... من يعد بغداد سلوتي حلب
وله:

ومادم كأنما في حشا الدن ... صباح مقارن لمساء
فهي نفس لها من الطين جسم ... لم تمتع فيه بطول البقاء
ما توهمت قبلها أن في العا ... لم ناراً تذكي بقرع الماء

بزلت والضحي عن الليل محجو ... ب فلاحت كالشمس في الظلماء
وتلاه الفجر المنير فعنا ... ه لأنا عن نوره في غناء
مازجت جوهر الزجاج فجاءت ... كشعاع ممزوج لهواء
وتحلت من الحباب بدر ... يتلاشى باللحظ والإيماء
بينما تكتسي به زرد البلو ... ر حتى ترفض مثل الهباء
فكأننا بين الكؤوس بدور ... تنهادى كواكب الجوزاء
وكان المدير في الحلة البي ... ضاء منها في حلة صفراء
حبذا العيش حيث تسري الأماني ... بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أقضى على قل ... بي وأمضى من نشوة الصهباء
وله وهو من أبلغ ما قيل في عتق الخمر :

وعريقة الأنساب والشيم ... موجودة والخلق في العدم
قدمت فلا تعزى إلى حدث ... إلا إذا عزيت إلى الهرم
هي آدم الكرم المولد في ال ... دنيا وحو الخمر في القدم
كملت فضائلها وقصر عن ... أوصافها الإغراق في الكلم
ظهرت ونور الشمس في فلك ... من قبل خلق الصبح والظلم
فأنهل جوهرها بمنسكب ... لم يعتصر بيد ولا قدم
واشتق معنى اسم السلاف لها ... من كونها في سالف الأمم
فكأنها في صفوها خلقي ... وكأنها في عتقها كرمي
وله:

غادني بالصباح قبل الصباح ... واجر في حلبة الصبا والمراح
واغتتم زائر الغرام فقد بش ... ر بالغيث من نسيم الرياح
عاطنيها كالجلنار إذا ما ... كللت من حباها بالأفاح
في اختصاص التفاح بالطيب والخم ... رة لا في كثافة التفاح
غير نكر أن تستمد شعاع ال ... شمس منها كواكب الأقداح
فهي أصل الأنوار لطفاً كما كا ... ساقها عنصر الزلال القراح
خدمتها الأجسام بالطبع لما ... شاهدت قربها من الأرواح
فتداركها حشاشة أفرا ... حي وحركها سكون ارتياحي
بين وردين من بنان وخذ ... وشرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث ... وغناء يغني عن الاقتراح
فألذ الحياة ما خلط العا ... قل فيه فساده بصلاح
وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور:

كم منة للظلام في عنقي ... بجمع شمل وضم معتنق
وكم صباح للراح أسلمي ... من قلق ساطع إلى قلق

فعاطيها بكرأ مشعشة ... كأنها في صفائها خلقي
في أزرق كالهواء يخرقه ال ... لحظ وإن كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبة ... حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
ما زلت منه منادماً لعباً ... مذ أسكرتها السقاة لم تفق
تختال قبل المزاج في أزرق ال ... فجر وبعد المزاج في الشفق
تغرق في أبحر المدام فيس ... تنقذها شربنا من الغرق
فلو ترى راحتي وزرقته ... من صبغها في معصفر شرق
خلت أن الهواء لا طفي ... بالشمس في قطعة من الأفق
وله قصيدة:

كم للصبابة والصباء من منزل ... ما بين كلوا ذا إلى قطربل
جادته من ديم المدام سحائب ... أغنته عن صوت الحيا المتهلل
غيث إذا ما الراح أو مض برقه ... فرعوده حث الثقيل الأول
لطفت مواقع صوبه فسجاله ... تهمي على كرب النفوس فتنجلي
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني ... نحوي بجيد رشاً وعيني مغزل
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه ... بممزج من نسجها ومثقل
وكسا البنان بها خضاباً يله ... لو أنه من وقته لم ينصل
قدح البزال زنادهما من دونهما فتهافت مثل الشراب المرسل
وطغت لعجز الماء عن إطفائها ... حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي
فوردت أروي مورد وشربت أح ... لي مشرب ونملت أعذب منهبل
ونزعت لافي السكر خنت تصوي ... بخناً ولا في الصحو شنت تجملي
وقال في الورد:

زمن الورد أظرف الأزمان ... وأوان الربيع خير أوان
أدرك النرجس الجني وفرنا ... منهما بالحدود والأجفان
أشرف الزهر زار في أشرف الده ... فصل فيه أشرف الإخوان
وأجل شمس العقار في يد بدر الإ ... كان من قبل عائق الإمكان
في كؤوس كأنها زهر الخش ... خاش ضمنت شقائق النعمان
واختدعها عند البزال بألفا ... ظ المثاني ومطربات الأغاني
فهني أولى من العرائس إن زف ... ت بعزف النيات والعيان
وقال في النرجس:

ونرجس لم يعد مبيضه الكأس ... ولا أصفره الراحا
تخال أقحاف لجين حوت ... من أصفر العسجد أقداحا
كأنما تهدي التحايا به ... لطفاً إلى الأرواح أرواحا
يلهي عن الورد إذا مارنا ... ويخلف المسك إذا فاحا
أحبب به من زائر راحل ... عوض بالأحزان أفراحا
فانتهاز الفرصة في قربه ... وكن إلى اللذات مرتاحا
وهاهما عذراء لم تفتزع ... في الليل إلا عاد إصباحا
كأنما كل بنان حوت ... كاساتها تحمل مصباحا
واجن بأحظك من وجنتي ... مديرها ورداً وتفاحا

غور من

شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة:

صحبت الدهر في سهل وحزن ... وجربت الأمور وجربتي
فلم أر مذ عرفت محل نفسي ... بلوغ غنى يساوي حمل من
ولم تتضمن الدنيا لحظي ... منال مسرة إلا بحزن
حملت على السوابق ثقل همي ... وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشمت بوارق الآمال دهرأ ... فلم أظفر على ظمأ بمزن
ولم أر كالجياذ أصح ودأ ... إذا عدل الودود إلى التضني
نكلفلها عزائمنا فتكفي ... ونستدني الحظوظ بما فتدني
وهبت لمثل قطع الليل منها ... أغر كمثل ضوء الصبح مني
وكنت بحيث ظن من اعتزام ... وكان من المضاء بحيث ظني
وثالثنا ابن جد لا يرى أن ... يصاحب في تصرفه ابن وهن
حجبت لجفنه الأبصار عنه ... ومن لي أن يكون الجفن جفني
سقيت نداي ما أسنى محلي ... وأرفع همتي وأعز ركني

رسا في تربة العلياء أصلي ... وأينع في بروج العز غصني
وليس علي غير الجد فيما ... سعت له لأستغني وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجز ... وإن أبلغ فنفسى بلغتي
وله من أخرى:

ما الذل إلا تحمل المن ... فكُن عزيزاً إن شئت أو فهن

إذا اقتصرنا على اليسير فما ال ... علة في عتبنا على الزمن
وله من أخرى :

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرم ... أحلافه في دياجي دهره شعل
حماء وهو غلام غير مكتهل ... عن المطامع فضل غير مكتهل
وله من أخرى :

أكل وميض بارقه كذوب ... أما في الدهر شيء لا يريب؟
أبي لي أن أقول المهجر قدر ... بعيد أن تحاور العيوب
وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة:
لا غيث نعماء في الورى خلب ال ... برق ولا ورد جوده وشل
جاد إلى أن لم يبق نائله ... مالا، ولم يبق للورى أمل
وله:

واليوم من غسق العجاجة ليلة ... والكرب يخرق سجفها الممدودا
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه ... روع أحال بياضها توريدا
والطعن يغتصب الجياد شياقها ... والضرب يقدح في التريك وقودا
وعلى النفوس من الحمام طلائع ... والخوف ينشد صبرها المفقودا
وقد استحال البر بجرأ، والضحي ... ليلاً، ومنخرق الفضاء حديدا
وأجل ما عند الفوارس حثها ... في طاعة الهرب الجياد القودا
حتى إذا ما فارق الرأي الهوى ... وغدا اليقين على الظنون شهيدا
لم يغن غير أبي شجاع والعلا ... عنه تناجي النصر والتأييدا
وله من أخرى :

من كل متسع الأخلاق مبتسم ... للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيل
يسعى به البرق إلا أنه فرس ... في صورة الموت إلا أنه رجل
يلقى الرماح بصدر منه ليس له ... ظهر وهادى جواد ما له كفل
وله من أخرى :

في سالب للشمس ثوب ضيائها ... بعجاجة ملء الفضاء لهام
كالليل إلا أن ثوب ظلامه ... من عثير ونجومه من لام
يلقى الدجى من بيضه بضحي كما ... يلقي الضحي من نقعه بظلام
وله من أخرى :

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً ... شعناً ولولا بأسه لم تنقد
في جحفل كالسيل أو كالليل أو ... كالقطر صافح موج بحر مزبد
متوقد الجنبات يعتنق القنا ... فيه اعتناق تواصل وتودد
متعرجر بظبا الصوارم مبرق ... تحت الغبار وبالصواهل مرعد

رد الظلام على الضحى فاسترجع ال ... إظلام من ليل العجاج الأربد
وكأنما نقشت حوافر خيله ... للناظرين أهله في الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف وقد ... جعل الغبار له مكان الإثم
ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه! وكل هذه الأوصاف ما لا مزيد عليه حسناً وبراعة. وله من أخرى:
من كل مختالة تنقب بال ... عثير وجه الضحى من الخجل
تضم أحشاءها على أسد ... تزأر في غابة من الأسل
وله من أخرى:

في خميس كأنما السمر والأب ... طال غيل حمته أسود
سلب الشمس ضوءها بشوس ... طالعات أفلاكهن حديد
عارض كلما جلته بروق ال ... بيض حثته بالصهيل الرعود
وله من أخرى:

وموشية بالبيص والزغف والقنا ... محبرة الأعصاب بالضمير القب
بعيدة ما بين الجناحين في السرى ... قريبة ما بين الكمين بالضرب
من السالبات الشمس ثوب ضيائها ... بثوب تولى نسجه عثير الترب
يعاتب نشوان القنا صراح الطبا ... إذا التقيا فيها على قلة الشرب
أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى ... وردت إلينا الصبح في الليل بالشهب

تبليج عن شمسي نزار ويعرب ... وتفتر عن طودي علا تغلب الغلب
موقرة يقتاد ثني زمامها ... بصير بأدواء الكريهة والحرب
أصح اعتزاماً من خؤون على فلا ... وأنفذ حكماً من غرام على صب
وله من أخرى:

ويوم أغص اتساع الفضا ... جيش لمن أمه مهول
يخيل أن ما له آخر ... إذا ما تراءى له أول
ويغصب شمس الضحى نورها ... من الخيل ما تبعث الأرجل
دجى أنت بدر به والنجو ... م زرقك والظلمة القسطل
وله من أخرى:

في عارض ضاقت الأرض القسيحة ... عن سراة إذا سال فيها سيله العرم
كأنه الليل لا قرب ولا بعد ... يخفى عليه ولا فج ولا علم
يهدي الغبار إليه الشمس كاسفة ... كأنما فيه سر ليس ينكتم
شق الغضنفر آجام الرماح به ... والموت يسفر أحياناً ويلتئم
فراسل الدهر في الأعداء عزمته ... وكاتب النصر عنه السيف لا القلم
وما سمعنا بليث قبل رؤيته ... إذا سرى صاحبه في السرى الأجم

البازل العرف والأنواء باخلة ... والمانع الجار والأعمار تحترم
حيث الدجى النقع، والقمر الصوارم، والأسد الفوارس، والخطية الأجم
وله من أخرى:

وكل بعيد قرب الحين نحوه ... سلاهيك الجرد الخفاف قريب
تباشر أقطار البلاد كأنها ... رياح لها في الخافقين هبوب
تماشي بفتيان كأن جسومهم ... لحفتها فوق السروج قلوب
وله من أخرى:

أتاهم بالحاظ الجياد ولم تكن ... لينأى عليها المنزل المتباعد
من اللاء يهبجون المياه لدى السرى ... ويعتضن شم الجو والجو راكد
مرن على لدغ القنا ثم حرقنه ... عليهن من صبغ الدماء مجاسد
نسجن ملاء النقع ثم حرقنه ... بكر لها منه إلى النصر قائد
عليهن من نسج الغبار غلائل ... رقاق ومن نضح الدماء قلائد
وله من قصيدة في وصف فرس:

إن لاح قلت أدمية أم هيكل ... أو عن أسابيح أم أجدل
تتخاذل الألحاط في إدراكه ... ويحار فيه الناظر المتأمل
فكأنه في اللطف فهم ثاقب ... وكأنه في الحسن حظ مقبل
وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة:
قد جاءت البغلة السفواء يجنب من ... ها البرد غيث ندى ينهطل ماطره
عريقة ناسبت أخوالها فلها ... بالعتق من كرم الجنسسين فاخره
ملء الحزام وملء اللبد مجفرة ... يريك غائبها في الحسن حاضره
أهدى لها الروض من أوصافه شية ... خضراء ناضرة إذ حال ناضره
ليست بأول حملان شريت به ... حمدي، ولا هي يا ذا المجد آخره
كم تقدمها من سابح بيدي ... عنانه، وعلى الجوزاء حافره
وله في وصف بركة:

وقوراء كالفلك المستدير ... تروق العيون بالألائها
حبتها البحار بأمواجها ... وسحب السماء بأنوائها
كأن تدفق تيارها ... يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها ... وخلقك أعذب من مائها

الباب الثامن

في ذكر الخليع الشامي والوآء الدمشقي

وأبي طالب الرقي

الخليع الشامي

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مقلقاً قد أدرك زمان البحري وبقي إلى أيام
سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه.
فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال: رأيت الخليع بحلب شيخاً قد أخذت منه السن العالية، وثقلت عليه الحركة،
فمما أنشدنيہ لنفسه قوله:

جيراننا جار الزمان عليهم ... إذا جار حكمهم على الجيران
ما الشأن ويحك في فراق فريقهم ... الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فائنه ... عني، فقد ملك الشمول عني

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... أني يفيق فتى به سكران؟!
وقوله وهو مما يتغنى به:

بأي المدامين لم أسكر ... بكأسك أم طرفك الأحرور
سقيت من الشمس مشمولة ... على غرة القمر الأزهر
إذا الماء خالطها جنحت ... أكاليل در على جوهر
كأن على الشرب من لونها ... ثياباً من الذهب الأحمر
وقوله لسيف الدولة:

أنا شاعر، أنا شاعر، أنا ناشر، ... أنا راجل، أنا جائع، أنا عاري
هي ستة فكن الضمين لنصفها ... أكن الضمين لنصفها بغير
والنار عندي كالمسؤال فهل ترى ... أن لا تكلفني دخول النار
وأنشدني غيره للخليع، وأنا أشك فيه:
لو لم تحل ما سميت حالا ... وكل ما حال فقد زالا
انظر إلى الظل إذا ما انتهى ... يأخذ في النقص إذا طالا

أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني

الدمشقي الملقب بالوآء

من حسنات الشام، وصاغة الكلام، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال: كان الوآء منادياً
في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه، ووقع فيه ما روق،
ويشوق ويفوق، حتى يعلو العيوق. ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدق، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره،
وذكر أنه سمعها من إنشاده. وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان، فإنه استصحبه من

بغداد في جملة ما حصله من اللطائف والبدائع التي عني بها، وأنفق الرغائب عليها، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم، خفيف الحجم، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان. وهو غير ثقة في الرواية والحكاية، وكنت تأنفت في إخراج ما يفتقر الأديب إلى فقره، ولا يستغني الشاعر عن غره. من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب، ولم ازد في هذه المقررة كثير زيادة.

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال: كان الفتح بن خانكان يأنس بي، ويطلعني على الخاص من سره، فقال لي مرة: أشعرت يا أبا عبد الله انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة " يعني جارية له " فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفثيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله:

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه ... فأفئته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستجلب الكرا ... ولو رقد المخمور فيه أفقا

تملكني لما تملكك مهجتي ... وفارقني لما أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحظة:

أتاني زائر من كان يبدي ... لي الهجر الطويل ولا يزور

فقال الناس لما أبصروه: ... ليهنك! زارك البدر المنير

فقلت لهم ودمع العين يجري ... على خدي له در نثير:

متى أرعى بروض الحسن منه ... وعيني قد تضمنها غدير؟

ولو نصبت رحي بإزاء دمعي ... لكنت من تحدره تدور

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز:

وإن تك في خديك للحسن روضة ... فإن على خدي غديراً من الدمع

ومن ملح قوله في وصف الدمع:

كل دمع فبالتكلف يجري ... غير دمع الحب والمهجور

ورد البين دمع عيني فأضحى ... كعقيق أذيب في بلور

ومن ملحه في الخمر:

عذبتها بالمزاج فابتسمت ... عن برد نابت على هلب

كأن أيدي المزاج قد سكبت ... في كأسها فضة على ذهب

وقوله:

فامزج بمائك نار كأسك واسقني ... فلقد مزجت مدامعي بدمائي

واشرب على زهر الرياض مدامة ... تنفي الهموم بعاجل السراء

لطفت فصارت من لطيف محلها ... تجري كمجرى الروح في الأعضاء

وكان مخنقة عليها جوهر ... ما بين نار أذكيت وهواء

وكأنها وكأن حامل كأسها ... إذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها ... بدر الدجى بكواكب الجوزاء
وقوله:

يطوف براح ريحها ومذاقها ... نسيم الصبا والعيش في زمن الصبا
ومن ملحه في الخط :
وشمس بأعلاه وليدين أسبلا ... بخديه إلا أنها ليس تغرب
ولما حوى نصف الدجى نصف خده ... تحير حتى ما درى أين يذهب
وقوله:

زار بليل على صباح ... على قضيب على كتيب
حتى أتت ألسن الليالي ... معتذرات من الذنوب
فيا لها زورة أخذنا ... بها أماناً من الخطوب
وقوله:

بدر تقنع بالظلا ... م على قضيب في كتيب
تدعو محاسنه القلو ... ب إلى مشافهة الذنوب
فعلت به ربيع الصبا ... ما ليس تفعل بالقضيب
عقلت ركائب حسنه ... بعقولنا عند المغيب
وتلطمت وجناتنا ... بيد الدموع من النحيب
وكأنما تشویشننا ... تشویشن ألفاظ المريب
يا بدر بالبدر الذي ... أطلعت من فلك الجيوب
وبعقرب الصدغ الذي ... زرفنت من حسن وطيب
ترعى وما استرعيتها ... ثمر القلوب بلا ديب
هب لي مزارك في الكرا ... كيما أراك بلا رقيب
ومن بدائع تشبيهاته قوله:

قالت وقد فتكت فينا لو احظها ... كم ذا؟ أما لقتيل الحب من قود؟
وأسبلت لؤلؤاً من نرجس، وسقت ... ورداً، وعضت على العناب بالبرد
هذا البيت مما أحسن فيه، وضمنه خس تشبيهات بغير أداة التشبيه:
إنسانة لو بدت للشمس ما طلعت ... من بعد رؤيتها يوماً على أحد
كأنما بين غابات الجفون لها ... أسد الحمام على طرق الهوى رسدي
وقوله:

قد سترت وجهها عن النظر ... بساعد حل عقد مصطبري
كأنه والعيون ترمقه ... عمود في دائرة القمر
وقوله:

جعلت تشتكي الفراق وفي أج ... فأنها عقد لؤلؤ منشور
فكان الكحل السحيق مع الدم ... ع على خدها بقايا سطور
وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس:
سقيا ليوم قوس السماء به ... والشمس مسفرة والبرق خلاس
كانها قوس رام والبروق له ... رشق السهام وعين الشمس برجاس
وقوله وهو مما يتغنى به:

لا تنكري ما بي فليس بمنكر ... عند التفرق دهشة المتحير
يا هذه روعي إليك هدية ... فتجملني في أخذها لي واعذري
وتألمي غير الزمان فإنها ... تحكي تغير عهدك المتغير
ولرب ليل ضل عنه صباحه ... وكأنه بك خطرة المتذكر
والبدر أول ما بدا متلثماً ... يبدي الضياء لنا بخد مسفر
فكانما هو خوذة من فضة ... قد ركبت في هامة من عنبر
وقوله في غلام عليل:

إبيض واصفر لاعتلال ... فصار كالترجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه ... بشعر أصداعه مغلف
يرشح منه الجبين ماء ... كأنه لؤلؤ مصنف
وقوله:

ليت ليلى أمد من نفس العا ... شق طولاً إذ زار فيه الخليل
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفا ... ن الدجى عن قميصه محلول
وكان الهلال تحت الثريا ... ملك فوق رأسه إكليل
وقوله:

وغداف الظلام في شرك الفج ... ر شريكي في قبضة الارتهان
وكان النجوم أحداق روم ... ركبت في محاجر السودان
وقوله من أبيات:

كم حث شرابي بكأسه قمر ... بقدر غصن وخصر زنبور
وقوله من قصيدة:

يقمن لنا برق الثغور أدلة ... إذا ما ضللنا في ظلام الدواب
ومما يتغنى به من شعره:

يا من سقام جفونه ... لسقام عاشقه طبيب

حزت المودة فاستوى ... عندي حضرك والمغيب

كن كيف شئت من البعا ... د فأنت من فلي قريب
وقوله:

أستودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعته
ودعته وبودي أن تودعني ... روح الحياة وأني لا أودعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى ... وأدمعي مستهلات وأدمعه
وكم تشفع في أن لا أفارقه ... وللضرورة حال لا تشفعه
وقوله:

بالله ربكما عوجا على سكني ... وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في كلامكما: ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه؟
فإن تبسم قولاً عن ملاطفة ... ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيدي غضب ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه
وقوله:

زمان الرياض زمان أنيق ... وعيش الخلاعة عيش رقيق
وقد جمع الوقت حاليهما ... فمن ذا يفيق ومن يستفيق
فيا من هو الفوز لي والمنى ... ومن هو بالود مني حقيق
أدر لحظ عينيك وامرجه في ... مروج الرياض تجدها تشوق
ترى مزوج الحسن في مفرد ... جليل الخاسن في دقيق
إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه ... فكيف الخلاص وأين الطريق؟

بهار بهير به غيرة ... على نرجس وشقيق شقيق
فذا عاشق وجل خائف ... وذا خجل وكذاك العشيق
مداهن يحملن طل الندى ... فهاتيك تبر وهذي عقيق
تنظم أوراقها درها ... وتنثر منها التي لا تطيق
يميل السيم بأغصانها ... فبعض نشاوى وبعض مفيق
ويوم ستارته غيمة ... وقد طرزت رفريفها البروق
جعلنا البخور دخاناً له ... ومن شر الراح فيه حريق
تظل به الشمس محجوبة ... كأن اصطباحك فيه غبوق
على شجرات رافعات الذبول ... لماء الجداول منها شهيق
سجدنا لصلبان منشورها ... وقد نصرتنا عليها الرحيق
وقلنا بها ولضوء الصباح ... على عنبر الفجر لحظ وريق
أيا من هو الفوز لي بالمنى ... ومن هو بالود مني حقيق
تغنم بنا غفلة الحادثات ... فوجه الحوادث وجه مفيق
وحت الصبوح لضوء الصباح ... فمتسع المهم فيه يضيق
وقوله:

وزائر راع قلب الناس منظره ... أحلى من الأمن عند الخائف الوجمل

ألقى على الليل ليلاً من ذوائبه ... فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
أراد بالهجر قتلي فاستجرت به ... فاستل بالوصل روعي من يدي أجلي
وصرت فيه أمير العاشقين فقد ... صارت إمارة أهل العشق من قبلي
وقوله:

وما أبقى الهوى والشوق مني ... سوى روح تردد في خيال
خفيت عن النوائب أن تراني ... كأن الروح مني في محال
وقوله:

ما حكم البين إلا جار محتكماً ... ولا انتضى سيفه إلا أراق دما
يا دارهم خبرينا ما الذي فعلوا ... فرمما جهل المشتاق ما علما
الله يعلم أني يوم بينهم ... ندمت إذا لم أمت في إثرهم ندما
قد سرتني أنهم قد سرهم سقمي ... فازددت كيما يسروا بالضنا سقما
وقوله:

رماه رجم فأصاب ... القلب من إذ رمى
واحتج في قتلته ... بأنه ما علما
يا معشر سقم طرفه ... جسمي منه تعلما
لو قيل لي ما تشتهي ... مخيراً محكما
لقلت أن أئثمه ... نحرّاً ووجهاً وفما
وقوله:

له مضحك برقه خاطف ... عقول الرجال إذا ما ابتسم
أقول له إذ بدا دره: ... شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدر ينقبه الناظمو ... ن وما ثقبوا ذا فكيف انتظم؟!
وقوله:

تملكت يا مهجتي مهجتي ... وأسهرت يا ناظري ناظري

وفيك تعلمت نظم الكلام ... فلقيني الناس بالشاعر
وما كان ذا أملّي يا ظلوم ... ولا خطر الهجر في خاطري
وقوله:

وحديث كأنه ... أوية من مسافر
كان أحلى من الرقا ... د لدى طرف ساهر
بت ألهو بطيبه ... في رياض زواهر
بين ساق وسامر ... ومغن وزامر

حدثني أبو بكر الخوارزمي، قال: حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري دعوة القاضي أبي بكر الحميري، فغنى

القوالين بهذه الأبيات:

قم يا غلام إلا المدام ... قم داوئي منها بجام
قم فاسقني برق الثغو ... ر فقد مضى برق الغمام
بادر إلى صرف الحمي ... ا سابقاً صرف الحمام
وتغنم الغفلات من ... دهر يجور على الكرام
فاستملحها أبو الحسن، وسألني عن قائلها، فأخبرته أنها لأبي الفرج الوأواء، فاقترح علي معارضتها، فارتجلت أبياتاً ثم أتممتها قصيدة منها:

لما بدت روح الضيا ... ء تدب في جسم الظلام
وغدت نجوم الليل وه ... ي تفر من حدق الأنام
والديك يتلو دائماً ... هجو النيام على القيام
ناقصت ما قال المؤذ ... ن بالفعل والكلام
هو قال حي على الصلا ... ة وقلت حي على المدام
ومنها:

لما رأيت الهم يط ... رق من أتاه بلا سلام
ضيف يزور فليس يآ ... كل غير حمي أو عظامي
والدهر قد حمل السلا ... ح على الكرام عن اللنام
داويته بالراح إن ... الراح ترياق الكرام
ومن ملح الوأواء وطرفة قوله في جرب معشوقه:
يا صروف الدهر حسبي ... أي ذنب كان ذنبي؟
طرقني نائبات ال ... دهر في إعلال حبي
علة عمت وخصت ... في حبيب ومحب
فهو يشكو حر حب ... واشتكائي حر حب
وقوله في زرقة عين محبوبه:

يا من هو الماء في تكوين خلقتة ... ومن هو الخمر في أفعال مقلته
ومن بزرة سيف اللحظ طل دمي ... والسيف ما فخره إلا بزرقته
علمت إنسان عيني أن يعوم فقد ... جادت سباحته في بحر دمعته
وللسري الموصل في مثله:

وقالوا بمقلته زرقة ... تشين فظل لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى ... إذا لم يكن متنه أزرقا؟
ومن ملح الوأواء ك

يا ذا الذي ورد خديه إذا أخذت ... منه اللواظ شيئاً رده الخجل
ماذا يضرك أن تحني وقد ضمنت ... أضعاف ما تحتني من لحظها المقل؟

هذا لعمر ماعون بخلت به ... على العيون، وبنس الخلة البخل
وله:

رثي له مما به نابه ... صب غدا صباً بأوصابه
ميت يرى حياً ولكنه ... تربته ما بين أثوابه
أي حياة لامرئ قد بلى ... بالقرب من فرقة أحبابه؟
وقوله من قصيدة:

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ ... س بتسييح ألسن العيدان
كم صلاة على فتى مات سكرأ ... قد أقيمت فينا بغير أذان

أبو طالب الرقي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي، وسمعته يقول: إنه أحد المقلين المحسنين، الذين يطبقون المفصل في
أغراضهم، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم، ثم أنشدني له قوله
ولقد ذكرتك في الظلام كأنه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وكان أجرام النجوم لوامعاً ... درر نثرن على زجاج أزرق
والفجر فيه كأنه قطر الندى ... ينهل من سح الغمام المغدق
وقوله:

ومعبر وجه البدر ما في وجهه ... والغصن ما في قدة المتأود
رمدت جفوني من تورده ... فكحللتها من عارضيه بإثمد
وقوله:

ديباج خدك بالعذار مطرز ... وشبيه وجهك في البرايا معوز

وكأنما إنسان عينك شاهر ... سيف اللحاظ يصيح: من ذا يبرز؟
يا من أعز بذلتي في حبه ... مثلي رأيت بذلة يتعزز؟
وقوله:

ومشتمل ثوبي عفاف وفتنة ... يرى قتل من يهوى إلى النسك مسلكا
إذا طاف بالأركان به الورى ... فيقضي ولا يقضون للحج منسكا
جنى اللحظ من خديه ورداً مورداً ... ومن عارضيه ياسميناً ممسكا
فيا رائحاً منه بأوفر فتنة ... تجهز لعام بعد هذا لعلكا
وقوله:

مصفرة الظاهر بيضاء الحشا ... أبدع في صنعتها رب السما
كأنها كف محب دنف ... مبعده يحسب أيام الجفما
وقوله:

ووردة في نان معطار ... جئت بها في لطيف أسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد ... نطقها عاشق بدينار

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب

وطرف أشعارهم ونواديرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة، وتطرفتها من أثناء التعليقات، ولم أجد لأصحابها أشعاراً
مجموعة يتفصح في طريق الاختيار منها، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها، وتجتمع حواشيها، ولن تعدم القلائد فيها
بحمد الله ومشيتته.

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه:
ما أصعب العيش على بائس ... معاشه في حلب النحو
ليس له في بردها جبة ... ولا قميص لا ولا فرو
ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما:
يا راكب العيس قف وعرج ... واقراً سلامي على بني طي
وقل لهم طيبكم جفاني ... لما رأيي وما معي شي
ووجدت للسري والسمامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من مذكوري الشعراء بتلك البلاد.
ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد التلعفري بنصيبين لنفسه من قصيدة
أولها:

من ذا يدل على الراد جفوني ... قد ضاع بين صبابتي وشجوني
أما النجوم فقد ألفن رعايتي ... والعائدات فقد مللن أنيني
قال: وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين، قال: أنشدني لنفسه في غلام نصراني:
غريب الحسن، من سماك بدرا؟ ... وبدر التم، في خديك خال
كتمت هواك إذ قلبي سليم ... فذاب القلب وأنحل العقال
وكنت كمودع الخلفاء ناراً ... وكنتم النار في قصب محال
وأنشدني أيضاً " من الخفيف " :
رب ليل سهرت حتى تجلى ... مغرمًا في ظلامه أتقلى
والثريا كأنها رأس طرف ... أدهم زين باللجام الخلى
وقوله:

ومتيم أبدى إلي غرامه ... فعذلتني والعذل فعل الجاهل
حتى إذا أبصرت مالك رقة ... كادت لو احظه تصيب مقاتلي

إن عدت أعذل عاشقاً من بعده ... فأصابني ربي بحتف عاجل
وأنشدني أيضاً قال: أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح بن كشاجم بصيداء الشام لنفسه في وصف الكتاب من
أبيات:

وصاحب مؤنس إذا حضرا ... جالسي بالملوك والكبرا
جسم موات تحيا النفوس به ... يجل معنى وإن دنا خطرا
ملكته منه كنزاً غنيت به ... فما أبالي ما قل أو كثرا
أظل منه في مجلس حفل ... بالناس طراً ولا أرى بشرا
وإن أطفل به فيا لك من ... مستحسن منظرأ كف المجلس لاستترا
وله في شمة:

بركة صفر عمودها شمع ... تفيض ناراً من موضع الماء
تبكي إذا ما المقص خمשה ... فرط حياء من الأخلاء
كأنما عاشق مخايله ... فيه بواد لمقلة الراثي
صفرة لون، وذوب معتبة ... ودمع حزن، ونار أحشاء
قلت: شبه أربعة بغير حرف تشبيه، وقال في بحيل:
صديق لنا من أبدع الناس في البخل ... وأفضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه ... فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي

فلما جلسنا للطعام رأيته ... يرى أنه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده ... وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستل الغذاء مخافة ... وأحاط عينيه شزراً فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفي لحفتي جناية ... وذلك أن الجوع أعدمني عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة ... فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوة ... فلم أستطع فيها أمر ولا أحلي
وقمت لو أي كنت بيت نية ... رجحت ثواب الصوم مع عدم الأكل
وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى
نزهة بالمقس:

إذا الوزير تجلى ... للنيل في الاوقات
فقد أتاه سمياً ... ه جعفر بن الفرات
وله في طيب:

عيسى الطيب ترفق ... فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلا ... فراق جسم لروح
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيح

فذاك محي موات ... وذا مميت صحيح
وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ:
يا فاصداً شق عرق إسحاق ... أي دم لو علمت مهراق؟
سفكته من يد معودة ... لنيل مال وضرب أعناق
لو يوم حرب أصبت من دمه ... إذا أقام الدنيا على ساق
وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة:
وجونة موصوفة من الجون ... قد جمع الطباخ فيها كل فن
من كل سخن منضج وبارد ... ما بين ألوان إلى بوارد
فمن رقاق ناعم رقاق ... يحمد في المنظر والمذاق
وأرغف تشف للصفاء ... كما تشف أوجه المرائي
ومن مصوص من مخاليف الحجل ... كأنما كانت ترف في الجبل
ومن فراريح بماء الحصرم ... تصلح للمخمور أو للمحتمي
قد شوشت أكبادها ببيض ... فهي كمثل نرجس في روض
وجاءنا فيها ببيض أحمر ... كأنه العقيق ما لم يقشر
حتى إذا قدمه مقشراً ... أبرز من تحت عقيق دررا
حتى إذا ما قطع البيض فلق ... رأيت منه ذهباً تحت ورق
يخال إن الشطر منه من ملح ... أعاره تلوينه قوس قزح
ما بين أوساط لطاف القد ... مقدودة كمثل قد الند
من صدر دراج وصدر حجله ... بملحها ويقلها متبله
فيها جبن صادق الحرافه ... مقطع باللطف والنظافه
قد ألبست قضبان طلع غضه ... كأنها سلاسل من فضه
وجاءنا فيها بباذنجان ... مثل قدود أكر الميدان
قد قارن الهليون بالمازجة ... تقارن الكرات بالصوالجه
ثم أتت سكارج الكوامخ ... كمثل أنوار من اللخاخ
ما بين طرخون وبين صعتر ... وفيجن غض وبين كزبر
وبين بن عدة المشطور ... كأنه تعلية النحور
ثم أتى براضع لم يعتلف ... كأن في جنبيه قطناً قد ندف
وحمل مبرز مشير ... كأنه بالزعفران مطلبي
تحاله في خله المزعفر ... مركباً تحت عقيق أحمر
وقد عملت أطرافه سلاقه ... عجيبه الصنعة والمذاقه
زيدت من الخردل والصباغ ... وكشف القحف عن الدماغ
وصف فيه فلق الرمان ... مثل رصيع خرز المرجان

ثم أتى بناطف هياج ... يجر طبع البارد المزاج
كأنه في العين والقياس ... سيأتك جاءت من الروباس
ثم أتانا بعده لوزينج ... كأنه في الأتحمي مدرج
تنشله من دهنه العميق ... كما أخذت بين الغريق
وجاءنا الغلطة بالمدام ... وغير أنقال ولا ريحان

لأن في الجونة أنواع الأرب ... وعوضاً من كل شيء يطلب
هذا هو النوع الذي اختاره ... ليس الذي عذبنا انتظاره
وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري، قال: أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح كشاجم لنفسه:
غبط الناس بالكتابة قوماً ... حرموا حظهم بحسن الكتابه
وإذا أخطأ الكتابة حظ ... سقطت تأوها فصارت كآبه
وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي:
قل لمن تاب ولم يق ... ض من اللذات نجبه
توبة الحشوي لا تع ... دل عند الله حبه
أم من تسبقه أن ... ت إلى الجنة فحبه
وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي، قال: أنشدني أبو العميد هاشم بن محمد المتيم الاطرابلسي لنفسه:
مضت للهو أوقات ... وللأوقات لذات
إليها أنا مشتاق ... وقد فانت بمن فاتوا
وما لي عوض عنهم ... وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءات ... فلم تبق المروءات
وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن ليب غلام أبي الفرج البغاء لأبي عمارة الصوفي في ثقل خفيف على
القلب:

وثقل لو كان في حسناتي ... وجميع الأنام في سنياتي
لاستخف الذنوب بل كسر المي ... زان من ثقله على الكفات
وله في ثقل:
ثقل براه الله أثقل من برى ... ففي كل قلب بغضة منه كامنه
مشى فدعا من ثقله الحوت ربه ... فقال: إلهي زدت في الأرض ثامنه؟
وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم في كتاب أشعار الندماء لأبي الحسن المشوق الشامي -
ولست أتحقق اسمه - في المشمش:
أما ترى المشمش يا خل الأدب ... مشطاً أكرم بهاتيك الشطب
مثقب الهامات من غير ثقب ... كأنها بنادق من الذهب
قد صاغها صانعها بلا تعب

وله في جام فالوذج:

إني اتخذت أبا علي ذا العلا ... معقودة لك ذات طعم طيب
فقد اغتدت في جامها وكأها ... شمس على بدر أوان المغرب
وتخال فيها اللوز وهو منصف ... أنصاف در فوق صحن مذهب
فتعال نخمش وجهها بأكفنا ... غضبت علينا أو غدت لم تغضب
وأنشدني غيره للممشوق:

فؤادي كفيك إذا ما نطقت ... وصبري كخصرك في دقته
وما آس عارضك المستني ... ر كالقلب مني في حرقة
وبالجسم مني الذي يشتكى ... ه طرفك من غير ما علته
أشبه وعدك إما وعدت ... بعقرب صدغك في عطفته
وأزداد في كل يوم هوى ... وحبك يزداد في فتنه
وأنشدني محمد بن عمر الزاهر، قال: أنشدني أبو الحسن الممشوق صاحب المتنبي لنفسه:
ليلة بنتها بقرتم أسقي ... عاتقاً عتقت مداها الدهور
وكان السماء والبدر والأنج ... م روض وnergس وغدير
وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي:
لما تأمل جودك القطر ... وسما ليدرك صدرك البحر
خجلاً جميعاً مثل ما خجلاً ... إذ قابلاك الشمس والبدر
يا صالح الخيرات ما صلحا ... إلا لك التأييد والأمر
وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلاحي صاحب كتاب الأسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن
حرب:

طيلسان كان رسماً ... ثم قد أصبح وهما
لا تراه العين إلا ... بعد أن يهجع حلما
تتعب المقلة كي تد ... رك منه أثراً ما
تعب الفكرة في إخ ... راجها البيت المعمر
وقوله:

نظرة كانت لحتفي سببا ... جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمة ... ضاحك الأشيبي فيه الأشياء
إنما يعرف أيام الصبا ... من صبا في غير أيام الصبا
وللأنطاكي في وصف عود:
وبربط صحب الترنام نغمته ... أحلى من اليسر وافي بعد إعسار
يملي القريض عليه لفظ محسنه ... فينيري مخبراً عنها بإجهار

ما حث أوتارره في وجهه نائبه ... سرّاً فيخبر بالنجوى بإظهار
وإن هفا عركت آذانه شفقاً ... عليه من وصمة النقصان والعار
وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر، وهي مشهورة:
ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا
هممت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا
والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدر
لأعدت تفاح الخدور بنفسجاً ... لثماً وكافور الترائب عنبرا
وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: أنشدت بمدينة السلام لمعد ابن تميم ويروي للوأواء:
لا تظلموا الناس ولا تطلبوا ... بثأري اليوم أذى مسلم
ويا لقومي دونكم شادناً ... معتدل القامة والمبسم
وإن أبي إلا جحوداً له ... واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه ... فإن فيه نقطة من دمي
وأنشدني المصيصي له:
وجنة من شفني هواه ومن ... أفنيت فيه دموع آماقي
كأنما الصير في دنر ما ... نجم منها ودرهم الباقي
ووجدت له من قصيدة:
وما بلد الإنسان إلا الذي به ... له سكن يشताقه وحبیب
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة ... لها بين أحشاء الخب ندوب
ترى عندهم علم وإن شطت النوى ... بأن لهم قلبي علي رقيب
وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه
وعقد المآتم عليه:
نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الوری بعیدهم ... طراً وأفراحنا مآتمنا
وأنشدني المصيصي للأمير تميم:
شربنا على نوح المطوقة الورق ... وأردية الروض المفوفة البلق
معتقة أفنى الزمان وجودها ... فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق
كأن السحاب الغر أصبحن أكؤساً ... لنا، وكأن الراح فيها سنا البرق
فبتنا نحت الكأس فينا، وإننا ... لنشرهما بالحث صرفاً ونستسقي
إلى أن رأيت النجم وهو مغرب ... وأقبلن رايات الصباح من الشرق
كأن سواد الليل والفجر طالع ... بقية لطح الكحل في الأعين الزرق
أحسن في هذا البيت ما شاء.

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد:

والبدر في جو السماء قد انطوت ... طرفاه حتى عاد مثل الزورق

وتراه من تحت الحاق كأنما ... غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز:

قد أثقلتة حمولة من عنبر

قال: وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه

ويهجوه فيه. فكتب إليه " أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبنك، والسلام " .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست، قال: أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي الفقيه المالكي لأميرهم محمد بن أبي مروان

بن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني، من قصيدة كتب بها إلى

صاحب مصر يفتخر:

ألسننا بني مروان كيف تبدلت ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائر؟

إذا ولد المولود منا تقلت ... له الأرض واهتزت إليه المناير

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة.

قال: وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي:

يا من أرائني بألحاظ يصرفها ... عني الصبا والهوى رشدي وتوفيقي

جمعت فيك غليل العاشقين كما ... جمعت ما تشتهي من كل معشوق

وله أيضاً:

لعينيك في قلبي علي عيون ... وبين ضلوعي للشجون شجون

لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى ... فحبك غص في الفؤاد مصون

نصبي من الدنيا هواك، وإنه ... عذابي ولكني عليه ضنين

وله أيضاً في الخمر:

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت ... في الجسم دبت مثل أيم لا ذع

لم يحسن في تشبيهه ديب الخمر في جسم شارها بديب الحية اللاذعة، وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً:

خفيت على شرايها فكأنهم ... يجدون رياءً من إناء فارغ

قال: وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر:

يا سيداً أرطت بالعبد سطوته ... ما كل رق مغضب حنق

أعتق وإلا فبع، كم ذا تعذبني؟ ... إن العبيد إذا عذبوا أبقوا

وقت مني بأن الحب قيدي ... أجل وحقك إني فوق ما تنق

ومعنى بيته الثني مما زيفه نقدة الشعر المعتزلون ولا يرضونه. وإنما يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر:

لي مولى أقسى البرية قد قا ... سيت الهموم والأشواقا

قلت إذ لج في جفائي واحت ... ج عليه فساق نحوي السياقا

أيهذا المليك رأيك في سو ... ء امتلاكى فلن أروم الفراقا
قال: وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه ك
ثلاثون من عمري مضين فما الذي ... أؤمل من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضين حميدة ... سراعاً ولم أشعر بهن ولم أدر
كأن شبابي والمشيبي يروعه ... دجى ليلة قد راعها وضح الفجر
وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المقيم النحوي:
إذا ما نلت من دنياك حظاً ... فأحسن للغني وللفقير
ولا تمسك يديك على قليل ... فإن الله يأتي بالكثير

عبد الحسـن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء، المجيدين الأدباء، وشعره بديع الألفاظ، حسن المعاني، رائق الكلام، مليح النظام، من
محاسن أهل الشام، فمن شعره قوله:
أترى بثأر أم بدين ... علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها ... ولحاظها ما في الرديني
وبوجهها ماء الشبا ... ب خليط نار الوجنتين
بكرت علي وقالت اخ ... تر خصلة من خصلتين
إما الصدود أو الفرا ... ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي ... منهلة كالمرزمين
يا هذه لا تعجلي ... إن حان بينك حان حيني
فكأنما قلت اذهبي ... فمضت مسارعة لبيني
قال: وأعطاه بعض الأمراء حسنة فلبسها أياماً، ثم باعها، ولبس عمامة لطيفة، ومشى، فقال بعض من رآه:
ثقلت عليه العمامة فباعها. فقال ارتجالاً:
قالوا عسى ثقلت علي ... ه فباعها من غير عدم
والله ما ثقلت عل ... ي عمامتي بل خف كمي
وقوله:
وكم أمر بالصبر لم ير لوعتي ... وما صنعت نار الأسى بين أحشائي
ومن أين صبر وفي كل ساعة ... أرى حسناقي في موازين أعدائي؟
وقوله:
ومعتذر العذار إلى فؤادي ... لجرم سابق من مقلتيه
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي ... عن الإعراض خضرة عارضيه
ولما قلت إن الشعر يسعى ... لقلبي في الخلاص سعى عليه
وقوله:

لحظات تتراعى ... بي إلى المرمى القصي
طرحني من علي ... بين ألاحظ علي
فادعي رقي وما رق ... ي بدعوى المدعي
أنا عبد الحسن الصو ... ري لا عبد المسي
وقوله:

جنى ما جنى وانصرف ... وأنكر ثم اعترف
وظن بأن القصا ... ص يمنع منه الترف
سلوا صدغه لم جرى؟ ... ولما جرى لم وقف؟
وكان على أنه ... يجوز المدى فانعطف
وقوله:

بالذي ألهم تعذي ... بي ثناياك العذابا
والذي ألبس خدي ... ك من الورد نقابا
والذي صير حظي ... منك هجراً واجتنابا
ما الذي قالته عينا ... ك لقلبي فأجابا؟
وقوله:

تعلمت وجنته رقية ... لعقرب الصدغ فما تلسع

صمت عن العاذل في حبه ... أذني فما لي مسمع يسمع
وقوله في صبي اسمه عمرو:

نادمني من وجهه روضة ... مشرقة يمرح فيها النظر
فانظر معي تنظر إلى معجز ... سيف علي بين جفني عمر
وقوله:

زففت إلى نيهان من عفو فكري ... عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا
فقبلها عشراً وهام بذكرها ... فلما ذكرت المهر طلقها عشرا
وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له:

عجباً لي وقد مررت بآثا ... رك أي اهتديت قصد الطريق
أتراني نسيت عهدك يوماً ... صدقوا ما لميت من صديق
وقوله:

أمنون بدت لنا أم جفون ... حركات للسقم فيها سكون
بعثها ما حييت طول هجوعي ... بدموعي فأينا المغبون؟
وقوله:

تعلقته سكران من خمرة الصبا ... به غفلة عن لوعي وهبي

وشاركني في حبه كل أغيد ... يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيره ما عرفتھا ... فإن حبيبي من أحب حبيبي
وقوله:

قلت وقد أوردني حبه ... موارداً ليس لها مصدر
أفسدت دنياي ولا دين لي ... تفسده فاصدع بما تؤمر
وقوله:

أتابع أهل البيعة اليوم في دمي ... غلبت فخذ أخطارهم وتقدم
ولا تورث عيني سقمي فإنه ... حرام على الذمي ميراث مسلم
وقوله:

رأيت ما لم يره رأيي ... ماء غدا يسبح في ماء
أومأت باللحظ إلى جسمه ... فكاد أن يدميه إيماني
وقوله:

ظبي أقام قيامتي ... من قبل أن تأتي القيامة
عطب القلوب جفونه فعلام سموه سلامه؟
وقوله:

ولئن كنت قد رحلت بقلبي ... فاعلمي أن سر حبك فيه
لا تقولي ضيعته بعد بين ... ضيعه إن شئت أو فاحفظيه
وقوله:

رقت فكادت لا ترى ... في كأسها إلا التماسا
لولا الحجاب لحالها ... شرابها في الكأس كاسا
وقوله:

لما تبينت أن حبكم ... يحسن عندي وليس يحسن بي
بشرت طرقي بحسن عاقبتني ... فيكم وقلبي بسوء منقلبي
وقوله:

يا مطيع العذول في عصياني ... ومذيقي حرارة الهجران
اتق الله لا ترعني بالص ... د وجاز الإحسان بالإحسان
كيف أبقى على الزمان وهجرا ... نك مما جنت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهاً وعلى الح ... ب دليل من ناظري ولساني
إذا عدت بالتجلد عنكم ... كذبتني نواظر الأجفان
كيف تجني ولا تخاف عقاباً ... وفوادي معاقب غير جاني
خل ما بين مقلتيك وقلبي ... فعلينا يد من السلطان
لا تكونن ثالثاً لقويي ... ن فلو كان واحد لكفاني

لك والله في صميم فؤادي ... لذة الماء في فم العطشان
وقال يهجو بعض من أضافه :

وأخ مسه نزولي بقرح ... مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي إنه جواد كريم ... والفقى يعتريه بخل وشح
بت ضيفاً له كما حكم الده ... ر وفي حكمه على الحر قبح
قال لي إذ نزلت وهو من السك ... رة والهـم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الـ ... ه والقول منه نصـح ونجـح
سافروا تغنموا فقال وقد قا ... ل تمام الحديث صوموا تصحوا
وقوله:

بدر تم يشنيه دعص وخوط ... عذري في عذاره مبسوط
أي در للثقب أي كتاب ... لو تأتت بصفحتيه الخطوط
وإذا اغتر قلت طبي غرير ... وإذا افتر قلت در سقيط
وقوله:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... وتاب مما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله:

طرة مسك وشار أخضر ... وثغر در ومقلتا جؤذر

ريم إذا رمت أن أكلمه ... كلمني من جفونه خنجر
وإن تعوضت من عوارضه ... لثماً تجنى علي واستكبر
كأن خيلائه ووجنته ... سماء حسن نجومها تزهـر
سبحان من صاغه على قدر ... فذلك الله خير من قدر
وقوله:

يا حار إن الركب قد حاروا ... فاذهب تجسس لمن النار
تبدو وتخبو إن خبت وقفوا ... وإن أضاءت لهم ساروا
قام عليها موقد مرشد ... له بفضل الزاد إيثار
فلا تلوموني إذا مسكم ... أو مسها من قريبكم عار
وسائل يسأل عن حالتي ... قلت كما أسر الطين والقار
ما نظرة إلا لها سكرة ... كأثما طرفك خمار
هذا هوى يصدر عنه جوى ... تتلوه لوعات وأفكار
وهذه أفعالها هذه ... ما بعد رأي العين إخبار
ولست أعتد عليك الضنا ... ألسـت من جفنيـك أمتار!

وقوله:

هوأي الذي أبدى وأضمـره يحى ... وسؤلي في دار الخلود وفي الدنيا
وعيني التي أرعى بها من يودني ... وكفي التي أرمي الأعادي بها رميا
أأصبر عن يحى وأطوي وصاله ... إذاً فطواني عنه صرف الردى طيا
كتمت الهوى جهدي ونفيت طاقتي ... وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
يود أناس لو عميت عن الصبا ... إذاً فأراني الله أعينهم عميا
فما بالهم لا قدس الله بالهم ... ولا حاط ميتاً منهم لا ولا حيا
يلومون في يحى ولو أن لائماً ... رأى وجهه لاستقبح اللوم واستحيا
فيا منيتي كم فيك عاصيت عاذلاً ... أرى غيهم رشداً ورشدهم غيا
وكم جاءني ما قاله فيك كاشح ... فزدتك حباً كلما زادني نعيًا
أأسمع فيك العذل ممن يلومني ... فلا سمعت أذني بعدهم شيا
فما أحسن الدنيا إذا كنت جانبي ... وإن غبت عن عيني فما أقبح الدنيا
وله يهجو:

حديثه كالحديث ... يرفث كل الرفث

يود من يسمعه ... لو أنه في جدث

وله يرثي:

قالوا ألو تحضر علياً بعد ما ... دفنوه قلت هناك بئس الخضر
لا أستطيع أرى المعالي بينكم ... محمولة وأرى المكارم تقبر
لم يمض قبلك من أراه أسوة ... فأقول هذا مثل ذاك فأصبر
قد كنت جزءاً والأكارم كلهم ... جزء، ولكن الأقل الأكثر
ما كان أكثرهم وأنت جليسهـم ... وأقلهم إذ شيعوك، وكبروا
ومما يتغنى به من شعره قوله:

ما عليها سهرت أم بت نائم ... بعد أن لا يلم بي طيف حالم
تسأل الناس كيف حالي ومن أع ... لم منها؟ وفاعل الشيء عالم
وغزال أغن أغيد ساجي الط ... رف مستحسن الخلاق ناعم
لم يصلني ولم يعدني وقال اك ... تم فماذا أسر حتى أكاثم
وقوله:

قبلتها أشتفي بقبلتها ... فزادني ذلك اللمى ألما

وساءلني عن مبتدا سقمي ... مسقم جفنيك مسقمي بهما
وقوله:

يا علة الأجفان كفي كفي ... ما حملت منك وما استوثقت
وساعدينا واعلمي أنما ... قد نذرت قتلي وما أعتقت

وقوله:

أرى الليالي إذا عاتبته جعلت ... تمن أن جعلتني من ذوي الأدب
وليس عند الليالي أن أقبح ما ... صنعن بي أن جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لابد من مدح فهذا أنا ذا ... بحيث آمن في قولي من الكذب

وقوله:

إذا كسدت سوق الشاء فجوده ... طلب لأسباب الشاء كسوب
تضيق بما تحوي يده، وصدره ... بتفريق ما تحوي يده رحيب

وقوله:

وغزال مثل الغزالة يحكي ... ها كملاً إلا بقلب وود
رق جسماً فرق دمعي عليه ... فجري مثل خده فوق خدي

وقوله:

والله ما عورضت في مهجتي ... إلا لأن أرفع عنها يدي
الأنهيف الأغيد والنفس ما ... آلفها للأنهيف الأغيد
يعجبها أن ترتدي حسنه ... والحسن قد يردى به المرتدي
طوفان نوح طبق الأرض لا ... يبرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستويننا على ال ... جودي من جود أبي أحمد
أبو العلا إذ ذكرت وابنها ... في غيره كم مصلح مفسد
لو كان من أحببته بعض ما ... في يده زارت بلا موعد
وقوله من قصيدة:

فتى كلما قالوا تنهى صعوده ... إلى كل مجد خالف القول صاعدا
ترى كل ملقى المفايد في الوعى ... إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا
ولست ترى بيتاً من المجد أو ترى ... من الجود أركاناً له وقواعدا
لقد شرفت أبيات عوف وطهرت ... من الرجس حتى خلتهن معابدا
وكل يعاف الورد من بعد ربه ... وأرمح عوف لا تعاف الموارد
ينالون ما أمسى بعيداً مناله ... كأنهم طالوا الرماح سواعدا
وقلبت الهيئات أعيان خلقهم ... فقد وثبوا أسداً ودبوا أساودا
على أن من لا قيت منهم مسالماً ... لقيت به نوء السماك مجاودا
وقوله:

ود حسدت على ما بي فواعجي ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعثكم مهجتي إلا بوصلكم ... ولا أسلمها إلا يداً بيد
ومن قصيدة يقول في مدحها:

طلما جاد لي وطن بأن ال ... جود يبلي في كل يوم مجدد
ييمين طالت فكم تضرب الأي ... ام عني بها وكم تتجلد
أحسن الفعل بي فأحسننت قولاً ... فاشتبهنا فليل جاد وجود
وقوله:

وغريرة مغرورة بجمالها ... وتظن أن المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اع ... ترفت به زمناً فقلت تقلدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلدي ... لا بالنوى فضعيفة عنها يدي
وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم:

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمه ... فيما يجد وكل يوم جودا
حتى غدوت أنا المسمى حامداً ... وغدا يسمى حامداً محمودا
وقوله:

نام الخليون من حولي فقلت لهم: ... ما كل عين لها عين تسهدها
لا تنكروا عقلي عامين في يده ... فإن صيداء معروف تصيدها
كأنما أهلها أهل المقيم بها ... فذلك الزهد في الأوطان يبعدها
وقال يهجو أخاه عبد الصمد:

قال لي: أنت أخو الكلب، وفي ... ظنه أن قد تناهى واجتهد
أحمد الله كثيراً أنه ... ما درى أنني أخو عبد الصمد
وقوله من قصيدة أولها:

لا يتماديك على هجري ... ولا يكثرارك من ذكرى
عهدتكم من حيث عاهدتكم ... لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لما نذرتم دمي ... صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطايك موفرة ... فلم يكن عندي سوى النشر
مقرونة بالعدر إني لفي الت ... قصير أولى منك بالعدر
وقوله من قصيدة أولها:

حتى متى كل مشتك زاجر ... واللوم مثل الهوى بلا آخر
كم عاذل عاشق وكنت أرى ... أن الذي جرب الهوى عاذر
يا نافرأ نفرة الغزال وكا ... ن الحزم لو أنني أنا النافر
بييت ما تستعد مقلته ... من خمرها فوق ثغره قاطر
فطرفه عاصر وليس به ... خمر وفوه خمر بلا عاصر
وشادن طائف على نفر ... شخص الكرى من يمينه دائر
صرعهم حوله وأوجسهم ... بما اشتكى نائب له ساهر
فحشني ساعة فلم ترني ... في أثر القوم بعدهم سائر

فقال أوصيك بي وأسلمه ال ... صبر على رغبته إلى الصابر
فبت في روضه ألف على الغادة طرقي وأمرح الناظر

يقول في مدحه بالكتابة وأجاد:

لا يخطر الفكر في كتابته ... كأن أقلامه لها خاطر
الول والفضل يجريان معاً ... لا أول فيهما ولا آخر
وقوله:

وأغن أغيد، وده ... مستأنس بي، وهو نافر
إن قلت زرني قال نم ... فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ... ل نعموما للقول آخر
حتى أشاور قلت ل ... كني هويت ولم أشاور!
وقوله:

سهلت عنده المسالك حتى ... أوصلته إلى العلا وهي وعره
ثم هامت به المعالي فصارت ... تتقي صده وتحذر هجره
وقوله من قصيدة يقول فيها:

هلموا اسلوا عن سلو يباع ... أو استخبروا عن كرى يكترى
هل الناس مثلي؟ وإلا فما ... أشد القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها ... فتترك ما حولها أصفرا
بمد إذا شعشت كاهباء ... لمن كان قدامها أو ورا
وفي القوم من لم يكن عنده ... إذا سكر القوم أن يسكرا
سقاني وشد معي مئزراً ... فما شد من بعدها مئزرا
وقوله:

عندي حدائق شكر غرس جودكم ... قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رmq ... فلن يعود أخضر العود إن يبسا
وقوله من قصيدة يقول في مدحها:

بنس السياسة والرياسة منزل ... أصبحت وحدك في ذراه مقيما
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى ... فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا ... إن القديم ليوجب التدا
للحادثات معي حديث مبهم ... أضحى النهار علي منه بهيما
وصناعتي عربية وكأنني ... ألقى بأكثر ما حفظت الروما
فلمن أقول وما أقول فأين بي ... فأسير أولا أين بي فأقيما
وإذت شكوت إلى امرئ ما حل بي ... فأقول يرحمني أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها :

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي ... إذا كان هم الناس كسب الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى ... وحق العطايا كان أول قائم
يزيد ابتهاجاً كلما جاء قاصد ... كان به شوقاً إلى كل قادم
وقوله:

إن لها من لوعة شانا ... أضرمت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعي فلم يطفئها ... وقد جرى سحاً وقتاننا
وآل ما زال عدواً لها ... مذ كانت النار ومذ كانا
لكن في حيني وفي شقوتي ... ما يجعل الأعداء خلانا
وغادة قمت لتوديعها ... أسعى إلى التفريق عجلانا
ففاض دمعي وجرى دمعها ... زوراً على الحب وبهتاننا
ثم انتشت قائلة: ما له ... لم يبكه البين وأبكنا؟
فقلت: جار الدمع في حكمه ... ففاض من أجفان أجفانا
وقوله:

ما زال بيني كعبةً للعلا ... ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها ... وقبلوا راحتها اليمنى
وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم:
أبا الجيش، حسب الشعر ما أنت صا ... نع فقد عجزت عن وصف ذاك القصائد
أما انصلحت للمال منك طوية ... فتصلحه حتى متى أنت حاقد
سبقت بني الدنيا فما هب قائم ... سواك إلى جود ولا قام قاعد
وقوله:

ومن بني القواد من بغته ... عن سيفه سيوف أجفانه
سلطان عينيه له سطوة ... أشد من سطوة سلطانه
وقوله:

يا ذا الذي في خده ... جيشان من زنج وروم
هذا يغير على القلو ... ب وذا يغير على الجسوم
إني وقفت من الهوى ... في موقف ضنك عظيم
كوقوف عارضك الذي ... قد حار في ماء النعيم
وقوله:

غنتني يا أعز ذا الخلق عندي ... حي نجداً ومن بأكناف نجد

واسقني ما يصير ذو البخل منه ... حاتمًا والجبان عمرو بن معدي
لي وما فوق وجنتيك من الو ... رد مدام كالمسك في لون ورد
فاسقنيها مالمى فقد فضح اللي ... ل هلال كأنه فتر رند
والشريا خفاقة بجناح ال ... غرب قهوي كأنها رأس فهد
في أوان الشباب عاجلي الشى ... ب فهذا من اول الدن دردي
وقوله:

إن خيالاً زارنا وهنا ... من عندكم هاج لنا حزنا
أحبابنا، لا بلغت منكم ... أيدي النوى ما بلغت منا
فلم يغب عنكم على بعدكم ... ما فعلت غيبتكم عنا
أيسر ما في عهدكم أننا ... لما حفظنا عهدكم ضعنا

أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر، كتب إلى عبد الحسَن الصوري هذه الأبيات:
أعبد الحسَن الصوري لم قد ... جثمت جثوم منهاض كسير؟
فإن البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركن من ثبير
وإن حاولت سير البر يوماً ... فلست بمثقل ظهر البعير
إذا استحلّى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجود النظير
تحرك عل أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدور
فما كل البرية من تراه ... ولا كل البلاد بلاد صور
فأجابه عبد المسن:

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكن جاء في الزمن الأخير
وقد حدث لي السبعون حداً ... نهي عما امررت من المسير
ومذ صارمت نفوس الناس حولي ... قصاراً عدت بالأمل القصير

أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان، ومن تصرف بالشعر الجزل، في أنواع الجدل والهنزل، وأحرز قصب الفضل، وهو
أحد المداح المجيدين، والفضلاء المحسنين، وهو بالأم كابين حجاج بالعراق، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من
قصيدة أولها:

قد سمعنا مقاله واعتذاره ... وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعاني لمن عنيت، ولكن ... بك عرضت فاسمعي يا جاره

من مراديه أنه أبد الده ... ر تراه محلاً أزراره
عالم أنه عذاب من الل ... ه مباح لأعين النظارة
هتك الله ستره فلكم هت ... ك من ذي تستر أستره
سحرتني أحاطه وكذا ك ... ل مليح لحاطه سحاره
وما على مؤثر التباعد والإع ... راض لو أثر الرضى والزياره
وعلى أنني وإن كان قد عد ... ب بالهجر مؤثر إيثاره
لم أزل لا عدمته من حبيب ... أشتهي قربه وآبي نفاره
يقول في مدحها:

لم يدع للعزير في سائر الأر ... ض عدواً إلا وأحمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه ... واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيد له الوزارة مجدداً ... لا ولا قيل رفعت مقداره
بل كساها وقد تحرمها الده ... ر جلالاً وبهجةً ونضاره
كل يوم له على نوب الده ... ر وكر الخطوب بالبذل غاره
ذو يد شأنها الفرار من البخ ... ل وفي حومة الوغى كراهه
هي فلت عن العزير عداه ... بالعطايا وكثرت أنصاره
هكذا كل فاضل يده تم ... سي وتضحى نفاعه ضراره
فاستجره فليس يأمن إلا ... من تفيا بظله واستجاره
فاذا ما رأيته مطرقاً يع ... مل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً ... في ضمير الغيوب إلا أناره
لا ولا موضعاً من الأرض إلا ... كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطة وكفاه ... خوفه من زمانه وحذاره
وقوله من أخرى أولها:

إن ربعاً عرفته مألوفاً ... كان للبيض مربعاً ومصيفاً
غيرت آية صروف الليالي ... ودا عنه حسنه مصروفاً

ما مررنا عليه إلا وقفنا ... وأطلنا شوقاً إليه الوقوفاً
آلفاً فيه للبكاء كأني ... لم أكن فيه للغواني ألوفاً
حاسداً للجفون لما أزال ... في مغانيه دمعها المذروفاً
إن يعقوب قد أفاد وأقنى ... وأعاد الندى وأغنى الضعيفاً
يل سيفاً من البصرة والرأ ... ي فأغناه أن يسيل السيوفاً
باذلاً للعزير تخوض المنايا ... وترد الردى وتلقى الصفوفاً
ناصحاً مشفقاً محباً ودوداً ... قائماً في رضاه صعباً عسوفاً

ليس يخشى فساد أمر تولاه ... وأضحى برأيه مكنوفا
ما رأيناه قط إلا رأينا ... خلقاً طاهراً وفعلاً شريفا
ورأينا قرماً كبيراً همام ... منعماً مضلاً رحيماً رؤوفا
لذ طعم العطاء وهو إذا جا ... د وأعطي يرى الكثير طفيفا
خلق منه منذ كان كريمستلذ الندى ويقرى الضيوا
ويريش الفقير بالبذل والجو ... د ويعطي ويسعف الملهوفا
فأرانا الإله صرف الليالي ... أبداً عن فئائه مصروفا
وقوله من أخرى:

حي الخيام فإني ... مغرى بأهل الخيام
بالراميات فؤادي ... بصائبات السهام
أسقمتني وتألّى ... ن لأشفين سقامي
أيام وصلي حرام ... والهجر غير حرام
لا عذب الله قلبي ... إلا بطول الغرام
سقياً لدهر تولى ... بشرتي وغرامي
كأنما ذلك العي ... ش كان في الأحلام
لم يبق من نرتجيه ... لحادث الأيام
إلا ابن أحمد ذو الطو ... ل والأأيادي الجسام
كفاه أغدق جوداً ... من واكفات الغمام
يلقى العفاة بوجهه ... مستبشر بسام
معظماً ترتجيه ... للنائبات العظام
يرمي الخطوب برأي ... أمضى من الصمصام
قرم له عزومات ... تفل حد الحسام
وله من أخرى:

توهمت أمراً فلم أنبس ... بحرف وناديت بالأنكوس
حميا كأن سنا نورها ... سنا بارق لاح في الحندس
يعاطيكها رشاً طرفه ... سريع إلى تلف الأنفس
بحد يروقلك توريده ... وعين تنوب عن النرجس
يقول في مدحها:

له قلم أبداً ناطق ... بأسعد قوم بالأنحس
إذا ما انتضاه لأمر رمى ... به الدهر عن صائبات القسي
رآه الوزير على غاية ... من الفضل تعلو على الخنس
ومن أخرى:

أظن ودادها من غير نية ... وهل هي فيه إلا مدعيه
فتاة لا تمل عذاب قلبي ... ولا تخليه وقتاً من أذيه
ولا ذنب له إلا التوافي ... لمن في الحب ليست بالوفيه
ويعجبني التمتع والتشاجي ... من الخود الممنعة الشجيه
فوا أسفاً على حر يعزي ... أخا رزء على عظم الرزبه
ومنها:

وذلك أن إيرى فيه رطل ... وما في حرها إلا وقية
ومن بعث المدام فليس بد ... ولاتك غير بكر بابليه
فتم هناك حر شافعي ... عظيم الشأن واست مالكيه
ونفسي غير مائلة إليها ... لأحوال مقبحة بذيه
أحب دنوها وتحب قربي ... وهذا لا يكون بلا بليه
وما لاقيتها إلا تلاقى ... مبالانا بإسقاط التقيه
وهذا الرأي لا رأي سواه ... فلا تحفل بأقوال الرعيه
ولا عيش سوى تقليب بظر ... وثقب من صبي أو صبيه
على أن أقول بكل شيء ... سوى نيك العجوز القذمليه
ولا ألوي على أحد يراني ... بعين النقص والحال الدنيه
ومن نال العلاء حجاجاً ومجداً ... وأفعالاً مهذبة سنيه
تشابه خلقه والخلق حسناً ... وحسبك بالنفاسة والسجيه

تشاهد منه طوداً مشمخراً ... وأفعال الملوك الكسرويه
له أقلام كيف يشاء تجري ... بتأييد القضاء بالمشيه
كأن اللفظ في القرطاس زهر ... تفتح عن معان معنويه
ومن أخرى:

كفى ملاملك يا ذات الملامات ... فما أريد بديلاً بالرفاعات
كأنني وجنود الصفع تتبعني ... وقد تولت مزامير الرطانات
قسيس دير تلا مزمار سحراً ... على القسوس بترجيع ورنات
وقد مجنت وعلمت الجون فما ... أدعي بشيء سوى رب المجانات
وذاك أني رأيت العقل مطرحاً ... فجئت أهل زماني بالحماقات
إني سأدخل عذالي على عدل ... في الحب أن عدلوني في الحرامات
أفدي الذين نأوا والدار دانية ... وشتتوا بالجفا شمل المودات
كم قد نتفت سبالي في صدورهم ... والصد أصعب من نتف السبالات
سقياً ورعياً لأيام لنا سلفت ... بالقفص قصرها طيب اللذات

إذا لا أروح ولا أغدر إلى وطن ... إلا إلى ربع خمار وحانات
أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً ... مصرعاً بين سكرات ونشوات
عوضت منهن أحزاناً تؤرقني ... بعد السرور وفرحات بترحات
لولا عذار تعلى كيف صوره ... رب العباد اتعذبي وحسراتي
كأنه مشقة من خد من شقيت ... روحي بهجرانه أو عطف نونات
لما حللت بدار مالها أحد ... إلا أناس تواصوا بالחסاسات
لو كنت بين كرام ما تهممني ... دهر أناخ على أهل المروءات
ومنها:

لو نيل بالجحد في العلياء منزلة ... لنال بالجحد أعنان السموات
يرمي الخطوب برأي يستضاء به ... إذا دجا الرأي من أهل البصيرات
فليس تلقاه إلا عند عارفة ... أو واقفاً في صدور السمهرات
يا من غدت أوجه الأيام مشرقة ... بجوده مستهلات منيرات
مالي بلا سبب غودرت مطرحاً ... وقد حرمت عطايك الجزيلات
ولي مدائح قدماً فيك سائرة ... مستطرفات بألفاظ طريفات
ومن أخرى:

كل بشعري مفتون ومشغوف ... وجيد الشعر منعوت وموصوف
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به ... ومن يقوم بأمر فيه تكليف
لأنفن سبالي طاعة لهم ... والذقن إن دام ذا الإعراض منتوف
أمسي وأصبح مجفواً ومطرحة ... هذا ورأسي وما والاه مكشوف
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا ... رزقي قذال أصم السمع مكشوف
من تلك أقفية القوم الكشاحنة ال ... فدم الذين لهم منها مجاديف
مفوقات بتنفيش وأطبعها ... لا شك ما فيه تنفيش وتقويف
معطوفة وبنفسي يا ابن أم قفا ... على الأخادع مثني ومعطوف
كم قاتل ويداه في أطايه ... وطيب الشيء مجني ومقطوف
فإن يكن ذا فلا غرو ولا حرج ... فلليالي وللأيام تصريف
هذا الذي من رآه دون ملمسه ... لم يأكل اللحم إلا وهو معلوف
ولم يمد إلى رأس على طرب ... يديه إلا وفي اليمنى تطاريف
بينما يرى الثوب منشوراً بلا سبب ... حتى يرى وهو بعد النشر ملفوف
فكم ألأم؟ وكم ألحى؟ وهل حمقي ... إلا نتيجة رأس فيه تخفيف؟
ألفته حسب مالي من محبته ... دون البرية والحبوب مألوف
إلف المكارم والجدوى فتى أسد ... محمد خير من ناداه ملهوف

حر إذا ذكر الأحرار مشتمل ... على السماح ببذل العرف معروف
بمثله نماء كرام سادة نجب ... شم الأنوف بها ليل غطارييف

تحصى النجوم ولا تحصى فضائله ... ولا يحيط بها وصف وتكليف
ومن أخرى:

لمن أمدح بالشعر؟ ... لمن أقصد؟ لا أدري!
إلى من إن دجا خطب ... ونابت نوب الدهر
فقد والشفع والوتر ... ومن أقسم بالفجر
تخبرت فما أدري ال ... ذي أصنع في أمري
على أي بالده ... ر وبالأيام ذو خبر
ولكني للحير ... ة سكران بلا سكر
كأنني لست مخلوقاً ... لغير الجهد والضر
ومذ كنت فمدفوع ... إلى الفاقة والفقر
فما أصنع في مصر ... إذا لم أحظ في مصر؟
وفي الآفاق أقوام ... يميلون إلى شعري
ونبتت بأن القو ... م لا يخلون من ذكري
فقيم الترك للسير؟ ... وهل في ذاك من عذر؟
وقد قدمت أثقالني ... وسيري غرة الشهر
فأما أكثر الحمق ... فقد سيرت في البحر
وباقية معي يذه ... ب في البر على ظهري
ولا أترك في مصر ... لذكر الحمق من أثر
فمن بعدي ليطني ... ه في النظم وفي النشر؟
ومن يلعب في الرأس ... من العصر إلى العصر؟
ومن من شدة الصفع ... له رأس بلا شعر؟
ومن هامته أقوى ... على الصفع من الصخر؟
ومن يضطر في الذقن ... بلا كيل ولا حرز؟
ومن ينتف بالدبق ... سبالات بني البظر؟
ولكني لا كنت ... لما في من الكبر
إذا أمراني الصفع ... تجشأت من الدبر
وهيهات ترى صفعاً ... لغيري أبداً يمرى
ومنها:

ألا يا منهى الجود ... ويا ذا الجد والفخر

ويا ابن السادة الغر ... ويا ابن الأنجم الزهر

ويا أبهى من الشمس ... ضياء ومن البدر

لكاذا أنت لا تعدي ... على الأيام والدهر؟

همام طاهر الذيل ... سليل السادة الغر

كريم الأصل والحيم ... رحيب الباع والصدر

جواد غير مدفوع ... عن الإفضال والبر

وما زال إلى كل ... له عارفة تسري

لقد عمت أياديه ... جميع البدو والحضر

ومن أخرى:

عجب ما مثله عجب ... فعلوا بي غير ما يجب

قرقرت بطني فواحزني ... ذقن من بالسلاح يختضب

هرباً من شرها هرباً ... فعسى أن ينفع الهرب

ذهب الناس فما أحد ... يشتهي أن تنفخ القرب

حزني أي مذ زمن ... ما لعبناه ولا لعبوا

ولكم بتنا على طرب ... ورؤوس القوم تستلب

وكؤوس الصفع دائرة ... ملؤها اللذات والطرب

وانتخبناها وهامهم ... وأكف القوم تصطخب

وكان الصفع بينهم ... شعل النيران تلتهب

والعمى منهم وإن شغلوا ... عنه باللذات مقترب

سوف يدرون أيما رجل ... ضيعوا مني إذا طربوا

بسيوف شركها أدم ... مرهفات للعمى سبب

وعجيب والحسين له ... راحة بالجود تنسكب

أن شربي عنده رنق ... ولديه مربعي جذب

وله الورد المعاذ به ... والجناب الممرع الخصب

وهو الغيث المثلث إذا ... أعوزتنا درها السحب

وإلى الرسي ملجؤنا ... من صروف الدهر والهرب

سيد شادت علاه له ... في العلا آباؤه النجب

وله بيت تمد له ... فوق مجرى الأنجم الطنب

حسبه بالمصطفى شرفاً ... وعلي حين ينتسب

رتبه في العز شامخة ... قصرت عن نيلها الرتب

ذاك فخر ليس تنكره ... لكم عجم ولا عرب

ولأنتم من بفضلهم ... جاءت الأخبار والكتب
وإليكم كل منقبة ... في الورى تعزي وتنتسب
وبكم في كل معركة ... تفخر الهندية القضب
وبكم في كل معركة ... تفخر الهندية القضب
وبكم في كل عارفة ... ترفع الأستار والحجب
وإذا سمر القنا اشتجرت ... فبكم تستكشف الكرب
وقوله من قصيدة في الرسي أولها:

باح وجداً بهواه ... حين لم يعط مناه
مغرم أغرى به السق ... م فما يرجى شفاه
كاد يخفيه نحول ال ... جسم حتى لا تراه
لو ضنا يخفى عن العي ... ن لأخفاه ضناه
ومنها " :

حبذا الرسي مولى ... رضي الناس ولاه
جعل الله أعادي ... ه من السوء فداه
فلقد أيقن بالشر ... وة من حل ذراه
من رقى حتى تناهى ... في المعالي مرتفاه
فات أن يبلغ في السؤ ... ددوا نجد مداه
ملك مذ كان بالسط ... وة ممنوع حماه
بحر جود ليس يدري ... أين منه منهاه
لم يضع من كان إبرا ... هيم في الناس رجاه
لا ولا يفرق من صر ... ف زمن إن عره
من به استكفى أذى الأي ... ام والدهر كفاه
كيف لا أمدح من لم ... يخل خلق من نداه
وقوله من أخرى يقول فيها :

لو برجلي ما برأسي ... لم أبت إلا بنجد
خفة ليست لغيري ... لا أراي الله فقدي
ومحال أن يرى مث ... لي أو يبصر بعدي
رجل لا يضطر الضر ... طة إلا بعد جهد
فلذا الأمر تراه ... يأكل التمر يزبد
غير أنني قيل عني ... إنني مغرى بدعد
وبليبي وبسلمي ... ويسعدي وبهند
ثم لا أملك شيئاً ... غير سنور وخلد

وحماقات وعمري ... إن لي رأساً مرندي
أصبر الأروؤس في صف ... ع بلا حرز وعد
ومنها:

خلقت كفاه من جو ... د لراجيه ورد
مورد يوردراجي ... ه إلى أعذب ورد
لا خلا من منة من ... ه إلى الأحرار يسلي
فهو القائم بالـ ... ق وموفي كل عهد
ومن أخرى:

قلبي لك الخير بالأفراح معمور ... مستبشر جذل بالفتح مسرور
يقول فيها:

خذ في هناتك مما قد عرفت به ... مما به أنت معروف ومشهور
واحك العصافير صي صي صي ... صي صصصي إذا تجاوبن في الصبح العصافير
ففيك ما شئت من حمق ومن هوس ... قليلة لكثير الحمق إكسير
كم رام إدراكه قوم فأعجزهم ... وكيف يدرك ما فيه قناطير
لا تنكرن حماقاتي لأن بها ... لواء حقي في الآفاق منشور
ولست أبغي بها خلاً ولا بدلاً ... هيهات غيري بترك الحمق معذور
لا عيب في سوى إني إذا طربوا ... وقد حضرت يرى في الرأس تفجير
والأخدعان فما زالا يرى بهما ... لكثرة المرح توريم وتحمير
وذا الفعّال مع الإعراض مطرد ... صفع ونقع وتيسير وتعسير
فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا ... كذا الليالي لها صفو وتكدير
أستغفر الله مما قلته عتياً لغير شيء وما في الصحف مسطور
أقول للنفس لما استشعرت جزعاً ... وبات يردعها خوف وتحذير
إن الإمام نزاراً مدحه فثقي ... ذخر لمثلك عند الله مذكور

هو الذي ليس بعد الله من أحد ... سواه في الناس محمود ومشكور
مشمر في المعالي ذيل مجتهد ... وماله في سوى العلياء تشمير
ومن أخرى:

أترضى بالتخلف والتواني ... على ضرب اللجاجة والحران؟
وما أنا والأحاديث اللواتي ... تزهد في الثالث والثاني؟
ألا طربت إلى النشوات نفسي ... وتقت إلى معتقة الدنان
كما طربت أباريق الندامي ... إلى أصوات قهقهة القناني
ويومك إذ تطوف به فتاة ... على الخدين منها وردتان

مهفهة القوام إذا تثت ... تثت كالتضيب الخيزران
ولم أر قبلها شمساً تبدت ... ولا قمراً بأعلى غصن بان
لحاه الله من شيخ ضروط ... ضجيج ضراطه بالنهروان
ولكن رأسه جلد جليد ... صبور عند مختلف الطعان
ولم أر قبله رأساً سواه ... غدا وقفاً على حرب عوان
ولا إذا الأيدي توالى ... عليه والتقت حلق البطان
ومنها:

إلى من راحتاه ندى وجود ... علينا بالمواهب ثرتان
كريم لا يدافع عن سماح ... جواد ماله في الجود ثان
تناهت عنده الآمال لما ... غدا أقصى النهاية في الأمان
ومن أخرى:

كل يوم أنا من أي ... ري في أمر عجاب
ليس يخليني من ه ... م وحزن واكتئاب
لم يدع لي ذهباً إلا ... رماه بالذهاب
وابتدى المشؤوم أن يع ... مل في أمر التباب
هل مجر لي منه ... أهل ودي وصحابي
أو وإلا تبى والرح ... من من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلایا ... ه بنصب وعذاب
أنا لولاه لألقي ... تقليل الاضطراب
وتجزيت بنزر ... من طعام وشراب
ولما طال انتزاحي ... عن بلادي واغتراضي
لعنة الله عليه ... وبراعيث الكلاب
فلکم أوقفني مو ... قف خزي واكتئاب
ولکم أغلقت باباً ... من هواه دون باب
رب قد أبلتني من ... ه بمعتوه مصاب
عينه في كل من د ... ب على وجه التراب
ثم لا يرضيه منه ... غير دبر مستطاب
ومنها:

وياحسان تميم ... عذت من عظم مصابي
بالأمير السيد الما ... جد والقرم اللباب
والهمام المنعم المف ... ضل والبحر العباب
والذي لا فرق ما بي ... ن جداه والسحاب

تنثني منه إلى ذي ... كرم رجب الجنا ب
رافع دون بني الآ ... مال أستار الحجاب
لم أزره قط إلا ... بت محمود الإياب
ذكره أعذب في الآن ... فس من ذكر الشباب
ولقد رق عن الما ... ء وعن طبع الشراب
أكنم في الرأي والفض ... ل وقس في الخطاب
وقوله:

كتب الحصير إلى السرير ... أن الفصيل ابن البعير
فلمثلها طرب الأمي ... ر إلى طباهجة بقير
فلأمنعن حماري ... سنتين من علف الشعير
لا هم إلا أن تطي ... ر من الهزال مع الطيور
فلأخبرنك قصتي ... فلقد وقعت على الخير
إن الذين تصافعوا ... بالقرع في زمن القشور
أسفوا علي لأهم ... حضروا ولم أك في الحضور
لو كنت ثم لقليل: هل ... من آخذ بيد الضرير؟
ولقد دخلت على الصدي ... ق البيت في اليوم المطير
متشمرًا متبخترًا ... للصفع بالدلو الكبير
فأدرت حين تبادروا ... دلوي فكان عمى المدير

يا للرجال تصافعوا ... فالصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فإنه ... يستل أحقاد الدور
هو في المجالس كالبخو ... ر فلا تملوا من بخور
ولأذكرن إذا ذكر ... ت أحبي وقت السحور
ولأحزنن لأهم ... لما دنا نضج القدور
رحلوا وقد خبزوا الفطي ... ر ففأهم أكل الفطير
لا والذي نطق النب ... ي بفضله يوم الغدير
ما للإمام أبي عل ... ي في البرية من نظير
وله من أخرى:

سلام على الربع ربع الجدا ... سلام على تمره ة اللبا
سلام عليه سلام امرئ ... معنى بتذكار ما قد مضى
سلام عليه فكم موقف ... وقفناه فيه ندير الدلا
لعهدي فيه شيوخ لنا ... غلاظ الرقاب عراض اللحى

إذا ما قبضت على حية ... وناديت بطني أجاب الخرا
وكنا من الظرف لو أننا ... أقمنا نصافع شهراً ولا
نعيب الوفاء وهفي على ... أخادع من لا يعيب الوفا
ولا عذر ألا أدير اللطام ... إذا الصفع دار أتاني وكلني قفا
وقد كنت تبت ولكنني ... إذا الصفع دار أتاني الجشا
فلا تترك الصفع جهلاً به ... فما أطيب الصفع لولا العمى
ومالي أكاتمكم قصتي ... وأضرب بالطل تحت الكسا
إذا كان في الصيف لي جنة ... لأية حال أذم الفرا
ولم أكسب الحمق لكنني ... خلقت رقيقاً كما ترى
لقد فقت فيه كما الفارس ... ي في الرمي فاق جميع الورى
كأن البنادق طوع له ... فهن يصبن له ما اشتهى
إذا ما رمى طائراً حطه ... ولو أنه بمكان السها
فيالك من موقف مبهج ... عجيب ومن منظر مشتهى
فعيد الطيور به مآتم ... وأضيافه عنده في القرى
ومن أخرى:

عاذل كم فيه تعذليني ... وكم إلى كم تؤنييني
لو بك ما بي من التصابي ... لكنت لا شك تعذريني
إن الذي قد أذاب جسمي ... بالثغر والجيد والجفون
بدر تمام على قضيب ... ركب من نعمة ولين
ما شئت من نرجس جني ... غض وورود وياسمين
عيناه تسطو على فؤادي ... والموت في سطوة العيون
ومنها:

فأطيب العيش كان عندي ... أيام للفسق قلدوني
وكنت طباً به بصيراً ... وأقود الناس في سكون
فكم غزال أخذت قسراً ... وكم مليح حوت يميني
والناس يسعون نحو دارى ... من كل أرض ويقصدوني
فذا يوافي بثوب خز ... وذا يوافي بثوب توني
وذا يفدي وذاك يهدي ... وذاك يمضي وذا يجيني
وكل علق إلى مراحي ... أهدي من الطير للوكون
وكان خلقي لهم رضيعاً ... أصفعهم ثم يصفعوني
قد أجمع الناس أن حمقي ... أحسن من عفتي وديني
قد عشت دهرأ أعول عقلي ... والناس إذ ذاك يبعدوني

فمذ تحامقت قد كساني ... حمقي وقد عالي جنوني

ومن بلائي أبو عمير ... معرض لي إلى المنون

منصب ما ينام وقتاً ... وليس يهدي من الرنين

من كان ذا زوجة فإني ... لشقوتي زوجتي يميني

عميرة قد جلدت حتى ... خشيت والله يجلدوني

فراقبوا الله في أموري ... فطلقوها وزوجوني

ومن أخرى:

يا أهل ذا المنزل هل حيلة ... تنجي فمن طبيكم معطي

عقرب صدغيه فقلبي إذا ... هم توقى لدغة العقرب

وكلما لاحظني طرفه ... لاحظني عن مقلة الربرب

يسم إن ناولي ثغره ... عن ذي غروب واضح أشنب

أنجبت في الحمق وهل فاضل ... كناقص في الحمق لم ينجب

لو علموا مالي من لذة ... لم ألح في الحمق ولم أعتب

أعتبني الدهر ولولا الذي ... عم الورى بالبذل لم يعتب

لما رأى الآمال مصروفة ... إلى السديد ابن أبي الطيب

فارقني من شره صاحب ... كان لعمري شر مستصحب

هناك لو تبصرني تائهاً ... على بني الدهر تعلقت بي

تطلب مني نائلاً بعد أن ... كنت أرى الرزق مع الكوكب

كذاك من صاحب من لم يزل ... رب جناب ممرع مطلب

أول من يشي به خنصر ... وأصفح النفس عن المذنب

مهذب الآراء محمودها ... مفضل في الشرق والمغرب

لا فرق عندي بين أقلامه ... وبين فعل الصارم المقضب

ما استهلها إلا أذلت له ... من الأعادي كل مستصعب

ومن أخرى:

إني ليرتاح قلبي ... إلى اصطحاب المثاني

بحيث تنفي همومي ... معتقات الدنان

مع شادن ذي دلا ... ل مهفهف فتان

يرنو إلي بطرف ... وناظر وستان

أعار حسن الشني ... تثني الأغصان

إذا تبسم تيتهاً ... يفتر عن أقحوان

لأسخطن عذولي ... فيه بخلع العنان

فقم رفيقي فاحث ... كؤوسنا غير واني
وهاقنا كسنا الر ... ق لاح من نعمان
صفراء مما اقتناها ... كسرى أنو شروان
صفت ورق فتفات ... إدراكها بالعيان
فليس تدرك بال ... س لا ولا الأذهان
روح من الراح لكن ... ها بلا جثمان
فالريح للمسك منها ... واللون للزعفران
يقول في مدحها:

من قال من غير خبر ... بأن في الناس ثاني
لسؤدد ابني علي ... قد جاء باليهتان
يداهما بالعطايا ... وبالندى ثرتان
ومن أخرى:

رب يوم قد قطعنا ... ه حديثاً وعتابا
وجمعنا بين حمري ... ن مداماً ورضابا
وشفينا غلة النفس ... دنواً واقترابا
وترشفت على شو ... ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشبي ... ء جهاراً فأجابا
يقول في مدحها:

ورحلنا نطلب الس ... يد والقرم اللبابا
فرأينا العز والثر ... وة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل النا ... س وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالقط ... نة ما فات وغابا
هذبتة فطنة العل ... م فما يخشى معابا
عرف اللذة للبذ ... ل فأعطى وأثابا
وإذا ما كرم الأص ... ل زكاهم الفرع وطابا
ومن أخرى يقول فيها:

كأنما عذاره ... سطرًا سواد في يقق
كأنما رضابه ... حمر بمسك قد فتق
ومنها:

إن نكته فاستمعن ... نصحك من خل شفق
كن حذرًا كن حذرًا ... كن حذرًا من الغرق
لأنه من سعة ... يصلح للبحر طبق

إن قلت لي إني حسن ... والحسن مني مسترق
قلنا مقالاً بيناً ... لا كذباً ولا خرق
كل امرء صورته ... خاقه كما اتفق
كن غصناً كن قمراً ... كن شمس دجن في الأفق
كن يوسف الحسن الذي ... من طينه الحسن خلق
هل أنت إلا خلق ... زدت على كل خلق
يا أيها العلق الذي ... فقحته بلا غلق

خانك في الود الذي ... بوده كنت نتق
ومن أخرى:

خليلي من عامر اسعدا ... على الشوق خلا بلا مسعد
قفنا وقفه بربوع الحمى ... فلولاً الوفا لهوى الخرد
لما عجبت بالركب مستنجداً ... دموعي على الطلل الملبد
معاهد هو كأن الهوى ... بما بعد زينب لم يعهد
فسبحان من جعل المكرمات ... جميعاً بكف أبي أحمد
وقال له كن كما تشتهي ... فكان النهاية في السؤدد
وهل غيره أحد يرتجي ... ويعدي على الزمن المعتدي
ومن أخرى:

عد عن قال وقيل ... وصعود ونزول
حصحص الحق فما ذا ... شئت من قول فقولي
غير أني أقبل النا ... س لشيء مستحيل
فاسمع مني ودعني ... من كثير وقليل
وصغير وكبير ... ودقيق وجليل
قد ربحنا بالحماقا ... ت على أهل العقول
فرعى الله ويبقى ... كل ذي عقل قليل
ما له في الحمق والخف ... ة مثلي من عدل
فمتى أذكر قالوا ... شيخنا طبل الطبول
شيخنا شيخ ولكن ... ليس بالشيخ النبيل
طالما نادى نداما ... ه إلى شرب الشمول
قائلاً بالشادن الأخي ... د ذي الطرف الكحيل
أطرب الناس إذا عن ... ي على ثاني الثقل
قف على المنزل بالنح ... تين فالرسم الخيل

وقفه الواله للتسأل ما بين الطلول
أهملن دمعك فالرا ... حة في الدمع المهمول
عد عما أنت فيه من ... محال وفضول
واصرف المدح إلى ذي ال ... طول والفعل الجميل
الذي ذكره في ك ... ل محل وقبيل
ذى يد بالجود أندى ... من ندى الغيث الهطول
لم يكن قط لراجي ... ه سوى سمح منيل
أسمح الأمة بالما ... ل وبالليل الجزيل
وإذا ما سيل الفي ... بالندى غير بخيل
لم يزل يذخر للحا ... دث والخطب الجليل
ناهض إذ عجز الأق ... وام بالعبء الثقيل
ليس يصغي في المقالا ... ت إلى عدل العذول
وإذا ما قال قولاً ... لم يكن غير فعول
ولقد عزت به الآ ... داب من بعد الخمول
ومن أخرى في الرثاء:

لعمرك إنه رزء عظيم ... وخطب أمره جليل
رزئنا من صلاة الله تترى ... عليه ما دجا ليل بهيم
وما أظت إلى البيت المطايا ... وما طلعت على الأرض النجوم
لعمرك ما المصاب به خصوص ... ولكن المصاب به عموم
سقى جدثاً به حماد أضحي ... من الوسمي هطال سجوم
ففيه الجد أمسى والمعالي ... وفيه العز والفخر القديم
أبعد وفاته يدعى همام ... لخطب أو يقال بقي كريم
كأننا يوم منعناه إلينا ... وقد فتكت بأنفسنا المهموم
ثواكل حزنهم على الليالي ... وإن قدم المدى حزن مقيم
وكان ربيعنا في كل محل ... إذا ضنت بوابلها الغيوم
جميل الفعل محمود السجايا ... يزين فعالة كرم وخيم
ومن أخرى:

هل من سبيل إلى بيتي وجاريتي ... أنى؟ وكيف وما دارى بدانية؟!
أم هل سبيل إلى البيت الذي سكنت ... فيه التي بفراقي غير راضية
لا أحمد البعد عنها بعد معرفتي ... بأنها لبعادي غير حامدة
أشكو إلى الله دهرًا غير متدد ... من قبح ما لج فيه من معاندتي

ما زدت فيه اجتهداً في معاتبة ... إلا وزاد اجتهداً في مغايطي
أقول والدهر لا يألو مراغمة ... وليس يشيه شيء عن مراغمتي

يا واحداً ليس إلا من يؤمله ... ويرتجى عفوه جدي بواحدة
وامن علي علي أني وإن نرحت ... عني فما هي عن قلبي بنازحة
ناشدتك الله فيما أشرت به ... إلا قبلت ولا تهمل مناشدتي
واستعمل السخف واترك ما سواه فما ... لذاذة العيش إلا في المساخفة
والصفع إياك منه فالعمى أبداً ... بغير شك منوط بالمصافعة
ومنها:

لكن مدحت حميداً فامتدحت فتى ... وقفاً على منة تسدى وعارفة
رأيته فرأيت البدر في أفق ... والشمس طالعة من كل شارقة
والبحر معترضاً والغيث منبجساً ... برائح المرجيه وغادية
ساس الأمور بآراء مهذبة ... صوادير بين أفكار وبادرة
مستحسن اللفظ في القراطس موزنه ... موفق الرأي محمود المخاطبة
ذو أنمل ما انتضت في حادث قلماً ... إلا وفل شباه كل حادثة
في كل يوم له نعمى مجددة ... ليست إذا طلعت عنا بأفلة
ما زال يتبع معروفًا بعارفة ... جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
حتى رأيت صروف الدهر عائذة ... من بعد ضربي وحربي بالمسألة
ومن أخرى:

نشدتك أن تحول عن الوداد ... وعن حال الصلاح إلى الفساد
ولو عاينت ما لك في ضميري ... ولو شاهدت ما لك في فؤادي
إذاً لعلمت أنك منه تمسي ... وتصبح دون غيرك في السواد
فما آلوك نصحاً في وداد ... ولا آلوك جهداً في اجتهد
وليس سوى المودة والتصافي ... أبا عبد الإله لك اعتقادي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً ... إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
ولم أعهدك في طلب المعالي ... وكسب الحمد غير فتى جواد
ومن ألف المكارم والعطايا ... كإلفك جاد عن غير اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواه ... وأن يهب الطريف مع التلاد
ووعدك في الحياة له مرادي ... ولست أريده يوم التناد
ومنها:

فكم ممن قرنت بمن شكراً ... كشكر الروض منهل الغوادي
وكم لك يا محمد من أياد ... لدي ومن جميل واقتاد

ومن أخرى:

ليلي بتنيس ليل الخائف العاني ... تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني
أقول إذ لج ليلى في تطاوله ... يا ليل أنت وطول الدهر سيان
لم يكف أني في تنيس مطرح ... مخيم بين أشجان وأحزان
حتى بليت بفقدان المنام فما ... للنوم إذ بعدوا عهد بأجفاني
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهم ... إلا تذكرت أيامي بنعمان
ولا حننت إلى نجران من طرب ... إلا تكنفني شوق لنجران
لا تكذبن فما مصر وإن بعدت ... إلا مواطن أطراي وأشجاني
ليالي النيل لا أنساك ما هتفت ... ورق الحمام على دوح وأغصان
أصبو إلى هنوات فيك لي سلفت ... قطعتهن وعين الدهر ترعاني
مع سادة نجب غر غطارفة ... في ذروة المجد من ذهل بن شيبان
وذي دلال إذا ما شئت أنشدني ... وإن أردت غناءً منه غنائي
سقيته وسقاني فضل ريقته ... وجاد لي طرفه عفواً ومناني
ما زلت أجي بلحظي ورد وجنته ... وأستغير على تفاح لبنان
ما زال يأخذها صفراء صافية ... حتى توسد يسراه وخلاي
الله يعلم ما بي من صابته ... وما علي جناه طرفه الجاني
كم بالجزيرة من يوم نعمت به ... على تصاخب نايات وعيدان
سقياً لليلتنا من يوم نعمت به ... على تصاخب نايات وعيدان
سقياً لليلتنا بالدير بين رباً ... باتت تجود عليها سحب نيسان

والطل منحدر والروض ميتسم ... عن أصفر فافع أو أحمر قان
والترجس الغض منهل مدامعه ... كأن أجفانه أجفان وسان
ومنها:

أستغفر الله من عقل نطقت به ... ما لي وللعقل ليسس العقل من شاني؟!
لا والذي دون هذا الخلق صيرني ... أحدىثة وبحب الحمق أغراي
ما للشذائي من مثل يقاس به ... ولا له في اصطناع العرف من ثان
مهذب الرأي محمود خلأته ... رحب المكارم سمح غير منان
من كان في الجود والإفضال لذته ... لم يخله الجود من فضل وإحسان
وجملة الأمر فيه أنه رجل ... يراقب الله في سر وإعلان
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرفه ... إذا كفرت بمعبودي ودياني
إذا جرت يده في الطرس كاتبه ... تبليج الطرس عن در وعقيان
وإن تكلم جاءته براعته ... بكل ما شاء من فهم وتبيان

أبو القاسم الحسين بن الحسن

بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته، وفريدة عصره وباقعته، وهو أحد الفضلاء الجيدين في المهجاء، وكان في زمانه، كابن الرومي في أوانه: فمن شعره قوله يهجو ابن أبي أسامة:

يا ساكني حلب العوا ... صم جادها صوب الغمامه
أنا في مدينتكم غري ... ب لست من أهل الإقامه
والخان يحدث للغري ... ب إذا ابن بن سآمه
فقرضت من طول المقام ... م بها وأعوزت المدامه
وخرجت في بعض الليا ... لي قاصداً باب السلامه
وشربت من بئر بها ... من يأتها ينقع أوامه
ورتعت في فلواته ... وعلوت مرتقياً أكامه
فلمحت في بعض الوها ... د وقد قعدت سواد هامه
فسعيت أحسبها غرا ... بأ أو حداة أو حمامه
وإذا بأسود كالفني ... ق يقل إيراً كالدعامه
وإذا بشيخ تحته ... حسن الوسامة والقسامه
والشيخ يعصر تحته ... قد بل من عرق حزامه
فزجرت نايكه فقا ... ل له ألت ترى مقامه
انفض فديتك علنا ... نقضي بنهضتنا ذمامه
ونعود بعد عزوبه ... عنا وتربحنا خصامه
فسطا عليه وقال نك ... لا كان ذاك ولا كرامه
هذا الرقيع بعينه ... لي في رقاعته علامه
لولا فضول فيه لم ... يصرف إلى دبري اهتمامه
وبكى وقال لي امض وي ... ك واسأل الله السلامه
واشكره لما صار سر ... ملك لا يريد له صمامه
واعلم بأي كنت من ... أهل الرياسة والزعامه
يومى إلي إذا عبر ... ت يقال ذا ابن أبي أسامه
حتى ابتليت بمعبري ... فحصلت بين الناس شامه
فعجبت من تلك الفصا ... حة وهو يعفج والعرامه
شيخ له سمة تحا ... طيني بألفاظ مقامه
والأير يغرق في استه ... قد غاب في مفساه قمامه
فتضحك الحبشي من ... ه وقال لا تسمع كلامه

هذا وعيشك دأبة ... من قبل مبلغه احتلامه
أبدا يباري باسته ... بين الورى صوب الغماه
واستله من دبره ... وكأنه عنق النعامه
وقال يهجو منشأ بن إبراهيم القزاز:
قال منشأ يوماً لسعدانه ... وهي سحور العينين فتانه
من بعد أن غلف العوارض بال ... طيب وغلا بالمسك أسنانه
وامتنص من حمرة معتقة ... تحول بين الدنان في الحانه

وكان خشف قد باسها بفم ... وهي من البوس بعد شعبانه
هل لك في قبلة وهاك خذي ... خمسين حمراً وحل هيمانه
قالت له هاتما ودونك فاس ... طعني بجعص وعجل الآنه
فباسها ثم قال قد بقيت ... أخرى فقلت وعظمت شأنه
ما هي قل لي ألم أبس شرجاً ... جمشت أعفاجه ومصرانه
ألم أقدم فما أضن به ... إلى كنيف مرد حردانه
يا ألف كشخان وابن زانية ... نعم ويا زوج ألف كشخان
لم ترض أي قبلت مقعدة ... تحت سبال كأنما عانه
حتى تناهيت في الهون فشبه ... ت لساني ببنت وردانه
وقوله فيه :

إن منشأ قد زاد في التيه ... وزاد في شامنا تعديه
فلا ابن هند ولا ذي يزن ... ولا ابن ماء السما يدانيه
وهو مغيظ علي الوصي ومن ... يعزى إليه من يواليه
يذكر أيام خير بهم ... وهو قذى جال في أماقيه
وقد حكى أن فاه أطيب من ... سرمي وأني ممن يعاديه
ومن يقول القبيح فيه ومن ... أصبح بالمعضلات يرميه
فسوكوه بكل طيبة الر ... يح تعفي على مساويه
ومضمضوه من الجوارش ما ... يعمل بالمسك والأفاويه
واسقوه من حمرة معتقة ... قد صانها القس في خوابيه
واستفحقوني وايتنكهوه فإن ... كان لسرمي فضل على فيه
فحملوا الكلب والحمار على ... عياله واصفغوا محبيه
وقوله فيه :

يا راكباً يقطع عرض الفلا ... على أمون جسرة حرف
أبلغ أبا سهل إذا جئته ... رسالة عن عبده المنفي

وقل له عرنين ذاك الفتى ... في حالة جلست عن الوصف
قد ذاب مذ ليلة ساررتة ... وصار للسقم على النصف
يبكي فما ترقا له عبرة ... ويسهر الليل فما يغفي
حزناً على أرنية غودرت ... تقطر قطراً من دم صرف
فهو بسرم الكلب يا سيدي ... من داء أنفاسك يستشفي
من عاذري من رجل زرتة ... للحين والإدبار والحرف
فقال عندي لك أحدثة ... مليحة تكتب في الصحف
فادن لكي تسمعها واحتفظ ... بالسر في مكنون ما تخفي
فقلت للغفلة مستعجلاً ... أمشي برجلي إلى حنفي
ففاه عن أنتن من جعسه ... يعد بين البحر بالألف
وشارب فيه دم فارث ... ولته تشخب كالحلف
تحوم ذبان الخلا حوله ... مثل حمام طار من كف
كشعر زق الدبس أو شعرة ال ... حائض أو مكنسة الكنف
وشك خيشومي بنشابة ... من يد حر طامش وجف
تصمى العرائن ولو أنما ... في الدلص الموضونة الزغف
وتدرك الهارب منها ولا ... ينجو ولو كان على طرف
فانغمرت روحي وناديته ... يا أيها الثعبان بالكهف
بحق من كلم موسى على الط ... ور فدك الطور بالرجف
هب لي ما أبقيت مني فقد ... أشفى على مثل شفا الجرف
ولم أزل أدفعه جاهداً ... وقد تقاعست إلى خلف
فانقد بعض الثوب في كفه ... وقال أفلت فيا لهفي
وكان للحين على موضع ... مستشرف مرتفع السقف
فانكسرت ساقى وهيضت يدي ... واندف صدري ووهى كنف
وقمت أجري بعدها هارباً ... أسعى على رجلي كالخشف
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا ... قائله واسمعوا وصفي

إذا أردتم سرم أستاذنا ... فلتكن الآناف في غلف
ثم اغتسلوا شعر اللحي بعدها ... غسل الدرابيك أو القطف
وبخروها بعد تطيبها ... بكل شيء طيب العرف
وما أرى سائر ما قلته ... يغني ولا أحسبه يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ... ينجيكم شيء سوى النف
وسوكوه بخروا أمه ... في رأس كرناف من العف

فإن جالينوس ما عالج ال ... بحرة إلا بخرا القلف
وقال في الغزل، ويعرض بابن بسطام في الهجاء، ويذكر أنها لميسر:
ومهفهف يزهو علي بجيده ... وبخصره وبردفه وبساقه
وإلى قلبه متخوف ... كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مددته وحللت عن ... كفل مباح الحل بعد وثاقه
وافت إلى أصنة من دبره ... بخلاف ما قد فاح من أطواقه
فأجبتة ماذا فقال بحرقة ... ودموعه تنهل من آماقه
هذا ابن بسطام أتاني طارقاً ... بلطيف حيلته وحسن نفاقه
وعلا على كفلي وبلغم مثقي ... برياله المنهل من أشدائه
فبقى صنان رضابه في مثقي ... زمناً لحاه الله بعد فراقه
فالله يجرمه معيشتة كما ... قد سد مكسب مثقي ببصاقه
وقال يصف ما جرى عليه من الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق:
من لعين تجود بالهملان ... ولقلب مدله حيران؟
يا خليلي أقصرا عن ملامي ... وارثيا لي من نكبي وارجحاني
ومنى ما ذكرت دعوة أولاً ... د البغايا والعاهرات الزواني
فانتفا لحيتي وجزا سبالي ... ونبعل الكيف فاستقبلاني
ما الذي ساقني لحيني إلى حت ... في؟ وما غالي؟ وماذا دهاني؟
من عذيري من دعوة أوهنت عظ ... مي وهدت بهولها أركاني
كنت في منظر ومستمتع عن ... ها ومن ذا يغتر بالحدثان
فنزت بطنتي وهاجت على نف ... سي بلاء ما كان في حسباتي
كان عيشي صاف فكدره أه ... ل صفائي بنو أبي صفوان
فارثوا لي يا معشر الناس من ض ... ري ومن طول عطيتي وامتحاني
ضرب البوق في دمشق ونادوا ... لشقائي في سائر البلدان
النفير النفير بالخييل والرج ... ل إلى فقر ذا الفتى الواساني
جمعوا لي الجموع من خيل جيلا ... ن وفرغانة إلى ديلمان
ومن الروم والصقالب والتر ... ك وخلقاً من بلغر واللان
ومن الهند والطماطم والبر ... بر والكيلجوح والبيلقان
لم يبقوا ممن عددت من الآ ... فاق من مسلم ولا نصراني
والبوادي من الحجاز إلى نج ... د معديها مع القحطاني
كل ضرب فمن طوال ومن حد ... ب قصار والحول والعوران
وشيوخ مثل الفراخ وشبا ... ن رحاب الأشداق والمصران
معد جوعت ثلاثين يوماً ... بسلاح شاك من الأسنان

من مرند ومن تكين وطرخا ... ن وكسرى وخرد وطعان
وخمار وزيرك وعجيب ... وبديع وفارس وجوان
وجريح ونار قسطا ويونا ... ن وبرحفشيا يوحنان
وطراد وجهيل وزیاد ... وشهاب وعامر وسان
قمش جمعوا بغير عقول ... ردعتهم عني ولا أديان
هل سمعتم بمعشر جمعوا الخي ... ل وساروا في الرجل والفرسان
رحلوا من بيوتهم ليلة المر ... فع من أجل أكلة مجان
يركضون البريد تسعة أميا ... ل بنص الوجيف والذملان

شره بارد وحرص على الأك ... ل بأنا قوم من انجان
ما شعرنا ونحن من آمن العا ... لم إلا بصرخة الديدبان
أدركوني فهذه غرر الخي ... ل وسمر يعسلن كالأشطان
لست أنسى مصيبي ويوم جاءوا ... ني وقد غص منهم الواديان
وردوا ليلة الخميس علينا ... في خميس ملء الربا واخاني
متلب كالسيل لا يلتقي من ... ه لفرط انتشاره الطرفان
شزروني بأعين تقدح الن ... يران خوص إلى العدو زواني
أشرفوا لي على زروع وأحطا ... ب وبيت من خيره ملاّن
لبن قارس وخبز كثير ... وقدور تغلي على الدادكان
وشواء من الجداء ومعلو ... ف دجاج وفائق الحملان
وشراب ألد من زورة المع ... شوق بعد الصدود والهجران
يخجل الورد في الروائح والطع ... م ويحكي شقائق النعمان
أذكرتني جيوشهم يوم جاءوا ... ني جيوش العدو في رغبان
بقدم القوم هاشمي هريت الش ... دق ربح المعني طويل اللسان
هو نمس الدجاج والبط والأو ... ز وذنب النعاج والخرفان
والشريفان أشرفا في خلال ال ... خيل في موكب من الحيشان
وسواد من عظمه طبق الأرض ... وخيل قهوين كالظلمان
وأبو القاسم الكبير على طر ... ف كميت أقب كالسرحان
وأخوه الصغير يعترض الخي ... ل على قارح عريض اللبان
وهما يهويان بالسوط والرج ... ل إلى ما يسوعي مسرعان
أي قلب يطيق شتم بني خي ... ر البرايا وأكرم النسوان؟
غير أني يوم القيامة أشكو ... هم إلى الحرة الحصان الرزان
وأنادي يا بنت خير النسي ... ن ويا أم أكرم الفتیان

أي شيء صنعت بابنيك حتى ... غزواني في الزنج والسودان؟
والسري الذي سرى في جيوش ... أضعفتني وقصرت من عناني
بغم أشوه وشدق رحيب ... وبكف يجول كالصولجان
وأخوه الفضل الذي بان للعا ... لم من فضل أكله نقصاني
والشمولي خلقه خلق ترا ... س عريض الأكتاف عبل الحران
لست أنساه جاثياً جاحظ العي ... ن عبوساً في صورة الغضبان
كالعقاب الغرثان يقتنص اللح ... م ويهوي إلى طيور الخوان
والأديب الذي به كنت أعت ... د غزاني للحين فيمن غزاني
وكذا الكاتب الذي كان جاري ... وصديقي ومشتكى أحزاني
غيرته الأيام حتى أتاني ... جائعاً للشقاء مذ سنتان
وصديق الأشراف أحنى على خم ... ري وأفنى بالكرع ما في دنائي
كلما شقق مجد رخي ال ... بال لم يعنه الذي عناني
مجرهد كالسوس في الصوف في الصي ... ف بقلب خال من الإيمان
قلت قل لي يا ابن المبشر ما شأ ... نك من بين من غزاني وشاني
ليس هذا من شهوة الأكل هذا ... من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في ال ... أكل أعني فتى أبي عدنان
واستحث الكؤوس صرفاً بلا مز ... ج مكباً كالهائم العطشان
ليت شعري أمن رسائل بقرا ... ط تعلمت ذا وسمع اليان
أنت تزداد يا خليلي بهذا ال ... فعل علماً بالعالم الروحاني
ثم لا تنس ما لقيت وما مر ... لشؤمي من عسكر الفرغاني
أعجمي اللسان أفصح من ق ... س إذا ما نشا ومن سحبان
قال ققم فأتنا بخبز ولحم ... ونبيد في حمرة الأرجوان

وغلام مقين حسن الوج ... ه يحاكي بقلده غصن بان
لم توكل فرغان إلا بتفري ... غ دنائي وصبها في الجفان
إن من أعظم المصائب يا قو ... م بلاني بذلك الطرمذان
رجل كالغنيق قدم بلال ... ب طويل في صورة الشيطان
يققاً كالعمود يستعذب الصف ... ع ورأس أصم كالسندان
زائد الخلق ناقص العقل والدي ... ن غليظ القذال كالقلتان
يلع الطيبات بلعاً بلا مض ... غ ويحسو النبيذ كالثعبان
لا تمنني حتى أراه وقد قص ... ر من فضل طول له شبران
وأتوني بزامر زمره يح ... كي ضراط العبيد والرعيان

ومغن غناؤه يطلق البط ... ن ويأتي بالقيء والغثيان
قصدت هذه الطوائف حمرا ... يا لهتكى وذلتى وامتحاني
قلت ما شأنكم قالوا أغثنا ... ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيا لك من يو ... م عبوس عصيب أرونان
نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا ... س بين الرطبان والقصالن
لم يكن مربعا سوى ساعة ح ... تى رأيت الزروع كالفلحان
أفقروني وغادروني بلا دا ... ر ولا ضيعة ولا بستان
حبروني ودهوني فقد صر ... ت بليداً كالذاهل السكران
أسمع اللفظ كالطين لسهوي ... وهو لفظ يجري لغير معاني
تركوني يا قوم أفقر من فر ... خ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفي ... ن بن تشتاقه العارضان
أكلوا لي أضعافها غير مسطو ... ر ومالوا إلى سميد الفران
أكلوا لي من الجداء ثلاثين ... قريصاً بالخل والزعفران
أكلوا ضعفها شواء وضعفي ... ها طبيخاً من سائر الألوان
أكلوا لي تبالة تبلت عقل ... ي بعشر من الدجاج السمان
أكلوا لي مضيرة ضاعفت ضر ... ي بروس الجداء والعصيان
أكلوا لي كشكية قرحت قل ... بي وهاجت لفقدتها أشجاني
أكلوا لي سبعين حوتاً من النه ... ر طرياً من أعظم الحيتان
أكلوا لي عدلاً من المالح المش ... وي ملقى في الخل والأنجدان
أكلوا لي من القريشاء والبر ... ني والمعقلي والصرقان
ألف عدل سوى المصقر والبر ... دي واللؤلؤي والصيحاني
أكلوا لي من الكوامخ والجو ... ز معاً والخلاط والأجبان
ومن البيض والمخلل ما تع ... جز عن جمعه قرى حوران
فتتوا لي من السفرجل والت ... فاح والرازقي والرمان
والرياحين ما رھنت عليه ... جبتي عند أحمد الفاكهاني
درسوا لي من البنفسج والنر ... جس ما ليس مثله في الجنان
ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا ... س ثمانين من معين وضان
ما كفاهم ما مر من غنم القر ... ية حتى أخنوا على الثيران
ذبحوها والدمع يجري على خد ... ي انسياً مثل انسياب الجمال
أكلوا كل ما حوته يميني ... وشمالى وما حوى جبراني
ثم قالوا هلم شيئاً فنادي ... ت غلامي قم ويحك فاحباً حصاني
لم تدع لي بطونكم يا بني البط ... ر سواء وذا شطوب يماني

فتمالوا علي شتما ولعناً ... واستباحوا عرضي بكل لسان
من له قدرة على الشعر يهجو ... ن ومن كان مفحماً يلحاني
وكأني أنا الذي عثت في الخي ... ر وغيرت صورة الحيوان
ثم جاء المعقبون من السا ... سة والشاكري والعبدان

فرأيت النخاع واللطم والدف ... ع وكدم الأنوف والآذان
وتفانوا صفعاً وفاح من القو ... م غباراً من الفسا والصنان
ثم لما أتوا على كل شيء ... ختموا مخنقي بكسر الأولي
ثم قاموا إلى الجلاهق والبا ... شق والحدقات والزربطان
فرأيت الحمام بعضاً على بع ... ض وبعضاً ملقى على الأغصان
ورأيت الدجاج في وسط القر ... ية ملقى مكسر السيقان
أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي ... يا ثقاتي كراً من الأشنان
ومن اخلب المطيب بالبا ... ن وماء الكافور سبع براني
شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا ... ح لذيد المذاق أحمر قان
فأقاموا سواسهم والمكاري ... ن إلى أن سمعت صوت الأذان
ينقلون الأحطاب من حيث وافوا ... ها فبالطير مر لي غيضان
جوزة كان حملها أحسن الحم ... ل وكانت ظليمة الأفنان
كان لي في فنائها منزل رح ... ب أنيق يحفه فهران
ورياض مثل البرود علاها ال ... طل بين البهار والأقحوان
وطيور ما بينها تنغى ... بجميع اللغات والألحان
هي كهفي ومستظلي من الح ... ر وذخري لنائبات الزمان
أحرقوها يا قوم في ساعة القف ... ز وضرب الأحطاب بالنيران
كسروا السكر فاختلطت فقالوا ... كيف تبقى بغير شاذروان
قطعوا اللوز والسفرجل أحطا ... بأ ومالوا بها على غلماني
والنواطير مددوا وعلوه ... حنقاً بالعصي والقضبان
طالبوني بالنيك في آخر الليل وجمع النساء والمردان
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر ... د وبعض مستهتر بالغواني
فتوهمته مزاحاً فجدوا ... قلت هذا ضرب من الهذيان
ليس يبقى على أرامل حمرا ... يا سوى بذهن للضيفان
لو سمعتم يا قوم في غسق اللي ... ل بكاء النساء والولدان
يتنادون بالعويل والوي ... ل وراء الأبواب والجران
ويقولون ويلنا من أبي القا ... سم هذا المطرمد المخرقاني

قصده الأعداء فاستملكونا ... فحصلنا أسرى بغير أمان
أوجروني البيذ بالرطل حتى ... صرت أمشي كمشية الفرزان
فجعوني لما سكرت بهيما ... بي وشقوا عصائب الطيلسان
كان أول النهار على رأ ... سي فأمسي على رءوس القيان
ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا ... ري فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لي مفرش وكل مليح ... فوقه مطرح من الميسان
وبساط من أحسن البسط مذخ ... ور لعرس أو دعوة أو ختان
غرقوه بالزيت والبول والقي ... يء فأضحى وقدره بعرتان
أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كي ... ل يكيلونه ولا ميزان
خلت داربي يا إخواني المسجد الجا ... مع ليلاً للنصف من رمضان
سرقوا جبتي وسيفي وسكي ... بي وخفي وجوربي وراي
ثم لما انتهت بهم شدة الكظ ... ة خروا صرعى على الأذقان
هوموا ساعة كتهويمة الخا ... ئف في غير أرضه الفرعان
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النس ... ر ومال السماك والفرقدان
يصرخون الصبح يا صاحب البي ... ت فأبكوا عيني وراعوا جناني
سحبوني من جوف بيتي على وج ... هي كأني أدعى إلى السلطان
بقلوب أشد حراً من الجم ... ر وأقسي من الصفا الصوان

قلت رقوا لذلك الطفل ميمو ... ن ولا تؤتموه يا إخواني
ما تفني أكلة بقتل غريب ... ذي عيال ناء عن الأوطان
علقوني بفرد رجل إلى السق ... ف وعذبت ليلتي بالدخان
لو رأي أبي وأمي على رأس ... ي ورجلاي بالعصا تنقران
بكيا لي من ذاك واشترياني ... من يديهم بكل ما يملكان
وقع الضرب يا خليلي على جس ... م من السوط والعصا قرحان
قلت للفضل والسري غثاني ... ومماقي قد حل بي خلصاني
واذكرا عشرتي وودي وإخلا ... صي وحنا علي واستبقياي
أنتما إن قتلتماي وحق ال ... ه من أجل أكلة تندمان
أي شيء تركتماه لضعفي ... قد مضى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفاني أن ليس عندي مشرو ... ب ولا في خزانتي لقمتان
فاستشاط علي غيظاً وقال ال ... فضل قل لي بأي عين تراني
نحن من أجهل البرية طراً ... إن حصلنا منكم على الأيمان
قطعوا الحبل فانقلبت على رأ ... سي وظهري فاندق لي ضلعان

ثم لما تمكن اليأس خلو ... في ومالوا حشواً على الأتبان
وأجيري مسخر ينقل الأت ... بان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكي فقلت وبحك ما تص ... نع بالتبين يعد موته الفدان
سرقوا السرج والقناديل والزيت ... ت وأقداحنا وكل الناني
والنبذ استقوه واغتتموه ... آخر الليل كاستقاء السواني
زودوه سواسهم والمكاري ... ن معاً بالجرار والكيزان
لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ... ج قميصاً محيط الأردان
قد حشاه لحماً وطيراً وسبعي ... ن رغيفاً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح في الزقاق وراحوا ... بطعام منضد في الصواني
ميزوا خيلهم بكل كسير ... وعقير مدبر جربان
خلفوه يرعى بقية زرع ... رعي لا خائف ولا متوان
ما رثى لي سوى المبارك من ض ... ري وذاك القصير الدحدحاني
رفهاني وخففا الثقل عني ... فهما من ملامتي سالمان
والسري السرى حقاً كما س ... مى أيضاً من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا ... ن عراه في دعوة ما عراني
أسعدوني يا أخوتي وثقائي ... بدموع تجري من الأجفان
إخوتي من لواكف الدمع محزو ... ن كئيب مدله حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكي ال ... عين واهي الوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلى على شؤ ... مي فويلي من نحس ذاك القران
قد أحسن في هذه القصيدة غلية الإحسان، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان. وتصرف فيها وأطال، وأمكنه
القول فقال. وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف هذا التخلص، وسلم مما يؤديه إلى التكلف والتلصص.
فهو الذي لا يدرك غوره، ولا يخاف بحره.
وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز، ويقال: إن هذه
القصيدة كانت سبب عزله من عمله، وقد تصرف فيها كل التصرف، وهي سالمة عن التكلف، ولم يقل في
معناها مثلها، وهي:
يا أهل جيرون هل لسامر كم ... إذا استقلت كواكب الحمل
في ملح كالرياض باكرها ... نوء الثريا بعارض هطل
أو مثل نظم العقود بالذدر وال ... در ووشي البرود والكلل
يلذ للسامع الغناء بها ... على خفيف الثقل والرمل
كنت على باب منزلي سحراً ... أنتظر الشاكري يسرج لي

وطال ليلى حاجة عرضت ... باكرتها والنجوم لم تمل
فمر بي في الظلام أسود كال ... فيل عريض الأكتاف ذو عضل
أشغى له منخر ككوة تن ... ور وعين سجاء كالشعل
ومشفر مسبل كخب رحي ... على نيوب مثل المدى عضل
مشقق الكعب أدع القيد والر ... جل طويل الساقين في سمل
فأهدت الريح منه لي أرجاً ... مثل جني الروض في الندى الخضل
مسكاً وقفصية معتقة ... شيبا بيان وعنبر شمل
فقلت ما هكذا يكون إذا ... راح الندامى روائح السفلى
أسود غاد من الأتون له ... عرف أمير نشوان في فضل
هذا ورب السماء أعجب من ... همار وحش في البر منتع
أردده يا نصر كي أسائه ... فشأنه عضلة من العضل
فقال يخشى فوات حاجتنا ... وليس هذا من أكبر الغل
فقلت ترك الفضول يا ناقص ال ... همّة عين الإدبار والكسل
بادره من قبل أن يفوتك في ... سلوكه بين هذه السبل
فصد عني تغافلاً ومضى ... يعجب من عقله ومن خللي
وصاح من خلفه رويدك يا ... أسود مالي بالعدو من قبل
ارجع إلي ذلك الرقيق وإن ... أكال في خطبه فلا تطل
أجب إذا ما سئلت مقتصداً ... في اللفظ واسكت إن أنت لم تسل
وهو بترك الفضول أجدر لو ... يسلم من خفة ومن خطل
فكر نحوي عجلان يعثر في ... مرط كساء مبرغث قمل
وقد مدى والمذي يقطر من ... غرموله في الذول كالوشل
وظن أني صيد فأبرز لي ... فيشلةً مث ركه الجمل
سوداء قد طوقت بطوق خرا ... أصفر تزهى به على الحجل
وقال لج دراكم لأولجها ... فيك وإنكنت لم تبلى قبل
فطالما أسهلت طبيعة من ... ليس لأمثالها بمحتمل
هذا على أهما مؤدبة ... من الفياشي المروضة الذلل
وطال والله ما خدمت بها ال ... ملوك خلف الستور والكلل
وكنتم أغشاهم على فرش ال ... خز بلا سقطة ولا زلل
لأنها صنعتني وصنعة آ ... بائي قديماً في الأعصر الأول
وزاد في دولة اليهود بها ... شرطي على ما مضى من الدول
حتى لقد فتقت فوشهم ... وطريت بالغدو والأصل
فانظر إليها فإن رأيت لها ... شبهاً فلا تدعني أبا الجعل

وخذ عموداً أغلافه شرح ... لم يمتحن ساعة ولم يذل
قلت له لا عدمت برك قد ... بذلت ما لم يكن بمبتذل
وجدت عفواً من غير مسألة ... بدرة لا تباع بالجميل
لكنني والذي يمد لك ال ... عمر ويعطيك غاية الأمل
ما شق دبري مذ قط فيشلة ... ولا نتخاب الأيور من عملي
ولا لهذا دعيت فاطلب لمي ... لوخك من يستلذه بدلي
وهات قل لي بالله من أين أق ... بلت ودعني من هذه العلل
فقال لي بت عند عاملكم ... هذا أبي الفضل يوسف بن علي
فصاك بي طيبه وصاك به ... مني صنان في حدة البصل
تركته بالنهار اخفش لا ... ينظر في خدمة ولا عمل
قلت تزيد وادعيت على ... شيخ نبيل ينمي إلى نبل
أبوه سمح وجده ملك ... يدعى حيناً وعمه الصملي

لعل ذا غيره فصفه فما ... يخدع مثلي بهذه الحيل
فإن تكن صادقاً نجوت وأن ... حيث عليه باللوم والعذل
وإن تكن كاذباً صفتك بالن ... عل فإن كنت قائلاً فقل
فقال يا سيدي عجلت بمك ... ر وهي وكان الإنسان من عجل
هذا الذي بت عنده نصف ... دون مسن وفوق مكتهل
في فيه نتن وتحت عصصه ... عين تمج الصيد في دغل
آدر رخو العجان منخرق ال ... مبعر ألحى مهيج السفل
حيضة بأسوره إذا اختلطت ... بالسلاح كالسمن شيب بالعسل
له إذا ما علوته نفس ... أمضى من السيف في يد البطل
يصرع طير السماء في الأفق ال ... أعلى ويوهي مخارم القل
أنتن من كل ما يقال إذا ... بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولع أبداً ... لشؤم بختي بالعض والقبل
نعم وفي باب سرمه وضع ... أبيت ليلي منه على وجل
أخاف يعدى أيري يرصته ... فأغتنى مثله من المثل
أسود كالليل بين أكرعه ... عمود صبح ينجاب عن طفل
فقلت هذى صفاته ولقد ... شغلت قلبي بذلك الرجل
فقال أما إذا اهتممت به ... فإنه في نهاية الجذل
قد طاب عيشاً وقد أصاب من ال ... لذة ما لم يصب ولم ينل
يكون مثل العروس مفترشاً ... طوراً وطوراً كالفحر في الإبل

فيجمع اللذتين مغتبطاً ... ذي دبره تارة وفي قبل
وهو عوان لم يخش من ألم ال ... حمل عقيم ولم يخش من حبل
وأنت يا ابن الخراء محتفل ... بأمره وهو غير محتفل
فقلت قل لي من أين تعرفه ... فقال ذرني من هذه العقل
كنت أجيراً بيد معصرة ... بصور كانت لكاتب البجل
وكنت أضحي النهار في ظاهر ال ... يد إذا ما انصرفت من شغلي
فنمت يوماً وكنت من سهر ال ... ليل وقيداً كالشارب الثمل
وهبت الريح فانكشفت ولم ... أشعر وطار الشراع عن قبلي
واجتاز للحين والقاء الذي ... حم منشأ في موكب زجل
حف بصفر البنود والخيال والر ... جل وبيض الصفيح والأسل
على كميت أق كالصخرة ال ... صماء قدت من قنة الجبل
ليس بأشغى ولا أجش ولا ... أهضم طاوي الحشى ولا شغل
وهو أمام الصفوف تقدمه ... جرد الهوادي شواذب المقل
مجنبات كأفهن سرا ... حين قطاء أو كالفنا الذبل
وحان منه التفاته فرأى ... ذيل قميصي قد قد من قبل
فاشتد تحديقته إلي كما ... حلق ذئب طاو إلى حمل
ولم أبت ليلتي وعيشك يا ... مولاي حتى دعيت بالرسل
فجنته خائفاً كما يلج ال ... عصفور مستكراً على الورل
فارتعت لما رأيت لحيته ... وكدت أخرى من شدة الوهل
وظن أي استحييته فغدا ... يبسطني بالمزاح والغزل
وقال هذا الحياء يا ياباً أنت بريد النكول والفشل
فاطرح الهيبة المضرة بي ... واعتزل الخوف أي معتزل
إن كنت أكرمتني لترفع من ... قدرتي فبعض الهوان أنفع لي
انتف سبالي واصفع قفاي ولا ... تنظر إلى قدرتي ولا خولي
ولا عبيدي ولا فروشي ولا ... طيبي ولا حيلتي ولا حللي
إن يشق أعلاي باللطام فقد ... يسعد بالرهز بعده سفلي

وليس بعد المزاح يا بأبي ... في الرأس من حشمة ولا خجل
ولم يزل دائماً يشمرخ شا ... قولي ويختال لي على مهل
فحين أدليت كالحمار بدا ... يرفع أجاله عن الكفل
وخر للوجه والجبين وقد ... رطب حول خصيه بالبلل
طعنته طعنة بصدق الأنا ... ييب أصم الكعوب معتدل

فقال: أوجعت جوف مقعدتي ... وظل يدعو بالويل والهبل
وقرقت بطنه وربتما ... حذرت من مثلها ولم أبل
ثم رماني بسلحة خطمت ... أنفي فزاولتها على يل
فقلت: يا سيدي ويا أُملي ... أظن ذا السرم منبني ثعل
فقال: أخطأت إذ أسلت دمي ... فقلت: كلا والله لم يسلم
أين النجيع القاني؟ فديتك من ... لطح رجيع كالورس منسحل
ألا تبرزت لا أبالك أو ... شددت من باب سرمك النغل؟
فقال لما أنشأت تعفجني ... في استي برمح لم يعتصم سفلي
ألم تكن عالماً بأن سلا ... ح استي سلاحي في كل منتضل
خذ آبنوساً حليته ذهباً ... فالخلي أولى به من العطل
ولا تلمني فكيف أصنع في ... سرم شديد الحكال مؤتكل
تمعه اللذة الحياء فتس ... رخي حواشي مثقف نغل
نعم وعاجلتني بجانفة ... أصمت ومرت في موضع العذل
عاجلت قلبي عن التحفظ في ... أمري برهنز كالبرق مشتعل
وخاض جمعي أير به هوج ... يجوز حد الجنون والخبل
يا سيدي ما اسمه فقلت أبو ال ... أسود يكنى وليس بالدؤلي
فقال: يا حبذا أبو الأسود الزا ... هد فينا بسلحة قبلي
هل رابه غيرها وقد جعل ال ... ماء طهوراً لكل مغتسل
فامض وعد بعدها لترويني ... من بعد نومي عللاً على فحل
ولا تحف بعدها وصاح بفرا ... ش قصير السربال نعتل
فقال ذاك الفراش: ماك قد ... مت كذا فاغتسل ولا تبل
فهذه عادة لسيدنا ... مورثة عن أبيه لم تنزل
ولم أزل في خزانة الفرش أي ... امأً مخلى في زي معتقل
حتى انشنت صعدتي وبان له ... في اناة الفتور والكسل
ثم تغني والأير في يده ... قد خف بعد العتو والثقل
يا دار هند بالخيف من ملل ... حبيت من دمنة ومن طلل
وقال لي ويك في دمشق أخ ... للوقف والخرج والضياح بلى
وهو بحب السودان أعرفه ... وليس عن رأيه بمنثقل
فخذ كتابي وسر إليه ولا ... تترك مقالاً مذ قط لم يقل
وقل سرت بي في الليل ذعبلة ... تهدي صدور المهريّة البزل
تمطو جهاحاً إذا المطي ونت ... حتى تراخى لها من الجذل
أهوى بطون الأقطار في غسق ال ... لميل وآوي مناهل الوعل

وليس لي شافع إليك سوى ... فيشلة أسهلت أبا سهل
فإنه سوف يلتقيها ويح ... بوها إذا أقبلت بجيهل
وتغتدي عنده أعز من ال ... أهلين والأقربين والحول
فجنته واثقاً بقول أبي ... سهل ومن يسمع المنى يخل
فما حصلنا إلا على سهر ... يعمي ورهز يوهي القوى نكل
وكان هذا ابتداء معرفتي ... به، فحسبي فاقطع ولا تصل
وقد مضى يومنا بلا عمل ... ترجى له أجرة ولا أمل

ظننت للنبيك قد دعيت، ولم ... أدري بأي دعيت للجدل
صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصل ولم يصرفه عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران
العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد منشور يتقدم ذلك:
قلت له: اذهب مصاحباً فلقد ... حدثت عنه بمحدث جليل
فمر يسعى كأنه ثمل ... من سهر كده ومن ملل
يقول في سيره وقد وضح ال ... صبح: ألا رب واثق خجل
كان نكاح إبليس زوره ... بلا شهود ولا حضور ولي
لا بارك الله فيهما فلقد ... جاء بما لا يجوز في الملل
وعدت بالله أستعيذ من ال ... سوء ومن كل موقف رذل
والحمد للوهاب السلامة من ... جرح يداوي بهذه القتل
وإن اتفق وجود المنشور ألحقته بعون الله وقدرته.

أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال:

قد غدونا إلى صلاة الغداة ... ثم ملنا منها إلى الحانات
فشرينا مدامة كدم الخش ... ف عقاراً تضيء في الكاسات
فإذا شجها السقا بماء ... أبرزت مثل ألسن الحيات
وكان الأنامل اعتصرتها ... من شقيق الحدود والوجنات

أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، وقد رثاها الناس على طبقاتهم:
يا أميراً علماً على النجم همه ... مثل ما قد زرى على الخلق عزمه
أكثر الناس في التعازي وقالوا ... كل معنى ينسي أخا لهم همه
فاختصرت العزاء في نصف بيت ... كل خطب إذا تعدك نعمه

أبو محمد الحسن بن علي وكيع التنيسي

شاعر بارع. وعالم جامع. قد برع في إبانته، على أهل زمانه، فلم يتقدمه أحد في أوانه. وله كل بديعة تسحر الأوهام، وتستعبد الأفهام. فمن ملح شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة:

رسالة من كلف عميد ... حياته في قبضة الصدود
بلغه الشوق مدى المجهود ... ما فوق ما يلقاه من مزيد
جار عليه حاكم الغرام ... فدق أن يدرك بالأوهام
فلو أتاه طارق الحمام ... لم يرده من شدة السقام
له اهتزاز وارتياح وطرب ... لوجه من أورثه طول الكرب
فهل سمعتم في أحاديث العجب ... بمن مناه قرب من منه العطب
ما غاب عنه الحزم في الأمور ... لكن مقدار الهوى ضروري
صاحبه يخط في ديجور ... منفسد التقدير بالمقدور
إذا التقى في مسمعيه العذل ... وقيل من دون المراد القتل
قال لهم لوم الخب جهل ... إن الهوى يغلب فيه العقل
ما العذر في السلوة عن غزال ... منقطع الأقران والأشكال
تستخلف الشمس لدى الزوال ... ضياء خديه على الليالي
بخفة الروح احتوى صلاحي ... فصرت لا أرغب في الفلاح
والشكل والخفة في الأرواح ... أملح ما يعشق في الملاح
من عشق القدم وإن دق البصر ... فليقصد البيعة وليهو الصور
من كان يهوي منظرًا بلا خبر ... فما له أوفق من عشق القمر
ظلي سلوي عنه مثل جوده ... خياله أكذب من موعوده
أجفانه أسقم من عهوده ... أردافه أثقل من صدوده
يا وصله صل مثل وصل صده ... يا حكمه كن في اعتدال قده
يا قلبه كن رقة كخده ... يا خصره كن مثل ضعف عهده
أما وخصر ضعفه كصبري ... له ووجه حسنه كشعري
له عذار قام لي بعذري ... لا تبت من شوقي إليه دهري
أضحى لإبليس به استقدار ... على بني آدم واستبشار

وقال: في ذا تستطاب النار ... ما لهم عن مثل ذا اضطبار
تمت لي الحيلة في العباد ... أدركت من صالحهم مرادي
بمثل ذا أمكنني إفسادي ... لأنفس العباد والزهاد
والهفتي من خده الأسيل ... إذا انجلي عن صفحتي صقيل
واحربي من طرفه الكحيل ... من منصفني منه ومن مديلي؟

من مقلة كالصارم البتار ... ألحاظها أمضى من المقدار
تحكم في لي وفي اصطباري ... نظير حكم الدهر في الأحرار
حل قواي العقد من زناره ... أهب قلبي خده بناره
عذر صبري مبتدا عذاره ... حيرني بالطرف واحوراره
جاء بوجه حسنه محبوب ... تطيب في أمثاله الذنوب
وقامه ذل لها القضيبي ... والقدر تنقد به القلوب
هفا قلبي منه إفراط الهيف ... فقلت لما أن تثنى وانعطف:
يا سيدي من دون ذا الميل التلف ... وشرط من كان ظريفاً في القطف
ما قصر القامة مثل الطول ... ولا البدين الجسم كالمهزول
عشق الرشيق الأهيف الجدول ... شأن ذوي الأفهام والعقول
لا يعشق الضخم الغليظ الجسم ... غير غليظ الطبع جاف قدم
يا حاكماً جانب في العلا ... مهلاً بمن يهواك مهلاً مهلاً
يا ظالماً يقتلني مجاهره ... قد منع الوجد من المساتره
هلم إن شئت إلى المناظره ... واستعمل الإنصاف لا المكابره
في أي دين حل قتل الروح ... وهل لما تفعل من مبيح
إن قلت ذا جاء عن المسيح ... فليس ما تزعم بالصحيح
مرقص ما أخبرنا بهذا الخبر ... عنه ولا لوقا حكاه في الأثر
وقد نهي عن ذا يوحنا وزجر ... ولا ارتضى متى به ولا أمر
أربعة ليس لهم عديل ... ولا لهم في أمرهم كفيل
ما فيهم من قال ما تقول ... فهل سوى إنجيلهم إنجيل
فإن زعمت أن ذا موجود ... في زبر جاء بها داود
فما الزبور بيننا مفقود ... فكيف لم تعلم به اليهود
ولم يخبر أحد سواكا ... من النصارى كلهم بذاكا
لا تتقول غير ما أتاكا ... وغلب الحق على هواكا
سفك دمي يحظر في الأديان ... فدع حجاجاً ظاهر البطان
لا تجمع الإثم مع البهتان ... وكن على خوف من العدوان
واعلم بأي إن تمادى بي الهوى ... وخفت أن أتلغ من فرط الضنى
ودمت في هجر لي كما أرى ... ولم أجد منك لما بي مشتكى
شكوت ما تلقاه نفسي البائسه ... من خطرات اللهموم هاجسه
عفت رسوم الصبر فهي دارسه ... إلى جميع عصية الشمامسه
فإن هم لم يرحموا أنيني ... وخيخوا في قصدهم ظنوني
ولم أجد في القوم من معين ... ينصفني منك ولا يعديني

شكوت ما يلقي من الأحران ... قلبي إلى مشيخة الرهبان
عساك تستحي من الشيخان ... وإن تهاونت بهم من شاني
فلا أراك مغضباً عبوساً ... إذا أتيت أسأل القسيسا
معوونة أرجو لها التنفيسا ... عن مهجة قاربت النسيسا
واعلم بأني إن رددت شافعي ... هذا ولم يرجع بأمر نافع
فليس ذا بحاسم مطامعي ... كم طالب جد بمجد مانع
لو كنت مبذولاً لنا لم تطلب ... وإنما نرغب إذ لم ترغب

وكلت النفس بترك الأقرب ... وشدة الحرص على المستصعب
وإن تماديت على جفائكا ... ودمت بالقلّة من حبايكا
في هجرنا على قبيح رأيكا ... واستيأس الرهبان من إصطفائكا
فلا تلمني إن قصدت الأسقفا ... من برح السقم به رام الشفا
فلا تقل أبديت مكنون الخفا ... أنت الذي أحوجتني أن أكشفا
سوف إلى المطران أنهي قصتي ... إن دام ما تؤثره من هجري
فإن رثي لي طالباً معونتي ... ولم تشفعه بكشف كربتي
شكوت إن حالفته فيما حكم ... يدخلك الحرم فويل من حرم
هناك تأتي مستقيلاً ظلمي ... تسألني عطف الرضى بالرغم
ترضى بما ينفذ فيك حكمي ... إذا بك اشتد عذاب الحرم
دع ذا فهذا كله تهديد ... أرجو به قربك يا بعيد
هيهات سري أبداً جحود ... فيك وقولي كلما تريد
مولاي قد ضاقت بي الأمور ... فقلت ما قلت وقولي زور
قلبي إلا في الهوى جسور ... فلا تلم أن ينفث المصدور
مولاي بالرحمن أحى مغرماً ... يخاف أن تغضب إن تظلمنا
إليك أشكو فعسى أن تنعماً ... مهلاً قليلاً قد قتلت المسلما
يا جرجس ارفق بفؤاد هائم ... يا سيدي خف سوء عقبي الظالم
وقد رضينا بك في التحاكم ... والجور لا يشبه فعل الحاكم
أقصى رجائي منك نيل الود ... وقبله تشفي غليل الوجد
يا جائراً أفرط في التعدي ... منك إليك في الهوى أسعدي
وقال في الزمن مزدوجة:

يا سائلي عن أطيب الدهور ... وقعت في ذاك على الخبير
سألني أي الزمان أحلى ... وأيه بالقصف عندي أولى
عندي في وصف الفصول الأربعة ... مقالة تغني اللبيب مقنعه

فصل الصيف:

أما المصيف فاستمع ما فيه ... من فطن يفهم سامعيه
فصل من الدهر إذا قيل حضر ... أذكرنا بحره نار سقر
تبصر فيه النبت مقشعرا ... والأرض تشكو حره المضرا
نهاره مقسم بين قسم ... جميعها يعاب عندي ويذم
أوله فيه ندى مبغض ... كأنه على القلوب يقبض
يلصق منه الجسم بالثياب ... وتعلق الأذيال بالتراب
حتى تراها مثل منديل الغمر ... فيهن تخطيط كتخطيط الخبر
حتى إذا ما طردته الشمس ... وفرحت بأن يزول النفس
فتحت النار له أبوابها ... وشب فيها مالك شهابها
حر يحيل الأوجه الغرانا ... حتى ترى الروم بها حبشانا
يعلو به الكرب. ويشتد القلق ... وتنضج الأبدان منه بالعرق
تبصره فوق القميص قد علا ... حتى ترى مبيضه مصندلا
إن كان رثاً زاد في تمزيقه ... أو مستجداً حل حبل زيقه
ثم يعيد الماء ناراً حامية ... تزيد في كرب قلوب الضاويه
شاربه يكرع في حميم ... كأنه من ساكني الجحيم
ينسيه ما يلقي من التهايه ... أن يحمد الله على شرابه
حتى إذا عنا انقضى نهاره ... وأرخيت من ليله أستاره
تحركت في جناحه دواهي ... سارية وأنت عنها ساهي
من عقرب يسعى كسعي اللص ... سلاحها في إبر كالشخص
وحية تنفث سماً قاتلا ... تزود الملدوغ حتفاً عاجلا
تبصر ما في جلده من الرقش ... كوجنة مصفرة فيها نمش
لوهشت بالناب منها الخضرا ... لبترت منه الحياة بترا

فإن أردت الشرب في إبانه ... على الذي وصفته من شأنه
أبشر بما شئت من الصراع ... فضلاً عن التهويس والصداع
وعلل تعجز إحصاء العدد ... من جرب ومن دوار ورمم
وبعد حمى الكبد لا تنساه ... لأنه أول ما تلقاه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلاً ... فلعنة الله عليه فصلاً
فصل الخريف:

حتى إذا زال أتى الخريف ... فصل بكل سوءة معروف
أهوية تسرع في كل الجسد ... وهو كطبع الموت ييساً وبرد

يخشى على الأجسام من آفاته ... فأرضه قرعاء من نباته
لا يمكن الناس اتقاء شره ... من اختلاف برده وحره
تبصره مثل الصبي الأرعن ... في كثرة التغيير والتلون
فإن أردت الشرب للعقار ... في حينه بالليل والنهار
فأنت منه خائف على حذر ... لأنه يمزج بالصفو الكدر
أحسن ما يهدي لك النسيما ... يقلبه في ساعة سموما
وهو على المعداد من ذنوبه ... خير من الصيف على عيوبه
فصل الشتاء:

حتى إذا ما أقبل الشتاء ... جاءتك منه غمة غماء
أقبل منه أسد مزير ... له وعيد وله تحذير
لو أنه روح لكان فدما ... أو أنه شخص لكان جهما
يأتيك في إبانه رياح ... ليس على لاعنها جناح
حراكها ليس إلى سكون ... تضرر بالأسماع والعيون
يحدث من أفعالها الزكام ... هذا إذا ما فاتك الصدام
ثم يليها مطر مداوم ... كأنه خصم لنا ملازم
يقطعنا بغضاً عن الطريق ... وعن قضاء الحق لصديق
وربما خر عليك السقف ... وإن عفا عنك أذاك الوكف
هذا وكم فيه من المغارم ... وكثرة الإنفاق للدراهم
في ملابس تدفع شر برده ... يكف عنا منه غرب حده
ملابس تعيي الجليد حملا ... كأنما يحمل منها ثقلا
يحكي بها المنحرف أصحاب السمن ... لكن تراه سمناً غير حسن
فإن أردت بالنهار الشربا ... فيه فقد قاسيت خطباً صعبا
واحتجب أن توقد فيه النارا ... تطير نحو الحدق الشرارا
تترك مبيض الثياب أرقطا ... تحكي السعيد لك المنقطا
وبعد ذا تسدد الثقابا ... من خوفه وتغلق الأبوابا
نعم وترخي نحوه الستورا ... حتى ترى صاحبه ديجورا
فحسن لون الراح فيه لا يرى ... لأنه صار سواء والدجي
تشرب فيه إن شربت الخمرا ... ليس لأن تلهو أو تسرا
لكن لتحمي خضر الأعضاء ... فشرها ضرب من الدواء
وإن أردت الشرب في الظلام ... عاقلك عن تناول المدام
حسبك أن تندس في اللحاف ... وخشية البرد على الأطراف
ورعدة تشغل عن كل عمل ... وتؤثر النوم وتستحلي الكسل

حتى إذا ملت إلى الرقاد ... نمت على فرش من القناد
إن البراغيث عذاب مزعج ... لكل ما قلب و جلد تنضج
لا يستلذ جنبه المضاجعا ... كأنما أفرشته مباحضا
قبح فصلاً فوق ما ذمته ... لو أنه يظهر لي قتلته
حتى إذا ما هو عنا باناً ... و زال عنا بعضه لا كانا
فصل الربيع:

جاء إلينا زمن الربيع ... فجاء فصل حسن الجميع
لبرده و حره مقدار ... لم يكتنف حدما الإكثار
عدل في أوزانه حتى اعتدل ... و حمد التفصيل منه و الجمل
نهاره من أحسن النهار ... في غاية الإشراق و الإسفار

تضحك فيه الشمس من غير حجب ... كأنما في الأفق جام من ذهب
وليله مستلطف النسيم ... مقوم في أحسن التقويم
لبدره فضل على البدور ... في حسن إشراق و فرط نور
كجامة البلور في صفائها ... أو غرة الحسناء في نقابها
كأنما إذا دنت من نحره ... جوزاؤه قبل طلوع فجره
رومية حلتها زرقاء ... في الجيد منها درة بيضاء
هذا و كم يجمع من أمور ... إسراف مطريها من التقصير
فيه تظل الطير في ترنم ... حاذقة باللحن لم تعلم
غناؤها ذو عجمة لا يفهمه ... سامعه، وهو على ذا بقرمه
من كل دبسي له رنين ... و كل قمري له حنين
في قرطق أعجل أن يوردا ... خاط له الخياط طوقاً أسودا
هذا وفيه للرياض منظر ... يفشي الثرى من سرها ما يضم
سر نبات حسنه إعلانه ... إذا سواه زانه كتمانه
فيه ضروب للنبات الغض ... يحكي لباس الجند يوم العرض
من نرجس أبيض كالنغور ... كأنه مخانق الكافور
وروضة تزهر من بنفسج ... كأنما أرض من الفيروزج
قد لبست غلالة زرقاء ... فكأيدت بلونها السماء
تبصرها كثاكل أولادها ... قد لبست من حزن حدادها
يضحك فيها زهر الشقيق ... كأنه مداهن العقيق
مضمنات قطعاً من السبع ... فأشرفت بين احمرار و دمع
كأنما الحمر في المسود ... منه إذا لاح عيون الرمد

أما ترى أترجيه ما أحسنه ... يختال في غلائل مبينه
وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا ... يحكي كرات ظوهرت كيمختا
وارم بعينيك إلى البهار ... فإنه من أحسن الأنوار
كأنه مداهن من عسجد ... قد سموت في قضب الزبرجد
فانفض إلى اللهو ولا تحف ... فلست في ذلك بالمعنف
واشرب عقاراً طال فينا كونها ... يصفر من خوف المزاج لوها
من كف طبي من بني النصارى ... ألبابنا في حسنه حيارى
إذا بدا جماله لذي النظر ... قال: تعالى الله ما هذا بشر
بيدي جمالاً جل عن أن يوصفا ... لو أنه رزق حريص لاكتفى
تزينه أحشاء كشح طاويه ... وسرة محشوة بالغاليه
لا سيما مع مسمع وزامر ... قد سلما من وحشة التنافر
دونك هذي صفة الزمان ... مشروحة في أحسن التبيان
فاصغ نحو شرحها كي تسمعا ... ولا تكن لحقها مضيعا
وارض بتقليدي فيما قلته ... فإنني أدري بما وصفته
ولا تعارضني في هذا العمل ... فإنني شيخ الملاهي والغزل
وقال أيضاً:

باعثاً لدعوتي غلامه ... وعاتبا من تركنا إمامه
إذا أردت أن تزار في غد ... فلا تغال في الطعام واقصد
واعمد إلى ما أنا منه واصف ... فإنني بالطيبات عارف
ابعث فخذ عشراً من الرقاق ... تلذها نواظر الأحداق
تكاد مما رق من حرسائها ... تشف للأعين من صفائها
أرقها الصانع حتى خفت ... ولطفت أجسامها ومدت
تكاد لولا حذقه في صنعه ... تطيرها أنفاسه من راحته
حتى أتت في صورة البدور ... أو مثل جامات من البلور
حتى إذا فرغت منها متقناً ... ولم ير العائب فيها مطعنا
فاعمد إلى مدور من البصل ... فإنه أكبر أعوان العمل
يحكي لعينيك اخضرار قشره ... إذا رماه ناظر بفكره

غلائلاً خضراً على جسوم ... بيض رطبات من بنات الروم
حتى إذا أحكمته تقطيعاً ... وقلت قد جودته صنيعة
خلطته باللحم خلطاً جيداً ... ولم تزل تخلطه مردداً
حتى إذا أنت أجدت فعله ... ثم جمعت في الرقاق شمله

صيرته يا ذا العلا السنيه ... شايورة ليست لها سمية
ثمت أغل الشبرق المقشرا ... من فوقه حتى تراه أحمر
مكتسباً حلتته الحمريه ... من بعدما عهدتها فضيه
ثم أدر كأس الشمول منعما ... أكرم بهذا مشرباً ومطعما
فلست في فعلك ذا مبذرا ... كلا ولا في حقنا مقصرا
وله في الروض:

أسفر عن بهجته الدهر الأغبر ... وابتسم الروض لنا عن الزهر
أبدى لنا فصل الربيع منظرأ ... بمثله تفتن ألباب البشر
وشياً ولكن حاكه صانعه ... لا لا بتدال اللبس لكن للنظر
عاينه طرف السماء فانشئ ... عشقاً له ييكي بأجفان المطر
فالأرض في زي عروس فوقها ... من أدمع القطر نثار من درر
وشي طواه في الثرى صوانه ... حتى إذا مل من الطي نشر
أما ترى الورد كخدي كاعب ... روادها فامتعت منه ذكر
كأنما الخمر عليه نفضت ... صباغها أو هي منه تعتصر
أخجله النرجس إذ جاد له ... فاحمر من فرط حياء وخفر
قال له العين وما الخد لها ... موازناً في عظم قدر وخطر
ماذا الذي يرجى لخد بهج ... مستحسن صاحبه أعمى البصر
فاحمر من حجته إذ ظهرت ... والحق لا يدفع يوماً إن ظهر
وانظر إلى النارج في بهجته ... يلوح في أفنان هاتيك الشجر
مثل دنابر نضار أحمر ... أو كعقيق خرطت منه أكر
وانظر إلى المنشور في ميدانه ... يرنو إلى الناظر من حيث نظر
كجواهر مختلف ألوانه ... أسلمه سلك نظام فانتشر
كأن نور الباقل إذا بدا ... روعها من قانص فرط الخذر
كأنه مداهن من فضة ... أوساطها بها من المسك أثر
كأنها سواف من خرد ... قد زينت بياضها سود الطور
وانظر إلى الأطياف في أرجائه ... إذا دعا الثاكل منها وصفر
كأنها تصفر في رياضها ... سرب قيان فوق بسط من حبر
فأنهض إلى اللهو ولذات الصبا ... لأمك من يعذل فيها أو عذر
فقلما يغنيك من يعذل في ... ما تشتهي حتى تواريك الحفر
فكيف هجران اللذات ولم ... بيد نهار الشيب في ليل الشعر
والنسك في عصر الصبا كأنه ... من قبحه خلع عذار في الكبر
يا لائماً يعذلني في طربي ... حسبك قد أكثرت من هذا الهذر

أعلاف فضل العقل إلا أنه ... لعيش من آثره عين الكدر
الجهل ينبوع مسرات الفتى ... والعقل ينبوع الهموم والفكر
فاجسر على ما تشتهي جهالة ... ما فاز بالذات إلا من جسر
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً ... لطار من خفته ذاك الحجر
عدوة الحزن الذي ما ظفرت ... قط به إلا أساءت في الظفر
لو رام أن يجيره من كيدها ... صرف الزمان الحتم يوماً ما قدر
أرقها الدهر إلى أن شاكلت ... من رقة شعر جميل وعمر
خفية الحيلة في جسم الفتى ... تحدث في الجسم ديباً وخدر
كأنما الأوطار فيها جمعت ... فليس في العيش لجافيتها وطر
لا سيما من كف ظي لم يشن ... بفرط طول لا ولا فرط قصر
له سهام من لحاظ صيب ... كأنما يرمين عن قوس القدر

مزنر شككني في دينه ... حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر
لأنه كالحور في تصويره ... والحور لا يسكنها الله سقر
لو لم يكن زناره في وسطه ... يمسك ضعف الخصر منه لانبتر
وبان منه نصفه عن نصفه ... لكنه جاء له على قدر
إن قلت يحكي قمراً عنفي ... عقل له أعدمه عند القمر
أنى يوازيه وهذا ناطق ... وذاك إن خوطب لم ينطق حصر
يا لك منه منظرأ أشهى إلى ... قلبي من جنة عدن أو أسر
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة ... لو لم تكن نزعج منها بسفر
وقال أيضاً:

علل فؤادك والدنيا أعالي ... لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل
ولا يصدنك عن أمر هممت به ... من العواذل لا قال ولا قيل
فخير يوميك يوم أنت فيه إذا ... ميزت في الناس محمود ومعدول
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا ... فقل لهم إنني عن ذاك مشغول
فإن ذلك أمر مع نفاسته ... ونبله بفناء العمر موصول
وارض الخمول فلا يحظى بلذته ... إلا امرؤ خامل في الناس مجهول
ولا تبع عاجل الدنيا بأجل ما ... ترجو فذلك أمر شأنه الطول
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به ... روحي فإن دم الصهباء مطلوب
يا خائف الإثم فيها حين تشربها ... لا تقنطن فغفو الله مأمول
قم فاسقني النض مما حرموه، ولا ... تعرض لما كثرت فيه الأفاويل
من قهوة عتقت في دنها حقياً ... كأنها في سواد الليل قنديل

عروس كرم أتت تحتال في حلال ... صفر على رأسها للمزج إكليل
كأنها بأكف القوم إذ جلّيت ... ذوب من الذهب الإبريز محلول
في فتية جعلوا للهو طاعتهم ... فما لهم عن طريق اللهو معدول
جليسهم ليس يروى من حديثهم ... يوماً وبعض حديث القوم مملول
لا كالذين إذا ما كنت حاضرمهم ... ففي سكوتهم المأمول والسول
ترى مجالسهم مملوءة لجباً ... وكل ذاك فضول عنك معزول
وقال أيضاً:

اشرب فقد طابت العقار ... وابتسم الورد والبهار
من قهوة ما انبرت لهم ... إلا وولى له انشمار
لها جيوش من الملامي ... للههم قدامها الفرار
لألاؤها في الدجى نهار ... يظلم من نوره النهار
إذا استقرت حشا لبيب ... رأيته ما له قرار
لم يرها ناظر حديد ... إلا ثنى لحظه انكسار
خيالها جسمه لجين ... وجسمها شخصه نضار
كأنها تحته كميت ... عليه من فضة عذار
لها لدى حزن شاربها ... ثار وعند الحلوم ثار
فالحن عن أهلها مطار ... والحلم في إثره مطار
فلا انتصار لذا عليها ... ولا عليها لذا انتصار
يسعى بها جوذر غرير ... في لحظ أجفانه احورار
يحسن مني الوقار إلا ... فيه فما يحسن الوقار
أغار مني عليه حتى ... عليه من نفسه أغار
كل جمال ترى فمنه ... إذا تأملت مستعار
كأن صدغاً له تراه ... وهو على خده مدار
ميدان آس بدا جنياً ... أهلب في جانيه نار
بيت من الحسن لي إليه ... حج مدى الدهر واعتماد
زيارة البيت كل عام ... ودهر ذا كله يزار
قلت له إذ بدا وقلبي ... من لاعج الشوق مستطار
يا جامع الحسن كل حسن ... للناس من شرطك اختصار
ما فضل الغانيات عندي ... عليك إلا امرؤ همار
وقوله أيضاً:

اشرب فقد طابت المدام ... وافتر عن ثغره الغمام

من قهوة حرمت علينا ... والصبر عن مثلها حرام
جلت عن الوصف فهي شيء ... يدق شأنها الكلام
إذا استندم الأسى إليها ... فما له عندها ذمام
طوقها الماء سمط در ... ليس لمتنوره نظام
كأنها تحته كميت ... عليه من فضة لجام
إذا بدت للهموم ظلت ... وهي لإعظامها قيام
تلوذ منها فلا لواذ ... ينفع منها ولا اعتصام
في فتية كلهم كويم ... وخير من يصحب الكرام
يكسد سوق الفتاة فيهم ... ظرفاً ولا يكسد الغلام
أئمة كلهم عليم ... بكل ما فعله أئام
لكنني فيهم على ما ... وصفت من فضلهم إمام
وعندنا شادن غرير ... في لحظ أجفانه سقام
للحسن قدامه جيوش ... للصبر قدامها انزام
يخف في حبه التصابي ... كمثل ما يتقل الملام
ذا العيش فافطن له وبادر ... من قبل أن يفطن الحمام
وانعم فعام السرور عندي ... ويوم الهموم عام
وقال أيضاً:

جانبك بعدك عفتي ووقاري ... وخلعت في طرق المجون عذاري
ورأيت إثار الصباية في الذي ... تموى النفوس ممحق الأعمار
لا تأمرني بالتستر في الهوى ... فالعيش أجمع في ركوب العار
إن التوقر للحياة مكدر ... والعيش فهو تهتك الأستار
من تابعت أمر المروءة نفسه ... فنيت من الحسرات والأفكار
لا تكثرن علي إن أخا الحجا ... برم بقرب الصاحب المهادر
خوفتي بالنار جهدك دائماً ... ولججت في الإرهاب والإنذار
خوفي كخوفك غير أني واثق ... بجميل عفو الواحد القهار
أقررت أني مذنب ومحرم ... تعذيب ذي جرم على الإقرار
انظر إلى زهر الربيع وما جلّت ... فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً ... شهدت بحكمة منزل الأمطار
ما شئت للأزهار في صحرائه ... من درهم بهج ومن دينار
وجواهر لولا تغير حسننها ... جلّت عن الأثمان والأخطار
من أبيض يقق وأصفر فاقع ... مثل الشمس قرن بالأقمار
ناحت لنا الأطيّار فيه فأرهجت ... عرس السرور ومأتم الأطيّار

دار له اتصل البقاء لأهلها ... لم يحلفوا بنعيم تلك الدار
فأنفض بنا نحو السرور فإنه ... ما زال يسكن حانة الخمار
فاشرب معتقة كأن نسيمها ... مسك تضوعه يد العطار
أخفى ديباً في مفصل شرهما ... وأدق الطافاً من المقدار
أحكامها في العقل إن هي حكمت ... أحكام صرف الدهر في الأحرار
يرضى على الأقدار شارها الذي ... ما زال ذا سخط على الأقدار
وكأنها والكأس ساطعة بها ... ذوب تحلل في عقيق جاري
لا سيما من أغيد شادن ... يسبي العقول بطرفه السحار
فضل الغصون لأنها من غرسنا ... عند التأمل وهو غرس الباري
قد غيب الزنار دقة خصره ... حتى ظنناه بلا زنار
متنصر قويت على إسلامنا ... بالحسن منه حجة الكفار
قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ... ويرى فساد صنيعه بالنار؟
مع مسمع حلفت له أوتاره ... أن لا تنافر رنة الزمار
فطن يحرك كل عضو ساكن ... تحريكه لسواكن الأوتار
شدوا إذا الحلاء زار حلومهم ... باعوا بطيب السخف كل وقار

والشدو أحسنه الذي لم يستمع ... إلا أطار العقل كل مطار
ذا العيش، لا نعت المهامه والفلا ... وسؤال رسم الدار والأحجار
لا فرج الرحمن كربة جاهل ... يبكي على الأطلال والآثار
وقال أيضاً:

قد رضينا من الغزال الكحيل ... بغرور العدات والتعليل
وهجرنا سواه وهو منيل ... وهويناه وهو غير منيل
فكثير البغيض غير كثير ... وقليل الحبيب غير قليل
يا عدولي زعمت صبري صواباً ... وطريق الصواب غير محيل
هلك العزم بين شوق صحيح ... أنا فيه، وبين صبر عليل
لا تعب من هويت بالبخل، إني ... لا أحب الحبيب غير بخيل
يجمل البخل بالملاح وإن كا ... ن بغير الملاح غير جميل
كل من سره حبيب جواد ... فلتطب نفسه بقرن طويل
وقال أيضاً:

ألست ترى وشي الربيع المنمما ... وما رصع الربيع فيه ونظما
فقد حكت الأرض السماء بنورها ... فلم أدر في التشبيه أيهما السما
فخضرتها كالجو في حسن لونه ... وأنوارها تحكي لعينيك أنجما

فمن نرجس لما رأى حسن نفسه ... تداخله عجب بما فتبسما
وأبدى على الورد الجني تطاولاً ... فأظهر غيظ الورد في خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله ... فزاد عليه الورد فضلاً وقدماً
وظل لفرط الحزن يلطم خده ... فأظهر فيه اللطم جماً مضمرماً
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله ... على كل أنوار الرياض تقسما
تجلب من زرق اليواقيت حلة ... فأغرب في الملبوس منه وأعلما
وألوان منشور تخالف شكلها ... فظل بما شكل الربيع متمماً
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها ... رأيت بما كل الملوك محتماً
فقم فاسقني ما حرموه، فما أرى ... من العيش حلواً غير ما قيل حرماً
وقال أيضاً:

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعاً ... فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقيل الجود عادته ... وإنما عز لما عز مطلبه
وقال:

أرجي دنو الوصل من بعد بعده ... كما ترجى في الجدوب السحائب
وأكثر في المهجر العتاب كأني ... لدهري من ظلم الكرام أعاب
وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضى ... وقد تمنع الآمال وهي كواذب
وقال:

حبذا زور أتابني ... طارقاً بعد اجتنابه
شق جنح الليل بدر ... لاح من ثني نقابه
طربت نفسي إليه ... وإلى طيب اقترابه
طرب الشيخ إذا ذك ... ر أيام شبابه
وقال:

خلعت في حبه عذاري ... وطاب لي العيش باشتهاري
وذقت طعم الجنون فيه ... فكان أحلى من العقار
إن أبد في حبه خضوعاً ... فليس ذل الهوى بعار
لو كان في الحب لي اختيار ... لكان تركي له اختياري
من روحه في يدي سواه ... فهو حقيق بأن يداري
لا تحمدوني على احتمالي ... هوانه واحمدوا اصطباري
وقال:

متى وعدتك في ترك الهوى عدة ... فاشهد على عدتي بالزور والكذب
أما ترى الليل قد ولت عساكره ... وأقبل الصبح في جيش له لجب
وجد في أثر الجوزاء يطلبها ... في الجو ركض هلال دائم الطلب

كصولجان لجين في يدي ملك ... أذناه من كرة صيغت من الذهب
قم بنا نصطحب صفراء صافية ... كالنار لكنها بلا لهب
عروس كرم أتت تحتال في حلل ... صفير على رأسها تاج من الحب
وقال:

قم فاسقني والخليج مضطرب ... والريح تثني ذوائب القضب
كأنها والرياح تعطفها ... صف ققنا سندسية العذب

والجو في حلة ممسكة ... قد طرزتها البروق بالذهب
وقال:

وسحاب إذا همى الماء فيه ... ألفت الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم تجر إلا ... ظل يذكي على القلوب حريقا
وقال:

جوهري الأوصاف يقصر عنه ... كل وصف لكل ذهن دقيق
شارب من زبرجد وثنايا ... لؤلؤ فوقها فم من عقيق
وقال:

صورة خالقه جامعاً ... لكل شيء حسن بارع
وكل حسن من جميع الورى ... مختصر من ذلك الجامع
وقال:

عشقت من لا ألام فيه وما ... يخلو من اللوم كل من عشقا
رأي الورى في سواه مختلف ... وأنت تلقاه فيه متفقا
وكل قلب إليه منصرف ... كأنه من جميعها خلقا
ألم فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي: " خلق من كل قلب، فهو يعني كلا ما يشتهيهِه " .
وقال:

زارني في دجا الظلام البهيم ... قمر بات مؤنسي ونديمي
بحديث كأنه عودة الصبح ... ة بعد يأس السقيم
تتلقي القلوب منه قبولا ... كتلقي المخمور برد النسيم
وقال:

ظفرت بقبلة منه اختلاسا ... وكنت من الرقيب على حذار
ألد من الصبح على غمام ... ومن برد النسيم على حمار
وقال:

لا تلفين مقارناً ... من لا يزين من الصحاب
فالثوب ينفذ صبغه ... فيما يليه من الثياب

وقال:

ريق إذا ما ازدددت من شربه ... رياً ثنائي الري ظمّانا
كالخمر أروى ما يكون الفقى ... من شربها أعطش ما كانا

وقال:

حملت كأسه إلى شفّتيه ... كأنه والظلام مرخى الإزار
فالتقى لؤلؤا حباب وثغر ... وعقيقان من فم وعقار

وقال:

وصفراء من ماء الكروم كأنها ... فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها ... كواكب در في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت ... قميص بهار من قميص شقيق

وقال:

سلا عن حبك القلب المشوق ... فما يصبو إليك ولا يتوق
جفائك كان عنك لنا عزاء ... وقد يسلى عن الولد العقوق

وقال:

كأن أوراق زهر ... للباقلاء بهية
خواتم من لجن ... فصوصها حبشية

وقال:

أسنى الأمانى كلها ... وأجلى منها ما ينال
كأس ومسمعة وإخ ... وان تحادثهم ومال

وقال:

أبصره عاذلي عليه ... ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لي لو هويت هذا ... ما لامك الناس في هواه
قل لي إلى من عدلت عنه ... فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري ... يأمر بالحب من نّماه

وقال في ثقیل:

ما السقم في سفر والدين مع عدم ... يوماً بأثقل منه حين يلقياني
مالي عليه معين حين أبصره ... غير الصدود وتغميضي لأجفاني

وقال:

إن كان بعد اللقاء فودنا ... دان ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصول يؤمن وده ... ومواصل بوداده يرتاب

وقال:

لا ووعد الوصل باللحظ على رغم الرقيب

واختلاس القبله الحل ... وة من خد الحبيب
وسماع مستطاب ... جاء في لفظ مصيب
ما سوى الراح لداء ال ... هم عندي من طيب
وقال:

يا من إذا لاحت محاسن وجهه ... غفرت بدائعها جميع ذنوبه
النجم يعلم أن عيني في الدجا ... معقودة بطلوعه وغروبه
إن كان تعذيب قلبي راحة ... لك فاجتهد بالله في تعذيبه
لو كان سفك دمي إليك محبباً ... لرأيتني متضرجاً بصيبه
وقال:

ازهد إذا الدنيا أنالتك المنى ... فهناك زهدك من شروط الدين
فالزهد في الدنيا إذا ما رمتها ... فأبت عليك كعفة العين
وقال:

لا تحسدن صديقاً ... على ترايد نعمه
فإن ذلك عندي ... سقوط نفس وهمه
وقال:

وجلنار بهي ... ضرامه يتوقد
بدا لنا في غصون ... خضر من الرى ميد
يحكى فصوص عقيق ... في قبة من زبرجد
وقال:

أقبل والعذل يلحوني ... فكلهم قال: من البدر؟
فقلت: ذا من طال في حبه ... منكم لي التعنيف والزجر
قالوا: جهلنا فاغتنر جهلنا ... فليس عن ذا لامرئ صبر
عذرك في الحب له واضح ... وما لنا في لومنا عذر
وقال:

بما يعينك من فتون ... ومن فتور بها وسحر
وبالعذار الذي تولى ... خلع عذارى وبسط عذري
ومضحك منك لؤلؤي ... ممتزج مسكه بخمر
جد بالصفح عن ذنوبي ... أولاً فعاقب بغير هجر
وقال:

عدت إلى الغي بعد نسكي ... ولذ لي فيك طعم محكي
أضحك للكاشحين جهراً ... ولي ضمير عليك يكي

تمنعي أن أبوح نفس ... تأنف من ذلة التشكي
عيني التي أوقعت فؤادي ... يا عين ماذا لقيت منك
وقال:

واحربي من جفون ظبي ... أقام عذري به عذاره
أسقم جسمي بسقم طرف ... حيرني في الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه ... يحرقني دونه استعاره
هذا اختياري فأبصروه ... شاهد عقل الفتى اختياريه
وقال:

لا تقبلن من الرشيد كلامه ... وإذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع التزمت والتجمل للورى ... فالعيش ليس يطيب بالمتجمل
واشرب مزعفرة القميص سلافة ... من صبغة البردان أو قطربل
كأس إذا رمت الهموم بسهمها ... لم يخط نافذه سواء المقتل
تحلو وتعذب في النفوس كأنها ... كبت العدو ورغم أنف العذل
حمراء يرحب كل صدر ضيق ... معها ويفتح كل باب مقفل
تحكي ضرام النار إلا أنها ... نار لعمرك ليس تؤذي المصطفى
لا سيما من كف طاوية الحشا ... ترنو بناظرتي خذول مطفل
وقال:

كتبت وفرط شوقي قد عناني ... وقد بعد اللقاء على التداني
وما في البيت لي ثان فكن لي ... جعلت فداك يا مولاي ثاني
فعندي ما يجاوز كل وصف ... وما يرضى الخليل إذا أتاني
خروف أظهر الشواء فيه ... تأنقه فليس له مداني
غلالة باطن منه لجين ... وظاهره غلالة زعفران
وكأس مثل عين الديك صرف ... لها حبيب كمنظوم الجمان
لها في كف شاربها شعاع ... تطرف منه مبيض البنان
يطوف بشمسها قمر منير ... تمكن طالعا في غصن بان
وإن أحبيت مسمعة أتتنا ... محذقة بأصناف الأغاني
تطلق هم سامعها ثلاثاً ... بتحريك الثالث والمثاني
فهذا عندنا، ولدون هذا ... لعمرك ما كفاك وما كفاني
فررنا لا عدمتك من صديق ... تتم لنا بزورته الأماني
وقال:

فحم شبه الغلام وأدلى ... في كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلى ... فغدا وهو مذهب الآبنوس

لقي النار في ثياب حداد ... فكسته مصبغات عروس
وقال:

بت ضفّاً لسيد يعني ... فقراي والجود قدماً يماي
وأنت عرسه تغازل إيري ... قلت لا تفعلي فلست بزاني
ولو أي فعلت ما كنت ممن ... يتصصدي لنسوة الإخوان
فأتاني وقال نكها بعيشي ... فهي موقوفة على الضيفان
قلت قد زدت في الضيافة معنى ... ما عرفناه في قديم الزمان
قال من أجل ذاك طار لي اسم ... وألح الضيوف في غشيان
فمتني يدعى مع اسمي ضيوف ... قيل مرعى وليس كالسعدان

القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب:
ولي صديق ما مسني عدم ... مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى فما يكلفني ... تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى وأقنى فما يكلفني ... تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قعدت به ... ونمت عن حاجتي ولم ينم
وأنشدني له أيضاً:
صديق لي له أدب ... صداقة مثله نسب
رعى لي فوق ما يرعى ... وأوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه ... لبهرج عندها الذهب

إسحاق بن أحمد الماردني

أنشدني له ابن وهب يصف الشربا:
أرقني الشوق فلم أكتحل ... بلذة الغمض إلى الفجر
تسري همومي فأراعي بها ... كواكباً دائية تسري
حتى كأن البدر إذ أشرقت ... على الثريا غرة البدر
صفحة مرآة وقد أذهبت ... بمقبض رصع بالدر
وله في الليل والنجوم:
كم مجهل بسواد الليل ملتبس ... باتت تقمه العيس المراسيل
ليل قد اختلفت أشكال أنجمه ... كأنهن عيون للدجى حول

تبدو الثريا ككف للدعاء بها ... قد مدها الصبح والجوزاء إكليل
تلوي رقاب المطايا من تطاوله ... وينهض الفجر فيه وهو مشكول

القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها :
رب ليل لم أذق فيه الكرى ... حظ عيني فيه دمع وسهر
طال حتى خلته لا ينقضي ... ونأى الصبح فما منه أثر
غاب عني قمر أحبيته ... فتعللت بأنوار القمر
كلما هيج شوقي حزني ... صحت يا ليلي أما فيك سحر
وقال:

رب خود عرفت في عرفات ... سلبتني في حسننها حسناقي
حرمت يوم أحرمت نوم عيني ... واستباححت حمائي باللحظات
وأفاضت مع الحجيح ففاضت ... من جنوبي سواكب العبرات
ولقد أضمرت بقلبي حمراً ... حين راحت للرمي بالجمرات
لم أنل من منى النفس حتى ... خفت بالخيف أن تكون وفاقي
وقال يصف الهلال:

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد ... بدا لست مضين من عمره
وقد أطافت به كواكبه ... حسناً فبينته لمعتبره
مثل زناد قد صيغ من ذهب ... يقدح ناراً وهن من شرره
ثم تولى يريد مغربه ... في شفق الشمس وهي في أثره
فخلته غائصاً ببحر دم ... يقذف بالرائعات من درره
فلم أزل ليلتي أراجعه ... لحظي وأبكي للوقت من قصره
حتى تبدى الصباح منتبهاً ... قبل انتباه المخمور من سكره
وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء:

يا من يمر ولا تم ... ربه القلوب من الحرق
بعمامة من خده ... أو خده منها سرق
فكأنها وكأنه ... قمر أحاط به شفق
فإذا مشى وإذا انثنى ... وإذا رنا وإذا نطق
شغل الجوارح والخوا ... طر والمسامع والحدق

صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشدين صالح:
يفديك بالمهجة يا صالح ... من كل ما يكرهه صالح
فأنت غصن صيغ من درة ... على ذراه قمر لائح
وله فيه بديها:

شربنا مثل ماء الور ... د في الطيب على الورد
ونادمت ابن رشدين ... فما حدث عن الرشيد
فتى كالبدر في الرفع ... ة والإشراق والسعد
كأني منه في الجن ... ة لو أظفر بالخلد
وله فيه:

بك يا صالح أرضى ... عن زماني حين أسخط
فأدم لي الوصل إني ... بك في العالم أغبط
أنت والرحمن مذ كن ... ت على قلبي مسلط

ومصيب أنا في ال ... حب ومن بعدي يغلط
يا جواداً في لهاة ... بندااه أتبسط
أسقط الحشمة في العش ... رة فالحشمة تسقط
وله جارية اسمها خيرة وأضمرة:

ما اسم إذا صحفته وعكسته ... ونقصت حرفاً منه كان سلاحا
وإذا قام ولم يحل عن حاله ... عادى العقول وصالح الأرواحا
وله في بعض آل الفرات:

قد مر عيد وعيد ... ما اخضر لي فيه عود
وكيف يخضر عودي ... والماء منه بعيد
يا من له عدد المجد ... د كلها والعديد
آل الفرات ندامهم ... على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم ... عليك منه شهود
وكل يوم لغيري ... من راحتك مدود
هل لي إلى الرزق ذنب ... إن كان منه صدود؟
ما الناس إلا شقي ... في دهرنا وسعيد
وقال في صفة جدي:

جدي بجدي نعته من اسمه ... لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه ... لفات قطن بسطت من شحمه
يؤكل من نعمته بعظمه

وله يصف رءوسا:

قد غدونا على رءوس سمان ... ناعمات من أرؤس الخرفان
وارمات الحدود من غير سوء ... شحومات العيون والآذان
تتداعى بالوهم من قبل أن تل ... مسها كف آكل بينان
ولأصل اللسان طيب ينسي ... ك من الطي مص طرف اللسان
ورفاق ذي نعمة وبيا ... ض وتنسيك خضرة البستان
وأنت راحنا التي هي في الأر ... واح مثل الأرواح في الأبدان
ثم وافى بنفسج في حداد ... فرأينا السرور في الأحزان
عند حر يستنفد الوصف مدحا ... وهو عبد لسائر الإخوان
أحكمتك الأيام يا ابن حكيم ... فأريت الزمان حكم الزمان
وقال أيضا:

سأدمن شرب الراح ما دمت باقيا ... وأمد من شراهما كل مدمن
فما تكمل الأوقات إلا بقهوة ... ولا تحسن الأيام إلا لحسن
وقال:

إذغ هجا الشاعر في خفية ... وخفض الصوت عن الرفع
ولاذ بالجد لما قاله ... فإنما خاف من الصفع
وقال في يوم شديد البرد:

هذا لعمرك يوم يستطير له ... من قره شعر الهامات بالرعد
لو شئت لا خائفاً لدعاً ولا ألماً ... قبضت فيه على جمر الغضا بيدي
وله في غلام صوفي:

عشقت صوفياً له شاهد ... يقيم عذري عند عذالي
قد قصد الله بأحواله ... فليته يقصد في حالي
وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها:
هاجيك فيما قاله مادح ... فأنت في صفتك الرابع
وما يقوت الفيل من بقة ... أمثالها في فمه طائح
ورب من ترفعه خزية ... ميسمها في وجهه لائح
ففخر عبد الله في الناس أن ... يقول ناقضي صالح
يا ابن أبي الجوع قدحت امرءاً ... من فكره يحترق القادح
لقد تعرضت على غرة ... قريحة صاحبها قارح
فاركب ذلول الأمر أو صعبه ... في فقد جد بك المازح
وعق من أهلك من شئته ... فإنما أنت له فاضح
واغد بما تهوى وروح إنني ... غاد بما تكرهه رائح

يا أيها الصعو الذي لم يزل ... يرقص حتى دقه الجراح
ومنها:

إن زأر الليث على ما أرى ... وهاج يوماً ضرط النابح
وود أن يفلت من بعدما ... أنحى على أوداجه الذابح
إن الذي تطمع في قربه ... نجم لمن يرمقه لائح
يا شارباً في يده حتفه ... لم تدر ما خاض لك الجراح
أراك قد لججت في غمرة ... يغرق في تيارها السابح

فقد قمرست بمن شعره ... كالبحر لا ينزفه الماتح
كم جامح قبلك أجمته ... بالذل حتى سكن الجامح
وقوله:

يا ذا الذي عن رشده قد عمي ... لو كنت جلدأ حدث عن أسهمي
لو كنت شهماً حازماً ضابطاً ... لما تقلبت على الشيهي
ما أنت في فعلك إلا كمن ... تطعم الريق من الأرقم
كيف يخوض البحر من مثله ... يغرق في دائرة الدرهم
فاثبت أو أجزع كل ذا واحد ... لا عاصم اليوم لمستعصم
استقدر الله على ما ... ألصق منك الأنف بالمرغم
تجاسر الجوع على صالح ... تجاسر الكلب على الضيغم
وفاه باسمي مفصلاً بعدما ... تركته أسكت من أبكم
وقال قوم قد غدا شاعراً ... والشعر لا يعرف للمفحم
فقلت لا لوم على مثله ... من أخذ الصفح قفاه حمي
أنا الذي ألبسته حسرة ... بما جرى من ذكره في فمي
والله لا يجهل من بعدها ... وفي قفاه للردى ميسمي
أبين به من ميسم واضح ... يضئ كالغرة في الأدهم
فليت شعري كيف رام العلا ... وهم أن يرقى بلا سلم؟!
ومنها:

ثم أتت بالصعو مستبشراً ... يروم أن يلحق بالقشعم
في الثمر المر دليل على ... رداءة الأصل لمستطعم
وله فيه:

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني ... فالعذر عن كل ما أهواه أسلاني
قد أرقأ الله دمعي بعد جريته ... وأنفذ القلب من هم وأحزان
فما أرى أحداً يصفى الهوى أحداً ... وجود هذا رعاك الله أعياني

لم يبق بين الورى إلا مكاشرة ... تبدو لنا عن صدور ذات أضغان
أقول لابن أبي الجوع المناق إذ ... لم ينهه الحلم عني وهو ينهاني
أراك تفرعني سرّاً وتعجمني ... فهل وجدت صفاتي غير صوان
ترد في جبهة النقار معوله ... إذا تضعضع عنها كل كدان
العز داري وظهر العزم راحلي ... والوحش أنسي وجن الأرض إخواني
وله في العناق، وأحسن ما شاء:

لي سيد ما مثله سيد ... تصدت الحمى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها ... والأفق بالليل قد احلولكا
فجاءت الحمى كعادتها ... فلم تجد ما بيننا مسلكا
وقوله يصف برادة على حامل نحاس:
أم الحياة على سرير نحاس ... عريانة أبداً بغير لباس
هي في الموات لدى الورى معدودة ... لكنها ضمنت حياة الناس
وقوله:

بعين الله أنت فإن عيني ... إذا ما غبت دامية الجفون
كأنك مهجتي فإذا تدانى ... فراقك حم لي ريب المنون
وقال يصف البنفسج والورد:

بنفسج جاء في حداد ... ووردنا في معصفرات
فاشرب على مأتم وعرس ... جلا جميعاً عن الصفات
وسأله ابن رشد بن المسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً:
يا آمري بالمسير في لجج ال ... نيل كأن سخرت لي الريح
ما حمد الماء لي فأركبه ... كلاً، ولا صامت التماسيح

محمد بن الحسن اليميني

أنشدت له في صالح:
يا قاطعي بعد وصل ... تسوم ما لا أسومك
يا ليت أني يوماً ... من الزمان نديمك
فالشوق عندي غريم ... كما السلو غريمك
وقوله:

فاضح الغن النضير ... كاسف البدر المنير
أنت عذري في حياتي ... ومماتي ونشوري
ما سرور غاب عنه ... صالح لي بسرور

محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوهُ:

يا وزيراً إلى المكا ... ييل والبيع ينسب
من يرم حبك يتعب ... وأمانيه تكذب
وإذا ما رجوته ... قلت ما مات أشعب
يا وضيعاً ترجل ال ... مجد مذ صار يركب

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج:
يا ابني كشاجم أنتما ... مستعملان مجربان
مات المشوم أبوكما ... فخلقتماه على المكان
وقرنتما في عصرنا ... ففعلتما فعل القران
لغلاء أسعار الطعا ... م وميتة الملك الهجان
وقوله في عزاء:

بقاؤكما يعيد الميت حياً ... وإن غطاه دونكما التراب
فلا تستشعرا حزناً عليه ... فيذهب لا عدمتكما الثواب
وله في غلامه راشد:

يا قمر الليل كن شهيدي ... فأنت من أعدل الشهود
هل نمت أو ذقت طعم غمض ... مذ هجعت أعين الرقود
وكيف يلتذ باغتماض ... من لج مولاه في الصدود
فكن شفيعي إلى حبيب ... قد زاد في كثرة الجحود
وقال رحمه الله:

كأن الأباريق مملوءة ... طباء وقوف على ساحل
رماها بأسهمه قانص ... فخصيها بالدم السائل
وقوله في شمة:

باكية ضاحكة ... خدامها جلاسها
مظهرة أنوارها ... إن جز منها راسها
كأنها عاشقة ... تذيبها أنفاسها

وقال:

لو أنصفت عطفك أو رقت ... ما أضنت الجسم ولا سلت
أفدي التي إن أقبلت أقبلت ... دنيائي أو غنت لنا أغنت
وقال:

يا أيها ذا استمع مقالي ... فليس في قصتي ضلال

ثلاثة مالها مثال ... السجن والجوع والعيال
إن دام هذا علي منهم ... صححت ما شععوا وقالوا
أليس إن مت مات شعري ... أفنى وما قلته يقال
وقوله:

أكثر العذال لومي ... يا ابن رشدين وزادوا
وبقلي منك وجد ... ماله الدهر نفاد
قد تجافى عن جفوني ... مذ تجافيت الرقاد
فيك يا صالح للقل ... ب صلاح وفساد
أنا من حبك مولا ... ي عليل لا أعاد
وقوله:

دافعت أيامي بأيامي ... حتى مضى أكثر أعوامي
وإنما عمر الفتى كله ... كأنه طارق أحلام
يا ويح من أمسى على غرة ... وأنفه من حتفه دامي
يرمي بسهم للردى صائب ... من حيث لا يشعر بالرامي

عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواة المتنبي الأديباء، وأصحابه العلماء، ومن تهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب، فمن شعره قوله
رحمه الله تعالى:

أظنك يا سيدي إذ جفوت ... توهمت بي نبوة الغادر
وخلت بأني ملالاً سلوت ... ولست بسال ولا صابر
وقد علم الله أني علي ... ك أشفق مني على ناظري
وقال:

صالح يا مشبه بدر الدجى ... بالحسن والإشراق والرفعة
وجهك في الليل كشمس الضحى ... نوراً فما تصنع بالشمعة
وقال:

يا أطيّب الناس ريحاً ... وأطيّب الناس راحا
وما به أتصدى ال ... أطراب والأفراحا
هات اسقني أو تراني ... لا أعرف الأقداحا
واحفظ علي فؤادي ... من أن يطير ارتياحا
لو كنت كاسمك يا صا ... لح اعتمدت الصلاحا
لكن أبي الله إلا ... أن تفسد الأرواحا
قال: وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات:

شعبان قد صار نضواً ... ولم نفد فيه لهوا؟!
وليس ذلك منا ... جهلاً ولا كان سهوا
فبالمودة إلا ... بكرت للقصف عدوا
حتى نقوم فنرفوا ... ما حرق الدهر رفوا
من بعد تقديم جدي ... مسمن ظل يشوى
له ثلاثون يوماً ... يحبو إلى الضرع حبوا
وأوفر الزور في الخ ... ل قد تبوأ مشوى
لما انتزعت حشاه ... عوضته البقل حشوا
وقد عنيت بجام ... ملأته لك حلوى
وقهوة بنت كرم ... صفت من الدم صفوا

ما شعشت قط إلا ... سطت على الهم سطوا
جنبتها كل وغد ... يمحو المحاسن محوا
إلا إذا ما اقتنصنا ... عذب الخلائق حلوا
وشادن ذي دلال ... يشدو فيلهيك شدوا
إما غناء وإما ... عجائباً عنه تروى
حتى تظل بما في ... ه من وقارك خلوا
وعندنا لك ورد ... يحدو المسرة حدوا
ريحانه لا يوازي ... لوناً وعطراً وسروا
فما اعتذارك في أن ... تفني زمانك صحوا
وأنت بعد قليل ... بالصوم والله تطوى
أبا علي ألا اسمع ... نصيحة ليس تروى
فإنما نحن سفر ... على محجة بلوى
ولا تعرج ذميماً ... على معاهد حزوى
وله في البحر:

لا تنفس في مجلس أنا فيه ... وتنفس سراً وراء الباب
ثم لا تعترض لسر صديق ... إن ذاك السراء سوط عذاب
إنما فوك فقحة كل وقت ... تتصدى الأنوف كالنشاب
تصرع الطائر الخلق في الخ ... و لو غاب في سواء السحاب
وقوله:

أرى اللذات تعبر بي يميناً ... على رغمي وتعبر بي شمالاً
فأجرع دونها غصصاً لأني ... أشاهدها وما أعطيت مالا

وقوله:

وعذار مجعد ... فوق خد مورد
كلما رمت فرصة ... لسعت عقرب يدي

الحسن بن محمد الشهواجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشوراً في يوم نيروز:
اليوم يا صالح ما تبصر ... وصحو من مطله يكرر مستنكر
وقد مضى الوعد وحصلته ... وصفوة مثلي فيه مستنكر
فهات ما يحضر إني امرؤ ... يقنعه منك الذي يحضر
وله:

قولي ماض على العباد فما ... يرد في جده ولا لعبه
ولي لسان كأنه ظبة ال ... سيف طويل أكاد أعثر به
وقوله:

وقهوة كشعاع الشمس صافية ... شربتها مع شرب سادة كرما
إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهج ... حازوا القنار وأجروا بالسيوف دما
إذا رأيتهم أيقنت أنهم ... نجوم كل فخر لا نجوم سما
وقوله:

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائبا ... وأسرح في أقطارها حين تقرب
وأنت جناحي كلما طرت للعلا ... وسيفي الذي أسطو به حين أضرب
وقوله:

وقهوة في كأسها ... ترمي الندامى بالشرر
قد جمعت نشر الربا ... وبرد أنفاس السحر
أطيب ما شربتها ... على غناء ووتر
طوبى لمن حج إلى ... كعبتها ثم اعتمر
وقوله:

وعلو قدرك وهو أبعد غاية ... في كل حال من علو الكوكب
لأسيرن مديحك الحسن الذي ... ألبسته ثوب الشاء الطيب
حتى يحدث من بأرض المشرق ال ... أقصى حديثك من بأرض المغرب
وقوله:

ومهفهف ساق أغن سقيته ... قبل الصبوح سلافة عذراء
ما صاح ديك الصبح إلا صيحة ... حتى توسد كفه اغفاء
جعلته قبل رقاده كاسلته ... لما استقل لسانه فأفاء

أبو علي صالح بن رشد بن الكاتب

أحد أئمة الكتاب، المهرة في سائر الآداب، صاحب المتنبي وروى شعره، وكان جيد المعاني، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر:

قل لمولاي منعماً ... لم صرمت المتيماً
أنت أعطشتني إلي ... ك وأبكيتني دماً
فإذا شئت أن ترى ... عاشقاً ميتاً ظمأ
فأدر في ناظري ... ك تجدني توهما
وقوله:

أجنة نحن فيها ... أم نحن في المرزجوش
ما بين آس وماء ... ينساب بين العروش
وقهوة ذات حسن ... وطاجن ذي نشيش
وسيد رشت منه ... لما تطاير ريشي

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله، فلم يره، فطرح له رقعة من طاق في المنزل، وكتب اسمه على الباب. فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه، فذهب صالح في الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده. فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها:

قد، ومن خصني بودك، أذكى ... طول شوقي إليك في قلبي نارا
سرت فيه تلقاء داري قصداً ... فإذا النور قد تغشى الديارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً ... مدلهماً وجوف داري نهارا
وإذا خطك البديع على البا ... ب بيت الضياء والأنوارا
فتمنيت أن خدي نعلا ... أخصيك اللذين نحوي سارا
غير مستنكر لمثل ذلك أن يس ... بق فضلاً وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت أشتكي عشر السك ... ر وعزمي زيارتيك ابتكارا
فإذا رقعة تمر بها الري ... ح يميناً طوراً وطوراً يسارا
فتأملتها وكانت من اللا ... ئي تروق القلوب والأبصارا
ما توهمت أنني قبلها أق ... رأ خطاً يزيل عني الخمارا
قابلتني منها سهام عتاب ... جعلت درعي الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلاً ... مذق الود للصديق معارا
فلما رأى ابن أبي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات:
بأي أنت سابق لا يجارى ... قاده نحوي اشتياق فزارا
عاقني الحظ أن أراه وأن تق ... ضي عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشد بن قد أفدت بك الرش ... د وبدلت بعد عسر يسارا

كنت بالأمس عند إخوان صدق ... أدباء ندير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً ... وشربنا من قبله تذكارا
ثم إني انصرفت سكران أعت ... س طريقي تمايلاً وعثارا
والدجى كالهوم في قلب من فا ... رق عشقاً وغربة وادكارا
أحبط الليل مفرداً إذ تراءى ... لي نور أضاء ثم استطارا
فهنيئاً إني أودك ودأ ... ترتضيه مغيباً وجهارا
ثم أخبرني بشكواك فيها ... فوقاني الإله فيك الحذارا
لم أزل دائماً أكرر قولي ... كان لي فيك حافظ الجار جارا

أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله:
يا حسرة في نفوس ... ويا شجى في حلوق
يا فضة بين ثنبي ... غلالة من عقيق
علي لا زلت همي ... في صبحتي وعبوقي
ودون سلوة وجدي ... وجدان بيض الأنوق
وأنشدني أيضاً:
يا موقظاً طرف همي ... من بعد ما كان أغفى
تظن ما بت أخفي ... ه من جوى بك يخفى
ولي لسان دموع ... ما يكتنم الناس حرفا
إذا تظلم طرفي ... وقعت بالطرف تكفى
وأنشدني له:
قد عابني برقادي ... خياله حين زارا
ولا وحيه ما إن ... فعلت ذاك اختيارا
طعمت في أن أراه ... طوعاً فنمت اضطرابا
فتلك علة نومي ... يا ملزمي فيه عارا

القائد أبو تميم سلطان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات:
يا أيها القائد الجليل ومن ... أصبح بالمكرمات يفتخر
آليت لا أشرب المداد، وإن ... كانت ذنوب المداد تغفر
يكفي أcha العقل أن سورتما ... تجني على عله ويعتذر

فكتب إليه القائد أبو تميم:

أبا علي حاشاك يا أملي ... من أن أراك الغداة تعتذر
قلبي إذا غبت ساعة قلق ... يكاد شوقاً إليك يستعر
فسر إلينا فوقتنا حسن ... ساعد فيه السحاب والمطر

قال ابن رشددين: حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائية، فحملني النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه:
صالح لا يزال يطلب عبده ... من كريم يصفى الأخلاء وده
قد بثت الغداة وجدي وحبي ... من ولي يولي لمولاه مجده
فإذا شئت أن أرى لك عبداً ... فتفضل أبا تميم بعبده
فقرأها وأمسك، فارتعت وخفته، وتماديت في الشرب معه، ثم نهضت إلى منزل أنزلني فيه بقربه، فلما استقر بي انفذ لي الجارية ومعها درج فيه طيب كثير، وعليها ثياب رفيعة حسنة، ورقعة فيها شعر:
قد بعثنا أبا علي بعبده ... وقضينا بذاك حق المودة
وحمدناك إذ خطبت إلينا ... أسأل الله أن يهنئك حمده
فخذنها فانت أكرم كفاء ... وهي ما عشت كاسمها لك عبده
وقال الخادم الذي جاء بها: يقول لك مولاي: لا تخرج غداً من منزلك أو يأتيك رسولي. فلما أصبحت جاءني القائد أبو تميم بجواريه المغنيات وطباخه، معه طعام كثير قد أعده وشراب، فما زلنا نأكل ونشرب إلى الليل وانصرف فرحاً مسروراً.

أبو هريرة أحمد بن عبد الله

بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب:

لئن ذهبت أيام لذتنا الأولى ... بذي الأسل ما وجدي عليها بذهب
ألا ليت أياماً مضت لم تكن مضت ... ففقدني لها يا صاح إحدى المصائب
رعى الله أيام السرور فإنها ... تمر سريرات كمر السحاب
وقوله في رثاء صالح:

قد أفسد الموت على صالح ... كل الذي أصلحه صالح
وانصرف البواب عن بابه ... وصاح في مجلسه الصائح
خلوه في دار البلى مفرداً ... وناح في أوطانه النائح
يا ليت شعري ما الذي قاله ... إذ راح في حفرته الرائح
يا أيها الناس ألا فاسمعوا ... قولي فيني مشفق ناصح

لا تؤثر الدنيا على غيرها ... ففرق ما بينهما واضح
فالحمد لله وشكر له ... كل امرئ عن أهله نازح
وقوله:

من رسولي إليك أو من شفيعي ... يا شبيه الهلال عند الطلوع؟
أنت في القلب شاهد ليس يخلو ... من ضميري وأنت بين ضلوعي
وقوله:

أما ترى الغيم كالبكي بأربعة ... والأرض تضحك كالجدلان من فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده ... من الزمان وما نلقى إلى القدح
وقوله:

كم لي بدير القصير من قصف ... مع كل ذي نشوة وذو ظرف
لهوت فيه بشادن غنج ... تقصر عنه بدائع الوصف
وقوله:

أذكرتني يا دير من قد مضى ... من أهل ودي ومصافاتي
كم كان لي فيك وفيهم معاً ... من طيب أيام وليلات
أشكو إلى الله مصاباتهم ... وفقدنا أهل المروءات
وقوله:

كتمت حبك في قلبي فما وسعه ... هذا وليس له شغل سواه معه
يا من إذا ما بدت للناس صورته ... رأيت فيها فنون الحسن مجتمعه
والله ما حلت عما قد عهدت ولا ... أصغيت أذنًا إلى العذال مستمعه
رفقاً بمن لو تسلى عنك يا أمني ... بكل شيء على الدنيا لما نفعه

أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار:
من عذيري إلى العذار الجديد؟ ... من رسولي إلى القريب البعيد؟
دب في خده العذار فحاكي ... ظلمة النحاس في بياض السعود
وقوله:

أما ترى ناظراً شاهداً ... بالحب والأعين رسل القلوب
ودون إلحاح جفوني به ... تخبر عما في فؤادي الكئيب
وأنت لا شك به عالم ... لأن عند المرد علم الغيوب
وقوله:

ضممته ضم مفروط الضم ... لا كأب مشفق ولا أم

ولم نزل والظلام حارسنا ... جسمين مستودعين في جسم
ألثمه في الدجا وبرق ثنا ... ياه يريني مواقع اللثم

ثم افترقنا عند الصباح وقد ... أثرت فيه كهيئة الختم
وقوله:

إذا ذكرت أياديك التي سلفت ... مع قبح فعلي وزلاقي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني ... علم بأنك مجبول على الكرم
وقوله:

أنت مني بحيث مأوى الغرام ... وبحيث افتقاد طيب المنام
في فؤادي وناظري وهما من ... لك قرينا صباة وانسجام
وقوله:

لحى الله امرءاً يوعيك سرّاً ... لتكتمه وفض الله فاه
فإنك بالذي استودعت منه ... أتم من الزجاج بما حواه
وقوله:

بيضاء جنح جبينها ... في ليل طرقتها البهيم
ضدان ما اجتماعا لغي ... ر تشتت الصبر المقيم
ولذكراها أندى على ال ... أكباد من برد النسيم
ووصفت نعمة حسننها ... فنعمت في صفة النعيم
وقوله:

ديون المكارم لا تقتضى ... كما تقتضى واجبات الديون
ولكنها في قلوب الكرام ... تجول مجال القذى في العيون
وقوله:

طرفي على ما عهدت في أرقه ... فيك وقلبي يزداد من حرقه
ولي حبيب أقام معتنقي ... كما أقام الشهاب في غسقه
وجملة الأمر أنني رجل ... قدمت قبل الفراق من فرقته
هذا حديثي والشمل مجتمع ... فما حديثي في عقب مفترقه؟!

قال لي الزاهر: أخبرني ابن بشر أنه كان له جد لأم يعرف بكولان، وكان هو من أهل الأدب والكتابة، وحسن
الشعر والخطابة قال لي حجبت سنة من السنين، وجاورت بمكة حرسها الله، فاعتللت علة تطاولت بي، وضاق
معها خلقي، ثم صلحت منها بعض الصلاح، ففكرت في أنني عملت في أهل البيت تسعاً وأربعين قصيدة مدحاً،
فقلت: أكملها خمسين. ثم ابتدأت فقلت:

بني أحمد يا بني أحمد

ثم ارتج علي فلم أقدر على زيادة معظم ذلك علي واجتهدت في أن أكحل البيت فلم أقدر، فحدث لي من

الغم بهذه الحالة ما زاد على غمي بإضافتي وعلتي، فتمت اهتماماً بالحال، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فجئت إليه فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضافة وما أجده من العلة وأخرى من القلة، فقال لي: تصدق يوسع عليك، وصم يصح جسمك، فقلت له: يا رسول الله، وأعظم مما شكوته إليك أنني رجل شاعر أتشيع، وأخص بالحبّة ولدك الحسين وتداخلي له رحمة لما جرى عليه من القتل، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج علي إجازته، ونفرتني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف، قال: فقال لي قولاً نحا فيه إلى أنه ليس لي هذا إلي، لقول الله تعالى: " وما علمناه الشعر وما ينبغي له " ثم قال لي: اذهب إلى صاحبك، وأوماً بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد، وأمر رسولاً أن يمضي بي إلي حيث أوماً، فمضى بي الرسول على ناس معهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له الرسول: أخوك وجه إليك بهذا الرجل، فاسمع ما يقوله، قال: فسلمت عليه، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: فما المصراع؟ قلت:

بني أحمد يا بني أحمد

فقال للوقت قل:

بكت لكم عند المسجد

بشرب، واهتز قبر النبي ... أبي القاسم السيد الأصيل

وأظلمت الأفق أفق البلاد ... وذو على الأرض كالإثم

ومكة ماددت ببطحائها ... لإعظام فعل بني الأعد

ومال الخطيم بأركانه ... وما بالبنية من جلمد

وكان وليكم خاذلاً ... ولو شاء كان طويل اليد

قال: ورددها علي ثلاث مرات، فانتبهت وقد حفظتها.

الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له:

ومنهتك له نظر ... يصون مواقع النظر

هلال لو بدا للسف ... ر ألهاهم عن السفر

فوا ويلاه من قمر ... يريك مساوي القمر

لقد أصبحت من كلفي ... بغرته على غرر

وقوله:

يا مريداً مني الوصل ... ل ووصلي في يديه

أنا لا أعرف من لا ... يعرف الحق عليه

وقوله من أبيات:

نحتال في حلل الصبا ... كالبدر في حلل الغيوم
وإذا تثنت جال في ... أعطافها ماء النعيم
ينسيك طيب نسميها ... بعد الكرى برد النسيم
وله أول قصيدة:
هو السيف لا يكسوك ما لم يجرد ... فجرده واسترفد بغريبه ترفد

أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله:
لا تنكري سرعة اختلاسي ... لذات أيامي القصار
فإن علمي بغدر دهري ... صبرني خالغ العذار
وقوله:
أهديت لي تذكرةً خاتماً ... اسمك منقوش على فصه
فما اعترتني زفرات الهوى ... إلا تروحت إلى مصه

سليمان بن حسان النصبي

رحمه الله

أنشدني ابن وهب له:
وهتوف ورقاء أرقى العي ... ن، وزادت خيل الفؤاد خبالا
ذات طوق من الزبرجد يحكي ... صفو عيش عني تولى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط اللي ... ل كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنما بدموعي ... خضبوها أو خاضت الجريالا
وقوله يصف الراي المقلبي وهو ضرب من السمك:
ما رأينا مثل هذا ال ... راى حسناً، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ... ن عقيقاً ولجينا
وقوله في شمة:

ومجدولة مثل صدر القناة ... تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على الرأس كالبرنس
إذا رنقت لنعاس عرا ... وقطت من الرأس لم تنعس
وإن غازلتها الصبا حركت ... لساناً من الذهب الأملس
وتنتج في وقت تلقيحها ... ضياء يجلي دجا الجندس
فنحن من النور في أسعد ... وتلك من النار في أنحس

وقد ناب وجهك عن ضوئها ... وعن ذا البنفسج والنرجس
ولكنها آلة للندام ... ونجم تألق في المجلس
توقدها نزهة للعيون ... ورؤيتها منية الأنفس
تكيد الظلام كما كادها ... فتنى وتفنیه في مجلس
فيها ربة العود حشي الغناء ... ويا حامل الكأس لا تحبس
ويا صالح انعم وعش سالماً ... على الدهر في عزك الأفعس
وله يصف روضة:

وروضة ذات غدير مستنق ... وزهر مثل عشور المهرق
ونرجس مثل العيون الرمق ... أجفانها من لؤلؤ مفلق
باهتة قد فتحت لم تطبق ... وسوسن غض النبات موقن
يشف فيه كالزجاج الأزرق ... وقد حكاها في ضياء الرونق
بنفسج مثل اللجين المحرق ... يا حسن ما ألفتها عن منطقي
كأنها سافرة عن خلقي ... أو حسن ما ألفتها عن منطقي
باكرتها مثل انفلاق الفلق ... وشبهة حائرة في الأفق
في عصبة غر كرام سبق ... يخطرون فيها بقسي البندق
كل فتى في قصده موفق ... كأنه من نفسه في فيلق
مقرطس في رمية مؤنق ... وهو يراعيها بطرف شيق
خوفاً عليها وهو عين المحنق ... فصاد ما شاء بلا تعوق
وراح من نجيعه في يلحق
وقوله في الحمام:

أنت في الحمام موقو ... ف على قلبي وسمعي
فتأملها تجدها ... كونت من بعض طبعي
جرها من حر أنفا ... سي وفيض الماء دمعي
وله يصف ناعورة:

كم نعت بالحي ناعورة ... حنينها كالبر بط الناعر
فتارة تحسبها قينة ... تردد الزمر على الزامر
وتارة ثكلى جرى دمعا ... في مستهل واكف ماطر
كأنما كيزانها أنجم ... دائرة في فلك دائر

الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه:

قد بعثنا بمؤنس لك في الوح ... شة خل يدعى كتاب الأنيس

فيه ما يشتهي الأديب من العل ... م، وفيه جلاء هم النفوس
فيه ما شئت من بدور معان ... ضاحكات إلى وجوه شمس
والنفيس البهي ما زال يهدى ... كل حين إلى البهي النفيس
فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً:

قد قرأت الكتاب يا خل نفسي ... فهو لي مؤنس وأنت الأنيس
فهو تأليف ذى ذكاء وفهم ... وهو وقف على العلوم حبيس
وحكى عنه أنه قال: قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس، وكانت بيني وبينه مودة، فكنت
أعشاه كثيراً للحوائح التي تعرض إليه، فاستخدم بوابا، فحجني غير مرة، فكتبت إليه:

يا علم المكرمات والسؤدد ... إليك أشكو بوابك الأسود
يبعدني كلما دنوت، وما ... حق الكريم الوداد أن يبعد
في كل يوم ألقى بطلعته ... طالع نحس يسوءني أنكد
وجه شتيم بكل فاحشة ... عليه من كل مشهد يشهد
كلب يهر الضيوف إن طرقوا ... فناءك الرحب كالح اعقد
أبعده وانف الخبيت عنك كما ... ينفي القذى عنه خالص العسجد
أولاً، فلن تستطيع تنظم ما ... عنك من المكرمات قد بدد
وما انتفاع الورى ببحر ندى ... تزداد عنه العطاش لا توردد

فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى، وكان يحبه، والبواب الأسود معه، وقال لي: إن مولاي يقرأ عليك السلام، ويقول لك: قد غمني ما جرى من البواب، وقد قرئ علي الشعر. ولو كنت أحسن قوله لأجبتك، ولكني قد أنفذته إليك، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين مقرعة، ونجسه، فشكرت له، وقلت لبشرى: قل له يا سيدي ما أحب أن تبلغ به إلى هذا كله، وسألت بشرى أن لا يضربه، فقال: والله ما لي إلى تركه من سبيل، وقد قال لي: سيقول لك لا تضربه وعلي لئن رددته إلي بلا ضرب لأضربه بين يدي مائة مقرعة، قلت: فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً خفيفاً. ولا تحشه، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً، وانصرف به، ولا والله ما رأيته في داره بعدها.

أبو القاسم أحمد بن محمد

بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله:

يا بدر بدر إلي بالكاس ... فرب خير أتى على ياس
ولا تقبل يدي فإن فمي ... أولى بها من يدي ومن رأسي
لا عاش في الناس من يلوم على ... حبي وعشقي لأحسن الناس
وقوله:

قل للذي حسنت منه خلائقه ... باكر صبحك واسبق من تسابقه
أما ترى الغيم مجموعاً ومفتقراً ... يسير هذا إلى هذا يعانقه
كعاشق زار معشوقاً يودعه ... قبل الفراق فآلى لا يفارقه
وقوله:

قلت: أراك خضبت الشيب قلت لها: ... سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فايتضحكت ثم قالت من تعجبها: ... تكاثر الغش حتى صار في الشعر
وقوله:

عيرتي بالنوم جوراً وظلماً ... قلت: زدت الفؤاد هما وغما
اسمعي حجتي وإن كنت أدري ... أن عذري يكون عندك جرماً
لم أتم لذة ولا نمت إلا ... طمعاً في خيالك أن يلما
وقوله:

خليلي، إنى للثريا لحاسد ... وإني على صرف الزمان لواجد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة ... وأفقد من أحببته وهو واحد؟
كذلك من لم تحترمه منية ... يرى عجباً فيما يرى ويشاهد
وقوله: وقوله، وهو مما يتغنى به:

قالت لطيف خيال زارني ومضى: ... صف لي هواه ولا تنقص ولا تزد
فقال: أبصرته مو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت: صدقت الوفا في الحب عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
وقوله:

سأعتبها حق ما استعبت ... وإن لم تكن أبداً معتبه
وسوف أجربها بالصدود ... ومن يشرب السم للتجربه؟!

ولده

أبو محمد القاسم بن أحمد الرسي

أنشدني له ابن وهب:

إذا الكروان صاح على الرمال ... وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب ... تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشأبتها ... قدود سقاتنا في كل حال
فهاات الكأس مترعة ودعني ... أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لا شك يوماً ... يفرق بينهم صرف الليالي
وقوله:

إذا التحف الجو بالأدكن ... وغنى الحمامم بالأعن
وهب نسيم الصبا سحرة ... بريح البنفسج والسوسن
وحن إلى القصص ألفه ... فبادر إلى شبحك المنحني
فنفس من الحنق أوداجه ... وسق الندامى ولا تنسني
وقوله يهجو ابن كلس المتطبب:
توق معز الدين شؤم ابن كلس ... ولا تقبلن منه مقال مدلس
فإننا أردناه لكافور شربة ... فزاد على تقديرنا ألف مجلس

أخوه

أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له:
عرفت الديار على ما بها ... وأوقفت ركي على بابها
وناديت فيها بأعلى النداء ... مراراً بأسماء أربابها
فلم أر فيها سوى بومها ... تصيح جهاراً بأترابها
فأعلمني ذاك أن الزما ... ن أخنى عليها وأودى بها

ولده

أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم

ابن أحمد رحمهما الله تعالى!

أنشدني له الزاهر:
شم النسيم لذيذاً ... من قبل أن لا تشمه
واصرف عن القلب ما اسط ... عت بالمسرة همه
وغالط الدهر إن كن ... ت لست تملك حكمه

وقد نصحتك جهدي ... فلا تصم وتكمه
وقوله:

صدفت عنا نوار ... ولقد كانت تزور
ثم قالت: كيف أودى ... ذلك الغضن النصير؟
وشباب يتلالا ... فيه للناظر نور
قلت: إن أنصفت هذا ... لابن خمسين كثير

أبو الحسن العقيلي

رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله:

لنا أخ يحسن أن يحسنا ... جناه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه ... بأنها تنبت زهر الغنى
إذا تبدى وجه إحسانه ... تنزهت فيه عيون المنى
وقوله:

الصبح ينشر فوق مس ... ك الليل كافور الضياء
والبرق يذهب ما تفض ... ضه الغيوم من السماء
فاشرب على ديباج نب ... ت قد أحاط بشرب ماء
فالعيش في زمن الربى ... ع رقيق حاشية الرداء
وقوله:

وراح تتيه بأنفاسها ... على ما يفوح من العنبر
كأن زجاجها درة ... تشف عن الذهب الأحمر
وقوله:

تاه الربيع بأذريونه وزها ... لما بدا منه نشر في الربا أرج
كأن أغصانه فيروزج بهج ... من فوق ذهب في وسطه سبيج
وقوله:

اشرب على زهر البنفسج قهوة ... تنفي الأسى عن كل صب مكمد
فكأنه قرص بخند غريرة ... أو عين زرق كحلن بأثمد
وقوله:

ونارنجة بين الرياض نظرهما ... على غصن رطب كقمامة أغيد
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة ... بدت ذهباً في صولجان زمرد
وقوله:

ومدامة يبدو إليك جنينها ... وعليه تاج لم يصغه صانع
تحفى لفرط صفائها فكأنما ... إبريقنا الملائن منها فارغ
وقوله:

إن كنت تعلم أن لي ... علماً بأسرار السرور
فاعمل بحسب وصيتي ... لك في ملازمة البكور
ودع الصغير مكانه ... واعدل إلى جهة الكبير
ما بين ورد كالخندو ... د وأقحوان كالشغور
وعليك بالذهب الذي أجراه روباس العصير
ما زال يسبك بالذي ... قد شب من نار الهجير
حتى صفا فكأنه ... دمع الطليق على الأسير
وقوله:

نحن أناس نوالنا خضل ... يرتع فينا الرجاء والأمل

كل فتى ليس في مودته ... مذاق. ولا في خلاله خلل
لو أبصر البحر فيض أثلنا ... فاض على وجه فيضه الخجل
تسقى أموالنا مؤملنا ... لا يعترينا مطل ولا بخل
تسمح قبل السؤال أنفسنا ... بخلاً على ماء وجه من يسلم

أبو القاسم بن أبي العفير الأنصاري

رحمه الله!

أنشدت له:

وروض كحسن العرف يسري وبهجة ... من الزهر فيها شاكلت بهجة الحمد
يربك عناق العاشقين عناقه ... بثغر على ثغر وخذ على خد
وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها:
نظر الحب إلى الحبيب غرام

فقال له: العرب لا تقول "إليه غرام" وإنما تقول "له" فقال له الأنصاري: تقول: إليه، ولديه، وله، وحروف
الخفض ينوب بعضها عن بعض. والوزير أبو بكر بن صالح الروزباري حاضر. والوزير أبو الفضل جعفر بن
الفرات حاضر. فقال الأنصاري:

أما الشاء فصادر بك وارد ... باد بما تسدي إلي وعائد
لك يا أبا بكر إلى صنائع ... أيقظن أحوالي وجددي راقد
أوليتني نعماً متى أنكرتها ... شهدت علي مواهب وفوائد

نعم أقر بها، وكم من نعمة ... يخفى المقر بها ويحظى الجاحد؟
ولرب ليل قد هجرت رقاده ... لك والردى مغف وطرفي ساهد
أتحلل الكلم العوان تحللاً ... فأغافص المعنى كأني صائد
وقصائد لي فيك ولا أنما ... كلم شهدت بأنهن مشاهد
ولهن في عين الولي شواهد ... تترى، وفي عين العدو جلامد
لما رعيت مودتي وخلطتني ... ببني أبيك ظننت أنك والد
ولقد علمت، وأنت خير معلم، ... أن الشاء على الليالي خالد
لما تعرض لي بمقت حاسدي ... أبدى الملام، وكيف يرضى الحاسد؟
ما زال ينشد قائماً حتى إذا ... أنشدت عارضني لأني قاعد
في مجلس أما الوزير فمنكب ... فيه يؤيده وأنت الساعد
ولى ولا أنا شاكر لسؤاله ... فيه، ولا هو للإجابة حامد

أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيد:

لوقد سألتك حسب قد ... رك ما رضيت بألف جره
ولقل ذاك لقد من ... لا تحصر الأوصاف قدره
فابعث إلي بجرة ... وكفاف ما أبعيه جره
وتوخها كبر الجرا ... ر، قرب وافية كزكره
من رسم بسطام الذي ... أحيا بحسن الرسم ذكره
لا بوطساً يؤذي الندي ... م، ولا مذاقته بمره
واعلم بأن محلها ... عند الضرورة مثل صره
وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه:

لا تترك لغداً مالاً ولا سبداً ... فلست تقتل علماً هل تعيش غدا
خذ من زمانك ما جاد الزمان به ... فمن جنى بعض ما يهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذر أن تضيعه ... فليس يرجع وقت فانت أبدا
وعند عبدك شيء إن نشطت له ... وزرت زدت أياديك الكرام يدا
راي طري كقاب الفتر تحسبه ... ذوباً من الفضة البيضاء أو بردا
كأن كفاً عليه جرشت قطعاً ... من اللجين صغار النظم أو زردا
كأن قاله بالقلي ألبسه ... من الشقائق أثواباً له جددا
كأنه في سعي القلي منقلياً ... صب تقلبه كف الهوى كمدا
كأن ياقوتة حمراء هللها ... صواغها ذهباً للحسن متحدا
كأنه كان في نهر الحياة فما ... يكاد يسلم منه روحه الجسدا

وقهوة تذكر الأفلاك ساكنة ... مشمولة أفنت الأيام والمددا
يديرها قمر في كفه قمر ... من الرحيق يزيل الهم والكمدا
فلا تضيع سروراً جاء عن كذب ... عجزاً فتكتسب التوبيخ والفندا

أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الاتجلاً:
لنا مسمعة حلوه ... ولون يفتق الشهوه
فالبارع من مجد ... ك إن لم تجب الدعوه
وأهدى إلى بعض إخوانه مقطاً وكتب إليه:
إني بعثت مقطاً غير محتشم ... ولم أجل في الغنى فكري ولا العدم
ولو بعثت سواذي ناظري لما ... كانا كفءاً لما تولى من النعم
فاقبله واجعله مما يستعان به ... فإنه خادم السكين والقلم
وقوله يصف النرجس:
خواتم من لجين ... فصوصها كارباء
وليس تضحك إلا ... إذا بكتها السماء
وقوله:

منذ حل السواد زاد البياض ... واعتدائه طوال عراض
وإذا ما طغى المشيب فلا المن ... قاش يقوى به ولا المقرض
وكثير أرى جسماً صحاحاً ... لأناس فيها قلوب مراض
وأهدى إلى الإخشيد خاتماً، وكتب معه:
وذي عنق لم يطل ... عليه ولم يقصر
ومنين قد حصراً ... على قدر الخنصر
وقد زاد في ضميره ... على الفرس المضمير
وأسفله فضة ... وأعلاه من جوهر
بعثت به معسراً ... إلى ملك موسر
ولا غرو أن يهدي ال ... مقل إلى المكث
وقوله:

قد قلت إذ سار السفين بهم ... والسوق ينهب مهجتي نهبا
لو أن لي عزاً أصول به ... لأخذت كل سفينة غصبها

أحمد بن محمد بن عبد الكريم

اليتم النحوي

أنشدت قوله:

إذا ما نلت من دنياك حظاً ... فأحسن للغني وللفقير
ولا تمسك يديك على قليل ... فإن الله يأتي بالكثير
وقوله:

خاطبت شمس النهار إذ بدت ... وقلت ما أنت لي بمنصفة
إن التي أشبهتك مائلة ... من بعد ذاك الوصال قد جفت
فعاتبها فليس يقنعني ... يا شمس من شبهك الذي أتت
لما رأته على الفاء لها ... صدت وما أنصفت ولا وفدت

أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من " مجزوء الرجز " :
نار جرت في غاية ... ترمى العلا بالشهب
كأنها جيش وغى ... فرسانه من ذهب
وقوله يصف الفستق:
وفستق رأيت من ... ه طرفاً من الطرف
كأنه لما بدا ... والراح فينا تختلف
زمرد ضمنه ... من خالص العاج المصدف

أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له:

رب صبح كطلعة الوصل جلى ... جنح ليل كطلعة الهجران
زار في حلة البزاة فولى الل ... يل عنه في حلة الغربان
وقوله:

يوم كأن الروض خاط لضوئه ... قراطق من وشي غلائلها الغدر
كأن صفاء الجو ناظر أزرق ... له الغيم جفن هذب أجفانه القطر
كأن أعالي السرو بين رياضه ... مطارف لفت في مواكبها خضر

أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد:

لا تصحب الدنيا كئيباً مكمدا ... من ذا رأيت من البرية خالدا؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنه ... فلقد حباك به الغمام وأسعدا
ورد كأن أصوله وفروعه ... سقيت دماً حتى ارتوى فتوردا
وشقائق شق القلوب كأنه ... خد مليح ضم صدغاً أسودا
والماء يجري في الرياض كأنه ... سيف صقيل من قراب جردا
فاشرب عليه فإنه وقت إذا ... ولى تفاوت أن ينال فيوجد
وله:

فلو زين الحسن في وجهه ... بهجر الصدود ووصل الوصال
لتسم وإن كنت ما إن أرى ... بديع الجمال جميل الفعال

ابن الزبي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها:

يا حسرة في القلب ما أقتلها ... كأنها في القلب أطراف الأسل
فكم وكم من ليلة طيبة ... أحيتها في الدير في خير محل

دير القصير الفرد في صفائه ... يا من رأى الجنة من غير عمل
أشربها راحاً شمولاً قرقفاً ... تدب في الجسم فما تبقي عدل
يديرها ذو غنج بطرفه ... يحيي إذا شاء وإن شاء قتل
كأنه غصن من البان وقد ... زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغ حتف النفس في لثغته ... تاه بها على الورى تيه مدل
إن قال نار قال ناغ أو يقل ... نور يقل نوغ بدل وغزل
فاحث كؤوس الراح يا ساقينا ... واغتنم الدهر فللدهر دول
من قبل أن يطرقنا بين فلا ... ينفع عند البين ليست ولعل

محمد بن عباس البصري

المعروف بصاحب الراقوية

قال:

لا تعذلوني فما مثلي بمعذول ... جسمي سقيم وأمرى غير مجهول
إن مل مولاي وصلي بعد ألفتة ... فإن مولاي عندي غير مملول
ملككت قلبي ولم تعطف على دنف ... ما كل ذاك على قلبي بمعزول

وقوله:

يا حامل الكأس أدرها واسقني ... قد ذعر الشوق فؤادي فانذعر
أما ترى البركة ما أحسنها ... إذا تداعى الطير فيها وصفر
أما ترى نوارها أما ترى ... حسن مسير مائها إذا انحدر
كأنما الجوهر في ألوانه ... نشر في تلك النواحي فانتشر
وقوله:

أما طغان فقد طغى ... والطرف منه قد بغى
شهر السلاح بطرفه ... فتكاً وما شهد الوغى
لولا مخافة عقرب ... في صدغه أن يلدغا
للثمت منه ممسكاً ... ومصندلاً ومصبغا
وقوله:

أتاني في قميص اللاذ يسعى ... عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له لم استحلّيت هذا ... فقد أصبحت من ذي عجب؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... غريب اللون في شفق المغيب
فصوي والمدام ولون خدي ... قريب من قريب من قريب
وقوله:

وشمة ظلت أناجيها ... تبيت تبكي وأبكيها
كأنما صفرتها صفرتي ... ومدمعي دمع مآقيها
أعارها قلبي من ناره ... فمثل ما فيه كذا فيها

أبو عبد الله الحسين المعروف بالجميل

له في طيب:

إذا سقام عراك نازله ... فاندب أبا جعفر لنازله
يعرف ما يشتكيه صاحبه ... كأنما جال في مفاصله

أبو عبد الله بن العرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا:
شيخ وبرد وسمك ... لكل ما يخشى شرك
فهاهما صافية ... وضمن الكأس الدرك
ولا تبال بعدها ... من لام فيها وترك
وقوله:

وليتم أمر الخراج محمدا ... فغدا الخراج بغير جيم يكتب
إن كان من عدم الرجال دهيتهم ... فالكلب عن قليل يخطب
وقوله في أبخر:

أردت لقاءه فلقيت منه ... كما يلقي الخلاء من الفقاح
وجالسي فلم أشعر بأني ... ولم أبعد جليس المستراح

أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه:
بالله يا صالح قم مسرعاً ... إلى عقار أدركت تبعاً
وساعد الليلة في شربها ... وخذ من السكر بها مصرعاً
وقد بذلنا لك أرواحنا ... لما رأيناك لها موضعاً

أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة:
وهيفاء من ندماء الملوك ... تزيد فينقص من قدرها
إذا ضحكت جنح داجي الظلام ... بكت فجرى الدمع من نحرها
فإن نعست للكرى نعسة ... فأيقاظها القص من شعرها

محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة:
ألا قل لعلوان كيف أجتزأت ... على الأسد الباسل الخادر؟
وكيف أرقّت دماً دونه ... يراق دم الجحفل الثائر؟
ترفق قليلاً على مرفق ... به مرفق البدو والحاضر
فليس الحديد على ساعد ... ولكن من الدهر في الناظر
وقوله:

كتاب : يتيمة الدهر

المؤلف : الشعالي

أسكر الخمر خمر ريقك حتى ... باتت الخمر من رضابك سكرا
فلهذا أراك صحواً ... وأراها عليك لا تتجرا
وقوله:

أشرب على الجيزة والمقس ... من قهوة صفراء كالورس
وروح النفس بما إنما ... عيش الفتى في راحة النفس
وأنس بإخوان الصفا إنهم ... من أكبر النزهة والأنس
فلست تدري أيما ساعة ... تبيت تحت اللحد والرمس
والمرء لا يعرف في يومه ... يصبح في دنياه أو يمسي
وقوله:

أقول والليل دجى مسبل ... والأنجم الزهر به ميل
يا طول ليل ما له آخر ... فيك وصبح ما له أول
وقوله:

أشرب ستنسى ويك مع من نسي ... من قهوة قوصية المغرس
في قمر للربيع من شهره ... كشقة من درهم أطلس
وقوله:

يا حادي اللذات عرس بنا ... ويا مدير الكأس قم فاسقنا
أما ترى شمس ضحى يومنا ... قد لبست مطرفها الأدكنا
والروض للوسمي في حلة ... أذهبها من بعد ما لونا
وقوله:

أشرب شمولاً على ريح الشمال فقد ... هبت شمالاً ولاح الصبح فاتضح
كأنها جنة في الكف مائلة ... تبدو فيخفي ضيا أنوارها القدحا
كأن حاملها من خمر ريقته ... وافى بما أولها من خده اقتدحا
وقوله:

وظبي زارني من غير وعد ... نعمت بقربه بآتم سعد
سقاني ثم نقلني بلثم ... على عجل وحياني بورد
وشمر ساعداً فيه وشوم ... بقلبي مثلها من أجل صد
فكان كفضة سكت عموداً ... عليها أسطر باللازورد
وقوله في دير القصير من قصيدة أولها:

إن دير القصير هاج اذكاري ... هو أيامي الحسان القصار
وزماناً مضى حميداً سريعاً ... وشباباً مثل الرداء المعار
عرفتني ربوعه بعد نكر ... فعرفت الربوع بالإنكار
ولو أن الديار تشكو اشتياًفاً ... لشكت جفوتي وبعد مزاري
ولكادت نحوي تسير لما قد ... كنت فيها سيرت من أشعاري
وكأني إذ زرتة بعد هجر ... لم يكن من منازل ودياري
إذ صعودي على الجياد إليه ... وانحداري في المعقبات الجواري
بصقور إلى الدماء سوار ... وكلاب على الوحوش ضواري
منزلاً لست عصياً ما لقلبي ... ولنفسي فيه من الأوطار
منزلاً في علوه كسماء ... والمصاييح حوله كالدراي
ومنها:

غردت بينها الطيور فطارت ... بفؤاد المقيم المستطار
كم خلعت العذار فيه ولم أر ... ع مشياً بمفرقي وعذاري
كم شربنا على التصاوير فيه ... بصغار محنونة وكبار
صورة من مصور فيه ظلت ... فتنة للقلوب والأبصار
أطربتنا من غير شدة فأغنت ... عن سماع العيدان والمزمار
لا وحسن العينين والشفقة اللم ... ياء منها وخذها الجللاري
لا تخلفت عن مزاري ديراً ... هي فيه ولو نأى بي مزاري
فسقى الله أرض حلوان فالنخ ... ل فدير القصير صوب العشار
كم تنهت من لذاذة نومي ... بنعير الرهبان في الأسحار
والتواقيس صائحات تنادي ... حي يا نائماً على الابتكار
قبل أن يبلي الحديد الجديد ... ن بليل معاقب ونهار
إنما هذه الحياة عوار ... وعلى المستعير رد العواري
وقوله:

أيامي بشاطي البركتين ... سقاك الله نوء المرزمين
لقد أذكرتني طربي وهوي ... ووكلت الفؤاد بلوعتين
ترى أيامنا فيك المواضي ... يعود وصالحها من بعد بين
سقى الله البقاع ملث قطر ... وأعطش منزلاً بالجهلتين

ودار على المدار رهام مزن ... تسير إلى جنان السروتين
فكم من بيعة عقدت لقصف ... وعرف في رياض البيعتين

وكم من مدنف قد حاز وصلاً ... ونال مناه وسط المنيتين
وقوله:

إشرب بطموة من صفراء صافية ... تررى بخمر قراهيت وغايات
على رياض من النوار زاهرة ... تجري الجداول فيها بين جنات
منازلاً كت مفتوناً بها يفعاً ... وكن قدماً مواخيري وحناتي
كأنما النيل في مر النسيم بها ... مسيلم في دروع سامريات

أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات:
قد شأهتني في لون وفي قصف ... وفي نحول وفي دمع وفي سهر
هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله:
صحت السلاح لشدة الحرب ... والمستغاث لشدة الكرب
حتى إذا ليسوا سلاحهم ... وتشددوا لوقائع الحرب
ناولتهم قلبي وقلت لهم: ... هذا المسيء فقطعوا قلبي
وقوله:

لئن صدع الدهر المشتت شملنا ... فللدهر حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمة زالت عن الحب وانقضت ... فإن لها بعد الزوال رجوع
وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه ... فإن زوال الشر عنك سريع
وقوله:

وغزالة غازلتها ... في المقس من أولاد حام
نظرت بعيني ظبية ... ونظرت من عيني قطام
وتبسمت وكأنا ... برق تألق في غمام
ثم انشئت مثل المهى ... وتبعته رتك النعام
حتى دخلنا بيتها ... فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها ... لما جنوت لها بلامي
وكأنني إذ ذاك أو ... لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعهما ... إلا المحبة للحرام
كانت لعمرى عاهة ... جمعت غراباً مع حمام

أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال:

إن كنت يا قلب عزمت الهوى ... فاستخر الله إذا قبلا
ولا تكن يا قلب مثل الذي ... قدم رجلاً وثني رجلاً
حتى تلاقي في الهوى أهله ... وقلما تلقى له أهلاً
لا تورديني مورداً كلما ... قطعت وحلاً ألتقى وحلاً

عبد الله الصفري

قال يصف الشيب:

بدا الشيب في رأسي فقالت تعجباً: ... لقد شبت من هجري وأنت صغير
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم ... يرد شباب المرء وهو كبير

أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر:

كأن الندى في البحر بجران مائع ... على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لجين سابح مترقرق ... وذاك لجين في السماء معلق
إذا أبصرته الشمس بعد احتجاجها ... له ساعة أبصرته يتمزق
وقوله:

عذارك المنقطع المسبل ... يقطع عنري عند من يعذل
ووجهك المقبل إقبال من ... أنت على طلعتة مقبل
لا عشت أن أعدم فالذي ... يعدمه يعدم ما يأمل
وقوله يصف السحاب:

سارية في غسق الظلام ... دانية من قلل الآكام
جاءت مجيء الجحفل اللهام ... فافترقت كالإبل السوامي
كأنها والبرق ذا ابتسام ... كتيبة مذهبة الأعلام
دنت من الأرض بلا احتشام ... ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرت بسائغ الإنعام ... وثروة تحكم في الإعدام

أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم:
أعزز علي بني ما تلقى ... سدت علي شكاتك الطرقا
قد كنت بالحمى أحق فليتي ... ألقى من الحمى الذي تلقى

أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب:
قد رايني من شبيتي ريب ... وفل من غرب صبوتي الشيب
وكان ثوب الشباب أحسن مل ... بوساً بهاء فأخلق الثوب
من عابني بالمشيب قلت له: ... صدقت فالشيب كله عيب
طلائع الشيب كلما طلعت ... شق علي ميت الصبا جيب

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له:
هاتر هتور بكثرة الفرح ... واقدح زناد اللهو بالقدح
وصل الغيوق إا وصلت إلى ال ... مسى، وإن أصبحت فاصطبح
أبرد إلى الندمان رسلك ما ... برد النسيم وغن واقترح
أصلح فساد العيش مجتهداً ... ففساد عمرك غير منصلح

أبو بكر الموسوس المعروف بسيوييه

أبو بكر هذا من البصرة. وكان يشبه - في حضور جوابه، وبيان خطابه. وحسن عبارته، وكثرة درايته -
بأبي العيلاء، وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول. فقال
يوماً للمصريين " يا أهل مصر. أصحابنا البغداديون أحزم منكم، لا يقولون باتخاذ الولد حتى يقتلوا له العقد
والعدد، فهم أبداً يعزبون. ولا يقولون باتخاذ العقار. خوفاً أن يملكهم شر الجار، فهم أبداً يكتزون. ولا
يقولون بإظهار الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر، فهم أبداً يسافرون ".
ووقف يوماً بالجامع - وقد أخذت الحلق مأخذها - فقال " يا أهل مصر، حيطان المقابر أنفع منكم يستند
إليها ويستدرى بها من الريح، ويستظل بها من الشمس، والبهايم خير منكم، تمتطي ظهورها، وتوكل
لحومها، وتحتذى جلودها ".
وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً، فقال له سيوييه وقد رآه فعل ذلك: أيشم الوزير رائحة كريهة
فيشمر أنفه؟ فأطرق واستعمل النهوض، فخرج سيوييه فقال له رجل: من أين أقبلت، فقال: من عند هذا

الزاهي بنفسه، المدل بعمره. المستطيل على أبناء جنسه. وكانت زوجته ابنة الإخشيد.
وأخلى الحمام لمفلح، فجاء سبيوه ليدخل فمنع، وقيل له: الأمير مفلح داخل، فقال: لا أنقي الله مغسوله،
ولا بلغه رسوله، ولا وقاه من العذاب مهوله. وجلس حتى خرج من الحمام، فقال له: إن الحمام لا يخلى إلا
لأحد ثلاث ميتلي في قبله، أو ميتلي في دبره، أو سلطان يخاف من شره، فأبي الثلاث أنت؟. ومن شعره:
اعذر أخاك على رداة خطه ... واغفر رداة لجودة ضبطه
فالخط ليس يراد من تحسينه ... وبيانه إلا إبانة سمطه
فإذا أبان عن المعاني سمطه ... كانت ملاحظته زيادة شرطه

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن

بن يونس المنجم

أنشدت له:

غنت فأخفت صوتها في عودها ... فكأنما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها ... أبداً ويتبعها اتباع ودود
أندى من النوار صبحاً صوتها ... وأرق من نشر الثنا المعهود
فكأنما الصوتان حين تمازجا ... ماء الغمامة وابنة العنقود
وقوله:

سقى الله أحياء اللوى كلما سقى ... بضرب من المزن الكههور هامل
إذا نثرت ريح جمان سحابة ... غدا وهو حلي للرياض العواطل
به خفق برق ليس بين جوانح ... ووسواس رعد ليس بين مفاصل
إذا كاد در البرق يلمس نبتة ... قلقاه در النور بين الخمائيل
وقوله:

يجري النسيم على غلالة خله ... وأرق منه ما يمر عليه
ناولته المرأة ينظر وجهه ... فعمست فتنة ناظره إليه
وقوله:

صديق قد ندمت على اختياري ... له لما تأملته اختياري
ينم بسر مستوعيه سراً ... كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشيب ... ومن صافي الزجاج على عقار
وقوله:

وذي حرص تراه يلم وافراً ... لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو ... فريسته لياًكلها سواه

وقوله:

لكل شيء في الورى آفة ... وآفة المرء من الكبر
يحسب أن الكبر فخر له ... وليس غير العلم من فخر

أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له:

إنما الفضل غرة ... في وجوه المدائح
أريحي رياحه ... عبقات الروائح

كعبة الجود كفه ... بين غاد ورائح
إنما تصلح الأمو ... ر برأي ابن صالح

أبو العباس أحمد بن مروان

بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له:

لم يطل ليلى ولكن ... سهري كان طويلا
وكذا ليس يلد ال ... نوم من كان عليلا
يا غزالاً لم أجد عن ... ه إلى الصبر سبيلا
هب لعين سهرت في ... ك من الغمض قليلا

محمد بن جعفر الأنصاري

الكاتب المعروف بالقصير

من شعره:

قد طال منك المظل في الوعد لي ... وأنت في مطلق لا تخطي
لو كنت تعطي مال مصر وما ... حوت من الدور على الشط
وما لدار الضرب من عسجد ... لكان كفراً بالذي تعطي

أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي:

يا دهر ما أقساك من متلون ... في حالتك وما أقلك منصفاً
أتروح للنكس الجهول ممهداً ... وعلى الليب الحر سيفاً مرهفاً؟
فإذا صفوت كدرت شيمة باخل ... وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن صفوت لأنني ... أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمن إذا أعطى استرد عطاءه ... وإذا استقام بدا له فتحرفاً
ما قام خيرك يا وزمان بشره ... أولى بنا ما قل منك وما كفى
وقوله:

أيا دير مرخنا سقتك رعود ... من الغيم قمي مزناً وتجد
فكم واصلتنا من ربك أوانس ... يطفن علينا بالمدامة غيد
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسم ... وناب عن الورد الجني حدود
وماست على الكثبان قضبان فضة ... فأثقلها من حملهن نهود
ليالي أغدو بين ثوبي صباة ... وهو، وأيام الزمان هجود
وإذا لمقي لم يوقظ الشيب ليلها ... وإذا أثري في الغايات حميد
وقوله:

يا منتهى أمني لا تدن لي اجلي ... ولا تعذب ظنوني فيك بالظن
إن ان وجهك وجهاً صيغ من قمر ... فإن قلبك قد من غصن
وأنشدني له من قصيدة أولها:

سرى البرق فارتاع القواد المعذب
يقول فيها:

وبات ضجيعي منه أهيف ناعم ... وأدعج نشوان وألعس أشنب
كأن الدجى في لون صدغيه طالع ... وشمس الضحى في صحن خديه تغرب
وإني لألقي كل خطب بمهجة ... يهون عليها منه ما يتعصب
واستصحب الأهوال في كل موطن ... ويمزج لي السم الذعاف فأشرب
فما الحر إلا من تدرع عزمه ... ولم يكك إلا بالقنا يتنكب
وما لي أخاف الحادثات كأني ... جهول بأن الموت ما منه مهرب
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي ... ولا في المثاني لذتي حين تضرب
ولكنني للمدح أرتاح والعللا ... وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبه كنفسي وهمتي ... يروح له فوق الكواكب موكب!
وقوله:

إذا حان شمس النهار غروب ... تذكر مشتاق وحن حبيب

ترى عندهم علم وإن شطت النوى ... بأن لهم قلبي علي رقيب
لهم كبدي دويني وقلبي ومهجتي ... ونفسي التي أدعي بها وأجيب
قاية حزني لوعة وصباية ... وعنوان شيني زفرة ونحيب
وما بلد الإنسان إلا الذي له ... به سكن يشتاقه وحبيب
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة ... لها بين أحشاء احب ديب
وقوله:

أما والذي لا يملك الأمر غيره ... ومن هو بالسر المكتوم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً ... لإعلانها عندي أشد وآلم
وبي كل ما تشكو العيون أقله ... وإن كنت منه دائماً أتبسم
وقوله، وهو مما يتغنى به:
قالت وقد نالها للبين أوجعه ... والبين صعب على الأحباب موقعه

اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت ... قواه عن حمل ما فيه وأضله
واعطف علي المطايا ساعة فعمسى ... من شت شمل الهوى بالين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى ... غريق بحر يرى الشاطي ويمعه
وقوله:

وغضبي من الإدلال والتبع والهوى ... بلا غضب سكرى الجفون بلا سكر
كأن على لباقتها رونق الضحى ... وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر
ترى البدر مثل البدر في صحن خدها ... وتفتر من مثل الجمان من الثغر
وقوله:

أما ترى الرعد بكى فاشتكى ... والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبيغ الدجا ... أضحك وجه الأرض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده ... كأنه صندل أو مسكا
وقوله:

وليلة بتها على طرب ... آخرها مشبه لأولاها
أقبل البرق من ترائبها ... وألثم الشمس من محياها
سقتني الراح وهي خدها ... بأكؤس السكر وهي عيناها
إذا أرادت مزاحها جعلت ... بآخر اللحظ في فمي فاها
فيها قهوة معتقة ... وليس إلا الحدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لي ... ونقلها اللثم حين أسقاها
لله أيامنا التي سلفت ... بدار حروى ما كان أحلاها

فالقصر من حيرة الملوك إلى ... أعلى رباها إلى مصلاها
إذ نجني اللهو من أصائلها ... والعز من فجرها ومغداها
إن عرضت لنة ملكناها ... أو صعبت خطة حويناها
وقوله:

وصفراء لم تطبخ بنار شربتها ... على وجه معشوق السجايا مقرطق
كأن حباب الكأس من نظم ثغره ... وإشراقها من خله المتألق
وقوله:

لو صورت خلقها إرادتها ... ما قدرته كمثل ما قدرا
كاسمك نشرًا، والبرق مبتسمًا ... والغصن قداً، والحقف مؤتترا
وقوله:

شبهتها بالبدر فاستضحكت ... وقابلت قولي بالنكر
وسفهمت قولي وقالت: متى ... سمجت حتى صرت كالبدرا
والبدر لا يرنو بعين كما ... أرنو، ولا يبسم عن ثغر
ولا يميظ المرط عن ناهد ... ولا يشد العقد في نحر
من قلس بالبدر صفاتي فلا ... زال أسيراً في يدي هجري
وقوله:

ناولتها شبه خديها مشعشة ... صرفاً كأن سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة ... وكيف تسقى خدود الناس للناس
أليس خدائي ذابا إذ لمستهما ... فاستنبطا قهوة حمراء في الكاس
قلت: اشربي إنما دمعني وحرهما ... دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
قالت: إذا كنت من حبي بكيت دماً ... فسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتني ... وباتت الشمس فيها بعض جلالي
وبت مستغنياً بالثغر عن قدحي ... وبالخدود عن التفاح والآس
وقوله:

وما أم خشف ظل يوماً وليلة ... ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
قيم فلا تدري إلى أين تنتهي ... مولهة حيرى تجوب الفيافا
أضر بما حر الهجير فلم تجد ... لغلتها من بارد الماء شافيا
إذا بعدت عن خشفها انعطفت له ... فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا
بأوجع من يوم شدوا رحاهم ... ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا
وقوله مفتخراً:

ألقي الكمي فلا أخاف لقاءه ... ويفل إقدامي شبا الحدثان

وأكر في صدر الخميس معانقاً ... للموت حين يفر كل جبان
ويزيدي كل الخطوب تعظماً ... وتسلب الأيام عز مكان
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق ... ذرعاً بأيامي وغر زمني
وكما يمل الدهر من إعطائه ... فلا له من الحرمان
وكما يكر لمعشر بسعادة ... فكذا يكر لمعشر بهوان

فإذا رماك بشدة فاصبر لها ... فلسوف يأتي بعدها بليان
وسل الليالي عن نفاذ عزيمتي ... وسل الحوادث عن ثبات جناني
يخبرك عني أنني لم ألقها ... بين العزائم واهن الأركان
أصبحت لا أشتاق إلا للندى ... إلهاً ولا أهوى سوى الإحسان
وإذا السيوف قطعن كل ضريبة ... قطع السيوف القاطعات لساني
وقوله:

اسقياني فلسفت أصغي لعذل ... ليس إلا تعلقة النفس شغلي
أطيع العذول في ضد ما أه ... وى كأني أهمت رأيي وعقلي
عللاني بما فقد أقبل الي ... ل كلون الصدود من بعد وصل
وانجلي الغيم بعدما أضحك الرو ... ض بكاء السحاب فيه بوبل
عن هلال كصولجان نزار ... في سماء كأنها جام ذبل
أحسن في هذا التشبيه ما شاء! وقوله:

إذا هب سلطان المريسي نافحاً ... سحيراً وحل كل نقاب
ومد على الأفق الغمام ثيابه ... فقم فالقه في علة وحراب
بكن وكانون وكأس مدامة ... وكيس وكس وافر وكباب
وقوله:

ورد الحدود أرق من ... ورد الرياض وأنعم
هذا تنشق الأنو ... ف وذا يقبله الفم
فإذا علت فأفضل الورددين ورد يلثم
هذا يشم ولا يضم ... وذا يضم ويشمم
وأنشد المصيبي له:

وجنة من شفني هواه ومن ... أفنيت فيه دموع آماقي
كأنما الصير في دنر ما ... يحمر منها ودرهم الباقي
وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي من قصيدة خمسة أولها:
دم العشاق مطلول ... ودين الحب ممطول

وسيف اللحظ مسلول ... ومبدا الحب معزول
وإن لم يضع للآثم

إذا لم يظهر الحب ... ولم ينهتك الصب
ويقشي سره القلب ... فجملة ما ادعى كذب
فبح يا أيها الكاتم

وأحور ساهر الطرف ... يفوق جوامع الوصف
مليح الدل والظرف ... جنت ألاحظه حنفي
فمن يعدي على الظالم

أطاع جفونه السحر ... وذل لوجهه البدر
ما دبر دفة الخصر ... وأشبه ثغره الدر
فقلب محبه هائم؟

يعنفني على حيي ... ويهجرني بلا ذنب
كأني لست بالصب ... لقهوة ريقه العذب
أما في الحب من راحم؟

غزال لحظه شرکه ... وبدر ثوبه فلكه
لو أتي كنت أمتلكه ... فأتهب ما حوت تككه
نهاب الظافر الغائم

خذوا بدمي قنا القد ... وحسن توردد الحد
وليل الشعر الجعد ... وثقل الكفل النهدي
وسقين الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل ... وينفي الجور بالعدل
محب دائم البخل ... سلب الصبر والعقل
كئيب مدنف هائم

بحسن الأعين النجل ... وعض الوقف والحجل
وذاك القصب الجدل ... وريق كجنا النحل
وثغر يطمع الشائم

سلوا الشمس التي طلعت ... علينا ثم ما أفلت
عسى ترثي لمن قتلت ... بعينها وما عملت
فقد يستعطف العالم

أما والخرد الصفر ... شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الخمر ... لقد أضر من في صدري

غراماً ليس بالنائم
وراح تبعث الطربا ... وتحى الظرف والأدبا
يشير مزاجها حيبا ... تحال به عيون دبا
ودراً صفه الناظم
أما والجمرة الكبرى ... وزمزم والصفاء ومنى
ومن لبي بها ودعا ... وطاف البيت ثم سعى
خميصاً محتباً صائم
لقد أضحى لنا خلفا ... نزار وابتنى شرفا
وأصبح خامس الخلفا ... وأحيا سعيه السلفا
وأضحى بالهدى قائم
نمى في المجد عنصره ... وطال النجم مفخره
وفاق البدر منظره ... فصرف الدهر يحذره
أبي لين صارم
وقوله في الراي

كأن الراي حين أتى طرياً ... بأذنان كمجمرة العقيق
ياسقيات بلور لطاف ... بأسفلها بقايا من رحيق
؟؟

محمد بن أبي مروان

بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من شعره
وما كان من عطف على حديثها ... ولكن لتعذيب الفؤاد المعذب
حديث لو استسقت به الصخر جادها ... بأعذب من صوب الغمام وأطيب
وقوله:

راجعت شوقه فحنا ... وشفه شجوه فأنا
وسال من دمه مصون ... أظهر ما كان مستكنا
فعاد فيه الهوى يقيناً ... وكان عند الرقيب ظناً
لو كان يلقي الذي تلاقي ... أوسع رحمة ومنا
وقوله:

بين أجفائها وبين ضلوعي ... نازعتني الحياة أيدي المنون
لست أدري أعن مدى طرفها الفا ... تن موتي أم طر في المفتون
وقوله:

قد رضيت الهوى لنفسي خلا ... ورأيت الممات في الحب سهلا
وتذلللت للحبيب وعزال ... صب في سنة الهوى أن يذلا
بأي من أحل قلبي عمداً ... وهنيئاً لسيدي ما استحلا
سوف أجزى الحبيب بالصدود وداً ... مستجداً وبالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد تيهها وعجباً ... زدت نفسي له خضوعاً وذلاً
وقوله:

غير مستنكر همول دموعي ... في التصابي وغير بدع خشوعي
ليس عزري إلا فناء عزائي ... وسنائي إلا بقاء خضوعي
وبحسبي أي الأقي عذولي ... باصطبار عاصٍ ودمع مطيع
وقوله:

أعد نظراً واستوقف الطرف منعماً ... تجد كلفاً صبا بجبك مغرماً
سري الحب في أخلاقه فأرقها ... وعلمه أحكامه فتعلما
ولست تراه سائلاً منك عطفة ... حذاراً من التقبيل إلا توهما
فإن جدت لاقته الحياة كريمة ... وإن لم تجد لاقى الحمام مقدها
وقوله:

لئن وعدتني وصلها وعد عاتب ... يجاحديني وعدي وينكرني حقي
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافق ... وأبلغه ما جاء بالرعد والبرق
فإن ما نعني فضل إنجاز موعد ... فإن الحيا الممنوع أشهى إلى الخلق
فلا كان لي في الأرض رزق ... إذا لم يكن في نيل مواعدها رزقي
وقوله:

يا ربيعي ما كان ضرك لوجد ... ت علينا كما يجود الربيع
ورده ذاهب ووردك باق ... وهو سهل به وأنت ممنوع
كن شفيعي إليك ياجنة الخل ... د فمالي غير الخضوع شفيع
وقوله:

كم تصاب أردفته بتصاب ... واصطباح وصلته باغباق
وكؤوس عاطيتها بدر تم ... جل أن يعتريه نقص الخاق
وغصون جنيت منها ثماراً ... لم يشنها تساقط الأوراق
زمن بكيته حسب وجدي ... كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله:

ومختطفٍ للعين بت أشيمه ... مجالسةً والليل حيران مطرق
سرى يخطط الظلماء حتى كأنه ... بوجدي يسرى أو بقلبي يخفق

وقوله:

تبدت بأكناف الحجاز ديارها ... فأوقد نار الوجد في القلب نارها
كأن بأنفاسي استمد ضرامها ... وعن كبدي الحرى تلظي استعارها
يحن إليها القلب حتى كأنما ... إليه تناهيها ومنه انتشارها

وقوله:

ولما حمى الشوق المبرح ناظري ... كراه حذاراً أن يريني مثاله
شربت عقاراً أذكرتني بريقه ... وأهدت كرىً أهدى إلي خياله
فهل هي إلا نعمةً مسترقةً ... أنالت يدي ما لم أؤمل نواله

حبيب بن أحمد الأندلسي

قال:

ودعني بفرقة واعتناق ... ثم نادى متى يكون التلاقي؟
وتصدت فأشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقمٍ ... بين عينيك مصرع العشاق

إن يوم الفراق أقطع يومٍ ... ليتني مت قبل يوم الفراق
وله:

هيج الين دواعي سقمي ... وكسا جسمي ثوب الألم
أيها الين أقلني مرةً ... فإذا عدت فقد حل دمي
يا خلي الروع نم في غبطةٍ ... إن من فارقتك لم ينم
ولقد هاج لقلبي سقماً ... حب من لو شاء داوى سقمي
وقوله:

وجنةٍ كالربيع جاد عليها ... من حياءٍ لا من حياءٍ وسمي
ووجوهٍ فلبتها كالدنانى ... ر ومثلي لمثلها صير في
تنهادى الرياح منها نسيماً ... شاهه عنبرٌ ومسكٌ ذكي
وقوله:

ألا بأبي من قلبه غير مشفقٍ ... ولي قلبٌ عليه شفيق
وإني لأبدي للوشاة تبسماً ... وإنسان عيني في الدموع غريق

وكم شافهتني للصبا أريحيةً ... ومازج ريقِي للأحبة ريق
///الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور أنشدت له:
أسقمت قلبي فكن أنت الدواء له ... ولا تدعه بأيدي الشوق مخترماً
عيناى أورتناه سقمه نظراً ... رضيت دمعى من عيني منتقماً
وقوله:

أحاطه منهوكة النظر ... ضعفت نواظرها من الخفر
وحديثه أشهى لسامعه ... من نغمة الشادي على الوتر
ورضابه أشهى على كبدي ... من ري عذب بارد خصر
وكان قلبي حين يفقده ... ما بين ذي ناب وذي ظفر
وقوله:

يا أحسن الناس في عيني مبتسماً ... وأعذب الخلق عندي منطقاً وفماً
حلت بقلبي من عينيكَ نازلة ... من الهوى صيرتني في الورى علماً
لم تبق جارحة مني أقلبها ... إلا بعثت عليها بالهوى سقماً
فارحم مقام محب ما شكاً وبكى ... تبرماً بالذي يلقي ولا ندماً
وقوله:

أملح ما تنظر عيناك ... شكاً شكاً الحب إلى شاكي
يقصر من ذكرك ليلي على ... أني فيه ساهر باكي
ولي فؤاد يستجير من الش ... وق إلى برد ثناياك
سيدتي لو كنت أبصرت ما ... يصنع بي حبك أبكاً
وقوله:

أنار لي وجهه ليلاً فحلت به ... بدرأً تماماً على الآفاق يطلع
ومر يمشي دقيق الخصر يجذبه ... ردف، فقلت: أدركوه قبل أن ينقطع
وقوله:

أجلك أن تحل بك الأمانى ... فكيف بأن أراك وأن تراني
وأكره أن يمثلك التمني ... حذار أن يوح به لساني
ولو أني ستطعت لفرط شجوي ... عليك لما رآك الحافظان
وما أشكو إليك بغير دمعى ... بيان الدمع أعرب من بياني
وقوله:

اليوم منقبض والدمع منبسط ... وحب من شقني بالروح مختلط
حملت قلبي أن يسلو تذكره ... فقال: إن الذي حملني شطط
تسومني الصبر عن روحي وتمعني ... عن ذكره، إن ذا من رأيك الغلط

وقوله:

ترى العشاق لاقوا ما ألقى ... فقد بلغت بي النفس التراقي؟
خصصت من الهوى بأمرٍ شيءٍ ... وكنت أرى الهوى عذبَ المذاق
أنا العبد الذي لا عتق يرجو ... ولا يجد السبيل إلى الإباق

وقوله:

وما سري أن الهوى غير صاحبي ... وأنَّ خراج العشيمين في ملكي
ولا كنت أرضى أن أرى متخلياً ... من الحبِّ لو أعطى به خاتم الملك
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى ... على أنف العشاق من نفحة المسك

وقوله:

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى ... فإنَّ خلاف الصبر عندي أحمد
إذا كان قلب المرء لا يَألم النوى ... ويشكو لظى نيرانها فهو جلمد

وقوله:

أحوى النواظر ألعس ال ... شفتين عذب الريق آلى
محضراً شاربه علا ... درّاً يريك الدرّ نظماً
لو زارني طيفٌ له ... عند المجوع ولو أماً

لأعاد روحاً أو لفرّ ... ج من هموم النفس هما

أحمد بن عبد ربه الأندلسي

رحمه الله تعالى

أنشدت له:

بكرت عليّ عواذلي تلحيني ... وعلى الذي لم يعد بي أعديني
إيهماً عليك فقد كبرت عن الصبا ... ونهى المشيب عن الذي تنهيني
أنّى وكيف وقد رأين تغيري ... عن عهدهنّ إذا العيون رأيني
وعلى مفارقة الشباب شمتنّ بي ... وعلى معاداة الصبا عاديني
أدنيني حتى إذا التهب الجوى ... أقصيني أضعاف ما أدنيني
وفتّني بلوا حظ تشكو الضنى ... دائب هنّ وربما داويني
يذكين في قلبي وبين جوانحي ... حرقاً بنار جحيمها أصليني
ومنها أيضاً:

يا ابن الخلائف، إن أيام الغنى ... أيلمك الغرُّ التي أغنيني

بنواها وسجلها وثماها ... أسقيني حتى لقد أرويني
وقوله:

وصحائح مرضى العيون شحائح ... ييض الوجوه نواعم الأبخار
أضنيني بلواحق تشكو الضنى ... وكسونني ما هنّ منه عواري
بجوى حوته مهجتي عن مقلتي ... والجار قد يشقى بذنب الجار
وله في العذار:

يا ذا الذي خط الجمال بخده ... خطين هاجا لوعةً وبلا بلا
ما صح عندي أنّ لحظك صارمٌ ... حتى لبست بعارضيك حمائلا
وفي مثله:

ومعذر قش الجمال بمسكه ... خدّاً له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه ... من نرجس جعل التجاد بنفسجا
وقوله:

بذمام الهوى أمتٌ إليه ... وبحكم العقار أقضى عليه
بأبي من زها عليّ بوجهٍ ... كاد يدمي لما نظرت إليه
كلّما علّني من الراح صرفا ... علني بالرضاب من شفتيه
ناول الكأس واستمال بلحظ ... فسقتني عيناه قبل يديه
وقوله:

أيّها البدر الذي ض ... نّ علينا بالطلوع
ابغ لي عنك قلباً ... طار من بين ضلوعي
يا بديع الحسن كم لي ... فيك من وجدٍ بديع
وقوله:

وساحبة فضل الذبول كأنّها ... قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي: ... أطعني وخذ من وصلها بنصيب
وقوله:

ينيبك أنك لم تجد وجدي ... ما خدّت العبرات من خديّ
نام الخليّ عن الشجيّ به ... وجفا الملول ولبّج في الصدّ
كنت الشفاء فصرت لي سقماً ... أبداً تتوق إلى هوىّ مردي
وقوله:

سقوني حمامي يوم ساقوا حمولهم ... فرحت وراحوا بين ساقٍ وسائقٍ
وأخرس لفظي وهو ليس بأخرس ... وأنطق دمعِي وهو ليس بناطقٍ
فيا بأبي تلك الدموع التي همت ... فدلّت على مكنون تلك العلائق

وقوله:

أزف الرحيل فودّعني مقلّة ... أوحى إليّ جفونها بسلام
وتطلعت بين الحدوج كأنها ... شمس تطلّع في خلال غمام
وشكت تباريح الصباية والهوى ... بمدامع نطقت بغير كلام
كمهاة رمل قد تربعت الحمى ... بين الطباء العفر والآرام
حتى إذا ضرب المصيف رواقه ... صافت بظلّ أراكّة وبشام
وقوله:

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها، ولا اللذات إلا مصائب
فكم سخت بالأمس عينٌ قريرة ... وقرت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب
وقوله:

صحا القلب إلا نظرة تبعث الأسى ... لها زفرة موصولة بحنين
بلى ربّما حلّت عرى عزماته ... سوائف آرام وأعين عين
لواقط حبات القلوب إذا رنت ... بسحر عيون وانكسار جفون
وربط من الموشىّ أينع تحته ... ثمار صدورٍ لا ثمار غصون

برود كأنوار الربيع لبسناها ... ثياب خضاب لا ثياب مجون
قرين نجوم ديم عن نور أوجه ... تجنّ بها الألباب أيّ جنون
وجوه جرى فيها النعيم فكلّلت ... بورد حدود يجتني بعيون
سألّس للأحزان ثوب تصبّر ... وإن لم يكن عند اللّقا بحصين
وكيف ولى قلب إذا هبت الصبا ... أهاب بشوق في الفؤاد كمين
وقوله:

ونائح في غصون السلر أرقني ... وما عنيت بشيء ظلّ يعنيه
مطوق بعقود ما ترايله ... حتى ترايله إحدى تراقيه
قد بات يبكي لشجو ما دريت به ... وبّت أبكي لشجو ليس يدرية
وقوله:

وقضيب يمس فوق كثيب ... طيّب المجنى لذيد العناق
قد تغنى كما استهل يغني ... ساق حر مغرد فوق ساق
ينثر الدر في المسامع نثراً ... بين درّ منظم مستاق
وافترضنا من العواتق بكرا ... نكحت أمها بغير صداق

ثم بانث ولم تطلق ثلاثاً ... لم تبين حرة بغير طلاق
ديننا في السماء دين مدي ... في شربنا الشراب عراقي
وقوله:

سرى طيف الحبيب على البعاد ... ليصلح بين عيني والرقاد
فبات إلى الصباح يدي وساد ... لوجنته كما يده وسادي
بنفسي من أعاد إلي نفسي ... ورداً إلى جوانحه فؤادي
خيال زارني لما رأي ... عدتني عن زيارته عوادي
يواصلني على المهجران منه ... ويديني على طول البعاد
وقوله:

وريان من ماء الشباب تماثفت ... به نشوات من صبا ودلال
كما اهتز بان من أكاليل روضة ... تلاعبه ربحا صبا وشمال
تعلم منه الهجر طيف خياله ... هدوا فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى ... ويمنع ذكره الخطور ببالي
وقوله:

بأبي غزال صد بعد وصاله ... وزها علي بحسنه وجهاله
سلب الكرى عيني وألبسها الكرى ... وحى خيالي من لقاء خياله
وقوله:

مستوحشاً من جميع الناس كلهم ... كأنما الناس أقداء على بصري
وقوله:

أما والذي سوى السماء مكانها ... ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام في الأوهام من غير رؤية ... بأثبت من إدراك كل عيان
لما خلقت كفاك إلا لأربع ... عقائل لم يخلق هن يدان
لتقبيل أفواه، وإعطاء نائل ... وتقليب هندي، وحبس عنان

عبد الملك بن سعيد المرادي

أنشدت له:

قد بلوت الحب مختبراً ... فأنا المسئول عن خبره
هو عذب عز مورده ... غير أن الموت في صدره
نظري أذكي جوى كبدي ... وهلاك الصب في نظره
وقوله:

قمر يسبي ذوي العقول أنيقاً ... ورشاً بتقطيع القلوب رقيقاً

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... درّاً يصير من الحياء عقيقاً
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه ... أبصرت وجهك في سناه غريقاً
وقوله:

برح الخفاء فأعتني أو عاتني ... فهوأك سدّ عليّ رجب مذاهبي
لو كنت أعلم لي سوى فرط الهوى ... ذنباً إليك لكنت ألو تائب
يا ظالماً لا يستفيد بظلمه ... متعتباً في الحبّ غير معاتب
هلاً عطفت عليّ عطفة راحمٍ ... لما ذلت إليك ذلة راغب

الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى

بن إدريس

أنشدت له:

أسحراً سقت عيني جفونك أم خمرًا ... فقد رحت ملآن الجفون به سكرا
وشعراً أراني صبح وجهك أم دجا ... ووجهاً جلا إظلام شعرك أم فجرا
وجسمٌ تشّى بين ثوبيك ناعمٌ ... أم الغصنُ اللدن اكتسى ورقاً خضرا
وقوله:

رب خمر شربتها من جفون ... ورياض جنيتها من حدود
إذا يشج اللثام ريقاً بريق ... ويلفّ العناق جيداً بجيد
تحت ظل من النعيم ظليل ... وبقيء من السرور مديد
وقوله:

إنّ بين الضلوع نيران شوق ... وغليلاً يذوب منه الغليل
وحيناً إليه في طول ليل ... ما إلى الصبح من دجاء وصول
غاب صبري الجميل إذ غاب فيه ... وجهه عني المليح الجميل
وقوله:

إنّ بين الضلوع شوقاً دفيناً ... ترك القلب والهأ مستكيناً
يا غزلاً يصبي القلوب هواه ... وهاللاً يعيش سناه العيونا
أنت علمتني الصباة والبخ ... ل فصرت البخيل فيك الضنينا
وقوله:

لأنزعت وإن لم أقض من وطري ... إلا لبانة أشواق ومدكر
أكفّ كفي وأثني من تقلبه ... قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له:

هو ظالمي لكن أرقّ عليه ... من أن أجيل اللحظ في خديّه
أعفيت رقة وجنتيه من أذى ... عيني وما أعفيت من عينيه
وكأن در الحد يكسي حمرة ال ... ياقوت من نظر العيون إليه
وقوله:

أتضرب بين عيني واغتماضي ... بواش من لواحظك المراض
وتخلفني بوعد قد تقصّي ... مدى عمري وليس له تقاضي
ولم أسألك إلا النزر، أتّي ... بذاك النزر مغتبط وراض
أبحّ تفاحتيك للحظ عيني ... وأعطيك الأمان من العضاض

عبد الله بن إسماعيل بن بدر

قال:

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ... ما يجلبان إلى قلبي من الفكر
قد كنت أسمع عمن لست أذكره ... خوفاً عليه من التصريح بالذكر
سمعت حتى إذا أبصرت قلت له ... يا حلش لله ما هذا من البشر

سعيد بن محمد بن فرج

أنشديني له:

سمعي فلا كان أعمى بالبكاء بصري ... وقاد قلبي إلى الأحزان والفكر
فإن بكت مقلة من فقد من عرفت ... فقد بكيت بمن لم أدر بالنظر
يا واصفيه رويداً إن وصفكم ... لم يبق من جلدي شيئاً ولم ينر
قالوا بدا فغلطنا بالسرار له ... لما تبلجّ منه الليل بالقمر
وقوله:

سقم الأحبة للقلوب سقام ... وإذا القلوب سقمن فهو حمام
لله بلرّ قد تقصّ نوره ... بالسقم، وهو بما سواه تمام
وقوله:

بكيت ومثلي بكى للوداع ... وعاصي العزاء بشوق مطاع
ولم أحمد الصبر يوم النوى ... ولا كان من قبله في طباعي
ولو كنت لم أبك من بينهم ... بكيت على عهد حبّ مضاع

وأنشدني لبعضهم شعراً
كلامك مثل ريقك، ذا بهذا ... مزاج سلافة حلو بعذب
فلو أني إذا أسمعت هذا ... شربت بذاك ضاع عليّ ليّ
فإن أبصرتني منه صريعاً ... فغالط في هواي وشاة صحي
وقل هو نشوة من خمر حبّ ... فإن الدنّ قد يدعى بحبّ

يحيى بن عبد الملك بن هذيل

رحمه الله تعالى

أنشدني له:
لا تلم هائماً قد استحسن الوج ... د وكل أمره إلى استحسانه
فأنا الطائع المشوق لمن صا ... ر يريني الهوان في عصيانه
مرّ بي خاطراً يكاد من العج ... ب به إن يراع في ريعانه
في ملاء كأنه وهو فيها ... ورد خديه في جنى سوسانه
يشتكي بالفتور من كسل المش ... ي ولا يشتكيه من أجفانه
ولقد شفني وأسهر طرفي ... لمع برق يزف في لمعانه
شتمه والظلام يفتّر عنه ... كافتار الزنجي عن أسنانه
وقوله:

ألا عودة من طيفه فيرى حالي ... ألا يا أدكاري للكرى لي أتى تالي
يكاد يضيق الجو من عظم زفرتي ... وتقفو نجوم الليل من فرط إعوالي
أبي غير تعذبي ولو أمر الردى ... أطاع ولكن فعله هو أنكى لي
وقوله:

والشريا دنت من البدر حتى ... خلقتها دارعاً يدير مجنّاً
وقوله:

ومزنة والبرق ينسج فوقها ... بردين من نوء وطلّ باكي
مالت على طيّ الجناح وإثما ... جعلت أريكتها قضيب أراك
وقوله في الخضاب

لما رأت شعري تغير لونه ... ورأته محتجباً وراء حجاب
قالت: خضبت، فقلت: شبيي إنما ... لبس الحداد على ذهاب شبابي

قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشديني له:

استحيت الأغصان من قده ... و حار ماء الحسن في خده
أني لمشتاق إلى ريقه ... طوبى لمن يرشف من برده

محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشديني له:

يا سقيم الجفون من غير سقم ... حاش لله أن تبوء ياثمي
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي ... وجعلت السقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قا ... م خطيباً من سحر عينيك خصمي

عبد الله بن حارث

قال:

عزائم وجد ما يحل لها عقد ... وجرية دمع ليس يبقى لها خد
ومقلة ممنوع الرقاد كأنما ... جرى بين عينيه وبين الكرى حقد
وبادية الإعراض لا عن ملالة ... ولكن إعراضاً يولده الود
منعمة تزهو بخد مورد ... كأن شعاع الشمس من خدها يبدو
وقد وثقت مني بعزم صباة ... لها دون عقد الصبر من مهجتي عقد
وما الصّد إلا كالوصال إذا غدا ... لغير ملال أو قلى ذلك الصد

عباس بن قرماس

أنشديني له:

وأحور ما يعفى العيون من العشق ... له كذب في الجد أحلى من الصدق
وللحسن في خديّه شمس مقيمة ... ويدر كمال لا يحور إلى محق
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى ... بأحور ما يبقى هواه ولا يبقى

أحمد بن محمد بن فرج

قال:

بنفسي من يصد بغير ذنب ... سوى إدلاله ثقةً بحَيّ
عجبت لقلبه قاس كجسمي ... ويحكي جسمه في اللين قلبي
فهلاً بالتشاكل كان قاس ... لقاس، واعتدى رطباً لرطب

وإن لم يعطف بالدين فظ ... قهولي بالقساوة قلب صبّ
وقوله:

يأُيَّهما أنا في الحب بادي ... بشكر الطّيف أم شكر الرقاد
سرى وأرادني أُملي ولكن ... عفت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حرج ولكن ... جريت من العفاف على اعتقادي
وقوله:

وما زال الهوى سكناً لقلبي ... أفرُّ إليه من نوب الخطوب
وألثد الغرام الخض منه ... وأستحلي به حتى كروبي
كذاك الحب ضيف ليس يأتي ... إلى غير الكرام من القلوب
وقوله:

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها ... فترك شمل العزم وهو مبّد
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه ... من الأين يمشي ظالع ومقيد

أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال:

حبذا العيش بين يوم وصال ... مستجد وبين يوم صدود
وحديثٌ موشح بعتاب ... فيهما نزهة الفؤاد العميد
من غزال في مقلتيه سهام ... هنّ أمضى من مرهفات الحديد
وقوله:

وكم ليلة قد نادمتني نجومها ... أدبُ صبوحةً عندها وغبوقا
يعاطيني كأساً ألد من المنى ... وأعذب من ريق الأحبة ريق
وأنشدني لبعض شعرائهم:
أيا شمس دنياي التي كلما غدت ... لها عزة المولى فلي ذلّة العبد
أعالج داء الدهر منك بذلتي ... وقد قيل قدماً: عاجلوا الضد بالصدّ

زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

صبراً على هجر الحبيب وصدّه ... لا يؤسّتك هجره من ودّه
لا تقنطن من الصدود فإنّما ... لين الزمان معرّض بأشده
وأنا الفداء لشادنٍ علّفته ... حيّبه صبرني تحلّة عبده

وقوله:

قف بالمطّي على المنازل ... بالسفح من حصن فعائل

دمن أناخ بها الربى ... ع وحل أثقال الرواحل
لعبت بها هوج البوا ... رح بالغدو وبالأصائل
تستقن في عرصاتها ... وتجر أذيال القسائل
حتى كأن رسومها ... إخلاق أجفان المناصل
أو أسطر من عهد ذي ال ... قرنين في الصحف الأوائل

فاتك الشهاجي

رسالة من كلف الفؤاد ... معذب بالصد والبعد
أجفانه وقف على السهاد ... يكي بدمع رائح وغادي
إلى الذي مما لقيت خالي ... منعم العيش رخي البال
يريد هجري ويرى مطالي ... لئن سلاني لست عنه سالي
يا غصن بان مخجل الأغصان ... ويا رخيّم اللّ والمعاني
يا قمرأ ما أن له مدانيي ... يا ذا الذي بطرفه سباني
بلغت أعداي الذي أحبوا ... صرت عليّ والزمان ألب
هذا جزا من بصيّ يصبو ... عثرت والطرف الجواد يكيو
يا عبد ما تعرف ما ألاقي ... يا عبد ما شوقك كاشتياقي
نفس بحق الود عن خناقي ... ما شدد المهجران من وثاقي
يا ذا الذي يملكني بطرفه ... يا من يجل الوصف عند وصفه
يا قاتلي بوعده وخلفه ... ارحم محباً قد دنا من حتفه
ارحم عزيزاً في هواك ذلاً ... ألبسته ثوباً ثم تملّى
قطعه العذال فيك عدلاً ... يا بدر تم في السما تجلّى
إرث لقلب دائم الجراح ... ارع انتهاكي فيك وافتضاحي
لا تقبلن فيّ قول لاهي ... يا ذا الذي بكفه سراح
فقد عفا الرحمن عما قد سلف ... فعّد عن زور التصابي والصلف
واحن على الصب بوصلٍ وانعطف ... إن لم ينله منك إحسان تلف
بحق ما في فيك من رضاب ... يا من غدته نعمة الشباب
لا تقطعن الدهر في عتاب ... فقد تقضي زمن التصابي
بحق من أنزل صحفاً وكتب ... يجعل إلى القلب طريقاً وسبب

يا لعبة وافت على كل اللعب ... قد مسني بعدك بؤس ونصب
لم يرض بالدلة غير نذل ... ولست أرضى بقييح الفعل
إني أرى من دون هذا قتلي ... فاقطع وصالي أو فجد بالفضل
وهي طويلة جداً

أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له:

غزال جنبينا الورد من وجناته ... على أنه منّا القلوب بما يجني
إذا ما بدا والليل منسدل الدجا ... رأيت سناه كيف يفعل بالدجن
أخبره بالطرف أي أحبه ... فتخبرني عيناه أن قد وعى مني
وقوله:

كيف ترى شوقي وتعذبي ... يا غاية في الحسن والطيب
إن الذي قال علي العدى ... إفك كما قيل على الذيب
يا يوسف الحسن أما رحمة ... تكشف عني ضرّ أيوب

مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له:

قل لمن لست أسمى ... بأبي أنت وأمي؟
ما على بعض ظباء ال ... إنس لو فرّج همي؟
سيدي، وجهك شمس ... أشرق أم بدر تم؟
وقوله:

أودي الفراق بقلبه فكأته ... بعد الطعائن ميت لم يلحد
يا طاعناً ولّي بقلبي إذ غدا ... ما الصبر من جزعي عليك بأحمد
أفنيك فيك دموع عيني بعد ما ... أفنيك فيك تصبري وتجلدي
الله يعلم أن نار صابتي ... من يوم بنت جحيمها لم يبرد
وقوله:

ذكر الرصافة قلبه فاشتاقا ... وأذاع ماء جفونه مهراقا
كم بالرصافة من أخ لي مسعد ... لولا النوى ما جئتهم مشتاقا
يا حبذا أرض الرصافة منزلاً ... لقي الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقي إلى بلد به ... أهلي فحكم البين أن أشتاقا

وقوله:

إنما أزرى بقدرى أنني ... لست من بابة أهل البلد

ليس منهم غير ذي مقلية ... لذوي الأبواب أو ذي حسد

يتحامون لقائي مثلما ... يتحامون لقاء الأسد

طلعتي أثقل في أعينهم ... وعلى أنفسهم من أحد

لو رأوني قعر بحر لم يكن ... أحد يأخذ منهم بيدي

الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال:

قتلت عينك عبدك ... قبل أن تقضيه وعدك

حلت عن عهد محب ... لم يزل يحفظ عهدك

عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسي

قال:

كيف صبري وأملح الثقلين ... مخلف موعدي ولا وديني

كلما رمت وصلها وصلتي ... بصدود وذنتي بين

هي وسنى الجفون لكن بنوم ... مذ أرتنيه أذهبت نوم عيني

الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد

بن أبي عبيدة

أنشدت له:

أمولاي حتى متى أضرع ... وأشكو إليك فما تسمع

نبا بي الوساد وطول البعاد ... وطار الرقاد فما أهجع

أود بأن المنايا أتت ... وأين يرى اللحد لي مضجع

يقطع قلبي صدودك عني ... فما لي في عيشة مطعم

وقوله:

صدود ليس يبلغه عقاب ... وعتب ليس يشنيه عتاب

وإبعاد بلا ذنب طويل ... وقوله: إعراض وصد واجتناب

فلا سهر يطيب ولا رقاد ... ولا أكل يسوغ ولا شراب

محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له:

يقولون كم تدعو إلى غير راحم ... وما كل من يشكو إلى الناس يرحم
وددت بأن يرضى فإن جاد بالرضا ... تفكر في ذنب احب فيندم
وقوله:

كان في كثرة العتاب دليل ... لي على أن من هويت ملول
من نوى جفوة تقول في الح ... ب على من يحبه ما يقول
فاقطعي الوصل أو صلي فبقائي ... مع طول العتاب منك قليل
واسلكي بي سبيل عروة إن لم ... يتجه لي إلى رضاك سبيل
وقوله:

ولم أدر إذ زموا الهواج بالضحى ... أطرفي أعمى أم فاري مظلم؟
فيا جفن عيني كيف تطمع في الهوى ... بنوم ونوم العاشقين محرم؟

علي بن حنфан بن أخت النظام

أنشدت له:

وذكرت ما يلقي المحب مخلفاً ... بعد الأحبة من جوى وسهاد
بالله لا تنس الوداد فإنني ... باق على عهدي ومحض ودادي

محمد بن عبيدس الجنائي رحمه الله

أنشدت له:

إليك أمد بشجوي يداً ... فقد بلغ الحب مني المدى
فريد المحاسن أنت الذي ... قد أثبتني في الأسى مفردا
ترفق فلو كت بعض العدى ... وفعلك فعلك ما بي عدا
أرحني فقد بت مما لقيت ... وأرح ما أرتجيه الردى

أحمد بن أبي صفوان

بن العباس ابن عبد الله بن عمر بن مروان

قال:

فلو تراني نشواناً أميل على ... هذا وذاك بلا خوف الرقيين

والكأس يسعى ونقر العود يحفرها ... ونقل كأسى من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرئي وأبهجه ... ليث العرين صريعاً بين ريمين

أغلب بن شعيب

أنشدت له:

رب ليل أحييت فيه سنا الصب ... ح بوجه يعيشي الوجوه سنه
بات والراح في غلاظها الي ... ض تعاطيكها به راحتاه
فأعار الكؤوس توريد خدي ... ه وطيب النسيم من رياه
وكان المدام قد علمتها ... كيف تسبي ألبابنا مقلناه
وقوله:

قد توقعت حادث الين إشفأ ... قاً عليه من قبل حين وقوعه
فرأيت الفراق دل على أن ... فراق الحياة في توديعه
وقوله:

من مجر المشوق من أشواقه ... ويكف اللموع من آماقه
بان عني من غادر القلب مني ... فرقاً من تأسفي لفراقه
وأنشدني لبعض أدبائهم:
وليلة أنس كاد يسبقها الفجر ... وتسفر في عيني بما الظلم الكدر

لقتك منها بالأمانى ذاكرأ ... فيا طيب ليلي من لقاء هو الذكر
أقمته في نفسي لنفسي تذكرأ ... ففرت بوصل ما يغالبه الهجر
ألست نظير البدر حسناً وبهجة ... فما لك لا تسري كما يفعل البدر؟

محمد بن سليمان الفاني الأكبر

قال:

أمثل شوقي إليك ينفرج ... وهو بروحي والجسم ممتزج؟
أين لقلبي من الهوى وزر ... ولوعة الشوق فيه تعتلج؟
وأبائي من يذيب نفسي بالت ... كربه منه الدلال والغنج
علم طرفي السهاد من طرفه الس ... احذر ذاك الفتور والدعج

حسن بن محمد بن ربيع الفاني

قال:

لولا جفونك ما استولى بي الكمد ... ولا تحكم في أجفاني السهد
المجر يدكي جوى قوم فيا عجباً ... للوصل يدكي جوى قوم فيتقد
كأنه ليس يبقى في جوانحه ... إلا ليشقى بما يلقي وما يجد
هذا مقام فؤادي في تشوقه ... فلا تسل بعد ذا إن كان لي كبد

عبد الله بن بكر

رحمه الله تعالى

أنشدت له:

حسدت نفسي الطيب وقالت ... ليت كفي مكان كف الطيب
عجباً كيف ساعدته يداه ... فصد ذاك المطرف المخضوب
ليت وجه الحبيب كان من الدن ... يا ومن جنة الخلود نصبي
وقوله:

لما رأيت شعاع وجهك قد بدا ... متهللاً كتهلل البرق
سبحت من عجب وقلت: متى ... للشمس مطلع سوى الشرق؟
ما كنت أحسب مثل صورتها ... متكوناً أبداً من الخلق
وأنشدني للكلي:

بنفسي من هواك هيب شوق ... وما يخبو كما يخبو اللهب
هو الداء الذي لم يشف منه ... لقاء يلتقيه ولا مغيب
وتروي بالعناق قلوب قوم ... وتظماً لو تعانقت القلوب
على أي إذا ما غبت عني ... وإن أصبحت في أهلي غريب
قال: وعتب الحكم ولي العهد على الكلي في بعض الأمر فأقصاه أبعده، فكذب إليه كتاباً متنصلاً، وجعل
عنوانه عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه ياء نسبته، فاستظرف الحكم كتابه، وضحك منه، ودعاه فأعقبه،
ووصله.

محمد بن حفص بن فرح

قال:

يا من غدت نفسه نفسي فإن سلمت ... سلمت أنشد أو ألت له: ألت قاسمتها الأما
ما إن علمت الذي تشكوه من سقم ... حتى وجدت بنفسي ذلك السقما
وله:

في المنى راحة لكل عميد ... شفه الحب بالنوى والصدود
إن تنأى الحبيب أدنته منه ... فغدا في العباد غير بعيد
أو جفاه فإنه لمناه ... واصل حبله برغم الحسود

عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي

قال:

شكا السقم من أهوى وجد به الصبا ... ولا مثل ما جد الصبا بي في الحب
وما عدته إلا وسقمي واحد ... وأبت ولي سقمان بالحب والكره
وقوله:

ما لهذا الصدود من غير معنى ... يا حبيبي، إلى متى تتجنى؟
أنت غصن فكيف تقسو لجان ... مد كفاً وأنت تهمتر لدنا
إن تكن قد مللت قربي تباعد ... ت قليلاً لعلني سوف أدنى
أيها الباخل الممانع جد لي ... من حياقي ببعض ما أتمنى
أو أرحني بالموت فالموت عندي ... هو خير من أن أعيش مُعنى
وقوله:

رحلت وقلبي عنك ليس براحل ... وزلت وصبري عنك أول زائل
وجدت بنا العيس العتاق وإنما ... رحيلي من الدنيا بتلك الرواحل
ومن عجب أختار فيك منيتي ... وما في الدنيا من خيار لعائل
وقوله:

نظرت إلى عقيدات الكثيب ... بعيني مشوق إليها كتيب
وكم نظرة ملأت ناظري ... إليها دما مستهل الغروب
رعى الله أهل كثيب اللوى ... كرعيك منهم عهد الحبيب
وشقق فيهم جيوب السماء ... كما شقق الين رتق الجيوب
وقوله:

أرى نار ليلي بالعقيق تلوح ... فندنو النوى بالشوق وهي تروح
نظرت إليها وهي تسبح في الدجى ... وإنسان عيني في الدموع سبوح
فسلني بوجد لو تقسم في الورى ... لما بات بين الخافقين صحيح
فيا لك ناراً تصطليها جوانحي ... ودون الصلا منها مهامه فيح

محمد بن أحمد بن قادم

قال:

لم أبح باسمه لأني ضنين ... باسمه أن تذيله الأفواه
أنا من خاطري أغار عليه ... عند ذكري له فكيف سواه
ساء ظني لفرط غيرة قلبي ... مع علمي عفاف من أهواه
وإذا ما سمعت من يتشكى ... حرقه خلت أنما شكواه
وقوله:

إني زعيم لمن أسهرت مقلته ... أن لا يطيف به طيف من الوسن
سبحان رب الورى ما كان أغفلني ... حتى رميتي الليالي فيك بالخن
وقوله:

قف بربع البلى وربع الهموم ... واسفح الدمع فيه سفح الغيوم
غيرت آية صروف الليالي ... ومحاه الغمام محو الرقيم
ساء ما اعتاض بالسحائب من نب ... ت المعالي بمنبت القيصوم
فالأسى حين يعدم الشيء محمو ... ل على قدر جوهر المعلوم
وقوله:

أما والبيت والشهر الحرام ... وزمزم والمشاعر والمقام
لقد حنت ركاب الركب حتى ... شجت قلب الخلي من الغرام
إذا شاق الحنين فؤاد خلو ... فكيف نرى فؤاد المستهام؟
تحن إلى حنين العيس نفسي ... ويبعث شجوها نوح الحمام
وإن حياة نفس كل شيء ... يشوقها لموشكة الحمام
وقوله:

ما كان تركي للعيادة عن قلبي ... مني ولا لتبدل وتغير
لكن علمت إذا سمعتك تشتكي ... أن لا يقوم به جميل تصبري

محمد بن عبد العزيز العتيبي

قال:

فأسأل بمن ربوعهن، وما الذي ... يجدي عليك سؤال ربع دائر؟
عفت معاملة الليالي مثل ما ... عفى سواد الشعر بهجة عامر
وقوله:

حوراء خود تسعير إذا مشت ... لين القضيبي الناعم الميسر
لانت أناملها ولكن قلبها ... في قسوة الحجر الصلود القاسي
وقوله:

ألا في سبيل الله قلب متيم ... أصيبت بين الطاعنين مقاتله
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى ... وغالته إذ بان الخليط غوائله
وبين الحمول المستقلة شادن ... أغن غليظ القلب رخص أنامله
تيقنت أن الصبر عني زائل ... عشية زمت للرحيل رواحله

محمد بن مروان بن حرب

قال:

من فرط شحي عليك أني ... رسول نفسي إليك عني
فلو سألت الرسول من ... أتى لقال الرسول مني

المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغوي

قال:

لا يبعد الله أياماً نعمت بها ... بين الغواني وشمل الحي ملتئم
بكل ناعمة الأطراف مشرقة ... تكاد تسفر من إشراقها الظلم
كأنها دمية بل كوكب شرق ... بل روضة أنف زهراء بل صنم
فما لمثلي لا ييكى لفرقتها ... والعهد منها ولو أن البكاء دم

مازن بن عمرو بن مروان

بن محمد بن عاصم

قال:

كم لي بمن أهواه من وجد ... بين إلى هجر إلى صد
عبرة لو أنها جهرة ... ما أطفئت من شدة الوقد
إن حالت الريح إلى غيرها ... أقول قد حال عن العهد
وإن دنا دان توهّمته ... دنا ليشيك عن الود
كأن سوء الظن مستجمع ... من بين هذا الخلق لي وحدي
وقوله:

ومنعم للحسن في وجناته ... فجر ينم صباحه ونهاره
قد تاه قرطقه بنهدي صدره ... زها بلعبة خصره زناره

أمسى يعللني المدام وعنده ... عود ترن بشجوه أوتاره
فيهيج مني لوعة لو أنما ... بصفا المقرر ضععت أحجاره

والدن مقطوع الوتين ترى له ... علّقاً يجد بصوبه مدراره
طففت مصابحنا فكان سراجنا ... مصباحه حتى الصباح وناره

أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز

ابن أمية بن الإمام الحكم

قال:

لن منعوا من ناظر نور ناظري ... فما منعوا ما بيننا في الضمائر
نموت ولا نشكو الهوى غير أننا ... إذا ما التيقنا نشتكي بالحاجر
وقوله:

ودعني إذ ودعوا صبري ... وجمعوا الين إلى الهجر
واستخلفوا في كبدي لوعة ... لا عجزها أذكى من الجمر
لولا دموع العين يوم النوى ... لأحرقت من حرها صدري
وكيف صبري في هوى شادن ... مكتحل الأجفان بالسحر

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد

المعروف بعرجون

قال:

يا رسولي أبلغ إليها شكاتي ... واسألنها ولو بقاء حياتي
قال لها قد قضى هواك عليه ... فهو ميت أو مؤذن بالممات
فالحظية ترين إن شئت ميتاً ... كان يحيا بأيسر اللحظات
واعجبي أن تكون لحظة عين ... منك تمدي الحياة للأموات

عيسى بن أبي جرثومة

قال:

يا من سقتني كأس الحب عيناه ... صرفا وثني بأخرى طيب رياه
وزادني وردتي خديه ثالثة ... فأسكرتني عيناه وخداه

يا من كساه ضياء الحسن خالقه ... فبالملاحه حياه ورداه
حي يرجي سلاماً في ملاحظة ... تشفي به سقم قلب طال بلواه

أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال:

ولقد نفست على الأراك، وحق لي ... لما اجتني بالذوق طيب جنك
وبي الصدى لا بالأراك، فما له ... رشف اللمي وحرمت رشف لماك؟
أشعرت لو أني حللت محله ... لم أمتهتك بأن أقبل فاك

وقال:

على صدع شملي منك قلبي تصدعا ... فعن أي حال منك أبدي التوجعا؟
على النأي منكم أم على قرب داركم ... بهجر يزيل الصبر عني أجمعا؟
بلى إن في قرب الديار لراحة ... وإن لم يدع فيك هجرك مطمعا
كما أن أيام النوى تبعث الأسى ... ويدعو التصابي للمحب إذا دعا
وقوله:

هبت لنا الريح من تلقاء كاظمة ... وهناً فكم رد نفح الريح من روح
وما عرفت نسيم الريح من بلدي ... إلا يعرف حبيب هب في الريح

عيسى بن جوشن

قال:

أضاع سافح دمع العين حين همى ... من الجوانح سرّاً كان مكتتما
لا تحسبي أنه سر بذلت به ... ولا فتحت به للكاشحين فما
لولا عواصي دموع لا تطاوعني ... ما ذاع سرّك عندي لا ولا غُلما
لؤم بذّي الحب أن يبدي سرائر ما ... يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرما
سجيتي أنني أرعى ودائعكم ... وأحفظ العهد منكم كلما قدما
وأنني أمنح الواشي بكم أذنّاً ... معارّة فيكم عن قوله صمما

عبد الله بن سعيد الكاتب

المعروف بابن الأخرس

قال:

ما لعذري يزيد في قدر ذنبي ... وعتابي يغريك في بعث
ولماذا اشتريت ودي وقد أع ... طيتك الود من لساني وقلبي
حسبي الله من أعاد وحسا ... د، وبالصدق في ترضيك حسبي
أنت شرابي وليس في العيش حظ ... لي يصفو إذا تكدر شرابي

عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال:

أبدى الصدود حبيب ... قد خان عهدي وملاً
ولي فمن لي بروحي ... يردها إذ تولى؟!
لا آخذ الله منه ... من بالجفاء تحلى

وقوله:

أغرى بي الشوق فكر ما يسألني ... أقام بين ضلوعي حرب صفينا
هذا وما خان أحبابي الأولى ظلموا ... وإنهم لعهود الحب راعونا
يا أهل ودي عدا بي عن زيارتكم ... هوى يلح بإبعادي أحياننا
ما لي على الحب من عون يوازرنى ... فيه سوى أدمع تجري أفانينا

الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال:

يا عائناً لي بالصدو ... د إذا ذكرت قبيح عذرك
أحليت من قلبي مكا ... ناً كان معموراً بذكرك
وأنا أحبك لو وثق ... ت وأستديم بقاء عمرك

عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال:

كم من حبيب كان لي قرّة ... مقترب الود لطيف المكان
يرى على الأعداء فيما يرى ... كالصارم الهندي أو كالسنان
حتى إذا الدهر نبا نبوة ... حال فحلنا بانقلاب الزمان
كان صديق الغيب فيما يرى ... وإنما كان صديق العيان

وقوله:

تقول: بعدت فأنسيتنا ... ولم يك حبك بالدائم
فقلت لها: لو علمت الهوى ... لما جرت فيه على العالم
لأن الهوى وانتراح النوى ... يزيدان في لوعة الهائم
كفعل الرحيق وسكر الكرى ... إذا ما استعانا على النائم

محمد بن عبد الجبار النظام

قال:

إن جهلاً بالمرء ذي الحزم والراء ... ي رجوع في الغي بعد نزاع
ومحلاً بأن يطيع هواهوالهوى ما علمت شر مطاع
وله:

أودعت مهجتي غداة الوداع ... حركات تجنبها أضلاعي
طفلة تستبي العقول بدل ... آخذ للقلوب والأسماع
كشف البين ما كتمت وما كن ... ت قديماً أصونه في قناعي

الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك

بن شهيد

أنشدني له أبو سعيد بن دوست، قال: أنشدني الوليد بن بكر الفقيه الأندلسي قوله من قصيدة يمدح فيها:
وأخرى اعتلقنا دونهن، ودونها ... قصور وحجاب ووال ومعشر
يزينها ماء النعيم حفها ... من العيش فينان الأراكة أخضر
إذا رامها ذو حاجة صد وجهه ... ظبا الباترات والوشيج المكسر
ومنها:

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها ... تزل بها ريح الصبا فتحلر
إذا زاحمت فيها المخارم صوبت ... هبوباً على بعد المدى وهي تجأر
تكلفتها والليل قد جاش بحره ... وقد جعلت أمواجه تتكسر
ومن تحت حضني أبيض ذو شقاشق ... وفي الكف من عسالة الخط أسمر
إلى بيت ليلي وهو فرد بذى الغضا ... يضيء كعين المستهام ويزهر
هما صاحباي من لدن كنت يافعاً ... مقيلان من جد الفتى حين يعثر
فذا جدول في الكف تشفي به المنى ... وذا غصن في الكف يجني ويشمر
فبتنا على ضم اشتياقنا ... تكاد له أكبادنا تنفطر

ومنها:

ودوية من فتنة مدهمة ... دريس الصوى معروفها متنكر
إذا جابها الخريت في طرقاتها ... يظل بها أعمى وإن كان يبصر
تري ثابنات الحكم عند اعتسافها ... ترك على إدفافها فتور
وإن سلكت أضواجها عييت بها ... غوارب من ذي مطريات تزجر
وسرنا نجوز النهج حتى بدا لنا ... بغرة يحى ساطع اللون أزهـر
وله من أخرى أولها:

أمن رسم دار بالعقيق محيل
ولما هبطنا الغيث يذعر وحشه ... على كل خوار العنان أسيل
مسومة نعتدها من جيانا ... لطرّد قنيص أو لطرّد رعيـل
إذا ما تغنى فوق متونها ... ضحياً أجابت تحتهم بصهيل
تدوس بنا أو كار نوء كأنه ... رداء عروس أودنت برحيل
رمينا بها عرض الصوار فأقعصت ... أغن قلنانه بغير قتيل
وبادر أصحابي النزول فأقبلت ... كراديس من غض الشواء نشيل
فقلت لساقياها أدرها سلافة ... شمولاً ومن عينيك صرف شمول
فقام بكأسيه مطيعاً لأمري ... يميل به الإدلال كل ميل
وشعشع راحيه فما زال مائلاً ... برأس كريم منهم ونيل
وله من أخرى:

منازلهم تبكي إليك عفاءها ... سقتها الثريا بالعري نحاءها
ألثت عليها المعصرات بقطرها ... وجرت بها هوج الرياح ملأها
حبست بها عدواً زمام مطيقي ... فحلت بها عيني علي وكاءها
رأت شذن الآرام في زمن الهوى ... ولم تر ليلي فهي تسفح ماءها
خليلي عوجاً بارك الله فيكما ... بدارتها الأولى نحي فناءها
ولا تمنعاني أن أجود بأدمع ... حواها الجوى لما نظرت جواءها
فأقسم ما شمت الغداة وقودها ... وقد شمت ما راب الحمى وأساءها
ميادين أفراس الصبا ومراتع ... رتعت بها حتى ألفت ظباءها
ولم أر أسراباً كأسرابها الدمى ... ولا ذئب مثلي قد رعى ثم شاءها
ولا كضلال كان أهدي لصبوتي ... ليالي يهديني الغرام خباءها
وما هاج الشوق إلا هائم ... بكيت لها لما سمعت بكاءها
تغنّ فلا يبعد بذي الأيك عاشق ... بكى بين ليلى فاستحث بكاءها

أنا البحر لا يستوهم الخطب طاقتي ... وتأبى الحسان أن أطيق لقاءها
تيمم قصدي النائبات فردّها ... فتى لم يشجع حين حان رياءها
إذا طرقته الحادثات أعارها ... شبا أفكار قد أطال مضاءها
أما وأبى الأعداء ما دفعتهم ... يد سبقتهم يتقون عداها
جزاهم بما حازوا من الجهل حلمه ... كريم إذا رأى المكارم جاءها
ومنها:

وكم لك من يوم وقفت بظله ... وقد نازلتنا الحادثات إزاءها
ومن موقف ضنك زحمت به العدى ... وقد نفضت فيه العقاب رداءها
وكم أمة أنجدتها وكأنها ... يرايع سدّت خيفة قصعاءها
ومن خطبة في كبة الصك فيصل ... حسمت بما أهواءها ومراءها
ومن أخرى أولها:

أنكيت إذ ظعن الفريق فراقها
يقول فيها:

إني امرؤ لعب الزمان بهمتي ... وسقيت من خمر الخطوب دهاقها
فإذا ارتمت نحوي المنى لأنالها ... وقف الزمان لها هناك فعاقها
فإذا أبو يحيى تأخر سعيه ... فمتى أوّمل في الدنا إلحاقها
الملبسي ذهبية من فضله ... ثنت العيون فلم تطق رراقها
والمانعي من صرف دهري بعدما ... قلبت إليّ الحادثات حداقها
حتام لا تزوي جياذك للوغى ... وتشيم من بيض السيوف رقاقها
وتسد طرق الأرض منك بحفل ... يذر الملوك مديمة إطراقها
بحر إذا خفقت عقاب لوائه ... بتخوم أرض لم تخف إخفاقها
ومنها:

بطل إذا خطب النفوس إلى الوغى ... جعل الطبّا تحت العجاج صداقها
لو عارضت هوج الرياح بنانه ... يوماً لسد ببعضها آفاقها
وإذا الملوك جرت جياداً في الوغى ... والجود قطع غفوة أعناقها
ولو أن أفواه الصراغم منهل ... للورد أورد خيله أشداقها
وقوله:

أفي كل عام مصرع لعظيم ... أصاب المنايا حادثي وقديمي
فكيف لقائي الحادثات إذا سطت ... وقد فل سيفي منهم وعزيمي
مضى السلف الوضاح إلا بقية ... كغرة مسود القميص بهم
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجت ... وقد فقدت عيناى ضوء نجومى

أما وأبي الأيام لو لا اعتداؤها ... لظاهرت في ساداتها بقروم
وقارعت من يبغي قراعي منهم ... بأحلام بطش أو بطيش حلوم
أحلوا ملامي لا أبا لأبيهم ... وإني وربّ الجند غير ملوم
فلا تعذّلوني إن ولّمت فإنها ... علاقة حبر لا علاقة ريم
وقوله:

قد تركنا الصبا لكل غويّ ... وانسلخنا من كل ذام وعاب
واقطعنا لواعظات مشيآذنتناحياتها بذهاب

وإذا ما الصبا تحمّل عنا ... فقيح بما ارتضاه التصابي
وفنوّ سورا وقد عكف اللي ... ل وأقعي مغدودن الأطناب
وكأن النجوم لما هدقهم ... أشرقت للعيون من آدابي
وكأن البروق إذ طالعتهم ... أوقدت في سمائها من شهابي
يتقرون جوز كل فلاة ... جنح ليل جوزاؤه من ركابي
عن ذكرى لدجليهم فتاهوا ... من حديثي في عرض أمر عجاب
همة في السماء تسحب ذيلاً ... من ذيول العلا وجدّ كابي
وفتّى أرهفت طباه المعالي ... فشتته بالباتر القرضاب
نيبته أيامه وليالي ... ه بظفر من الخطوب وناب
حوّل لو رآه صرف الليالي ... لتواري من خوفه في حجاب
ذاق أيامه فكان سواء ... عنده طعم شهدها والصاب
ولو أنّ الدنيا كريمة نجر ... لم تكن طعمة لفرس الكلاب
وإذا ما نظرت ما حاز غيري ... قلّ عما حملته في ثيابي
وقوله:

أصفيح شيم أم برق بدا ... أم سنا الخيوب أوري أزندا
هّب من مرقده منكسراً ... مسبلاً للكمّ مرخ للردا
يمسح النعسة من عيني رشاً ... صائد في كل يوم أسدا
كاد أن يرجع من لثمي له ... وارتشافي الثغر منه أدردا
قال لي يلعب: صد لي طائراً ... فتراني الدهر أجري بالكدا
فإذا استنجرت يوماً وعده ... قال لي يمطل: ذكرني غدا
وأنا ажروح من عضته ... لا شفايني الله منها أبدا!
ومكان عاجز من جيرة ... أصدقاء وهم عين العدا
ذي نبات بلبت أعرافه ... كعذار الشعر في الخد بدا

قلت إذ خيمت فيه قاطناً ... وتلاقطني الأمانى سجدا
ورأيت الدهر خوفاً ساكناً ... وبنى الأحرار حولي أعبدًا
جاد من أصبحت في أيامه ... والردى يحذر من خوفاً الردى
ملك يحسب عدلاً ملكاً ... وإمام أمّ فينا فهدى
خلته والرمح في راحته ... قمراً يحمل منه فرقدا
نعم ما اخترت لنفسى فاعلموا ... إن زمان جار أو صرفٌ عدا
ليس من يعيش إلى نار القرى ... مثل من يعيش إلى نار الهدى
ومن شعره:

أبرقّ بدا أمّ لمع أبيض قاصل ... ورجع شدا أمّ رجع أشقر صاهل
ألا إنها حرب جيت بلحظة ... إلى عرب يوم الكتيب عقائل
هوى تغلي القلب فانطوى ... على كمدٍ من لوعة القلب داخل
ردى تعلّم بالخيّل ما قرّب النوى ... جياذك بالثرثار يا ابنة وائل
جزينا يوم المرج آخر مثله ... وغصن سقينا ناب أسمر عاسل
ومنها:

سهرت لها أرعى النجوم وأنجما ... طوالع للراعين غير أوافل
وقد فغرت فاهاً بها كلّ زهرة ... إلى كل ضرع للغمامة حافل
كانّ الدجى بها كل زهرة ... تحلّز إشفاقاً لدهرٍ ممّاحل
وما بي إلاّ همّة أشجعية ... ونفس أبت لي من طلاب الرذائل
وكيف ارتضائي دارة الجهل منزلاً ... إذا كانت الجوزاء بعض منازل
وصبري على محض الأذى من أسافل ... ومجدي حسامي والسيادة ذابلي
ولما طمى بحر البيان بفكرتي ... وأغرق قرن الشمس بعض جدولي
زففت إلى خير الورى كلّ حرة ... من المدح لم تحمل برعي الخمائل
وما رمتها حتى حطّطت رحالها ... على ملك منهم أغر حلال
وقوله من قصيدة أولها:

هاتيك دارهم فقّف بمغانها

يقول فيها:

ودّعتهم وزناد قدح في الحشا ... دون الضلوع يشبُّ من نيرانها
يا صاحبيّ إذا وني حاديكما ... فتشقا النفحات من ظيائها

وخذا بمرتبع الحسان فر بما ... شفع الشباب فصرت من أخذائها
وكأنما الشعري عقيلة معشر ... نزلت بأعلى النسب من ولدائها

وكأنما طرق الجرة منهجٌ ... للعامرية ضامنٌ فيناها
المعجلين عداهم برماحهم ... والجاعلين الهام من تيجانها
أنا طودها الراسي إذا ما زلزلت ... أيدي الحوادث من فؤاد جبانها
وعليّ للصبر الجميل مفاضةٌ ... زغف أفلّ بها شباة سنانها
وكأنني لما كرمت وقد شكت ... أرضى الحوادث غبت من حدثانها
وقضت بعزّ النفس مني دوحة ... من عامرٍ أصبحت من أغصانها
أسري لهم بالخيّل حتى خيلوا ... أنّ الجبال رمتهم برعانها
ورمى العدى بكتائب ملء الفضا ... أعمدن نصل الصبح في رهجانها
من كل سلهبة تطير بأربع ... ينسبك مؤخرها التماح لبانها
نشأوا براهرة الملوك ومائها ... وكأنهم نشأوا على غسانها
وأرّهم العرب الكرام مصاعها ... فتعلموا من ضربها وطعانها
وقوله من قصيدة أخرى:

خليليّ ما انفك الأسي منذ بينهم ... حبيبي حتى حلّ بالقلب فاختط
أريد دنواً من خليلي وقد نأى ... وأهوى اقترباً من مزار وقد شطا
وإني لعروني الهموم لذكركم ... هدواً فلا أستطيع قبضاً ولا بسطا
وإن هبوط الواديين إلى النقا ... بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
لمسرح سرب ما تقرّى نعاجه ... بريراً ولا تقرو جآذره خطا
ومرتجز ألقى بذى الأثل كلكلاً ... وحطّ بجرعاء الأبارق ما حطّا
سعى في قياد الرياح يسمح للصبا ... فألقت على غير التّلاع به مرطا
وما زال يروي التّرب حتى كسا الرّبي ... درانك والغيطان من نسجه بسطا
وعنت له ريح فأسقط قطره ... كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
ولم أر درا بدّدته يد الصبا ... سواه فبات الزّهر يجمعه لقطا
وقوله يصف الذّنب وأحسن:

أزلّ كسا جثمانه مستتراً ... طيالس سوداً كالدجى وهو أطلس
فدلّ عليه لحظ خبّ مخادع ... ترى ناره من ماء عينيه تقبس
وقوله:

وأغر قد لبس الدجى ... برداً فراقك وهو فاحم
يحكي بغرته هلا ... ل القطر لاح لعين صائم
أرمي به بقر الحمى ... وأصدّ عن عصم العواصم
وتجاني فتق النفو ... س. من المهاريت الدلاقم
حتى إذا علم الصبا ... ح أشار من تلك المعالم

وتميلت أيدي الثري ... اوهي مذهبة الخواتم

ورنت ذكاء بناظر ... رمد من الأقداء سالم

قلت: ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والخطب: أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه، وأعشو إلى غرره وأوضاحه، صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة، فانقبضت إلى أخريات الإيوان، وقد كدسني بصارم وسان. فجعلت مجني حطباً دل على نفسه، وتشظى من ييسه فسلطت عليه صاحب الشرر ورميته منها بنات الحديد والحجر. فواقعه قليلاً وعاركه طويلاً. فكان لها عجيج، وله حرها ضجيج. ثم خلا لها صريعاً، واستولت عليه صعباً منيعاً. فبددت شمله وألفت شملها، واستحالت حية لا يستلذ قتلها، ترمي بالوان وتهدد بلسان، فلذعت البرد لذعة، ونكرته على فؤاده نكرة، خرّ لها على جبينه، ومات بها من حينه. وغشينا من فائض حمتها حر كان لنا حياة، ولذلك وفاة. فالحمد لله على نعمته، وما أرانا من غريب قدرته، ودلنا به من لطيف صنعته. ولما استحال جمرها رماداً، وقد مهد لنا من الدفء مهاداً، ولحّته العين كالورد، وذر عليه كافور الهند، انبسطت نفس شاكرك فتذكر لما كلفته، من الزيادة في المعنى الذي اعتمدته، محرماً له لا مقتدياً به، ومستثنياً فيه لا آخذاً منه.

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام:

لما تلقى اليوم البرد شاكرك بنوع، ومشى إليه بروح، وكان بالأمس برداً أجحف، فابتنى من سحابة أو طف، فقصد بيت النار، ومورد الأبرار والفجار. فلما رأى الناس أخلاطاً تذكر جهنم، ولفحها المتصرم، وقوله تعالى " إن منكم ورادها " واستعاذ بالله من لهبها، وسأله أن لا يكون من حطبها، وإذا بأهلها يتساقون أكواب الحر، ويتعاورون أثواب القر، فلما أخذت منهم حمياه، قمللت الشفاه، وانطلقت الأفواه، فأخذوا من تجالدهم، وأكثروا من عوائدهم، وكشفت الأبخار، وهتكت الأستار، وجعلوا يتجالدون دلكا، ويتضاربون حكا. حتى إذا خرجوا بجماهرهم، وانحفلوا بحذافرهم. صب على جسمه من عريض، وامتد على وضاح ذي وميض، قاربه الحر حتى احتواه، وباعده القر حتى اشتهاه. فحينئذ أخذ في طهره، وقضى من أمره، وقد لطف حسه، وتراجعت إليه نفسه. فذكر ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته، على الاختيار الذي قصدته، فإذا ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته، على الاختيار الذي قصدته، فإذا بذلك الكلام لا يدل على سواه، ولا يقتضي لغير معناه، فأثبتت فقراً مخترة أرهفت جوانبها، فسالت غرائبها، وهي حلة ملبسها المشكور، فإن كان ذلك طرازاً على كمها، ورقماً على حاشيتها، فإن كان زاد أن يكون عن كريم، فإن ذلك تيمة لوشيتها، وذهب يرف على أرضها، فالشكر حلوبة مسخرة للمشكور، دريها أمل، وملحها عسل. فإن كانت من كريم روضها ورداً، وحوضها شهداً، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح، صرّها ثواب، وحفظها عقاب، والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوب، ورجعه تطريباً. وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنغم، ويقع ببشرى، والشكر درع حصينة يلبسها المشكور، فإن كان من كريم كان ظلها برداً، ونفحها نداً، وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة، وجناها شهوة، والشكر واد يسقي أرض المشكور، فإن كان من كريم استحال أتياء، وإن زاد أن

يكون عن كريم عمر عمر العجاج، وأترع الأضواج. والشكر نسيم يهب على المشكور، فإن كان من كريم كان نشره فوحاً، ونفحه روحاً. وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر، وتنفس منه مسك أذفر.

وقوله في صفة برغوث

أسود زنجي، وأهلي وحشي، ليس بوان ولا زميل، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل أو شونيزة، أو بنتها عزيزة. أو نقطة مداد، أو سويداء قلب فؤاد، شربه عب، ومشيه وثب، يكمن فهاره، ويسير ليله، يدارك بطعن مؤلم، ويستحل دم كل كافر ومسلم، مساور للأساورة، ومجرد له على الجابرة، يتكفن بأرفع الثياب، ويهتك كل حجاب، ولا يحفل ببواب، يرد مناهل العيش العذبة، ويصل إلى الأحراج الرطبة، لا يمنع منه أمير، ولا ينفع فيه غيره غيور. وهو أحقر حقير، شره مبعوث، وعهله منكوث، وكذلك كل برغوث. كفى بهذا نقصاناً للإنسان، ودلالة على قدرة الرحمن.

وقوله في صفة بعوضة

مالكة لا حس لها سواها، تحقرها عين من رآها، تمشي إلى الملك بندبها، وتصرب بجوحة داره بطلبها، تؤذيه بإقبالها، وتعرفه بإراقة مالها، فتعجز كفه، وترغم أنفه، وتضرج خده، وتفري لحمه وجلده، زجرتها تسليمها، ورمحها خرطومها، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة وعسكر ضخمة، تنقض العزائم وهي منقوضة، وتعجز القوى وهي بعوضة، ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته.

وله يصف ثعلباً

أدهى من عمرو، وأفك من قاتل حذيفة بن بدر. كثير الوقائع في المسلمين، مغري بإقامة ذم المؤمنين، إذا رأى الفرصة انتهزها، وإن طلبته الكماة أعجزها، وهو مع ذلك بقراط في إدامه، وجالينوس في اعتدال طعامه. غذاؤه حمام ودراج، وعشاؤه بذرح ودجاج.

وله يصف ماء

كأنه عصير صباح، أو ذوب قمر لياح، له من إنائه، انصباب الكوكب الدرّي من سمائه، العين كانونه، والقمر عفريته. كأنه خيط من غزل قلق، أو محصرة ضربت من ورق، يترفع عنك فتردى، ويصدع قلبك فتحميا.

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى

وما أرقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع، ووقفت موقف الساجد والراكع، حتى إذا قضيت من حق الله أمراً، وأتعت الشفع وتراً. جلت في أكنافه، وانعطفت في أعطافه، فإذا أرضه تباهي السماء، وغبرائه تضاهي الخضراء، زجاجة نورية، كأنها الكواكب الدرية. ورعد قراء الله تعالى وخيرته، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته. فصحت واويلاه، واحر قلباه. أين منك المقر، وأين دونك المقر. لاها الله لا يترك كريم، ولا يقلاك إلا لئيم، بركا كبرك الجمال، وثباتاً كثبات الجبال. ثم خرجت في تنمة من الأصحاب، وثبة من الأتراب، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به، فلما طالعنا الحلوى صاح: هذا وأيكم الروض، فناديه اسكت فضحتنا لا أباك. فقال: لا وأبيك، قلت: مالك وما تريد، قال: ذلك الشهيد العتيد، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه، وأسأل من لعابه، وازور جانبه، وخفق شاربته، ثم نهض في كر، وصدر بحر، ونظر إلى فالودج، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة الزناير، حدثت على شواير، وخالطها لباب الحبة، فجاءت أطيّب من ريق الأحبة، ثم نظر إلى الخيص، فصاح بأبي الغالي الرخيص، أنظر فيه ذا التماع، أكرم به من شعاع. هذا جليد سماء الرحمة، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة، تجرحه اللحظة، وتدميه اللفظة، بماء أبيض؟ قالوا: بماء البيض البض، فقال: غض من غض. أنظروه له إشراق، هذا وأيكم بقية العشاق. ما أطيّب خلوة الحبيب، لولا حضرة الرقيب. ثم نظر إلى الزلابية. فصاح ويل لأمة الزانية، بأحشاء نسجت. أم صفاق ألفت؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكيناً، وجبل هواك على كبدي متيناً، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني، فأقطعك مني دواجني، والعزير الغفار لأطبلن بالثأر، وتلمظ له لسان الميزان، فجعل يصيح الثعبان الثعبان. فلما عاينته قد ألبس، وهو ينظر نظر المفلس، حنت له ضلوعي، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي. وقد تحل الصداقة على ذي الوفّر، وفي كل كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام باتباع أرتال تجمع أنواعها التي أنطقته، وتحتوي على ضرورها التي أخرعته. فجاء بها فوضعها بين يديه، فلما عاينها انحنى عليه بليانه، وألقى عليها بجرانه، وجعل يركل برجليه، ويمجاش بفخذه ممانعاً، ومدافعاً عنها. فصحت به لا عليك حكمها، فجعل يقطع ويلع، ويوجر فاه ويدفع. وعيناه تبضان، كأنهما جمرتان، وقد برزتتا عن وجهه كأنهما خصيتان، وأنا أقول: على رسلك يا فلان. البطنة تذهب الفطنة. وهو يقول أكلها دائم وظلها حتى التهم جماهرها. وألحق أولها بآخرها. وهبت منه ريح عقيم. أهبا لنا بالعذاب الأليم، وفرقتنا شذر مذر. وسربتتا في كل شعب شجر بغر، فانتحينا منه الطرفان، وصدق الخبر فيه العيان، نفخ ذلك فبدد النعام، ونفخ هذا فبدد الأنام، فلم نجتمع بعد هذا والسلام.

وله يصف جارية

أخت نعمة، وربيبة نعمة، كأن شعرها على غرقها الغراء، غراب يسفد حمامة بيضاء. وكان خدها على جيدها المشرق، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بالحاظها، وتأسوك بالفاظها. تقابلك من خدها بوردة، ومن عينها بترجسة. كأنما من جوهر، وشفتها خيط حرير أحمر، وتقبل إليك بقضيب بان، ثمرته رمانتان، وتفتل عليك بكفل مائج، كأنه كثيب عاج، تطوي بقبطية، وتقوم على أنبوب بردية، أن استقبلها بركان، تضحك لك عن فلة رمان. أو يطحنك جبهة أسد غرير، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين.

ويتوفاك بكد كالفقيه المشرف على المذاهب، ركبت فيه أخلاق كاتب. فإن كنت شافعيًا سددتك، وإن كنت مالكيًا قلدتك، المنظر غلام، والمخير فتاة، إن علوتها تدفعت إليك، أو علتك تداركت عليك، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب، إن شئت قلت حمرة أو رضاب، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانها، يصل إليك وصول الإيمان. فنشره في غاية الملاحاة، ونظمه في غاية الفصاحة.

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله:

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا ... وتناسى عهدي ولم أنس عهدا
لا يغرنك ما ترى من ودادي ... فلعلي إن شئت غيرت ودا
لا وحق الهوى وحق ليالي ... هـ ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيق الذي ادعيت ولو ملّ ... كته لم أكن لغيرك عبدا
وله:

ما أطربت فوق الغصون حمامة ... إلا رأيت دموع عيني تسكب
وإذا الرياح تناوحت ألفتني ... بين الصباية والأسى أتقلب
يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى ... لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب
كم حاولت نفسي السلو فطالبت ... أسبابه جهداً فعزّ المطلب

غسان بن سعيد

قال:

من خاناه حسب فليطلب الأدبا ... ففيه منيته إن حل أو ذهب
فاطلب لنفسك آداباً تعزُّ بها ... كيما تسود بها من يملك الذهب

محمد بن يحيى النحوي المعروف بقلفاط

قال:

طوى عني مودته غزال ... طوى قلبي على الأحران طيًّا
إذا ما قلت يسلاه فوادي ... تجدد حبه فازددت غيا
أحييه وأفديه بنفسي ... وذاك الوجه أهل أن يحيا
وقوله:

أيا طيفاً سما وهنا إليّ ... لقد جدّدت لوعاتي عليّ
غزال لو رأى غيلاً يوماً ... محاسنه إذا أنساه ميّ

شهيد بن المفضل عفا الله عنه

قال:

كم ذا عنان شوقك صابراً ... وأخو الصباية لا يكون صبوراً
فاخلع عذارك في هواه فربما ... كان الحب على الهوى معذوراً
ما العز إلا أن تذلل مع الهوى ... شحاً عليه وإن ظلمت أسيراً

منصور بن أبي الهول

قال:

كم إلى كم أتسلى ... ليس لي صبرٌ، أجل لا
بأبي أنت وأمي ... أترى قتلي حلاً
حاش لله بأن أس ... لو عن الحب وكلاً!
وأنشدني له لبعض شعرائهم:
إسار الهوى لا إسار العدا ... هو التارك الحر مستعبدا
عبودية تؤيس الآملين ... له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرجٌ يرتجيه ... من الأسر غير تمني الردى
فيا غصن بان إذا ما مشى ... ويا بدر تم إذا ما بدا
ويا عارضاً كلما أطمعت ... بوارقه زاد قلبي صدى
أسرت فهلاً بحكم الكتا ... ب قضيت بالمن أو بالفدى
ولكن أيت سوى قسوة ... يفوت بها قلبك الجلمدا

غريب بن سعيد

أنشدني له:

وجد دخيل واكتئاب ... وفراق شملٍ واقترابُ
ما بين قلبي إذ نأي ... ت وبين إخواني حجاب
فإذا خلا ولجت علي ... ه همومه من كل باب
يا عاذلي لما رأى ... دمع العيون له انسكاب
ما لي على برح النوى ... جلد فأقصر في العتاب
وله:

ألان يوم الفراق قسوته ... حتى جرى دمه وما شعرا
فتخلت ما سال من مدامعه ... درا على وجنتيه منتشرا
لم يك شوقاً لكن بكى حزناً ... لهول يوم الفراق إذ حضرا

في مشهد لو أطاق شاهده ... فيه استتاراً لوجده استترا
أبي أساه وفيض أدمعه ... إلا اشتهاراً في الحب فاشتهدا
وقوله:

أستودع الريح الجنوب تحيةً ... إليكم تؤدي من سلامي ومن شكري
وكم بلغت ريح الشمال نسيمكم ... فأهدت إلينا منكم أطيب النثر
رعى الله أحباباً تألف شملهم ... بقرطبة بين الرصافة والقصر
تعوّضت من أنسى بهم وحشة النوى ... ومن قربهم قرب المهامه والفقير

إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

وقال:

ولم أنسها يوم الوداع ومسحها ... بواذر دمع العين والعين تذرف
أفانين تجري من دموع ومن دم ... على الخد منها تستهل وترعف
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا ... وكل إلى كل يلين ويعطف
جعلنا هنك الهجر منا بجانب ... وللبين داع بالترحل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ... ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كالانا مشتك من صباة ... ولكنني عن حملها منك أضعف
قال: وحدثت أن إدريس بن الهيثم غنى بأبيات أولها:

ألا إنّما أنسى إذا ما نأيتُم ... بأقرب من لاقيته بكم عهدا
إذا حصلت روحي إليكم وقد أتت ... على أراضيكم ألقت على كبدي بردا
ويوحشني قرب الجميع وإنها ... لتأنس نفسي إن ذكرتكم فردا
وما كان قلبي إذا تبدّيتُ صخرةً ... فينبو الهوى عنه ولا حجرا صلدا
فقد آن فقداني لنفسي فلو أتى ... عليها حمام ما وجدت لها فقدا

محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات:

يظل الدمع من جزع عليهم ... وقد بانوا يسح ويستهل
سأتبع إثرهم شوقاً إليهم ... وأقتص المناهل حيث حلوا
فما لي أشتكي بالين منهم ... كأني ليس لي زاد ورحل

قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال:

نازح الدار بنا بي واغترب ... ورماء الدهر رشقاً من كتب
بعدت عن دار ليلي داره ... وهو في حبل هواها مضطرب
فرجت نفسي أن تشفى بكم ... فرحة في الحب شيت بكرب
كنت لي بداراً بدا في سجنه ... طلع البين عليه فغرب

أحمد بن نعيم

قال:

ليت أن الرياح إن نفذ الصب ... ر وشطت عن أرضها أوطاني
بلغتها تحيي وسلامي ... وسلام الإله كل أوان

سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاده:

والبدر في جو السماء قد انطوى ... طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنه ... غرق الكثير وبعضه لم يغرق
وهو مأخوذ من قول ابن المعتز:
انظر إليه كرورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عبر
وأنشدت له:

رفعوا الهوادج للرحيل وأعتموا ... فغدت لبيهم المدامع تسجماً
وسرّوا وأروقة الظلام تكنهم ... فكأنهم من تحت ذلك أنجم
واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى ... فأبى نسيم المسك أن يستكتموا
ومن العجائب أنني متأخرٌ ... عنهم وقلبي عندهم متقدم
وهي التوى لم يبق لي من بعدها ... غيرُ الهواء بنفحة أتسّم
وإذا الصبا أسرت أقول لعلها ... تلقاهم بتحيتي فيسلموا

عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له:

لقد هاجني للشوق نوح حمائم ... مطوقة من مشرقات الحمام
وناحت وما أذرت دموعاً قد رأت ... عيوني تجري بالدموع السواجم
إذا ما تراجع الحنين حسبتها ... نوادب رجّعن الصدى في الماتم

سعيد بن عيسى

أنشدت له:

بنفسي من يجرّ عني منوني ... ويوجني بأحجار الظنون
ويصرمني ولا يرثي لما بي ... وينفي النوم ظلما عن جفوني

عمر بن يوسف الحنطي

أنشدت له:

أو مبيض برق أم سيوف تبرق ... في عارض أكنافه تتألق
ديمّ إذا ارتدّت إليك وجوهها ... أضحت وجوه الأرض منها تشرق
ترمي بأجفان الوميض كما انثنت ... أجفان عاشقة إلى من يعشق

يحيى بن عباد البصري

قال:

إذا بارق هاج الفؤاد المعذب ... فطرب قلباً هائماً فتطرباً
بنفسي بلاد رحمت من نحو أرضها ... بعيني مشوقاً ما ألدّ وأطيباً
بلاداً بها قلبي رهين معذب ... وإن تجلت في الآفاق شرقاً ومغرباً

الغزال بن الحكم

أنشدت له:

ريع قلبي لما ذكرت الديارا ... وتنورت بالنخيلات نارا
وازدعتني ذات السنا يروق ... من لظاها فما أطيق اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد اللنا ... روميض السعير منها استعارا

يحيى بن زكريا بن شماس

قال:

نعب الغراب بينهم فتحملوا ... ونأى المحل بما فكيف تزار
بكروا وفي الأظعان يوم تحملو ... هن القصور تكنّها الأستار
صفر النحور من العبير روادع ... بيض الثغور كواعب أبكار

الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بلر

قال:

أيُّ طيف في الكرى طرّقا ... سام عيني الدمع والأرقا
أنا أفدي من بجنح دجى ... جاب في ظلماته الطُّرّقا
ليّ حظّ في زيارته ... لي لو أنّ الكرى صدقا

الديك النيري مطرق بن محمود

قال:

طرق الخيال فمرحباً بالطارق ... قرّت به في النوم عين العاشق
طرق الخيال خيال ليلى موهناً ... رحلي، فبات مضاجعي ومُعانقي
ومنى المشوق أحيى الصباية أن يرى ... وسنان أو يقظان وجه العاشق

أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له:

هل تعتب الأيام منك بنظرة ... تغدو بسراء على ضراء
لو لا محابة الخيال برقدة ... من طيفها لطوى الردى حوبائي
يا ليت أيام التوى عادت كرى ... فأنال من طيف الحبيب شفائي

يربوع بن أسد المالقي

أنشدت له:

يا بأبي طيف سرى موهناً ... ودونه جوب الفلا والقفار
أكرم به من راحلٍ ذاهب ... يرعى نوى الدار وشحط المزار
لو أنه شايع إمامه ... بطول مكثٍ دائم أو قرار
لكنه هيج نار الأسى ... ثم تولى بفؤاد مُطار

الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد:

صير فؤادك للمحبوب منزلة ... سمّ الخياط مجال للمحيين
ولا تسامح بغيضاً في معاملة ... قهّلمّا تسع الدنيا بغيضين

غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له:

كيف الحياة ولي حبيبٌ هاجرٌ ... قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مُواصلِي ... جعل السُّهاد على الجنون رقيبا
وله في عطش البحر:
إنّا إلى الله لقد نالنا ... همٌّ يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهينا به ... نسكن في الماء ونشتاقه

محمد بن أبي الحسن العروضي

قال:

لما تطلع بدر التم أذكرني ... بدرًا تطلّع وهنا من بني قطن
بدر تطلّع والآفاق مظلمة ... فأنجاب إظلامها عن وجهه الحسن
كم مهجة أرهفت مقلته ... ومقلة منعته لذة الوسن

إسماعيل بن إسحاق المنادي

قال:

سلامٌ على خلٍّ أدين بحبه ... وأصفيه من حلو الوداد وعذبه
سلام امرئٍ أودى الفراق بصبره ... ولجَّ فأودى بالفؤاد ولُبّه
لعل الذي شتَّ الجميع بنأيه ... سيجمعنا بعد الشتات بقربه
وما الأُحُّ بالأُحِّ الشقيق، وإنّما ... أخوك الذي يعطيك حبة قلبه

محمد بن وافد

أنشدت له:

كتابك هاج لي شوقاً عجيباً ... وأورثني الصبابة والنحيا
تغرّب عن أحبّته محبٌ ... فأصبح صبره عنه غريبا
فكيف بصبره والقلب منه ... يكاد من الصبابة أن يذوبا

خلف بن أيوب

أنشدت له:

والله لولا خطرات المني ... ما طال يوماً عمر أهل الهوى
وأبائي من ظلت من هجره ... مستشعراً ثوب الأسي والجوى

علي بن أحمد الأندلسي

قال:

بيض كبيض الهند في أفعالها ... فلذاك قيل طباً وقيل طباء
وترى محاسنها تروق كأنما ... نشرت عليها وشيها صنعاء

يحيى بن الفضل

قال:

وسفن تتير الريح منها عجاجة ... تظل مياه الأرض وهي صعيدها
تلوح كأمثال الشواهيـن حلّقت ... على دهم خيل قد أثّرت صيودها
فللطير ما قد نشرته قلوبها ... وللخيل ما قد أظهرته قدودها
وقوله أيضاً:

لا تياسن بوفاة من ... لم تنفع بحياته
وليجر عندك ميتاً ... مجراه قبل مماته
فوفاته كحياته ... وحياته كوفاته

أبو بطل

أنشدت له في العذار:

وعارض كافور تراه كأنما ... يدبُّ به من خالص المسك عقربُ
تنزّه عن لسب الجلود، وإنما ... يغوص على حبّ القلوب فيلسب
وقوله:

جمعت مالاً ففكر هل جمعت له ... يا جامع المال أبواباً تفرقه
المال عندك مخزون لو ارثه ... ما المال مالك إلا يوم تنفقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها همّاً يؤرقه
وأنشدت لبعض شعرائهم في العذار:

ومعذّر قش العذار بمسكه ... خدّاً له بدم القلوب مضرجاً
لما تيقن أن سيف جفونه ... من نرجس جعل النجاد بنفسجا

القرشي المعروف بالفرح

أنشدت له:

رُبّ كأس قد كست جنح الدجا ... ثوب برد من سناها يققا
قلت أسقيها رشاً في جفنه ... سنة تورث عيني أرقا
أشرقّت في ناصع من كفّه ... كشعاع الشمس وافي الفلّقا
خفيت للعين حتى خلّتها ... تتقي من لحظه ما يتّقى
أصبحت شمساً وفوه مغرباً ... وبد الساقى الحبي مشرقاً
فإذا ما غربت في فمه ... تركت في الخدّ منه شفقا
خلع البرق على أرجائه ... ثوب وشي منه لما برقاً

إدريس بن عبد الله بن عباد الليزي

أنشدت له:

غريب بأرض الغرب منقطع الذكر ... بعيداً من الأهلين في بلدٍ فقير
تذكر في أهل الجزيرة أهله ... فهيجّه طول التشوّق والفكر
فصوت حمام في الغصون كأنما ... ندين قتيلاً أو روين من الخمر
لئن كن ما تجري هن مدامع ... فكل غريب الدار أدمعه تجري

عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له:

ألا يا حمام الأيك مالك باكياً ... وغصنك نصرّ والجناب مريع
تغنّ ولا تنشج فإلفك حاضر ... قريب والفي غائب وشسوع
بكيت بلا دمع وترفض مقلتي ... شآبيب منها في المصيف ربيع
وقلبك خلّو من تباريح لوعتي ... وقلبي بلوعات الفراق صريع

المنصور بن أبي عامر

أنشدت له:

ألم ترني بعث المقامة بالسرى ... ولين الحشايا بالخيول الضوامر

وبذلت بعد الزعفران وطيبه ... صدا الدرع من مستحكات المسامر
فلا تحسبوا أنني شغلت بلنقة ... ولكن أطعت الله في كل كافر

الوليد بن الحكم

أنشدت له:

إلى رجب أو غرة الشهر بعده ... توافيكم ييض المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينها ... بشرذمة جبريل فيها يقودها

القاضي محمد بن عبد الله

بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها:

لا تلمني على البكا والعويل
فعلت زفرتي وطال انتحاي ... وبدت لوعتي وهاج غليلي
ولنعم البلاد للنازح الأو ... طان دمع جرى برغم العذول
وقبيح صبر الخليل أخي الوج ... د عن الدمع عند ذكر الخليل
وبنفسي نائي اخل قريب ... من فؤاد صب وجسم نحيل
كان بيني وبينه البحر والقف ... ر ووخذ السرى وطول الذميل
يا قليل الإنصاف في الهجر مهلاً ... إن وجدي عليك غير قليل
وقوله:

بل ما اذكرك من ورق مغردة ... على قضيب بذات الهضب ميسر
هجن الصباة لو لا همة شرفت ... فصيرت قبله كالجندل القاسي

محمد بن فطيس

قال:

ثكلتك أمك هل سمعت مخلداً ... أم هل رأيت مصححاً لم يسقم
أم هل رأيت من البرية ناشئاً ... نال الذي في مدة لم يهرم
فدع الأمانى إنها مكذوبة ... واجعل دعاءك للسبيل الأقوم
أي امرئ يرجو البقاء وقد رأى ... آثار عاد في البلاد وجرهم

أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤي

قال:

لئن غاب عن عيني وأعجز ناظري ... لما غاب عن وهمي، ولا زال عن فكري
وتالله لو أستطيع، محض مودة ... لأحللته عن ودّ قلبي وأسكنته صدري
أتني بصفو الودّ منه صحيفة ... تخبر عن ودّ وتنطق عن برّ
يطول لها لفظ الذكيّ بلاغة ... ويقصر بالراوي لها طائل العمر
وقوله:

أقبل فإن اليوم يوم دجن ... إلى محلّ كالضمير المكني
ساكنه كطائر في وكن ... لعلنا نعلم أدنى وفن
في مجلس مزخرف ذي كنّ ... فأنت في سنك دون سني
؟

أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له:

لما علمت مواسيا وجليسا ... جالست بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتبها شفاء تفرّجي ... وهما الشفاء لكل جرح يوسى
وقوله:

أمن بعد إشرافي في علوم الحقائق ... وطول انبساطي في مواهب خالقي
ومن بعد إشرافي على ملكوته ... أرى طالباً شيئاً إلى غير رازقي
وقد آذنت نفسي بتقويض رحلها ... واعنف في سوقي الموت سائقي
وإني وإن أيقنت أو زغت هارباً ... عن الموت في الآفاق فالموت لاحقي
؟

الحسن بن محمد بن بابل

قال:

ألا ما لجسمي قد علاه شحوب ... وما بال قلبي ضامره كروب
وما بال أحشائي توقّد لوعة ... وما بال رأسي قد علاه مشيب
وما ذاك إلا أن رمتني يد النوى ... وأني في أرجاء مصر غريب
أراعي نجوم الليل لا آنف الكرى ... كأني على رعي النجوم رقيب
إذا ما دعوت الدمع يوماً أجابني ... وإن رمت دعوى الصبر ليس يجيب
وإن رمت كتمان الذي بي من الأسى ... جرى هاطل من مقلتي سكوب

ألا ليت شعري هل أرى الدهر منزلاً ... تبوّاه بعد الفراق حبيب
وهل أردن يوماً مياه رصافة ... وهل يصفون لي عيشها ويطيب
؟

عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحى، وكان عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته
فأبطأ عليه:

يا سليل الأكرمين ومن ... فضله فرضٌ فما منه بدّ
أزف العيد وعودتهم ال ... كبش داري والحبل معد
ولقد أبرزت مدينتنا ... فهي من قبل الصباح تحدّ
خيمتك الفضل وقد حكموا ... أنك الفرد وما لك ندّ
فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة.
؟

محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب:
يا حاجب الملك الأعلى الذي طفت به ... الخلافة والأيام تبتسم
ومن به أمن الرحمن بلدتنا ... من بعد أن فارقت ملكاً لها العجم
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت ... عنهم عوائد صنع الله والنعم
حتى إذا قط الإسلام وانيسطت ... أعداؤه واستبيحت منهم الحرم
هبت به ريح نصر الله عن كذب ... للدين واستيقظت من نومها الهمم
وجرد السيف فأنحازت لسلّته ... من الجسوم طلى الأعناق والقمم
إذا تبسّم فالأموال عابسة ... أو صال ماتت له الأبطال والبهيم
فأي بلدة شركٍ أمها قدماً ... ولم يحلّ بها في عقرها النقم؟
بقيت للدين والدنيا تسوسهما ... ما حنّت النيب أو ما أورك السلم
؟

موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار في قصيدته الميمية ويرد فيها:
يا أيها المنتمي للعطر قدك فقد ... قدحت نيران بغي سوف تضطرمّ

زعمت أنك محسود على نعم ... أوليتها ومحال أنها نعم
فربّ ذي نغم يعتدّها نعماً ... بجهله وهي إمّا حصّلت نغم
قدفت أعراض قوم جاهلاً بهم ... يا ظالماً وهم أعلام عصرهم

وقلت إنك فارقتهم وهم ... في حيث قدرك إمّا حصلوا رخم
فما حماك اغتياب القوم فضلهم ... ولا تحرّجت فيمن عرضه حرم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفها ... وما استرلك إلا فرط حلمهم
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من ... فيه حشاشة إيمان ولا كرم
ما حصّص الحق فيما قد أتيت به ... لكنها ظلمات فوقها ظلم
وعن قريب ستجني غبّ ما غرست ... يداك فالبغي غرس طعمه ورحم
؟

حبيب بن أحمد الشاعر

لا ضيع لله للمنصور مالكنّا ... حوط وصلاح الدين بالنظر
في كل يوم له في المسلمين يدٌ ... غراء تخبر عن أفعاله الغرر
فيا لها فرجة عمّت طوالها ... كما يعمّ ضياء الشمس والقمر
لا زالت الأرض والدينا بطاعته ... معمورتين إلى أقصى مدى العمر

أبو علي بن حسان الأسنجي

أنشدت له
ثقلت نفسك بالذنوب ودونها ... جسرٌ لعمرِكَ ما تحير ثقيلاً
يا باني الغرف التي قد عطّلت لو كنت تعقل دينها تعطيلاً
فاقصده إنك ميتٌ ومشاهدٌ ... يوماً عليك من الحساب طويلاً
تبني مصانعها وأنت مسافرٌ ... فلمن بناؤك إن أردت رحيلاً

أبو محمد الباجي رحمه الله تعالى

؟

أنشدت له:

إذا كنت عضواً لا أعفو عن الذنب من أخ ... وقلت أكافيه فأين النفاضل
ولكنني أغضي جفوني على القذى ... وأصفح عمّا رابني وأجامل

مَتَى أَقْطَعُ الْإِخْوَانَ فِي كُلِّ عَشْرَةٍ ... بَقِيتَ وَحِيداً لَيْسَ لِي مِنْ أَوَاصِلٍ
وَلَكِنْ أَدَارِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرِّي ... وَإِنْ هُوَ أَغْيَا كَانَ عَنْهُ النِّجَامِل

عبد الرحمن بن عمرو الحجري

أنشدت له:

لَمَّا قَدِمْتُ وَقَالَ بَعْضُ صَحَابَتِي ... قَدْ جَاءَ مِنْ عَقَلْتِ يَمِينِكَ حَبْلُهُ
قَالَتْ قَعِيدَةُ بَيْتِهَا يَمُّ أَبَا ... إِسْحَقَ سَيِّدَنَا وَقَبْلَ نَعْلِهِ
نَفْسِي تَعَاوَدُ نَيْلَهُ الْغَمْرِ الَّذِي ... هُوَ أَهْلُهُ وَعَسَى بِهِ وَلَعْلَهُ

عبد الملك بن خزيمة

قال:

ابْرَزْ إِلَى النَّاسِ إِنَّ النَّاسَ فِي أَسْفٍ ... إِذْ لَيْسَ بِعَدِكَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ خَلْفٍ
وَقَدْ مَضَتْ لَكَ أَيَّامُ ثَمَانِيَّةٍ ... أَشْفَى لَهَا النَّاسُ مِنْ وَجَدَ عَلَى التَّلَفِ
خَوْفاً لَعْلَهُ حَبْرٌ لَيْسَ يَشْبَهُهُ ... مِنْ الْبَرِيَّةِ إِلَّا خَيْرَةُ السَّلَفِ
أَضْحَى الضَّلَالُ بِإِبْرَاهِيمَ مَتَّضِعاً ... وَصَارَ بِالْمَشْرِقِيِّ الدِّينَ ذَا شَرَفٍ

أبو العباس المرداوي

أنشدت له:

إِنِّي رَأَيْتُ لَكَ الْيَوْمَ ... يَا كَرِيماً أَجَلَهُ
طِفْلاً عَلَيْهِ حَيَاءٌ ... وَفِي الْحَيَا الْخَيْرُ كُلُّهُ
سَقَيْتَهُ الْحَلْمَ لَدُنَّا ... وَالْفَرْعُ يَسْقِيهِ أَصْلُهُ
لَا زِلْتُ أَثْنِي عَلَيْهِ ... دَهْرِي بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
فَبَارِكْ اللَّهُ فِيهِ ... وَفِي مَحَلِّ يَحْلُهُ

محمد بن وهيب البصري

أنشدت له وقد مجلس بعض الفقهاء، وهو محتفل بسرارة الناس، وقد حضروا لعقد نكاح، فقال الفقيه لابن وهيب: لو أمكنا عقد هذا النكاح لشاركنا في الحسنه، فقال: نعم وكرامة، وكيف تريد ذلك: منشوراً أو منظوماً؟ فقال له الفقيه: سبحان الله، ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله؟ قال لي: إي والله. وإنه لأيسر على من نثره، وإن أردت نظمته الآن نظمته الآن بين يديك من أوله إلى آخره. ولا أخليه من البسملة في افتتاحه، فقال: إذا أتيت بهذا أتيت بطامة. فقال له: هات كاتباً أمل عليه، فأحضره كاتباً فأمل عليه في نسق

نظما لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه من كتاب حفظه، وذكر الشروط والتاريخ على نصها في الصداقات قديماً. كل ذلك بحضرة من شهد المجلس، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه، وأقروا أنه نسيج وحده وفريد دهره، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به، وقال له الفقيه: أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه.

وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر، فعجب من ذلك، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً، وقد كتبت بعضها، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه، وهي:

لأصدق عبد الله نجل محمد ... فتى أمويّ زوجه البكر مريماً
وأمرها عشرين عجل نصفها ... دنانير يحويها أبوها مسلماً
وأنكحها من أبوها محمد ... سلاله إبراهيم من حيّ خنعماً
وباقى صداق البكر باقٍ إلى مدى ... ثلاثة أعوام زماناً متمماً
مؤخّرة عنه يؤدي جميعها ... إذا لم يكن عند التطلب معدماً
ومن شرطها أن لا يكون مرحلاً ... إذا أبداً عن دارها أين يمتاً
وأن لا يرى حتماً بشيء يضرها ... يصرف فيه الدهر كفاً ولا فما
وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه، وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مراتبهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده، وإن مداده لم يجف، وهذه مادة عظيمة.

أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي

النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه والمعاني النوادر، وله كتب مؤلفه منها اختصار كتاب العين، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم الزبيدي، وله كتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله، وكان الشعر أقل أدواته. فما أنشدت له في تكذيب منجم:

يقول المنجم لي لا تسر ... فإنك إن سرت لاقيت ضرراً
فإن كان يعلم أنني جسير ... فقد جاء بالنهي لغواً وهجراً
وإن كان يجهل سيري فكيف ... يراني إذا سرت لاقيت شراً
وله في رثائه لشيخه علي بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب، صاغها صوغ فحول العرب، وضمنها قطعة من غريب كلامهم، وهي قصيدة طويلة أولها:
تالله لا يبقى لصرف النوى ... ذو جسد في رأس نيقٍ منيف
وقوله في لزهد:

لو لم تكن نارٌ ولا جنةٌ ... للمرء إلا أنه يقبر
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ ... ناه لمن يسمع أو يبصر
وقوله:

الفقير في أوطاننا غربة ... والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيءٌ كلّها واحدٌ ... والناس جيران وأخوان

محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله في الزهد:

لقد فاز الموفق للصواب ... وعاتب نفسه قبل العتاب
ومن شغل الفؤاد بحب مولى ... يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك ينال عزاً لا كعزٍّ ... من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكر في الممات فعن قريب ... ينادي بالرحيل إلى الحساب
وقدم ما ترجى النفع منه ... لدار الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغتر بالدنيا فعما ... قريب سوف يؤذن بالخراب

الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي ريم

أنشدت له قوله في الزهد:

أيها المرء إنّ دنياءك بحر ... طافح موجه فلا تأمننّها
وسبيل النجاة فيها مهينٌ ... وهو أخذ الكفاف والقوت منها
وقوله:

خليلي إنّ الذي تعلمانه ... زمان التصابي وانطلاق عنانه
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى ... فهل من مجير مخبرٍ بأمانه
رأى مجير غير من قد عصيته ... فيا أسفي أن لم يعد بحنانه
وقوله:

وذي حرق زادت به زفرائه ... إذا ما سطت في قلبه خطراته
له في دجى الإظلام خلوة مخلص ... تذكره فيها الجحيم هناته
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى ... فتنهّل من لوعاته عبراته
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له ... عجائبه زادت له عزماته
وإن لحظت عين اليقين معاده ... سقت خوفه من مائه لحظاته

بنفسي وليّ أنه بملكه ... وفي ذكره إصباحه وبياته
وقوله:

أيها المرء لم تسرك دنيا ... أنت منها مرحل عن قريب
وإذا المرء لم يقصر خطاه ... في أمانة فهو غير لبيب

أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة فيها أمير المرية خيران، أولها:
قف بالمطي على مغاني الدار ... ليس الوقوف على الرسوم بعار
يقول فيها:

أنت الذي أنقذتنا من بعدما ... كنّا جميعاً تحت جرف هار
ونفضت نحو المارقين بمجفل ... جمّ أولي عزم وذو استبصار
باعوا النفوس لنصر دين محمد ... فكأّتهم في الحرب أسد الزار
وفيها يصف أعداءهم:

كانوا رباحاً للردى حتى رموا ... من جيشك المنصور بالإعصار
الله أركسهم وفرّق شملهم ... حتى أحلّهم بدار بوار

محمد بن عمر بن عبد الله

بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية، وأرواهم للأشعار والأخبار، وكان - مع ذلك - حافظاً للفقه
والحديث، من أهل النسك والزهادة، وله كتاب في الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله، وكان أبو علي البغدادي
المعروف بالقالي يفضلّه ويعظمه، ويعرف حقه ويقدمه. أخبرني أبو سعيد بن دوست قال: أخبرني الوليد بن
بكر الفقيه أن يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له، فألفاه خارجاً منها، فاستبشر بلقائه،
وابتدأه بيت حضره على البديهة فقال:

من أين أقبلت يا من لا شبيه له ... ومن هو الشمس، والدنيا له فلك
فأجابه مسرعاً:

من منزل يعجب النسك خلوته ... وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا
قال ابن هذيل: فما تمالك أن قبلت يديه، إذ كان شيخياً وأستاذي، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة
غرائبه: فمن بديعه قوله:

ضحى أناخوا بوادي الطلح غيرهم ... فأوردوها عشاءاً أيّ إيراد
أكرم به وادياً حلّ الحبيب به ... ما بين رند وصفصاف وفرصاد

يا وادياً سار عنه الـركب مرتحلاً ... بالله قل أين سار الـركب يا وادي
أبالحمى نزلوا أم باللوى عدلوا ... أم عنك قد رحلوا خلقاً لميعادي
بانوا وقد أورثوا جسمي لبيـنهم ... سقماً وقد قطعوا بالين أكبادي

أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً، وأدبا ونبلاً، وشعره في نهاية الجلالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة
والطلاوة. أنشدني له أبو سعيد بن دوست قال: أنشدني الوليد بن بكر قوله:

يا من مجرد من بصيرته ... تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له ... إلا تفزع منك في الحلم
أضحى لك التدير مطرداً ... مثل اطراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره ... فراك مطلعاً مع النجم
وقوله:

ومعترك هز له المنايا ... ذكور الهند في أيدي ذكور
لوامع يبصر الأعمى سناها ... ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الذوائب قد أقامت ... على حمراء ذات شبا طير
نجومٌ تحتها عقبان موتٍ ... تخطف القلوب من الصدور
بيومٍ راح في سربال ليلٍ ... كما عرف الأصيل من البكور
وعين الشمس تدنو في قتام ... دنو الأنف ما بين الستور
فكم قصرت من عمر طويل ... به وأطلت من عمر قصير
وقوله:

كم ألحم السيف من أبناء ملحمة ... ما منهم فوق ظهر الأرض ديارُ
فأورد النار من أرواح بارقةٍ ... كادت تميز من غيظ بها النار
كأنما صال في ثني مفاضته ... مستأسد حنق الأحشاء هرار
لما رأى الفتنة العمياء قد دخنت ... منها على الناس آفاق وأقطار
وأطبقت ظلم من فوقها ظلم ... ما يستضاء بها نورٌ ولا نار
قاد الجياد إلى الأعداء سارية ... قبا طواها كطيّ العصب إضمار

ملمومة تتبارى في ملممة ... كأنها لاعتدال الخلق أقمار
تفوت بالثأر أقواماً وتدركه ... من آخرين إذا لم يدرك الثأر
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم ... وحوله من جنود الله أنصار
كتائب تتبارى حول رايته ... وجحفل كسواد الليل جرار

وقوله يصف الحرب

ومعترك ضحك تساقط كمامته ... كؤوس المنايا من كلى ومفاصل
يديرونها راحاً من الراح بينهم ... بيض رقاق أو بسمر ذوايل
وتسمعهم أمّ المنية وسطها ... غناء صهيل اليبض تحت المناصل
وقوله:

بكل ردينيّ كأنّ سنانه ... شهابٌ بدا في ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال في طول متنه ... وعادت به الآمال وهي فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه ... فهن ظباتٌ للقلوب قوارع
وذي شطب تقضي المنايا بحكمه ... وليس لما تقضي المنية دافع
فرند إذا ما اعتن للعين راكد ... وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع
يسلّل أرواح الكماة انسلاله ... ويرتاع منه الموت والموت رائع
وقوله:

بكل منثور على متنه ... مثل مدبّ النمل بالقاع
يرتدّ طرف العين عن حدّه ... عن كوكبٍ للموت لمّاع
وقوله:

كرّم على العالّات جزل عطاؤه ... منيلٌ وإن لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطي إذا ما سألته ... ولكنّ من يعطي بغير سؤال
وقوله:

من يرتجى بعدك أو يتقي ... وفي يدك الجود والبأس
إن عشت عاش الناس في نعمة ... وإن تمت مات بك الناس
وقوله في الشيب:

شباب المرء تنفذه الليالي ... وإن كانت تصير إلى نفاد
فأسوده يصير إلى بياض ... وأبيضه يعود إلى سواد
وقوله:

قالوا شبابك قد ولّى فقلت لهم ... هل من جديد على كرّ الجديدين
صل من هويت وإن أبدى معاتبة ... فأطيب العيش وصل بين ألفين
واقطع حبال خلّ لا تلاممه ... فربما ضاقت الدنيا على اثنين
وقوله يرثي :

بليت عظامك والأسى يتجدد ... والصبر ينفد والبكا لا ينفد
يا غائباً لا يرتجى لإياه ... ولقائه حتى القيامة موعد
ما كان أحسن ملحداً ضمّنته ... لو كان ضمّ أباك ثم الملحد

باليأس أسلو عنك لا بتجلدي ... هيهات أين من الحزين تجلّد
وقوله يرثيه

واكبداً قد تقطعت كبدي ... وأحرقته لواعج الكمد
ما مات حيّ لميتٍ أسفاً ... أعذر من والد على ولد
يا رحمة الله جاوري جدناً ... دفنت فيه حشاشتي بيدي
ونوري ظلمة القبور على ... من لم يصل ظلمه إلى أحد
أيّ حسام أخذت رونقه ... وأيّ روح نزعته من جسدي
يا قمراً أجحف الخسوف به ... قبل طلوع السواء في العدد
أيّ حشى لم يذب له أسفاً؟ ... وأيّ عينٍ عليه لم تجد؟
لا صبر لي بعده ولا جلدٌ ... فجعت بالصبر فيه والجلد
يا لوعة لا يزال لاعجها ... يقدح نار الأسى على كبدي
وقوله:

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ... ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزنا
لهفاً على ميت مات السرور به ... لو كان حيّاً لأحيا الدين والسننا
وهاً عليك أبا بكر مرده ... لو سكّنت والهاً أو فترت شجنا
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزانا ... وما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدي ومزاج الروح في بدني ... هلاًّ دنا الموت ممّي حيث منك دنا
يا أطيب الناس روحاً ضمه بدنٌ ... أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً ... منه لما كانت الدنيا له ثمنا
وقوله في التحبب للناس:

وجهٌ عليه من الحياء سكينَةٌ ... ومحبةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحب الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبةً للناس
وقوله:

لا غرو إن نال منك السقم ما سألّا ... قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكي علةً في الدهر واحلة ... إلّا اشتكى الجود من وجد بها عللا
وقوله:

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ... ما لي أخ غير ما تحوي عليه يدي
دعني أصنّ حرّاً وجهي عن إذالته ... وإن تغرّبت عن أهلي وعن ولدي
وقوله:

واعذر من أدمى الجفون من البكا ... كريمٌ رأى الدنيا بكفّ لئيم

أرى كل قدم قد تبجح في الغنى ... وذو الظرف لا تلقاه غير عديم
وقوله في الشيب:

بدا وضح المشيب على عذاري ... وهل ليل يكون بلا نهار
وألisini النهى ثوباً جديداً ... وجردني من الثوب المعار
شريت سواد ذا بياض هذا ... فبدلت العمامة بالخمار
وما بعث الصبا بيعاً بشرط ... ولا استثنيت فيه بالخيار
وقوله في الشباب

ولّى الشباب وكنت تسكن ظله ... فانظر نفسك أي ظلّ تسكن
وانه المشيب عن الصبا لو أنه ... يدلي بحجته إلى ن يعلن
وقوله فيه:

كنت أليف الصبا فودّعني ... وداع من بان غير منصرف
أيام هوي كظل أسجلة ... وإذ شبّاي كروضة أنف
وقوله فيه:

شبّاي كيف صرت إلى نفاذ ... وبدلت البياض من السواد؟
وما أبقى الحوادث منك إلا ... كما أبقى من القمر الدادي
فراقك عرّف الأحزان قلبي ... وفرّق بين عيني والرقاد
كأنّي منك لم أربع بربع ... وغادى نبتة صوب الغوادي
زمان كان فيه الرشد غياً ... وكان الغي فيه من رشادي
فكم من غليل فيك خافٍ ... ولم لي من عويل فيك بادي
وقوله:

فكرت فيك أبحرٌ أنت أم قمرٌ ... فقد تحير فكري بين هذين
إن قلت بحرٌ وجدت البحر منحسراً ... وبحر جودك ممتدّ العنانين
أو قلت بدرٌ رأيت البدر منتقصاً ... فقلت شتان ما بين اليزيدين
وقوله في الزهد:

يا ويلتا من موقف ما به ... أخوف من أن يعدل الحاكمُ
أبارز الله بعصيانه ... وليس لي من دونه راحم
يا رب عفواً منك عن مذنب ... أسرف إلا أنه نادم
وقوله:

أتلهو بين باطيه وزير ... وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غره أملٌ طويلٌ ... به يردى إلى أجل قصير
أتفرح والمنية كلّ يومٍ ... تريك مكان قبرك في القبور

هي الدنيا وإن سرتك يوماً ... فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها ... بعارية ترد إلى معبر
وتعتاض اليقين من التظني ... ودار الحق من دار الغرور
وقوله:

مدامع قد خلدت في الحدود ... وأعينٌ مكحولة بالهجود
ومعشر أوعدهم ربحهم ... فبادروا خشية ذاك الوعيد
قد كاد أن يعشب من دمعهم ... ما قابلت أعينهم في السجود
وقوله في الغزل:

أتقتلني ظلماً وتجدني قتلي ... وقد قام من عينيك لي شاهدا عدل
أطالاب ذحلي ليس بي غير شادن ... بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلي
أغار على قلبي بعينه شادن ... أطالبه فيه أغار على عقلي
بنفسي التي ضنت عليّ بوصلها ... ولو سألت قتلي وهبتُ لها قتلي
إذا جئتُها صددت حياءً بوجهها ... فيعجبني هجر ألدّ من الوصل
كتمت الهوى جهدي فحرره الأسي ... بماء البلاء هذا يخطّ وذاً يملّي
وإن حكمت جارت عليّ بحكمها ... ولكنّ ذاك الجور أحلى من العدل

وأحييت فيها العدل حباً لذكرها ... فلا شيء أشفى في فؤادي من العدل
أقول لقلبي كلما ضامه الأسي ... إذا ما أيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيي تعرضت للهوى ... وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي
وجدت الهوى نصلاً لموتي مغمداً ... فجردته ثم أتكيت على النصل
فإن كنت مقتولاً على غير رية ... فأنت الذي عرضت نفسك للقتل
وقوله، وهو من دقيق التشبيه وحسن النسب:

حوراء راعتها النوى في حور ... حكمت لواحظها على المقدور
نظرت إليك بمقلتي أمانة ... وتلفتت بسوالف اليعفور
وكأنما غاص الأسي بجفونها ... حتى أتاك بلؤلؤ منشور
وقوله:

أدعو إليك فلا دعاء يسمع ... يا من يضرّ بناظريه وينفع
للورد حينّ ليس يطلع دونه ... والورد عنك كلّ حينّ يطلع
من لي بأحور ما يبين لسانه ... خجلاً وسيف جفونه لا يقطع
منع الكلام سوى إشارة مقلّة ... منها يكلمني وعنّها يسمع
وقوله:

جمالٌ يفوت الوهم في غاية الفكر ... وطرفٌ إذا ما فاه ينطق بالسحر
ووجه أعار البدر ذلّة حاسدٍ ... فمته الذي يسود في صفحة البدر
وقوله في النحول

لم يبق من جثمانه ... إلا حشاشة مبتتس
قد رقّ حتى ما يرى ... بل ذاب ما يحس
وقوله في البين:

فررت من اللقاء إلى الفراق ... فحسي ما لقيت وما ألاق
سقايني البين كأس الموت صرفاً ... وما ظني أموت بكف ساقي
فيا برد اللقاء على فؤادي ... أجريني اليوم من حرّ الفراق
وقوله في نوح الحمام:

ويحتاج قلبي كما كان ساكناً ... دعاء حمام لم يت بوكون
وإن ارتياحي من بكاء حمامة ... كذي شجنٍ داويته بشجون
كأن حمام الأيك لما تجاوزت ... حزينٌ بكى من رحمة لخرين
وقوله:

أناحت حمامات اللوى أم تغتت ... فأبدت دواعي قلبه ما أجتت
فديت التي كانت ولا شيء غيرها ... مني النفس أو يقضي لها ما تمتت
وقوله فيه:

لقد سجعت في جنح ليل حمامة ... فأَيّ أسى هاجت على الهائم الصبّ
لك الويل بل هيجت شجوي بلا جوى ... وشكوى بلا شكوى وكرباً بلا كرب
وأسكبت دمعاً من جفون مسهد ... وما رقرقت منك المدامع بالسكب
وقوله في الرياض:

وما روضة بالخزن حاك لها الندى ... بروداً من الموشي حمر الشقائق
يقيم الدجى أعناقها ويميلها ... شعاع الضحى المستنّ في كلّ شارق
إذا صاحكتها الشمس تبكي بأعين ... مكللة الأجفان صفر الحماق
حكّت أرضها لون السماء وزانها ... نجوم كأمثال النجوم الخوافق
بأطيب نشرًا من خلاقلك التي ... لها خضعت في الحسن زهر الخلائق
وقوله في التضمين:

وروضة ورد بالسوسن الغض ... تحلّت بلون السام والذهب الخض
رأيت بها بدرًا على الأرض ماشياً ... ولم أر قط يمشي على الأرض
إلى مثله تصبو إذا كنت صابياً ... فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض
وقل للذي يفني الفؤاد بحبه ... على أنه يجري الحبة بالبعض

أبا مندر أفيت فاستيق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض
وقوله:

وحاملة راحا على راحة اليد ... موردة تسعى بلون مورد
متى ما ترى الإبريق للكأس راكعاً ... تصلّ له من غير طهر وتسجد
على ياسمين كاللجين ونرجس ... كأقراط درّ في قضيب زبرجد
بتلك وهذي فاله يومك كلّ ... وعنّها فسل لا تسأل الناس عن غد
ستيدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم ترود
وقوله:

أيقطني دائي وأنت طيبي ... قريب وهل من لا يرى بقريب
لئن خنت عهدي إنني خير خائن ... وأيّ محبّ خان عهد حبيب
وساحبة فضل الذبول كأنها ... قضيب من الريحان فوق كتيب
إذا برزت من خدرها قال صاحبي ... أطعني وخذ من حظها بنصيب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ... وما كلّ مؤت نصحه بليب
وقوله:

يا طويل الهجر لا تنس وصلي ... واشتغالي بك عن كلّ شغل
يا هاللاً فوق جيد غزال ... وقضياً فوق دعصة رمل
وقوله:

يا وميض البرق بين الغمام ... لا عليها بل عليك السلام
إنّ في الأحداج مقصورة ... وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالاً لها ... وترى الوصل عليها حرام
ما تأسيك لدار خلت ... ولشعب شتّ بعد الشتاء
إنماذكرك ما قد مضى ... ضلّة مثل حديث المنام
وقوله:

يا عاتباً صرت له عاتباً ... رب مطلوب غدا طالبا
من يتب عن حب معشوقه ... لست عن حيّ له تائباً
فألهوى لي قدر غالب ... كيف أعصي القدر الغالبا
ساكن القلب ومن حله ... أصبح القلب به ذاهبا
وقوله:

أيّ تفاح ورمان ... لنجني من خوط ريحان
أيّ ورد فوق خدّ بدا ... مستنيراً فوق سوسان

وثنٌ يعبد في خلوة ... صيغ من درٍّ ومرجان
من رأى الذلفاء يا قوته ... أخرجت من كيس دهقان
وقوله:

من محب شفقٍ سقمه ... وتلاشى لحمه ودمه
كاتبٌ حنَّ صحيفته ... وبكى من رحمةٍ قلمه
خلٌ عقلي يا مسفهه ... إنَّ عقلي لست أقمه
للفتى عقلٌ يعيش به ... حيث تمدي ساقه قدمه
وقوله:

زادني لومك إصراراً ... إنَّ لي في الحب أنصارا
طار قلبي من هوى رشاً ... لو رثي للقلب ما طارا
خذ بكفي لا أمت غرقاً ... إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي ... ودموعي تطفئ النارا
رب نار بتُّ أرمقها ... تقضم الهندي والغارا
وقوله:

يا ليلة كان في ظلمائها نور ... إلّا وجوهاً تظاهيها الدنانير
حورٌ سقتني كأس الموت أعينها ... ماذا سقتني تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدرٌ الثغر منتظمٌ ... وإن نطقن فدر اللفظ مشور
خلّ الصبا عنك واختم بالنهى عملاً ... فإن خاتمة الأعمال تكفير
فالخير والشر مقرونان في قرن ... فالخير ممتنعٌ والشر محذور
وقوله:

يا طالباً في الحب ما لا ينال ... وسائلاً لم يعف ذلّ السؤال
ولت ليالي الصبا محمودة ... لو أنها ترجع تلك الليالي
وأعقبك التي أوصلتها ... بالمهجر لما رأيت شيب القذال
لا تلتمس وصلةً من مخلف ... ولا تكن طالباً ما لا ينال
يا صاح قد أخلفت أسماء ما ... كانت تمنّيك من حسن وصال
وقوله:

ظالمتي في الحب لا تظلمي ... فتصرمي جبل من لم يصرم
أهكذا باطلاً عاقبتني ... لا يرحم الله من لا يرحم
قتلت نفساً بلا نفس وما ... ذنبٌ بأعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عيني لا ... للمنزل القفر ولا للرسم
ماذا وقوفي على رسم عفا ... مخلوق دارس مستعجم

وقوله:

ما أقرب اليأس من رجائي ... وأبعد الصبر من بكائي
ما مذكي النار في جوائي ... أنت دوائي وأنت دائي
من لي بمخلفة وعدّها ... تخلط لي اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه ... لي بنعم لا ولا بلاء
قلت استجبي فلما لم تجب ... فاضت دموعي على ردائي

كآبة الذل في كتابي ... ونخوة العزّ في الجواء

وله فيه:

قتلت نفساً بغير نفس ... فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب ... إذا خلق الناس من تراب
ولّت حمياً الشباب عني ... فلهف نفسي على الشباب
أصبحت والشيب قد علاني ... يدعو حثيثاً إلى الخضاب

وقوله:

تجافي النوم بعدك عن جفوني ... ولكن ليس تجفوها الدموعُ
يطير إليك من شوقٍ فؤادي ... ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت ... فليس لها على الدنيا طلوع
يذكرني تبسمك الأفاحي ... ويحكي لي تورّدك الربيع
فما لي من تذكرك امتناع ... ودون لقاءك الحصن المنيع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

وقوله:

حال الزمان له فيبدّل حالا ... وكسا المشيب مفارقاً وقذالا
غابت غواني الحى عنك وربما ... طلعت إليك أكلة وحجالا
أضحى عليك حالهن محرماً ... ولقد يكون حرامهن حالاً
إن الكواعب إن رأينك طاوياً ... وصل الشباب طوين عنك وصالا
وإذا دعونك عمّهن فإنه ... نسبّ يزيدك عندهن خبالا

وقوله:

هتك الحجاب عن الضمائر طرفٌ به تبلى السرائرُ
يرنو فيمتحن القلو ... ب كآته في القلب ناظر
يا ساحراً ما كنت أع ... رف قبله في الناس ساحر
أقصيتني من بعد ما ... أدنيتني فالقلب طائر

وغررتني وزعمت أنّ ... لك لابنٌ في الصيف تامر
وقوله:

يا مقلة الرشأ الغري ... ر وشقة القمر المنير
ما رنقت عيناك لي ... بين الأكلمة والستور
إلا وضعت يدي على ... كبدي مخافة أن تطير
هني كبعض حمام مكّ ... ة واستمع قول النذير
أبني لا تظلم بمكّ ... ة لا الصغير ولا الكبير
وقوله:

قل ما بدالك وافعل ... واقطع حبالك أوصل
هذا الربيع فحيه ... وأنزل بأكرم منزل
وصل الذي هو واصل ... وإذا كرهت تبدل
وإذا نبا بك منزل ... أو مسكن فتحوّل
وإذا افتقرت فلا تكن ... متخشعاً وتحمل
وقوله:

يا دهر ما لك ضنك ... وأنت غير موافي
جرّعتني غصصاً بها ... كلرت عليّ حياتي
أين الذين تسابقوا ... في الجدل للغايات
قوم بهم روع الحيا ... ة تردّ في الأموات
وإذا همو ذكروا الإس ... ة أكثروا الحسنات
وقوله فيه:

متى أشفي غليلي ... بنيل من بخيل
غزالٌ ليس لي منه ... سوى الحزن الطويل
حملت الضيم فيه من ... حسودٍ أو عدول
جميل الوجه أخلاقي ... من الصبر الجميل
وما ظهري لباعي الضي ... م بالظهر الذلول
وقوله:

لم أدر جنيّ سباني أم بشر ... أم شمس ظهرٍ أشرقت لي أم قمر
أم ناظر يهدي المنايا طرفه ... حتى كأن الموت فيه في النظر
ويجي قتيلاً ما له من قاتل ... إلا سهام الطرف ريشت بالخور
ما بال رسم الوصل أضحي دارسا ... حتى لقد أذكّرني ما قد دثر
دارٌ لسلمي إذ سلّمي جارة ... قفرٌ ترى آياتها مثل الزبر

وقوله:

قلبٌ بلوعات الهوى معمود ... حيّ كميّت حاضر مفقود
ما ذقت طعم الموت في كأس الرّجا ... حتى سقتنيه الطّباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى ... إذ لا دواء للضنى موجود
أم كيف أسلو غادة ما حبّها ... إلّا قضاء ما له مردود

القلب منها مستريح سالم ... والقلب مني جاهد مجهود

وقوله:

يا أيها المشغوف بالحب التعب ... كم أنت في تقريب مالا يقترب
دع ودّ من لا يرعوي إذا غضب ... ومن إذا عاتبته يوماً عتب
إنك لا تنجي من الشوك العنب

وقوله:

أنا في اللذات ممنوع العذار ... هائم في حب ظلي ذي احورار
صفرة في حمرة في خلد ... جمعت روضة وردٍ وبهار
بأي قلبي آسٍ أقبلت ... تشني بين حجل وسوار
قادني قلبي وطرفي للهوى ... كيف من قلبي ومن طرفي حذاري
لو بغير الماء حلقي شرقاً ... كت كالعصان بالماء اعتصاري

وقوله:

يا مدير الصدغ بالخد الأسيل ... ومجمل السحر بالطرف الكحيل
هبّ خزون كيب نظرة ... منك يشفي بردها حرّ الغليل
وقليلٌ ذاك إلّا أنه ... ليس من مثلك عندي بالقليل
بأي أحور غني موهناً ... بغناء قصر الليل الطويل
يا بني الصيّداء ردّوا فرسي ... إنما يفعل هذا بالذليل

وله:

شادنٌ يسحب أذيال الطرب ... ينثني ما بين هوٍ ولعب
بجبن مفرغ من فضة ... فوق خد مشرب لون الذهب
كتب بالدمع بجدي عهده ... للهوى والشوق يملّي ما كتب
يا لجهلي ما أراه ذاهباً ... وسواد الرأس منّي قد ذهب
قالت الخنساء لما جئتها ... شاب بعدي رأس هذا واشتهب

وقوله:

يا هاللاً في تجليه ... وقضيياً في تنّيه

والذي لست أسي ... ه ولكني أكنيه
شادن ما تقدر العي ... ن تراه من تلايه
كلما قابلها شخ ... ص رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى ال ... ذر عليه كاد يدميه
وقوله:

يا هاللاً قد تجلّى ... في سحاب من حرير
وأميراً بهواه ... قاهراً كلّ أمير
ما لخدك استعاراً ... حمرة الورد المنير
ورسوم الوصل قد أل ... بسها ثوب الدثور
وقوله:

أنت بما في نفسه أعلم ... فاحكم بما شئت به تحكم
أحاطه في الحبّ قد هتكت ... مكتومة والحب لا يكتم
يا مقلتي وحشية قتلت ... نفساً بلا نفس ولا تظلم
قالت تسليت فقلنا لها ... ما قال قبلي عاشق مغرم
وقوله:

ويحي قبيلاً ما له من عقل ... من شادن يهترّ مثل النصل
مكحل ما مسّه من كحل ... لا تعذلا في إنني في شغل
يا صاحبي رحلي أقلا عنلي
وقوله فيه:

بيضاء مضمومة مقرطقة ... تنقّد عن فمها قراطقها
كأنما بات ناعماً جذلاً ... في جنة الخلد من يعانقها
وأي شيء ألدّ من أمل ... ناله معشوقه وعاشقها
دعني أمتّ في هوى مخدرة ... يعلق نفسي بها علائقها
من لم يمت عبطة يمت هرماً ... الموت كأس المرء ذائقها
وقوله:

أنت دائي وفي يدك شفائي ... يا دوائي من الهوى وشفائي
إنّ قلبي يحبّ من لا أسي ... في عناء أعظم به من عناء
كيف لا كيف أن ألدّ بعيش ... مات صبري به ومات عزائي
أيها اللاهمون ماذا عليكم ... أن تعيشوا وأن أموت بدائي
ليس من مات فاستراح بميت ... إنّما الميت ميت الأحياء
وقوله:

ذات دلّ وشاحها قلق ... من ضمورٍ وحجلها شرقُ
برت الشمس نورها وحبّاه ... لحظ عينيّه شادنٌ حلقُ
ذهب خدّها يذوب حياءً ... وسوى ذاك كله ورقُ
إن أمت ميتة الخبين يوماً ... وفؤادي من الهوى حرق
فالمنايا ما بين غادٍ وسارٍ ... كلّ حيٍّ برهنها علق
وقوله:

أشرقت لي بدور ... في ظلام تنير

طار قلبي لحسنها ... من لقلب يطير!
يا بدور أنا بها ال ... دهر عان أسير
إن رضيتم بأن أمو ... ت فموتي حقير
كل خطبٍ ما لم تكو ... نوا غضبتهم يسير
وقوله:

يا مليحة الدعج ... هل لديك من فرج
أم أراك قاتلي ... بالدلال والغنج
عاذلي ويحكما ... قد غرقت في لجج
وقوله:

أأحرم منك الرضى ... وتذكر ما قد مضى
وتعرض عن هائم ... أبي عنك أن يعرضاً
قضى الله بالحب لي ... فصبراً على ما قضى
رمى فؤادي فما ... تركت به منهضاً
وقوسك شريانة ... ونبلك جهر الغضا
وقوله:

وأزهر كالعيوق يسعى بأزهر ... لنا منه داء وهو برء من الداء
ألا بأبي صدغ حكى العين فثله ... وشارب مسكٍ قد حكى عطفة الرءاء
فما السحر ما يعزي إلى أرض بابل ... ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء
وكيف أدارت مذهب اللون أصفرا ... بمذهبة في راحة الكفّ صفراء
وقوله:

معذبتي رفقا بقلب معذب ... وإن كان يرضيك العذاب فعذبي
لعمري لقد باعدت غير مباعد ... كما أنني قربت غير مقرب
لو أن امرأ القيس بن حجر بدت له ... لما قال مرّاً بي على أم جندب

وقوله:

محبّ طوى كشحاً على الزفرات ... وإنسان عين خاض في العبرات
فيا من بعينه سقامي وصحّي ... ومن في يديه ميتي وحياتي
بحبك عاشرت الهموم صباية ... كأني لها تربّ وهنّ لداتي
فخذني أرض للهموم ومقلتي ... سماء لها تنهل بالعبرات
وقوله:

طلّق اللهو فزادي ثلاثاً ... لا ارتجاع لي بعد الثلاث
وبياض في سواد عذاري ... بدل التشيب لي المراثي
غير أني لا أطيق اضطراباً ... وأراني صائراً لانتكاثي
بأناث في صفات ذكور ... وذكور في صفات إناث
وقوله:

صدعت قلبي صدع الزجاج ... ما له من حيلة أو علاج
مزجت روحي الحاظها ... فالهوى مني لروحي مزاج
يا قضيباً فوق دعص النقا ... وكتيباً تحت تمثال عاج
أنت نوري في سواد الدجا ... وسراجي عند فقد السراج
وقوله:

مستهام دمه سافح ... بين جفنيه هوى قادح
كلما أمّ سبيل الهوى ... قاده السافح والنازح
حلّ فيما بين أعدائه ... وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى ... أصلها يا أيها القادح
وقوله:

عاد منها كلّ مطبوح ... غير داذي ومفضوح
فاعتقد من ود أهل الحجي ... كل ودّ غير مشدوخ
وانتشق ريك من ملتقى ... شارب بالمسك ملطوخ
إنّ في العلم وآثاره ... ناسخاً من بعد منسوخ
وقوله:

يا مجال الروح من جسدي ... والذي يفتر عن برد
وفريد الحسن واحده ... منتهاه منتهى العدد
خذ بكفي إنني غرق ... في بحار جمّة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ... ما أقام الصبر من أودي
وقوله:

أذكرت من طير ناباذ ... فقري الكرخ فبغداد
قهوة ليست ببارقة ... لا، بتع ولا داذي
مرة يهذي الحليم بما ... بأبي ذلك من هاذي
فهي أستاذ الشراب معاً ... والمعاني دأب وأستاذ
وقوله:

نورٌ تولد من شمس ومن قمر ... في طرفه سقمٌ أمضى من القدر
أصلي فؤادي بلا ذنب جوى حرق ... لم يبق من مهجتي شيئاً ولم ينر
لا والرحيق المصفى من مراشفه ... وما بخديه من خال ومن طرر
ما أنصف الحب قلبي في حكومته ... ولا عفا الشوق عني غير مقتدر
وقوله:

خرجت أجتاز قفراً غير مجتاز ... فصادني أسهل العينين كالباذ
صفرٌ على أنه صفر لوالبه ... ذا فوق نعلٍ وهذا فوق قفاز
كم موعد لي من ألحاظ مقلته ... لو أنه موعد يقضى بالنجاز
أبكي ويضحك مني طرفه هزواً ... نفسي الفداء لذك الضاحك الهازي
وقوله "

يا غصناً مائساً بين الرباط ... مالي من بعد العيش اغتباط
ما من إذا ما ابتدى ماشياً ... وددت أن له خدي بساط
ترك عيناه من يبصره ... مختلط اللبسة كل اختلاط
قلت متى نلتقي يا سيدي ... قال غدا نلتقي عند الصراط
وقوله:

يا ساحراً طرفه إذ يلحظ ... وفاتنا لفظه إذ يلفظ
يا غصناً ينثني من لينه ... وجهك من كل عين يحفظ
أيقظني إذ جاعني من نفسه ... من طرفه ناعس مستيقظ
ظبي له وجنة من رقة ... تجرحها مقلة من يلحظ
وقوله:

يا من دمي دونه مسفوك ... وكل حرٍّ له مملوك
كأنه فضة مسبوكة ... أو ذهب خالص مسبوك
ما أطيب العيس لو لا أنه ... عن عاجلٍ كله متروك
وقوله:

إليك يا غرة الهلال ... وبدعة الحسن والجمال

مددت كفاً بها انقباض ... وأين كفي من الهلال
شكوت ما بي إليك وجداً ... فلم ترقى ولم تبال
أعاضك الله من قريب ... حالاً من السقم مثل حال
وقوله:

بنفسي من مرأشفه مدام ... ومن لحظات مقلته سهام
ومن هو إن بدا والبدر تمّ ... صبا من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدوداً ... فلا لفظ إليّ ولا ابتسام
تكلم ليس يوجعك الكلام ... ولا يحو محاسنك السلام
وقوله:

سليت الروح من بدني ... وصمت القلب بالخرن
فلي بدن بلا روح ... ولي روح بلا بدن
قرنت مع الردى نفسي ... فنفسي وهو في قرن
فليت السحر من عيني ... ك لم أره ولم يري
وقوله:

غزال من بني العاص ... أحسّ بصوت قناص
فأتلع جيده حنراً ... وأشخص أيّ إشخاص
أيا من أخلصت نفسي ... هواه كل إخلاص
أطاعك من ضمي القل ... ب غفواً كلّ معتاص
وقوله:

أوحت إليك جفونها بوداع ... خود بدت لك من وراء قناع
بيضاء ما باهى النعيم بصفرة ... فكأنها شمسٌ بغير شعاع
أما الشباب فودّعت أيامه ... ووداعهن موكلٌ بوداعي
لله أيام الصبا لو أنما ... كرّت عليّ بلنةٌ وسماع
وقوله:

أصغى إليك بكأسه مصغي ... صلت الجبين معقرب الصدغ
كأس تولّد باخبة بيننا ... طوراً وتنزغ أيما نزع
في روضة درجت يزهقها الصبا ... والشمس في درج من الفرغ
واشرب بكفٍّ أغنّ عقرب صدغه ... للقلب منك مميتة اللدغ
وقوله:

يا دمية ليست بمعتكف ... بل ظبية أوفت على شرف
بل درة زهراء ما سكنت ... بحراً ولا درّاً من الصدف

أسرفت في قتلي لا ترّة ... وسمعت قول الله في السرف
إني أتوب إليك معترفاً ... إن كنت تقبل قول معترف
وقوله:

يا فتنة بعثت على الخلق ... ما بينها والموت من فرق
شمس بدت لك في مغاربها ... يفتّر مبسمها عن البرق
ما كنت أدري قبل رؤيتها ... للشمس مطلقاً سوى الشرق
يا من يضمن بفضل نائله ... لو في يديك مفاتيح الرزق
وقوله:

طلعت له والليل دامس ... شمس تجلّت في حنادس
تختال في صفر المجا ... سد بين حارسة وحارس
يا من لبهجة وجهه ... يستأسر البطل الممارس

لم يبق من قلبي سوى ... رسمٍ تغيّر فهو دارس
وقوله:

دع قول واشية وواشي ... واجعلهما كلبي هراش
واشرب معتقة تسل ... سل في العظام وفي الخاشي
حتى ترى العود المسن ... لها أرقّ من الخشاش
وقوله:

ألاحظ عين تنتهي ... في روض ورد تزدهي
رتعت بها وتزّعت ... منها بأي تنزه
يا أيها الخنث الجفو ... ن بنخوة وتكره
والمكتفي عجباً أما ... ترثي لأشعث أمره
وقوله:

أطففت شرارة لهوي ... ولوت بشرّة عدوي
شعل علون مفارقي ... ومضت ببهجة سروري
لما شككت عروضها ... ذهب الزحاف بحزوي
يا أيها الشاديّ صه ... ليست بساعة شدو
وقوله:

ألا يا زين قلبي لل ... شباب العفر إذ ولّي
جعلت الغيّ سربالي ... وكان الرشدي أولى
بنفسي جائراً في الحك ... م يلفي جوره عدلاً

وليس الشهد في فيه ... بأحلى عنده من لا
وقوله:

هنا تفني قوافي الش ... عر هذا الروي
قوافٍ ألبست حلياً ... من الحلّى الروي
تعالت عن جرير بل ... زهير بل عدي
؟

أبو عمرو يوسف بن هرون

المعروف بأبي سيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سيح يمدح أبا علي إسماعيل بن القاسم
البغدادى القالى، من قصيدة:

من حاكم بيني وبين عدولي ... الشجو شجوي والعويل عويلي
في أيّ جراحة أصون معذبي ... سلمت من التعذيب والتكيل
إن قلت في بصري فثم مدامعي ... أو قلت في كبدي فثم غليلي
وثلاث شيبات نزلن بمفرقي ... فعلمت أنّ نروهن رحيلي
طلعت ثلاث في نزول ثلاثة ... واش وجه مراقب ومقيل
فعدلني عن صبوتي متذلاً ... ولقد سمعت بذلة المعذول
ومنها:

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع ... منهن غير معالم وطلول
وفنت محافظة الحسان فلم تصل ... كفيّ إلى ظبي أغنّ كجيل
ومكبل لم يجترم جرماً ولا ... دامت صحابته بغير كبول
متلفت كتلفت المرتاع يق ... سم لحظه في الحول بعد الحول
حتى إذا ما السرب عنّ للحظه ... أومى بقادمتيه خلّ سبيلي
ولّت جماعتها وشدّ وراءها ... وكأنه بطل وراء رعي
عجلت وأدركها ردى في إثرها ... إنّ الردى قيد لكلّ عجول
ولقد غدوت بأهت متضائل ... سر النفوس إليه غير ضئيل
ولربما اشمع الصعيد بأنفه ... حيناً فقام له مقام دليل
متبّع لظلاله فكأنه ... في القبط يطلب ظلّه لمقيل
فتزلت في فرش الرياض ولم يكن ... ليحوزها مثلي بغير نزول
روض تعاهده السحاب كأنه ... متعاهد من علم إسماعيل

قسه إلى الأعراب تعلم أنه ... أولى من الأعراب بالفضيل
حازت قبائلهم لغات جمعت ... فيهم وحاز لغات كل قيل
فالشرق خال بعده فكأنما ... نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا بغيبته وموت شيوخه ... عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهم بليل همومهم ... منه فصاروا في دجى موصول
فكأنه شمس بدت في غربتنا ... وتغربت في شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم أقل ... زوراً ولا عرضت بالتويل
من كان يأمل نانلاً فأنا امرؤ ... لم أرج غير القرب في تأميلي
وقوله:

وإني لأغضي الطرف عنك جلالة ... وخوفاً على خديك من لحظاتي
ولو أنني أهملت عيني بأن ترى ... سنالك حالت دونها عبراتي
رأيت وشاة الكاشحين أباعدا ... ولكن دمعي من عديد وشاتي
زعمت بأني حلت عنك ولم أكن ... أعينك في بشي وفي حسراتي
وهل أنا إلا طالبٌ لميتي ... إذا حلت عمّن في يديه وفاتي
وقوله:

عزمت على قتلي بغير تحرّج ... شجى حتى تقتل الهائم الشجي
ولم يبد سريّ فيك رأي، وإنما ... تبدّي فراراً من حشيّ متوهّج
نحولي ودمعي ديجاً وجنتي بما ... رأيت مقلتي من خدك المتدبج
بهاراً ودرأ هبت الريح فوقه ... بقرو فغطّت وردة بالنفسج
وقال يرثي البلدي الخباز:

أنا إن رمت سلّوا ... عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا ... رك في قتل الحسين
لك صولات على قل ... بي دليلات لحيني
مثل صولات عليّ ... يوم بدرٍ وحنين
ومن شعره قوله:

هبوا أن سجنني مانعٌ لو صاله ... فما العذر أيضاً في امتناع خياله؟
بلى لم تنم عيني فيطرق طيفها ... زوال منامي علّة لرواله
؟

عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري

له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه، أولها:
ألوي بعزم تجلدي وتصبري ... نأى الأحبة واعتياد تذكري
شحط المزار فلا قرار ونافرت ... عيني المجوع فلا خيال يعتري
أزرى بصبري وهو مشدود القوى ... وألان عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كله وتلنذي ... بالعيش طي صحيفة لم تنشر
هلاً بما ألقى الحبيب توهماً ... بضمير تذكاري وعين تفكري
وإذا الفتي فقد الشباب سما له ... حب البنين ولا كحب الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ... ودنا وداعك كيف لم يتفطر
ما خلنني أبقي خلافاً ساعة ... لو لا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي ... مهما بطشت وصاحبي المستورز
فإذا شكوت إليه شكوى راحة ... ذكرته فشكا إليّ بأكثر
أربي عليّ فحظه ثماً بنا ... حظ المعلى من قداح الميسر
ومنها:

واعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر
وبضمير الأقاليم يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياذ الضمر
والعلم ليس بنافع أربابه ... ما لم يفد عملاً وحسن تبصر
فإذا دفعت إلى قرين فابله ... قبل التقارض والتشارك واخبر
لا يستفرك منظر حسن بدا ... حتى تقابله بحسن المخبر
كم من أخ يلقاك منه ظاهر ... باد سلامته وباطنه وري
وأشرح لك ملم؟ صدراً وخذ ... بالحزم في كل الأمور وشمر
واستنصح البرّ التقيّ وشاور ال ... فطن الذكي تكن ربيع المتجر
وأخزن لسانك واحترس من نطقه ... واحذر بوادر غيّه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعد ... بالحلم منك على السفية المعور
وكل المسيء إلى إساءته ولا ... تنعقب الباغي ببغي تنصر
فكفأك من شرّ سماعك خبره ... وكفأك من خبر قبول المخبر
وإذا سئلت فجد وإن قلّ الجدي ... جهد المقلّ إزاء جهد المكثّر
واشكر لمن أوالك برّاً إنّه ... حقّ عليك ولا تكن بالممتري
ليس الحريص بزائد في حرصه ... بآتم حيلته هشيمة إذخر
أو ما رأيت غيٍّ قومٍ موسراً ... وليبيهم يشقى بحال المعسر
قد أوعب التكوين كلّ مكون ... مذ أحكم التقدير كلّ مقدر

فلو ابتغيت لك جهد نيل ما ... سبق القضاء بمنعه لم تقدر
؟

أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج

الأندلسي المعروف بالقسطلي

كان بصقع الأندلس كالمثبي بصقع الشام، وهو أحد الفحول. وكان يجيد ما ينظم ويقول، فمن ذلك قوله
من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر:

ما كفر نعماك من شأني فيثيني ... عمّن توالى لنصر الملك والدين
ولا ثنائي وشكري بالوفاء بما ... أوليتني دون بذل النفس يكفيني
حقّ على النفس أن تبلى ولو فئت ... في شكر أيسر ما أضحيت توليني
ها إنها نعمة ما زال كوكبها ... إليك في ظلمات الخطب يهديني
تنأى بجوهر ودّ غير مبتذل ... عندي وجوهر حمدٍ غير مكنون
وحبذا النأي عن أهلي وعن وطني ... في كل برٍّ وبحرٍ منك يدينني
وموقفٍ للنوى أغليت مُتندي ... فيه وأرخصت دمع الأعين العين
من كلّ نافرة ذلّت قهود يدي ... في ثني ما يلك العليا تجويني
والخدر يخفق في أحشاء والهة ... تردّد الشجو في أحشاء محزون
أجاهد الصبر عنها وهي غافلة ... عن لوعة في الحشى منها تناجيني
يا هذه كيف أعطي الشوق طاعته ... وهذه طاعة المنصور تدعوني
شدي عليّ نجاد السيف أجعله ... ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون
رضيت منها وشيك الشوق لي عوضاً ... وقلت فيها للوعات الأسى يني
فإن تشجّ تباريح الهوى كبدي ... فقد عوضت قرباً منك يأسوني
وإن يمت موقف التوديع مصطبري ... فأحر لي بدنو منك يحيني
أو أفرط الحظ من نعماك منقلب ... من الوفاء بحظ فيك مغبون
وخازن عنك نفسي في هواجرها ... وليس جودك عن كفي بمخزون
وحاش للخيل أن ترهى عليّ بما ... والبيض والسمر أن تحظى بها دويني
وربما كنت أمضي في مكارهها ... قدماً وأثبت في أهوالها الجون
من كل أبيض ماضي الغرب ذي شطب ... وكل لدن طير الحد مسنون
كذاك شأوي مفدى في رضاك إذا ... سعت فيه فلا ساع يباريني
لكن سهام من الأقدار ما برحت ... على مراصد ذاك الماء ترميني

يحملن للروع أسدا في فرائسها ... تمد للطنع أمثال النعابين
والبيض تحت ظلال النقع لامعة ... تغلغل الماء في ظل الرياحين
حتى يحوزوا لك الأرض التي اعترفت ... بملك آبائك الشم العانين
حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا ... رق الأساور منهم والدهاقين
وقوله من البسيط:

لولا التخرج لم يحجب محياك
وحشية القظ هل يودي قتيلكم؟ ... دمي مضاع وجاني ذاك عيناك
إني أراك بقتل النفس حاذقة ... قولي فديتك: من بالقتل أوصاك؟
ما لي وللبرق أستسقيه من ظمأ ... هيهات لا ري إلا من ثنايك
لولا الضلوع لظل القلب نحوكم ... ضعي بعيشك فوق القلب يمينك
أصليتني لوعة الهجران ظالة ... رحماك من لوعة الهجران رحماك
أظن عزمك أن أخفي لأسلوكم ... حلي غريمي إني لست أسلاك
حاشاك أن تجمعني حسن الصفات إلى ... قبح الصنيع بمن يهواك حاشاك
إن كان واديك ممنوعاً فموسعنا ... وادي الكرى فلعلي فيه ألقاك
ظبي وقلب فمن لي أن أصيدهما ... ضاع القواد وقلب الظبي أشراكي
وقوله:

أصخّ نحوي لدعوة مستقبل ... ينادي من غيابات الحمول
رهينة كل هم مستكن ... ونهزه كل خطب مستطيل
ومأمون على ظلم الأعادي ... ونوام على ثوب الذحول
تراني منك في هم صحاح ... نكصن على دجى خطب عليل
ولكن رب دهر ساورتني ... غوائله على نهج السبيل
مظاهر لأمتي بغي ومكر ... ومصلت صارمي قال وقيل
ورام عن قسي الغل نبلاً ... أصبن مقاتل الأدب النبيل

أبا وبنين عن عرض منيع ... لقد أجلين عن أمل قتيل
فكان كأنه جفن سخين ... أسال دماً على خد أسيل
ومضطرم الحشى داء دويا ... تنفس منه عن سيف صقيل
فتلك معالي علم الرزايا ... وتلك وسائل درج السيول
وتلك مراتب الأخطار مني ... حمائم تنتحبن على هديل
لعل رضاك يا منصور يوماً ... يحل بساحتي عما قليل
ويقرع منك أسماع المعالي ... لنا بعثار عبد مستقبل

إليك جلوت أبكار المعاني ... معاذيراً بالألاء القبول

سوار في الظلام بلا نجوم ... هواد في الفلاة بلا دليل

وقوله من أخرى:

إليك شحنا الفلك كهوي كأنها ... وقد ذعرت عن مغرب الشمس غرباً

على لجج خضر إذا هبت الصبا ... تراما بنا فيها ثبير وئهلان

وإن سكنت عنا الرياح جرى بنا ... زفير إلى ذكر الأحبة حنان

يقلن وموج البحر والهمل والدجا ... تموج بنا فيها عيون وآذان

ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا ... سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وهنا رأينا معلم الأرض هل لنا ... من الأرض مأوى أو من الأنس عرفان

هوت أمهم ماذا هوت برجالهم ... إلى نازح الآفاق سفن وأطعان

كواكب إلا أن أفلاك سيرها ... زمام ورحل، أو شراع وسكان

فإن غربت أرض المغارب موئلي ... وأنكرني فيها خليط وخلان

فكم رحبت أرض العراق بمقدمي ... وأجزلت البشري على خراسان

وإن بلاداً أخرجتني لعاطل ... وإن زماناً خان عهدي لخوان

سلام على الإخوان تسليم آيس ... وسقياً لدهر كان لي فيه إخوان

فلا مؤنس إلا شهيق وزفرة ... ولا مسعد إلا دموع وأجفان

وما كان ذاك البين بين أحبة ... ولكن قلوب فارقتهم أبدان

فيا عجباً للصبر منا كأننا ... لهم غير من كنا وهم غير من كانوا

مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم ... كأني قد خنت الوفاء وقد خانوا

وأفجع من آوى صفيح وجلمد ... ووازت رمال بالفلاة وكثبان

وجوه تناءت في البلاد قبورها ... وإنهم في القلب مني لسكان

وما بليت في التراب إلا تجددت ... عليها من القلب المفجع أحزان

ومنها:

وأوردتها يوم اللقاء فراته ... كما انصرفت يوم الهبأة ذبيان

بكل كمي عامري يسوقه ... لحر الوغى قبل على الدين حران

حليهم بيض الصوارم والقنا ... لها وحلاها سابغات وأبدان

فيا ذل أعلام الهدى يوم عزهم ... ويا عز أعلام الهدى بك إذ هانوا

حفرت لهم في يوم ثبر فبقنا ... قبوراً هواء الأرض منهن ملآن

يطير بهم باز ونسر وناعب ... ويغدو بهم ذئب رميح وسرحان

فلو نشر الأملاك يومك فيهم ... لألقى إليك التاج كسرى وخاقان

ولو رد في المنصور روح حياته ... غداة لقيت الموت والموت غرثان

وناديت في الهيحاء أبناء ملكه ... فلبك آساد عبيد وفتيان
جبال إذا أرسيتها حومة الوغى ... وإن تدعها يوماً إليك فعقبان
يقودهم داع إلى الحق مجلب ... على البغي يرضى ربه وهو غضبان
وأسم يسري في بحار من الندى ... بكفك لكن يعتدي وهو ظمآن
تلاً نوراً من سنك سنانه ... وقد دعت الفرسان للحرب فرسان
فحيك من أحيت منه شمائل ... يموت بها في الأرض ظلم وعدوان
وناداك إسراً وناداك معلناً ... وحسب المعالي منه سر وإعلان
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ ... ألا هكذا فليخلف الملك سلطان

فلله ماذا أنجيت منك عامر ... ولله ماذا ناسبت منك قحطان
ولله منا أهل بيت رمتهم ... إلى يدك العليا بحور وبلدان
فما قصرت بي عن علاك شفاعاة ... ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان
وقوله من أخرى:

بشر الخيل يوم كر الطراد ... وظبا الهند عند حر الجلال
وسماء العلا بنجم المساعي ... ورياض المنى بصوب الغواذي
ثم واف القصور من ملك بصرى ... بالمشيدات من ذرى شداد
ثم نادى الأذواء عن ذي الرياسا ... ت نداء يصغي له كل ناد
وصلتكم أرحام ملك نمتكم ... من كرام الأملاك والأجواد
وهناكم منصور كم من نجيب ... في مساع جلت عن الأنداد
بلغت مجدكم نجوم الثريا ... ومسايعكم أقاصي البلاد
وغما منكم إلى الملك سيف ... نافذ الحكم في رقاب الأعادي
بسمات أهدت لكم هدى هود ... وبحلم أعاد أحلام عاد
وأنارت به نجوم المعالي ... وأنار الدنيا ببيض الأيادي
وهو في المنجيين أعلى وأزكى ... والد أنت أكرم الأولاد
قمر في مطالع الملك أوف ... طالعاً والمنى على الميعاد
وتلاقت زهر النجوم عليه ... بسعود الجدود والأجداد
وسما للإسلام باسم أبيه ... وانتحي باسم جلده للأعادي
هو للبين بالحياة بشير ... وهو للشرك منذر بالبواد
سابق الشأو لو يؤخر مداه ... عن مداكم تأخر الميلاذ
ولدتته الحروب منكم تماماً ... فارس الخيل فارس الآساد
فاكتسى الدين منه ثوب سرور ... وصليب الضلال ثوب حداد

فهيناً للتاج أي جين ... عنده أي عاتق للنجاد
وهيناً لنا وللدن والدن ... يا ولليض والقنا والحياد
وغريب أن تهوي به كل أرض ... وشريد ينبو به كل وادي
وهيناً لطبيء ولهمدا ... ن ولحم وكندة وإياد
وله من أخرى يرثي بها أم هشام المؤيد بالله:
بقاء الخلاق رهن الفناء ... وقصر التداني وشيك التناهي
لقد حل من يومه لاقتراب ... وقد حان من عمره لا انتهاء
هل الملك يملك ريب المنون ... أم العز يصرف صرف القضاء
أرى الموت يصدع شمل الجميع ... ويكسو الربوع ثياب العفاء
يبعد الحياة ببطش شديد ... ويلقي النفوس بداء عياء
ألم تر كيف استباح يداه ... حريم الملوك وعلق النساء
هو الرزء أودى بعزم الملوك ... مصاباً وأودى بحسن العزاء
فما في العويل له من كفء ... ولا في الدموع له من شفاء
فهيهات فيه غناء الزفير ... وهيهات فيه انتصار البكاء
وأني يدافع سقم بسقم؟؟ ... وكيف يعالج داء بداء
فتلك مآقي جفون رواء ... مفجرة من قلوب ظماء
فلا صدر إلا حريق بنار ... ولا جفن إلا غريق بماء
فقد كاد يصدع صم السلام ... ويضرم نار الأسى في الهواء
وجيب القلوب وشق الجيوب ... وشجو النحيب وهف النداء
فمن مقلة شرقت بالدموع ... ومن وجنة غرقت بالدماء
وسافرة من قناع الحياء ... ونابذة صبرها بالعراء
ويض صبغن بلون الحدا ... د حمر البرود وبيض الملاء
أنجماً هوى من سماء المعالي ... لتبك عليك نجوم السماء
وحاشا لوزنك أن يقتضيه ... عويل الرجال ولدم النساء
ليبيض أياديك في الصالحات ... تمسك وجه الضحى بالضياء

فقل لفقيدك أن يحتي ... عليك الصباح بثوب المساء
ومنها:

لئن حجبت تحت ردم اللحود ... ومن قبل في شرفات العلاء
فتلك مآثرها في التقى ... وبذل اللهى ما بها من خفاء
جزاك بأعمالك الزاكيا ... ت خير المجازين خير الجزاء

ولقيت من ضحك ذاك الضريح ... نسيم النسيم وطيب الثواء
وقوله أيضاً:

لك الله بالنصر العزيز كفيل ... أجد مقام أم أجد رحيل
هو الفتح أما يومه فمعجل ... إليك، وأما صنعه فجزيل
وآيات نصر ما تزال ولم تزال ... بهن عمايات الضلال تزال
سيوف تنير الحق أي انتصيتها ... وخيل يحول النصر حيث تجول
ألا في سبيل الله غزوك من غوى ... وضل به في الناكثين سبيل
لئن صدئت ألباب قوم بمكرهم ... فسيف الهدى في راحتك صقيل
فإن يحى فيهم مكر جالوت جدهم ... فأحجار داود لدي مثول
خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... ولكن على صدر الكمي ثقل
وجرداء لم تبخل يداها بغاية ... ولا كرهاً نحو الطعان بخيل
لها من خوافي لقوة الجو أربع ... وكشحان من ظبي الفلا وتليل
ويض تركن الشرك في كل منتأى ... فلولا وما أزرى بهن فلول
تمور دماء الكفر في شفرائها ... ويرجع عنها الطرف وهو كليل
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما ... بهن إلى شرب الدماء غليل
إذا ما هوى للطعن أيقنت أنه ... لصرف الردى نحو النفوس رسول
وحنانة الأوتار في كل مهجة ... تعاصيك أوتار لها وذحول
إذا نبعها عنها أرن فإنما ... صداد نحيب في العدى وعويل
كتائب عز النصر في جنباتها ... وكل عزيز يممته ذليل
يسير بها في البر والبحر قائد ... يسير عليه الخطب وهو جليل
جواد له من بهجة العز غرة ... ومن شيم الفضل المين حجول
به أمن الإسلام شرقاً ومغرباً ... وغالت غوايات الضلالة غول
حسام لداء المكر والغدر حاسم ... وظل على الدين الحنيف ظليل
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه ... فقد حان من يوم الضلال أفول
كريم التأني في عقاب جناته ... ولكن إلى صوت الصريخ عجل
وأيقن باغ حنقه أن أمه وقدامه الليث المصور هبول
وله أيضاً:

اليوم أبهجت المنى أبهاجها ... وتوسطت شمس الضحى أبراجها
ما للوزارة لا تضياء لنا وقد ... أضحى سراج العالمين سراجها
شمس تبدت في ذوائب يعرب ... ركبت إلى الرتب العلا معراجها
لم تنتقل قدماً لأول منزل ... للمجد حتى استقبلت منهاجها

أنجبتة ذخر الخلافة إن شكت ... ألماً تتضمن برءها وعلاجها
وسللته سيفها لكل ملمة ... يفري بأول ضربة أوداجها
فنظمت في جيد الوزارة عقدها ... وعقدت في رأس الرياسة تاجها
والخيل جانحة إليه كلما ... رفع اللواء وأوجفت أسراجها
يا قبلة للآملين وكعبة ... تدعو بحمي على الندى حجاجها
أنت الذي فرجت عني كربة ... لله قد شدت على رتاجها
وجلوت عن قلق المنى من ليلة ... طاولت في ظلم الأسي إدلاجها
وسقيتني من جود كهك منعماً ... كأساً وجدت من الحياة مزاجها
فاللبسن الدهر فيك ملابساً ... للحمد أحكم منطقي ديباجها
ما عاقب الليل النهار ورجعت ... ورق الحمام بالضحى أهزاجها
وقوله من قصيدة أخرى:
دعيت فأصغ لداعي الطرب ... وطاب لك الدهر فاشرب وطب

فهذا بشير الربيع الجديد ... يبشرنا أنه قد قرب
بهار يروق بمسك ذكي ... وصيغ بديع خلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت ... لنا فضة نورت بالذهب
فمن حقها أن ترى الشاربين ... وقد نفقت سوقهم بالنخب
وأن تسألوا الله طول البقاء ... لعبد المليك مليك العرب
فلولا محاسنه لم ترق ... ولولا شمائله لم تطب
وقوله:

ألم تعلمي أن الثواء هو النوى ... وأن بيوت العاجزين قبور
ولم تزجري طير السرى بحروفها ... فتنبيك إن يمن فهو سرور
يخوفني طول السفار وإنه ... لتقبيل كف العامري سفير
ذريني أرد ماء المفارز آجناً ... إلى حيث ماء المكرمات غدير
وأختلس الأيام خلسة فاتك ... إلى حيث لي من عدوهن خفير
فإن خطيرات المهالك ضمن ... لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى ... وفي المهدي مبعوم النداء صغير
عبي بمرجوع الخطاب، ولفظه ... بموضع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب، ومهدت ... له أذرع محفوفة ونحور
عصيت شفعي النفس فيه وقادني ... رواح لتدآب السرى وبكور

وطار جناح البين بي وهفت بها ... جوانح من دعر الفراق تطير
لن وعت مني غيوراً فإنني ... على ورقراق السراب يعمور
أسلط حر الهاجرات إذا سطا ... على حر وجهي، والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي نوازح ... وأستمطى الرمضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلون ... وللذعر في سمع الجريء صفير
ولو شاهدتني والسرى جل عزمي ... وجرسي لحنان الفلاة سمير
وأعتسف المومة في غسق الدجا ... وللأسد في غيل الغياض زئير
وقد خلعت طرق الحجر أنها ... على مفرق الليل البهيم قدير
ودارت نجوم القطب حتى كأنها ... كؤوس طلا والى بهن مديور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتي ... وأنى يعطف العامري جدير
وأنى بذكراه لهماي زاجر ... وأنى منه للخطوب نذير
تلاقت عليه من تميم ويعرب ... شمس تلالا في العلا وبدور
من الحميريين الذين أكفهم ... سحائب تهمى بالندى وبحور
هم صدقوا بالوحي حين أتاها ... وما الناس إلا عابد وكفور
هم صدقوا بالوحي حين أتاها ... وما الناس إلا عابد وكفور
مناقب يعيا الوصف عن كنه قدرها ... ويرجع عنها الوهم وهو حسير
ألا كل مدح عن نذاك مقصر ... وكل رجاء في سواك غرور
ولما تراءوا للسلام ورُفعت ... عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الأسنة دونه ... صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزاها ... وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبدر والبحر مجلس ... وقام بعبء الراسيات سرير
يقولون والأوجال تحرس ألسناً ... وحات عيون منهم وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط ... وقدر فيك المكرمات قدير
ومنها:

أثري لخطب الدهر والدهر معضل ... وكلني ليلث الغاب وهو هصور
وقد تخفض الأسماء وهي سواكن ... ويعمل في الفعل الصحيح ضمير
وتنبو الردينيات والطول وافر ... ويبعد وقع السهم وهو قصير
وقوله من أخرى:

أوجعت خيلي في الهوا وركابي ... وقذفت نبلي في الصبا وحرابي
وسللت في سيل الغواية صارماً ... عضباً ترقرق فيه ماء شبابي

ورفعت للشوق المبرح رايةً ... خفاقة بهزائج الأطراب
ولبست للوأم لأمة خالع ... مسرودة بصباة وتصايي
وبرزت للشكوى بشكة معلم ... نكص الملام بما على الأعقاب
فاسأل كمي الوجد كيف أثرته ... بغروب دمع صائب التكساب
واسأل جنود العذل كيف لقيتها ... في جحفل البرحاء والأوصاب
وقلد كررت على الملام بزفرة ... ذهل العتاب بما في الإعتاب
حتى تركت العاذلين لما بهم ... شغفاً بحب التاركى لما بي
من كل ممنوع اللقاء اغتاله ... صرف النوي فنأى به ودنا بي
حتى افتتحت على الأحبة معقلاً ... وعر المسالك مقفل الأبواب
ووقفت موقف عاشق حلت له ... فيه غنيمة كاعب وكعاب
بحدائق الحلق التي أفينني ... بأحد من سيفي ومن نشابي
في روضة جاد النعيم نباها ... فتفتحت بكواعب أتراب
من كل مغنوم لقلبي غانم ... عشقاً ومسبي لعقلي ساي
في جنح ليل كالغراب أطار لي ... عن ملتقى الأحباب كل غراب
وجلا لعيني كل بدر طالع ... قمن بهتك حجابيه وحجابي
جانب الظلام فلم يدع من دجنه ... إلا غدائر شعره المنجاب
فظللت بين صباة وظلامه ... مغري الجفون بطرفه المغري بي
فإذا كتبت بناظري في قلبه ... أخفى فخط بناظريه جواي
وإذا سقاني من عقار جفونه ... أبقى علي فشجها برضاب
وسلافة الأعناب توقد نارها ... تهدي إلي بيانع العناب
فسكرت والأيام تسلب جلتي ... والدهر ينسج لي ثياب سلاي
سكرين من خمر كأن خمارها ... فقد الشباب وفرقة الأحباب
لمدى تناهى في الغواية فانتهى ... فينا إلى أجل له وكتاب
ومنها:

وشملتني بشمائل أذكرني ... في طيها طوبى وحسن مآب
ورضاك رد لي الرضا في أوجه ... من جور أيام علي غضاب
وهذاك أشرق لي ويلي مظلم ... وسناك أبرق لي وزندي كاي
فحللت منه خير دار مقامة ... وثويت منه في أعز رحاب
وأسمت في أزكى البقاع صوافي ... وضربت في أعلى البقاع قباي
وشويت للأضياف لحم ركائي ... في نار أحلاسي وفي أفتابي
ولقد كسوت برغم دهر ضامني ... ما أخلقت عصراه من أثوابي

وقوله يصف الهلال:
وَمَحَقَّ الشَّهْرُ كَمَالَ الْبَدْرِ ... فَلَاحَ فِي أَوَّلِي الصَّبَاحِ النُّضْرُ
كَأَنَّهُ قَرَطٌ بِأَذْنِ الْفَجْرِ

الباب العاشر

في ذكر شعراء الموصل وغرر أشعارهم

فمنهم

السري بن أحمد الكندي

السري وما أدراك من السري؟ صاحب سر الشعر. الجامع بين نظم عقود الدر، والنث في عقد السحر،
ولله دره ما أعذب بحره، واصفى قطره، وأعجب أمره! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر،
ويلقى في كعبة الفكر. فكتبت منه محاسن وملحاً، وبدائع وطرفاً، كأنها أطواق الحمام، وصدور النزا
البيض، وأجنحة الطواويس، وسوالف الغزلان، ونمود العذارى الحسان، وغمزات الخدق الملاح، وبدأت
بصدر من أخباره، وبطرف لأشعاره.

بلغني أنه أسلم صبيّاً في الرفاتين بالموصل، فكان يرفو ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب، وتكسب بالشعر.
ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه، وذكر أن صديقاً له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في سوق
البنازين يطرز، فكتب إليه:

يكفيك من جملة أخباري ... يسري من الحب وإعساري
في سوقة أفضلهم مرتد ... نقصاً، ففضلي بينهم عاري
وكانت الإبرة فيما مضى ... صائنة وجهي وأشعاري

فأصبح الرزق بما ضيقاً ... فكأنه من ثقبها جاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس، وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو
نصر سهل بن المرزبان من بغداد، وهي عنده الآن، وكل خبر عندنا من عنده.

ولما جد اسري في خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب، إلى تطريز الكتاب، فشر بجودة شعره، ونابد
الخالدين الموصليين وناصبهما العداوة، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره، وجعل يورق وينسخ ديوان
شعر أبي الفتح كشاجم، وهو إذ ذاك ربحان أهل الأدب بتلك البلاد، والسري في طريقه يذهب، وعلى قلبه
يضرب، وكان يلس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالدين، ليزيد في حجم ما ينسخه، وينفق سوقه،
ويغلي سعره، ويشنع بذلك على الخالدين، ويغض منهما، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما، فمن هذه
الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة منها، وقد وجدتها

كلها للخالدين بخط أحدهما، وهو أبو عثمان سعيد ابن هاشم. في مجلدة تحف بما الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبا نصر سهل بن المرزبان وأنفذها إلى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه، ومنها وجدت الضالة المنضودة من شعر الخالدي المذكور وأخيه أبي بكر محمد بن هاشم، ورأيت فيها أبياتاً كتبها أبو عثمان لنفسه، وأخرى كتبها لأخيه، وهي بأعيانها للسري بخطه في المجلدة المذكورة لأبي نصر، فمنها أبيات في وصف الثلج واستهداء النبيذ:

يا من أنامله كالعارض الساري ... وفعله أبداً عار من العار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ... ثوباً يزر على الدنيا بأزرار
نار ولكنها ليست بمبدية ... نوراً، وماءً ولكن ليس بالجاري
والراح قد أعوزتنا في صبيحتنا ... بيعاً ولو وزن دينار بدينار
فامن بما شئت من راح يكون لنا ... ناراً فإننا بلا راح ولا نار
ومن قوله أيضاً:

ألد العيش إتيان الصبح ... وعصيان النصيحة والنصح
وإصغاء إلى وتر وناي ... إذا نأحا على زق جريح
غداة دجنة وطفاء تبكي ... إلى ضحك من الزهر المليح
وقد حذيت قلائصها الحيارى ... بحاد من رواعدها فصيح
وبرق مثل حاشيتي رداء ... جديد مذهب في يوم ريح

هكذا بخط السري، والذي بخط الخالدي حاشيتي لواء، ولست أدري أنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالاة، وكيف جرى الأمر فيبينهم مناسبة عجيبة، ومماثلة قريبة في تصريف أعنة القوافي وصياغة حلي المعاني.

وأنا أجعل فصلاً لشعر السري في ذكر سرقتهما منه وغارتها عليه، ثم أسوق غرر الخالدين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السري بإذن الله تعالى ومشيتته.

ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة، واستكثر من المدح له، فطلع سعده بعد الأفل، وبعد صيته بعد الخمول، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق. ولما توفي سيف الدولة ورد السري ببغداد، ومدح المهلي الوزير وغيره من الصدور، فارتفق بهم، وارتزق معهم، حسنت حاله، وسار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان، وكنت أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي أولاً، وبين ديوان شعره الجلوب من بغداد، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي من بغداد، إلى أبي بكر وبين المجلدة بخط السري التي وقعت إلي من جهة أبي نصر وفيها زيادات كثيرة على ما في الديوان. فقرأت في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة. وعذوبة اللفظ، وهي:

أقول لحَنان العشاء المغرّد ... يهز صفيح البارق المتوقد
تبسم عن ري البلاد صبيبه ... ولم يتبسم إلا لإنجاز موعد
ومنها:

ويا ديرها الشرقي لا زال رائح ... يحل عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنما ... يعل بماء الورد نرجسها الندى

يشق جيوب الورد في شجراتها ... نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد
فأعجبت جداً بها وتعجبت منها، وتأسفت على ما فاتني من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها، ثم قرأت في
كتاب تفسير ابن جني لشعر المتبي بيتاً واحداً أنشده السري من قصيدة، وذكر أنه أحذه من قول المتبي:
سقاك وحيانا بك الله، إنما ... على العيس نور والحدود كمائمه
وهو:

حيا بك الله عاشقك فقط ... أصبحت ريحانة لمن عشقا
فكدت أقضي بأني لم أسمع في معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف، وطلبت القصيدتين فعزتا
وأعوزتا، وعلمت أن الذي حصلت من شعره غيض من فيض ما لم يقع إلي.
ولما وجدت السري أخذ جديد القميص في حسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسره هذا الفصل على
ذكر سرقاته: قال السري من قصيدة في سيف الدولة وذكر بعض غزواته:
طلعت على الديار وهم نبات ... وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلا مخطفات ... حماها الخصر منها والنهود
وكرر هذا المعنى فقال:

أفنت ظباك الروم حتى إنما ... لم تبق إلا ظبية أو ريما
وإنما سرقه من قول المتبي:

فلم يبق إلا من حماها من الظبا ... لمى شفتيها والثدي النواهد
وقال السري من قصيدة:

حييت من طلل أجاب دثوره ... يوم العقيق سؤال دمع سائل
يخفي وينزل وهو أعظم حرمة ... من أن يذال براكب أو ناعل
وهو من قول المتبي:

نزلنا على الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا
وفي قصيدة السري:

فالدهر يمسخ منه غرة سابق ... لاقاه أول سابقين أوائل
وهو من قول مروان بن أبي حفصة:

مسحت معدّ وجه معن سابقاً ... لما جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال السري من قصيدة وذكر الخيال:

وافى يحقق لي الوفاء ولم يزل ... خدن الصباة بالوفاء حقيقا
ومضى وقد منع الجفون خفوقها ... قلب لذكرك لا يقر خفوقا
فالتجنيس أخذه من قول التوخي:

يفديك قلب خافق ... أبداً وطرف ما خفق

واللفظ من قول ابن المعتز:

ما بال قلبك لا يقر خفوقا

وقال السري من قصيدة:

نضت البراقع عن محاسن روضة ... ريضت بمحفل الحيا أنوارها
فمن الثغور المشرفات لجينها ... ومن الحدود المذهبات نضارها
أغصان بانٍ أغربت في حملها ... فغرائب الورد الجني ثمارها
وهو من قول ابن الرومي:

غصون بان عليها الدهر فاكهة ... وما القواكه مما يحمل البان!

وقال السري:

تلك المكارم لا أرى متأخراً ... أولى بها منه ولا متقدما
عفو أطل ذوي الجرائم كلهم ... حتى لقد حسد المطيع الجرما
وهو من قول أبي تمام:

وتكفل الأيتام عن آبائهم ... حتى وددنا أننا أيتام

والأصل فيه قول أبي دهب الجمحي:

ما زلت في العفو للذنوب وإط ... لاقٍ لعانٍ بجرمه غلقٍ

حتى تمنى البراء أنهم ... عندك أضحوا في القد والحلق

وقال السري من قصيدة:

إذا ذكر العقيق لنا نشرنا ... عقيق الدمع سحاً وانهمالا

طلول كلما حاولن سقياً ... سقتها العين أدمعها سجلا

نحن جمالنا هونا إليها ... فأحسبها ترى منها جمالا

ونسأل من معاملها محيلاً ... فطلب من إجابتها محالا

وهو من قول ديك الجن:

قالوا السلام عليك يا أطلال ... قلت السلام على الحيل والخال

وقال السري من قصيدة يتشوق بها بني فهد:

تناؤوا ولما ينصرم عزهم ... وحاشا لذاك الحبل أن يتصرما

فشرق منهم سيد ذو حفيظة ... وغرب منهم سيد فتشأما

كأن نواحي الجو تنثر منهم ... على كل فج قاتم اللون أنجما
وهو من قول الشاعر:

رمى القفر بالفتيان حتى كأنهم ... بأقطار آفاق البلاد نجوم
وقال من قصيدة:

تناهى فاطمأن إلى العاب ... وأحسن للعواذل في الخطاب

وصار جنب غصن غير رطب ... وكان جنب أغصان رطاب
خلت منه ميادين التصابي ... وعرى منه أفراس الشباب
وزهد خضاب الله لما ... تولى عنه في زور الخضاب
وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير:

وعري أفراس الصبا ورواحله

وذكر في خضاب الله في البيت الرابع، وهو من قول أبي تمام:
ورأت خضاب الله وهو خضابي
وفي قصيدة السري:

وكت كروضة سقيت سحاباً ... فأثنت بالنسيم على السحاب
وهو من قول المتبي:

وذكر رائحة الرياض كلامها ... تبغي الثناء على الحيا فيفوح
والأصل فيه قول ابن الرومي:

شكرت نعمة الولي على الوس ... ميّ ثم العهد بعد العهد
فهي تنني على السماء ثناءً ... طيب النشر شائعاً في البلاد
وقال السري من قصيدة:

ليالينا بأحياء الغميم ... سقيت ذهاب مذهبة الغيوم
مضت بك رافة الأيام فينا ... وغفلة ذلك الزمن الحليم
فكنا منك في جنات عيش ... وفّت حسناً بجنات النعيم
رياض محاسن وسنا شمس ... وظل دساكر وجنى كروم
وأجفان إذا لحظت جسوماً ... جعلن سقامهن على الجسوم
وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام:

فيا حسن الرسوم وما تمشى ... إليها الدهر في صور البعاد
وإذ طير الحوادث في براها ... سواكن وهي غنّاء المراد
مذاكي حلبة وشروب دجن ... وسامر قينة وقذور صاد
وأعين ربرب كحلت بسحر ... وأجساداً تضمخ بالفساد

ومن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة:

وأجفان تروي كل شيء ... سوى قلب إلى الأحباب صادي
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً ... لبست لبيّنهم ثوبي حداد
معادن حكمة وغيوث جذب ... وأنجم حيرة وصدور نادي
وقال السري من قصيدة:

ترتع حولي الطباء آنسةً ... نظائراً في الجمال أشباها
رقت عن الوشى نعمة فإذا ... صافح منها الجسموم وشّاها
وهو من قول المتنبي:
حسان الشني ينقش الوشى مثله ... إذا مسّن في أجسامهن النواعم
وقال من أبيات:

وأغيد مهتزّ على صحن خدّه ... غلائل من صيغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره ... فهنّ له دون النطاق نطاق
وهو أيضاً من قول المتنبي:

وخصر تثبت الإحداق فيه ... كأن عليه من حلق نطاقا
وكتب إلى صديق له قد اتهمه بسلام بعثه إليه في حاجة:
أبا بكر أسأت الظن فيمن ... سجيّته التمتع والخلاف
وخفت عليه في الحلوات مني ... ولم تك بيننا حالّ تخاف
جفوت من الصبا وما ليس يُجفى ... وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أني هممت بقيق فعل ... لدى الإغفاء أيقظني العفاف
وإنما أخذه من قول أبي الحسن بن طباطبا:

ماذا يعيب الناس من رجلٍ ... خلص العفاف من الأنام له
يقظاته ومنامه شرعٌ ... كل بكلّ منه مشتبه
إن هم في حلم بفاحشة ... زجرته عفته فينتبه

وقال السري من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة:

بعثت بها عذراء حالية النحر ... مشهرة الجلباب حورية النحر
مضمنة ماء صفا مثل صفوها ... فجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى ... كما نبت عن آبائك السادة الغر
وإنما هو عكس قول المتنبي:

فإن يك سبار بن مكرم انقضى ... فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
وقال من قصيدة في سيف الدولة:

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت ... أقطاره ونأت بعداً جوانبه
تركتهم بين مصبوغٍ ترائبه ... من الدماء ومخضوب ذوائبه

فحائر وشهاب الرمح لاحقه ... وهارب وذباب السيف طالبه
يهوي إليه بمثل النجم طاعنه ... وينتحيه بمثل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوباً ويسلبه ... ثيابه فهو كاسيه وساليه
وهو من قول البحري:

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم ... محمرة فكأنهم لم يسلبوا
وقال السري من قصيدة في سيف الدولة، وذكر العدو:
تروع أحشائه بالكتب وهولها ... خوف الردى ورجاء السلم مستلم
لا يشرب الماء إلا غص من حذر ... ولا يهوم إلا راعه الحلم
وهو من قول أشجع السلمي:
فإذا تنبه رعته، وإذا غفا ... سلّ عليه سيوفك الأحلام
وقال من قصيدة:

وقفنا نحمد العبرات لما ... رأينا البين مذموم السجيا
كأن خدودهن إذا استقلت ... شقيق فيه من طل بقايا
وهو من قول الناشئ الأوسط:

كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار
وقال من قصيدة في مريّة أم أبي تغلب:
تذال مصونات الدموع إزاءها ... ونمشي حفاة حولها الرجل والركب
تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت ... كأن قلوب الناس في موتها قلب
ومصراع البيت الأول من قول المتنبي:

مشى الأمراء حوليها حفاة

والبيت الثاني من قول ابن الرومي:

سلالة نور ليس يدر كها اللمس ... إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
به أضحت الأهواء بجمعها هواء ... كأن نفوس الناس في حبه نفس
ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه:

وبلر دجى يمشي به غصن رطب ... دنا نوره لكن تناوله صعب
إذا ما بدا أغرى به كل ناظر ... كأن قلوب الناس في حبه قلب
وقال السري من قصيدة:

أيام لي في الهوى العذري مأربة ... وليس لي في هوى العذال من أرب

سقى الغمام رُبّاهما دمع مبتسمٍ ... وكم سقاها التصابي دمع مكتئبٍ
وردد هذا المعنى فقال:

ولما اعتنقنا خلّتْ أن قلوبنا ... تناجي بأفعال الهوى وهي تحفُّقُ
هي الدار لم يخلِ الغمام ولا الهوى ... معالمها من عبرة تترقرق
وهو من قول أبي تمام:

دمنٌ طالما التقت أدمع المز ... ن عليها وأدمع العشاقِ
وفي قصيدة السري:

وطوّقت قوماً في الرقاب صنائعاً ... كأهم منها الحمام المطوق
وهو من قول المتبي:

أقامت في الرقاب له أيادٍ ... هي الأطواق والناس الحمامُ
وللسري من قصيدة في سيف الدولة:

تبسم برق الغيم فاختال لامعاً ... وحل عقود الغيث فارفض هاملاً
فقلت عليّ منك أعلى صنائعاً ... إذا ما رجونه وأرجى مخايلاً
وإنما نسج فيه على منوال البحري فقال:

قد قلت للغيم الركام ولج في ... إبراقه وألح في إرعاده
لا تعرضن لجعفرٍ متشبهاً ... بندى يديه فلست من أنداده
وقال السري من قصيدة:

قامت تميل للعناق مقوماً ... كالخوط أبدع في الثمار وأغرباً
حملت ذاره الأقحوان مفضضاً ... يسقي المدامة والشقيق مذهباً
وأبت وقد أخذ النقاب جهالها ... حركات غصن البان أن تنتقبا
وهو من قول أبي تمام:

أرخت خماراً على الفرعين وانتقبت ... للناظرين بقدر ليس ينتقب
وقال السري في وصف شعره:

وغريبة تجري عليك رياحها ... أرجاً إذا لفحت عدوك نارها
من له غرر الكلام تفتحت ... أبوابها وترفعت أستارها
تجري وتطلبه عصاب قصرت ... عن شأوها فقصارها إقصارها
فتعيش بعد مماته أشعاره ... وتموت قبل مماتها أشعارها
وهو من قول دعبل:

يموت رديء الشعر من قبل أهله ... وجيده يبقى وإن مات قاتله
وقال من قصيدة:

صادق البشر يرى ماء الندى ... يرتقي في وجهه أو ينحدرُ

قلت إذ برز سبقاً في العلا ... ألى الجند طريق مختصر؟
وهو من قول البحري:

ما زال يسبق حتى قال حاسده ... له طريق إلى العليا مختصر
وفي قصيدة السري:

قد تقضى الصوم محموداً فعذ ... لهوى يحمد أو راج يسر
أنت والعيد الذي عاودته ... غرتا هذا الزمان المعتكر
لذ فيك المدح حتى خلته ... سمرأ لم اشق فيه بسهر
وهو من قول ابن الرومي:

يا مسرعاً كان لي بلا كدر ... يا سمرأ كان لي بلا سهر
وقال من قصيدة ذكر فيها جراحاً نالته في بعض أسفاره:
نوبٌ لو علت شمرايخ رضوى ... أوشكت أن تحر منهن هذا
عرضتي على الحسام فأضحى ... كل عضو مني لخدیه غمدا
وكست مفرقي عمامة ضرب ... أرجوانية الذوائب تندى
وهو من قول ابن المعتز:

ألا رب يوم قد كسوكم عمائم ... من الضرب في الهامات حمر الذوائب
وقال السري من قصيدة في المهلب الوزير:

وأرى العدو نقيصة في عمره ... وأرى الصديق زيادة في حاله
بوقائع للبأس في أعدائه ... ووقائع للوجود في أمواله
عذله في الجدوى ومن يثني الحيا ... أم من يسد عليه طرق سجاله
وهو من قول المتبي:

وما ثنأك كلام الناس عن كرم ... ومن يسد طريق العارض الهطل؟!
وقال من قصيدة في وصف طير الماء:

وآمنة لا الوحش يذعر سربها ... ولا الطير منها داميات المخالب
هي الروض لم تنش الخمائيل زهره ... ولا اخضل عن دمع المزن ساكب
إذا انبعثت بين الملاعب خلقتها ... زراي كسرى بثها في الملاعب
وهو من قول ابن الرومي:

زراي كسرى بثها في صحونه ... ليحضر وفداً أو ليجمع مجمعا
وفي قصيدة السري:

وإن آنست شخصاً من الناس صرصرت ... كما صرصرت في الطرس أقلام كاتب
وهو من قول أبي نواس:

كأنما يصفرون عن ملاعقٍ ... صرصرة الأقلام في المهارق
وقال في وصف رقاص:

إذا اختلجت مناكبه لرقصٍ ... توت طير القلوب إليه نزوا
أفارس أنت أحسن من تثنى ... على صنجٍ وأملح من تلوى
وهو من قول الصنوبري:

فمن متلو على نايه ... ومن متثنٍ على صنجه
وقال من قصيدة في سيف الدولة:

يكاهل الملك سيف الدولة أطأدت ... قواعد الدين واشتدت كواهله
من الرماح وإن طالت محاصره ... كما الدروع وإن أوهت غلائله
وهو من قول البحري:

ملوك يعدون الرماح محاصراً ... إذا زعزعوها والدروع غلائلاً
وقال في وصف السحاب والبرق من قصيدة:

وعارض أكلاً فيه بارقاً ... كالنار شبت في ذرى طودٍ أشم
كأنه نشوان جرّ ذيله ... فكلما ريع انتضى عضباً خدم
وهو من قول ابن المعتز:

كأن الرباب الجون دون سحابه ... خليع من الفتیان يسحب منزرا
إذا أدركته روعة من ورائه ... تلقت واستل الحسام المذكر
وفي قصيدة السري:

ورب يوم تكتسي البيض به ... لوناً فتكسو لونها سود اللمم
وهو من قول المتنبي:

واستعار الحديد لوناً وألقى ... لونه في ذوائب الأطفال
وقال من قصيدة:

وأنا الفداء لمرغم في العدى ... إذ زارني وهناً على عدوائه
قمر إذا ما الوشي صين أذاله ... كيما يصون بماء بهائه
وهو من قول المتنبي:

لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا
وفي قصيدة السري:

ضعفت معاهد خصره وعهوده ... فكأن عقد الخصر عهد وفائه
واللفظ من قول ابن المعتز:

وشادن ضعيف عقد الخصر:

وقال السري من قصيدة:

حَلِيَّةٌ وثناياه وعبره ... كلُّ ينمُّ عليه أو يراقبه
فلست أدري إذا ما سار في أفقٍ ... شمائل الأفق أذكي أم جنائبه
سرى من الخيف يخفي البدر منتقياً ... والبدر يأنف أن تخفي مناقبه
وإنما ألم فيه بقول كشاجم:

بأبي وأمي زائرٌ متقنع ... لم يخف ضوء البدر تحت قناعه
وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي:
وفتًى إذا هز اليراع حسبته ... لمضاء عزمته يهز مناصلا
من كل ضافي البرد ينطق راكباً ... بلسان حامله ويصمت راجلا
وهو من قول أبي تمام:

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ ... وأعجم إن خاطبته وهو راجل
وقال السري من قصيدة:
الغيث والليث والهلal إذا ... أقمر: بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به ... وذاكرٌ منه كل ما وعدا
وهو من قول الشاعر:

رأيت يحبي أدام الله بهجته ... يأتي من الجود ما لم يأتيه أحدُ
ينسى الذي كان من معرفه أبداً ... إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد
وقال من قصيدة:

بعيدٌ إذا رمت إدراكه ... وإن كان في الجود سهلاً قريباً
ضرائب أبدعتها في السماح ... فلسنا نرى لك فيها ضربياً
وهو من قول البحري:

بلونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضربياً
وقال من قصيدة:

فتىً شرع المجد المؤثّل: فالعلا ... مآربه، والمكرمات شرائعُه
إذا وعد السراء أنج وعده ... وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه

وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني، قال: حدثني محمد بن مسعر، قال: جمعنا
بين أبي عمرو بن العلاء وعمر بن عبيد في مسجدنا، فقال له أبو عمرو: ما الذي يبلغني عنك في الوعيد؟
فقال: إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيدة، فقال له أبو عمرو: إنك أعجمي ولا أعني
لسانك، ولكن فهمك، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذماً، وتعهده مدحاً، ثم أنشد:
وما يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... وما أختشي من صولة المتوعدِ
وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدِي

فقال له عمرو: أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفاً؟ قال: بلى، قال: أفترسمي الله مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعده؟
قال: فقد أبطلت شاهدك.

وقال السري من أبيات:

لحظت عزمي العراق فسَلَّتْ ... همتي للرحيل سيف اعترامي
فسلامٌ على جنابك والمن ... هل والظل والأيدي الجسام
وهو من قول البحري:

فسلام على جنابك والمن ... هل فيه وربك المأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمنمو ... مٍ ووجه الزمان غير عبوس
وقال في وصف أشعاره:

خلعُ غضة النسيم غذاها ... صفو ماء العلوم والآداب
فهي كالحرد الأوانس يخلط ... ن شماس الصبا بأنس التصابي
رقة فوق رقة الحضر تبدي ... فطنةً فوق فطنة الأعراب
وهو من قول الطائي:

لا رقة الحضر اللطيف عدتهم ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب
وقال السري من قصيدة:

ألستني النعمى التي غيرن لي ... ود الصديق فعاد منها حاسدا
فتلبس بها الثناء مسيراً ... ومخلداً مادام يذبل خالدا
والبيت الأول من قول البحري:

وألستني النعمى التي غيرت أخي ... علي فأمسى نازح الود أجنيا
وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته، ولا بأس أن أورد بعض ما كرهه من معانيه، فما منها إلا بارع رائع،
وإنما كررها إعجاباً بها واستحساناً لما اخترعه منها.

ذكر ما تكرر من معانيه قال من أبيات في الاستزارة:

ألست ترى ركب الغمام يساق ... وأدمعه بين الرياض تراق
ورقت جلايب النسيم على الثرى ... ولكن جلايب الغيوم صفاق
وقال في معناه:

راح الغمام به صفيقاً شربه ... وغدا به ثوب النسيم رقيقاً
وقال في قريب منه:

فهواؤه سكب الردا ... ء وغيمه جافي الإزار
وقال من تلك الأبيات:

وذو أدب جلت صنائع كفه ... ولكن معاني الشعر منه دقاق

وقال في معناه:

أعلي كم نعم منحت جليلة ... منحتك معنى في الشاء دقيقاً

يلقى الندم بريق وجه مسفر ... إذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى ... في جحفل ترك الفضاء مضيقاً
وقال في معناه:

فطوراً لكم في العيش رحب منازل ... وطوراً لكم بين السيوف زحام
وقال بمدح:

فلتشكرنك دولة جددتها ... فتجدت أعلامها ومنارها
حليتها وحيت بيضة ملكها ... فغرار سيفك سورها وسوارها
وقال في معناه: •

تحلى الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سور أو سوار
وقال:

نشر الشاء فكان من إعلايه ... وطوى الوداد فكان من أسرارهِ
كالنخل يبدي الطلع من أثماره ... حيناً ويخفي الغض من جُمارهِ
وقال في معناه:

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه ... وأضمر الود فيه أي إضمارِ
كيانع النخل يبدي للعيون ضحى ... طلعاً نضيداً ويخفي غص جَمَارِ
وقال في وصف الشمع:

أعدت لليل إذا الليل غسق ... وقيد الأخطار من دون الطرق
قضبان تبر عريت عن الورق ... شفاؤها إن مرضت ضرب العنق
وقال في معناه:

فرّجتها بصحائح إن تعتلل ... فلهن من ضرب الرقاب شفاءُ
وقال في معناه:

وإذا عرّمتها مرضة ... فشفاؤها ضرب الرقاب
وقال في معناه:

سيافها يضرب أعناقها ... وهو بذك الفعل يحياها
وقال:

قد أغتدي نشوان من خمر الكرى ... أجرّ بردي على برد الثرى
والصبح حمل بين أحشاء الدجى
وقال في مثله:

والصبح حملٌ في حشى الظلماء

وقال في وصف الخمر:

ألا غادها مخطئاً أو مصيباً ... وسر نحوها داعياً أو مجيباً

وخذ لها حرّه في غدٍ ... إذا الحر قارن يوماً لها

وقال في معناه:

هاتها لم تباشر النار واعلم ... أنها في المعاد للشرب نارٌ

وقال في أبيات:

أنظر إلى الليل كيف تصدعه ... راية صبح مبيضة العذب

كراهبٍ حن للهوى طرباً ... فشقّ جلبابه من الطرب

وقال في معناه:

والفجر كالراهب قد مزقت ... من طرب عنه الجلايبُ

وقال بمدح:

يخضب الكف بالمدام وطوراً ... يخضب السيف من دم مهراقٍ

وقال في معناه:

وتخضب بالراح أيماننا ... ونخضب بالدم أرماحتنا

وقال في الغزل، وهو من غرره:

بنفسي من أجود له بنفسي ... ويخل بالتحية والسلام

وحثني كامنٌ في مقلتيه ... كمون الموت في حد الحسام

وقال، ونقل معناه إلى الخمر:

ويريه أعلى الرأي حزم كامن ... فيه كمون الموت في حد القضب

وقال في معناه:

أما للمحيين من حاكمٍ ... فينصفني اليوم من ظالمي

حمامي في طرفه كامنٌ ... كمون المنية في الصارم

وقال في معنى آخر:

وفتية زهر الآداب بينهم ... أبهى وأنضر من زهر الرياحين

مشوا إلى الراح مشي الرّخ وانصرفوا ... والراح تمشي بهم مشي الفرازين

وقال في معناه:

حتى إذا الشمس بها آذنت ... خيامها الصفر بقلع الأواخي

راحوا عن الراح وقد أبدلوا ... مشي الفرازين بمشي الرخاخ

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج:

ييدي لعينك كلما عايته ... قرنين جالا مقدماً ومخاتلا

فكأن ذا صاحٍ يسير مقوما ... وكأن ذا نشوان يخطر مائلا
وقال يصف كانون نار:

وذو أربع لا يطيق النهوض ... ولا يَألف السير فيمن سرى
نحمله سبجاً أسودا ... فيجعل له ذهباً أحمر
وقال في معناه:

وأحدقنا بأزهر خا ... فقات حوله العذبُ
فما ينفلكُ من سبجٍ ... يعود كأنه ذهب
وقال يمدح:

وكم خرق الحجاب إلى مقامٍ ... توارى الشمس فيه بالحجاب
كأن سيوفه بين العوالي ... جداول يطردن خلال غاب
وقال في معناه:

كأن سيوف الهند بين رماحه ... جداول في غاب سما فتأشبا
وقال في معناه:

أسدٌ لها من بيضها وسمرها ... جداولٌ مطردات وأجم
وقال في وصف شعره:

إليك زففتها عنراء تأوي ... حجاب القلب لا حجب القباب
أذبت لصوغها ذهب القوافي ... فأدت روتق الذهب المذاب
وقال في معناه:

وخذا كالتهاب الحلى تغني ... عن المصباح في الليل التهابا
مشعشة كأن الطبع أجرى ... على صفحاتها الذهب المذابا
وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلاً، لفرط استحساني جودة وصفه لي، وموافقته الموصوف. قال في
وصف شعره من قصيدة:

وما زالت رياح الشعر شتى ... فمن ريا الهبوب ومن سموم
تحبيّ الصاحب الطلق الحيا ... وتعلن شتم ذي الوجه الشتيم
منحتك من محاسنها ربيعاً ... مقيم الزهر سيار النسيم
وقال من أخرى:

قل للعدو إليك عن ذي علة ... ما ثار إلا نال أبعد ثأره
صلّ القريض إذا ارتوت أنياه ... من ستم قطرت على أشعاره
لو أنه جرى عتيقي طيء ... في الحلبتين تبرقعا بغباره
وقال من أخرى:

شغلتك عن حسن السماع مدائحٌ ... حسنت فما تنفك تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجمٌ ... منهن ينجلن النجوم طوالها
زهرٌ إذا صافحن سمع معاند ... خفض الكلام وغض طرفاً خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشي الذي ... ما زال في صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر ناضراً ... ومورداً شرقاً وأصفر فاقعا
وقال من أخرى:

وكم مدحة غب النوال تبسمت ... كما ابتسم النوار غب حياً أروى
وما ضر عقداً من ثناء نظمته ... وفضله أن لا يعيش له الأعشى
وقال من أخرى:

جاءتك كالعقد لا تترى بناظمها ... حسناً وتزري بما قالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ضامٍ وذا خضلٍ ... وكالصوارم ذا ناب وذا خنم
أو كالعرانين هذا حظه خنس ... مزرٍ عليه وهذا حظه شم
وقال:

وفكر خواطره أليست ... علاك من الحمد ثوباً خطيرا
محاسن لو عقلت بالقتير ... لحسن عن الحسان القتيرا
إذا ما جفت خلع المادحين ... عليهن رقت فكانت حريرا
وقال:

وخلعة من ثناي دمجها ال ... فكر ففاقت بحسها البدعا
وقرب الحنق لفظها فغدا ... من قربها مطمعاً وممتعا
وقال:

سأبعث الحمد موشياً سبائبه ... إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب
إن المدائح لا تهدى لناقدها ... ألا وألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر فيها روضة أنفاً ... تفتح الزهر عن جنى الأدب
لفظٌ يروح له الريحان مطرحا ... إذا جعلناه ريجاناً على النجب
وقال:

أتنتك يجول ماء الطبع فيها ... مجال الماء في السيف الصقيل
قوافٍ إن ثنتٍ للمرء عطفاً ... ثنى الأعطاف في برد جميل
وقال:

شرقت بماء الطبع حتى خلتها ... شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت ... أعقود حمد أم عقود كواكب
وقال:

والبس غرائب مدحةٍ دبجتها ... فكأنما دبجت منها مطرفا
من كل بيت لو تجسم لفظه ... لرأيت وشيا عليك مفوفا
وقال:

ألفاظه كالدر في أصدافه ... لا بل يزيد عليه في لألانه
منكل رائقة الجمال كأنها ... جاد الشباب لها بريقة مائه
وقال:

والشعر بحرٌ نلت أنفـس دره ... وتنافس الشعراء في حصائه
وقال:

وغرائبٍ مثل السيوف إضاءةً ... وجدت من الفكر الدقاق صياقلا
فلو استعار الشيب بعض جمالها ... أضحي إلى البيض الحسان سائلا
جاءتك بين رصينه ودقيقه ... تهدي إليك مطارفاً وغلائلا

ما أخرج من غرره في الخالدين وغيرهما ممن ادعى شعره قال يتظلم من الخالدين والتلعفري إلى سلامة بن
فهد:

هل الصبر مجد حين أدرع الصبرا ... وهل ناصر للشعر يوسعه نصرا
تحيف شعري يا ابن فهد مصالت ... عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى
وفي كل يومٍ للغبين غارةً ... تروع ألفاظي المحجلة الغرا
إذا عن لي معنى يضاحك لفظه ... كما ضاحك النوار في روضه الغدرا
غريب كشطـر البرق لما تيسمت ... محائله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتیان يمسح وجهه ... وصلر من الأقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثرٍ من الجهل معدمٌ ... من الحلم معذورٌ حتى خلع العذرا
فبعد ما قربت منه غباوة ... وأوزر ما سهلت من لفكه وعرا
فمهلاً أبا عثمان مهلاً فإنما ... يغار على الأشعار من عشق الشعرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها ... ودنستما تلك المطارف والأزرا
فويحكما هلاً بشطر قنعتما ... وأبقيتما لي من محاسنه شطرا
وقال من قصيدة مدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالدين، وقد ادعى شعره
وشعر غيره ومدحا المهلي وغيره:

يا أكرم الناس إلا أن يعد أباً ... فات الكرام بآباء وآثار
أشكو إليك حليفي غارة شهرا ... سيف الشقاق على ديباج أفكار
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم ... لمزقاه بأنياب وأظفار
سلاً عليه سيوف البغي مصلته ... في جحفل من صنيع الظلم جرار

وأرخصاه فقل في العطر ممتناً ... لديهما يشتري من غير عطار
لطائم المسك والكافور فائحة ... منه ومنتخب الهندي والغار
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها ... صفيحة بين إشراق وإسفار
أرقت ماء شباب في محاسنها ... حتى تترقق فيها ماؤها الجاري
كأنها نفس الريحان يمزجه ... صبا الأصائل من أنفاس نوار
إن قلداك بدر فهو من لججي ... أو ختمك بياقوت فأحجاري
باعا عرائس شعري بالعراق فلا ... تبعد سباياه من عون وأبكار
مجهولة القدر مظلوم عقائلها ... مقسومة بين جهال وأغمار
ما كان ضرهما والدر ذو خطر ... لو حلياه ملوكاً ذات أخطار
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما ... بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حياً ولا رثياً ... ميتاً ولا افتخرا إلا بأشعاري
هذا وعندي من لفظ أشعشعه ... سلافة ذات أضواء وأنوار
كريمة ليس من كرم ولا الثمت ... عروسها بخمار عند خمار
تنشا خلال شغاف القلب إن نشأت ... ذات الحجاب خلال الطين والقار
لم يبق لي من قريض كان لي وزرا ... على الشدائد إلا ثقل أوزاري
أراه قد هتكت أستار حرمة ... وسائر الشعر مستور بأستار
كأنه جنة راحت حدائقها ... من الغيبين في نار وإعصار
عار من النسب الوضاح منتسب ... في الخالدين بين العر والعار
وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالدين:
ولا بد أن أشكو إليك ظلامه ... وغارة مغوار سجيته الغصب
يخيل شعري أنه قوم صالح ... هلاكاً وأن الخالدي له سقب
رعى بين أعطان له ومسارح ... فلم ترع فيهن العشار ولا النجب
وكان رياضاً غضة فتكدرت ... مواردّها واصفر في تربها العشب
يساق إلى الهجن المقارف حليه ... وتسلبه الغر المحجلة القلب
غصبت على ديباجه وعقوده ... فديباجه غصب كما روع السرب
وكت إذا ما قلت شعراً حدث به ... حدا المطايا أو تغنى به الشرب
وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره:
لا بد من نفثة مصدور ... فحاذروا صولة مخدور
قد أنست العالم غاراته ... في الشعر غارت المغاوير
أثكلني غيد قواف غدت أبها من الغيد المعاطر

أطيب ريحاً من نسيم الصبا ... جاءت برياً الورد من جور
من بعد ما فتحت أنوارها ... فابتسمت مثل الأزاهير
وبات فكري تعباً بينها ... ينشها قمش الدنانير
يا وارث الأغفال ما حبروا ... من القوافي والمشاهير
اعط قفا نبك أماناً فقد ... راحت بقلب منك مذعور
وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع أن الخالدين يريدان الرجوع إلى
بغداد، وذلك في أيام المهلي الوزير:

بكرت عليك مغيرة الأعراب ... فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكدم ... وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعدنا شك بأنهما هما ... في الفتك لا في صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشعراء فما جهزا ... مقرونة بغرائب الكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة ... جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلي قفرة ... وحذار من حركات لشي غاب
لا يسلبان أخوا الثراء وإنما ... يتناهيان نتائج الألباب
إن عز موجود الكلام عليهما ... فأنا الذي وقف الكلام ببالي
أو يهبطا من ذلة فأنا الذي ... ضربت على الشرف المطل قبالي
كم حاولا أمني فطال عليهما ... أن يدركا إلا مثار ترابي
عجزاً ولن تقف العبيد إذا جرت ... يوم الرهان مواقف الأرباب
ولقد حميت الشعر وهو لمعشر ... ذم سوى الأسماء والألقاب
وضربت عنه المدعين وإنما ... عن حوزة الآداب كان ضرابي
فعدت نبيط الخالدية تدعي ... شعري وترفل في حبير ثيابي
قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب ... نقضت عمائمهم على الأبواب
من كل كهل تستطير سباله ... لونين بين أنامل البواب
مغض على ذل الحجاب يرده ... دامي الجبين تجهم الحجاب
ومفوهين تعرضا لحرايتي ... فتعرضت لهما صدور حرايتي
نظرا إلى شعر يروق فتربا ... منه حدود كواعب أتراب
شرباه فاعترف له بعدوبة ... ولرب عذب عاد سوط عذاب
في غارة لم تنل فيها الطبا ... ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركت غرائب منطقي في غربة ... مسيبة لا تهندي لإياب
جرحي وما ضربت بحد مهند ... أسرى وما حملت على الأقتاب

لفظ صقلت متونه فكأنه ... في مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت في صفحاته ... حر اللجين وخالص الزرياب
أغربت في تحبيرة فرواته ... في نزهة منه وفي استغراب
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل ... عن حسنه بصباً ولا بتصايي
وإذا تفرق في الصحيفة مأؤه ... عبق النسيم فذاك ماء شبابي
يصغي اللبيب له فيقسم له ... بين التعجب منه والإعجاب
جد يطير شراره وفكاهة ... تستعطف الأحباب للأحباب
أعزر علي بأن أرى أشلاءه ... تدمي بظفر للعدو وناب
أفنّ رماه بغارة مأفونة ... بات ظباء الروم في الأعراب
إني أحذر من يقول قصيدة ... غراء خلدني غارة ونهاب
إني نبذت على السواء إليكما ... فتأهبا للقادح المنتاب

وإذا نبذت إلى امرئ ميثاقه ... فليستعد لسطوتي وعقابي
وهي طويلة متناسبة العذوبة.

وقال من قصيدة في أبي إسحاق الصابي، وقد ورد عليه كتاب الخالدين بأنهما منحدران إلى بغداد في سرعة:

قد أظلتك يا أبا إسحاق ... غارة اللفظ والمعاني الدقيق
فاتخذ معقلاً لشعرك تحمي ... ه مروق الخوارج المراق
قبل رقرقه الحديد تريق ال ... سم في صفو مائه الرقراق
كان شن الغارات في البلد القف ... ر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالي ... حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسانها علي جلوساً ... لا أقلتهم ظهور العتاق
فجعت أفسس الملوك أبا الهي ... جاء حرباً بأنفس الأعلاق
يعني أبا الهيجا حرب بن سعيد أخوا أبي فراس الحمداني.
بقوافٍ مثل الرياض تمشت ... بين أنوارها جياذ السواقي
بدع كالسيوف أرففن حسناً ... وسقاهن روتق الطبع ساقِي
مشرقات تريك لهظاً ومعنى ... حمرة الحلبي في بياض التراقي
يا لها غارة تفرق في الحو ... مة بين الحمام والأطواق
تسم الفارس السמידع بالعا ... ر وبعض الإقدام عار باقي
لو رأيت القريض يرعد منها ... بين ذاك الإرعاد والإبراق
وقلوب الكلام تحفق رعاً تحت ثني لوائها الخفاف
وسيوف الظلام تفتك فيها ... بعدارى الطروس والأوراق

والوجوه الرقاق دامية الأب ... شار في معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحمة للخدود ال ... مر منهن والقُدود الرشا
والرياض التي ألح عليها ... كاذب الودق صادق الإحراق
والنجوم التي تظل نجوم ال ... أرض حسادها على الإشراف
بعدها لحن في سماء المعالي ... طُلعاً وانتثرن في الآفاق
وتخبرت حليهن فلم تع ... د خيار النحور والأعناق
وقطعت الشباب فيه إلى أن ... هم برد الشباب بالإخلاق
فهو مثل المدام بين صفاء ... وبهاء ونفحة ومذاق
منطق ينجل الربيع إذا ح ... ل عليه السحاب عقد النطاق
يا هلال الآداب يا ابن هلال ... صرف الله عنك صرف الخاق
سوف أهدي إليك من خدم الم ... جد إماء تعاف قبح الإباق
كل مطبوعة على اسمك بادٍ ... وسمها في الجباء والآفاق
غرر من أهاجيه للشعراء قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامي، ويحكي أنه كان جزاراً بالمدينة:
أرى الجزار هيجني وولى ... فكاشفني وأسرع في انكشافي
ورقع شعره بعيون شعري ... فشاب الشهد بالسم الذعاف
لقد شقيت بمديتك الأضاحي ... كما شقيت بغارتك القوافي
توغر فمجهها بك وهو سهل ... وكدر وردها بك وهو صافي
فتكت بها مثقفة النواحي ... على أشد من الثقاف
لها أرجُ السوالف حين تجلى ... على الأسماع أو أرج السلاف
جمعن الحسنين فمن رياح ... معنبرة وأرواح خفاف
وما علمت مغيراً منك يرمي ... رقيق طباعها بطباع جاني
معان تستعار من الدياجي ... وألغاز تقدر من الأثافي
كأنك قاطف منها ثماراً ... سبقت إليه إبان القطف
وشر الشعر ما أداه فكر ... تعثر بين كد واعتساف
سأشفي الشعر منك بنظم شعر ... تبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي ... فقف لي بالمودة خلف قاف
وقال يعرض بالتلعفري المؤدب:
ينافسني في الشعر والشعر كاسد ... حسود كبا عن غايي ومعاند
وكل غبي لو يباشر برده ... لظى النار أضحي حرها وهو بارد
أفبقوا فلن يعطي القريض معلم ... وهل يتولى الأغبياء عطار

ولا تمنحوا منه الكرام قلانداً ... فليس من الحصباء قمدى القلاندا
وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي:
قد كانت الدنيا عليك فسيحة ... فاليوم أضحت وهي سم خياط
أسخطني وجناة عيشك حلوة ... فجئيت مر العيش من إسخطي
وعلمت إذ كلفت نفسك غايي ... أن الرياح بعيدة الأشواط
أترومني وعلى السماك محلي ... شرفاً وبين الفرقدين صراطي
من بعد ما رفع الأكابر مجلسي ... فجلست بين مؤمل وسماط
وغدت صوارم منطقي مشهورة ... بين العراق قمر والفسطاط
وقد امتنحت دعاويا لكبيت ... عن بحر تمويه بعيد الشاطي
فرأيت علمك من خراً وخراطة ... ووجدت شعرك من فسا وضراط
وقال من أرجوزة في الخالدي:

بؤساً لعرس الخالدي بوسا ... أكل يوم تغتدي عروسا
خلته واعتاضت فتى نفيساً ... وفارقت من ننته ناووسا
فصادفت ربع هوى مأنوساً ... وبدلت من رخم طاوسا
وكيف قنوى وجهه العبوسا ... وهي ترى الأقمار والشموسا
هذه ملح مما قاله في ابن العصب الملحي الشاعر وكان شيخاً يتصابب، ويتعصب للخالدين على السري
وكان السري يهجوّه جداً وهازلاً، وينسبه إلى القيادة، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله، ولا
يبقى ولا ينر في التولع به، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة:

ومن عجب أن الغيبين أبرقا ... مغيرين في أقطار شعري وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسي ... إلى نسب في الخالدية أسودا
وإن علياً بائع الملح بالنوى ... تجرد لي بالسب فيمن تجردا
وعندي له لو كان كهوا قوارصي ... قوارص ينثرن الدلاص المسردا
ومغموسة في الشري والأري هذه ... ليردي بها باغ وتلك لترتدي
لك الويل إن اطلعت بيض سيوفها ... وأطلقتها خزر النواظر شردا
ولست لجد القول أهلاً وإنما ... أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
نصبت لفتيان البطالة قبة ... ليدخلها الفتیان كهلاً وأمردا
وكان طريق القصف وعراً عليهم ... فسهلته حتى رأوه معبدا
وكم لذة لا من فيها ولا أذى ... هديت لها خدن الضلالة فاهتدى
قصدهم وزناً فساويت بينهم ... ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
وجئتهم قبل ارتداد جفونهم ... بمائلة تكسي الشرائح والمدى
ومبيضة مما قرأه محمد ... أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا

نثرت عليها البقل غصاً كأنما ... نثرت على حر اللجين الزبرجدا
ومصبوغة بالزعفران عريضة ... كأن على أعطافها منه مجسدا
تريك وقد عطت بياضاً بصفرة ... مثلاً من الكافور ألبس عسجدا
فحف بها منهم كهول وفتية ... كأنهم عقد يحف مقلدا
فلا نظر الداعي إلى الزاد كفهم ... ولا خجلة المدعو ردت لهم يدا
وملت بهم من غير فضل عليهم ... إلى الورد غصاً والشراب موردا
مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهدا
معداً لهم في كل يوم مجدد ... من الراح والريحان عيشاً مجددا
إذا وصلوا أضحي الخوان مدبجا ... وإن هجروا أضحي سليباً مجردا
وإن شرعوا في لذة كنت بيعه ... وإن طمعوا في مرفق كنت مسجدا
لك القبة العليا أوضحت قمجها ... وأطلعت منها للفتوة فرقدا
يصادف منها الزور عيشاً مبرداً ... وباطية ملأى وظيباً مغردا
وقد فضلت شم القباب لأنني ... نصبت عليها بالقصائد مطردا
وقوله فيه:

طوى وده الملحي عني فانطوى ... وقد كان لي خلافاً فأعرض والنوى

دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه مت من الطوى
وقال أتاك الحلبي قلت مازحاً ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى
وناولي مسودة لو قرنتها ... إلى القار كانا في سوادهما سوا
وقال أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى
وفضل في الشعر أمراً غير فاضل ... فقلت له أمسك نطق عن الهوى
ولو أنني أحيي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى
وقوله فيه:

سل الملحي كيف رأى عقابي ... وكيف وقد أثاب رأي ثوابي
سقاني الهاشمي فسل ضغني ... وأغمد عنه تأنيبي ونابي
أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي، ولهذا قال:
سقاني الهاشمي فسل ضغني إلخ

وقال أخو المودة والتصافي ... وعون أخي الصباية والتصابي
وشيخ طاب أخلاقاً فأضحى ... أحب إلي الشباب من الشباب
له ققص إذا استخفيت فيه ... أمنت فلم تملك يد الطلاب
طرقناه وقنديل الشريا ... يحط وفارس الظلماء كابي

فرحب واستمال وقال حطتُ ... ركابكم بأفنية رحاب
وحض على المناهدة الندامى ... بألفاظ مهذبة عذاب
وقال تيمموا الأبواب منها ... فكل جاء من تلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام ... وهذا قال دن من شراب
وهذا قال ريحان ونقل ... وثلج مثل رقرق السراب
وسمح القوم من سمحت يداه ... بخدر غريرة بكر كعاب
فسم لهم بذلك هو يوم ... غريب الحسن عذب مستطاب
إذا العباء الثقيل توزعته ... أكف القوم خف على الرقاب
وقوله فيه:

أقررت يا ابن العصب العيون ... ورحت حبلاً للخنا متينا
علمت قوماً كيف يقصفونا ... فاطرحوا الحشمة مسرعينا
ودخلوا القبة آميناً ... فأكلوا يومهم سميناً
ولم يكن سرورهم ممنونا ... يا من يرى نرف الدنان ديناً
ومن يداري العيش كي يلينا ... ما العيش إلا للمناهدينا
مؤونة قضت على عشرينا ... ولو تفردنا بها خرينا
وقوله فيه من قصيدة:

ملنا إلى غرفة الملحي إن بها ... ظيباً من الإنس مبدول الخلاخيل
نزوره وبقايا الليل تسترنا ... فنهتدي خليع منه ضليل
يرضى النديم ويرضى عن مروءته ... إذا أتاه بمشروب ومأكول
وإن رآه رقيق الوجه قال أرق ... كأس الحياء بضم أو بتقيل
فردت غد زرتة قنديل بيعته ... فالزيت ينشر أضواء القناديل
وقوله من أخرى:

قد وهى ستر رقيق ... ومضى ورد عليل
قصرت أيامنا البي ... ضُ وفي يومك طول
دعوة ينتسب القح ... ط إليها والحول
ليس إلا العطش القا ... تل والماء الثقيل
مجلس فيه لأربا ... ب الخنا قال وقيل
وضراط مثل ما انش ... ق الدبيقي الصقيل
فإذا اختالت خلال ال ... شرب عذراء شمول
لعبت أيدٍ لها أق ... فية القوم طبول
لست من شكلك والنا ... سليمان ضروب وشكول

أنت للحاجة حتى ... يصدر الورد خليل
فاقطع الرسل فقد أرى ... رى بنا منك الرسول
وقوله فيه:

شيخ لنا من شيوخ بغداد ... أغد في القصف أي إغذاذ
رق طباعاً ومنطقاً فغدا ... وراح في المستشف كاللاذ
تظن تحت الأكف هامته ... إذا علتها طين فولاذ
قواد إخوانه فإن ظمئوا ... سقاهاهم الراح سقي نباذ
له على الشط غرفة جمعت ... كل خليع نشا ببغداد

أعد فيها ابنة الشباك لهم ... ممكورة الجنب في ابنة الداذي
ولذة من صباح قطربل ... وجؤفرا من ملاح كلواذا
يقول للزائر الملم به ... أوصل هذا ألد أم هذي؟
وشاعر جوهر الكلام له ... ملك فمن تارك وأخاذ
وخير ما فيه أنه رجل ... يخدمني الدهر وهو أستاذي
إذا انتشى أقبلت أنامله ... تنشر ميتاً خلال أفخاذي
وقوله فيه، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط، فأطعمه هريسة وسقاه نبيذ الدبس وماء
بئر يعرف بكرخايا:

أرى الشاعر الملحي راح بنا صباً ... نباغضه عمداً ويوسعنا حبا
دعانا ليستوفي الشاء فأظلمت ... خلألق يستوفي لصاحبها السبا
تيمم كرخايا فجاد قلبها ... عليه وما شرب القلب لنا شربا
وأحضرنا محبوسة طول ليلها ... معذبة بالنار مسعرة كربا
تخير من رطب الذؤابة لحمها ... ومن يابس الحب النقي لها حبا
وساهاها ليلاً يضيق سجنها ... فما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحها الريح راحت كأنها ... تمسح موتي كشفت عنهم الترابا
وداذية تنهي الصباح إذا بدا ... وتفسد أنفاس النسيم إذا هبا
شراب يغض الطرف عنه وعمره ... ثلاثة أيام وقد شب لا شبا
يحد بأطراف النهار وما افترى ... ولا كان خدناً للجنة ولا ترابا
فلما تراءت للجميع إزاءنا ... عجبت لمضروين ما جنيا ذنبا
وقوله فيه:

أربعاء حسامه مشهور ... حين يأتي وشره محذور
نتوقاه أول الشهر إن دا ... ر ونخشاه آخر لا يدور

فاغذُ سرّاً بنا إلى قفص المل ... حي فالعيش فيه غض نصير
نتوارى من الحوادث والده ... ر خبير بمن توارى بصير
مجلسٌ في فناء دجلة يرتأ ... ح إليه الخليع والمستور
طائر في الهواء فالبرق يسري ... دون أعلاه والحمام يطير
وإذا الغيم سار أسبل منه ... كلل دون صدره وستور
وإذا غارت الكواكب صباحاً ... فهو الكوكب الذي لا يغور
ليس فيه إلا خمار وخمر ... وممات من نشوة ونشور
وحديث كأنه زهر المن ... ثور حسناً أو لؤلؤً منشور
وجريح من الدنان تسيل ال ... راح من جرحه وقدر تفور
ولك الظية الغريبة إن شئ ... ت وإن عفتها فظي غريب
فتمتع بما تشاء فهاراً ... ثم بت معرساً وأنت أمير
كل هذا بدرهمين فإن زد ... ت فأنت المبجل الخبور
وقوله فيه من قصيدة:

شقت قذال الخالدي بمنطق ... يشق من الأعداء كل قذال
وناضلني الملحي عنه فأصبحت ... جوارحه مجروحة بنبال
وقد كان يخلي بيته لمآري ... إذا زار إلف أو حبا بوصال
على أنه يكره يوماً بخمسة ... مواجهة يبض الوجوه ثقال
تحلت بذكر الله من كل جانب ... فهن بذكر الله خير حوالي
يسبح بها الملحي طوراً قذاله ... وطوراً حريمي منزل عيال
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالة ... مهفهفة الكشجين أو بغزال
فقدم له الجدي الرضيع وثنه ... بعذراء من ماء الكروم زلال
ولا تلقه إلا بخير وسيلة ... يلوح على وجهه خير مقال
بباز إذا أرسلته صاد كل ما ... تروم به أو نال كل منال
وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها:
على ابن العصب الملح ... ي يثني اليوم من أثني
على الجلد وإن صاد ... ف في عظمه وهنا
ضحينا عنده يوماً ... شديد الحر فالتحنا
ولم يحو به الأجر ... ولم نعدم به المتأ

جياعاً نصف الزيتو ... ن لو أمكن والجبنا
ونطري السمك البن ... ي والجردق والبنا

وكنا ننشر الدرّ ... من اللفظ فخلطنا
فلو طارت بنا ضعفاً ... صبا لآعبة طرنا
ولو أنا دعونا ال ... ه في دعوته فرنا
إلى أن كبر العصر ... وهللنا فكبرنا
ونش السمك المق ... لوّ بالقرب فسبحنا
وقلنا هذه الرحم ... ة جاءت فأظلتنا
وظلنا إذ رأينا الحب ... ز ندنو قبل نستدنى
إلى مائدة حُفّت ... بها أرغفة متنى
عليها البقل لا نلح ... قه بالخلّ أو يفنى
ومنسوب إلى دجل ... ة ما زال لها خدنا
جرى في مائها قبل ... يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العم ... ر أعلى صيدها سنا
طوى أقرانه الدهر ... فلم تبق له قرنا
فلما اكتحلت عيني ... به أوسعته لعنا
حللنا عقد الشوا ... ء عن جسم له مضى
ومزقنا له درعاً ... يوارى أعظماً حجنا
نرد اليد بالخيب ... بة عن أقربها مجنى
فما تم لنا الإفطا ... ر بالقوت ولا صمنا
وطاف الشيخ بالذن ... إلى أن نرف الدنا
فأدنى كدر العيش ... بها لا كان ما أدنى
مدام تجلب الهم ... ولا تطرده عنا
فلا النفس بما سرت ... ولا القلب لها حنا
كأن شرايه مطبوخ ... على راحته اليمنى
وفاح البحر القات ... ل منه فتبخرنا
وقال اغتموا وصل ... فتاة برعت حسنا
فجاءت تخجل البدر ... وغصن البانة اللدنا
وتصطاد قلوب الشر ... ب أجفان لها وسنى
فكدنا وأبى الله ... لنا والشيم الحسنى
وقمنا نعطف الأزر ... على العفة إذ قمنا
وقلنا يا لحاك الله ... ثريني بعد ما شينا!
فأبدى الأنس للقوم ... وأخفى الحقد والضغنا

وهو الشن وما واف ... ق منا طبق شنا
وقوله فيه:

لك يا ابن العصب الملح ... ي عرض مستباح
وقفاً فيه لأيدي الش ... رب جد ومزاح
هو للصفع قريح وهو للرحب قراح
وقريض مثلما تن ... طق باللغو الفقاح
لست أدري أسلاح ... لك منه أم سلاح

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السري وما أراي أروي أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا
ألطف من قوله:

قسمت قلبي بين الهم والكمد ... ومقلتي بين فيض الدمع والسهد
ورحت في الحسن أشكالا مقسمة ... بين الهلال وبين الغصن والعقد
أريتني مطراً ينهل ساكنه ... من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجه لا يروى ماؤها ظمئي ... بخلاً وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما ... أبقى الغرام على صبري ولا جلدي
ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله:

بلاني الحب منك بما بلاني ... فشأن أن تفيض غروب شاني
أبيت الليل مرتفعاً أناجي ... بصدق الوجه كاذبة الأمان
فتشهد لي على الأرق الثريا ... ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلاً ... بذلك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تم ... وبين عمادها أغصان بان
ومذهبة الحدود بجلنار ... مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من ربك ريا ... وحيانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عن نهائي ... دموع فيك تلحي من لحائي
ولم أجهل نصيحته ولكن ... جنون الحب أحلى في جنائي

فيا ولع العواذل خل عني ... ويا كف الغرام خذي عنائي
وقال من قصيدة:

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى ... تجول في جنح ليل مظلم داجي
مقدودة خرطت أيدي الشباب لها ... حقين دون مجال العقد من عاج
عهدي بأبي بكر الخوارزمي يحن على هذا الوصف.
وقال من أخرى:

لطمت خدها بحمرٍ لطاف ... نال منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العناب نور الأقاحي ... واشتكى الورد ناضر العناب
وقال:

قامت وخوط البانة ال ... مياس في أثوابها
ويهزها سكران سك ... ر شرابها وشبابها
تسعى بصهاوين من ... ألحاظها وشرابها
فكأن كأس مدامها ... لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها إذا ... ما لاح تحت نقابها
وقال:

لبست مصندلة الثياب فمن رأى ... صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكت من الظبي الغرير ثلاثة ... جيداً وطرفاً فاتراً وإهابا
وقال من قصيدة طويلة:

إذا برزت كان العفاف حجابها ... وإن سفرت كان الحياء نقابها
حممتا الليالي بعد ساكنة الحمى ... مشارب يهوى كل ظام شرابها
ألحظها لحظ الطريد محله ... وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها
تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى
ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة:

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى ... وهناً فوشح روضه بسلاسل
أذكرتنا النشوات في ظل الصبا ... والعيش في سنة الزمان الغافل
أيام أستر صبوتي من كاشح ... عمداً واسرق لذني من عاذل
وقوله من أخرى:

تشنى البرق يذكرني الشنايا ... على أثناء دجلة والشعابا
وأياماً عهدت بها التصابي ... وأوطاناً صحبت بها الشبابا
وقوله من أخرى:

ما كان ذاك العيش إلا سكرةً ... رحلت لذاذتها وحل خمارها
ومن أخرى:

وكم ليلة شمرت للراح رائحاً ... ويت لغزلان الصريم مغازلا
وحليت كأسى والسماء بحليها ... فما عطلت حتى بدا الأفق عاطلا
وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب:
أحمل صبوتنا دعاء مشوق ... يرتاح منك إلى الهوى الموموق
هل أطرقن العمر بين عصابة ... سلكوا إلى اللذات كل طريق

أم هل أرى القصر المنيف معمماً ... برداء غيم كالرداء رقيق
وقلا لي الدير التي لولا النوى ... لم أرمها بقلبي ولا بعقوق
محمرة الجدران ينفج طيبتها ... فكأنها مبنية بخلوق
ومحل خاشعة القلوب تغردوا ... بالذكر بين فروقه وفروقي
أغشاه بين منافق متجمل ... ومناضل عن كفره زنديق
وأغنّ تحسب جيده إبريقه ... ما دام يسفح عبدة الإبريق
يتنازعون على الرحيق غرائباً ... يحسن زاهره كؤوس رحيق
صدرت عن الأفكار وهي كأنها ... رقراق صادرة عن الراووق
دهر ترفق بي فواقاً صرفه ... وسطا علي فكان غير رفيق
فمتى أزور قباب مشرقة الندى ... فأورد بين النسر والعيون
وأرى الصوامع في غوارب أكمها ... مثل الهوادج في غوارب نوق
ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلى تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا
التشبيه وبراعته وفصاحته.

حمرّاً تلوح خلالها ييض كما ... فصلت بالكافور سمط عقيق
كلف تذكر قبل ناهية النهى ... ظلين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته في خله ... إذ لا خير له من التفريق
حسن الخروج والتخلص فممنه قوله من قصيدة في الوزير المهلي:
عصر مزجت شمائي بشموله ... وظلاله ممزوجة بشماله
حتى حسبت الورد من أشجاره ... يجني أو الرياح من آصاله

وكأنني لما ارتديت ظلاله ... جار الوزير المرتدي بظلاله
وقال من أخرى:

أكني عن البلد البعيد بغيره ... وأرد عنه عنان قلب مائل
وأود لو فعل الحيا بسهولة ... وحزونه فعل الأمير بآمل
ومن أخرى:

وركائب يخرجن من غلس الدجى ... مثل السهام مرقن منه مروقاً
والفجر مصقول الرداء كأنه ... جلباب خود أشربه خلوقاً
أغمامة بالشام ثمن بروقها ... أم ثمن من شيم الأمير بروقاً
ومن أخرى:

وبكر إذا جنبتها الجنوب ... حسبت العشار تؤم العشارا
ترى البرق ييسم سراً بها ... إذا انتحب الرعد فيها جهارا

إذا ما تتمر وسميها ... تعصفر بارقيها فاستطارا
يعارضها في الهواء النسيم ... فينثر في الأرض دراً صغارا
فطوراً يشق جيوب الحيا ... وطوراً يسح الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الربا ... شمائله فاشتملن المعارا

ملح من المدح قال من قصيدة:

ظلم التليد وليس من أعدائه ... وحبنا الحسود وليس من أحبابه
فالغيث يحجل أن يلم بأرضه ... والليث يفرق أن يطيف بغابه
ومن أخرى:

أقول للمبتغي إدراك سؤدده ... خفض عليك أليس النجم مطلوباً
إن تطلب السلم تسلم من صوارمه ... أو تؤثر الحرب ترجع عنه محروبا
كم من جبين أزار السيف صفحته ... لعاد طرساً بحد السيف مكتوبا
وكم له في الوغى من طعنة نظمت ... عداه أو نثرت رمحاً أنابيا
ومن أخرى:

كالغيث يحيي إن همي والسييل ير ... دي إن طما والدهر يصمي إن رمي
شقى الخلال يروح إما سالباً ... نعم العدى قسراً وإما منعماً
مثل الشهاب أصاب فجاً معشياً ... بحريقه وأضاء فجاً مظلماً
أو كالغمام الجون إن بعث الحيا ... أحيا وإن بعث الصواعق ضرماً
أو كالخسام إذا تبسم متنه ... عبس الردى في حله فنجهما
كلف بدر الحمد يرم سلكه ... حتى ترى عقداً عليه منظماً
ويلم من شعث العلا بشمائل ... أحلى من اللعس الممنع واللمى
ومن أخرى:

خلق سهول المكرمات سهوله ... وتوغر الأيام من أوعاره
إن لاح فهو الصبح في أنواره ... أو فاح فهو الروض في نواره
ومن أخرى:

لقد شرفت بسؤددك القوافي ... وفاز بمجدك الشرف التليد
فيوم الحرب تطربك المذاكي ... ويم السلم يطربك النشيد
ومن أخرى:

ومقتبل السن سن الندى ... فأعطى الفتوة حق الفتاء
بكف ترقرق ماء الحياة ... ووجهه يرقق ماء الحياء
ومن أخرى:

أما السماح فقد تبسم نوره ... بعد الذبول وعاد نور ذباله

أطلقت من أغلاله وشفيت من ... أغلاله وفتحت من أقفالها
ومن أخرى:

نسب أضاء عموده في رفعة ... كالصبح فيه ترفع وضيأ
وشمائل شهد العداة بفضلها ... والفضل ما شهدت به الأعداء
ومن أخرى:

يريك من رقة الألفاظ منطقه ... در العقود غدت محلولة العقد
جعلته جنة من كل نائية ... ورحت من جوده في جنة الخلد
المدح بالبأس ووصف الجيش وال سلاح والحرب قال من قصيدة:
ناديك من مطر الإحسان ممطور ... ومرتحيك بغمر الجود مغمور
والبيض ظل عليك الدهر منتشر ... والنقع جيب عليك الدهر مزور
والشرك قد هتكت أستار بيضته ... بحد سيفك والإسلام منشور
كم وقعة لك شبت في الضلال بها ... نار فأشرق منها في الهدى نور
ونفضة خر فسطاط الكفور لها ... خوفاً وأذعن بالفسطاط كافور
ومن أخرى:

لله سيف تمني السيف شيمته ... ودولة حسدتها فخرها الدول

وعاشق خيلاء الخيل مبتذل ... نفساً تصان المعالي حين تبذل
أشم تبدي الحصون الشم طاعته ... خوفاً ويسلم من فيها ويرتحل
تشوقه ورماح الخط مشرعة ... نجل الجراح بها لا الأعين النجل
كأنه وهجير الروع يلفحه ... نشوان مد عليه ظل الأسل
فالصافنات حشايه وإن قلقت ... والسابغات وإن أوهت له حلل
لما تمزقت الأغمداء عن شغل ... تمزقت عن سنا أقمارها الكلل
أكرم بسيفك فيها صاتلاً غزلاً ... يفري الشؤون وتثني غربه المقل
ومن أخرى:

وأغلب عامه في السلم يوم ... ولكن يومه في الحرب عام
يهجر والرماح عليه ظل ... ويسفر والعجاج له لثام
ومن أخرى:

جيش إذا لاقى العدو صدوره ... لم يلق للأعجاز منه لوقا
حجبت له شمس النهار وأشرقت ... شمس الحديد بجانيه شروقا
ومن أخرى:

كم معرك عرك القنا أبطاله ... فسقاهم في النقع سماً ناقعا

هبت رياحك في ذراه سمانما ... وغدت سماؤك تستهل فجائعا
فتركت من حر الحديد مصائفاً ... فيه ومن فيض الدماء مرابعا
ومن أخرى:

والضحى أدهم بالنقع فإن ... ضحكت فيه الطبا كان أغر
موقف لو لم يكن ناراً إذن ... لم تكن رزق عواليه شرر
ينظم الطعن كلى أعدائه ... وعقود الهام فيه تنتشر
العتاب قال من قصيدة:

إلى كم أحبر فيك المديح ... ويلقى سواي لديك الجورا
لهمت عرائسه أن تصد ... وهمت كواكبه أن تغورا
أيسلمني بعد أن رحت لي ... على نوب الدهر جاراً مجيراً
وأسفر حظي لما رآ ... ك بيني وبين الليالي سفيراً
سأهدي إليك نسيم العتاب ... وأضمر من حر عتب سعيراً
وقال في معناه:

أبا الهيجاء أصبحت القوافي ... تحب إليك حباً واعتماراً
عتاباً كالنسيم جرى لعتب ... يضررم في الحشى مني استعاراً
وقال يعاتب صديقاً أفضى له سراً:
رأيتك تبرى للصديق نوافذا ... عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ... ويا رب مزحٍ راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بين وبينك صائناً ... عهدك إن الحر للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهنأ ... فلي منك خل ما عرفت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة ... ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن
وقال في مثل ذلك:

تنتني عنك فاستشعرت هجراً ... خلال فيك لست لها براص
وأنت كلما استودعت سراً ... أنم من النسيم على الرياض
وقال في مثل ذلك:

لسانك السيف لا يخفى له أثر ... وأنت كالصل لا تبقي ولا تذر
سري لديك كأسرار الزجاج لا ... يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الشعر كسراً لا انجبار له ... فللزجاجة كسر ليس ينجبر
وقال في مثل ذلك:

أروم منك ثماراً لست أجنيها ... وأرتحي الحال قد حلت أواخيها
أستودع الله خلاً منك أوسعه ... ودأً ويوسعني غشاً وتمويها

كأن سري في أحشائه هبّ ... فما تطيق له طياً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلة ... ضئيلة بالذي تخفي نواحيها
فصار من بعد ما استودعت جوهرة ... رقيقة تستشف العين ما فيها
وقال من قصيدة:

لا تأنفن من العتاب وقرصه ... فالمسك يسحق كي يزيد فضائلا
ما أحرق العود الذي أشمته ... خطأ ولا غمّ البنفسج باطلا
هذا مما أخرج له في الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره فمنه قوله من قصيدة:
أما ترى الجو يجلي في ممسكةٍ ... والأرض تختال في أبرادها القشبِ

إذا ألح حسام البرق مؤتلقاً ... في الومض جد خطيب الرعد في الخطب
والريح وسنى خلال الروض وانية ... فما يراع لها مستيقظ الترب
وقال من أخرى:

شاقني مستشرف الدير وقد ... راح صوب المزن فيه وبكر
أهواء رق في أرجائه ... أم هو راق فما فيه كبر
أم حدود سفرت عن وردها ... أم ربيع عن جنى الورد سفر
مجلس ينصرف الشرب وما ... طويت من بسطه تلك الحُبر
وكان الشمس فيه نثرت ... ورقاً ما بين أوراق الشجر
بين غدرٍ تقع الطير بها ... فتراهن رياضاً في غدر
ونسيم وكره الروض فإن ... طار في الصبح ارتدينا عطرا
وثرى يشهد بالطيب له ... عبق خالف أطراف الأزر
وغيوم نشرت أعلامها ... فلها ظلّ علينا منشر
ومن أخرى:

وحداتك يسيلك وشي برودها ... حتى تشبهها سائب عبقر
يجري النسيم خلالها وكأنا ... غمست فضول ردائه في العنبر
باتت قلوب الخل تخفق بينها ... بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل نائي الحجرتين مولع ... بالبرق داني الظلّتين مشهر
تحدي بالسنّة الرعود عشاره ... فيسير بين مغرد ومزجر
طارت عقيقة برقه فكأنما ... صدعت ممسك غيمه بمعصفر
وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة:
وضاحك الروض محلى المنزل ... سبط هبوب الريح جعد المنهل
موشح بالتور أو مكلل ... مفروجة حلتته عن جدول

أقبل قد غصن بمدّ مقبل ... والطير ينقض عليه من عل
تساقط الوشي على المصنل
وقال في الورد:

لو رحّيت كأس بذي زورة ... لرحّيت بالورد إذ زارها
جاء فخلناه خدوداً بدت ... مضرمةً من خجل نارها
وعطر الدنيا فطابه به ... لا عدمت دنياه عطارها
وقال في وصف الروض وقوس قزح:

إنّ عنّ هو أو سنج ... فاغد إلى الراح ورح
رضيت أن أحظى بعزّ ... الكأس والحظ منح
وصاحب يقدح لي ... نار السرور بالقدح
في روضة قد لبست ... من لؤلؤ الطلّ سبح
يألفني حمامها ... مغتبقاً ومصطح
أوقظه بالعزف أو ... يوقظني إذا صدح
والجو في ممسك ... طرازه قوس قزح
يبكي بلا حزن كما ... يضحك من غير فرح
وقال:

هفا طرباً في أوان الطرب ... فأنخب أقداحه كالنخب
وغنى ارتياحاً إلى عارض ... يغني وعبرته تنسكب
غيومٌ تمسك أفق السماء ... وبرق يكتبه بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى ... فريد ندى ماله من ثقب
فأنوارها مثل نظم الحلى ... وأنهارها مثل ييض القضب
حللت بها مع ندامى سلوا ... عن الجد واشتهروا باللعب
وأعنتم عن بديع السماع ... بدائع ما ضمّنته الكتب
وأحسن شيء ربيع الحيا ... أضيف إليه ربيع الأدب
وقال في وصف البرد:

يوم خلعت به عذارى ... فعريت من حلل الوقار
وضحكت فيه إلى الصبا ... والشيب يضحك في عذارى
متلونٌ يبدي لنا ... طرفاً بأطراف النهار
فهواؤه سكب الردا ... ء وغيمه جافى الإزار
يبكي فيحمد دمه ... والبرق يكحله بنار

الشراب وما يتصل به قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب:

أعاذل إنَّ النائبات بمرصد ... وإن سرور المرء غير مَحْدَد
إذا ما مضى يوم من العيش صالح ... فصله يوم صالح العيش من غد
وحالية من حسننها وجهالها ... وإن برزت عطل الشَّوى والمقلد
تعاطيك كأساً غير ملأى كأنما ... فواقعها أحداق درع مزرد

كأنَّ أعاليها بياض سواف ... يلوح على توريد جيب مورّد
وقال في مثل ذلك:

وصفراء من ماء الكروم شربتها ... على وجه صفراء الغلائل غضة
تبدّت وفضل الكأس يلمع فوقها ... كأترجة زينت ياكليل فضة
وقال في مثل ذلك:

دعانا إلى اللهو داعي السرور ... فبتنا نبوح بما في الصدور
وطافت علينا بشمس الدّنا ... ن في غسق الليل شمس الحدور
كأنَّ الكؤوس وقد كللت ... بفضلاتهن أكايل نور
جيوب من الوشي مزرورة ... يلوح عليها بياض النحور
وقال:

وفتية دارت السعود لهم ... فدار للراح بينهم فلك
بتنا وضوء الكؤوس يهتك بال ... إشراق ستر الدجى فينتهك
ترى الثريا والبر في قرن ... كما يحيا بمرجس ملك
وقال وقد شرب ليلة في زورق:
ومعتدل يسعى إليّ بكأسه ... وقد كاد ضوء الصبح بالليل يفتك
وقد حجب الغيم السماء كأنما ... يزرّ عليها منه ثوب ممسّك
ظللنا نبث الوجد والكأس دائر ... ونهتك أستار الهوى فتتهك
ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي ... وإبريقنا في الكأس ييكي ويضحك
وقال من قصيدة:

وساق يقابل إبريقه ... كما قابل الظبي ظبياً ريبيا
يطوف علينا بشمسية ... نروع بها الشمس حتى تغيبا
وقال من أخرى:

وملآن من عبرات الكروم ... كأنَّ على فمه عصفرا
إذا قرينه أكفّ السّقا ... من الكأس قهقه واستعبرا
تروّحه عذبات القدم ... برياً النسيم إذا ما جرى
وريم إذا رام حث الكؤو ... س قطب للتيه واستكبرا

وجرد من طرفه خنجراً ... ومن نون طرّته خنجراً
ترى ورد وجنته أحمر ... وريحان شاربه أخضر
وقال:

أشرب فقد شردّ ضو ... ء الصبح عتّا الظلما
وانبسط النور على ... وجه الثرى فابتسما
كأثما أطلع ما ... ء المزن فيه أنجما
وصوبّ الإبريق في ال ... كأس مداماً عندما
كأته إذ مجها ... مقهقهة يبكي دما
وقال يذكر ليلة سكر فيها بقرطبل ويصف الشمع:
كستك الشبيبة ريعانها ... وأهدت لك الراح ريجانها
قد للنديم على عهده ... وغاد المدام وندمانها
فقد خلع الأفق ثوب الدجى ... كما نضت البيض أجفانها
وساق يواجهي وجهه ... فتجعله العين بستانها
يتوّج بالكأس كفّ النديم ... إذا نظم الماء تيجانها
فطوراً يوشح ياقوتها ... وطوراً يرصع عقيانها
رميت بأفراسها حلبة ... من اللهو ترهج ميدانها
وديراً شغفت بغزلانه ... فكدت أقبل صلبانها
فلما دجى الليل فرّجته ... بروح تخيف جثمانها
بشمع أعير قدود الرماح ... وسرج ذراها وألوانها
غصون من التبر قد أزهرت ... لهيبا يزين أفنانها
فيا حسن أرواحها في الدجى ... وقد أكلت فيه أبدانها
سكرت بقطربل ليلة ... لهوت فغازلت غزلانها
وأي ليالي الهوى أحسنت ... إليّ فأنكرت إحسانها
وقال:

قم فأنتصف من صروف الدهر والنوب ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الصبح قد قامت عساكره ... في الشرق ينشر أعلاماً من الذهب
والجو يختال في حجب ممسكة ... كأثما البرق فيها قلب ذي رعب
وجانبك صروف الدهر فانصرفت ... وقابلتك سعود العيش عن كشب
فاخلع عذارك واشرب قهوة مزجت ... بقهوة الفلج المعشوق والشنب

فالعيش في ظل أيام الصبا فإذا ... ودّعت طيب الشباب الغض لم يطب
جربت في حلبة الأهواء مجتهداً ... وكيف أقصر والأيام في طلي
توّج بكأسك قبل الحادثات يدي ... فالكأس تاج يد المثري من الأدب
وقال:

خذوا من العيش فالأيام فانية ... والدهر منصرف والعيش منقرض
في حامل الكأس من بدر الدجى خلف ... وفي المدامة من شمس الضحى عوض
كأنّ نجم الشريا كفّ ذي كرم ... ميسوطة بالعطايا ليس تنقبض
دارت علينا كؤوس الراح مترعة ... وللدجى عارض في الجوّ معترض
حتى رأيت نجوم الليل غائرة ... كأتهنّ عيون حشوها مرض
وقال يصف ظل كرم:

أدراها ففقد اللوم إحدى الغنائم ... ولا تخش إثماً لست فيها بآثم
ولا عيش إلا في اعتصام بقهوة ... يروح الفتى منها خصيب المعاصم
ولا ظلّ إلا ظلّ كرم معرّش ... يغنيك في قطريه ورق الحمائم
سماء غصون تحجب الشمس أن ترى ... على الأرض إلا مثل نثر الدراهم
وقال:

اليوم يعذب وردّ فيه تكدير ... ويستفيد من المهجران مهجور
حثّ الكؤوس فذا يوم به قصر ... وما به عن تمام الحسن تقصير
صحو وغيم يروق العين حسنها ... فالصحو فيروزج والغيم سمور
وقال:

وبكر شربناها على الورد بكرة ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيض اللباس يديرها ... توهمته يسعى بكمّ مورد
؟ استهزاء الشراب كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي:
أبا حسن إن وجه الربيع ... جميل يزان بحسن العقار
فإن الربيع نهار السرو ... ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردت ... وإن لم ترد غربت في استتار
فأجر إليّ بحار العقار ... فمن فيض كفيك فيض البحار
وقد عبأ لهم لي جيشه ... وليس له غير جيش الحمار
وكتب في يوم فصله إلى أبي إسحاق الصايي:
أبا إسحق يا جبلي ... ألوذ به ومعتصمي
أرقت دمي وأعوزني ... سليل الكرم والكرم
وبين يديّ مخجلة ... سواد القار والظلم

تري اللهوات تحجبها ... إذا وقعت حيال فمي

ولست أسيغها إلا ... كلون الورد والنعيم

فشياً من دم العنقو ... د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني:

تجنّبي حسن المدام وطيبها ... فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها

وعندي ظروف لو تظرف دهرها ... لما بات مغرى بالكآبة كورها

وشعث دنان خاويات كأنها ... صدور رجال فارقتها قلوبها

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما ... بي العلة الكبرى وأنت طيبها

وكتب إلى صديق له:

أبا الحسين دعت نفسي أمانبها ... إلى يد منك مشكور أياديها

تصرم الصوم عتاً بعد ما ظمئت ... له النفوس وفقد الراح يظميها

فجد بعذراء مثل الشمس تعذرها ... إن أظهرت صلفاً للحسن أوتيتها

واعلم بأن ظروف الراح إن كبرت ... عند الهدية أبدت ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات:

طرقك ممّاحاً وليس لطارق ... يرومك من وقع الضريب طريق

جنوب تحت المزن حثّاً وشمالاً ... تعبس منه الوجه وهو طليق

وضوء حريق ألبس الأرض ثوبه ... يخاف على الإقدام منه حريق

تثير الصبا في الجو منه عجاجة ... كما انتثر الكافور وهو سحيق

وما انفل حد القرّ إلا بقهوة ... تفرق في كاساتها فتروق

إذا ليست أثوابها فعقيقة ... وإن نشرت أنفاسها فخلوق

تدور علينا كأسها في غلائل ... رفاق تردّ العيش وهو رقيق

فألبس منها جبّة حين أنتشي ... وأخلعها بالكراه حين أفيق

وإني خليق من نذاك بمثلها ... وأنت بما أملت منك خليق

هذا ما أخرج له في الأستزارة ووصف آلاهما قال يدعو صديقاً له، ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على

الربض الأسفل والنهر، ويصف ما عنده من قدر وكنون ونار وشراب:

لنا غرفة حسنت منظراً ... وطابت لساكنها مخبرا

تري العين من تحتها روضة ... ومن فوقها عارضاً مطرا

وينساب قدّامها جدولٌ ... كما دعر الأيم أو نفرا

وراح كأن نسيم الصبّا ... يحمل من نشرها العنبرا

وعندي علق قليل المكس ... وندمان صدق قليل المرا

ودهماء قهّدر هدر الفنيق ... إذا ما امتطيت لهباً مسعرا
تجيش بأوصال وحشية ... رعت زهرات الربا أشهرها
كأن على النار زنجية ... تفرّج ثوبا لها أصفرا
وذو أربع لا يطيق النهوض ... ولا يَألف السير فيمن سرى
تحمله سبجاً أسودا ... فيجعله ذهباً أحمر
وقد بكر العبد من عندنا ... يزفّ لك الطرف الممطرا
فشمّر إلى روضة ترتضى ... فإن أخا الجدّ من شمرا
وقوله:

لم ألق ريجانة ولا راحا ... إلّا ثتني إليك مرتاحا
وعندنا ظبية مهفهفة ... ترأم ريماً يحنّ صداحا
تفسد قلبي إن أصلحته ولا ... أرى لما أفسدته إصلاحا
وفتية إن تذاكروا ذكروا ... من الكلام المليح أرواحا
وقد أضاءت نجوم مجلسنا ... حتى اكتسى غرة وأوضاحا
إن جمدت راحنا غدت ذهباً ... أو ذاب تفاحنا غدا راحا
عصابة إن شهدت مجلسهم ... كت شهاباً له ومصباحا
أغلق باب السرور دونهم ... فكن لباب السرور مفتاحا
وقال يصف كانون ويدعو صديقاً:

يوم رذاذ ممسك الحجب ... يضحك فيه السرور عن كتب
ومجلس أسبلت ستائره ... على شمس البهاء والحسب
وقد جرت خيل راحنا خبيّاً ... في جريها أو هممن بالخب
والتهبت نارنا فمنظرها ... يغنيك عن كل منظر عجب
إذا ارتمت بالشرار واطردت ... على ذراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتة مشبكة ... تطير عنها قراضة الذهب
فصر إلى المجلس الذي ابتسمت ... فيه رياض الجمال والأدب
وقال:

نفسي فداؤك كيف تصبر طائعاً ... من فتية مثل البدور صباح
حتّ نهوسهم إليك فأعلنوا ... نفساً بغلّ مسالك الأرواح
وغدوا لراحهم وذكرك بينهم ... أذكى وأطيب من نسيم الراح
فإذا جرت خبيّاً على أيديهم ... جعلوه ريجاناً على الأقداح
وقال:

لنا روضة في الدار صيغ لزهرها ... قلاند من حمل الندى وشنوف

يطوف بنا منها إذا ما تبسّمت ... نسيم كعقل الخالدي ضعيف
وندمان صدق نشره ونظامه ... ربيع إذا قارضته وخريف
وقد رق ثوب الغيم حتّى كأنما ... تنشر دون الأفق منه شقوق
فزر مجلساً قد شرف الله أهله ... وفصلهم إنّ الأديب شريف
ولا تعد أفعال الطريف، فإنّه ... زمان رقيق الحلبتين طريف
وقال:

هواء كاهوى حسناً وظرفاً ... وخيش ليس يترك أن يجفّ
وفتيان كرام باكروه ... ونجم صباحهم يبدو ويخفى
فإن بادرتهم جعلوك بدرّاً ... وإن خالفتم جعلوك خلفاً
؟أوصاف شتى قال في وصف الهلال:

ألا عدلي بباطية وكاس ... ورع همّي يابرق وطاس
وذاكرني بشعر أبي فراس ... على روض كشعر أبي نواس
وغيم مرهفات البرق فيه ... عوار، والرياض به كواسي
وقد سلّت جيوش الفطر فيه ... على شهر الصيام سيوف باس

ولاح لنا الهلال كشطر طوق ... على لّبات زرقاء اللباس
وقال:

جاءك شهر السرور شوال ... وغال شهر الصيام مغتال
أما رأيت الهلال يرمقه ... قومٌ لهم إن رأوه إهلال
كأنه قيد فضة حرج ... فضّ عن الصائمين فاختالوا
قال في وصف الريحان:

وبساط ريحان كماء زبرجدٍ ... عبثت بصفحته الجنوب فأرعدا
يشتاقه الشرب الكرام فكّلما ... مرض النسيم سعوا إليه عوداً
وقال في وصف طبل العزف:

ومقيد الطرفين يط ... رب عند تضيق القيود
ولقد يلطم خله ... في حال ترفيه الحدود
وكأنما زأراته ... يحسن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا ... م ترى بروقاً مع رعود
وقال في وصف البراغيث:

وليلة من نقمات الدهر ... قطعتها نزر الكرى والصبر
مكلم الظهر جريح الصدر ... مقسماً بين أعادٍ خزر

كُمتِ إذا عاينتها وشقر ... كأنّها آثارها في الأرز
وصف المروحة:

ومبثوثة في كل شرق ومغرب ... لها أمّهات العراق قواطن
يحرك أنفاس الرياح حراكها ... كأنّ نسيم الريح فيهن كامن
وصف منشور:

ومجرد كالسيف أسلم نفسه ... لجرد يكسوه ما لا ينسجُ
ثوبٌ تمرّقه الأنامل رقةً ... ويصبيه الماء القراح فيبهج
فكانه لما استوى في خصره ... نصفان ذا عاجٍ وذا فيروزج
وصف الديك:

كشف الصباح قناعه فتألّقا ... وسطا على الليل البهيم فأطرقا
وعلا فلاح على الجدار موشّحا ... بالوشي توجّ بالعقيق وطوقا
مرحٌ فضول التاج في لبّاته ... ومشمر وشياً عليه منمقا
وصف كلاب الصيد:

غدوت بها مجنونة في اغتدائها ... تلاقي الوحوش الحين عند لقائها
لهن شيات كالزوامج أصبحت ... مولّعة ظلماؤها بضياها
وأيدٍ إذا سلّت صوالج فضةً ... على الوحش يوماً ذهبت بدمائها
وفي مثله:

إذا ما دعونا لاحقاً ومعانقا ... وقيد لدينا وائب ومخالس
فذلك يومٌ جانب السعد سرّبه ... وقوبل بالنحس الظباء الكوانس
كأن جلود الوحش بين كلاهما ... وقد دميت أجيادها والمعاطس
مصنّدة القمصان شقّت جيوبها ... ورقرق فيهن العبير العرائس
وقال في وصف قدر:

سوداء لم تنتسب لحام ... ولم ترم ساحة الكرام
كأنما تحتها ثلاقٌ ... مقترنات من الحمام
يلعب في جسمها هيبٌ ... لعب سنا البرق في الظلام
لها كلامٌ إذا تناهت ... غير فصيح من الكلام
وهي وإن لم تذق طعاماً ... مملوءة الجسم من طعام
لم يخل من رفدها نديمي ... يوم حمار ولا مدام
ولى إذا الضيف عاد أخرى ... مصرّع حولها سوامي
عظيمة إن غلت أذابت ... بغليها لابس العظام
كأنما الجن ركّبتها ... على ثلاث من الأكام

لها دخان تضل فيه ... عجاجة الجحفل اللّهام
كأثما النار ألبستها ... معصفرات من الضّرام
ولم يزل مالنا مباحاً ... من غير ذلّ ولا اهتضام
نأخذ للقوت منه سهماً ... وللندى سائر السهام
وصف حمل مشوى:

أنعته معصفر الردين ... أبيض صافي حمرة الجنين
خلف شهرين على الخلفين ... ثم رعى بعدهما شهرين
فجسمه شبران في شبرين ... يا حسنه وهو صريع الحين
بين ذراعين مفصّلين ... كسارق حدّ من اليدين
وطرف يستوقف الطرفين ... كمثل مرآة من اللجين
مذهبة المقبض والوجهين ... تعرفه مرهفة الحدين
بكفّ طاه عطر الكفين ... شق حشاه عن شقيقتين

أختين في القدّ شبيهتين ... كما قرنت بين كمأتين
أو كرتي مسك لطيفتين

وقال يصف جام فالودج ويعبث بأبي بكر الخالدي، ويشير إلى أنه يميل إلى البرطيل:
إذا شئت أن تجتاح حقاً بباطل ... وتغرق خصماً كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكاً ... إلى ظلمات الظلم كل طريق
ولاطفه بالشهد المخلق وجهه ... وإن كان بالألطف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه ... رداء عروس مشرب بخلوق
له في الحشا برد الوصال وطيه ... وإن كان يلقاه بلون حريق
كأنّ بياض اللوز في جنباته ... كواكب لاحت في سماء عقيق
وصف الفقاع:

لست بناف حمار مخمور ... إلّا بصافي الشراب مقرر
يطير عن رأسه الفقاع إذا ... نفست عنه خناق مزور
رام بسهم كأنه خصر ... وطيب نشر نسيم كافور
يميل أعلاه وهو منتصب ... كأنه صولجان بلّور
وصف طيب بارع:

برز إبراهيم في علمه ... فراح يدعى وراث العلم
أوضح فنج الطب في معشر ... ما زال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف أفكاره ... يجول بين الدّم واللّحم

إن غضبت روحٌ على جسمها ... أصلح بين الروح والجسم
وفي مثل ذلك:

هل للعليل سوى ابن قرّة شافي ... بعد الإله وهل له من كافي
أحيا لنا رسم الفلاسفة الذي ... أودى وأوضح رسم طبّ عافي
فكأنه عيسى ابن مريم ناطقا ... يهب الحياة بأيسر الأوصاف
مثلت له قارورتي فرأى بها ... ما اكتن بين جوانحي وشغافي
يبدو له الداء الخفي كما بدا ... للعين رضراض الغدير الصافي
وصف مزين حاذق:

هل الخنق إلا لعبد الكريم ... حوى فضله حادثاً عن قديم
إذا لمع البرق في كفه ... أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنّه ... يروح ويغدو بكفي حلیم
فمنا بخدمته مذ نشأ ... فنحن به في نعيم مقيم

أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد

ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران، يغرّبان بما يجلبان، ويبدعان فيما يصنعان، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب، مثل ما
ينظمهما من أخوة النسب. فهما في الموافقة والمساعدة؛ يحييان بروح واحدة. ويشتركان في قرص الشعر
وينفردان، ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان. وكانا في التساوي والتشابه. والتشاكل والتشارك، كما
قال أبو تمام:

رضيحي لبان شريكي عنان ... عتيقي رهان حليفي صفاء
بل كما قال البحري:

كالفرقدين إذا تأمل ناظر ... لم يعل موضع فرقده عن فرقده
بل كما قال أبو إسحاق الصابي فيهما:

أرى الشاعرين الخالدين سبّراً ... قصائد يفني الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه ... يقصر عنها راجز ومقصد

تنازع قوم فيهما وتناقضوا ... ومّرّ جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم ... وطائفة قالت لهم بل محمد

وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهم ... وما قلت إلاّ بالتي هي أرشد
هما في اجتماع الفضل زوج مؤلف ... ومعناهما من حيث يشيت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا ... علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجد

فزوجهما ما مثله اتفاقه ... وفردهما بين الكواكب أوحده
فقاموا على صلح وقال جميعهم ... رضىنا وساوى فرقد الأرض فرقد

وما أعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق فما منها إلا منهما إلا محسن ينظم في سلك الإبداع ما فاق وراق.
ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق. وقد ذكرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن
المصالحة المسارقة، وما أقدم عليه السري من دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم، وكان أفاضل الشام
والعراق إذ ذاك فرقتين: إحداهما - وهي في شق الرجحان - تتعصب عليه لهما. لفضل ما رزقناه من قلوب
الملوك والأكابر. والأخرى تتعصب له عليهما، وقد بدأت بملح.

شعر أبي بكر لأنه أكبر الأخوين

هذه نبذة مما اتفق له فيه التوارد مع السري أو التسارق

قال أبو بكر:

قام مثل الغصن المي ... اد في غضّ الشباب
بمزج الخمر لنا بال ... صفو من ماء الشراب
فكان الكأس لما ... ضحكت تحت الحجاب
وجنة حمراء لاحت ... لك من تحت النقاب
وقال السري:

وكان كأس مدامها ... لما ارتدت بحباها
توريد وجنتها إذا ... ما لاح تحت نقابها
وقال أبو بكر:

إلا فاسقني والليل قد غاب نوره ... لغيبته في بلر الغمام غريق
وقد فضح الظلماء برق كآته ... فؤاد مشوق مولع بخفوق
وإنما سرقة من قول ابن المعتز:
أمنك سرى يا سرّ طيف كآته ... فؤاد مشوق مولع بخفوق
رجع:

مداماً كأن الكف من طيب نشرها ... وصفرتها قد خلقت بخلق
نعائنها نوراً جلالة تجسد ... ونشرها ناراً بغير حريق
كأن حباب الكأس في جنباتها ... كواكب درّ في سماء عقيق
وقد مر مثله للسري في وصف الفالودج.
وقال أبو بكر:

مطرب الصبح هيج الطربا ... لما قضى الليل نجبه انتحبا
مغرد تابع الصباح فما ... ندري رضا كان ذاك أم غضبا
ما تنكر الطير أنه ملك ... لها فبالنّاج راح معتصبا
طوى الظلام البنود منصرفاً ... حين رأى الفجر ينشر العذبا
والليل من فتكة الصباح به ... كراهب شق جيبه طربا
وللسري في مثله:

كراهب للهوى طرباً ... فشق جلبابه من الطرب
قال أبو بكر:

فباكر الحمرة التي تركت ... بنان كف المدبر مختضباً
كأنما صب في الزجاجه من ... لطف ومن رقة نسيم صبا
وليس نار الهموم خاملة ... إلا بنور الكؤوس ملتهبا
يظل زق المداد ممتهاً ... سحباً وذيل المجون منسحبا
ومنها في وصف كانون نار:

ومقعد لا حراك ينهضه ... وهو على أربع قد انتصبا
مصفر محرق تنفسه ... تحاله العين عاشقاً وصبا
إذا نظمنا في جيده سبجاً ... صيره بعد ساعة ذهباً
ومثله للسري:

وذو أربع لا يطيق النهوض ... ولا يألف السير فيمن سرى
نحمله سبجاً أسوداً ... فيجعله ذهباً أحمرأ
رجع:

فما خبت نارنا ولا وقفت ... خيول لهو جرت بنا خبياً
وساحر الطرف لا نقاب له ... إذ كان بالجلنار منتقياً
تقطف من ثغره ووجنته ... أنامل الطرف زهرة عجباً
شقائناً مذهباً يرى خجلاً ... وأقحواناً مفضضاً شنباً
ومثله للسري:

سَفَرْنَ فلاح الأقحوان مفضضاً ... على القرب منا والشقيق مذهبا
رجع:

حتى إذا ما انتشى ونشوته ... قد سهلت منه كل ما صعباً
غلبت صحي عليه منفرداً ... به وهل فاز غير من غلباً؟
أرشف ريقاً عذب اللمي خصراً ... كأن فيه الضريب والضرباً
ما أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم غير ما تقدم ذكره من ذلك قال:

قامر بالنفس في هوى قمر ... ونال وصل البدور بالبدر
وافترض أبكار لهوه طرباً ... إلى عشايا المدام والبكر
مسرة كيلها بلا حشفٍ ... ولنة صفوها بلا كدر

قد ضربت خيمة الغمام لنا ... ورش خيش النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالش ... مس وأخرى صفراء كالقمر
مدامة كان من تقادما ... عاصرها آدم أبو البشر
وبنت خلر تريك صورتها ... بدر الدجى في رداثها العطر
حنت على عودها وقد تركت ... مدامنا مجوناً قلائد الزهر
يا تاركاً طيب يومه لغد ... تبيع عين السرور بالأثر!
إن وترت قلبك الهموم فما ... مثل انتصار بالناي والوتر
وقوله:

رق ثوب الدجى وطاب الهواء ... وتدلّت للمغرب الجوزاء
والصباح المنير قد نشرت منه ... على الأرض ربطة بيضاء
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ... ب عليها غلالة صفراء
قهوة بابلية كدم الشا ... دن بكرة لكنها شطاء
قد كستها الدهور أردية الرق ... ة حتى جفا لديها الهواء
فهى في خد كأسها صفرة الثب ... ر وفي الخد وردة حمراء
عجباً ما رأيت من أعجب الأش ... ياء تقدير من له الأشياء
سبح يستحيل منه عقيق ... وظلام ينسل منه ضياء
وقوله، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلي الوزير:
خليلي إني للشريا لحاسد ... وإني على ريب الزمان لواجد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة ... وأفقد من أحببته وهو واحد
وقوله من قصيدة في مراثية الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما:
إذا تفكرت في مصابهم ... أتعب زند الهموم قاذمة
بعضهم قربت مصارعه ... وبعضهم بعدت مطارحه
أظلم في كربلاء يومهم ... ثم تجلى وهم ذبائحه
لا برح الغيث كل شارقة ... تهمي غواديه أو روائحه
على ثرى حلة ابن بنت رسو ... ل الله مجروحة جوارحه
ذل حماء وقل ناصره ... ونال أقصى مناه كاشحه
غفرتم بالثرى جبين فتى ... جبريل بعد النبي ماسحه!

يظل ما بينكم دم ابن رسو ... ل الله وابن السفاح سافحه!

سيان عند الأنام كلهم ... خاذله منكم وذابحه

وقوله:

محاسن الدير تسيحي ومسباحي ... وخمره في الدجى صبحي ومصباحي

أقمت فيه إلى أن صار هيكله ... بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي

منادماً في قلاليه رهابنة ... راحت خلائقهم أصفى من الراح

قد عدلوا ثقل أديان ومعرفة ... فيهم بحفة أبدان وأرواح

ورشحوا غرر الآداب فلسفة ... وحكمة بعلوم ذات إيضاح

في طب بقراط لحن الموصل في ... نحو المبرد أشعار الطرماح

وكم حننت إلى حاناته وغدا ... شوقي يكاثر أصواتاً بأقداح

حتى تخمر خماري بمعرفتي ... وحيرت ملحي في السكر ملاحي

يا دير مران لا تعدم ضحي ودجى ... سجل غيث ملث الودق سحاح

إن تفن كأسك أكياس في إن بما ... يفل جيش همومي جيش أفراحي

وإن أقسم سوق أطراي فلا عجب ... هذا بذاك إذا ما قام نواحي

وقوله:

يا نفس موتي فقد جد الأسى موتي ... ما كنت أول صب غير مبخوت

بكي إلي غداة الين حين رأى ... دمعي يفيض وحالي حال مبهوت

فدمعتي ذوب ياقوت على ذهب ... ودمعه ذوب در فوق ياقوت

وقوله:

أنباك شاهد أمري عن مغيبة ... وجد جد الهوى بي في تلعبه

يا نازحاً نرحت دمعي قطيعته ... هب لي من الدمع ما أبكي عليك به

وقوله من قصيدة:

لا تطنب بكاء النوء والطنب ... ولا تحي كتيب الحي من كتب

ولا تجد بغمام للغميم ولا ... تسمح لسرب المها بالواكف السرب

ربع تعفى فأعفى من جوى واسى ... قلبي وكان إلى اللذات منقلي

سيان بان خليط أو أقام به ... فإنما عامر البيداء كالحرب

أبهي وأجمل من وصف الجمال ومن ... إدمان ذكر هوى يهوى على قتب

مد البنان إلى كأس على سكر ... ورفع صوت بتطريب على طرب

حمراء حين جلستها الكأس نقطها ... مزاجها بدناني من الحب

كانت لها أرجل الأعلاج واترة ... بالدوس فانتصفت من رأس العرب

يسفكيها من بني الكفار بدر دجى ... ألحظه للمعاصي أوكد السبب
يومي إليك بأطراف مطرقة ... بها خضابان للعناب والعب
هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره قال من قصيدة مطلعها:
ما زاره الطيف بعد البين معتمدا ... إلا ليدي له الشوق الذي بعدا
ومنها:

كأنما من ثناياها وريقتها ... أيدي الغمام سرقن البرد والبرد
وقال وهو في نهاية الحسن:
لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج ... لأرتك سالفني غزال أدعج
ومنها:

أرعى النجوم كأنما في أفقها ... زهر الأفاحي في رياض بنفسج
والمشترى وسط السماء تحاله ... وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبر أصف ركبته ... في فص خاتم فضة فيروزج
وتمایل الجوزاء يحكي في الدجى ... ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض ... هي فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء في المرأة إذ ... كملت محاسنها ولم تتزوج
وهذا تشبيه لم يسبق إليه، وقال:

وسحاب يجر في الأرض ذيلي ... مطرف زره على الأرض زرا
برقة لحة ولكن له رع ... دبطيء يكسو المسامع وقرا
كخلي منافق للذي يه ... واه ييكي جهراً ويضحك سراً
وقال:

ألست ترى الظلام وقد تولى ... وعقود الثريا قد تدلى
فدونك قهوة لم يبق منها ... تقادم عهدا إلا الأقال
بزنا دهما والي داج ... فصيرت الدجى شمساً وظلاً
وقال:

يا معيري بالصد ثوب السقام ... أنت هم في يقظتي ومنامي
أنت أمنيقي فإن رمت غمضاً ... سلمتك المنى إلى الأحلام
وقال:

حور شغلن قلوبنا بفراغ ... لرسائل قصرت عن الإبلاغ
ومنعن ورد خدودهن فلم نطق ... قطعاً له لعقارب الأصداغ
وقال:

روحي الفداء لظاعنين رحيلهم ... أنكى وأفسد في القلوب وعاثا

فليقض عدته السرور فإنني ... طلقت بعدهم السرور ثلاثاً
أخذه من قول أبي تمام وزاد ذكر العدة، وهو قوله:
بلد خلعت اللهو خلعي خاتمي ... فيه وطلقت السرور ثلاثاً
وقال:

في كفف الله ظاعن ظعنا ... أودع قلبي وداعه حزنا
لا أبصرت مقلتي محاسنه ... إن كنت أبصرت بعده حسنا
وقال:

أهلاً بشمس مدام من يدي قمر ... تكامل الحسن فيه فهو تياه
كأن حمرة إذ قام يمزجها ... من خده اعتصرت أو من ثناياه
إذا سقتك من المزوج راحته ... كأساً سقتك كؤوس الصرف عيناه
في وجهه كان ريحان تراح له ... منا قلوب وأبصار وقهواه
الترجس الغض عيناه، وطرقه بنفس جوجني الورد خداه
وقال:

قلت لما بدا الهلال لعين ... منعتها من الكرى عيناً
يا هلال السماء لولا هلال ال ... أرض ما بت ساهراً أروعاً
وقال:

وبدر دجى يمشي به غصي رطب ... دنا نوره لكن تناوله صعب
إذا ما بدا أغرى به كل ناظر ... كأن قلوب الناس في حبه قلب
وقال:

لا تحسبوا أنني باغ بكم بدلاً ... ولو تمكنت من صبري ومن جلدي
قلبي رقيب على قلبي لكم أبداً ... والعين عين عليه آخر الأبد
وقال:

فديت من زرعت في القلب لحظته ... صباية وسقى بالدمع ما زرعا

كتاب : يتيمة الدهر

المؤلف : الشعالي

لو أن قلبي وفاه محبته ... أحبه بقلوب العالمين معا
وقال:

كأنما أنجم الثريا لمن ... يرمقها والظلام منطق
مال بخيل يظل يجمعه ... من كل وجه وليس يفترق
وقال:

يا خليلي من عذيري من الدن ... يا ومن جورها علي وصبري
عجباً أني أنافس في عم ... ران أيامها وتخرب عمري!
وقال:

هو الفجر قابلنا بابتسام ... لتصرف عنا عبوس الظلام
ولاح فحل كأس الشمو ... ل صرفاً وحرماً كأس المنام
ظللنا على شم ورد الحدود ... ومسك النحور ونقل اللثام
نعين الصباح على كشفه ... قناع الظلام بضوء المدام
وقال:

إن خاتك الدهر فكن عائداً ... بالبيض والظلمات والعيس
ولا تكن عبد المني فالمني ... رؤوس أموال المفاليس
وقال:

حور جعلن وقد رحلن وداعنا ... بمدامع نطقن وهن سكوت
فعيونا سبيح ونثر دموعها ... در وحرمة خدها ياقوت
وقال:

ما عذرنا في حبسنا الأكوابا ... سقط الندى وصفا الهواء وطابا
ودعا بحبي على الصبوح مغرداً ... ديك الصباح فهيح الأطرابا
وكأنما الصبح المنير وقد بدا ... بازاً أطار من الظلام غرابا
فأدم لذادة عيشنا بمدامة ... زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت فغار حبابها من لحظنا ... فعلا محاسنها وصار نقابا
وقال من قصيدة:

فلأشكرن لدير قنا ليلة ... أشرقت ظلمتها بيدر مشرق
بتنا نوفي اللهو فيها حقه ... بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هوائه ... ثوباً يرش بطله المترقق

حتى رأينا الليل قوس ظهره ... هرماً واثراً فيه شيب المفرق
وكان ضوء الفجر في باقي الدجى ... سيف حلاه من اللجين المحرق
يا طيبها من ليلة لو لم تكن ... قصرت فريع تجمع بتفرق
وقال، وهو من إحسانه المشهور:

يا شبيه البدر حسناً ... وضياء ومثالا
وشبيه الغصن ليناً ... وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ... ونسيماً وملا
زارنا حتى إذا ما ... سرنا بالقرب زالا
وقال:

رب ليل فضحته بضياء ال ... راح حتى تركته كالنهار
ذي سماء كخرم ونجوم ... مشرقات كنرجس وبهار
وهلال يلوح في ساعد الغر ... ب كملوج فضة أو سوار
بستُ أجلو فيه شمس وجوه ... حملت في الدجا شمس عقار
وقال وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته في يوم دجن:

هو يوم كما ترا ... ه مليح الشمائل
هاج نوح الحمام في ... ه غناء البابل
ولركب السحاب في ال ... جو حق كباطل
مثلما فاه في المهن ... د بعض الصياقل
جليت شمس لرق ... ته في غلائل
وعمود الزمان مع ... تدل غير مائل
حين ساوى حر الهوا ... جر برد الأصائل
وغدا الروض في قلا ... ثده والخالخل
فمن العجز أن ترى ... فيه طوع العواذل
يا لهذا أبي الهذي ... ل وتوصيل واصل
وملاحاة عاقل ... ومقاساة جاهل
وخصوم يكابرو ... ن وضوح الدلائل
أنف كيد الجدال عن ... ك بصيد الأجادل
كل صلب العظام وال ... لحم رطب المفاصل
وهو أهدي من الردى ... في طريق المقاتل
كم غدونا به لطير التلاع السوابل
فانبرى أخرس الجنا ... ح صخوب الجلاجل

وتعامى عن الشوى ... واهتدى للشواكل
بسكا كينه التي ... ثبتت في الأنامل

عقفت ثم أرهفت ... فهي مثل المناجل
صاعد خلف صاعد ... نازل خلف نازل
فتردى رداء له ... و إلى الليل شامل
ثم انثنى جذلان بي ... ن القنا والقنابل
نحو ربع من المكا ... رم والمجد آهل
فترى الأنس في عبي ... دك عذب المناهل
من عقول قد بلبلته ... هن صفراء بابل
فإذا الليل كف ك ... ل رقيب وعاذل
صرت الفرش تحت قو ... م صرير الحامل
وقال:

وأغيد روته المدامة فانتى ... كما يشني من ريه الغصن الغصُّ
دعوت إليها وهو في دعوة الكرى ... وقد أخذت في خلع أسودها الأرض
فقام وفي أعطافه فضل سكرة ... وفي عينه من ورد وجنته بعض
وقال:

ومدامة صفراء في قارورة ... زرقاء تحملها بد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب ... والكف قطب والإناء سماء
وقال:

راح كضوء الشهاب ... سلافة الأعناب
والمنج ماء غدير ... صاف كماء الشباب
لو لم يكن ماء مزن ... لكان لمع سراب
كأنه جسم در ... عليه درع حباب
يجري خلال حصى أب ... يض كقطر السحاب
كأنه الريق يجري ... على الشايات العذاب
وقال في مخدة:

بأي التي كتمت محاسنها ... خوف العيون وليس تنكتم
لبست سواداً كي تعاب به ... والبدر ليس يشينه الظلم
وقال من قصيدة في المهلبى الوزير استهلاها:
مهاةً توهمها أم غزالا ... وشمساً تشبهها أم هلالا

منعمةً أطلقت لحظها ... فكان لعقل المعنى عقالا
وشمس ترحل في مجلس ... لندما نأها وتغنى ارتجالا
ولا تعرف اللحن ألحانها ... إذا ما الخفاف تبعن الثقالا
شدت رملا في مديح الوزير ... فظلنا من السكر نحكي الرمالا
وهل ثلّ مفكر بعد أن ... تكون له راحتاه ثمالا
ومنها في التهنتة بعيد القطر:

هنيئاً مريئاً بأجرٍ أقام ... وصومٍ ترحل عنك ارتجالا
وفطر تواصل إقباله ... لن له بالسعود اتصالا
رأى العيد فعلك عيداً له ... وإن كان زاد عليه جمالا
وكبر حين رآك الهلال ... كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته ... هلالاً أضاء ووجهاً تلالا
تولاك فيه إله السماء ... بعزّ تعالى ويمنّ توالى
ولقيت سعداً إذا العيد عاد ... ولقيت رشداً إذا الحول حالا
وإن رمضان أطاح الكؤوس ... فشوال يأذن في أن تشالا
فواصل بيمين كؤوس الشمول ... يميناً مقبلةً أو شمالا
ولا زلت تعن رتب نلتها ... ومن ذا رأى جبلاً قطّ زالا؟
وقال من قصيدة فيه أيضاً:

أيدت ملك معز دولة هاشم ... فزمانه عرسٌ من الأعراس
وتيقن الشعراء أن رجاءهم ... في مآمن بك من وقوع البس
ما صح علم الكيمياء لغيرهم ... فيمن عرفنا من جميع الناس
تعطيهم الأموال في بدرٍ إذا ... حملوا الكلام إليك في قرطاس
وقد ألم في هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبي دلف:
يا طالباً للكيمياء ونفعه ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم ... ومدحته لأتاك ذاك الدرهم
ولكنه لطفه وزاد فيه، وقال:

وأخ جفا ظلماً، وملّ، وطالما ... فقنا الأنام مودة ونداما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر ... للدهر أن جعل الكرام لنا
فالخمر وهي الراح ربّما غدت ... خلاً وكانت قبل ذاك مدا
وقال في معناه أيضاً:

وكم من عدو صار بعد عداوة ... صديقاً مجالاً في المجالس معظما
ولا غرو فالعنقود في عود كرمه ... يرى عنباً من بعد ما كان حصرما
وقال في استهزاء نبئذ، وقد عزم على أخذ دواء:
يا سيدا بالعلل والمجد منفردا ... وواحد الأرض لا مستثنياً أحدا
هناك أوجدت الآمال ما فقدت ... وقربت لمنى الراجين ما بعدا
هذا زمان علاج يتقي ضرر ال ... أخلاط فيه لن الفصل قد وفدا
فلست تبصر إلا شارباً قدحاً ... مرأً وإلا نزيف الجسم مفتصدا
وقد عصيت الهوى مذ أمس محتمياً ... لما عدمت لديه الصبر والجلدا
مناكرٌ لطباعي غير أن له ... عقيب تمازج محموداتها الجسدا
وليس لي قهوة أطفى بجمركها ... عن مهجتي شره الماء الذي بردا
فامنن بدستيحة المشروب يومك ذا ... فقد عزمت على شرب الدواء غدا
وقال في العتاب:

وأخ رخصتُ عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخصُ
يا ليتَه إذ باع ودي باعه ... فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما في زمانك ما يعز وجوده ... إن رمتَه إلا صديق مخلص
وقال:

يا من جفا في القرب ثم نأى ... فشكا الهوى بالكتب والرسل
مهلاً فإنك في فعالك ذي ... مثل الذي قيل في المثل
ترك الزيارة وهي ممكنة ... وأتاك من مصر على جمل!
وقال: في وصف سيف:

متوقد، مترقرق، عجباً له ... نارٌ وماءٌ كيف يجتمعان؟
وكأنما أبواه صرفا دهرنا ... أو كان يرضع درة الحدثان
تجري مضاربه دماً يوم الوغى ... فكأنما حداه مفتصدان
وقال في هجاء شاعر:

لما تبدى الكوفي ينشدنا ... قنا له: طعنة وطاعونا
تجمع يا أحق العباد لنا ... شعرك في برده وكانونا؟
وقال في مثل ذلك:
لو أن في فمه جمرأً وأنشدنا ... شعراً لما ضره من برد إنشاده

ما أخرج من

شعر أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاحم لسبب الذي تقدم ذكره، وما وقع عثمان فيه التوارد مع السري أو التسارق.

قال أبو عثمان:

ادنّ من الدنّ بي فداك أبي ... واشرب وسق الكبير وانتخب
أما ترى الطل كيف يلمع في ... عيون نور تدعو إلى الطرب؟
في كل عين للطل لؤلؤة ... كدمعة في جفون منتحب
والصبح قد جردت صوارمه ... والليل قد هم منه بالهرب
والجو في حلة ممسكة ... قد كتبها البروق بالذهب
وللسري في مثله:

غيوم تمسك أفق السماء ... وبرق يكتبها بالذهب
فهاهما كالعروس محمرة ال ... خدين في معجز من الحب
كادت تكون في الهوا في أرجال ... عنبر لو لم يكن من العنب
من كف راضٍ عن الصدود وقد ... غضبت في حبه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها ... رأيت شيئاً من أعجب العجب
نار حواها الزجاج يلهبها ال ... ماء ودر يدور في اللهب
وقال من قصيدة:

وليس للقر غير صافية ... تدفع ما ليس يدفع الدلق
درياق أفعى الشتاء وهو إذا ... سل علينا سيوفه درق
وقال يدعو صديقاً له في يوم شك:

هو يوم شكّ يا عل ... ي وشره مذ كان يحذر
والجو حلتة ممسّ ... كة ومطرفه معبر

والماء عودي القمي ... ص وطيلسان الأرض أخضر
ولنا فضيلات تكو ... ن ليومنا قوتاً مقلّر
ومدامة صفراء أد ... رك عمرها كسرى وقيصر
وحديثنا ما قد علم ... ت وشعرنا ما أنت أبصر
فانشط لنا لنحتّ من ... كاساتنا ما كان أكبر
أو لا فإنك جاهل ... إن قلت إنك سوف تعذر

وقال، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبي:

فديتك ما شبت من كبر ... وهذي سني وهذا الحساب
ولكن هجرت فحلّ المشيب ... ولو قد وصلت لعاد الشباب

وقال:

بليت بأحسن القلي ... ن إقبالاً ومنصرفاً
فمثل الخشف ملتفتاً ... ومثل الغصن منعطفاً
يسوفني بنائله ... وقد أهدى لي الأسفا
وآخذ وصله عدة ... ويأخذ مهجتي سلفاً
وقال، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلي الوزير:
دموعي فيك أنواء غزار ... وقلبي ما يقر له قرارُ
وكل فتي علاه ثوب سقم ... فذاك الثوب مني مستعار
وقال:

وقفتني ما بين هم وبوس ... وثنت بعد ضحكة بعبوس
ورأني مشطت عاجاً بعاج ... وهي الآبنوس بالآبنوس
وللسري في معناه:

رأت شيئاً يضاحكها فصدت ... وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للمشط فيه سواداً ... لا يشاكله نفيسا
تلقّ العاج منك بمشط عاج ... ودع للآبنوس الآبنوس
وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك:
هات مشطاً إلى وليك عاجاً ... فهو أدنى إلى مشيب الرؤوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاج ... فامشط الآبنوس بالآبنوس
ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه فمنها قوله:
كأن الرعود خلال البرو ... ق والريح يكثر تحريضها
زنوجٌ إذا خفقت بينها ... دبادبها جردت بيضها
صدت مجانبة نوارٍ ... ونأى بجانبها ازورارُ
ورأت ثيابي قد غدت ... وكأنها دمن قفار
ويا هذه إن رحت في ... خلقٍ فما في ذاك عار
هذه المدام هي الحيا ... ة قميصها خزفٌ وقار
وقوله:

شعر عبد السلام فيه رديء ... ومحالٌ وساقطٌ وبديع
فهو مثل الزمان فيه مصيف ... وخريفٌ وشتوةٌ وريبع
وقوله:

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي ... كأنه أنا مقياسا بمقياس
قطر كدمعي وبرق مثل نار جوى ... في القلب مني وريح مثل أنفاسي

وقوله:

يا نديمي أطلق الفج ... ر فما للكأس حبسُ
قهوة تعطيكها قب ... ل طلوع الشمس شمس
وهي كالمريخ لكن ... هي سعد وهو نحس

وقوله:

يا قضيباً يمس تحت هلال ... وهاللاً يرنو بعيني غزال
منك يا شمسنا تعلمت الشم ... س دنو السنو وبعد المنال
سرقه من قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في ال ... حس وفي بعد المنال
وقوله في جارية سوداء يقال شغف:

إذا تغت بعودها شغفٌ جاء سرور يفوق كل منى
واحدة الخدق لا نظير لها ... كالمسك لوناً وبهجة وغنا
وقوله فيها:

تركتنا بطيها إذ تغت ... شغف بين أنه ونحيب
طبة بالغناء فهي لأسقا ... م الندامى لطافة كالطيب
ألقتها القلوب لما رأها ... صاغها الله من سواد القلوب
وإنما سرقه من قول ابن الرومي:

أكسبها الحب أنها صبغت ... صبغة حب القلوب والحدق
ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ذكر الحدق.
وقال:

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي ... هب الرقاد لعين جفنها دامي
لا خلص الله قلبي من يدي رشاً ... رؤيا رجائي له أضغاث أحلام
وقوله:

يا حسنناً نحن في لهو وليتنا ... بزهر أنجمها ترمي الغفاري
وقد تضايق في السكر العناق بنا ... كما تضايق في النظم اليواقيت
وقوله:

متبرم بعتابه ... مستعذب لعذابه
هجر العميد تعمداً ... فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشييه ... في عنفوان شبابه
فتراه يؤذن في أوا ... ن مجيئه بذهابه

وقوله:

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها ... قهوة تترك الحليم سقيها

لست تدري لرقعةٍ وصفاءٍ ... هي في كأسها أم الكأس فيها

وقوله:

ظالم لي وليته ال ... دهر يبقى ويظلم

وصله جنةٌ ول ... كن جفاه جهنم

ورضاه وسخطه ال ... دهر عرس وماتم

وقوله:

إن شهر الصيام إذ جاء في فص ... ل ربيعٍ أودى بحسن وطيب

فكان الورد المضعف في الصو ... م حبيبٍ يمشي بجنب رقيب

وقوله:

وليلة ليلاء في ال ... لون كلون المفرق

كأنما نجومها ... في مغربٍ ومشرق

دراهم منثورةً على بساطٍ أزرق

وقوله في معنى متداول:

بنفسي حبيب بان صبري لبينه ... وأودعني الأحزان ساعة ودعا

وأخلني بالهجر حتى لو أني ... قذى بين جفني أرمد ما توجعا

وقوله من قصيدة:

صغير صرفت إليه الهوى ... وهل خاتم في سوى خنصر

فإن شئت فاعذر ولا تلحني ... وإن شئت فالخ ولا تعذر

وقوله:

همته حجرٌ وما خور ... وهمه عود وطنبور

وليس دنياه ولا دينه ... إلا مهىً مثل الدمى حور

ذيل الصبا في الغير مجرور ... والعمر باللذات معمور

وليلة الهيكل كم أنفدت ... فيها دنان ودنانير

أقبلن كالروض تغشاه من ... در وياقوت أزاهير

على خصور أرهفت دقة ... ففي الزنانير زنانير

فما درينا أوجوه الدمى ... أحسن أم تلك التصاوير

وعندنا صفراء من قامرت ... بالسكر منا فهو مقمور

سلاف أعناب فعنقودها ... من قبل أن يعصر معصور

زاد على المصباح إشراقها ... فهو ظلمٌ وهي النور
حتى إذا ما انحل جيب الدجى ... فينا وجيب الصبح مزور
جرت هناة لي أجملتها ... فهل لها عندك تفسير؟
وقوله من أبيات:

ريقته خمراً، وأنفاسه ... مسكٌ، وذاك النغر كافور
أخرج رضوان من داره ... مخافة تفتتن الحور
يلومه الناس على تيهه ... والبدر إن تاه فمعدور
وقوله:

مكحلٌ بالدعج ... منقب بالغنج
معصفر التفاح في ... خد مليح الضرج
خمشه الشعر وما ... ذاك لطول الحجج
وانما عارضه ... شفه بالسيج
وقوله:

يا حسن دير سعيد إذ حللت به ... والأرض والروض في وشي وديباج
فما ترى غصناً إلا وزهرته ... تجلوه في جبة منها ودواج
وللحمائم ألحان تذكرونا ... أحبابنا بين أرمال وأهزاج
وللنسيم على الغدران رفرقة ... يزورها فتلقاه بأمواج
والخمر تجلى على خطابها فترى ... عرائس الكرم قد زفت لأزواج
وكلنا من أكاليل البهار على ... رؤوسنا كأن شروان في التاج
ونحن في فلك اللهو المحيط بنا ... كأننا في سماء ذات أبراج
ولست أنسى ندامى وسط هيكله ... حتى الصباح غزاًلاً طرفه ساجي
أهز عطفني قضيب البان معتقاً ... منه وألثم عيني لعبة العاج
وقولتي والتفاتي عند منصرفي ... والشوق يزعج قلبي أي إزعاج
يا دير يا ليت داري في فنائك أو ... يا ليت أنك لي في درب دراج
وقوله:

قمر بدير الموصل الأعلى ... أنا عبده وهواه لي مولى
لثم الصليب قذلت من حسدٍ ... قبل الحبيب فمي بما أولى
جدلي بإحداهن كي يحيا بها ... قلبي فحبته على المقلَى
فاحمر من خجل وكم قطفت ... عيني شقائق وجنة خجلى
وثكلت صبري عند فرقته ... فعرفت كيف تحرق الشكلى

وقوله من قصيدة في المهلب الوزيو وقد عزم على الرجوع إلى وطنه:
إنا لنرحل والأهواء أجمعها ... لديك مستوطنات ليس ترتحلُ

همن من خلقتك الروض الأريض ومن ... نذاك يغمرهن العارض المطل
لكن كل فقير يستفيد غنى ... دعاه شوقٌ إلى أوطانه عجل
وكل غازٍ إذا جلت غنيمته ... فإن أثر شيءٍ عنده القف
وقوله:

وكت أرى في اليوم هجرك ساعةً ... فأجفو لذيد اليوم حولاً تطيرا
وتأمرني بالصبر والقلب كلما ... تقاضيته صبراً تقاضيت معسرا
فلما رأيت الغدر من شأنك اغتدى ... غدير التصافي بيننا متكلرا
فواله ما أهواك إلا تكلفا ... ولا أشتكي الهجران إلا تخمرا
وقوله في إنسان قصير ضئيل تروج طويلة ضخمة:

يا من أحل به الرزية ... وأعاد نعمته بليه
حظي الردى بك إذ غدت ... لك بنت عمار حظيه
قل لي وكيف تنيكها ... مع دل قامتك القميّة؟
أنت البعوضة قلّة ... وكأنها جمل الضحية
نبتتها قالت وقد ... بصرت بأيرك كالشظية!
من ليس تشبعه الهري ... سة كيف تشبعه القلية؟
فلو اطلعت عليهما ... عند ارتكابها البليه
لذكرت في شخصيهما ال ... عنقاء قد خطفتُ صبيه!
وقوله:

قل لمن يشتهي المديح ولكن ... دون معروفه مطال ولي
سوف أهجوك بعد مدح وتحري ... ك وعتب، وآخر الداء كي
وقوله:

بغداد قد صار خيرها شرا ... صيرها الله مثل سامراً
اطلب وفش واحرص فليس ترى ... في أهلها حرة ولا حراً
وقوله في قصيدة:

نيل المطالب بالهندية البتر ... لا بالأماي والتأميل للقدر
فإن عفا طلل أو باد ساكنه ... فلا تقف فيه بين البث والفكر
في شمك المسك شغل عن مذاقته ... وفي سنا الشمس ما يغني عن القمر
لو لم اكن مشبهاً للناس في خلقي ... لقلت إني من جيل سوى البشر

أو لم يكن ماء علمي قاهراً فكري ... لأحرفتي في نيرانها فكري
تزيدني قسوة الأيام طيب ثناً ... كأني المسك بين الفهر والحجر
ألفت من حادثات الدهر أكبرها ... فما أعوج على أطفالها الأخر
لا شيء أعجب عندي في تباينه ... إذا تأملته من هذه الصور
أرى ثياباً وفي أثنائها بقر ... بلا قورن، وذا عيب على البقر!
قالت رقدت قهلت هم أرقدي ... والهم يمنع أحياناً من السهر
كم قد وقعت وقوع الطير في شرك ... فضعضت مني منه قوى المر
أصفو وأكثر أحياناً لمختبري ... وليس مستحسنأ صفو بلا كدر
إني لأسير في الآفاق من مثل ... فرد وأملأ للآفاق من قمر
إذا تشككت فيما أنت مبصره ... فلا تقل إنني في الناس ذو بصر
وكيف يفرح إنسان بمقلته ... إذا نضاها فلم تصدقه في النظر!
لقد فرحت بما عانيت من عدم ... خوف القبيحين من كبر ومن بطر
ولست أبكي لشيب قد منيت به ... يبكي على الشيب من يأسى على العمر
كن من صديقك لا من غيره حذراً ... إن كان ينجيك منه شدة الحذر
ما أطمئن إلى خلق فأخبره ... إلا تكشف لي عن لؤم مختبر
وقد نظرت إلى الدنيا بمقلتها ... فاستصغرتها جفوني غاية الصغر
وما شكرت زماني وهو يصعدني ... فكيف أشكره في حال منحدر
لا عار يلحقني إني بلا نشب ... وأي عار على عين بلا حور
فإن بلغت الذي أهوى فعن قدر ... وإن حرمت الذي أهوى فعن عندر

أبو بكر محمد بن حمدان بن حمدان

المعروف بالخباز البلدي

هو من بلدة يقال لها بلد ، من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل، وأبو بكر من حسنها.
ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً، وشعره كله ملح وتحف، وغرر وطرف ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن
أو مثل سائر، وهو القائل:

بالغت في شتمي وفي ذمي ... وما خشيت الشاعر الأمي

جربت في نفسك سماً فما ... أهدت تجريك للسلم

وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره، كقوله:

ألا إن إخواني الذين عهدتهم ... أفاعي رمال لا تقصر في لسعي

ظننت بهم خيراً فلما بلوهم ... نزلت بوادٍ منهم غير ذي زرع

وقوله:

كأن يميني حين حاولت بسطها ... لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم ... فقلت لها لا والذي أخرج المرعى
يمين ابن عمران وقد حاول العصا ... وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

وقوله:

أترى الجيرة الذين تداعوا ... بكرة للرحيل قبل الزوال
علموا أنني مقيم وقلبي ... راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القو ... م ولا يعلمون ما في الرحال

وقوله:

سار الحبيب وخلف القلب ... ييدي العزاء ويضمرك الكربا
قد قلت إذ سار السفين بهم ... والشوق ينهب مهجتي فها
لو أن لي عزاً أصول به ... لأخذت كل سفينة غصبا
وكان يتشيع، ويتمثل في شعره بما يدل على مذهبه، كقوله:

وحائم نبهني ... والليل داجي المشرقين
شبهتهن وقد بكى ... ن وما ذرفن دموع عين
بنساء آل محمد ... لما بكين على الحسين

وكهوله:

جحدت ولاء مولانا علي ... وقلمت الدعي على الوصي
متى قلت إن السيف أمضى ... من اللحظات في قلب الشجي
لقد فعلت جفونك في البرايا ... كفعل يزيد في آل النبي

وكهوله:

أنا إرمت سلوا ... عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا ... رك في قتل الحسين
لك صولات على قل ... بي بقدر كالدني
مثل صولات علي ... يوم بدر وحنين

وكهوله:

أنا في قبضة الغرام رهين ... بين سيفين أرهاقاً ورديني
فكأن الهوى فتى علوي ... ظن أبي وليت قتل الحسين
وكأني يزيد بين يديه ... فهو يختار أوجع القتلتين

وكهوله:

انظر إلي بعين الصفع عن زللي ... لا تتركني من ذنبي على وجل

موتي وهجرك مقرونان في قرنٍ ... فكيف أهجر من في هجره أجلي
وليس لي أمل إلا وصالكم ... فكيف أقطع من في وصله أمني
هذا فؤادي لم يملك غيركم ... إلا الوصي أمير المؤمنين علي
وقوله:

تظن بأني أهوى حبيا ... سواك على القطيعة والبعد
جحدت إذن موالاتي علياً ... وقلت بأني مولى زياد
ما أخرج من سائر ملحه فمنها قوله:
إذا استقلت أو أبغضت خلقاً ... وسرك بعده حتى التنادي
فشرده بقرض دربهما ... فإن القرض داعية البعد
وقوله:

أقول لليلة فيها أتانى ... حبيب في مصارمتي لجوج
أيا ليلى الذي ما كنت تفنى ... قصرت وكنت قدما ما تروج!
أيا جوج إذا نحن التقينا ... وأيام التهajer أنت عوج
وقوله:

درى شجر للطير فيه تشاجرٌ ... كأن صنوف النور فيه جواهرُ
كأن نسيم الروض في جنباته ... لخالخ فيما بيننا وزرائر
كأن القمارى والبلابل حولها ... قيان وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترمم قهوةٌ ... كأن على حافاتها الدر دائر
وقوله، وهو مما يتغنى به:

وروضة بات طل الغيث ينسجها ... حتى إذا نجمت أضحى يدبجها
يبكي عليها بكاء الصب فارقه ... إلف فيضحكها طورا ويهيجها

إذا تنفس فيها ريح نرجسها ... ناغى جنى خزامها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده ... كأس كشعلة نار إذ يؤججها
لا تمزجها بغير الريق منك وإن ... تبخل بذاك قدمي سوف يمزجها
أقل ما بي من حييك أن يدي ... إذا دنت من فؤادي كان ينضجها
وقوله :

ومدام كست الكأ ... س من النور وشاحا
ظهرت في جنح ليلٍ ... فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباحٍ ... فحسبناه صباحا
وقوله:

قلت والليل له الو ... لُ مقيمٌ غير ساري
أعظم الخالق أجر ال ... خلق في شمس النهار
فلقد ماتت كما ما ... ت عزائي واصطباري
وقوله:

أنا أخفي من أن يحس بجسمي ... أحد حيث كنت لولا الأنينُ
فكأني أهلال في ليلة الش ... ك نحولاً فما تراني العيون
وقوله:

صدي عن حلاوة التشيع ... اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا ... فرأيت الصواب ترك الجميع
وقوله:

يا ذا الذي أصبح لا والدٌ ... له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم ... فأني نفس بعده خالده
إن جئت أرضاً أهلها كلهم ... عور فغمض عينك الواحد
وقوله:

نكبت في شعري وثرعي وما ... نفسي في صبري بمنكوبه
إذا دنت بيضاء مكروهة ... مني نأت بيضاء محبوبه
وقوله:

قالوا تكهل من هوي ... ت فقلت رسمٌ قد دثرُ
عاينت من طلابه ... زمراً مواصلةً زمر
وكذاك أصحاب الحدي ... ث نفاقهم عند الكبر
وقوله:

بكيت بدمع يفوق السحابَ ... إلى أن جرى الماء حولي وساحا
ولو لم أكن رجلاً سابحاً ... غرقت وألزمت نفسي الجناحا
وقوله:

ليل الحزين مطوي جوانبه ... مشمر الذيل منسوب إلى القصر
ما ذاك إلا لأنّ الصبح نَمَّ بنا ... فاطلع الشمس من غيظٍ على القمر
وقوله:

بدائع خله ورد ... صوالج صدغه سبجُ
إذا اتصلت محاسنه ... نقطع بينها المهج
وقوله، وهو مما يستغفر منه:

يا قاسم الرزق لم خانتني القسم ... ما أنت متهم قل لي من أتهم؟

إن كان نجمي نحساً أنت خالقه ... فأنت في الحالتين الخصم والحكم!
وقوله في أمرد التحي:

انظر إلى ميت ولكنه ... خلو من الأكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده ... بالشعر هذا آخر الباطل
وقوله:

أهزك لا أي عرفتك ناسياً ... لوعدي ولا أي أردت تقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله ... إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضيا
أحسن، وأبلغ منه في معناه قول محمد بن أبي زرعة الدمشقي:
لا ملومٌ مستقصر أنت في الب ... رٌ ولكن مستعطف مستراد
قد يهز الهندي وهو حسام ... ويحث الجواد وهو جواد

عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر، وكان قد عاشره واستكثر منه، فحكى لي أنه كان
أعور، فاعتلت عينه الصحيحة، حتى أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه:

إن قلت جوراً فلا تلمني ... بأن رب الورى المسيحُ
أراك تعمى وذاك ييري ... فهو إذاً عندي الصحيح
قال: وأنشدني عبيد الله لنفسه:

للحسن في وجهه شهود ... تشهد أنا له عبيدُ
كأنما خده وصالٌ ... وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرم ... أقصر فقد نلت ما تريد
إن كان قد رق ثوب صبري ... عنك فتوب الهوى جديد
وقال: أنشدني لنفسه أيضاً:

يا ذا الذي في خله جيشان من زنجٍ وروم
هذا يغير على القلو ... ب وذا يغير على الجسوم
إني وقفت من الهوى ... في موقفٍ صعبٍ عظيم
كوقوف عارضك الذي ... قد حار في ماء النعيم

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

هات المدامة يا شقيقي ... نشرب على روض الشقيقِ
كأس العقيق نديرها ... ما بين أكناف العقيق

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ويتلوه القسم الثاني، وهو في أخبار دولة آل بويه.

القسم الثاني من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو في

أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم أبدأ - بعد حمد الله تعالى، والصلاة على محمد المصطفى وآله - بباب مقصور على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم، لما تقدم ذكره من الانتساب إلى قائلها، لا لكثرة طائلها، والله الموفق للصواب.

الباب الأول

في ذكرهم وما أخرج من ملحهم وأشعارهم

عضد الدولة أبو شجاع

فناخسرو بن ركن الدولة

كان - على ما مكن له في الأرض، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض. وخص به من رفعة الشان، وأوتي من سعة السلطان - يتفرغ للأدب، ويتشاغل بالكتب، ويؤثر مجالسة الأدباء، على منادمة الأمراء، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت، وما أدري كم فصل بارع، ووصف رائع، قرأته للصاحب عضد الدولة.

فمن ذلك: وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك، وعليها رواء الصدق، وفيها سيما العلم، وعندها لسان الجحد، ولها صيال الحق.

ومنه: لا غرو إذا فاض بحر العلم، على لسان الشعر، أن يتج ما لا عين وقعت على مثله، ولا أذن سمعت بشبهه.

ومنه: لو استحق شعر أن يعبد لعدوبة مناهله، وجلالة قائله، لكانت قصيدته هي. إلا أني اتخذتها عند امتناع ذلك قبله، أوجه إليها صلوات العظيم، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم.

ومنه: شعر قد حبس خدمته على فكره، ووقف كيف شاء على أمره، فهو يكتب في غرة الدهر، ويشدخ جبهتي الشمس والبدر.

ثم من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره، فليأمل الكتاب التاجي، من تأليف أبي إسحاق الصابي، لتجتمع له مع الإحاطة بما بلاغة من قد تسهل له حزنهما، ولا ينته متونها، وأطاعته عيونها.

حدثني أبو بكر الخوارزمي، قال: كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء، ويحاضر بالأوصاف

والتشبهات، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها، وإلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهمة فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها، فأرتج عليه، وغلبه سكوت معه خجل، فارتجل عضد الدولة وقال:

بهمة تعجز عن وصفها ... يا مدعي الأوصاف بالزور

كأنما في الجام مجلوة ... لآلى في ماء كافور

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر قال: أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، قال: أنشدني عضد الدولة لنفسه في أبي تغلب، عند اعتذاره إليه من معاودة بختيار عليه، والتماسه كتاب الأمان منه:

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه ... يبغي الأمان وكان يبغي صارما

فلأركب عزيمة عضدية ... تاجية تدع الأنوف رواغما

ومما ينسب إليه ، وأنا أشك فيه، أبيات يتداولها القوالون وهي:

طربت إلى الصبح مع الصباح ... وشرب السراح والغرر الملاح

وكان الثلج كالكاפור نثراً ... ونار عند نارنج وراح

فمشموم ومسروب ونار ... وصبح والصبح مع الصباح

لهيب في لهيب ... صباح في صباح في صباح

وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة، اخترت منها قوله في الخيري:

يا طيب رائحة من نفحة الخيري ... إذا تمزق جلاب الدياجير

كأنما رش بالماورد أو عبقت ... فيه دواخن ند عن تبخير

كأن أوراقه في القد أجنحة ... صفر وحمر ويض من دنانير

واخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله:

ليس شرب الكأس إلا في المطر ... وغناء من جوار في السحر

غانيات سالبات للنهي ... ناغمات في تضاعيف الوتر

مبرزات الكأس من مطلعها ... ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر

سهل الله له بغيته ... في ملوك الأرض ما دار القمر

وأراه الخير في أولاده ... ليسلس الملك منه بالغرر

فيحكي أنه لم احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى " ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه " .

عز الدولة أبو منصور بختيار

بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمري، ورأيتُه متصلاً بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، فعرض على كتابه المترجم بمحديقة الحدق، وفيه أنشدني بعض أخوالي قال: أنشدني القاضي أبو بكر بن قريعة، قال: أنشدني عن الدولة لنفسه:

فيا حبذا روضتنا نرجس ... تحيي الندامي بريحها
شربنا عليها كأحدقنا ... عقاراً بكأس كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا ... نجرر ريطاً كقضبانها
وبهذا الإسناد له:

اشرب على قطر السماء القاطر ... في صحن دجلة واعص زجر الزاجر
مشمولة أبدى المزاج بكأسها ... دراً نثيراً بين نظم جواهر
من كف اغيد يستيك إذا مشى ... بدلال معشوق ونخوة شاطر
والماء ما بين الغصون مصفق ... مثل القيان رقصن حول الزامر
وأنشدني أبو سعيد قال: أنشدني أبو جعفر الطبري طيب آل بويه، قال: أنشدني بختيار لنفسه:
وفاؤك لازم مكنون سري ... وحبك غايي والشوق زادي
وخالك في عذارك في الليالي ... سواد في سواد في سواد

تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة

هو أدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم، وكان يلي الأهواز، فأدركته حرفة الأدب، وتصرفت به أحوال أدت إلى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس، فلست أدري ما فعل به الدهر الآن.
أنشدني أبو سعيد بن دوست، قال: أنشدني أبو الحسن محمد بن مظفر العلوي النيسابوري، قال: أنشدني أبو العباس الملحي والقوال بسوق الأهواز، قال: أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه:

سلام على طيف ألم فسَلِّما ... وأبدى شعاع الشمس لما تكلمنا
بدا فيه من وجهه البدر طالِعاً ... لدى الروض يستعلي قضيباً منعماً
وقد أرسلت أيدي العذارى بخله ... عذاراً من الكافور والمسك أسحماً
وأحسب هاروتاً أطفاف بطرفه ... فعَلَّمه من سحره فتعلَّمنا
ألم بنا في دامس الليل فأنجلي ... فلما اتثنى عَنَّا وودَّع أظلمنا
وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين:

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه ... وأعقب بالحسن من الحبس والأسر
فمن لي بأيام الشباب التي مضت ... ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟
ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان، فاخترت منه قوله
رحمه الله تعالى في أرجوزة:

ألا شفيت علّتي ... من العداة بالتي

وصارم مهتدٍ ... ماض رقيق الشفرة
وليلة أحيتها ... منوطة بليلة
كأنما نجم الثريّ ... ا في الدجى ومقلتي
جوهرتا عقد على ... نحر فتاة طفلة
أفكر في بني أبي ... وفعل بعض إخوتي
تظن أنّي أحمل ال ... ضيم فأين همتي
تقنع بالأهواز لي ... وواسط والبصرة
لست بتاج الدولة ... سليل تاج الملة
إن لم تزر بغداد بي ... عمّا قليل كبتني
وعسكر عرمرم ... يملك كلّ بلدة
حشو الجبال والقالا ... مواكب من غلمتي
نصرهم منّي ومن ... ربّ السماء نصرتي
وقوله من قصيدة:

أنا ابن تاج الملة المنصور تا ... ج الدولة الموجود ذو المناقب
أسماءنا في وجه كلّ درهم ... وفوق كلّ منبر لخطب
وقوله من قصيدة:
أنا التاج المرصع في جبين ال ... ممالك سالك سبل الصلاح

كتائبنا يلوح النصر فيها ... برايات تطرق بالنجاح
تكاد ممالك الآفاق شرقاً ... تسير إلّي من كل النواحي
ألا لله عرضٌ لي مصونٌ ... مقام المجد بالماء المباح
وقوله من طردية:

صرنا مع الصباح بالفهود ... مردقة فوق متون القود
قد وطئت توطئة المهود ... بالقطف والجلال واللبود
فهني كقوم فوقها قعود ... قد ألبست وشياً على الجلود
يخالها الناظر كالأسود ... تبكي لشبل ضائع فقيد
بأدمع على الحدود سود ... فقابلت مرادها في البيد
وقطعت حبال المسود ... تفوت لحظ الناظر الحديد
ركضاً إلى اقتناص كل ورد ... فكم بما من هالك شهيد
منعفر الخدّ على الصعيد ... بنحسها نطلّ في السعود
جدنا بها، والحدود بالموجود ... فكثرت ولائم الجنود

وشبّت النيران بالوقود

واخترت منه قوله في الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه:

سقاني سحراً حمرة ... وقد لاحت لي التّشّره

غزالاً فاتن الطّرف ... مليح الوجه والطّره

أنا ملك وقد ملك ... ت قلبي صاحب الوفرة

وقد زرفن صدغيه ... على أجمي من الزهره

فمن أسود في أبي ... ض في أحمر في صفرة

إذا حاول أن يجّه ... ل أو تبدو له نفرة

أعان الشيخ إبليس ... عليه فأتى مكره

وله في النكبة:

حتى متى نكبات الدهر تقصّصني ... لا أستريح من الأحران والفكر

إذا أقول مضى ما كنت أحذره ... من الزمان رماني الدهر بالغير

فحسبي الله في كلّ الأمور فقد ... بدّلت بعد صفاء العيش بالكدر

أبو العباس خسرو بن فيروز

بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى

أنشدت له أبياتاً، تدل على فضل مستكثر من مثله، ولم يحضرنى إلا هذه:

أدر الكأس علينا ... أيّها السّاقى لنطرب

من شمول مثل شمس ... في فم التّدمان تغرب

فحكّت حين تجلّت ... قمراً يلثم كوكب

ورد خديّه جنى ... لكن النّاطور عقرب

فإذا ما لدغت فال ... ريق درياق مجرّب

الباب الثاني

في ذكر المهلبى الوزير

وملح أخباره ونصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، كان من ارتفاع القدر، واتساع الصدر ونبل الهمة، وفيض الكف، وكرم الشّيمة: على ما هو مذكور مشهور، وأيامه معروفة في وزارته لمعز

الدولة، وتديره أمور العراق، وانبساط يده في الأموال، مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله، وكان يترسل ترسلًا مليحًا، ويقول الشعر قولًا لطيفًا، يضرب بحسنه المثل، ولا يستحلي معه العسل، يغذي الروح، ويجلب الروح، كما قال بعض أهل العصر:

بأي من إذا أراد سراري ... عبرت لي أنفاسه عن عبير

وسباني ثغر كدر نظيم ... تحته منطق كدرٍ نثير

وله طلعة كليل الأمانى ... أو كشعر المهلبى الوزير

حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصي، فدخل حديث بعضهم في بعض فراد وقصص، قالوا: كانت حالة المهلبى الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قذى عينه، وشجى صدره، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والخراب، إلا أنه من أهل الآداب، إذ لقي في سفره نصبًا، واشتهى اللحم، فلم يقدر على ثمنه، فقال ارتجالاً:

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موتٌ لذيد الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو آني ثماً يليه

ألا رحم المهيمن نفس حرٌ ... تصلق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحمًا، فأسكن به قرمه وتحفظ الأبيات وتفارقا، وضرب الدهر ضرباته، حتى ترفت حالة المهلبى إلى أعظم درجة من الوزارة فقال:

رقّ الزمان لفاقي ... ورثى لطول تحرّقي

وأنا لني ما ارتجى ... وأجار مما أتقي

فلأصفحن عمّا أنا ... ه من الذنوب السبق

حتى جنابته بما ... فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كل كل من كلال الدهر، ثقل عليه بركه وهاضه عركه فقصد حضرته، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها:

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مذكر ما قد نسيه:

أتذكر إذ تقول لضعك عيش ... ألا موتٌ يباع فأشتريه؟

فلما نظر فيها تذكره، وهزته أريحية الكرم، للحنين إليه، ورعاية حق الصحة فيه، والجري على من قال:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأمر له في عاجل الحال بسبعمئة درهم، ووقع في رقعته " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثّل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء " ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به، ويرتزق منه. ونظير البيتين قول بعضهم:

قل للوزير أدام الله دولته ... أذكرتنا أدمنا، والخبز خشكار

إذ ليس في الباب بواب لدولتكم ... ولا حمار ولا في الشطّ طيّار
وحكى أبو إسحاق الصايي في الكتاب التاجي قال: كان لمعز الدولة أبي الحسين غلام تركي يدعى تكين
الجامدار أمرد، وضيء الوجه، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو، ولا يفارق اللعب واللهو، ولفرط ميل
معز الدولة إليه وشدة إعجابه به، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان، وكان المهلي يستظرفه
ويستحسن صورته، ويرى أنه من عدد الهوى، لا من عدد الوغى، فمن قوله فيه:

ظيُّ يرق الماء في ... وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا ... رى فيه أن تبدو فهو
ناطوا بمعقد خصره ... سيفاً ومنطقة تروده
جعلوا قائد عسكر ... ضاع الرعيل ومن يقوده؟
فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد، وخرج الأمر على ما أشار به المهلي.
ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم:
عجبت لتأثير الرجال مقرطاً ... ينوء بخصر في القباء هضم
يذكر عذاب الجيوش إذا بدا ... بخدّ كعابٍ أو بمقلة ريم
وذكر الصايي أن أبا عينة المهلي، الذي استفرغ نسيبه في صاحبه دنيا من عمومة الوزير، وكان المهلي
يحفظ أكثر أشعاره، ويتأسف على ما فاتته من زمانه فمن قوله:
إني وصلت مفاخري بأب ... حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلفني ... وحديثه فكأنما يحيا
وتلوث عمي في تغزله ... وشربت رياء من هوى ريا
فكأنني هو في صابته ... وكأنه في حسنها دنيا
وقوله لما قلد الوزارة:

لقد ظفرت والحمد لله منيتي ... بما كنت أهوى في الجهارة والنجوى
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته ... من الأرض واستقرت في الرتبة العليا
وعاينت من شعر العييني خلّة ... تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
فحركني عرق الوشيجة والهوى ... لعمي وأطت بي إلى الرّحم القربى
فيا حسرتي أن فات وقتي وقته ... ويا حسرة تمضي وتتبعها أخرى
يا فوز نفسي لو بلغت زمانه ... وبغيته دنيا وفي يدي الدنيا
فمكنته من أهل دنيا وأرضها ... ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى
ما أخرج من كتاب الروزنامة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلي

فصل: وردت أدام الله عز مولانا العراق، فكان أول ما اتفق لي استدعاء مولاي الأستاذ أبي محمد أيده الله،
وجعه بين ندمائه من أهل الفضل وبينني. وكان الذي كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح أديب، متقعر

في كلامه لطيف يعرف بالقاضي ابن فريعة فإنه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها وافتضاؤها إلا أني استظرفت قوله في حشو كلامه هذا الذي أوردته الصافة عن الصافة، والكافة عن الكافة، والحافة عن الحافة، وله نوادر غريبة وملح عجيبة.

ومنها أن كهلاً تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سألته عن حد القفا مريداً تخجيله، فقال: هو ما اشتمل عليه جربانك، ومازحك فيه إخوانك، وباسطك فيه غلمانك، وأدبك عليه سلطانك، فهذه حدود أربعة.

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضي أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه ورحمه وأنساً أجل مولانا ومد فيه، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما كان من الحال يعرف بيني وبينه: صلة غدت في الناس وهي قطيعة ... عجباً وبرّ راح وهو جفاء

فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته عندي وحسبته بعفني، فعاودني بمن استحضرنى فدخلت عليه وقد قعد للشرب فأكرهني عليه، ثم قال: أتعرف أحسن صنيعاً مني بك، وقد نقلتك عن وإحرياه إلى وإطرباه، وسمعت عنده خادمه المسمى سلافاً، وهو يضرب بالطنبور ويجيد ويغني ويجسن، وفيه يقول وقد شربنا عنده سلافاً:

قد سمعنا وقد شربنا سلافاً ... وجمعنا بلطفه أوصافاً

وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما طاب به الوقت، وهشت له النفس، وشاكل ذلك رقة ذلك الهوى، وعدوبة ذلك اللمى: وكان فيما أنشدني لنفسه وقد علمه في بعض غلمانته:

خطط مقومة ومفرق طرّة ... فكأن سنة وجهه محراب

وريت في كشف الذي ألقى به ... فتعطل النمام والمغتاب

فانصرفت عنه وجعلت ألقاه في دار الإمارة، وهو على جملة من البر والتكرمة، حتى عرفت خروجه إلى بستان بالياسرية لم ير أحسن منه ولا أطيب من يومه فيه لا أني حضرته، ولكني حدثت بما أرى له فكتبت إليه شعراً:

قل للوزير أبي محمد الذي ... من دون محتده السهى والفرقد

من إن سما هبط الزمان وريبه ... أو قام فالدهر المغالب يقعد

سقيتي مشمولة ذهبية ... كالنار في نور الزجاجة توقد

لما تخون صرف دهر عارض ... صبري وقلبي مستهام مكمد

وفطمتني من بعدها عنها فقد ... أصبحت ذا حزن يقيم ويقعد

من أين لي مهما أردت الشرب عن ... ذلك يا أحمأ العلواء صبر يوجد

فاستطاب هذا الشعر وأعجب به، واستدعاني من غده، فحضرته وأبناء المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه، فمنعها من النشيد لأحضره، فأنشد وجوداً، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم.

فصل من كتاب الروزنامة

أيضا

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان، فيها حوض مستدير ينصب إليه الماء من دجلة بالدواليب، وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت
سلام أيها الملك اليماني ... لقد غلب على النداني
فطرب الأستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها، واستعادها الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً وهي:
تطوي المنازل عن حبيبك دائماً ... وتظل تبكيه بدمع ساجم
هلا أقمت ولو على جمر الغضا ... قلبت أو حدّ الحسام الصارم
وتبعته جارية ابن مقلّة، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما:
يا من له رتبٌ مم ... كنة القواعد في الفؤاد
أجل أخذ الماء من ... متلهب الإحشاء صادي
ففتنت الجميع، ثم انبسطنا في الشرب، واشتغل في الشدو، وارتفع الأمر عن الضبط، والأصوات عن الحفظ، واتفقت في أثناء ذلك مذكرات، ومناشدات ومجاولات، وافتراقنا.
فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بما فاستدعى دنا للوقت، وحماراً من الدير، وريحانا من ألحانه، واقترح غناء من الماخور، وأخذنا في فن من الانحلاع عجيب، بطريق من الاسترسال رحيب، ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم، فاستنظروا وركبت فرسي، فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكذب أو تسمع، لكن رضاء القوم جعل لدي صورتها، ولو لا حذري من توبيخ مولانا لطويتها:

تركت لسافي الريح بانه عرعا ... وزرت لصافي الراح حانة عكبرا
وقلت لعلج يعبد الخمر زفها ... مشعشة قد شاهدت عصر قيصرا
فناولنيها لو تفرّق نورها ... على الدهر نال الليل منها تحيرا
وأوسعني آساً وورداً ونرجساً ... وأحضرني نايّاً وطبلاً ومزهرا
هنالك أعطيت البطالة حقها ... وألقيت هتك الستر مجداً ومفخرا
كأنّي الصبا جرياً إلى حومة الصبا ... أناغي صبيّاً من جلندا مزترا
فعانقته والراح قد عقرت بنا ... فكررت تقبيلاً وقد أقبل الكرى
وصدّ عن المعنى النعاس وصادني ... إلى أن تصدى الصبح يلمع مسفرا
وهبت شمال نظمت شمل بغيتي ... فطارت بها عني الشمول تطيرا

فكان الذي لو لا الحياء أذعته ... ولا خير في عيش القتي إن تسترا
فصل أيضاً منه: وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى في منظره له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى
بساتين، فعمل بيتين صنعا في الوقت وغنى بهما، وهما
لئن عرفت جريراً ... أو اعتمدت قطعاً
فلا ظفرت بعاص ... ولا أطعت المطيعا
والبيت الأول يحتاج إلى تفسير، فالمراد بالجرير جريرة وبالقطع قطعة وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة
وقد مضى الثلث منها فاستدعاني، وقاد دابة نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي، فمضيت وألقيته قد انتهى
من بستانه الكبير إلى مصبها من دجلة على ميادين ريحان نضرة، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب مع
خدمه: أبي الكأس، وسلاف، وأبي المدام، وشراب، وخندريس وشمول، وراح. وأمر فنصب نحو مائة شجرة في
أصول تلك الميادين صغيرة وقعدت فغنى سلاف:
يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلي ولم أنم
فقال الأستاذ: بل غن:

يا شقيق النفس من خدمي ... لم ينم ليلي ولم أنم
غنني من شعر ذي حكم ... يا شقيق النفس من حكم
ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره، وقام كل منا يتعثر في سكره.
؟ما أخرج من شعره في وصف كتب ابن العميد فمن ذلك قوله:
ورد الكتاب مبشراً ... قلبي بأضعاف السرور
ففضضته فوجدته ... ليلاً على صفحات نور
مثل السوالف والحدو ... د البيض زينت بالشعور
بنظام لفظٍ كالنغو ... ر كالعقود على النحور
أنزلته في القلب من ... زلة القلوب من الصدور
وقوله:

طلع الفجر من كتابك عندي ... فمقي للقاء يبدو الصباح
ذاك إن تم لي فقد عذب العي ... ش ونيل المنى وريش الجناح
وقوله:

وصل الكتاب طليعة الوصل ... بغرائب الإفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا ... أغناه ربّ المجد بالبلل
وحفظته حفظ الأسير وقد ... ورد الأمان له من القتل
وقوله:

ورد الكتاب فديته من وارد ... فله قلبي من حياتي مورد
فرأيت درّاً عقده منتظماً ... في كلّ فصل منه فصل مفرد

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر فصل: رأيته فصيح الإشارة، لطيف العبارة:

إذا اختصر المعنى فشربة حائم ... وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمدّ

فصل: قد نظرته فرأيت جسماً معتدلاً، وفهماً مشتعلاً:

ونفساً تفيض كفيض الغمام ... وظرفاً يناسب صفو المدام

فصل: قد عمهم بنعمه، وغمرهم بشيمه:

وغزاهم بسوايغ من فضله ... جعلت جماجمهم بطائن نعله

فصل: كأن قلبه عين، وكأن جسمه سمع:

وكانّ فطنته شهابٌ ثاقبٌ ... وكانّ نقد الحدس منه يقين

فصل: قد لاقت مناهجة، وراقت مباهجة:

وقصر يوم الضيف عندي وليلة ال ... شتاء سرور منه رفرف طائرة

فصل: قد اغتيل كمينه، واجتبح عرينه:

ودارت عليه رحي وقعة ... تظلّ الحجارة فيها طحينا

فصل: قد أدبته بزجرك، وهذبته بهجرك:

وإن لمست منه بعاد معاده ... وعصر جفاه الشرب أن يتعهدا

فصل: قد ضيعه الجملة، ومنعه المهلة:

وأصلاه حرّ جحيم الحدي ... د تحت دخان من القسطل

فصل: مضطرب اللسان، منتقض البيان:

قليل مجال الرأي فيما ينوبه ... نزول على حكم النوى والتودع

فصل: من تعرض للمصاعب، فليتثبت للمصائب:

ومن خاف أن الهم يملك نفسه ... فأولى به ترك العلا والجسائم

فصل: وصلة متينة، وقاعدة مكينة:

وأرحام ودّ دونها الرحم التي ... تدانت وجلت أن يطول بها الظنّ

فصل: إنه جريح سيفك، وطريح حيفك:

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ... ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل: قد كثرت فتوقه، واتسعت خروقه:

وفات مداواة التلافي فساده ... وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل: قد خبا قبسه، وكبا فرسه:

وصبا ذووه إلى جناب عدوه ... وتقطعت أقرانه وعلائقه

فصل: ربما وفي ضنين، وهفا أمين:

فللرجل الوافي جميل جزائه ... وللناصح الهافي جميل التجاوز

فصل: قد حل بربع مأنوس، وملك محروس:
يد؟بره ملكٌ ماهرٌ ... بمضم القويّ وجبر الضعيف
فصل: لئن فخر بعز لم يحضره، وبيت لم يعمره:
فإن عصير الثمار الشجير ... وإن نفيّ الحديد الحث
فصل: قتل الإنسان ظلم، وقتل قاتله حكم:
والسيف يدي الجور في حالة ... ويذلّ الإنصاف في أخرى
فصل: استقر بساحة خضرة، واستبد بعيشة نصرة:
وغدا ابن دأبة عندهم كمهاً ... وابتزّ سوق صياحه خرس
فصل: عادل المكيال، وازن المثقال:
يجير على سلطانه حكم دينه ... ويبعد في حق البعيد أقربه
فصل: فاقم بشدة تجهمهم وسرعة تهجمهم:
تركوا مكيدة والكمين لجهرهم ... والنبل والأرماع للأسياف
فصل: قد علقت منه بحبل منهوك، وستر مهتوك:
وقلب شديد لا يلين لحلة ... ولا يتلافاه الرقي والتلطّف
فصل: أوحشت عني إبعاداً لك، وانعطافاً عنك:
وهل يباعد عذب الماء ذو غصص ... أو يثني عن لذيد الزاد منهوم
ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر والنحرط بعضه في سلك كتابي المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة، ولا يدرك بالجدالة، له أنعام كثيرة الشهود، وأفضال غزيرة المدود. لم يعلم في أي حتف تورط، وأي شر تأبط، محامد أقر بها الراضي والغضبان، وأوضحها الدليل والبرهان. كيس البيع رابح الشراء، حسن الأخذ والعطاء. يؤذي صدره ويمنعه من الفث، ويجرح خاطره ويعوقه عن العبث. لما أجاب أطاب. وتفسح في رحاب الصواب. قد ألنت عريكة الدهر له، وكففت غرب الزمان عنه. يفور غيظاً، ويتميز حقدًا، ويتلظى غضبًا، ويزيد حنقًا. قد قام بيني وبين وصلك حاجز من فعلك، قد ابتدلت جديد وده، واستحللت حرام صده. من حث في أيمانه، وأخل بأمانته، فإنما ينكث على نفسه، حلف يمين بر شهد بما تصديقي، واستيقنتها نفسي، قد ترامت به البلدان والأسفار، ونبت عنه الأوطان والأوطار، وضافت به الأعطان والأقطار. تركت قلبه طافحاً بوجده، ودمعه سافحاً على خده لو ساله الأسد رام ظلمه، أو خاشته الضر طلب سلمه قد أمرته أن يجعل رأيك سراجاً، ورسمك منهاجاً، قد شربت وشلا من وده، ولبست سحلاً من عهده، لأكشفنه لكل ليل بارد، ونهار واقد، اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندماً. مستثقل من كراه، ثمل من عناه طريقي ثناء ما تتلقى شفتاي بذكره، ولا يثبت بالي لخطره لست غفلاً عن الدهر فتكر نوائبه، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه. قد تناسخت الأيام قواه، وشذبت الحوادث هواه. تبدى وجهه المطابق والموافق، وتخفى نظر المسارق المنافق، لو أن البرق فطنته، والريح جنبته، والسد سوره، لتغشاه

حسبي، واستخرجه طلبي، ولما خذلته أنصاره، وقطعته أرحامه، وقعدت عنه أشياعه، أوليته من حمايتي عضداً. ومن عنايتي مدداً، وجدته أمد يداً من باعه، وأبسط قعوداً من قيامه، مكن موضع رجلك قبل مشيك. وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك. عصارة لؤم في قرارة خبث، غصن مهصور بالموت، معصور بالتراب، قد خفف همه بالشكوى، وحل حزنه بالبكاء كما حذيت النعل بالنعل، وقد الشراك على المثل، يعدل عن النص إلى الخرص، وعن الحس إلى الهجس. في حكمه صارم فصل، وفي يده خاتم عدل، سديد المذهب، سعيد المناقب، نجيح المطالب. دلاه في خطر، وأسلمه إلى غرر. لا زلت في إقامة مهملة الحشايا. وحركة وطينة المطايا. دفعه إلى شفير، وأطلعته على حقير، استدعى حضوري خالياً، واستدنى مجلسي مكرماً، واستوفى مقالي مصغياً، وأعطاني معروفه مسمحاً، ونزل على مسألتي مسهلاً، وقضى حاجتي مجملاً، وصرفني بالنجاح عجباً، طيب المغرس، زاكي المنبت، نضير المنشأ، رفيع الفرع، لذيد الثمر. متقلب بين استقبال شباب، واستقلال حال. وشرخ قصف، وفناء ظرف. وجدت فيه مصطنعاً، وبه مستمتعاً، قد وفر همه على مطعم يجودة. ومرقد يمهده، أنا أذمم من استئصال مثلك، وأهب جرمك لفضلك. من ضاف الأسد قراه أظفاره، ومن حرك الدهر أراه اقتداره، وجدت فيه مع علو سنه، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة. ومتمعة حلوة، التصرف أسنى وأعلى، والتسليم أعفى وأصفى، ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه، ونظري يمكنك منه، لو لم يكن في تمجيد الرأي المفرد، وتبيين عجز التدبير الأوحده، إلا أن الأستلحاق - وهو أصل كل شيء - لا يكن إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف ما أخرج من شعره في جاريته تجني من ذلك قوله:

مرّت فلم تشن طرفها تيهها ... يحسدها الغصن في تشنيها
تلك تجني التي جنت بها ... أعاذني الله من تجنيا
وقوله:

ربّ ليل ليست فيه النصايي ... وخلعت العذار والعذل عني
في محلّ يحلّه لذة العي ... ش ويحني سروره من تجني
وقوله:

لي صديق في ودّه لي صدوق ... وبرعي الحقوق مني حقيق
يا تجني كنت ثم بدا لي ... أنت ذاك الصديق لي والرفيق
كلّما سرت من فراقك ميلاً ... مال من مهجتي إليك فريق
فحياتي مصروفة في طريق ... للمنايا عليّ فيها طروق
وقوله:

منيةً سابت وروود البشير ... وموافق أوفى على التقدير
يا عروساً زفت إليّ فأهدي ... ت إليها رقي المكان المهور
بالتملّي وبالرجا والسرور ... يا حياتي والمنزل المعمور

قد لعمرى وفيت لي وسأجزي ... ك وفاءً بالشرط بعد النذور
وقوله:

لقد واظبت نفسي على الحب في الهوى ... بإنسانة ترعى الهوى وتواظب
صفا لي العيش والشيب شامل ... كما كان يصفو والشباب مصاحب
ما أخرج من شعره في الغزل وغيره فمن ذلك قوله:
أراني الله وجهك كل يوم ... صباحاً للتيمن والسرور
وأمتع ناظري بصحيفتيه ... لأقرا الحسن من تلك السطور
وقوله:

يا منى نفسي ويا حس ... بي من حسن وطيب
سابقى بالوصل موتي ... أو مشيبي ومغيبي
فهو للفتيان في الدن ... يا بمرصاد قريب
وله في غلام اسمه غريب
رعى الرحمن قوماً ملكوني ... رشا قصير بلغت به المراد
وسمّوه مع القربى غريباً ... كنور العين سمّوه سواد
وقوله:

رب ليل قطعت فيه حماري ... بغزال كأنه مخمور
ومصاد سرحت فيه ونصر ... بازيازي مظفر متصور
بصقور مثل النجوم إذا انقض ... ت وعصف كأئهن صقور
وقوله:

الورد بين مضمخ ومضرج ... والزهر بين مكمل ومتوج
والتلج يهبط كالنثار فقم بنا ... نلتذ بابنة كرمة لم تخرج
طلع النهار ولاح نور شقائق ... وبدت سطور الورد تلو بنفسج
فكأن يومك في غلالة فضة ... والنبت من ذهب على فيروزج
وقوله:

يوم كأن سماؤه ... شبه الحصان الأبرش
وكانّ زهرة روضه ... فرشت بأحسن مفرش
فسماءه دكن الخزو ... ز وأرضه خضر الوشي
كأنه أخذه من قول ابن الرومي:
يومنا للنديم يوم سرور ... والتذاذ ونعمة وابتهاج
ذو سماء كأدكن الخزّ قد غي ... مت وأرض كأخضر الديباج
وقوله:

يا هاللاً يدو فيزداد شوقي ... وهزاراً يرنو فيزداد عشقي
زعم الناس أن رقك ملكي ... كذب الناس أنت مالك رقي
وقوله:

ألا يا منى نفسي وإن كنت حنفها ... ومعناي في سريّ ومغزاي في جهري
تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على عبرة وتجري
وقوله:

يا شادناً جدّد حيّ له ... من بعد حبّ سالف ساجي
بلحية قد أوصلت جمّة ... مثل اتصال الطوق بالتاج
وله في غلام ناقة من علته:
نمض الليل فقلت حي ... ن بدا كفصن مائل
طلع الهلال لليلة ... بضياء بدر كامل
وقوله:

قال لي من أحب والين قد بدّ ... د دمعني مواصلاً للشهيق:
ما الذي في الطريق تصنع بعدي؟ ... قلت: أبكي عليك طول الطريق
وقوله:

لو لا تسليّ بارتكاضي ... في البعد والقرب والتلاقي
ودفعي الهم بالأمان ... فارقت روحي مع الفراق
وقوله:

ينأى فأشط وأنوي له ... تنقص الداني على النائي
حتى إذا أبصرته ذبت في ... يديه ذوب الملح في الماء
وقوله:

ولي حبيب ألوذ فيه بأو ... صاف وفحواه فوق ما أصف
كالبلر يعلو والشمس تشرق وال ... غزال يعطو والغصن ينعطف
وقوله:

إن كنت أزمعت الرحي ... ل فإن عزمي في الرحيل
أو كنت قاطنة أقم ... ت وإن منعت لذيد سولي
كالنجم يصحب في المسي ... ر ولا يزول لدى النزول
أخذه من قول أبي تمام:

كالنجم إن سافت كان مواكباً ... وإذا حططت الرحل كان جليساً
وقوله:

عزمي وعزم عصابة ركاضة ... موصولة الإلجام بالإسراج

كالنبل عامدة إلى أهدافها ... والطير قاصدة إلى الأبراج
وقوله:

وذي حاسد ولو حلّ بي ما يريده ... لأصبح مفجوعاً بفيض بناني
ولم أعطه جهلاً ولكن سحائي ... همّ ذوي الإخلاص والشّنان
وقوله لأبي إسحاق الصابي

برد مصيفك وافرشه بميشرة ... فإني لمقام الخلّ أرتحل
الذاكري وإن أضحي ويعجيني ... أن تستريح وأن تكتك الظلل
وقوله:

أوفي كلاً وقتي قسط تأله ... وقسط هوى لا يستمر حرم
ولذة وجدي من لداذة مطربي ... أسرّ إلى نفسي وأعذب في فمي
وقوله:

يا عارفاً بالداء مطّ ... رح السؤال عن الدواء
العلم عندي كالغذا ... فهل تعيش بلا غذاء
وقوله:

لو توسطت إذا لم تترك ... وكففت القلب عن بعض الأرب
كان أرحى لك في العقبى من أن ... تملأ الدلو إلى عقد الكرب
وقوله:

هب البعث لم يأتينا نذره ... وجهاجة النار لم تضرم
أليس بكاف لذي فكرة ... حياء المسيء من المنعم؟
وقوله:

يا من يسرّ بلذة الدنيا ... ويظنّها خلقت لما يهوى
لا تكذبن فإنّها خلقت ... لينال زاهدها بما الأخرى
وقوله:

بعثت إلى ربّ البرايا رسالة ... توسل لي منها دعاء مناصح
فجاء جوابي بالإجابة وانجلت ... بما كرب ضاقت بهنّ الجوانح

الباب الثالث

في ذكر أبي إسحاق الصابي

ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحاراني. أوحده العراق في البلاغة، ومن به تثني الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية، من البارة والصناعة، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجليلة، مع ديوان الرسائل، وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره. ولا يس خيره، ومارس شره، ورئس وأس، وخدم وخدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره، وتتكاثر غرره، وفيه يقول بعض أله العصر:

أصبحت مشتاقاً حليف صباية ... برسائل الصابي أبي إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق
طوراً كما رق النسيم وتارة ... يحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرز ... كتبت بدائع على الأحداق
ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً:

يا بؤس من معنى بدمع ساجم ... يهمني على حجب القواد الواجم
لو لا تعلله بكأس مدامة ... ورسائل الصابي وشعره كشاجم

ويحكي أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه على الإسلام، أداروه بكل حيلة، وتمنية جليلة، حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم، فلم يهده الله تعالى للإسلام، كما هداه لخاسن الكلام، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة، ويخدم الأكابر على أرفع خدمة، ويساعدهم على صيام شهر رمضان، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه، وسن قلمه، ويرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيه كل الإحسان، وحلاها بأي من القرآن.

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدي ببخارى يقول: إن أبا إسحاق الصابي، كان من نساك أهل دينه والمتشدين في ديانتهم، وفي محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى:

حتني لذاتي رتب المعالي ... وضني بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكي ... لخوف عقوبة وحادار نار
فوا شوقاً إلى خلع العذار ... وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفي على حل الإزار ... صريعاً بين سكر أو خمار

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: بلغني أن الصابي حضر يوماً مائدة المهلي، فامتنع عن الأكل، لباقلاء كانت عليها، لأنه محرم على الصابئة كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد، فقال له المهلي: لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء، فقال: أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكول، فاستحسن ذلك منه.

وكان أبو إسحاق في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً، وأرخى بالاً منه في أيام استكمالته وزمن اكتهاله، وأورى زنداً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر، وأخذ منه الهرم، في ذلك يقول:

عجباً لحظي إذ أراه مصالحي ... عصر الشباب، وفي المشيب مغاضي

أمن الغواني كان حتى ملّني ... شيخاً وكان على صباي مصاحبي؟
أمع التضعع ملّني متجنباً ... ومع الترععر كان غير مجاني
يا ليت صبوته إليّ تأخرت ... حتى تكون ذخيرة لعواقي
من قصيدة في فنّها فريدة كتب بها إلى الصاحب، يشكو فيها بته وحرزّه ويستمطر سحابه، بعد أن كان
يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء.
وكان المهلبى لا يرى إلا به الدنيا، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في أوقات
أنسه. فلما توفي المهلبى وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة، اعتقل في جملة أعمال
المهلبى، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة:
يا أيها الرؤساء، دعوة خدام ... أوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروعة عندكم ... حسبي وطول قملدي ووعيدي؟
قلدت ديوان الرسائل فانظروا ... أعدلت في لفظي عن التسديد؟
أعليّ رفع حسام ما أنشأته ... فأقيم فيه أدلتي وشهودي؟
أنسيتم كتباً شحنت فصولها ... بفصول درّ عندكم منصود؟
ورسائلا نفذت إلى أطرافكم ... عبد الحميد بمنّ غير حميد
يهتز سامعهن من طرب كما ... هزّ النديم سماع ضرب العود
أنا بين إخوان لنا قد أوثقوا ... بسلاسل وجوامع وقيود
وموكلين بنا نذل لعزهم ... فكأننا لهم عبيد عبيد
والله ما سمع الأنام ولا رأوا ... نقداً توكل قبلهم بأسود
من كلّ حر ماجد صنيدي ... في كل وغد عاجز رعيدي
قصرت خطاه خلاخل من قيده ... فتراه كالفتاة المروود
يمشي الهويّنا ذلّة لا عزّة ... مشي النزيّف الخائف المروود
فغضلو وتعطّفوا وهبوا لنا ... عفواً قديم حفاظ وحقوق
وتعلموا أن الولاية عندكم ... عارية ليست بذات خلود
وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله في هذا الاعتقال وغيره فصلاً في جملة الفصول، من غرر شعره.
ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة
العظمى والطامة الكبرى. إذ كانت في صدره حرازة كبيرة، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز
الدولة بختيار تقيمها منه، واحتقدّها عليه.

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد الكاتب، قالاً: كان من أقوى
أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن
بختيار، وهو: وقد جلد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق، والمعالى السوابق التي تلزم كل دان
وقاص، وعام وخاص. أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها، فإنه أنكر عليه هذه

اللفظة أشد إنكاراً؟ ولم يشك في التعريض به، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد، وسائر بلاد العراق، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه، وشرح سيره وحروبه وفوحه، فامتلأ أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم ذكره، فاشتغل في منزله به، وأخذ يتأق في تصنيفه وترصيفه، وينفق من روحه على تقريره وتشييفه، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصاي دخل عليه يوماً فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض، فسأله عما يعمل من ذلك فقال: أباطيل أئقها، وأكاذيب ألقها، فأنضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في قلبه من أبي إسحاق. وحرك من ضغنه الساكن، وأثار من سخطه الكامن، فأمر بأن يلقي تحت أرجل الفيلة. فأكب نصر بن هرون ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقبلونها بين يديه، ويستشفعون إليه في أمره، ويلطقون في استيهاب دمه، إلى أن أمر باستيحائه مع القبض عليه وعلى أشيائه واستئصال أمواله، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة، وقد رزحت خاله وقمتك ستره. وكان الصاحب يحبه أشد حب ويتعصب له ويتعهد على بعد الدار بالمنح، وأبو إسحاق يخدم حضرته بالمدح.

وقرأت له فصلاً من كتاب في ذر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً، وهو: ورد - أطل الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا - أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد جعفر بن شعيب حاجين، ففرجا إلى ملمين، وعاجا على مسلمين، فحين عرفتهما، وقبل أن أرد السلام عليهما، مدت اليد إليهما، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة مني بصلته، وتشوقاً إلى تكرمته واعتياداً لإحسانه، وإلفاً لموارد إنعامه، وتيقنا أن خطوري ببالة، مقرون بالنصيب من ماله، وأن ذكراه لي مشفوعة بجدواه، وقمت عند ذلك قائماً، وقبلت الأرض ساجداً، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً، وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء، كطول يده بالعطاء، ويمد له في العمر، كامتداد ظله على الحر. وأن يحرس هذا البدن، وأفاء عليهم من نداء، وأسامهم فيه من مراتعه، وأعذبه لهم من شرائعه، التي هم محلتون إلا عنها، ومحرومون إلا منها. وله رسائل وقصائد كثيرة إليه، وقد أودعت هذا الكتاب شرطة منها.

وبلغني أن الصاحب كان يتمنى انخيازه إلى جنبته، وقدمه إلى حضرته، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تفوقاً، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة، وسوء أثر العطلة، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه.

وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي، وكان شديد الاختصاص بالصاحب، أنه كثيراً ما كان يقول: كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحاق الصاي، ولو شئت لذكرت الرابع، يعني نفسه، وأما الترجيح بين هذين الصديقين - أعني الصاحب والصاي - في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون. وأحب فيه المخبون ومن أشفي ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب ما يؤمر، وبين الخالين بون بعيد. وكيف جرى الأمر فهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما.

وأنا كاتب أعمودجاً من فصوص فصول الصابي وفرائد قلائده، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره والمشملة على بدائع معانيه بمشيتة الله تعالى وإذنه.

فصل من كتابه الى عضد الدولة

فصل له من كتاب الى عضد الدولة في التهنة بتحويل سنة أسأل اله تعالى مبتهلاً لديه، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات، وبالزائدات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفياً على المتقدم به، قاصراً على المتأخر، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزاً منصوراً محمياً موفوراً باسطاً يده، فلا قبضها إلى على نواصي أعداء وحساد، سامياً طرفه، فلا يغمسه إلا على لذة غمض وقاد. مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك فائزة قداحة فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك، حتى ينال أقصى ما توجه إليه أمنيته جامعاً، وتسمو له همته طامحاً.

فصل من كتاب عن بختيار إلى مؤيد الدولة لما قبض على أبي الفتح بن العميد

ذي الكفائتين في الشفاعة له

وهذا غلام أفسدته سجية ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال، والصبر على الإدلال، واجتمع له إلى الثقل في نعمة حازها حيازة وارث لها، لم يكدر في تأثيلها، ولا مسه النصب في تدميرها، ولا اهتدى إلى طريق استيفائها، ولا تحون من طرق دواعي انتقالها، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه بكأسها، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في إيجاد أسبابها. وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حالة يعد أخذ فضلها المفسد له متروكة، وأن يتحدث الناس بأن سيدي الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه، ثم طبق مفصل الكرم في التجاوز عنه.

فصل عنه إلى أبي تغلب في الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمرى من ذوي الأرحام الشابكة، والقربات الدانية، من يتمادى في العقوق، ويذهب عن حفظ الحقوق، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع، واستصلاحه حتى يترع، فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد، أو عاقبة نفع تحمد، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة، ومنع المادة، لأن قباحة ذلك بمن يستعمله أكثر من مضرتة بمن يعمل معه، وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران، ولا تعاقب بالحرمان، هذا في الاتباع والأصحاب، فكيف في الأقران والأتراب؟

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها. وسائق يشيع ويحدو بها، وناصح يعضدها في متضمناتها، ويشفع لها في ملتسماتها، ويعتمد بعرضها في أوقات الفراغ والنشاط. وأحيان الخلوة والانبساط.

فصل عن بختيار إلى أبي تغلب في ذكر فرس أهدها إليه

أما الفرس الذي سألت إيثارك به، فقد تقدمنا بقوده إليك، والله تعالى يبارك لك فيه، ويجعل الخير معقد ناصيته، والإقبال غرة وجهه. وإدراك المطالب تحجيل قوائمه، ونيل الأمانى طلق شده، وفتح الفتوح غاية شأوه. وسلامة العواقب مثنى عنانه.

فصل عن نفسه إلى صدق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد، وتال بعد ماض، وبالحكم على السنة المستقبلية التي تصل زايرجتها درج هذا الكتاب، مستقصياً له ومدققاً فيه ومتوفراً عليه، ومتوصلاً إلى استنباء دفينه واستثارة كمينه، والإفصاح بكلياته وجزئياته، غير مغرق في تفخيم ما يلوح من السعادة سهلها الله تعالى. كيلا أتوقع منها أكثر من حدها، ولا مقتصرأ في الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها. فإن ثمة هذه الصناعة هي مقدمة المعرفة بما يكون، والاستعداد له بما يمكن. ولا أقول إن ذلك يؤدي إلى دفع مقدور نازل، ولا معارضة محتوم حاصل، ولكني أقول: ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يجب، ويتوقى حلول ما يكره، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجمله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه، الذي لا يرى فيتحفظ، ولا يسمع فيتيقظ. وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق، ولتقدم علمه مطابق. وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسي إن تعداك كتابي إلى غيرك، ممن لا يهتدى للجمع بين الأمرين، والتعلق منهما بالعروتين، فيظن أن المراعي لأحدهما مخل بالآخر، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلو من أن يكون ناقص الحظوظ في أدبه، أو ناقص اليقين في دينه. وأنت ولي ما تفضل به في ذلك معتمد تقديمه، ونترك تأخير، إذ للنفس راحة في تيسير المتظرات، وعليها في أن تتمادى بها الأوقات، على أن ظني بك الإيثار لما أثرت، والتحرز مما حاذرت.

فصل من رسالة عن صديق في الخطبة

و لو لم للخاطب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة، والتمس المشابكة، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه، وأغناه عن كل ما سواه، حتى أنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه، والمقابلة له بضده، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة، وارتفعت عن المدافعة؟ بالله جهد المقسم أن والذي أيدهما الله تعالى يسوماني التأهل منذ سنين كثيرة، فأحمل نفسي على التقاعس عما آثره مع ما افترض على من طاعتها اشتطاطا مني في شرائط أحبت أن تجتمع لي في الخبيئة التي أوصلها، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله، وجمل أمره وأظهر فضله. وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل. بفارس والبصرة وبغداد، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة، وجمعها لي في منازل المصونة، بعثني البواعث

وحفزني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل، ويصل بنا الحبل، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة، على أن أكون لها كالجفن الواقي لمقلته، والصدرى الحاوي لمهجته، ولك كالولد المطيع لأبيه، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه، فإن رأيت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني، وتصديق أملي، فعلت إن شاء الله.

؟

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس للخصوم، وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف به عند أول حد من الكفاية، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها، وعوارض البشرية بأسرها، لئلا يلم به من ذلك ملم ويظف به طائف، فيحيلانه عن رشده، ويحولان بينه وبين سداده.

فصل في ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار في السن العليا، والعلة العظمى، بحيث يخرج أن تقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها، وضعف عن النهوض بعبثها وحملها، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله، خلع الناض إليه، والمسلم عليه.

؟

فصل عن اختيار إلى عضد الدولة في التأليف.

وإن من أعظم محن هذا البيت، أن تروى منابت فروعه عن منابت أصوله، وأن تؤتى مراسي أوتاده من ذوائب عروشهم، وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة، وتسري إليهم أرقام المناقشة. وتنبت الدواهي فيهم من ذاتهم، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعدائهم.

فصل إلى صديق له في الشكوى والاستماعة

ولما صارت صروف الدهر على بعد التطريف، وتجنف بي بعد التحيف. وصادف ما يجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة، وأعظماً مبرية، وحشاشة مشفية، وبقية مودية. جعلت اختبار الجهات، واختتام الجنبات، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل، ولا يجيب آمله إذا أمل. وكان سيدي أولها إذا عددت، وأولها إذا اعتمدت. وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذا تخطه، إشفاقاً على مائة مما يريقه، لولا الثقة أنه يحقن مياه الوجوه ويحميها، ويجمها ولا يقذيها.

فصل في مثله

ولما أناخت النكبة من حالي على طلل قفر، وبلقع صفر، وعون المغارم أثقل وطأة من أبكارها، وأبغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها. فقد أضطرتني إلى تجشم ما كنت أجه من نداء، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه. وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة، وتضايق الحطة.

فصل في ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار في أوقاتها، وقضايا تجري إلى غاياتها، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه، فهي كالسهام التي لا تثبت في الأغراض، ولا ترجع بالاعتراض. والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها، ورزية يوثق بالعوض عنها.

؟

فصل في ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد، ولا تقيم ما قعد، وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها، وتغشى عيون المقتبسين إيماضها، فيذهلون عن الامتراء لدركها، ويعمهمون عن الاستمتاع بنصرتها. ويكونون كمن أطار طائرهما لما وقع، ونفر وحشيها لما أنس، فلا يلبثون أن يتعروا من جلبابها، وينسلخوا من إهابها، ويتعوضوا منها الحسرة والغليل، والأسف الطويل.

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني

ليت شعري بأي قدم تواقفنا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك، وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا في يدك.

فصل له إليه أيضا

لم يدر في خلده أن مثل إحسانه إليك يكفر، ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضيعك من مطارح الأرقاء العبيد، إلى مراتب الأحرار الصيد.

؟

فصل إليه أيضا

تناولتك الألسن العاذلة، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة، وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار، ولا يعفيه الليل ولا النهار.

فصل في ذكره

هو أرق ديناً وأمانة، وأخفض قدراً ومكانة، وأتم ذلاً ومهانة، وأظهر عجزاً وزمانه، من أن تستقل به قدم مطاولتنا، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا، وهو في نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامه المردودة.

؟

فصل في مثله أيضاً

ولما بعد صيته بعد الخمول، وطلع سعده بعد الأفول، وجمعت عنده الأموال، ووطئت عقبة الرجال، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء، نزت به بطنته، فأدركته شقوته. وترغ به شيطانه، وامتدت في الغي أشطانه.

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ما عودنيه الله من الإظهار، وأوجدنيه من الاستظهار، ومنحنيه من شرف المكان، وظل السلطان وكثرة الأعوان، لأجزع في منازلة عبد عضد الدولة من أن يصيب الغرض منه، كما أجزع من أن يصيب الغرض مني، وأكره أن أظفر به كما أن يظفر بي، وأشفق من أن أطرف عيني بيدي، وأعض لحمي بناني.

فصل في ذكره أيضاً

إن انتشار النظام إذا بدا والعياذ بالله تعالى لم يقف عند الحد الذي يقدر فلان أن يقف عنده، ولم يخص الجانب الذي يظن أنه يلحقه وحده، بل يدب ديب النار في الهشيم، ويسري كما يسري النغل في الأديم، وكثيراً ما تعدى الصحاح مبارك الحرب، ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب.

فصل في ذكره أيضاً

قد لحقني من مولانا ما يلحق الرجل تذوي يمينه، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها. ويا لها من خطة ما أصعبها وأشقها، وورطة ما أخرجها وأضيّقها. وبين أن يغضي عليها فيرمي إلى ما هو أعظم من قطعها، وأمض من فقدها.

فصل في ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها، والأظفار إلى براثنها. والنصال إلى أجفانها، والسهام إلى كنانها.

فصل عن الخليفة في رعاية حقوق الآباء في الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمر المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين، والولاية المجتهدين، في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها، والمضطّلعين بحملها. من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم، إذ لا بد للأسلاف أن تمضي، وللأخلاف أن تنمو، كالشجر الذي يغرس لدنا فيصير عظيماً، والنبات الذي ينجم رطباً فيعود دهشماً، فالمصيب من تخير الغرس من حيث استنجب الشجر، واستحلى الثمر، وتعهّد بالعرف من طاب عنه الخبر، وحسن منه الأثر.

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد وخيلنا كالأموّاج المتدفقة، والأطواد الموثقة. متشوقة عاطية. مستبقة جارية، تشتاق الصيد وهي لا تطعمه، وتحن إليه كأنه قضيّم تقضمه، وعلى أيدينا جوارح موللة المخالب والمناسر، مدربة النصال والخناجر، طامحة الأحاظ والمناظر، بعيدة المرامي والمطارح، زكية القلوب والنفوس، قليلة القطوب والعبوس، سابقة الأذنان، كريمة الأنساب، صلبة الأعواد. قوية الأوصال، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً. وتتضاعف إذا شبت كلباً ونهماً فبيننا نحن سائرون. وفي الطلب ممعنون، إذ وردنا ماء زرقا جمامه، طامية أرجاؤه يوح بأسراره صفاؤه، ويلوح في قراره حصاؤه، وأفانين الطير به محدقة، وغرائب عليه واقعة، متغايرة الألوان والصفات، مختلفة اللغات والأصوات، فمن صريح خلص وقهذب نوعه، ومن مشوب قهجن عرقه، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها، كأنها رسل المنايا، أو سهام القضايا، فلم نسمع إلا مسمياً ولم نر إلا مذكياً، وعدنا لشأننا دفعات، وأطلقناها مرات.

؟

فصل منها

ثم عدلنا عن مطارح الحيام، إلى مسارح الآرام، نستقري ملاعبها، ونؤم مجامعها، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلانها، راتعة في أكلائها، ومعنا فهود أخطف من البروق، وألقف من الليوث، وأمكر من الثعالب وأدب من العقارب، وأنزل من الجنادب، خصّ الخصور قب البطون، رقص المتون، حمر الآماق، خزر الأحداق، هرت الأشداق، عراض الجباه، غلب الرقاب، كاشرة عن أنياب كالخراب.

فصل منها

وكم من قبر أطلقنا عليه بازياً فخرج إلى السماء عروجاً، ولجج في أثره تلجيجاً، فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق، وكان هذا يستطعمه من خالق. حتى غابا عن النظر، واحتجبا عن الأبصار، وصارا كالغيب المرجم، والظن المتوهم، ثم خطفه ووقع كهينة الطائر الواحد، فأعجبنا أمرهما، وأطربنا منظرهما.

فصل من رسالة في وصف الرمي عن قسي البندق

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد، ومرتبة على قدر استحقاقها من ذم أو حمد، وإذا وقع التأمل عليها والتدبير لها، وجد أولاهها بأن تعدده الخاصة نزهة وملعباً، والعامة حرفة ومكتسباً، الصيد الذي فاتحته طلاب لذة ونظر، وخاتمه حصول مغنم وظفر، وقد اشتركت الملوك والسوقا في استجماله، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه. وهو رائص الأبدان، وجامع شمل الإخوان، وداع إلى اتصال العشرة منهم والصحبة، وموجب لاستحكام الألفة بينهم والحببة.

؟

فصل إلى بعض الوزراء في إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآنسه بدواة تداوي مرض عفاة، وتدوي قلوب عداة، على مرفع يؤذن بدوام رفعتة، وارتفاع النوائب عن ساحته.

فصل من كتاب له إلى صاحب

كتبت أطال الله بقاء صاحب هذا الكتاب، وأنا أود أن سواد عيني مداده، وبياضها طرسه، شوقاً إلا لألاء غرته، وقرماً إلى تقبيل أنامله، وظماً إلى ارتشاف بساطه.

؟

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ في شكر سيدنا وحده، على ما أهلني له من بره ورفده، وجهدي يقصر عن غفوه، وإسهابي يعجز عن وصفه. وهل أنا في ذلك لو فعلته إلا كمن جرى الحصان بالأتان، وواحة الغزالة بالذبالة، وقارع الحسام بالعصا، وبارى الدر بالخصي.

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله:

تورد دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما أدري أباخمر أسبلت ... جفوني أم من عبرتي كمت أشرب
وقوله في معناه:

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي ... شوقاً إلى من لج في هجراني
فكأن ما في الجفن من كأسٍ جرى ... وكأن ما في الكأس من أجفاني
وقوله:

لست أشكو هواك يا من هواه ... كل يوم يروعي منه خطب
مرّ ما مرّ بي من أجلك حلوّ ... وعذابي في مثل حبك عذب
وقوله:

أيها اللاتم المضيق صدري ... لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوام حجة عشقي ... وأبان العذار في الحب عندي
وقوله:

حذرت قلبي أن يعود إلى الهوى ... لما تبدل النزاع نزوعا
فأجابني لا تخش مني بعد ما ... أفلت من شرك الغرام وقوعا
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى ... أصغى إليه سامعاً ومطيعا
كذبالة أخدمها فكما دنا ... منها الضّرام تعلقتة سريعا
وقوله:

مرضت من الهوى حتى إذا ما ... بدا ما بي لإخواني الحضور
تكتفني ذور الإشفاق منهم ... ولاذوا بالدعاء وبالندور
وقالوا للطبيب أشر فإنا ... نعدك للمهم من الأمور
فقال شفاؤه بغير عمد ... ولكن ذاك رمان الصدور
وقوله:

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى ... بجارية أمسى بها القلب يلهجُ
إذا امتزجت أنفاسنا بالترامنا ... توهّمت أنّ الروح بالروح تمزج
كأني وقد قبّلتها بعد هجعةٍ ... ووجدي ما بين الجوانح يعلج
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر توج
فإن قيل لي اختر أيما شئت منهما ... فأني إلى النفس الجديدة أحوج
وقوله:

أحسّمتها بالعتب عند لقائها ... فتلتّمت من شدة استحياؤها
واستكملت صفة البدور بطلعةٍ ... وبحلّة صبغت بلون سمائها

فبهت أنظر من لجين جبينها ... متخفراً في لازورد رداثها
وقوله:

هيفاء تحكي قضيباً ... قد جشمته الرياح
تفتّر عن سمط درّ ... عليه مسكّ وراح
جرّدتها واعتقنا ... كلّ لكلّ وشاح
باتت وكلّ مصونٍ ... لي من حماها مباح
في ليلةٍ لم يعبها ... في الدهر إلاّ الصباح
وقوله:

هيفاء كالغصن في رشاقته ... لقاء كالدعص في كثافته
تبخرت والعثان يکنفها ... فكانت البدر وسط هالته.
وقوله:

أقول وقد جرّدتها من ثيابها ... وعانقتها كالبر في ليلة التم
لئن آلت صدري لشلّة ضمها ... لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي
وقوله:

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد ... خفنا عليك إذا ظلماً وعدونا
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسباً ... وأنت أحسن ما نلّناك عريانا
وقوله:

يا من بدت عريانة ... فرأيت كل الحسن منها
كانت ثيابك عورةً ... فسترت بالتنجريد عنها
وقوله:

يا قمراً كالخشف في نظرتة ... وكالقضب اللدن في خطرتة
خلتكَ صيداً صار في قبضي ... فصرت من صيدي في قبضته
فديتُ من لاحظني طرفها ... من خيفة الناس بتسليمته
لما رأت بدر الدجا تائهاً ... وعاظها ذلك من شيمته
أزاحت البرقع عن وجهها ... فردّت البدر إلى قيمته
وقوله:

ما أنس لا أنس ليلة الأحد ... والبدر ضيفي وأمره يدي
قبلت منه فما مجاجته ... تجمع بين المدام والشهد
كأن مجرى سواكه بردٌ ... وريقه ذوب ذلك البرد
وقوله:

طيب عيشي في عناقك ... ووفاتي في فراقك
أنت لي بدرٌ فلا عش ... ت إلى يوم محاقك

فاسقني الصهباء صرفاً ... أو بمزجٍ من رياقك
لا أريد الماء إلا ... عند غسلٍ من عناقك
وقوله:

كلّ الورى من مسلمٍ ومعاهد ... للدين منه فيك أعدل شاهد
فإذا رآك المسلمون تيقنوا ... حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصرارى طيبة ... تعطو ببدرٍ فوق غصن مائد
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا ... بك إذ جمعت ثلاثة في واحد
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً ... قالوا لدافع دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين أبانه ... لكليمه موسى النبي العابد
وترى الجوس ضياء وجهك فوقه ... مسودّ فرع كالظلام الراكد
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا ... حججٍ أعدوها لكلّ معاند
أصبحت شمسهم فكم لك فيهم ... من راكم عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنك مفرد ... في الحسن إقراراً لفرد ماجد
كالزهرة الزهراء أنت لديهم ... مسعودةً بالمشتري وعطارد
فعلى يديك جميعهم مستبصر ... في الدين من غاوى السبيل وراشد
أصلحتهم وفتنتني وتركتني ... من بينهم أسعى بدينٍ فاسد

ما اخرج من شعره في الخمر

وما يضاف اليه

فمن ذلك قوله:

كوكب الإصباح لاحاً ... طالعاً والديك صاحاً
فاسقنيها قهوة تأ ... سو من أهمّ جراحاً
ذات نشر كنسيم ال ... روض غبّ القطر فاحاً
يا غلامي ما أرى في ... ها ولا فيك جناحاً
حرم الماء وأبعد ... ه وإن كان مباحاً
أقراحٌ أنا حتى ... أشرب الماء القراح

وقوله في نبذ يدور به ساق يشبهه بالعروس التي تجلى، وتبرز أمامها سوداء قبيحة، لتكون كالعود لها،

وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها:
بنفسي مقبلاً يهدي فنونا ... إلى الشرب الكرام بحسن قنّة
وفي يده من التمريّ كأسٌ ... كسوداء العروس أمام خدّه
وقوله:

صفراء كالنبر جامها يقق ... شعاعها كالذبال يأتلقُ
كأنّ في كفّ من أذاك بها ... ضحى نهار في وسطه شفق
وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة:
ألاقي همومي في جحفل ... لها من مقامي فيه قرارُ
دبادبة من طوال القيا ... ن والنأي بوق له مستعار
ومجلسنا حومةً أرهجت ... لزحف الندامي إليها بدار
كأن فكاهاتهم إذ علت ... غماغم للحرب فيها شعار
كأن الكؤوس بأيدي السقاة ... سيوفٌ لها بالدماء احمرار
كأن مناديل أكتافهم ... حمائلها إذ عليهم تدار
كأن رجوم تحاياهم ... سهامٌ على الجيش منها نثار
كأن الجامر خيلٌ جرت ... وقد ثار للنند منها غبار
كأن السكارى رجل الوغى ... وقد عقرتهم هناك العقار
وقد جدلتهم جروحٌ بهم ... وجرح المدامة فيها جبار
كأن تسكابها في الزجاج ... حريقٌ له من حباب شرار
فيا لك من مآقط لي به ... بلاء وقولٌ إليه يشار
ولما برزت إلى الهمّ فيه ... ولي بالسرور عليه اقتدار
وقوله في قصيدة:

رب عذراء راوحتني من الوا ... ح بعذراء تطرد الهمّ طردا
خندريس إذا المزاج علاها ... نظمت بالحباب للكأس عقدا
تترك البال ناعماً وأخا الشج ... و خلياً وطائر اللهو سغدا
عبرتني بكأسها ذات دلّ ... دلّ قلبي إلى الهوى فتعدّى
وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب والفسق للنقل والمطرب
المتع، فقال:

طباخنا صانع رءوسا ... يسقط في طيبها الخلافُ
مبيضة كاللجين لوناً ... شهية كلّها نظاف

وأخذها من الرقاق يحكي ... صريع حَمَى له لحاف
من بين عجل إلى خروف ... تزهى بتنزيدها الصخاف
مختلفات القدود لكن ... لها بأسنائها اتلاف
وكلها راضعٌ صغيرٌ ... له على ضرعها اعتكاف
قد اسمنتهن أمهاتٌ ... من طول إرضاعها عجاف
نسقي على ذاك روح دنٌ ... أرق أسمائها السلاف
عروس دنٌ صفت وطابت ... لونا وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا ... ناكس رأس به رعاف
والنقل من فستق جني ... رطبٌ حديثٌ به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف ... ألفاظه عذبة خفاف
زمرد زانه حريرٌ ... في حق عاجٍ له غلاف
ومسمعٌ مطرب مليح ... يحرم عن مثله العفاف
يظلمني صاحباً ولكن ... في سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليلٍ ... أفديك من كل ما يخاف
فأنت أصل السرور عندي ... وكل ما بعده مضاف
؟

ما أخرج من شعره في الأوصاف والتشبيهات

ومن ذلك قوله في الورد:
وزائرة لنا في كلِّ حولٍ ... لها حظان من حسنٍ وطيبٍ
تنال النفس حين تشمُّ منها ... منال العين من وجه الحبيب
كأنَّ زماها نعتاض فيه ... إذا طلعت شباباً من مشيب
وقال في قصيدة:
أما ترى الورد قد حيَّك زائره ... بنفحة فرجت عن كلِّ مصدور
كأن أنفاسه أنفاس غانية ... معشوقة خالطت أنفاس مخمور
تفتحت وجنات في جوانبه ... كأنما انتزعت من أوجه الحور
وقال في النرجس:
ربَّ يومٍ نعت فيه غليلي ... وهمومي بين الضلوع كمونُ
بوجوه مملوءة بعيونٍ ... وعيونٍ تخشى عليها العيون
تلك من نرجس نضير وهذي ... من غوان وجدي بمنّ جنون
وقال في وصف شمامة كافور

كافورة جعلتها ... لأسود العين غرض
حتى وددت أنها ... من أبيض العين عوض
وقال فيها:

وشامة كالبدر عند اعتراضه ... وكالكوكب الدري عند انقضاضه
يود سواد العين من شغف ... بها لو اعتاضها مستبدلاً من بياضه
وقال في النافحة:

وشيمة من نسل بط ... ن لم تكن من ظهر فحل
أهدت إليك جنيها ... من غير تطريق بحمل
فعدت بضاعة تاجر ... لا تشتري إلا ببذل
فيها لفس قوتها ... لكن بشم لا بأكل
حلت محلاً لا ترى ... إلا لذي الخطر الأجل
وقال في عتيبة الطيب:

وعتيبة للطيب إن تستدعها ... تبعث إليك أمامها ببشرها
يلقاك قبل عيانها أرج لها ... فكأنه مستأذن لحضورها
نفحاتها لم تدر من كافورها ... تأتيك أم من مسكها وعبرها
مزجت ببعض بعضها فتوحدت ... عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لا عيب فيها غير أن نسيمها ... مثل اللسان يشيع سر ضميرها
وقال في مدخنة:

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها ... وتعصف ريح الطيب بين فروجها
إذا روحت عن نفسها بخروجها ... فللنفس مني راحة في ولوجها
وقال فيها:

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها ... متيمة تشكو من الحب تبريحاً
تناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها ... وتجهله الأذن السمعية إذ يوحى
إذا استودعت سراً من الطيب مجماً ... أشاعته تفصيلاً وأفشته مشروحا
وإن حاولت إخفائه في ضميرها ... أبي عرفها إلا اعترافاً وتصريحاً
يحرق فيها العود عوداً وبدأة ... فتأخذه جسماً وتبعثه روحاً
وقال فيها:

ومجلس سماؤه ... من النجوم عائمه
في جوه سحابة ... لها الأنوف شائمه
تنتابه مدخنة ... لحاصريه خادمه

داخلها مجمرة ... مثل القطة الجائمه
كأنها طارمة ... فيها فتاة نائمه
تمدي لنا روائحاً ... من الجنان قادمه
لنا عليها خلج ... من الذبول دائمه
لكنها عارية ... تخرج منها راغمه
؟ وقال عن لسان مدخنة محلاة وأمر بنقشها فيها
جمعت من حليتي وعرفي ... ما بين حسنٍ وبين طيب
أدخل في الذيل من محب ... طوراً وفي الكم من حبيب
فكم ترددت بين هذا ... وذا برغم من الرقيب
وقال في الغالية:

غالية تنتمي لحام ... قد استعارت لباس قار
في قدح ينتمي لسام ... من سنة البدر مستعار
جامع ما بين ذا وهذا ... قد أوج الليل في النهار
وقال فيها:

غالية صرح عطارها ... في عجنها عن خالص النية
تعزى إلى تبت من مسكها ... وهي من العنبر شحريه
منشورة الطيب على أنما ... في قدح البلور مطويه
كأنما فيه وقد حازها ... رومية حبلى بزنجيه
وقال في غلام له أسود شهر برشد:
أبصرت ف رشد وقد أحببته ... رشدي، ولم أحفل بمن قد ينكرُ
يا لائمي أعلى السواد تلومني ... من لونه وبه عليك المفخر
دع لي السواد وخذ بياضك إنني ... أدري بما آتي وما أتخير
مئوي البصيرة في القواد سواده ... والعين بالمسود منها تبصر
والدين أنت مناظر فيه بدا ... وكذاك في الدنيا بهذي تنظر
بسواد ذينك تستضيء ولو هما اب ... يضا تغشاك الظلام الأكر
فغدا بياضك وهو ليل دامس ... وغدا سوادي وهو فجر أنور
وقال فيه:

قد قال رشد وهو أسود للذي ... ببياضه استعلى علو مباين
ما فخر خلك بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به مزيد محاسن
ولو أن مني فيه خالاً زانه ... ولو أن منه في خالاً شاقني
وقال فيه يخاطبه:

لك وجه كأن يمينك خطته ... بلفظ تمله آمالي
فيه معنى من الدور ولكن ... نفقت صبغها عليه الليالي
لم يشك السواد بل زدت حسناً ... إنما يلبس السواد الموالي
فبمالي أفديك إن لم تكن لي ... وبروحي أفديك إن كنت مالي
وقال في الشمعة:

وليلة من محاق الشهر مدجنة ... لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمر
كلفت نفسي بما الإدلاج ممطياً ... عزماً هو الصارم الصمصامة الذكر
إلى حبيب له في القلب منزلة ... ما حلها قبله سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة ... تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الإبريز أثر في ... أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلاً كما يأتي المريب فإن ... لاح الصباح طواها دونك الحذر
وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج البغاء:
أنعت طارونية الثياب ... لابسة خزاً على الإهاب
تصبغت تصبغ التصاي ... وأبرزت وجهاً بلا نقاب
ريان من محاسن الشباب ... مكحولة العينين كالكعاب
مغموسة الحاجب بالخضاب ... منقارها أحمر كالعقاب
كأنما تسقى دم الرقاب ... محذورة محمية الجناح
لها على الأرجل والأعقاب ... هلمات ليث من ليث غاب
أقفاصها كمحس الحجاب ... مدورات الشكل كالقبا
تسمعنا منها وراء الباب ... متممة بالقاف في الخطاب
كأنما تقرأ من كتاب ... مكروزة زادت على الحساب
قهقهة الإبريق بالشراب ... ملآن منكباً على الأكواب
أهلاً بصياد لها جلاب ... جاء بها كريمة النصاب

ريبة الجبال والهضاب ... كريمة الأعراق والأنساب
لم تدر ما بادية الأعراب ... غريبة صارت من الأحباب
دونك يا ذا المفخر اللباب ... أرجوزة من صنعة الكتاب
باكورة من ثمر الألباب ... وتحفة من تحف الآداب
هدية الأتراب للأتراب ... قل ما ترى فيها ولا تحاي
هل خلصت من هجنة وعاب ... وسلمت من عيبة العياب
أم خلقتها أشبه بالصواب ... فهات ما عندك من جواب

وقال في الخطاطيف:

وهندية الأوطان زنجية الخلق ... مسودة الأثواب محمرة الخلق
كأن بها حزناً وقد لبست له ... حداداً وأزرت من مدامعها العلق
إذا صرصرت صرّت بآخر صوئها ... كما صرّ ملوى العود بالوتر الحرق
تصيف لدينا ثم تشتت بأرضها ... ففي كل عام نلتقي ثم نفرق
وقال في البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت في معناه:
وليلة لم أذق من حرّها وسناً ... كأن من جوها النيران تشتعل
أحاط بي عسكر للبق ذو لب ... ما فيه إلاّ شجاع فاتكّ بطل
من كل سائلة الخرطوم طاعة ... لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحرّ الصيف يطبخنا ... حتى إذا طبخت أجسامنا أكلوا

ما أخرج مما قاله في البصرة

وكان خرج إليها في صباه ليستوفي مالاً على ضامناتها، من ذلك قوله:
ليس يغنيك في الطهارة بالبص ... رة إن حانت الصلاة اجتهد
إن تطهرت فالياه سلاح ... أو تيممت فالصعيد سماء
وقال فيها:

لهف نفسي على المقام ببغدا ... د وشربي من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الدميمة نسقي ... شر سقيا من مائها الأترجي
أصفر منكر ثقيل غليظ ... خاثر مثل حقنة القولنج
كيف نرضى بشربه وبخير ... منه في كنف أرضنا نستنجي
وقال في قصر روح بها:

أحب إليّ بقصر روح منزلاً ... شهدت بنيته بفضل الباني
سور علا وتمنعت شرفاته ... وكأن إحداهن هضب أبان
وكأنما يشكو إلى زواره ... بين الخليط وفرقة الجيران
وكأنما يبدو لهم من نفسه ... إطراق محزون الحشى حرّان
وقال عند رحيله عنها:

توليت عن أرض البصرة راحلاً ... وأفتلة الفتيان حشو حقائب
منازل تقري ضيفها كل ليلة ... بأمثال غزلان الصريم الربائب
أقمت بها سوق الصبا والند معاً ... لعاشقة حرى وحيران لاعب
فما تظهر الأشواق إلاّ صنائعي ... ولا تستر الجدران إلاّ حبايبي

ما أخرج من شعره والدته وأولاده

قال:

أسرة المرء والداه وفيما ... بين حضنيهما الحياة تطيبُ
فإذا ما طواهما الموت عنه ... فهو في الناس أجبي غريب
وقال، وقد عتب على بعض ولده:
أرضى على ابني إذا ما عقي حنراً ... عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحققت من ولدي ... إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي؟
وله من رقعة يلتمس فيها من بعض ... الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده
وما أنا إلا دوحة قد غرستها ... وسقيتها حتى تراخي بها المدى
فلما أقشعر الجلد منها وصوحت ... أتك بأغصان لها تطلب الندى
وكتب إلي بعض الرؤساء قصيدة في إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه، فمنها:
بعثت إليك أبني وبالله إنه ... لأحلى من النفس المقيمة في جنبي
وهل أنا إلا نسخة هي أصله ... وهل هو إلا كاختر في الكتب
وفي النسخة السوداء ما أنت عارف ... من الخور الإصلاح والحلك والضرب
أخذ المعنى من قول ابن الرومي:
فقال لا تلحيناً في تفاوتنا ... فإننا كتب آباؤنا نسخ

رجع:

وهذا الذي يرضك مرأى ومخبراً ... ويمضي مضاء السهم والصارم العصب

وشتان بين العود أيس وانحنى ... وبين النبات الغض والغصن الرطب
فدونك فاقبله وثق منه بالذي ... يراد من العبد المناصح للرب
وجرده من غمد التقبض باسطاً ... وجربه فالتجريب عن رشده يني
وقال وقد رأى ولداً لولده مترعراً ناشئاً:

أبو علي محسنٌ كبدي ... وقد نشأ من فتاه لي خلبُ
كأن هذا وذاك إذ نسباً ... مني سوادٌ يضمه قلب
لا زلت ألقى الخطوب دونها ... حتى كأني عليها حجب
وقال يرثي أبا سعيد سناناً ابنه:

أسعداني بالدمعة الحمراء ... حل ما حلَّ بي عن البيضاء
يؤلم القلب كلَّ فقد ولا مث ... ل افتقاد الآباء للأبناء
هدّ ركي مثنى سنان وقد كا ... ن يهدّ الأركان من أعدائي
عكست فيك دعوتي إذ أفدي ... لك برغمي فصرت أنت فدائي

إنما كنت فلذة من فؤادي ... خطفتها المنون من أحشائي
كنت منّي وكنت منك اتفاقاً ... والتناما مثل العصا وللحاء
كنت في اليتيم في أجهل منّي ... فيك للشكل في أوان فنائي
ولئن كان في أخيك وأولا ... دكما ما يغضُّ من برحائي
فلعموي لربما هيجوا الشو ... ق فزادوا في لوعي وبكائي
ألم فيه بقول ابن الرومي، ولم يحسن بعض إحسانه:
وأَيُّوانٍ متعت بابني بعدهلذاكره ما حَتَّ النَّيبُ في نجدٍ
وأولادنا مثل الجوارح أيما ... فقدناه كان الفاجع اليِّنَ الفقد
لكلِّ مكانٍ لا يسد احتلاله ... مكان أخيه من جزوع ومن جلدٍ
هل العين بعد السمع تكفي مكانه ... أم السمع بعد العين يهدي كما تهدّي
وكتب إليه ولده أبو علي الحسن يسليه في إحدى نكباته:
لا تأس للمال إن غالته غائلةٌ ... ففي حياتك من فقد اللهبي عوضُ
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت ... يدك من تالد أو طارف عرض
فأجابه بهذه الأبيات:

يا درّة أنا من دون الردى صدف ... لها أقيها المنايا حين تعترض
قد قلت للدهر قولاً كان مصدره ... عن نية لم يشب إخلاصها مرض
دع الحسن يحيا فهو جوهرة ... جواهر الأرض طراً عندها عرض
فالنفس لي عوضٌ عما أصيب به ... وإن أصبت بنفسي فهو لي عوض
اتركه لي وأخاه ثم خذ سلمي ... ومهجتي فهما مغزاي والغرض

ما أخرج من شعره في الفخر

قال:

أيسر جودي أنّي كلّما ... أسرفت في السكر ولا أدري
ندمت في صحوي على كل ما ... أبقيت من مالي في سكري
وقال في صباه:

لقد علمت خيل هذي الخيام ... ونسوانها القاصرات الغواني
بأني شفاء صدور الجميع ... وأكرم من ضمّه الخافقان
أسرّ القرينة ليل العناق ... وأفنك القرن يوم الطعان
فبطن الحصان وظهر الحصان ... على بما قلته يشهدان
وقال من قصيده:

وقدم علم السلطان أني لسانه ... وكاتبه الكافي السديد الموفق

أوازره فيما عرى وأمدّه ... برأى يريه الشمس والليل أغسق
يجدد بي نوح الهدى وهو دارس ... ويفتح بي باب النهى وهو مغلق
فيمنائي يمناه ولفظي لفظه ... وعيني له عينٌ بها الدهر يرمق
ولي فقرٌ تضحي الملوك فقيرة ... إليها لدى أحداثها حين تطرق
أردّ بها رأس والجموح فشني ... وأجعلها سوط الحرون فيعق
فإن حاولت لطفاً فماء مروق ... وإن حاولت عنفاً فنار تألق
يسلم لي قسٌ وسحبان وائل ... ويرضى جرير مذهبي والفرزدق
فيغضني لنثري خاطب وهو مصقع ... ويعو لنظمي شاعرٌ وهو مفلق
معال لو الأعشى رآهن لم يقل ... وبات على النار الندى والمخلق
وله من قصيدة قالها في الحبس:

يعبرني بالحبس من لو يحله ... حلولي لطالت واشتمخرت مراكية
وربّ طليقٍ أطلق النلّ رقه ... ومعتقل عانٍ وقد عزّ جانبه
وإني لقرن الدهر يوماً تتوبني ... سطاه ويوماً تجلي بي نوائيه
ومن مد نحو النجم كيما يناله ... يداً كيدي لاقته أيدٍ تجاذبه
ولا بدّ للساعي إلى نيل غاية ... من المجد من ساع تدبّ عقارب
وإني وإن أودت بمالي نكبة ... نظيري فيها كل قرم أناسه
فما كنت كالتسطار يثري بكيسه ... ويملق إن أنحى على الكيس ساليه
ولكن كليث الغاب إن رام ثروة ... حوتها له أنياب ومخاله
بييت خميصاً طاوياً ثم يغتدي ... مباحاً له من كل طعم أطايه
كذلك مثلي نفسه رأس ماله ... بها يدرك الربح الذي هو طاليه
وللمال آفات يهنأ ربه ... بها إن تخطته إليه مصائبه
ومن يكن السلطان فيه خصيمه ... فلا عار في الغضب الذي غاضبه
وما ضربي إن غاض ما ملكت يدي ... وفي فضل جاهي أن تفيض مذهب
إذا كان مالي من طريف وتالد ... قتيل يدي فضلي فمفنيه جالبه
؟

ما أخرج من شعره في المدح

قال في المهلي الوزير:
قل للوزير أبي محمد الذي ... قد أعجرت كلّ الورى أوصافه
لك في الخافل منطق يشفي الجوى ... ويسوغ في أذن الأديب سلافه

فكأنّ لفظك لؤلؤً منخلاً ... وكأنا آندانا أصدافه
وقال فيه من قصيدة:

وكم من يدٍ بيضاء حازت جمالها ... يدٌ لك لا تسودّ إلا التّقس
إذا رقت بيض الصحائف خلقتها ... تطرّز بالظلماء أرديه الشمس
وله من قصيدة فيه:

وتعلقت بالرئيس الذي صر ... ت رئيساً مذ عديّ في العبيد
والوزير الذي غدا وزراء ال ... ملك ركنا لعزّه الموطود
أريحي مهلي سعيد ال ... جد صافي الجدوى كريم الحدود
وإذا استطق الأنامل جدات ... بيان كالجوهر المنضود
في سطور كأنما نشرت يم ... ناه منها عصائباً من برود
فقر لم يزل فقيراً إليها ... كل مبدي بلاغة ومعيد
يغتدي البارع المفيد لديها ... لاحقاً بالمقصد المستفيد
بيان شاف ولفظ مصيب ... واختصار كاف ومعنى سديد
وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجهاً إلى عمان:

لقد كنت منك السعود موفقاً ... مصادره محمودة والموارد
كأنّي بالبحر الذي خيف هوله ... وقد خاف حتى ماؤه فيه جامد
يرى منك بجرّاً زاحراً فوق متنه ... فيصبح جاري موجه وهو راكد
كأنّ عصا موسى بكفك فوقه ... وقد خرّ إعظاماً لها وهو ساجد
ستعنو لما تبغي ظهور صفائه ... وتبلغ ما قوى وجدك صاعد
فلا تخش من صرف النوائب نبوة ... فنصرك محتومٌ عليه شواهد
إذا عادة الله التي أنت عارف ... تذكرتها هانت عليك الشدائد
وقال في فاصد من غير علة:

تبع جود لا دم من يمينه ... فأضحى لكي يعطي الأطباء فاصدا
وليس به أن يفصد العرق حاجة ... ولكنه ينحو الخامد قاصدا
يسبب أسباب الندى لعفاته ... ويرقبها مستفرصاً ومراصدا
وقوله في معناه:

لهجت يمينك بالندى فبنائها ... أبدا يفيض على العفاة عطاء
حتى فصدت وما بجسمك حاجة ... كما تسبب للطبيب حياء
ولقد أرقّت دماً زكياً من يدٍ ... حقنت بتدبير الأمور دماء
تجري العلا في عرقة جري الندى ... في عوده فهو اللباب صفاء

لو يقدر الأحرار حين أرقته ... جعلوا له حب القلوب وعاء
فانعم وعش في صحة وسلامة ... تحيي الولي وتكبت الأعداء

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها:
أهلاً بأشرف أوبة وأجلها ... لأجل ذي قدم يلاذ بنعلها
فرشت لك التراب التي باشرتها ... بشفائها من كهله أو طفلها
لم تخط فيها خطوة إلا وقد ... وضعت لرجلك قبلة من قبلها
وإذا تذلل الرقاب تقرباً ... منها إليك فعزها في ذلها
وله من قصيدة:

لا تحسب الملك الذي أوتيته ... يفضي وإن طال الزمان إلى مدى
كالدوح في أفق السماء فروعه ... وعروقه متوِّجات في الندى
في كل عام تستجد شبيبة ... فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر في حلقة ... فلكية في منتهاها المبتدا
؟

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان:

ثنائي لو طولته لك قاصر ... وطولك لو قصرته لي باهر
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى ... بجهدي وغفو الجود لي منك غامر
وما زلت من قبل الوزارة جابري ... فكن رائشي إذ أنت ناه وأمر
أمنت بك الخذور إذ كنت شافعاً ... فبلغني المأمول إذ أنت قادر
لعمري لقد نلت المنى بك كلها ... وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر
كأن عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبي:
بلغت الذي قد كنت آمله بكم ... وإن كنت لم أبلغ لكم ما أوملُ
وكتب إلى صاحب:

لما وضعت صحيفة ... في بطن كفّ رسولها
قبلتها لتمسّها ... يمينك عند وصولها
وتود عيني أنّها ... قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهك ال ... ميمون غاية سولها
وله قصيدة:

نعم الله كالوحش وماتاً ... لف إلا الأخابر النساکا
نفرتها آثار قوم وصير ... ت لها البرّ والتقى أشراکا

وله في عبد العزيز بن يوسف:

أبو القاسم العزيز بن يوسف ... عليه من العياء عينٌ تراقبه
روى ورعى لما روى قول قائل ... وشيع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه
وقال لبعض الوزراء:

أنت الوزير الذي الدنيا تناط به ... وأهلها تبعٌ من دونه خول
تظل بالعز ملء الأرض أجمعها ... كأنك النّصل والدنيا لك الحلل

ما أخرج من شعره في التهاني والتهادي

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها:
لم أطول في دعوتي لمليك ... طول الله في السلامة عمره
بل تلطقت باختصار محيط ... بالمعاني لمن تأمل أمره
فهي مثل الحروف من عند المن ... د قليل قد انطوت فيه كثره
جمع الله كل دعوة داع ... مستجاب دعاؤه فيك صبره
وأعاد العيد الذي زاره العا ... م بأمر يحوزه مسره
وأراه الآمال فيه ولقا ... ه سعادته ووفاه أجره
وله من قصيدة يهنيه بالفطر . منها:

يا ماجداً يده بالجوّد مفطرة ... وفوه من كل هجر صائم أبدا
اسعد بصومك إذ قضيت واجبه ... نسكاً ووفيته من شهره العدا
واسحب بذا العيد أذياً لمجددة ... واستقبل العيش في إفطاره رعدا
وانعم بيومك من ماص قررت به ... عيناً ومنتظر يفضي إليك غدا
وفر بعمرك ممدوداً وملّكك مو ... طوداً ونل منهما الحد الذي بعدا
حتى ترى كرة الأرض البسيطة في ... يملك مملوءة أرجاؤها رشدا
وخولك الفلك الدوار متبعاً ... أوطار نفسك لا يألوك مجتهدا
وله في الوزير المهلي قصيدة عيدية:

أسيدنا هنئت نعماك بالفطر ... ووقيت ما نخشاه من نوب الدهر
مضى الصوم قد وفيته حق نسكه ... ووفاك مكتوب المثوبة والأجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزل ... من الله فيما ترتجيه على ذكر

هجرت هجود الليل فيه تمجداً ... وصبراً على طول القراءة للفجر
فلو نطقت أيامنا باعتقادها ... لناجتك لفظاً بالدعاء والشكر
وللفطر رسم للسرور وسنة ... ومثلك من أحيا لنا سنة الفطر

ولا بد فيه من سماع وقهوة ... نقضي بها الأوطار من لنة السكر
نواصل قصفاً بين يوم وليلة ... دراكاً فنستوفي الذي فات في الشهر
فمر بالذي نبغي وكن عند ظننا ... فلا زلت فينا نافذ النهي والأمر
وعاد إليك العيد حتى تمله ... بأقصر يوم طاب في أطيب العمر
أخذه من قول ابن الرومي:

وليطل عمرك مسرو ... راً بأيام قصار
وله في بعض الوزراء:

بصوم الوزير الدهر عن كل منكر ... وليس لهذا الصوم عيد ولا فطر
ويفطر بالمعروف والجود والندى ... وليس لهذا الفطر صوم ولا حظر
فأكرم به من صائم مفطر معا ... توافي لديه الأجر والحمد والشكر
وله:

إذا دعا الناس في ذا العيد بعضهم ... لبعضهم وتمادى القول واتسعا
فصير الله ما من فضله سألوا ... فيه لسيدنا الأستاذ مجتمعا
حتى يكون دعائي قد أحاط له ... بكل ذلك مرفوعاً ومستمعا
وله في المطهر بن عبد الله:

عيد إليك بما تحب يعود ... بطوالع أوقاتن سعود
متباركات كل طالع ساعة ... يوفي على ما قبله ويزيد
يأتيك من ثمر المنى بغرائب ... معدومها لك حاصل موجود
قضيبي شهر الصوم بالنسك الذي ... هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تمجد خاشع ... ما يطمئن بمقلتيه هجود
فاشرب وسق عصابة قد مسها ... عطش وجهد في الصيام جهيد
أرويتها جوداً فرو مشاشها ... راحاً فمك الجود والناجود
وتمل عيشك في سرور دائم ... سرباله أبداً عليك جديد
وقوله:

يا سيذا أضحي الزما ... ن بأسره منه ريبعا
أيام دهرك لم تزل للناس ... أعياداً جميعا
حتى لأوشك بينها ... عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقت ... شمس على أفق طلوعا
واسعد بعيد ما يرا ... ل إليك معتقداً رجوعا
وله من قصيدة في عضد الدولة:

إسلم ودم للرتبة العليا ... وتمل ملكك في أمد بقاء

واستقبل العيد الجديد بغبطة ... ومسرة وزيادة ونماء
وكفاك من نحر الأضاحي فيه ما ... نحرتم يمينك من طلال الأعداء
بهم تغفر كالبهائم جمعجت ... أشلاؤها في حومة المهيحاء
حرمت مأكليها علينا واغتدت ... حلاً لوحش القفر والبيداء
هذي مناسكك التي قضيتها ... بالسيف أو بالصعدة السمراء
ووراء ذلك للعفاة منائح ... هطلت هطول الديمة الوطفاء
ومواهب ومناقب ومفاخر ... وماثر أوفت على الإحصاء
وقوفه من أخرى:

صل يا ذا العلا لربك وانحر ... كل ضد وشاني لك أبت
أنت أعلى من أن تكون أضاحي ... ك قروماً من الجمال تغفر
بل قروماً من الملوك ذوي السؤ ... دد تيجانها أمامك تنثر
كلما خر ساجداً لك رأس ... منهم قال سيفك الله أكبر
وكتب إلى الشريف الموسوي في الأضحى:
مرحيك وصايك ... بذات الأضحى يهنيكا
ويدعو لك والله ... محب ما دعا فيكا
وقد أوجز إذ قال ... مقالاً وهو يكفيكا
أراني الله أعداء ... ك في حال أضاحيكا
وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى:
يا سنة البدر في الدياجي ... وغرة الشمس في الصباح
صمصام حرب وغيث سلم ... ناهيك في البأس والسماح

اسعد بفطر مضى وأضحى ... وافاك باليمن والنجاح
وانحر أعادي بني بويه ... بالسيف في جملة الأضاحي
فالكل منهم ذوو قرون ... يصلح للذبح والنطاح
وكتب في يوم مهرجان مع اصطربلاب إلى عضد الدولة:
أهدي إليك بنو الآمال واحتفلوا ... في مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد ... أهدي لك القللك الأعلى بما فيه
وكتب إليه مع زبيح أهدها:
أهديت محتفلاً زيجاً جداوله ... مثل المكايل يستوفي بها العمر
فقس به الفلك الدوار وأجر كما ... يجري بلا أجل يخشى وينتظر

وكتب إليه في يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجها:
أيا ملك الأرض الذي ليس بينه ... وبين ملك العرض مثل يقارنه
رأيت ذوي الآمال أهدوا لك الذي ... تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزان يحوزونه وما ... له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكنني أهديت علماً مهذباً يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذي إن قبلته ... فليس سوى تامور قلبك خازنه
وكتب إليه من الحبس، وقد أهدى إليه درهمن خسروانيين وكتاب المسالك والممالك في دفتري:
أهدي إليك بحسب حا ... لي في الخصاصة درهمن
وبحسب قدرك دفتري ... ن هما جميع الخافقين
فإذا فتحتهما رأي ... ت بيان ذاك بلحظ عين
وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب:
تصبح بعز واعتلاء جدود ... وابشر بخير واطراد سعود
وقل مرحباً بالمهرجان وحيه ... بطلعة بسام أغر مجيد
له زورة في العام ما زال يومها ... كفيلاً بحظي سيد ومسود
فيحظى بفخر من علاك مجدد ... وتحظى بعمر في مداه جديد
تراه إذا ما جاء طامح مقلة ... إليك وإن ولى فتاني جيد
أنتك الهدايا فيه بين موفر ... على قدر المهدى وبين زهيد
فبان على يمينك حين ملدتها ... تكلف فياض اليدين مفيد
تقاعس عن بسط القبول ولم تكن ... لها عادة إلا ببسطة جود
ولكن إذا أهدى لك الله نعمة ... ملدت لها كفيك مد رشيد
وقد نزلت منه إليك هدية ... بمرجان ما محصوها ببعيد
وما بيننا إلا المسافة فانتظر ... ورود بشير فوق ظهر بريد
ولما رأيت الله يهدي وخلقه ... تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالي في الهدية درهماً ... يطير من الأنفاس يوم ركود
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي ... وتقييله بالشكل مثل قيودي
ألاطف مولانا وكالماء طبعه ... تسلسل من عذب النطاق برود
زلاًلاً على المستعطفين وجلماً ... على كل عريض ألد مرید
وكتب إليه في يوم نيروز:
تمن بهذا اليوم واحظ بخيره ... وكن أبداً بالعود منه على وعد
أرى الناس يهدون الهدايا نفيسةً ... إليك ولم يترك لي الدهر ما أهدى
سوى سكر يحلو لك العيش مثله ... وآسٍ أخي عمر كعمرك ممتد

وبينهما من ضرب قومك درهم ... وأبيات شعر من ثنائي ومن حمدي
فإن كنت ترضى ما به انبسطت يدي ... وتقبله مني فهذا الذي عندي
وكتب إليه:

تعذر ديناري علي ودرهمي ... فلاطفت مولانا ببيتين من شعري
وكم بيت شعر زاد بالشكر قدره ... على بيت مال من لجين ومن تبر
وكتب إلى صمصام الدولة:

دامت لمولانا سعادته ... موصولة دائمة ترى
ونال ما أمل من ربه ... في هذه الدار وفي الأخرى

وزاده النيروز في ملكه ... عزاً وفي دولته نصراً
لما رأيت الناس لم يتركوا ... فيما ادعوا نظماً ولا نثراً
أعملت فكري في دعاء له ... يجمع ما جاءوا به طراً
فقلت بيتاً واحداً كافياً ... لم يعد في مقداره سطرأ
لا زالت الدنيا له منزلاً ... يأويه والدهر له عمراً
وكتب إليه مع اصطرباب أهدها:

يعز علي أن أهدي نحاساً ... إلى من فيض راحته نصاراً
ولكن الزمان اجتاح حالي ... وأنت عليه لي إذ جار جار
تب إلى بعضهم مع فنجان صفر:

تهدي النحاس إلى مولى أنعمه ... تهدي النصار إلى العافين منتهباً
وكان يلزمنا لو لا التعذر أن ... يكون إهداؤنا من عين ما وهبا
لكن بعدي ن جدواه أصفرني ... من كل خير فصار الصفر لي نشبا
وسوف أظفر من أخلاط نائله ... بالكيمياء فيضحني صفرنا ذهباً
فليبسط الآن عذراً لست أسأله ... في قابل إن أنل من خدمة سببا
فقد جرى الماء في عودي بدولته ... وكان من قبله مستيبساً حطبا
وأقبلت نحوي الآمال آتية ... من بعدما أزمعت من ساحتي هربا
وكتب في يوم نيروز وقد أهدي بطيخة إلى كافور:

أسعد وزير الملك بالنيروز ما ... سجعت مطوقة على أعوادها
وافي فأنجز وعد عام أول ... بميامين ستكر من ميعادها
تهدي إليك به هدايا كلها ... من راحيتك حقيقة استمدادها
فتمد كفاً نحوها نشأت على ... إرقاد أيدي الناس لا استرفادها
عادتها إعطاء ما قد أعطيت ... أكرم بعادتها وبالمعتادها

ولقد طلبت فلم أجد شيئاً سوى ... كافورة لم آل في إعدادها
وبديع أبياتٍ إذا هي أنشدت ... نفقت بضاعتها على نقّادها
فالصبح من تلك ابيضاض أديمها ... والليل من هذي اعتكار مدادها
ولو أنني مكّنت من عيني التي ... هي بعض حقك يا معيد رقادها
لسكبت كافوري بشحم بياضها ... وكتبت أبياتي بذوب سوادها
وكتب إلى المطهر بن عبد الله بهنّته باليوم الأجود:
نل المني في يومك الأجود ... مستنجحاً بالطالع الأسعد
وارق كمرقي زحل صاعداً ... إلى المعالي أشرف المصعد
وفض كفيض المشتري بالتدنى ... إذا اعتلى في برجه الأبعد
وزد على المريخ سطواً بمن ... عاداك من ذي نخوة أصيد
واطلع كما تطلع شمس الضحى ... كاسفة للحنلس الأسود
وخذ من الزهرة أفعالها ... في عيشك المقتبل الأرغد
وضاه بالأقلام في جريها ... عطارد الكاتب ذا السؤدد
وباه بالمنظر بدر الدجى ... وأفضله في بهجته وازدد
واسلم على الدهر ولا تخش من ... مكروهه الرائح والمعتدي
ذا مهجة آمنةٍ لللاذي ... ما أمّنته مهجة الفرق
وكتب إلى بعض الرؤساء يهنّته بخلعه سلطانية:
قرّم علته ملابس العلياء ... فعلا على النظراء والأكفاء
أهدت إليّ سرورها مثل الذي ... أهدي مساءتها إلى الأعداء
ومن العجائب أنّي هنأته ... وأنا المهناً فيه بالنعماء
لا زال يفترع المراتب صاعداً ... حتى يجوز محمّلة الجوزاء
وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنّته بالخروج من الأستار:
صح أنّ الوزير بدرٌ منير ... إذ توارى كما توارى البدور
غاب لا غاب ثم عاد كما كا ... ن على الأفق طالعاً يستير
لا تسليني عن الوزير فقد نب ... ئت بالوصف أنّه سابور
لا خلا منه صدر دستٍ إذا ما ... قرّ فيه تقرُّ منه الصدور
وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها:
قد كنت طلقت الوزارة بعدما ... زلت بها قدم وساء صنيعها
فعدت لغيرك تستحيل ضرورة ... كيما يحل إلى ذراك رجوعها
فالآن آلت ثم آلت حلقة ... أن لا يبيت سواك وهو ضجيعها

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال:

يا جامعاً لخلال ... قبيحة ليس تحصى
نقصت من كل فضل ... فقد تكاملت نقصا
لو أن للجهل شخصاً ... لكنت للجهل شخصاً

وقال:

أيها النابح الذي يتصدى ... بقبيح يقوله لجوابي
لا تؤمل أنني أقول لك احسأ ... لست اسخو بها لكل الكلاب

وقال:

يا ذا الذي صام عن الطعم ... ليتك قد صمت عن الظلم
هل ينفع الصوم أمراً ظالماً ... أحشاؤه مألئى من الإثم

وقال:

أبو الفضل إذا يحص ... ل فيما بينا فضل
وما نؤثر أن يدخ ... ل في شطرنجنا بغل
وقال في إنسان ساقط لبس عمامة سرية:

يا من تعمم فوق رأس فارغ ... بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقبح كل شيء تحتها ... فكأنها نور على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبي ... من شر شيء في أجل إناء
لو أنني مكنت مما اشتهي ... وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها ... في رأس حرّ من ذوي العلواء

وقال:

ألا قل لأهل الدولة النذلة التي ... ثوى داؤها فينا وأعيادها
لقد كبت الدنيا على أم وجهها ... فنحن لها أرض وأنتم سماؤها
فلا تغفلوا بالحظ منها فإنه ... قليل على هذا الخال بقاؤها

وقال:

وراكب فوق طرف ... كأنه فوق طرفي
له قذال عريض ... يجل عن كل وصف
يذوب شوقاً إليه ... نعلي وخفي وكفي

وقال:

قرن ابن هاورن قد تهادى ... علوه فالغيور غيره

فكاشفته البطراء جهراً ... بفسقها حين قل خير
خلت به للنكاح يوماً ... فقام حرها ونام أيره
وقال:

بيدي اللواط مغلطاً وعجانه ... أبداً لأعراد الورى مستهدف
فكأنه ثعبان موسى إذا غدا ... لحبالهم وعصيتهم يتلفف
وقال:

يا رب عالج عالج ... مثل البعير أهوج
ذي فيشة عظيمة ... إن دخلت لم تخرج
رأيته مطلعاً ... من خلف باب مرتج
وتحته دنيّة ... تذهب طوراً وتحي
فقلت: فاضي أيدج؟ ... فقال قاضي أيدج
وقال في رئيس أمرد:

وأرعن من سكر الحداثة ما صحا ... دفعنا إلى تعظيمه وهو ما التحي
له همّة لكنّها في حتارة ... فما يطلب العلياء إلا لنكحا
فلو أن ما قاسى من الأير دبره ... يقاسيه من سير المعلم أفلحا
وقال في إنسان شريف الأصل وضيع النفس:
قل للشريف المنتمي ... للغرّ من سروات
آبائه وجدوده ... والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه ... وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في ... أخلافه وصفاته
لا تجرين من الفخا ... ر إلى مدى لم تاته
شاد الألى لك منصباً ... قوضت من شرفاته
وأبوك متصل به ... لعققتهم ببناته
إن الشريف النفس لي ... ست تلك من فعالاته
والعود ليس بأصله ... لكنه ببناته
والماء يفسد إن خلط ... ت أجابه بفراته
وأحق من نكسبه ... بالصفع من درجاته
من مجده من غيره ... وسفاله من ذاته
وقال في هجاء أبحر:

إني بليت بقرنان يساريني ... سيّان عندي مجشاه ومفساه
القبر نكهته، والسّم ريقته ... والموت عشرته، والبخر نجواه

وفي المعنى:

في أبي الفضل من النق ... ص ضروب وصنوف
رجل في وعده خل ... ف، وفي فيه خلوف

فإذا قاوضك القو ... ل فقد فاض كيف

وقال:

لم تر العين أبجراً ... كابن نصر ولا ترى
مدخل الخبز منه أخ ... بث من مخرج الخرى

وقال:

قد أبصرت عيني العجائب كلها ... ما أبصرت مثل ابن نصر أبجر
ما شم نكهته أمرو متعطر ... إلا استحال مخاطه منها خرى

وقال:

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة ... في الخاقين لتن فيه الفاسد
فكان أهل الأرض كلهم فسوا ... متواطئين على اتفاق واحد

وقوله:

يا ابن نصر ته ما شئت بالبخرة ... إذا بلغتك حالاً شريفه
لك في الناس مثل معجزة الخض ... ر، وإن كنت منه بتس الخليفة
لا يشمون حين تجتاز طيباً ... ويشمون حين تجتاز جيفة

وقال:

ما مرّ بي في عمري ... مثل سرار القنطري
مكّته من أذني ... فبال فيها وخرى

وقال من قصيدة لأبي الفضل الشيرازي يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويذره من شخص عرض به:

نبّ هذا التيس نبّا ... وعلى الغلمان هبّا

كلّما نادى غزلاً ... منهم للنيك لتي

ما رأينا قبل هذا ... رشاً طاوع كلبا

ليس فيهم صغير ... وكبير يتأتّى

وغدت دار أبي القفض ... ل لهذا التيس زربا

وهو يزداد على ذا ... ك به ضناً وعجبا

يا أبا الفضل استمع نص ... ح امرئ يصفيك حبّا

سرح غلمانك للسر ... حان قد أصبح هبّا

ما أخرج من شعره في الشعر

قال:

أحبّ الشعر يبتدع ابتداءً ... وأكره منه مبتذلاً مشاعاً
ولي رأي غيور في المعاني ... فما آتي بها إلا افتراءاً
وقدماً كانت الأبقار أحظى ... من العون التي انتهت شعاعاً

وقال:

رب شعر أطاله طول معنا ... ه وإن قلّ لفظه حين يروى
وطويل فيه الكلام كثير ... فإذا ما استعدته كان لغواً
عرض البحر وهو ماء أجاج ... وقليل المياه تلقاه حلواً

وقال:

لقد شأن شأن الشعر قوم كلامهم ... إذا نظموا شعراً من الثلج أبردُ
فيا رب إن لم تقدمهم لصوابه ... فأضلّهم عن وزن ما لم يجدوا
وقال من قصيدة في الصاحب:

لو تراخيت عن مديحك لاستج ... ررت من كلّ نعمة لك هجوا
فتأمل وانظر إليه إذا ما ... طبق الخافقين حضراً وبدوا
كيف تحدو به عفاتك حدواً ... ثم تشدو به قيانك شدوا

ما أخرج من شعره في العتاب

قال من قصيدة:

وأيام تعدّ عليّ عدّاً ... وحظي من رغائبها يفوتُ
يظنّ الناس لي فيها ثراء ... وحسي من ظنون الناس قوت
كأني من تخصمهم مكيّن ... وحالي من خصاصتها تموت
ولم آل اجتهداً واحتفالاً ... ولكن أعيت الحيل البخوت
إذا رام الكريم شكاة بثّ ... فغايبته التحمّل والسكوت
وقال من قصيدة في عبد العزيز بن يوسف:

كفاني علاء حين أفخر أنّي ... أضاف إلى عبد العزيز وأنسبُ
حنته عليّ الحانيات فصرت في ... كفالته كالابن وهو له أب
فها أنا كالأولاد والفرع أشمط ... وها هو كالآباء والفرع غيب
ومنها:

عممتم جميع الناس حسناً لحسن ... وغفواً لذي جرم فغيثوا واخصبوا
فما بال إبراهيم إذ ليس قبله ... وليّ عراقيّ غداً وهو مجذب
مجليهم في حلبة أرسلوا ... وسكيتهم في رتبة حين رتبوا

ومالك يا عيني البصيرة غمضت ... جفونك عني أبكي وأندب
وكيف استطبت العيش في ظل نعمة ... غلامك عنها بالعراء يعذب

أتضرب صفحاً وادع الجأش ساكناً ... وجبي على رمضائه يتضرب
متى لم يكن ترياق جاهك ضامناً ... نجاتي إذا دبت إلى الحال عقرب
و مالي إذا لم أسق رياً من الحيا ... ولم ترو مني غلة الروح أخصب
ولكنه التقويم إن كان طعمه ... أمر فعقباه الحميدة تعذب
ومن ذا الذي أهلتموه لنكبة ... تقومه إلا العذيق المرجب
إذا منصل بالغتم في صقاله ... فما هو إلا المشرفي المنجرب
ولم تشحذوا حديه حيفاً وإثماً ... تريدون أن تسطوا به وهو مقضب
تجرّعت هذا الشري كالأري عالماً ... بأن سوف يحلو لي جنى فيه طيب
ويا سوء حالي لو جريت لديكم ... بمجرى الذي لا يصطفي فيهدب
فصبراً على بؤسي قليل بقاؤها ... لنعمي لنا فيها مراد ومرحب
لئن غمني التأنيب فيكم وساعني ... لقد سرّني أن كنت ممن يؤنب
وعلمي باستحكام حقي لديكم ... يحقق ظني إن جرمي سيوهب
وإنك للحر الذي لي عنده ... ودیعة ودّ خيرها مترقب
وقال:

صديق لكم يشكو إليكم جفاكم ... وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاك ... وللغيب مأمون وللحبل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه ... مقيم وقد جمت عليه البلال
أكابرنا عطفاً علينا فإننا ... بنا ظمأً برح وأنتم مناهل
وقال:

ومن الظلم أن يكون الرضا س ... راً ويبدو الإنكار وسط النادي
ومن العدل أن يشاع بهذا ... مثل ما شاع ذاك في الإشهاد
كي يسرّ الصديق بالعفو عني ... مثل ما سر بالنكير الأعادي

ما أخرج من شعره في الشكوى والحس

قال:

قد كنت أعجب من مالي وكثرته ... وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
حتى انشت وهي كالغصبي تلاحظني ... شزراً فلم تبقي لي شيئاً من النشب
فاستيقنت أنّها كانت على غلط ... فاستدركته وأفضت بي إلى الحرب

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما ... وليس يرجى التقاء اللب والذهب
وقال أيضاً:

كأنّ الدهر من صبري مغيظ ... فليس تغبني منه الخطوب
يحاول أن تلين له قناتي ... ويأبى ذلك العود الصليب
ألاقي كل معضلة نادٍ ... بوجه لا يغيره القطوب
وأعتق العظيمة إن عرتني ... كأنّ قد زارني منها حبيب
وين جوارحي قلب كريم ... تعجب من تماسكه القلوب
تلوح نواجذي والكأس شربي ... وأشربها كأني مستطيب
ف فوق السّرّي جهرٌ ضحوك ... وتحت الجهر لي سر كئيب
سأثبت إن يصادمني زماني ... بركنيه كما ثبت النجيب
وأرقب ما تحيء به الليالي ... ففي أثنائه الفرج القريب
وقال:

قاسيت من دهري سفيهاً ... ما إن رأيت له شبيهاً
ثبتت نصال سهامه ... في ثغرة لي تنتحيتها
فكأنني استقبلته ... بمقاتلي إذ أتتها
وقال:

إذا لم يكن يدّ من الموت للفتى ... فأروحه الأوحى الذي هو أسرع
وما طال عمر قط إلاّ تطاولت ... بصاحبه روعات ما يتوقع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به ... فمحصوله خوفٌ وعقابه مصرع
وقال:

إذا جمعت بين امرأين صناعة ... وأحببت أن تدري الذي هو أحق
فلا تنفقد منهما غير ما جرت ... به لهما الأرزاق حين تفرّق
فحيث يكون القص فالرزق واسع ... وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق
وقال:

عهدي بشعري وكلّه غزل ... يضحك عنه السرور والجلل
أيام همّي بحبة بهم ال ... قلب عن النائبات مشغل
فالآن شعري في كلّ داهية ... نيرانها في الضلوع تشتعل

أخرج من نكبة وأدخل في ... أخرى فتحسبي بمن متصل
كأنها سنة مؤكدة ... لا بد من أن تقيمها الدول
فالعيش مرٌّ كأنه صبرٌ ... والموت حلو كأنه عسل

وقال في الاستتار من قصيدة:

ليس لي منجد على ما أقاسي ... من كروبي سوى العليم السميع
دفترني مؤنسي وفكري سميري ... ويدي خادمي وحلمي ضجيع
ولساني سيفي وبطني فريضي ... ودواقي عيني ودرجي ربيعي
أتعاطى شجاعة أدعيها ... في القوافي لقلبي المصدوع
بمقال أعزّ من ليث غاب ... وفعال أذلّ من يربوع
كلما هرّ في جواربي هرّ ... كاد ينقضي إلى فؤادي المروع
وإذا اجتاز في السطوح فمقبل قبوع الجرذان منه قبوعي
وكتب من الحبس قصيدة منها:

كتبتُ أيقك السوء من محبس ضنك ... وعين عدوي رحمة منه لي تبكي
وقد ملكني كفّ فطّ مسلّط ... قليل التقى ضار على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فازددت صفوة ... كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك
؟وكتب إلى صديق له وهو محبوس:

نفسي فداؤك غير معتدّ بها ... إذ قد مللت حياتها وبقائها
ولو أنّ لي مالاّ سواها لم أكن ... أَرْضَى لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِزَاءَهَا
لكن صفرت فلم أجد إلا التي ... قد آن لي أن أستطيل ذمائها
فإذا شكرت لمن فداك فإني ... لك شاكرٌ أن قد قبلت فداها
وكأنني المفديّ حين أرحمني ... من نائبات ما أطيق لقاءها
وكتب وهو في الحبس إلى أبي العلاء صاعد بن ثابت:
أيها السيد قد كن ... ت إلى الوصل تسارعُ
وتراعينا ببر ... موالٍ متتابع

فلماذا قد تسربل ... ت لنا سربال قاطع
نحن كالنسرين في الصحبة ... لكّني واقع
وعلى الطائر أن يغشى ... أخاه ويطالع

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف، وقد كان زاره في معتقله رقعة هذه نسختها: لقد قوي
دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي، وجد أنسي. وأعزب نحسي، ووسع حبسي. فدعوت الله تعالى بما قد
ارتفع إليه، وسمعه له. فإن لم أكن أهلاً لأن يستجاب مني، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه، وأقول مع
ذلك:

دخلت حاكم حكام الزمان على ... صنيعة لك رهن الحبس ممتحن
أخنت عليه خطوب جار جائرها ... حتى توفاه طول الهمّ والحزن
فعاش من كلمات منك كنّ له ... كالروح عائدة منه إلى البدن

وقال في مستخر مال كان يرفق به حال مصادرتة ويتشكر منه في تلك الحال:

لله در أبي محمد الذي ... ضمنت إساءته بنا إحسانا
طويت جوانحه على خيرية ... مكتومة تبدو لنا أحيانا
حر تكلف غير ما في طبعه ... من قسوة تكسو العزيز هوانا
عكس النفاق لنا فأخفى باطنا ... حسنا وأظهر ضده إعلانا
وله خلال العسف رفقاً ربما ... سغشى الضعيف الراحح الحيرانا
مستخرج للمال مضطر إلى اس ... تعامل ما يرضي به السلطانا
متلطف في فقرنا ولو أنه ... وجد السبيل إلى الغنى أغنانا
يتطرق الأستار لا عن نية ... ولو استطاع لها الصيانة صانا
متوعر الجنبات في استخراجه ... وإذا تعطف للفتوة لانا
فتراه في ديوانه مستأسداً ... ليثاً وفي خلواته إنساناً
رجلٌ يؤدّبنا ونحن مشايخ ... مثل المعلم يضرب الصبيانا
عدنا وقد شينا إلى حال الصبا ... في مكتب يستشهد الولدانا
نمواه علماً أنه خير لنا ... من غيره أن قلّد الديوانا
عجباً له إذ هذه آثاره ... فينا وهذا شكرنا وثنانا
فالله يحفظه علينا راضياً ... ويعيدنا من بأسه غضباناً

وقال أيضاً في الحبس:

إذا لم يكن للمرء بدٌّ من الردى ... فأسهله ما جاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاء وهو رائع ... تطيف به اللذات والخط مسعد
فإن أك شرّ العيشتين أعيشها ... فأني إلى خير المماتين أقصد
وسيان يوماً شقوة وسعادة ... ذا كان غباً واحداً لهما الغد
وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة:
توجهت نحو المشهد العلم الفرد ... على اليمن والتوفيق والطائر السعد
نزور أمير المؤمنين فياله ... وبالك من مجد مسيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائراً ... ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفان عارض نعمة ... بصوت بلا يرق يروع بلا رعد
وتابعت أهلها ندىً بمثوبة ... فرحت إلى فوزٍ وراحوا إلى رقد
أمولاي مولاك الذي أنت ربه ... إليك على جور النوائب تستعدي
وهذي يدي مدّت إليك بقصة ... أعينك فيها من إباء ومن ردّ
أتاني شتاءٌ ليس عندي دثاره ... سوى لوعة في الصدر مشبوبة الوقد

فلو أن برد الجلد عاد إلى الحشا ... وفار الحشا الحران مني على الجلد
أزيمحت لنفسي علّتها فأعرضت ... عن البث والشكوى إلى الشكر والحمد
وداويت داء النقصين ذا بذاً ... أعدّل إفراطاً ن الصد بالصد
ولكني أستبطن الحر كربه ... وأستظهر الصّر الشديد من البرد
وكم تثبت الحوباء في شبح به ... جروح دوام من مناحسة النكد
أليّمات وقع لو تكون يبدل ... تضعضع ركنه تضعضع منهّد
فلو لا رجاء ملء أرجاء أضلعي ... وعلم يقين بالرعاية والعهد
وأن نسّم الانعطاف قهب لي ... هبوب نسّم النرجس الغضّ الورد
قضيت بإحداهن نجي حسرة ... ولو كان لي قلب من الحجر الصلّد
وهني قد حملتها فأطقتها ... إطاقة صلب العود مصطبر جلد
فمن لي بصبر عن جبينك لامعاً ... إذا شيم ما بين السماطين من بعد
براني بريّ القدح شوق مبرح ... إليه ووجد جلّ عن صفة الوجد
إذا أبصرت عيناى خدّاً معفراً ... نقلت الترب منه إلى خدي
وإن سمعت أذناى عنك محدثاً ... لهجت بتكرير الحديث الذي بيدي
فذكراك جهري حين يطرق زائري ... ونجواك سري حين أخلو بها وحدي
فلا تبعدني عنك من أجل عشرة ... فإن جياذ الخيل تعثر إذ تخدي
ولو كنت تنفي كلّ من جاء مخطئاً ... إذا لعممت الناس بالنفي والطرّد
ومن زل يوماً زلة فاستقالها ... فذاك حقيق بالهداية والرشد
ولي عند مولانا ودیعة حرمة ... وشكر أياديه ودیعتة عندي
فإن عشت كانت عدي وذخیرتي ... وإن لم أعش فهي التراث لمن بعدي
توالت سنيّ أربع ومدامعي ... لها أربع كالسلك سلّ من العقد
أحوم إلى رؤيک كما أناها ... حيام العطاش الناظرات إلى الورد
فيا أيها المولى الذي اشتاق عبده ... إليه أما تشتاق يوماً إلى العبد؟
فإن كان لم يبلغ إلى رتبة الرضا ... فبلّغه فيما قبلها رتبة الوعد
ومر أمرک العالي بتغيير حاله ... وتخفيف ما يلقي من البؤس والجهد
لعلک ترضى عودةً بعد بدآة ... فيغدو بوجه أبيض بعد مسودّ
فقد يجبر العظم الکسير وربما ... ترايد بعد الجبر شلّة مشدّد
وقال:

هجرت دواقي بعد تصريف حلّها ... وواصلت كالورّاق قارورة الخبر
وعاشرت من دون الأخلاء دفتراً ... يحدّث عما مرّ في سالف الدهر

فطوراً يسليني التعلل بالمنى ... وطوراً يكون الموت مني على ذكر
قال:

جملة الإنسان جيفة ... وهولاه سخيفة
فلماذا ليت شعري ... قيل للنفس شريفة؟
إنما ذلك فيه ... صنعة الله اللطيفة
وقال أيضاً:

أتهاب في العزمات ظ ... لما ربما وقيت عنه
وأمامك الموت الذي ... أيقنت أن لا بدّ منه
هذي سبيل الخائب الك ... ابى الزناد فلا تكنه
الدهر خوآن ول ... كن كم سعيد لم يخنه!
وشقيّ جدّ قد تحرّ ... ز بالتصوف لم يصنه
فاحذر مراراً أن يخو ... ن ومرة لك فأتمنه
واستبر لحظك بالثقل ... ب في المطالب وامتنحه
وابسط رجاءً قد قبض ... ت وثق بربك واستعنه
وقال أيضاً

ألا أيها الإنسان لأنك آيساً ... من الدهر أن يصفو عليك مشاربه
فإنّ لك حتماً من الشر واجباً ... وحتماً من الخير الهنيّ عواقبه
وإن تلق من حتميه ما كنت تبتغي ... فأولى بك الحتم الذي أنت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارهاً ... ككسبك ما تخشى وأنت مجانبه
وقال:

قد تحبّ الجواد نائبة الله ... ر وفيها على البخيل وقاحة
كم رأينا من نعمة قادها البخ ... ل وأخرى تذود عنها السماحه
ربما ضرها التشددّ والضّـب ... ط فأضحت من أصلها مجتاحة
فهى محمّية إذا نيل منها ... وإذا عزّ نيلها مستباحه
وخصوم الشحيح يسعون فيما ... غض من طرفه وهاض جناحه
وبنات القلوب تصغي إلى من ... كان أسخى نفساً وأطلق راحه

ما أخرج من شعره في الشيب والكبر

وذكر آخر أمره

قال:

يقول الناس لي في الشيب عن ... يزيد به جلال المرء ضعفاً

ولو لا أنه ذلٌّ وهون ... لما احتكم المزين فيه ننفا

أخذه من قول الأول:

كفأك من ذلتي للشيب حين بدا ... أني توليت نتفي لحيتي بيدي

وقال:

لقد أخلقت جدتي الحادثات ... ومن علش في ربيها يخلق

وبذلني صلعاً شاملاً ... من الشعر الفاحم الأغسق

وقد كت أصلع من عارضي ... فقد صرت أصلع من مفرقي

وقال:

لما دهنتي السنون بالصلع ... وقل مالي وضاق متّسعي

حاسبت عن لمتي مزيتها ... حساب شيخ للحزم متّع

قلت له اقنع عن قسط نابتها ... بالربّع ممّا به عملت معي

واعمل على أنما مزارعة ... شكوت فيها شكاة متّضع

فاحطط خرج الذي أصبت به ... واستوف متّي خراج مزدرع

وقال:

وجع المفاصل وهو أي ... سر ما لقيت من الأذى

جعل الذي استحسنته ... واليأس من حظي كذا

والعمر مثل الكأس ير ... سب في أواخره القذى

وكتب إلى أبي الحسن النقيب الموسوي:

أقعدتنا زمانةً وزمان ... عائق من قضاء حق الشريف

فاقتصرنا فيما نؤدي من الفر ... ض على الكتب والرسول الحصيف

والفتى ذو الشباب يبسط في التق ... صير عنر الشيخ العليل الضعيف

وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته، وسوء أثر السن عليه، وحاجته إلى الجلوس في الخفة إذا أراد التصرف

في حوائجه. وذلك في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة:

إذا ما تعدّت بي وسارت محفّة ... لها أرجل يسعى بها رجالان

وما كت من فرسانها غير أنما ... وفّت لي لما خانت القدمان

نزلت إليها عن سراة حصان ... بحكم مشيي أو فراش حصان

فقد حلمت متّي ابن تسعين سالكاً ... سيلاً عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهد الصبيّ وقبلها ... ذعرت ليوث الغيل بالنزوان

ولي بعدها أخرى تسمى جنازة ... جنينة يومٍ للمنية داني
تسير على أقدام أربعة إلى ... ديار البلى معدودهن ثماني
وإني على غيث الردى في جوانبي ... وما كف من خطوي وبطش بناني
وإن لم يدع إلا فؤاداً مروعا ... به غير باق من أذى الخفقان
تلوم تحت الحجب يفت حكمة ... إلى أذن تصغي لنطق لسان
لأعلم أني مَيِّتٌ عاق دفنه ... ذمء قليل في غدٍ هو فاني
وإن فماً للأرض غرثان حائماً ... يراصد من أكلي حضور أوان
به شره عم الورى بفجائع ... تركز فلاناً ثاكلاً لفلان
غداً فاغراً يشكو الطوى وهو رائع ... فما تلتقي يوماً له الشفتان
فكيف وحدّ القوت منه فناؤنا ... وما دون ذاك الحدّ رد عنان
إذا عاضنا بالنسل ممن يعوله ... تلا أولاً منه بمهلك ثاني
إلى ذات يومٍ لا ترى الأرض وارثاً ... سوى الله من إنسٍ يراه باني
محمداً المحمود من آل أحمد ... أبا كلّ بكرٍ في العلا وعوان
أبا حسنٍ قطعت أحشاء حاسد ... طواها على البغضاء والشنآن
يراك بحيث النجم تصدع قلبه ... بحد لسان أو بحد سنان
جرى جاهداً والعفو يفوته ... فكان هجيناً طالباً لهجان
وأنت سماء في الذؤابة صاعداً ... وذاك حضيض في القرارة عاني
أقيلك الرد إني تبّهت من كرى ... وسهو على طول المدى اعتوراني
فأثبتُ شخصاً دانياً كان خافياً ... على البعد حتى صار نصب عياني
هو الأجل الخنوم لي جد جدّه ... وكان يريني غفلة المتواني
له نذرٌ قد آذنتني بهجمة ... له لست منها آخذاً بأمان
ولا بد منه ممهلاً أو عاجلاً ... سيأتي فلا يشنيه عني ثاني
هنالك فاحفظ في بنيّ أذمتي ... وذد عنهم روعات كل زمان
فإني أعتدُّ المودة منك لي ... حساماً بع يقضون في الحدثان
ذخرت لهم منك السجايا وإثها ... لأنفع مما يذخر الأبوان
وفاءً ومدّاً للنجاح عليهم ... وضناً بهم عن مس كل هوان
وحرمة أسلاف كرام حقوقها ... ديون على الخلين يصطحبان
وحظك منها حسب شأنك إنّه ... تعاظم قدراً أن يقاس بشان
وقد ضمن الله الجزاء الحسن ... وحسبك من واف وفي بضمنان
وهذا قريضي وهو همّ بعثته ... إلى همّة عذراء ذات بيان
فكنت كمن جارى جواداً بمفرق ... قوائمه مشكولة بحران

فإن لثمتني بالغبار سوابقاً ... قوافيه من لفظ وحسن معاني
فلا عار إن قصرت دون مبرز ... شأن الناس قبلي سعيه وشآني
وعنري إليه خاطر كل بعدما ... ثوى وهو ماضي الشفرتين يميني
كذا الدهر إمّا عاد ينقض ما بنى ... وإما بنى ما ينقض الملوان
وإن أخرتني اليوم سنّ تقدمت ... فقد أسلفتني حوز كلّ رهان
ليالي طارت بي عقابُ بلاغتي ... وبذت بغاثا ما استطاع يراني
أبابل جابت دون إدراك غاييتي ... على أنّها لم تأل في الطيران
فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها:

ظماني إلى من لو أراد سقائي ... وديني على من لو يشاء قضائي
ولو كان عندي معسراً لعذرته ... ولكنه وهو المليّ لواني

رمى مقلتي واسترجع السهم دامياً ... غزالٌ بنجلاوين تنتضلان
أأرجو شفائي منه وهو الذي جنى ... على بدني داء الضنى وشجاني
أبيت فلم استسق من كان غلّتي ... ولم استرش من كان قبل يراني
فإن أسر فالعلياء همّي وإن أقم ... فإني على بكر المكارم باني
وإن أمض أترك كلّ حيّ من العدى ... يقول ألا الله نفس فلان
أكرر في الإخوان عينا صحيحة ... على أعين وضربني عنده بجران
هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله ... بشيمة لا وان ولا متواني
إخاءٌ تساوي وذاً وألفاً ... رديع صفاء لا رضيع لبان
تمازج قلبانا تمازج إخوة ... وكلّ طلوبي غاية أخوان
وربّ قريب بالعداوة ساخط ... وربّ بعيد بالمودة داني
وغيرك ينبو عنه طرفي مجانباً ... وإن كان مني الأقرب المتداني
لئن رام قبضاً سن بناتك حادث ... لقد عاضنا منك انبساط جنان
وإن برّ من ذاك الجناح مطاره ... قرب مقال منك ذي طيران
وإن أقعدتك النائبات فطالما ... سرى موقراً من مجلك الملوان
وإن هدمت منك الخطوب بمرّها ... فثمّ لسان للمناقب باني
مآثر تبقى ما رأى الشمس ناظرٌ ... وما سمعت من سامع أذنان
وموسوعة مقطوعة العقل لم تزل ... شوارد قد بالغن في الجولان
وما زل منك الرأي والحرم والحجى ... فتأسى إذا ما زلت القدمان
ولو أن لي يوماً على الدهر إمرة ... وكانت لي العدوى على الحدثان
خلعت على عطفك برد شيتي ... جواداً بعمرى واقتبال زماي

وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي ... وإن فلّ من غربي وغض عناني
وناب طويلاً عنك في كل عارض ... وخط بخطوٍ أخمصي وبناني
على أنه ما انفل من كان دونه ... حميم يرامي عن يد ولسان
وما كل من لم يعظ نهضاً بعاجز ... ولا كل ليث خادر بجبان
وإنك ما استرعيت مني سوى فتى ... صبورٍ على رعي المودة حاني
حقني إذا ما ضيع المرء قوله ... وفي إذا ما خون العضدان
من الله استهدي بباك وأن ترى ... محلاً لأيام العلا بمكان
وأسأله أن لا تزال مخلّداً ... بملقى سماع بيننا وعيان
إذا ما رعاك الله يوماً فقد قضى ... مآرب قلبي كلها ورعاني
وكتب إليه أبو إسحاق أيضاً، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته اثنا عشر يوماً، ولعلها آخر
شعره:

أبا كل شيء قيل في وصفه حسن ... إلى ذاك ينحو من كذاك أبا الحسن
فوحدها للاختصار إشارة ... إلى جملة تفصيلها لك مرتقن
تحوّلتها في خلقة وخليقة ... وإن لم تكن أنت الخلق بها فمن
وما هي إلا كنية لك إرثها ... وإن مسها من غير أربابها الدرن
؟ولو أن في تحريمها لي قدرة لما أصبحت في غير بيتك تمتهن
ألست لها بعد الموصي وآله ... وأنتم أنلس فيكم المجد قد قطن
ولكنّ هذا الدهر جار عليكم ... وبالغ حتى في الكنى لكم محن
يجاذبكم عليها كم كل حاسدٍ ... به مرضٌ بين الحيازم قد كمن
فيجري إلى غاياتكم طالباً لها ... على غير منهاج وأنتم على السنن
مناقبكم حقّ بدت بيناته ... ودعواه أضغاث يراهن في الوسن
لكم في الثريا خطة وهو في الثرى ... فيا بعدها من أن يلزّهما قرن
وقد تستوي الأشخاص في عين من رأى ... وتفترق الأعيان في فهم من فطن
وبين وسيمات الوجوه تشابهة ... فكن فاصلاً بين التهيج والسمن

وإن جلدة الوجه الوسيم تغضنت ... فلا تحسبن تلك الغضون بما عكن
توقلتُم في كلّ هضبة سؤدد ... فأوفيت واستعليت منها على القنن
تقسم هذا الفضل بين طوائف ... وأقسامه مجموعة فيك تختزن
غدواً لك كالأبغاض إذ أنت كلهم ... كما لا عجباً مثله قط لم يكن
تراهم إذا غابوا عن المنزل الذي ... تحلّ به كانوا حضوراً له إذن
وإن غبت عنهم طاعناً بأن فقرهم ... إلى الواحد الفذ الذي عنهم ظعن

وإما يباريك المبارك بهيئة ... وزيّ وملبوسٍ على جسمه حسن
ففي درعك الإنسان تمت صفاته ... وجمعت معاليه وفي درعه الوسن
كتبت إلى ابن الموسوي رسالةً ... بلا دخلٍ يدنو إليها ولا دخن
بأني مذ بايعتني الودّ جاعلاً ... سوادي من قلبٍ وعينٍ له ثمن
فإن رمته من صادقٍ غير ماذقٍ ... فدونك صدري مسكناً تحته شجن
إذا اغتربت منك الموالاة عند من ... يناقق فيها فهي عندي في الوطن
صفت مثل ما تصفو المدام من القذى ... وطابت كما طابت من الغير الدخن
ولن لا وأنت الماجد السيّد الذي ... له مننٌ لم تستطع حملها المن
أقيلك الردى ليس القلا عنك مقعدي ... ولكن دهاني بالزمانة ذا الزمن
وغادري حلف المضاجع راهناً ... على خلةٍ في الحال والنفس والبدن
فإن تنأ منك الدار فالذكر ما نأى ... وإن بان مني الشخص فالفكر لم يين
وإن طال عهد الإلتقاء فدونه ... عهدٌ عليها من رعايتنا جنن
وأيسر حدٍ يلزم النازح الفتى ... من الحقّ بسط العذر للدّلف اليفن
وقال الشريف يجيبه عن هذه القصيدة، وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء
الكلام فيه إلا متقلّلاً، ولا النظم بزعمه إلا مختلاً:

دع من دموعك بعد البين للدمن ... غداً لدارهم واليوم للظعن
هل وقفة بلوى خبت مؤلّفةً ... بين الخليطين من شام ومن يمن
عجنا على الربع أنضاء محرمة ... أثقالها الشوق من بادٍ ومكتمن
موسومة بالهوى تدري برؤيتها ... أن المطايا مطايا مضمرى شجن
ثم انثنينا على بأسٍ وقد شرقت ... نواظر بمجاري دمعها الهتن
من مبلغ لي أبا إسحاق مألّكةً ... عن حنو قلب سليم السرّ والعلن
جرى الوداد له مني، وإن بعدت ... منا العلائق، مجرى الماء في الغصن
لقد توامق قلبانا كأههما ... تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن
مسوّد قضب الأقالام نال بها ... نيل الأحمر أطراف القنا اللدن
إن لم تكن تورّد الأرماع موردها ... فما عدلت إلى الأقالام عن جبن
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد ... كالثقلان القولة الغراء عن لسن
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ... ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
قد كنت قبلك دهري على حق ... فراد ما بك في غيظي على الزمن
أنت الكرى مؤنساً عيني، وبعضهم ... مثل القذى مانعاً عيني من الوسن
قد جاءت النفثة الغراء ضامنةً ... ما يوثق النفس في سرّ وفي علن
أنطت من حسنها ماءً بلا نصب ... وحرّت من نظمها دراً بلا ثمن

فاقتد إليك أبا إسحاق قافيةً ... قود الجواد بلا حبل ولا رسن
أنشدتها فحدا سمعي غرابتها ... إلى الضمير حداء الركب بالبدن
كانت تقاعس لو ما كنت قائدها ... تقاعس البازل الحبوب في شطن
تستوقف الركب إن مرت معارضة ... بهدي عقيلتها العذراء من لمن

ذكر وفاة أبي إسحاق

وما رثاه به الموسوي

توفي يوم الخميس لاثني عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة
قمرية. فرثاه أبو الحسن بهذه القصيدة الفريدة التي أفصح بها عن بعد شأوه في الشعر. وعلو محله في كرم
العهد، وقد كتبها كلها لحسن ديباجها كثرة رونقها، وجودة ألفاظها ومعانيها، واستهلالها:
أعلمت من حملوا على الأعواد ... أرأيت كيف خبا ضياء التّادي؟
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى ... من وقعه متتا بع الإزياد
ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى ... أن الثرى يعلو على الأطواد
بعداً ليومك في الزمان فإنه ... أقذى العيون وقتاً في الأعضاد
لا ينفد الدمع الذي يبكي به ... إن القلوب له من الأمداد
كيف انمحي ذاك الجنب وعطلت ... تلك الفجاج وضلّ ذاك الهادي
طاحت بتلك المكرمات طوائح ... وعدت على ذاك الجلال عوادي
قالوا أطاع وقيد في شطن الردى ... أدي المنون ملكت أي قياد
من مصعب لو لم يقده إلهه ... لقضائه ما كان بالمنقاد
هذا أبو إسحاق يغلق رهنه ... هل ذائد أو مانع أو فادي
لو كانت تفدى لافتديتك فوارس ... مطروا بعارض كل يوم طراد
وإذا تألق بارق لوقيعه ... والخيّل تفحص بالرجال بداد
سلوا الدروع من العياب وأقبلوا ... يتحدثون على القنا المياد
لكن رماك مجبن الشجعان عن ... إقدامهم ومضعع الأنجاد
كاليث يهون بالتراب ويمتلي ... غيظاً على الأضغان والأحقاد
والدهر تدخل نافذات سهامه ... مأوى الصلال ومربض الآساد
ألقي الجران على عنطط حمير ... فمضى ومدّ يداً لأحمر عاد
أعزز عليّ بأن أراك وقد خلت ... من جانيك مجالس العواد
أعزز عليّ بأن أرك بمنزل ... متشابه الأمجاد والأوغاد
أعزز عليّ بأن يفارق ناظري ... لمعان ذاك الكوكب الوقاد

أفي عصبة جنبوا إلى آجالهم ... والدهر يعجلهم عن الإرواد
ضربوا بدرجة الفناء قباهم ... من غير أطناب ولا أعماد
ركب أناخوا لا يرجى منهم ... قصد لإتهام ولا إنجاد
كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة ... للدهر نازلة بكل مقاد
فتهافتوا عن رجل كلّ مدلل ... وتطارحوا عن سرج كل جواد
بادون في صور الجميع وإتهم ... متفردون تفرد الآحاد
مما يطيل الهم أن أماننا ... طول الطريق وقلة الأزواد
عمري لقد أغمدت منك مهنداً ... في الترب كان ممزق الأغمد
قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى ... لكن أراد الله غير مرادي
ولقد كبا طرف الرقاد بناظري ... منذ افتقدت فلاناً لرقادي
ثكلتك أرض لم تلك لك ثانياً ... أني ومثلك معوز الميلا
من للبلاغة والفصاحة إن همى ... ذاك الغمام وعبّ ذاك الوادي
من للملوك يحز في أعناقها ... بظبا من القول البليغ حداد
من للممالك لا تزل تلمها ... سداد ثغر ضائع وسداد
من للممارق تسترق قلوبها ... بزلازل الإبراق والإرعاد
وصحائف فيها الأرقم كمن ... مرهوبة الإصدار والإبراد
تدمي طوابعها إذا استعرضتها ... من شدة التحذير والإبعاد
حمر على نظر العدو كأنها ... بدم تخط بمن لا بمداد
يقدمن إقدام الجيوش. وباطل ... أن يهزم من هزائم الأجناد

فقر بما تسمي الملوك فقيرة ... أبداً إلى مبدأ لها ومعاد
وتكون سوطاً للحرون إذا وني ... وعناق عنق الجامح المتماذي
نزقي وتلدغ في القلوب، وإن تشا ... حط النجوم بها من الإبعاد
أما اللموع عليك غير بخيلة ... والقلب بالسلاوان غير جواد
سودت ما بين الفضاء وناظري ... وغسلت من عيني كل سواد
ري الحدود من المدامع شاهد ... أن القلوب من الغليل صوادي
ما كنت أخشى أن تضنّ بلفظة ... لتقوم بعدك لي مقام الزاد
ماذا الذي منع الفنيق هديره ... من بعد صولته على الأذواد
ماذا الذي حبس الجواد عن المدى ... من بعد سيقته إلى الآماد
ماذا الذي منع الهمام بوثة ... وعدا على دمه وكان العادي
قل للنوائب عددي أيامه ... لغنى عن التعديد بالتعداد

حمال ألوية العلاء بنجدة ... كالسيف يغني عن مناط نجاد
قلصت أظلة كل فضل بعده ... وأمر مشربها على الورد
فقضي جنبانك مذ خبت وقداته ... أن لا بقاء لقدر كل زناد
بقيت أعيان يضل تبيعها ... ومضت هواد للرجال هوادي
يا ليت أني ما اقتنيتك صاحباً ... كم قنية جلبت أسى لهُوادي
من لم يسف إلى التناسل نفسه ... كفي الأسى بتفاقد الأولاد
برد القلوب بمن تحب بقاءه ... ثما يجز حرارة الأكباد
ليس الفجائع بالذخائر مثلها ... يا ماجد الأعيان والأفراد
ويقول من لم يدر كنهك إنهم ... نقصوا به عدداً من الأعداد
هيهات أدرج بين برديك الردى ... رجل الرجال وأوحد الآحاد
لا تطلي يا نفس خلاً بعده ... فلمثله أعياء على المقتاد
فقدت ملائمة الشكول لفقده ... وبقيت بين تباين الأضداد
ما مطعم الدنيا بخلو بعده ... أبداً ولا ماء الحيا ببراد
الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن ... شرفي مناسبة ولا ميلادي
إن لا تكن من أسرتي وعشيرتي ... فلأنت أعلقهم يداً بودادي
أو لا تكن عالي الأصول فقد وفي ... عظم الجدود بسؤدد الأجداد
لا درّ دري إن مطلتك ذمة ... في باطن متغيب أو بادي
إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن ... حياً إذا ما كنت بالمرداد
ليس التنافس بيننا بمعاود ... أبداً وليس زماننا بمعاد
ضائق عليّ الأرض بعدك كلّها ... وتركت أضيقها عليّ بلادي
لك في الحشا قبرٌ وإن لم تأوه ... ومن اللموع روائح وغوادي
سلوا من الأبراد جسمك فائتي ... جسمي يسر عليك في الأبراد
كم من طويل العمر بعد وفاته ... بالذكر يصحب حاضراً أو بادي
ما مات من جعل الزمان لسانه ... يتلو مناقب عود وبوادي
فاذهب كما ذهب الربيع وإثره ... باق بكل مهابط ونجاد
لا تبعدن وأين قريبك بعدها ... إن المنايا غاية الإبعاد
صفح الثرى عن حرّ وجهك إنّه ... مغرّى بطي محاسن الأمجاد
وقماسكت تلك البنان فطالما ... عبث الردى بأنامل الأجواد
وسقاك فضلك إنّه أروى حياً ... من رائح متعرض أو غادي
جدث على أن لا نبات بأرضه ... وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوماً بقبره وهو بالجنية من أرض كرخايا فقال:
أيعلم قبر الجنية أننا ... أقمنا به نبغي الندى والمعاليا؟

عطفنا فحيينا مساعيه إنما ... عظام المساعي لا العظام البواليا
مررنا به فاستوقفتنا رسومه ... كما استوقف الروض الظباء الجوازيا
وما لاح ذاك الترب حتى تخيلت ... من الدمع أو شال ملأناً المآفيا
نزلنا إليه عن ظهور جياتنا نك ... فكف بالأيادي الدموع الجواريا
ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق ... عن الوجد إقلاعنا عذرنا البواكيا
أقول لركب رائحين تعرجوا ... أريكم به فرعاً من المجد ذاويا
ألموا عليه عاقرين فإننا ... إذا لم نجد عقراً عقروا القوافيا
وحطوا به رحل المكارم والعلا ... وكبوا الجفان عنده والمقاريا
فلو أنصفوا شقوا عليه ضمائراً ... وجزوا رقاباً بالظبا لا نواصيا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما ... تكون على سوم الغرام غواليا
ألا أيها القبر الذي ضم لحده ... قضياً على هام النوائب ماضياً
هل ابن هلال منذ أودى كعهدنا ... هلالاً على ضوء المطامع باقيا
وتلك البنان المورقات من الندى ... نواضب ماء بواق كما هيا؟
فإن نيل من ذاك اللسان مضاًؤه ... فإن به عضواً من المجد باليا
مجيب الدواعي حائداً أو مدافعاً ... هنك مرم لا يجيب الداعيا
وما كنت أبى طول لبث بقبره ... لو أني إذا استعديته كان عاديا
صفائح تستسقي الدموع روائحاً ... على جانبيها والغمام غواديا
ترى الكلم الغران من بعد موته ... نوافر ممن رامهن نوائيا
هو الخاضب الأقالام نال بها عللاً ... تقاصر عنها الخاضبون العواليا
معيد ضراب باللسان لو أنه ... بيوم وغى فل الجراز اليمانيا
مرير القوى نال المعالي واثباً ... إذا غيره نال المعالي حابيا
مضى لم يمانع عنه قلب مشيع ... إذا هم لم يرجع عن المهم نائياً
ولا المسندوه بالأكف إلى الحشى ... على جزع المفرشوه التراقيا
ولا رد في صدر المنون براحة ... يرد بها سمر القنا والمواضيا
خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه ... وأصبح تعروه النوائب وادياً
أرحت علينا ثلة الوجد ترتعى ... ضمائراً أيامها واللياليا
ولولاك كان الصبر منا سجية ... تراثاً ورثناه الجودود الأواليا
رضيت بحكم الدهر فيك ضرورة ... ومن ذا الذي يغذو بما ساء راضيا

وطاوعت من رام انتزاعك من يدي ... ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا
تطامنت كيما يعبر الخطب جانبي ... فألقي على ظهري وجر زماميا
ملأت بمحياك البلاد مساعياً ... ويملاً مثواك البلاد مناعيا
كما عم عالي ذكرك الخلق كله ... كذاك أقمت العالمين نواعيا
رثيتك كي أسلوبك فازددت لوعة ... لأن المراثي لا تسد المرازيا
وأعلم أن ليس البكاء بنافع ... عليك ولكنتي أممي الأمانيا
؟

الباب الرابع

؟

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه

يجرون مجرى الوزراء

أولهم

أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور الشرق، وفرسان المنطق، وأفراد الكرم الكبار، الحسان الآثار، والأخبار، وأعيان الممدحين
المقدمين في الآداب والكتابة، والبراعة والكفاية، وجميع أدوات الرياسة. وكان مع تقلده ديوان الرسائل
لعضد الدولة طول أيامه معدوداً في وزرائه، وخواص ندمائه، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده.

وأنا أورد من غر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض. ومن لمع شعره
التي هي أحسن من زهر الرياض، وأسلس من الماء على الرضراض، ما هو من شرط هذا الكتاب، المشتغل
على ملح الآداب.

ما أخرج من سلطانياته فصل من كتاب عن الطائع لله، إلى ركن الدولة، لما ورد عضد الدولة العراق: فأنت
وعضد الدولة كالأكما الله يد أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر، وناظره فما يقرب ويبعد. بكما افترش مهاده
الملك بعد إقصاضه، ورفع منار الدين بعد انخفاضه. فأبشر من الله تعالى بالحسنى، إن الله لا يضيع أجر
الحسنين.

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة وراع الشرف الذي أفرعك أمير المؤمنين ذروته، وعقد بك ذؤابته. وتوقل
في فلك الفخر كيف أردت، ومس في حلل الحمد أنى شئت. واستدم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى، وبحسن
الطاعة لأمر المؤمنين، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وآخرتك. وأحسن

كما أحسن الله إليك.

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام قد علمتم بشهادة الآثار، وتظاهر الأخبار، ما أعد الله لأمر المؤمنين بطاعته وليه المنصور، وصفيه المبرور. وعضد الدولة أيده الله تعالى من حام حقيقته، ساد خلته، راع سدته ورعيته.

لا يشنيه عن غاياته عارض الشام، لا يلهيه عن هماته راحة الحمام:

مضاميره أعييت على من يرومها ... وكل مدى عن غايته قصير

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ... ولسانه إذا نطق، ويده إذا لمس

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر، ولسانه إذا نطق، ويده إذا لمس، ألانت أم أمضت. ووطأت أم أقضت.

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان وتأمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم، وأجنهم الليل فادرعوه مقتادين بخزائم أنوفهم، إلى مصارع حنوفهم.

ومن كتاب عنه في عود الطائع إلى بغداد والتقاءه معه ولما ورد أمير المؤمنين النهروان. أنعم بالإذن لنا في تلقية على الماء فامتلئناه وتقبلناه، وتلقانا من عوائد كرمه، ونفحات شيمه، والمخائل الواعدة بجميل آرائه، وعواطف إنجائه، ورعاية ما كنفنا يمنه، وشايعنا عزه، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية، شرفها الله تعالى في الجديدية التي استقبلت منه بسليل النبوة وقعيد الخلافة، وسيد الأنام، والمستنزل بوجهه درر الغمام،

فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره، وغمرتنا جهات تفضله وفضله. وقرب علينا سنن خدمته، وألانا شرف القعود بين يديه، على كرسي أمر بنصبه لنا عن يمينه، وأمام دسته، وأوسعنا من جميل لقياءه، وكریم نجواه، ما يسم بالعز أغفال النعم، ويضمن الشرف في النفس والعقب، ويكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل. وكانت لنا في الوصول إليه، والقعود بين يديه، في مواقع أحاطه، وموارد أفاضه، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم. وسرنا في خدمته على الهيئة التي ألقى شرفها علينا، وحصل جمانها مدى الدهر لدينا، إلى أن سار إلى سلة دار الخلافة والسعود تشايعه. والميامن تواكبه. وطلائع الآمال تشرف عليه. وثغر الإسلام يبتسم إليه. فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف، لا مورد بعدها في جلال، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال. واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر، وقمادت الألسن من مناقب ذلك المشهد، ما بهر بصر الناظر، وعاد شمل الإسلام مجموعاً، ورواق العز ممدوداً، وصلاح الدهماء مأمولاً، ونور الدين والدنيا مرقوباً.

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان: وصل كتاب مولاي بذكر الفتح الذي ألبسه الله جماله، والنجح الذي قرب الله عليه مناله. والنعمة التي نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه، والمملكة التي اضطربت بمالكيتها فقرت لديه.

ومن كتاب إلى أخيه مؤيد الدولة أيضاً في ذكر عله نابتة من الحمى. ورد على الخبر بعارض من الحرارة، وعك له سيدي مؤيد الدولة أيده الله تعالى، يعقب دواء تناوله، واتصال ذلك بمليلة أزعجته، وحمى نابتة. فتصرف في الأفكار، وملكني الإشفاق، وخلص إلى قلبي - من ألم ما عراه وإلى نفسي من وجل ما شكاه - ما كاد يوحش جناب الأنس، ويخل بشيمه الصبر، لولا أن المعهود في مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ

أكثر الأمر، ثم تفضي عقباه إلى استقبال الصحة والإبلال والقوة، حرس الله ساحته، وحى مهجته، وأحسن الدفاع عنه!

ومن كتاب عنه في ذكر وفاة ركن الدولة: وكانت المصيبة نفرت سرب النعم، ورقت شرب الأمل، وأوحشت رباع المجد والكرم، لولا ما عصم الله به، وهدى له من تذكّر النعمة في ثروة العدد، والبقية الحسنى في الأخوة الولد، ثم في العزة والقدرة والسلطان والبسطة، وفيما شد به الأعضاد، في إخوان الصفاء الذين سيدي الله تعالى ناظم شمل محاسنهم، وفانت سبق أفاضلهم.

ومن كتاب في ذكر أبي تغلب: وقد كان الغضنفر بن حمدان، حين نفضته المذاهب، ولفظته المهارب. وأقلقته عن مجاثمة المكاييد والكتائب، وتطوح إلى بلاد الشام، ينتقل بين مصارع، يحسبها مراتع. ومجاهل يعدها معالم، يروم انتعاشاً والجد خاذله، ويبغي انتعاشاً والبغي طالبه.

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان: وأما ما صحب فلاناً من الطاف وأتحاف، فقد وصل وكان البعض منه كافياً في البر، وافياً بالحق. إلا أن سيدي يأبى إلا الإغراق في اللطف قائلاً وفاعلاً، لا أعده الله شمية الفضل، ولا أخلاقي فيه من كلام العهد، ومما أقف في موقف العذر في مخاطبة سيدي أن فلاناً ورد علي، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لاستمرار العزائم في قصد نواحي العراق، لإعادة ما نصب بها من ماء السياسة، وما في جنباتها من رواق الأمر والنهي، بضعف المن، وانتكاث المر. وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير، مقدماً بعون الله كتاب الرعب مستصحباً مفاتيح النصر.

ومن كتاب في فتح ميا فارقين: فأمرنا أبا الوفاء أن يلين لأهل البلد، إبقاء على ذلك الثغر من أن تصاب له ثغرة، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة.

ومن كتاب آخر: ولما ضاق عن هذا المخدول حلمنا باتساع غوايته، ووعر الطريق إلى استبقائه. استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم.

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة: وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة، مهنئاً، فحسبني وقد تأملت عنوانه - مغلوطاً بي، أو معنياً به غيري، إعظاماً لتلك الأيدي الغر، والنعم الزهر، التي اعددتها في الشرف مناسب، وإلى الأيام والليالي ذرائع.

ومن كتاب عن عضد الدولة: وزيد الآن عادة الألفاف بدواب تستكرم مناسبتها، وتحمد نجاحتها. ويعرف عنقها في المنظر، وسرها في المخبر، نرضاها لركابنا، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحساننا واعتدادنا.

ما أخرج من إخوانياته كتب إلى صاحب: كتابي أدام الله عز مولانا وحالي - فيما أعانيه من تمثيل حضرته وتذكر خدمته، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته. وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه، والكرم وأهله فيه - حال امرئ هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله، فهو يتلهف تذكراً. ويتلذذ تحميراً. ويناجي النفس مثلاً، ويراقب المنى تعللاً. وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها، وأسأله قرب الإدالة، والعقبى السارة، وأقول:

أقول وقلبي في ذراك محيم ... وجسمي جيب للصبا والجنائب

يجاذب نحو صاحب الشوق مقودي ... وقد جاذبني عنه أيدي الشواذب
سقي الله ذاك العهد من الحيا ... وتلك السجايا الغر غر السحاب
تذكرت أيامي بقربك والمنى ... يقابلني بالعرّ من كل جانب
وفي ربّك الدنيا تزفّ محاسناً ... وتفتر منك عن ثنايا مناقب
وقد لحظت عيناى من شخصك العلا ... ومن فرعك الفينان أعلى المناسب
ومن لفظك الدر المصون، ومن حيا ... محياك ما لم تجره كفّ خاطب
وأخلاقك الغرّ التي لو تجسّمت ... لكنت نجوماً للنجوم الثواقب
ففاضت على خدي سوابق عبرة ... كما أسلمت عقداً أنامل كاعب
سلام على تلك المكارم والعلا ... تحية خلّ عن جنابك غائب
يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى ... وبالمزن لم تبلل لهاة لشارب
وإني وإن روّعت بالين شائتم ... طوالع عتي من طلاع العواقب
وما أنا بالناس صنائعك التي ... كتبن عليّ الرق ضربة لازب

ابتدأت أطل الله بقاء مولاي صاحب بكتابي هذا. وفي نفسي إتمامه نثراً، فمال طبعي إلى النظم، وأملئ
خاطري على يدي منه ما كتبت، ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض، وقد اقتصرت عليه من الكتاب
ناطقاً عني، واثقاً بما عنده لي، وأنا أسترعيه غيبه، واستغطيه عيبه، وكنت كتبت إلى حضرته من أول منزل
أو ثانية بذكر ما أودعه حر الفراق قلبي، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم صبري، وتوقعت الجواب عنه
فأبطأ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة كرمه جارية عندي بخلافه، لو لا الثقة به وبما
استفدته من اللقاء والخدمة، وحرمة الوفاة والمجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج،
لاختلاف العادة علي، ومولادي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب، فإني مهتم في خدمته على
حسب الضن بها، ومنافسة كل أحد عليها، إن شاء الله تعالى.
ومن كتاب له إليه: قد كان ورد لمولانا صاحب أدام الله عزه:
كتاب لو أن الليل يرمي بمثله ... لألقيت يداً في حجرته ذكاء
تهادى بأبكار المعاني وعونها ... وأعيان لفظ ما لهنّ كفاء
شوارد لو لا أنهن أوالف ... ضرائر إلا أنهن سواء
لبسنا بها نغمى وألبست الربا ... حمائل روض جادهن سماء
بنان ابن عبادة تعلن نوعه ... وما صوبه إلا حياً وحياء
وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان، وتقابلت في البر والإنعام. لا زالت أيادي قلاند الأعناق،
ومراميه مضامير السباق. ولا انفكت عين الله حامية له، وكافلة به! ومن كتاب له: وقف مولانا على ما
كتبت به معرضاً بخدمته، ومجلىً عن نيته، فصدقته وحققه، وقال آدم الله سلطانه: إن لسان أثره في الفصاحة
كلسان قلمه. يتجاريان كفرسي رهان. وناهيك بالأول اشتهاً ووضوحاً، وبالثاني غرراً وحجولاً. وكنا

لمثل هذه الحال نعدده ونعتمده، ونتبجز عدات الفضل عنه، وحسبنا ما أفادتنا التجارب فيه كافلاً بالسعادة، ودرك الإرادة، وما زالت مخائله وليداً وناشئاً. وشأله صغيراً وبافعا، نواطق بالحسنى عنه وضوا من النجاح فيه، فقد أصبح الظن أيقاناً، والضمان عياناً، والتقدير بياناً، والاستدلال برهاناً، ونرجو أن الله بحسن الامتناع به، والدفاع عنه، كما أحسن الظن به وحقق الأمان في.

ومن كتاب: وقفت على الآيات التي أتخفي بها سيدي، وتكلفت لجوابها، على طلع في خاطري لطول السفر، واتصال حالي بالحل والترحال، ومولاي يأخذ العفو ويرضى الميسور، ويعذر مستأنفاً على التقصير في جواب ما يأتي من أمثاله ما دمنا في ملكه الهواجر ونعب البكر والأصائل.

ومن كتاب له إلى صاحب في فتح عمان وإبادة الزنوج بها، وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم. وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت منهم في استباحة الناس وأكل لحومهم، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يتنقلون بينهم إذا شربوا بكاف الناس، وسأل مولاي عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شيء في الإنسان ألد من كفه وبنائه، وكان في ذلك اليوم الذي شارف فيه طلائع العسكر المنصور باب عمان ثار من بعض المكامن طوائف من أولئك الكلاب فكبا ببعض الغلمان دابته فاختموه واقتسموه بينهم وأكلوه في الوقت، وتعجب الناس من ضراوتهم وقساوتهم، وقد أبادهم الله تعالى جده وطهر البر والبحر من عيبتهم ومعرتهم، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة، معتصمين بذمة الجماعة، وتمت نعمة الله على مولانا في هذا الفتح وكملت له مغامر الأجر، ووصل أفس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغيرة بقدر الفرس. ما عهد لطف ولا أظرف منه، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين، والله تعالى يجني مولانا ثمار الأرض برا وبحرا، سهلاً ووعراً، بمنه وكرمه أمين.

ومن كتاب له إلى ذي الكفائتين أبي الفتح:

فأما استبطاؤه لعبده في تراخي ما كان مستشرقاً من جهته، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله في مساورة الإشفاق، ومسامرة الأفكار. إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا في سلامتها من وقدة تلك الهواجر، ووعورة تلك المسالك، وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته، وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته، فقد وقفت عليه وكتبت طلعت حضرة بكتب حجة تقر بها العيون، ويفاد بمثلها السكون. وانتظرت الشرخ حال الاستقرار، واستجماع الدار. ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه، ومغنياً عما يتلوه، من غير فكر في عوادي الأسفار، وعواقب الحل والترحال، إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه في المسير، ومناصبه الهجير. وأنا أعود لعادتي في خدمته، واستعمار عهدي من رأيه بمواصلة حضرته.

ومن كتاب له إلى أبي إسحاق الصابي: علمت كيف تنتظم فرق البلاغة، وتلتقي طرق الخطابة، وتترأى أشخاص البيان، وتتمايل أعطاف الحسن والإحسان. وقرأت لفظاً جلياً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً وفصولاً متباينة، كساها الأتلاف صور المشاكلة، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة، ولحمة الموافقة فصارت لدلالة الأول منها على الثاني، وتعلق العجز بالهادي، فيها أولاد أرحام مبرورة،

وذوات قربي موصولة، تتعاطف عيونها، وتتناصف أبكارها وعونها.

ومن كتاب له إليه: وصل كتاب سيدي بكلام شرف في نفسه، وكرم في جنسه، فهو جوهر الفضل والألفاظ أعراض، وعنصر الأدب والمعاني أغراض. وفهمته فهم من قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم، واكتنفه العجز فسلم وسلم، وأعيتة العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز، واعترف بالقصور عن مفترض الحق.

ومن كتاب له إليه: وصل كتاب مولاي بما قرب إلى جناه، وبعد على مداه، من محاسن لفظه ونظمه، ومبارة التي ما زال يؤثري فيها بالرغائب، ويصفيني منها بالعقائل. فرفقت منه بين اعتبار واقتباس، واعتذار اغتباط. واستبصار في موضع الفضيلة. وشكر لما جمع الله لي في وده من المنح الجزيلة، ووجدت خطابه مفتوحاً بشكوى الأيام في انحرافها ومكاره أحداثها، فاستوحشت منها لاستيحاشه، واستعدت عليها لاستعدادها، وشايعت المهجنين لآثارها، والزارين على أحكامها، لإعراضها دون آماله، وقدحها في أحواله. ولم يستيق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهر اناخ على مولاي بصرفه، واختزله دون واجب حقه، وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت اعملت فيها خاطراً قدمته السفر، وكده الحل والرحل، وعلى مولاي المعول في ضم نشره، وتسديد مختله، وحفظ غيبي فيه:

وقيت أبا إسحاق من حافظ عهداً ... وراعٍ لمن يمي بفرقته ودّاً
ومنفرد بالمكرمات تألقت ... عليه المعالي فاستقل بها مجدا
بلوت أخلاء الزمان وكلّهم ... سواء فلا ذمّاً منحت ولا حمدا
ومن ييغ صفو الودّ من كل صاحب ... يكن صبحه ليلاً ومسعاه كدّاً
سواك أبا إسحاق إنك والندى ... لأوفاهم عهداً وأصفاهم عقدا
وأبعدهم في كل مكرمة مدى ... وأنظمهم في جيد مآثرة عقدا
تلاقت بنا الآداب في خير منسب ... عليه تساقينا على ظمياً بردا
وألفن أرواح الصناعة بيننا ... فحنّ معاً والدار نازحة جدا
ضلالة الدهر أنت من حسناته ... ولما تكن في نيل إحسانه الفردا
لعاً إنه الدهر العثور وإنه ... لسيّان من أجدى عليه ومن أكدى
يميل على ذي الفضل للجهل ضلّة ... يجرّعه سماً ويبيدي له شهدا
على أنه سلمٌ لمن حلّ بالحمى ... حمى الملك المدعو للدولة العضدا
؟ما أخرج من شعره في عضد الدولة قال من قصيدة أولها:

ما للنوى وقفت دمعي على الطلل ... واستودعني مطايا الحلّ والرحل
ترمي بطرفك في أطرافها فترى ... ما في الضمائر من غشٍّ ومن دغل
أريتنا النقص في رأي الأولى وضعوا ... كرمان من خول عنها ومن فشل
بمائها الوشل مع قرها الدقل ... ولصّها البطل وأهلها الهمل

وكم تركت بها للناس من مثل ... وكم نصبت على الأنصاب من مثل
يفدي مقامك فيه الخلق قاطبة ... ونحن نفديك بالأرواح والمقل
وليس يثبت في فرع العلا قدم ... إلا إذا ثبتت في موضع الزلل
خلائق هذبتهنّ العلا فغدت ... بين الخلائق كالإسلام في الملل
اسعد بوافد نيروز تقابله ... باليمن والعز والتأييد والجنل
واستأنف العيش مسروراً بجدته ... في ظلّ عزّ مدى الأيام متّصل
ومن قصيدة قال في آخرها:

وهاك هز عطفها اختيالاً ... وتعجب كلّ مستمع ثناكا
تسير بها الرواة بكل أرض ... وتطرب من أحبك أو قلاك
نظيرة ترهما لفظاً ومعنى ... فدى لك من يقصر عن مداكا
وكل الشعر زورّ ما خلاه ... وكل الناس زورّ ما خلاكا
ومن أخرى فيه:

الله أكبر والإسلام قد سلما ... وعاد شمل العلا واجد ملتئما
وظلّ ملك بني العباس معتلياً ... لما غدا ببيعة الحق مدّعما
بآل بويه أعلى الله رايته ... وشد من عقده ما كان منفصما
سادوا الملوك وشادوا الجند وابتدروا ... إلى ذرى أمدٍ نال السهي شتما
هم قلادة عزّ أنت واسطة ... فيها، وكلّ بما قد قلته علما
ومنها في وصف السيوف:

بيضّ تصافح بالأيدي مقابضها ... وحدها صافح الأعناق والقمما
ضحكن من خلل الأعماد مصلته ... حتى إذا اختلفت ضرباً بكين دما
حنّت خراسان شوقاً إذ حننت لها ... حتى كأنكما نازعتما رحما
واهتز منبرها يهفو إليك، ولو ... أطاق لاخترق القيعان والأكما
رفعت راياتك اللاتي خفقن على ... أسدٍ نقلن على أكنافها أجما
لا تنتحي بلداً إلا أفضت به ... عدلاً وأجلت عنه الظلم والظلما
سامتك أبناء سامان فما بلغوا ... مدى من العزّ لم ترفع له علما
وناضلوك عن العليا فكنت بها ... أولى وأثبت منهم في العلا قدما
وصاولوك فكانوا في الوغي نقدا ... يأبي الصال وكنت البازل القطما
ومن عضدية في وصف مجلس:

فيا مجلساً عزّ الخلافة محقّ ... بأقطاره والنّد والتور والخمر
وقد أرجت أرجاؤه وتعطرت ... بساطع نشرٍ ما يقاس به نشر
وفتح فيه النرجس الغض أعيناً ... محاجرها بيض وأحداقها صفر

كأن الشموع المشعلات خلاله ... ثواكل عبري ما ينههها الزجر
إذا قطعت منها الرؤوس تضاحكت ... وكان على قطع الرؤوس لها بشر
ألا يا أمير المشرقين ومن به ... تفاخرت الدنيا وكان له الفخر
ولم تخلق الدنيا لغيرك فانتظر ... فهذا هو الفأل الحق لا الزجر
وقال من سذقيه:

مالي لما بي من الهوى رفق ... كأنما سد دوني الطرق
كأن نار الأمير ساطعة ... من نار قلبي استعارها السدق
في ليلة باتت النجوم بها ... حائرة تمحي وتمحق
ونحط الليل في النهار فما ... يؤنس إلا الصباح والشفق
بكل منشورة ذوائبها ... محمرة من شواظها الأفق
وقال في السكر المبني بشيراز، ويروي لغيره:
شربنا ذهباً يجري ... بشاطئ فضة تجري
وما زلنا على السكر ... نداوي السكر بالسكر
دربنا كيف أصبحنا ... وأمسينا وما ندري
وفاض الماء فيض البحر ... منصباً إلى بحر
كجدوي عضد الدو ... لة في نائله الغمر

أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

روضة مجد وشرف، وحديقة فضل وأدب، وكان أحد أركان الدولة الديلمية، يكتب لمعز الدولة أبي الحسين
برسم المطيع لله، ويتصرف بالعراق في جلائل الأعمال، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال، وكان آخذاً بطرفي
النظم والنثر، فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضي التنوخي:
شوقي إلى القاضي المنيف بمجده ... شوقٌ يفوت الوصف أيسر حله
وبحسب فرط الأنس كان بقربه ... قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنني مما أحبّ ممكّن ... لم أعد إغذاذاً أسير لقصده
ووصلت أصال السرى بغدوها ... وقرنت إرقال المطي بوخده
لئن عدمت سعادتي بلقائه ... فلقد أقمت على رعاية عهده
وشكرت سالف برّه وأشعت مح ... كم ودّه وقضيت واجب حمده
وعلمت أني إن طلبت مشاكلاً ... لعلاه لم تظفر يداي بنده
فقصرت إخلاصي عليه ممسكاً ... بإخائه محطى بمطلع سعده
من ذا يقلس إليه في آدابه ... أو علمه أو هزله أو جدّه
والمكرمات بأسرها في حربه ... والصالحات جميعها من عنده

بجميل شاهده سالم غيبه ... وكريم صحبتته وخالص وده
أفديه من حرّ حليف مناقب ... لولا تكامل فضله لم أفده
لم تجر أمجاد الرجال إلى مدى ... للسبق إلا حاز نبيل أمله
وكأنّ أضواء الاخاسن كلّها ... مقدوحة نيرانها من زنده
فالله يبقيه ويرغد عيشه ... ويعزه ويعيدنا من فقده
فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله:
روحي فداؤك والورى من بعده ... جرّدت سيف صباقي من غمده
عين الإمام وكفه اليمني وح ... دّ حسامه الماضي ووسطى عقده
كلفّ ببذل المال يحسب غنمه ... في عزمه وغمّوه في حصده
وجه يجول البشر فيه برونق ... ماء السماح يفيض من إفرنده
متنقب بحياته فكأنما ... شقّ الربيع شقيقه في خله
ومقابل من فارس في دوحه ... أوفت على قحطانه ومعه
هو شدّ من أزر المكارم والعلا ... حدثاً ولمن يبلغ أوان أشده
يفديه من نوب الزمان معاشر ... أحرارهم لا يلحقون بعبده
أبدت مقابجهم محاسن فعله ... والصد يظهر حسنه في ضله
ما كنت أعرف قدر ما خولته ... حتى بليت بقربه من بعده
جاءت ألوكته إليّ كأنها ... وصل الحبيب اعتضته من صله
فتفتحت حين فتحتها عن روضة ... متفتح حوذاها في ورده
فقرأتها عوداً على بدء كما ... عاد الموليّ في قراءة عهده
يا جنة الخلد التي أنا نازل ... ما بين كوثرها وطوبى خله
لو أستطيع ركبت متن الرياح أو ... أسريت نحو ذراك مسرى وفده
وهو الزمان فإن يساعد صرفه ... فبجله يسعى الفتى لا كده
ولأيّ أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكثسي بكساء حتى أقلعت:
خرجت من عندكم فأدركني ... سحابة ذات منظر صلف
غمامة كالعمامة اتلفت ... فوق رؤوس المشاة في السّدف
تناها كفّ من يزوالها ... تقول للمرء ويك لا تقف
يختطف الأرض وقع صيّها ... مثل اختطاف المخالب العقف
فوقعه والكساء يدفعه ... وقع سهام الأتراك في الهدف
كأنما كلّ قطرة وقعت ... عليه درّ بدا من الصّدف
لو أن ما ذاب منه يجمد لم ... يصلح لغير العقود والشنف
فيها من الرعد كالدباب وال ... صنع إذا ما ضربن في شرف

واشتعل البرق في جوانبها ... مثل السيوف انتضين من غلف
قد جمعت حالتين في طلقٍ ... صوت عذول ودمع ذي لهف
لو كان كلّي لسان ذي نصرٍ ... بوصفه واحتشدت لم أصف

وكتب إلى الصاحب يشكو إليه على النقرش وعلو السن، فقال:

إلى الله أشكو ضنى شفتيّ ... وكم قبلة من ضنى قد شفتاني
وسقماً ألحّ فما لي بما ... أحاط برجلي منه يدان

تراين وقد كنت ثبت الجنان ... إذا الليل جنّ سليب الجنان
أقطع آناءه بالأنين ... وأرقب للصبح وقت الأذان

أنقل في موضع موضع ... فحيث حللت نبا بي مكاني
أؤمل روحاً فيأتي النهار ... بأضعاف ما بت فيه أعاني

أقول أقيّل فلا أستطي ... ع من ألم ملحف غير واني
فمن ليلة أروناية ... ويوم بما ساءني أروناي

أرجيّ تقضي ما أشتكي ... ه من مرضٍ بتقضي الزمان

وإني قد جرت حدّ الكهول ... وناهزت ما عمّر الوالدان

وجرمت ستين شمسيّة ... فسدت عليّ طريق الأماني

وأوهت عراي، وهدت قواي ... وليس لما يهدم الدهر باني

وإن كان لا يهتدي صرفه ... إلى أجل منسياً غير داني

وكتبت على ثقة أنه ... إذا شاء أبرأني من براني

فيا من له الخلق والأمر من ... بعافية منك تشفي ضماني

وجد لي نأي أجل أو دنا ... بعفو وسعت به كل جاني

وهبني لأحمد والمصطفى ... ن من آله وآل بيت الجنان

هم عدتي وبهم أتقي ال ... عقاب وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه الصاحب مجيباً:

عناي من الهّم ما قد عناي ... فأعطيت صرف الليالي عناي

ألقت الدموع وعفت الهجوع ... فعيناي عينان نصّاختان

لسقم ألحّ على سيد ... بد قد غفرت ذنوب الزمان

أحاط برجليه جوراً عليه ... وأني ونعلاهما الفرقدان

وكيف سطا بهما واستطال ... وأرض بساطهما النيران

وهلاً تجاوزه قاصداً ... إلى عصبة عصبت بالهوان

إذا ما سعى لطلاب العلا ... فكلّ أوان هم في توان

وسوف توافيه كفّ الشفاء ... بما أنشأت باسمه من أمان
وتفقاً في عيون الزمان ... عزيز الخل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأقرانه ... وقد قصروا عنه ألفي قران
أتني بالأمس أبياته ... تعلق روعي بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب ... وظل الأمان ونيل الأمان
وعهد الصبي ونسيم الصبا ... وصفو الدّنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسمت ... لكانت عقود نحور الغواني
فيا ليت عمري في عمره ... يزداد ولو أنه حقتان
فيا مهجة قدمت دونه ... بغانية عند ذكر الغواني
أجيب عن الشعر مسترسلاً ... بطبع شجاع وقلب جبان
فلو لا سكوني إلى فضله ... قبضت بناني بقبضي لساني

أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة، المالكين لأزمة البلاغة المتوقلين في هضاب الجحد، المترقلين في درجات الفضل، وقد أخرجت من نظمه ونشره ما هو ثمرة العقل. وعين القول الفصل.

فصل

كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا متردد بين جذل لتجدد بره في خطابه. وبين خجل من قوارع زجره وعتابه. فإذا خليت عنان انسى في رياض مباره، فترتعت جاذبيته لاجع الإشفاق. فلو كان سوء ظنه بي صادقاً لا اعترفت، ولعدت منه بحقوي كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم، ولا بتعاضمه الصفح عن الجرائم.

فصل

علقت هذه المخاطبة والأشغال تكفني، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني. ووراء ذلك كلال الذهن، بارتقاء السن، ونقصان الخواطر، بزيادة الشواغل. واستمرار البلادة، لمفارقة العادة. وهو والله يعيذه من السوء مقتبل الشاب، زائد الأسباب، مؤتلف المخايل، إلى علم لا يدرك مضماره، ولا يشق غباره فإذا حملني على مساجلته. فقد عرضني للتكشف، وإن عرضني على محنة التبع، فقد سليني ثوب التجميل.

فصل

أظلمي من مولاي عارض غيث أخلف ودقه، وشامني من لائح غوث كذب برقه، فقل في حران محل أخطأه النوء، وحيوان مظلم خذله الضوء.

فصل

وصل كتاب مولاي:

فكم فرحة أدى وكم غلة جلا ... وكم بهجة أولى وكم غمة سلّى
وسألت الله واهب خصال الفضل له، وجامع خلال النبل فيه، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه، ومانح
كمال المزية للإخوان بمكانه، أن يتولى حفظ النعيم النفسية. ويديم حيطة المهج الخطيرة، بصيانة تلك الشيم
العلية، حتى تستوفي المكارم أعلى حظها في أيامه، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره:
فينجح ذو فضل ويكمد ناقص ... ويهيج ذو ودّ ويكمد حاسد

؟؟

فصل

وما أرتضى نفسي لمخاطبة مولاي إذا كت منفي الشواغل، فارغ الخواطر، مخلى الجوارح، مطلق الإسار،
سليم الأفكار، فكيف بي مع كلال الجدد، وانغلاق الفهم، واستبهاق القريحة، واستعجام الطبيعة، والمحول على
النية، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة. والمرجع إلى العقيدة، وهي بالولاء الجض معروفة. فلا مجال للعتب
بين هذه الأحوال، كما لا مجال للعدر وراء هذا الخلال.

فصل مراتع أهل الفضل موبنة. ووجوده مطالب النزاع مظلمة غير مضئنة، إلا في محل الشيخ الخصيب،
وفنائه المألف الرحيب، لا جرم أن الآمال عليه موقوفة، وأعنة الورد إليه معطوفة، وداره مقصودة، وحاله
مكدودة، والمنهل العذب كثير الزحام.

فصل إن كان أوداؤه في فضله مستهمين، وأولياؤه في إحسانه فوضى مشتركين. فلي بحمد الله عفو
صنائه، وصفو شرائعه، لا أسبق إلى جمامها، ولا أنازع ثني زمامها، فعلى حسب ذلك تصرفي وتحملي من
أقسام ما يحدث عنده ويعرض له، هذا. وقد بلغني من تشریف الأمير المؤيد إياه بالعبادة، وإطالته عنده
الإقامة ومعه المفاوضة، ما أمكن في نفسي، وقوى تفقي وأنسي، فإنه لم يكن إلا سبباً لتجدد هذه النعمة،
وذريعة إلى لباس هذه الرتبة. فالله الذي قرن لمولاي تيسير ما قد قاسى عظيم الجدد الذي لا يوازي، وعميم
الفخر الذي لا يسامي، ودل بقليل ما مسه على كثير ما وعدت تباشيره السعادة من مزيد الكرامة.

؟؟

فصل

قد كان منزله مألّف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الركب، ومقصد الوفد، فاستبل بالأنس
وحشة، وبالنضارة غبرة، وبالضياء ظلمة. واعتاض من تراحم المواكب تلازم المآثم، ومن ضجيج النداء
والصهيل، عجيح البكاء والعيول: وله من كتاب إلى الصاحب أوله هذه الأبيات:
إذا الغيوم أرجفن بأسقها ... وحف أرجائها بوارقها

وغيت للشرى كئائبها ... وانتضيت وسطها عقانقها
وجلجل الرعد بينها فحكى ... خفق طبول ألح خافقها
وابتسمت فرحةً لوامعها ... واختلفت عبرةً حمالقها
وقيل طوبى لبلدة نتجت ... بحق أكنافها فوارقها
أية نعماء لا تجل بها ... وأي بأساء لا تفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم ال ... قرم وزير الأيام وادقها
تحكي سجاياء هزةً وندى ... وأين من خلقه خلانقها
ولتهد ريح الصبا محملةً ... أنفاس طيب أمست تعانقها
في روضة لا النعيم سابقها ... ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها ... وزان ريحانها شقانقها
هبت رخاء مريضة فشفت ... مرضي وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبدٍ ... تدمي وعين تجري سوابقها
إني وإن غالب الهوى جلدي ... صبري لصادي الأحشاء خافقها
ذكرى لأيامنا التي غفلت ... عنها العوادي ونام راقها
إذا النوى لا ترونا وإذ ال ... أيام مأمونة بوائقها
والله لو أن ما أكابده ... بهضب رضوى خرت شواهدقها

هذا أطال الله بقاء مولاي نتائج أريجية، أثارها مخاطبات مولاي التي هي أنقع لغلتي من برد الشراب،
وأعذب إلي من برد الشباب. فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهده، وأسكنه ظل أمانه وذمته، ليسبل عليه
ستر مودته ويتأمل بعين محبته. نعم وقد مح الزمان آثار إساءته إليّ، بما أسعفني به من إقبال مولاي علي،
وتتابع بره في مخاطباته لدي. فكل ذنب لهذه النعمة مغفور، وكل جناية بهذا الإحسان معمر.
فأجاب صاحب بكتاب صدره هذه الأبيات:

بدت عذارى مدّت سرادقها ... وأقسم الحسنُ لا يفارقها
كواعبٍ أخرست دماجها ... عنا وقد أنطقت مناطقها
خراعب حقها وصائفها ... تشي بأبدانها قراطقها
صينت عن العطر أن يطيبها ... إلا الذي حملت مخانقها
أم روضة أبرزت محاسنها ... وما يني قطرها يعانقها
فأورد الورد غصنها بدعا ... وشقّ عن أرضها شقانقها
وأعشت الناظرين حليتها ... وشاق أحداقهم حدائقها
أم أشرقت فقرة بدائعها ... حديقة زانها طرائقها
أتى بها بالكمال ناسجها ... وزانها بالجمال ناسقها

لله حلف العلا أبو حسن ... وقد جرت للعلا سوابقها
فحاز خصل الرهان عن كذب ... وفرجت عنده مضايقتها
لله تلك الألفاظ حاملة ... غرّ معانٍ تعي دقائقها
يكاد إعجازها يشككها ... في سور أنها توافقها
أهدي سلاماً حكى السلامة من ... أسقام سوءٍ يخاف طارقها
كأنه دارنا ولم يرها ... ناعبها للنوى وناعقها
كأنها غفلة الرقيب وقد ... مكنت من نظرة أسارقها
أهديت منه ما لو تحمّله ال ... أيام لم يستقل عاتقها
تحدو به صبوة ركايبها ... راتكة لا يميل سائقها
خذها وقد أحصدت وثائقها ... وألحقت بالسّهي سواها
ناشدتك الله حين تنشدها ... وخلة لا يخيل صادقها
إلاّ تعمّدت رفع رايتها ... ليملاً الخافقين خافقها
نعم وعش في النعيم ما طلعت ... شمس نهار وذرّ شارقها
هذا أطال الله بقاء مولاي أبيات علقتها والروية لم تعلقها، واعتنقت فيها والفكرة لم تعتقها، لا ثقة بالنفس وفائتها، وسكونا إلى القريحة وصفائتها، بل علماً بأني وإن أعطيت الجهد عنائه، وفسحت للكد ميدانه. لم أدان ما ورد من ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف أن يتقصاها. والبعد عن الإطناب أن يبلغ مداها، ولقد قرع سمعي منها ما أراي العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبختر بين أقبالي وإدباري. إلى أن فكرت أن فضيلة المولى يشتمل عبده يخيم، وإن تصرف عنده، فتأب إلى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً رجوت أن يحظى بطائل القبول، وأن يتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول، هذا ولا عار على من سبقه سباق الزمان، المستولي على قصب الرهان.
ومن مشهور شعر علي بن القاسم وجيده قوله:
وإني وإن قصرت عن غير بغضة ... لراعٍ لأسباب المودة حافظ
وما زال يدعوني إلى الصدم ما أرى ... وآبي فتشيني إليك الحفاظ
وأنظر العقبي وأغضي على القذى ... ألاين طوراً في الهوى وأغالظ
وأستمطر الإقبال بالود منكم ... وأصبر حتى أوجعني المغايط
وجربت ما يسلي الحب عن الهوى ... وأقصرت والتجريب للمرء واعظ

الباب الخامس

في ذكر

شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

القاضي التوخي

أبو القاسم علي ابن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب: إن أردت
فإني سبعة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فاتك. أو اقترحت فإني مدرعة راهب. أو آثرت فإني نخبة شارب.
وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً،
فأكرم مثواه، وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد، حتى أعيد إلى علمه، وزيد في رزقه ورتبته،
وكان المهلبي الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً. ويتعصبون له ويعدونه ربحانة الندماء، وتاريخ
الظرفاء. ويعاشرون منه من تطيب عشرته، وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه، وتحسن أخباره، وتسير أشعاره،
ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيماً، في نهاية الملاحقة واللباقة، وكان يوثره على سائر غلمانته، ويختصه
بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض ما يأنس به ما يقول:

هل على من لأمه مدغم ... لاضطرار الشعر في ميم نسيم

فوقع تحته نعم لم لا! ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذي ينادمون الوزير المهلبي، ويجمعون عنده في
الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة، والتبسط في القصف والخلاعة، وهم ابن قريعة، وابن معروف،
والقاضي التوخي وغيرهم. وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان الوزير المهلبي، فإذا تكامل
الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار، وتقبلوا في أعطاف
العيش، بين الخفة والطيش، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى دونها مملوء شراباً
قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تشرب أكثره، ويرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون
أجمعهم، وعليهم المصبغات ومخاق البرم والمشور، ويقولون كلما كثر شربهم هرهر. وإياهم عنى السري
بقوله:

مجالس ترقص القضاة بها ... إذا انتشوا في مخاق البرم

وصاحب يخلط الخجون لنا ... بشيمة حلوة من الشيم

تخضب بالراح شبيبة عبثاً ... أنامل مثل حمرة العنم

حتى تحال العيون شيبته ... شبيبة فعلا ن ضرجت بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمم والتوفر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء. وقد

أخرجت من غرر الشعر التوخي ما هو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف الليل والنجوم بقوله:

رب ليل قطعته بصدود ... وفراق ما كان فيه وداع

موحش كالثقل تقذى به الع ... ن وتأبى حديثه الأسماع

وكأن النجوم بين دجاء ... سنن لاج بينهن ابتداء

مشرقات كائنهن حجاج ... تقطع الخصم والظلام انقطاع

وكان السماء خيمة وشي ... وكان الجوزاء فيها شراع
كان ليلاً فصيرته نهاراً ... كتب تكبت العدى ورقاع
وقوله:

كأنما المريخ والمشتري ... قدامه في شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة ... قد أسرجوا قدامه شمعه
وقوله وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يستظرفه:
وجاء لاجاء الدجى كأنه ... من طلعة الواشي ووجه المرتقب
وفعل الظلام بالضياء ما ... يفعل الحرف بأبناء الأدب
وقوله:

كانّ النجوم الزهر في غلس الدجى ... سنا أوجه العافين في سنة الردّ
وقد أبطأت خيل الصباح كأنّها ... بحيلّ تباطا حين سيل عن الرقد
وقوله:

وليلة مشتاق كأنّ نجومها ... قد اغتصبت عين الكرى وهي نوم
كانّ عيون الساهرين لطلوها ... إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم
كانّ سواد الليل والفجر ضاحك ... يلوح ويخفي أسود يتبسم
وقال في غور الكواكب عند الصباح:
عهدي بها وضياء الصبح يطفئها ... كالسرج تطفأ أو كالأعين العور
أعجب به حين وافى وهي نيرة ... فظل يطمس منها النور بالنور
وقال من سائر الأوصاف والتشبيهات:
بات يسقيني ويشرب ... ذهباً للهم مذهب
شادن يحمل ماءً ... فيه نارٌ تلهب

وردة ضاحكة عن ... أقحوان حين تقطب
لو أدرناها على مي ... ت لكان الميت يطرب
ليت شعري أسروراً ... أم مداماً بتّ أشرب
صبّ في الكاسات منها ... كالشهاب المصوب
فرايت الراح شرقاً ... ورأيت الهم مغرب
غصنٌ فوق كئيب ... ونهارٌ تحت غيب
لك منه مطربٌ يرض ... يك إن شئت ومضرب
جنة عذبت فيها ... بتجنّ وتجنّب
هل رأيتم أحداً قب ... لي بالجنة عذب

بأبي أنت وأمي ... من بعيد حين تقرب
لي قلب كيف ما قلّ ... به الله يقلب
وجفون يغضب الغم ... ض عليها حين يقلب
ربّ ليلٍ كتجني ... ك مقيمٍ ليس يذهب
قد قطعناه بعزم ... كالحريق الملهب
وكأنّ البرق لما ... لاح فيه ينتصب
كاتبٌ من فوق فرع ال ... غيم بالعقيان يكتب
وكأنّ الرعد حادٍ ... أو مناد أو مَثوب
ونجوم الليل وقف ... كالآل لم تنقب
وبد البدر كسيف ... في يد الجوزاء مذهب
وقال، وهو من قلائده:

وراح من الشمس مخلوقة ... بدت لك في قدح من نهار
هواءٌ ولكته ساكنٌ ... وماء ولكته غير جاري
إذا ما تأملتُها وهي فيه ... تأملت نوراً محيطاً بنار
وما كان في الحق أن يجمعا ... لبعد التداين وفرط النفار
ولكن تجانس معناهما ال ... بسيطان فاتفقا في الجوار
كأنّ المدير لها باليمين ... إذا مال للسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسمين ... له فرد كم من الجنار
وقال في وصف دجلة والقمر:

لم أنس دجلة والدجى منصوب ... والبدر في أفق السماء معربُ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ ... وكأنه فيها طراز مذهب
وقال أيضاً في الروض:

ورياض حاكت هنّ الثريا ... حللاً كان غزلها للرعود
نثر الغيث درّ دمع عليها ... فتحلّت بمثل در العقود
أقحوان معاتقٌ لشقيق ... كنغور تعص ورد الحدود
وعيونٌ من نرجس تتراءى ... كعيونٍ موصولة التسهيد
وكأنّ الشقيق حين تبدي ... ظلمة الصدع في حدود الغيد
وكأنّ الندى عليها دموع ... في جفون مفاجئة بفقيد
وقال في البرد:

وليلة ترك البرد البلاد بها ... كالقلب أشعر بأساً وهو مثلوج
فإن بسطت يداً لم تنبسط خصرأ ... وإن ثقل فقل لي فيه تنليج

فنحن منه ولم نحرس ذوو حرس ... ونحن منه ولم نفلج مفاليج
وقال فيه أيضاً:

أما ترى البرد قد وافت عساكره ... وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضرب الثلج تحسبها ... قد أليست حبكا أو غثيت ورقا
فانهض بنار إلى فحم كأتھما ... في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا ... برداً فصرنا كقلب الصبّ إذ عشقا
وقال من قصيدة كثيرة العيون، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره، ويرى أنهما من أمهات قلائده:

أحب إلي بنهر معقل الذي ... فيه لقلبي من همومي معقل
عذب إذا ما عبّ فيه ناهل ... فكأته في ريق حبّ ينهل
متسلسل وكأته لصفائه ... دمع بخدي كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه ... فكأته درع جلاها صقيل
وكان دجلة إذ يعظمط موجهها ... ملل يعظم خيفة ويبجل
وكأنها ياقوتة أو أعين ... زرق تلائم بينها وتوصل
عذبت فما تدري أماء ماؤها ... عند المذاقة أم رحيق سلسل

ولها بمدّ بعد جزر ذاهب ... جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الأبله خلقتها ... من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل في نهرها آلى والسرو ... ربّ أنه في غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائس ... والروض فيه جلي خود ترفل
غنت قيان الطير في أرجائها ... هزجاً يقل له الثقل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت ... يوم الوداع وغيرهم يترحل
ربيع الربيع به فحاكت كفه ... حللاً بما عقد الهموم تحلل
فمديح وموشح ومدنّر ... ومعمد ومحبر ومهلل
فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا ... خدّاً يعصّض مرة ويقبل
وكتب إلى الوزير المهلب، وقد منعه المطر من خدمته:

سحاب أتى كالأمن بعد تخوّف ... له في الثرى فعل الشفاء بمدنف
أكبّ على الآفاق إكباب مطرق ... يفكر أو كالنادم المتلهّف
ومدّ جناحيه على الأرض جانحاً ... فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البرّ بحرّاً زاخراً وانثنى الصّحى ... بظلمته في ثوب ليل مسجّف
يعبس عن برق به متبسم ... عبوس نحيل في تبسم معنف
تحاول منه الشمس في الجوّ مخرجاً ... كما حاول المغلوب تجريد مرهف

أين هذا قول من قول ابن المعتز:

تحاول فتح غيمٍ وهو يأبى ... كعنينٍ يريد نكاح بكرٍ
رجع:

فأترع ماءً وارد حوضه ... أسلسال ماء أم سلافة قرقف
أتى رحمةً للناس غيري فإنه ... عليّ عذابٌ ماله من تكشف
سحاب عدايني عن سحابٍ وعارض ... منعت به من عارضٍ متكفكف
أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو:
لست أدري ماذا أذمّ وأشكو ... من سماءٍ تعوقني عن سماءٍ
غير أني أدعو على تيك بالثك ... ل وأدعو لهذه بالبقاء
الجواب من وزير المذكور:

أت رقعة القاضي الجليل فكشفت ... وساوس محزون الفؤاد ملهف
فأهدت نظاماً من قريض كأنه ... نظام لآل أو كوشي مفوف
تكامل فيه الظرف والشكل مثلما ... تكامل في مهديه كلّ النظرف
حوى منتهى الحسنى بأول خاطرٍ ... يكلفه في الشعر ترك التكلف
قال في وصف قصيدة:

وقصيدة ألفاظها ... في النظم كالدر الثير
جاءت إليّ كأنها ال ... توفيق في كلّ الأمور
بأرق من الشكوى وأح ... سن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأض ... حى وهو ذو طرفٍ بصير
فكأنها أملٌ تحقّ ... ق بعد يأسٍ في الصدور
أو كالفقيد إذا أت ... بقدمه بشرى البشير
أو كالنام لساها ... أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنفٍ ... أو كالغني عند الفقير
وكأنما هي من وصا ... ل أو شبابٍ أو نشور
لفظٌ كأسر معاندٍ ... أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من ... فوق المهارق والسطور
ورد الحدود إذا انتقل ... ت به على درّ التغور
غررٌ غدت وكأنها ... من طلعة الظبيّ الغرير
من كلّ معنى كالسلا ... مة أو كتييسير العسير
كتبت بحبرٍ كالنوى ... أو كفر نعمى من كهور
في مثل أيام التوا ... صل أو كاعتاب الدهور

أهديتها يا خير من ... يختار في كرمٍ وخير
وقال في ثوب كتاب:

وافى كتابك مثلما ... وافى لفقود بشرٍ
وكأنه الإقبال جا ... ء أو الشفاء أو النشور
كأنه شرح الشبا ... ب وعيشه الغض الضير
وافى وعير الليل وا ... قفة الركائب لا تسير

فأضاء لي من كلّ ف ... ج منه فجرٌ مستنير
وارتد طرف الدهر عتي ... وهو مطروف حسير
ورأيت أفلاك السرو ... ر بكلّ ما أهوى تدور
وفضضته فكأنه ... أنواب وشي أو حبير
خطّ وقرطاس كأنّ ... هما السوالف والثغور
وكأنه ليلٌ يلو ... ح خلاله صبح منير
ما بين خط كالحيا ... ة إذا استتب لها السرور
وبدائع تدع القلو ... ب تكاد من طرب تطير
في كل معنى للغني ... يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله ... من بعد ما يأس أسير
أو كالسعادة أو كما ... يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو ... سلم وما أرسى ثبير
وكتب إلى أبي أحمد بن ورفاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو:
أسير وقلبي في هواك أسير ... وحادي ركابي لوعةً وزفير
ولي أدمع غزر تفيض كأنها ... جداً فاض في العافين منك غزير
وطرف طريف بالسهاد كأنه ... لهك وجيش الجود فيه مغير
رياضكم خضر يرفّ نباها ... ونوء كم رطب السحاب مطير
وجوه كأكباد الحين رقةً ... ولكنها يوم الهياج صخور
وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها:

كتبت وليلي بالسهاد نهار ... وصدري لوراد الهموم صدار
ولي أدمع غزر تفيض كأنها ... سحائب فاضت من يدك غزار
ولم أر مثل الدمع ماءً إذا جرى ... تلهّب منه في المدامع نار
رحلت وزادي لوعةً ومطيتي ... جوانح من خر الفراق حرار
مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسعا ... ومعنى اسمه إن حققوه إसार

إذا رمت أن أنسى الأسي ذكرت به ... دياراً لها بين الضلوع ديار
لك الخير عن غير اختياري ترحلي ... وهل لي على صرف الزمان خيار
وهذا كتابي والجفون كأنما ... تحكّم في أشفارهن شفار
الغزل من شعره قال:

حور بعينيه أطال تحيري ... ترك الدموع كخده المتعصر
غصنٌ تأوّد فوق دعص من نقا ... ليلٌ تبلّج عن نهار مسفر
كالشمس إلا أنه متنفسٌ ... عن مسكة متبسم عن جوهر
وأطال من ليلي وقصر ليلة ... أتّي سهرت وأنه لم يسهر
وقال أيضاً:

بأبي وجهك لو أش ... به منك الضيع
أنت بدر ما له في ... فلك الوصل طلوع
وقال أيضاً:

رضاك شباب لا يليه مشيب ... وسخطك داءٌ ليس منه طيب
كأنك من كلّ النفوس مركّبٌ ... فأنت إلى كل النفوس حبيب
وقال في أمرد جسيم

قالوا عشقت عظيم الجسم لهم ... الشمس أعظم جرم حازه الفلك
من أين أستر وجدي منهتك ... ما للتميم في فتك الهوى درك
وقال فيه:

لبست لحافة الغصن النحيف ... وذبت سوى ذماء في ضعيف
يحوريّ احاسن والمعاني ... وإنسي المخايل والأليف
له في كلّ عضو دعص رملٍ ... ثقل الجسم ذو روح خفيف
أعشق لا عشقت أخا نحول ... سوى أني أخو الخلق الظريف
إذا لمستّه كفّي لم تلامس ... سوى جلدٍ على عظم نحيف
ومما أنشدت له، ولم أجده في ديوانه:

قلت لأصحابي وقد مرّ بي ... منقباً بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودادي قفوا ... كي تبصروا كيف تزول النعم

ابنه

أبو علي الحسن ابن القاضي الشوخي

هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل تجد أبيه وفضله، والفرع المثل لأصله، والنائب عنه في حياته. والقائم مقامه بعد وفاته، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج:
إذا ذكر القضاة وهم شيوخ ... تخيرت الشباب على الشيوخ

ومن لم يرضَ لم أصفعه إلا ... بحضرة سيدي القاضي التنوخي
وله كتاب الفرج بعد الشدة، وناهيك بحسنه. وإمتاع فنه. وما جرى من الفأل يمينه، لا جرم أنه أسير من الأمثال. وأسرى من الخيال.
أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوان شعر أبيه، وإن بعض العواثق حال بينه وبين تحصيله حتى وفاته. واشتد الأسف عليه، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت أتفصح في الانتخاب منه. ولكني الآن مقل من شعره. وسيقع لي ما أتكثر به وألحق المختار منه بمكانة من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه مما علق بحفظ أبي نصر المذكور وأنشدني للقاضي أبي علي قوله، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه، وهو:

خرجنا لنستقي بين دعائه ... وقد كاد هذب الغيم أن يبلغ الأرض
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما ... فما تم إلا والغمام قد انفضا
وأنشدني غيره له، وأنا مرتاب به لفرط جودته، وارتفاعه عن طبقته:
أقول لها والحي قد فطنوا بنا ... ومالي على أيدي المنون براح
لما ساءني أن وحشتني سيوفهم ... وأنك لي دون الوشاح وشاح
وما أنشدته لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة:
لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد
مقاماً وترحال وقبض وبسطة ... كذا عادة الدنيا وأحلاقها النكد
كأنه نسج على منوال المتبي حيث قال:

على ذا يمضي الناس: اجتماع وفرقة ... وميتٌ ومولودٌ، وقالٍ وواقٍ
ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في التهنية بشهر رمضان:
نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ... ووقاك الإله ما تتقيه
أنت في الناس مثل شهرك في الأشه ... ر بل مثل ليلة القدر فيه
وأنشدني له غير ثقة وهو متنازع:

قل للمليحة في الخمار المذهب ... أفسدت نسك أخي التقي المترهب
نور الخمار ونور وجهك تحته ... عجباً لوجهك كيف لم يتهلب
وجمعت بين المذهيين فلم يكن ... للحسن عن ذهبيهما من مذهب
فإذا بدت عينٌ لتسرق نظرة ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي
وأما ابنه أو القاسم علي فلم يبلغني بعد شعره، وقد بلغني ذكره على لسان أبي الحسن علي بن موسى

الكرخي. وقد أوردت ما أنشدنيه عنه لأبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة أبي محمد في باب الأمراء من بني حمدان فليراجع.

ابن لنكك البصري

أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه، والمروع إليه في لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه. وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه، ومحنة الفضل تتركه فتخذه، ونفسه ترفعه، ودهره يضعه، واتفق في أيامه هبوب الريح للمتنبئ، وعلو رتبته، وبعد وصيته، وارتفاع مقدار أبي ريلش اليمامي، وسمو نجمه، ونفاق سوقه، وفوزهما بالمراتب والخطوط دونه وسعادهما من الأدب بما شقي به، وحصل أبو الحسن على ثلبيهما، والتشفي بدمهما، والقعود تحت المثل السائر " أوسعتهم ذما وأودوا بالإبل " وأكثر شعره ملح وظرف، خفيفة الأرواح، تأخذ من القلوب بمجامعها. وتقع من النفوس أحسن مواقعها، وجلها في شكوى الزمان وأهله، وهجاء شعراء أهل عصره، وما أشبه شعره في الملاحاة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة، إلا بشعر كنية أبي الحسن بن فارس. وأقدر أنه في الجبال، كهو في العراق، وكان يقال في منصور الفقيه: إذا رمى بزوجته قتل، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والثلاثة أغرب بما جلب، وأبدع فيما صنع، فأما إذا قصد فقلما يفلح وينجح، وبلغني أن صاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك:

شعر الطريف ابن لنكك ... مهذب ومحك

مذهبٌ وممسكٌ ... بمثله يتمسك

ما أخرج من شعره في الشكوى وذم الزمان وأهله قال:

يا زمانا ألبس الأح ... رار ذلاً ومهانة

لست عندي بزمان ... إنما أنت زمانه

كيف نرجو منك خيراً ... والعلا فيك مهانه

أجنونٌ ما نراه ... منك يبدو أم مجانه

وقال أيضاً

زمانٌ رأينا فيه كلَّ العجائب ... وأصبحت الأذنان فوق الدّوابِ

لو أنّ على الأفلاك ما في نفوسنا ... تماقت الأفلاك من كل جانب

وقال أيضاً:

عجائب في زمانك شاهدات ... علب خرف من الفلك المحيط

يرى متيقظاً ما لا يراه ... إذا ما نام آكل قَبِييط

لأن له خاصية في توليد السوداء، ويرى أحلاماً ردية.

وقال:

عجيب للدهر في تصرّفه ... وكل أفعال دهرنا عجبُ

يعاند الدهر كل ذي أدب ... كأنما ناك أمّه الأدب

وقال أيضاً:

يقولون لي أصبحت في العلم واحداً ... وفي الشعر والأدب مالك ثاني

فقلت صدقتم أيّها الناس إني ... كذاك ولكن في حرّ أمّ زماني

وقال أيضاً

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا ... وخلفني الزمان على علوج

وقالوا قد لزمت البيت جدّاً ... قهلت لفقد فائدة الخروج

لن ألقى إذا أبصرت فيهم ... قروداً راكبين على السروج

زمانٌ عزّ فيه الجود حتّى ... تعالى الجود في أعلى البروج

وقال في المعنى:

جار الزمان علينا في تصرفه ... وأيّ دهرٍ على الأحرار لم يجر

عندي من الدهر ما لو أن أيسره ... يُلقى على القللك الدوّار لم يدر

وقال أيضاً:

نحن والله في زمان غشوم ... لو رأيناه في المنام فرعنا

يصبح الناس فيه من سوء حالٍ ... حق من مات منهم أن يهنّا

وقال أيضاً

لا مكث الله ديانا فقيمتها ... ليست تفي عند ذي عقل بقيراط

دنيا تأبّت على الأحرار عاصية ... وطاوعت كلّ صفعان وضراط

وقال من الوافر:

زمانٌ قد تفرّغ للفضول ... يسودّ كل ذي حمق جهول

فإن أحببتم فيه ارتياحاً ... فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال أيضاً:

إن أصبحت هممي في الأفق عالية ... فإن حظي ببطن الأرض ملتصق

كم يفعل الدهر بي ما لا أسر به ... وكم يسيء زمانٌ جائزٌ حق

كم نفخة لي على الأيام من ضجر ... تكاد من حرّها الأيام تحترق

وقال أيضاً

نحن في الدهر في أعاجيب ... فنسأل الله صبر أيوب

أقفرت الأرض من محاسنها ... فابك عليها بكاء يعقوب

وقال أيضاً:

ذهب الذين يعاش على أكنافهم ... وبقيت في خلف بلا أكناف
بطاليس وقلائس محشوة ... يتعاشرون بقلة الإنصاف
ما شئت من حلل وفره مراكب ... أبواب دورهم بلا أجواف
وقال أيضاً:

لا تخدعنك اللحى ولا الصور ... تسعة أعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشراً ... وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرو منهم مثل ... له رواء وما له ثمر
كأنه أخذه من قول ابن الرومي

فعدا كالحلاف يورق للوع ... ين ويأبى الإثمار كل الإباء
وقال أيضاً:

يا طالباً بالعلم حظاً مسعداً ... في ذا الزمان رأيت رأي مخرق
إنفاق علم في زمان جهالة ... ترجو ودهر عمى وسخف مطبق
كن ساعياً ومصافعاً ومضارباً ... تنل الرغائب في الزمان وتنفق
أو ما رأيت ملوك عصرنا أصبحوا ... يتجملون بكل قاص أحق
لا تلق أشباه الحمير بحكمة ... موه عليهم ما قدرت ومخرق
وقال أيضاً:

لم يبق حرّ إليه يختلف ... بل كل ندل عليه يختلف
يا فلکاً دار بالندالة والجه ... ل إلى كم تدور يا خرف
فعاقل ما يبيل أنملة ... وجاهل باليدين يغترف
وقال أيضاً:

لعتنم جميعاً من جوه لبلدة ... تكتفهم جهل ولؤم فأفرط
وإن زماناً أنتم رؤسائهم ... لأهل لأن يخزي عليه ويضربط

أراكم تعينون اللثام وإنني ... أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا
وقال أيضاً:

عدنا في زماننا ... عن طريق المكارم

ما أخرج من شعره في الهجاء لأبي ريش كان أبو ريش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية
بل آية في هذ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ
اللبسة، كثير النقشف، قليل التظف. وفيه يقول أبو عثمان الخالدي:

كأثما قمل أبي ريش ... ما بين صئبان قفاه الفاشي
وذا وذا قد لج في انتفاش ... شهدانج بدد في حشاحش

وكان مع ذلك شرهاً على الطعام، رجيم شيطان المعدة، حوتي الانتقام، وثمان الالتهام، سبي في المواقلة، دعاه أبو يوسف اليزيدي والي البصرة إلى القصعة، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر أن يهيأ له طبق يأكل عليه وحده.

ودعاه يوماً الوزير المهلي إلى طعامه، فبينما هو يأكل معه إذ امتخط في مندبل الغمر، ويزق فيه، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواها فأصابت عين الوزير، فتعجب من سوء شرهه، واحتمله لفرط أدبه.

وفي شره أبي ريش يقول ابن لنكك ما هو في نهاية الملاحاة وحسن التعريض:

يطير إلى الطعام أبو ريش ... مبادرة ولو وراه قبر

أصابه من الحلواء صفر ... ولكن الأخادع منه حم

أنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي. قال: أنشدني صاحب لابن لنكك في أبي الرياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام: يقول:

ابن هاني أفسد الشعر ضلة ... وشعر أبي تمامكم هو أضيع

أبا الريش، يا صفعان، صفعات واجب ... ولكن مضى من كان في الله يصفع وقال أيضاً:

أبو ريش بغى والبغي مهلكة ... فشددوا العين ترموه بآبدته

عبد ذليل هجا للحين سيده ... تصحيف كنيته في صدغ والدته وقال أيضاً فيه:

أبا ريش يا قبيح المنظر ... يا منكراً معنى إلى مستنكر

تصحيف كنيته التي كنيته ... في است التي حملتك تسعة أشهر وقال فيه أيضاً:

نبئت أن أبا ريش قد حوى ... علم اللغات وفاق فيما يدعي

من مخبري عنه فإني سائل ... من كان حنكه بأير الأصمعي وقال أيضاً:

على القبح الفظيع أبو ريش ... يعاشرنا بأخلاق ملاح

يسح أكفنا أبداً قفاه ... فنصفعه على جهة المزاح

وقال فيه وقد ولي عملاً بالبصرة:

قل للوضيع أبي ريش لا تبل ... ته كل تيهك بالولاية والعمل

ما ازددت حين وليت إلا خسة ... كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء أما هجاؤه للمتنبى فقد أوردته في أخباره، ولا وجه لإعادته. وقد كان ورد البصرة من ديار ريعة شاعر يكنى أبا الهيثام كلاب بن حمزة، وكان لن لنكك يتولع به ويدع في هجائه، كقوله فيه:

نفسى تقيك أبا الهيثام كل أذى ... إنّي بكل الذي تراضاه لي راضي
ما بال جمعك مركوباً على ذكرى ... يا أكرم الناس من باق ومن ماضي
ما كان أبري فقيها إذ ظفرت به ... فكيف ألبسته دنيّة القاضي
وقال فيه أيضاً:

حوي يوماً أبو الهيثام أيري ... وذاك بمثله أبداً حريّ
فبرنس رأسه بالجلس حتى ... تنكر منه لي خلق وزى
فقلت هديت لم برنس أيري ... فقال لأن أيرك قرمطي
وقال أيضاً:

أنت ابن كل البرايا لكن اقتصروا ... على اسم حمزة وصفاً غير تشميخ
كدار بطيخ تحوي كل فاكهة ... وما اسمها الدهر غير بطيخ
وقال أيضاً:

يا من تطيّب وهو من حرق استه ... قلق يكابد كلّ داءٍ معضل
فشل الصيال وما عهدنا دبره ... مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
أراه في الكتب الجلييلة زاهداً ... لا يستجيد سوى كتاب المدخل

قيلته ولثمت فاه مسلماً ... لثم الصديق فم الصديق الجمّل
دنا إليّ على المكان وقال لي ... أفديك من متشوق متغزل
إن كنت تلثمني بحق فاسقني ... بلسان بطنك في فمي من أسفل
وقال في الرملي الشاعر:

لأم الشاعر الرملي صدغ ... صبور ما علمت على الدّباغ
فرغت ولم تكن فرغت فرامت ... إدامة نيكها حتى الفراغ
فقلت لها فديتك لا تجوري ... فليس على الرسول سوى البلاغ
وقال فيه أيضاً:

إن الرملي فيما اق ... تص عني وحكاه
يدعي يوم اصطلاح ... نا أنني قبلت فاه
لم أقبل فاه لكن ... قبلت نعلي قفاه
وقال في المبرمان النحوي:

صداعٌ من كلامك يعترينا ... وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة بهت ... لقد أبرمتنا يا مبرمان
ما أخرج من شعره في الغزل والشراب قال:
حبيب جفوتي فرض عليه ... مفري في الهوى منه إليه

إذا لحظاته قتلت محباً ... تشحط منه في دم وجنتيه
وقال أيضاً:

أتطمع أن تحب ولا جفونٌ ... مؤرقة ولا قلبٌ جريحٌ
فأين هوى تذوب به وتبلى ... أراك تظنُّ أن الزمر ريح
وقال أيضاً:

وروض عبقرى الوشى غص ... يشاكل حين زخرف الشقيق
سماء زبرجد خضراء فيها ... نجومٌ طالعات من عقيق
خليلي اسقياني الراح صرفاً ... إذا وحرق قلبي بالرحيق
ذرائي قبل أن ألقى حمامي ... أشوب بريق من أهواه ريق
وقال أيضاً:

قد شربنا على شقائق روض ... شربت عبرة السحاب السكوب
صبغت من دم القلوب فما تب ... صر إلا تعلقت بالقلوب
وقال أيضاً:

أمر غد أنت منه في لبس ... وأمس قد فات فاله عن أمس
وإنما العيش عيش وقتك ذا ... فبادر الشمس بابتة الشمس
وقال أيضاً:

أقول لصاحبي والراح روحٌ ... لجسم الكأس في كف النديم
وقد حبس الدجى عنا بواك ... تسيل نفوسها فوق الجسوم
ونحن من المسرة في سماء ... فمن سارى الضياء ومن مقيم
شموعك والكؤوس مع الندامى ... نجومٌ في نجوم في نجوم
وقال في قلة شربه وسرعة سكره:

فديتك لو علمت ببعض ما بي ... لما جرعتني إلا بمسقط
فحسبك أن كرمًا في جوارى ... أمرٌ باباه فأكاد أسقط
وله في مثل ذلك:

لو أنني مسعيٌ ... شربت ما شئت حيناً
لكنني عهدي ... فاعرف حديثي يقيناً
فرأت عهدة كرم ... فكان سكري سنيناً
وقال أيضاً:

أيها الشيخ الذي برّ ... ز قدماً في السيادة
والذي أعطاه أهل ال ... أرض في السبق المقادة
وأقر الكلّ منهم ... أنه عين القلاده

أنا يكفيني من المش ... روب ما يكفي جراحه
وحديني طال فيه ... مثل تفسير قتاده
وهو إبرام وقصص ... فاكهني فيه الإعادة
ما أخرج من ملحه في سائر الفنون قال:
تولى شباب كنت فيه منعماً ... تروح وتغدو دائم الفرحات
فلست تلاقيه ولو سرت خلفه ... كما سار ذو القرنين في الظلمات
وقال:

فراق أخلائي الذين عهدتهم ... يوكل قلبي بالهموم اللوازم
وما ذا أرجي من حياة تكثرت ... ولو قد صفت كانت كأضغاث حالم
وقال أيضاً:

نكرت نحولي وهو من فرط الأسى ... لفراق إخوان عليّ كرام
وتعجبت للشيب، لا تتعجي ... هذا غبار وقائع الأيام
وهو مأخوذ من قول ابن المعتز:
قالت كبرت وشيت قلت لها ... هذا غيار وقائع الدهر
وقال أيضاً:

إذا خفق اللواء عليّ يوماً ... وقد حمل امرؤ القيس اللواءَ

رجوت الله لا أرجو سواه ... لعل الله يرحم من أساء
وقال أيضاً:

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً ... رأيت صورته من أقبح الصور
وهبك كالشمس في حسن ألم ترنا ... نفرّ منها إذا مالت إلى الضرر
أخذه الصاحب فقال:

يقال تركت الذي حسنه ... يكاد ينجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحتمى ... إذا بسطت في المصيف الأذى
وقال أيضاً:

نحن بالبصرة في لو ... ن من العيش ظريف
نحن ما هبت شمال ... بين جنات وريف
فإذا هبت جنوب ... فكأنّا في كنيف
وقال أيضاً:

ليس في البصرة حرٌّ ... لا، ولا فيها جواد
إنما البصرة أنشا ... ب ونخل وسماد

ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد، لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه:
وعصبة لما توسطتهم ... صارت عليّ الأرض كالحاتم
كأنهم من سوء أفهامهم ... لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إيليس إذا زارهم ... لأنهم عارٌّ على آدم
بقوله:

لا تصلح الأرض ولا تستوي ... إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خلقتم فلم ... يكذب عليكم لا ولم يَأثم
ما أنتم عارٌّ على آدم ... لأنكم غير بني آدم
وقال أيضاً:

وليلة أرَّقني طولها ... فبتّها في حيرة الذاهل
كأنما اشتقت لإفراطها ... في طولها من أمل الجاهل
وقال أيضاً:

يا سفلأً أوقظوا بخسّتهم ... لكن عن الجود والتدى ناموا
لا تكذبوا صحّ أنكم نعم ... عندكم للزمان أنعام

أبو عبد الله الحسين بن علي النميري

صاحب أبي رياش وابن لنكك، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير،
والعلم القوي القويم، والنظم الظريف المليح.
فمما سار من ذلك قوله من قصيدة في ذي الكفائين أبي الفتح، وكان ورد عله الري فأحسن إليه ووصله
بصلة حسنة فيها دراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير،
واستهالها:

واهاً لأيام الصباية واها ... بل آه من تذكّرهنّ وآها
فالى الحرينة فالجينة فالربي ... مغنى الأوبة حبّدا مغناها
روض كلفت بنوره وبنوره ... وربى ألفت هواءها وهواها
أصبو إلى أترابها وترايبها ... ومهاة عيشي في ظلال مهاها
فيهنّ شمس لا تروم عيوننا ... حنر العيون سناءها وسناها
نمرية من دونها متممّ ... أخشى شبيه تارة وشباها
ماذا على النمر الكرام عشيرتي ... لو ضمّ بين فتاتها وفتاها
فتيان صدق كالشموس تعودت ... قنص النفوس ظباؤها وظباها

يا من لنفس شطرها في بلدةٍ ... بنرى العراق وشطرها بسواها
ظمئي إلى حوَّ الشفاه، وإنما ... حوَّ الشفاه سقامها وشفاهها
ظماً الهمام إلى المكارم والعلا ... وقد ارتوى منها كما أرواها
وجلس في النادي الذي حاز الندى ... من جنةٍ دانٍ إليّ جناها
دارٌ عرفت معانقة الكرى ... وأخذت حظي لهاها ولهاها
عاتبت مكرمة الزمان فاعتبت ... فيها وناجيت السرور شفاها
ملكٌ أغرّ وبركة لجية ... في روضةٍ تعطي العيون رضاها
يحبوك ذا المال الجزيل وهذه ال ... ماء المعين وهذه رباها
روضٌ إذا جرت الرياح مريضةً ... في زهرة استشفت به مرضاه
وإذا قابلت الندامي وسطه ... سكر الصحة كما صحا سكرها
يتسلسل الماء الزلال خلاله ... فتخاله الحيات خفّ سراها

تسلّ أو تنساب غير لواذع ... فكأنما وشى الحباب رقاها
وأخذت من أقماره وشموسه ... من تبره ولجينه أشباها
من أبيض يقق وأصفر فاقع ... لو معن كنّ سلافة ومياها
؟قد ضوعفت زنةً فزادت زينةً يجلو القذى عتاً جلاء قذاها
خيفت عليهن العيون فعوذت ... باسم الإله وباسم شاهنشاهها
يا ابن العميد عميد دولته الذي ... بلسانه وسنانه سنّاها
ما أنت إلا صحّة مكلوعة ... تتقاصر الأفهام دون مداها
فإذا مرضت ولا مرضت فإته ... مرض الرياح يطيب فيه ثناها
لم تنسك الأمراض ذكر صنائع ... تولى وشكر صنائع تولّاها
فاسلم لدولتك التي وطّدتها ... ورعيت أولّاها على أحراها
وله من قصيدة كتب بها إليّ وبأختها التي تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته المشكورة في مهادتي بطرائف
الآداب التي تصلح لهذا الكتاب:

سرت النجائب بالنجائب ... ترمي الكواكب بالكواكب
ترمي تجاهات المشا ... رق من تجاهات المغارب
رغباً إلى ملكٍ تحكّ ... م في رغبته الرغائب
ملكٌ تبوّ من علا ... ه في النواصي والنوايب
حيث السوابع والسوا ... بق والنجائب والجنائب
يهب المنعمة الكوا ... عب والمطهّمة السلاهب
ومنها:

زرنأك من أرض البصي ... رة شاحين على شواحب
نرد المناهل كالجأ ... هل والسباب كالسائب
لاري دون الريّ وال ... بحر الغطامط ذي الغوارب
بحرّ جواهره طوا ... في سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا ... رب لا ولا اللجج الكواذب
كم من ظباء بالبصي ... رة في المقاصر والسباب
إنس ووحش يشته ... ن سوى الذوائب والحقائب
أدم يقاسم الأرا ... ك جناه والقضيب والطرائب
فلأنسها أغصانه ... تجلو به برد السحائب
ولوحشها غضّ الجنى ... عبث المعازف والملاعب
نصطاد وحشياتها ... وتصيدنا الإنس الخراعب
يا ربّ يوم لي كظلّ ... ك أو كظتك أو يقارب
رقّت حواشيه وغضّ ... ت عين واشيه المراقب
قصرت لنا أطرافه ... قصر القناع عن الذوائب
وتبرّجت لذاته ... للخاطين وللخواطب
نزلت به حاجاتنا ... بين المحاجر والحواجب
وكسوني حللاً صقل ... ن خواطري صقل القواضب
حللاً ودياج الحدو ... د مطرّزات بالشوارب
فلتشكرن رياضنا ... جدوى سحائبك الصوائب
ولتظمن لك القصا ... ند كالقلائد للكواعب
؟

المفجع البصري

هو أبو عبد الله الكاتب، له مصنفات كثيرة، وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء، وفيه قيل:

إن المفجع وبه ... شرُّ الأوائل والأواخر

ومن النوادر أنّه ... يملئ على الناس النوادر

كأنه قول أبي تمام:

ومالك بالغريب يدّ ولكن ... تعاطيك الغريب من الغريب

أو من قول الآخر:

ومن المظالم أن قع ... ت على المظالم يا فزاره

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة. يكاد يقطر منه ماء الظرف، حكى أبو بكر الخوارزمي قال: قال لي اللحام:
أنشدني المفجع لنفسه:

ليّ أيرّ أراحني الله منه ... صار همي به عريضاً طويلاً
نام إذ زارني الحبيب عناداً ... ولعهدي به ينك الرسولاً
حسبت زورةً عليّ لحيني ... فافترقنا وما شفيينا غليلاً
فقلت فيه:

إنّ المفجع فالحجوه مؤنث ... نغلّ يدين ببغض أهل البيت
يهوى العلوق وإنما يلقاهاهم ... بمؤخر حيّ وقبل ميت
وأنشدني أبو الحسين الشهرزوري الحنظلي. قال: أنشدني المفجع لنفسه في غلام له يكنى أبا سعد:
زفرتُ تعنادني عند ذكرا ... ك وذكراك ما يريم فؤادي
وسروري قد غاب عنيّ مذ غب ... ت فهل كنتما على ميعاد
حاربتني الأيام فيك أبا سع ... د بسيف الهوى وسهم البعاد
ليس لي مفزع سوى عبرات ... من جفون مكحولة بالسّهاد
في سهادي لطول أنسي بذكرا ... ك اعتيض عن الكرى والرقاد
وبحسي من المصائب أنّي ... في بلادٍ وأنتم في بلاد
وأنشدني أبو نصر الروذبادي الطوسي للمفجع:
ألا يا جامع البصر ... ة لا خربك الله
وسقى صحتك المرن ... من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك ... يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس ... مليح فيك مرعاه
نصينا الفحّ بالعلم ... له فيك فصدناه
بقرآنٍ قرأها ... وتفسير رويناه
وكم من طالب للشع ... ر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا ... م حتى لان مثناه
وحقّ ثبت السرج ... عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمر ... د كذب ما ذكرناه
فلا يغرنك ما قلنا ... فما بالجد قلناه
ولو كان من البعض ... برياً حين نلقاه
فرح بالدراهم الضرب ... إليه تتلاقاه
فبالدراهم يستنز ... ل ما في الجو مأواه

ومن ملحہ المشہورۃ قولہ الإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر وأترج ونارنج وأراه أبا سعد غلامہ فقال:

إن شيطانك في الظر ... ف لشیطانٌ مرید

فلهذا أنت فيه ... تبتدي ثم نعيد

قد أتننا تحفة من ... ك على الحسن تزيد

طبقٌ فيه قدود ... و حدود ونمود

وقوله في غلام مغن جدر فازداد حسناً:

يا قمرًا جدّر حين استوى ... فزاده حسناً وزادت همومُ

كأنما غنى لشمس الضحى ... فتقطعه طرباً بالنجوم

وقوله أيضاً:

سيدي أنت إنّ عبدك أمسى ... خافقاً قلبه خفوق الجناح

فاغتم غفلة الرقيب وزره ... في رداءٍ من الدجى ووشاح

وقال، ويروي لابن لنكك:

لنا سراجٌ نوره ظلمة ... ليس له ظلّ على الأرض

كأنه شخص الإمام الذي ... تبغي الهدى منه أولو الرفض

ومن ظريف قوله في الهجاء:

فسا على قوم فقالوا له ... إن لم تقم من بيننا قمنا

فقال لا عدت فقالوا له ... من نتن فيه ذا كما كنا

ووجدت بخط أبي الحسين علي بن أبي أحمد بن عبدان في مجموعة المسمى حاطب ليل للمفجع البصري:

أدارها ولليل اعتكارٌ ... فخلت الليل فاجأه النهارُ

فقلت لصاحبي والليل داج ... ألاح الصبح أم بدت العقار

فقال هي العقار تداولوها ... مشعشةً يطير لها شرار

فلو لا أنني أمتاح منها ... حلفت بأنّها في الكأس نار

؟

نصر بن أحمد الخيز أريزي

كنت على طي شعره وذكره، إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه، ثم تذكرت قرب عهده وتكلف ابن لنكك جمع ديوان شعره. فسنح لي أن أضمن هذا الكتاب. لمعاقد علقت بحفظي منه، والإعراض عن التصفح لباقي شعره وترك الفحص فما يصلح للإلحاق بها من ملحہ، وعلى ذكره. فقد بلغني من غير جهة أنه كان أميا لا يكتب ولا يتهجى، وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة، فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه، ويتطفون باستماع شعره، وبتعجبون من حاله وأمره. وأحداث البصرة

ويتنافسون في ميله إليهم وذكره لهم، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته. وكان ابن لنكك - على ارتفاع مقداره - يتتاب دكانه ويسمع شعره. فحضره يوماً وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه، فانصرف وكتب إليه:

لنصر في فوادي فرط حب ... ينيف به على كل الصحاب
أتيناها فبحرنا بخوراً ... من السَّعف المدخن بالتهاب
فقمتم مبادراً وحسبت نصراً ... يريد بذاك طردي أو ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين ... قلت له إذا اتسخت ثيابي
فلما قرئت عليه الرقعة التي فيها هذه الأبيات، أملى على من كتب له في ظهرها هذه الأبيات
منحت أبا الحسين صميم ودّي ... فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كالشيب لوناً ... فعدن له كريهان الشباب
وبغض للشيب أعدّ عندي ... سواداً لونه لون الخضاب
فإن يكن التقزز فيه فخراً ... فلم يكني الوصي أبا تراب

ويحكى أنه لما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك: فمن النوادر أن شاعراً يكنى بزعمه أبا طاهر انتهى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري والخالدين وغيرهم من المحسنين، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان، حتى تقشر فلسه، وظهر عواره وخزيه، وجرى على ما قاله أحمد بن طاهر:
أظن دعوته في الشعر جائزة ... له عليّ كما جازت على النسب
وفيه يقول أبو بكر الخوارزمي:

يقول تصر أبي فقلت لهم ... عندي بهذا شهادة حسنة
نعم ولكن أمّه حملت ... من بعد ما مات شيخه بسنه
فمن ملح نصر قوله:

خليلي هل أبصرتما وسمعتما ... بأكرم من مولى قمشي إلى عبد
أتى زائراً من غير وعد وقال لي ... أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بين وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تعضيض تفاحة الخد
وقوله:

من يكن يهواه للخا ... ق فإني عبد خلقه
إن حسن الخلق أهي ... للفتى من حسن خلقه خلقه
وقوله:

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ... روض الحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعائي لافتتاح هوى ... لم؟ فتفتح منه الثور والزهر

وقوله:

وددت أني بكفّه قلمٌ ... أو أني مدّة على قلمه
يأخذني مرّةً ويلثمّني ... إن علقت منه شعرة بفمه

وقوله:

قد قلت إذ خان صبري من كلفت به ... ولم يكن عنه لي صبرٌ ولا جلد
إن كان شاركني في حبّه وقحٌ ... فالنهر يشرب منه الكلب والأسد

وقوله:

لا تعشّقن ابن الربيع فإنّه ... عند التجرد آية الآيات
وجه كعبادان ليس وراءه ... طيّبه شيء سوى الخشبات

وقوله:

تجنّني عليّ ذنباً وتعتلّ ... بأن قد رأيت منّي ذلّه
لعن الله قربةً ليس فيها ... لفتى يطلب المعلّة علّة

وقوله:

ألم يكفني ما نالني في هواكم ... إلى أن طفقتم بين لاه وضاحك
شمائتكم بي فوق ما قد أصابني ... وما بي دخول النار بل طنز مالك
وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال: أنشدني عبد السمیع بن محمد الهاشمي، قال:
أنشدني نصر بن أحمد الخيز أرزي لنفسه:

شاقني الأهل لم تشقني الديار ... والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا

جيرةً فرقتهم غربةً الـبي ... ن وبين القلوب ذاك الجوار

كم أناسٍ رعوا لنا حين غابوا ... وأناسٍ جفوا وهم حضّار

عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ... ثم مالوا، وانصفوا ثم جاروا

لا تلمهم على التجنّي فلو لم ... يتجنّوا لم يحسن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه من قصيدة:

ورد الحدود وorman النهود وأغ ... صان القدود تصيد السادة الصيّدا

شرطي إذا ما رأيت الخصر مختصراً ... والردف مرتدفاً والقدّ مقدوداً

أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثرى والزهرة:

رأيت الهلال وقد أهدقته ... نجوم الثرى لكي تسبقه

فشبهته وهو في إثرها ... وبينهما الزهرة المشرقة

بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً ... فأُتبع في إثره بندقه
وله في اقترانِ الهلالِ والزهرة:
قارن الزهرة والهلال، وكانا ... في افتراقٍ ما بين صدّ وهجره
فإذا ما تقارنا قلت طوقاً ... من لجينٍ قد علقت فيه دره
وله في الغزل:
يا بنفسي من إذا جَمَشْتَه ... نشر الورد عليه ورقة
وإذا مدت يدي طرّته ... أفلتت مني وعادت حلقة
؟

أبو الحسن الظاهر البصري

أنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر. قال: أنشدني أبو الحسين الظاهر البصري لنفسه قوله:
نفسى الفداء لمن جاءت تودّعني ... يوم الفراق بقلبٍ خائفٍ وجلٍ
قد كنت فارقت روجي خوف فرقتها ... لكن حيت بطيب الضمّ والقبل
وله من قصيدة في مفصود:
كأثما دمه في الطست حين جرى ... صرف من الراح في قعب من الذهب
حتى إذا رجعت في كفه يده ... كالشمس غابت عن الأبصار في الحجب
كانت كما قال في القرآن خالقنا ... واضمم جناحك يا موسى من الرهب
ووله في وصف حية قتلها في بعض أسفاه:
عرفت في الأسفار ما لم أعرف ... من كل موصوف وما لم يوصف
آليت لا أنصف من لم ينصف ... ولا أفي دهري لخلّ لا يفي
سرت وصحي وسط قاعٍ صفصف ... إذ أشرفت من فوق طود مشرف
رقشاء ترنو من قليب أجوف ... تومي برأس مثل رأس الجدف
في ذنب مندمج معقف ... حتى إذا أبصرتها لا تنكفي
علوتهما بحدّ سيفٍ مرهف ... فظل يجري دمها كالقرقف
أتلفتها لما أرادت تلفي ...

الباب السادس

في ذكر نفر من

شعراء العراق ونواحيها

سوى بغداد وسياق ملحمهم ولطائفهم

ابن التمار الواسطي

شعره يتغنى بأكثره ملاحه ورشاقة، وإنما كان يقوله تطرباً لا تكسبا، وقد بلغني به أبيات قلائل إلا أنها قلائد، كقوله:

أما ترى اليوم في أثوابه الجدد ... يحكيك يا غرة الأيام والأبد
فاشرب وسقّ الندامى من مشعشة ... كلون خدك لم تنقص ولم تزد
على غدير إذا هبّ النسيم به ... أبصرته من حبيك الريح كالزرد
وله :

الخمر شمس في غلالة لاذ ... تجري ومطلعها من الخرداذي
فاشرب على طيب الزمان فيومنا ... يوم النذاذ قد أتى برداذ
وانظر إلى لمع البروق كأنها ... يوم الضراب صفائح القولاذ
وقوله عفا الله عنه:

قم فانتصف صروف الدهر والنوب ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الليل قد ولّت عساكره ... مهزومة وجيوش الصبح في الطلب
والبدر في الجانب الغربي تحسبه ... قد مدّ جسراً على الشطين من ذهب
؟

أبو طاهر الواسطي المعروف بسيدوك

شعره يروي حين يروي، ويحفظ حين يلحظ، وما لظرفه نهاية، ولا للطفه، غاية، ولا عيب فيه غير أن الذي وقع إليّ منه قليل يلتقي طرفاه، وتجتمع حاشيتاه، وديوان شعره ضالتي المنشودة ودريقي المفقودة، ولا بأس من حصوله، أنشدني كل من أبي طاهر ميمون بن سهل الواسطي الفقيه وأبي الحسن المصيصي ومحمد بن عمر الزاهر قال: أنشدني سيدوك لنفسه، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته في طول الليل:

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا ... والليل أطوله كاللّمح بالبصر
فالآن ليلى مذ غابوا فديتهم ... ليل الضّير فصبحي غير منتظر
وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان له:

أراح الله نفسي من فؤاد ... أقام على اللجاجة والخلاف
ومن مملوكة ملكت رقاها ... ذوي الألباب بالخدع اللّطاف
كأن جوانحي شوقاً إليها ... بنات الماء ترقص في حقاف
وأنشدني ميمون الواسطي، قال: أنشدني سيدوك لنفسه:

أظن بليّة دهمت فؤادي ... وأحسبها غزال بني سليم
وإلا لم يغبّ فتعتريني ... مذلة ضيمه من غير ضيم
ولي عينٌ إذا فقدته صارت ... كعين الشمس ملبسةً بغيم
وأنشدني له أيضاً:

أنت من القلب في السواد ... وموضع السرّ من فؤادي
يا ساكناً في سواد عيني ... وبين جفني والرقاد
لم تنأ لما نأيت عني ... ولا تباعدت بالبعد
وأنشدني أيضاً له:

جنت صحبة الأضحى عليّ فأذهبت ... فؤادي فلا ضرّي ملكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحر ما لك مهدياً ... لنحري سهم النحر نبت عن الشرع
وله من أبيات:

حذري عليك أشدّ من ... حذري على بصري وسمعي
إن كنت تنكر ما أقو ... ل فهاك سل سهري ودمعي
ووجدت منسوباً إليه في بعض التعليقات:

جعلت فداءك قد زارني ... أخلاء أعظم أقدارهم
وعزمي أكون لهم ساقياً ... فكن بأبي أنت حمارهم
؟

أبو عبد الله الحامدي

حامدة: من أعمال واسط، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا مما أنشدنيه ميمون الواسطي، قال: أنشدني أبو
عبد الله لنفسه بالحامدة:

مشتاقة طرقت في النوم مشتاقاً ... أهلاً بمن لم يكن في العهد ميثاقاً
أهلاً بمن ساق لي طيف الأحبة من ... أرض الأحبة، بل أهلاً بمن شاقاً
يا زائراً زار من قرب على بعد ... آنست مستوحشاً لا ذقت ما ذاقا
الله يعلم لو أنّي استطعت لقد ... أفرشت ممشاك احداً و آمافا
يا ليل عرج على إلقين قد جعلاً ... عقد السواعد للأعناق أطواقا
ضاق العناق وضمّ الشوق بينهما ... ضمّ القرينين أعناقاً فأعناقا
وأنشدني له أيضاً:

قل للملحية في الخمار المشمشي ... كم ذا الدلال عدت كل محرش
يا من غدا قلبي كنرجس طرفها ... في الحب لا صاح ولا هو منتشي
هذا الربيع بصحن خدك قد بدا ... لمقبل ومعضضٍ ومخمشٍ

فمضى أيت معانقاً لبهاره ... ولورده المستأنس المستوحش
وأنشدني له أيضا:

سقاني وحياني وبات معانقي ... فيا عطف معشوق على ذل عاشق
ويا ليلة باتت سواعدنا بها ... تدور على الأعناق دون المخاتق
نبث من الشكوى حديثاً كأنه ... قلائد درّ في نحر العواتق
وأنشدني له:

يا راحلاً ترك البكاء مباحا ... ما رحت أنت، بل اضطباري راحا
إن اخلفتني فيك أسباب المني ... وغدوت لي سقماً وكت صلاحا
فلقد عهدتك مسعداً لي في الهوى ... وعهدت وجهك في الظلام صباحا
وأنشدني له:

ما الرأي عندك أيها البدر ... في عاشق لك خانه الصبرُ
وقع برأيك فوق قصته ... يا من إليه النهى والأمر
لو أن حسناً زاد في عمرٍ ... لازددت عمراً بعده عمر
؟

أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم

المعروف بالأنباري

بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء، وهي في ابن بقية لما قتل وصلب، وقد أثبتتها
كما هي:

علو في الحياة وفي الممات ... لحقّ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نذاك أيام الصلات
وأخذه من قول ابن المعتز:
وصلوا عليه خاشعين كأنهم ... وفودّ وقوف للسلام عليه
رجع:

كأنك قائم فيهم خطيباً ... وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالاً ... كمدّها إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمتك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلاً ... كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيدٍ ... علاها في السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأسٍ ... تباعد عنك تعبير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً ... تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستشارت ... فأنت قبيل ثأر النائبات
وكتت تجير من صرف الليالي ... فعاد مطالباً لك بالترات
وصير دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيئات
وكتت لمعشرٍ سعداً فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطنٌ لك في فؤادي ... حقيقٌ بالدموع الجاريات
أخذه من قول ابن الرومي:
لم يظلم الدهر أن توالى ... فيكم مصيباته دراكا
كنتم تجيرون من يعادي ... منه فعاداكم لذاكا
عاد:

ولو أي قدرت على قيامي ... بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحات
ولكني أصبر عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجنة
ومالك تربة فأقول تسقي ... لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن ترى ... برحات غوادٍ رائحات
؟

أبو الحسين محمد بن عمر الشغري الكاتب

أحد المقلين الحسنين، ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة، كقوله في خط العذار، وهو أحسن ما سمعت فيه على
كثرته:

لي حبيب يزهي بحسن عجيب ... وبقد مثل القضيبي الرطيب
أحرق بالسواد فضة خدي ... ه فقد أحرق سواد القلوب
وقوله في وصف التمر:

أما ترى التمر يحكي ... في الحسن للنظار
مخازياً من عقيق ... قد قمعت بنضار
كأثما زعفران ... فيه مع الشهد جاري
يشف مثل كؤوس ... مملوءة من عقار
وقوله في الباقلاء الرطب:

فصوص زبرجد في غلف درّ ... بأقماع حكّت تقليم ظفر

وقد صاغ الإله ثياباً ... لها لوانان من بيضٍ وخضر
ربيعٌ للقلوب بكلّ أرضٍ ... ونقل ما يملّ لشربِ خمر
وله في الرمان:

ورمان رقيق القشر يحكي ... ثديّ الغيد في أثوابٍ لاذ
إذا قشّرتَه طلعت علينا ... فصوصٌ من عقيقٍ أو بخاذ

أبو محمد بن زريق الكوفي

الكاتب رحمه الله تعالى

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: أنشدني أبو سليمان المنطقي ببغداد، قال: أنشدني ابن زريق لنفسه:
سافرت أبغي لبغدادٍ وساكنها ... مثلاً فحاولت شيئاً دونه اليلس
هيهات بغداد الدنيا بأجمعها ... عندي. وسكان بغداد هم الناس
وأنشدني له غيره في شعر الصولي:

داري بلا خيش ولكّني ... عقدت من خيشي طاقين
دار إذا ما اشتد حرّ بها ... أنشدت للصولي بيتين
وله أيضاً في العيادة:

يا مريضاً بسقمه ... مرض الحلم والوفا
لم يكن تركي العيا ... دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك يا أكرم الناس مدنفا
طال خوفي عليك فا ... لحمد الله إذا كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قيحة المنظر:

أبا سعيد أصخ لي ... يا سيدي ونديمي
منيت أمس بأمرٍ ... من الأمور عظيم
حصلت عند صديقٍ ... حرّ ظريف كريم
أسقي على شدة دبسية ... فتنفي همومي
فكنت حين تغني ... لدي جنان النعيم
وإن نظرت إليها ... ففي العذاب الأليم
وإن شربت بصوتٍ ... فالراح بالتسليم
وإن شربت بلحظٍ ... فالمهل بالزقوم
فكان سمعي بخير ... ومقلتي في الجحيم

وأُنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق، يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لما قلده أبي جعفر بن شيرزاد، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دستانه وفي مثل حاله. وقد كان حضره قبل ذلك فحجب:

إنّا رأينا حجباً منك قد عرضا ... فلا يكن ذلّنا فيه لك الغرض
اسمع لنصحي ولا تغضب عليّ فما ... أبغي بقولي لا مالا ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ما سواه، وكم ... سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على ... هذا السرير رأينا الملك فانقرضا
قال: فاعتذر إليه الكوفي، وقال له: حسبنا، وقضى حوائجه.
؟

أبو الورد

بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المطاوعة والمحاكاة، وكان يخدم مجلس المهلب الوزي، ويحكي شمائل الناس وألسنهم، فيؤديها كما هي، فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان. وكان أبو إسحاق الصابي قد بلي به حتى قال فيه:

ومن عجب الأيام أن صروفها ... تسوء امرأً بمثلي أبي الورد
فيا ليتها اختارت نظيراً وأنها ... رمتني بشنعاء الدّواهي على عمد
فكم بين معقور الكلاب وإن نجا ... ذليلاً ومقتول الصّراغمة الأسد
وفيه يقول السري حيث يذكر صفعه للملحي الشاعر:
وما خلت صفعان العراق يسومني ... لأمثاله ذماً يسيراً ولا حمدا
إذا ما أبو الورد انتحاه بكفه ... حسبت قفاه روضة تنبت الورد
ولأبي الورد شعر له في الإضحاح مثل قوله:
أنا في كل سحير ... في مداراة لا يرى
دائماً يطلب وجهاً ... حسناً من بيت غيري
قلت لك يا أير من ير ... تع في خيري وميري
قال: لا أسطيع نيكا ... لكسير وعوير
وقوله:

طفيلي يؤم الخبز آني ... رآه ولو رآه على يفاع
ولا يروي من الأخبار إلا ... أجبت ولو دعيت إلى كراع
وقوله:

وصديق جاءني يس ... ألي ماذا لديك
قلت: عندي بحر خمر ... حوله آجام نيك

وقوله:

ولي صاحب أفسى البرية كلّها ... يشكّني فيه إذا ما تنفّسا
تحوّلت الأنفاس منه إلى استه ... فما أحدٌ يدري تنفس أم فسا

وقوله:

ليس اشتقاق أبي المظفر ... من أن يرى ظفراً فيظفر
لكن تطاول ظفّره ... فلذاك قيل أبو المظفر
؟

الباب السابع

في ذكر قوم من

شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

؟

ابن نباتة السعدي

أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم، وصدور مجيديهم. وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام، مستمر النظام، يشتمل على غرر من حر الكلام، كقطع الروض غب القطر، وفقر كالغنى بعد الفقر. وبدائع أحسن من مطالع الأنوار. وعهد الشباب، وأرق من نسيم الأسحار، وشكوى الاحباب، وأول ما وقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها، من طرائف الدفاتر ولطائفها، وذخائرها وأخايرها، وأتحفني به وهو بغبار السفر، وجعلني في أبا عذرة النظر. فحسبته والطرف معقود به، شخص الحبوب بدا لعين محبه، وباكورة الأشعار، أرفع من باكورة الثمار، فكم مرتع أنس فيه رعيت. وكم فص مختص منه وعيت. وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطر، ويجلو النواظر ويصدق قوله، وقد أحسن فيه كل الإحسان:

وكم لليل عندي من نجوم ... جمعت النثر منها في نظامي

عتاباً أو نسيباً أو مديحاً ... لخلّ أو حبيب أو همام

تفيد بما العقول فهمي وصحواً ... وقد فعلت بما فعل المدام

لها في حلبة الآداب ركضٌ ... إلى حبّ القلوب بلا احتشام

وقوله:

خذها إذا أنشدت في القوم من ... طرب صدورها علمت فيها قوافيها
ينسى لها الراكب العجلان حاجته ... ويصبح الحاسد الغضبان يطربها
وقوله أيضاً:

فات عبد العزيز سابقة القو ... ل وإني لوصفه في لحاق
طلعت في القلوب أفاظي الغ ... ر طلوع النجوم في الآفاق
وقوله:

هذا الكلام الذي خصصت به ... أخص في الخالدات من أحد
قول هو الماء لذ مطعمه ... فكل قول سواه كالزبد
؟ ما أخرج من غرره في الغزل والنسيب قال من قصيدة:
وبدر تمام بت أثم رجله ... وأكبره عن أن أقبل خله
تعشقت فيه كل شيء يوده ... من الجور حتى كدت أعشق صله
البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا:
وشادن روحي في يديه ... تبيت همي قبلي عليه
والبيت الثاني فيه رائحة من قول المنصور الفقيه:
سررت بهجرك لما علمت ... بأن لقلبك فيه سرورا
ولو لا سرورك ما سرّني ... وما كنت يوماً عليه صورا
لأني أرى كل ما ساءني ... إذا كان يرضيك سهلاً يسيراً
وقال من أخرى:

عجبت له يخفي سراه، ووجهه ... به تشرق الدنيا وبالشمس بعده
ولا بد لي من جهلة في وصاله ... فمن لي بخل أودع الحلم عنده
ومن أخرى:

يا من أضرب بحسن الشمس والقمر ... فلم يدع فيهما للناس من وطر
نفسى فداؤك من بدر على غصن ... تكاد تأكله عيناى بالنظر
إذا تفكرت فيه عند رؤيته ... صدقت قول الحلوليين في الصور
ومن أخرى:

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها ... فتعرف أشجاني بها حين تذكر
سوى أهما مسكية الترب ريحها ... ترفّ وتندي والهواجر ترفر
نعمت بها يجلو عليّ كؤوسه ... أغرّ الشاى واضح البشر أحور
فو الله ما أدري مدامة ... من البدر تحني من الشمس تعصر؟
إذا صيها جنح الظلام وعيها ... رأيت رداء الليل يطوي وينشر
ومن أخرى:

دعهم وقلبي لا أريد رجوعه ... أبداً فقلبي كان أصل فسادي
لو يعلمون صلاح حالي بعدهم ... ما فرقوا بيني وبين فؤادي
ومن أخرى:

إن كنت تمنع سعدي من مطالبيها ... فلست تمنع سعدي من تمنيتها
لله نعمة أوتار ومسمعة ... باتت تدل على شوقي أغانيها
وقهوة كشعاع الشمس طالعة ... أفيت بالمزج فيها ريق ساقها
يا للذة بيمين الدهر أدفعها ... في صدره وهو من أحشاي يدينها
لو كان يعلم أنني عنك أخدعه ... ثنى أنامله لي حين أثنيها
؟؟ الشكوى وذم الزمان قال:

في كل يوم لنا في الدهر معركة ... هام الحوادث في أرجائها فلق
حظي من العيش أكل كله غصص ... مرّ المذاق وشرب كله شرق
وقال:

وكم من خليل قد تمنيت قربه ... فجربته حتى تمنيت بعده
وما للفتى في حادث الدهر حيلة ... إذا نحسه في الأمر قابل سعده
أرى هم المرء اكتئاباً وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده
كأنه مأخوذ من قول المتنبي:
وأعجب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده
وقال من قصيدة:

ما بال طعم العيش عند معاشر ... حلواً، وعند معاشر كالعلقم
من لي بعيش الأغبياء فإنه ... لا عيش إلا عيش من لم يعلم
هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز:
وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا
وقال من أخرى:

يأبي مقامي في مكان واحد ... دهر بتفريق الأحبة مولع
كفكف قسيك يا فراق فإنه ... لم يبق في قلبي لسهمك موضع
كأنه من قول المتنبي:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابني سهام ... تكسرت النصال على النصال
وقال:

برمت من الحياة، وأي عيش ... يكون لمن مطاعمه الخبال؟

ولو أتى أعدّ ذنوب دهري ... لضاع القطر فيها والرمال
سقام ما يصاب له طيبٌ ... وأيام محاسنها عيوبُ
ودهرٌ ليس يقبل من أديب ... كما لا يقبل التأديب ذيب
يحب على المصائب والرزايا ... فلا كان المحب ولا الحبيب
وقال:

متى أرجو مسألة المهموم ... وآمل صحة الجسم السقيم؟
وكرر الحادثات عليّ تجني ... جنايات القروف على الكلوم؟
وقال:

طلاب المعالي للمنون صديق ... وطول الأمانى للنفوس عشيقُ
تسريل ثياب الموت أو حلل الغنى ... تعش ماجداً أو تعتلقك علوق
وما الفقر إلا للمذلة صاحبٌ ... وما الناس إلا للغني صديق
وأصغر عيب في زمانك أنه ... به العلم جهل والعفاف فسوق
وكيف يسرّ الحر فيه بمطلب ... وما فيه شيء بالسرور حقيق
إذا لم تكن هذي الحياة عزيزةً ... فماذا إلى طول الحياة تنوق
ألا إن خوف الموت مرّ قطعمه ... وخوف القتي سيفٌ عليه ذلوق
وإنك لو تستشعر العيش في الردى ... تحليت طعم الموت حين تذوق
وقال:

كيف السبيل إلى الغنى ... والبخل عند الناس فطنه
خذ من زمانك كل شيء ... لا يجرّ عليك منه
ونبت بنا أرض العرا ... ق فما محناها بمحنة
غير الرحيل، كفى البلا ... د بنقلة الفضلاء هجته
وقال رحمه الله:

وتأخذ من جوانبنا الليالي ... كما أخذ المساء من الصباح
أما في أهلها رجلٌ ليبٌ ... يحسّ فيشتكي ألم الجراح
أرى التشمير فيه كالتواني ... وحرمان العطية كالنجاح
ومن لبس التراب كمن علاه ... فلا تخضعك أنفاس الرياح
وكيف يكدّ مهجته حريصٌ ... يرى الأرزاق في ضرب القداح
وقال سامحه الله:

أراحني الله من قلب منيت به ... يهوي القعود ويهوى أشرف الرتب
أطلب لصدرك همّاً بالمنى كلفاً ... وخلّ صدري فما لي فيه من أرب
واجد يطلب بالآفات طالبه ... لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب

ما للزمان سوى أولاده درنّ ... إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي
الفخر والحماسة قال:

خليليّ قد لجّ الزمان ولجّ بي ... مرادّ، وأحداث الزمان تعوقُ
وأي فتى غنّيتما وسقيتما ... فتىّ فيه نفث السحر ليس يحقّ

كتاب : يتيمة الدهر

المؤلف : الشعالي

فتى تطرب الألحان من شرف به ... ويسكر منه الخمر وهو مفيق
كأنه نسجه على منوال قول القاتل:

ريحان ريحانه إذا ورد ال ... روض، ومنه تأدب الأدبُ
تشربه الكأس ليس يشربها ... يطرب من حسن وجهه الطرب
وبعد قوله فتى تطرب الألحان قوله:

ولو شئت علّمت المكارم شيمتي ... ولكنني بالمكرمات رفيق
أخاف عليها أن تجود بنفسها ... إذا ما أتاها في الزمان مضيق
وقال أيضاً:

ومغرور يحاول نيل عرضي ... فقلت له: الكواكب لا تنال
يعاين في المكارم فيض كفي ... ويزعم أنه ذهب النوال
ويعجب أن حويت الفضل طفلاً ... ألا الله ثم لي الكمال
أحمل ضعف جسمي ثقل نفسي ... ونفسي ليس تحملها الجبال
وأسمع كل قول غير قولي ... فأعلم أنه خطل محال
وقال من قصيدة:

رضينا وما ترضى السيوف القواضب ... نجاذبها عن هامكم وتجاذب
فياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ... ألا إن مغناطيسهن الذوائب
أقول لسعدٍ والركاب مناخة ... أنت لأسباب المنية هائب
وهل خلق الله السرور فقال لا ... فقلت أثرها أنت لي اليوم صاحب
وخل فضول الطليسان فإنما ... لباسك هذا للعلا لا يناسب
عمائم طلاب المعالي صوارم ... وأثواب طلاب المعالي تعالب
ولي عند أعناق الملوك مآرب ... تقول سيوفي هن لي والكواثب
خلقنا باطراف القنا لظهورهم ... عيوناً لها وقع السيوف حواجب
أؤمل مأمولاً يغير صدورها ... فواخجلتنا إني إلى الجند تائب
وله من قصيدة في صباه:

تضاءل الدهر حتى ضاع همي همي ... واستفحل الجند حتى صار من شيمي
فلو يكون سواد الشعر في ذمي ... ما كان للشيب سلطاناً على اللّم
فالعيش من نعمي والموت من نقمي ... وحكمة الفلك الدوار من حكمي
والحزم والعزم في الأقوام من خلقي ... كما الفصاحة في الأقوال من كلمي

لو يعلم الناس قدري في زمانهم ... صلّوا لوجهي واشتاقوا ثرى قدمي
ما زلت اعطف أيامي وتمحني ... نيلاً أدقّ من المعدوم في العدم
حتى تخوف صرف الدهر بادرني ... فرد كفي وأوما أن يسدّ فمي
أذمّ كلّ خليلٍ بات يحمدني ... أنا الذي ماله خلّ سوى الندم
وليس سؤلي يا قلبي سوى رهجٍ ... تجوده من دم الفرسان بالندم
وقال:

وعنفني في موكب الموت معشرٌ ... وقالوا أيهوى الجذب من هو في الخصب
وإني لأدري أنّ في العجز راحةً ... وأعلم أن السهل أوطأ من الصعب
ولو طلب الناس المكارم كلّهم ... لكان الغنى كالفقير والعبد كالرّب
ولكن أشخاص المعالي خفيّةٌ ... على كل عين ليس تنظر باللّب
لقد زادني حرب الزمان تجارياً ... فلا عشت في يوم يمرّ بلا حرب
ومن يك يعتاد الكروب فؤاده ... فإنك يا قلبي خلقت من الكرب
وقال:

وأنا البصير بكل علم غامض ... وإذا رأيت مذلةً فأنا العمي
والذلّ أثقل من جبال قهامةٍ ... عندي وأعذب منه سمّ الأرقم
وقال:

إذا استروح الغمر من همّه ... هربت إلى الهمة مستروحا
وإني على شغفي بالمدى ... ح لست أسرّ بأن أمدحا
وما ينقم الدهر شيئاً عليّ ... سوى أنفي منه أن أفرحا
وقال من قصيدة:

وآخذ غفو العيش لا استكدّه ... لحى الله غنماً يستفاد مع الغرم
فإن كنت أرضى بالبشاشة منكم ... ويستر عذمي شيمتي وتكرمي
فربّ جوادٍ قيد الفقر جوده ... ومبتسمٍ تعيسه في التبسّم
وله من أخرى:

وهل ينفع الفتيان حسن جسومهم ... إذا كانت الأعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفقى ... فما كلّ مصقول الحديد يماني
وله من أخرى:

حتى م تقدم والأيام تغلبنا ... وغيرنا يغلب الأيام بالفشل
يا أهل بابل عزمي قلبه فكري ... في النائبات وسيفي بعده عنلي
وعندكم نعمٌ عندي مصائبها ... لكم وصل الغواني والصبابة لي

قالوا حنيئة شجعان فقلت لهم ... كلّ الشجاعة والإقدام في الدول
ما لي أغير على دهري فأسلبه ... ويحجمون وفي أيديهم نفلي
إن لم تسليني المواضي عن جماجمهم ... إذا تطايرن فالتقصير من قبلي
غرر في المدح وما يتصل به قال من قصيدة في سيف الدولة:
يا أيها الدهر إن العي كاخلطل ... ما دهرنا غير سيف الدولة البطل
نواله جعل الأرزاق من قبلي ... وعزّه صير الأيام من خولي
وما تمهل يوماً في ندى ورديّ ... إلّا قضيت للمح برق بالكسل
ومنها في ذم الروم والأسرى منهم:

قد كنت تأسرهم بالسيف متصلاً ... فصرت تأسرهم بالخوف والوهل
من يزرع الضرب يحصد طاعة عجا ... ومن يربي العلا يأمن من الشكل
كانت سحابتك فيهم كلّ بارقة ... حمراء تمطل بالأيدي على القلل
فاليوم سحبتك فيهم كلّ بارقة ... غراء تمطل بالأموال والحلل
كأنه قول أخذه من قول أبي دهب الجمحي في قوله:
ما زلت في العفو للذنوب وإط ... لاق لعانٍ بجرمه غلق
حتى تمتى البراء أنهم ... عنك أمسوا في القدّ والحلق
ومنها في شكر صنائعه:

وما أريد عطاء غير ودكم ... وبشركم ينجلي من جودكم بجلي
قد جدت لي باللهي حتى ضجرت بها ... وكدت من ضجر أثني على البخل
إن كنت ترغب في بذل النوال لنا ... فاخلق لنا رغبةً، أولاً فلا تنل
لم يبق جودك لي شيئاً أوّله ... تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل
وله أيضاً فيه:

سيوفك أمضى في النفوس من الردى ... وخوفك أمضى من سيوفك في العدى
فتى يتحامى لذة النوم جفنه ... كأنّ لذيذ النوم في جفنه قذي
أطرفك شاكٍ أم سهادك عاشقٌ ... يغار على عينيك من سنّه الكرى
ومن سهوت في المكرمات جفونه ... رعى طرفه في جوّها أنجم العلا
فليس ينام القلب والجفن ساهراً ... ولا تغمد العينان والقلب منتضي
ومن قصيدة في المهلي الوزير:

لا تأمنوا آراءه ووطنونه ... إنّ العيون لها من الأمداد
وتعودوا بالله من أقلامه ... إن السيوف لها من الحساد
ومن أخرى في علي بن دوست بن المرزبان:

أما لو تخيرت المنى لمنحته ... كمال علي أو سلوت عن الحب

تري الشمس أمّا والكواكب إخوة ... وتنظر من بدر السماء إلى ترب
غنيت عن الآمال حين رأيته ... فأصبح من بين الورى كلهم حسي
فلم أطلب المعروف من غير كفه ... وهل تطلب الأمطار إلا من السحب
ومن أخرى:

فدتك بدائع الألفاظ طراً ... وأبكار القوافي والمعاني
نزلت من المكارم والمعالي ... بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي ... مواصلة بأيام التهاني
وله من أخرى في المهلي الوزير:

وتطرق أقفال الغيوب بصارم ... من الرأي يخشى الغيب منه ويرهب
وتطعن في صدر الكتائب معلماً ... كأئك في صدر الدواوين تكتب
ولست أرى كسب الدراهم نافعي ... ولكنها منك المودة تطلب
وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدي منه شرباً:
أيّ يوم من صاعد لم أرح في ... ه بخيل كثيرة الأسلاب
من نوال يسري بغير سؤال ... وعطاء يهمني بغير طلاب

جنّته زائراً وقد ركب الأف ... لأك والنجم تحته في التراب
بمعان سرقتها من علاه ... فكأني قرأتها من كتاب
وأشارت ألاحظه بدنوي ... فكأني سمعت فصل الخطاب
ثم قبلت ظاهر الكف منه ... فكأني قبلت وجه السحاب
يا جواداً أرواحنا من عطايا ... ه وأفهامنا مع الألباب
إن هذي الهموم تقدح فينا ... قدح كفيك في السلام الصلاب
فاسقنا صيب المدام سقاك الله ... صوب الآمال والآراب
خندريساً كأنّها تنقي المز ... ج بلرع مسرودة من حباب
خجلت من جلالكم فأتتنا ... في رداء مؤزر ونقاب
تعب المال للفقير وتغزو شربها في عساكر الأطراب
سرفت حسن خلقها من سجايا ... ك وأخلاقك الكرام الرغاب
إنها في السحاب وبل وفي الريح ... نسيم ونشوة في الشراب
خلق الله صاعداً يوم خلق الن ... اس للكأس والندى والضراب
ما سؤال الدنيا له وهي في عي ... نيه أدنى من ودّها الكذاب
قد ظلمناه في السؤال لآتا ... ما سألناه ردّ شرخ الشباب
وقال من قصيدة لعضد الدولة:

يا عضد الدولة الذي قمعت ... دولته الدهر وهو جبار
أنت نهارٌ والعالمون دجى ... وأنت طرفٌ والناس أعيار
ليس لنا في المديح محمده ... فعلك غيث والقول نوار
وله من أخرى فيه:

سلمت على عثرات الزما ... ن يا عضد الدولة المنتخب
ولا زلت ترفع من دولة ... تواضعت فيها بهذا اللقب
قسمت زمانك بين الهمو ... م تنعم فيها وبين الدأب
فيوماً تمير عفاة النسور ... ويوماً تمير عفاة الأدب
وقال من قصيدة في عضد الدولة يصف فيها نار الذسق:
لعمري لقد أذكى الهمام بأرضه ... مشهراً يتابها الفجر صاليا
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها ... وتحسد أيام الشهور اللياليا
هي الليلة الغراء في كل شتوة ... تغادر جيد الدهر أتلع حاليا
وقال وقد كثر الإرجاف بعله عضد الدولة رحمه الله تعالى:
إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه ... يرتاع قلبي وما ألقى بمرتاع
تجلد الحر لا ينسى حفيظته ... ولو رأى دمه يستنّ بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رفق ... وحين يؤيس منك المؤيس الناعي
وأسأل الركب هل أحسستم فرعا ... لو كان ميتاً لضاعت ثلة الراعي
أرضى وأقع بالأطماع كاذبة ... فما يضيرك لو أبقيت أطماعي
قد كاد يعرف وجه الذلّ في نظري ... ويظهر العجز والتقصير في باعي
غرر الأوصاف قال في وصف فرس أدهم أغر محجل، حمله عليه سيف الدولة أبو الحسن:
يا أيها الملك الذي أخلاقه ... من خلقه، ورواؤه من رائه
قد جاءني الطرف الذي أهديته ... هاديه يعقد أرضه بسمائه
أولايةً ولبتنا فبعثته ... ربحاً سيب العرف عقد لوائه
يختال منه على أغر محجل ... ماء الدياج قطرة من مائه
نكأنا لطم الصباح جبينه ... فاقص منه فخاض في أحشائه
متمهلاً والبرق من أسمائه ... متبرقعاً والبدر من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها ... لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الأخطا في أعطافه ... إلا إذا كفكت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها ... حتى يكون الطرف من أسرائه
وقال أيضاً في وصف هذا الفرس:
وأدهم يستمد الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا

سرى خلف الصباح يطير مشياً ... ويطوي خلفه الأفلاك طياً
فلما خاف وشك القوت منه ... تشبّث بالقوائم والخصا
وله وصف سكين:

مرهفةً تعجز وصف اللسان ... للسيف معنى ولها معنيان
تخلفه في حدّه تارة ... وتارة تخلف حدّ السنان
ما أبصر الرءاون من قبلها ... ماءً وناراً جمعاً في مكان
فقر وملح وأمثال وحكم قال في ذم العراق:
بلادٌ أنفَس الأحرار فيها ... كضَبّ القاع تروي بالنسيم
يجوز وينفق كلّ شيء ... سوى الآداب طراً والعلوم
وقال يصف كرامة حرب:

نسوا أحلامهم تحت العوالي ... ولا أحلام للثوم الغضاب
إذا كانت نحورهم دروعاً ... فما معنى السوابغ في العياب
وقال يصف طيب الهواء:

ألا يا حبذا طيب الغبوق ... وملبوسٌ من العيش الرقيق
إذا ما الصبح أسفر نبّهتني ... جنوب مسّها مسّ الشقيق
ألم به بقول ابن المعتز:
والريح تجذب أطراف الرداء كما ... أفضى الشقيق إلى تنبيهه وسان
ورجع:

وفتيان قَمَهمُ همومٌ ... حديثهمُ ألدُّ من الرحيق
وقال:

وكنّت إذا ما حاجة حال دونها ... نهارٌ وليلٌ ليس يعتذارن
حملت على حكم القضاة ملامها ... ولم ألزم الإخوان ذنب زمان
وقال من قصيدة في سيف الدولة:

وأقلت نقفور يرقع جلده ... وفيه لآثار السلاح خروق
يجر العوالي والسهام بجسمه ... كمحتطب للحمل ليس يطيق
سرقه من قول عنتره:

وغادرن فضلة في معركٍ ... يجرّ الأسنة كالمحتطب
وقال:

ألا فاحش ما يرجى وجلّك هابطٌ ... ولا تخش ما يخشى وجدّك رافعُ
فلا نافع إلاّ مع النحاس ضائرٌ ... ولا ضائر إلاّ مع السعد نافع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلي:

وإذا جددت فكل شيء نافع ... وإذا حدث فكل شيء ضائر
وقال:

سعى رجال فنالوا قدر سعيهم ... لم يأت رزق بلا سعي ولا طلب
حسن التأني مفاتيح الغنى، وعلى ... قدر المطالب تلقى شدة العب
وقال في نظم مثل من كتاب كليله ودمنة:

أحسد قوماً عليك قد غلبوا ... وكلّ من بادر المنى غلبا
وكت كالكرم في تكرمه ... تلف أوراقه بما قربا
وقال:

وإني لا أزال ألوم نفسي ... على طول التجنب والبعاد
وما أعتاض بالأقوام منكم ... وهل يعتاض صدر من فؤاد؟
وقال:

وما استبطأت كفك في نوال ... على عدواء نأي واقتراب
ولو كان الحجاب لغير نفع ... لما احتاج الفؤاد إلى حجاب
هذا أحسن ما قيل في الحجاب، وأحسبه بعد قول أبي تمام:
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً ... إن السماء لترجي حين تحتجب
وقال:

مثل خلعت على الزمان رواءه ... عوز الدراهم آفة الأجواد
وقال:

من لم يذق غصص التفرق لم يمت ... الموت رمحٌ والفراق سنائهُ
وقال:

يهوي الشاء مبرّز مقصّر ... حبّ الشاء طبيعة الإنسان
وقال:

نعللّ بالدواء إذا مرضنا ... وهل يشفي من الموت الدواء؟
ونختار الطيب وهل طيب ... يؤخر ما يقدمه القضاء؟

وما أنفاسنا إلّا حسابٌ ... وما حركاتنا إلّا فناء

وقال، وهو من قلائد البديعة، لشرف الدولة أبي الفوارس:

أسرّ إليك مقال النصيح ... ولست إلى النصح بالمفتقر

عليك إذا ضاغتلك الرجال ... بضرب الرؤوس وطعن الثغر

ولا تحقرنّ عدواً رماك ... وإن كان في ساعديه قصر

فإن الحسام يحزّ الرقاب ... ويعجز عما تنال الإبر

وينفع في الرّوع كيد الجبان ... كما لا يضّرّ الشجاع الحذر
شبّ الرعب بالرهب وامزج لهم ... كما يفعل الدهر حلواً بمر

أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي

من أشعر أهل العراق، قولاً بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق. وعلى ما أجرته من ذكره، شاهد عدل من
شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون، ورقى القلوب، ومنى النفوس.

ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد، آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة،
ونسبته في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب، وأمه شاعرة، وقال الشعر وهو ابن
عشر سنين، فمن أول شعر قاله في المكتب قوله:

بدائع الحسن فيه مفترقة ... وأعين الناس فيه متفقة

سهام أحاطه مفرقة ... فكل من رام لحظه رشقه

قد كتب الحسن فوق عارضه ... هذا مليح وحق من خلقه

وركب في صباه سمارة ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال:

وميدان تجول به خيول ... تقود الدارين ولا تقاد

ركبت به إلى اللذات طرفاً ... له جسم وليس له فؤاد

جرى فظننت أنّ الأرض وجه ... ودجلة ناظر وهو السواد

ورأى في يد غلام يميل إليه مرآه فقال:

رأيته والمرآة في يده ... كأنهما شمس على ملك

فقلت للصورة التي احتجبت ... من غير زهد فينا ولا نسك

يا أشبه الناس بالحبيب ألا ... تخبرنا عنك غير مؤثك

قال أنا البدر زرت بدركم ... وهذه قطعة من الفلك

قلت فإني أرى بها صداً ... فقال هذا بقية الحبك

وخرج من مدينة السلام، وورد الموصل وهو صبي حين راهق، فوجد بها أبا عثمان الخالدي، وأبا الفرج

التلعفري، وشيوخ الشعراء، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له، فقال الخالدي: أنا أكفيكم

أمره، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها، وحصل السلامي معهم، فلما توسطوا الشرب أخذوا في ملاحاته،

والنفتيش على قدر البضاعة، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجاً كان

بين أيديهم على ذلك البرد، وقال: يا أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا؟ فقال السلامي ارتجالاً:

لله در الخالدي ... الأوحاد التدب الخطير

أهدى لماء المزن عن ... د جهوده نار السعير

حتى إذا صدر العتا ... ب إليه عن حق الصدور

بعثت إليه بعذره ... من خاطري أيدي السرور
لا تعذلوه فإنه ... أهدي الحدود إلى الغور
فلما رأوا ذلك أمسكوا عنه. وكانوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله
الأول حتى قال فيه السلامي:

يا شاعراً بسقوطه لم يشعر ... ما كنت أول طامع لم يظفر
لو كنت تعرف والداً تسمو به ... لم تنتسب ضعةً إلى تلعفر
تاه ابن بائعة الفسوق على الورى ... بقذال صفعان ونكهة أبجر
وبلادة في الشعر تشهد أنه ... تيسّ ولو نصرت بطبع البحري
يخلو بأفواه الأنامل صفعه ... حتى كأن قذاله من سكر
وقال فيه أيضاً:

سما التلعفري إلى وصالي ... ونفس الكلب تكبر عن وصاله
ينافي خلقه خلقي فتأبى ... فعالي أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لساني ... وصنعتي الخسيسة في قذاله
فإن أشعر فما هو من رجالي ... وإن يصفع فما أنا من رجاله
ودخل يوماً إلى أبي تغلب وبين يديه درع فقال: صفها، فارتجل:
يا ربّ سابعةً حبتني نعمةً ... كافأتما بالسوء غير مفتد
أضحت تصون عن المنايا مهجتي ... وظللت أبذلها لكل مهتد
وورد حضرة صاحب بأصيهان واستمطر من بنوء غزير، وسرى في ضوء قمر منير، ولقيه بقصيدة منها:
رُقي العذال أم خدع الرقيب ... سقت ورد الحدود من القلوب
وآباه الصباة أم بنوها ... يروضون الشبيبة للمشيب
وقفنا موقف التوديع نوطي ... نجوم الدمع آفاق الغروب
تعجب من عناق جرّ دمعاً وتقيل يشيع بالنحيب
وقد ضاق العناق فلو فطنا ... دخلنا في المخانق والجيوب
ونحن أولئك نطلب من بعيدٍ ... لعزتنا وندرك من قريب
تبسّطنا على الآثام لما ... رأينا الغفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور، ولعله أمير شعره:
ولولا صاحب اخترع القوافي ... لما سهل الخلاص من النسيب
ومن يثني إلى ليث هصور ... لواحظه عن الرشاء الريب
وكيف يمسّ حد السيف طوعاً ... قريب الكفّ من غصن رطيب
وشبهنا فكنت أبا نواس ... ولكن جل عن قدر الحصيب

ومن يك مثل عباد أبوه ... يعيش بين الأنام بلا ضريب
؟؟أحرز الخائف الجاني، وكنز ال - مقل المعنفي، وأخا الغريب
أما لك غير بأسك من عتادٍ ... ولا غير العظام من ركوب
تروض مصاعب الأيام قهراً ... وتحملها على عودٍ صليب
وتبذل دون تاج الملك نفساً ... متيمة بتنفيس الكروب
وجربت الملوك فما أصابت ... لداء الملك غيرك من طيب
فمن غصب الإمارة إذ حواها ... فما تحوي الوزارة بالغصوب
توارثها الكفاة وتقتضيها ... مناسب معرق فيها نسيب
تمائمكم مناطقكم إذا ما ... جفت بحضور شبان وشيب
ولو صدقتك جن الليل عني ... شغفت بفن إنسي عجيب
مع القرنين من قلم وطرس ... أو العبد من طاس وكوب
أشقى الفكر عن لفظٍ بديع ... فيقدم بي على معنى غريب
ولقي مؤيد الدولة بقصيدة أولها:

وصل الخيال ومنك رمت وصالا ... هذي الزيارة لا تعدّ نوالا
زار الخيال فلا تترني في الكرى ... حاشا لحسبك أن يكون خيالا
قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى ... حتى رأيتك في اللثام هلالا
وهواك علمني القريض فراد في ... حبيبك أني منه أكسب مالا
هو منهضي نحو الأمير وهمة ... حملت إليه صلاته آمالا
ووتيرة الشعراء في مدح وفي ... منح فتجمع مفخراً ونوالا
ضربوا لك الأمثال في أشعارهم ... لكنني بك أضرب الأمثال
ولقي الصاحب بأرجوزة حسنة، منها:

يا راقداً لو لا الخيال ما رقد ... هل لك في عارية لا تسترد
موشي أثواب الجمال بالغيد ... وفر حظ جيده من الجيد
لو لم يفيض ماء الشباب لا تقدر ... قد استدار صدغه حتى انعقد
وصين ورد خده عمن ورد ... إن أبا القاسم كالسيف الفرند
ذو بدهات لم تخلد في خلد ... أغرّ ميمون به الملك أعتصد
فما تحل الوزراء ما عقد ... بجهدهم ما قاله وما اجتهد
شتان ما بين الأسود والنقد ... هل يستوي البحر والخضم والشم
أمنيقي من كل خيرٍ مستعد ... أن يسلم الصاحب لي طول الأبد
حتى يقال لم يطل عمر ليد ... فما أبو ألفٍ رئيس معتمد
كلّ غلام منهم رب بلد ... يا سعدة من والد بما ولد

وشم بروق سيفه إذا وقد ... وانساب ماء المزن فيه واطرد
كالروح لا تكمن إلا في جسد ... يحمله عبل الشوى عبل الكبد
ينجده وهو عريق في النجد ... وإن جرى كانت له الريح مدد
خاض الدماء وتحلى بالزبد ... كأثمه إنسان عين في رمد
يا مجري الفكر إلى أقصى أمد ... اسمع فقد انجز حرّ ما وعد
عذراء لم يقرع بها سمع أحد ... لو عرضت على أبي النجم سجد
وخلّ من عاندني وما اعتقد ... فليس للحاسد إلا ما حسد
وكتب من أصفهان إلى ذي الكفائتين أبي الفتح بن العميد وهو بالري قصيدة منها:
عبر الجواد بي الفرات ودجلة ... وأتي نداك فليس يعرف معبرا
فالآن يرجع يا عليّ القهقري ... لم يستطع متقدماً فتأخراً
وأعيدها من أن يعارض مثلها ... بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا
قالت وقد بعث الملوك بمهرها ... مهري سواك فكن لغيري جوهرًا

ما ضرها إلا تواطؤ طيء ... فيها على نحت المعاني بحترا
جمل غدا عنها جميل مفحماً ... وكثرن في تفصيلهن كثيراً
وكان بحضرة صاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي يشعر ويتطبب ويتجهم، ويحسد
السلامي على منزلته، فيتعرض هل ويولع به. حتى ألقمه السلامي الحجر بأن قال له يوماً:
قال لنا يوماً أبو دلف أب ... رد من تطرق الهموم فواده
لي شعر كالماء قلت أصاب ال ... شيخ لكن لفظه براده
أنت شيخ المنجمين ولكن ... لست في حكمهم تنال السعادة
وطيب مجرب ماله بال ... نجح في كل ما يجرب عاده
مر يوماً إلى عليل قتلنا ... قرّ عيناً فقد رزقت الشهادة
ولم يزل السلامي بحضرة صاحب بين خير مستفيض، وجاه عريض، ونعم بيض، إلى أن آثر قصد حضرة
عضد الدولة بشيراز، فجهزه صاحب إليها، وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف
نسخته: قد علم مولاي أطال الله بقاه أن باعة الشعر من عدد الشعر، ومن يوثق بأن حليه التي يهديها من
صوغ طبعه، وحلله التي يؤديها من نسج فكره. أقل من ذلك. وممن خبرته بالامتحان فأحمدته، وقررت
بالاختيار فاخترت. أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيده الله تعالى، وله بديهة قوية توفي على
الروية، ومذهب في الإجابة بهش السمع لوعيه، كما يرتاح الطرف لرعيه، وقد امتطى أمله، وخير له إلى
الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله، ويظهر معهم بياض حاله. فجهزت منه أمير الشعر في
موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه، وكتابي هذا رائده إلى القطر، بل مشرعه إلى البحر. فإن رأى مولاي
أن يراعي كلامي في بابه، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه، فعل إن شاء الله تعالى.

فلما وردھا تکفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتى أنشده قصيدته التي منها:
إليك طوى عرض البسيطة جاعل ... قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ... ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
فبشرت آمالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
فاشتمل عليه جناح القبول، ودفع إليه مفتاح المأمول. واختص بخدمة عضد الدولة في مقامه. وطمعته إلى
العراق، وتوفر حظه من صلاته وخلعه، واللهي تفتح الله، وسير فيه قصائد كتبت عيون غورها، وكان
عضد الدولة يقول: إذا رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارذ نزل من الفلك إلي، ووقف بين يدي. ولما
توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي، ورقت حاله، ثم مازالت تتماسك مرة وتنداعى أخرى حتى انتقل
إلى جوار ربه، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة.
ما أخرج من غوره في النسيب والغزل قال:
منيت بمن إذا منيت أفضت ... مناي إلى بنفسج عارضيه
وافضت رحمة لي حين ولّى ... مدامع كاتبى وكاتبه
وقال أيضاً:
ومختصر الخصر من بعده ... هربت فألقيت في صله
وقابلني وجهه مقبلاً ... بحمد الحسام وإفرده
فما زلت أعصر من خلّة ... وأقطف من مجتنى ورده
أشمّ بنفسج أصداغه ... وزهراً تعصفر في خلّه
وأظما فأرشف من ريقه ... فيا حرّ صدري من برده
وما للحاظ سوى وجهه ... وما للعناق سوى قلّه
وقال أيضاً سماحه الله تعالى:
وفيهن سكرى للحظ سكرى من الصبا ... تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلاف حديثها ... كزوساً وغنّتنا بصوت الخلاخل
وقال من قصيدة شب فيها بسلام بدوي كان معه:
تعلّقت بدوي اللسا ... ن والوجه والزي ثبت الجنان
أعائق من قده صعلّة ... ترى اللحظ منها مكان السنان
أدار اللثام على ثغره ... فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
ومسك ذوائبه سائل ... على آس ديباجه الخسرواني
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب ... إذا هاجنا طرب الغطرفان
أحييه بالورد والياسمين ... فيصبو إلى الشيخ والأيهقان

ويشتاق فينا عواء الذئاب ... إذا هاجنا طرب العتران
فيا بدويّ سهام الجفون ... صر عن ضيوفك حول الجفان
فإن كان دينك رعي الدمام ... فقل أنت من ذمتي في أمان
ومن قصيدة شيب بغلام عيار من الشطار:
يا مرهفاً في لحاظه مرهف ... ومخطف القدّ سهمه مخطف
من أودع الورد وجنتيك ومن ... نقش طرز العذار أو غلّف
وما لهذا الصدغ المشوش قد ... عارض طرق التقييل واستهدف
أطلع أفق العجاج لي قمراً ... بين نجوم تجول أو ترحف
يقطر ماء الجمال منه وير ... تج إذا ارتج ردفه المردف
ومسرف الحسن لا يلام إذا ... جار على عاشقيه أو أسرف
عقّف كلابه وأرهفه ... فقلت يكفيك صدغك الأعقف
تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن ... صارمك العضب قدك الأهيف
ومال كفى على سوائفه ... والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ السحاب يسحب فض ... ل الكم عجباً وفاضل المطرف
وقال والورد قد تعصفّر في ... خديه غيظاً وآن أن يقطف
مثلك يلقي يداً عليّ أما ... يخاف من ناظري أن يتلف
لو مر بي الليث مات خوفاً ولو ... أبصر طيفي في النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ ... سود بأساً والمقرب المقرف
أشطر منّي فتى إذا وقعت ... عليه عيني في الوقت لم يتلف
إذا شربنا بنت الكروم فبال ... ييض نحيا وبالقنا نتحف
لولا توقّي أو مراقبتي ... أنّي عزيز وأنت مستضعف
نحرت حتى السماء واقعةً ... فوقني والأرض تحتنا تخسف
فقلت مهلاً فلست أول من ... أخطأ جهلاً من قبل أن يعرف
البدر لا ينسخ الظلام على ... ديباجتيه والبحر لا ينزف
عزمت أن أدعي عليك فلا ... تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلمي إلى اليمين فلو ... شئت أكلت الزبور والمصحف
فافتّر عن لؤلؤ وأسفر عن ... ورد وقبلته فما استنكف
وقال ما تشتهي فقلت له ... نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته ... وفجره في يمينه مرهف
إلى رياضٍ يغازل القطر ما ... دبج من زهرها وما فوّف
ما بين فتیان لذة عرفوا ال ... عيش فنالوا نعيمه الألفف

هذا يحبي وذا يغار وذا ... يلثم كرهاً وذاك يستعطف
برد الثرى بردنا وقد زرر ال ... بدر علينا دواجه الخصف
وبيننا خمرتان من ريقة ال ... كرم وريق أشهى من القرقف
ولطف الله لي بمدرجة ... أمثالها عند مثلي تلتطف
أنشدته شعر مكشف فأتى ... يلثم تلك السطور والأحرف
ومات سكرًا فمت من فرح ... وكاد ستر الغلام أن يكشف
وله في غلام عباسي قد التحى فازداد حسناً:
لما التحى أصبحت عمامته ال ... سوداء تجلي مخضرة الحبك
وصار يختال أن يلين بخلق ال ... خز عن ردفه أو الفتك
في كل يوم تراه مؤتراً ... بالروض بين الحياض والبرك
وما علمنا أنه قمراً ... حتى اكتسى قطعة من الفلك
وقال من أرجوزة:

وليلة كأنها على حذر ... ممرها أسرع من ملح البصر
من قبلها لم أر ليلاً مختصر ... ولا زماناً لم ين من القصر
والليل لا يكرب إلا في غرر ... إذا وفي أحبابنا فيه غدر
زار وما اسودّ الدجى ولا اعتكر ... أبيض إلا المقلتين والشعر

أغر أوقاتي إذا زار غرر ... فلم يكن إلا السلام والنظر
أوقلة خالستها على خطر ... حتى انتضى الصبح حساماً مشتهر
وانفل من أهواه في جيش البكر ... فبت محزوناً كأنني لم أزر
واحسرتا ليلنا كيف انحسر
وقال:

عذارك جادت عليه الرياض ... بأجفانها وبآفاقها
وطال غرام الغواني به ... فقد طرّزته بأحداقها
وقال:

فاض ماء الجمال في الأقطار ... كل مطرّز بعدار
قد أرانا عقارب الشعر من خدّ ... به تأوي مكان من الجلنار
وقال من قصيدة:

يفض الغزال جفون الغزل ... وقد فضح الكحل فيها الكحل
ولا وجني الورد في وجنتي ... ما أوجب اللثم ذاك الخجل
وقال من أخرى:

ما تسرع الألاحظ تحطف وردة ... من خدّه إلا عثرن بحاله
مذ نقبوه وزرفوا أصداغه ... ختموا بغالية على أقفاله
وقال:

تعرّض الشعر لعارضيه ... وأطلق العشاق من يديه
كان الصبا يهتز في عطفه ... والحسن تجري خيله إليه
حتى إذا أبصر وجنتيه ... حجبنا بمثل حاجبيه
جاء عذاريه بعبرتيه ... كأنما يغسل من خديّه
صحيفة قد كتبت عليه

وقال من قصيدة شب فيها بغلام تركي:
علقت مفترس الضراغم فارساً ... ربح المدى والصلر والميدان
قمرٌ من الأتراك تشهد أنّه ال ... خود الحصان على أقبّ حصان
البدر في ظل الغمامة والنقا ... في سرجه والغصن في الخفتان
ألقت طرّته وغرته وما ... كان الدجى والصبح يأتلفان
ورمى بلحظيه القلوب وسهمه ... فعجبت كيف تشابه السهمان
بطلٌ همائله كعارضه وحا ... جبه الأزعج كقوسه المرنان
حيّته فدنا وأمطر راحتي ... قبلاً فليت فمي مكان بناني
وخدعته بالكأس حتى ارتاض لي ... ودرأت عني الحدّ بالكتمان
والمرء ما شغلته فرصة لذّة ... ناسي العواقب آمن الحدثان
وقال من قصيدة:

وأعرضت إذ رأت في عارضي درراً ... منظومة معها الأحزان تنتظم
وللصباية قومٌ لا يسرهم ... أن يلبسوا الوشي إلا تحته سقم
أشتاق أهلي لظبي بين أرحلهم ... والحب يوصل إذ لا توصل الرحم
ومن أخرى:

ما ضنّ عنك بموجودٍ ولا بخلا ... أعزّ ما عنده النفس التي بذلا
يحكي المطايا حنيناً والهجير جوى ... والمزن دمعاً وأطلال الديار بلى
ومن أخرى

الحبّ كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمع
صحبتة والصبا يغري الصباية بي ... والوصل طفل غريّر والهوى يفع
أيام لا النوم في أجفاننا خلّس ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلة لا ينال الفكر آخرها ... كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي ... ورايتي اللهو واللذات لي شيع

أحييتها ونديمي في الدحا أملٌ ... رحب النرى وسميري خاطر صنع
ومن أخرى:

رسولي إذا لم يغشهنّ رسول ... صباً وقبولٌ بل صباً وقبولٌ
وقلبٌ سوى قلب الكتيبة باسلٌ ... وحدّ سوى حد الحسام صقيل
وما حسن صبر ما ترين ولا رضا ... بنأي ولكن اخبّ حمل
كأنه ألم في بقول المتنبي:

وما عشت من بعد الأحبة سلوة ... ولكّني للناثبات حمل
ومن أخرى:

أنوارٌ وأين دار نوار ... أظلم الناس في أشط الديار
ذات صدغ من البنفسج قد ما ... ل على وجنة من الجلنار
ومن أخرى:

ويغريني بذكر الربع غيدٌ ... به صيد وحوار فيه عينُ
سللن من الخداق السود بيضاً ... فما ندري قيان أم قيون
الخمريات وما يتعلق بها

من سائر الأوصاف والتشبيهات كتب إلى صديق له يصف النارنج:
أتنشط للصباح أبا عليّ ... على حكم المنى ورضا الصديق
بنهر للرياح عليه درع ... تذهب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرّت عليه الشمس صبّت ... على أمواجه ماء الخلق
وقفت به فكّم خدّ رقيقٍ ... يغالني على قدّ رشيق
وجمر شبّ في الأغصان حتى ... أضاع الماء في وهج الحريق
وكتب إليه في وصف الجلنار:

أحنّ إلى لقاء أبي عليّ ... ويأبى أن يحنّ إلى جواري
وقد جلبت علينا الراح حتى ... مللنا جلوة البيض العذاري
وصفرّ أوجه العذال يومٌ ... وجوه شموسه تحكي اصفراري
ونهرٌ تمرّح الأمواج فيه ... مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرّت عليه الشمس خلنا ... نمر الماء يمزج بالعقار
كأن الماء أرض من لجين ... مغشاة صفائح من نضار
وأشجار محمّلة كزوساً ... تضاحك في احمرار واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماء ... وهبن له نجوم الجلنار
فررنا إن نار الراح تكفي ال ... نداهي خيفتي عار ونار

وقال في الدبر الذي بقنطرة النوبندجان، وقد شربوا هناك ولبسوا أكاليل الزهر ورموا البنادق:

أقنطرة النوبندجان وديريها ... وحوور مهى لا تألف الحور غيرها
شربنا بها والروض يخلع زهره ... على الشرب والأشجار تنثر طيرها
كتب يستهدي الشراب:

أرسلت أشكو إليكم غدوة ظمئي ... وما شككت بأني سوف أغتبق
فقد كتبت إلى أن خانني قلبي ... وقد ترددت حتى ملّني الطرق
أنت امرؤ جوده غمرٌ ونائله ... همٌّ وويل نداه مسبل غدق
فابعث إليّ بصفو الراح يشبهه ... منّي قريض ومنك العرف والخلق
وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف:

أظنّ اليوم يهطل بالمدام ... فإن الأفق محمّر الغمام
وما عودت حمل الكأس إلّا ... على سكر الكروم أو الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا ... كعهد دم الأعادي بالحسام
إذا طلعت شمس الراح فينا ... وهبنا كل مسرحة اللجام
أبحر الجود في بحر الأمان ... وبدر الملك في بدر التمام
ومن عبد ابن يوسف صير اسمي ... وصيّره الندى مولى السلامي
إذا كتبت أناملنا كميّاً ... من الحبب المفضض في لجام
تحيينا بذكرك وانتقلنا ... بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالي ما ورائي ... ونار الراح مشعلة أمامي
جفون المزن مذ عدمت بواكٍ ... لرحمتنا وخذّ الورد دامي
فأحي بها فتى أحلى مناه ... تقدّم من فداك إلى الحمام
وكتب إلى صديق يستدعيه أبياتاً منها :

يوماً لبست به الخلاعة حلّة ... وسحبته فسحبت خير لباس
في مجلس زجل الغناء متوجّج ال ... كاسات فيه مهذب الجلاس
والطير قد طربت بحسن غنائها ... لو أنها فطنت لشرب الكس
والشمس من حسد تغير لونها ... أن لا تكون كغرة العباس
أنا لا أبالي من فقدت من الورى ... إما حضرت فأنت كلّ الناس
وقال من قصيدة:

وظيبة من بنات الإنس في يدها ... ووجهها للصبا والحسن خاتام
قد حلت لؤلؤ الأزرار عن درر ... هُنّ في ثغرها الفضيّ أتوام
وزارت الروض منها مقلتان لها ... وحشيتان وعذب الريق بسّام
والكأس للمسكر التبري صائغة ... والماء للحبب الدرّي نظام

بتنا نكفكف الكاسات أدمعنا ... كأننا في حجور الروض أيتام
هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة: وقال من أخرى:
نفرغ أكياسنا في الكؤوس ... نبيع العقار ونشري العقارا

حمدنا الهوى ونسينا الفراق ... ومن يشرب الخمر ينس الخمارا
ومن أخرى:

أشربا واسقيا فتى يصحب الأي ... ام نفساً كثيرة الأوطار
والفوس الكبار تأنف للسا ... دة أن يشربوا بغير الكبار
في جوار الصبا نحلّ بيوتا ... عمّرت بالفصون والأقمار
ونصلي على أذان الطنابي ... ر ونصغي لنغمة الأوتار
بين قوم إمامهم ساجد لل ... كأس أو راكع على المزمرا
ومن أخرى:

نسب الرياض إلى الغمام شريف ... ومحلّها عند النسيم لطيف
فاشرب وثقل وزن جامك إته ... يوم على قلب الزمان خفيف
أو ما ترى طرز البروق وتوسطت ... أفقا كأن المزن فيه شفوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل، ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف
وكأثما الدولاب ضل طريقه ... فتراه ليس يزول وهو يطوف
ومن أخرى:

ولباسه حلى الشباب لعوبة ... بطرق الهوى عقادة للزمام
غزال صريم في رجوم صوارم ... وبلر تمام في نجوم تمام
وكان رقادي بين كأس وروضة ... فصار سهادي بين طرف وصارم
ولولا نسيب مطرب من قصائدي ... لما احتال طيف في زيارة نائم
ومن أخرى:

أنسيم هل للصلح عندك موضع ... فيزور طيف أو تمب نسيم
والشيب دونك وهو موت مضمّر ... والهجر وهو تفرق مكتوم
بيني وبين الراح مثل حباها ... دمع على وجناها منظوم
ومن أخرى:

وقد خالط الفجر الظلام كما التقى ... على روضة خضراء ورد وأدهم
وعهدي بها والليل ساق ووصلنا ... عقار وفوها الكأس أو كأسها فم
إلى أن بدرنا بالنجوم وغربها ... يفض عقود الدر والشرق ينظم

ونبهت فتیان الصبح للذة ... فلبّوا وما فيهم سوى الليل محرم
وفي كلّ كأس للندامى بقيّة ... تلوح كدينار يغطيه درهم
سائر الأوصاف نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجّهاً إلى العراق، فقال له: قل في الشعب،
فقد سمعت ما قال المتنبي، فعاد إلى خيمته وكتب:

اشرب على الشعب واحلل روضة أنفا ... قد زاد في حسنه فازدد به شغفاً
إذ ألبس الهيف من أغصانه حللاً ... ولقن العجم من أطيّاره نتفاً
وأثمرت حسن الأغصان مثمرة ... من نازع قرطاً أو لابس شنفاً
والماء يثني على أعطافه أزرا ... والريح تعقد في أطرافها شرفا
والشمس تحرق من أشجارها طرفاً ... بنورها فترينا تحتها طرفا
من قائل نسجت درعاً مفضضة ... وقائل ذهب أو فضضت صحفا
ظلت ترفّ له الدنيا محاسنها ... وتستعد له الألفاظ والتحقا
من عارض وكفا، أو طائر هتفا ... أو بارق خطفا، أو سائر وقفنا
هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن في الوزن إلا أن أبا تمام قال:
يقول فيسمع، ويمشي فيسرع ... ويضرب في ذات الإله فيوجع
رجع:

ولست أحصي حصي الياقوت فيه ولا ... درّاً أصادفه في مائه صدفا
يظنّ من وقت فيه الشجون به ... أن الصباية شابت والهوى خرفا
تعسف الشوق فيه كلّ ذي شجن ... والشوق أطفه ما كان معتسفا
فاحلل عرى الهم واشربها مشعشة ... رقّ النسيم مباراة لها وصفا
ماذا يقول لك المدّاح؟ قد نفدت ... فيك المعاني وبحر اللفظ قد نرفا
لم يبق لي حلية إلا الدعاء فإن ... يسمع ظللت عليه الدهر معتكفاً
وقال من سذقيه في أبي الفوارس وأبي دلف:
ما زلت أشتاق ناراً أوقدت لهما ... حتى ظننت عذاب النار قد عذبا

يعلو الدخان بسود من ذوائبها ... قد عطّ فيها قناع التبر واستلبا
قد كلّلت عنبراً بالمسك ممتزجاً ... وطوقت جلناراً واكتست ذهباً
فالنور يعلب في أطرافها مرحاً ... والخمر يرعد في أكنافها رهبا
وطار عنها شرار لو جرى معه ... برقّ دنا أو تلقى كوكبا لكبا
لو كان وقت نثار خلته درراً ... أو كان وقت انتصار خلته شهباً
والليل عريان فيه من ملابسه ... نشوان قد شق أثواب الدجى طرباً
أقسمت بالطرف لو أشرقت حين خبت ... جعلت أنفـس أعضائي لها حطباً

وقال من قصيدة أخرى:

فسمونا والفجر يضحك في الشر ... ق إلينا مبشراً بالصباح
والثريا كراية أو كجام ... أو بنان أو طائر أو وشاح
وكان النجوم في يد ساقٍ ... تنهاوى تنهاوى الأقداح
وجمعنا بين اللواحق والرا ... ح وبين الحدود والتفاح
وشمنا بنفسج الصدغ حتى ... طالعنا من الغور الأقاح
زمن فات بين بهو وشرب ... وغناء وراحة وارتياح
معقلي نمر معقل فإن ارتح ... ت إلى منزل فدير نباح
وحياي بما حوته إلى الخم ... ار مصروفة أو الملاح
مركبي مثل لمي أدهم جو ... ن ويحكيهما نديمي وراحي
مركبة السفينة الزورق وهما أسودان، ولته سوداء لأنه شاب، ونديمه أسود لأنه عربي، ونبيذه نبيذ التمر
وهو أسود.

وقال، وكتب بها إلى الشريف الرضي، وكان خرج من داره في المطر فأعطاه كساء استتر به:

مازال بي مهر الشبيبة جامحاً ... حتى حملت على المشيب الكابي
فسمعت أقبح ما سمعت نداءها ... ما بال هذا الأشيبي المتصابي
إني حلفت برب أشرف كعبة ... في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العذار مجرر ... فضل الإزار مسح سحاب
بمصراع الدن الجريح وحرمة ال ... وتر الفصيح وذمة المضراب
ومتى خلفت بمثلها متأولاً ... فصدقت بالأزلام والأنصاب
وأنا دعي في البلاغة ملصق ... في الشعر منسلخ عن الآداب
ويباع في الأكراد شعري إنه ... يغلو إذا ما بيع في الأعراب
لقد ارتقت تبغي أبا الحسن العلي ... يطمحن منه إلى الأبي الآبي
الموسوي الناصري أبوة ... وخؤولة علوية الأنساب
في حيث أرثت النبوة نارها ... فخبنا لنور الحق كل شهاب
لا أدعي لك، إنما بك أدعي ... أنني وصلت إلى أعز جناب
زاد الإله بكم قريشاً رفعة ... وأقر عين قصيها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم ... مترددين إليك في الأصلاب
حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم ... وغدا وجودك أشرف الأنساب
ألسان هاشم الذي بغروبه ... تفري وناظر غالب الغلاب
أشكو إليك عشيّة لم نفترق ... فيها على ملل ولا استعتاب
ما كنت إلا جنة فارقتها ... كرهاً فصب علي سوط عذاب

ودّعت دارك والسماء تجودني ... بيد الغمام فلا أرى بك ما بي
ما زلت أركض في الوحول مبارياً ... فيها الخيول لواحق الأقرب
فجريت والعكاز أخصر شكّتي ... قصراً ولكني أعزّ ركابي
ورأيت غالبية الطريق ومسكه ... طيناً معدّاً لي على الأثواب
وحى كساؤك لا عدمت معيره ... درّاعتي وعمامتي وجباي

فوليت يا بحر السماحة كسوتي ... وولي أخوك الغيث بلّ ثيابي
غيثان هذا ابن الذي من أجله ... خلق السحاب وذا سليل سحاب
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبال ... غيثين ما بهما من التسكاب
وخريدة عذراء رحت أزفها ... ما بين ألفاظ شرفن عذاب
جاءتك يحملها الجمال، وربّما ... وقف الجباء بها دوين الباب
أهديتها خجلاً إلى متغلغل ال ... أفكار محصد مرة الآداب
لأبي القريض ابن المعاني بل أخي ال ... إعراب حين بفوه والإغراب
ضمن الحسين له وموسى رتبة ... في الفضل نافرة عن الخطّاب
انظر بعين رضا إلى ما صنعته ... وأعره سمع مسامح وهّاب
وتجاوز الخطأ الشنيع وأخفه ... عن ناظر المتفيهق المغتاب
واجهر إذا أنشدتها في محفل ... فعثرت بين عيوبها بصواب
وقال من قصيدة عضدية في يوم صب الماء:

عدل الحبيب فمن يجور ... ودنا فأين بنا يسيرُ
عوّضت من عيسٍ تلو ... ربي الفلا كأساً تدور
وشربت ما وسع الصغي ... ر وزدت ما حمل الكبير
نبّئت ندماني وقد ... عبرتُ بنا الشعري العبور
هَبّوا فقد عَيّ الرقي ... ب ونام وانتبه السرور
وأشار إبليس فقلنا ... كلنا نعم المشير
صرعى بمعركة تع ... فّ الوحش عنها والنسور
نوّار روضتنا خدو ... د والغصون بها خصور
والعيش أستر ما يكو ... ن إذا هَمَّتْكَ الستور
هَبّوا إلى شرب المدا ... م فإثما الدنيا غرور
عذراء يكتنمها المزا ... ج كأثما فيه ضمير
وتظنّ تحت حباها ... خدّاً تقبله ثغور
وإذا صحوونا فاللسا ... ن للعذب والفكر الغزير

نفتض معنىً أو يولّد ... بيننا مثلّ يسير
أو يمدح الملك الجلي ... ل السيد الفرد الخطير
ما عزه شيءٍ بغا ... ه فكيف أعوزه النظر
وغداة أنسٍ بشرت ... ك بها المعازف والحمور
إذا ماء غيثنا ... والأرض تربتها عبير
تغري بصبّ الماء يا ... ملكاً أنامله بحور
ويقول سيك هكذا ... صبت على العافي البدور
ويقول سيفك هكذا ... تجري، إذا غضب، النحور
هيهات تبتسم الغو ... ر ولم تسدّ بك الثغور
قد أذعنت أرض العد ... و وجاء بالنصر البشير
هذي الأمانى لي عبيد ... والسرور معي أجير
لاقيته فغضضت طر ... في إذا بدا القمر المنير
وجرت أذيالي بمج ... لسة وقلت فمن جرير
وكأن عاماً عشته ... في ظلّه يومٌ قصير
وقال يصف الفقاعة، وألقاها على طريق الإلغاز:
شغفت بداية لي أشتيها ... وما فيها عن الوصل امتناع
بباردة الجسّ وما اقشعرت ... معصبةً وليس بها صداع
تمتّع أو تحل ذؤابتها ... ويحسر عن مفارقها القناع
وقال يصف سوداء:

يا رب غانية بيضاء تصحني ... من العتاب كؤوساً ليس تنساغ
أشتاق طرّتها أم صدغها ومعني ... من كلها طرر سودّ وأصداغ
كأننا لا أتاح الله فرقتنا ... يا لعبة المسك بازٍ تحته زاغ
وأمره عضده الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب:
مرقومة الجنيات بالبدع التي ... لم يهداها قط الربيع لروضة
كتمت روائحها فلما عذبت ... بالنار فاح نسيمها فأقرت

وكأنما الملك الأجل السيد ال ... منصور عضد الدولة تاج الملك
أذكي مجامرها بنار ذكائه ... وغدا الدخان على علوّ الهمة
وقال من قصيدة عضدية سذقيه:

ألست ترى الأوضح في دهمة الدجى ... ومنتشوها بالناظرين رفيقُ
دخاناً سخامي الصفات شراره ... بروقٌ وعقد الريح فيه وثيق

وليلاً كيوم الوصل أما رياضه ... فزهر وأما مسكه ففتيق
وبغداد بحرٌ ساحلاه جواهر ... ودجلة روضٌ طرّاه شقيق
وقد صار ياقوتاً حصاهاً وعنبراً ... ثراها وأمسي الماء وهو رحيق
وقال من أخرى:

ولم نر بحراً جرى بالعقار ... ولا ذهباً صيغ منه جبل
إلى أن جرت دجلة في الشعاع ... وطّب بالنور أعلى القلل
سحاب الدخان وبرق الشرار ... ورعد الملاهي وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ... ن حتى تلوّن منه زحل
فكنا نرى الموج من فضة ... فذهبه النور حتى اشتعل
وقال من أخرى يستهدي مهراً ويصفه:

إليك بعثناها شوارد ضمّنت ... معاني لولاها لما شرف الشعرُ
عروساً ولكن زوجت بنت ليلة ... مخدّرة لكنّ فكري لها خلد
إذا قال جسمي تستحل بحلة ... تقول له رجلاي بل مهرها مهر
فمن لي به إلا الدهم فازت بلونه ... ولا البرش خازت بردتيه ولا الصفر
كميتٌ تذال الشهب والبلق إن بدا ... وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً لونه ... ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر
فغرّته مبيضةً وحجولة ... ولكن أريق فوق سائرته الخمر
وأسبق من عاف إليك وشاعر ... قوافيه أفراد محجلة غرّ
فلو شامه في أرض فارس فارسٌ ... لما أمسيا إلاّ ومصرٌ له مصر
نتاج فتى في الحرب تنتج خيله ... وبالدم تسقى والنزال لها ضمير
وقال من أخرى في وصف السكر المبني بشيراز:

على نهر سل في دجى الليل من رأى ... كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى ... به العين إلا الثلج مستودعا جمرا
ثري قد أعاد الليل مسكاً عبيره ... وماء أعاد البدر فضته تبرأ
ومن أبيات يصف فيها ارتطامه في الوحل وتلوّث ثيابه:

جملة أمري أني ركبت إلهدارك لما أتيتها الخطرا
لبست درّاعي وعمّتي ال ... خرّ فصارا كما ترى حبرا
أصبحت في الطين عققاً بلقا ... وإن تعرّيت خلّني غمرا
ومن أخرى في وصف عمامة:

حسناء صافيةً بيضاء ضافية ... كأنّ رونقها في صارم ذكر
يزين أطرافها طرّاً كما رقمت ... على الجرة طرز الأنجم الزهر

وقال في وصف زنبور:

ولابس لونين واحد وهو طائر ... ملونة أبراده وهو واقع
أغرّ محشي الطيلسان مديح ... وسود المنايا في حشاه ودائع
إذا حك أعلى رأسه فكأنما ... بسالفتيه من يديه جوامع
يخاف إذا ولّى ويؤمن مقبلاً ... ويخفي على الأقران ما هو صانع
بدا فارسيّ الري يعقد خصره ... عليه فباء زينته الوشائع
فمعجره الوردي أحمر ناصع ... ومنتزعة التبري أصفر فاقع
يرجع ألحان الغريص ومعبّد ... ويسقي كؤوساً ملؤها السم نافع
غور مدائحه العضدية وما يتصل بها
قال من قصيدة:

يزور ناتلك العافي وصارمك ال ... عاصي فتحويتها أيدٍ وأعناق
في كلّ يوم ليت المجد منك غنيّ ... وثروة، وليبت المال إملاق
كم خضعت في لجّة كالبحر زاخرة ... ماء المنون بها حاشاك ذفاق
في فتية من ليوث الحرب قد حفظت ... بالمرهفات لهم في الروع أرماق

من كلّ بعل حياة لا يعاقدها ... إلّا على أنه في الحرب مطلق
أمام كل خميس كل يوم وغى ... كأنه في صدور الخيل ألحاق
رم أين شئت من الدنيا تنله فما ... للجوّ عرض ولا للبحر أعماق
من شكّ أنك مخلوق لتملكه ... كمثّل من شكّ أن الله خلاق
فللسماء سماء من علاك ولل ... آفاق من ذكرك الحمد آفاق
ومن أخرى:

يا أهل لست بمشتاق إلى وطني ... حتى أرى خيل فناخسر بينكم
أضحى بهتاً في الأضحى بمنزلة ... لا العرب نالت مراقبها ولا العجم
أصغر بأضحية في غير يوم وغى ... فما أضحيك إلا الخيل والبهم
وإنما أنت أطف الله جسمه ... لنا وفي يدك الأرزاق والقسم
عدلت حتى هممنا أن نجور، وكم ... من شاكر نعماً في ضمنها نقم
إن المسيح وقد بانت دلالة ... لولا هدها لما ضلّت به الأمم
في كلّ ناحية لم ترعها أمم ... الهدي منها يبعد والأذى أمم
إن البلاد ومن فيها مروّعة ... بها إليك وإن ما طلّتها قرم
وما نبالي إذا ما كنت شاهداً ... إن غاب معتصد عنها ومعتصم
عدها بنصرك أو قل سوف أدركها ... فإن قولك في أمثالها قسم

ومن أخرى:

يشبهها المداح في البأس والندى ... لمن لو رآه كان أصغر خادم
ففي جيشه خمسون ألفاً كعنتر ... وأمضى وفي خزّانه ألف حاتم

ومن أخرى:

ومدح غيرك ذنب لا يقال، وما ... نصوغه فيك قهليل وتحميدُ
فعش أعش في فري رحب ودم تدم ال ... خيرات لي وابق يبق المجد والجود
وقال من أخري يصف بها قصراً بني على دجلة ونقشت على حيطانه أشعاره:

فالروض عقلت الصبا أصداغه ... والموج صفقت الشمال طراره
وأظن دجلة أسلمت، أو ما رأي ... ت الجسر يقطع وسطها زئاره
وحكى بناء المجد فيها غارس ... غرس الصنائع حولها أشجاره
قد صورّ الفلك المدار كأنّه ... أنشاه قبل كيانه وأداره

وبنى على شرف الثريا قصره ... وطحا على فلك النعائم داره
فالشيّد يصقل صانعوه لجينه ... والسّاج يقش مخلصوه نصاره
شغلت خواطرنّا ولحظ عيوننا ... مذ صار يجعل طرزه أشعاره
أوسع مثلاً إن خطرت بباله ... ونل السماء إذا بلغت دياره
ينسى العمالق واصف أخباره ... ويهين مصر معدّد أمصاره

ومن أخرى في وصف الحرب، وهو أحسن ما قيل فيها:

يا سيف دين الله ما أرضى العدى ... لو أنّ سيفك مثل عدلك يعدل
ما إن سننت لهم سناناً في الوغى ... إلا أطلّ عليه منهم أطل
فالروض من زهر النجوم مضرّج ... والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوبٌ بالنسور مطّير ... والأرض فرشٌ بالجياد مخيل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي ... بين الفوارس أجدلّ ومجلّ
وسطور خيلك إنما ألفاها ... سمرّ تنقّط بالدماء وتشكل

ومن أخرى في وصف يوم الفصح وإقامة رسمه:

لو لا اشتياق الماء كهك لم يكن ... قلب الندى وحشي السحاب تنزلُ
ولقد نشرت على الهوا أمثاله ... ذا سجسج صافٍ وهذا سلسل
وكأنا ذهبيّ زرافاتنا ... ترمي بأسهم فضة تسلسل
من فوق كل ذؤابتين سحابة ... أو بين كلّ اثنتين منّا جدول
فأرقت حتى ماء وجهي إنّه ... مع غير ماء الورد لا يتبدّل
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترق ... ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عبد الله الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه :

لم يدر حيّ وقد جاء البشير به ... إنّ الزمان لما نرجوه متّسع
فزارها ليث غاب فرسٌ ... وبدر تمّ عليه التاج والخلع
لما تطلع والرايات تكتمه ... في ظلها وشعاع الشمس مرتفع
أعدى بإقباله من أهلها نفراً ... لم يعلموا أنّ درّ السعد يرتفع
فليهنها منه روض زهره درر ... فتن العقود ومزن قطره دفع
لاحظ أباك فهذي مصر معرضة ... وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا
لكنهم ما نوا غدرًا ولا نقضوا ... عهداً ولا أضمرُوا غلاً ولا ابتدعوا
أيا أخا الجود وابن المجد لا بلدٌ ... إلّا بذكرك أو بالسيف يفتزع
فدىّ لجودك آمالي وسابقها ... ومطمع من بحار الشعر ممتنع
فالقائلون بطاء عن مداي، وإن ... أبدعت معنى فهم في أخذه سرع
هم إذا خلطوا شعري بشعرهم ... كالطير يهذون أو يحكون ما سمعوا
ومن أخرى يذكر فيها النقا بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان فارقتها وهو شاب وعاد وهو
أشيب:

واشتاق طلعتك الخليفة مظهرًا ... لك شوقه المطوي في أسراره
ودعا الملوك فلم يلبّ دعاءه ... إلّا أحقهم بدار قراره
عظمت أمر الله في تعظيمه ... وأقمت دين الله في استحضاره
وافاك في برد النبي محمد ... بهدي النبي وسمته ووقاره
يشكو إلى الإسلام وخط مشيبه ... ما كلّفته الترك من أسفاره
حتى بدا عضد الهدى وكأثما ... كان الخضاب أحال شيب عذاره
حتى إذا أبدى الإمام أمامه ... ملكاً كبير التّم في أنواره
خلنا على الكرسي ليثاً غابه ... سمر القنا نبتت بفيض بحاره
وغداة ظلت مسائر الإقبال في ... خلع الإمام وطوقه وسواره
متسوراً بأهله متطوقاً ... بالشمس أو بالدر أو بإطاره
في خلعة صبغ الشباب بلونها ... فالخلق قد جبلوا على إيثاره
هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود، وقد سبق إلى ذلك.
؟؟ غرر من سائر مدحه وما يتصل بها قال من قصيدة في أبي الوفاء طاهر بن محمد:
ركوب الهول أركبك المذاكي ... ولبس الدّرع ألبسك الغلائل
ويومك ضامنٌ لغدٍ علوّاً ... وعامك ملحقٌ بشري بقابل
وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من عضد الدولة وبلاغته فيما
تحمله:

ولما وقفت أمام الإمام الإلمم ... تأخر خلصانه والشيّع

دنوت إلى تاجه والسرير ... فهذا تعالى وذاك اتسع
وضاحك برد النبي القضي ... ب أنساً بخوضك فيما شرع
سفرت فتيمة ما رأى ... وقلت فأطربه ما سمع
وأثنت فضائلك الباهرات ... على ملك الدهر فيما اصطنع
طلعت فكنت كنجم الصبا ... ح دلّ على الشمس لما طلع
ومن كلف الدهر أمثالكم ... فقد كلف الدهر ما لم يسع
وما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل.

ومن أخرى له فيه:

كرمت وسدت فالجدوى انتهاب ... إذا زرنك والمدح اقتضاب
أحزانّ وما أبقيت مالا؟ ... وأبواب وقد رفع الحجاب
ومن عييدة:

وإذا هتئ الملوك فصيح ... ت من العيد أسعد التهينات
وفداك اخل فالنحر في أر ... ض منى والمهل في عرفات
وتعجلت أجر من خلع الإح ... رام عنه الأطمار في الميقات
وأجاب الإله فيك دعائي ... غافر الذنب سامع الأصوات
زرتة والغنى مني ويدي قد ... أتعب الناس عهدا بالصلات
فكأني ملكت ناصية الله ... ر فصرفتها على شهواتي
ومن قصيدة أخرى:

إن كان بالكرم الخلود فما أرى ... في العالمين سوى سعيد يسلم

وله من الحسن البديع برفع ... وعليه من بشر السماحة ميسم
عقبّ به مسك الثناء تكاد في الن ... ادي نوافج ذكره تتكلم
ومن أخرى:

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه ... يا شقوة المتشبهين بأحمد
يشرون مثل جواده وعبيده ... أفيقندرون على ابتياع السؤدد
ومن أخرى:

هو بحر من مائه ذائب التّب ... ر وأدنى أحجاره الياقوت
لي طعام من داره وشراب ... ومقيل في ظله ومبيت
ومن أخرى له:

أقبل عليّ وقل ضيفي ومتّبعي ... وشاعري قاصدي راجي مُمتاري
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك ال ... دنيا فأين أقضي بعض أوطاري

ومن أخرى:

أفارق بغداد لا عن قلى ... وأسري إلى الين لا عن كرم
أروح وأغدو ولي قائدا ... ن عزّ الإباء وذلّ العدم
وأرجو فتىً مكرم للندى ... كما رجّت الأرض صوب الديم

ومن أخرى:

ليس الوزارة إلّا عندكم ولكم ... ولا مغارسها إلا بدوركم
لو أنصفت كل أرضٍ في منابتها ... لكان في أرض قمّ نيت الكرم
الشكوى والعتاب قال:

أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهر ... لا تعلمون بما أقيم تجلّي
قد بعث حتى بعث طرفاً قائماً ... تحت القدور على ثلاثة أرجل
ورهنّت حتى قد رهنّت منادمي ... ومناشدي ومذكري ومعللي
فرأيت حالة حاسديك كحالي ... ورأيت منزل حاسيديّ كمنزلي
ومن أخرى:

لبست العدم حتى صار ذيلي ... يضيق تقبلي فيه كزريقي
وكادحت المطالب بعد ضرّ ... ودارأت المعيشة بعد ضيق
فقد أوقدت صندوقي ثيابي ... وصبّ الماء في حبّ الدقيق
فهل في الناس يا للناس حرّ ... يبيض وجه ممتحن مضيق؟
أريد حين يصلح بعض حالي ... فإنّ الناس كلّهم صديقي
ومن أخرى:

قطعتكم برغم المجد شهراً ... أشدّ عليّ من شهر الصيام
وكيف أزوركم والمزن تبكي ... على داري بأربعة سجام
وكانت منزلاً طلق الحيا ... فصارت وادياً صعب المرام
وبجراً من عجائبه خلوصي ... إليكم ظامئاً والبحر طامي
بناتي كالصفادع في ثراها ... وأهلي في الروازن كالحمّام
حوالينا بذاك ولا علينا ... كفانا الله شرّك من غمام
تخافت ركّع الجدران فيها ... سجوداً للرعود بلا إمام
كأنّ مصون ما أحرزت فيها ... على أبواب مشرعة الخيام
فلا بابٌ يردّ ولا جدار ... يرد الطّرف عن وجه حرام
وكانت جنة الفردوس عادت ... ملاعب جنة ووكور هام
ومن أخرى:

زرت حتى حجبت وانتقب النا ... س نقابين طرّزا باحتشام

إن بوابك القصير طويل ال ... باع في سوء عشري واهتضامي
هو تعويد ملكك البارع الحس ... ن وشيطان عبدك المستضام
سمح الوجه لو غدا حاجب الي ... ت كفرنا بالحج والإحرام
ومن أخرى في سابور الوزير يشكو حاله وسقطه في سكره:
محاسن غصّت ناظري من تعباً ... وفضل فهاني وصفه أن أشبها
ترى كبرياء الملك فوق جبينه ... فتقرأ سطرًا بالمهانة معربا
وليس الذي آباؤه وجدوده ال ... ملوك كمصنوع إذا ما تنسيا
فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظرٌ ... إلى خادم أننى عليك وأطنيا
إلى شاعر نادى وقد فغر الردى ... له فاه سابور معي فتهيّا
ألم يخبر الشرب النشاوي بقصتي ... ولم يتغن الركب بي حين أهدبا
ولم تتحدث في الخدور بسقطتي ... عذارى يقلّبن البنان المخضبا
فدى الشعراء الشامتون بقصتي ... فتى في سماء الشعر يطلع كوكبا

فتى لم يسر إلا الذي صاغ أو روى ... وإن قعقع المغرور منهم وأجلبا
أظنوا بأني إن سقطت تكسرت ... فوافي أو عاودت فكري وقد أبى
توهن جسمي فاشتتوا أو تجملوا ... ولكنّ عضباً بين فكي ما نبا
وكم سار شعر قاعد عنه ربه ... ودون قول من سطيح وصوباً
سلوا الموت عني كيف فللت غربه ... ونازعته نفسي وقد كرّ مغضبا
شربنا وكان الشرب بعد سفورنا ... على نرجس قبل الشبيبة شيبا
ودجلة تجلو في المصنل شاطناً ... يرق وطياراً يحفّ وربربا
وكانت لنا في جبهة الدهر ليلةً ... كهّمك لان العيش فيها وأخصبا
عفا الدهر عنها بعدما كان ساخطاً ... وأحسن فيها بعدما كان مذنباً
فيا فرحتا لو كنت أصبحت سالماً ... ويا سوءتا إن مركبي زلّ أو كبا
إذا لم أعربد في أواخر نشوتي ... فلا عار إن خطب علي توثبا
وصبراً على خير الخمار وشره ... بما قلت أهلاً للكوؤس ومرحبا
أروح وصيغ الراح يخضب راحتي ... وأغدو بعضو من دمي قد تخضبا
فلو بصرت عين الوزير بشاعر ... على مركب قد شأنه الله مركبا
رأى اللهو ميتاً وانجون ممدداً ... صريعاً وجثمان السرور معذبا
وباكرني أشياخ قومي فأكثروا ال ... فضول لعمرى والأذى والتعجبا
يقولون لي تب لا تعود لمثلها ... وهيهات ضاع الواعظ عندي وخيبا
وكم قبلها قد متّ بالسكر مرةً ... وعدت فكان العود أحلى وأطيبا

كذا أبداً إما تراني مجرراً ... ذيولي سكرأ أو كسير مشعباً
ولكن على الأحرار حمل مؤونتي ... إذا ذهبت بي نبوة الدهر مذهبا
ولما جفانا من ألفنا وصاله ... وأخلف عام كان يرحى وأجدبا
رهناً وصرفنا وبعنا منادلاً ... وحلياً ومذخوراً إلينا محبياً
رأيت ابنتي قد أحرزت بعض حليها ... فأنشدت تعريضاً لها وتشبباً
تجول خلاخيل النساء ولا أرى ... لرملة خلخالاً فقالت هيا أبا
سلبت الجوارى حليهن فلم تدع ... سواراً ولا طوقاً على النحر مذهبا
فقلت لها ظل الوزير يبيحنا ... جناباً إذا رضنا به الدهر أعتبا
إذا كان بدر الملك سابور طالعاً ... فلست أبالي بعده من تغيبا
؟ما أخرج في وصف شعره قال من قصيدة في أبي الريان:
لي فيك التي ترى البحري أم ... تار في نظمها أبا تمام
فهي لفظ سهل ومعنى بديع ... غره الفكر درة في النظام
كلما أنشدت شهدت بأن ال ... شهر أمر مسلم للسلامي
ومن أخرى:

وأزور دارك وهي آنس جنة ... فيفيض حولي من نذاك الكوثر
وأقول فيك فلا تفاخر طيء ... إلا وتسجد لي وتركع بخر
ومن أخرى:

وهنيئته وحياً من الشعر لم يلق ... بألفاظ غيري عند غيرك درسه
صحيفته قلبي إذا ما كتبه ... وأقلامه الأفكار والطبع نفسه
ومن أخرى:

وقافية منك أوضاحها ... ولكن لفظي فيها لمع
عراقية اللفظ شامية ال ... محاسن علوية المصطنع
فيها واحد المجد صنعها فمن ... سوى واحد الشعر ما تستمع
مدحتك حتى بلغت المشيب ... وكنت ببابك دون اليقع
وقال من أخرى:

وأعطيت طبع البحري وشعره ... فمن بالي بمال البحري وعمره
وقال من أخرى:

ومضمومة تحت حصن الدجى ... مقبلة بشفاه الأمانى
تروق زهيرا أزهيرها ... ويعشو إلى ضوئها الأعشيان
ومن أخرى:

وقد زعمت رواة الشعر أنّي ... ملكت عنان أبلقه العقوق
/// بن سكرة الهاشم

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متسع الباع، في أنواع الإبداع. فائق في قول الملح والظرف، أحد الفحول الأفراد، جار في ميدان
الجنون والسخف ما أراد. وكان يقال ببغداد: إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جداً. وما
أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصرهما، فيقال: إن ديوان ابن سكرة يربي على خمسين ألف بيت، منها في
قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت، وكانت عرضة نواذره وملحه، كطيلسان بن حرب،
وهن أبي حكيم، وحمار طباب، وضرة وهب. وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة
حلف بطلاق امرأته - وي ابنه عمه - أنه لا يخلّي بياض يوم من سواد شعره في هجاء خمرة، ولما شعرت
امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل زوجها من صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم
الغريم غير الكريم، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها، وقد أخرجت من عيون ملحه ما
يجمع الححول والغرر، ويمتّع السمع والبصر.

الغزل والنسيب قال في غلام بيده غصن لوز قد نور:
غصنٌ بانٍ بدا وفي اليد منه ... غصنٌ فيه لؤلؤ منظومٌ
فصحيرتُ بين غصنين في ذا ... قمرٌ طالع وفي ذا نجوم
وقال:

وغزالٍ لولا تيممة شعرٍ ... ذكرته لقلت بعض الجواري
شاربٍ أشرب الصبابة قلبي ... وعذارٍ خلعت فيه عذاري
وقال:

ويوم لا يقاس إليه يومٌ ... يلوح ضياءه من غير نار
أقمنا فيه للذات سوقاً ... نبيع العقل فيها بالعقار
وقال:

من عذيري من شادنٍ لا يراني ... وهو روعي أهلاً لردّ السلام؟
أنا من خده وعينه والثغر ... ومن ريقه البعيد المرام
بين وردٍ ورنجسٍ وتلاي ... أقحوانٍ وبابلي مدام
وقال:

الغصن منسوبٌ إلى قده ... والورد منشورٌ على خده
بدرٌ يود البدر في حسنه ... بأنه يُعزى إلى عبده
سألته في صحوة قبلّة ... فردي والموت في رده
حتى إذا السكر لوى رأسه ... قبلته ألفاً بلا حمده

وقال في غلام يهواه وهو سمية:

إذا باسمي دعيتُ حننتُ شوقاً ... وذكرني به الداعي حبيبي
فليت كما اتفقنا بالأسامي ... وألفتها اتفقنا بالقلوب
وقال:

الليالي تسوء ثم تسر ... وصروف الزمان ما تستقر
غير أني عن الحوادث راضٍ ... بعد سخط والعيش حلّو ومر
كنت صيماً بواحد ثم ثني ... ت فلي بالجميع وصل وهجر
من كمثلي وعن يمينه شمسٌ ... تتجلى وعن شمالي بدر
ذا على خله من المسك سطرٌ ... وعلى طرف ذا من الغنج سطر
بت يجري علي من ريق هذي ... ن وكأسي شهدٌ ومسكٌ وخمر
لي من ريق ذا ومقلة هذا ... مع كأسٍ سكرٌ وسكرٌ وسكر
وقال:

حذار من وصل من بليت به ... فقد لقيت الردى بجفوته
دنوت منه كميا أقبله ... فلم تدعني نيرانُ وجنته
وقال:

قالوا التحي وستسلو عنه قلتُ لهم ... هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهر
هل التحي طرفه الساجي فأهجره ... أم هل ترحزح على ألاحظه الحور
وقال:

يا ضاحكاً يستهل مضحكه ... عن برد واضح وعن شب
أعطيتني قبلةً رشف بها ال ... شهد مشوباً بعبرة العنب
كأنني إذ لثمتُ فاك بها ... لثمت تفاحةً من الذهب
وقال:

فديتُ من الناس من لحظه ... بلا خنجرٍ كاد أن يجرحا
كتمت هواه زمان الصبا ... وصرحت بالحب لما التحي
وقيل محاً الشعر لما بدا ... محاسنه منه واستقبحا
فقلت لهم ما محاً حسنه ... ولكن صبري عنه محاً
بنفسي عذارٍ بدا طالعاً ... على ناضر الورد ما أملحا
فصير في رزة أصبعي ... وأوثق كفي تحت الرحي
وقال:

أشبهه وحاشية لديه ... ثقلاً كلهم رخمٌ ويومٌ

بدر التّم إشراقاً وحسناً ... وقد سترت محاسنه الغيومُ
عهدت البدر تكنفه نجومٌ ... وذا بدرٌ تطيف به رجوم
وقال:

عابوا وقالوا تسل عنه ... فقلتُ هذا أوان حيي
إنّ الذي عبتموه منه ... هو الذي يشتهيهِ قلبي
وكلما عبتموه عندي ... زاد جنوني به وعجي
وقال:

أحببت بدرًا ما له مشبّة ... في الحسن لولا أنه جافي
أحورٌ في مقلته حجةٌ ... للعين والشين مع القاف
وفي ارتجاج الردف داعٍ إلى ... نونٍ وباءٍ قبل ما كاف
سألته الوصل فلم يحتشم ... وقال قدم نقدك الوافي
وقال:

يا سيدي مؤملي ... قد شفني شوقي إليك
دمعي عليك موردٌ ... فكأنه من وجنتيكا
وقال في غلامٍ أعرض:

قالوا بليت بأعرجٍ فأجبتهم ... العيب يحدث في غصون البان
ماذا علي إذا استجدت شمائلًا ... وروادفًا تغني عن الكشبان
إني أحب جلوسه وأريده ... للنوم لا للجري في الميدان
في كل عضوٍ منه حسنٌ كاملٌ ... ما ضرني أن زلت القدمان
وله:

ليس شرف المدام للمستهام ... مذهباً ما به من الأسقام
كلما دبت المدامة في الأع ... ضاء دب اشتياقه في العظام
وقال في غلامٍ رش عليه ماء الورد:

ليت شعري عن ماء وردك هذا ... هو من وجنتيك أم شفتيكا
رق حسناً وطاب عرفاً فقد د ... ل بأوصافه الظراف عليكا
وقال:

بات سكران لا يحيرُ جواباً ... عن كلامي وبت أَلثمُ فاهُ
وأتاني إبليس يأمر بالسو ... ء فما كان ذاك لا وهواه
شيمة الظرف أن أصون حيبي ... عن قبيح يراه أو لا يراه
أي فرقٍ بين الحبيب إذا بي ... ك ولم يحتشم وبين سواه
وقال:

في وجه إنسانةٍ كلفتُ بها ... أربعةً ما اجتمعن في أحد
الخد وردّ، والصدغ غاليةً ... والريق حمراً، والنغر من برد
لكل جزءٍ من حسنّها بدعٌ ... تودع قلبي بدائع الكمد
وقال:

يا نظير البدر في صورته ... وشبيه الغصن في قامته
والذي ينتسب الورد إلى ... روضةٍ تضحك في وجنته
ما ترى في عاشقٍ مكشّبٍ ... دمهعه وقفٌ على مقلته
واقفٌ بالباب يشكو ما به ... فمتى تنظر في قصته
وقال:

بأي الأسمر الذي فرتُ منه ... بهلالٍ يبين للناظرينا
قد سقانا فما شفانا مداماً ... وشربنا من ريقه فروينا
وقال:

غزالُ فؤادي إليه صبا ... وهش ولولاه لم يهشش
أجل نظراً في نقا خده ... وفي خدي الأصفر الأئمش
تجد صحن خديه تفاحة ... وخدي من أجله مشمشي
وقال:

خذ من الدهر ما صفا لك منه ... ودع الفكر في بنات الطريقِ
أي شيءٍ يكون أطيب من كأ ... س رحيقٍ شيت بريق عشيق
وقال:

تظن أني أسلو ... كلا وربّ البنيه
الآن تيم قلبي ... باللحية السجية
الخدُ حمرة فضلٍ ... على الحدود النقيه
فيه بقية حسن ... لم تبق مني بقيه
وله:

أنا والله تالفٌ ... أيس من سلامتي
أو أرى القامة التي ... قد أقامت قيامتي
وقال:

وشادن ما رأيته غرته الغ ... راء إلا شككت في القمر
قد قلت لما رأيت صورته ... تبارك الله خالق الصور
وقال في غلام زطي زامر:

ظبي من الزط تعلقتّه ... فصار معشوقي ومولاي

أحسن والإحسان لم يجمعا ... في حسنٍ إلا لبلواي
إذا نأت روعي عن جسمها ... رد لي النأي بالنأي
وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح:
بليت ولا أقول بمن لأني ... متى ما قتل من هو يعشقوه
حبيبٌ قد نفا عني رقادي ... فإن غمضتُ أيقظني أبوه
وقال:

مستهامٌ ضاق مذهبه ... في هوى من عز مطلبه
كل أمرٍ في الهوى عجبٌ ... وخلاصي منه أعجبه
لي حبيبٌ كله حسنٌ ... فعيون الناس تنهيه
صيغ من ماءٍ ولي نظراً ... ليس يروي حين يشربه
ضاع من عيني فمقلتها ... في بحار الدمع تطليه
منعتني من مقبله ... حين أدنوا منه عقربه
واستدارت فهي تحرسه ... من فمي بخلاً وترقه
وقال:

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا علق ... تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمداً فما استترت ... وناب إشراقها ليلاً عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها ... برق الشايبا وعطر النحر والفس
الجنون وما يجري مجراه قال:

قد قلتُ لما مر بي معرضاً ... كالبلر تحت الغسق الداجي
يهتز في حشيته متعباً ... من كفل كالوج رجراج
ويلي على حل سراويله ... فإنه شد على عاج
وقال في غلام تركي شرب معه:

أيها التركي ما عن ... دك للصب النحيل
هل إلى ما يستر القر ... طق عني من سبيل؟
أشتهي ذاك وأخشى ... صولة الليث الثقيل
وقال:

يا ليلةً ليس فيها ... إلى الفقاح سيلٌ
طالت على ذي احتياج ... له قمد طويل
مسكرجٌ تتوالى ... دموعه وتسيل
رقاده في الدياجي ... حتى ينيك قليل

موتراً مستقيماً ... عليه رأس ثقيل
أنزلته خان سوء ... عنه يطيب الرحيل
وقال:

قل للكويكب عني ... بأي أير تنيك؟
والأير منك صغير ... نضو ضعيف ريك
شارك بأيرك أيري ... ونك فنعم الشريك
وقال:

إني بليت بشادن غنج ... حسن الشمانل وافر الكفل
يغني الدراهم وهي معوزة ... عندي فجلبي غير متصل
مستعجم الألفاظ أجهل ما ... يدي ويجهل فهمه غزلي
وإذا مدحت فليس يفهمه ... والفارسية ليس من عملي
فبحق ما بيني وبينك من ... ود بلا زيغ ولا ميل
امن علي بقره فعسى ... أحيا بزورته ويسمح لي
الجود منك سجية أبداً ... والمدح والتقريظ من قلبي
وقال:

إذا لم يكن للأير بحثٌ تعذرت ... عليه جهات النيك من كل ناحية
حرمت الغزال الواسطي لشقوتي ... فدمعة أيري فوقه خصيه جاريه
وفاز به كل البرايا، وربما ... غدت عقدي في خدعة المرد واهيه
أقول لأيري وهو يرقب فتكة ... به خبت يا أيري وغائلك داهيه
عزاً فقد خلس الرجل بسيدي ... علي ولاذوا بالدعي معاويه
وقال:

لما رأت كلفي بها وصباتي ... وتأملت شمطاً يلوح بعارضي
قلت أكلت جناك ثم أتيتنا ... بمدود من قمر عمرك حلمض
أفحين نام الأير منك وصلتنا ... تبغي النكاح بغير أير ناهض
لا تعرضن لمهرة إن لم ترض ... كل الرضى كسرت ضلوع الرائض
وقال:

وجاهلة هبت سفاهاً تلومني ... وما عندها من لذة القصف ما عندي
توبخني بالشيب مرشداً ... لعمرى ولكن لست أنشط للرشد
فقلت لها كفي ملامك إنني ... بطيء عن العذار في زمن الورد
وقال:

وبات في السح معي واحدٌ ... من أكرم الناس ذوي الفضل

أفسوا فيفسو وهو لي مسعدٌ ... كأنما أمني له ويستمني
وقال:

عشقت للحين قينةً عطفت ... قلبي بالحسن كل منعطف
ورمت نيكاً لها فكيف به ... لولا سفاهي والبدع من حرفي

قلت أرفقي بالشريف فابتسمت ... عن لؤلؤ ما اعتزى إلى صدف
عجباً وأبدت كالقعب عض له ... أيري علي بيضه من الأسف
وصفقت فوقه تحسرتي ... وهو كثيف الجس كالهدف
حتى إذا ما رنا له ذكرى ... وطال حتى علا على كنف
قلت بحقي عليك تطمع أن ... توج في ذا بالشعر والشرف
تالله لا نكتني بقافية ... ولا بفخر فأنسل أو ففف
أسبلت ثوبها عليه فلم ... أملك سلواً ولج بي كلني
فعجت عنها والأير ينشدني ... بيتاً ويبكي بأدمع ذرف
قال لي الشوق قف لتلثمه ... فمن حذار الرقيب لم أقف
وقال:

أيا من كله قمر ... وكل لحاظه حورٌ
لقد طالت عداتك لي ... وأيامي بها قصر
متى في البرج تحصل كي ... تزيّف ويهدر الذكر
وتنشر بيننا قبل ... يطير لنارها شرر
وقال:

وسوداء بورك في بعضها ... ولا نال بؤساً فما أضيّقا
نزوت عليها ولا علم لي ... بأن لها كعثناً محرّقا
وكدت في الحر أن أشتوي ... ومن شدة الضيق أن أحنقا
وألفيت من جسدينا معاً ... لمبصرنا شبحاً أبلقا
فإن أخلشت قرطست بالمنى ... وإن تممت ولدت عقعقا
وقال:

لخمرة عندي حديثٌ يطول ... رأيتني أبول فكادت تبولُ
فلما نهضت أتاني الكتاب ... وجاء الهدايا ووافي الرسول
وقالت تقول بنا يا فتى ... هقلت وأنعظت لم لا أقول
وقال:

وأجر غلماني في واسط ... جوعٌ، وكانوا لا يرامونا

جادوا بما كنت ضنيناً به ... فاتسعوا مما يناكونا
لو أن رزقي مثل أدبارهم ... كنت من الإثراء قارونا
ملح من أهاجيه لخمرة قال:

غشت خميرة يوم العرس حاجبها ... بريقها وأتني وهي محتضيه
فقلت للزوج لا تغرك حمرتها ... فإنها القفل موضوع على خربه
وقال من السريع

يا سائلي عن ليلة لي مضت ... وطيبها عند أبي الحيش
وكيف غنت خمرة لا تسل ... غنت فأغنتنا عن الحيش
كف على الطبل لإيقاعها ... وكفها الأخرى على الفيش
وربما مرت لها فسوة ... من فمها عفت على العيش
وقال:

رب عجوز مستعنيه ... سلقية اللون سلوقيه
عاجية الشعر إذا استضحكت ... أبدت ثنايا آبنوسيه
ذات حر عنبله بارز ... كمرقب في وسط بويه
وشعرة بالقمل منظومة ... كالودع في عقصة كرديه
يفتر ذاك الصدغ عن بظرها ... كتنفذ عض على ريه
مسنة تصبو إلى أمرد ... فهي على العاهة لوطيه
وقال:

عجبت لخمرة البخراء أنى ... أقلمت مع مؤاجرها زماناً
وليس لأيره طول ولكن ... بينك به فيردفه لساناً
لحاه الله كيف يدس فيها ... لساناً ربما درس القرانا
وقال:

هل لك يا خمرة في تجرة ... مربجة ما مثلها تجره
صيري إلى البصرة واسترزقي ... ربك بالنكهة في البصره
فلو عرضت الريق في سوقها ... لا بتيعت النفلة بالبدرة
تركوها النخل وتحمر في ... غير أوان الحمرة البسره
وقال:

لا تسمعوا خمرة فقد هرمت ... وانكسرت تلکم القوارير
رث غناها ورث كعثنها ... والخلق المسترث مهجور
وكل باز يمسه هرم ... تخزى على رأسه العصافير
وقال:

وقد كنت قبل الشيب أعشق حمرة ... وتفطر في عشقي وتضرط من حي
إلى أن عفا حرها ودبب منعطي ... وصارت قفا نبك وصرت ألا هي
وقال:

حسي سواك وبسي من وصالك لي ... شغلت عنك بمن أهواه فاشتغلي

لا تعذليني على ما كان من ملل ... من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً ... وصرت مفرغة الأخطى والمقل
إن كنت أبصرت أسي منك في بصري ... فلا بلغت الذي أهواه من أملي
البحر أنت وأيري ليس من سمك ... وليس بيني وبين البحر من عمل
وحصل معها في دعوة فغنت. فقال ابن سكرة:

ذنب عظيم ما أرى يُغفر ... في وصل من نكبتها مبعر
فالحمد لله على حكمه ... هذا دليل أنني مدبر
قد قلت لما لاح لي ثغرها ... ولا منه الخرف الأخضر
وانثر السوسن من صدغها ... وثار منها نفس أبخر
وشف قلبي نتن آباطها ... يا معشر الناس قفوا فانظروا
ما أخرج من سائر أهاجيه قال:

تمت علينا ولست فينا ... ولي عهد ولا خليفه
فته وزد ما علي جار ... يقطع عني ولا وظيفه
ولا تقل ليس في عيب ... قد تقذف الحرة العفيفه
الشعر ناز بلا دخان ... وللقوافي رقي لطيفه
كم من ثقل المحل سام ... هوت به أحرف خفيفه
لو هجى المسك وهو أهل ... لكل مدح لصار جيفه
وقال:

أما الصيام فشيء لست أعدمه ... مدى الزمان وإن يبت إبطاراً
أعشى أناساً فأعشى في منازلهم ... جوعاً علي ولا أعشى لهم ناراً
قد أجموا القمل أن ترزأ دماءهم ... وأجموا في الكوى الجرذان والفاراً
قال:

وهنا بالصيام فقلت مهلاً ... فإني طول دهري في صيام
وهل فطر لمن يمسي ويضحى ... يؤمل فضل أقوات اللثام
وقال:

أكره أن أدنو إلى داركم ... لأنني أخشى على نفسي

ضرسى طحونٌ وعلى خيزكم ... من أكل مثلي آية الكرسي
وهو الذي أقعدني عنكم ... فكيف آتي ومعى ضرسى؟
وقال:

عليلٌ لا يعاد من الحساسة ... له نفس تحيد عن النفاسه
دخلت أعوده فازور عني ... كأني جئت لأدق رأسه
وقال:

قام إلى كلبٍ له مثله ... فلم يزل يعلوه بالسيفِ
فقلت ما ذنب أخيك الذي ... يقنع من زادك بالطيفِ
فقال لي لا عفو عن ذنبه ... حاف علينا أيما حيف
صانعه الضيف بعظم له ... فحنن في ريب من الضيف
وقال:

كل العجائب قد سمعت وما أرى ... أني سمعت لشاعرٍ قرنان
قرن يحك به السماء ومثله ... ذنب يزور الحوت في الأزمان
وإذا تحدث أحدثت لهوائه ... فترى الأنوف تلوذ بالأردان
وترى أخادعه تعطى كأرنب ... عكفت عليه مناسر العقبان
وقال:

لا قلست أرضاً أقمنا بها ... قريبة من طبرستان
ليست خراسان ولكنها ... تقرب من أرض خراسان
لا سقيت جرجان من وابلٍ ... قطراً ولا ساكن جرجان
قومٌ إذا حل غريبٌ بهم ... مات من الشوق إلى البان
وقال:

لا وصل الروح إلى تربةٍ ... تضمنت روح أبي روح
والضراط والفسو على قبره ... أولى من التأين والنوح
وقال:

يا جو أمرد يا حليف البلاده ... لك في الفسق عادةً أي عاده
أنت لا تعرف الصلاة فقل لي ... لم تأنقت في شرا سجاده
وقال:

يا شاعراً جمت مصائب دبره ... وتكاثفت لوداقه أوجاعه
طلب النطيع في القريض بجهد ... فجرت طبيعته وقام طباعه
وقال:

علامة النحس والخذلان والشوم ... إغراض وجهك عن صقر إلى بوم

كراغب في بناء الزنج من أفن ... وزاهد في بنات الترك والروم
وقال:

تجشأت في وجهه بوابه ... ليعرف شعبي فلا أمنع
وقلت له إن بي تخمة ... فهل من دواء لها ينفع؟

فقال لقد غرني معشر ... بهذا الحديث الذي أسمع
فلما نلرت بهم صاحبي ... ولاحت موائله أوجعوا
فراحوا بطاناً ذوي كظة ... وأقبلت من أجلهم أصفع
وقال:

يطيل المكث في الإصطبل حتى ... يرى أير الحمار إذا اسبطراً
فيمرسه ويكثر قول طوبى ... لغمد ضم هذا النصل شهراً
وقال:

لنا شيخ يصلي من قعود ... وينكح حين ينكح من قيام
صموت فم أخو عي ولكن ... له دبر يطفل بالكلام
وقال لكاتب وعده كاغدا فلم ينجز:

كددتني أن سائلك الورقا ... فكيف حالي إن قاسمتك الورقا
يا كاتباً برزت كتابته ... فصار فيها مقدماً لبقاً

أسلم في مكتب المروءة وال ... ظرف وكسب العلا فما حذقا
حتى إذا أسلموه في مكتب ال ... لؤم جرى كيف شاء وانطلقا
ما أخرج من همرياته وما يتصل بها من الأوصاف قال:

اشرب فليلوم فضل لو علمت به ... بادرت باللهو واستعجلت بالطرب
ورد الحدود ورد الروض قد جمعا ... والغيم مبتسم والشمس في الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشة ... حتى تموت بها موتاً بلا سبب
وقال، وقد شرب في الغمر بواسط:

ليلتي في الغمر دهري ... أو يقضي العمر عمري
مر لي في العمر يوم ... لا أجازيه بشكر

بين غزلان النصارى ... أمزج الريق بخمر

وقال، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء:

للأمير الجليل لا ... حط من نبيل قدره

قهوة أشبهت سجا ... ياه في كل أمره

ذات صفو كوده ... ونسيم كنشره

فشربنا بحمده ... وانتقلنا بشكره
وسمعنا غرائباً ... من أفانين شعره
فكأننا في الخلد نر ... تع في طيب زهره
وقال:

قم يا غزال من الكرى ... روجي فداؤك من غزال
هذا الصبوح وأنت ... أنت وهذه بكر الحجال
لا تحددن عن الشمو ... ل يشوبها ماء الشمال
وقال سامحه الله تعالى:

قد بدا الصبح مؤذناً بسفور ... وفرى الفجر حلة الديجور
فاستقني قهوة تترجم بالرق ... ة عن دمع عاشق مهجور
وقال:

يا ساهر الطرف قد بدا السحر ... وجمشتنا بنشرها الزهر
ورق جلاب ليلنا ودعا ... إلى الصبوح الصباح والقمر
فما ترى في اصطباح صافية ... بكر حناها في الحانة الكبير
رقت فراقت وفات ملمسها ... ولم يفتنا النسيم والنظر
فهني لمن شم ريحها أثر ... وهي لمن رام لمسها خبر
ترى الثريا والغرب يجذبها ... والبدر يهوى والفجر ينفجر
كف عروسٍ لاحت خواتمها ... أو عقد در في الجو ينتثر
في روضةٍ راضها الربيع وما ... قصر في وشي بردها المطر
حيث نأى الناي بالعقول وقد ... أبلغ في نيل وتره الوتر
وقال، وكتب بها إلى يحيى بن فهيد بستهدي نببداً:

رسالة من مكد ... وشاعرٍ وشريفٍ
إلى فتى مستبد ... بكل فعلٍ ظريفٍ
إليك يحيى اشتكائي ... صحوي يومٍ طريفٍ
ولست مضمّر نسكٍ ... كلاً ولا بعفيفٍ
ولو أسام بديني ... لبعته برغيفٍ
موت الوزير دعائي ... إلى التماس طفيفٍ
ولم أزل وهو حي ... في كل خصبٍ وريفٍ
وأنت منه اعتياضي ... يا ذا اخل المنيف
أجل وكهفي وغوثي ... على الزمان العنيف
وفي النبذ سلو ... عن الغرام المطيف

فامنن علي بضمٍ ... من الدنان كئيف
مستودع ذات لونٍ ... ومطعم حريف

كأنها وهم حس ... أتى مجلس لطيف
فقد تبد شملِي ... وأنت للتأليف
وقال:

يا من ثناه وذكره ... بين الورى مسكٌ وعنبر
إني كتبت وزائري ... ظبي مليحٌ الدل أحور
متمنعٌ في الصحو يسم ... ح بالبضاعة حين يسكر
وارى تعذر أمره ... في الكف إن سكرٌ تعذر
فامنن علي بقهوةٍ ... أنف الحبيب بها يعفر
فأنال منه أنا المنى ... وتحوز أنت ثناً وتؤجر
وقال:

إن كنت تنشط للمدي ... ح وللثناء عليك مني
فابعث إلي مع الرسو ... ل إذا أتاكَ بملء دنّ
ومتى رضيت بأن أقط ... ع أو أهجن أو أزي
فاصرف رسولي خائباً ... وادفع بقبحك حسن ظني
وقال:

يا فتى الجصاص قد أع ... دمتني الإحسان دفعة
ولزمت الشح بالرا ... ح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوي ... فيه يا مولاي بدعه
أملِي فيك قريبٌ ... ليس فيه لي منعه
شربةٌ من خمرِكَ الصا ... في ومن نذك قطعه
ينبذ الحبُّ فيستف ... ده الشعر برقعته
وقال:

لنا على النار قنرٌ ... بخاتم النار بكرٌ
وعندنا من بقايا ... صبيحة العيد خمر
وقد دعونا غلاماً ... كالغصن أعلاه بلر
فاطلع علينا وساعد ... أو لا فما لك عنر
وقال:

على الأثافي لنا قدورٌ ... ساكنةُ النبض لا تفور

قامت على سوقها لأكل ... ونحن من حولها ندور
وعندنا من شراب عمرو ... دنّ رحيب الحشى كبير
لما فضضناه فاح منه ... نسيم مسكٍ ولاح نور
فكن لنا مسعداً وبادر ... يكمل بك الحسن والسرور
واغنم من الدهر صفو يومٍ ... فهو بتكديره جدير
وقال يستهدي نبيذاً في ذكره:
وزنجية لم تعرف الزنج طفلة ... خميسة بطنٍ مسها عندك العطش
فجاءتك تستسقي من الخمر ربيها ... فترجع كالحبلى من النسوة الحبش
فكم من هزيل مثلها في ضمورها ... عيت به حتى تضلع وانعش
وقال:

للورد عندي محلٌ ... لأنه لا يملُ
كلُّ الرياحين جندٌ ... وهو الأمير الأجلُ
إن غاب عزّوا وباهوا ... حتى إذا عاد ذلّوا
وقال من قصيدة:

ويومٍ لا يقاس إليه يومٌ ... يلوح ضياؤه من غير نار
أقمنا فيه للذات سوقاً ... نبيع العقل فيه بالعقار
الشكوى والتفجع وقال:

أرى حلاًّ وديباجاً حسناً ... فألحظها بطرفٍ المسترب
وأعرف قصتي وأراد طرفي ... وفي قلبي أحرُّ من اللهب
جنى نسي علي وصد رزقي ... وأثكلني من الدنيا نصبي
فوا أسفاً على كستيج قس ... ويا هفناً على قوس الصليب
وقال:

قد أتى العيد لا أتى ... فلقد أتمج المهج
يليس فيه لهاشم ... ي سرورٌ ولا فرج
إنه عيد أهل ق ... م وقاشان والكرج
يتلاقى بياضهم ... بقلوبٍ من السيج
وقال يتأسف على أيام المهلي الوزير:

يا صاحبي قفا أبثكما ... ما قد منيت به من النوب
وإني الربيع وقد ألفت به ... درر السقاة بدائر النخب
في روضةٍ صبغ الربيع بها ... ورد الحدود بعصفر العنب
وإذا الغلام أدار في يده ... صفراء بعد المزج كالذهب

حمراء يضحك فوق مفرقها ... ثغر الحباب كثر ذي شنب
أسجدت فوق الخد منه فمي ... شكراً لما أوليت من طرب
هذا حديثٌ كان لي ومضى ... كالأمس ولى ثم لم يثب
أيام كنت من المهالب في ... ربعٍ أغنّ ومرتعٍ خصب

فبمن أعوذ اليوم من كمدٍ ... لا أستقلُّ به من الكرب
والورد قد وافى بنضرتِه ... والنفس تطلب غاية الطلب
طلقتُ لذاتي الثلاث فما ... بيني وبين اللهو من سبب
فإذا بصرت بوردةٍ قنعت ... نفسي بها وقضت مدى أربي
فعلى السرور وكل فائدةٍ ... بعد الوزير سلام محتسب
وقال:

مضى ملكٌ عم البرية جوده ... رؤوف وإن راع الأسود شفيق
سكرت بنعمائه وجود وزيره ... فقالت لي الأيام سوف تفيق
وقال:

لا عذب الله ميتاً كان ينعشني ... فقد لقيت بضري مثل ما لاقى
طواه موتٌ طوى مني مكارمه ... فذقت من بعده بالوت ما ذاقا
وقال بعض الوزراء:

يا سيدي أنت إن لي خبراً ... أجرى لساني وصلب الحدة
هاك حديثي فإن نشطت له ... فاسمع وإلا فخرق الورقة
مستأنس زارني وحسبك بال ... ببغاء ضيفاً ذا فقحة شبيهه
باكرني جائعاً فهتكني ... ومص مني دمي ولا علقه
وهو على البخت ناقةً فمتى ... قلمت ثوراً بفرثه شرقة
لم يبق في روح برمتي رمقاً ... أتى على اللحم واحتسى المرقه
وعاث في سفرتي كمشيلةٍ ... غرثي بتلك الأنامل اللبقة
قلعاً وبلعاً بلا مراقبةٍ ... لله في عيلتي ولا شفقه
قل للرئيس الذي أنامله ... مبسوطاً بالنوال منخرقه
حلت لي الميتة التي حُرمتُ ... فكيف تنبو نفسي عن الصدقه
وقال:

يا سيداً ظل فرداً في سيادته ... يخشى ويرجى لدفع الحادث الجلل
الشوق ينهضني والعدم يقعدني ... فمن شناك به ما بي من الخلل
وقال:

جملة أمري أنني مفلسٌ ... وليس للمفلس إخوانُ
ولك ذي عيش بلا درهمٍ ... فعيشه ظلمٌ وعدوان
وقال:

قيل ما أعددتَ للبر ... د فقد جاء بشده
قلت دراعةً عري ... تحتها جبةٌ رعله
وقال:

وجاهل قال لي: لا بد من فرجٍ ... فقلت للغيط: لم لا بد من فرج؟
فقال من بعد حين قلت يا عجباً ... من يضمن العمر لي يا بارد الحبيج
لو كان ما قلت حقاً لم أكن رجلاً ... مقسّمُ العمر في الروحات والدلج
أسعى لأدرك حظاً لو حظيت به ... ما كنت أول محظوظٍ من الهمج
ذنبى إلى الدهر أنى أبطحي أب ... ولست أعزى إلى قم ولا كرج
وقال:

أمسى يسائل عن حالي يخبرها ... وكيف أمسيت في أهلي وفي بلدي
فقلت حالي بحالٍ من رثائتها ... وعلة الحال تنسي علة الجسدِ
المدائح وما يقترب بها قال من قصيدة في الفرج:
وقاتل لم غبتَ عن لحظه ... وأنت من أصغر غلمانهِ
فقلت ما أجهل فخري بمن ... تسمو به سادات أزمانهِ
هيئته تمنع من قربه ... وحب يغري بغشيانهِ
وقد تبدلتُ فهل حيلةٌ ... تبسط أنسي عند لقيانهِ
وقال لابن لوزة، وقد أهدى إليه دواه:

أخٍ مزجت بروحي روحه جرى ... مني كم جرى دمي في الجسم أفديه
ثم اتفقنا على ألقاب سالفنا ... فصرت في كل حال ما أضاهيه
أهدى إلي دواةً لو كتبت بها ... دهري أياديه لم تنفد أياديه
وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى:

لقد أمسكت من عمر بن يحيى ... بجبل لا أخاف له انبتاتا
حباني في الحياة ورم حالي ... وأوصى بي أبا حسنٍ وماتا
فكنت مجاوراً للحبر منه ... فلما مات جاورت الفراتا
وقال يهنئ بالعيد من الوافر

عماد الدين قابلك السعود ... وعشت كما تريد لمن تريدُ
وأظهرك الإله على الأعادي ... ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقتبلاً جديداً ... وجلتك فيه مقتبلاً سعيد

يهني الناس بالأعياد فينا ... وأنت لنا برغم العيد عيدٌ
وقال:

ولعمر الإله لولا أيادي ... ك لمت خواطر الشعراء
عشت تطوي الأعياد طي الأعادي ... في سرورٍ ونعمةٍ ورخاءٍ
سائر الملح والنوادر قال:

اقر الله عينك يا جفوني ... فقد أعتقت من رق السهاد
ويا عيني لك البشري فنامي ... وتمنيك السلامة يا فؤادي
نرعت عن الهوى وبرئت منه ... إليك وكنت دهري في جهاد
وقال:

يا شاعراً نمتار من ... أفكاره الفقر الدقاقا
شعراً لو أن الشهد قي ... س به وجدناه زعاقا
وقال يصف رمكة شقراء:

شقراء إلا حجولٌ مؤخرها ... فهي مدأمٌ ورسغها الزبد
تعطيك مجهودها فراحتها ... في السير فالخضر عندها وتد
قال:

قلت للنزلة حلي ... وانزلي غير لهاتي
واتركي حلقي بحقي ... فهو دهليز حياتي
وقال في غلام له كبر فأخرجه:
ما تركناه وفيه ... لخب من طباخ
هدر الطير ومن عا ... داتنا أكل الفراخ
وقال:

وهامة نبطت بما حية ... يظلم من قد قاسها باللحي
قد نصل الخضب إلى نصفها ... فهي كمثل النمل إذا أجنحا
وقال:

فإن كنت من هاشمٍ في النرى ... فقد ينبث الشوك وسط الأقاحي
وقال:

هو البحر إلا أنه عذب موردٍ ... ومن عجبٍ أن العذوبة في البحر
وقال:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس ... فعلام تكثرُ حسرتي ووساوسي
والموت أنصف حين عدل قسمةً ... بين الخليفة والفقير البائس
وقال:

كنتُ فقيراً ثم أغنييتني ... وعدت في الفقر من الراس
كمثل من بخره أهله ... وهو على مجمره فاسي
وله:

أما ترى الروضة قد نورت ... وظاهر الروضة قد أعشبا
كأنما الأرض سماءً لنا ... نقطف منها كوكباً كوكبا
وقال:

أطعمني في خروفيكم خرفي ... فجئت مستعجلاً ولم أقف
غدوت أرجو طرافه فغدت ... في طرفٍ والسماك في طرفٍ
وقال:

لقد بان الشباب وكان غصاً ... له ثم وأوراق تظلك
وكان البعض منك فمات فاعلم ... متى ما مات بعضك مات كلك
أخذه من قول الخريمي:

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً ... فبعض الشيء من بعضٍ قريبٍ
وقال في الزهد يخاطب نفسه:

محمدٌ، ما أعددت للقبر والبلى ... وللملكين الواقفين على القبر؟
وأنت مصر لا تراجع توبةً ... ولا ترعوي عما يذم من الأمر
تبیت على حمرٍ تعافر دهماً ... وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر
سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه ... فقدم له زاداً إلى البعث والحشر

الباب السابع

نذكر فيه

محاسن أبي عبد الله الحسن

بن أحمد بن الحجاج وغرائب

وهو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف، ولا يبني رجل قوله إلا على سخف. فإنه من
سحرة الشعر، وعجائب العصر. وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصرة في الأدب وحسن المعرفة
بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به، وأنه لم يسبق إلى طريقته، ولم يلحق شأوه في نمطه، ولم ير
كأقتراره على ما يردده من المعاني التي تقع في طرزه، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها، وانتظامها في سلك
الملاحة والبلاغة. وإن كانت مفصحة عن السخافة، مشوبة بلغات الخلديين والمكدين وأهل الشطارة. ولولا
أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد

الجون فيعرك بما أذن الحرم. ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل. ولكنه على علاته تنفكه الفضلاء
بشمار شعره، وستملح الكبراء ببنات طبعه، وتستخف الأدباء أرواح نظمه، ويحتمل المحتشمون فرط رفته
وقدعه.

ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره، ولقد مدح الملوك والأمراء، والوزراء والرؤساء،
فلم يخل قصيدة فيها من سفاتج هزل، ونتائج فحشه، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام، موفور
الحظ من الإكرام والأنعام، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام، والأعمال المجدية التي ينقلب منها إلى
خير حال، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر، تحمكم الصبي على أهله، ويعيش
في أكتافهم عيشة راضية، ويستثمر نعمة صافية ضافية. وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال، وأسرى
من الخيال. وقد أخرجت من ملححة الخيالة من الفحش المفرط، الحالية بأحسن المقرط، ونوادره التي تسر
النفس، وتعيد الأنس.

ما يستغرق وصف ابن الرومي:

شرك العقول ونزهة ما مثلها ... للمطمئن وعقله المستوفر
إن كال لم يمل وإن هي أوجزت ... ود احدث أنما لم توجز
فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله:

فإن شعري طريف ... من بابة الظرفاء
ألد معنى وأشهى ... من استماع الغناء
وقوله:

قرم إذا أنشدته ... شعري البديع قمللاً
فحسبت أن أبا عبا ... دة يمدح المتوكلا
وقوله:

إن عاب ثعلب شعري ... أو عاب خفة روجي
خریت في باب أفعل ... ت من كتاب الفصيح
وقال:

يا سيدي هذي القوافي التي ... وجوها مثل الدنانير
خفيفة من نصجها هشة ... كأنها خبز الأباذير
ومن أخرى يصف فيها نفسه:

حدث السن لم يزل يتلهى ... علمه بالمشايخ الكبراء
خاطر يصفع الفرزدق في الشع ... ر ونحو ينيك أم الكسائي
غير أني أصبحت أضيع في القو ... م من البدر في ليالي الشتاء
ومن جملتها:

رجل يدعي النبوة في السخ ... ف ومن ذا يشك في الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها ... فأجيبوا يا معشر السخفاء
وقال:

بالله يا أحمد بن عمرو ... تعرف الناس مثل شعري
شعرٌ يفيض الكنيف منه ... من جانبي خاطري ونحري
نسيمه منتن المعاني ... كأنه فلتة بجحر
لو جد شعري رأيت فيه ... كواكب الليل كيف تسري
وإنما هزله مجونٌ ... يمشي به في المعاش أمري
وقال من قصيدة:

ألست تعلم أني ... في غيتي وحضوري
ما زلت فيك بمدحي ... أنيك أم جرير
ومن أخرى:

ويدٌ تخرج العرائس في مد ... حك بين الأقلام والأدراج
فاستمعها مني ألد وأشهى ... من سماع الأرمال والأهزاج
بمعانٍ بخورها لك طيبٌ ... وفساها في لحية الزجاج
حلفت في الطول ذقن جريرٍ ... والأراجيز لحية العجاج
وكتب إليه بعض الرؤساء:

يا أبا عبد الإله ... بك أصبحت أباهي
غير أن السخف في شع ... رك قد جاز التناهي
وقد أعطيت من ذا ... ك ملاحات الملاهي
أقدم الآن على القو ... ل ولا تصغ لناهي
فأجابه:

سيدي شكرك عندي ... مثل شكري لإلهي
سيدي سخفي الذي قد ... صار يأتي بالدواهي
أنت تدري أنه يد ... فع عن مالي وجاهي
ليت من عاداك عندي ... وهو ساهي الذقن لاهي
فترى لحيته في است ... ي إلى الصدغ كما هي
وقال:

وشعري سخفه لا بد منه ... فقد طينا وزال الاحتشام
وهل دارٌ تكون بلا كنيفٍ ... فيمكن عاقلاً فيها المقام
وقال:

تراني ساكناً حانوت عطرٍ ... فإن أنشدت ثار لك الكنيفُ
وقال:

شعري الذي أصبحت فيه ... فضيحةً بين الملا

لا يستجيب لخاطري ... إلا إذا دخل الخلا

ومن أخرى:

ألا أيها الأستاذ دعوة شاعرٍ ... طريقته في الشعر لا تبهج

إذا أنت وظفت القوافي فخبرها ... وإن قل ما يرجو وما يتزوج

ومن كان يحوي العطر دكان شعره ... فإن كناس وشعري له مخرج

وقال من قصيدة في بعض الوزراء خالية من السخف:

وهذي القصيدة مثل العروس ... موشحةً بالمعاني الملاح

بلا نفحة من فسا عارضٍ ... ولا ووزن خردلةٍ من سلاح

فلو أنها جعلت خطبةً ... لكانت تحلُّ عقود النكاح

بعثت بها عنبراً في الشتاء ... وفي الصيف كافور خرطٍ رياحي

فما مسحت خفشلنج الخصى ... ولا حنكت بلعوق الفقاح

وشعري لا بد من سخفه ... ولا بد للدار من مستراح

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقادر، وما ينضاف إليها، سئل يوماً ابن سكرة عن قيمة ديوان

شعره، فقال قيمته بربخ أي لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه، وبلغني أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين

ديناراً إلى سبعين، وأنا كاسر فصلاً على ذكر ما أشرت إليه، والحديث شجون.

قطعة من نوادره في ذلك

كتب إلى أبي أحمد بن ثوابة، وقد شرب دواء مسهلاً:

يا أبا أحمد بنفسي أفدي ... ك وأهلي من سائر الأسواء

كيف كان انحطاط جمعك في طا ... عة شرب الدواء يوم الدواء

كيف أمسى سبال مبعرك النذ ... ل عريقاً في المرة الصفراء

يا أبا أحمد ونصحك عندي ... واجبٌ في الإخاء فاحفظ إخواني

رب ريح يوم الدواء دبوراً ... شوشت في عصاعص الأغبياء

قدروها فساً وقد كمن الجع ... س لهم في مهيب ذاك الفساء

فإذا الفرش في خليج سلاح ... ذائبٌ في قوام جسم الماء

فاتق الله أن تغرك ريح ... عصفت في جوانب الأحشاء

لا تنفس خناق سرملك عنه ... أو تخلي سبيله في الخلاء

والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفس ... و فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنما نصحية شيخ ... حنكته تجارب الآراء
وأهدي إليه صديق له نبيذاً كتب له من السريع
مدامةً تمريةً صافيه ... تلبس من يشرها العافية
زففتها طوعاً إلى شاعر ... ما وقفت قط له قافيه
فصادف وصول النبيذ خلفه عرضت له فكتب إليه:
مولاي قد أحسستُ لما أتى ... شعرك بالعافية الشافيه
لكنني في صورة للخرا ... جملتها مقنعة كافية
قد كتبت سطرًا على عصعصي ... هذا لسلطان الخرا ضافيه
وقال يهجو:

ولقد عهدتك تشتهي ... قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا ... مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحي ... ح النيء والخبز الفطير
في جوف منحل الطيب ... ة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرج سرمه ... شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا ... بالبيض واللبن الكثير
وفطائر عجنت بلا المل ... ح الجريش ولا الخمير
يا ضرطة الشيخ المبح ... ل بين حسادٍ حضور
يا ريح سرقين البغا ... ل يداف في بول الحمير
يا نتن رائحة الطبي ... خ إذا تغير في القدور
يا عش بيض القمل فر ... خ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا ... م ويا خراهم في الحجور
يا بغض تدخين الجشا ... في الصوم من تخم السحور
يا حر قولنج البطو ... ن وبرد أعصاب الظهر
يا ذلة المظلوم أصب ... ح وهو معدوم النصير
يا سوء عاقبة النعق ... د تمشية الأمور
يا حيرة الشيخ الأصم وح ... سرّة الحدث الضرب
يا قعدة في دجلة ... والريح تلعب بالجسور
يا قرحة السل التي ... هدت شراسيف الصدور
يا أربعاء لا تدو ... ر به محاقات الشهور

يا هدة الحيطان تنق ... ض بالمعاول والمرور
يا قرحةً في ناظرٍ ... غلطوا عليها بالنرور
فتسلخت مع ما يلي ... ها في الجفون من البثور
يا خيبة الأمل الذي ... أمسى يُعلل بالغرور
يا غملة المتحدرا ... ت وراء أبواب القصور
يا ملتقى سمعف الأيو ... ر على عراجين البطور
يا وحشة الموتى إذا ... صاروا إلى ظلم القبور
يا ضجرة المحمور بال ... غدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ... ء أضر بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي ... خسفت بأيام السرور
يا ضجة الصخب المصد ... ع ذي التنازع والشرور
يا عثرة القلم المرش ... ش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غ ... ب عشية اليوم المطير
يا نومة في شمس آ ... ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في ال ... يوم العبوس القمطير
يا نمشة الكلب العقو ... ر ونكهة الليث المنصور
يا عيش عانٍ موثقٍ ... في القيد مغلول أسير
يا حدة الرمذ الذي ... لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وق ... ت الظهر في وسط المهجير
من لي بأن تلقاك خي ... لُ بني كلاب بلا خفير
وأرى بعيني لحمك الم ... طبوخ في نار السعير
في الأرض ما بين السبا ... ع وفي السماء بين النسور
وقال في المهلبي الوزير:
قيل إن الوزير قد قال شعراً ... يجمع الجهل شمله ويعمه
ثم أخفاه فهو كاهن يحزا ... في زوايا البيوت ثم يطمه
ليتني كنت حاضراً حين يروي ... ه فأفسو في راحتي وأشمه
وقال:
وذي همة في حضيض الكنيف ... وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار ... على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع ... سكرجة كان فيها مري
فلما قعدت فسا فسوة ... فلم تخط عصفتها منخري

وأقبل يضطرب في إثرها ... فقلت أقوم وإلا خري
وقال في شيخ بني بعجوز:
أفصح ودعني من الرموز ... قد دخل الشيخ بالعجوز
من لي بها حين ضاجعته ... في ذلك الموضع الحرير
فكنت أخرا على زليخا ... وهي إلى جانب العزيز
وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء:
قد أصبحوا كما ترى ... ما بين نومٍ وخرا
قومٌ برئت منهم ... لأنهم مني برا
ما إن أرى مثلاً لهم ... ولا أرى أني أرى
وقال وقد عاتب إنساناً على زلة فجاء بأكبر منها:
لي صديق جنى عل ... ي مراراً فأكثر
ثم لما عتبه ... غسل البول بالخرا
وقال:

فقدت بختي إنه ... ما زال بختاً قدرا
لو كان شيئاً ناطقاً ... لكان شيئاً أبخرا
من حيث ما درتُ به ... لطح وجهي بالخرا
وقال:

يقول قومٌ أبصروني وقد ... تلفتُ ما بينهم سكر
قم بالحق الظهر ولو ركعةً ... فالنس قد صلوا بنا العصر
فقلت ما أحسن ما قلتُ ... أقوم حتى ألحق الظهر
أقوم والركعة من عند من ... نعم وإن قمت فمن يقرأ
قالوا فلا تسكر فلسنا نرى ... لعاقل في سكره عذرا
والله لولا السكر يا سادتي ... ما ذقت مطبوخاً ولا خمر
قالوا فهذا السكر ما حده ... فقلت حد السكر أن أخرا
وقال:

قومي تنحي فلست من شأني ... قومي اذهبي لا يراك شيطاني
لا كان دهر عليك حصلي ... ولا زمان إليك ألباني

قعدت نفسي فوق طنفتي ... ما بين راحي وبين رجلي
فما عدمتنا من الكيف إذا ... حضرت إلا بنات وردان
سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول: حضرت مجلس الصاحب ليلة بجرجان في جماعة من الفقهاء المتكلمين

كالعادة كانت عنده في أكثر ليالي الأسبوع، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعيان وجد الصاحب رائحة تأذى بها وتأفف منه أن أنشد هذه الأبيات المتقدم:

قومي تنحي فلست من شاني

وجاء الفراشون بالند فتلافوا تلك الفرطة، وتقوض المجلس.

وقال في شهر رمضان وقد جاء في آب:

شهرٌ أراه يلج مع من ... يغتاز من طوله ويدرد

فالبول قد جف من حماه ... في الجوف والجمع قد تقد

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات، واستخلف على نواحي فم النيل خليفة فكتب إليه:

الحمد لله وشكراً له ... والله أهل الحمد والشكر

يا أيها الذئب الذي اخترته ... خليفة ينظر في أمري

أوصيك بالأغنام شراً وهل ... يوصي أبو جعدة بالشر

امش إليها مشية الليث أو ... فاحمل عليها حملة البر

ولا تدع في النيل من إثرها ... إلا بقايا الصوف والبر

أنظر إلى السكاج من شمها ... أو مر مجتازاً على القدر

فأقبض على لحيته واحترز ... من حيلة في أمرها تجري

أريد أن تحصي طاقاتها ... ولك ما فيها من الشعر

اعمل بما لي عمراً جامعاً ... مستظهراً فيه كما تدري

واحذر إذا وفيتها في غدٍ ... أن ينقص الكيل عن الحزر

حتى إذا جتتك سلمتها ... بذلك الإحصا إلى جحري

أوصيك في القوم بهذا الذي ... عقدته في السر والجهر

وكيف لا أوصي بهذا وقد ... بليت منهم بني البظر

واضطربي جور زماني إلى ... معيشة تترى على الحر

والدهر قد صارت به هيضةً ... فحن غرقى في خرا الدهر

وقال في ابن سكرة:

سلحةً بعد قرقره ... من سلاح المورره

باتت الليل كله ... جوف بطني مخمره

ثم رامت تخلصاً ... فاغتدت ذات طرطره

ثم سارت كأسهم ... عن قسي موتره

فأصابت بوثة ... جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبي الفضل الشيرازي لما تقلد الوزارة، وعرض بأبي الفرج بن فساخس:

سعدك للحاسدين نحسٌ ... وهم ظلامٌ وأنت شمس

ارفق عليهم فلن يعودوا ... إليك حتى يعود أُمس
فأنت تحت الظلام تسعى ... وذاك تحت اللحاف يفسو
وكان يوماً جالساً بجانب الدست في دار أبي الفرج فسأجس، فعرضه له حاجة إلى الخلاء فبادر ورجع، فسئل
عن مبادرته فقال:

يا سائلي عن خبري ... زاحم جوفي قدري
فكدت أن أخرى على ... دست الرئيس الطبري
فقممت أعدو حافياً ... وقد تغشى بصري
حتى خريت خريةً ... مثل الخييص الجزري
كأنها من عظمها ... روثة كرشٍ بقري
وقال:

أبا الحسين بن نصر ... أبشر بعز ونصر
فأنت في الصدر أحلى ... من المنى جوف صدري
وليت لحية من لا ... يهواك في جوف حجري
من أين مثلي حر ... أو سفلة غير حر
خراي عند القوافي ... وذقن غيري بشعري
ومن تكلف في الشع ... ر نظم سبحة در
نظمت من مثل طبعي ال ... خسيس سبحة بعز
وجملة القول أني ... إحدى عجائب دهري
قد در ضرعي على ما ... ترى فلله دري
وقال من إنسان طبري مات بالقولنج:
يا غصة الموت افغري ... فاك لروح الطبري
حتى تمجيتها على ... علائها في سقر
يا أيها الثاوي الذي ... أفلح لو كان خري

لمثل ذا اليوم يقا ... ل من خري فقد بري
وقال يستميح شراباً:

ألا يا إخواني وذوي ودادي ... دعاء فتى إجابته مناه
زيادة دجلة والورد غض ... قد استولى على قلبي هواه
فهذي ليس يفتني سواها ... وهذا ليس يسبني سواه
أما فيكم فتى يرثي لصحوي ... فيسقيني المشوم ولو خراه
وقال:

يا عيني السفلى لحي سادتي ... قد شهدت بالزور فاستعبري
أبكي عليها كلما سرحت ... في استي بدمعٍ سلسٍ أصفر
واتخذ دعوة كبيرة في أيام عز الدولة، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة وقال:

قل للأمير المرتجى ... من جاءني فقد نجا
ومن أبي فذقنه ... في عصعصي قد لججا
يسبح في بحر خرا ... إذا جرى تموجا
وها هنا حكمٌ إذا ... كوى لحاهم أنضجا
ومن لم يجي فذقنه ... في است الذي استدعي فجا
فقل لمن لجج في ... جوابه أو مجمجا
سبالك الخفوف قد ... حرك مني مخرجا
مؤزراً بالجلس في ... حافاته مصهرجا
فيه خراً معتقٌ ... كالبن حين كرجا
تدفعه مقعدتي ... بعد العشا ملهوجاً
من قبل أن تطبخه ... طبعني فينضجا
من كل من سرمي إلى ... لحيته قد التجا
عاشرت باستي ذقنه ... فامترجا وازدوجا
وصعدا ونزلا ... ودخلا وخرجا
ولن ترى أحسن من ... ذقنٍ تواخي شرجا
وقال من أخرى:

أنظر لهرون وقد جاءني ... يطمع أن يبتزني ضيعتي
جذبت قوس استي في وجهه ... فقرطست لحيته ضرطتي
ومن أخرى في قائد من الأتراك أراد أخذ داره:
إن أطفالي الذين تراههم ... حول ناري في الليل مثل الفراش
أترى ما شمت ريح فساهم ... حين باكرتني وهم في الفراش
وجعيساتهم خلال الزوايا ... مثل ذرق الفراخ في الأعشاش
لا ترمهم واقبل نصيحة رأيي ... لك واحذر مغبة الغشاش
وقال من أبيات وقد دخل رجل اسمه عمرو والمزين يخفى شاربته:
قد لعمرى فارت طبيعة حجري ... منذ أحفى المقراض شارب عمر
كلما قص شعرة صر منها ... عصعصي النذل أو تفرقع ظهري
وقال من قصيدة في الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة:
يا ساتلي عن بكاي حين رأى ... دموع عيني تسابق المطرا

ساعة قيل الوزير منحدرٌ ... أسرع دمعي وفاض منحدرًا
وقلت يا نفس تصبرين وهل ... يعيش بعد الفراق من صبرا
شاورته والهوى يفتته ... والرأي رأي الصواب قد حضرا
أهوى المنحاري والحزم يكرهه ... وتارك الحزم يكره الغررا
لأنني عاقلٌ ويعجبي ... لزوم بيتي وأكره السفرا
الخش نصف النهار يعجبي ... والماء بالثلج بارداً خصرا
والشرب في روشني أقول به ... كما أرى الماء منه والقمررا
ولا أقود الخيل العتاق بلى ... أسوق بين الأزقة البقرا
من كل جاموسة لعنبلها ... رأس بقريه يفلق الحجررا
قد نفخ الشحم جوفها فغدا ... كأنه بطن ناقةٍ عشرين
لما أتني بالليل مقبله ... وثوبها بالخررا قد انتزرا
تركض مثل الحصان نافرةً ... ومن يرد الحصان إن نفرا؟
مد ذراعي في سرمها لبياً ... وسد أيري في سرمها شعرا
أحسن في الحرب من صفوفكم ... غداً قعودي أصف الطررا
وأنتف الشعر من جين حر ... لطف في نفه وما شعرا

أو مبعرٍ جمعسه يطالعي ... من كوة الباب كلما زحرا
هيهات أن أحضر القتال ... وأن ترى بعينيك فيه لي أثرا
بل الذي لا يزال يعجبي ال ... ديب بالليل خائفاً حذرا
أنا إلى تلك هي نائمة ... وذا إلى ذاك بعد ما سكرا
وضجة النيك كلما شرطت ... واحلة تحت واحدٍ نحرا
وقول بعض المميزين وقد ... شم فسانا بأنفه سحرا
في جمعس هذا فطورةً وأرى ... أن خرا تلك بعد ما اختمرا
الدف يوم الصبح دبديني ... وبوقي الناي كلما زمرا
وخريتي كلما رميت بما ... مقتل ذقنٍ خصبتها بحرا
هذا اعتقادي وهكذا أبداً ... أرى لنفسي فأنت كيف ترى
وقال:

إذا تغني سليمٌ عاق ... المسرة عني
وافي بذقنٍ سخيّف ال ... مغني وجئت ببطني
فلحية التيس منه ... وسلحة الفيل سني

ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة في أبي الفضل الشيرازي:
الناس يفدونك اضطراراً ... منهم وأفديك باختيار
وبعضهم في جوار بعض ... وأنت حتى أموت جاري
فعش لحزبي وعش لمائي ... وعش لداري وأهل داري
يا من ياحسانه بلغت الس ... ماء في العز واليسار
فاليوم قارون في غناه ... عبدي وكسرى ركاب داري
وقال:

يا من يدي من خيره فارغه ... مليت لبس النعمة السابعة
قد هشمت رأسي بأحجارها ... أفاظك الهاشمة الدامغة
فيا أبا قابوس في ملكه ... رفقا آيت اللعن بالنابغة
وقال:

إنك إنسان له موقع ... من ناظري في جوف إنسانه
فكيف تخشى هجو من مدحه ... فيك يرى أول ديوانه
ومن له في شعره مذهب ... ذكرك فيه نور بستانه
تمضي ليليه وأيامه ... وسره فيك كإعلانه
ولست ممن يخلط الكفر في ... شكر أياديك بإيمانه
قل للذي جهز في السعي بي ... بضاعة عادت بخسرانه
قل للذي جهز في السعي بي ... بضاعة عادت بخسرانه
لا تغتر أنك من فارس ... في معدن الملك وأوطانه
لو حدثت كسرى بذا نفسه ... صفعته في وسط إيوانه
وقال من بختيار:

فديت وجه الأمير في قمر ... يجلو القذى نوره عن البصر
فديت من وجهه يشككني ... في أنه من سلالة البشر
إن زليخا لو أبصرتك لما ... ملت إلى الحشر لنة النظر
ولم تقس يوسفاً إليك كما ... نجم السهى لا يقاس بالقمر
وكان يا سيدي قباك إذا ... هربت منها ينقد من دبر
بل وحياتي لو كانت يوسفها ... لم تك من قهمة العزيز بري
لأنني عالم بأنك لو ... شمت ربا نسيمها العطر
سبقتها وانزبقت تتبعها ... ما بين تلك البيوت والحجر
ولم تزل بالكدين تقصرها ... من قبل وقت العشا إلى السحر
وقد علمنا بأن سيدنا ال ... أمير ممن يقول بالبطر

ولم تكن تلك تشتكي أبداً ... ما كان من يوسفٍ من الخنر
طبعك كالماء في سهولته ... لكن أبو الزبرقان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا ... إلا صلاب الفياش والكمز
وقال:

إن بني برمك لو شاهدوا ... فعلك بالغائب والشاهد
ما اعترف الفضل ييجي أباً ... ولا انتمى ييجي إلى خالدٍ
وقال:

وكاتبٍ بارعٍ بلاغتهُ ... تجلو علينا كلام سحبان
وخطه والكتاب في يده ... ينثر دراً أمام مرجان
لو كان عند المأمون جوهره ... أهده أو بعضه لبوران
وقال في رجل سقطت امرأته من السطح فماتت:

عفا الله عنها إنها يوم ودعت ... أجلٌ فقيدٍ في التراب مغيب
ولو أنها اعتلت لكان مصابها ... أخف على قلب الحزين المعذب
ولكن رأت في الأرض أفعى مجذلاً ... على قدر غرمول الحمار المشغب
فظنته أيراً والظنون كواذبُ ... إذا أخبرت عن عامٍ ما في المغيب
وأهوت إليه من يفاعٍ ودونه ... ثمانون باعاً في علو مصوب
فصارت حديثاً شاع بين مصدق ... تحققه علماً وبين مكذب
سعى الطمع المردي إليها بحتفها ... ومن يمثّل أمر المطامع يعطب
فأعظم يا هذا لك الله ربها ... وربك أجر الشكل في شاة أشعب
قل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة كانت لي على سطح فظرت إلى قوس فزح فظنته حبل
قت، فأهوت إليه واثبة، فسقطت من السطح فاندقت عنقها.

وسأل الهنكري مغني سيف الدولة ابن حجاج أن يصنع شعراً يغني به بين يدي صاحبه فقال:

أمير يا من ندى كفه ... يزيد على العراض المطر
أرى يومنا يوم كلسٍ تدو ... ر من يد ذي دعجٍ أحور
وأبيض يحدوك سكر الغرام ... على لثم شاربه الأخضر
بحمرة وجنته تستدل ... على أنه من بني الأصفر
وأنت من دونه قد ضرب ... ت هامة ذي لبدةٍ قسور
وشعر ابن حجاج يا سيدي ... يغني به عبدك الهنكري
عناءً وشعراً لنا يجمعا ... ن ما بين زلزل والبحري
وقال:

عذراً على عبل الشوى مرح ... والخيّل من حوله مثل الحصى عددا
في خلعة لو رآها يوم يلبسها ... فمرود قبل وجه الأرض أو سجدا
وقال:

يا من إذا ما اختللت أيدني ... ومن إذا ما ضعفت قواني
ابق لي اليوم ضعف ما بقيت ... أمس نسور الحكيم لقمان
وقال:

يا درة الملك ويا غرة ... في وجه هذا الزمن الأدهم
تراب نعليك على ناظري ... أعز من عيسى على مريم
وقال:

فتى له عزم إذا كلت السي ... وف مثل المرفف الصارم
وراحة لو صفعت حاتماً ... تعلم الجود قفا حاتم
ومن أخرى:

هذا حديثي تنمي عجائبه ... بكثرة القال فيه والقليل
أجزني دفنه فشاع كما ... أعجز قاييل دفن هايل
ومن أخرى:

وأبرص من بني الروائي ... ملمع أبلق البيدين
قلت وقد لج بي أذاه ... وزاد ما بينه وبين
يا معشر الشيعة الحقوي ... قد ظفر الشمر بالحسين
ومن أخرى:

كل خفيف الرجلين ثقل ... خفة رجله بالحديد
أذقه من غب ما جناه ... ما ذاق يحى من الرشيد
ومن أخرى:

واستوفى عمر الدهر في نعمة ... دون مداها موقف الحشر
مصيبة الحاسد في مكثها ... مصيبة الخنساء في صخر
ومن أخرى:

يا من يعادي الهوى جهلاً بموقعه ... ولا يزال يعادي المرء ما جهلا
أما رأيت الهوى استولى بفتنته ... على النيبين واستغوى بما الرسلا
فإن شككت فسل زيدا بقصته ... وأورياء يقولوا الحق إن سئلا
لم بت هذا طلاقاً حبل زوجته ... وذاك في رقعة التابوت لم قتلا
ومن أخرى:

مولاي يا من كل شيء سوى ... نظيره في الحسن موجود

إن كنت أذنبت بجهلي فقد ... أذنب واستغفر داود
ومن أخرى:
ملكٌ لو لم يكن من ملكه ... غير دارٍ وشحت بالنعم
لو رمى شداد فيها طرفه ... زهدته بعدها في إرم
وله، وقد خرج هارباً من غرمائه:
هربتُ من موطني إلى بلدٍ ... قد صفر الجوع فيه منقاري
يقول قومٌ فر الحسيس ولو ... كان فتى كان غير فرار
لا عيب لا عيب في الفرار فقد ... فر نبي الهدى إلى الغار

ملح من سائر أمثاله في الجذ والمزل

الواقعة في فنون نوادره قال:

جميع ما لي صدقه ... لأكسرن فستقه
فبس كم تهذين يا ... سندية مطلقه
لا بد للسندان أن ... يصبر تحت المطرقة
وفيشتي لا بد أن ... أسبكها في البوتقة
لا بد أن أطعن بال ... مردي صميم الدرقة
وأن أمر الميل في ... جوف سواد الحدقة
تريد مني أترك ال ... حم وأحسو المرقه!
ليس الثريد بابتي ... بسي من الملبقه
أريد من لحم است من ... أعشقها مدققه
أحب أن لا تشفقي ... عدمت هذي الشفقة
وكل شاة في غدٍ ... برجلها معلقة
لا بد من أن يقع ال ... زرفين جوف الحلقة
وقال:
أخشى على حسبي العدو وفي ال ... نلس لمثلي أصادقٌ وعدي
هر يراني وفي فمي غدٌ ... والهز بالطبع يألف الغددا
وإن تغافلت عنه غافضي ... واستلب الكرش من يدي وغدا
وقال:
قد وقع الصلح على غلتي ... فافتسموها كارة كاره
لا يدبر البقال إلا إذا ... تصلح السنور والفاره

وقال، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه:

أيها السائل عن حا ... لي أنا المضروب زيدٌ

وأنا المحبوس لكن ... ليس في رجلي قيد

وقال:

وقائل هو رأس ال ... عمال بين الناس

والرأس يصلح إن لم ... ينفعك للرواس

هذا هو الحقُّ والحقُّ ... قُ ما به من يلس

وقال:

فقرٌ وذلٌ وهولٌ معاً ... أحسنت يا جامع سفيان

وقال:

الحمد لله إن لي أملاً ... أنا إلى الخصب منه أستند

وقال:

إن كنت تحتقر العتاب تكبراً ... فالفيل يعمل فيه قرصُ البرغش

وقال:

وما الشيء للمرء يحتاله ... ولكنه للفتى يرزقه

وقال:

دعوت نذاك من ظمئي إليه ... فعناني بقيعتك السراب

سرابٌ لاح يلمع في سباحٍ ... فلا ماءً لديه ولا شراب

وليس الليث من جوعٍ بغادٍ ... على جيفٍ تحيط بها كلاب

وقال:

مستحيل المعنى يصلى إلى الخ ... شر ويخرى في جانب المحراب

أنصاف أبيات له وأبيات في الأمثال

قال: ورب كلام تستثار به الحربُ وقال: حتى متى ترقص في زورقي؟ وقال: خود ترف إلى ضريبر مقعدٍ

وقال: أصبحت أخلقُ منك بالزبدِ وقال: فهو من نصف خوصةٍ قدرى وقال: فقلتُ من يفسو على الكنيف

وقال:

عجبت من الزمان وأي شيء ... عجيب لا أراه من الزمانِ

أتأخذ قوت جردانٍ عجافٍ ... فنجعله لأوعالٍ سمانٍ

وقال:

وقد غمزوا مع العيدان عودي ... ليختبروا الصحيح من المريب

فلان الخروج الخوار منا ... وبان تكرم النبع الصليب

وقال في بواب أعور حجبه عن رئيس:
سمعت فيمن مات أو من بقي ... بمقبل بوابه أعورُ
واللوزة المرة يا سيدي ... يفسد في الطعم بما السكر
وقال:

ولي شفيعُ إليك شرفني ... إيجابه لي وزاد في قدري
نبهت منه لحاجتي عمراً ... ولم أعول فيها على عمرو
يريد قول بشار:

إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبه لها عمراً ثم نم
وللآخر:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
وقال:

عذرتُ الأسد أن صليت بناري ... مخاطرةً فما بال الكلاب
وأزواج الحرائر لم يجابوا ... لدي فكيف أزواج القحاب؟
وقال - وقد قال له بعض الرؤساء: ما أشبهك في الإبرام إلا بابن أبي رافع:
ضربت في الإبرام يا سيدي ... لي مثلاً بابن أبي رافع
فقلت في ذلك: لا تعجبوا ... من متخمٍ يفسو على جائع
وقال:

إني بليت بأقوام مواعدهم ... تريدني فوق ما ألقاه من محن
ومن يذق لسعة الأفعى وإن سلمت ... منها حشاشته يفرع من الرسن

الشكوى ووصف سوء الحال

قال في ابن العميد:

فداؤك نفس عبد أنت مولى ... له يرجوك يا خير الموالي
حديثي منذ عهدك بي طويلٌ ... فهل لك في الأحاديث الطوال
وجملة ما يعبره مقالي ... حصول استي على حر المقالي
وأني بين قومٍ ليس فيهم ... فتى ينهى إلى الملك اختلالي
فلحمني ليس تطبخه قدوري ... وحوتي ليس تقلبه المقالي
ومائي قد خلت منه جبابي ... وخبزي قد خلت منه سلاي
وكيسي الفارغُ المطروح خلفي ... بعيدُ العهد بالقطع الحلال
أفكر في مقامي وهو صعبٌ ... وأصعب منه عن وطني ارتحالي
فبي مرضان مختلفان حالي ال ... عليلة منهما تسمي بحال

إذا عاجلت هذا جف كبدي ... وإن عاجلت ذاك ربا طحالي
وكان يكتب في حديثه لرئيس، فتأخر عنه، فكتب يسأله عن حاله في تأخره فكتب إليه:
سألت يا مولاي عن قصتي ... وما اقتضى بالرسم إخلالي
ليست بجسمي علة تشتكي ... وإنما العلة في حالي
وذاك داء لم تزل ضامناً ... من سقمه برئي وإبلاي
وقال:

خليلي قد اتسعت محنتي ... على وضائق بها حيلتي
عذرت عذارى في شبيه ... وما لمت أن شمت لمني
إلى كم يخاسني دائماً ... زماي المقيح في عشري
تحيفني ظالماً غاشماً ... وكدر بعد الصفا عيشتي
وكت تماسكت فيما مضى ... فقد خانني الدهر في مسكتي
إلى منزل لا يوارى إذا ... تحصلت فيه سوى سوائي
مقيماً أروح إلى منزل ... كقبري وما حضرت ميتي
إذا ما ألم صديقي به ... على رغبة منه في زورتي
فرشت له فيه بسط الحدي ... ث من باب بيتي إلى صفتي
ومعدته من خلال الكلا ... م تشكو خواها إلى معدتي
وقد فت في عضدي ما به ... ولكن عليه غلبت علي
وأغدو غدواً ملياً بأن ... يزيد به الله في شقوتي
فأية دار تيممتها ... تتيم بواها حجتي
مقداد: لحد هون تم التصحيح

وإن أنا زاحمت حتى أموت ... دخلت وقد خرجت مهجتي
فيرفعني الناس عند الوصول ... إليهم وقد سقطت عمي
وإن تمضوا بعد للأنصرا ... فأسرعت في إثرهم فمضتي
وإن قدموا خيلهم للركوب ... خرجت فقدمت لي ركبتي
وفي جمل الناس غلمانهم ... وليس سوائي في جملي
ولا لي غلام فأدعوا به ... سوى من أبوه أخو عمي
ركنت مليحاً أروق العيو ... ن أيضاً فقد قبحت خلقتي
يعرق خدي جفاف الهزال ... وحاف الشناج على وجنتي
وقوسني الهم حتى انطويت ... فصرت كأني أبو جدتي
وكان المزين فيما مضى ... تكسر أمشاطه طريقي
وكت برأس كلون الغداف ... فقد صرت أصلع من فيشتي

ويا رب بيضاء رود الشبا ... ب كانت تحن إلى وصلتي
فصارت تصد إذا أبصرت ... مشيبي وتغضب من صلعتي
على أنني قلت يوماً لها ... وقد أمضت العزم في هجري
دعي عنك ما فوقه عمي ... فإن جمالي ورا تكفي
هنالك أير يسر العيون ... طويل عريض على دفتي
ومنها:

سوى أن قلبي قد صرفت ... ه في شغله بالأسى عطلي
وكانت بتكرت لي غلة ... فغلت بأجمعها غلتي
أغاروا على سمسمي غارة ... تعدت فأنضت إلى حطتي
فلا أزال في نعمة كل من ... أزال بحيلته نعمتي
وقال:

قد قنعنا فهات خبزاً بلحم ... أنا من شدة الخوى في السياق
فرجي أن أشم رائحة اللح ... م ولو كان من فسا مراق
وقال:

ما حال من يأوي إلى منزل ... أرفق منه المسجد الجامع
لا يرتوي العطشان فيه، ولا ... يلحق ما يقتاته الجائع
وسوقه كاسدة بينكم ... لا مشتر فيها ولا بائع
وقال:

أتعشى بغير خبز، وهذا ... خبري منذ مدة في غدائي
فأنا اليوم من ملائكة الدو ... لة وحدي أحيا بغير غذاء
أية لم تكن لموسى بن عمرا ... ن ولا غيره من الأنبياء

نبد من لطائف نوادره في أنواع الكدية

قال:

هذا وأيام أكلي ... عند الملوك الكبار
ما كنت أفطر إلا ... على كبود القماري
مشويةً وقلابا ... فالיום سنور داري
إذا أرادت تعشى ... تنعصت لي بقار
وقال بواسط، وقد باع ثيابه:
يا سادتي قول ميت ... في مثل صورة حي

لم يبق في الخرج شيء ... أتأذنون بشيء؟
وقال، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة:
سيدي عبدك في الزيت ... فر من الموت إلى الموت
حال وأقطاعي خرابٌ فقد ... فررت من بيتي إلى بيتي
وقال:

مالي أرى بيت ما لي حلهُ زحلُ ... وحسبه من بعيدٍ أن يرى زحلا
فما ترى لا رأيت السوء في رجلٍ ... قد شب تحت خطوط الدهر واكتهلا
وقال، وقد رأى كلاب عز الدولة يختار تطعم لحوم الجدا:
رأيتُ كلاب مولانا وقوفاً ... ورابطةً على ظهر الطريق
فمن ورد له ذنبٌ طويلٌ ... يعقفه وملهوبٌ خلوقي
تغذى بالجداء فوددت أني ... وحقَّ اله خر كوشٌ سلوقي
فيا مولاي رافقي بكلبٍ ... لآكل كل يوم مع رفيقي
أرى القصاب قد أضى عدوي ... لشؤم البخت والملحي صديقي
فلو أني افتصدت لما وجدتم ... سوى الحلتيت داخل السليقي
جفاني اللحم وهو شقيق روحي ... فمن يعدي على ذاك الشقيق
كأن اللحم في صوم النصارى ... توهمني ابن عم الجاثليق
وأحسن ما رآه الناس لحمٌ ... جراته تضاف إلى الدقيق
وله في مثل ذلك:

يا سيد الناس عشت في نعمٍ ... تأوي إليها ممالكُ العجم
بديهي في الخصام حاضرها ... أشهر في الفيلقين من علم
والخط خجطي كما تراه ولا ال ... زهرة بين القرطاس والقلم
هذا وخيزي حافٍ بلا مرقٍ ... فكيف لو ذقت ثردة الدسم
ما لي وللحم إن شهوتهُ ... قد تركتني لحماً على وضم
وما لحلقي والخيز يجرحه ... بالملح يشكو حرونه اللقم
وله في مثل ذلك:

يا من رأى البدر حسن صورته ... فبان في البدر موضع الحسد
نحن سنأبى أهل دولتكم ... فأنصفونا من صاحب الغد
والله لولاك لم تبت مرق ال ... حم تروي شحومه ثرد
ولم يحور لي الدقيق ولا ... كانت تحوز المسلمات يدي
وكتب لبعض الوزراء، وقد أراد عمارة مسنة داره:
خفي فما أنت بمعدوره ... ولا على نصحك مشكوره

أذاك كم يصدع قلبي به ... وإنما قلبي قاروره
في كل شيء أنت يا هذه ... مغمومةٌ بي غير مسروره
حتى مسناتي التي أصبحت ... هي خرابٌ غير معموره
أيتها المرأة لا تقلقي ... من قبل أن تستعملي الصورة
لي سيد أضحت عنايته ... على مسناتي موفوره
ناهدته فيها على أنها ... تجعل بالصاروج كافوره
مني أنا لا شيء ومن سيدي ال ... آجر والصناع والنوره
وكتب إلى بعض الرؤساء يلتمس منه عمامة:
يا من له معجزات جودٍ ... توجت عندي له الإمامه
مال ي إذا ما الشمال هبت ... قامت على رأسي القيامة
ودميت في القفا عيونٌ ... بالطول في موضع الحجامة

أظن هذا من أجل أني ... في البرد أمشي بلا عمامه
وقال لبختيار حين عاود الحضرة بعد هزيمة الأتراك والحجاج معه:
الحمد لله جاءت النعمُ ... وانصرفت مع مجيئها النقمُ
واطلع البدر بعد غيبته ... فانكشفت عن جوهنا الظلم
فأي شيء تريد تعمل بي ... فإنني منك لست أحتشم؟!
أريد مما أفتتحته عملاً ... يثرد في دغباحه اللقم
وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب:
يا بان بشر يا سيدي يا ابن بشر ... يا معيني على مللمات دهري
خلق الله ذقن من يتشنا ... ك وألقاه في غياهه حجر
أي شيء تريد تعمل بي اليو ... م فهذا أنا وأنت وشعري؟!
أنا في واسطٍ أروح وأغدو ... بين مد من الظنون وجزر
تارةً يسبح الغنى لي فأرجو ... ه، وطوراً أرى دلائل فقري
راجلاً أعزباً فرجلي وأيري ... بين بطنٍ قد أعوزاني وظهر
غير أني أرى عميرة بالل ... يل يمشي بجلدها بعض أمري
وكعابي التي يرضضها المش ... ي من أحيلها ليت شعري
أنت تدري وحسب عبدك فميا ... يرتحي منك قوله أنت تدري
وكتب إلى ابن قرة يقتضي مركوباً وعد به وهو على جناح السفر:
يا سيدي دعوة ذي رحلةٍ ... مقتصرٍ في الجري مسبوق
والقوم قد صح بهم عزمهم ... وضربوا بالطلل والبوق

وضمروا للسير أفراسهم ... وفرسي الأشهب في زريقي
بل لي كميّة ما رأي مثله ... يا سيدي قط لمخلوق
كأنني في متنه راكب ... دالية في رأس زرنوق
ما في فضل لا ولا فيه لي ... لأنني وهو على الريق
وقال يتنجز رداء شرب:

ويحك اسكت فضحتني يا راسي ... أنت بالضد من رؤوس الناس
أنت والله فارغ القحف إلا ... من كوز الحباط والإفلاس
بسك اقطع ففني ضماني الرداء ال ... شرب الأمير عن أبي العباس
أبيض الغزل فيه خط سواد ... مثل خط الرئيس في القرطاس
وقال يتنجز دراهم:

يا قمرأ في تمامه طلعا ... هذا رسولي إليك قد رجعا
في غاية الحسن والدمائة وال ... نعمة والظرف والجمال معاً
عن طيب معناه في لطافته ... كأنه في الكنيف قد وقعا
وهو يحب الصرار يفتقها ... ويشتهي أن يجمش القطعا
فاحسم بختم القرطاس مقطعه ... وامنع يديه عليه أن تقعا
واردده من همة بختمكه ... كأنه بالفلوس قد صفعا
وقال ينجز شعيراً لدابته:

كيقي اصهل واضرط فقال نعم ... بالسمع يا سيدي وبالطاعة
نعم ولكن أين الشعير ترى ... فقلت هو ذات بجيهم الساعه
قال فممن فقلت من رجل ... قد صار في الجود حاتم الباعه
وقال وقد بعته إليه:

كان لي ابن المعدل ... بالقفيز المعدل
من شعير بلا ترا ... ب نقي مغربل
ما أرى مثله فلا ... نّ قضيماً لدلل
وقال يطلب خيشاً:

يا أحرص الناس على مبعر ... يدق مستنجاه بالفيش
حتى متى تتركني في لظى ... حر حزيان بلا خيش
وقال يستعين بأبي قرّة على تطهير ابنه:

يا سيدي دعوة من لم تزل ... تعديه بالجود على دهره
إن لي ابناً أمس خلفته ... في منزلي كالفرخ في وكره
يبكي إذا ما عن ذكرى له ... وفي فؤادي النار من ذكره

والعزم بي قد جد يا سيدي ... في شهرنا الأدنى على طهره
قفوني إني ضعيفُ القوى ... على الذي أنوبه في أمره
فأنت سترُ الله في وجه من ... أصبح ذاك الطفل في ستره
وقال لبعض بني حمدان:

فتى يغير المدح في داره ... على صناديق وأكياس
ذقت ندى راحته مرة ... فطعمه في جوف أضراسي
وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله:
يا وقح الوجه جيد الحدقه ... خست بوعدي وكنت غير ثقة
أين نصيبي من الطعام وما ... طمعت في لعقة من المرقه
أشفقت مني وكان يقنعي ... عندك ما ليس يوجب الشفقة
قطعة لحم في وزن خردلة ... على رغيف كأنه ورقة
وقال يطالب مشروباً:

يا سيدي عشت لي وبعدي ... أرضُ نعليك صحن خدي
عندك يا سيدي نبيذٌ ... وليس لي منه رطل دردي
تروي وأظماً وذاك بني ال ... أحرار ضربُ من التعدي
وقد تناهى أمري إلى أن ... بكرت من منزلي أكدي
وقال في مثل ذلك:

أبا الحسين الزمان ذو دول ... أسبابها عند علة العلل
والعيش كالصاب في مرارته ... طوراً، وطوراً أحلى من العسل
ودار هذي الحياة مذ بيت ... لم تخل من ساكن ومنقل
والناس في طيهم ومنتهم ... ضدان مثل التفاح والبصل
وهم مليحٌ وآخر وحشٌ ... ما بين رامشة إلى جعل
فوجه هذا للسيف وحشته ... ووجه ذاك المليح للقبل
وليس هذا وقت الخطاب على ... جراية تقتضي ولا عمل
الوقت وقت الأركال تعملها ... ما بين ثاني الثقل والرمل
وقحة تبلع القضيبي ولا ... تعجبها غيره من الحمل
فابعث بقصةٍ تحدثنا ... عن حرب صفين أو عن الجمل
غزيرة الورد إن بي ظمأ ... لا يرتوي من صباية الوشل
ولا تجادل أحاك معتذراً ... فلست ممن يقول بالجلد
وقال في مثل ذلك:

يا ندمي قد خلوت بحر ... ليس منه ثقلٌ على ملكيه
اسقنيها وحدي سروراً ببدرٍ ... يعلم الله كيف شوقي إليه
يا ابن يحمي الذي أموت وأحيا ... في موالاته وبين يديه
منك هذا النبيذ والخبز والرحم ... م الذي يشرب النبيذ عليه
وقال في مثل ذلك:

استمع شرح قصة أنا منها ... بين وصلٍ ممن أحبٌ وهجر
لي وعدٌ على غزالٍ غريبٍ ... ينجو الوعد كل غرة شهر
ومغن يحبط بالحال علماً ... فهو يأتي ولا يقول بجنر
وعليك انتهاء سكرهما اليو ... م إلى غاية المراد وسكري
فأرحني من الهموم براح ... تصدر الهم عن موارد صدي
وابق حياً يضاف قسطاً إلى عم ... رك طول الحياة من كل عمر

ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال:

وليس العيش إلا شرب راح ... إلي بشرها الساقى يشيرُ
وكأسٍ يعدل الساقون فيها ... ولكن حكم سورتها يجورُ
وشدو صغيرة كالخشف يحدي ... بصوت غنائها الرطل الكبير
ومن أخرى:

أسقني بالكبار إما بطاسٍ ... أو بكأسٍ محرورة أو بجام
لا تكلمي إلى الصغار التي تح ... كي قوارير جونة الحجام
وتقلد ديوان عشري اليو ... م بلا مشرفٍ وغير زمام
ومن أخرى:

الشرب لا الحرب عادتي ومعني ... ستة رهطٍ حنّ صناديدُ
الذنّ والرطل والمشمة والن ... قل وطبلُ التكريع والعودُ
ومن أخرى:

سيدي ما أظنه ... بعد يلري بما جرى
ما درى أن عبده ... فلسه قد تقشرا
عند قومٍ معروفهم ... في قد صار منكرا
كنتُ كالمسك مرةً ... بالدنانير أشتري
فأنا اليوم بعد ما ... صرت شيخاً كما ترى
عبدٌ من عنده نبي ... ذُّ إذا كان أحمر

خمرٌ دُثِّها يَض ... من مسكاً وعبراً
كم فمِ ذاقها قِطاً ... ب وقد كان أبخراً

و غلامٍ بكأسها ... راح يسعى وبكراً
هو فينا بريجها ... عبق قد تعطراً
ظل يفسو وعندنا ... أنه قد تبخراً
ومن أخرى:

أيلول والعيد واعتدال ال ... هواء في الليل والنهار
وشهر شوال في تكافي ... ساعات أيامه القصار
أربعةً تقتضيك دين ال ... سماع واللهو والعقار
فاشرب لها بالكبير إن ال ... كبير للسادة الكبار
ومن أخرى:

والكأسُ تسلبني عقلي، وأهون ما ... لهوتُ عن ذكره عقلي إذا سلبا
حمراء يمسي يناي وهو فوق يدي ... منها بمثل شعاع الشمس مختضباً
ابتعتها غير مغبونٍ ولو طالبت الخ ... مار روعي أعطيت ما طلبا
وأربح الناس عندي في تجارته ... محصلٌ يشتري بالفضة الذهباً
ومن أخرى:

يا صاحبي استيقظا من رقدةٍ ... تزري عقل الليب الأكيسِ
هذي الحجرة والنجوم كأنها ... فمرٌ تدفق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غسلت بنسيمها ... فعلام شربي الراح غير مغلس
قوما اسقياني قهوةً روميةً ... مذ عهد قيصر دُها لم يُمس
صرفاً تضيف إذا تسلط حكمها ... موتُ العقول إلى حياة الأنفس
ومن أخرى:

من شروط الصبوح في المهرجان ... خفةُ الشغل مع خلو المكانِ
وحضور الطعام قبل طلوع الش ... مس مذ أمس بارد الألوان
والعروس التي ترف إلى الأر ... طال في ثوب صبغها الأرجواني
رسموا طين دُها وهو رطبٌ ... باسم كسرى كسرى أنو شروان
وترى سوسن الكؤوس عليها ... كسوةً من شقائق النعمان
ثم خفق الطبول بين الأغاني ... واصطكاك الأوتار في العيدان
والسماع الذي يمل على الأس ... ماع ما تشتهي بلا ترجمان
كل صوتٍ من اقتراحات إسحا ... ق التي زينت كتاب الأغاني

لا أعد الصبوح إلا غب وقاً ... إن جعلت الصبوح بعد الأذان
يا خليلي قد عطشت وفي الخمر ... رة ري للحائم العطشان
فاسقياني محض التي نطق الوح ... ي بتحريمهما من القرآن
والتي ليس للتأول فهيا ... مذهب غير طاعة الشيطان
واعدلالي بي عن التي هدت لنا ... ر قواها وحنقت بالدخان
إنني خشية من النار أخشى ... كل شيء يُمس بالنيران
لا تحافا علي دقة كشحي ... لا تكال الرجال بالقفران
فاسقياني بين الدنان إلى أن ... ترياني كبعض تلك الدنان
مقعداً بعد خفتي في هموضي ... أخرساً بعد كثرة الهذيان
سكرة بعد كسرة تثبت اسمي ... في المفاليج أو مع العميان
اسقياني في المهرجان ولو كا ... ن لحمس بقين من رمضان
أسقياني فقد رأيت بعيني ... في قرار الجحيم أين مكاني
أنا حودابة وذهي صديق ... تحت خصي فرعون أو هامان
كل شيء قدمته لي فيه ... رأس مال يأوي إلى الخسران
غير حيي أله الحواميم والحش ... ر وطه وسورة الرحمن
خسة حبههم إذا اشتدى خوفي ... ثقني عند خالقي وأماني
قد تبقت أنهم ينقلوني ... من يدي مالك إلى رضوان
بهم قد أمنت خوف معادي ... وبهذا الوزير خوف زماني
يا أبا طاهر ولولاك ما كا ... ن لبدر المساء في الأرض ثاني
لك يا سيدي دعا الفطر والأض ... حي ويوم النيروز والمهرجان
ومن أخرى في بختيار يهنئه بالأضحى:

قد صخب البم مع الزير ... فقم قليلاً غير مأمور
قم هاتماً أصفى إذا رقرقت ... في الكاس من دمة مهجور

من يد عذراء لها وجنة ... تحار فيها أعين الحور
تحدثت فانتشر الدر من ... مشمة النرجس والخيري
وعبرت أنفاسها نكهة ... تبسم عن نفحة كافور
الليل والعشر يقولان لي ... مذ أمس قولاً غير مستور
أمسلم قلت نعم ظاهري ... وباطني في الخمر نسطوري
من أجل هذا أنا مذ جتتما ... ما بين سكران ومخمور
فاسعد يوم العيد واجلس له ... في خلوة جلسة مسرور

وضح فيه بالدنان التي ... تخرب بين البم والزير
من كل دن دم أوداجه ... أحل من لحم الخنازير
واستحضر العود ووجه به ... حتى نصلي بالطناير
الركعة الأولى سريرية ... وركعة التسليم ماخوري
وهي صلاة العيد لا يستوي ... تجوزي فيها وتقصيري
والله لو كنت لها حاضراً ... لخير العالم تكيري
فاشرب على ملك تمليته ... موشح بالعر منصور
في قدح أزرق أو ساذج ... أبيض مثل الثلج بلور
واستجل مع ذاك وذا أوجهاً ... صبيحة مثل الدنانير
كأنما عينك ما بينهم ... تدور في زهرة منشور
ومن أخرى في أبي الفتح بن العميد، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على بختيار. وكان ابن بقية الوزير قد
شرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد:
حقني على الأستاذ قد وجبا ... فأيه قد أصبحت منتسبا
مولاي ترك الشرب ينكره ... من كان في بغداد محتسبا
إن كان من غم الأمير فلم ... وزيره بالأمس قد شربا
إن الملوك إذا هم اقتتلوا ... أصبحت فيهم كلب من غلبا
فلذلك أسكر غير مكترث ... وألف مع خيشومي الدنيا
يا سادتي قد جاءنا رجب ... فتفضلوا واستقبلوا رجا
بمدامة لولا أبوتها ... ما كنت قط أشرف العنبا
حمراء مثل النار موقدة ... لم تلق لا ناراً ولا حطبا
من قال إن المسك يشبهها ... ريحاً فلا والله ما كذبا
ومن أخرى في بعض الوزراء:
فدبت بي يا سيدي وحدي ... وعشت ألفي سنة بعدي
قد رحل النرجس فاشرب على ... محاسن المشور والورد
من لي بها عندك مشمولة ... قد أصبحت معدومة عندي
بمزجها لي رشا أغيد ... بريقة أحلى من الشهد
نهایة الحر محبس استه ... وريقه في غاية البرد
جنی من البستان لي وردة ... أحسن من إنجازه وعدي
وقال والورد في كفه ... مع قدح أذكي من الند
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ... ريقی من كفی علی خدی
ومن أخرى:

يا من حقوق النيروز تلزمه ... رسمك يوم النيروز مشهور
فاسكر من الليل واصطحب سحراً ... غداً تراني وأنت مخمور
واستطق الزير إنني رجلٌ ... يعجبني ما يقوله الزير
ومن أخرى:

قم فاسقني الراح أو تراني ... مبلبلُ العقل واللسانِ
إذا تكلمت لم يُفسر ... قولي إلا بترجمان
وله يهنئ نصرانياً بفصحته:

أوجع دماغاً القرع بالسلق ... اليوم يوم القطع والبلق
اليوم يوم الراح يا سيدي ... فاشرب من الراح كما تسقي
كل سيدي واشرب ونك إنما ال ... حياة بين الشرب والفسق
افطر من الصوم على فقحة ... زبدتها في طرف الزق
وابق سليماً ودع الموت لا ... ينجو على الخلق ولا يبقى

ما أخرج من خرافاته في مجونه ومفاحشاته

قال:

سرى متعرضاً طيف الخيال ... فسوف لا محالة بالخال

ولكني انتهيت فكأني حزني ... على ما فاتني أسوأ لحالي
وما خلق النساء البظر إلا ... وبالأ حيث كان على الرجال
عزيزي في الزنا من كل تيس ... عتيق قد تمرد في الضلال
يحسن لي الحلال فنحن طول ال ... نهار اجتمعنا في جدال
وليس سوى الزنا همي ورأبي ... فيبكار الخصى نيك العيال
وفي اليك الحرام خزعبلات ... قليلاً ما تراها في الحلال
وسرّم مر مجتازاً بأيري ... كما صلى العشا والدرب خالي
فقال له إلى كم تدريني ... وتكشف بالقبيح إلي بالي
ولم تختار الحر دوني ... وتكرهني وتعرض عن وصالي
ألم تر أن شكل البدر شكلي ... وأن الحر معكوس الهلال
تأمل تكتي فوقي وأين ال ... وهاد من الروابي والتلال
فنكس رأسه أيري طويلاً ... وفكر في الجواب عن السؤال
وفكر ثم قال له إذا لم ... توفق للصواب فما احتيالي
أبا الدراق ما للحر ذنبٌ ... إذا فكرت في عنري ولالي

ولكني رأيت الحر فينا ... يسام الخسف حالاً بعد حال
فيقطع أنفه طفلاً وينشو ... كبيراً وهو منتوف السبال
ويلكم سدقه في كل وقت ... بغير خصومة وبلا قتال
وأنت فسيء الأخلاق جداً ... كما تدري قليل الإحتمال
بأول خاطر من غير فكر ... تشرس من لقيت ولا تبالي
ومدخلة لها ردف سمين ... وخصر كاهلال من الهزال
يؤذن في استها أيري أذان الض ... حي ويقيم في وقت الزوال
وتعصب ريح عصعصها شمالاً ... وهل ريح أرق من الشمالي
وقد بادلتها فمباها لي ... بمشورة استها ولها قذالي
كما لابن العميد جميع شكري ... ودنيا ابن العميد جميعها لي
ومن أخرى:

حمة السرم ولكنها ال ... بظراء شيرازية المفرق
قالت لأيري بعد ما صب في ... دوائها أكثر من دورق
أوحشت عش استي فقل لي متى ... تؤنسه يا عنق اللقلق
فقال هيهات وهل يرجع ال ... ص إذا فر من المطبق
ومن أخرى في حسبته:
يا معشر الناس اسمعوا دعوة ... دخالة بالنصح خواجه
من منكم طار على حسبي ... قطعت بالدرة أوداجه
لأنه أقرن ليست له ... بعدي في زوجته حاجه
كأن أيري في آستها زمج ... يطلب بين الشوك دراجه
ومن أخرى:

جارية أرض نبات استها ... رقيقة التربة خواره
تسبح في جانب مفساتها ... عين خرا بالعرض خواره
كأن لي منها على عاتقي ... كراع شاة فوق قناره
ومن أخرى:

وقينة كل من يعاشرها ... مغتبط بالسماع مسرور
مبرودة الريق بعد هجعتها ... وجوفها في الفراش محرور
كأن تنورها الشديد حتى ... بقرب عهد الشباب مسجور
تشم رحي استها الزناة كما ... تشم ريح اللحم السنابير
فجوفها قرية وفي حرها ... خندق بول وبظرها سور
ومن أخرى:

ولم أزل وهي إلى جانبي ... كظبية عفراء وحشيه
أنب مثل التيس فوق استها ... وهي بحال النيك تيسيه
ومن أخرى:

صمدت لها وجنح الليل داج ... بأخطف للطريدة من عقاب
وأولع بالمباعر من قراد ... وأوقع في المقاذر من ذباب
ومن أخرى:

فتاة ما عرفنا قط منها ... بحمد الله إلا كل خير
فما تهوى سوى أيار شهرا ... وليس إمامها غير الزبير
ومن أخرى:

قالوا رأيك بما فيك من ... هشاشة الفطنة والكيس

تحبو إلى باب أستها مثل ما ... يحبو ابن عامين إلى اللبس
فأي شيء كان قلت الذي ... يكون بني العنز والتيس
وقال:

يا سادتي ما استرق ديني ... شيء كمثل الحر السمين
لما أراه يزول عقلي ... عني ويعتادني جنوبي
وأشتهي أن أغوص فيه ... من مشط رجلي إلى جيني
وكلما شلت منه رأسي ... رزقت قوما يغوصوني
أغيب شهراً فلا تراني ... العيون والناس يطلبوني
حتى إذا كان بعد شهر ... دل على موضعي أنيني
فديته كالعروس يجلي ... في دست وردٍ وياسمين
جبينه الصلت من حديد ... وشدقه الرخو من عجين
وخير ما يقتنيه أيري ... صلابة بطن بلين
وله:

يا صاح فاشرب واسقني ... من الشراب العكيري
مع أمرٍ عصصه ... بجيد بلع الكمر
أو قينة طنورها ال ... مخوف صلب الوتر
حورية قد شربت ... بالرطل ماء الكوثر
من الجنان وجهها ... وسرمها من سقر
لها حر كأنه ... وجه غلام خزري
ذو شعرة أطرافها ... شبه رؤوس الأير

أصبح في نيكي لها ... تقدمي تأخري
أحسن لي هم، هكذا ... مدي وشدي واعصري
العيش ما أطيب ذا ... يا مهجتي يا بصري
لمثل ذا الوقت انتفي ... أو احلقي أو نوري
ومن أخرى:

صبيّة بظرها بجني ... يبيت مثل الصبي المنضب
مفعول باب استنها بأيري ال ... فاعل فوق الفراش ينصب
وسرمها كان أمس غراً ... لم يتفقه ولا تأدب
فالיום قد صار منذ قاسى ... أمور أهل الزنا وجرب
إذا رأى الأير من بعيدٍ ... بوق في وجهه ودبدب
ومن أخرى:

تبول من شلق مهزول به عجفٌ ... وقد تفقا عليه بظرها سمنا
ترغي وتزيد شذواه إذا اختلفا ... كأنه شلق مفلوج حسى لبنا
ومن أخرى:
ذات حم يسقي الفراغات صرفاً ... من عصير الخصى بغير مزاج
بات دكشاب فيشتي في خراها ... يخلط الدوغباج بالزيرباج
وقال:

لو أن سرماً كان في يديه ملكُ اليمن
لكان أولى منه بي ... قطعة بطرٍ عفن
وقال:

عمرك الله يا ابن عمرو ... عمر ثلاثين ألف نسر
وجهك عند الصباح شمسي ... وأنت عند المساء بدري
مولاي ذا اليوم يوم سعدٍ ... أشرف عندي من ألف شهر
نذر فيه إذا التقينا ... سكرًا إلى الليل بعد سكر
مع قينة لا تريد غيري ... فهي تحيني بغير حذر
أيري على أنه طويلٌ ... أقصر من بظرها بشبر
لصوف شعر استها مدادٌ ... يعجنه بولها بحبر
فأي شيء تقول هو ذا ... أقوم حتى أفي بنذري
وقال:

ضرطت ونحن بعكبرا ... فتشوشت سفن الغروب
وفست على ريح الشما ... ل فألحقتها بالجنوب

ومسحتُ مبقلةً استها ... فوجدتها ألقى جريب
جاءت إلي وجوفها ... يغلي ولا قدر الزبيب
فسلقت بيضي في آستها ... وشويت في حرها عسبي
ومن أخرى:

وكم حديثٍ كأنه سمرٌ ... قد مر لي في الزنا مع السمر
وافرة الردف فهو يثقلها ... لطيفة الكشح نضوة الخصر
طعم خراها مع طعم فيشلي ... يشبه طعم اللبا مع التمر
لو لم أشبب بشعر عانتها ... ما طاب للناس كلهم شعري
قيل لأيري وقد رأوه ولا الهار ... ب بعد الحصول في الأسر
يشند بعد العشا إلى حرها ... عدواً بال حشمة ولا فكر

ما لك هو ذا تطير قال لهم ... أطيّر مستعجلاً إلى وكري
ولي خصي لو خرجت أعرضه اش ... تراه مني بروحه دري
إيري عليه كأنه وتدٌ ... قد علقت فيه دبة البزر
ومن أخرى:

يا ويحكم واللحم يعر ... ض والبزاة على الكنادر
قوموا بنا نحشو البطو ... ر بفيشنا حشو المساور
نبدأ بكرعاهم ... ونعود نعثر بالزوامر
ثم الحوافظ إنه ... ن عجائز سوط عواهر
أحراهم ييض العنا ... فق واللحي سود المباعر
كشيوخ أصحاب الحدي ... ث إذا تمشوا بالمخابر
ومن أخرى:

أنا ابن حجاج إليه أبي ... ينمي وقلبي من بني عذره
لم يخل جسمي في الهوى من ضنى ... قط ولا عيني من عبره
حبائبٌ مثل حصي عكبرا ... والرقبا مثل نوى البصره
حامضة البول ولكن لها ... مستنطقٌ أحلى من التمره
لها حر درته جرة ... مبعرٌ روثته صخره
فما تلاحظنا سوى مرة ... حتى أتى الشيخ أبو مره

نبذ من ملحه القصار من أخباره

كان قد دعا مغنية، فلما دارت الكؤوس تساکرت عليه وتناومت وهو جالس، فقال:

غطت البظراء لما ... عايت مفتاح ديري

ورجت مني خيراً ... قلت لا ترجين خيري

اقعدي عندي وهذا ... فافعليه عند غيري

أنت في دعوة أذني ... لست في دعوة أيري

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها. ونام ابن حجاج، فتفرقع ظهره فغضبت وانصرفت، فقال:

قد غضبت ستي وقد أنكرت ... قرقة تظهر في ظهري

وليس لي ذنب ولكني ... أضرب بالليل ولا أدري

فليت شعري وهو غضبانة ... من حجرها أضرب أم حجري

وأنا أستظرف كنايةه بالفرقة عن الضراط.

ودعا مغنية، فخلاها، فهجمت عليه صديقه له، فتضاربتا وتجارحتا وطال بينهما الشر. فقال:

رحم الله من أتاني بموسى ... فتقصى بحده جب أيري

كل يوم أغضي له عن جنايا ... ت كأن الحديث فيها لغيري

ولعمري كم في صباح بشر ... كان لولاه قد جرى لي بخير

ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وابنه قد جدر وملح فكتب إليهما:

يا سيدي النبيذ موجود ... وباب شرب النبيذ مسدود

قد ملح ابني فيكف يشرب من ... أمسى ولحم ابنه تمكسود

وعرض له صداع، فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها، كتب إليهم:

حصلت أنا الشقي على الصداع ... وأنتم بالتمتع والسماع

خلوتم بالتي قلبي إليها ... شديد الشوق مشهور النزاع

فتاة أصبح الإجماع فيها ... يقر بأنها شرط الجماع

وحصل مع رجل يكنى أبا الحسين في دار رجل بخيل، فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء، فقال ابن

حجاج:

يا سيدي يا أبا الحسين ... أنت رفيع بنقطتين

يا كلب الضرس ما يدوي ... ضرسك إلا بكلبتين

ويلك قل لي جنت حتى ... نلتمس الخبز مرتين

في دار من خبزه عليه ... ألف رقيب بألف عين

وحضر في دعوة، وآخر الطعام، فقال:

يا صاب البيت الذي ... أضيافه ماتوا جميعاً

حصلتنا حتى نمو ... ت بدائنا عطشاً وجوعاً

مالي أرى فلك الرغي ... ف لديك مشترفاً ربيعاً

كالبر لا نرجو إلى ... وقت المساء له طلوعاً
ونظر إليه يذهب ويحيى في داره، فقال:
يا ذاهباً في داره جائياً ... بغير معنى وبلا فائدة
قد جُنْ أضيافك من جوعهم ... فاقرأ عليهم سورة المائدة
وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها، فكتب إليه:
أيا من وجهه قمرٌ منيرٌ ... يضيء لنا وراحته السحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكرى ... وتنساني إذا حضر الشراب

أجبنى بالقناني والمثاني ... ووجهك إنه نعم الجواب
وكلني في الحساب إلى إله ... يسامحني إذا وضع الحسابُ
وركب إلى بعض الرؤساء يهنئه بعيد النحر، فلم يصادفه، فكتب إليه:
أيا من وجهه كالشمس توفي ... فيحرق نوره بدر التمام
لعيد النحر أيام قصار ... تلم بنا اجتيازاً كل عام
أمرنا كلنا بالنيك فيها ... وأكل الطيبات وبالمدام
فقل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا ... حاللاً أو على وجه الحرام
وما قيل اقطعوها بالتهاني ... وتكرار التحايا والسلام
فيا طوبى لمن صلوا قعوداً ... وناكوا في الكواشل من قيام
وقد بكرت أمس على كميته ... يقصر خطوه طول المقام
جريح الجنب من ضغط الحزام ... قريح القمك من مضغ اللجام
فإن أنا لم أعد فالله أولى ... بعذري ثم أنت بلا كلام
ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسناتها. فأمره بالإجابة
فقال:

يا ذا الذي جاء بحر له ... في السر يهديه إلى أوري
علي شغل بالمهم الذي ... تراه فاطلب نايكاً غيري
وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر، وكان مستهتراً بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه
بالتزوج، فقال:

إياك والعفة إياكا ... إياك أن تفسد معناكا
أنت بخير يا أبا جعفر ... ما دمت صلب الأير نياكاً
فلك ولو أملك واصفع ولو ... أبك إن لامك في ذاكا
وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلب عقب موته، وأمرنا
أن تلوث ثياب الناس بالفظ إن قربوا من الباب، وقد كان المهلب فعل مثل هذا، فحضر ابن الحجاج

فحجب وخاف النفط فانصرف فقال:
الصفح بالنفط في الثياب ... ما لم يكن قط في حسابي
ليس يقوم الوصول عندي ... مقام خيطين من ثيابي
يا رب من كان سن هذا ... فزده ضعفاً من العذاب
في قعر حمراء ليس فيها ... غير بني البظر والقحاب
تفعل في لحمه المهري ... ما يفعل الجمر بالكباب
فالقرود عندي جيل عمن ... يسن هذا على الكلاب
ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها:
إني جعلت إجابتي في ظهرها ... عمداً ليتمكن فضها في المجلس
كانت كيفاً فائضاً يجلب عمن ... يسن هذا على الكلاب
ووردت عليه رقعة له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها:
إني جعلت أجابتي في ظهرها ... عمداً ليتمكن فضها في المجلس
كانت كيفاً فائضاً فزرعت في ... ظهر الكنيف حديقة من نرجس
وكان ابن شيراز قد صار السبع فقتله، ثم عاد لمثله، فكتب إليه ابن حجاج:
يا من إلى مجده انقطاعي ... ومن به أخصبت رباعي
قد زاد خوفاً عليك جداً ... وعظم الأمر في ارتياعي
في كل يوم سبعٌ جديدٌ ... ينفر من ذكره استماعي
تغدو إليه بلا احتشامٍ ... ولا انقباضٍ ولا امتناع
وليس قتل السباع مما يدرك بالختل والخذاع
فلا تطر بعدها لسبعٍ ... مراسه غير مستطاع
إن صراع السباع عندي ... حاشاك ضربٌ من الصداع
أعدل إلى الكأس والندامى ... والأكل والشرب والسماع
وأمرِدِ جامعٍ لشرط ال ... عناق والبوس والجماع
بلى أجمع لي السباع واطرح ... خصمي في بركة السباع
فإن عيشي في أن أراه ... بين سباع الربى الجياع
وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت فقال:
يا صنماً يعبدته شعري ... بلا ثواب وبلا أجر
إن لم تكن دباً فخاطبهم ... بلفظة تسمع في أمري
انطق بنفسٍ قبل أن يحسبوا ... أنك من طين وآجر
وقال وقد عرضت له علة صعبة، ثم صلح بعد اليأس، فكتب إلى بختيار:

يا سيدي عشت في نعيم ... حلو الجنى دائم امسره
عبدك يشكو إليك حمى ... قد سبكته الصفراء نقره
حمى لتورها وقوداً ... يزيد في اليوم ألف سجره
قد حفرت تربةً لصيدي ... فكدت منها أصير صبره
علة سوءٍ كانت تريني ... نفسي فوق الفراش حسره
طالعي الموت من زوايا ... برسامها ألف ألف مره
قد نصب الفخ لي ولكن ... أفلت من فخه بشعره
وقوله:

يا سيدي دعوة من قلبه ... من خوف ما مر به يخفق
قد نصب الفخ لصيدي أبو ... يحيى ولكن أفلت العقق
وقلده الوزير ناحية، فخرج إليها يوم الخميس، وتبعه كتاب الصرف يوم الأحد، فقال:
يا من إذا نظر الهلا ... ل إلى محاسنه سجد
وإذا رآته الشمس كا ... دت أن تموت من الحسد
يوم الخميس بعثني ... وصرفتني يوم الأحد
والناس قد غنموا علي ... كما رجعت إلى البلد
ما قام عمرو في الولا ... ية ساعة حتى قعد
وقال في مثل ذلك:

يا مالك الصدر ما خلوت من ال ... إيراد ما عشت فيه والصدر
قلدتني ليلةً وباكرني ... كتاب صر في المشوم في السحر
فقد بخي فكيف درت به ... دور لي جانب استه وخري
وقال، وقد حجه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه:
قولاً لمن إحسانه لم يزل ... شفاء علاقي وأوصائي
بي علةً تقطع أسابها ... من راحة الصحة أسابها
أخفيت ما بي اليوم منها فما ... تطلع الناس على ما بي
وليس يشفيني سوى هشة ... من قطعة من كبد بواب
تببت فيها وهي مشبوبة ... بالنار أضراسي وأنيابي
فأمنن بأن تذبح لي واحداً ... بالنعل في دوارة الباب
فقطعة من دم أوداجه ... أنفع لي من رطل جلاب

ملح من نوادره في ذكر الصفح

قال:

يا سخن العين التي لم تزل ... تعيش في الناس بلا عقل
إن لم تزن نفسك مستأنفاً ... والخوف بين القول والفعل
حل بيافوخك مني الذي ... يحل يوم العيد بالطليل
لا تجهل اليوم على من له ... معرفةً بالعقل والجهل
فتى وإن زلت به نعلهُ ... أصفع خلق الله بالنعل

وقال:

هاربٌ مني وقد خاف العمى ... بقفا للنعل بادي المقتل
وبكفي شمشكٌ مننعلٌ ... والقفا حبر الشمشك المنعل

وقال:

في البيت لي درة يحدث عن ... أفعالها الموغلون في الشارع
تأكل لحم القفا السمين كما ... يأكل رز البهظة الجائع

وقال:

رب مستصفعٍ نسخت بنعلي ... بين أجفانه شروط القوافي
كل نهب الطلى مباح حتى الرأ ... س حريب الآذان والأكتاف
فاتق الله في غطاريك أذني ... ك وأعصاب أهدعك الضعاف

وقال:

يقل لابن حسنون وما زال من ... تعجرفٍ يصغو ويستعفي
أما ترى رخ يدي جائلاً ... وشاه أذنيك على الكشف

وقال:

وقد وقع المنع والحجاب معاً ... فكل من رام بآبكم صفعا
وافيته طامعاً لأدخله ... ولم أكن قط أحمد الطمعا
فواثبوني جهلاً بمرتبي ... في تحيث أشكو الصداق والصلعا
لا تطلبوا بعدها مواصلي ... فإن حبل الوصال قد قطعوا
وقال وقد صرف عن عمل كان إليه:

قال وأجفان مقلتيه تكف ... وجسمه ظاهر السقام دنف
أعمالنا هذه التي كثر ال ... إرجاف فيها بنا فليس تقف

قد صرفونا عنها قهلت لهم ... نعم وصادف عين واو نون ألف

وقال:

قلت وقد جاء حر شاذاً ... لأي معنى قد جاء هذا

قالوا لصفع العباد حتى ... يجعل أقفأهم جذاً
فقممت وابناي يتبعاني ... ننسل من بينهم لو اذا

نبد من ذكر سرقاته

من ذلك قوله:
شيخ فتى والشباب أكثرهم ... قد علم الله غير فتیان
من قول كثير:
يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً ... وقد يكون شبابٌ غير فتیان
وقوله:
وأولاد الحرائ لم يجابوا ... لدي فكيف أولاد القحاب
من قول دعبل:
إني لأهجو من يجود بما له ... أنظني أدع اللئيم الواضعا
وقوله:
على أني أظنك سوف تنجو ... بعرضك من يدي منجى الذئاب
من قول أبي الزيات:
نجا بك لؤمك منجى الذئاب ... حنته مقادزه أن ينالا
وقوله:
وأحسن ما رأينا قط راحا ... إذا كانت مطية كأس راح
من قول أبي تمام:
راح إذا الراح كن مطيها ... كانت مطايا الشوق في الاحتشاء
وقوله:
سترتُ بظله من ريب دهري ... فعز على النوائب أن تراني
من قول أبي نواس:
تسترت من دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
وقوله:
أمشي بقلبي، لا برجلي، إنما ... تمشي بحسب هوى القلوب الأرجلُ
من قول اللجلاج:
وما زرتكم عمدا
ولكن ذا الهوى ... إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجلُ
وقوله:
وخارٍ أعد الكأس ظمراً ... لطارقه فلم يرضعه غيلا

أوفيه خلاص النبر وزناً ... فيسبكه ويعطينيه كيلاً
من قول ابن المعتز:

وخمارٍ من بنات الجوس ... ترى الزق في بيتها شائلاً
وزناً لها ذهباً جامداً ... فكالت لنا ذهباً سائلاً
وقوله:

فتاة كالمهاة تروق عيني ... مشاهدها وتفتن من رآها
تكاد ترد للمحبوب أيراً ... وتحدث للفتى العين باها
من قول جحظة:

لو مر بالأعمى لأبص ... ر أو بغينٍ لأنعظ

نبذ مما تكرر من معانيه

قال:

وفي فمي سكرة حلوة ... قد نغصتها لوزة مره
وله:

واللوزة المرة يا سيدي ... يفسد في الطعم بها السكر
وله:

كأنه وهو إلى جنبها ... سكرة مع لوزة مرة
وله:

نبهت منه لحاجتي عمراً ... ولم أعول منه على عمرو
وله:

فما استجارت بعمره مظلمة ... بل حين جاءتك أنت يا عمر
فالشعر قد صار فيها وأتى ... مع ذا بتفصيل ذلك الخبر
وله في عكس المعنى:

ولم تنبه عمراً حاجتي ... بل وقعت منك على عمرو
وله:

خير الستور التي نعلقها ... ستر خصي مسيلٍ على حجر
والقدر إن لم يكن لها طبق ... لم يتهر العصب في القدر
وله:

ولم تر العين قط أحسن من ... ستر خصي مسيلٍ على حجر
وله:

كتبت رقعةً إلي وقد عب ... ت بسطرٍ مقرمٍ خلف سطر

يا فتى سترُ باب سرمي خصاهُ ... هات قل لي متى تعلق بستري
وله:

أحن إذا رأيت الحر ليلاً ... بجني وهو متوفٍ نظيفُ
ولا آباه إن هو جاء يوماً ... وفي رأس الكلاجق منه ليف
وله:

فاستأذنيه غداً وعودي ... إلي منتوفةً نظيفه
فقد تبينت فوق رأس ال ... حر ذي الزوزك ليفه
وله:

بيضاء وهجٌ استها يفور حمى ... وريقها العذب باردٌ خصرُ
وله:

بريقه كالثلج مبردةً ... ومبعرٌ كالنار محرورُ
وله:

نهایة الحر محس آستها ... وريقها في غاية البرد
وله:

للبرد في ريقه كراژ ... وللحمى في آسته حريقُ
وله:

يا زوج من ريقها حميمٌ ... وريق مفسائها صقيعُ
وله:

وغلام شطى بكرفس مفسا ... ه قديماً أسنةُ الأقلام
وله:

لا ترى كرفسا على باب مفسا ... ه يشطي بصوفه الأقالما
وله:

ودواة استها بصوفٍ ولا اللي ... فُ يشطي أسنةُ الأقلام
وله:

كلما استمددت من سرمها ... شعب ستي قلمي الكرفسُ
وله من السريع

فديت من لقبني مثلما ... لقبته والحق لا يغضبُ
إن قلت يا عرقوب أطمعني ... قال فلم نفسك يا أشعبُ
وله:

وعدتني وعداً وحاشاك أن ... تروغ منه روعة الذيب
ما كنت إذ أطمعني أشعبا ... فيه ولا أنت بعرقوب

ما جاء له في التضمين

قال، وقد كان غاب في الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول:
أيا مولاي دعوة مستغيث ... قد التهيت جوانحه بنار
أغشنا بالرحيل غداً فإننا ... من الشوق المبرح في حصار
وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الديار من الديار
وقال:

قد قلت لما غدا مدحي فما شكروا ... وراح ذمي فما بالوا ولا شعروا
علي تحت القوافي من معادنها ... وما علي إذا لم تفهم البقر
وقال:

ولم أطب إلى عذراء رود ... بها عن وصل عاشقها نفاً
ولا غرثي الوشاح كأن ورد ال ... حياء بوجنتيها الجلنار
بنفسي كل مهضوم حشاها ... إذا ظلمت فليس لها انتصار
ولكني طربت إلى خليل ... سمحت يبذله ولي الخيار
فلما أن مضى في حفظ من لا ... يضيعة وشط به المزار
ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت منه مطلقة نوار
فعيني ما تحف لها دموع ... وقلبي ما يقر له قرار
وقال:

سيدي إن أقمت بعدك بالص ... عد فقلبي علي غير مقيم
غير أني أقول بالرغم مني ... فاملي أكف بأس همومي
من يكن يكره الفراق فإني ... أشتهيه لوقفة التسليم
وله يخاطب ابن بقية، وقد حجب عنه وهو على الشراب:
بحق رأس الأمير مثلي ... يظماً في دولة الأمير
فما لكم تشربون دوني ... ولست في جملة الحضور
وقد قلت لما حجيتموني ... فاشتد من بابتكم نفوري
إن دام هجرانكم على ذا ... طمت من بعنكم حصري
وقال:

صاح أيري ورمحه فوق خصي ... ه ولا رمح ضمرة بن هلال
قربا مربوط النعامة مني ... لفتحت حرب وائل عن حيال

ثم أهوى بطعنةً بات منها ... يرم ستي ذاك الشقي بحال
فتولى يقول وهو طعينٌ ... دمه مع خراه مثل البزال
لم أكن من جناحها علم ال ... ه وإني بحرها اليوم صالي
وقال:

أسفر الصبح فاسقياني وقد كا ... ن من الليل وجهه ف ينقاب
وانظر اليوم كيف قد ضحك ال ... زهر إلى الروض من بكاء السحاب
إن صحوي وماء دجلة يجري ... تحت غيمٍ يصبوبُ غير صواب
اتركاني ومن يعيرُ بالشبي ... ب وينعي إلي عهد الشباب
فبياض البازي أصدق حسناً ... إن تأملت من سواد الغراب
وقال في ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه:
أيها السيد الذي طاب في المج ... د فروعاً كريمةً وأصولاً
لو مشى بي الشيخ الفرق لسابقت ... لك سيراً إلى الوداع ذميلاً
ف تجاوزت خانقين وخلف ... ت ورائي على الطريق جلولا
لكن لا شيخ كان جذعاً من الخي ... ل طرياً فصار جذعاً طويلاً
كلما سار سال دمع مآقي ... ه ومن حق دمه أن يسبلا
مستغيثاً يصيح تحتي ضراطاً ... مزوجاً في طريقه وصهيلاً
أبصر القت وهو يجري فغنى ... بعد ما كاد عقله أن يزولا
أزجر العين أن تبكي الطلولا ... إن في القلب من كليبٍ غليلاً
وقال يصف ضعف فرسه:

يسومني المشي مضطراً وليس له ال ... مسكين بالمشي شبراً واحداً جلدُ
ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجدُ
وقال، وقد حجب مع جماعة من الكتاب:
قد قلت لما أن رجعت مولياً ... ومعني مدايرٌ من الكتابِ
نحن الذين لهم يقال وكلنا ... فل العصا وطريدة الحجابِ
قومٌ إذا قصدوا الملوك لمطلبٍ ... نُفتت شواربهم على الأبواب
وقال:

يا ربربُ اعبر بنا على ملكٍ ... توجهُ الله بالمهاباتِ
يقول للريح كلما عصفت ... هل لك يا ريح في مباراتي
وقال:

قالت وقد كشف الودا ... ع قناع حزنٍ قد علن

وأذل بالجزع الفرا ... ق قوي عزاء ممتهن
يا من مُحت بفقده ... حوشيتُ فيك من الحزن
خلفتني والحزن بع ... ذك يا قريبي في قرن
فإذا صبرت ضرورةً ... صبر الوقيذ على الوسن
فترى يطيق الصبر عن ... ك أو السلو أبو الحسن
طفلٌ نشأ وفؤاده ... بك الوقيذ على الوسن
كالفرخ يضعف قلبه ... عن أن يودع بالحزن
فأجبتها وهي التي اس ... تولت علي بلا ثمن
طلبُ المعاش مفرقٌ ... بين الأحبة والوطن
يا رب فازدد سالمًا ... سكنًا يحن إلى سكن
وكتب إلى رئيس تستهديه مشروباً وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل:
يا سيدي جودك المشهور ما فعلا ... أبيع بالرخص يا هذا أم ابتذلا؟
واسوأنا من أناسٍ ظلت أطمعهم ... أن الذي التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيدٍ ... صفرٍ وما كان عندي أنه وصلا
قالوا لقينتهم غين عليه لنا ... صوتاً ضربنا له في شعره مثلاً
مازلت أسمع كم من واثق خجلٍ ... حتى بليت فكنت الواثق الخجلاً

ما أخرج له في التخلص

قال من أبي تغلب، وقد توجه من الموصل إلى بغداد:
افضضِ الدن واسقني يا نديمي ... اسقني من رحيقه المختوم
اسقني الحمرة التي نزلت في ... ها القوم آية التحريم
اسقنيها فإنني أنا والقي ... س جميعاً نبولها في الجحيم
اسقنيها ولا تكلني إلى النقي ... ل عليها ولا إلى المشوم
بادر الصبح بالصبيحة وجهها ... فابنة الكرم شرط كل كريم
ثم قل للشمال من أين يا ري ... ح تحملت روح هذا النسيم
أترى الخضر مر لي فيك أن جز ... ت برضوان في جنان النعيم
أم تقدمت والأمير أبو تغل ... ب قد صح عزمه في القدوم
وقال في فتح قلعة أرمش من قصيدة:
سقاني كأسه سحراً بوقتٍ ... وكان صبوحنا في يوم سبت
غلامٌ أعجمي فيه ظرفٌ ... وحذقٌ بالتلطف والتأني
سقاني دو وسا وازددت منها ... على سكري وصبحني بهفت

فلما نمت قام وقال يروا ... لمن حولي خوى خاني بجفت
وفي باب آسته زغبٌ لطافٌ ... ملاحٌ مثل ورد الزاد رخت
ولكن كان لا يقوى لشؤمي ... وخذلاني به سواد بجتي
فشدقت الصبي فدهته نفسي ... بدوديكي وتيمردم درست
وكان من استه كالبت بكراً ... مخدرة الخرا ففتحت بنتي
كما فتحت وحد السيف يدمي ... من الأعناق قلعة اردمشت
وقال في مدح صاعد:

ومهاة غريرة ... غضة الحسن ناهد
فتنتني بمعصم ... وبكف وساعد
وبشعر منضد ... شنب الريق بارد
ونسيم كأنه اش ... تق بارد
فهو طيباً كذكره ... في الشنا والحمد
همة في العلا اقتدت ... بالسهي والفراق
وندى بخلت به ... كفٌ يجي بن خالد
وقال:

كأنما باب استها ... شكلة كافٍ مطلقه
بين سطور كاتب ... حروفه محققه
يصك لي بين يدي ... سيدنا في ورقه
باللحم والخبز الذي ... روعي به معلقه
يا من به قد فتحت ... أبواب رزقي المغلقة
وقع لمن علمه ... جودك حذق العققة

هذه نبذ من ملح الرائقة

وما يتصل بها

قال:

حلفتُ لقد بلغت مدى المعالي ... وأنت على تجاوزه قدِيرُ
فبحرك در لجنه ثمينٌ ... وغيثك ماء مزنته طهورُ
وقال لبعض الرؤساء في يوم كان المطر يجيء فيه ساعة ثم ينجلي الغيم، وتطلع الشمس ثم يعود:
يا سيدي تفديك مهجة خادمٍ ... لك يستقل لك الفداء بنفسه

يفديك من جلّيت أول كربة ... عنه ومن أدركت آخر نفسه
انظر إلى اليوم الذي أشبهته ... لو كان جنسك ناشئاً من جنسه
يحكي نذاك بغيته فإذا انجلي ... فكأن وجهك ما انجلي من شمسهِ
لكن فضلت عليه أنك دائماً ... تبقى وهذا اليوم تابع أمسهِ
وقال:

هو الشيخ لما صفا جوهر ال ... فضائل منه ولم يكبر
أضاف الزمان إليه ابنه ... كما اقترن البدر بالمشري
وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب:
يا عارضاً يروي الثرى غيته ... ومنهلاً يشفي الصدى مورده
أقعدت في الكتاب من لم يكن ... يضره أنك لا تقعده
أنت أبوه فهو يُنمي إلى ... كتابة يوجبها محله
إن شئت علمه وإن شئت لا ... لا بد أن تحكي أباه يله
وقال:

لا زلت يا عمر أبي عمرو ... أبقى على الدهر من الدهر
فتى إذا ما جاء لي بحرُهُ ... أمرت من يخزى على البحر
وإن بدا لي وجهه طالعاً ... صفعت بالشمس قفا البدر
وله:

فديت عز الدولة المرتحى ... بمهجتي إن قبلت مهجتي
ومن أنا في عيلة إحسانه ... وفقر أهلي في عيلتي
ثيابه في سفطي بيتها ... وخبره مأواه في ملتي
جراية أصبحت في رزقها ... في كل يوم أجتبي غلتي
وكان جوفي بالخوى مائماً ... فالיום بيت العرس في معدتي
وقال:

سيدي والذي يقيك ومن السو ... ء يمينا من أوكد الأيمان
لا جحدت النعمى لأكفر إحسا ... نك عندي يا دائم الإحسان
أنا في نزهة من العيش في ظل ... لك طول الحياة كالبيستان
ذات زهر فيه البنفسج والنر ... جس معه شقائق النعمان
جالس في تبظرم ترك الحا ... سد يقلى بعز آسته بوراني
وله في شارب دواء:

يا من به تنباهى ... مجالس الخلفاء
ومن تقصّر عنه ... مدائح الشعراء

يا سيدي كيف أصبح ... ت بعد شرب الدواء
خرجت منه تضا هي ... في الحسن بدر السماء
في ثوب صحة جسم ... مطرز بالشفاء
وقال من أبيات في الصاحب:
يا أيها السيد الجليل الم ... رجو للحادث الجليل
كل مديح أجهلت فيه ... يقصر عن فعلك الجميل
وقال من ابن بقية:

يا بدر يا بدر التمام ... بك أشرقت خلع الإمام
يا من له الأسماء العظا ... م بحرمة الأسماء العظام
هب لي بقا ابن بقية ... هبة تجدد كل عام
أنت الكريم فهب لنا ... هذا الكريم من الكرام
فلقد علمت بدعوتي ... أني على خبزي أحامي

قطعة من ملحه في

نواده في سائر الفنون

وقال:

أعصر شبيبي قف لي قليلاً ... أناشدك المودة أن تحولا
فديتك يا شباي أنت ما لي ... أراك مكلكلاً نضواً عليلاً
تولى حسنك المفقود عني ... وحول رحله إلا قليلاً

وقالوا الشيب يكسبه جلالاً ... معاذ الله بل خطباً جليلاً
وقال:

بياض الشيب تكرهه الغواني ... ويعجبها سواد في الشباب
وشيب لحي الزناة فديتك ... ضراط في اللحى عند القحاب
وقال:

طاقة آس جنيت منها ... بلحظتي نرجساً ووردا
أرضاه مولى وليس يرضى ... مولاي بي في هواه عبدا
وقال:

فديت إنساناً على هجره ... ووصله تحسدي الناس
لما احتوى الورد على خله ... ودب في عارضه الآس

مزجت كأسى من جنى ريقه ... بمثل ما دارت به الكأسُ
وقال في أرمد:

أنا الفداء لعينٍ بعض أسهمها ... مشكوكٌ بين أحشائي وفي كبدي
فيها سقامٌ فنورٌ لا خفاء به ... تُجدد السقم في قلبي جسدي
كانت تعل فؤادي وهي سالمة ... فكيف بي وهو يشكو علة الرمد؟؟
وقال:

فديت من مر في الرصافة بي ... فقلت: يا سيدي، فلم يُجب
واصفر غيظاً علي وامتزجت ... صفرةً ذاك اللجين بالذهب
وقال في أبي تغلب يستهديه فرساً:

اسمع المدح الذي لو قيل في ... أحد غبك قالوا سرقا
جاء يستهديك مهراً أدهماً ... يركب الفارس منه غسقا
كالدجى تبصر من غرته ... فوق أطباق دجاء فلقا
جل أن يحلق مطلوباً و من ... طلب الريح عليه لحقا
تراه واقفاً في سرجه ... يتلظى من ذكاه قلقا
فإذا طار به المشي مضى ... وهو كالريح يشق الطرقا
كالسحاب الجون إلا أنه ... ليس يسقي الأرض إلا عرفا
جمع الأمرين يعدو المرطى ... في مدى السبق ويمشي العنقا
وقال يصف الفرس الذي أهده له أبو تغلب:

اليوم يوم سروري ... بالوصلني الذنوب
من عند قرمٍ كريمٍ ... جزل العطاء ليب
آدابه جعلته ... يُعنى بكل أديب
ركبت فيه القوافي ... فجاد بالمركوب
ذو غرةٍ يتلالا ... في حالكٍ غريب
ولن الشباب عليه ... مع غرةٍ كالمشيب
صهيله جوف إذني ... ولا غناء غريب
وروثه المسك طيباً ... بين اللحي والجيوب
لولا اضطراري إليه ... نزهته عن ركوبي
وقال في خصم له أعمى:

سمعتهم قط أعجب من ضيرٍ ... يقدر أن يجور على بصير؟
ولو شاء الوزير ولم يزل ليصلاحي في مشينات الوزير
لألزمه العصا يمشي عليها ... وعلمزه القرآن على القبور

وفيه:

إن كان هذا الضرب يعنني ... بحجة مثل عينه غلقه
فوقع السوس في عصاه ولا ... بورك في قسطه من الصدقة
وقال:

لا يحسن الإشراف من مقعد ... كأنه زرقة فروج
أقصر من يأجوج في قله ... وقرنه أطول من عوج
وقال:

أزجر العين أن ترى ... أزرق العين أشقرا
ما أرى البوم وجهه ... قط إلا تطيرا
وقال:

سيدي حشمتي عليك حرام ... وبحكم الكريم تقضي الكرام
وأرى مذ ملكني أن مثلي ... أبداً لا تفيدك الأيام
خادم ناصح، وعبد محب ... وصديق، وصاحب، وغلأم
خمسة قد جمعهم لك وحدي ... لمعاني اختصاصهم والسلام
وقال يتشوق رئيساً ويصف رواقه:

لا والذي يا سيدي ... يفني الأنام وأنت باقي
ما للخليفة مثل صحن ... ك والتدلي والرواق
دار غدت شرفاتها ... توفي على السبع الطباق
فقبابها وكواكب الج ... وزاء تسمو باتفاق
ولها حصون تشتكي ... حيطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وه ... ويسير في ظهر البراق
لما دخلت أطوافها ... ومشيت في طول الرواق

دار بها يا سيدي ... ما بي إليك من اشتياق
وقال يناقض ابن المعتز في قوله:

لا تدعني لصبح ... إن الغبوق حبيبي
الليل لون شبابي ... والصبح لون مشيبي
وقال:

الصبح مثل البصير نورا ... والليل في صورة الضرب
فليت شعري بأي رأي ... يختار أعمى على بصير
وقال:

كم من صديقٍ يروق عيني ... بالشكل والحسن واللباقه
ليس له في الجميل رأيٌ ... ولا بفعل القبيح طاقه
كأنه في القميص يمشي ... فالموذج السوق في رفاقه
وقال يصف بغلة:

تعرف لي أحسن من بغله ... جلدت في البر بها عهدي
تنساب كالماء على حافرٍ ... كأنه من حجرٍ صلدٍ
نابت عن الأشهب لما مضى ... نيابة الكلب عن الفهد
حشاشية من قصيدة لابن حجاج:

فأقسم لا بيسين وطه ... ولا بالذاريات ولا الحديد
ولكن بالوجوه البيض مثل ال ... أهلة تحت أغصان القدود
وشرب الري من خمر الثنايا ... وشم المسك من ورد الخدود
وتطفيتي حرار الوجه يوم ال ... فراق بمص رمان النهود
وبالخمر التي كانت لعادٍ ... ولكن بعد محتهم بمود
مدامٌ في قديم الدهر كانت ... تعد لكل جبارٍ عنيد
مدامٌ ليس لي فيها إمامٌ ... أصلي خلفه غير الوليد

فصل

ملح ابن حجاج لا تنتهي حتى ينتهي عنها، وفيما أوردته منها كفاية، على أنها غيض من فيضها، وقراءة من تبرزها، ولكن الكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك، والله وأسأل العفو والمغفرة.

أبو القاسم علي بن جلبات

أحد أفراد الدهر في الشعر، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره، كقوله:

برزت لنا تحت القناع الأزرق ... ليلاً فعاد لنا كصبحٍ مشرق
الوجه بدرٌ والقناعُ سماؤه ... والشعر بينهما كليلٍ مُطبقٍ
ثم وقع إلي من شعره الصحيح في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير، فأخرجت غورها، وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم.

وقال أبو القاسم من قصيدة في الخليفة القادر بالله:
وفي الدهر عن مطلٍ بما هو واعدٍ ... فساخطه راضٍ، وشاكيه حامدٌ

وأدركتِ الري الخلافة بعدما ... تجهمها عن موقف الحق ذائد
رأت قادراً بالله لم يعد قدره ... مدى العفو عما رام باغ وحاسد
رأينا به العباس معنى وصورة ... فما عد عنا غائباً فهو شاهد
تقلبه فضلاً أشاد بذكره ... له قبله جد كريم ووالد
كذلك الأصول الزاكيات ذواهب ... إلى ما رأتها بالركاء المخاتد
ومن يك لله المهيمن سعيه ... ينل ساعياً في ظله وهو قاعد
ومنها:

فلله ما تأتي ولله ما ترى ... وما أنت فيه صادر الأمر وارء
ومليت من رب السماء فوائداً ... عدوك منها قبل سيفك فائد
فوالله ما ندري أليث ضبارم ... مفيت الأعادي أنت أم أنت عائد
كذا الخلفاء الراشدون الأولى مضوا ... وأنت عليهم بالبقية زائد
فلا عولت إلا على مجدك العلا ... ولا انتسبت إلا إليك الخامد
وقال في الوزير سابور بن أردشير:

رويدك قد تعاليت اطلاعاً ... على العلياء هما وارتفاعاً
ونفسك لا ترى يبلوغ مجد ... وإن أوفى على النجم اقتناعاً
إذا ما خطة ضاقت عليه ... أشرت لها فأمعنت اتساعاً
براي ما رأته الشمس إلا ... تمنى أن تكون له شعاعاً
وأذل بعزة صرف الليالي ... ورام عصيها حتى أطاعاً
ندى وبسالة علماً يقيناً ... بأنهما به في الخلق ذاعاً

تكفل ذا نذاك وما رأينا ... جواداً كاملاً إلا شجاعاً
ودونك كل بكر لم تملك ... سواك لها من الأنف افتراعاً
رأت حسن اختراعك للمعالي ... فبارتها معانيها اختراعاً
وها أنا ذا أرى لك كل وقت ... ببدع من مكارمك ابتداعاً
تراعي أمر ذا وتريش هذا ... فما لي لا أراش ولا أراعي؟
فلا زالت لك الدنيا فناء ... ولا حل الفناء لها رباعاً
فقد أضحي افتراق المجد فيمن ... حوته من الورى فيك اجتماعاً
وله من أخرى فيه:

فلم يا وزير العلا والنهى ... تنال المنى وتوقى الحذارا
وراع اختلالي سرّاً ولا ... تراع رباء اختلالي جهارا
ولا تستمع خبراً طارئاً ... عن المرء أو ت بتليه اختبارا

ولا تحسبن كل عودٍ يري ... ك مل أنت مورٍ من القدح نارا
فما كل وحشٍ يرى ضيغماً ... ولا كل عودٍ يسمى غفارا
وقال فيه:

أبا نصرٍ وأنت البحر طام ... على العافين جيش العباب
يقيم مقام جيشٍ من ليوثٍ ... بفضل نماه سطرًا من كتاب
ومنها:

راكٍ لقصده أهلاً، وأنى ... يرحى الغيث من غير السحاب؟
وقد أظماه ورد سواك إلا ال ... أقل، وأي رودٍ من سراب؟
وقال من أخرى:

ويستبشر الإسلام أنك سالمٌ ... وإن بقاء الملك باسمك دائمٌ
وأن المعالي ما بنى لك ذو العلا ... وليس لما تبني يد الله هادمٌ
أنا الشمس إن لم تستبن عين ناظرٍ ... ضيائي فإنّ الذنب للعين لازمٌ
وما دمت بعد الله لي عنه رازقاً ... فما أتظني أنه لي حارمٌ
وقال من أخرى:

وأنت قرع زكاء الأصل منه، ولا ... يطيب إلا المنبت الثمرُ
وأنت بحر النهى ما للعقول إلى ... سواه مورد صفوٍ ما له كدرُ
وأنت بيت الندى طافت بكعبته ... حجاجه، ونداك الركن والحجر
وقد عُرِفَتْ ولم تحدد بمزلةٍ ... والشيء يجعل علماً وهو مشتهر
كالشمس تدرّكها الأبطار ظاهرةً ... وحد منزلها بالغيب مستتر
والملك من بعد طول الكد في دعةٍ ... كالعين أغفت وقد أعيا بها السهر
إليك جاب الفلا عزمٌ تمثل في ... تحقيقه منك قبل المورد الصلرُ
في كل طاميةٍ بالآل ظاميةٍ ... تصدى بها النفس ما يُروى بهت النظر
إذا الركايب من أشباهها لعبت ... بعد المقيبل تولى حثها الأشر
أبثها فيك آمالي فما انتظرت ... لفرط ما طويت ما كبت أنتظر
حتى إذا هي حلت من ذراك حمى ... قالت: إلى منتهى المجد انتهى السفر
ألست لي يا أبا نصرٍ مدى أمني ... وأني بك من اللاؤاء منتصر
فمر زماي لا ينتابني بأذى ... فإنه لك فيما شئت مؤتمر

محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف في الشعر، موفق على كثير من شعراء العصر، وأبوه أبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة
في النثر والبراعة في النظم، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم، وليس يحضرنى من شعره إلا بيتان هما

عنوان محاسنه، وهما:

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنى ... ما تعديته ولو بالمنون
أشتهى أن أحل في كل جسم ... فأراه بلحظ كل العيون
ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة في الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها:
حي رسم الغميم تحيي الغميما ... إن فقدت الهوى فحي الرسوما
واستمح مقلة الغمام على أط ... لاله ديمةً أبت أن تدوما
نثرت عقد دمعها فغدا النو ... ر بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الأطباء إنساً ووحشاً ... ومحل الأسود خلقاً وخيما

كل رجم يعطو فيصطاد ليتاً ... عند ليثٍ يسطو فيصطاد ريما
كم رعيانا من البطاح وكأس ال ... راح والأوجه الملاح نجوما
حين رضنا من التصايي جموحاً ... ويعشنا من الوصال رميما
ودعنا المنى إلى مرح الفت ... ك ولكننا أجبننا الحلوما
حين صرف الزمان كان اعتذاراً ... ورياح الخطوب كانت نسима
وقد وقفنا على الطلول طلولاً ... ومثلنا على الرسوم رسوما
وخلعنا على البكاء عيوناً ... ونرفنا من الدموع جهوما
ومتى يجشم الظليم مداها ... في سراها فقد ظليماً
وهي تبدي منها نجاراً ومن سي ... ر الدجى مخلفاً ومنى كريما
وإلى القادر الإمام قرئت الي ... د حرفاً أنضى بها الديوما
الإمام الماضي العزيز الذي را ... ح وأضحى على المعالي زعيما
وهو من أسرة هم رسموا الله ... ر ذرى الجند والمعالي قديماً
وهم كالبهار جوداً وكالأنج ... م هدياً وكالسيوف عزيزا
ومنها:

أنت أيدي بالخلافة ركن ال ... شرع فارتد فمجه مستقيماً
وذبيت العدو عنه ولولا ... ك بلاد مرية لعط أديما
أنت أنكحتني فقد أض ... حي ولداً وكان قبل عقيماً
دم تدم دولة المفاخر والمج ... د وحسن الزمان في أن تدوما
والبس المهرجان ما ابتسم الفج ... ر وأهدى من الرياض نسима
وقال:

منازلهم لا شافهتك النوازل ... وأطلهم حياك طل ووابل
كأن الربا لم تلبس الأرض حالياً ... ولا أحملت بالنور تلك الحمائل

تعرفتها واستنكر الطرف أنها ... كما استنكرت سقم الحب العواذل
وكم قطع ليل بعد ليل قطعته ... وسرح الكرى عن جفن الكأس مائل
وخلت الشريا كف عنراء طفلة ... محتمةً بالدر منها الأنامل
تخليتها في الأفق طرة جعبة ... ملوكية لم تعتلقها حمائل
كأن نبالاً سته من لآلى ... يوافي بها في قبة الأفق نائل
وعيش كوار الرياض استرقته ... خلاصاً، وأحداث الليالي غوافل
لماماً وأغصان الشبية رطبة ... وماء الصبا في ورد خدي جائل
ويوم كحلي الغانيات سلبته ... حلي الربا حتى اتنى وهو عاطل
سبقت إليه الصبح والشمس غضة ... وصيغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل
ونشوان من حمر الدلال سقيته ... شمولاً فنمت عن هواه الشمال
شكا ظمأ منه الموشع، وارتوت ... بماء الصبا أردافه والخلاخل
إذا العيش مخضر الأصائل ناعم ... وإذا زبرج الدنيا خليل مواصل
وليل موشى بالنجوم صدعته ... بأبيض وشى صفحتيه الصياقل
إليك، أمير المؤمنين، ارتمت بنا ... نبات الفلا والمقربات الصواهل
إلى من له في جبهة الدهر ميسم ... ومن سيفه من مفرق الدهر سائل
تشيم الحيا من كفه وهي لجة ... تشق جيوب القطر فيها الأنامل
ومن عودته المكرمات شمائل ... فليس له عنها، ولو شاء، ناقل
وإن راسل الأعداء فالجرد رسله ... إليهم، وأطراف العوالي الرسائل
بيوم عقيم يلقيح البيض بأسه ... ولود المنايا وهو أشمطُ ثاقل
إذا ما أسر النقع أنوار شمس ... أذاعت بأسرار الحمام المناصل
فيما بدر لا تغرب، وبها بحر لا تقص ... وبها نوء لا تخلف حياً منك هائل
عظمت فهذا الدهر دونك همة ... وجدت فهذا القطر عندك يا خل
وقال في الأمير شمس المعالي:
كم قلوب تحملت بالحمول ... ودموع طلت بتلك الطلول
واصطبار أضيع ما بين أيضاً ... ع المطايا وفي اخل الخيل
ومنها:

وبنفسى بدر يعود ضياء ال ... بدر من نور وجهه بالأفوال
اثمرت وجنتاه روضاً جنى ال ... ورد يفتر عن غدير شمول
وإلى مسرح الكارم قابو ... س أراح الندى سوام العقول
فارس الكاتب والمن ... بر والخيل واليراع النحيل

تعبُ البيض والسلاهب والأر ... ماح والوفر والندى والعذول
وكهولٌ أوهت كواهلها السم ... ر قنادى إلى ابتغاء الدخول
يتعاطون بالصوارم كاسا ... ت المنايا على غناء الصهيل
كم يد للخطوب طالت على الأح ... رار قصرتها بباعٍ طويل
فابق ما استعبر الغمام وما عل ... ل صباً نسيمٌ روضٍ عليل

الباب الثامن

في تفاريق قطع من ملح المقلين

من أهل بغداد ونواحيها، والطائرين عليها من الآفاق، والمقيمين بها.

من ملح المقلين من اهل بغداد

القاضي ابن معروف

هو أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن معروف، وكان - كما قرأته في فصل للصاحب - شجرة فضل،
عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعروقها شرف، تستقيها سماء الحرية، وتغذيها أرض المروءة،
وقد تقدم بعض ذكره في منادمة المهلبى وغيره من الوزراء، وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف، وخشونة
الحكم، ولين قشرة العشرة، وكان على تقلده فضاء القضاة دفعات بالحرّة واشتغاله بحلائل الأعمال من
أمور المملكة - يقول شعراً لطيفاً في الغزل، يتعاوره القوالون والقيان ملحناً.
وقرأت لأبي إسحاق الصابى فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف، واستحسنه جداً في
وصف نظمه ونشره وهو: وصل كتاب قاضي القضاة، بالألفاظ التي لو مازجت البحر لأعذبتّه، والمعاني التي
لو واجهت دجى الليل لأزاحتّه وأذهبتّه، ولم أدر بأيّ مذاهبه فيها أعجب، ولا من أيها أعجب، أمن قريض
عقوده منظومة، أم من ألفاظ لآلتها منشورة، أم من ولوجها الأسماع سائغة، أم من شفائها العلة نافعة؟ وأما
الآبيات التي رسم التقدم بتلحينها، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها، فما أعرف كهوّاً لمثلها ملحناً، ولو كان
إسحاق الموصلى، ولا محبباً ولو كان امرأ القيس الكندي، ولا أرضى لها مهراً إلى حبات القلوب، ولا مجالاً
إلا أرجاء الصدور، وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا عن تعاطي الإجابة عنه، وقرن بها من الأطراب
ما يكفينّا تأمله عن صياغة الألحان له.

ولأبي إسحاق شعر كثير فيه، فمن ذلك قوله في افتتاح قصيدة:

أقسمت بالله ما يُرجى لمعروف ... في الحادثات سوى القاضي ابن معروف

ولابن حجاج في بعض من كان يناوى ابن معروف من الحكام:

يا أيها الحاكم الرقيع ... ذقك في سلحتي نقيع

إن ابن معروف في محل ... مرامه متعبٌ منيع
فضله الله واجتباؤه ... للأمر واختاره المطيع
هذا له وحده فقل لي ... من أنت في الناس يا وضع
وقد أوردت ما حضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غرره، فمنها قوله من قصيدة:
لم تسلي الأيام عنك بمرها ... بلى زادني بعد اللقاء تتيما
وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا ... وآخذ ما فوق الرضا متلوما
فلما تفرقنا وشطت بنا النوى ... رضيت بطيفٍ منك يأتي مسلماً
وقال:
لو كنت تدري ما الذي صنع الهوى ... والشوق بالجسد النحيل البالي
لهجرت هجري واجتبت تجني ... ووصلت من بعد الصدود وصالي
وقال:
وما سر قلبي منذ شطت بك النوى ... نعيم ولا كأس ولا متصرف
وما ذقت طعم الماء إلا وجدته ... سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلا تكلفاً ... وأي نعيم يقتضيه التكلف؟
وقال:
احذر عدوك مرةً ... واحذر صديقك ألفَ مره
فلربما انقلب الصدي ... ق فكان أعرف بالمضرة

أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل، البغدادي المنشأ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفاتها، وله شعر يجمع إتقان العلماء، وإحسان ظرفاء الشعراء، والذي رأيته من كتبه: كتاب القيان، وكتاب الأغاني، وكتاب الإمام الشواعر، وكتاب الديارات، وكتاب دعوة الجار، وكتاب مجرد الأغاني، وكتاب أخبار جحظة البرمكي، وما أشك في أن له غيرها، وكان منقطعاً إلى المهلب الوزي، وكثير المدح، مختصاً به، فمن ذلك قوله فيه من قصيدة:

ولما انتجعنا لائذين بظله ... أعان وما عني ومن وما منا
وردنا عليه مقترين فراشنا ... وردنا نداه مجدين فأخصبنا
وله من قصيدة يهنئه بمولود من سرية رومية:
أسعد بمولودٍ أتاك مباركاً ... كالبلر أشرق جنح ليلٍ مقمر
سعدٌ لوقت سعادةٍ جاءت به ... أم حصانٌ من بنات الأصفر
متبجحٌ في زروني شرف النرى ... بني المهلب منتماه وقيصر
شمس الضحى قرنت إلى بلر الدجى ... حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري

أخذه من مصراع ابن الرومي: شمس وبلرٌ ولدا كوبا وقال من قصيدة فيه عيدية:
إذا ما علا في الصدر للنهي والأمر ... وبثهما في النفع منه وفي الضر
وأجرى ظي أقالمه وتدققت ... بديهته كالمستمد من البحر
رأيت نظام الدر في نظم قوله ... ومنتوره الرقراق في ذلك النثر
ويقتضب المعنى الكثير بلفظه ... ويأتي بما تحوي الطوامير في سطر
أيا غرة الدهر انتف غرة الشهر ... وقابل هلال الفطر في ليلة الفطر
بأيمن إقبال وأسعد طائر ... وأفضل ما ترجوه في أفصح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقاً ... بطهره فيه واجتنابك للوزر
فأكرم بما خط الحفيظان منهما ... وأثنى به المثني وأطرى به المطري
وزكك أوراق المصاحف وانتهى ... إلى الله منها طول درسك والذكر
وقبضك كف البطش عن كل مجرم ... وبسطها بالعرف في الخير والبر
وقد جاء شوال فشالت نعامة ال ... صيام وأبدلنا النعيم من الضر
وضجت حيس الدن من طول حبسها ... ولامت على طول التجنب والهجر
أبرزها من قعر أسود مظلم ... كإشراق بدر مشرق اللون كالبر
إذا ضمها والورد فوه وكفه ... فلا فرق بني اللون والطعم والنشر
وتحسبه إذ سلسل الكأس ناظماً ... على الكوكب الدرّي سمطاً من الدر
وقال يهنئه بالعافية:

أبا محمد المحمود يا حسن ال ... إحسان يا بحر الندى الطامي
حاشاك من عود عوادٍ إليك ومن ... دواء داءٍ ومن إلام آلام
وقال فيه:

تأوب عيني طيفاً ألم ... لظالمه طرقت في الظلم
تخيل منها خيالٍ سرى ... فيسلب حلمي بذاك الحلم
فما أنس لا أنس إقبالها ... قيسُ بغصن سقته الديم
وقد بدرت مثل بدر الدجى ... سما في السماء علواً وتم
على رأسها معجراً أزرق ... وفي جيدها سبحة من برم
ولم ترتقب لطلوع الرقيب ... ولم تحتشم لطلوع الحشم
لقد سؤتني يا نظام السرور ... وأسقمتمني يا شفاء السقم
أهذا المزار أم الأزورار ... إلامكم ألم أم لم
ويوم كمثل رداء العرو ... س حسناً وطيباً إذا ما يشم
خلعت عذارى ولم أعتذر ... ولم أحتشم فيه من يحتشم
وقابلت فيه صفاء الشمال ... بصفو الشمول وشجو النغم

فداؤك نفسي هذا الشتاء ... علينا بسلطانه قد هجم
ولم يبق من نشبي درهم ... ولا من ثيابي إلا رمم
يؤثر فيها نسيم الهواء ... وتحرقها خافيات الوهم
وأنت العماد ونحن العفاة ... وأنت الرئيس ونحن الخدم
وله فيه:

فداؤك نفسي من الحادثات ... وريب الردى وحلول الحذر
فعالك تكبر عن موعد ... ووعدك يسبق أن ينتظر
وكحك تمني على المعتفين ... بفيض عفا وصفا من كدر
إذا عاقبك الشغل عني ولم ... أذكرك نفسي خوف الضجر
تسكعت في حيرة لا أجو ... ز منها إلى عضد أو وزر
رهنت ثيابي وحال القضا ... ء دون القضاء وصد القدر
وهذا الشتاء عسوف علي ... كما قد تراه قبيح الأثر
يغادي بصر من العاصفا ... ت أو دمي مثل وخر الإبر
وسكان داري ممن أعو ... ل يلقيين من برده كل شر
فهذي تحن، وهذي تنن ... وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تمللن تحت الظلام ... تعللن منك بحسن النظر
ولا حظن ربك كالمحلي ... ن شاموا البروق رجاء المطر
يؤمنن عودي بما ينتظرن ... كما يرتحن أيب من سفر
فأنعم بانجاز ما قد وعدت ... فما غيرك اليوم من ينتظر
وعش لي وبعدي فأنت الحيا ... ة والسمع من جسدي والبصر
وقال من أخرى فيه:

يا فرجة الهم بعد اليأس والوجل ... يا فرجة الأمن بعد الروع والوهل
اسلم ودم وابق واملك وانم واسم وزد ... وأعط وامنع وضر وانفع وصل وصل
وقال في وصف الخمر من قصيدة:
وسلاف كالنبر أذكى من المس ... ك وأصفى صيغاً من الزعفران
كأن اليد التي تحويها ... من صيب العقيان في دستان
وقريب منه قوله:
وبكر شربناها على الورد بكراً ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيض اللباس يديرها ... توهمته يسعى بكم مورد
والأصل فيه قول أبي الشيص:

سقاني بها والليل قد شاب رأسه ... غزالٌ بختاء الغزالة مختضب
وقال في أبي سعيد السيرافي:

لست صدراً ولا قرأت على صد ... ر ولا علمك البكي بكافي

لعن الله كل شعيرٍ ونحو ... وعروض يحيى من سيراف
وقال في القاضي الأيدجي، وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها:
اسمع حديثي تسمع قصةً عجبا ... لا شيء أعجب منها تبهر القصصا
طلبت عكازةً للوحل تحملي ... ورمزتها عند من يحيي العصا فعصى
وكت أحسبه يهوي عصا عصب ... ولم أخل أنه صب بكل عصا
وكتب إلى القاضي الشوخي يلتمس منه خبراً:

يا أيها القاضي السني الذكر ... ومن علا على قضاة العصر

قد اجتمعنا في محلٍ وعر ... ومنزلٍ ضنكٍ ومشوى قفر

خالٍ من الخير كثيرٍ اشر ... نلقى زمايى ألمٍ وضر

من ليلٍ بقٍ ونهارٍ حر ... فقد فقدت جلدي وصبري

وليس لي عند محيى فكري ... سوى تشكي فادحاتٍ أمري

بقلمٍ يخطها في سطر ... إلى فتى ذي أدبٍ وقدر

فاسمع لشكواي وجدٍ بعذر ... قد صفرت محبرتي من حبر

ولم أجده مشترى فأشري ... فجد حباك الله طول العمر

بمثلها حبراً وفز بشكري ... من بين نظمٍ حسنٍ ونثر

ورب مجدٍ باسقٍ وفخرٍ ... نالهما الحر ببذل النزر

أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة، يقول:

لست ذا ذلةٍ عضني الله ... ر ولا شامخاً إذا واتاني

أنا نارٌ في مرتقى نفس الحا ... سد ماءً جارٍ مع الإخوان

وقال من قصيدة:

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبةٍ ... في شامخٍ من عزه المترقع

قالت لي النفس العروف بفضلها: ... ما كان أولاني بهذا الموضع

وقال:

الدهرُ يلعب بالفتى فيهيضهُ ... طوراً، ويجبر عظمه فيُرائشُ

وكذا رأينا الدهر في إعراضه ... ينحى وفي إقباله ينتلش

وقال:

أدل فيا حبذا من مدل ... ومن ظالمٍ لدمي مستحل
إذا ما تعزز قابله ... بذل، وذلك جهد المقل
وقال:

أنت يا ذا الخال في الوج ... نة مما بي خال
لا تبالي بي ولا تخ ... طرني منك ببال
لا ولا تفكر في حا ... لي وقد تعرف حالي
أنا في الناس إمام ... ي وفي حبك غالي

أبو الحسن علي بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء، وندماء الخلفاء والوزراء، وفي أسرته يقول صاحب:
لبنى المنجم فطنةً لهيبه ... ومحاسنٌ عجميةً عريبه
مازلت أمداحهم وأنشر فضلهم ... حتى عُرفت بشلة العصبية
ولذكروهم في القسم الثالث من هذا الكتاب مكان في أصحاب الصاحب وشعرائه.
فأما أبو الحسن، الذي هو كبيرهم، فقد اقتضت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها الصاحب في
كتابه المعروف بالروزنامة، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلب حين ورد الصاحب بغداد، وقد أرسل
يحكيها لأستاذه ابن العميد، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه.

فصل

استدعاني الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه، وقد أعدا قصيدتين في مدحه فمنعهما من
النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجوداً بعد تشبيب طويل، وحديث كثير: فإن لأبي الحسن رسماً أخشى
تكذيب سيدنا إن شرحته، وعتابه إن طويته، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد، أحب إلى من أن أحصل
عنده من رتبة مقصر، يتدئ فيقول ببحه عجيبة، بعد إرسال دموعه، وتردد الزفرات في حلقه، واستدعائه
من جؤذر غلامه منديل عبراته، والله والله، وإلا فأيمان البيعة تلزمه وحرامها، وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب
إليه حرام وعبيده أحرار لوجه الله تعالى، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله، أو اتفق من عهد أبي
دؤاد الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله، بل عيبه أن محاسنه تتابع، وبدائعه ترادفت، فقد كان في
الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يجمله ويسود به شاعره، ثم ينشد، فإذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من
نفسه فيه قال: أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبك علي بن هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم
جليس الخلفاء وأنيس الوزراء، ثم ينشد الابن والأب يعوده ويهتز له، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولي
عهدي وخليفتي من بعدي، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه، أمتعنا
الله به ورعاه، وحديثه عجب، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته، على أنه أيد الله مولانا من سعة

النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتقام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه، فامتنع من بيعها، وأعتقها وتزوج بها.

فصل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان، وقد نمي إلى سيدنا خبر ابنه وحذفه والفقي يبرز عليه مع التمسك بمذهبه، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبوري يشاكلة أو يقاربه، ومما يغني به من شعر أبي الحسن ويحلف على الرسم أن لا مداني له فيه:

بيني وبين الدهر فيك عتابٌ ... سيطول أن لم يمنحه الإعتابُ
يا غائباً بوصاله وكتابه ... هل يرتجى من غيبتيك إيابُ
وإذا بعدت فليس لي متعلُّ ... إلا رسولٌ بالرضا وعتاب
وإذا دعوت مساعداً فهو المنى ... سعد اخبُ وساعد الأحبابُ
لولا التعلل بالرجاء تقطعت ... نفسٌ عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الإله فرما ... يصل القطوع وتحضر الغياب
وإلى ههنا من كتاب الروزنامجة.

وقرأت للصابي فصلاً يشتمل على ذكره وبيتين من شعره، وهو: قد شغل قلبي أيد الله سيدنا ما بلغني من تأله من قدمه، وأضربي وبالأحرار اقتطاعه بذلك عن مساعي كرمه. وأقول له، ما أنشدني علي بن هرون بن المنجم لنفسه من قصيدة كتب بها إلى أبي الحواري، وقد وثبت رجله من عشرة لحقته:

كيف نال العثار من لم يزل من ... ه مقيلاً من كل خطبٍ جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لم ... تخطُ إلا إلى مقامٍ كريم
وقال في قدح أصفر:

وقدحٍ مورس السربال ... من نقشه قبل المدام حال
تحسبه ملآن وهو خال أخذ معنى قوله من نقشه قبل المدام حالي قريبه أبو محمد بن المنجم فقال من قصيدة في وصف دار الصاحب:

وأبوابها أثوابها من نقوشها ... فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها
ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى.

الأحنف العكبري

أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري

شاعر المكديين وظريفهم، ومليح الجملة والتفصيل منهم. وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره فأوردته، وهو:
لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبري لنفسه، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام، وحسن الطريقة
في الشعر، لامتألت عجباً من ظرفه، وإعجاباً بنظمه، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه يقول:

على أي محمد الل ... ه في بيت من المجد
ياخواني بني ساسا ... ن أهل الجد والحد
لهم أرض خراسان ... فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج ... إلى البلغار والسند
إذا ما أعوز الطرق ... على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم ... من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج ... بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديته ... بنا في الروع يستعدي

ولهذا البيت الأخير معنى بديع، وتفسيره: يريد أن ذوي الثورة وأهل الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم في
أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص، وقال: أنا مكدي، فانظر كيف غاص، وأبرز هذا المعنى المعتاص. إلى
ههنا كلام صاحب.

وفي هذه القصيدة!

وقالوا قد سلا عنك ... وقد حال عن العهد

ولا والله ما أسلو ... ولكن قل ما عندي

وأنشدني علي بن مأمون المصيبي قال: أنشدني الأحنف لنفسه:

عشت في ذلة وقلة مال ... واغتراب في معشر أندال

بالأمان أقول لا بالمعاني ... فغذائي حلاوة الآمال

لي رزق يقول بالوقف في ال ... رأي ورجل تقول بالاعتزال

وقال:

رأيت في النوم دياناً مزخرفة ... مثل العروس تراءت في المقاصير

فقلت جودي فقالت لي على عجل ... إذا تخلصت من أيدي الخنازير

وقال:

العنكبوت بنت بيتاً على وهن ... تأوي إليه وما لي مثله وطن

والخنفساء لها من جنسها سكن ... وليس لي مثلها إلف ولا سكن

وقال:

قد قسم الله رزقي في البلاد فما ... يكاد يدرك إلا بالتفريق

ولست مكتسباً رزقاً بفلسفة ... ولا بشعر ولكن بالمخاريق

والناس قد عملوا أي أخو حيل ... فلست أنفق إلا في الرساتيق

وقال:

قال رؤيا المنام عندك حق ... قلت هيهات كل ذلك بخارٌ
ليت يقظانهم يصح له الأم ... ر فكيف المغط والنخار

وقال:

سريراً بت بماخور ... على دف وطنبور
وصوت الطبل كردم طع ... وصوت الناي طليز
فصرنا من حمى البيت ... كأننا وسط تنور
وصرنا من أذى الصفع ... كمثل العمى والعور
لقد أصبحت مخموراً ... ولكن أي مخمور
وقال من قصيدة:

ترى العقيان كالذهب المصفى ... تركب فوق أنفار الدواب
وكيسي منه خلواً مثل كفي ... أما هذا من العجب العجائب
وقال:

قام للشقوة أيري ... وجرى بالنحس طيري
وولى حل سراوي ... لك يا مولاي غيري
وتقرات علينا ... كسعيد بن جبير
أترى قد عقر الناق ... ة يا مولاي أيري
ليس لي منك سوى صب ... حك الله بخير

ابن العصب الملحي

قد أجريت ذكره عند ذكر السري الرفاء، وكان يتطايب في المداخلة والمعاشرة، ويقول شعراً خفيف
الروح.

كتب غليه ابن سكرة:

يا صديقاً أفادنيه زماناً ... فيه ضن بالأصدقاء وشح
بين شخصي وبين شخصك بعدد ... غير أن الخيال بالوصل سمح

إنما يمنع التآلف منا ... أنني سكر وأنك ملح

فأجابه من أبيات منها:

هل يقول الإخوان يوماً خل ... شاب منه محض المودة قدح
بيننا سكر فلا تفسدنه ... أو يقولون بيننا ويك ملح
وقال في قاض:

لنا قاض له وجهٌ ... على أخذ الرشا عابس
ولكن له أيراً ... يدق الرطب واليابس
وقال:

ذرفت عين الغمام ... فاستهلت بسجام
وبكى الإبريق في ال ... كأس بدمعٍ من مدام
فاسقني دمعاً بدمعٍ ... من مدام وغمام
واعصٍ من لأمك فيه ... ليس ذا وقت الملام

أبو علي الحسن بن علي الخالغ

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير، ولذكره موضع آخر في الباب التاسع. ومن ملح
شعره قوله من أبيات:

اسقنا من شرابك الصرف نموز ... جه بماء من الثنايا زلال
بنت كرمٍ كأنها خجلةٌ الخ ... دتبت في حلةٍ من دلال
وقال:

هو معلمٌ لهواك فاعلم ... وهي لرسومٍ كما نرسم
قف مطلق العبرات مح ... تبس الصباية يا متيم
حنى ترى ديباج خدّ ... لك من دموعك فيه معلم
واذكر زمان خلاعة ... لك في مغانيه تقدّم
إذ أنت في مجموع ش ... مل الغانيات به مقسم
يشني عنائك من سعا ... دٍ ساعداً عبلاً ومعصم
ونصير من نغمٍ إلي ... لك معاطف الغصن المنعم
أرعت الحاظي بمو ... شي الرّبي خضلٍ موشم
متضوّع الأرجاء من ... تنفس الشمال إذا تنسم
ألقت بكلّ قرارة ... فيه يد الأنواء درهم
والأقحوان الغصّ من ... خجل الشقائق قد تبسم
فكأنما رياه أخ ... لاق الوزير وقد تكرم
يامن إليه مقاليد ال ... علياء عن حقّ تسام
مات السّماح فكنت في ... إحيائه عيسى ابن مريم

الشيخ أبو محمد عبد الله

بن محمد النامي الخوارزمي

أنا أختتم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع، وللأدب مفزع. وإليه الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله، مع الشيخ أبي حامد الإسفرائيني أيلده الله، وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة، ويجمع بن العذوبة وحسن العبارة والبراعة، وشعر يشرف بصاحبه، ويأخذ من القلب بمجامعه كقولہ:

أيا زائر البيت العتيق وتاركي ... قتيل الهوى لو زرتني كان أجدر
تحج احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً ... فديتك لا تحجج ولا تقتلُ الوری
وكقولہ، وكتب به إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي:

حاش لله أن أزول عن العه ... د وإن زاد سيدي في الجفاء
تحج احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً ... فديتك لا تحجج ولا تقتلُ الوری
وأنشدني أبو الحسن الكرخي، وقال: أنشدني الشيخ أبو محمد لنفسه:

يا عينُ منك شكايي وبلائي ... أنت التي أسلمتني لشقائي
لما نظرت إلى محاسن وجهه ... أشعلت نار الشوق في أحشائي
ثم اعتبرت لتخدعيني بالكبا ... فكشفت ذاك السر للأعداء
فتألمي ماذا جنيت وأمسكي ... بالله عنا معشر الغرباء
وقال: أنشدني أيضاً لنفسه:

عجبت من معجب بصورته ... وكان من قبل نطفةً مذرّه
وفي غدٍ بعد حسن صورته ... بصير في الأجيّة قدره
وهو على عجبه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذره
وقال: أنشدني أبو محمد الحامدي له بيتين في سابور استملحتهما جداً، وهما:
سابور، ويحك! ما أخ ... سك! بل أخصك بالعيوب!
وجه قبيح في التيس ... م كيف يحسن في القطوب

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه، قال: أنشدني أبو يعلى الواسطي، قال: أنشدني النامي لنفسه:
قلت له ورأى في وجهها أثراً ... فازور عنه كتيب القلب مدهوشاً

ما حسن ديباجة الخد المليح إذا ... لم يحك في حسنه الديباج منقوشاً
قال: وأنشدني أبو علي الكندي، قال: أنشدني النامي لنفسه، وقد أهدى هدية مهرجانية إلى بعض الرؤساء:
هديةً المهرجان واجبة ... على السلاطين على الفقها
وإن جرى عبدكم على سنن ... من التهادي فما أتى سفها
حمل على أني لكم قلم ... قط برأسين يكشف الشبها

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق

وغيرهم

في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر، ومنهم من لا يجري له ذكر فيما سواه.

قال السلمي من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه:

اليوم طبق أفق الدولة النور ... وأوضحت فلق الملك النبشير

فكل عين إليك اليوم طامحة ... وكل قلب بما خولت مسرور

أقبلت في خلع السلطان زينها ... ذيل على أنجم الجوزاء مجرور

كأنما نسجتها في الرياض يداً ... غيثاً فرونقها بالحسن مغمور

ورحت فوق جواد كالعقاب جرى ... والجود في سرجه والمجد والخير

محمد بن أحمد الحمدوني من قصيدة له فيه:

وفي الطعائن مهضوم الحشى غنج ... يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثمل

ظبي مشى الورد من لحظي بوجنته ... مشي اللواحظ من عينيه في أجلي

ومترف الترب مجاج الندى عطر ... مفوف النور موسوم الثرى خضل

قد شام جدوله فيها مهندة ... فاهتز مثل اهتزاز الخائف الوجل

إذا نسيم الصبا باحت سرائره ... أصغى إليهن سمع الغصن بالميل

والروض تسحب فيه السحب أردية ... مظاهرات عليها أظهر الحلل

يا مؤنس الملك والأيام موحشة ... ورابط الجأش والآجال في وجل

مالي وللأرض لم أوطن بها وطناً ... كأنني بكر معنى سار في المثل

لو أنصف الدهر أو لانت معاطفه ... أصبحت عندك ذا خيل وذا خول

لله لؤلؤ الفاظ أساقطها ... لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل

ومن عيون معانٍ لو كحلت بها ... نجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من الفكر لو دارت سلافته ... على الزمان تمشى مشية الثمل

أبو الفرج البغاء:

لمت الزمان على تأخير مطلبي ... فقال ما وجه لومي وهو محظور

فقلت لو شئت ما فات الغنى أمني ... فقال أخطأت بل لو شاء سابور

عذ بالوزير أبي نصر وسل شططاً ... أسرف فإنك في الإسراف معذور

وقد تقبلت هذا النصح من زمني ... والنصح حتى من الأعداء مشكور

وما لطرف رجائي عنك منصرف ... وهل يفارق جرم المشتري النور

ابن بابك من قصيدة:

شمت برق الوزير فأنهل حتى ... لم أجد مهرباً إلى الإعدام
وكأني وقد تقاصر باعي ... خائضٌ في عباب أخضر طامي
مستفيض الندى كريم السجايا ... عاجل الغفو آجل الإنتقام
كذب الزاعمون أن المعالي ... في صدور المثقفات الدوامي
إنما المنجد والندى والمساعي ... والردى في أسنة الأقاليم

ابن لؤلؤ من قصيدة:

خصال العلا كلها من خصالي ... و صوب الحيا قطرةً من شمالي
خلقتُ كما شاءتِ المكرماتُ ... بعيدُ النظر فقيد المثل
تنزهني عن دنايا الأمو ... ر نفسي وتدبني للمعالي
فللبأس طول يدي والحسام ... وللمجد والحمد جاهي ومالي
وحرفٍ تعرس فيها الرياح ... إذا ما صغت للوني والكلال
أجرت تعوج مثل القس ... ي يحملن ركباً كمثل النبال
ومجنوبة في حواشي المط ... ي ينفضن أعرافها كالسعال
طلبن الوزير فتى أردش ... ير صنو الندى وحليف المعالي

بعيد مدى الجود لا يتقى ... مؤمله بكريه المطال

أغر يرى لك ما لا تراه ... لديه ويعطيك قبل السؤال

ويهتز من طربٍ للسماء ... ح هز الصبا للرماح الطوال

الخليع النامي من قصيدة:

في أي منزل صبوّة لم أنزل ... وبأي منطق عاذل لم أعذل

ما حق هذا الربع إذ فيه الهوى ... أن يستضام بوقفه المستعجل

كل إن حضرت إلى الدموع سؤاله ... فالدمع أفصح من سؤال المنزل

يا هذه إن لم يكن لك نائل ... فعدى وإن لم تجملني فتجملني

جودي فإن لم تحسني فتعلمي ال ... إحسان من هذا الوزير المفضل

أعدي الزمان ندا أبي نصر فلو ... سمناهت أن يهب الصبا لم يخل

أرضي الديانة والصيانة حكمه ... بكفائي قلم وقائم منصل

يا موئل الراجي وهل للحائم ال ... صادي سوى قطر الحيا من موئل

أسعد بإقبالٍ وعيدٍ قابلاً ... بك شخص سعدٍ ليس بالمترحل

وتمل فضلك فهو أفخر ملبسٍ ... وتبو عزك فهو أمتع معقل

وأخبر متى ما شئت إخلاصي تب ... لك نية المصفي من المتجمل

ما قلت قط لمنعم هب لي وفي ... تحصيل رأيك قد رغبت فهبه لي
فالآن قد أوفى النجاح على لمنى ... بسعادي في الأصل لا بتوصلي
وعلمتُ أني مقبلٌ وعلامة ال ... إقبال أني عذت منك بمقبل
الحاتمي من أجوزة:

أولى بعفوٍ من قدر ... لا عفو عن جانٍ أصر
يلم بجن ذنباً من أقر ... الصبر عنوان الظفر
أولى بفوز من صبر ... المجد في خوض الخطر
كفي العيان المختبر ... أولى بعرفٍ من شكر
شكر الرياض للمطر ... إن يطو معروفٌ نشر
الحمد خيرٌ مدخر ... إن ساءك الزمان سر
ما كسر الدهر جبر ... من زجر الهوى انزجر
بادر من العيش الغرر ... ما العيش إلى المبتدر
لهفي لعصرٍ مدكر ... إذ غصن عيشي متصر
آصاله مثل البكر ... لم تفتزع منه العذر
مر كلمحٍ بالبصر ... وأرجُ النشر عطر
غصنٌ ودعصٌ وقمر ... تحت ظلامٍ من شعر
ذي ريقَةٍ تشكو الخصر ... شيت بمسكٍ وسكر
محييةٌ ميت الوطر ... وسابحٍ سامي النظر
أسرع من وشك القدر ... وخاطر الوهم خطر
وسائلٍ من منحدر ... وقبلةٍ على حذر
ومنها:

أوفى على كل البشر ... سابور مجداً وأثر
وإنما العصب الذكر ... أعاره ما لم يعر
رأياً كمحتوم القدر ... فانصاع كالنجم انكدر
يحمد إن ذم المطر ... تقفو الرواسي إن زفر
في كفه نفعٌ وضر ... ولحظه خيرٌ وشرٌ
والدهر طوعٌ ما أمر يجري بما ساء وسر
ذو خلقٍ سهلٍ يسر ... كمثل نوار الزهر
وشبه أنواء المطر ... يحیی أفانين الثمر
من بالغٍ ومنتظر ... كالأمن من بعد الحذر
والخير في أعقاب شر ... وكالكري غب السهر

عمرت ما شاء الوطر ... فأنت للملك وزر
دونك عذراء الفقر ... تُتلى كما تتلى السور
الخالع من قصيدة:

أفي غلائها غصنُ من البان ... يهتز في نعمة أم قد إنسان
هيفاءً مرهفة الأعطاف إن خطرت ... أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان
تبسمت فظننا أن مبسمها ... فيه من اللؤلؤ انجلو سمطان
وأومأت يمين لو دنت لقمي ... لأفسدت صالحاً من نسك إيماني
مقسم العيش في تحصيل مأثرة ... سيارة يتقاضاها لباسان

فللدروع عليه يوم ملحمة ... وللدرائع منه يوم ديوان
طرز الطلاقة في ديباجة غرته ... للبشر فيها إشارات بألوان
كأن ماء الحياة الغمر منسكباً ... فيها يفيض على نوار بستان
محمد بن بلبل من قصيدة:

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً ... وارتد روض الحمد وحفاً ناعماً
سميت نفسي إذ رجوتك واثقاً ... ودعوتها لك مذ مدحتك خادماً
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي ... عقدت علي من الخطوب تماماً
لا زال جدك للعدو مزاحماً ... يعلو وآنف حاسديك رواغماً
وأسعد بعيد قد حبتك سعوده ... عزاً يكون مع السعادة قادماً
أحمد بن علي المنجم من قصيدة:

أيهذا الوزير محصت بالاح ... سان جور الدنيا ووزر الزمان
فاشرب الراح راحة القلب أخت ال ... روح روح المكروب أنس الأمان
وابق ما شئت في نعيم تراه ... لك أتمودجاً لعيش الجنان
السفياني من قصيدة:

روض المني بك عاد غصاً مونقاً ... واهتز غصن المجد فيه وأورقا
وابيض وجه الدهر بعد سخومه ... وارتد بعد ظلامه فتألقا
فت الأنام فما يجاريك أمرو ... في حلبة الفخر المنيع المرتقى
ولو غندى ظهر الجرة راكباً ... وغدا بأذيال السهى متعلقاً
أجرى فكان مسبقاً وصفا فكا ... ن مطبقاً وعفا فكان موفقاً
أحمد بن المغلس من قصيدة:

أبروق تالأت أم تغور ... وليال دجت لنا أم شعور
غصون تأودت أم قدود ... حاملات رمانهن الصدور

طالعاتُ من السجوف على الرك ... ب بدورُ أبرزتَنِ الخدور
مقلاتُ أردافهن ولكن ... مرهفاتُ من فوقهن الخصورُ
مطعماتُ في وصلهن ودون ال ... وصل إن رمتَه دماءُ تمور
عز منهن ما يرام كما ع ... ز جنابٌ يحتل فيه الوزير
نصر المجد حافظاً حرة المج ... د أبو نصر الرضا سابور
مفرّد في الزمان ليس يداني ... ه ومن الناس مشبهٌ أو نظير
إن يجد واهباً فغيثٌ مطيرٌ ... أو يصل واثباً فليثٌ هصورُ
سعد بن محمد الأزدي من قصيدة:

أأجفو الهوى في بهه لا أخاطبه ... وأمضي ولم تعلق بدمعي ملاعبه؟
ومنها في وصف الحساب:

وأقمر منشور الجناح مرفرفٍ ... تحلى بعقيان البروق ترائبه
وخلف غمام الخدر بدرٌ مضمخ ... بحسن بديعٍ والحلي كواكبه
أرجى أبا نصر لعصرٍ كأنما ... من النار عيناه فمن ذا يغاضيه
على عيلةٍ لو حمل الدهر ثقلها ... لزلت به رجلاه وانقض غاربه
إذا ما رآه الناس قالوا تعجباً ... تبارك مختار الكمال وواهبه
الحسن بن محمد العضدي:

يلقاك إن لا قاك دهرك كالحاً ... متبسماً كالعارض المتبسم
وإذا سما نحو العلا لم يتخذ ... غير المواهب والعلا من سلم
سيان عزمك والحسام المنتضى ... وندى يديك وصبوبُ نوء المرزم
كم منه لك لم يكدر صفوها ... من وكم نعمى شفعتَ بأنهم؟
أتراك تحرمي لطيف عنايةٍ ... وبك الغداة من الزمان تحرمي
وأنا ابنُ أنعمك القديمة فليصل ... منك السماح مؤخراً بمقدم
عون بن علي العنري:

لستُ على العتب بالنيب ... ولا للوم بمستجيب
جل غرامي وزاد سقمي ... وذبت شوقاً إلى مذبي
غير عجيبٍ نحول جسمي ... شوقاً إلى حسنه العجيب
تلهبُ الوجنتين منه ... غادر قلبي على لهيب
يا دهر أغربت في التعدي ... والجور ظلماً على الغريب
شوبك لي فرقةً بشوقٍ ... أطلع من لمي مشبي

حسبي أبو نصر المرحى ... عوناً على الدهر والخطوب
إن ضاق دهرٌ بنا أوينا ... منه إلى صدره الرحيب

الباب العاشر

في ذكر الشريف أبي الحسن الرضى

الموسوي النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين، من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين، كالجماي وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجرىه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح، الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانة، وإلى السهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب جناها، ويبعد مداها، فأما أبوه أبو أحمد فمنظرو علوية العراق مع أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبين والحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم والحج بالناس، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبي الحسن هذا، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة، فقال أبو الحسن قصيدة يهنئ بها أباه، ويشكره على تفويضه أكثر هذه الأعمال إليه:

انظر إلى الأيام كيف تعودُ ... وإلى المعالي الغر كيف تزيدُ
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه ... فارتاح ظمآن وأوراق عودُ
قد عاود الأيام ماء شبابها ... فالعيش غض والليالي عيد
إقبال عز كالأسنة مقبل ... يمضي وجد في العلاء جديدُ
وعلاً لأبلغ من ذؤابة هاشم ... يثني عليه السؤدد المعقود
قد فات مطلوباً وأدرك طالباً ... ومقارعوه على الأمور قعود
ما السؤدد المطلوب إلا دون ما ... يرمي إليه السؤدد المولود
فإذا هما اتفاقاً تكسرت القنا ... إن غالباً وتضعضع الجلمود
وله من قصيدة في أبيه، ويذكر حجه بالناس:

دعيني أطلب الدنيا فإني ... أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن أبقى لأجله حديثاً ... ومن عانى لعاجله اكتساباً
وما العيون إلا من دهنه ... فلا مجدأ ولا جدة أصابا

ونصل السيف تلسم شف ... رتاه وتخلق كل أيام قرابا
وأيام تجوز عليك بيض ... وقد فتحت من الإقبال بابا
وكم يوم كيومك قدت فيه ... على الغور المقانب والركابا
إلى البلد الأمين مقومات ... تماطلها التعجل والإيابا
بحيث تفرغ الكوم المطايا ... حقائبها وتحقب الثوابا
معالم إن أجال الطرف فيها ... مسيء القوم ألقع أو أنابا
وقال في الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة:
لله ثم لك الحل الأعظم ... وإليك ينتسب العلا الأقدم
ولت الرثا من النبي محمد ... والبيت والحجر العظيم وزمزم
تمضي الملوك وأنت طود ثابت ... ينجاب عنك متوج ومعمم
لله أي مقام دين قمته ... والأمر من دون القضية مبهم
فكأنما كنت النبي مناجزاً ... بالقول أو بلسانه تتكلم
أيام طلقها المطيع وأوحشت ... مذ زال عن ذات الغاب الضيغم
فمضى وأعقب بعده مستيقظاً ... سجلاه بؤسي في الرجال وأنعم
كالغيث يخلفه الربيع وبعضهم ... كالنار يخلفه الرماد المظلم
ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتبي، وهو أحسن ما قيل فيه، وهو قوله: فإنك ماء الورد إن هب الورد
ومعنى المصراع الثاني من قول الشاعر:
وبعضهم يكون أبوه منه ... مكان النار يخلفها الرماد
ومنها في وصف النوق:
هن القسي من النحول فإن سما ... طلب فهن من النجاء الأسهم

ما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم في هذين الوصفين! وما أراه سبق إليه على هذا الترتيب.
ومنها:

وعظمت قدراً أن يروك مغنم ... أو أن يصل على بنائك درهم
هي راحة ما تستفيق من الندى ... أبد الزمان وبدرة لا تختم
ما كان يومي دون مدحك أني ... صب بغير جلال وجهك مغرم
أنت العلا فلقصدها ما أقني ... من جوهر ولمدحها ما أنظم
ما حق مثلي أن يضاع وقوله ... باقي العماد على الزمان مخيم
وأنا القريب قرابة معلومة ... والعرق يضرب والقرائب تلحم
إني لأرجو منك أن سيكون لي ... يوم أغيظ به الأعادي أيوم
وأنال عنك رتبة مصقولة ... إن عاين الأعداء رونقها عموا

إني وإن ضرب الحجاب بطوده ... أو حال دونك يذبل ويللم
لأراك في مرآة جودك مثل ما ... يلقي العيان الناظر المتوسم
يا دهر دونك قد تماثل مدنف ... واقتص مهتضم وأوراق معدم
إني عليك إذا امتلأت حمية ... بندى أمير المؤمنين محرم
ومذ ادرعت فناءه وعطاءه ... أرمى يرميني الزمان فأسلم
وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين
وثلاثمائة:

إن كان ذاك الطود خ ... ر فبعدما استعلى طويلاً
موفٍ على القلل الذوا ... هب في العلا عرضاً وطولا
قومٌ يسلد لحظه ... فيرى القروم لا مثولا
ويؤى عزيزاً حيث ح ... ل ولا يرى إلا ذليلاً
كاليت إلا أنه ات ... خذ العلا والعز غيلا
وعلا على الأقران لا ... مثلاً يعد ولا عديلا
من معشرٍ ركبوا العلا ... فأبوا عن الكرم التزولا
كرموا فروعاً بعد ما ... طابوا وقد عجموا أصولاً
نسبٌ غدا رواده ... يستنخبون له الفحولاً
يا ناصر الدين الذي ... رجع الزمان به كليلاً
يا صارم الجند الذي ... ملئت مضاربه فلولا
يا كوكب الإحسان أع ... جلك الدجى عنا أفولا
يا مصعب العلياء قا ... دتك العدى نقضاً ذلولاً
لهفي على ماضٍ قضى ... أن لا يُرى منه بديلاً
وزوال ملكٍ لم يكن ... يوماً يقدر أن يزولا
ومنازل سطر الزما ... ن على مغانيها الحؤولا
من يزجر الدهر الغشو ... م ويكشف الخطب الجليلاً؟
وتراه يمنع دوننا ... وادي النوائب أن يسلا
عقاد ألوية الملو ... ك على العدى جيلاً فجيلاً
صانعت يوم فراقه ... قلباً قد اعتنق الغليلاً
ظعن الغنى عني وحو ... ل رحله إلا قليلاً
إن عاد يوماً عاد وج ... ه الدهر مقبلاً جميلاً
ولئن غدا طوع المنو ... ن ميمماً تلك السبيلا
فالقد يخلف مجده ... عبثاً على الدنيا ثقيلاً

واستندرت الأيام من ... نفحاته ظلا ظليلا

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله، ويصف خروجه من الدار سليماً، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة، وانتهبوا وامتحنوا، فأخذ هو بالحرم ساعة، ووقف على الصورة، وبادر إلى نزول دجلة، وكان أول خارج من الدار، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى، ويذكر غرضاً آخر في نفسه ويشكو الزمان، ويذم عمل السلطان:

لواعج الشوق تخطيهم وتصميني ... واللوم في الحب ينههم ويعريني
سلا عن الوجد إني كل شارقة ... تريشني الشيب والأيام تيريني
من لي ببلغة عيش غير فاضلة ... تكفني عن أذى الدنيا وتكفيني
أخي من باع دنياه وزخرفها ... بصونه كان عندي غير مغبون

قالوا أتقنع بالدون الخسيس وما ... قنعت بالدون بل قنعت بالدون
إذا ظننا وقد رنا جرى قلدر ... بنازل غير موهوم ومظنون
أعجب بمسكة نفسي بعد ما رميت ... من النوائب بالأبكار والعون
ومن نحاتي يوم الدار حين هوى ... غيري ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت فيها مروق النجم منكراً ... وقد تلاقت مصاريع الردى دويني
وكتت أولاً طلاع ثيبتها ... ومن ورائي شر غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتسماً ... إلي أدنيه في التجوى ويديني
أمسيت أرحم من قد كت أغبطه ... لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني ... يا قرب ما عاد بالضراء يبكي
هيهات أغتر بالسلطان ثانية ... قد ضل ولأج أبواب السلاطين
وقال في القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره في دار الخلافة سنة إحدى وثمانين
وثلاثمائة:

شرف الخلافة يا بني العباس ... اليوم جدده أبو العباس
وافي لحفظ فروعها وكنيه ... كان المثير مواضع الأغراس
هذا الذي رفعت يده بناءها ال ... عالي وذاك موطد الأساس
كأنهم ألم فيه بقول ابن الرومي في المعتضد بالله:
كما بأبي العباس أنشئ ملككم ... كذا بأبي العباس منكم يجدد
رجع:

ذا الطود بقاه الزمان ذخيرة ... من ذلك الجبل العظيم الراسي
فالآن فر العز في سكنته ... ثلج الضمائر بارد الأنفاس
وقفت أخمص طالبيه ورفهت ... أيدٍ نقضن معاهد الأحلاس

واحتل غاربه ولي خلافة ... ما كان يلبسها على اللبس
سبق الرجال إلى فراها ناجياً ... من ناب كل مجاذب فأس
يقظان يجرح في الخطوب ويشني ... ولهاه للكلم الرغب أواسي
ويرق أحياناً وبين ضلوعه ... قلباً على المال الثمر قاسي
تغدو ظي البيض الرقاق بقلبه ... أحلى وأعذب من ظباء كنس
فكان حمل السيف يقطر غربه ... أنسى يمين يديه حمل الكس
أحسود ذي الغرر الشوادخ إنما ... حرّم على الأعيار لا الأفراس
لا تحسدن قوماً إذا فاضلتهم ... فضلك في الأخلاق والأجناس
مجدّ أمير المؤمنين أعدته ... غضاً كوز المورق المياس
وبعثت في قلب الخلافة فرحة ... دخلت على الخلفاء في الأرماس
أورق أمين الله عودي إنما ... أغراث مثلك في العلا أغراسي
وأملك على من كان قبلك سلوة ... في فرط تقريبي وفي إيناسي
وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيح وغيرهم وحضر الشريف ذلك
الجلس، وعليه السواد في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها:
لمن الحدوج تزهن الأنيق ... والركب يطفو في السراب ويغرق
إني اهتديت؟ فلا اهتديت! وبيننا ... سورٌ علي من الظلام وخذقُ
ومطلحون لهم بكل ثنية ... ملقى وسادته الثرى والمرفق
أبغاة هذا المجد، إن مرامه ... دحضٌ يزل بطاليهه ويزلق
لا تخرجوا هذي البحار فرما ... كان الذي يروي المعاطش يغرق
دعوا مجاذبة الخلافة إنما ... أرجّ بغير ثيابهم لا يعبق
أبوكم العباس ما استسقى به ... بعد القنوط قبائل إلا سقوا
بعج الغمام بدعوة مسموعة ... فأجابه شرق البوارق مغرق
لله يومٌ أطلعتك به العلا ... علماً يزاول بالعيون ويرشق
لما سميت بك غرة مرموقة ... كالشمس تبهر بالضياء وترمق
وبرزت في برد النبي وللهدى ... نورٌ على أسرار وجهك مشرق
وعلى السحاب الجون ليثٌ معظماً ... ذاك الرداء وزرٌ ذاك اليلمق
وكان دارك جنةً حصاؤها ال ... جادي أو أنماطها الإستبرق
في موقفٍ تغصي العيون جلاله ... فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس إما شاخصٌ متعجبٌ ... مما يرى أو ناظرٌ متشوق
مالوا إليك محبةً فجمعوا ... ورأوا عليك مهابةً فتفرقوا

وطعنت في غرر الكلام بفيصل ... لا يستقل به السنان الأزرق
وأنا القريب إليك فيه، ودونه ... لندى عدوك طود عز أعقب
عطفاً أمير المؤمنين فإننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني ... أنا عاطلٌ منها وأنت مطوقٌ
هذه طريقة لم يسبق إليها، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح! وله من أخرى يدم الزمان،
يفتخر:

توقعي أن يقال قد ظعنا ... ما أنت لي منزلاً ولا وطناً
يا دار قل الصديق فيك فما ... أحس وداً ولا أرى سكناً
كيف يخاف الزمان منصلتٌ ... مذ خاف غدر الزمان ما أماناً
لم يلبس الثوب من توقعه ... للأمر إلا وظنه كفناً
لي مهجّة لا أرى لها عوضاً ... غير بلوغ العلا ولا ثمناً
ما ضرنا أننا بلا جلدٍ ... والبيت والركن والمقام لنا
سوف ترى أن نيل آخراً ... من العلا فوق نيل أولنا
وأن ما بز من مقادمننا ... يخلفه الله في أواخرنا
وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيباً في رأسه وسنة ثلاث وعشرون سنة.
فقال:

عجلت يا شيبُ على مفريقي ... وأي عذرٍ لك أن تعجلاً؟
فكيف أقدمت على عارض ... ما استغرق الشعر ولا استكملاً
كنت أرى العشرين لي جنة ... من كارات الشيب إن أقبلاً
فالآن سان ابن أم الصبا ... ومن تسدي العمر الأطولاً
يا زائراً ما جاء حتى مضى ... وعارضاً ما جاد حتى انجلى
وما رأى الراؤون من قبلنا ... زرعاً ذوي من قبل أن يسبلاً
ليت بياضاً جاعني آخراً ... فدى بياضٍ كان لي أولاً
وليت صباحاً ساءني ضوءه ... زال وأبقى ليله الأليلاً
يا ذابلاً صوح فينانه ... قد آن للذابل أن يخنلى
خط برأسي يققاً أبيضاً ... فكيف من جاوز أو من علا
هذا ولم أعدّ مجال الصبا ... فكيف من جاوز أو من علا
من خوفه كت أهاب السرى ... شحاً على وجهي أن يذلاً
فليتني كنت تسربلته ... في طلب العز ونيل العلا
قالوا دع القاعد يزري به ... من قطع الليل وجاب الفلا

قل لعدولي اليوم عد صامتاً ... فقد كفاني الشيب أن أعذلا
طببت به نفساً ومن لم يجد ... إلا الردى أذعن واستقتلا
وقال من الوزير أبي القاسم علي بن أحمد يستصوب رأيه في الاستتار لأمر أوجه:
تأبى الليالي أن تدبما ... بؤساً بخلق أو نعيما
والمرء بالإقبال يبلغ ... وداعاً خطراً عظيماً
وينال بغيته وما ... أنضى الذميل ولا الرسيما
فإذا انقضى إقباله ... رجع الشفيق له خصيما
وهو الزمان إذا نبا ... سلب الذي أعطى قديما
كالريح ترجع عاصفاً ... من بعد ما بدأت نسима
ذاك الوزير وكان لي ... وزراً أحزبه الخصوما
فالآن أغدو للعدى ... وبنائها غرضاً رجيماً
سدي العلا وأنرا لا ... فض اللقاء ولا ملوماً

حتى إذا لم يبق إلا ... أن يلام وأن يليما
طرح العناء على اللئى ... م مجانباً ومضى كريماً
لم يعتلقه الحبس ممتة ... ناً ولم يعزل ذميما
أفنى العدى وقضى المنى ... وبني العلا ونجا ذميماً
وجه كأن البدر شا ... طره الضياء أو النجوما
لو قابل الليل البهيمى ... م لمزق الليل البهيمى
يجلو الهموم ورب وج ... ه إن بدا جلب الهموما
كان العظيم، وغير بد ... ع منه أن ركب العظيم
والحرّ من حذر الهوا ... ن وحاول الأمر الجسима
بعثوا سواك لها وكا ... ن مبلداً عنها مليما
والعاجز المأفون أق ... عد ما يكون إذا أقيما
فسقى بلادك حيث كن ... ت المرن منبعاً هزيماً
فلقد سقى خدي ذك ... رك دمع عيني السجوما
وقال:

عذيري من العشرين يغمزن صعلقي ... ومن نوب الأيام يقرعن مروتي
ألا لا أعد العيش عيشاً مع الأذى ... لأن رفيق النل حي كميته
تخوفني بالموت والموت راحة ... لمن سل عزمي قلبه مثل همتي
وكم بين ذي أنف حمي وحامل ... موارد قد عودن حمل الأحشة

وقال:

أكابرنا والسابقون إلى العلا ... ألا تلك آسادٌ ونحن شيوخها
وإن أسوداً كنت شبلاً لبعضها ... لحقوقة أن لا يذلّ قبيلها

وقال:

حذفت فضول العيش حتى رددتها ... إلى دون ما يرضى به المتعففُ
وأملت أن أجري خفيفاً إلى العلا ... إذا شئت أن تلحقوا بفتحخفوا
حلفت برب البدن تدمي نحرها ... وبالنفر الأطوار لبوا وعرفوا
لأبتذلن النفس حتى أصوفا ... وغيري قد قيد من الذل يوسفُ
فقد كالما ضيعت فرصة ... وهل ينفع الملهوف ما يتلهف
وإن قوافي الشعر ما لم أكن لها ... مسفسفة فيها عتيقٌ ومقرف
أنا الفارس الوثاب في صهواتها ... وكل مجيد جاء بعدي مردف

وقال:

بنو هاشم عيّ، ونحن سوداها ... على رغم من يأي، وأنتم قذاها
وأعجب ما يأتي به الدهر أنكم ... طلبتم علماً ما فيكم أدواها
وأملت أن تدركوها طوالاً ... دعوها سيسعى للمعالي سعاها
غرس غروساً كنت أرجو لقاحها ... وآمل يوماً أن تطيب جناها
فإن أثرت لي غير ما كنت آملاً ... فلا ذنب لي إن حظلت لخلاها
وقال يرثي أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المربان الكاتب الشيرازي:

أي دموع عليك لم تصب ... وأي قلب عليك لم يجب
ما لي وما للزمان يسلبني ... في كل يوم غرائب السلب
أما فتى ناضر الصبا كأخي ... عندي أو زائد المدى كأبي
وإني للشقاء أحسني ... ألعب بالدهر وهو يلعب بي
ما نمت عنه إلا وأيقظني ... من الرزايا بقليلٍ لجب
في كل جدار تغدو المنون، ومن ... كل الشايات مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد ولل ... فاقد تطول العناء والتعب
أحمد، كم لي عليك من كمدٍ ... باق؟ ومن جود أدمعٍ سرب
ولوعة تحطم الضلوع إذا ... ذكرت قرب اللقاء عن كتب
إن قطع الموت جبلنا فلقد ... عشنا وما جبلنا بمنقضب
كم مجلسٍ صبحته ألسنتنا ... نفضن فيه لطائم الأدب
من أثر يونق الفتى حسنٍ ... أو خير ييسط المني عجب

أو عرضٍ أصبحت خواطرنا ... تساقط الدر منه في الكتب
كالبارد العذب روقته صبا الف ... جر أو الظلم زين بالشنب

غاض غدير الكلام ما بقي ال ... دهر وقرت شقائق الخطب
يا علم المجد لم هويتَ وقد ... كنت أمين العماد والطنب؟
يا مقول الدهر لم صمت وقد ... كنت زماناً أمضى من الشهب؟
يا ناظر الفضل لم غضضت وما ... كنت قديماً تغضي على الريب؟
كنت قريني ولست لي لذة ... كنت نسيبي ولست من نسيبي
مما يقوي العزاء عنك وإن ... شرد قلبي العزاء بالكرب
أنك أحرزتها وإن رغم ال ... دهر ثمانين طلقة الحقب
فإن دموعي جرين فمنها ... علمي أن قد ظفرت بالأرب
فليت عشرين بت أحسبها ... باعدن بين الورود والقرب
إني أظمأ إلى المشيب، ومن ... ينبجُ قليلاً من الردى يشب
إن سرتني طالع البياض أقل ... يا ليت ليل الشباب لم يغب
مرّ على ذلك التراب من الم ... زن خفوق الأعلام والعذب
فتم بشرٌ أصفى من الغلق الع ... ذب وجودٌ أندى من السحب
لا تحسبن الخلود بعدك لي ... إن المنايا أعدى من الحرب
إن أنج منها وقد شربت بها ... فإن خيل المنون في طلبي

ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه. ولما رثى أبا منصور الشيرازي بهذه القصيدة في سنة ثلاث رثى أبا إسحاق الصابي في سنة أربع وثمانين بالقصيدة التي أوردتها في بابه، ثم لما حال الحول وتوفي صاحب في سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة على نسق في ثلاث سنين، رثاه أيضاً بقصيدة سأورد غرورها في مراثي صاحب.

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبي سعيد السيرافي، وكان من الأعيان الأعلام في العربية وما يتعلق بها، وتوفي بعيد صاحب:

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه ... حتى دهانا فيك خطبٌ مضلع
قرحٌ على قرح تقارب عهده ... إن القروح على القروح لأوجع
وتلاحقُ الفضلاء أعدل شاهدٍ ... إن الحمام بكل علقٍ مولع
وقال من أخرى:

يا مصعباً بجنت أيدي المنون به ... فقيد قودٍ ذليل الظاهر مطواع
يسقي أسنته حتى تفيض دماً ... ويهدم العيس من شد وأيضاع
وقال:

هيهات أصبح سمعه وعبانه ... في التراب قد حجبتها أقداؤه
يمسي ولين مهاده حصاؤه ... فيه ومؤنس ليله ظلماؤه
قد قلبت أعبانه، وتنكرت ... أعلامه، وتكسفت أضواؤه
مغفٍ وليس لذة إغفاؤه ... مغضٍ وليس لفكرة إغضاؤه
وجه كلمع البرق غاض وميضه ... قلبٌ كصدر العضب قل مضائه
حكم البلى فيه فلو يلقى به ... أعداءه لرثى له أعداؤه
إن الذي كان النعيم ظلاله ... أمسى يطنب بالعراء خباؤه
قد خف عن ذاك الرواق حضوره ... أبداً، وعن ذاك الحمى ضوضاءه
كانت سوابقه طراز فنائه ... يجلو جمال روائهن رواؤه
ورماحه سفراؤه، وسيوفه ... خفراؤه، وجياده ندماؤه
ما زال يعدو والركاب خذاؤه ... بين الصوارم والعجاج رداؤه
لا تعجبن فما العجيب فناؤه ... بيد المنون، بل العجيب بقاؤه
من طاح في سبل الردى آباؤه ... فليسكن طريقهم أبنائه
ومن قصيدة رثى بها والدته:

أبكيك لو نقع الغليل بكائي ... وأقول لو ذهب المقال بدائي
أعوذ بالصبر الجميل تعزياً ... لو كان في الصبر الجميل عزائي
طوراً تكاثرني الدموع، وتارةً ... آوي إلى أكرومي وحيائي
كم عبرة موهتها بأناملي ... وسترهما متجملاً بردائي
أبدي التجلد للعدو، ولو درى ... بتلملي لقد آتشفى أعدائي
فارقت فيك ضعفت فصارت أنة ... أتمتها بتنفس الصعداء

لهفان أنزو في حبال كربة ... ملكت علي جلادتي وعنائتي
قد كنت أرجو أن أكون لك الفدا ... مما ألم فكنت أنت فدائي
وجرى الزمان على عوائد كيده ... في قلب آمالي وعكس رجائي
وتفرق البعداء بعد مودة ... صعبٌ فكيف تفرق القرباء
وتداول الأيام يلينا، كما ... يلى الرشاء تطاوح الأرجاء
كيف السلو وكل موقع لحظة ... أثرٌ لفضلك خالداً يازائي
وقال:

قل لليلي قد ملكت فأسجحي ... ولغيرك الخلق الكريم الأسجح
إن ساء فعلك في فراق أحبتي ... فلسوء فعلك في عذاري أقبح
ضوءٌ تشعشع في سواد ذوابتي ... لا أستضيء به ولا أستصبح

ومنها:

والذل بين الأقربين مضاضةٌ ... والذل ما بين الأبعد أروح
وإذا رمتك من الرجال قوارصٌ ... فسهم ذي القربى أشد وأجرح
لو لم يكن لي في القلوب مهابةٌ ... لم يطعن الأعداء في ويقدحوا
وقال:

أنا ابن الأناجب من هاشمٍ ... إذا لم تكن نجبٌ من نجبٍ
ثلاثُ برودهم بالرماح ... وتلوى عمائمهم بالشهب
عتاق الوجوه، وعتق الجيا ... د في الضمر تعرفه والقيب
يشف الوضاء خلال الشحو ... ب منها وخلف الدخان اللهب
وقال:

الراح والراحة ذل الفتى ... والعز في شرب ضريب اللقاح
ما أطيب الأمر ولو أنه ... على رزايا نعم في المراح
وقال وأجاد:

ستعلمون ما يكون مني ... إن مد من ضبعي طول سني
أأدع الدنيا ولم تدعني ... وسعت أيامي ولم تسعني
أفضل عنها وتضيق عني وقال من أخرى:
تجاذبني يد الأيام نفسي ... ويوشك أن يكون لها الغلابُ
نمضت وقد قعدن بي الليالي ... فلا خيلٌ أعز ولا ركاب
وما ذنبي إذا اتفقت خطوبٌ ... مغاضبةٌ وأيامٌ غضاب
وبعض العدم ماثرةٌ وفخرٌ ... وبعض المال منقصةٌ وعاب
بناني والعنان إذا نبت بي ... ربي أرضٍ ورجلي والركاب
سواء من أقلّ التراب منا ... ومن وارى معالمة التراب
كأنه من قول ابن نباته: ومن لبس التراب كمن علاه رجع:
وإن مزايل العيش اختصاراً ... مساوٍ للذين بقوا فشابوا
وأولنا العناء إذا طلعتنا ... إلى الدنيا، وآخرنا الذهاب
وإن مقام مثلي في الأعادي ... مقام البدر تنبحه الكلاب
رموني بالعيون ملفقاتٍ ... وقد علموا بأني لا أعاب
وأني لا تدنسني المخازي ... وأني لا تروعي السباب
ولما لم يلاقوا في عيباً ... كسوني من عيوبهم وعابوا
وقال:

سأبدل دون العز أكرم مهجةٍ ... إذا قامت الحرب العوان على رجلٍ

وما ذاك أن النفس غير نفيسة ... ولكن رأيت الجبن ضرباً من البخل
وما المكروهون السمهرية في الطلى ... بأشجع ممن يكره المال بالبذل
وقال في ذم بعض الناس:

الله يعلم ميلي عن جنابكم ... ولو تناهيت لي في البر واللطف
فكيف بي وعلى عينيك ترجمة ... من الحقود وعنوان من السرف
أخذه من قول البحتري:

وفي عينيك ترجمة أراها ... تدل على الضغائن والحقود
رجع:

أطوف منك بوجه غير ملتفت ... إلى المناجي وعطف غير منعطف
فما أغبك من عذر ولا شغل ... ولا أزورك من وجد ولا شغل
لا قلس الله نفساً منك جامعة ... كيد البغال وحقد الخلد والسرف
ولا سقى الغيث داراً أنت ساكنها ... إلا بأغير ناري النرى قصف
وقال:

زللت من موقفي على طلل ... بال فمن عاذري من الطلل
لما تأملت قبح صورته ... رجعت أبكي دماً على أُملي

وجه كظهر الجن مسترق ال ... حسن وأنف كغارب الجمل
وقال في الخليفة القادر بالله:

تخطينا الصفوف إلى رواق ... تحجب بالصوارم والرماح
وحبينا عظيماً من قريش ... كأن جبينه فلق الصباح
عليه سيماء المجد يبدو ... وعنوان الشجاعة والسماح
وقال في أبي الحسن النصيح، وقد لأمه في تأخره عنه:

أكافينا النصيح بقي ... ت فينا دائماً أبدا
تحت إلى العلا قدماً ... وتبسط بالنوال يدا
لئن حرقني عدلاً ... لقد نوهت بي صعدا
علي طروق داركم ... وليس علي أن أردا
أخذه من قول منصور:

علي أن أزورك ... وليس علي أن أصلا
وقال من التقارب:

أبيحك بيع الأدم النغل ... وأطوي ودادك طي السجل
وأفرض ثملك عن عاتقي ... فقد طالما آذيتني يا جبل

قوارص لفظٍ كحز المدى ... وشزرات الحظ كوقع الأسل
وإن أذل الأذلين من ... يروم بوضع النساء الدول
وقال:

يا ليلةً كرم الزما ... ن بها لو أن الليل باقي
كان اتفاقاً بيننا ... جارٍ على غير اتفاق
فاستروح المشتاق من ... زفرات هم واشتياق
واقصص للحقب الموا ... ضي بل تسلف للبواقي
حتى إذا نسمت ربا ... ح الصبح تؤذن بالفراق
برد السوار لها فأح ... ميت القلادة بالعناق
وله في وزير بذل مالاً كثيراً حتى الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك:
اشتر العز بما بي ... ع فما العز بغال
بالقصار الصفر إن شئ ... ت وبالسمر الطوال
ليس بالمغبون حظاً ... مشتر عزاً بمال
إنما يدخر الما ... ل لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأ ... موال أثمان المعالي
وقال:

يا عذبة الميسم بلي الجوى ... بنهلة من ريقك البارد
أرى غديراً شماً ماؤه ... بادٍ فهل للماء من وارد
من لي بذاك العسل الذائب ال ... جاري خلال البرد الجامد
وقال:

وسألت لما طالت الحرب بيننا ... إذا لم تظفر في الحروب فسالم
وقال:
لنا الدوحة العليا التي نرعت لها ... إلى المجد أغصان الجدود الأطايب
إذا كان في جو السماء عروقتها ... فأين عواليها وأين الذوائب؟
وله في غلام أعجمي:

حبيبي ما أزرى بحبك في الحشا ... ولا غض عندي منك أنك أعجم
بنفسي من يستدرج اللفظ عجمةً ... كما يعضغ الظبي الأراك ويغهم
وقال:

كما المقام على جيلٍ سواسيةٍ ... ترجو الندى من إناءٍ قط ما رشحا
تشاغل الناس باستدفاع شرهم ... عن أن تسومهم الإعطاء والمنحا
وقال:

وهاً على عهد الشباب وطيبه ... والغض من ورق الشباب الناضر
وهاً له ما كان غير دجنة ... قلصت صبايتها كظل الطائر
وأرى المنايا إن رأت بك شبيبة ... جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدي ذاك السواد فديته ... بسواد عيني بل سواد ضمائري
أبياض رأس واسوداد مطالب؟ ... صبراً على حكم الزمان الجائر!
وكان عمل قصيدة في بهاء الدولة وأنفذها إليه، فنبهه بعض الحساد إلى الترفع عن إنشادها، فقال:
جناني شجاعٌ إن مدحت، وإنما ... لساني إن نسيم النشيد جبانٌ
وما ضر قوالاً أطاع جنانه ... إذا خانه عند الملوك لسان
ورب حي في السلام وقلبه ... وقاحٌ إذا لف الجياد طعان
ورب وقاح الوجه تحمل كفه ... أنامل لم يعرق بمن عنان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيد ... ويروي فلان مرةً وفلان
وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال:
إن أنشب الخطب فلا روعةً ... أو عظم الأمر فصبرٌ جميل

فليهون المرؤ بأيامه ... أن مقام المرء فيها قليل
إنا إلى الله وإنا له ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

القسم الثالث من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو يشتمل على

ملح أشعار أهل الجبال وفارس

وجرجان وطبرستان

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه، وأسأله شكر نعمائه، وأصلي على محمد المصطفى المختار، وأله وصحبه الأطهار.
وبعد، فلما تم القسم الثاني من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل
الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الدبلوماسية وكتابها وقضاها وشعرائها، وسائر فضلائها
وغربائها، وما ينضاف إليها من أخبارهم، وغرر ألفاظهم.

الباب الأول

في ذكر ابن العميد

وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره

من نشره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوجد العصر في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة، وآلات الوزارة، والضارب في الآداب بالسهم الفائزة، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ، والرئيس، يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها، إلى براعة المعاني ونفاستها. وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب - وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها - بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد. وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. وقد أجرى ذكرهما معاً مثلاً أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قصيدة فريدة مدح بها الصاحب، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ما شاء:

دعوا الأفاضل والأنباء ناحية ... فما على ظهرها غير ابن عباد

والي بيان متى يطلق أعنته ... يدع لسان إياد رهن أقياد

ومورد كلمات عطلت زهراً ... على رياض ودرأ فوق أجياد

وتارك أولاً عبد الحميد بها ... وابن العميد أخيراً في أبي جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلاله، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق: ؟ألقي أباه بذاك الكسب يكتسب لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكلة في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان.

وذكر أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل، وعندي أن هذا الحكم من أبي إسحاق فيه حيف شديد على ابن العميد، والقاص لا يجب القاص. ومن خبر أبي عبد الله أن أصله من قم، وكان يكتب لما كان بن كاكي، فلما قتل ما كان من المعركة واستبيح عسكره، وحمل قواده وخواصه مقرنين في الأصفاة إلى الحضرة ببخارى، وفي جملتهم أبو عبد الله نفعته شفاعة فضله ونبله. فأطلق عنه وأكرم ورتب في الدار السلطانية. ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر. ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير، فقال فيه:

تظلم ديوان الرسائل كله ... إلى الملك القرم الهمام وحق له

من أبيات أنسانيها تطاول المدة بها، واستعجم علي مكانها، وكان إذا ذاك أبو القاسم علي بن محمد النيسابوري الإسكافي يكتب في ديوانه، ويرى نفسه أحق برتبته ومكانه، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه، ويقعد مقعده. وله فيه أبيات تستظرف وتستلمح، فمنها قوله:

وقاتل ماذا الذي ... من كلة تطلبه

قلت له أطلب أن ... يقلب منه لقبه

وقوله فيه، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس على قدمه:

يا ذا الذي ركب المحف ... ة جامعاً فيها جهازه

أرى الإله يعيشني ... حتى يرينيها جنازة

وقوله فيه، وقد أستوزر والديوان برسمه:

قول وقد سرنا وراء محفة ... وفيها أبو عبد الإله كسيرا

شقاؤك من شكواك ثم شقاؤنا ... من أيام سوء قدمتك وزيرا

ترقيق من هذي الخفة حية ... إلى العش محمولاً تصر صريرا

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته، ووافت أبا القاسم أمنيته، وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأعجب من بعده، ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس. يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام فضلاً وبراعة، حتى بلغ ما بلغ، واستقر في الدورة العليا من وزارة ركن الدولة، ورياسة الجبل، وخدمة الكبراء، وانتجعه الشعراء، وورد عليه أبو الطيب المتبي عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي، فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التي منها:

من مبلغ الأعراب أني بعدهم ... شاهدت رسطاليس والإسكندرا

وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكاً مبتدياً متحضرا

ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً ... وأتى فذلك إذا أتيت مؤخراً

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ... ثمنٌ تباع به القلوب وتشتري

قطف الرجال القول وقت نباته ... وقطفت أنت القول لما نورا

ومدحه صاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده، وألقى حميته، فمن عيون شعره فيه قوله من قصيدة:

ن لقب يهيم في كل واد ... وقتيل للحب من غير واد

إنما أذكر الغواني والمقص ... د سعدي مكثراً للسواد

وإذا ما صدقت فيه مرامي ... ومنائي وروضتي ومرادي

وندى ابن العميد إني عميدٌ ... من هواها ألية الأمجاد

لو درى الدهر أنه من بنيه ... لازدرى قدر سائر الأولاد

و درى الدهر أنه من بنيه ... لازدرى قدر سائر الأولاد

أو رأى الناس كيف يهتز للجو ... د لما علدوه في الأطواد

أيها الآملون خطوا سريعاً ... يرفع العماد واري الزناد

فهو إن جاد ضن حاتم طي ... وهو إن قال قل قسُّ إيد

وإذا ما ارتأى فأين زيادٌ ... من علاه وأين آل زياد

قبل العيد يستعير حلاه ... من علاه العزيزة الأنداد

سيضحى فيه لمن لا يوالي ... ه ويبقى بقية الأعياد
ومديحي إن لم يكن طال أيبا ... تأ فقد طال في مجالي الجياد
إن خير المداح من مدحته ... شعراء البلاد في كل ناد
ما أحسن ما أدمج الافتخار في أثناء المدح! وإنما ألم فيه بقول يزيد بن محمد المهلبى لابن المدبر:
إن أكن مهدياً لك الشعر إني ... لابن بيت تهدى له الأشعار
ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان:
قدم الرئيس مقدماً في سبقه ... وكأنا الدنيا جرت في طرقة
فجبالها من حلمه، وبحارها ... من جوده، ورياضها من خلقه
وكأنا الأفلاك طوع يمينه ... كالعبد منقاداً للملك رقة
قد قاسمته نجومها: فنحوسها ... لعدوه، وسعودها في أفقه
ما زلت مشتاقاً لنور جبينه ... شوق الرياض إلى السحاب وودقه
حتى بدا من فوق اجرد سابح ... إن قال فت الريح فاه بصدقه
يحكي السحاب طلوعه فصيله ... من رعله ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله ... وسجدت شكراً لا فهوض بحقه
وقوله:

قالوا: ربيعك قد قدم ... فلك البشارة بالنعم
قلت: الربيع أخو الشتا ... ء أم الربيع أخو الكرم؟
قالوا: الذي بنواله ... يغني المقل عن العدم
قلت: الرئيس ابن العمي ... د إذا؟ فقالوا لي: نعم!
وقوله:

أما ترى اليوم كيف جادلنا ... بمستهل الشؤبوب منسجمه
يحكى أبا الفضل في تفضله ... هيهات أن يعتزى إلى شيمه
كم حاسدٍ لي وكنت أحسده ... يقول من غيظه ومن ألمه:
نال ابن عباد المنى كمالاً ... إذ عده ابن العميد من خدمه
وقوله في توديعه:

أودع حضرتك العالية ... ونفسي لا دمعتي هاميه
ومن ذا يودع هذا الجنب ... فتهنؤه بعده العافية
جنباً رعيت به جنة ... قطوف مكارمها دانيه
رأيت به فائضات العلا ... وعلمت ما للهمم العاليه
كأني بغداد في شوقها ... إليك وأدمعها الجاريه

وأنت المرجى لإظفارها ... بآمالها وبآماليه
ولو كنت تأذن لي في المسير ... إذا سرت في جملة الحاشيه
سبقت جوادك مدّ الطريق ... وسرت وفي يدي الغاشيه
ولابن خلاد القاضي فيه مدح تشوبها ملح، كقوله:
بأسعد طالع عيّدت يا من ... بطلعته سعادة كل عيد
فعش ما شئت كيف تشاء والبس ... جديد العمر في زمن جديد
فقد شهدت عقول الخلق طراً ... وحسبك بالبصائر من شهود
بأن محاسن الدنيا جميعاً ... بأفنية الرئيس ابن العميد
ولأبي الحسن البديهي فيه من قصيدة:
إذا اعتمدتني خطوب الزمان ... وكان اعتمادي على ابن العميد
تذكرت قربي من قلبه ... فيمته من مكان بعيد
تجاوز في الجود حد المزيد ... وجل نداه عن المستزيد
وفات الأنام، وفاق الكرام ... برأي سديد، وبأس شديد
ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبي علي بن مسكويه له عند انتقاله إلى قصر جديد بناه:
لا يعجبك حسن القصر تنزله ... فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ... ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
وأنشده ابن أبي الشباب في يوم مهرجان قصدية في مدحه أولها:
أقبر لنا طالت ثراك يد الطل ... وحيأ الحيا المسكوب ذلك من ثل
نعيم فقدناه فما نرتجي له ... معاودة إلا بفضل أبي الفضل
ودخل أبو بشر الفارسي الحافظ - وكان متقدماً في علم العربية، متأخراً في قول الشعر - عيه يوماً، وقد
هاج به النقرس أنشده:
شكى النقرس نقريس ... أخو علم ونطيس
فما دام لكم قوس ... فنفسي لكم جوس
فقال له: يا أبا بشر، هذه رقية النقرس.
ولا غنى لهذا الشرع عن التفسير، النقريس: الداهية، الحاذق من الأدلاء، والنطيس: الفطن بالأمور العالم
بها، وأنشد:
وقد أكون مرة نطيساً ... طباً بأدواء النسا نقريسا
والقوس: صومعة الراهب، الجوس: جمع جايس، والجوسان: التردد، وفي القرآن (فجاسوا خلال الديار).
ومن أمثل شعر أبي بشر قوله:
وأني لا أكره من شيمتي ... زيارة حي بلا منفعه
ولا أحمد القول من قائل ... إذا لم يكن منه فعل معه

ومن ضاق ذرعاً يكرامنا ... فلسنا نضيق بان نقطعه
وكان كل من أبي العلاء السروي، وأبي الحسن العلوي العباسي، وابن خلاد القاضي، وابن سمكة القمي،
وأبي الحسين بن فارس، وأبي محمد بن هندو، يختص به ويدخله ويناديه حاضراً، ويكاتبه ويجاوبه ويهداه
نثراً ونظماً، ويقال: إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كانت به أبا العلاء، لصدوره عن صدر مائل إليه
محب له مناسب بالأدب إياه.

فصول من رسائله

فصل من رسالة له إليه في شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابي - جعلني الله فداك - وأنا في كد وتعب، ومنذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان، وفي
العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم. ومرقن بتضاعف حرور لو أن اللحم يصلى
بعضها غريضاً أتى أصحابه وهو منضج، وممتحن بمواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ويصرف وجه
الحرباء عن التحنق، ويزويه عن التبصر، يقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق:
ويترك الجاب في شغلٍ عن الحقب ... ويقدح النار بين الجلد والعصب
ويغادر الوحش وقد مالت هواديه:
سجوداً لدى الأرقطى كأن رؤوسها ... علاها صداغٌ أو فواقٌ يصورها
وكما قال الفرزدق:
ليومٍ أتت دون الظلال شموسه ... تظل المها صوراً جاجمها تغلي
وكما قال مسكين الدارمي:

وهاجرةٌ ظلت كأن ظباءها ... إذا ما اتقتها بالقون سجودُ
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها ... كما لاذ من وخز السنان طريد
ومنو بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً، وليال كإبهام القطاة قصراً، ونوم كلاً ولا قلة، وكسحو الطائر من ماء
الشماد دقة، وكتصفية الطائر المستحرق خفة:
كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً ... فلما رجوها أقشعت وتجلت
وكنقر العصافير وهي خائفةٌ ... من النواطير يانع الرطب
وأحمد الله على كل حال، وأسجله أن يعرفني فضل بركته، ويلقبني الخير في باقي أيامه وخاتمته، وأرغب إليه
من أن يقرب على القمر دوره، ويقصر سيره، ويخفف حركته، ويعجل نهضته. يقض مسافة فلكه ودائره،
ويزيل بركه الطول من ساعاته، ويرد علي غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرها لعيني، ويسمعي النعرة
في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر، وأظلم من الكفر، وأنحف من مجنون بني عامر،
وأضنى من قيس بن ذريح، وأبلى من أسير الهجر، ويسلط عليه الحور بعد الكور، ويرسل على رفاقته التي

يغشى العيون ضوءها. ويحيط من الأجسام نوؤها، كلفا يعمرها، وكسوفاً يسترها، وبريقه مغمور النور، مغمور الظهور، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة. وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طرف الزند، ويبعث عليه الأرضة، ويهدي إليه السوس، ويغري به الدود، ويليه بالفار ويخترمه بالجراد، ويبيده بالنمل، ويححفه بالذر، ويجعله من نجوم الرجم، ويرمي به مسترق السمع. ويخلصنا من معاودته، ويريحنا من دورته، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتتح بضوئه وفتك بطلوعه ويرحم الله عبداً قال آمينا وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه، وأستغفیه من توفيقی لما يذمه، وأسأله صفحاً يفيضه، وعفواً يسيغه، وحالي بعد ما شكوته صالحة، وعلى ما تحب وتهوى جارية، والله الحمد تقدست أسماؤه والشكر.

وقد أجمع أهل البصرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه، وواسطة عقد وما ظنك بأجود كلام، لأبلغ إمام؟

فصل من أولها

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك، ولأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويتقضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية. وأذن ذلك يحبط أعمالكن ويمحق كل ما يرمى لك، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك، وميل عليك: أقدم رجلاً لصلمك. وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك، وأنني ثانية لاستبقائك واستصلاحك، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك، ضناً بالنعمة عندك، ومنافسة في الصنعة لديك، وتأميلاً لفيتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك، فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحرز ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة إلى انجلاء.

وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياً، فلا بدع أن تأتي من إحسانك. ما لا ترتقبه أعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركب ما ركب، واخترت ما اخترت. فلا عجب أن تنبيه انتباهاً تبصر فيها قبح ما صنعت، وسوء ما آثرت. وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماثلة ما صلح، وعلى الاستياء والمطاولة ما أمكن، طمعاً في إنايتك، وتحكماً لحسن الظن بك، فلست أعدم فيما أظاها من أعدار، وأرادفه من إنذار، احتجاجاً عليك واستدراجاً لك، فإن يشأ الله يرشدك، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

فصل منها

وزعمت أنك في طرف من الطاعة، بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها، وحلبت شطريها. فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك. كيف وجدت ما زلت عنه؟ ويكف تجد بليل، وهواء عذى وماء روي، ومهاد وطي، وكن كين، ومكان مكين، وحصن حصين. يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف. ويكفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثنان، عززت به بعد الذلة، وكثرت بعد القلة، وارتفعت بعد الضعة، وأيسرت بعد العسرة، وأثريت بعد المتربة، واتسعت بعد الضيقة، وظفرت بالولايات، وخفقت فوقك الرايات، ووطئ عقبك الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكاثر ويكاثر بك، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك، وفي الحاضر ذكرك. فقيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عدت، والخلف مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفك، وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك؟ أظل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللمب؟ قل نعم! كذلك، فهو والله أكتف ظلالك في العاجلة، وأروحها في الآجلة، إن أقمت على الخايدة والعود، ووقفت على المشاقة والجحود.

ومنها - تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي، فستكرها، والمس جسدي، وانظر هل يحس؟ واجسس عرقك هل ينبض؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح، أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهدمه، وآخر شأنك بأوله. قال مؤلف هذا الكتاب: بلغني عن بلكا - وكان أدب أمثاله - أنه كان يقول: والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس، ولقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أدبي واستصلاحي، وردى إلى طاعة صاحبه.

أقراني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي - وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبي العباس. الفضل بن علي - فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة، وكتبت مررت عليه وأنا عنه غافل، فنبهني على شرفه في جنسه، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه متعجباً من نفاسة معناه، وبراعة لفظه، وهو: قد يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها. وانتقاض مررها. والأحوال الداعية إلى ارتفاع جل الموجود منها، وعدم الزيادة فيها: الطوفان بالنار والماء، والموتان العارض من عموم الأوباء، وتسلب المخالفين في المذاهب والآراء، فإن كل ذلك يحترم العلوم احتراماً. وينتهكها انتهاكاً، ويبحث أصولها اجتناباً، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته، وتتسع قدرته. فإن البلاء به لا يعد له بلاء، وبحسب عظم الحنة بمن هذه صفته، والبلوى بمن هذه صورته، تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل، كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملئى طرفها، ومجتمع فرقها، وهو نور، نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه، وشرذ نوازع حيث حلت حتى تقع عليه. تتلفت إليه تلفت الواثق وتتشوف نحوه نوازع حيث حلت حتى تقع عليه. تتلفت إليه تلفت الواثق وتتشوف نحوه تشوف الصب العاشق. قد

ملكيتها وحشة المضاع، وحيرة المرتاع:
فإن تغش قوماً بعده أو تزورهم ... فكالوحش يدينها من الأنس الخلُ

وهذا فصول قصار له تجري مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجها الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، من غرره وفقره، وكفاني شغلاً شاغلاً، وقادني منه شكره، وليست تنكر أياديه عندي.
فمنها: من أسر داءه، وستر ظمأه بعد عليه أن ييل من غلله وييل من علل متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى، وصفا فيه شرب من اعتراض قدى خير القول ما أغناك جده، وأهلك هزله الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرّب، ولا تدرك إلى بتجشم كلفة وتصعب المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه، هل السيد إلا من تمابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدير اجتنب سلطان الهوى، وشيطان الميل، وغلبة الإرادة المزح والهزل بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر.

مكاتباته الشعرية مع ابن جلاد القاضي

ما أخرج من المكاتب بالشعر التي دارت بينه وبين ابن جلاد القاضي

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة، وكبت إليه في وصفها، وابن العميد إذا ذاك في عقب مرض عرض له، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها:
قل لابن خلاد المفضى إلى أمد ... في الفضل برز فيه أي تبريز
يعدى اهتزازك للعلياء كل فتى ... مؤخر عن مدى الغايات محجوز
ماذا أردت إلى منهوض نائبة ... مدفع عن حمى اللذات ملهوز
هزرت بالوصف في أحشائه قرماً ... ما زال يهتز فيها غير مهزوز
لم يترك فيه فحوى ما وصفت له ... من الأطايب عضواً غير محفوز
أهديت نبرمةً أهدت لأكلها ... كرب المطمير في آب وتموز
نبرمة هكذا في النسخة، ولست أعرفها، وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب، ويدق ويعجن بحلاوة.
ما كنت لولا فساد الحسن تأمل في ... جنس من السمن في دوشاب شهريز
هل غير شتى حبوب قد تعاورها ... جيش المهاريس أو نخز المناخير
رمت الحلاوة فيها ثم جئت بما ... تحذى اللسان بطعم جد ممزوز
لو ساعدتك بنو حواء قاطية ... عليه ما كان فيهم غير ملموز
أوقعت للشعر في أوصافها شغلاً ... بين القصائد تروى والأراجيز
لا أحمد المرء أقصى ما يوجد به ... إذا عضرناه أصناف الشواريز

ما متعة العين من خد تورده ... يزهي عليك بخال فيه مركوز
مستغرب الحسن في توشيع وجنته ... بدائع بين تسهيم وتطرين
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت ... يسراه بالكأس أو يمناه بالكوز
أشهى إليك من الشيراز قد وضحت ... في صحن وجنتها خيلان شونيز
وقد جرى الزيت في مثنى أسرها ... فصارعت فضة تغلى بأبريز
ماذا السماح بتقريط وتزكية ... وقد بخلت بمذخور ومكوز
ومنها

لا غرو إن لم ترح للجود راحته ... فالبخل مستحسن في شيمة الخوزى
هكذا في النسخة، وأظن أنه لم ترح للجود رائحة.
فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها:

يا أيها السيد السامي بدوحته ... تاج الأكاسر من كسرى وفيروز
أتى قريضك يزهي في محاسنه ... زهو الربى باشرت أنفاس نيروز
يا حسنه لو كفينا ين ييهجنا ... خطب النبارم فيه والشواريز
أقررت بالعجز والألباب قد حكمت ... به علي فقدك اليوم تعجيزي
جوز قريض في بحر القريض فكم ... من قائل عد قوالاً بتجويز
إن عدت في حلبة تجري بها طمعاً ... إني لأشجع من عمرو بن جرموز
إنما لمن معشر حطوا رحالمهم ... لما استيروا على أسطمة الخوز
لا نعرف الكسم والطرذين يوم قرى ... ولا الغبوق على لحم وخاميز
وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً في الأطعمة. وابن العميد ناقه من علة كانت به، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة
منها:

فهمت كتابك في الأطعمة ... وما كان نولي أن أفهمه
فكم هاج من قرم ساكن ... وأوضح من شهوة مبهمه
وأرث في كبدي غلة ... من الجوع نيرانها مضرمه
فكيف عمدت به ناقهاً ... جواحه للطوى مسلمه
خفوق الحشى إن تصخ تستمع ... من الجوع في صدره همهمه
تتيح له شرهاً موجعاً ... وتغري به نمة مؤله
وأين تكرمك المستفي ... ض فينا إذا غاضت المكرمه
وهلا أضفت إلى ما وصف ... ت شيئاً نهمش لأن نطعمه
بمد الصديق إليه يداً ... إذا ما رآه ويشجى فمه
وأين سواريزك المرتضاة ... إذا ما تفاضلت الأطعمة
وأين كواميخك المجتباة ... ة دون الأطايب بالكرم

وهل أنت راضٍ بقولي إذا ... ذكرت: دعوه فما لأمه!
إذا المرء أكرم شيرازه ... فلا أكرم الله من أكرمه

وكيف ارتقابي بقياً امرئ ... إذا ليم أعجب النبرمه
فإذا كان يجذبك نعت الطعام ... إذا الجوع ناب أذاه فمه
إذا جعت فاعمد لمسموطة ... بجوذاة الموز مستفرمه
متى قستها بالمتى جاءت ... سواءً كما جاءت الأبلمه
وبز السرايل عن أفرخ ... تحال بها فلذ الأسنمه
تعب النفوس إلى ذاقه محه ... ولا الطبع إن زاره استوحه
ودونك وسطاً أجاد الصنا ... ع تلفيق شطريه بالهنده
وعالي على دفه هيدبا ... كثيفاً كما تحمل المقرمه
ودنر بالجوز أجوازه ... ودرهم باللوز ما درهمه
وقاني بريتونها والجبن ... صفائح من بيضة مدعمه
فمن أسطر فيه مشكولة ... ومن أسطر كتبت معجمه
وفوف بالقل أعطافه ... فوافي كحاشية معلمه
موشى تحال به مطرفاً ... بديع التفاويف والنمنمه
إذا ضاحكتك تباشيره ... أضاءت له المعدة المظلمه
وهاك خبيصاً إذا ما اقترحت ... على العبد إنعامه أنعمه
إذا سار في ثغرة سدها ... أو انساب في خلل لأمه
فإن شئت فادخل به مفرداً ... إن شئت فادع إليه له
وإيك تقدم ما قد بنا ... ههدماً وتنقض ما أبرمه
فإن لم تجد ذاك يجدي عليك ... إذا ما سغبت فقل لي له
تعد من الجود وصف الطعام ... ولست تقول بأن تطعمه
وتحظر ما قد أحل الإله ... ضراراً وتطلق ما حرمه
فهل نزلت في الذي قد شرعت ... على أحد أية محكمه
وهل سنة فيه مأثورة ... رواها لأشياحكم علقمه
وقلت تواصلوا بصبر جميل ... فأين ذهبت عن المرحمه
ومن عجب حاكم ظالم ... يرجى ليحكم في مظلمه
فأجابه ابن خلاد بقصديه منها:

هلم الصحيفة والمقلمه ... وأدن الحيرة المفعمه
لأكتب ما جاش في خاطري ... فقد عظم الخوض في النبرمه

وعجل علي بهذي وذى ... فإني من الخوض في ملحمه
ألا حبذا ثم يا حبذا ... كتابي المصنف في الأكهمه
كفانا به الله ما راعنا ... بعله سيدنا المؤله
أطاب الحديث له في الطعام ... ففتق شهوته المبهمه
وعاد بأوصافه للغذاء ... وطاب لنا شكر من سلمه
ومن يشكر الله يعط المريد ... كما قال الأعمش من خيثمه
أيا ذا الندى والحجى والعلا ... ومن أوجب الدين أن نعظمه
لئن كان نبرمتي أفسدت ... ولم تأت صنعتها محكمه
فسوف يزورك شيرازنا ... فنقسم بالله أن تكرمه
يميس بشونيزه كالعرو ... س يخطر في الحلة المسهمه
ويطل وسط مسموطه ... وجوذايه عندها محكمه
ويزهى الخوان بتقديمه ... عليه ويحمد من قدمه
ويرمز إخواننا دونه ... كأنّ تحاورهم زمزمه

ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات، وهي من مشهور شعره وجيده:
أشكو إليك زماناً ظل يعركني ... عرك الأديم ومن يعدى على الزمن
وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته ... دهرأ فغادرني فرداً بلا سكن
هبت له ريح إقبال فطار بها ... نحو السرور وألجاني إلى الحزن
نأى بجانيه عني وصيرني ... من الأسى ودواعي الشوق في قرن
وباع صفو ودادٍ كنت أقصره ... عليه مجتهداً في السر والعلن
وكان غالى به حيناً فأرخصه ... يا من رأى صفو ود بيع بالغبن
كأنه كان مطوياً على إحن ... ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن
وكتب إلى بعض إخوانه هذه القصيدة، ليعرضها على أبي الحسن العباسي، وهي سائرة في الآفاق، وكأنه قد
جمع فيها أكثر إحسانه، فقال:

قد ذبت غبر حشاشة وذماء ... ما بين حر هوى وحر هواء
لا أستفيق من الغرام ولا أرى ... خلواً من الأشجان والبرحاء
وصروف أيام أقمن قيمتي ... بنوى الخليط وفرقة القرناء
ومثير هيج لا يشق غباره ... فيما خباه مهيج الهيجاء

وجفاء خل كنت أحسب أنه ... عوني على السراء والضراء
ثبت العزيمة في العقوق ووده ... متقل كتنقل الأفياء
ذي ملة يأتيك أثبت عهد ... كالخط يرقم في بسيط الماء
أبكي ويضحكه الفراق ولن ترى ... عجماً كحاضر ضحكه وبكائي
نفسى فداؤك يا محمد من فتى ... نشوان من أكرومة وحياء
كأس من الشيم التي في ضمنها ... درك العلا عار من العوراء
عذب الخلاق قد أحطت بخبره ... وبلوته في شدة ورخاء
وبلوت حاله معاً فوجدته ... في العود أكرم منه في الإبداء
أبلغ رسالتي الشريف وقل له ... قدك اتب أريت في الغلواء
أنت رسالتي الشريف وقل هل ... قدك اتب أريت في الغلواء
أنت الذي شئت شمل مسرقي ... وقدحت نار الشوق في أحشائي
وجعت بين مساعتي ومسرقي ... وقرنت بين مبرقي وجفائي
ونبت حقي عشري ومودتي ... وهرقت مائي خلتي وإخائي
وثبت آمالي على أدراجها ... ورددت خائبة وفود رجائي
فرجعت عنك ما يؤوب بمثله ... راجي السراب بفقرة بيداء
وعرضت ودي بالحقير ولم أكن ... ممن يباع وداده بلفاء
ورضيت بالثمن اليسير معوضة ... مني، فهلا بعثني بغلاء
وزعمت أنك لست تفكر بعدما ... علقت يدك بذمة الأمراء
هيهات لم تصدقك فكرتك التي ... قد أوهمت غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد ... أرضاً ولا أرضاً بغير سماء
وسألتك العتي فل ترني لها ... أهلاً، وجئت بغدره الشوها
وردت موهة ولم يرفع لها ... طرف ولم ترزق من الإصغاء
وأعار منطقتها التذمم سكتة ... فتراجعت تمشي على استحياء
لم تشف من كمد، ولم تبرد على ... كبد، ولم تمنح جوانب داء
من يشف من داء بأخر مثله ... أثرت جوانحه من الأدواء
داوت جوى بجوى، وليس بحازم ... من يستكف النار بالحلفاء
لا تغتتم إغضاءتي فلعلها ... كالعين تضئها على الأقداء
واستبق بعض حشاشتي فلعلني ... يوماً أقيك بها من الأسواء
فلو أن ما أبقيت من جسمي قذى ... في العين لم يمنع من الإعفاء
نظيره قول المتبي:

ولو قلم ألقيت من شق رأسه ... من السقم ما غيرت من خط كاتب

رجع:

فلئن أرحمت إلي غارب سلوقي ... ووجدت في نفسي نسيم عزاء
لأجهزن إليك قبح تشكر ... ولأنثرن عليك سوء ثناء
ولأكسونك كل يوم حلة ... متروعة من حية رقصاء
ولأعضلن مودتي من بعدها ... حتى أزوجهها من الأكفاء
وكتب إلى العلوي:

يا من تخلى وولى ... وصد عني وملا
وأوسع العهد نكتاً ... وأتبع العقد حلاً
ما كان عهدك إلا ... عهد الشبية ولى
أو طائفاً من خيال ... ألم ثم تولى

أو عارضاً لاح حتى ... إذا دنى فتدلى
ألوت به نسماً ... من الصبا فتجلى
أهلاً بما ترتضيه ... في كل حال وسهلاً
ليجزينك ودي ... بمثل فعلك فعلاً
إن شئت هجراً فهجراً ... أو شئت وصلاً فوصلاً
صبرت عني فانظر ... ظفرت بالصبر أم لا
إني إذا الخل ولى وليته ما تولى
وكتب إلى أبي محمد بن هندو، وقد أهدى له مداداً ارتضاه:

يا سيدي وعمادي ... أمددتني بمداد
كمسكينك جميعاً ... من ناظري وفؤادي
أو كالليالي اللواتي ... رميننا بالبعداد
وكتب إلى أخيه أبي الحسن بن هندو صبيحة عرسه:
أنعم أبا حسن صباحاً ... وازداد بزوجتك ارتياحاً
قد رضت طرفك خالياً ... فهل استلنت له جماحاً؟
وقدحت زندك جاهداً ... فهل استنبت له انقداحاً؟
وطرقت منغلقاً فهل ... سنى الإله له انفتاحاً؟
قد كن أرسلت العيو ... ن صباح يومك والوراحا
وبعثت مصغيةً تي ... ت لديك ترتقب النجاحا
فعدت علي بجملة ... لم تولني إلا افتضاحا
وشكت إلي خلاخلاً ... خرساً وأوشحةً فصاحا

منعت وساوسها المسا ... مع أن تحس لكم صياحا
وهذه الأبيات بديعة في فنها، ولم أسمع أملح منها في معناها، إلا قول صاحب وهو أقرب من التصريح
وأظرف، وأبيات ابن العميد أجزل وأخفى، وأدخل في باب الكناية والتعريض:
قلبي على الجمرة يا أبا العلا ... فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل فككت الختم عن كيسه ... وهل كحلت الناظر الأكحلا
إنك إن قلت نعم صادقا ... أبعث نثاراً يملأ المنزلا
وإن تجني من حياءٍ بلا ... أبعث إليك القطن والمغزلا

هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو، وأبو القاسم بن أبي لاحسين بن سعد، وأبو الحسين بن فارس، وأبو
عبد الله الطبري، وأبو الحسن البديهي.
فحياه بعض الزائرين بآترجة حسنة، فقال لهم: تعالوا نتجاذب أهداب وصفها، فقالوا: إن رأى سيدنا أن
يبتدئ فعل، فابتدأ وقال:

وأترجة فيها طبايع

فقال أبو محمد:

وفيه فون اللهو للشرب أجمع

فقال أبو القاسم:

يشبهها الرائي سبيكة عسجد

فقال أبو الحسين بن فارس:

على أنها من فأرة المسك أضوع

فقال أبو عبد الله الطبري:

وما اصفر منها اللون للعشق والهوى

فقال أبو الحسن البديهي:

ولكن أراها للمحيين تجمع

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له. فقال ولم يقصد وزنا:

أي جهدٍ لقيته ... وشقاءٍ شقيته؟

فقال الأستاذ: قولوا على هذا الوزن شعراً، وفي المجلس أبو الحسن العباسي، وابن خلاد القاضي، فقال أبو
الحسن:

بي عزالٍ مقرطٌ ... شفني إذ هويته

أحرز السحر طرفه ... وحوى الغنج ليته

زاد في الكبر عامداً ... إذ رآني وليته

حسبي الله والرئي ... س لما قد دهيتُه
وقال ابن خلاد:
يا خليلي ساعدا ... بي على ما دهيتُه
انظرا أي معذل ... بقضاء أتيتُه
سامني السيد الرئي ... س محالا شنيته
ظل مستعديا على ... رشأ قد هويتُه
عجبا أن يكون لي ... واليا من وليته
ما خشيت فيه الحروب في ... ه ولكن خشيته
فاز روعي لو أنني ... في منامي أريته
وقال الأستاذ:

أي جهد لقيته ... وشقاء شقيته
من نصيح أود من ... نصحه لي سكوته
قلا صبرا وما درى ... أن صبري رزيته
قلت عنك الملام ما ... باختياري هويتُه

لم أكن أجشم البلا ... ء لو أني كفيته
رب ثوب من المنزل ... ة فيه كسيته
ضل عندي تجلدي ... فكأنني نسيته
في فوادي هوى يح ... رقي لو طويته
يا بن خلاد الذي ... شاع في الناس صيته
أنصف الهائم الذي ... شاع في الناس صيته
أنصف الهائم الذي ... يتجافى مبيته
قل لمن أشبه المها ... مقلته وليته

ثغره قد أشت شم ... ل اصطباري شتيته
ليس يحى المتيم ال ... صب إلا مميته
أنت قوتي وما بقا ... ء امرئ بان قوته
أي ذنب سوى المنزل ... ة في الحب جيته
ما أسيف السلو عن ... ك لو أني سقيته
كيف يرجو البقاء إن ... باين الماء حوته
ما أشاء السلو عن ... ك فإن شئت شيته
كل شيء رضيتُه ... من غرامي رضيتُه

ما أخرج من شعره في الغزل

قال من قصيدة:

هبل البث إلا ما تحملينه ... أم البرح إلا ما تكلفينه
متى علقت نفسي حبيبا تعلقت ... به غير الأيام تسلبينه
شفيعي إذا استشفعت غير مشفع ... ووجهي إذا وجهت غير وجهه
وقال:

ظلت تظللي من الشمس ... نفس أعز علي من نفسي
فأقول واعجباً ومن عجب ... شمس تظللي من الشمس
وقال في الفصد لمعشوقه:

ويح الطبيب الذي جست يده يلك ... ما كان أجهله فيما قد اعتملك
بأي شيء تراه كان معتذراً ... من مسه بحديد مؤلم جسلك
لو أن أحاطه كانت مباضعة ... ثم انتحاك بها من رقة فصدك

ما أخرج من شعره في سائر الفنون

قال من قصيدته الهزلية عارض فيها ابن العلاف:

يا هر فارقتنا مفارقة ... عمت جميع الفوس بالشكل
لو كان بالحادثات لي قبل ... إذا أتاك الصريخ من قبلي
يا مثلاً سائراً إذا ذكر ال ... حسن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه إن قبل الد ... هر فداءً فقلت حيهل
أفديه بالصفوة الكرام من ال ... إخوان دون الأخدان والخلل
بل بمحل الكرى ومعتلج ال ... فكر وحب القلوب والمقل
بل بسكون الوجيب يجلبه ال ... أمن إلى قلب خائب وجل
بل بحلول الشفاء يجنبه الص ... حة بعد الأوصاب والعلل
بل بيلوغ المنى وقاصية ال ... بغية عفواً ونهبه الأمل
وقال في المغني القرشي:

إذا غناني القرشي يوماً ... وعناني برؤيته وضربه
وددت لو أن أذني مثل عيني ... اك وأن عيني مثل قلبه
وللمهلي في هذا المعنى:

إذا غناني القرشي ... دعوت الله بالطرش
وإن أبصرت طلعتة ... فوا لهفي على العمش

وقال فيه أيضاً:

إذا غنى لنا أُمّاً ... حضوت مسامعي صمما
وإن أبصرت طلعتته ... كحلت نواظري بعمى
وقال:

أخ الرجال من الأبا ... عد، والأقارب لا تقارب
إن الأقارب كالعقا ... رب، بل أضر من العقارب
وقال:

وللرأي زلاتٌ يظل بها القتي ... مركبةً فوق الشايا أنامله

هذا ما أخرج من شعره في المعمي

قال في السفرجل:

يقولون خطبٌ من الين جلا ... ولم أر سير الخليط استقلالاً
وقد لقبوه نوى غربة ... ولم أر أقرب منه محلاً
وبزت سراييله عنوةً ... فألفي لما تعرى تحلى
وأفرد من بين أترابه ... فما غص من حسنه أن تخلى
وزل فقلنا لعا ناعشاً ... لعال إذا ما تعلّى تدلى
تزيد مكاسره لذة ... إذا ما العمام عليه استهلاً

إذا نال منه السليم استقل ... وإن نال منه السقيم استيلاً
إذا ما امرؤ مل روح الحياة ... فحاشا لذلك من أن يمالا
وقال في ماء الورد:

قل للأديب أبي الحسي ... ن أئتلك صماء الغير
نكراء في حالاتها ... لذوي البصائر معتبر
دهياء يعترف الضمي ... ر بها مسه قد الإبر
وتحفة من بعده ... تباشراً طرفاً وزر
أزرى به وسط الردى ... وهو الحياة المشتهر
فاكشف لنا عن سره ... بلطيف حدسك والنظر
وقال من الشمس:

ماذا ترى يا أبا العباس في عجب ... تشابحت منه أولاه وأخراه
ترى مقمه شروى مؤخره ... حسناً، ويمناه في تمثال يسراه

من حيث واجهته أرضاك منظره ... وكيف قابلته أغناك مغناه
يهوى المباعده منه قرب منزله ... حتى إذا ما تغشاه تحاماه

الباب الثاني

في ذكر ابنه

أبي الفتح ذي الكفائتين

والأخذ بطرف من طرف أخباره، وملح بنات أفكاره

هو علي بن محمد، ثمرة تلك الشجرة، وشبل ذلك القسورة وحق علي ابن الصقر أن يشبه الصقرا وما
أصدق ما قال الشاعر:

إن السري إذا سرى فينفسه ... وابن السري إذا سرى أسراهما
وكان نجيباً ذكياً، لطيفاً سخياً، رفيع الهمة، كامل المروءة، ظريف التفصيل والجملة، قد تألق أبوه في تأديبه
وتقديبه، وجالس به أدياء عصره، وفضلاء وقته، حتى تخرج وخرج حسن الترسل، متقدم القدم في النظم،
آخذاً من محاسن الآداب بأوفر الحظ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال، وعلى مدى بعيد من الاكتهال.
وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة، لقب بذي الكفائتين، وعلا شأنه، وارتفع قدره، وبعد صيته،
وطاب ذكره، وجرى أمره أحسن مجرى، إلى أن توفي ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيأتي
ذكره آخر الباب بمشيئة الله وعونه.

ومن طرف أخباره ما حدثني أبو جعفر الكاتب، وكان أبو بكر الخوارزمي يدعوه القمغدي لكونه قمي
المولد بغدادي المنشأ، وكان أبو جعفر هذا من حاشية أبي الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور، قال:
كان الأستاذ الرئيس قد قبض جماعة من ثقافته في السر يشرفون على الأستاذ أبي الفتح في منزلة ومكتبه
ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقول ويفعله.. فرفع إليه بعضهم أن أبا
الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون، من عقد مجلس الأئس واتخاذ الندماء، وتعاطي ما يجمع
شمل اللهو، في خفية شديدة، واحتياط تمام، وأنه كتب في تلك الحالة رقعة إلى من سماه لي أبو جعفر، ونسيت
اسمه، في استهداء الشراب، فحمل إليه ما يصلحهم من المشموم والنقل. ففس الأستاذ الرئيس إلى ذلك
الإنسان من أتاه برقعة أبي الفتح الصادرة إليه، فإذا فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم. قد اغتنمت الليلة -
أطال الله بقاءك يا سيدي ومولاي! - رقدة من عين الدهر، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر، وانتظمت
مع أصحابي في سمط الثريا، فإن لم تحفظ علينا النظام، بإهداء المدام، عدنا كبنات نعش، والسلام.
فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً، بهذه الرقعة البديعة، وقال: الآن ظهر لي أثر براعته، ووثقت بحججه في
طريقي، وبنابته منابي، ووقع له بألفي دينار.

وحكى أبو الحسين بن فارس، قال: كتبت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات

الهاجرة، فقال لي: ما قول الشيخ في قلبه؟ فلم أحر جواباً لأنني لم أفطن لما أراد، فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقممت إليه، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي وقال: ما قول الشيخ في قلبه؟ فبهت وشكت، وما زلت أفكر حتى تنهت على أنهما أرادا الخيش، فكأن من كان يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة، ولفرط اهتزازها لها أراد مجارتي، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره، وملح نظمه. وكان مما أعجب به، وتعجب منه، واستضحك له، حكايتي رقعة له وردت علي، وصدورها: رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقعة، وأقصر من أتملة ثملة.

قال أبو الحسين: وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها، واستحلى رونقها، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروى، وهو قول القائل:

لئن كفت وإلا ... شققت منك ثيابي
فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح، ثم أنشدني في الوقت:

يا مولعاً بعذابي ... أما رحمت شبابي
تركت قلبي قريحاً ... نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكر ما بي ... من ذلتي واكتنابي
فارفع قليلاً قليلاً ... عن العظام ثيابي

قال: فتأمل هذه الطريقة، وانظر إلى هذا الطبع، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقتة وخفته، ولم يعد الجنس، ولم يقصر دونه. وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة.

قال: ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أوهها:

أليلٌ هو أم شعراً ... وبرقٌ هو أم ثغر
وحر الدر ما ضم ... نت الأحشاء أم جمر؟
ويهماء كمثل البحر ... يرتاع لها السفر
تعسفت على هول ... وتحتي بازلٌ جسر
إلى من وجهه بلرٌ ... ومن راحته بحر
ومن جدواه مد لل ... ورى ليس له جزر
هو الغيث هو الليث ... هو الفخر هو الذخر
لأمر مظلم يخشى ... وخطبٍ فادحٍ يعرو
وقوله من نيروزية فيه:

أبشر بنيروزٍ أتاك مبشراً ... بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامٍ
واشرب فقد حل الربيع نقابه ... عن منظرٍ متهللٍ بسامٍ
وهديتي شعراً عجباً نظمه ... ومديحه يبقى على الأيام

فأقبله وأقبل عذر من لم يستطع ... إهداء غير نتيجة الأفهام
ومن إحسانه المشهورة قوله من قصيدة:

عودي وماء شبيتي في عودي ... لا تعمدي لمقاتل المعمود
وصليه ما دامت أصايل عيشه ... تؤويه في فيء لها ممدود
ما دام من ليل الصبا في فاحم ... رجل الذرى فينان كالعنقود
قبل المشيب فطارات جنوده ... يبدلنه يققاً بسحم سود
وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه:

دعوت الغنى ودعوت المني ... فلما أجابا دعوت القدح
إذا بلغ المرء آماله ... فليس له بعدها مقترح
وقال:

إذا أنا بلغت الذي كنتُ أشتهي ... وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قم إلى الدهر فاقترح ... عليه هوي ودعني مع الدهر
وله:

أين لي من يفي بشكر الليالي ... إذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراح ... غيرها منية فجاد بها لي
وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس:

أتتلك صفراء تحكي لون ذي مقّة ... وريح راح حشاها شادن خنث
زففتها حين زفت لي على أمل ... إني غلامك لا مين ولا عبث
وقوله من قصيدة أخرى في عند الدولة، أولها:

عتبت على الأيام لو عرفت عتياً ... وعاتبته لو أعقبت ذنبها عتبي
قضت بيننا أحكامها البين كلما ... طلعت بنا شرقاً غربن بها غربا
تخجب عني الشمس من نور وجهها ... وتمح رياها الركائب والركبا
ومنها:

وكت أظن الحب قبل خلافة ... فيها هو ذا يغري بمخلبه الخلبا
تدور السقاة بالأباريق بيننا ... فنحسبها سرباً يزجي لنا سربا
ومنها:

وقد نظمت شمل العصاة روضة ... منورة النوار تحسبها عصباً
ومنها في وصف النجائب:

متى لم أنل أقصى المني بنجاها ... فلا نهضت نجياً تسير بنا نجيا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها ... ولا كان لي ما بين آمالها نجا
ولا كنت عبداً للذي الدهر عبده ... أعد النجوم بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه، أولها:

أفصت عقوداً أم أفيضت مدامع ... وهذي موعٌ أم نفوسٌ هوامع؟

على الملك قوامٌ وللدن حافطٌ ... وللمال وهابٌ وللجار مانع
أسودٌ ولكن الحراب عرينها ... شمس ولكن الصفوف مطالع
أشاحوا وما شحوا ونابوا ومانبوا ... وكان لهم تحت المنايا مناقع
ومنها في ذلك الأعداء:

أذاهم ذل الهزيمة فأنحت ... قناة الظهور واستقام الأخادع
وكان لهم لبس المعصفر عادةً ... فخاطت لهم منه السيوف القواطع
ومنها:

بطرتم فطرتم والعصا زجرٌ من عصى ... وتقويم عبد الهون بالهون نافع
ومنها:

تبسمت والخيال العتاق عوابسُ ... وأقدمت والبيض الرقاق هوالع
صدعت بصبح النصر ليل جموعهم ... وكيف بقاء الليل والصبح صادع
فما الصبح منادٌ ولا الليل خاذلٌ ... ولا النصل خوانٌ ولا السهم طالع
ومنها في وصف الشعر:

ومقترحاتٍ في القوافي بداءةً ... بدائع للإحسان فيها ودائع
كلامٌ شكورٌ أطلقت من عنانه ... صنائع تحجلن النهار نواصع
خدمت بقولي ذا ومن قبل قوله ... خلعت وغى والقول للفعل شافع
وقال من أخرى، وقد ذكر الشعر:

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتبٍ ... وإن كان مرضياً فقل شعر كاتبي

ذكر آخر أمره

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي، قال: لما توفي ركن الدولة، وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة، أقبل من أصبهان إلى الري، ومعه صاحب أبو القاسم، وخلع على أبي الفتح خلعة الوزارة، وألقى إليه مقاليد المملكة، والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به، وشدة الخطوة لديه، فكرة أبو الفتح مكانه، وأساء الظن به، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه، وهموا بما لم ينالوا منه، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر في نفسه الموجدة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره، وانضاف ذلك إلى تغير عضد الدولة واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها، منها مميالته بختيار، ومنها ميل القواد إليه، بل غلوهم من موالاته وحبته، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته، واجتمعت أراء الأخوين على اعتقاله، وأخذ أمواله. ولما اعتقل في بعض القلاع بدرت منه كلمات نمت إلى عضد الدولة، فزادت في

استيحاشه منه، وأهض من حضرته من طالبه بالأموال، وعذبه ومثل به، ويقال: إنه سمل إحدى عينيه، وقطع أنفه، وجر لحيته، ففي تلك الحال يقول أبو الفتح وقد ينس من نفسه، واستأذن في صلاة ركعتين، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب:

بدل من صورتي المنظر ... لكنه ما غير المخبر
ولست ذا حزن على فأت ... لكن على من لي يستعبر
وواله القلب لما مسني ... مستخبرٌ عني ولا يخبر
فقل لمن سر بما ساءنا ... لا بد أن يسكل ذا المعبر
وأخبرني أبو جعفر الذي قدمت ذكره، وكأن مختصاً به. قال: كان أبو الفتح قبيل النكبة التي أتت على نفسه. قد أغرى بإنشاد هذين البيتين، لا يجف لسانه من ترددهما في أكثر أوقاته وأحواله، ولست أدري أهمله أم لغيره:

دخل الدنيا أناسٌ قلبنا ... ورحلوا عنها وخلوها لنا
فنزّلناها كما قد نزلوا ... ونخليها لقوم بعدنا
فلما حصل في الاعتقال، واستيقن أن القوم يريدون لا محالة وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره، فألقاها في كانون نار بين يديه، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته: اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالني المستورة إلى صاحبك دينار واحد، فما زال يعرضه على العذاب، ويمثل به، حتى تلف رحمه الله تعالى، وفيه يقول بعض أصحابه:

آل العميد وأل برمك ما لكم ... قل المعين لكم وذل الناصر!
كان الزمان يحكم فبدا له ... إن الزمان هو الخب الغادر
ولأي بكر الخوارزمي في مرثيته من قصيدة:
يا دهر إنك بالرجال بصيرٌ ... فلذاك ما تحتاحهم وتير
وهي تذكر في موضعها من شعره، إن شاء الله سبحانه وتعالى.

الباب الثالث

الصاحب بن عباد

في ذكر الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد وإيراد لمع من أخباره وغرر

نظمه ونثره

ليست تحضرتي عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم. وتفرد به بغايات الحاسن، وجمعه أشتات المفاخر، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجهد

وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه، ولكني أقول: هو صدر المشرق، وتاريخ الجند، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق، وكانت أيامه للعلوية والعلماء، والأدباء والشعراء، وحضرته محط رحالهم، وموسم فضلائهم. ومترع آمالهم. وأمواله مصروفة إليهم، وصنائه مقصورة عليهم، وهمته في مجد يشيده، وإنعام يحدده. وفاضل يصطنعه، وكلام حسن يصنعه أو يسمعه. ولما كان نادرة عطار في البلاغة، وواسطة عقد الدهر في الساحة، جلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل، وقول فصل. وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام، وبدائع الأفهام. وثمار الخواطر، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول. وذوب العلوم ودرر القرائح. فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر، ويكاد يدخل في يحد الإعجاز، وسار كلامه مسير الشمس، ونظم ناحيتي الشرق والغرب، واحتف به من نجوم الأرض، وأفراد العصر، وأبناء الفضل، وفرسان الشعر، من يربي عددهم على شعراء الرشيد، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب القوافي وملك رق المعاني، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين، كأبي نواس، وأبي العتاهية، والعتابي، والنمري ومسلم بن الوليد، وأبي الشيص، ومروان بن أبي حفصة، ومحمد بن مناذر، وجمعت حضرة صاحب بأصبيان، والري وجرجان، مثل أبي الحسين السلامي، وأبي بكر الخوارزمي، وأبي طالب المأموني، وأبي الحسن البديهي، وأبي سعد الرستمي، وأبي القاسم الرعفراني، وأبي العباس الضبي، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني، وأبي القاسم بن أبي العلاء، وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي، وأبي الحسن الجوهري، ويني المنجم، وابن بابك، وابن القاشاني، وأبي الفضل الهمذاني، وإسماعيل الشاشي، وأبي العلاء الأسدي، وأبي الحسن الغويري، وأبي دلف الخزرجي، وأبي حفص الشهرزوري، وأبي معمر الإسماعيلي، وأبي الفياض الطبري، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب عني اسمه، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوي الرضى، وأبو إسحاق الصايي، وابن حجاج، وابن سكرة، وابن نباتة، ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب، إما متقدم أو متأخر، وما أحسن وأصدق قول صاحب: إن خير المداح من مدحته ... شعراء البلاد في كل نادي

لمع من أخبار محاسنه

وملح من نواذر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: إن مولانا صاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودب ودرج في وكرها، ورضع أفويق درها، وورثها من أبيه كما قال أبو سعيد: ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الإسناد بالإسناد يروي عن العباس عبداً وزار ... ته وإسماعيل عن عباد قال: ولما ملك فخر الدولة واستغنى صاحب من الوزارة قال له: لك في هذه الدولة من إرث الوزارة، ما لنا فيها من إرث الإمارة، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه.

وحدثني عون بن الحسين الهمداني التميمي، قال: كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في ثب حسابات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عائم الخز التي صارت الشتوة في خلع الخدم والحاشية، ثمانمائة وعشرين قال: وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخروز الفاخرة الملونة، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً، فسأل صاحب عنه: فقيل: إنه غي مجلس كذا يكتب، فقال: علي به، فاستمهل الزعفراني ريثما يكمل مكتوبه، فأعجله صاحب، وأمر بأن يؤخذ ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه، وقال: أيد الله صاحب: اسمعه ممن قاله تردد به ... عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال: هات يا أبا القاسم، فأنشده أبياتاً منها:
سواك يعد الغنى ما اقتنى ... ويأمره الحرص أن يخرنا
وأنت ابن عباد المرتجى ... تعدّ نوالك نيل المنى

وخيرك من باسط كفهم ثناها قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى ... فأصغر ما ملكوه الغنى
وغادرت أشعرهم مفحماً ... وأشكرهم عاجزاً ألكنا
أيا من عطاياه تهدى الغنى ... إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين ... كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ... ضروب من الخز إلا أنا
ولست أذكر لي جارياً ... على العهد يحسن أن يحسنا
فقال صاحب: قرأت في أخبار مع بن زائدة، أن رجلاً قال له: احملني أيها الأمير، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية، ثم قال له: لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذه حملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخز بجة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه، ثم أمر بإدخاله الخزانة، وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه.

وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي، قال: عهدي بأبي محمد الخازن ماثلاً بين يدي صاحب ينشده قصيدة له فيه، أولها:

هذا فؤادك نهي بين أهواء ... وذلك رأيك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجل مقتسم ... داء لعمرك ما أبلاه من داء
لا تستقر بأرض أو تسير إلى ... أخرى بشخص قريب عزمه نائي
يوماً بحزوة ويوماً بالعقيق وبال ... عذيب يوماً ويوماً بالخليصاء
وتارة تنتحي نجداً وآونة ... شعب العقيق وطوراً قصر تيماء
قال: فرأيت صاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشاده، مستعيداً أكثر أبياته، مظهراً من

الإعجاب به، والاهتزاز له، ما يعجب الحاضرين فلما بلغ قوله:

أدعى بأسماء نبزاً في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

أطلعت شعري وألقت شعرها طرباً ... فألفا بين إصباح وإمساء

زحف عن دسسته طرباً، فلما بلغ قوله ف بالمدح:

لو أن سحبان باراه لأسحبه ... على خطابه أذيل فأفاء

أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها ... إليه مستبقات أي إلقاء

فساس سبعتها منه بأربعة ... أمرٌ ونهيٌ وتشيتٌ وإمضاء

كذلك توحيده ألوى بأربعة ... كفرٌ وجبرٌ وتشبيهُ وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن، فلما أنشد:

نعم تجب " لا " يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لثغة الرء

استعاده وصفق بيديه، ولما ختمها بهذه الأبيات:

أطرى وأطرب بالأشعار أنشدها ... أحسن ببهجة إطرابي وإطرائي

ومن منائح مولانا مدائحه ... لأن من زنده قدحي وإيرائي

فخذ إليك ابن عباد محبرة ... لا البحري يدانيها ولا الطائي

قال: أحسنت أحسنت، والله أنت، وتناول النسخة وتشاغل بإعارتها نظره، ثم أمر بخلعة وحملاَن وصلة.

وسمعت أبا عبد الله أيضاً يقول: أهدي إلى الصاحب هدية أهدي منها إلى شيخ الدولتين أبي سعيد الشيبلي،

وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت:

رويت السنّة المشهورة البركة ... أن الهدية في الإخوان مشتركة

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي، قال: سمعت الصاحب يقول: أنفذ إلى أبو العباس

تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز إلى

حضرتة، ليلقى إلى مقاليد مملكته، ويعتمدني لوزارته، ويحكمني في ثمرات بلاده. فكان فيما اعتذرت به من

تركي امتثال أمره والصدر ع رأيه، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي وضمنتي وحاجتي لنقل كتي خاصة إلى

أربعمائة جمل، فما الظن بما يليق بما من تحمل مثلي!

وحدثني أيضاً، قال: سمعت الصاحب يقول: حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان، وقد

حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة، وأنا إذ ذاك في ريعان شبائي، فلما تقوض المجلس، وانصرف القوم،

وقد حل الإفطار نكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي، واستقبحت إغفاله المر بتفريط الحاضرين مع وفور

رياسته، واتساع حاله، واعتقدت ألا أخل بما أخلّ به إذا قمت يوماً مقامه، قال: فكان الصاحب لا يدخل

عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده، وكانت داره لا

تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا

الشهر تبلغ مبلغ ما يطاق منها في جميع شهور السنة.

وحدثني بديع الزمان أبو الفضل الهمداني، قال: لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض، فقال لي: يا بني اقعد، كم تسجد. كأنك هدهد! قال: وقد قال يوماً لبعض من تأخرهم مجلسه لعله وجدها: ما الذي كنت تشتكيه؟ قال "الحما" قال "فه" يعني "الحماقة" فقال "وه" يعني "القهوة".

قال: واستأذن عليه الحاجب يوماً لإنسان طرسوسي فقال "الطر" في حيته، و "السوس" في حطته. وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول: سمعت بعض ندماء الصاحب يقول: كنت يوماً بين يدي الصاحب فقدم الصاحب فقلت "لا مترك" فقال "بالعجلة لترك"؟ وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقني إلى التناذر بهذا التجنيس.

حدثني أبو منصور البيع قال: دخلت يوماً على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت: لعلّي طوّلت فقال: لا بل تطوّلت.

وحدثني أبو منصور اللجيمي الدينوري، قال أهدي العميري قاضي قروين إلى الصاحب كتاباً وكتب معها: العميري عبد كافي الكفاة ... ومن اعتدّ في وجوه القضاة خدّم المجلس الرفيع بكتب ... مفعمات من حسنّها مترعات فوقع تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتاباً ... ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعي ... قول خذ، ليس مذهبي قول هات

قال: وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً، ويسأله أن يسميه ويكنيه فوقع في رقعته.

أسعدك الله بالفارس الجديد، والطالع السعيد، فقد والله ملأ العين قرة، والنفس مسرة مستقرة. والاسم عليّ ليعلي الله ذكره، والكنية أبو الحسن ليحسن الله أمره. فإني أرجو له فضل جده، وسعادة جده، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال، قصدت به مقصد الفال، رجاء أن يعيش مائة عام، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام، والسلام.

قال: وكتب إليه أبو منصور الجرجاني:

قل للوزير المرتجى ... كافي الكفاة الملتجى

إني رزقت ولداً ... كالصبح إذ تبلى

لا زال في ظلك ظ ... ل المكرّمات والحجى

فسمّه وكنّه ... مشرفاً متوجّجاً

فوقع تحتها:

هنته هنته ... شمس الضحى بلر الدجى

فسمّه محسنّاً ... وكنّه أبا الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني، قد أخذ منها البلى، وفيها توقيع الصاحب، وهذه نسخة الرقعة: لولا أن الذكرى - أطل الله بقاء مولانا الصاحب الجليل! - تنفع المؤمنين،

وهزة الصمصام تعين المصلتين، لما ذكرت ذاكرًا، ولا هزرت ماضيًا. ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح، ويكن الجواد السمع. وحال عبد مولانا - أدام الله تأييده! - في الحنطة مخلفه، وجرذان داره عنها منصرفه. فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، ولم يشد رحله، فعل إن شاء الله تعالى... وهذه نسخة التوقيع: أحسنت أبا حفص قولاً، وسنحسن فعلاً، فبشر جرذان دارك بالخصب، وأمنها من الجذب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع، إن شاء الله تعالى.

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي، يقول: كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها، ولما ردت إليه لم ير فيها توقيعاً، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها، فعرضها على أبي العباس الضبي، فما زال يتصفحها، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان في الرقعة: فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل، فأثبت الصاحب أمام " فعل " ألفاً يعني " أفعل " .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي، يقول: كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب في التماس شغل، وفي الرقعة: إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله، فوقع تحتها: من كتب إشغالي، لا يصلح لأشغالي. وحدثني أبو الحسن علي بن محمد الحميري، قال: رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامه لهم مترجمة بالضرايين، فوقع تحتها " في حديد بارد " .

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب، قال: كان الصاحب يقول بالليالي جلسائه إذا أراد أن ييسطهم ويؤنسهم: نحن بالنهار سلطان، وبالليل إخوان.

وحدثني أيضاً قال: قال الصاحب: ما أفحمني أحد كالبديهي، فإنه كان عندي يوماً، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمن فيه، فاتفق أي قلّت: إن المشمش يلطخ المعدة، فقال: لا يعجبني الميزبان إذا تطب.

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول: كان الصاحب إذا شرب ماء بثلج أنشد على أثره:

قعقعة الثلج بماء عذب ... تستخرج الحمد من أقصى القلب

ثم يقول: اللهم جدد اللعن على يزيد.

وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي، قال: انتحل فلان يعني أحد المتشاعرين بحضرة الصاحب شعراً له،

وبلغه ذلك، فقال: أبلغوه عني:

سرق شعري، وغيري ... يضام فيه ويخدع

فسوف أجريك صفعاً ... يكدُّ رأساً وأخدع

فسارق المال يقطع ... وسارق الشعر يصفع

قال: فاتخذ الليل جملاً، وهرب من الري.

وحدثني غيره قال: كتب إنسان إلى الصاحب رقعة وقد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه، فوقع

فيها هذه بضاعتنا ردت إلينا.

ووقع في رقعة استحسناها أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟.

ووقع في كتاب بعض مخالفه فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه في معاودة حضرته ألم نربك فينا ولیداً ولبت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت.

وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع صاحب إليه في رقعة: من نظر لدينه نظرنا لديناه، فإن آثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر، فليس لكسرك من جبر. ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال: التصرف لا يلتمس بالتكفف إن احتجنا إليك صرفناك، وإلا صرفناك.

ورفاه إليه بعض منهي الأخبار: أن رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل يدخل داره في الناس، ثم يتلوّم على استراق السمع، فوقع: دارنا هذه خان، يدخلها من وفي ومن خان.

وحدثني أبو الحسين النحوي قال: كان مكّي المنشد قد انتاب صاحب بجران، وكان قديم الخدمة له، أدبه غير مرة، فأمر صاحب بخصه، فحبس في دار الضرب وهي بجواره بجران، فاتفق أنه صعد يوماً سطح داره لحاجة في نفسه وأشرف على دار الضرب، فلما رآه مكّي نادى بأعلى صوته: فاطلع فرآه في سواء الجحيم فضحك صاحب وقال اخشوا فيها ولا تكلمون ثم أمر بإطلاقه.

وحدثني أبو النصر العتي قال: سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول: قدمت إلى صاحب هدية أصحابيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت: إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان. فقال: قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك.

وحدثني الهمداني قال: كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضير، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالي، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت، فحجل وانقطع عن المجلس، فقال صاحب: أبلغوه عني:

يا ابن الخضير لا تذهب على خجل ... لحادث منك مثل الناي والعود

فإنما الريح لا تستطيع تحبسها ... إذ أنت لست سليمان بن داود

وحكي أن مثل هذا الأمر وقع للهمداني في مجلس صاحب فحجل، وقال: صرير التخت، فقال صاحب: أخشى أن يكون صرير التخت، فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقتها الحضرة وخروجه إلى خراسان.

وحدثني أبو نصر النمري بجران قال: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفت يوماً من دار صاحب، وذلك قبيل العيد، فجاءني رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يا أيها القاضي الذي نفسي له ... مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه ... فكأنما أهدى له أخلاقه

وقال: سمعته يقول: إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجران أكثر مما يتلقاني بع في سائر البلاد، وقد استعفيت يوماً من فرط تحفيّه بي أو توضع لي، فأنشدني:

أكرم أخاك بأرض مولده ... وأمدّه من فعلك الحسن

فالعزّ مطلوبٌ وملتئمٌ ... وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي: قد فرغت من هذا المعنى في العينية، فقلت: لعل مولانا يريد قولي:
وشيدت مجدي بين قومي فلم أقل ... ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
فقال: ما أردت غيره، والأصل فيه قول الله تعالى " يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين " .

وحدثني أبو حنيفة الدهشتاني، قال: كتب صاحب إلى أبي هاشم العلوي وقد أهدى إليه في طبق فضة
عطراً:

العبد زارك نازلاً برواقك ... يستنبط الإشراق من إشراقك
فأقبل من الطيب الذي أهديته ... ما يسرق العطار من أخلاقك
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه ... فأضف به طبقاً إلى أطباقك

وحدثني عون بن الحسين الهمداني، قال: سمعت أبا عيسى بن المنجم يقول: سمعت صاحب يقول: ما
استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة، فيأذن لي فيه، وما أذكر أنه
تبذل بين يدي ومازحني قط إلا مرة واحدة، فإنه قال لي في شجون الحديث، بلغني أنك تقول المذهب
الاعتزال، والنيك نيك الرجال. فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد ما لا نفرغ للهزل، ونهضت
كالغاضب، فما زال يعتذر إليّ مراسلة، حتى عاودت مجلسه، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الهزل والمدح.
وسمعت أبا الحسن العلوي الهمداني الوصي، قال: لما توجهت تلقاء الري في سفاري إليها من جهة السلطان،
فكرت في كلام ألقى به صاحب. فلم يحضرنى ما أرضاه، وحين استقبلني في العسكر، وأفضى عناني إلى
عنايه، جرى على لساني " ما هذا بشراً إلا ملك كريم " فقال " إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون " ثم
قال: مرحباً بالرسول ابن الرسول، الوصي ابن الوصي.

وحدثني أبو الحسين النحوي قال: كان صاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن
العميد، وتعصبه له، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه، فقال صاحب: رد الحجر من حيث
جاءك، ثم لم تطب نفسه بتركه، فظفر فيه وأمر له بصله.

وسمعت أبا القاسم الكرخي يقول: دخل أبو سعيد الرستمي يوماً دار صاحب فظفر إلى الخلع والأحذية
السلطانية المحمولة برسم صاحب والناس يقيمون رسم النثار لها، فارتجل قصيدة أولها:

ميلوا إلى هذه النعمى نحيتها ... ودار ليلي فخلوها لأهلها

وسمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري، يقول: إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن
قرة وابن زكرياء لما زادا عليها. فسأله أن يعيرنيها إن كانت عنده، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه،
فاستغربت واستبعدت ما حكاها من تطب صاحب ونسبته في نفسي إلى التريد والتكثر، إلى أن ظفرت في
نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قلرقتها تلك التي ذكرها أبو جعفر، ووجدتها تجمع إلى ملاحه
البلاغة، ورشاقة العبارة، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه، وتدلل على التبحر في علمه وقوة
المعرفة بدقائقه، وهذه نسختها، وأكثر ظني أنه قد كتبها إليّ أبو العباس الضبي.

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره، وأنبأ عنه من أحوال جسمه، فدلني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية، والرفق بالتصفية، فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلأمرين: أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم يبق فتنفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة. والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم، ومع ذلك فلا بد مما يطفي ويغذي. ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها، كما يقول الفاضل جالينوس: قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت. والأقرص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة، وأصلحت بها العروق. وقوي به الطحال، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها والبلدة التي وردها، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما أثر هذا التأثير. ولا طول هذا التطويل. وإنما اغتر مولاي بأيام السلامة فكان يتبسط في أنواع الطعام ويسرف في تناول الشراب، فامتلاً الجسم من تلك الكيموسات الرديئة، وورد بلداً شديد التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل مل انعقد. وقض ما اجتمع. وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز، إذا زال عنه الحث، وسبك ففارقه الدرن. وأما الرعشة التي يتألم مولاي منها، ويضيق صدرها، فليست والحمد لله محذورة العاقبة، وإنما لترول بإقبال العافية. فالرعشة التي تتخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ، وتؤدي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام، فأما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب، وترول عنه بزوال الفضل. وعجب مولاي من تكرهه شم القواكه، ولا غرو إذا عرف السبب، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم، فما يصل إليها من الروائح الزكية، يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فنكرها ولا تقبلها. وتأبأها ولا تؤثرها.

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذي الصفراء بطعم الأشياء المرة، لامتلاء المرارة المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله، لما يخشى من سقوط القوة، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدي متزايدة، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغري صاحبها بالأكل الزائد، وتعرض للمزاج الفاسد. إلا أن التغذي لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة. فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه. وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة، وخيانة للقوة.

وجالينوس يشترط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى، لأن الذي يفعله الضعف لا يتداركه أمر، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم: إنك متى ما زدته غذاء زدته شراً، وهو في نفسه يقول: إن الحمية التي في غاية الدقة ليست محمودة، فالطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان، والواسطة أسلم، أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء.

وسمعت عوناً الهمداني يقول: أتى صاحب بغلام مثاقف، فلعب بين يديه، فاستحسن صورته. وأعجب

بمناقضته، فقال لأصحابه: قولوا في وصفه، فلم يصنعوا شيئاً، فقال صاحب:
مناقض في غاية الحذق ... فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيوف في كفه ... بالبدر إذ يلعب بالبرق
وأنشدني أبو سعيد بن دوست الفقيه، قال: أنشدني أبو علي العراقي العوامي الرازي، قال: أنشدني
الصاحب لنفسه:

كم نعمة عندك موفورة ... لله فاشكر يا ابن عباد
قم فالتمس زادك وهو التقى ... لن تسلك الطرق بلا زاد

جرى الشعراء بحضرة الصاحب

في ميدان اقتراحه الديارات

أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ورد عليه في ذكر الدار التي بناها الصاحب ياصبهان
وانتقل إليها، واقترح على أصحابه وصفها، وهذه نسخته بعد الصدر.

نعم الله عند مولانا الصاحب أدام الله تأييده مترادفة، وأياديه لديه متضاعفة، وأرى أولياء النعم كبت الله
أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً في إعظامه وبصائرهم تتراعى قوة في إكرامه، والوفود على بابه المعمور،
كرجل الجراد، وانتقل إلى البناء المعمور بالفعل المسعود فرأينا يوماً مشهوداً، وعيداً يجب عيداً، واجتمع
المادحون، وقال القائلون، ولو حضرتني القصائد لأنفذتها إلا أني علقت من كل واحدة ما علق بفظي.
والشيخ يعرف ملك النسيان لرقى، فقصيدة الأستاذ أبي العباس الضبي أولها:

دار الوزارة ممدودٌ سرادقها ... ولا حقٌ بذرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غيظ السماء بما ... قطرها أدمعٌ تجري سوابقها
بودّها أنما من أرض عرصتها ... وأن أنجمها فيها طوابقها
فمن مجالي يخلفن الطواوس قد ... أبرزن في حلالٍ شافت شقائقها
ومن كنائس يحكين العرائس قد ... ألبسن مجسدة راقّت طرائقها
تفرّعت شرفاتٌ في مناكبها ... يرتدّ عنها كليل العين رامقها
مثل العذارى وقد شدّت مناطقها ... وتوجت بأكاليل مفارقها
كلّ امرئٍ سوّخته الحجب رؤيتها ... وأشرق في محيّا مشارقها
مخلفٌ قلبه فيها وناظره ... إذا تجلّت لعينيه حقائقها
والدهر حاجبها يحمي مواردها ... عن الخطوب إذا صالت طوارقها
مواردٌ كلما همّ العفاة بما ... عادت مفاتيح للنعمى مغالفها
دار الأمير التي هذي وزارها ... أهدت لها وشحاً راقّت نمازها

هذي المعالي التي اغتصّ الزمان بها ... وافنك منسوفة والله ناسفها
إن الغنائم قد آلت معاهدة ... لا زيلتها ولا زالت تعانقها
لأرضها كلما جادت مواهبها ... وفي ديار معاديبها صواعقها
ومن قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمه الصاحب:
دارٌ على العزّ والتأييد مبناها ... وللمكارم والعلياء مغناها
دارٌ، تباهى بها الدنيا وساكنها ... طراً، وكم كانت الدنيا تمتّها
فاليمن أصبح مقروناً يمينها ... واليسر أصبح مقروناً بيسراها
من فوقها شرفات طال أدناها ... يد الثريا فقل لي كيف أقصاها
كأنها غلمة مصطفة لبست ... ييض الغلائل أمثالا وأشباها
انظر إلى القبة الخضراء مذهبة ... كأنما الشمس أعطتها محيّا
تلك الكنائس قد أصبحن رائقة ... مثل الأوانس تلقانا وتلقاها
فالربيع بالجذل بالصحن متسع ... والبهو لا بالخلي بل بالعلا باهى
لما بنى الناس في دنياك دورهم ... بيت في دارك الغراء دنياها
فلو رضيت مكان البُسط أعيننا ... لم تبق عين لنا إلا فرشناها
وهذه وزراء الملك قاطبة ... لم تزل ما بيننا شاها
فأنت أرفعها مجداً وأسعدها ... جدّاً وأجودها كفاً وأكفاها
وأنت آدبها بل أنت اكتبها ... وأنت سيدها بل أنت مولاهها
كسوتي من لباس العزّ أشرفه ... المال والعزّ والسلطان والجاهها
ولست أقرب إلا بالولاء وإن ... كانت لنفسي من عليك قرباها
ومن قصيدة مولاي أبي الطيب الكاتب:
ودار ترى الدنيا عليها مدارها ... تحوز السماء أرضها وديارها
بناها ابن عبادٍ ليعرض همة ... على همم إسرافهن اقتصارها
يردُّ على الدنيا بما كلّ غدره ... إذا ما تبارت داره وديارها
وإن قيل بهتاً قد حكّت تلك هذه ... فقد يتوارى ليلها ونهارها
فإن لم يكن في صحن دارك بعض ما ... أصدر فالدنيا يصحّ اعتذارها
ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي:
نصبن لحبات القلوب حباتلا ... عشية حلّ الحاجبات حباتلا

نشدن عقولاً يوم برقة منشدٍ ... ضللن فطالبا بمن العقائلا
عقائل من أحياء بكرٍ ووائل ... يحبن للعشاق بكرّاً ووائل
عيونٌ تكلن الحسن منذ فقدتها ... ومن ذا رأى قلبي عيوناً ثواكلا

جعلت ضنى جسمي لديها ذرائعاً ... وسائل دمعي عندهنّ وسائل
وركب سَروا حتى حسبت بأنهم ... لسرعتهم عدواً إليك المراحلا
إذا نزلوا أرضاً رأوني نازلاً ... وإن رحلوا عنها رأوني راحلا
وإن أخذوا في جانبٍ ملت آخذاً ... وإن عدلوا عن جانبٍ ملت عادلا
وإن وردوا ماء وردت وإن طووا ... طويت وإن قالوا تحوّلت قتالا
وإن نصبوا للحرّ حرّاً وجوههم ... تمثّلت حرباء على الجذل مائلا
وإن عرفوا أعلام أرضٍ عرفتها ... وإن أنكروا أنكرت منها الجاهلا
وإن عزموا سيراً شلّدت رحالهم ... وإن عزموا حلاً حللت الرحائلا
وإن وردوا ماءً حملت سقاءهم ... أو انتجعوا غيثاً حدوت الزواملا
أو استنفدت خوص الركائب منها ... أعدن لهم من فيض دمعي منها
يظنون أني سائلٌ فضل زادهم ... ولولا الهوى ما ظنني الركب سائلا
وأقسمت بالبيت الجديد بناؤه ... يحبي ومن يحفي إليه المراقلا
هي الدار أبناء الندى من حجيجها ... نوازل في ساحاتها وقوافلا
يزرنك بالأمال مثنىً وموحداً ... ويصدرن بالأموال دثراً وجاملا
قواعد إسماعيل يرفع سمكها ... لنا كيف لا نعتدّهنّ معاقلا
فكم أنفس تأوي إليها مغدّة ... وأفندة تهوي إليها حوافلا
وسامية الأعلام تلحظ دونها ... سنا النجم في آفاقها متضائلا
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز ... فأصبح في أرض المدائن عاطلا
فلو أبصرت دار العمد عمادها ... لأمت أعاليتها حياءً أسافلا
ولو لحظت جنّات تدمر حسننها ... درت كيف تبني بعدهنّ الجادلا
يناطح قرن الشمس من شرفاتها ... صفوف طباء فوقهنّ موائل
وعولٌ بأطراف الجبال تقابلت ... ومدّت قروناً للطاح موائل
كأشكال طير الماء مدّت جناحها ... وأشخصن أعناقاً لها وحواصلا
وردّت شعاع الشمس فارتدّ راجعاً ... وسدّت هبوب الريح فارتدّ ناكلا
إذا ما ابن عبادٍ مشى فوق أرضها ... مشى الزهو في أكتافها متمائلا
كنائس ناطت بالنجوم كواهاً ... وعادت فألقت بالنجوم كلاكلا
وفيحاء لو مرّت صبا الريح بينها ... لضلّت فظلت تستير الدلائلا
متى ترها خلت السماء سرادقاً ... عليها وأعلام النجوم تماثلا
ومنها في وصف الماء الجاري، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته:
هواءٌ كأيام الهوى فرط رقة ... وقد فقد العشاق فيها العواذلا
وماءٌ على الرضراض يجري كأنه ... صفائح تبرٍ قد سكن جداولا

كأنّ بها من شدّة الجري جنةً ... فقد ألبستهنّ الرياح سلاسلًا
ولو أصبحت داراً لك الأرض كلها ... لضاقت بمن ينتاب دارك أملاً
ولو كنت تبنيها على قدر همّةٍ ... سمت بك واستسرت إليك المراسلاً
عقدت على الدنيا جداراً فحرزتها ... جميعاً، ولم تترك لغيرك طائلاً
وأغنى الورى عن منزل من بنتٍ له ... معاليه فوق الشعيرين منازلًا
ولا غرو أن يستحدث الليث بالسرى ... عريناً، وان يستطرف البحر ساحلاً
ولم يعتمد داراً سوى حومة الوغى ... ولا خدماً إلاّ القنا والقنابلاً

ولا حاجباً إلا حساماً مهتداً ... ولا عاملاً إلا سناناً وعاملاً
ووالله ما أرضى لك الدهر خادماً ... ولا البدر منتاباً ولا البحر ناثلاً
ولا الفلك الدوار داراً ولا الورى ... عبيداً ولا زهر النجوم قبائلاً
أخذت بضبع الأرض حتى رفعتها ... إلى غاية أمسى بها النجم جاهلاً
فإن الذي يبينه مثلك خالداً ... وسائر ما يبني الأنام إلى بلى
ومن قصيدة أبي الحسن الجرجاني:

ليهنّ ويسعدن من به سعد الفضل ... بدار هي الدنيا، وسائرها فضل
تولّى له تقديرها ربح صدره ... على قدره، والشكل يعجبه الشكل
بنية مجد تشهد الأرض أنّها ... ستطوى وما حاذى السماء لها مثل
تكلف أحداق تشهد العيون تحاوصاً ... إليه كأنّ النلس كلّهم قبل
مناراً لأبصار الرواة، وربّها ... مناراً لآمال العفاة إذا ضلّوا
سحابٌ علا فوق السحاب مصاعداً ... وأحرى بأنّ يعلو وأنت له وبل
وقد أسبل الخيري كمي مفاخرٍ ... بصحن به للملك يجتمع الشمل
كما طلع النسر المنير مصفّقاً ... جناحيه لولا أن مطلعاه عقل
بنيت على هام العداة بنيةً ... تمكّن منها في قلوبهم الغلّ
ولو كنت ترضى هامهم شرفاً لها ... أتوك بها جهد المقلّ ولم يألوا
ولكن أراها لو هممت برفعها ... أبى الله أن تعلو عليك فلم تعلو
تحجّ لها الآمال من كلّ جهةٍ ... وينحر في حافاتها البخل والمحل
وما ضرّها ألاّ تقابل دجلةً ... وفي حافيتها يلتقي الفيض والهطل
تجلّى لأطراف العراق سعودها ... فعاد إليها الملك والأمن والعدل
كذا السعد قد ألقى عليها شعاعه ... فليس لنحس في مطارحها فعل
وقالوا تعدّى خلقه في بنائها ... وكان وما غير النوال به شغل
فقلت إذا لم يلهه ذاك عن ندى ... فماذا على العلياء إن كان لا يخلو

إذا النصل لم يذمم نجاراً وشيمَةً ... تأتق في غمدٍ يسان به النصل
تملّ على رغم الحواسد والعدى ... علاك، وعش للجود ما قبح البخل
ومن قصيدة أبي القاسم الزعفراني:

سرّك الله بالبناء الجديد ... تلك حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدن ... يا فصلها وأختها بالخلود
أمةً زيّت لسيدها الما ... لك لا زينة الفتاة الرود
حليها حسنّها فقد غنيت عن ... كل مستطرفٍ بلبس التليد
إرم المسلمين لا ذكر شدّا ... د بن عادٍ فيها ولا اسم شديد
ما تشكّكت أن رضوان قد خا ... ن وإلا لم مثلها في الصعيد؟
كلّ مستخدمٍ فداء وزيرٍ ... خدمته الرجال بعد الأسود
ألزم الإنس كلّ جافٍ شديدٍ ... عمل الجن كل جافٍ مريد
فابتوا ما لو أن هامان يدنو ... منه لم يرض صرحه للصعود
قد تولى الإقبال خدمته في ... ه على رسمه كبعض الجنود
ودرى أنه يزيد معيناً ... مثله فاستعان بالتسميد
قال للبحر كن رصاصاً وللاً ... جر لما علاه كن من حديد
فتناهى البنيان وارتفع الإي ... وان حتى أناف بالتشديد
وتبدّت من فوقه شرفاتٌ ... كنساءٍ أشرفن في يوم عيد
قسماً لا مدحت بعد ابن عبا ... د منيل الشباب والتخليد
لا لقيت الزمان إلا بوجهٍ ... ماؤه لا يجول في جلمود
ويدٍ ما حسرت رثني عنها ... فهي سيفٌ يسان عن تجريد

أجمع الناس أنه أفضل لنا ... س اضطراراً أغنى عن التقليد
فلهذا أعدّ قربي منه ... نعمةً ليس فوقها من مزيد
لا ذكرت العراق ما عشت إلا ... أن أراه يؤمه في الجنود
ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء:

دارٌ تمكّنت المناهج فيها ... نطقت سعود العالمين بفيها
ومن قصيدة أبي محمد بن المنجم:

هجرت ولو أنو الصدود ولا الهجرا ... ولا أضمرت نفسي الصروف ولا الغدرا
وكيف وفي الأحشاء نار صبايةٍ ... تشبّب لي في كلّ جارحةٍ هجرا
تقول لي الأفكار لما دعوتها ... لتظم في معمر بنيناها شعرا
بنى مسكناً باني المفاخر أم فخراً ... وجنّتنا الأولى بدت أم هي الأخرى؟

أم الدار قد أجرى الوزير سعودها ... فلم تجر داراً في الثرى الجرى
وتبدو صحنون كالظنون فسيحة ... تقدّرها حلماً فتنتعها حزرا
وفي القبة العليا زهر كواكب ... من الضرب المضروب والذهب الجرى
إذا ما سما الطرف الخلق نحوها ... رآها سماءً صحن أنجمها تقرا
ومن قصيدة أبي عيسى بن المنجم:
هي الدار قد عمّ الأقاليم نورها ... ولو قدرت بغداد كانت تزورها
ولو خبرت دار الخلافة بادرت ... إليها وفيها تاجها وسريها
ولو قد تبقت سر من را بحالها ... لسار إليها دورها وقصورها
لتسعد فيها يوم حان حضورها ... وتشهد ديناً لا يخاف غرورها
فما حلمت عين الزمان بمثلها ... وحاشا لها من أن يحسّ نظيرها
يقول الأولى قد فوجئوا بدخولها ... وحيرهم تحيرها وحيرها
أفي كلّ قطر غادة وحليها ... وفي كلّ بيت روضة وغديرها
وأبوابها أثوابها من نفوسها ... فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها
معظمة إلا إذا قيس سمكها ... بممة بانيها فتلك نظيرها
هي الهمة الطولى أجالت بفكرها ... مباني تكسوها العلا ويعيرها
فجاء بدار دار بالسعد نجمها ... وجنبت اخذور ليس يطورها
وقال لها الله الوفي ضمائه ... سأحيك ما ضمّ الليالي كروها
أهنيك بالعمران والعمر دائم ... لبانيك ما أفنى الدهور مرورها
وقد أسجل الإقبال عهدة ملكها ... وخطت بأقلام السعود سطورها
ودارت لها الأفلاك كيف أدركها ... ودانت إلى أن قيل أنت مديرها
وهاك ابنة الفكر قد خطبتها ... وقلّم من قبل الزفاف مهورها
فإن كان للدار التي قد بنيتها ... نظير ففي عرض القريض نظيرها
وإلا جررت الذيل في ساحة العلا ... وقلت القوافي قد أعيد جريها
ومن قصيدة أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى، أبوه يكتب لأبي دلف سهلان بن مسافر، وقد ورد
الباب منذ أشهر، وهو ممن يفهم ويلري، وله بديهة ومعرفة حسنة:
بي من هواها وإن ظهرت لي جلدأ ... وجدّ يذيب وشوق يصدع الكيدا
رمت بأسهم هجر لا تقوم لها ... خيل العزاء وإن ألبستها زردا
من مبلغ عني الماهات مألكة ... تحيي الصديق وتردي كلّ من حسدا
أني ترحلت عن قومي بما قنصاً ... فإن رجعت إليهم أبصروا أسدا
قل للوزير ابن عباد بنيت هلاً ... أم منزلاً أم كلا هذين أم بلدا
فمن رأى دار مولانا وزينتها ... رأى بها كوكباً في أفقه فردا

رأى الربيع رأى الروض المريع رأى ال ... طود المنيع رأى ثهلان قد ركدا
ومن قصيدة أبي العلاء الأسدي:

أسعد بدارك إنما الخلد ... والعيش فيها ناعمٌ رغدٌ
دارٌ ولكن أرضها شرفٌ ... ربّعٌ ولكن سقفه مجد

قد أثمرت همة صعدت ... هي قبل والدنيا لها بعد
هي للعفاة وللندی قبل ... صلى إليها الشكر والحمد
إيوان كسرى في مدائنه ... من ابتنيت دموعه سرد
ولمادٍ همّ يعانقه ... وكذاك يشجي الأبلق الفرد
والجعفرية لأقوام لها ... وصفا البديع وولول القرد
أحييت عبادةً وأسرته ... فضلاً ولم يشقق لهم حد
والحي من حيت مناقبه ... بابتن يورخ باسمه المجد
هذي العقيلة من بني أسدٍ ... تجلى وتحذر صولها الأسد
بكرٌ فلم يعرض لها بشرٌ ... قبلي ولم يقدح لها زند
زفت إليك وحليها أدبٌ ... وزكي لديك ومهرها نقد
ومن قصيدة أبي الحسن الغوري:

دارٌ غدت للفضل داره ... أفلاك أسعده مداره
منها الخامد مستقاة ... وأخلسن مستعاره
شرفاً هيفُ الخصو ... ر لها تحاسينٌ وشاره
فلكل طرفٍ نحوها ... ولكل جارحةٍ إشاره
وعلى جميع الدور في ال ... دنيا تقلدت الإماره
فترابها مسكٌ سحي ... ق شقّ برد الليل فاره
لا تهندي لنعوت أد ... ناها الفحول بنو عماره
ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد:

هي دنياً بنيتها أم دار ... فجميع الأفلاك فيها تدار
ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها:

رأينا طلعة الدار ... شمساً مع أقمار

ولي مسألة بعد ... فعاجلني بأخبار

بنيت الدار في دنيا ... لك أم دنياك في الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخذه أبو الحسن بن أبي الحسن البريدي:

لما بنى الناس في دنياك دورهم

وهما أخذه من قول أبي العيناء حين قال له المتوكل: كيف ترى دارنا هذه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، عهدي بالناس يبنون الدور في هذه الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك هذه. ول بعضهم قصيدة أولها:

إن الوزير قد بنى داراً ... والسعد في أكنافها دارا

ومن قصيدة أخرى:

هتّت جثتك التي تبنيها ... وبقيت غصّاً ناضراً تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر:

الملك ملكٌ والأمير أمير ... والدار دارٌ والوزير وزير

ومنها وقد جد:

ترهى الملوك بدورها ولأنت من ... ترهى به الدنيا فكيف الدور

لا يعدم الأمراء منك سياسةً ... لولا سعادتها وهي التدبير

وكان في جملة الطائرين شيخ أنطاكي في زي الكتاب حسن البيان ظريف اللهجة قد أنافت سنوه على

الثمانين وخنقت التسعين، فقال قصيدة أولها:

ما أنصف الدار واقفٌ فيها ... يثني على غيرها ويطريها

فقفْ بها ناشراً محاسنها ... وانح به ما نوت نواحيها

ووقفها النعت غير مختصرٍ ... فليس نزر الثناء يكفيها

يكاد يجري السفين سافلها ... يكاد يعلو النجوم عاليها

لم يبق في الناس من إذا ذكرت ... بوحلة الكون لم يقل إليها

فعجّ بها الصحب واقض واجبها ... وقف بها وقفةً منيها

إن أغد ذا نعمةٍ فواهبها ... أنت فذاك الورى ومنشيها

وما تراه عليّ من حلالٍ ... فأنت كئسٍ بها ومعطيها

وكل ما ضمّ منزلي وبدي ... من نعمةٍ لي فأنت موليتها

لا نسي الله حسن فعلك بل ... أسأله في الحياة ينسيها

قال مؤلف الكتاب: وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه في دار الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي في

الوزن والقافية إذ هي أجود القصائد فمنها:

أكلُ بناء أنت بانيه معجزُ ... بنيت المعالي أم بنيت المنازل

فلا الإنس تبني مثلهنّ معالماً ... ولا الجنّ تبني مثلهنّ معاقلاً

كنائس أضحت للغمام عمائماً ... علواً وأمست في الظلام قنادلاً

رحابٌ كأنّ قد شاكلت صد ربّها ... ويضّ كأنّ قد نازعته الشمائلاً

وهو تباهي الأرض منه سماءها ... بأوسع منها آخراً وأوائلاً

وصحن يسير الطرف فيه ولم يكن ... ليقطعه بالسير إلا مرحلا
تلوح قهوش الجص في جدرانه ... كما زين الوشم الدقيق الأناملا
وماء إذا أبصرت منه صفاءه ... حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا
رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى ... وصارت لها أيدي الرياح صياقلا
وروض كعيش الساتليك نصارة ... ووجهك بشراً حين تلحظ آملا
أصائله للنور أضحت هواجراً ... هواجره للطيب أضحت أصائلا
هي الدار أمست مطرح العلم فاغتنى ... لها ناهل الآمال ريان ناهلا
إذا ما انتحاهها الركب لم يتطلبوا ... إليها دليلاً غير من كان قافلا
وأنت امرؤ أعطيت ما لو سألته ... إلهك قال الناس أسرفت سائلا
وإني وإلزاميك بالشعر بعدما ... تعلّمت منك الندى والقواضلا
كملزم ربّ الدار أجرة داره ... ومثلك أعطى من طريقين نائلا
وأنشدني أيضاً لنفسه فيها:
بيت الدار عالية ... كمثل بنائك الشرفا
فلا زالت رؤوس عدا ... لك في حيطانها شرفا

ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصدا قد جملة الصاحب عليه وطالت صحبته له أو عز
الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن يعرفوا أبا عيسى ويرثوا أصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة، فمن
قصيدة أبي القاسم الزعفراني:

كنّ مدى الدهر في حمى النعماء ... مستهيناً بحادث الأرزاء
ينثي الخطب حين يلقاك عن طو ... د شديد الثبات للنكباء
بك يا أحمد بن موسى التسلي ... والتعزي عن سائر الأشياء
ومعزيك لا يزيدك خبراً ... بالذي قد عرفته بالعزاء
قد سخا طرفك المفارق بالنف ... س وطرفي من بعده بالماء
يا له جرة ونجماً وشؤبو ... بأ وبرقاً وطائراً في الرواء
راكب الليل خائض السيل عيّن ال ... خيل عانته أعين الأعداء
فقد الوحش منه أول قطاً ... ع إليها المدى أمام الضراء
واستراحت من نغمة مقلّة الشم ... س ومن لطمه خدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلّا ... جاءنا من قنانه بالمساء
وترى الطود حين يمثل مجمو ... عاً على ضمير القنا في الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيس ... ي وإن لم تكن من الأنبياء

فرسٌ لو علاه ذو الزهد عمرو ب ... ن عبيدٍ لناه في الخيلاء
عدّة الفارس الذي خاناه الصب ... ر فرامى بصدرة في اللقاء
قد تمليته وإن كنت ما شا ... هدت في ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك في الحر ... ب وتقلي طريقه الندماء
كل بؤسي أئتكَ من قبل الل ... ه فسلم فيها لجاري القضاء
سوف تعتاض من خصيكَ فحلاً ... لم يشنه ييطاره بالخصاء
من لى سيدٍ سخيٍّ سريٍّ ... يشتري بالغلاء كلّ العلاء
أي رزءٍ وأي وزرٍ على من ... يتقوى بأفخض الوزراء
أيها الصاحب الجليل أتمّ الل ... ه نعماك عندنا بالثناء
كم كرعنا من بحر عرفك في كفّ ... ك أصفى ماء بأوفى إناء
سنّة سنّها فتى لا يريد الو ... صل بين البيضاء والصفراء
جمع الله شمل معتصمٍ من ... ك بجلي مودةٍ وولاء
ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني:

جلّ والله ما داهك وعزّاً ... فعزاً إنّ الكريم معزى
والخفيف الكريم من إن أصابت ... نكبةً بعد ما يعزُّ يعزى
هي ما قد علمت أحداث دهر ... لم تدع علةً تصان وكثرا
قصدت دولة الخلافة جهراً ... فأبادت عمادها والمعزاً
وقديماً أفنت جديساً وطمساً ... حفزتهم إلى المقابر حفزاً
اصغٍ والخطّ هل ترى من ... أحدٍ منهم وتسمع ركزاً
ذهب الطرف فاحتسب وتصبّر ... للرزايا فالحرّ من يتعزى
فعلى مثله استطير فؤاد ال ... حازم الندب حسرةً واستغزاً
لم يكن سمع القياد على الهو ... ن ولا كان نافراً مشمئزاً
ربّ يوم رأيت بين جردٍ ... تتقفاه وهو يجمز جمزاً
وكأنّ الأبصار تعلق منه ... بحسامٍ يهزّ في الشمس هزاً
وتراه يلاعب العين حتى ... تحسب العين أنه يتهزاً
وسواءً عليه هجر أو أس ... رى أو انخطّ أو تسنم نشزاً
وكأن المضممار يبرز منه ... متنٌ حسّي يتزّ بالماء نزاً
استراحت منه الوحوش وقد كا ... ن يراها فلا ترى منها حرزاً
كم غزالٍ أنحى عليه وغير ... نال منه وكم تصيّد فزاً
وصروف الزمان تقصد فيما ... يستفيد الفتى الأعزّ الأعزاً

فإذا ما وجدت من جزع النك ... بة في القلب والجوانح وخزا
فتذكر سوابقاً كان ذا الطر ... ف إليهنّ حين يمدح يُعزى
أين شقّ وداحسٌ وصيبٌ ... غمزتها حوادث الدهر غمزا
غلن ذا اللمة الجواد ولزّت ... طرباً واللزاز والسلب لزّا
ولقد بزّت الوجيه ومكتو ... ما بني أعصر وأعوج بزّا
وتصدت للاحق فرمته ... وغرابٍ وزهدم فاستفزّا
فاحمد الله إن أهون ما تُر ... زأ ما كت أنت فيه المعزى
قد رثينا ولم نقصر وبالغ ... نا وفي البعض ما كفاه وأجزى
ومن العدل أن نتاب أبا عيس ... ى على قدر ما فلنا ونجزى
ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء:
عزاءً وإن كان المصاب جليلاً ... وصبراً وإن لم يغن عنك فتيلا
وخفض أبا عيسى عليك ولا تفض ... دموعاً وإن كان البكاء جميلا
وراجع حجاج الثبت لا يغلب الأسى ... أساك وإن حملت منه ثقيلا
ولا تسنفزتك الهموم وبرحها ... فحملك قبل اليوم كان أصيلا
وإن نفق الطرف الذي لو بكيته ... دماً كان في حكم الوفاء قليلا
آقب يروق الحين حسناً ومنظراً ... ويرجعها يوم الحضار كليلا
إذا ما بدا أبدى لعطفك هزّة ... ونفسك إعجاباً به وقبولا
كلمع الشهاب خفّة وتوقّداً ... وجذع الحضار هادياً ودليلا
إذا قلت قف أبصرته الماء جامداً ... وإن قلت سر ماءً أصاب مسيلا
خلت قصاب السبق منه وأيقنت ... رياح الصبا أن لا يجدن رسيلا
خلت جلال الخز وانتجبت له ... محالي حرير رحن منه عطولا
أقام عليه آل أعوج مأتماً ... وأعلى له آل الوجيه عويلا
ففي كلّ اصطبل أنينٌ وزفرة ... تردّد فيه بكرةً وأصيلا
ولو وفّت الجرد الجياد حقوقه ... لما رجعت حتى الممات صهيلا
وقد أنصفته الخيل ما ذقن بعده ... شعيراً ولا تبناً ومتن غليلا
فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً ... جليلاً وخلاً ما علمت نيلا
عتادك في الجلى وكهفك في الوغى ... وعونك يوماً إن أردت رحيلاً
تفرقتما لا عن تقالٍ وكنتما ... لفرط التصافي مالكاً وعقيلا
وهبت لعقبان الفلاة لحومه ... وكنت بها لولا القضاء بخيلا
ووزعتها بين النسور غنيمةً ... صفايا ومرباعاً لها وفضولا

وأعزّزته دهرًا فلما سطا به الرد ... ي تجدد بدّا فصرت مذيلا
على أنما الأيام شتّى صروفها ... تذللّ عزيزاً أو تعزّ ذليلا
ومن قصيدة أبي الحسن السلامي:

فدى لك بعد رزئك من ينام ... ومن يصبو إذا سجع الحمام
ونفسي بالفداء عنيت لا من ... ينام عن الحقوق ولا يلام
ألا نفق الجواد فلا عجاج ... تقوم به الحروب ولا ضرام
وكان إذا طغت حرب عوان ... جرى ورسيله الموت الزوام
إذا رميت به الغابات صلت ... صفوف الخيل وهو لها إمام
تمهر في الوقائع وهو مهر ... ولا سرج عليه ولا لجام
فلما لم يدع في الأرض قرناً ... تخوّته فعاجله الحمام
وعود عافيات الطير طعماً ... وشرب دم إذا حرم المدام
فلما لم يطق فمضاً أتنه ... فقال لها أنا ذاك الطعام
وجاد بنفسه إذا لم يجد ما ... يجود به، كذا الخيل الكرام
وكت البدر عارضه كسوف ... بنحس حين تم له التمام
فلا تبعد وإن أبعدت عنا ... فهذا العيش ليس له انتظام
إذا لم تكشف الأصداء همومي ... فليت الخيل أصداء وهام
طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى ... فطرفي ما يعاوده المنام
ولم أحضره يوم قضى فيشكو ... تحمحمه الذي صنع السقام
ولا خبرت ليلة جرّ جسم ... زكت عندي له نعمّ جسام
ألم أقسم عليك لتخبرني ... أحمولّ على العيش الهمام
مضوا يتناقلون به خفاً ... عليه من الصباغ له قيام
فبزّوه وما عروّه درعاً ... نبت عنه الصوارم والسهام
أيقنته الحمام أشدّ قرن ... واكرمه وتسليه اللثام
أبا عيسى تعزّ فلتك نفسي ... فإن الموت قرن لا يضام
أمّ في ظلّ إسماعيل تضمن ... لك الدرك السلامة والدوام
إذا بقي الوزير لنا وفينا ... فقل للدهر يهلك والأنام
وعظت بها أختاً ورثيت مالا ... وأديت الأمانة والسلام
ومن قصيدة أبي محمد الخازن:

لو سامح الدهر أعصماً صدعاً ... أو كاسراً فوق مريباً وقعا
أو صاحباً ساقه نواهضه ... أو سبعا في عرينه شيعا
أبقى لنا ذلك الجواد ولم ... يغدو لصفو الهبات منتزعا

لست أقيل الزمان عثرته ... فليس يلدي الزمان ما صنعا
آه على ذلك الجواد فقد ... جرّع قلبي من كأسه جرعا
آه عليه من أصداً جزع ... طالع دهرأ أودى به جزعا
آه عليه وقد سرى لمعا ... فراح غيضاً كبارق لمعا
لم يكب في جريه إذا كنت ال ... خيل ولا قال راكبه لمعا
صفا أديماً وحافراً وقحاً ... والعين والساعدين والسفعا
عريض زور وبلدة وصلأ ... رحيب صدر ومنخر ومعا
إذا هوى فالعقاب منخفضاً ... وإن رقى فالسحاب مرتفعاً
كأنه بالسماك منتعل ... فليس يشكو في وقعه وقعا
أوجعك الله يا زمان فقد ... رحت حزينا بفقده وجعا
قد لان للموت أخدعاه ومن ... خادعه الدهر عاد منخدعا
كم قلت للنفس وهي مزعجة ... أيتها النفس أجلي جزعا
قد شرّ القائلون باباً إلى الصب ... ر عليه فأصبحوا شرعا

لا تصحب المهم في الجوادا أبا ... عيسى ودعه ولا تكن جزعا
فنائل الصاحب الجليل أبي ال ... قاسم إسماعيل الحيا همعا
وانظر إليه كأنه قمر ... أزهر من ثني دسته طلعا
ولا تضق بالذي فقدت يداً ... إن لنا في نداه متسعا
فاسمع قريضا من موجه جزع ... ويرحم الله صاحب سمعا
ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي:
لو أعتب الدهر من يعاتبه ... ولان للعاذلين جانبه
أو كان يصغي إلى شكاة شج ... صبت على قلبه مصائبه
أحسنك عنك المناب في حرق ... تشعلها في الحشى نوائيه
ولم أزل عن شكاته أبداً ... ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفي على ذلك الجواد وهل ... يفك رهن المنون ناديه
لو كان غير الممات حاوله ... لفللت دونه محالبه
أو كان غير المنون يخطبه ... رمل أنف أبداه خاطبه
أو حارب الدهر مشفق حذب ... لقتت في وجهه أحاربه
من لجوى حل بي عساكره ... وحط بين الحشى مضاربه
فلست أرجو انقلاعه أبداً ... أو يجلب الصبر لي جوالبه
يرتد بين الضلوع لي نفس ... من ذكره ضاق بي مساربه

لهفي على ذلك الجواد مضي ... في سفرٍ لا يؤوب غائبه
لو عرف الخيل من نعت لها ... ضاقت بها في السرى مذاهبه
أو علم القفر من نعيها له ... لانسدّ للسالكين لاجبه
تباشر الوحش في القلاة له ... فقد ضفت بعده مشاربه
فنام ملء الجفون شاردته ... وسام ملء البطون ساربه
تبكي لتقريبه الرياح معاً ... فهنّ في جريها أقاربه
عهدي به والجنوب تجنّبه ... إذا جرى والصبا تجانبه
والهوج في حضره تحاذره ... والنكب في سيره تناكبه
يا حسنه والعيون ترمقه ... وأنت يوم الرهان راكبه
ترخي عليه العنان في عنق ... حتى إذا ما التوى تجاذبه
إن سار في السهل هاج ساكنه ... أو سار في الحزن صاح صاحبه
يوسعه إن رآه حاسده ... مدحاً ويثني عليه جاذبه
أخذه من قول أبي تمام:
عوّذه الحاسد بخلاً به

رجع:

أصدأ يحكي الظلام، غرته ال ... بدر وتحجّله كواكبه
أعاره الروض وشي زهرته ... فعاد في لونه يناسبه
وطالب لا يفوز هاربه ... وهارب لا ينال طالبه
كم موكب سار في جوانبه ... فاهترّ زهواً به كتابه
وعسكر زانه تمحممه ... فارتجّ من صوته مواكبه
ومجهل راح وهو جائبه ... لولاه لم تطوه نجائبه
صبراً جميلاً وإن سلبت أبا ... عيسى جليلاً فالوت سالبه
والموت إن جار في الحكومة أم ... أنصف فالمرء لا يغالبه
في الصاحب المرتحى لنا خلف ... من كلّ ماضٍ خفت ركائبه
إن نفق الطرف أو أصبت به ... ما نفقت عندنا مواهبه
لم يود طرف وإن فقدت به ... علقاً نفيساً ما عاش واهبه
دام لنا في النعيم ما طلعت ... شمس وجلّى الظلام ثاقبه
ومن قصيدة أبي العباس الضبي:

دعا ناظري لذيد اغتماضه ... وقلبي يستعر أليم ارتماضه
فقد جاد سباق الجياد بنفسه ... فلا ظهر منها لم يملّ لانهياضه
أبيد فما للبيد طرفٌ وطرفه ... صحيحٌ ولم يقرحه حرّ ارفضاضه

نفوسٌ عتاق الخيل فيضي لفقده ... وأعينها فيضي لوشك انقراضه
وأظهرها حطّي السروج تفجعاً ... له وردي ماء الردى من حياضه

لقد كان وفق الجو عند ارتفاعه ... نشاطاً وملء الأرض عند انخفاضه
لو أن حدود الورد أرضٌ لأرضه ... لما مسّها منه أذىً بارتكاضه
يريك نحول السهم عند اقتباله ... وييدي مثول الطود عند اعتراضه
ويخفى اصطفاق الرعد رجع صهيله ... ويخفت صوت الليث بين غياضه
تعزّ أبا عيسى وليك ثابتٌ ... وجل التسلي لم يرعُ بانتقاضه
ومن عرف الدنيا استهان بخطبها ... ولا سيّما من طال عهد ارتياضه
ولو قبل الدهر الخزون ذخائري ... لقدّمته عنها رضىً باعتياضه
ولكنه يبقى الذي لا نوّده ... ويردي الذي فهو بصرف غضاضه
وهذا الذي بي لو غدا زاد مرضع ... لشيب فوديه اشتعال بياضه
سقا الأصدأ الكدرى ما نفع الصدا ... غمامٌ حداه الرعد عند انتماضه
وفي بعض حملان الوزير معوضةً ... وسلوان قلب مسلمٍ لانقضاضه
فسرّ كيفما آثرت فوق جياذه ... ومسّ كيفما أحبت بين رياضه
ومن أرجوزة أبي دلف الخرزجي:

دهرٌ على أبنائه وثأبٌ ... تعجمهم أنيابه الصّلاب
فما لهم من كيده حجاب ... يا لك دهرًا كلّ عقاب
أصبح لا يردعه العتاب ... إن المنايا ولها أسباب
تصيدنا والصيد مستطاب ... واهاً لناء ما له إياب
لكلّ قلب بعده اكتئاب ... مسوّمٌ تعنو له الأسراب
أصدأ بادى الحسن لا يعاب ... قد كملت في طبعه الآداب
وهذبت أخلاقه الذعاب ... أقبُّ مما ولّد الأعراب
ذو نسب تحسده الأنساب ... وميعة يتزو بها الشباب
كأنما غرّته شهاب ... كأنما لبّاته محراب
كأنما حجوله سراپ ... كأنما حافره مجواب
للصخر عند وقعه التهاب ... إذا تدانى فهو الحجاب
إن القرارات له انصباب ... وإن علا فالصقر والعقاب
للريح في مذهبه ذهاب ... فالوحش ما يلقاه والهراپ
دماؤها لنحره خضاب ... يا غائباً طال به الإياب
لا خبرٌ منك ولا كتاب ... ما كنت إلا روضة تنتاب

مستأنساً تألفك الرحاب ... تعشقك العيون والألباب

ترتجّ كالموج له عباب ... تناوبتك للردى أنياب

تجزع من أمثالها الأحباب ... وكنت لو طالت بك الأوصاب

يخفّ في مصرعك المصاب ... ما طاب عن إضرابك الإضراب

ولا صحا من حبك الأصحاب ... وأنت فردّ ما له أتراب

يا حزناً إذ ضمّك الخراب ... وأغلقت من دونك الأبواب

كصارم أسلمه القراب ... وقد جرى من فمك اللعاب

وامتاز منه النحل والذباب ... واعتورتك الفتنة الغضاب

وفيك أطراف المدى تنساب ... حتى نضى عن جسمك الإهاب

هل هو إلا هكذا العذاب ... وقد إذا الإصطبل والجناب

بيكيك والسائس والبواب ... والسرج واللجمام والركاب

قل لأبي عيسى وما الإسهاب ... بنافع تمّ لك الثواب

والرأي في دفع صواب ... فاسكن فهذا الصاحب الوهاب

شيمته السخاء والإيجاب ... في جوده وفضله مناب

آلاؤه ليس بها ارتياب ... يضلّ في إحصائها الحساب

لا زال والدعاء يستجاب ... يبقى لنا ما بقي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود:

بكاءً على الطرف يسبق الطرفا ... على ذلك الإلف الذي فارق الإلفا

وقف مدد الأحران وقفاً مؤبداً ... عليه وخلّ الدمع يجري له وكفا

على أصداً زان الحلبيّ إذا اغتذت ... عليه وزان البيض والبيض والزعفا

على أصداً جاره ألف مشهّر ... عتيق فوافانا وقد سبق الألفا

على فرسٍ جارى الرياح على حفاً ... فغادرها حسرى وخلّفها ضعفى

جواب الذي ينعى إليه أيا لهفاً ... على ذلك الأصدا وقلّ له هفى

أقام بمنواه الجياد مناحةً ... كما عقدت وحش الفلاة به قصفا

وآل الغراب والوجيه ولاحقى ... ادامت عويلاً لا أطيق له وصفا

فكم أقرحت خدّاً وكم ألهبت حشاً ... وكم أوجعت قلباً وكم أدمعت طرفا

ولو عرفت حسناء داود حقّه ... لما ضفّرت شعراً ولا خضّبت كفاً

فكم قد حماها يوم حربٍ وغارّة ... وكم نزعّت من خوفها القلب والشنفا

يطير على وجه الصعيد إذا جرى ... فما إن يمسّ الأرض من أرضه حرفا

ويعطيك عفواً من أفانين ركضه ... إذا سمته التقريب أو سمته القطفنا

له ذنبٌ ضافٍ يجرّ على الثرى ... طويلٌ كأذيال العرائس بل أضفى
له غرّةً مثل السراج ضياؤها ... وأي سراج بالنوائب لا يطفأ
سقى الغيث وهو مشبهًا ذلك الكتفا ... وطوداً منيفاً حاكياً ذلك الردفا
يواجه وجه الوحش إن سار خلفها ... فيجعلها من حيث لم يحتسب خطفا
ويرجع مخضوب البنان كأنه ... عروسٌ وقد زقت إلى خلرها زفاً
وإن خاف من عين النواظر أهله ... عليه فمدّوا دون مربطه سحفا
إذا ما غزا الغازي عليه قبيلةً ... فلا حافراً أبقي عليه ولا خفاً
يراه كميته وهو لهفان والّه ... لميته يطوي الظلام وما أغفى
ولو أنه قد كان حقق موته ... لجزّ عليه للأسى الشعر الوحفا
وما أنا ممن يظهر الشجو أماناً ... وإن عظيمات المصائب لا تخفى
ولولاه وفاءً فيه كت أقوده ... إليك بلا من ولكنّه استعفى
كراهيةً من أن يقوم مقامه ... حفاظاً وبعض الخيل يستعمل الظرفا
وأعفيته أن الوزير معوّضٌ ... ومن ذا الذي نداه ولا يكفى
فعول أبا عيسى عليه فإنه ... سيطفيك خطب الدهر وهو به أكفى
ولو لم يرد تعويضه لك عاجلاً ... لقال له رفقا وقال له وقفا
فإن صروف الدهر تحت يمينه ... فإن شاءها بعثاً وإن شاءها صرفا
هو البحر يغني الناس من كلّ جانب ... فغرقاً من البحر الذي زرته غرقا
هو الغيث يعطي كلّ غادٍ ورائحٍ ... عطاءً جزيلاً لا بكيئاً ولا نشفا
كريمٌ إذا ما جاءه ابن حظيّةٍ ... ألان له عطفاً وأبدى له عطفاً
أقام مناراً لالندى والهدى معاً ... فعاد لنا كهفاً وصار لنا لطفاً
تعزّ أبا عيسى وإن أعوز الأسى ... وعاوز هُديت اللهو والطيب والعرفا
وهاك كأمثال الرياض سوابقاً ... تسير قوافي الشعر من خلفها خلفا
ومن قصيدة أبي عيسى:

لقد عظمت عندي المصيبة في الأصداء ... وأبدت لي اللذات من بعده صدأ
وأهدي إلى قلبي المصاب بفقده ... من الحزن ما لو نال يدبل لأمداً
ولو كان يغنيني الفداء فديته ... بنفسي وأهلي فهو أهلٌ لأن يفدى
ولكنه لّبي المنون مبادراً ... ويا ليتته لما دعاه الردى ردّاً
مضى الطرف واستولى على الطرف دمه ... وألّهب في الأحشاء من حرقٍ وقدا
مضى الفرس السباق في حلبة الوغى ... فعادت عيون الخيل من بعده رمداً
يبعد الرياح كلّها في حضاره ... فتتركه كرهاً وقد بدلت جهداً

مواقفه عند الطراد شهيرة ... تجاوز في أعجاوها الوصف والحدّا
نسيم الصبا يحكيه في هزل سيره ... وترهبه ربح الشمال إذا جدّا
فقد صار نمبي بين وحشٍ وطائرٍ ... غدا سيّداً فيها وراح لها عبدا
تسلّ أبا عيسى ولا تقرب الأسي ... وكنّ حازماً شهماً وكنّ بازلاً جلدّا
فقد كمد الإخوان من فرط حزنهم ... وقد شمت الحساد مذ فقد الأصدّا
وأصبح أبناء الشجاعة حسراً ... فمن قارع سنّاً ومن لاطم خدّاً
وقد هاج لي حزناً عليه تحسّري ... فهيمني وجداً وذكّرتني نجدا
جواذ عزيز أن يجود بمثله ... جواذ ومن يعدى عليه إذا استعدى
سوى الصاحب المأمول للجود والندى ... ومن كفّه من صيّب خضل أندى
أتاح لنا الإحسان من كل جانب ... فحصل منا الشكر والنشر والحمدّا
له همّة فوق السماء مقيمة ... تعلّم من يرجوه أن يطلب الرفدا
ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء:
كلّ نعيمٍ إلى نفاذٍ ... كل قريبٍ إلى بعاد
كلّ هبوبٍ إلى ركود ... كل نفاقٍ إلى كساد
وكل ملكٍ إلى زوال ... وكل كونٍ إلى فساد
وصادقٍ من يقول فاسمع ... والسمع بابٌ إلى الفؤاد
قد بلغ الزرع منتهاه ... لا بد للزرع من حصاد
لهفي على أصداء جوادٍ ... من هبة الصالح الجواد
منقطع المثل في البلاد ... وغرة الطرف والتلاد
لهفي على أصداءٍ مسيحٍ ... قد كان ماء وأنت صادي
وكان ناراً وكلّ نارٍ ... فمنتهاها إلى الرماد
كان من العين والفؤاد ... في العين من مركز السواد
لو شرب الصافات راحاً ... لكان ريحانة الجياد
عهدي به شهقاً منيفاً ... يمرّ مرّاً إلى صعاد
أسرع من لحظةٍ وأحلى ... في العين من طارق الرقاد
أجراً من ضيغمٍ وأجرى ... من سيل ليلٍ بقعر وادي
سليل ربحٍ أخو شهابٍ ... طود جمالٍ هلالٍ نادي
عدّة سارٍ عتادٍ غادٍ ... قعدة قارٍ عنادٍ بادي
أسيرٌ مما يقال فيه ... والشعر جوابة البلاد
كأنما خلقه سداً ... قد صبّ في قالب السداد
كأنه ساحرٌ عليم ... من راكب الطرف بالمراد

عينٌ أصابته لا رأت من ... قهوي لقاه إلى التنادي
نفذت يا دهر شرّ سهمٍ ... أتى على خيرٍ مستفاد
لو كان يغني الدفاع عنه ... جعلت ترساً له فوادي
فاصبرْ لحكم الإله وانقذ ... للحق يا فاقد الجواد
هون عليك الملم يا أبا ... عيسى وكن ثابت العماد
أنت من الصاحب المرجى ... ما عشت في نائلٍ معاد

ذكر الفيليات

لما حصل الصاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر خراسان، أمر من بحضورته من الشعراء
أن يصفوه في تشيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدى كرب:

أعددت للحدثان سا ... بغةً وعداءً علندي
فمن قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك:
قسماً لقد نشر الحيا ... بمناكب العلمين بردا
وتنقّست يمينيةً ... تستضحك الزهر المندى
وجريحة اللّبات تن ... ثر من سقيط الدمع عقدا
نازعها حلب الشّثو ... ن وقلّما استعبرت وجدا
ومساجلٍ لي قد شقق ... ت لدائه في فيّ لحدا
لا ترم بي فأنا الذي ... صيّرت حرّ الشعر عبدا
بشواردٍ شمس القيا ... د يزدن عند القرب بعدا
وممسك البردين في ... شبه النقا شيةً وقدّا

فكأنما نسجت علي ... ه يد الغمام الجون جلدا
وإذا لوتك صفاته ... أعطاك مسّ الروع فقدا
فكأن معصم غادةٍ ... في ماضغيه إذا تصدّى
وكأن عوداً عاطلاً ... في صفحته إذا تبدّى
يحدو قوائم أربعاً ... يتركن بالتلعات وهذا
جاء المطرّف قد تفر ... د بالفراهة واستبدّا
وإذا نخلل هضبةً ... فكأن ظلّ الليل مدّا
وإذا هوى فكأن ركن ... أ من عماية قد تردّى
وإذا استقلّ رأيت في ... أعطافه هزلاً وجدّا
متقرّطاً أذنّاً تعي ... زجر العسوف إذا تعدّى

خرقاء لا يجد السرا ... ر إذا تولّجها مردًا
أوطأته مرعى نسي ... بي واجتنبت وصال سعدي
ملك رأى الإحسان من ... عدد العواقب فاستعدًا
كافي الكفاة إذا انثنت ... مقل القنا الخطي رمدا
تكسوه نشر العرف ك ... ف من جفون الطلّ أندى
لا زلت يا أمل الفعا ... ة لفارط الآمال وردا
والق الليل لا بساً ... عيشاً برود الظلّ رغدا
ومن قصيدة أبي الحسن الجوهري:
قل للوزير وقد تبدّى ... يستعرض الكرم المعدّا
أفنيّت أسباب العلا ... حتى أبت أن تستجدّا
لومسّ راحتك السحا ... ب لأمطرت كرمًا ومجدا
لم ترض بالخيّل التي ... شدّت إلى العلياء شدّا
وصرائم الرأي التي ... كانت على الأعداء جندا
حتى دعوت إلى العدى ... من لا يلام إذا تعدّى
متقصيًا تيه العلو ... ج وفطنة أعيت معدّا
فيلاً كرضوى حين يلبس ... من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت ... أكنافها برقاً ورعدا
رأس كقلّة شاهق ... كسيّت من الخيلاء جلدًا
فراه من فرط الدلا ... ل مصعراً للناس خدا
يزهى بخرطوم كمث ... ل الصولجان يردّ ردّا
متمردّ كالأفحوا ... ن تمّله الرمضاء مدّا
أو كم راقصة تشي ... ر به إلى الندمان وجدا
وكأنه بوق تحر ... كه لتنفخ فيه جدّا
يسطو بساريقي لحسي ... ن يحطمان الصخر هدّا
أذناه مروحتان أس ... ندتا إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضي ... قتا لجمع الضوء عمدًا
قاسوه بأسطرلاب يجم ... ع ثقبه ما لم يحدّا
تلقاه من بعد فتحس ... به غماماً قد تبدّى
متناً كبنيان الخور ... نق ما يلاقي الدهر كدّا
ردفًا كدكة عنبر ... متمایل الأوراك نهدّا
ذنباً كمثّل السوط يضر ... رب حوله ساقاً وزندا

يخطو على أمثال أعم ... دة الخباء إذا تصدى
أو مثل أميال نضد ... ن من الصخور الصمّ نضدا
متورّد حوض المني ... ة حيث لا يشناق وردا
متلفعا بالكبريا ... ء كأنه ملك مفدى
أدنى إلى الشيء البعي ... د يراد من وهم وأهدى
أذكى من الإنسان ح ... تى لو رأى خلا لسا
لو أنه ذو لهجة ... وفي كتاب الله سردا
قل للوزير عبت ح ... تى قد أتك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا ... سن عنده قرنا وبعدا
لومس أعطاف النجو ... م جرّين في التريبع سعدا
أو سار في أفق السما ... ء لأنبت زهرا وورودا
ومن قصيدة أبي محمد الخازن:
حازوا سعود ديار سعدى ... ورعوا جناب العيش رغدا

وقضوا مآرب للصبا ... مذ أبدلوا بالغور نجدا
سكنوا محلا بالدمى ... أضحي محلا مستجدا
عطفت عليّ ظباؤه ... ما شئت سالفه وقدّا
وشيفت حرّ الوجد من ... برد سقى الأكباد بردا
عجبا أشيم لثغرها ... برقاً ولست أحسن رعدا
وغدوت أجني من غصو ... ن البان تفاحاً ووردا
وبنفسى القمر الذي ... لمعا تصدى ثم صدا
يا هذه أهدي الوصا ... ل تكرماً إن كان يهدى
وتذكّري عهد الصبا ... في بيت عاتكة المفدى
لا تنكري شيباً أل ... م بفوده وفداً فوفدا
وتعلّمي أن الشبا ... ب وإن وفي قرض يؤدى
وإذا أعير فإنه ... لا بدّ من أن يستردا
كم ليلة ساورهما ... وقضيتها حسناً وجداً
وأرى النجوم لآلئاً ... في الجوّ اللازوردا
حتى تحوّل أدهم ال ... ظلماء في الأفقين وردا
وبدا الصباح يحلّ من ... جيب الدجى ما كان شدا
وقريت همّي أعنسا ... تنر الربى بالوخذ وهذا

فوردن أفنية العلا ... مغمورة فحمدن وردا
حيث الفضائل والقوا ... ضل فتن إحصاء وعدا
حيث الوغى مشبوبة ... نيرانها وهجا ووقدا
ومهابة كادت لها ... صم الجبال تحر هذا
أفياله يقدحن في ... ظلم الوغى زندا فرندا
تسري كسحهم سحائب ... بجانب تزجي وتحدي
وليسن دكن ملابس ... غربا معاطفهن ربدا
ورمقن عن أجفان مض ... مرة على الأعداء حقدا
وفغرن أفواها كآف ... واه المزاد تروغ دردا
وكشرن عن أنيابها ... مثل الحراب شبا وحدا
من كل جهنم خلته ... يوم الوغى غولا تصدى
كبيبة من عنبر ... دعمت سواري الساج نضدا
وعليه طارونية ... يزهي بها حررا وبردا
لولا انقلاب لسانه ... لرأيته خصما ألدا
متوليا أمرا وهي ... يا مالكا حلا وعقدا
وكأنا خرطوميه ... راووق خمر مددا
أو مثل كم مسبل ... أرخته للتوديع سعدى
وإذا التوى فكأنه الشعب ... ان من جبل تردى
وكأنا اقلبت عصا ... موسى غداة بها تحدى
متعظفا كالصولجا ... ن بساحة الميدان يحدى
يكسى الحداد وتارة ... يكسى نسيج الدرع سردا
وكأنا هو خاضب ... بالإثم الجاري جلدا
لون حكى إظلامه ... لون المشبه ليس يهدى
مستيقظ أبدا ويك ... بر أن يعبر العين رقدا
كفل تموج كالكتي ... ب قهيله صوبا وصعدا
قد ساد كل بهيمة ... كيسا ومعرفة وجلدا
فكأنه يوم الوغى ... يكسى من الخيلاء بردا
وإذا اتنى من حربه ... يسعى فيرقص دستبندا
أودى بمن عادى الوز ... ير وعمهم حصرا وحصدا
من عزمه كالعضب ق ... د وعلمه كالبحر مددا
مستوحش بالسلم لم ... نألف ظباه قط غمدا

كالغيث يهطل سائحاً ... والليث يبرز مستبداً
وزر الملوك وناهما ال ... أعلى وساعدها الأشداً
أيُّ اسم فخرٍ لم يحز ... ه؟ وأيِّ مجدٍ لم يعدّا؟

أم أي ثغر لم يفت ... ه ولم يشده ولم يسدّا؟
كافي الكفاة المرتحي ... والسيد الهادي المفدى
ما الحرّ إلا من غدا ... للصاحب المأمول عبداً
ولئن أحدث مديحه ... فلطالما أغنى وأجدى
وقربت منه فالتف ... ت إلى الزمان وقلت بعدا
واعترضت غير مخيب ... من مستمرّ النحس سعداً
وكفيت ثمداً ناضباً ... وسقيت ماء العيش رغداً
ومنحت إنصافاً بعو ... ن الله من دهرٍ تعدّى
خذها إليك شواهداً ... في السن الراوين شهدا
هذبته وجلوتهما ... في الحسن خاتمةً ومبداً
قد كان يكدي خاطري ... لكن بمدحك قد أمدّا
أعددت للحدثان جو ... دك دون عداء علندى
وعلمت أنك واحدٌ ... في العالمين خلقت فردا
تذر الوعيد نسيئةً ... كرماً وتجو الوعد مقداً
ويقوح خلقك عن عبي ... ر حوله زخر مندّى
أنا غرسك الزاكي بكفّ ... ك مثمر أدباً وودّا
فسأماً الدنيا بنا استمل ... ت من جدواك حمداً
هي طاعتي حتى أرى ... متبوّناً في الترب لحداً
تفديك نفسي من عوا ... دي كل مكروه ومردى

ولم يحضرني الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث، وإذا وجدت من أخواتها ما يصلح للإلحاق بمشيئة الله تعالى وإذنه، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

خبر سبطه الشريف أبي الحسن

عباد بن علي الحسيني

لما أتت الصاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول:
أحمد الله لبشرى ... أقبلت عند العشي

إذ حباني الله سبطاً ... هو سبط للنبي

مرحباً ثمة أهلاً ... بسلام هاشمي

نبوي علوي ... مسني صاحبي

ثم قال:

الحمد لله حمداً دائماً أبداً ... إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وقد تفرغ في أرض الوزارة عن ... دوح الرسالة غصن مورك رشدا

لله آية شمس للعلا ولدت ... نجماً وغابة عز أطلعت أسدا

وعنصر من رسول الله واشجّة ... كريم عنصر إسماعيل فاتحدا

وبضعة من أمير المؤمنين زكت ... أصلاً وفرعاً وصحت لحمه وسدى

ومثل هذي السعادات القوية لا ... يحوزها غيره دامت له أبدا

يا دهره حتى أن ترهى بمولده ... فمثله منذ كان الدهر ما ولدا

تعجبوا من هلال العيد يطلع في ... شعبان، أمر عجب قط ما عهدا

فمن موال يوالي الحمد مبتهلاً ... ومخلص يستديم الشكر مجتهدا

وكادت الغادة الهيفاء من طرب ... تعطي مبشرها الإرهاف والغيدا

فلا رعى الله نفساً لم تسر به ... ولا وقاها وغشاها رداء ردى

وذي ضغائن طارت روحه شفقاً ... منه وطاحت شظايا نفسه قددا

علماً بأن الحسام الصاحبى غدا ... مجرداً والشهاب الفاطمي بدا

وأنه آنسد شعب كان منصدعاً ... به وأمرع شعب كان محتصددا

فأرفع المجد أعياناً وأسْمُقه ... مجد يناسب فيه الوالد الولدا

فليهنأ الصاحب المولود ولترد ال ... سعود تجلو عليه الفارس النجدا

لم يتخذ ولداً إلا مبالغة ... في صلق توحيد من لم يتخذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه! ومنها:

وخذ إليك عروساً بنت ليلتها ... من خادم مخلص وداً ومعتقدا

أهديتها عفو طبعي وانتحيت بها ... سحراً وإن كنت لم أنفث له عقدا

وازنت ما قلته شكراً لربك إذ ... جاء المبشر بيتاً سار واطّردا

الحمد لله شكراً دائماً أبداً ... إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

وقال أبو الحسن الجوهري في التهنية قصيدته التي منها:

كافي الكفاة بقصد من صرائمه ... حامى الحماة بحصد من مناصله

ما زال يخطب منه الدين مجتهداً ... قربي توطّد من عليا وسائله
وكان بعد رسول الله كافله ... فصار جدّ بنيه بعد كافله
هلمّ للخبر المأثور مسنده ... في الطالقان فقرّت عين ناقله
فذلك الكنز عبّادٌ وقد وضحت ... عنه الإمامة في أولى محايله
لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، والصاحب من
قرية الطالقان من قرى أصبهان، وروق سبطاً فاطمياً، تأوّلوا له هذا الخبر، وأنا بريء منهم عهده.
الصاحب نجاراً في مطالعه ... والطالبي غراراً في مقاتله
يهني الوزير ظباً في وجه صارمه ... من صارم وشباً في حدّ عامله
وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها:
كسك الصوم أعمار الليالي ... وأعقبك العنيفة في المآب
فلا زالت سعورك في خلود ... تبارى بالمدى يوم الحساب
أتاك العر يسحب برديته ... على ميثاء حالية التراب
بيدر من بني الزهراء سار ... تعرّى عنه جلاب السحاب
تفرّع في النبوة ثم ألقى ... بضبعيه إلى خير الصحاب
تلاقت لابن عباد فروع ال ... نبوة والوزارة في نصاب
فلا تغرر برقدته الليالي ... ولا تشخذ له الهمم النوابي
فمن خضعت له الأسد الضواري ... ترقع عن مراوغة الذئاب
وكان الصاحب إذا ذكر عبّاداً أنشد وقال:
يا ربّ لا تخلي من صنعك الحسن ... يا ربّ حطّني في عبّادٍ الحسني
ولما فطم قال:
فطمت أبت عبّاد يا ابن الفواطم ... فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه ... لما فطموه عن رضاع المكارم
ولما أملك عباد بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة أبي الحسن قال أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي قصيدة
منها:

المجد ما حرس أولاه أخراه ... والفخر ما التفّ أقصاه بأذناه
والسعي أجلبه للحمد أصعبه ... والذكر أعلاه في الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجوّ أنضره ... والأصل أرسخه في الأرض أنقاه
اليوم أنجرت الآمال ما وعدت ... وأدرك المجد أقصى ما تمناه
اليوم أسفر وجه الملك مبتسماً ... وأقبلت بريد السعد بشره
اليوم ردّت على الدنيا بشاشتها ... وأرضي الملك والإسلام والله
والملك شدّت عراه بالنبوة فار ... ترّت دعائمه واشتدّ ركنه

وصار يعزى بنو ساسان في مصر ... صنعاً من الله أسنائه فأسنائه
قد زفّ من جده كافي الكفاة إلى ... من خاله ملك الدنيا شهنشاه
سبطان سدّي رسول الله سلّكهما ... فألحم الله ما قد كان سداه
أولاد أحمد ريجان الزمان ومو ... لانا الوزير من الريجان رياه
أولاد أحمد منه لا يميّزهم ... عنه ولاء ولا مال ولا جاه
متى ابني واحد منهم بواحدة ... فإنما صافحت يمينه يسراه
قال مؤلف الكتاب: كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به صاحب في هذا المكان، فاقترصت على ما
سيمر منها عند ذكر شعرائه، وسياسة البدائع من محاسنهم، والوسائط من قلائدهم، بإذن الله سبحانه وتعالى
ومشيئته وإرادته.

الفاظ له تجري مجرى الامثال

وهذه غرر من فقر ألفاظ صاحب تجري مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها بين ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد منها في كتابه " ملح الخواطر، وسبح
الجواهر "، وبين ما أخرجه أنا سالكا سبيله، ومحتذياً تمثيله.
من استباح البحر العذب، استخرج اللؤلؤ الرطب من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه السنة المطالب من
كفر النعمة، استوجب النعمة من نبت لحمه على الحرام، لم يحصده غير الحسام من غرته أيام السلامة، حدثه
ألسن الندامة.
من لم يهزه يسير الإشارة لم ينفعه كثير العبارة رب لطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال الصدر يطفح بما
جمعه، وكل إناء مؤذ ما أودعه الليب تكفيه اللوحة، وتغنيه اللحظة عن اللفظة، الشمس قد تغيب ثم تشرق
والروض قد يذبل ثم يورق، والبدر يأفل ثم يطلع، والسيف ينبو ثم يقطع العلم بالتذاكر، والجهل بالتناكر
إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب الضمائر الصراح، أبلغ من الألسنة الفصاح الشيء يحسن في
إبانه كما أن الثمر يستطاب في أوانه الآمال ممدودة، والعواري مردودة الذكرى ناجعة، وكما قال الله تعالى
نافعة متن السيف لين، ولكن حده خشن، ومتن الحية ألين، وناهما أخشن، عقد المنن في الرقاب، لا يبلغ إلا
بركوب الصعاب بعض الحلم مذلة، وبعض الاستقامة مزلة كتاب المرء عنوان عقله، بل عيار قدره ولسان
فضله، بل ميزان علمه إنجاز الوعد، من دلائل الجحد، واعتراض المطل، من إمارات البخل، وتأخير الإسفاف،
من قرائن الإخلاف خير البر ما صفا وضمفا، وشره ما تأخر وتكدر فراسة الكريم لا تبطي، وقيافة الشر لا
تخطي قد ينبج القمر، فليلقم النابح الحجر كم متورط في عثار، رجاء أن يدرك بشار بعض الوعد كنقع
الشراب، بعضه كلع السراب قد يبلغ الكلام، حيث تقصر السهام ربما كان الإقرار بالقصور، أنطق من
لسان الشكور ربما كان الإمساك عن الإطالة، أوضح في الإبانة والدلالة لكل امرئ أمل، ولكل وقت عمل
إن نفع القول الجميل، وإلا نفع السيف الصقيل شجاع ولا كعمرو، ومندوب ولا كصخر لا يذهبن عليك

تفاوت ما يتن الشيوخ، والأحداث، والنسور والبغاث كفران النعم، عنوان النقم جحد الصنائع، داعية القوارع تلقى الإحسان بالبحود، تعريض النعم للشرود قد يقوى الضعيف، ويصحو النزيف ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد للصدر نفثة إذا خرج، وللمرء بثة إذا أحوج ما كل امرئ يستجيب للمراد، ويطيع يد الارتياح قد يصلى البريء بالسقيم، ويؤخذ البرّ بالأثيم ما كل طالب حق يعطاه، ولا كل شائم مزن يسقاه إن الأحداث لا رياضه لهم بتدبير الحوادث إن السنين تغير السنن من ثقلت عليه النعمة، خف وزنه. ومن استمرت به الغرة حزنه أطع سلطان النهي، دون شيطان الهوى.

ملح وظرف من ألفاظه

أخبرني عن سفرتك، وعما حصل بها في سفرتك وجدت حراً يشبه قلب الصب، ويذيب دماغ الضب أنوب فيه نيابة الوكيل المكثري، بل المملوك المشتري قد تحملت مع يسير الفرقة، عظيم الحرقه. ومع قليل البعد، كثير الوجد عليّ أن أقول، وما عليّ القبول لا أعترض بين الشمس والقمر، والروض والمطر أكره أن أمل، وقد قصدت أن أجل، وأن أعق، وقد قصدت أن أقضي بالحق مرحباً بزائر لباسه حرير، وأنفاسه عير زائر وجهه وسيم، وريحه نسيم، وفضله جسيم بستان النظير، وراق ورقة النضير فلان بين سكرى الشباب والشراب عصن طلعه نضير، وليس له نظير خط أحسن من عطفات الأصدغ، وبلاغة كالأمل آذن بالبلاغ فقر كما جادت الرياض، وفصول كما تغازلت المقل المراض ألفاظ كما نورت الأشجار، ومعان كما تنفست الأسحار نشر كثر الورد، ونظم كنظم العقد كتابك رقية القلب السليم، وغرة العيش البهيم كلام يدخل على الأذن، بلا إذن فلام كريم ملء لباسه موفق أنفاسه، ذو جدّ كعلو الجدّ، وهز كحديقة الورد، عشرته ألطف من نسيم الشمال، على أديم الزلال، وألصق بالقلب، من علائق الحب شكره شكر الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه أثنى عليه ثناء العطشان الوارد، على الزلال البارد قلب نغل، وصدر دغل وعده برق خلب، وروغان ثعلب فلان يعلق بأذيال المعاذير، ويحيل على ذنوب المقادير.

فصول له ورقاع في الملاحظة والمداعبة

فصل من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر ورباطه، أو قطع الموت نياطه. ووصفت الحمار الذي استعضته، فلا أدري أقرطته، أم عضدته؟ وقد كتبت بابتياح مركوب لك بعيوب، أو يعسوب، أو مرجوب بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر، فإن شئت فاتركه عندك أشهب، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر، ويجب درج كتابي فيوصل، والنقد عند الحافر، وبه يملك الخف والحافر، ويجنب الأعز السائل، والأقبح النادر.

فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري، وما أدراك ما الغضائري. استراد إلى الجمال جمالاً، وعاد بدراً وكان هلالاً، فإن شئت فالغصن ميالاً، وإن شئت فالدعص منهالاً:

كأنّ جميع الناس يلقون وجهه ... بناظرك المفتون، والحبّ شامل
رويدك إن أحيت فالغصن مائلٌ ... وإنّ تصبُّ بعد الدعص فالدغص هائل
وهو يهدي إليك سلاماً كرقّة خده، ونسيم عرفه، وغزارة دمّك من بعده:
سلاماً كما رقّ على الصبا ... رجاء رسول الورد في ومن الورد
تأبى أيها العبد الصالح، إلا أن تغمسنا معك في مزج المازح:
ألا ربّ ذي مزجٍ يحرك حبله ... وحبل الثّقي من قلبه شزر

فصل

وما الشأن في أنك تنتقل في الهوى تنقل الأفياء، وتتميّل في الحب كشارب الصهباء. فمرة الغضائري، حتى إذا حسناك قد صرت له وصار لك، وعلق بك أمله وأملك. بعث قديماً بحديث، وتليداً بطريف، واستهوتك حبال القمى فقمّت تفتل في حبله، وتحرص على وصله، ثم تطمع أن تضم ضدّاً إلى ضد، وتجمع سيفين في غمد. وهيهات! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتمرّر، وغار وتنكّر، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان، ففتر بفتور صبوتك، وخفت بظهور نبوتك:
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر، وأما نحن فننشد لكثيراً:
إذا ما أرادت حلّة أن تزيّلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أوّل
والله يسقي عهلك صوب العهد، ويعدينا وإياك على البعاد.

رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني يعجيني نوؤه الفاختي، وإذ قد غابت شمس السماء عنا. فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا. فإن نشطت للحضور، شاركتنا في السرور. وإلا فلا إكراه ولا إجبار، ولك متى شئت الاختيار.

وفي مثلها

غداً يا سيدي ينحسر الصيام، وتطيب المدام. فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة، وننشر أعلام السرور خافقة، فبالفتوة فإنما قسم للظراف، يفرض حسن الإسعاف، لما بادرتما ولو على جناح الرياح، إن شاء الله تعالى.

أخرى – نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ إلا عنك، شاكر إلا منك. قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت

فيه حدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج، وفقت فارات النارج، وأنطقت ألسنة العيدان، وقام خطباء الأوتار، وهبت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندماء، وامتدت سماء الند، فبحياتي لما حضرت، لحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعقد.

في مثلها – نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت، ونوره در، ونارنجه ذهب، ونرجسه دينار ودرهم، ويحملها زبرجد، وألسنة العيدان تخاطب الظراف، بهلم إلى الأقداح، لكننا بغيبتك كعقد عييت واسطته، وشباب أخذت جدته، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في الحداره، والقمر في مداره.

في مثلها – مجلسنا يا سيدي مفتر إليك، معول في إنائه عليك، وقد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمينك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذنك، فأما حدود نارنجه فقد احمرت لإبطاتك، وعيون نرجسه فقد حذفت تأمياً للقائك، فبحياتي عليك لما تعجلت، لنلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من همي ما طار.

في مثلها – صرنا أيد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق، ومن خلقه سرق، فرأينا أشجاراً ثقیل فتذكر تبريح الأحباب، وقد تداولتهم أيدي الشراب، وأنهاراً كأنها من يد مولانا تسيل، أو من راحته تفيض، وحضرنا فلان فعلاً نجمنا، وحمد أمرنا، وتسهل طريق الخير لنا، فلما دبت الكؤوس فيهم ديب البرء في السقم، والنار في الفحم. رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمعاً، ولم أستجز لأمره دفعاً، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى الجمع، ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته، ولمس الشمس بمطالعه، فإن رأى أن يشفعني أسعفني إن شاء الله تعالى.

فصل – أنا على طرف بيتان أذكرني ورده المفتح بخلقك، وجدوله السابح يطبعك، وزهره الجنيّ يقربك.

فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودّي لك، ورقة قولي في عتابك، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم غالب، وقد قابلي شقائق كالزنوج تجارحت فسال دماؤها وضعفت فبقي دماؤها، وسامتني أشجار كأن الحور أعارها أثوابها، وكستها أبرادها، وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت، أو ثدي أبكار خلقت، وقد نبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فرفقت وكففت، وصدقت عن كثير مما له تشوفت.

ومن رقعة – مضيت وشاهدت أحسن منظر: فالأرض زمردة، والأشجار وشي، والماء سيوف، والطير قيان.

رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها، وأحرص على عمارة سبل الفتوة من أن يخص عليها، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر، وطوي بساطها الشراب، على ما فيه من خطأ وصواب، وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتني ونقلني عن عادي، واستعفيت السقا غير دفعة فأبوا إلا إلحاحاً عليّ وإترعاً إليّ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفادياً من أن يعقد على خنصر

الثقيل، فلما بلغت الحد، الذي يوجب الحد بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لّبه، ولا يساعده عقله وقلبه. ولا غرو فموالاة الأبطال، تدع الشيوخ كالأطفال. فإن رأى أن يقبل عنري، فيما جناه سكري، ويهب جرمي لمعرفته نيتي في صحوي، وإن أبي إلا معقابي جعلها قسمين بين المدام وبينني، فعل إن شاء الله تعالى.

في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى، ومحاسن تطول أن تستقصى، منها أنه أول ثغر ييسم عنه الربيع ويضحك، ودر يعقد على القضبان ويسبك، ولتمايله اذكر بقدود الأحباب، وتبيح لسواكن الأطراب، وحل إلى قضيب منه ورداته متعادلة، ولذاته متقابلة. فأنفدته مع رقعتي هذه إليك، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك، وقلت:

وقصيب من الخلاف بديع ... مستخص بأحسن الترصيع
قد نعي شدة الشتاء علينا ... وسعى في جلاء وجه الربيع
وحكى من أحب عرفاً وظرفاً ... واهنزاذاً يشير ماء ضلوعي
رقّة ما نظمت نحو بديع ال ... مجد حاكي الربيع حسن صنيعي

في إهداء أترجة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق، وتنظم نغوت مشوق وشائق. حتى ظفرت بأترجة كأن لوهاً لوني، وقد منيت ببعذك، وبليت بصدك. وكان عرفها مستعار من عرفك، وظرفها مشق من ظرفك، فكأنها بعض من لا أسميه، وأنا أفديه، فأنفذتها وقلت:

مولاي قد جاءتك أترجة ... من بعض أخلاقك مخلوقه
ألبسها صانعها حلّة ... من سرق أصفر مسروقه

في إهداء أقلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله، وتحمل نفحات فواضله، وتأنقت في بريها فأتت كمناقير الحمام، واعتدال السهام، خمسة منها مصرية مقومة. عليها حلل مسهمة، وعشرة منها بيض كأياديه، وأيام مؤمليه، والله يديم له مواد نعمته، ويوفقني لشرائط خدمته.

تهنئة بنت

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، نجباء يتلاحقون:

فلو كان النساء كمثلي هذي ... لفصّلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخرٌ للهِلال
فأدرع يا سيدي اغتباطاً، واستأنف نشاطاً، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدعونها، والذكور يعبدونها، والأرض
مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجم
الثاقب، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان، وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا
عرف الأنام. والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، ولها بعث المرسلون. فهنيئاً ما أوليت، وأوزعك الله شكر ما
أعطيت، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد، وما بقي الأمد، وكما عمّر لبد.

رقعة مداعبة

خبر سيدي عندي وإن كتّمه عني، واستأثر به دوني، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسه. وغناء
الضيف الطارق وعريسه وكان ما كان مما لست أذكره وجرى ما جرى مما لست أنشره، وأقول: إن مولاي
امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه؟ وهل سلم على حرونة الطريق؟
وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق؟ وهل أفرد الحج أن تمتع بالعمرة؟ وقال في الحملة بالكرة. ليتفضل بتعريفي
الخبر فما ينفعه الإنكار، ولا يغني عنه إلا الإقرار، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة. كما ساعده مره،
فصلي للقبلة التي صلى إليها، وتتمكن من الدرجة التي خطب عليها، هذا وله فضل السبق إلى ذلك
الميدان، لكثير الفرسان.

ومن أخرى

انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها، منبت الدر من فمها. وملقط الورد
من خدها، ومنيع السحر من طرفها، وحقاق العاج من ثديها، ومبادئ الليل من شعرها، ومغرس الغصن في
قدها، ومهيل الرمل في ردفها، وكلا فإنها شوهاء. ورهاء خرقاء خلقاء، كأنا محياها أيام المصائب، وليالي
النوائب، وكأنا قربها فقد الحباب، وسوء العواقب، وكأنا وصلها عدم الحياة، وموت الفجأة، وكأنا
هجرها قوة المنة. وكأنا فقدتها ريح الجنة.

ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالمالخوليا وبالتنخابيل الفاسدة، فقد ذكر جالينوس أن قوماً
يبلغ بهم سوء النخيل، أن يقدروا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا. وحكى
أن قوماً يطنون أنفسهم طيوراً فلا يغتدون إلا القرطم، والحظّ كتابي دفعة ثم مزقه، فلا طائل فيه ولا عائد
ولا فرج عنده، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها أبو كاتب بكر،
فلما ألع عليها وألحف كتبت إليه:

أيرك أير ما له ... عند حرّي هذا فرج

فاصرفه عن باب حرّي ... وأدخله من حيث خرج
هذه والله في هذين البيتين أشهر من كبشة أم عمرو، والنساء أخت صخر، ومن كعوب الهذلية، وليلى
الأخيلية.

ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد
الله بن أحمد يسردها، فرادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجاباً بها، وهي: كتابي هذا وقد أرحى
الليل سدوله، وسحب الظلام ذيوله، ونحن على الرحيل إذا إن شاء الله إذا مدّ الصباح غوره، قبل أن يسبغ
حجوله. ولولا ذاك لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر. ولم أقتصر منه على زاد المسافر. فإن المحتمل له
وسيع الحقوق لدي، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي، وهو أبو عبد الله الحامدي أعزه الله تعالى، كان
وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشيبني السعيد، رفع الله منازلهم. وقتل قاتله، يكتب له فأنسنا
بفضله، وأنسنا الخير من عقله، فلما فجع بتلك الصحبة، وبما كان له فيها من القربة. لم يرض غير بابي
مشرعاً، وغير جنابي مرتعاً، وقطع إليّ الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق غباره، ولا ينسى على الزمان
ذماره. وكنت على جناح النهضة التي لم يستقرّ نواها، ولم تبّن حصباها، ولم تلق عصاها، فأمرج الحر المبتدأ
الأمر، القريب العهد بوطاة الدهر، حامل عليه بالمركب الوعر، فرددته إليك يا سيدي لتسهل عليه
حجابك، وتمهد له جنابك، وتترصد له عملاً خفيف الثقل، ندى الظل، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته
إليه، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه، وعندك مربعه ومشتاه، ويريد اشتغالا بالعلم ليزيده في
الاستقلال، إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته، وإن شاء لحق بنا
ناشراً ما أوليته، وقد وقعت له إلى فلان بما يعنيه على بعض الانتظار، إلى أن تختار له أيدك الله كل الاختيار،
فأوعز إليّ بتعجيله، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي أفردني بتأميله، إن شاء الله تعالى.
رقعة له إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرمان عند وروده باب الري وافداً عليه:
تحدّثت الركاب بسير أروى ... إلى بلدٍ حططتُ به خيامي
فكدّثت أطير من شوقي إليها ... بقادمةٍ كقادمة الحمام

أفحق ما قيل أمر القادم؟ أم ظن كأمني الحالم؟ لا والله بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان، فمرحباً
أيها القاضي براحتك ورحلك. بل أهلاً بك وبكافة أهلك. ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك، ووجدنا ريح
يوسف من ريّك، فحثّ المطى تزلّ غلتي بسقياك، وتزح علتي بلقياك، ونص على يوم الوصول لنجعله عيداً
مشرفاً. وتتخذة موسماً ومعرفاً. ورد الغلام أسرع من رجح الكلام، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر، وأن
يترك الصبا في عقال وأسر.

سقى الله داراتٍ مررت بأرضها ... فأدّتك نحوي يا زياد بن عامر
أصائل قرب أرتحي أن أناها ... بلقياك قد زحزن حرّ الهواجر

رقعة في ذكر مصحف أهدي إليه

البرّ أدام الله الشيخ أنواع، وتقصّر عنه أبواع، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً، وأشرف منسباً. فتحفة الشيخ إذ أهدي ما لا تشاكله النعم، ولا تعادله القيم، كتاب الله وبيانه، وكلامه وفرقانه، ووحيه وتنزيله، وهده سبيله. ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله، طبع دون معارضته على الشفاه، وختم على الخواطر والأفواه. فقصر عنه الثقلان، وبقي ما بقي الملوان، لانتج سراجيه، واضح منهاجه، منير دليله، عميق تأويله، يقصم كل شيطان مريد، ويذل كل جبار عنيد، وفضائل القرآن، لا تحصى في ألف قران، فأصِفُ الخط الذي بهر الطرف، وفاق الوصف، وجمع صحة الأقسام، وزاد في نخوة الأقلام، بل أصفه بترك الوصف آثاره، وعينه فراره، وحقاً أقول إني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت، وإن هذا المصحف لرائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة، بل زيادة الحج على العمرة.

لقد أهديته علماً نفيساً ... وما يهدي النفيس سوى النفيس

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه إليه في وصف البحر، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه، وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره: وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه، وعاین من مراكبه، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتها، واستجابة أدواتها لها متى نادتها. وركوب الناس أشباحها والخوف بمراى ومسمع، والمنون بمقرب ومطلع، والدهر بين أخذ وترك، والأرواح بين نجاة وهلك، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة، حجب إليهم الغرر، وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرتة وحصولي على مساعدته، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله، واستعظامه لأهواله، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره، من وصف الأستاذ له فإني قرأت منه الماء السلسال. لا الزلال، والسحر الحرام، لا الحلال، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة صدره، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشاللاً يفضل عن التبرض، وثمداً لا يكتر عن الترشف.

وكم من جبال جبت تشهد أنك الجبال وبحر شاهد أنك البحر.

ومحاسن فقر الصاحب تستغرق الدفاتر، وتستنزف في الانتخاب منها الخواطر، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها.

مختارات من شعره في الغزل

هذا ما اخترته من ملح شعره في الغزل وما يتعلق به

قال:

تسحب ما أردت على الصباح ... فهم ليل وأنت أخو الصباح
لقد أولاك ربك كل حسن ... وقد ولأك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرنى شراب ... فأنعم من رضاك لي براح
وليس لدي نقل فارقتني ... بنقل من ثنايك الوضاح
وقال:

لا ترجو إصلاح قلبي بلوم ... حلف الجفن لا استقل بنوم
وهواه لن تأخر عني ... طول يومي إني سيحضر يومي
وقال:

علي كالغزال وكالغزاله ... رأيت به هلالاً في غلاله
كأن بياض غرته رشاد ... كأن سواد طرته ضلاله
كأن الله أرسله نبياً ... وصير حسنه أقوى دلاله
إذا ما زدت وصلاً زدت خيلاً ... كأن حبال وصلك لي خباله
وقال:

هذا عليّ عليّ في محاسنه ... كأنما وصفه أن يبلغ الأمل
وكم أقول وقد أبصرت طلعتنه ... هذا لي في طراز الله قد عملا
وقال:

وشادن أصبح فوق الصّقه ... قد ظلم الصّبّ وما أنصفه
كم قلت إذ قبل كفي وقد ... نيمني: يا ليت كفي شفه
وقال في معناه:

أبا شجاع يا شجاع الورى ... ومن غدا في حسنه قبله
قبل فمي إن كت مؤثراً ... فاليد لا تعرف القبله
وقال في معناه:

وشادن جماله ... تقصر عنه صفتي
أهوى لتقيل يدي ... فقلت: لا، بل شفتي
وقال:

قل لأبي القاسم إن جنته ... هنت ما أعطيت هنته
كل جمال فائق رائق ... أنت برغم البدر أوتيه
وقال:

قل لأبي القاسم الحسيني ... يا نار قلبي ونور عيني

البدر زين السماء حسناً ... وأنت زين لكل زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث:

ومهفهف يغني عن القمر ... قمر الفؤاد بفاتن النظر

خالسته تفاح وجنته ... من غير إبقاء ولا حذر

فأخافني قوم فقلت لهم ... لا قطع في ثمر ولا كثر

وقال في مثله:

قال لي إن رقيب ... سيء الخلق فداره

قلت دعني وجهك ال ... جنة حُمت بالمكاره

وقال في مثله:

أقول وقد رأيت له سحاباً ... من المجران مقبلة إلينا

وقد سحت غزالتها بهطل ... حوالينا الصدود ولا غلينا

وقال:

الحبُّ سكرٌ خاره التلف ... يحسن فيه الذبول والدنف

عابوه إذ لجَّ في تصلُّفه ... والحسن ثوب طرازه الصلف

وقال:

وشادنٍ يكثر من قول لا ... أوقع قلبي في ضروب البلا

قلت وقد تيمني طرفه ... هذا هو السحر وإلا فلا

وقال رحمه الله:

وشادنٍ ذي غنج ... طاوي الحشى معتدل

أنشدته شعراً بدي ... عاً حسناً من عملي

فقال فيمن ولمن ... فقلت هذا فيك لي

فطار في وجنته ... شعاع نار الخجل

وقال:

قد قلت لما مرّ يخطر ماشياً ... والناس بين معوذٍ أو عاشق

لم يكف ما صنعت شقائق خده ... تلبس حلةً بشقائق

وقال:

دعني عيناك نحو الصبا ... دعاءً يكرّر في كل ساعه

ولولا تقادم عهد الصبا ... لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

وقال:

شتمت من نيمني مغالطاً ... لأصرف العاذل عن لجاجته

فقال لما وقع البراز في ال ... ثوب علمنا أنه من حاجته

وقال:

أتاني البدر باكياً خجلاً ... فقلت ماذا دهاك يا قمر
قال غزالٌ أتى ليغزلي ... بحسنه فالقواد منقطر
فقلتُ قبلُ ترا به عجلاً ... واسجدُ له قال كلُّ ذا غرر
قد بايعت أنجم السماء له ... فليس لي مفرعٌ ولا وزرُ

وقال:

يا قمرأ عارضني على وجلٍ ... وصاله يشبه تأخير الأجل
وقال: تبغي قبلةً على عجلٍ؟ ... قلت: أجل، ثم أجل، ثم أجل
وقال:

وشادنٍ في الحسن كالطاووس ... أخلاقه كليلة العروس
قد نال باللحظ من النفوس ... ما لم تنله الروم من طرسوس
وقال:

بدا لنا كالبلدر في شروقه ... يشكو غزالاً لجَّ في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه ... من عاشقٍ أحسن من معشوقه
سمعت أبا بكر الخوارزمي، يقول: أنشدني صاحب هذه القوافي ليلة، وقال: هل تعرفون نظيراً لمعناها في
شعر المحدثين؟ فقلت: لا أعرف إلا قول البحري:
ومن عجب الدهر أن الأمي ... ر أصبح أكتبُ من كاتبه
فقال: جودت وأحسننت، وهكذا فليكن الحفظ، وقال:
عزمت على الفصد يا سيدي ... لفضل دمٍ كظني افتصادٍ مؤلم
فلما تأخرت عن مجلسي ... أرقّت لغير افتصادٍ دمي
وقال:

ومهفهفٍ شكل المجون ... أضنى فؤادي بالفتون
فنسيمه ملء الأنو ... ف، وحسنه ملء العيون
وقال:

فمن كان يقطف ورد الجنان ... هطفي مذ كنتُ ورد الحدود
وهمي مذ كنت درّ الغور ... إذا اهتمَّ غيري بلدرّ العقود
وقال:

كنّا وأسباب الهوى متّفقه ... نبتاً من الورد معاً في ورقة
فالآن إذ أسبابه مفترقه ... قد صارت الأرض علينا حلقة
وقال:

يا خاطراً يخطر في تيهه ... ذكرك موقوفٌ على خاطري
إن تكن أثرٌ من ناظري ... عندي فلا متعت بالناظر
وقال:

تأخّرت عني والغرام غريم ... وما ملّ قربُ الأكرمين كريمٌ
وأوهمتني سقماً وأنت مصحّحٌ ... بلى لك عهد كيف شئت سقيم
ولو شئت لم تخلط وصلاً بهجرة ... كما شيب بالماء الزلال حميم
ففي الدهر كافٍ أن يفرّق إنه ... وصيّ ظلومٌ والكريم يتيّم
وقال، ويروي لغيره:

رشاً إذا وجدي عليه كدّفه ... وغدا اصطباري في هواه كخصره
وكأنّ يوم وصاله من وجهه ... وكأنّ ليلة هجره من شعره
إن ذقت خمراً من ريقه ... أو رمت مسكاً نلته من نشره
وإذا تكبّر واستطال بحسنه ... فعدار عارضه يقوم بعذره

ملح من شعره في الصدغ والخط والعذار

قال:

يا شادناً في صدغه عقربٌ ... ما يستجيب الدهر للراقي
يسلم خداه على لدغها ... ولدغها في كبدي باقي
وقال:

وعهدي بالعقارب حين تشتو ... تخفّف لدغها وتقلّ ضرّاً
فما بال الشتاء أتى وهذي ... عقارب صدغه تزداد شرّاً
وقال:

رأيت عليّاً في لباس جماله ... فشاهدت منه الروض ثانيَ مزنه
ولما تبدّى لي امتداد عذاره ... رأيت طراز الله في ثوب حسنه
وقال:

إن كنت تنكره فالشمس تعرفه ... أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشعر كي يحو محاسنه ... وإنما جاءه عمداً يغلفه
وقال:

لما بدا العارض في الخدّ ... زاد الذي ألقى من الوجد
وقلت للعذال يا من رأى ... بنفسجاً يطلع من ورد
وقال:

دبّ العذار على ميدان وجنته ... حتى إذا كاد أن يسعى به وفقاً

كأنه كاتبٌ عزَّ المداد له ... أراد يكتب لأمًّا فابتدا ألفا
وقال:

عذار كالطراز على الطراز ... وشمسٌ في الحقيقة لا المجاز
تبدى عارضاه فعارضاني ... وقال لا تمرُّ بلا جواز
فقلت القلب عندكم مقيمٌ ... وما حسن الثياب بلا طراز
وقال:

أنظرُ إليه كأنه ... شمسٌ وبدرٌ حين أشرفُ
والحظُّ محاسن خدّه ... تعذرُ دموعي حين تذرفُ
فكأنها الواوات ح ... ين يخطُّها قلمٌ محرفُ
وقال:

أبو نصر بن بكران ... مليح الخطُّ والخطُّ
فهذا النمل في العاج ... وذاك الدرّ في السمط
وقال:

إن لبس السواد أقوى دليلٌ ... لأميرٍ يلي أمور العباد
وأمير الملاح يأتيه عزلٌ ... حين تلقاه لا بساً للسواد
وقال:

وخطُّ كأن الله قال لحسنه ... تشبّه بمن قد خطّك اليوم فأتّمرو
وهيهات أين الخطُّ من حسن وجهه ... وأين ظلام الليل من صفحة القمر
وقال في صباح الحجاب:

خداه وردّ وضدغه شبحٌ ... ومقلته الغناء والراح
إن هزّ أطرافه على نغمٍ ... شقّت جيوبٌ وطاح أرواح
وجملة القول في محاسنه ... أن أمير الصباح صباح
وقال:

رقّ الزجاج ورقّت الخمر ... فتشابه فتشاكل الأمر
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنما قدحٌ ولا خمرٌ
وقال:

وقهوةٍ قد حضّرت بختمها ... فقلت للندمان عند شتمها

لا تقبضن بالماء روح جسمها ... فحسبها ما شربت من كرمها
وقال من المتكامل:

متغائرات قد جُمعن وكلّها ... متشاكلٌ أشباحها أرواحُ

وإذا أردت مصرّحاً تفسيرها ... فالراح والمصباح والتفّاح
لو يعلم الساقى وقد جُمعن لي ... من أي هذي تملأ الأقداح
وقال:

ولما بدا التفّاح أحمرَ مشرقاً ... دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيا أدرها فإنها ... حدود عذارى قد جعلن على طبق
وقال من قصيدة:

وكأسٍ تقول العين عند جلانها ... أهل لحدود الغانسات عصيرُ؟
تحاميتها إلا تعلل واصفٍ ... وقد يطرب الإنسان وهو كبيرُ
ومن قصيدة:

وصفراء أو حمراء فهي نحيلة ... لرقتها إلا على المتوهم
تشككنا في الكرم أن انتماه ... إلى الكرم أم هاتا إلى الكرم ينتمي
ومنها:

تمتع ندمانٌ بها وأحبةٌ ... وحظي منها أن أقول ألا انعمي
لك الوصف دون القصص مني فخيمي ... بغير يدي وارضى بما قاله فمي
أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب.
وقال:

وشادنٍ قلن له ما اسمكا ... فقال لي بالغنج عبّاثُ
فصرت من لثغته ألثغاً ... فقلت أين الكاث والطاث

ملح في الأوصاف والتشبيهات

قال:

أقبل الثلج فانبسط للسرور ... ولشرب الكبير بعد الصغير
أقبل الجوّ في غلائل نورٍ ... وتهادى بلؤلؤ منشور
فكأن السماء صاهرت الأر ... ض النثار من كافور
أخذه من قول ابن المعتز:
وكأن الربيع يجلو عروساً ... وكأنا من قطره في نثار
وقال فيه:

هات المدامة يا غلام معجلاً ... فالنفس في قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده ... وكأنا الدنيا به كافوره
وقال فيه:

هات المدامة يا غلام مصيراً ... نقلي عليها قبلة أو عضه

أو ما ترى كانون ينثر وردّه ... وكأنا الدنيا سبيكة فضّه
سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول عند إنشاد هذه التلجيات: كل هذه التلجيات عيال على قول الصنوبري:
ذَهَبْ كُؤُوسَكَ يَا غَلا ... م فإنه يوم مفضّض
فقلت: قد أخذه منه من لم يزد على معناه، فقال:
جاد الغمام بدمع كاللّجين جرى ... فجذ لنا بالتي في اللون كالذهب
وقال الصاحب في النارج:
بعثنا من النارج ما طاب عُرفُهُ ... فقليل على الأغصان منه نوافج
كرات من العقيان أحكم خرطها ... وأيدي الندامى حولن صوالج
وقال في الند:
ندّ لفخر الدولة استعماله ... قد زاد عرفاً من نسيم يديه
فكأنما عجنوه من أخلاقه ... وكأنه طيب الثناء عليه
وقال في حبة عنب:
وحبة من عنب ... من المني متّخذة
كأنما لؤلؤة ... في وسطها زمرد
وقال فيه:
وحبة من عنب قطفتها ... تحسدها العقود في الترائب
كأنما من بعد تميزي لها ... لؤلؤة قد تقبت من جانب
وقال في الشمع:
ورائق القدّ مستحبّ ... يجمع أوصاف كل صبّ
صفرة لونٍ وسكب دمع ... وذوب جسمٍ وحرّ قلب
وقال في التين:
تين يزين رواؤه مخبوره ... متخير في وصفه يتخير
عسل اللعاب لديه لما يجنوي ... وجنى النخيل لديه مرّ ممقر
وكأنما هو في ذرى أغصانه ... قطع النضار أدارهنّ مدور
ويقول ذائقه لطيب مذاقه ... الله أكبر والخليفة جعفر
وقال في الخط واللفظ:
بالله قل لي أقرطاس تحطّ به ... من حلّة هو أمّ ألبسته حللا
بالله لهظك هذا سال من عسل ... أمّ قد صبيت على أفواهنا عسلا
وقال في الوحل:
إني ركب وكفّ الأرض كاتبة ... على ثيابي سطوراً ليس تنكتم

والأرض محبرة والخبر من لثقي ... والطرس ثوبي ويعني الأشهب القلم

من ملح إخوانياته

كتب إلى أبي الفضل بن شعيب:

يا أبا الفضل لم تأخّرت عنا ... فأسأنا بحسن عهدك ظناً
كم تمتت نفسي صديقاً صدوقاً ... فإذا أنت ذلك الممتنى
فبغصن الشباب لما تشئ ... وبعهد الصبا وإن بان منّا
كن جوابي إذا قرأت كتابي ... لا تقل للرسول كان وكنا
وكتب إلى الحسين الطيب:

إنا دعونك على انبساط ... والجوع قد أثر في الأخلاط
فإن عسى ملّت إلى التباطي ... صفعت بالنعل قفا بقراط
وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي:

أسعدك الله بيوم الفصح ... وعشت ما شئت يومٍ سمح
يا رأس مالي في الورى وربحي ... وظفري ونصري ونجحي
شرباً ولا تصغ لأهل النصح ... فالحزم أن تسكر قبل تصحي
سكر النصارى في غداة الفصح وكتب إلى أبي القاشاني:

يا أبا القاسم قل لي ... قل لماذا لا تروُرُ
كنت قد قلمت وعداً ... فإذا وعدك زورُ
وبنرت الورد بالقو ... ل فلم تركُ البذور
ونحرت الودّ بالهيج ... ر كما يهدي الخزور
إنّ أمّ الصديق في ال ... ود لمقالة نزور
وكتبت إليه أيضاً:

مولاي كمّ لمّ تدعُ عب ... دك عند إحضار المدام
أعرفته من بينهم ... متبسّطاً وقت الطعام
أم قيل عربد ذات يو ... م حين صار إلى المدام
أم لم يساعد حين مل ... ت إلى الغلامه والغلام
إن كنت تبخل بالطعا ... م فكيف تبخل بالكلام
لسنا نحاول دعوة ... فاسمح علينا بالسلام
وقال رحمه الله:

لو فتشوا قلبي رأوا وسطه ... سطرين قد خطّا بلا كاتب
حبّ عليّ بن أبي طالب ... وحبّ مولاي أبي طالب

وقال:

يا ابن يعقوب يا نقيب البدور ... كن شفيعي إلى فتى مسرور
قل له إنَّ للجمال زكاةً ... فتصدق بما على المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدي:

أبا العلا يا هلال الهزل والجدّ ... كيف النجوم التي تطلعن في الجلد
وباطنُ الجسم غرٌّ مثل ظاهره ... وأنت تعلم مما قلته قصدي
سمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي يقول: لم اسمع في إنفاذ الحلواء إلى الأصدقاء أحسن من قول
الصاحب:

حلاوة حبك يا سيدي ... تسوغ بعثي إليك الحلاوة
فقلت له: وأنا لم أسمع في النثار للرؤساء أحسن من قولك:
ولو كنت أنثر ما تستحقُّ ... نثرت عليك سعود القللك
أولف كتاباً في الأحاسن، وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن، فأجبتَه إلى ذلك، وحين ابتدأته عرضت
موانع وقواطع عن استتمامه، أقواها غيبته عن خراسان، ثم وفاته رحمه الله تعالى.
وقال الصاحب:

قولوا لإخواننا جميعاً ... من كلهم سيّد مرزاً
من لم يعدنا إذا مرضنا ... إن مات لم نشهد المعزى
وقال لخمود التاجر:

طويت محموداً على جفوته ... محلّصاً نفسي من خلته
قدّرتَه يقلق من علّتي ... مثل انزعاجي كان من علّته
لم يطر ما بي لا ولا مرّ بي ... كأَنَّ سقمي كان من شهوته
من لم يطالعي على علّةٍ ... إن مات لم أمضِ إلى تربته
وقال للقاضي أبي بشر الجرحاني:

يصدّ الفضل عنا أيّ صدٍّ ... وقال تأخّري عن ضعف معدّة
فقلت له جعلت العين واواً ... فإنّ الضعف أجمع في المودّة
وقال:

بُعذتَ فطعم العيش عندي علقمٌ ... ووجه حياقي مذ تغيّبتَ أرقمُ
فما لك قد أدغمتَ قربك في النوى ... وودّك في غير النداء مرخّمُ

ملح من مدائحه

قال من قصيدة في عضد الدولة:

همّامُ رأى الدنيا سواماً فحاطها ... ليالي في غير الزمان وقور

ولم يخطب الدنيا احتفالاً بقدرها ... فموقعها من راحتيه يسير
ولكن له طبع إلى الخير سابق ... ورأي بأبناء الرجال بصير
وإن لم يلاحظهم بعين حمية ... فتلك أمور لا تزال تمور
ومن أخرى:

سعود يحار المشتري في طريقها ... ولا تتأني في حساب المنجم
وكم عالم أحييت من بعد عالم ... على حين صاروا كالهشيم الخطم
فوالله لولا الله قال لك الورى ... مقال النصارى في المسيح ابن مريم
محامد لو فضت ففاضت على الورى ... لما أبصرت عينك وجه مذمم
وكلاً ولكن لو حظوا بزكاها ... لما سمعت أذنك ذكر ملوم
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى ... لغيرك لم أخرج ولم أتأثم
ومن أخرى:

يا أيها الملك الذي كلاًلورى ... قسمان بين رجائه وحذاره
فمناصح قد فاز سهم طلابه ... ومداهن قد جال قدح بواره
هذي بخارى تشتكي ألم الصدى ... وتقول قولاً نبت في أخباره
ماذا عليه لو يهم بعرصتي ... فأكون بعض بلاده ودياره
ومن عميدته ذكر فيها نقرسا نال يمناه:

أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعاً ... فظلّ به يدعى وصار به يكنى
سلامته شمس المعالي وسقمه ... كسوف المعالي لا كسفن ولا بنّا
ولم يأت به ورد إلا ليشغل عن ندى ... وإلا فلم قد خصّ بالألم اليمنى
وما يحجز البحر الخضم عن الندى ... ولا السيد الأستاذ عن جوده يُثنى
وكتب إلى مؤيد الدولة أبي منصور:

سعادة ما نالها قط أحد ... يحوزها المولى الهمام المعتمد
مؤيد الدولة وابن ركنها ... وابن أخي معزّها أخو العضد
وقال في فخر الدولة وقد افتصد:

يا أيها الشمس إلا أن طلعتها ... فوق السماء وهذا حين يقتصد
لما افتصدت قضينا للعلا عجباً ... وما حسبت ذراع الشمس يفتصد
وقال فيه لما بنى قصره بجران:

يا بانياً للقصر بل للغلا ... همك والفرقد سيان

لم تبني هذا القصر بل صنعته ... تاجاً على مفرق جرجان

وقصرك المبني من قبله ... ملكك، والله هو الباني

فاقبل نثار العبد بل نظمته ... فإنه والدُّر مثلان

واسمع مقالاً لم يقل مثله ... مذ كانت الدنيا لإنسان
لو كان للخلق إهان ... لكان فخر الدولة الثاني

ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه:

يا فتى متويّ رفقا ... لست من ينكر أصله

إنما ينكر منه ... من جنون فيه ثقله

أنت نذل من كرام ... أنت في الطاووس رجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

وقال في معناه:

أبوك أبو علي ذو علاء ... إذا عدّ الكرام وأنت نجله

وإن أباك إذ تُعزى إليه ... كالطاووس يقبح من رجله

وقال فيه:

أحمد هذا سبط متويه ... في موته بعد غدٍ قننيه

والشأن في أي علي بغضه ... أحْتَاج أن أقعد للتعزیه

وقال فيه:

قال ابن متويه لأصحابه ... وقد حشوه بأبور العبيد

لئن شكرتم لأزيدنكم ... وإن كفرتم فعذابي شديد

وقال فيه:

أبصرت في كفّ ابن متوي عصاً ... فسألته عنها ليوضح عذرا

فأجاني إني بها متشايع ... هذا، ولي فيها مآرب أخرى

وقال فيه:

سبط متويّ إن دارك دار ... قد عرفت الإدبار إذ تبنيها

لا تكثر تزويقها وترفق ... عن قليل يكون قبرك فيها

وقال فيه:

كلما زدت عتاباً ... زدت في هجوك بيتا

أو ترى طبعي غيضاً ... أو أرى جسمك ميتا

وقال فيه:

سبط متوي رقيع سفله ... أبداً يئذل فينا أسفله
اعتزلنا نيكه في دبره ... فلهذا يلعن المعتزلة
وقال فيه:

رام ابن متوي أيري ... وبرجه فيه طير
فقلت تطلب أيري ... هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمق ... زيادة الخير خير
وقال فيه:

عندي سر لابن متويه ... وعزمي الساعة أن أفشي
أخبرني بعضي عن بعضه ... بأنه أوسع من يمشي
وقال في الغويري:

إن الغويري له نكهة ... ننتها أربت على الكنف
يا ليته كان بلا نكهة ... أو ليتني كنت بلا أنف

وقال في رجل يتعصب للعجم على العرب ويعيب العرب بأكل الحيات:
يا عائب الأعراب من جهله ... لأكلها الحيات في الطعم
فالعجم طول الليل حياهم ... تنساب في الأخت وفي الأم
وقال فيمن زوج أمه:

زوجت أملك يا فتى ... وكسوتني ثوب القلق
والحرُّ لا يهدي الحرا ... م إلى الرجال على طبق
وقال:

لم أر مثل جعفر مخلوقاً ... يشبه طبلاً ويجب بوقاً
وقال:

يا بركة ملأى من الشبوط ... قفك بغاء وكفّي لوطي
وقال:

لنا قاض له رأس ... من الخفة مملوء
وفي أسفله داء ... بعيد منكم السوء
وقال:

إن قاضينا لأعمى ... أم على عمد تعامى
سرق العبد كأن ال ... عبد من مال اليتامى
وقال:

يا قاضياً بات أعمى ... عن الهلال السعيد
أفطرت في رمضان ... وصمت في يوم عيد

وقال:

إذا ما لاح للعين ... أبو بكر فتى القاضي
وقد زاد من التيه ... على القاهر والراضي
فواجهه بامضاض ... وقابله ياغضاض
وقالوا في حرّ أمك ... قمداً الحاكم الماضي

وقال:

رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى ... يقصر عنه فضل عيسى ابن مريم
عزوه إلى تسع وتسعين والداً ... وليس لعيسى والد حين ينتمي

وقال:

سيأتيك برق من هجائي خلّب ... إذا كت ذ برق من الودّ خلّب
وأنشد إذ أصبحت تغلب قلربي ... بعجزك لم يغلبك مثل مغلب

وقال:

مطفل أطفل من أشعب ... ما زال محروماً ومذموماً
لو أنه جاء إلى مالك ... لقال أطعمني زقوما

وقال:

انظر إلى وجه أبي زيد ... أوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه ... وظفّره يركب للصيد
وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر:

يقال لماذا ليس يسكر بعدما ... توالى عليه من نداماه قرقف
فقلت سبيل الخمر أن تنقص الحجى ... فإن لم تجد عقلاً فماذا تحيف

وقال:

هذا ابن متوي له آية ... يبتلع الأبر وأقصى الخصى
يكفر بالرسول جميعاً سوى ... موسى بن عمران لأجل العصا

وقال:

أنت تيس لا كالتيس لأن التيس ين ... زو وأنت يُنرى عليك

وقال:

أبو العباس تحضره جموع ... من الفقهاء لجّوا في العواء
كأنهم إذا اجتمعوا عليه ... ذباب يجتمعن على جراء

وقال:

أبو العباس قد أضحى فقيهاً ... يتيه بفقّهه في الناس تيهاً
وذلك أنّ لحيته أتنني ... تناظر فقحتي فخرت فيها

وقال:

أبو العباس فيه الأ ... ير ينساب انسياب الأيم
فتى يأذن بالفق ... حة للأسيف بالشيم

وقال:

هذا الأديب الذي وافي يفاخرنا ... أضحي إلى كمر السودان مشتاقا
فما يفارق طوماراً يعالجه ... إلا بآخر يمضي فيه إعنقا
كأنما هو حرباء ببيضته ... لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا
وأنشدني له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي:
تُبَّتْ أنك منشد ما قلته ... في سب عرضك لا تخاف وعيدي

والكلب لا يحزى إذا أخسأته ... والقار لا يخشى من التسويد
وأنشدني له أيضاً:

شرط الشروطي فتى أير ... وما سواه غير مشروط
أبغى من الإبرة لكنه ... يوههم قوماً أنه لوطي
وأنشدني له غيره:

ترلزت الأرض زلزالها ... فقالوا بأجمعهم مالها
مشى ذا الثقل على ظهرها ... فأخرجت الأرض أثقالها
وقال:

قد طال قرنك يا أخي ... فكأنه شعر الكميت

ما أخرج له رحمه الله في

سائر الفنون

قال:

تصدُّ أميمة لما رأت ... مشياً على عارضي قد فرش
فقلت لها السيب نقش الشباب ... فقالت ألا ليته ما نقش

وقال:

ولما تئنت بالأحبة دارهم ... وصرنا جميعاً من عيان إلى وهم
تمكن مني الشوق غير مسامح ... كمعتزلي قد تمكن من خصم

وقال:

كنت دهرأ أقول بالاستطاعة ... وأرى الجبر ضلة وشناعه

ففقدت استطاعتي في هوى ظبي فسمعاً للمجبرين وطاعه
وقال:

لقد قلت لما أتوا بالطبيب ... وصادفني في أحر اللهب
وداوي فلم أنتفع بالدواء ... دعوني فإن طيبي حبيي
ولست أريد طبيب الجسوم ... ولكن أريد طبيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى ... حضور الحبيب وبعد الرقيب
وقال:

ناصبٌ قال لي معاوية خا ... لك خير الأعمام والأخوال
فهو خال للمؤمنين جميعاً ... قلت خالي لكن من الخير خال
وقال:

حبُّ علي بن أبي طالب ... هو الذي يهدي إلى الجنة
إن كان تفضيلي له بدعة ... فلعنه الله على السنه
وقال في شهر رمضان:

قد تعدوا على الصيام وقالوا ... حرم الصب فيه حسن العوائد
كذبوا في الصيام للمرء مهما ... كان مستيقظاً أتم القوائد
موقف بالنهار غير مريب ... واجتماع بالليل عند المساجد
وقال:

راسلت من أهواه أطلب زورة ... فأجابني أو لست في رمضان؟
فأجبتة والقلب يخفق صبوة ... أتصوم عن بر وعن إحسان
صم إن أردت تخرجاً وتعففاً ... عن أن تكذ الصب بالهجران
أولاً فزربي والظلام مجلل ... واحبسه يوماً مرّ في شعبان
وقال في مرض علوي:

يا سيذاً أفديه عند شكاته ... بالنفس والولد الأعزّ وبالأب
لم لا آيت على الفراش مسهداً ... وقد اشتكى عضو من أعضاء النبي
وقال يرثي أبا الحسن السلمي:

إذا ما نعى الناعون أهل مودتي ... بكيت عليهم بل بكيت على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامة ... غلبت عليها فالسلام على الأنس
وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد:

يقولون لي أودي كثير بن أحمد ... وذلك رزء في الأنام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً ... فمثل كثير في الرجال قليل
وقال:

يا أهل سارية السلام عليكم ... قد قلّ في أرضيكم الخطباء
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ... ومن العجائب خاطب فأفاء
وقال في أخوين صبيح وقيبح:

يحيا حكي اخيا ولكن له ... أخ حكي وجه أبي يحيى
وقال:

لقد صدقوا والراقصات إلى منى ... بأن مودات العدى ليس تنفع
ولو أنني داريت عمري حية ... إذا مكنت يوماً من اللسع تلسع
وقال:

إذا أدناك سلطان فزده ... من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظماً ... وقرب البحر محذور العواقب
وقال:

وقاتلة لم عرتك الموم ... وأمرك ممثّل في الأمم؟
فقلت دعيني على غصتي ... فإن الموم بقدر الموم

نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: قال بعض ندماء الصاحب له يوماً: أرى مولانا قد أغار في قوله:
لبسن برود الوشي لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين برود
على قول المتنبي:

لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصنّ به الجمالا
فقال: كما أغار هو بقوله:

ما بال هذي النجوم حائرة ... كأنها العمى ما لها قائد
على العباس بن الأحنف قوله:

والجهم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد

وسمعت أيضاً أبا بكر يقول: أنشدني الصاحب نثفة له منها هذا البيت:

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه ... فقولوا له يسمح بترياق ريقه

فاستحسنه جداً حتى هممت من حسدي له عليه، ووددت لو أنه لي بألف بيت من شعري.

قال مؤلف الكتاب: فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذا البيت، وحكى له هذه

الحكاية في المذاكرة، فقال لي: أتعرف من أين سرق الصاحب معنى هذا البيت؟ فقلت: لا والله، قال: إنما

سرقه من قول القتال، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ:

لدغت عينك قلبي ... إنما عينك عقرب

لكن المصة من ري ... قك ترياق مجرب
فقلت: لله در مولانا الأمير! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص، بمعرفة التلصص.

قلت: ومعنى قول صاحب في الثلج:
وكان السماء صاهرت الأر ... ض فكان النثار من كافور
ينظر إلى قول ابن المعتز:
وكان الربيع يجلو عروساً ... وكاننا من قطره في نثار
وقول صاحب:

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى ... فقلت لهم مذ غاب بدر دجاها
ولو تلتقي عين على غير دمة ... لصارمتها حتى يقال نفاها
مأخوذ لفظ البيت الثاني من قول المهلي الوزير:
تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على عبرة تجري
وقول صاحب:

هات مشطاً إلى وليك عاجاً ... فهو أدنى إلى مشيب الرؤوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاج ... فامشط الآبنوس بالآبنوس
مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي:
ورأتني مشطت عاجاً بعاج ... فامشط الآبنوس بالآبنوس
وأخذ قوله:

فم الغويري إذا ... فتشسته أنتن فم
كم قلت إذ كلمني ... وأسفي على الخشم
من قول المهلي الوزير:
وإن أبصرت طلعتته ... فوالهفي على العمش
وأخذ قوله في ابن العميد:
إلى سيد لولاه كان زماننا ... وأبناؤه لفظاً عرياً عن المعنى
من قول المتنبي:

والدهر لفظ وأنت معناه
وقوله في القافية الأخيرة:
وناصح أسرف في النكير ... يقول لي سدت بلا نظير
فكيف صغت الهجو في حقير ... مقداره أقل من فقير
فقلت لا تنكر وكن عذيري ... كم صارم جرّب في ختير
من قول الحمدوني:

هبوني امرأً جربت سيفي على كلب

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات:
ومهفهف حسن الشمائل أهيف ... تردى النفوس بفترقي عينيه
ما زال يبعدي ويؤثر هجري ... فجذبت قلبي من إسار يديه
قالوا تراجعهم فقلت بديهة ... قولاً أقيم مع الروي عليه
والله لا راجعته ولو أنه ... كالشمس أو كالبدر أو كبويه
مأخوذ من قول ابن المعتز:
والله لا كلمته ولو أنه ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

نبذ مما هجي به صاحب

ما زالت الأملاك تمجى وتمدح قال أبو العلاء الأسدي:
إذا رأيت مسجى في مرقعة ... يأوي المساجد حراً ضره بادي
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت ... به الخطوب إلى لؤم ابن عباد
وقال أبو الحسن الغويري:
إن كان إسماعيل لم يدعني ... لأن أكل الخبز صعب لديه
فإنني آكل في منزلي ... إذا دعاني ثم أمضي إليه
وقال السلامي:
يا ابن عباد بن عبا ... س بن عبد الله حرها
تنكر الخير وأخرجت إلى العالم كرها
وقال أبو بكر الخوارزمي:
صاحبنا أحواله عاليه ... لكنما غرفته خاليه
وإن عرفت السر من دائه ... لم تسأل الله سوى العافيه

ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال، وانتابته أمراض الكبر، جعل ينشد قوله:

أناخ الشيب ضعفاً لم أرده ... ولكن لا أطيق له مردا
رداء للردى فيه دليل ... تردى من به يوماً تردى
ولما كنى المنجمون عما يعرض له في سنة موته قال:
يا مالك الأرواح والأجسام ... وخالق النجوم والأحكام
مدبر الضياء والظلام ... لا المشتري أرجوه للإنعام
ولا أخاف الضر من بهرام ... وإنما النجوم كالأعلام

والعلم عند الملك العلام ... يا رب فاحفظني من الأسقام
ووقني حوادث الأيام ... وهجنة الأوزار والآثام
هني حبّ المصطفى المعتم ... وصنوه وآله الكرام
وكتب بخطه على تحويل السنة التي دلت على انقضاء عمره:
أرى سنتي قد ضمنت بعجائب ... وربي يكفيني جميع النوائب
ويدفع عني ما أخاف بمنه ... ويؤمن ما قد خوفوا من عواقب
إذا كان من أجرى الكواب أمره ... معيني فما أخشى صروف الكواكب
عليك أي رب السماء توكلي ... فحطني من شر الخطوب الحوارب
وكم سنة حنرتها فتزحزحت ... بخير وإقبال وجدّ مصاحب
ومن أضمر اللهم سوءاً لمهجتي ... فرد عليه الكيد أخيب خائب
فلست أريد السوء بالنس إنما ... أريد بهم خيراً مريع الجواب
وأدفع عن أموالهم ونفوسهم ... بجدي وجهدي باذلاً للمواهب
ومن لم يسعه ذاك مني فإني ... سأكفاه إن الله أغلب غالب
وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال:
وكم شامت بي بعد موتي جاهلاً ... بظلمي يسأل السيف بعد وفاقي
ولو علم المسكين ماذا يناله ... من الظلم بعدي مات قبل مماتي
ووجد في بعض أيام مرضته التي توفي فيها خفة، فأذن للناس، وحل وعقد وأمر ونهى، وأملى كتباً تعجب
الحاضرون من حسننها، وفرط بلاغتها، وقال:
كلامنا من غرر ... وعيشنا من غرر
إني وحق خالقي ... على جناح السفر
ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة انتقل إلى جوار ربه عفوه
وكرامته، ومضى من الدنيا بمضيه رونق حسننها وتاريخ فضلها، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه
بمنه وكرمه!!.

أُخُوذَج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمده الله برحمته، وأسكنه بجنحة جنته!:
يا كافي الملك ما وقّيت حظك من ... وصف وإن طال تمجيد وتأين
فتّ الصفات فما يرثيك من أحد ... إلا وتزيينه إياك تمجين
ما مت وحدك لكن مات من ولدت ... حواء طراً، بل الدنيا، بل الدين
هذي نواعي العلا مذ مت نادبةً ... من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسلطين

قام السعاة وكان الخوف أقعدهم ... فاستيقظوا بعد ما مت الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا ... مضى سليمان وانحلّ الشياطين
ما أحسن هذا المثل، وأمكن موقعه!! ومن قصيدة أبي الفرج بن ميسرة:
ولو قبل الفداء لكان يفدى ... وإن جلّ المصاب على التفادي
ولكن المنون لها عيون ... تكذّب لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس ... برغمك دوننا ثوبي حداد
إذا قدمت خاتمة الرزايا ... فقد عرضت سوقك للكساد
ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي:

أبعد ابن عباس يهش إلى السرى ... أخو أمل أو يستماح جواد
أبي الله إلا أن يموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معاد
ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبري:
خليلي كيف يقبلك المقيّل ... ودهرك لا يقيل ولا يقيل
ينادي كل يوم في بنيه ... ألا هبوا فقد جدّ الرحيل
وهم رجالان منتظر غفول ... ومبتدر إذا يدعى عجول

كأن مثال من يفنى ويبقى ... رغيل سوف يتلوّه رغيل
فهم ركبٌ وليس لهم ركاب ... وهم سفر وليس لهم قفول
تدور عليهم كأس المنايا ... كما دارت على الشرب الشمول
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ... ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أوّلينا ... وغالتهم من الأيام غول
قد احتالوا فما دفع الحويل ... وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أعمار تزول ... وأحوال تحول ولا تزول
لنا منه وإن عفنا وخفنا ... رسول لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما خلّق ... إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنه أمدٌ قصيرٌ ... ولكن دونه أمدٌ طويل

أرى الإسلام أسلمه بنوه ... وأسلمهم إلى وله يهول
أرى شمس النهار تكاد تحبّو ... كأن شعاعها طرف كليل
أرى القمر المنير بدا ضئيلاً ... بلا نور فأضناه النحول
أرى زهر النجوم محذقات ... كأن سرائها عور وحول
أرى وجه الزمان وكل وجه ... به مما يكابده فلول
أرى شمس الجبال لها وجيب ... تكاد تذوب منه أو تزول

وهذا الجو أكلف مقشعر ... كأن الجو من كمد عليل
وهذي الريح أطيها سموم ... إذا هبت وأعذبها بليل
وللسحب الغزار بكل فج ... دموع لا يذاد بها الخول
نعى الناعي إلى الدنيا فتاها ... أمين الله فالدنيا ثكول
نعى كافي الكفاة فكل حر ... عزيز بعد مصرعه ذليل
نعى كهف العفاة فكل عين ... بما تقذى العيون به كحيل
كأن نسيم تربته سحيراً ... نسيم الروض تقبله القبول
إذا وافي أنوف الركب قالوا ... سحق المسك أم ترب مهيل
أيا قمر المكارم والمعالي ... أبني لي كيف عاجلك الأفول
أبني لي كيف هالك ما يهول ... وغالك بعد عزك ما يغول
ويا من ساس أشتات البرايا ... وألجم من يقول ومن يصول
أدلت على الليالي من شكاهها ... وقد جارت عليك فمن يدل
بكأك الدين والدنيا جميعاً ... وأهلها كما يُبكي الحمول
بكتك البيض والسممر المواضي ... وكنت تعولها فيمن تعول
بكتك الخيل معولة ولكن ... بكاهها حين تندبك الصهيل
قلوب العالمين عليك قلب ... وحظك من بكائهم قليل
ولي قلب لصاحبه وفي ... يسيل وتحتته روح تسيل
إذا نظمت يدي في الطرس بيتاً ... مجاه منه منتظم هطول
فإن يك رك شعري من ذهولي ... فذلك بعض ما يجني الدهول
كتبت بما بكيت لأن دمعي ... عليك الدهر فياض همول
وكنت أعد من روحي فداء ... لروحك إن أريد لها بديل
أحيا بعده وأقر عيناً ... حياقي بعده هلر غلول
حياقي بعده موت وحي ... وعيشي بعده سم قتل
عليك صلاة ربك كل حين ... تهب بها من الخلد القبول
ومن قصيدة الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي النقيب:
أكذا المنون يقطر الأبطالاً ... أكذا الزمان يضعضع الأجيالاً
أكذا تصاب الأسد وهي مدلة ... تحمي الشبول وتمنع الأغيالاً
أكذا تقام عن الفرائس بعدما ... ملأت همامها الورى أوجالاً
أكذا تحطّ الزاهرات عن العلا ... من بعد ما شاق العيون منالاً
أكذا تكبّ البنز وهي مصاعب ... تطوي البعيد وتحمل الأثقالاً

أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت ... لججاً وأوردت الظماء زلالاً
يا طالب المعروف حلق نجمه ... حطّ الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذي ... كان الأنام على نداه عيالا
من كان يقري الجهل علماً ثاقباً ... والنقص فضلاً والرجاء نوالا
ويجب الشجعان دون لقائه ... يوم الوغى ويشجع السؤالا
خلع الردى ذاك الرداء نفاسة ... عنا وقلص ذلك السربالا
خبر تمخص بالأجنة ذكره ... قبل اليقين وأسلف البلبالا
حتى إذا جلى الظنون يقينه ... صدع القلوب وأسقط الأحمالا
الشك أبرد للحشى في مثله ... يا ليت شكى فيه دام وطالا
جبل تسنمت البلاد هضابه ... حتى إذا ملأ الأقالم زالا
يا طود كيف وأنت عادي الذرى ... ألقى بجانبك الردى زلزالا
ما كنت أول كوكب ترك الدنا ... وسما إلى نظرائه فبعالى
أنفأ من الدنيا تبت حبالها ... ونزعت عنك قميصها الأسمالا
لا رزء أعظم من مصابك إنه ... وصل الدموع وقطع الأوصالا
إن قطع الآمال منك فإنه ... من بعد يومك قطع الآمالا
يا أمر الأقدار كيف أطعمتها ... أو ما وقاك جلالك الآجالا
هلاً أقائلك الليالي عشرة ... يا من إذا عثر الزمان أقالا
وأرى الليالي طارحات حبالها ... تستوهق الأعيان والأردالا
يرين عود النبع غير فوارق ... بين النبات كما برين الضالا
لا تأمن الدنيا عليك فإنها ... ذات البعول تبذل الأبدالا
كم حجة في الدين خضت غمارها ... هدر الفنيق تخمط وصيالا
بسنان رمحك أو لسانك موسعاً ... طعنأ يشق على العدى وجدالا
إن نكس الإسلام بعدك رأسه ... فلقد رزى بك موئلاً ومآلا
واهاً على الأقلام بعدك إنها ... لم ترض بعد بنان كفك آلا
أفقدن منك شجاع كل بلاغة ... إن قال جلّى في المقال وجلالا
من لو يشا طعن العدى برؤوسها ... وأثار من جرياتها قسطالا
سلطان ملك كنت أنت تعزه ... ولرب سلطان أعز رجالا
إن المشمر ذيله لك خفية ... أرخى وجرر بعدك الأذبالا
طلبوا التراث فلم يروا من بعده ... إلا علأ وفضائلاً وجلالا
هيهات فاقم تراث مخاطر ... جمع الشاء وضيع الأموالا
قد كان أعرف بالزمان وصرفه ... من أن يشمر أو يجمع مالا

مفتاح كل ندى، ورب معاشر ... كانوا على أمواهم أقفالا
كان الغريبة في الزمان فأصبحوا ... من بعد غارب نجمه أمثالا
من فاعل من بعده كفعاله ... أو قائل من بعده ما قالا
سمع يرفع للسؤال سجوفه ... ويحجب الأهنج والأرمالا
يا طالباً من ذا الزمان شبيهه ... هيهات كلفت الزمان محالا
إن الزمان أضنُّ بعد وفاته ... من أن يعيد مثله أشكالا
وأرى الكمال جنى عليه لأنه ... غرض النوائب من أعير كمالا
صلى الإله عليك من متوسد ... بعد المهاد جنادلاً ورمالاً
كسف البلى ذاك الهلال المجتلى ... وأجر، ذاك المقول الجوالا
ورأيت كل مطية قد بدلت ... من بعد يومك بالزمام عقالا
لمن الصوامر عريت أمطاؤها ... حول الخيام تنازع الأطوالا
بدلن من لبس الشكيم مقاوداً ... مربوطة ومن السروج جلالا

فجعت بمنصلت يعرض للقنا ... أعناقها ويحصن الأكفالا
طرح الرجال لك العمائم حسرة ... لما رأوك تسير أو إجلالا
قالوا وقد فجتوا بنعشك سائراً ... من ميل الجبل العظيم فمالا
وتبادروا عطّ الجيوب وعاجلوا ... عضّ الأنامل يمنة وشمالا
ما شققوا إلا كسك وآلوا ... إلا أنامل نلن منك سجالا
من ذا يكون معوضاً ما مزقوا ... ومعولاً لمؤمل وشمالا
فرغت أكف من نولك بعدها ... وأطال عظم مصابك الأشغالا
أعزز علي بأن يبدل زائر ... بعد التهلل عندك استهلالا
أو أن يناديك الصريخ لكربة ... حشدت عليه فلا تحير مقالا
قد كنت آمل أن أراك فأجتني ... فضلاً إذا غيري جنى أفضالا
وأفيد سمعك منطقي وفضائلي ... وتفيدني أيامك الإقبالا
وأعد منك لريب دهري جنة ... تثني جنود خطوبه فالالا
فطواك دهرك طي غير صيانة ... وأعاد أعلام العلا أغفالا
قبر بأعلى الري شق ضريحه ... لأغر حفزه الردى إعجالا
فرعاه من أرعى البرية سيبه ... وسقاه من أسقى به الآمالا
إن يمس موعظة الأنام فطالما ... أمسى مهاباً للورى ومهالا
لنسلي الدنيا عليه فإنها ... نزعت به الإحسان والإجمالا
ولأبي العباس الضبي وقد مر باباب الصاحب:

أيها الباب لم علاك اكتئاب ... أين ذاك الحجاب والحجاب؟
أين من كان يفرع الدهر منه ... فهو اليوم في التراب تراب؟!
ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضم إليه أبو علي ولقب بالجليل بعد موت
الصاحب تغمده الله برحمته آمين:

والله والله لا أفلحتم أبداً ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلي ... أو جاء منكم رئيس فاقطعوا رأسي
وأنشدني أبو العباس العلوي الهمداني الوصي لنفسه في مراثية الصاحب:
مات الموالي واحب لأهل بيت أبي تراب
قد كان كالجليل المنيع لهم فصار مع التراب
وأنشدني أيضاً فيه لنفسه:

نوم العيون على الجفون حرام ... ودموعهن مع الدماء سجام
تبكي الوزير سليل عباد العلا ... والدين والقرآن والإسلام
تبكيه مكة والمشاعر كلها ... وحجيجها والنسك والإحرام
تبكيه طيبة والرسول ومن بها ... وعقيقها والسهل والأعلام
كافي الكفاة قضى حميداً نخبه ... ذاك الإمام السيد الضرغام
مات المعالي والعلوم بموته ... فعلى المعالي والعلوم سلام
ولبعض أهل نيسابور من قصيدة:

ألا يا غرة العليا ... ألا يا نكبة الدنيا
وشمس الأرض فرد الدهر عين السؤدد اليمنى
أما استحيا أبو يحيى ... لقض المهجة الكبرى
لئن ختمت بك الدنيا ... لقد فتحت بك الأخرى

الباب الرابع

في ذكر

أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

وملح من نشره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم، ونهر من بحر، وخليفته النائب منابه في حياته، القائم مقامه بعد
وفاته، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا، واجتمع له الرأي والهوى، فاصطنعه لنفسه، وأدبه بأدابه،
وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه، وخرج به صدراً يملأ الصدور كمالا، ويجري في طريقه

ترسماً وترسلاً، وفي ذرى المعالي توقلاً، وتحقق قول أبي محمد الخازن فيه من قصيدة:

ترهى بأترابها كما زهيت ... ضبة بالماجدين ماجدها

سماؤها شمسها غمامتها ... هلالها بدرها عطاردها

يروى كتاب الفخار أجمع عن ... كافي كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى:

نماه ضبة في أزكى مناصبه ... فخراً وأوطاه الشعري وأمطاه

يعطي ويخفي ولا يبغي الشاء به ... حتى كأن الذي أعطاه غطاه

يسير يوم الوغى والدهر يقدمه ... كأنما الدهر أيضاً من سراياه

وإن بدا أحييت الآمال طلعتة ... حتى تقدر محياها محياه

ومن يوالي ابن عباد مخالصة ... يحز سعادة دنياه وأخراه

فما الصنائع إلا ما تخيره ... وما الودائع إلا ما تولاه

فاسلم ودم أيها الأستاذ مبتهجاً ... وخذ من العيش أصفاه وأضفاه

فقد ثقيلت في الجدوى معاملة ... كما توخيت في الجلى قضياه

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابي، بقيت متماسكة بأبي العباس وأشرفت على التهافت

بموته، وكادت تشيب بعده لم الأقالام، وتحف غدر محاسن الكلام، لولا أن الله تعالى سد ببقاء الأمير أبي

الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الأدب والكتابة، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة. وجعله فرد

الزمان، ولسان خراسان، وكافل يتم الفضل، ومنفق سوق النثر والنظم. وسيمر بك في القسم الرابع من

هذا الكتاب إن شاء الله من نشره الذي هو نشر الورد، ونظمه الذي هو نظم العقد، ما ينير به الليل المظلم،

وينصف به الدهر الظالم.

لمع من نشر أبي العباس

فصل من كتاب له في الصاحب في ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكت أستحضر كاتبه، بل كاذبه، وأحذره سراً، وأبصره جهراً، وهو يروغ روغان الثعالب، ويتفادى

تفادي الموارب، وقد كنت منعت المستأمنة والمنهزمة أول مورده، من تكتير عدده، علماً بأنهم مؤن بلا منن،

وعناء بلا غنى.

فصل له من كتاب إلى أبي سعيد الشبي

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن، روضة حزن، بل جنة عدن، في شرح النفس، وبسط

الأنس، برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف في أجفان يعقوب.

وبعد، فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدائها، وريعان إقبالها واقتبالها. قد أسست على صلاح وسداد، وعمارة دنيا ومعاد. فهي مؤذنة بالدوام، في ظل أساور الإسلام.

ومنها فيينا نحن في تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره، ويؤخذ له بثاره إذ جن. قلب لنا الجن، ثم لم يقنعه العصيان والكفران حتى أراد الاستيلاء على البلد، والجناية على النفوس والأهل والولد، ونظر إلي فقال: كاتب، لا منازع ومحارب، نعم وقال من يشجع من الديلم لهر الزانة في صدري وتجريد السيف في وجهي، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصد عنه مسرته، وأنه مصطفي، فلم يعتمدني لأعظم الأمور، وأهم الغور، إلا وقد زرع في أرض تريع، ووكّل السرح إلى من لا يضيع.

فصل من كتاب له إلى أبي علي وأبي القاسم العلويين

في التعزية عن أبيهما أبي الحسين بن أبي محمد رضي الله تعالى عنهم

كتابي - أطل الله بقاء الشريفيين - والدهر ينعي مهجته، والجند يندب بهجته، والشرف محصور في قبضة حينه، والفضل مفجوع بناظر عينه، والذكر الجميل مجدل لمصرعه، والخلق الوضيع موسد في مضجعه، ورسم المحاسن دائر عاف، وشخص المكارم حاسر حاف. ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهرها أسفاً، ومعادن الوصية والإمامة تذري دمعها هففاً. وبقاع الحرمين متسلية على نجمها الآفل، ولابسة ثوب الحداد لركنها المائل، ويد المواساة مقبوضة عن معونة العاني الذليل، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل، وطوائف العفاة تبكي العيش الرطيب والربع الرحيب. والمشارع المعصومة من درن الضن، والموارد المحروسة من كدر المن، وذوو الحاجات في حسرات مجددة، وزفرات مرددة، قد أقلمت منهم حانية الضلوع، وأطارت عنهم قلوباً دامية الصدوع. وبنو الآمال عابسة وجوههم، منكسة رؤوسهم يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم ذلك لأن حادث قضاء الله - جل وجهه - استأثر بفرع النبوة، وعنصر الدين والمروة، وعصرة العدد الجم، ونجدة أهل العلم والفهم، فالدموع واكفة، والصدور راجفة، والهم وارد، والأنس شارد، والناس مأتمهم عليه واحد، ومعاقد الصبر الجميل بعده منقوضة، وقواعد البر والخير مخفوضة. فلولاً أن الدهر مشحون بطوارق الغير، مشوب صفو أيامه بالكدر، ممزوج صابها بالعسل، موصول حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يقطع أمام تكامل الرضاع، ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع. فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه، ورضي بما نفذ به حكمه. لبس في وجوه الحوادث جنة، لا تنصوها الشدائد، وأكد في مصابرة النوائب منة، لا تنقصها الخطوب الأوابد. وأخذ في الصدمة الأولى بالحزم، وذخيرة العزم، ففاز بالغنم الأكبر، والحظ الأشرف الأوفر، ومن اتبع هواه، وأرتع دينه لديناه، فتهالك في القلق الملموم، وتقاعس عن الرضى بالقدر اختوم، ظهر في شعار المستكبرين على الله، والمنكرين التأدب بأدب الله فعظم مصابه، وعدم ثوابه، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه، لأريت الخققين برعاية المعهود، وتأيين الحبيب المفقود، كيف تتحمل الأرزاء،

ويحرم العزاء، ويطاع داعي الوله، ويراع جانب القلب المرفه.
ومنها وعرف كل من ورد وصدر، وبدأ وحضر، أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقته، واستبشرت
الملائكة لمرافقته، وكان مثل الشريفين ريحانة روضه، والبارد العذب من فيضه، والثمر الحلو من دوحته،
والورق النضر من نبعته، والشاهد العدل لماثره، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره، فهو في حكم الخالد وإن
أصبح فانياً، والمقيم في أهله وإن أضحي بالعراء ناوياً، عزيت الشريفين أدام الله تعالى عزهما، عما ألم
بساحتهما من الخطب، ولسان جزعي أنطق، وعرضت لهما بواجب السلو، وحاجتي إلى من يصرح لي به
أصدق، ولكني جريت على سنة للدين محموده، وعادة بين الأحباب معهوده، تركت أفراد كل من
الأشراف سادتي إخوة الشريفين، حرس الله عليهم ما خولهم من كرم محض، وخلق غض، وأحسن متاع
بعضهم ببعض، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة، إذ كانت فروعهم ياذن الله متشابكة، ونفوسهم في
السراء والضراء متشاركة، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة، ومهجاتهم - لازالت مصونة - مهجة واحدة.

ملح من نظمه

قال:

ترفق أيها المولى بعيد ... فقد فتت لوحظك النفوسا
وأسكرت العقول فليس ندرى ... أسحراً ما تسقي أم كؤوساً
وقال وهو مما يتغنى به:

ألا يا ليت شعري ما مرادك ... فقلبي قد أضرب به بعادك
وأني محاسن لك قد سباني ... جهالك أم كمالك أم ودادك
وأني ثلاثة أوفى سواداً ... أخالك أم عذارك أو فؤادك
وقال:

لا تركزن إلى الفرا ... ق فإنه مرُّ المذاق
الشمس عند غروبها ... تصفر من فرق الفراق
وكتب إلى صاحب:

أكافي كفاة الأرض ملكك خالد ... وعزك موصول فأعظم بما نعمي
نثرت على القرطاس دراً مبدداً ... وآخر نظماً قد فرغت به النجما
جواهر لو كانت جواهر نظمت ... ولكنها الأعراض لا تقبل النظما
وقال في وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر:
وطيرين قد ألفا مرقدي ... نديمين لي فيه حتى الصباح

أرى من وشائع متنهيم ... نجوماً مرصعة في وشاح
وسري عندهما لا يذيع ... ولا خوف واش ولا خوف لاح

يسراني بصغيريهما ... خفيفين عند انتشار الجناح
صغير يعيد شريد الرقاد ... وشجو يحث على شرب راح
سقى بلد الهند مغناهما ... سماء من المرن غمر السماح
ولا زال وكراهما عامرين ... بنسل مباح وخير متاح
ومما قرأته بخطه في الأوصاف والتشبيهات من شعره، وكان أنفذه إلى أبي سعيد نصر بن يعقوب، ليضمنه
كتابه كتاب روائع التوجهات، في بدائع التشبيهات، قوله في الثريا، وهو مسبوق إليه قديماً:
خلت الثريا إذ بدت ... طالعة في الحنلس
سنبلة من لؤلؤ ... أو باقة من نرجس
وقوله فيها:
إذا الثريا اعترضت ... عند طلوع الفجر
حسبتها لامعة ... سنبلة من درّ
وقوله في قصر الليل:
وليلة أقصر من ... فكري في مقدارها
بدت لعيني وانجلت ... عذراء من قرارها
وقوله في طول الليل:
رب ليل سهرته ... مفكراً في امتداده
كلما زدت رعيه ... زادني من سواده
فتبينت أنه ... تائه في رقاد
أو تفانت نجومه ... فبدا في حداده
وقوله في الأترج:
أو ما ترى الأترج منصوداً لنا ... سطرّاً كأشخاص جنون على الركب
وكأنما أجسادها وجسادها ... صور السلاحف قد صنعن من الذهب
وقوله في المنام:
قلت لمن أحضرني زهرة ... ومجلسي بالأنس بسام
وقرة العينين نيل المنى ... عندي ولا سام ولا حام
تجنب المنام لا تجنه ... فإنما المنام نمام
أخشى علينا العين من أعين ... يبعثها بالسوء أقوام
وقوله في الشيب:
قالوا اكتهلت فقلت ليل لابس بردي نهار
هل حسن كافور كمسك في حكومة ذي اعتبار
وشهوبة في عنبر ... كشيبة في لون قار

وفضيلة للشيب أخرى وهي أبهة الوقار
أين هذا من قول البحري:
وبياض البازي أصدق حسناً ... إن تأملت من سواد الغراب
وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن:
يا أبا مسلم سلمت على الدهر خدين العلا أمين الجليس
بعض إخواننا تشهى علينا ... كرمًا منه مستطاب الهريس
وقديد السكباج بالأكبر العذ ... ب ومغمومة مني للجليس
واتخذنا الجميع وهي كما تذ ... كر نعم الفراش للخنديس
وإذا شئت أن تساعدنا فيها ... كنت فينا الرئيس وابن الرئيس

الباب الخامس

في محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مضمومة من بين البلدان ياخراج فضلاء الأدباء، وفحولة الكتاب والشعراء، فلما أخرجت
الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائه. وصارت مركز عزه، ومجمع ندمائه، ومطرح زواره،
استحقت أن تدعى مثابة الفضل، وموسم الأدب، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن
الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها، وسياقة عيون
أشعارهم، وملح أخبارهم، كمنصور بن باذان، وأبي دلف العجلي، وأخيه معقل بن عيسى، وبكر بن عبد
العزيز، وأحمد بن علويه، والنضر بن مالك، وعلي بن المهلب، وأبي نجدة، وأحمد ابن القاسم الديلمي، وأبي
عبد الله تاج الكاتب، وسهلان بن كوفي، وصالح ابن أبي صالح، وأحمد بن واضح، ومحمد بن عبد الله بن
كثير، وعبد الرحمن ابن مندويه، وأبي بكر بن بشرويه، وابن زرويه، وأبي الهدهد، وأبي قتيبة، ومحمد بن
غالب، والحسن بن إسحاق بن محارب، وأبي بكر الزيري، وأبي علي بن رستم، وأبي مسلم بن بحر، وأبي
الحسين بن طباطبا، وابن كره، والنوشجان بن عبد المسيح، وعلي بن حمزة بن عمارة، وإبراهيم بن سيارة
الكادوسي، وأبي جعفر بن أبي الأسود، وأبي سعد بن نوفة، وأبي العباس بن أحمد بن معمر، وأبي عمرو همام،
وأبي سواده، وأبي القاسم بن أبي سعد، وغيرهم، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا، وقرأت ما ينطق به من
ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي، وأبي سعيد الرستمي، وأبي
القاسم بن أبي العلاء، وأبي محمد الخازن، وأبي العلاء الأسدي، وأبي الحسن الغويري - حكمت لها بوفور
الخط من أعيان الفضل، وأفراد الدهر، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها، وصحة
ترتيبها، وعدوبة مائتها، في طباع أهلها، وعقول أنشائها، وأرجع إلى المتن فقد طال الإسناد، ولا يكاد الكلام
ينتهي حتى ينتهي عنه.

عبدان الإصيهاني المعروف بالخوزي

هو على سيطرة المولدين، وفي مقدمة العصرين، خفيف روح الشعر، ظريف الجملة والتفصيل، كثير الملح والظرف، يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه، ولا أظرف، ولا أعذب منه، ولا أخف:

في مشبي شماته لعداتي ... وهو ناع منغص لحياتي
ويعيب الخضاب قوم وفيه ... لي أنس إلى حضور وفاقي
لا ومن يعلم السرائر مني ... ما به رمت خلة الغانيات
إنما رمت أن أغيب عني ... ما ترينيه كل يوم مراقي
فهو ناع إلي نفسي ومن ذا ... سره أن يرى وجوه النعاة
وكان خفيف الحال، متخلف المعيشة، قاعداً تحت قول أبي الشيص:
لا تنكري صدي ولا إعراضي ... ليس المقل عن الزمان براضي
وهو القائل:

قلت للدهر من فضولي قولاً ... وحداني عليه طيب الأمان
أتراني بخلة أنا أحيا ... ذات يوم وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ... ن وقد كنتما رضيعي لبان
لا تؤمل ركوب متن سوى العرش ولا خلعة سوى الأكفان
وله أبيات:

تكلفني الصبر والتسلي ... وهل يسطاع إلا المستطاع
وقالوا قسمة نزلت بعدل ... فقلنا ليته جور مشاع
وقال أيضاً:

تعيب الغانيات عليّ شبي ... وتخفي شبيها عني المقانع
وقال لي العذول تعر عنها ... وإلا فانظرن ما أنت صانع
فقلت له متى قلمت خيراً ... وأيراً بعده ليست تمناع
وله من كلمة:

هيهات نجمي آفل شارد ... ولّي فما يخرق أبراجه
أظل أخفي حججاً أدبرت ... والسبع والسبعون محتاجه
وشر أيام الفتى آخر ... فيه يسمى للشقاء خواجه
وله:

أللشيب تخشى من ملال خرائد ... وهن لعلات الفؤاد مراهم
إذا كنت ذا مال فأنت محبب ... إليهن، صيد الغانيات الدراهم
وله في كلمة وصف هنه:

ولي صاحب ما حال عن حسن عهده ... ولم تر عيني منه أوفى وأكرما
يساعدني دون الأخلاء في الدجا ... إذا نام من قد كان شوقاً تتجما
فأهدا ولا يهدي وإن نمت لم ينم ... ويغري بذكراكم إذا الليل أظلما

ينادي على لحفي وصبحي نوم ... وإن هو لم يفضض بنطق له فما
أشبهه والقطر باد ولم ين ... بمنقار فرخ قد تلقط قرطما
وله:

تركنا لخوف الخيل والترك دورنا ... فلهه صرف الدهر كيف ترددا
دهاليزنا ضاقت لخوف نزولهم ... كأنا يهود ندخل الباب سجدا
وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لعبدان:

إن كنت تنشط للغبوق فليلنا ... خلف النهار بغرة غراء
وإذا صفا لك مثلنا في دهرنا ... فاذا ذكر عواقب ليلة كدراء
وكان أبو العلاء الأسدي عرضة لأهاجي عبدان، فمن ملح قوله فيه:
أبا العلاء اسكت ولا تؤذنا ... بشين هذا النسب البارد
وتدعي في أسد نسبة ... لا تثبت الدعوى بلا شاهد
أقم لنا والددة أولاً ... وأنت في حلٍّ من الوالد
وقوله:

قابل هديت أبا العلاء نصيحتي ... بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسنَّ منك فرما ... تهجو أباك وأنت لا تدري
وقوله:

أبو العلاء زاعم ... بأنه من العرب
ويدعي في أسد ... أبوة بلا سبب
أقسم أي مفتر ... عليه في هذا النسب
فأثم لكنني ... ألصقه خوف الغضب
وقوله:

أضحى الملوهم أبو العلاء يسبني ... وأنا أبوه يعقني ويعادي
والمنتهمون إليه من أولاده ... والله يعلم أنهم أولادي
ولو أنه يسخو عليّ بواحد ... عند التكاثر زينة للنادي
ألصقته بي واقتديت بمن رأى ... بأبيه إلصاق الدعي زياد
وقوله:

حمق بهذا الأسدي الذي ... قد كان مني آمن السرب

وإنما جربت هجوي به ... تجربة السيف على الكلب
وقوله في غيره:

رغيفك في الأمن ياسيدي ... يحل محل حمام الحرم
فله درك من سيد ... حرام الرغيف حلال الحرم
وقال من أبيات:

يعلو ويعلى وكل من سجيته ... يعلو الكنيف ويعلة بالغراميل
وقال في رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلاجاً:

أقول وقد قالوا ابن مأسلة غدا ... على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت محلاج ولا السرج لوحه ... ولا حب قطن كالشعر بفيه
مقال الوليد البحري فإنه ... قد أنبأنا عن مثله وذويه
متى أرت الدنيا ناهة خامل ... فلا ترتقب إلا خول نبيه
وقال في قينة:

لنا قينة تحمي من الشرب شربنا ... فقد أمنوا سكرًا وخوف حمار
تكشر عن أنيابها في غنائها ... فتحكي حماراً شمّ بول حمار
وقال في شاعر:

ما قال بيتاً مرة ... ولا يقول ما بقي
وكل شعر قاله ... فأثمه في عنقي
وقال في علوي:

كم غاصب حقكم ليهزلكم ... وقد تفقا من شدة السمن
واحرباً إن قضيت لم أر ما ... آمله فيكم وواحزني
وقال:

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرم ... فإنه بعد ربي غاية القسم
أن لو وليت أمور الناس مقتدراً ... ما خاف راعٍ على شاء ولا نعم
وظلت العصم للأساد آلفة ... واستأنست طلس الدؤبان بالغنم
مواهب خصك الله العزيز بها ... وليس يرضى لك الحساد بالقسم
هذا الشاء وهذاك الدعاء وما ... لي غير ذين وما ديني بمتهم
وقال:

سقيت وفي كف الحبيبة وردة ... وأترجة تغري النفوس بصوفها
مداماً فلما قابلتني بوجهها ... شربت فحيتني بلوني ولوفها

أبو سعيد الرستمي

محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل يوقها، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى، وهو القائل:

إذا نسبوني كنت من آل رستم ... ولكن شعري من لؤي بن غالب

ومن نظر في شعره المستوفي أقسام الحسن والبراعة، المستكمل فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، أقبلت عليه الملح تتراحم، والفقر تتراكم، والدرر تنتثر، والغرر تتكاثر:

كلم هي الأمثال بين الناس إلا ... أنها أضحت بلا أمثال

وكان الصاحب يقول مرة: هو أشعر أهل عصره، وتارة: هو أشعر أهل عصره، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه، وينظمه في عقد المختصين به، وفيه يقول مداعباً:

أبو سعيد فتى ظريف ... يبذل في الظرف فوق وسعه

ينيك بالشعر كل ظبي ... فأيره في عيال طبعه

وكان يسد ثلثة حاله، ويدره حلوبة ماله، ويسوغه خراج ضياعه، ولا يخليه من مواد إنعامه وإفضاله،

وبلغني أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب وعلته أهمة الكبر، أقل من قول الشعر: إما لترفع نفسه، وإما لتراجع طبعه.

فقرأت فصلاً للصاحب أظنه إلى أبي العباس الضبي في ذكره، واستزادة شعره، وهذه نسخته: كان يعد في جمع أصدقائنا بإصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه، ولا ببارع الجمال في وجهه، بل كان يروع

بمحاسن شعره، وسلامة وده، أما الشعر فقد غاض حتى غاظ، وأما الود ففاض أو فاض، فإن تذكره مولاي بوصفه وإلا فليسأل عن خاله وعمه، أما العمومة ففي آل رستم، وشم النروة والغارب، ولواء العجم

وغالب، وأما الخزولة ففي آل جنيد، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد، وقد سألت عن خبره وفد نجران، والركب بجلى نعمان، فلم يذكروا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبي القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه

الله، وليس في ذلك ما يوجب أن يطوينا طي الرداء، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء، وقد يعود الصلاح فساداً، ويرجع النفاق كساداً:

فلعل تيمناً أن تلاقي خطة ... فتروم نصراً من بني العوام

وهذا ما أخرجه

من محاسن شعره وما محاسن شيء كله حسن!! من قصيدة له فريدة في مؤيد الدولة:

بدت يوم حزوى من كواها الحاجر ... فعاد غدولي في الهوى وهو عاذر

فكيف وقد أبدى ما في قناعها ... وأبرز ما التفت عليه المعاجر

مررن بحزوى والجاذر ترتعي ... فلم تدر حزوى أيهن الجاذر

ومالت على الأنقاء فاشتبهت بها ... أهن النقا أم ما تضم المآزر
وأرست على الأعجاز سود فروعها ... فأرزت بحيات الغدير الغدائر
بدور زهتهن الملاحه أن يرى ... لمن نقاب فالوجوه سوافر
سرقة من قول القاتل:

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
رجع:

وودعني من نرجس بجفونها ... على ورد خد لؤلؤ متناثر
وسائلة عبري متى أنت آيب ... إلينا وهل يقضي الإياب المسافر
حططت لها رحلي وسيت ناقتي ... وأمنتها والعيس مما تحاذر
نصبي من الدنيا رضى أم معمر ... وسائر ما تحويه في الريح سائر
وقلت اربطي جأشاً عليك فإنه ... سيغنيك عن سيرى القوافي السوائر
سيكفيك سيرى في الدجى إن كرهته ... صباح كضوء البدر والنجم باهر
أمير كأن الغيث من نفحاته ... يصوب ومن أخلاقه الروض زاهر
إذا ما علا صدر السرير جرى لنا ... به فلك بالخير والشر دائر
يد لأمير المؤمنين طويلة ... وناب إذا ما نابه الخطب كاشر
ينافي الكرى من حزمه وهو دارع ... ويغشى الوغى من بأسه وهو حاسر
إلى أي أرض أرحل العيس صادياً ... وبحرك مورود وروضك ناضر
ومنها:

فأقسمت ما في الأرض غيرك ماجد ... يزار ولا في الأرض غيري شاعر
بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ ... وظلك ممدود وبابك عامر
يرد سنالك البدر والبدر زاهر ... ويقفو نذاك البحر والبحر زاخر
وهنت أعياداً توالى سعودها ... كما يتوالى في العقود جواهر
وله من أخرى فيه أيضاً:

مررنا بأكناف العقيق فأعشبت ... أباطح من أجفاننا ومسائل
وكادت تناجينا الديار صباة ... وتبكي كما نبكي عليها المنازل

فمن واقف في جفنه الدمع واقف ... ومن سائل في خده الدمع سائل
تأس بيأس أو تعر بسلوة ... فمالك في أطلال عزة طائل
ألم تر أيام الربيع تبسمت ... أجارع من أنوارها وحنائل
كأن غصون النرجس الغض بينها ... نشاوى كرى أعناقهن موائل
كأن شقيق الأبرين كواعب ... عليهن من صيغ الجسد غلائل

وقد حملت سوسانها في حجورها ... رواضع إلا أنهن حوامل
وضمر خيل الضيمران كأنها ... مراذب فوق الهام منها أكال
ونور قضبان الخلاف فأبرزت ... أصابع لم تخلق لهن أنامل
تخال أزهير الرياض خلالها ... مصاييح ليل ما لهن فتائل
وقد شربت ماء العمامة فانشت ... كما يشنى الشارب المتمايل
فمن أقحوان ثغره مبتسم ... وورد على أكنافه الطل جائل
وقد ماج وادي الزندروز بفيضه ... كما ماج للريح النقا المتهايل
كأن نعاج الرمل في جنباته ... يناطح بعض بعضها ويقاتل
كأن هدير الموج فوق متونه ... هدير قروم هاجهن الشوائل
سرى بين أحشاء السرى فتشابهت ... أحياته تسري بها أم جداول
إذا ماج فوق الأرض أوهاج خلته ... خيولك في الهيجا وهن صواهل
أيا ملكاً فاق الملوك وبذهم ... فراح سناناً والملوك عوامل
إذا نحن أثينا عليه تبادرت ... فأثت كما نشي القنا والقنابل
ينير الدجى من وجهه وهو حالك ... ويندى الثرى من كفه وهو ماحل
وذو لحظات كلهن فواضل ... وذو حركات كلهن فضائل
دهاء لديه رأي أكنتم فائل ... وجود لديه حاتم الجود باخل
وحلم لديه ركن يذبل ذابل ... وعزم لديه فارس الخطب راجل
ومنها في مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع:
ضياعي نهي قد تفرق شملها ... فما في يدي منهن إلا الأنامل
فكم ضيعة مالت لأبواب مالها ... قناتي وغيري منه نشوان مائل
فحظي من الحظين هم وحسرة ... وحاصلها أي على الهام حاصل
ألا ليت شعري هل أرى لي جماعة ... تمد بها فوق الشطور الحواصل
تقاربها الأنموذجات كأنها ... إذا هي صروها الثدي الحوامل
وهل أرى يوماً وكيلى حاضري ... أناقشه طوراً وطوراً أساهل
ويخرج باسمي في الأدراج كاتب ... حساباً ويستأدي خراجي عامل
على عدل مولانا الأمير توكلني ... فأحسنه في الشرق والغرب شامل
ومن أخرى فيه أيضاً، أولها:
عذيري لدى الواشين حسن عذاره ... وعذري لدى اللاحين حسن اعتذاره
بنفسي خبيب زار بعد ازوراره ... وعادني بالأنس بعد نفاذه
وأشرب معشوق الدلال منعم ... معقرب صدغ كالهلال مداره
إذا ما استعار الجئلار بخده ... أعار الحشى من خله جل ناره

سل البيض عن عاداته في عاداته ... وسمر القنا عن نهبه ومغاره
وقائع نال النسر غاية سؤله ... بمن ونال النصر غاية ثاره
ومن قصيدة في الصاحب، أولها:

عقني بالعقيق ذاك الحبيب ... فالحشى حشوه الجوى والنحيب
وإذا جفت الشؤون وخفت ... ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدري أدمعي أم جمان العقد ينسل أم عقيق يذوب
حبذا حبذا ونعم وسعدي ... ونصبي من وصلهن نصيب
إذ زماني غرُّ وغصني رطيب ... وشبابي غض وبردي قشيب
إذ بوادي العقيق عيشي أنيق ... وبوادي الجنوب ريحي جنوب
كما شجاني يطن رامة ريم ... وبطي الكشب ظي ريب
أيها الرمل كم مضى فيك عيش ... لي مهارة ومرتع لي خصيب

وألفاي فيك ريا وأروي ... وحليفاي فيك زق وكوب
وبقلب الحسود منا ندوب ... وبطرف العذول عنا نكوب
وعفا الله عن ذنوب تقضت ... لي بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محب ... هاجه الشوق، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخشى ملام، ولا يخاف رقيب
ما يذم الشباب عندي بشيء ... غير أن المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بني الجو ... دكما يغلب الشباب المشيب
بذهم في الندى وغطى علاهم ... بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجد ... فمساعيهم عليهم ذنوب
واجد بالعلا وبالمجد وجداً ... لم يجده يوسف يعقوب
وإذا ما أتاه طالب جدوى ... راحتيه فالطالب المطلوب
قل لباغي الندى خف الله لا تسأله عمراً فإنه موهوب
من قول أبي تمام:

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتنق الله سائله
رجع:

إنما حاتم وأوس وكعب ... مثل في الندى له مضروب
يا حساماً مهنداً وغماماً ... ديمتاه الترغيب والترهيب
فيك ما يكمد الحسود وما فيك سوى الجود والندى ما يعيب
راحة ثرة، ووجه طليق ... ولسان غضب، وصدور رحيب

وبيان غرض تلدد فيه ... حين خاطبته الألد الخطيب
وإذا ما وحدث في طلب الم ... جد فذو المجد وخله تقرب
عزمات يرض منهن رضوي ... ويكاد الوليد منها يشيب
فلشمس النهار منها وجوب ... ولقلب الزمان منها وجيب
ومنها:

وإذا ما دعوت شعري فيه ... طرب المدح واستهل النسيب
مدح كالنسيب رقة ألفا ... ظ وما للنسيب منه نصيب
محكمات محكمات إذا أنشد ... ن نال المنى بمن الأديب
رفعت من أعة الرفع حتى ... ذل منها المخفوض والمنصوب
ومنها:

أنا من قد عرفت سراً وجهراً ... أعجمي نما به التعريب
ليت شعري إذا دعيت، شعاري ... نسي واضح وعودي صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنض ... ي المطايا ولا الفلاة أجوب
أنا للصاحب الجليل أبي القا ... سم مولى وخادم وريب
ومن أخرى أيضاً:

غيضهن عبرت من يوم الوادي ... فأرحن عازب أنس ذاك النادي
فجنين بالأسماع نور حديثنا ... وكرعن في الشكوى كروع الصادي
ووصفن سقم قلوبنا بعيوننا ... فشفين منا غلة الأكباد
لا غرو أن يجنين من ثمر الهوى ... لي في مراقدهن شوك قتاد
فلطالما أسهرني جنح الدجا ... وأطلن ليلى وانتبهن رقادي
لا والذي جعل الجفون عليلة ... وأعار حب البيض حب فؤادي
إني لأرحم من أسرن فؤاده ... سراً فما لفؤاده من فادي
وأذم أيام الفراق فإنها ... علل وإن خفيت على العواد
قل للزمان إذا تنمر ساخطاً ... وعدا علي بوجه ليث عادي
أبرق وأرعد ليس يرتعد الحشى ... لي منك بالإبراق والإرعد
الصاحب العالي الصنائع صاحبي ... في النائبات وعدتي وعتادي
ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العباس عباد وزا ... رته وإسماعيل عن عباد
شرف كعقد الدر واصل بعضه ... بعضاً كأنبوب القنا المتآد
وعلاً كأيام السنين ترادفت ... آياتها بمكرر ومعاد
لا كالذين إذا سموا لكريمة ... ضحكت جدودهم من الأجداد

أعلى المكارم ما تقادم عهده ... والجد موروث عن الأمجاد
لا والذي جعل المكارم كلها ... لك والعلا في مبدأ ومعاد
ورآك أهلاً للرشاد وللهدى ... وكساك آيات الإمام الهادي

لو كان غير الله يعبد ما انثنت ... إلا إليك أعنة العباد
هذا معنى قد أكثر الناس فيه، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل، حيث قال في الرشيد من السريع:
لو عبد الناس سوى ربهم ... أصبحت دون الله معبودا
رجع:

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى ... منه وأعجبه إلى المرتاد
زارتك في حلل الرياض وفوده ... وكأنهن يمسن في الأبراد
ورأت صنائعك التي أزرت بها ... فغدت تدم إليك صوب الغادي
وحكاك وادي الزندروز فأقبلت ... أمواجه يقذفن بالأزباد
مثل الرمال تناطحت أوعالها ... فأعانن العين بالإمداد
يرمي السواحل مده فكأنه ... ملك يهز الأفق بالإيعاد
يهدي المدينة واديان تجاورا ... وكأنما وردا على ميعاد
مدان هذا ليس ينفد فيضنه ... أبداً وهذا فيضنه لنفاد
روض يرف، ومزنة تهمي عزا ... ليها، وطير في الغصون ينادي
فكان ذا يثني، وذا يدعو، وذا ... يبدي الرضا ويوحي بالإحاد
فاسعد بديناً قد نظمت أمورها ... وسلدتها بالرفق أي سداد
ورعية أصلحتها بتألف ... وتعطف من بعد طول فساد
داويت من سقم النفاق قلوبها ... وشفيت مرضاها من الأحقاد
فنصبت للإسلام أكرم راية ... وقسمت أهل الجبر والإحاد
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها ... وضربت دون الظلم بالأسداد
ومنها في الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج، ومسألة التسويغ، وما منها إلا ما لا غبار عليه،
ولا شوب فيه، ولا مزيد على حسنه:

ياخير من يُدعى لخطب فادح ... ويحل عقد الحادث المناد
عمّت فواضلك البرية واغتدت ... طوع العنان لحاضر أو بادي
ووسائلني ما قد علمت ولاية ... مذ كنت أعهد لها وصفو وداد
ومنتقيات في البلاد غريبة ... وصلت سرى الإتهام بالإنجاد
تروى ولم يسمع هن بقتال ... تعزى إليه سوى حذاء الحادي
من كل رائقة الخاسن حلوة ... ربا الرواية غضة الإنشاد

لم يكسها الإكفاء في أكفائها ... عيباً ولا أزرى بها لسناد
هذا وحرمة خدمة مرعية ... للأبعدين قديمة المياد
ما زلت من أبرادها متوحشاً ... بمغوف يزهى على الأبراد
يا حلية الوزراء حلّ قصائدي ... بمحاسن الإرفاد والإصفاد
مالي ظمئت وبحر جودك زاهر ... سهل مشارعه على الوراد
وريت زناد السائلين بسيله ... وبفيضه وخصصت بالإصلاح
ما كان أهمل في التجمل ملبسي ... وأعف في ظل القناعة زادي
لولا زمان أزمئت حالي له ... نوب تراوح تارة وتغادي
وأذى فراخ ضاق بي أوكارها ... وكذا البغاث كثيرة الأولاد
وأذى خراج لو سرى لأدائه ... غرر الليالي عدن وهي دآدي
أبدت نجوم الليل سود نجومه ... في مفرقي فأنار بعد سواد
حصّة حصت مني جوانب هامتي ... صفعاً أواققه من المستادي
ووفود سوء يالفون زيارتي ... من صادر أو رائح أو غادي
ورجالة مترادفون كأنما ... غصت مدارجهم برجل جراد
من كل منتفش الشوارب مسمع ... عبد لآل ربيعة أو عاد
صهب اللحى سود الوجوه كأنما ... خضبوا الرؤوس بياض الفرصاد
ما غاب عني واحد إلا ويقفو إثره ثان وآخر بادي
هذا يواجه شاري متهدداً ... ويقوم هذا من وراء العادي
ففرائضي من خوفهم مملوءة ... أبداً من الإخفاق والإرعاد
وإذا أصادر غدوة لم يرتفع ... عند المساء سواي في الأوراد
ما في يد النقد من ضربي سوى ... ضربي ودق الجيد دون جياذ

يا حلية الوزراء حقي واجب ... ونداك صوبا أنعم وأيادي
وقع بتسويغي خراجي كله ... أو لا فعادني على الإيراد
وامن عليّ بفضل جودك واكفني ... دار الخراج وجهمة الحداد
وله من أخرى:
قولوا لو سنان نام عن أرقى ... فيه وحاشا جفونه الأرق
ارث لمن قد رثى لمقلته ال ... دمع ورقته لقلبه الحرق
لم يبق من جسمه سوى رمق ... يتتظر الموت ذلك الرمق
يا بأبي منه طرة سبج ... إذا تبدت وغرة يقق
ولؤلؤ من لسانه برد ... ولؤلؤ في لباته نسق

وجه به الجلنار مبتسم ... يفتر والأقحوان متسق
شعلة نار ملاحه وسناً ... يكاد منه الجليس يأتلق
غنى فجلى الظلام غوته ... عنا وغصت بشدوه الأفق
فودت العين أنها أذن ... تسمع والأذن أنها حلق
زاد على من قال:

غنت فلم يبق في جارحة ... إلا تمت بأنها أذن
رجع:

والله لو كانت الأزاهر وال ... أوتار ناساً وأبصروا عشقوا
شأنى أيامه يذوب شجى ... من كمد والحسود يزدفق
كذلك النار حين أعوزها ... ما أحرقت تبيت تحرق
سرقه من قول ابن المعتز حيث قال:
كالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله
رجع:

وإن ذكرنا اسمه لطيبته ... يبقى بأفواهنا له عبق
والناس لولا سناه ما رمقوا ... والناس لولا نداء ما رزقوا
إسعد بشهر وافتك مقبلة ... أعياده بالسعود تستيق
ثلاثة قد قرن في قرن ... خوة روز والنضح والسدق
مقدمات من الربيع غدت ... وفودها من صباية سبقوا
أما ترى المزن حلّ حبوته ... في الروض فالروض زاهر أتق
فتوره من سنك مقتبس ... ونوءه من نداءك مسترق
فاعمر لدنيا لولاك ما خلقت ... وأهل دنيا لولاك ما خلقت
وعد جديداً على الزمان كما ... عاد جديداً في عوده الورق
ما صحبتك الأيام دمت لها ... فليس في صفو عيشنا رتق
وله قصيدة في نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت، أولها:
عزيز علينا أن تشطّ منازل ... سقته الغواصي من عزيز تزايله
ولا زال حاديه دميئاً فجاجة ... وقمرأ لياليه وشفواً مناهله
يحل عزالي الغيث حيث يحله ... ويغشى كما يغشى الربيع منازل
ومهجورة خافت عليها يد النوى ... فلم تبق في حافاتها ما أسائله
سوى كحل عين ما اكتحلت بنظرة ... إلى جفنه إلا شجني مكاحله
وقفت فأما دمع عيني فسائل ... وأما وجد قلبي فسائله
أقلب قلباً ما يخف غرامه ... عليه، وطرفاً ما تجف هوامله

لعلي أرى من أهل ريا وإن نأت ... بأرجائه شبيهاً لريا أوصله
فأصبحت قد ودعت ريا ووصلها ... كما ودعت شمس النهار أصائله
بكرهي زال الحي من بطن عازب ... وغودر مني عازب اللب زائله
وقلب إذا ما قلت خفَّ غرامه ... وأبصر غاويه وأقصر عاذله
دعاه الهوى فاهتز يهوي كما دعا ... صبا الريح غصن البان فاهتز مائله
وهاجرة من نار قلبي شبيبته ... وقد جاش من حر الفراق مراجله
صليت بها والآل يجري كما جرى ... من الدمع في جفني للبين جائله
ومنها:

وبعض مذاق العرف مرٌّ وإن حلا ... إذا لم يكن أحلى من العرف باذله
وما الجود إلا ما تطوع أهله ... ولا السمع إلا ما تبرع نائله
وأروع أنواء الربيع صنائع ... لديه، وأنوار الربيع فضائله

أهان مصونات الذخائر كفه ... وهان عليه ما يقول عواذله
وفاح كما فاح الرياض فعالة ... ولاح كما لاح البروق شمائله
يسيل على العافين غفو نواله ... فيلقى ابتذال الوجه للبلل سائله
شفيع الذي يرجوه حسن صنيعه ... وسائله عند الرجاء وسائله
ولم يجتمع كفاه والمال ساعة ... كأني وريا ماله وأنامله
هذا البيت من إحسانه المشهور السائر، ومنها:

أيصبح مثلي في جنبك صادياً ... وأنت الحيا تحيا وتروي هواطله
ولولا فراخ زعزع الدهر وكرها ... عليّ وقد غال الجناح غوائله
أعرت ظلال الحر نفس ابن حرة ... تقاصره الأيام حين تطاوله
فخزني من أنياب دهري بعاجل ... من النصر دان، أكرم النصر عاجله
بقيت مدى الدنيا لجد تشيده ... وقرم تساميه وخصم تجادله
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها ... عليك كما تجلو الحسام صياقله
قريض كساه المزن أثواب روضة ... فرقت أعاليه ورقت أسافله
تطيب على الأيام ريا نشيده ... وأطيب من رياه ما أنت فاعله
وله من أخرى:

وحسنا لم تأخذ من الشمس شيمة ... سوى قرب مسراها وبعد مناها
وإني لأهوى الشيب من أجل لونه ... وإن نفرت عني الدمى من فعالها
وأروع يستحي الحيا من يمينه ... فيرتد فوق الأفق حيران والها
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها ... وحاط ذرى الإسلام بعد ابتذالها

عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها ... شكت منه ما لم تشكه من جبالها
وجود بنان سح الغيث عندها ... وهلل صوب البحر عند انهالها
يد كل ما تحوي يد من نوالها ... ويض أياديها وغزر سجالها
تأمل فما لاحظته من هباتها ... لدينا وما لاحظته من عيالها
من النفر العالمين في السلم والوغي ... وأهل العوالي والمعالي وآلها
إذا نزلوا اخضر الثرى من ثروها ... وإن نازلوا احمر الثرى من نزالها
بيض كأن الملح فوق متونها ... ودهم كأن الزنج تحت جلالها
انظر إلى حسن هذا التصرف وشرف هذا الكلام:

مساميح كل الغيث بعض نوالها ... وكل المعالي خلة من خلاها
سمت فوق آفاق السماء فأصبحت ... ثراها الثريا والسهي من نعالها
إليك ابن عباد بن عباس إنشت ... أعنة شكر الدهر بعد انفتالها
بك افتر ثغر الملك واهتر عطفه ... وجرت بك الدنيا ذيول اختيالها
تشكى الثرى إظلامها ومحوها ... فأغنيها عن مزنها وهالها
وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها، أولها:
سلام على رمل الحمى عدد الرمل ... وقل له التسليم من عاشق مثلي
وقفت وقوف الغيث بين طول له ... بمنسكب سح ومنسجم وبل
وما رمت حتى خالي الريم رمة ... وأذرف آجال الحمى الدمع من أجلي
خليلي قد عذبتاني ملامة ... كأن لم يقف في دمنة أحد قبلي
ومما شجاني والعواذل وقف ... ولي أذن صمت هناك عن العذل
ظباء سرت بالأبطحين عواطلاً ... وكنت أراها في الرعاث وفي الحجل
تبدلن أسماء سوى ما عرفتها ... لهن، فلا تدعي بسعدي ولا جهل
تشابهن أحداً وطول سواف ... وخص الغواني بالملاحاة والذل
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشوى ... ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
ذكرت بها من لست أنسى ذنوبها ... وإن بعدت والشيء يذكر بالمثل
سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى ... سواجم تغني جانبيه عن الوبل

ولا برحت عيني تنوب عن الحيا ... بدمع على تلك المناهل منهل
مغاني الغواني والشبيبة والصبا ... ومأوى الموالى والعشيرة والأهل
ليالي لا روض الكتيب بلا ندى ... ولا شجرات الأبرقين بلا ظل
وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى ... ولكنني أمسى بغير الهوى شغلي
فراخ نباتي وكرهن وهاجني ... كما هاج ليث الغاب وعوغة الشبل

وكم قد رحلت العيس في طلب العلا ... فلما بكت سعدي حططت لها رحلي
نزلت على الأيام ضيفاً فلم أجد ... قرى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامني أهلي المقام بذلة ... ولست بأهل للذي سامني أهلي
سبيل الغنى رحب على كل سالك ... فما لي أسعى منه في مدرج النمل
أينكر نص العيس واليد والدجا ... لمن عزمه عزمي ومن فضله فضلي
دعوني أصل إرقائها بذميلها ... وأطوي الدجا حتى أرى صباحها الخجلي
حيّاً لم يفث منا ولياً وليه ... ولم يخل من أفضاله كف ذي فضل
ومبتده الجدوى إذا ما سألته ... فأعطاك لم يعتد ذاك من البذل
فتى حاز رق المجد من كل جانب ... إليه وخلصى كاهل الشكر ذا ثقل
بغفو بلا كدّ وصفو بلا قذى ... ونقد بلا وعد ووعد بلا مطل
من النفر الأعلين في حومة الوغى ... يميلون زهواً غير ميل ولا عزل
هم راضة الدنيا وساسة أهلها ... إذا افتخروا لا راضة الشاء والإبل
محلهم عال على السبعة العلا ... وعالمهم موف على العالم الكلي
إذا أنت رتبت الملوك وجدتهم ... هم الاسم والباقون من حيز الفعل
مساميح عند العسر واليسر، لا تني ... مراجلهم في كل أحوالهم تغلي
ولم يغلقوا أبوابهم دون ضيفهم ... ولا شتموا خدامهم ساعة الأكل
ولا شلدوا دون العفاة حجابهم ... وقالوا لبಾಗಿ الخير نحن على شغل
لنهن ابن عباد قواف كأنها ... جنى لؤلؤ رطب من العقد منسل
أبى لي حسناً أن أبالي بعده ... بشعر ولو أنشدت للنمر العكلي
وقل له ما قال في هرم الندى ... زهير وأعشى قيس في هودة الذهلي
وما كنت لولا طيب ذكرك شاعراً ... ولا منشداً بين السماطين في حفل
ولكنني أقضي به حق نعمة ... سرت مثلاً لما وسمت به عقلي
إذا لم تكن لي أنت عوناً ومعدياً ... على الزمن العادي عليّ فقل من لي
من الناس من يعطي المزيد على الغنى ... ويحرم ما دون الغنى شاعر مثلي
كما ألحقت واو بعمر و زيادة ... وضويق بسم الله في ألف الوصل
أعر من ورائي من عيبك لحظة ... بعين العلا واجمع على شكرها شملي
فما لي رجاء في سواك ولا يرى ... يمر قريضي عند غيرك أو يحلي
وهل بارق يشتام إلا من الحيا ... وهل غسل يشتار إلا من النحل
وقاك بنو الدنيا جميعاً صروفها ... جميعاً فإن الجفن من خدم النصل
وله من أخرى:

كفتك عن عذلي الدموع الوكف ... ونهتكت عن عتبي الضلوع الرجف

لله عيش بالمدينة فاتني ... أيام لي قصر المغيرة مألّف
حجتي إلى الباب الجديد وكعيتي ال ... باب العتيق وبالمصلى الموقف
والله لو عرف الحجيج مكاننا ... من زنلروز وجسره ما عرفوا
أو شاهدوا زمن الربيع طوافنا ... بالخذقين عيشة ما طوفوا
زار الحجيج منى وزار ذوو الهوى ... جسر الحسين وشعبه واستشرفوا

ورأوا ظباء الخيف في جنباته ... فرموا هنالك بالجمار وخيفوا
أرض حصاها جوهر وتراجمها ... مسك وماء المد فيها قرقف
مالي وللواشين لا يهنيهم ... ما نمموا من النميم وزخرفوا
أعيانهم سبب التهاجر بيننا ... فتفاءلوا لي بالفراق وأرجفوا
لا واعتلاقي بالوزير وحبله ... ما أحسنوا ما أجملوا ما أنصفوا
ما للوزير عن المعالي مصرف ... أبداً ولا لي عن هواه مصرف
يا من نعوذ من المكارم باسمه ... ونعزه وهو الأعز الأشرف
ونجّل عن خطر اليمين حياته ... فبفضل نعمته علينا نحلف
وعظيم ما أوليتني من نعمة ... ما للسماح سواك رب يعرف
يا ابن الذين إذا بنوا شادوا وإن ... أسدوا يداً عادوا وإن يعدوا وفوا
إن حاربوا لم يحجموا، أو قاربوا ... لم ينلموا، أو عاقبوا لم يشفوا
ومتى استجروا أسعفوا ومتى استنبلوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهدوا لم يخفروا، أو عاقدوا ... لم يغدروا، أو ملكوا لم يسعفوا
ومنها التهنة بالخلعة:

تقنى ابن عباد بن عيسى ب ... ن عبد الله نعمى بالكرامة تردف
يهنيه زائد نعمة متجلد ... أبداً وحادث نعمة يستطرف
خلع كأنوار الربيع مدبج ... وموشم ومنمنم ومفوف
بهرت عيون الناظرين وأبرزت ... حسناً يكاد البرق منه يحظف
لو نالت الشمس المنيرة حسننها ... ما كانت الشمس المنيرة تكسف
ولئن كبرت عن الملابس والحلي ... وبك الملابس والحلي تتشرف
فالبيت يكسى وهو أشرف بقعة ... في كل عام مرة ويسجف
ألم فيه بقول من قال:

ترهى بك الخلعة الميمون طاثرها ... كرهو خلعة بيت الله باليت
رجع:

كالشمس حفت بالسعود وحوله ... خلم كأمثال الكواكب وقف

وكان مجلسه عروس تجلى ... والمادحون به قيان تعزف
ما تشتهي الأذان تسمعه وما ... تهوى العيون من المناظر تطرف
أو ما ترى حسن الزمان وطيبه ... والجو صاف والجنان ترخرف
عاد الربيع إليك في كانونه ... فشتاؤه للحسن صيف صيف
شمس محجة وظل سحسج ... وغمامة سح وروض رفر
وعلى الجبال من الثلوج أكال ... وعلى السماء من السحاب مطرف
نبأ تباشرت القلوب لذكره ... أذكى من المسك الذكي وأعرف
فلكل عين قرة ومسرة ... ولكل نفس عزة وتغطف
وله من قصيدة في علي بن أبي القاسم:

معان نظمت بمن الصبا ... كما نظم الغانيات العقودا
بباب الجديد لنا موقف ... لبسنا به العيش غصاً جديدا
وكم بالخصب من ليلة ... شفّعنا إلى الصبح أن لا يعودا
ويوم قصير بتلك القصو ... ر تحسبه الغيد للحسن عيدا
تراه عبيراً وحصباءه ... عقيقاً وأشجار واديه عودا
علي بن أبي القاسم أرفق بنا ... فقد عاقنا الشكر أن نستريدا
لئن لم تملّ ندى أن تفيد ... لقد ملّ راحيك أن يستفيدا
وقالوا انتجعت حياً نازحاً ... وهل عاق بعد الحيا أن يجودا
سنا البلر يغشى الثرى والورى ... جميعاً وإن كان منهم بعيدا
قواف إذا ما رآها المشو ... ق هزت لها الغانيات القدودا
كسون عبيداً ثياب العبيد ... وأمسى ليبد لديها بليدا
ولو لم أكن محسناً نظمهن ... لحسن قصدي إليك القصيدا
عرفنا بعرفك كيف الطريق ... وجودك علمنا أن نجيدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي من نتفه:

ثقل الأرض عندي خمسة ... صالح والابن منهم أربعة
ومن نتفه:

تركت الشعر للشعراء، إني ... رأيت الشعر من سقط المتاع
وأنشدني له في أبي الحسن الغويري:
في حرّام الشعر أوري ... لست أعني أير غيري
إنما يرفع قول الشعر أمثال الغويري

أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الإصبهاني

شاعر ملء ثوبه، محسن ملء فمه، مرغوب في ديباجة كلامه، متنافس في سحر شعره، ولم يقع إلى ديوانه بعد، وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من سيج غره، وغيض من فيض ملحه، ولا يأس من وجدان صالتي المنشودة من مجموع شعره، وقد مرت في الصحابييات أبيات له قلائل إلا أنها قللت، وهذا مكان ما أحاضر به من أخواتها الرائقة الفائقة الشائقة.

أنشدني المعروف بالقاضي الإمام الأصهباني قال: أنشدني أبو القاسم بن أبي العلاء لنفسه:

أصبحت صباً دنفاً ... بين عناء وكمد

أعوذ من شرّ الهوى ... بقل هو الله أحد

وأنشدني أيضاً قال: أنشدني أبو القاسم لنفسه:

المستغاث من الهوى بالله ... من شادن فتن الورى تياه

ما كنت أعلم قبله حر الهوى ... والوجد ما هو والصبابة ما هي

حتى بليت أغن مدلاً ... كالريم يعصي في هواه الناهي

فمدامعي عبري وقلبي واله ... وجوانحي حرى وصبري واهي

وله:

أيها الخشف كم أود وأجفى ... وأسام الهوان صنفاً فصنفا

لو كشفت الغطاء عن سر قلبي ... لقرأت الأحران حرفاً فحرفاً

إن نفسي موقوفة بين شيئين رجائي عليهما بات وقفا

بين أن ينصف الزمان وأعطى ... أمني فيك أو أموت فأكفى

ومن قصيدة:

الطف بطرفك ما أردت وداره ... لا يفضحك إن مررت بداره

وأنشدني له في نفسه:

رجلي وأيري ويضي ... في إست أم القويضي

لما أراد هجائي ... وفيضه دون غيضي

ورام تدنيس عرضي ... فصار خرقة حيض

وأنشدني أبو القاسم علي بن الكرخي له فقال:

وقاتلة قالت فلانة طلقت ... فقلت ونفسي أطلقت بانطلاقها

تزوج قلبي أهم يوم تزوجت ... وطلق قلبي أهم يوم طلاقها

وأنشدني الأمير أبو الفضل له من قصيدة يعاتب فيها صاحب ويستبطنه:

فإن قيل لي صبراً للذي ... غدا بيد الأيام تقتله صبرا

وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى ... لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

وأنشدني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتي له من قصيدة:

ورد البشير بما أقر الأعينا ... وشفى النفوس فلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرة بينهم ... قسماً فكان أجلهم حظاً أنا

أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر. ومن خراس صاحب ومشاهير صنائعه، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته. وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره، يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه، ويقتبس من نور آدابه، ويستضيء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه، عن الحد الذي يحمدده الصاحب ويرتضيه كالعادة في هفوات الشبية وسقطات الحداثة. فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله، ذهب مغاضباً أو هارباً! وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بمرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه في كتاب كتبه إلى أبي بكر الخوارزمي، وذكر فيه عجزه وبجره، وقد كتبه تنبيهاً على بلاغته وبراعة كلامه، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته، وهذه نسخته:

كتابي أطال الله بقاء الأستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختياراً، ونرجع إليها اضطراراً، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة، ومن لم قدبه الإقالة هذبه العثار، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار. وما الشأن في هذا، ولكن الشأن في عشر سنين فانت بين علم ينسى وغن لا يحصى، وإنفاق بلا ارتفاق، وأسفار لم تسفر عن طائل، ولم تغن عني ريش طائر، وبعد عن الوطن، على غير بلوغ الوطر. ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر، أتلو والعصر إن الإنسان لفي خسر وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار، والخوف من أن يقال زأر الليث فلا قرار، إلا أني كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حجبت، وعدت بغبار الإحرام، وبركة الشهر الحرام، وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري إلى الحضرة العالية، حرس الله بماءها وسنائها، والناس هل أقبل فيتلقوني بأكبر الرتب، أم أسخط فيتحاموني كالبعير الأجرب، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل، كافي الكفاة أدام الله مدته، وكبت أعداءه وحسدته، بعالي خطه، وقد نسخته على لفظه، ليعلم مولانا الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبي لا برمكي، وعبادي لا حاتمي، وأنا نتجرم ثم نتندم، ونميل على جانب الإدلال، ثم لا نروى من الماء الزلال، والتوقيع.

ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد الخازن إليه الله للفناء الذي فيه درج، والوكر الذي منه خرج. وقد علم الله أن إشفافي عليه في اغترابه، لم يكن بأقل منه عند إيايه، فإن أحب أن يقيم مدينة يقضي فيها وطر الغائب، ويضع معها أوزار الآيب. فليكن في ظل من مولانا ظليل. ورأي منه جميل، وبر من ديواننا جزيل. وإن حفزه الشوق فمرحياً بمن قربته التربية لدينا، فأفسدته الغرة علينا، وردته التجربة إلينا. وسيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله، ويعينه على كل ارتحاله، إن شاء الله تعالى.

هذي نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبي العباس، أدام الله عزه في معناني، فلا جرم أني أخذت

مالاً، وأغنيت عيلاً، وقلت ليس إلا الجمارة والمفازة، فصبحت جرجان مسمى عاشرة أهدي من القطا الكدري، كأني دميمص الرمل أستاف أخلاف الطرق، وأنا مع ذلك أحسب العفو عني حلماً، ولا أقدر ما جنيت يعقب حلماً، فكأني ما خطوات إلا في التماس قربه، وما أخطأت إلا لتأثيل حرمه، وكأني لم أفارق الظل الظليل، وأخذ في بقول الله تعالى فافصح الصفح الجميل، فقد روى في التفسير أنه عفو من غير عتب، وعدنا للقرب في المجلس، وكرم اللقاء والمشهد، وراجعت أيدينا ثقل الصرر، وجلودنا لين الخبر. وركبنا صهوات الخيل، وسبحنا إلى دورنا بفضلات الخير. وأقبلنا على العلم، وصافحنا يد النثر والنظم. وراجع الطبع شيئاً كان يدعي الشعر، كذلك آدم أسكن الجنة بمن الله وفضله، ثم خرج عنها بما كان من جرمه. وهو عائد إليها بفضل الله وطوله، هذا خبري، وأما كتاب سيدي الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر طيف ألم بذي سلم لأنه حل محل الخيال، وورد بأخصر المقال، وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت. فعرفت من سلامته ما بشرت به فاستبشرت. وعلمت كيف كانت النكبة، وكيف انحسرت الخنة، وكيف اتفق الخروج إلى بخار المزن من المزني صاب، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب، وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بناره، وداري إزاء داره. ولم أستطع في التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان، وشارفت أدنى خراسان، والله اللطائف التي تخلصتني من الموصل، فإني كنت في وقعة باد أباد الله وعراقي مما ملكت، وهتكنتي فتهتكنت، وخرجت على مذهب مشايخنا في ضرب الحراب، على صفحة الخراب. وهذا حديث طويل، والكثير منه قليل. ذكر الأستاذ سيدي أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخر عنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز، وقد عجبت من ذلك، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية، وسيوف ماضية. وأنا أجري حديثاً، وأنتجز كتاباً جديداً. فأما شعري فليس يروى إلا في ديوان باد، منذ فارقت آل عباد، وفجعت بكبي جملة، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة. بل عملت في قننة مولانا أدام الله سلطانه، وحرس مكانه، حين رزق سبطاً نبوياً علوياً فأشرق الأرض، ودعت السماء، وأمنت الكواكب، وقال الشعراء. وذلك أنه لما سمع الخبر قال:

الحمد لله حمداً دائماً أبداً ... إذ صار سبط رسول الله لي ولدا
فعملت على ذلك ما قد أثبتته، فإن يكن ليس بالمسحوظ فمن بركة الحضرة والخدمة، وإن يكن ممقوتاً فمن بقايا الغربة. ومن خبري أن لي ضيعة بأصبهان مقطعة، وقد برقت لي في حلها بارقة مطمعة، لأن مولانا أدام الله مدته أمرني أن أعمل في السلطان العظيم، أطل الله بقاءه مدحاً نيروزياً أشق بسموطة السماطين، هذا ولو كنت عاملاً لكنت اليوم في مرموق الدرجات، فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها، وقد صارت في منازل أحتاج إلى خافية العقاب حتى ألحق بها، زادهم الله ولا نقصني، وهنأهم ولا نقصني. ومنهم شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما حول وتحول به ومول. إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد قرنت بالقصيدة في المولود المسعود أخرى عيدية أبقى الله مولانا ما عاد عيد، وطلع نجم جديد، وسقى الله سيدي الأستاذ العهد، والرذاذ، والطل، والوبل، والديعة، والتهتان، وجميع ما في كتاب المطر للنضر بن شمیل، فما رأيت أتم منه، وحسبي الله، وصلواته على

محمد وآله الطاهرين.

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالة والحلاوة، وحسن التصرف في لطائف الصنعة، ويملك رق الإتقان، والإبداع والإحسان، ويعرب عما وراءه من أدب كثير، وحفظ غزير، وطبع غير طبع، وقريحة غير قريحة. فأما شعره فجار مجرى عقد السحر، مرتفع الحسن عن الوصف، وما أصدق قوله:

لا يحسن الشعر ما لم يسرق له ... حرُّ الكلام وتستخدم له الفكر

انظر تجد صور الأشعار واحدة ... وإنما لمعان تعشق الصور

والمقلّمون من الإبداع قد كثروا ... وهم قليلون إن عدوا وإن حضروا

قوم لو أنهم ارتاضوا لما قرضوا ... أو أنهم شعروا بالقص ما شعروا

وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً يسيرة من شعر أبي محمد، كقوله في وصف غبار الركب، وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه. وأجمع لأقسام الحسن والظرف، وهو:

إن هذا الغبار ألبس عطفني سواداً وديني التوحيد

وكسا عارضي ثوب مشيب ... ورداء الشباب غض جديد

وقال في الغزل:

حثّ المطي فهذه نجد ... بلغ المدى وتزايد الوجد

يا حبذا نجد وساكنها ... لو كان ينفع حبذا نجد

وبمحنى الوادي لنا رشاً ... قد ضل حيت الضال والرند

هذ ترى بسيف مقلتها ... ما لا ترى بسيفها الهند

وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب الصادر، فشوقني إلى سائر شعره، وبقيت أسأل الرياح عنه، إلى أن أتخفي أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي في جملة ما لا يزال يهديه إليّ من ثمرات أرضه،

ولطائف بلده بالعقيلة الكريمة، والدرة اليتيمة، من مجموع شعر أبي محمد، وقد كانت حضرة صاحب

جمعتهما، ومناسبة الأدب ألفت بينهما، فأوجب من الاعتداد، وفر الأعداد، وجمعت يدي منه على العلق

النفيس، فرتعت في روضته الأنيقة فيينا أنا أباهي به، وأهتر لخصوله، إذ أصابه بعض آفات الكتب، وامتدت إليه يد بعض الخونة:

وسهم الرزايا بالذخائر مولع ... وأي نعيم لا يكدره الدهر

فصنع الله تعالى في القوارع من إخراج ما يصلح لكتابي هذا منه، فمن ذلك قوله من قصيدة في الاستعطاف

والاعتذار عند تغير صاحب عليه واستمرار الأسفار بأبي محمد:

أيا من عفوه داني السحاب ... صدوق البرق ثقاب الشهاب

مديد الظل معقود الأواخي ... على الجانين مضروب القباب

فكيف حجبت عنك وأنت شمس ... تجل عن التستر بالحجاب

أيرتج باب عفوك دون ذنبي ... وعفوك لم يشن برتاج باب

وإعراض الوزير أشد مساً ... على الأحرار من ضرب الرقاب

ثنى غربي وفل شبا شبابي ... وصب عليّ أسواط العذاب
ولم تبق الليالي في بقيا ... لعبت منك فضلاً عن عقابي
فهب لزيارتي خطئي، وعمدي ... لقصدي، واغتراري لاغترابي
فما في الأرض إلا من يراني ... بعين الخلق الضرم الضباب

كأنّي قد أثرت بهم ذئاباً ... أو استنفرت منهم أسد غاب
حصلت وكنت ضيفك في الثريا ... وصرت ولست ضيفك في التراب
أعدني للقرى واجعل جوابي ... وإيجابي جفاناً كالجوابي
وجد برضاك فهو العيش غضاً ... وكلاً فهو ريعان الشباب
ولو زعت الحسام العضب سخطاً ... لذاب ذبابه بين القراب
أعيدك أن تصيخ إلى عدوي ... وسمعك عن هنات القول نابي
على أنّي أتوب إليك ثماً ... كرهت فرق لي وأقبل متابي
وإن لم تعف عن ذنبي سريعاً ... فها إني وحقّ أبي لمابي
سألتم مكن ثراك الروض عضناً ... ومن يملك منهلاً السحاب
أصبت بخاطري فأتى بشعرٍ ... عليل مسّعهُ ألم المصاب
وما لي غير مدح أم ثناء ... مشيدٍ أم دعاءٍ مستحباب
وقوله من قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة إلى النعمان وإبراهيم بن المهدي إلى
المأمون وعلي بن الجهم إلى المتوكل:

لنار الهم في قلبي هيبٌ ... فغفوا أيها الملك المهيّبُ
فقد جاز العقاب عقاب ذنبي ... وضجّ العشر واستعدى النسيب
وافاضت عبرة مهجُ القوافي ... وغصصها التذلل والنحيب
وقد قصمت عراها واعتراها ... بسخطك بعد نضرهما شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى ... لنا وسماء مجدك لا تصوب
ومن يك شوط همته بعيداً ... فمثنى عطفه سهل قريبُ
تجاوزت العقوبة منتهاها ... فهب ذنبي اعفوك يا وهوب
وأحسن إنني أحييتُ ظنّي ... وأرجو أن ظنّي لا يخيب
أترضى أن أكون لقي مقيماً ... على خسفٍ أذوب ولا تتوب
أبيت ومقلتي أبقيّ كراها ... وفي ألحاظها صابٌ صبيب
وقيذاً لا يلامني طعامي ... ولا ينساغ إلى الماء الشروب
صبيت عليّ سوطاً من عذاب ... يذلّ لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقني نكيرك لي صعوداً ... من الأشجان ليس له صوب

وما عوني على بلوأي إلا ... رجائي فيك والدمع السكوب
فإن تعطف على رجل غريب ... فأني ذلك الرجل الغريب
عليك أنيخ آمالي فرحب ... بها، وإليك من ذنبي أتوب
وأخطر ما يريب إذا دهنتي ... غوامضه إلى ما لا يريب
فأية طربة للعفو إن ال ... كريم وأنت معناه طروب
فأني نشء دارك والمغذى ... بسبك والصنعة والريب
وأبت إليك من عفو مدلاً ... بما يقضي علاك لمن يؤوب
ولدت ببابك المعمور علماً ... بأن ذراك لي مرعى خصيب
وأن شعابه أئدى شعاب ... إليها يلجأ الرجل الأديب
وسقت بنات آمالي إليها ... وقد حفيت وأنضاه الدؤوب
فبوني اختصاصك حيث تحني ... ثمار العز والعيش الرطيب
ولكن كادني خبّ هود ... لعقرب كيده نحوي ديب
وما لجموح ألقته جنب ... وما لشمال فرقته جنوب
ولا يشفيه مني لو رأي ... وقد أخذت بحلقومي شعوب
بلوت الناس من ناء ودان ... وخالطني القبائل والشعوب
فكل عند مغمره ركب ... وكل عند مشربه مشوب
فجد لي بالرضا وأقبل متابي ... وعذري، إنني أسف كئيب
طريح في فئاتك مستضام ... غريب لا يكلمني غريب
أمنع من بوادي العلم منعاً ... كأني ليس لي فيها نصيب
وأحرم من كلامك كل بدع ... تناهيه النواظر والقلوب
فلم لا ينتهي ويكف عني ... عقابك بعد ما انتهت الذنوب

وغاية ما يصير إليه شعر ... إذا استعطفت أو مدح مصيب
ومن سقيا سحابك جاد طبعي ... ولولا الغيث لم ينبع قلب
وكتب إلى أبي العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولاً وأبو محمد بها قصيدة منها:
أبا العلاء وردت أكرم مورد ... أرض العراق وأنت أنجح آيب
وحويت في الحالين شأوم برز ... متحرز لم يأت غير الواجب
وخدمت شاهنشاه أحسن خدمة ... رضيت وأوثقها لرأي الصاحب
أبلغ رسالي الوزير وقل له ... قولاً يسهل لي سبيل مطالبي
ويضيء آفاقي ويمرع مرتعي ... ويحق آمالي ويخصب جانبي
بحياته قسم الكرام وعهدهم ... لا تلوني عنه بظن خائب

واذكر موالاتي الصريحة إنها ... أبهى وانضُر من عهود حباب
وكفأك علمك بي وودّي شاهداً ... فاذكرْ خلوص عقائدي ومذاهبي
خذها إليك شذور طبعٍ لاعبٍ ... بالعشر مرتاحٍ له لا لاعبٍ
وكأنه في حسنه وروائه ... نظم العقود على نحور كواعب
أهديت من حلواء باب الطلق ما ... يزري على حلواء ذاك الجانب
وأشدّ منه حلاوة شعري الذي ... سحر القلوب بسحره المتناسب
وله من أبيات عملها بديهة لينشد صاحب:
أبيتُ قديتك إلاّ الغضبُ ... على أخويك الندى والأدبُ
وأمرضت شعري وأحرضته ... وشبّيت تشبيبةً المقتضب
بل اشتكت الغرر السترات ... وصاحب دواوين شعر العرب
وحال الجريض دوين القريض ... وضرب اليعاسيب دون الضرب
وقد كان شعري قضى نجه ... فامسكه عفوك المرتقب
وأنت تحبو على سرحه ... وتعزر من مائه ما نصبُ
وتوقد من ناره ما خبا ... وتطلع من نجمه ما غرب
بكي غزلي حسن ورد الحدود ... وضرب بين اللَّمي والشنب
وأعرض منخزلاً بعد ما ... تألّق من حسنه والتهب
فلا توحش المهرجان الذي ... بنظمي يرى السامعين العجب
وأنظم باسمك عقد الهلا ... وأنشر عنك نضار الحسب
فهبْ لي ذنبي فأنت الشفي ... ع لا غير والمرء مع من أحبّ
وردّ إليّ نعيم الرضا ... ولا تصلّني بحجيم الغضب
وما لي ذنبٌ فإن كان لي ... فذنب حقيرٍ قصير الذنب
متى يرض عني الكفاة ... بلغت المراد ونلت الأرب
وله من صاحبية ذكر فيها برعه من مرض عرض له:
كذبت سعود المشتري فلو أنها ... حرمتُ سعادة جلّه لم تنجح
ما مسّه ألمٌ ولكن هزّة ... ما هزّ إفرند الحسام المصفح
نفض الأذى عن جسمه والروض قد ... ينقي الهشائم وهو غير مصوّح
ما بحت عنه سوى قذى والعين لا ... تصفو من الأقداء ما لم تضرح
عادت سلامته وأظهر دهره ... ندم المتيب وتوبة المستصفح
ومن أخرى:
ما زلت أعتسفُ المهامه والفلا ... وأواصل الأغوار بالأنجاد
حتى نأيت عن الحواضر ملقياً ... رحلي بوادٍ في تخوم بوادي

فإذا بسعدي وهي بدرٌ طالع ... من فوق غصنٍ في نقاً منها
وطرقتها وعداتها رقبائوها ... في صورة المرتاب لا المرتاد
فحللت منها حيث كان وشاحها ... درعي وساعدها الوثير وسادي
وجناؤها حصني وساحر طرفها ... سيفي وفاحها الأثيث نجادي
وعقاصها الموصول زهرة روضتي ... ورضابها المعسول صوب عهادي
حيث الصبا عبق الحواشي موقنٌ ... تزهى بناعم غصنها المياد
والروض أحوى والحمائم هتفٌ ... والظلُّ ألى والقيان شوادي
ولها ديارٌ غير شرقيّ الحمى ... شحطت وشطت عن لقاء أعادي

دارٌ بذى الأرطى ودارٌ بالعضا ... أخرى ودارٌ باللوى المنقاد
لو فاخرت ذات العماد يوثها ... عادت مقوضةً بغير عماد
لا تكذبن فما لها دارٌ إذا ... أنصفتني إلا صميم فؤادي
فلذلك لا تسقي السحاب أرضها ... إلا بردن حرارة الأكباد
ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ!! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه أبدع في الجمع بينهما وأحسن ما
شاء.

ومنها:

ولرب ليلٍ لم أنمه، ومقلتي ... مطروقةً مطروقةً بسهاد
شوقاً إلى نادٍ جنى ريحانه ... لمع القريض ونعمة الإنشاد
نادٍ تجلّى عن مقرّ سريريه ... قمرٌ أناف على البسيطة بادي
كافي الكفاة المستجار بظله ... والمستضاء بعزمه الوقاد
ملكٌ محبته سلافة مزنة ... ملكت مع الأرواح في الأجساد
ملكٌ يقال له حماد إذا التقت ... قحم السنين ولا يقال حماد
وهي طويلة، وما من أبيتها إلا غرة أو درة.

ومن أخرى:

ولما تنسّمنا صبا صاحبية ... تعيد عجاج الجو وهو عيرٌ
تركنا لظى الرمضاء وهي حديقة ... ندى وحصى المعزاء وهي شذور
ونلنا هشيم النبت وهو منورٌ ... وردنا قتاد الأيك وهو حرير
ومنها:

وزيرٌ وما يعجب الجند أنه ... وزيرٌ عليه للسماح أمير
ويخطب من فوق الثريا بفخره ... فلا تعجبوا إن الخطيب خطير
لوى الراسيات الشم أسر سخطه ... ويكفي من السمّ النقيع قير

وذلل أعناق الليالي بهمة ... لها مرقبٌ فوق الأثير وثير
وحمر رأياً لم يشطّ ثباته ... فطورٌ ورأي الأكثرين فطير
له القاضيات الماضيات مهنتٌ ... مبيرٌ وعزمٌ كالشهاب منير
وما كان للجوزاء لولا جوازه ... مجازٌ وللشعري العبور عبور
تسعه الأقدار فيما يريده ... وتسعه الأفلاك كيف تدور
أواري بكرٌ آباد صفٌ سعداته ... وقد عقدت منها عليك حبور
وصفٌ بأسه إذ ظلّ يصدم وحده ... ثلاثين ألفاً والجسور جسور
سبحان الله! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله!! ومنها:
وألوية النصر المين خوافقٌ ... تطيح بأشتاب العدا وتطير
وقد كشرت عن ناهيا أم قشعم ... وللموت في وجه الكمّي هريز
وفي يده اليمنى ثوابٌ وجنةٌ ... وفي يده اليسرى ردىٌ وسعير
ولي مدحٌ فيه غوادٍ روائح ... أشيد مدى عمري بها وأشير
ووصفٌ نسيب لو أعير كثيراً ... لوفّي تعظيماً وقيل كثير
وله من قصيدة في فخر الدولة:

سقى الله أياماً بشرقسٍ منبجٍ ... إلى العلم الأقصى بغربي منبجٍ
إلى الحيرة الغناء مطمح ناظري ... ومسرح آمالي ومسرى تفرّجي
منازل لو لم تخطُ سعدي بأرضها ... لما اهترّ غصنٌ في نقا مترجرج
ولا راق درٌ فوق أشنب واضحٍ ... ولا راع سحرٌ تحت أكحل أدعج
ولم يتحلّر طلٌ نرجسٍ مقلّةٍ ... على صفحتي تفّاح خدٍ مضرج
عشية هزّت للوداع فأودعتُ ... محاسنها أعطاف جذعٍ مدبج
فكم غردٍ لما استقلّ ركابها ... حداً طرباً والليل غضبان مدّجي
وكم ثملٍ من نشوة الحبّ يرتعي ... هوى عامرٍ ما بين حجلٍ ودملج
أقول وقد لاحت عوالي خيامها ... وفاحت غوالي روضها المتأرج
أيا طارقي أحججٌ ويا رائدي ابتهجٌ ... ويا سابقي عرجٍ ويا صاحبي عج
ويا عبرتي كفي ويا ناقتي قفي ... ويا شيبتي احتجي ويا صبوتي ادرجي

فقد كتبت أيدى المشيب مواعظاً ... بخطّ على فودي غير مسبّح
ولئن كنت في بردٍ من العيش مبهجٍ ... لقد صرت في طمرٍ من الشيب منهج
ولدت من الدهر العسوف بحضرةٍ ... تحاط بأطراف الوشيج المزجج
هي الحضرة الغناء قهترٌ نضرةٍ ... وتزري بأنواع الربيع المنجج
هنالك لا زند الرجاء لمرتجٍ ... بكابٍ ولا باب العطاء بمرتج

هكذا فلتمدح الملوك، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها، وقد كتبت أنموذجاً منها.
وله من أخرى في وصف الربيع:

طلع الربيع فقال للأرض اشكري ... نعم السماء وأبدئي وأعيدي
فعدتْ حدائقها تواصل شكرها ... بلسان كل مطوق غريد
روضٌ إذا نشرت طرائف وشيه ... طويت لها أبراد آل يزيد
ريان لم يعثر نسيم صباقي ... في ظلّها إلا بورد حدود
واعتلّ نرجسه فعادته الصبا ... أحسن بنظرة عائد ومعود
وبلّ مسكيّ الصعيد معنير ... من مزنة حثّت بجيش رعود
وزقت حرّة مدحة فخريّة ... تركت عبيداً وهو بعض عبيدي
وأنا الذي أجلو معاني مدحه ... زهراً طوالع في سماء قصيدي
يتنافس السحر الحلال، وتارة ... يتناثر العثيان حول نشيدي
فليفرغ أبكار لذات المنى ... وليضوّع الراقود للنجاود
راحاً إذا كمنت جلت من حجبتها ... فوق الحدود طلائع التوريد
ولتجلّ دولته عروساً كلّت ... عليها مفرقها بتاج خلود
وله من أخرى:

سمراء تخطر في الوشاح المذهب ... وقيس بين ربائب أو ربوب
هيفاء تعذل كل يوم مرة ... شمس الضحى وتردها في مغرب
عقدت لواء الحسن ليلة أقيمت ... في موكب الفتیان أعجب موكب
غي ليلة لو لم تجد بتبسّم ... لم ينتطق خصر السماء بكوكب
خجلت وقد وجلت فهلك شقائقها ... مغروسة في أرض عاج مذهب
وأرى الشباب إذا تطامن شرخه ... لتغير فقد انثنى لتغيّب
ولئن أطلت فقد أطبت وإنني ... رجل متى أصف المعالي أطب
أطري وأطرب منشداً فليستغ ... شاهانشاه نشيد مطر مطرب

أبو العلاء الأسدي

قديم الصحة للصاحب، شديد الاختصاص به. ممتد الغرة والتحجيل في شعرائه وصنائه وندمائه. وكان يحبه
ويأنس به. ويكاتبه نثراً ونظماً كقول له:

قلبي على الجمرة يا أبا العلاء ... فهل فتحت الموضع المقفلا
وياه يعني بقوله:

أبا العلاء هلال الهزل والجد ... كم النجوم التي يطلعن للجد

وإليه كتب "أبا العلاء شيعي، أين ذلك الميعاد؟ وأين تلك العهود سقتها العهد؟ وأين ليالينا بحروى،

وتصابنا على أروى؟ بل أين الصبا وما ملك؟ وأين الشباب وأية سلك؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب
الخيال الطارق، والضيف المفارق، فأين كتبك التي هي ألد من انتهاء النفس إلى رجائها، وابتداء العين في
إغفائها " من كتاب غير قصير.

فأما شعر أبي العلاء فليس بالخل العالي، لا سيما في المدح، وقلة عيونه تمنع من إيراده يعد قلائد ولديه أبي
سعيد وأبي محمد، ولما كان بعيد الصيت في أصحاب الصاحب لم أجد بداً من ذكره وكتابة ملح من أملح
شعره.

أنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني أبو العلاء لنفسه، قال: وأراه عرض بالصاحب:

وربَّ كريمٍ تعتريه كزازةٌ ... كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجر
وربَّ جوادٍ يمسك الله جوده ... كما يمسك الله السحاب عن المطر
وأنشدني غيره له:

سيسألني صديقي عنك فيما ... يدور من المسائل والحكاية
فأطرقُ إن سئلت لغير شطوى ... وإطراقي أشدَّ من الشكاية
وله أيضاً، وهو ما يتغنى به:

لا لعمري ما أنصفوا حين بانوا ... حلفوا لي أن لا يخونوا فخانوا

شتتوا بالفراق شملي ولكن ... جمع الله شملهم أين كانوا
وله في المجون:

أنا والله أشتهيك فكن عن ... تراً إن شئت أو كعمرو بن معدي
وتفارس إن شئت أو فتراجل ... ليس هذا مما يضرُّك عندي

أبو الحسن الغويري

هو في الاختصاص بالصاحب، والاشتهار في أصحابه، كأبي العلاء، وكان كثير الشعر، قليل الملح، وكانت
في خزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد كجللة ضخمة الحجم من شعر الغويري بخطه، فاستعرقها
 واجتمعت أنا وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابي هذا منها، فما أقل ما حصلنا عليه
 من ذلك. ولم نجد له خيراً من الأبيات الدارية التي مرت في أخواتها، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من
 ذلك قوله في الاعتذار من هفوة السكر:

بالله ربَّ السماء ... بخاتم الأنبياء

بسيّد الأوصياء ... بزوجه الزهراء

بالبيت والبطحاء ... بالقبر في كربلاء

حلفت ما لي ذنبٌ ... الذنب للصهباء

وليس لي من شفيعٍ ... إليك غير رجائي

فكنْ محققْ ظنِّي ... يا غرّة الوزراء
فجرح سكري جبارٌ ... كالجرح من عجماء
وقوله في الصاحب والبيت الأخير مضمن:
قل للوزير مقالةً عن واجدٍ ... يا من نداه كالفرات الزائد
ما لي حرمت من الأمير نواله ... وسواي يكرع في الزُّلال البارد
ما ضاقت الدنيا عليّ بأسرها ... حتى تراني راغباً في زاهد
وقوله من قصيدة ربيعة:

أيُّها الصاحب الربيع تجلّى ... في رياضٍ تحارُ فيها العقول
نرجسٌ ناضرٌ وأحمر وردٍ ... وشقيقٌ يزينه التكحيل
وغصونٌ تجرُّ أذيال نورٍ ... في حواشي جداولٍ وتميل
للزراير في خلال الأزاخي ... ر صفيّر وللحمام هديل
فأقم رستمنا صبيحة نبرو ... ز به ريع أنسنا مأهول
بكؤوسٍ مملوءةٍ من مدامٍ ... أنت فيها لمن حساها عذول
واجتنبْ جلسة الثقليل إليها ... فعلى الشرب لا يخفّ الثقليل
وله من مهرحانية:

أسيوفُ الهند سلّتْ ... أمّ ظبا أجفان هند
يا لأيام الصبا والعي ... ش في أكثاف نجد
ربّ حسناء رداحٍ ... ألصقت خدّاً بخدّ
أطبقتُ صفرة دينا ... ر على حمرة ورد
أيُّها الصاحب عليا ... ك على الأيام تعدي
وعلى جدواك قد عوّ ... لت في حلّي وعقدي
مهرجانٌ ثغره يف ... ترُّ عن يمنٍ وسعد
ورده وردٌ جسادٍ ... فاح عن مسكٍ وندّ
فابق ما شئت كما شئ ... ت لتنويلٍ ورفد
وله:

يا أيُّها الشيخ الذي ... هو مشتكاي من البشر
أصبحت أختار العمى ... في ناظريّ على البصر
أسفاً على عمرٍ يك ... دّره لقاء أبي عمر

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطائرين على حضرة الصاحب من الآفاق

الشعراء الطائرون على حضرة صاحب

سوى من يقع ذكره منهم في أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفرداً في هذا الربع الثالث، وسوى أبي طالب الماموني، وأبي بكر الخوارزمي، وبديع الزمان أبي الفضل الهمداني، فإن لذكر كل منهم مكاناً في الربع الرابع.

أبو الحسن علي بن محمد البديهي

من شهرزور كثير الشعر، نابه الذكر، خليفة الخضر. سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: وقد جرى ذكره بين يديه، إنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا إلى لفظة الدعوى، دون حقيقة المعنى، وفي ذلك يقول له صاحب:

تقول البيت في خمسين عاماً ... فلم لَقَبْتَ نفسك بالبديهي

ثم أقبل عليّ وقال: أنا أقول في البديهي ما قاله الجاحظ في عمرو القصافي زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له هذا البيت الواحد:

خوصٌ نواجٍ إذا جدَّ الحداة بها ... رأيت أرجلها قدّام أيديها

وكذلك البديهي قال شعراً كثير العدد، في زمان طويل المدة، فم يستملح له إلا هذا البيت:

أتمتني على الزمان محالاً ... أن ترى مقلّتي طلعة حرّ

وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهي، فليس شعره في سلامة المتون وقلة العيون على ما ذكره،

والبيت الذي أشار إليه من أبيات بديعة أولها:

ربّ ليّلٍ قطعتَه باجتماعٍ ... معَ يَضٍ من الأخلَاءِ غرّ

وكان الكؤوس زهرُ نجومٍ ... والثريا كأنها عقد درّ

مرّ من كنتَ أصطفيه وللدّه ... ر صروفٌ تشوب حلواً بمرّ

ومن سائر شعر البديهي قوله:

يا شهرزور سقيت الغيث من بلديتودّ وجداً به أنا نقابلُه

طال الفراق فلا وافٍ يرسلنا ... على العباد ولا آتٍ نسائله

وله من قصيدة صاحبية وكان صاحب أخذ معه من بغداد إلى أصبهان أولها:

قد أطعتُ الغرام فاعصِ العذولا ... ما عسى عائبُ الهوى أن يقولَا

وصحبناه في فيافٍ فقارٍ ... كاد فيها الخليل يجفو الخليلا

فبلونا منه دماثة أخلا ... قِ أعادت تلك الحزون سهولا

وأوينا إلى رحابٍ رحابٍ ... لم نجد للعفاة عنها عدولا

وله من تشبيب قصيدة:

ولم أرَ لي يوم الرحيل مساعداً ... على الوجد حتى أقبل الدمع مسعداً
وكان دماً فايضاً منه احمراره ... بنار التصابي حين فاض مصعداً
أخذه من قول من قال:

أرابك دمعي إذ حرى فحملتني ... من الضرّ والبلوى على مركبٍ صعب
فلا تنكرنّ دمعي فإنما ... يبيّضها تصعيدها من دم القلب
وللمعروف بالفارسية في معناه.

خون سيبد بارم بردورخان زردم ... آرى سيبد باشد خودل معد
وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه:

كيف تقضي لي الليالي قضاءً ... يشبه العدل والليالي خصومي
ربّ ليلٍ قطعته في هوى الشع ... ر كأنّ الشعرى العبور نديمي
فتأمل فلست في الخلق والخل ... ق المرادين بالذميم الذميم
أنا من آلة الندى فلو أحضرتن ... ي لم يعب نداماك خيمي
يُرتضى مشهدي ويؤمن غيبي ... وأرى في الملمّ غير ملّيم
ومن نوادر شعره قوله:

لما أتيتك زائراً ومسلماً ... خرج الغلام وقال إنك نائم
فأجبتة أبلاً لحافٍ نائم ... هذا الحال وأنت عندي ظالم
أنت اللحاف فكيف تطعم عينه ... طعم الرقاد وأنت عنه قائم
فتضحك الرشأ الغرير وقال لي ... أو أنت أيضاً بالفضيحة عالم
والله ما أفلتت منه ساعة ... حتى حلفت له بأني صائم
وما يتغنى به من شعره قوله:

ذريني أواصل لنّتي قبل فوقها ... وشيكاً لتوديع الشباب المفارق
فما العيش إلا صحة وشبيبة ... وكأس وقرب من حبيب موافق
ومن عرف الأيام لم يغترز بها ... وبادر باللذات قبل العوائق

أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم

من أهل العراق، شيخ شعراء العصر، وبقية ممن تقدمهم، واسطة عقد ندماء الصاحب، وما هم إلا نجوم
الفضل وهذا منهم كالبدر، وكانت له في صحبته وخدمته هجرة قديمة، وله حرمة وكيدة، وحاله عنده كما
قرأت في كتاب له وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فسورته لدى صورة الأخ، أو وده أرسخ.
ومحله محل العم، أو اشتراكه أعم.

وكان - مع حسن ديباجة شعره، وكثرة رونق كلامه، واختلاط ما ينظمه بأجزاء النفس لنفاسته - لين
قشرة العشرة، ممتع المؤانسة، حلو المذاكرة، جامعاً آداب المنادمة. عارفاً بشروط المعاقرة، حاذقاً بلعب

الشطرنج، متقدم القدم فيه، وحين سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب، وساعد صاحب على رفض الشراب، ونفض تلك الأسباب، أراده فخر الدولة على مجالسته وأخذه بفضّ ختام توبته، ودرّت عليه بحسن رأي صاحب سحائب إنعامه، وأجنت له ثمرات إكرامه، ففي ذلك يقول من قصيدة:

هاتها لا عدمت مثلي نديماً ... قهوةً تنتج السرور العقيماً
قد أطعتُ الأمير إذ سامني الشر ... ب ولم أعص أمره المختوماً
وتخطّيتُ توبتي في هواه ... فوصلتُ التي هجرتُ قديماً
قرقفاً تنتمي إلى الشمس لا تعر ... ف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دثّها الغليظ فرقتُ ... واستفادت من السموم نسيماً
كرمتُ عنصراً فلو مُتّ فيها ... أبجل الناس غادرته كريماً
وكأني لما رجعت إليها ... كنت من كلّ لذة محروماً
كم عقارٍ صليت منها بنار ... فحكيت الخليل إبراهيماً
وكؤوسٍ شربت منها سروراً ... كاد يهوي والجلد ينمي هموماً
قد وجدت الروض الأريض حميماً ... ووجدت الخسيف عاد حموماً
شافهت بي مناي بالقرم فخر ال ... دولة اليوم جنةً ونعيماً
وبلغت الذي تميت واستخدم ... ت فاخترت مجلساً محدوماً
ورآني الأمير أيّله ال ... ه لبيّاً فقال كن لي نديماً
جل الرزق موضعي ورأى آ ... ثار شاهنشاه فصار عليماً
أرشدته إليّ كفّ كريم ... ألزمته أن لا يكون ليماً
وكان قد نادى أخاه عضد الدولة، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق إلى مثلها، وه نهاية في الحسن والظرف، فمنها:

لي فؤادٌ لو أنه لي غريمٌ ... كان عندي لديه أيّ عديم
وأنا مبتلى بقلبي الذي أقع ... د فيما يسومني وأقوم
ليس يدري لجهله وهو يقضي ... أن كلّي بما جناه زعيم
غصبتني عليه خوذةٌ وقالت ... أنا من قد عرفت واسمي ظلومُ
هو ثارٌ نالته يمناي فاطلب ... ه بحربٍ يشيب فيها الفطيم
وانشئت بي إلى مجالٍ فسيح ... تدمنُ الركض فيه زنجٌ وروم
فأقمنا صدور فرسان حرب ... خلف رجالة لها لا تريم
وإذا استقدمتُ تقدّمت الخي ... ل وطاب الطراد والصميم
فالتقى العسكران في حومة النق ... ع أسودٌ على أسودٍ تحوم
كل فيلٍ نُجّت من الصلم أذنا ... ه وأودى ناباه والخرطوم

وطمرٌ إذا علتَه العوالي ... غاب فيها وعاد وهو سليم
فاختلطنا وجال في الحرب فرزا ... ني وقال الكميّ من لا يخيم
ثم نادى شاهي برخيه كراً ... ليس بعد الوقوف إلا المهجوم
فأحاطا بشاهنا في مضيقٍ ... ضاق ذرعاً بمثله المكظوم
ثم أزعجته بفيلي فولّى ... مستكيناً كما يولّي اللثيم
وكشفت العراء عن وجه رخي ... فعراه الحمام وهو مليم
فخفّت من الحياء وغطّت ... ورد خدّاً كأنه ملطوم
ثم قالت خذ الفؤاد سليماً ... إن حبس المهون عازّاً ولوم
ولشتان بين خيلي في الغ ... ي وخيل صراطها مستقيم
قارع الدهر فوقها عضد الدو ... لة حتى انتهى إلى ما يروم
فأباد العدا وقلم به الديّ ... ن وركن الخلافة المهذوم
وستقرّت به زلازل بغدا ... د وعاد الخليفة المظلوم
ومن غرر قصائده في فخر الدولة:

لو عايتُ عيناك بركةَ زلزل ... ونزلت من عرصاتها في منزل
عمرتَ دور قيامها بك جامعاً ... بين الغزاة والغزال الأكحل
وبسطتَ كفيّ بأذل متخرّقٍ ... فأقمت غير محلىء عن منهل
وسمعت ما يدعو النفوس إلى الهوى ... طرباً ويفتح كلّ قلبٍ مقفل
وشربت صافيةً كأنّ شعاعها ... لهبُ الحريق من الرحيق السلسل

وغدوت مخموراً جنيب هوىّ إلى ... حجّر الجوّاري غدوة المتغزل
فسرحت بين قدودها وخدودها ... ونهودها طرف الشجيّ المتأمل
وملكت منهنّ التي لو أنّها ... طيفٌ لفزت بقربه المتخيّل
وثويت في قفرٍ بشاطئ دجلةٍ ... ما بين مزمارٍ وعودٍ معمل
متنقلاً من روضةٍ مهضوبةٍ ... حلّت إلى الروض الذي لم يحلل
ورقدت بالنجميّ رقلة شاربٍ ... تحت الغصون وحملها المتهلّل
وسباك صوت خريبر ماءٍ سائحٍ ... وشجك تغريدُ الحمام المهلّل
وسعيت سعيّاً في البطالة والصبا ... لم يدر دمعك في محلٍ محول
ولقت وأسفاً على القصف الذي ... لم أجنه بالقفص أو قطربل
لا أتبع الأعراب إنّ هم قوضوا ... من مجهلٍ حتى أخطّ بمجهل
وصرير أرجاء السرير بمسمعي ... أحلى بقلبي من صرير الحمل
فالكرخ دار اللهو أعذبُ مشرعاً ... من مشرعٍ يختصُّ دارة جلجل

لا درُ العيش في مترَبِعٍ ... بمخيمٍ بين الدخول فحومل
خفضُ عليك وكلُّ خفضٍ إنما ... أوقاته فرصٌ تمنُّ لمعجل
والعيش عندي ما حييت بدرّه ... في ظلِّ مغشيّ الجنب مؤمِّل
قد أَلقت الدنيا أزمّتْها إلى ... ملكِ الملوك عليّ بنِ أبي علي
فاطربُ سروراً بالزمان وحسنه ... واشرب على إقبال دولة مقبل
وقوله من نيروزية:

بي سكرٌ ما ولَدَتْهُ العقار ... ليَ جسمٌ للعين عنه ازورارُ
أنا من غادرته أيدي المطايا ... والرزايا شعاره والدثار
أيها الليل عقهمُ بدياجي ... ك هيهات ذاك فيهم نوار
غادةٌ ما دجا عليها ظلامٌ ... قطُّ إلا ليلٌ علاه خمارُ
يا ربيع الربيع للعيش من بع ... د اصفرارٍ براحتيك اخضرار
لا يحول الذي بكحك يسقي ... بل يحول الذي سقاه القطار
فهنيئاً بطيب فصلٍ ويومٍ ... زار فيه نيروزك الزورار
يخصب الجد في ذراك وتحض ... رُ الأيادي وتورق الأخبار
وتغنيك في النديّ طيورٌ ... أنا وحدي من بينهن الهزار
ومن غرر قصائده الصاحبية قوله من قصيدة:

وليلٍ دعاني فجره فلقيته ... بمجلسٍ طلق الوجه سهل التحلق
إذا شئت خضنا في حديث منمنم ... وإن شئت عَمْنَا في رحيقٍ معتق
يردّ شباي وهو عني شاسعٌ ... ويدني التصابي بعد ما شاب مفرقي
ومنها في المدح:

لقد أعتقتني نعمةً لك أطلقت ... يمينيَ بعد اليأس من قدّ موثق
فإن أنتسب كان انتسابي إلى أبي ... وكان ولائي بعد ذاك لمعتقي
ومن أخرى:

وصرت إلى الباب الذي ليس دونه ... حجابٌ ولا كفٌّ تردُّ من اجتنى
فما شمت إلا بارقاً كان صادقاً ... ولا رحت حتى عَمْتُ في أبحر الغنا
وقوله من أخرى:

مُسَدَّدٌ ضربت أيام دولته ... على عيون أعاديه بأسداد
هدى إلى الحق وانملت يده ندىً ... فهو الدليل يعين السّفَرَ بالزّاد
لي عند جرجان ثارٌ سوف أطلبه ... بكلِّ رحب القرى أو مشرف الهادي
حتى أراه فأستغني برؤيته ... عمّا روينا عن قومٍ يأسناد
وقوله فيه، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة:

يا شوقُ قد قَرُبَ السفر ... ودنا الرحيل المستظر
وغدا يأذن الله أو ... تاليه يظهر ما استتر
ويسير بي التيسير في ... زمر بأيديهم زبر
وسيراً يبشّر بالسعا ... دة والسلامة والظفر
سينيف بي الفرس الأغ ... ر غدا على الملك الأغر

يا حادبيّ ليقنا ... أني أفارق من فتر
وينال رفدي منكما ... ماضٍ يقهقه إن عثر
لا يقشعر إذا دنا ... منه الغصنفر أو زأر
وردي وورد كما سرى ... ينسيكما ذكر الصدر
إن جال في عيني الكرى ... رفقاً فأعقبها العور
لا زلت أبدع في السرى ... فعلاً تعاضمه القدر
وأشقُّ قلب الليل عن ... ولدٍ يقال له السحر
حتى يقول الحزن لي ... والسهل لست من البشر
وتقول خوص تجائي ... لا خاب سعيك يا عمر
إن الجليل من الثوا ... ب لمن يدقق في النظر
سأغضُّ عن زهر الكوا ... كب أو يعنُّ لي القمر
إني أخفُّ إلى البحر ... ر ولا أسفُّ إلى المطر
وإذا لقيت الصاحب ال ... مأمون أدركت الوطر
وإذا جلست علوت دي ... باجاً وسائله بدر
وإذا ركبت مشى عبي ... دي في المناطق والحر
وأقيم مبتسماً إقا ... مة من يزداد إذا شكر
في نعمة تصفو عليّ ... به وأخرى تنتظر
ذكروا فسادَ طريقنا ... واستشعروا منه الحذر
قلتُ أركبوه على الذي ... فيه وإن عظم الخطر
فإن الله خيرُ حافظاً ... واسمُ الوزير لنا وزر
إن كان غاب فخوفه ... في كل قلب قد حضر
ملكٌ تحرُّ له الملو ... ك الصيد من مدِّ البصر
فالطيب فوق لحاهم ... وجباههم تحت العفر
وأجلهم من حدٍّ من ... ه إليه في وقت النظر
جرجان ما نصبي ولا ... دأيي إليك على غرر

فيك الذي من ماله ... حمي وجلديّ الشعر
لولا ابنُ عبادٍ رأي ... ت الصبر أفضل مدّخر
وسلكت في زهدٍ عن ال ... دنيا سبيل من انزجر
واعتل قبل ورده ووصله بهذه القصيدة:
قد كنت أحسب أن عين ... ي سوف تظفر بالنظر
وفمي سيلثم أحصي ... ك وما وطئت من العفر
وإذا بلغتك سالماً ... في النفس أدركت الوطر
حتّى منيت بعائقي ... ينهى العليل عن السفر
حمي يعاضدها السعا ... ل وما برجلي من خدر
ولعل سيدنا إذا ... عرف المقوّق لي عنذر
وقوله من أخرى في فخر الدولة:
حبيبٌ عليه من سناه رقيبٌ ... يصدُّ الدُّجى عن وجهه فيغيب
تيمّمني والليل في طرقاته ... فلما تبدّى حال عنه مريبٌ
تحملّ لوم الشمس فيه وجاءني ... هلال عن البدر المنير ينوب
فكان لراحي وارتياحي ومجلسي ... وكلي بطيب الوقت منه نصيب
وساعدني ليلي وأرخصى سدوله ... وهبّ نسيمٌ للحياة نسيب
وأنعمتَ حتى ليس يشتاك عاشقٌ ... حبيباً ولا ينوي الإياب غريب
ومنها في المدح:
ومزمع حجّ يشني عنك ماضياً ... ويذكر ما أوليته فيؤوب
عممت الورى بالبرّ حتى كأنما ... يردُّ عليهم من لهاك غصزب
وعرّفتهم طرق الشاء فكُلّهم ... على طبقات شاعرٍ وخطيب
رأى المزن ما تعطي فضمّ على الأسى ... فؤاداً كأن البرق فيه طيب
وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ ... فكنت صدوق الوبل وهو كذوب
وقوله من أخرى فيه:
يا سامع الزور فيّ لي ذمّمٌ ... منها الصّنى في هواك والسّقم
أنت الذي دنت بالسّجود له ... حتى لقد قيل ربُّه صنم
ولي فؤادٌ غدوت مالكة ... بلا شريكٍ فليس ينقسم
حتى إذا صرت في ذرى فلك ال ... أمة حيث التقت به الأمم
خيّمت في دولة مجدّدة ... خيم فيها الوفاء والكرم

وقلت للسفر قد وصلت إلى ... مناي، رحلي، وناقني لكُم
أكرم بحظي لقد أتى فمحا ... ما خطّه في جيبني العدم
وله من قصيدة في الصاحب يصف فيها علته بجرجان وتأذيه بهوائها وبراعيتها وبقها ويستأذن للعود إلى
أصفهان:

ألا يا حيُّ جادتك الغوادي ... مجلّة العزالي والمراد
ولا زالت ربك تفوح مسكاً ... يضوع نسيمه في كل نادي
فإنك جنة الدنيا لناو ... أقام بخير أمصار البلاد
وأمّ للغريب فكلُّ آتٍ ... نظيرُ بيبك عندك في الولاد
فواأسفي على زمنٍ جنى لي ... ودادك واجتني لك من ودادي
كذا الملك ابن عبادٍ عماد ال ... هدى وردى العدا وحيا العباد
ومن برقاه دون ظباه أسرى ... فأصلح بين غيّك والرشاد
وجاد فكان أجرى من سحاب ... سقى زهر الروابي والوهاد
وقد أصبحتُ بعدك في بليدٍ ... درية كل داهية نادي
ولولا أن سيّدنا به لم ... تكن جرجان تنثني من قيادي
أقمت بها أعالج كلِّ بؤسٍ ... من الأعلال لا العيش المهّاد
تحدّثني بحمى لو تبدّت ... بخير ألحققتها بالبوادي
ملازمة إذا لسعت شقياً ... فكلُّ زمانها وقت العداد
تعاونها عليّ سموم صيفٍ ... بلفح من لظاه واتقاد
وذبانٌ أشردّها فتأبى ... وترجع كالمرغم ذي الكياد
كأنّ حين أطردّها وتأبى ... أفرّق بين ذي سغب وزاد
ويا ويلي من الليل الموائى ... فإني حين يطرق في جهاد
له جيشاً براغيثٍ وبقٍ ... يطلّ عليّ إطلال الجراد
ولي فرشٌ هي الميدان فيه ... براغته وخمشي في طراد
وبقٌ فعله في كلِّ عضوٍ ... فعال النار في ييس القتاد
عصائب ينتحين على عروقي ... بعوج كالمباضع في الفصاد
فتروى ثم ترجع عاطفاتٍ ... عليّ وهنّ كالهيم الصوادي
وأنقف بعضهنّ وفي حشاها ... دمي فأنال ثأراً من أعادي
تفرّق بين جنبي والحشايا ... وتجمع بين جفني والسهاد

ولو أني ثملت وملت سكرًا ... لحالت بين طرفي والرقاد
واستر دونها وجهي بكفّي ... وعطف الرदन وهو لهنّ بادي
وأظهر في صباحي كلّ يوم ... بوجه مجدرٍ قلقٍ الوساد
وأدمن حكّ ما تركت بجسمي ... فيحسني جريت ذوو عنادي
وقد وقف الوزير على بلاني ... بما ضاقت به حيلي وآدي
وإني لا نهار أقرّ فيه ... ولا ليل يقيني منه فادي
صديقي في دجا ليلي عدوي ... وعبدي لا يجب إذا أنادي
وأترك في ظلام دجاه وحدي ... فأذكر ضيق لحدي وانفرادي
وفي يمناي مروحةً فطورًا ... أذود بها وما يغني ذياي
وطورًا أستريح إلى انتصابي ... وطورًا أثني ويدي اعتمادي
وعلمني البعوض بلطم خدي ... خلاق لسنّ من شيمي وعادي
فهل للصاحب المأمول عطفٌ ... على عجزي عن الكرب الشداد
ياذنٍ لست أسأله اختبارًا ... ولكن اضطراري في ازدياد
شقاء لا يعاقبه رخاءٌ ... ويلوى تستتيم إلى التماذي
وسيدنا أدقّ الناس حدسًا ... وأعرفهم بدخلة من يصادي
وحسبي ما بلّاه في اختياري ... وشاهد من ولائي واعتقادي
وأنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني الزعفراني لنفسه:
لي لسانٌ كأنه لي مُعادي ... ليس يني عن كنه ما في فؤادي

حكم الله لي عليه فلو أنص ... ف قلبي عرفت قدر ودادي
وأنشدني له من قصيدة فصلية هذين البيتين، وأظهر إعجاباً شديداً بهما:
وفصل فيه للأرض اختيالٌ ... لأنّ جميع ما لبست حرير
وللأغصان من طرب تتنّ ... إذا جعلت تغنيها الطيور

أبو دلف الخزرجي الينبوعي مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف، مشحوذ المدينة في الجدية، خنق التسعين في الإطراب والاعتراب، وركوب
الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالجواب. في خدمة العلوم والآداب. وفي تدوينه البلاد يقول من
أبيات أنشدنيها أبو الفضل الهمداني:
وقد صارت بلاد الـ ... ه في ظعني وفي حلّي
تغايرن بلبثي و ... تحاسدن على رحلي
فما أنزلها إلا ... على أنسٍ من الأهل

وكان ينتاب حضرة صاحب، ويكثر المقام عنده، ويكثر سواد غاشيته وحاشيته، ويرتفق بخدمته، ويرتق في جملته، ويتزود كتبه في أسفاره، فجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره، وكان صاحب يحفظ مناكاة بني ساسان حفظاً عجباً، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها، وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفتن له حاضرهما، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدين والتنبيه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر يادخال الخليفة المطيع لله في جملتهم وقد فسرهما تفسيراً شافياً اهتز ونشط لها وتبجح بها وتحفظ كلها وأجزل صلته عليها، وقد كتبت معظمها بأخرة، وكان السلامي هجاه بالأبيات التي أولها:

قال يوماً لنا أبو دلف أب ... رد نت تطرقُ الهموم فؤادَه
لي شعرٌ كالماء قلت أصاب ال ... شيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكن ... لست في حكمهم تنال السعاده
وطيب مجرب ما له بال ... ذق في كل يجرب عاده
مرّ يوماً إلى مريضٍ فقلنا ... قرّ عيناً فقد رزقت الشهاده
فقال أبو دلف:

ظلّ السلامي يهجوني فقلت له ... حيت قلبي ومعشوقي وأستاذي
إن لم تكن ذاكرًا بالريّ صحبتنا ... فاذا ذكر ضراطك من تحتي ببغداد
وأنشدني عون بن الحسين الهمداني، قال: أنشدني أبو دلف الخزرجي الينوعي لنفسه في أبي عبد الله العلوي:
لولا النبي محمد ... ووصيه ثم البتول
لعلمت أي شاعر ... آسِم الرجال بما أقول
لكنني أعرضت عن ... ذاك الحديث وفيه طول
وتركت للخمر الخما ... ر، وحذا تلك الشمول
وأنشدني أبو علي محمد بن عمر البلخي، قال: أنشدني أبو دلف الخزرجي لنفسه في إنسان بالدينور يقال له المشقاع:

يا من يسألني عن المشقاع ... قد ضاق شعري عنده ورقاعي
كاتبته في حاجة عرضت لنا ... فكأنني كاتبٌ وحش القاع
نعم الفتى لو لم تكن أخلاقه ... ممزوجة بتواهل الفقاع
أنا مثله في جنسه من طرزه ... إن لم أضربه على الإيقاع
وأنشدني بديع الزمان لأبي دلف، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح الإسكندري:
ويحك هذا الزمان زور ... فلا يغرتك الغرور
زوّق ومحرق وكل وأطبق ... واسرق طليق لمن يزور
لا تلتزم حالة ولكن ... در بالليالي كما تدور
وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية التي أولها:

جفونٌ دمعها يجري ... لطول الصد والهجر
وقلبٌ ترك الوجد ... به جمراً على جمر
لقد ذقت الهوى طعمي ... ن من حلواً ومن مرّ
ومن كان من الأحرأ ... ر يسلو سلوة الحرّ
ولا سيما وفي الغر ... بة أودى أكثر العمر
تعريت كغصن البأ ... ن بين الورق والخضر
وشاهدت أعاجيباً ... وألواناً من الدهر
فطابت بالتوى نفسي ... على الإمساك والقطر
على أي من القوم ال ... بهاليل بني الغرّ

بنى ساسان والحامي ال ... حمى في سالف العصر
تغرّينا إلى أنا ... تناءينا إلى شهر
فظلّ البينُ يرمينا ... نوى بطناً إلى ظهر
كما تفعل الريح ... بكُثْبِ الرمل في البر
فطيناً نأخذ الأوقأ ... ت في العسر وفي اليسر
فما تنفكُ من صمّي ... وما تفتُرُ من متر
فأحلى ما وجدنا العي ... ش بين الكمد والخمر
الصمى: الشرب، والمتر، والكمد: هو النيك.
فنحن الناس مل لنا ... س في البرّ وفي البحر
أخذنا جزية الخلق ... من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل في ك ... ل أرضٍ خيلنا تسري
إذا ضاق بنا قطرٌ ... نزل عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها ... من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ... ونشتو بلد التمر
فنحن الميزقانيو ... ن لا ندفع عن كبر
همُ شتّى فسلي عن ... همُ ينيك ذو خبر
فمنا كل كمّاذِ اللبوسات مع الهَرّ
ومنا كل صلاّج ... بكيدٍ وافرٍ نكر
الكمّاذ: النيك، واللبوسات: الأحرأ، والهَر: الدبر، والصلاّج: الذي يصلح أي يجلد عميرة، والكيد:
الأيّر.

قد استكفى بمقيّه ... عن الثيب والبكر

فلا يخشى من الإثم ... ولا يؤخذ بالمهر
ولا يجذر من حيض ... ولا حمل على طهر
ومنا الكاغ والكاغ ... ة والشيشق في النحر
الكاغ والكاغة: المتجانن والمتجاننة، والشيشق: الحدايد والتعاويد التي يلقونها على أنفسهم.
وأشكالٌ وأغلالٌ ... من الجلد أو الصُفر
ومن دروز أو حر ... زأو كوز بالدغر
دروز: إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء، حرز: إذا كتب التعاويد والحراز، كوز: إذا أقام في
الجلس، والمكوز: هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما
أعطوه. والدغر: المقاسمة.
ومن درع أو قشع ... أو دمع في القرّ
درع: إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها، قشع: إذا مشى وعينه إلى الأرض
لطلب القطع، دمع: إذا بكى في الأسواق عند البرد حتى يعطى.
ومن رعس أو كبّ ... س أو غلّس في الفجر
رعس: إذا على حوانيت الباعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنا ثمرة وتينة، كبس: إذا دار فإذا نظر إلى رجل
قد حلّ سفنجه كبسه وأخذ منه قطعة، غلس: إذا خرج إلى الكدية بغلس.
وحاجورٌ وكذابا ... ت أهل الأوجه الصفر
الحاجور: الذي يقب ببيضة ويجعلها في حجره وهي تسيل ماء أصفر، الكذابات: العصابات يشدونها على
جباههم فيوهمون أنهم مرضى.
ومن شطّب أو ركّ ... ب للضربات والعقر
شطب: إذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الأعراب والأكراد والصوص، ركب: إذا طلى بالشيرج
حتى يسوده جلده واوهم أنه جلد أو لطمته الجن ليلاً.
ومن ميسر أو مخطّ ... ر واستنغز للثغر
ميسر: إذا كدى على أنه من الثغر، ويقال هل: الميسراني. مخطر: إذا بلع لسانه وأوهم أن الروم قطعوه.
ومن ناكذ في القينو ... ن من جوف أبي شمر
الناكذة: أن يتقاسموا ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلّة الغزو. والقينون: موضع القسمة. أبو شمر: أول
من كدى بعلّة الغزاة.
ومن رشّ وذو المكوى ... ومن درمك بالعطر
رش: إذا كدى بعلّة ماء الورد يرشه على الناس. ذو المكوى: الذي ينخر الناس. درمك: إذا باع العطر
على الطريق.
ومن دكّك أو فكّ ... ك أو بلّغك بالحر
المدكك: الذي يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من به وجع الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين

أسنانه ثم يخرجهم ويوهم أنه أخرجه بالرقية، فكك: إذا فك السلاسل على الطرق. بلغك: إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرقيق.

ومن قصّ لإسرائي ... ل أو شبراً على شبر
من قص: هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصص ويقال لها الشبريات.

ومن بشرك أو نو ... ذك أو أشرك بالهبر
بشرك: نزيا بزي الرهبان ترهداً. نوذك: إذا كدي على أنه من الحجاج، أشرك بالهبر: إذا شركاءه ما يأخذه.
ومن قدس أو نم ... س أو شولس بالشعر
قدس: إذا أكل الكبد المطحونة المجففة في شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوي ولا يفطر في الشهر إلا مرة
أو مرتين. نمس: من الناموس. شولس: من الشالوسة، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر.

ومنا العشيريون ... بنو الحملة والكرّ
العشيريون: الذين يتتاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون.

ومنا المصطانيو ... ن من ميزق بالأسر
المصطانيون: قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما
يفكونهم به، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر: المصطبان، ميزق: كدى.

ومنا كلّ زمكدان ... غدا محدودب الظهر
ومنا كلّ مطراش ... من المكلوذة البتر

المطراش: الذي معه يده يكدى عليها، ويقال اليد المقطوعة: المكلوذة.

وفي المدرجة الغبرا ... ء منا سادة الغبر
المدرجة: هؤلاء قوم يقعدون وينامون في السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة
التراب حتى يرحموا ويعطوا.

ومنا كلّ قنّاء ... على الإنجيل والذكر
القنّاء: الذي يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم.

ومن ساق الولا بالما ... ء أو قوس أبي حجر
ومن ساق: هؤلاء قوم يسقون الناس الماء والولا: أن يثق فيقول: أنا المولى الأبطحي، ومنهم من يكون معه
قوس عربية، وأول من فعل ذلك في الحضرة أبو حجر.

ومن طفشّل أو زّنك ... ل أو سطلّ في السر
طفشّل: إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب، زنكل: إذا احتال في سلبهم، سطل: إذا تعامى وهو بصير، يقال
للأعمى: الإسطيل.

ومن زقى الشغاثات ... غداءات وبالعصر
زقى: صلى. والشغاثات: المساجد، واحدها شغاثة، يكدون فيها إذا صلى الناس.

ومن دَشَّشْ أو رَشَّ ... ش أو قَشَّشْ يستلري

دَشَّشْ: إذا جعل في استه شبه حشو كحقنة وبنام على الطريق ويخرج من استه كالدشيشة، رَشَّشْ: إذا كانت معه مَبُولَةٌ مع خصاه فإذا جاءه البول رَشَّشْه على الناس، ويقال له: المرشش، قَشَّشْ: إذا فسا في المساجد فيتأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج.

ومن يَزْنَقُ أو يَجْنُ ... قُ أو يذلق بالدبر

يَزْنَقُ: يثقب في بدنه ثقبه وينفخ فيها حتى يتورم بدنه، يَجْنُقُ: يصنع المنديل في رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه، يذلق: يمشي عريان الاست.

ومنا كُلُّ مستعشٍ ... من النعارة الكدر

مستعش: قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاعين ويقولون: رحم الله من عشى الغريب الجائع، ويعنرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها.

ومن شَلَّدَ في القول ... ومن رمَّدَ في القصر

ومن شدد: قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس في اللواط وشرب الخمر، القصر: هو الآتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرماد، ويوهم أنه أوى إليه من شدة البرد وعدم الملبوس.

ومن يَزْرِعُ الهادو ... ر تكسيحاً من البذر

ومن يزرع في الهادور: قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظروا لهم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوا وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده. الهادور: كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها، والتكسيح: الممانعة.

إلى أن يقع التنب ... ل في محصلة الجزر

التنبل: هو الأبله الذي يقبل المخاريق على نفسه، ويغتر بما يورد المنجم عليه، فيخرج هو أيضاً درايمه طمعاً في ردها فيأخذها منه ويسخر به.

ومن قَتْنَوْنَ أم بنو ... ن أو طَيْنَ بالشعر

وقنن: من المقنون، وهو الذي يقول: كان أبي نصرانياً وأمي يهودية وإن النبي صلى الله عليه وسلم جاءني في النوم وقال: لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتي، فأسلمت. بنون: إذا انتسب إلى البانونية وهم الشطار وقال: كنت محبوباً فاحتلت بكذا حتى خرجت، طين: وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رؤوس الأشهاد في الأسواق.

ومنا منفذ الطين ... وأصحاب اللحى الحمر

منفذ الطين: قوم يخضبون لحاهم بالحناء، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنها من قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فيتخفون بها الشيعة.

ومن شَقَّفَ بالماء ... ومن شَقَّفَ بالجمر

والمشقف: هو الذي يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مر به الأبله له جرب بختك
وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها في النار فيظهر المكتوب أسود، وقد يعمل هذا الجنس
بماء العفص فإذا غمس في ماء الزاج خرج أسود، ويقال للرقعة: الشقيقة.

ومن كدى على كيسا ... ن في السرّ وفي الجهر

كيسان: قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيئهم، ويكدون عليهم بالمذهب.

ومنا النائح المبكي ... ومنا المنشد المطري

والناائح المبكي: قوم ينوحون على الحسين بن علي، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه، رضي الله عنه!

ومن ضرب في حبّ ... عليّ وأبي بكر

ومن ضرب في حب: قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانبا ويروي فضائل أبي بكر رضي الله عنه،

ويقف الآخر جانبا ويروي علي رضي الله عنه، فلا يفوقهما درهم الناصبي والشيعة، ثم يتقاسمان الدراهم.

ومن يروي الأسانيد ... وحشو كل قمطر

ومن يروي الأسانيد: هؤلاء يروون الأحاديث على قوارع الطرق.

ومنا كل مرور ... غدا غيظ بني البظر

كل مرور: قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلقون لحاهم ويوهمون أنهم موسوسون وأن المرار غلب عليهم

فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من
الشيعة ما يريدون.

ومن يكحل من مستعر ... ض دمعته تجري

ومن يكحل: هو الذي معه قطنة مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدمع ويأخذ في شكاية حاله

واستعراض الناس في مسألته وذكر قصته، وأنه قطع عليه الطريق أو غصب على ماله، والمستعرضون أمهر
القوم.

وفي الموقف مناك ... ل جبار أخي الصبر

كل جبار: هو الذي يقف في المقام قائما أو قاعدا ولا يبرح أو يأخذ ما يريد.

متى يحفّ يقل بشبا ... شة الخشنى في خصر

البشاشة: اللحية، والخشنى: الذي لا يكدي، وهو عندهم عيب كبير.

وقراع أبي موسى ... لديه دبة البزر

وقراع رأس أبي موسى: هو الخشنى، يقول: إن رأس هذه السفلة عنده أهون من دبة البزر استخفافاً به
وبجفائه.

ولا ينطس أو يلح ... ن ما يطلب بالقسر

وجرار عيالات ... عليهم أثر الضر

ولا ينطش: لا يذهب، أو يلحن: يعطي. وجرار عيالات: هو الذي يكتري الصبيان والنساء ويكدي عليهم.

ومن ينفذ سبحات ... وحلوى وأبا شكر

ومن ينفذ سباحات: هو الذي يطرح على أبواب الخوانيت السباحات وأقراص الحلوى، فمنهم من يعطي ويرد عليه، ومنهم من يلقي الملح، ويقال للملح: أبو شكر.

ومنا حافر الطرس ... بلا خرط ولا جهر

حافر الطرس: هو الذي يحفر القوالب للتعاويد فيشتريها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذي عليه فينفذ التعاويد إلى الناس ويوهم أنه كتبها، ويقال للقالب: الطرس.

وبركوش وبركك ... ومعطى هالك الجزر

بركوش: هو الذي يتصامم ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أهلك فيسمع وينبئه به، وبركك: هو الذي يقلع الأضراس ويداوي منها، والهالك: الدواء، والجزر: البصر، ويقال للعين: الجزارة.

ومن قرمط أو سرم ... ط أو خطط في سفر

قرمط: هو الذي يكتب التعاويد بالدقيق والجليل من الخط، وسرمط: كتب، والسرماط: الكتاب.

وحرّاق وبزاق ... بني الشخير والنشر

ومن ذكر والقوم ال ... زكوريون في الصدر

الحراق: الذي تكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة. والبزاق: الذي يرقى الجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم، ذكر: كدى على الأبواب، وهو من أجلائهم.

ومن دهشم بالكرش ... ويستبرد في النهر

ومن دهشم: محرق وموه بأنه صائم. والكرش الصوم والجوع أيضاً ويكون قد أكل في منزله فإذا عطش في النهر بعة الاستبراد وشرب ما أراد.

ومن يعطي الضمانات ... من الزنكلة العفر

الزنكلة والعفر: واحد، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون الجنة.

ويشري عش ورضوان ... بنذر الثمن النزر

ويشري عش رضوان: يعني أنه قول: إن لم أحج عنك فحظي من الجنة وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع، والعش: البيت، يريد به الجنة.

ومن حنّ كفيه ... وحفّ الطست كالحرف

حنن: هو الذي يخضب كفيه بالخناء، وحف شاربه فيتركه كالطست المجلوة وكالحرف المنتوف، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبت به لذلك.

ومنا الشيخ هفصويه ... ويحيى وأبو زكر

هفصويه: هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم، يكدون ولا يتكلمون العربي.

ومن كان على رأي اب ... ن سيرين من العبر

ومن كان على رأي ابن سيرين: هؤلاء من البصرياء يعبرون الرؤيا ويدكون من هذه الجهة.

وشكّاك وحكّاك ... ومعطى بلح الأجر

الشكاك: الذي يبيع دواء الفار واسمه الشك، والحكاك: الذي يكون معه حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير، يقال للواحد منها الحك، بلح الأجر: هو السبح التي تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وسمقون عليه السر ... مل الكحل وذو الغزر

سمقون: الصبي الذي يأخذ بيد الضربير يوههم أنه ابنه، والسرمل: القميص المخرق.

ومن ربّي ومن فتى ... وأجرى عقد الزرّ

ومن ربّي: هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان.

ومنّا قافة الرزق ... وأهل الفال والزجر

وقافة الرزق: قوم يتعاطون التجيم.

ومن يعمل بالزيج ... وبالتور والجفر

الجفر: الذي يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور.

ومنّا البشتادريو ... ن تحت الرحل كالحمر

والبشتادريون: قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره.

ومن مرّق في مصطب ... ة الفتيان في قدر

ومن مرّق: يطبخون المرق في دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء منهم.

ومنّا كلّ مراسٍ ... جسورٍ جاهلٍ هنر

المراس: الحواء معه سلال فيها حيات.

يرى الخشّ فيأتيه ... بلا خوفٍ ولا دعر

الخش: الأفعى.

فيستل الذي يخشا ... ه من شصوصة الخزر

الشوص: الأنياب بقلعها ويترك واحدة.

ويبقى منه مما يص ... لح للمحنة والسّبر

فقد أنزل فيه ... ملك الموت على قبر

فهذا هالكٌ لسعاً ... وهذا كفّه يبري

وقد يلتمس الخبز ... بمكروه من الأمر

ومنّا كلّ نطّاسٍ ... على البزرك مستجري

النطاس: القوي القلب من الدستكاريين تراهم على الدواب ومعهم الكلايب والمباضع يداوون الرمدي

وغيرهم من الأعالل، والبزرك: المواضع.

ومنّا كلّ من شرش ... ر بالهلاب والكسر

الشرشرة: القمار، والهلاب: الثياب، والكسر: الدرهم والمرجان والدينار.

إذا حاف عليه بخت ... ه سَقَف بالنحر
وحاف عليه: يعني أنه إذا قمر فاقلب القص عليه رفع طرفه إلى السقف ونحر نحو السماء وتكلم بالكفر.
ومنا كل إسْطِيل ... نقيّ الذهن والفكر
الإسْطِيل: الأعمى.
ومنا كل سَبَاع ... عظيم الليث والبير
ومن قَرَد أو دبّ ... ب من كل فتى غمر
ومن قرد أو دب: هم الذين يكدون على الدببة والسباع والقردة:
وسَمَانٍ ووسنانٍ ... ومن قَت كالكبر

والسمان: الذي يعطي النساء دواء السمن، والسنان: الذي يعطي دواء الأسنان، وقت: أكل القت بين
أيدي الناس كالجمل.
ودكّاء السفوفات ... لريح الجوف والخصر
الدكّاء: الذي يرقى من القولنج، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية.
ومنا ذو الوفا الحرّال ... مدلّج ذو الكرّ
والمدلّج: الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجره الشهر لبيته فيهرب ليلاً ويفوز بما يلزمه
أداؤه.

ومنا شعراء الأر ... ض أهل البدو والحضر
ومنا سائر الأنصا ... ر والأشراف من فھر
ومنا قيّم الدين ال ... مطيع الشائع الذكر
يكدى من معزّ الدو ... لة الخبز على قدر
ومن يطحن ما يطح ... ن بالشدة والكسر
ومن يطحن: هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم.
ومطليّ دن الأخّ ... مع المصمّوع كالبر
ومطليّ دم الأخ: هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والضمّوغ وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم
بثور يمرضون منها فيكفرون.
ومنا كل مشقاعٍ ... من الفتيان كاللغر
المشقاع: الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها. واللغر: هم السفّل من الناس.
يلد الشورز الوجد ... ن بالخبّ وبالمكر
الشورز: الأمرد. ويلد: يدور به العرب من المكدين فؤديه، ويقول: هذه الفتوة، ولا يجوز أن تكون وحدك،
فإما أن تصير غلاماً لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة،
ويقال للقدر بما فيها: الخشوب.

إلى أن يأكل الخشب ... ب كرساً أكل مضطر
وما في البيت غير الب ... ت أو بارية القفر
وما للشوزر السوء ... سوى الغيلة والغدر
وأن يصميه حتى ... تراه طافح السكر
يصميه: يسقيه الصمى، وهو الخمر.
فتجري فيه كيزات ال ... بهاليل ولا يدري
الكيزات: الأيور: البهاليل: رؤساء المكدين.
ومنا سعة الريح ... لضرب الكلب والهز
وسعة الريح: قوم يرددون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك أسنانهم، ويقول أحدهم: إنه قتل
سنوراً أو كلباً فلطمته الجن.
وذو القصعة والمسرا ... د والمكناس والعشر
وذو القصعة والمساد: هؤلاء قوم يتخلون التراب في الطرق ويعلقون على أنفسهم القصلع ويغسلون
الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطنون القصرى وهو ما بقي في السنبيل من الحب بعد أن يداس.
وفي الأسواق والأهنا ... ر والبيدر والقصر
ومن يقرأ بالسبع ... وإدغام أبي عمرو
وأصحاب المقالات ... من الفاجر والبر
ومن علافة ركبت ال ... باز مع الصقر
ومن علافة: هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى
الباز، وربما عوجها كأنها مفلوجة، والصقر: هو أن يشد عينيها ويقول: إنها رمدى أو عوراء ويقال لها أيضاً
النحلة.
ومنا الكابليون ... ومن يلعب بالجر
ومن يمشي على الحبل ... ومن يصعد بالبر
ومنا الزنج والزط ... سوى الكباجة السمر
والكباجة: اللصوص، كبح إذا سرق.
ومنا من صما يوماً ... فقد هرب في المصر
ومنا من صما: يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه البلد، والشيء الفاسد يقال له
الهريب، والشيء الجيد يقال له الكسيح.
ومنا كل ذي سم ... خشوع القن كالحبر
يرقي وتراه با ... كياً دمعته تجري
فإن كين في السر ... فبالذقان يستنري
كين: خري، والكين الاسم منه، يقول: إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذ البطن يخزى تحت

السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو الخراب.
وإن كرس لا وال ... ه لا تم إلى الظهر
ومن صاح بآمين ... من المزلق والذعر
من المزلق: يريد هؤلاء العراة، الواحد مزلق، يصيحون بآمين من الأسواق.

سخام القص قد تق ... عهم مثل بني التمر
سخام القصي: سواد الأتون.
فذا بقالنا سطل ... وذا استأذنا خرّي
فذا بقالنا سطل: يقول إذا صاحوا بآمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا بقالنا أعمه يا رب.
وذت فصابنا عسم ... وذا البزاز لا تبري
وعسم: من العسوم وهو المفلوج.
ومن ردّهم غل ... ف من غالبية الحجر
ومنا كل من يم ... رح في الإسظيل كالمهر
ومن كدة بملول ... تخطى ثم كالحجر
الإسظيل: الجامع، والكدة: المرأة التي تسأل الناس ومعها زوجها في الجامع.
ومن يخرج بالياب ... س يوم القطر والنحر
من يخرج باليابس: قوم يخرجون في أيام الأعياد إلى المصلى عراة خفاة يكدون.
ومنا من تمشّي يم ... ح البلدان كالنسر
ومن يأوي المصاطيب ... مع المذلفة الضمر
ومن يأوي الشغثات ... مع العقّة في الستر
وأصحاب التجافيف ... من الثامول الصبر
أصحاب التجافيف: قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض، يقال لهم
الثامولة الصبر لصبرهم على شدة فقرهم.
وأصحاب الشقاعات ... من المشاطح العكر
الشقاعات: جمع شقاع، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون مع جنس منهم، فيدورون في
المواضع ويسطون الشقاع ويصلون عليها ولا يأوون إلى موضع فلهاذا يقال لهم: المشاطح، لأن المشطح هو
الذي يطوف دائماً لا يفتر.

بنو التضريب والتدري ... ب والتفتيق والأطر
بنو التضريب والتدري: قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم أبداً في رقع أو فتق.
ترى للقمّل في كل ... شقاع مائي وكر
ومن دمّج في الثلج ... وفي الوحل بلا طمر

دمج: إذا قام في البرد.
ولا ينظر إلّا كا ... لحاً ذا نظيرٍ شرر
فلا يبرح أو يأخ ... ذ ما يأخذ بالصقر
ومن الغمير منا فت ... يةً من رغلٍ قنر
همُ بيتُ المشاميل ... مع التّابير الحفر
المشاميل: الرغفان، واحدها مشمول، والقنابر: جمع قبيرة، وهو الكسرة من الخبز.
غدوا مثل الشياطين ... عليهم أثرُ الفقر
فيأتون بربازا ... ر كالفيا من الحجري
ربازار: لأنه ذو ألوان، والقفيا: هو خبز السبيل الذي يجريه الأعداء على الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى.

وعبوه أنابير ... من الزغب والبرّ
وعبوه أنابير: يعني أقمم إذا جمعوا الخبز جعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الحنطة فهو الزغب، ثم يتقاسمون ما يجتمع لهم منها.
كما يقتسم البيد ... ر بالقفران والكسر
وظلّوا يفتنون ... على مالك بالعسر
وخصوه بجوازات ... ونصف فجله نمري
وخصوه بجوازات: يعني أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع، وإن كانوا في أتون جعلوه للوقاد.
سقى الله بني ساسا ... ن غيثاً دائم القطر
ترى العريان منهم ظا ... هر السُمرّة والخطر
كنمروذ بن كنعان ... قويّ الصدر والأزر
رجالٌ فطنوا للثق ... ل والأغال والإصر
خلنجيون ما حاضوا ... ولا باتوا على طهر
الخلنجي: الذي يخزي ولا يغسل استه، ما حاضوا: أي ما تطهروا.
رأوا من حكمةٍ خرط ال ... قلاداتٍ مع العنر
يقولون لمن رقى تحوّل فينا تزري
وراحوا خارج الدار ... بواريةٍ مع الحصر
فحيثما اكتروا قالوا ... من الحشني لا نكري
إذا ما سمّروا القشقا ... ش ذا العشون والزجر
سمروا القشقاش: أي رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية، ذو الزجر: العالم المتكشف الورع.
لقوه بنتاراتٍ ... من البندق والبسر
وحيّوه بالآفٍ ... من القنادر الفطر

يعني أنهم إذا رأوا شيخاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ضؤطوا عليه، والقنادر: الضرط، والفطر: الذي لم ينضج بعد، من الفطير، ويصيح الواحد إلى الآخر بندقة بسرة ويضرط.

وكم بين الغرايب ... وبين البغ والقمر

ألا إني حليت الله ... ر من شطرٍ إلى شطر

وجبت الأرض حتى صر ... ت في التطواف كالحضر

وللغربة في الحر ... فعال النار في التبر

وما عيش الفتى إلا ... كحال المدّ والجزر

فبعض منه للخير ... وبعض منه للشر

فإن لمت على الغرب ... ة مثلي فاسمعنْ عنري

أما لي أسوة في غر ... بقي بالسادة الطهر

هم آل الحواميم ... هم الموفون بالنذر

هم آل رسول ال ... ه أهل الفضل والفخر

بكوفان وطىّ كر ... بلاكم ثم من قبر

وبغداد وسامرا ... وباخرى على السكر

وفي طوس مناخ الرك ... ب في شعبان في العشر

سولمان وعمار ... غريب وأبو ذر

قبور في الأقاليم ... كمثل الأنجم الزهر

فإن أظفر بآمالي ... شفيت غلة الصلر

وألمت بأوطان ... قوي النهي والأمر

وقد تحقق فوق ع ... زة ألوية النصر

وإما تكن الأخرى ... وعزّ جائر الكسر

فلا أبت مع السفر ... غداة أوبة السفر

ولا عدت متى عدت ... بلا عز ولا وفر

وحسي القصب المطحو ... ن فيه ورق السدر

وأثواب تواريني ... من الإيذاء والأزر

؟أبو القاسم عبد الصمد بن بابك شاعر شعاره إحسان السبك، وإحكام الرصف، وإبداع الوصف، يشبه

كلامه مرة في الجلالة والفصاحة كلام الملقين، من الشعراء المتقدمين، ويناسب تارة في الرشاقة والملاحاة

قول الجحيدين، من المحدثين والمولدين، وهو القائل في وصف شعره:

أزرثك يا ابن عباد ثناء ... كأن نسيمه شرق براح

ولفظاً ناهب الحلي الغواني ... وأهدى السحر للحدق الملاح

وله في استعطاف الصاحب:

أي جرمٍ لواقٍ بك راجي ... خبطته غوارب الأمواج
وطني أنتِ والمكارم زادي ... فلمن أزجر القلاص النواجي
فارغ يا كافي الكفاة ثناءً ... نفث السحر في العيوم السواجي
لو أزرّت الحراب ملعب طوقي ... لارتشفن الثناء من أوداجي
أنا مذ حرّقت سمومك ظلّي ... جمرّة في شواظك الوهاج
لا تقابل زيارتي بازورار ... ومجاًجاً عسلته بأجاج
ليس في الشرط جنس حظّي فوقّ ... في عيون الحساد بالإخراج
وكان أيام الصاحب يشني بحضرته ويصيف بوطنه، كما قال من قصيدة جرجانية يتسحب فيها على كرم
الصاحب ويقرع باب استبطانه ويستأذنه للعود إلى بلده:
ألا يا أيها الملك الرؤوف ... إلى كم يعصي بالنفس اللهيفُ
أأسحب في ذراك فضول ذيلي ... ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
فإن يملك سواي عنان حظّي ... ولي من دونه اللفظ الشريف
فكلّ مطرّق مالّ، ولكنّ ... تعود بها إلى القيم الصروف
لواني عن طريق اليأس أيّ ... على ثقة بأنك لا تحيفُ
فجزّ إرث الزمان وعشّ حميداً ... يُناخ ببابك همُّ العكوف
وحادثٌ بالسراح أخوا اشتياقٍ ... يلاعب ظلّه جسدٌ نحيف
له بالريف من جرجان مشقّى ... وبالنخلات من غمّي مصيف
وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره واستملحته، وهو: وأما ابن بابك، وكثرة غشيانه بابك. فإنما تغشى منازل
الكرام، والمنهل العذب كثير الزحام.

قال مؤلف الكتاب: وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقي وتشوقني إلى أخواتها، حتى استدعى أبو
نصر سهل لن المزربان من بغداد مجموع شعره كعادته في استنساخ الطرف واستجلاب الغرر، وبذل
النفايس في استحداث الملح، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض
المطور. والوشي المنشور. فلم أدر الدفتر أملح أو الخط أحسن أم الشكل أصبح أو اللفظ أبرع أم المعنى
أبدع، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة، والغريبة الموجودة، فأخرجت منها غرراً ما هي إلا أنس
المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر، كقوله في وصف الشراب من قصيدة:
عقارٌ عليها من دم الصبّ نفضةً ... ومن عبرات المستهام فواقعُ
معوّدةً غصب العقول كأثما ... لها عند أرباب الرجال ودائعُ
تحيرّ دمع المزن في كأسها كما ... تحيرّ في ورد الحدود المدامع
وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب:
ومقلّة في مجرّ الشمس مسحها ... أرعيتها في شباب السدقة الشها

حتى أرتني وعين النجم فاترة ... وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلة بت أشكو الهم أولها ... وعدت آخرها أستجد الطربا
في غيضة من غياض الحزن دانية ... مدّ الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها ... فكلما دبّ فيها أثرت لها
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها ... عاد الزمرد من عيدانها ذهابا
ومنها:

مرقت منها وثرغ الصبح ميتسم ... إلى أغر يرى المذخور ما وهبا
ذو غرة كجين الشمس لو برقت ... في صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواء ومحتلبا ... وأشرف الناس أعراقا ومنتسبا
أصبحت ذائقة بالوفر منك وإن ... قال العواذل ظنّ ربما كذبا
إن المنى ضمنت عنك الغنى فأجب ... فالبحر يمنح فضل الري من شربا
فحسن ظني قد استوفى مدى أمني ... وحسن رأيك لي لم يبق لي أربا
ومن أخرى:

حجبت وما حجبت عن الصباح ... وليل الصبّ ممطول البراح
وبات السقم يكمن في عظامي ... كمون الموت في حدّ الصفاح
ومنها:

كسوت الحمد ذا عرض مصون ... يمتّع في حمى مال مباح
مزوح اللفظ مجذوع العطايا ... جموح العزم مجنون السماح
إذا اشتجرت على الملك العوالي ... هزرت أصمّ موشى الجناح
يريق على الطّباريق المنايا ... ويكحل بالردى مقل الرماح
وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطن:

أرى الأيام تسرف غي عقابي ... ودون رياضتي شيب الغراب
ألا يا عامر الآمال مالي ... أسير الطرف في أمل خراب
أفون مطارح الأمل انتظاراً ... وأسرح بين سقم واغتراب
أراع ولا أراعي والأمني ... لقي بين اكتاب وارتياب
وكم كسر جبرت فكان طوقاً ... على نحر الدعاء المستجاب
وقوله من أخرى:

لقد نشر النيروز وشياً على الرّبا ... من النور لم تظفر به كف راقم
كأن ابن عباد سقى المزن نشره ... فجاد برشاش من الوبل ساجم
ومن أخرى يهنئه بالأضحى:

ليهنك عيداً لو تناجت سعوده ... لما اقترحت إلا سماءك مطالعا

فضحَّ بمنْ ماطلتهُ عدَّةُ الردى ... فما اكتنَّ صدر السيف إلا ليقطعا
وله من قصيدة يذكر خلعة أمر له الصاحب بها:
وخلعة فاجأت بلا عدَّة ... من منعمٍ في عطائه سرفُ
غلَّت لساني عن الثناء فما ... يجري ولكن لشأها يصفُ
ومن أخرى:

أقبلت في شرف اللبس فأبلسوا ... نظر البغاث إلى انقضاض الجراح
إشتقَّ من خلع الفخار عمامة ... ورفاء قهراً بالكيب البارح
ومزور الأردان ناقلني الضنا ... وافترَّ عن سمطي شتيت واضح

كالبرقان قمافت أنواره ... ليلاً بمضطرب الخليج السابح
ومهلل النهدين نازع عطفه ... علم كمنعطف العذار الجامح
لأنلني شرف المقام، ورعي بي ... قلب الزمان، وصنت وجه مدائحي
لله منزلنا التي من شأها ... جرّ الرماح على السّمك الرامح
ومن قصيدة في فخر الدولة:

خلقت يقظان مروح العنان ... موقر الجأش جموح الجنان
أظلم الدهر فقد سرّني ... وعشت من أحداثه في أمان
فإن تكن أيام دهري خلت ... فشان أيامي البواقي وشاني
لقد تفيأت ظلال الصبا ... وصم عن طاعتي العاذلان
واستوقفت طرفي في خصور الدمى ... وانتهيت عقلي حضور الدنان
أفتق جلد الليل عن ضوئها ... والصبح كالنار خلال الدخان
يسعى بها في سقطات الندى ... أغن معقود حواشي اللسان
مروغ المقلة طاوي الحشى ... مؤثّ الدل مريض البنان
مقرطق تنفر أذياله ... عن موجة يجذبها غصن بان
مزترّ يقلق سرباله ... كأثما زرّ على خيزران
في يده شمطاء مقتولة ... ترفل في ملحفتي أرجوان
إذا استدارت فرقا صرّحت ... عن شررٍ وابتسمت عن جمان
إذا ظغا لؤلؤه خلته ... طلاً على أرض من الزعفران
تذكرني أنفاسها سحرة ... والليل والصبح طليقا رهان
نشوة أنفاس الأمير الذي ... أدرك ما شاء برغم الزمان
لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق، وقد
مر مثل هذا النقد في شعر المتبي، وكان ينبغي أن يقول:

نسيمُ أفعال الأمير الذي ... أدرك ما شاء برغم الزمان

رجع:

يا فلم الأمة درُ بالذي ... تموى فقد دان لك المشرفان

مقبل الراحة ما صُورَت ... كفّ؟ اه إلا للندى والطعان

فالخزم والعزم له عدّة ... والمال والسيف له جنتان

قد رقم النبروز وشي الرُّبا ... فارقم حواشي جلمك الخسرواني

واقْتبل اللّذات واستدعها ... باللهو والقصف وعزف القيان

واجتل وجه الراح في روضة ... تبسم عن مثل وجوه الغواني

وارع رياض العز في غبطة ... واسكن مدى الأيام ظلّ التهاني

ومن أخرى في مهرجانية:

أيا شاهانشاہ صلّ الأمانى ... بتجديد البشائر والتهاني

فقد جرت السعود وجاء يحدو ... سبوت الدهر سبت المهرجان

وإن طغت المثالب والمثاني ... فعاتبها بقهقهة القناني

فقد برد النسيم وجاء يسعى ... بها خصر المرافش والبنان

فلا عدمت يداك سقيط مزن ... يصفق بالرحيق الخسرواني

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت في الدنانير:

وهزّ العقْد متن الأرض حتى ... كأنّ قد أشربت حلب العصير

وأرسلت السماء رشاش نبر ... شتيت الورق كالورق الثّير

لقد أمطرنا ذهباً ولكنّ ... جلوت الشمس في يوم مطير

كواكب زرن وجه الأرض حتى ... لقد أذكرتنا عام الهريز

ومن أخرى:

يا ساقى قضيبُ الرند ريان ... والبر ملتحف والصبح عريان

وللصبا عثرات لا تقال، وفي ... سجع الحمائم ترجيع وإرنان

فعالباً نفثتي بالراح واختلسا ... عقلي فقد نفح النسرین والبان

واسترجعنا لمّتي واستنفدا طربي ... قبل الشروق فللأطراب أوطان

وعرضاً بهوى لبني فلي ولها ... وللزجاجة إن عرضتما شان

اليأس وردى إذا سحبُ المنى هطلت ... والصبر زادي إذا أهل الحمى بانوا

ها إن حلبة أرض الله شوط فتى ... في بسطتي يده بطش وإحسان

لله ثم لشاهنشاه خلفتها ... ما طل في رملات القاع حوذان

إن كان للفلک العلوي مرتكض ... فيها للفلک الأرضي سلطان

ومن أخرى في أبي علي الحسن بن أحمد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي على سبيل المشاركة والمشاطرة:

برق الشاء وشق ذاك القسطل ... وجرى عنانك والسماك الأعزلُ
ورأك للتشريف أهلاً فاجتبي ... بوفائه ملكٌ يقول ويفعلُ
فأعرت شطر الملك ثوب كماله ... البدرُ في شطر المسافة يكملُ
أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة، وتدبيره نصف المملكة لفخر الدولة.
ومن أخرى:

ذنبى إلى الدهر أنى ما خضعت له ... ولا طويت له ثوبي على درنٍ
قد كنت أوقف من عسٍ على طللٍ ... فصرت أسرع من عدلك على أذن
هذي بقية نفس فارقت وطناً ... وفرقة النفس تتلو فرقة الوطن
نقلت عن عقر دار كنت آلفها ... إلف القرارة صوب العارض الهتن
حتى ترنحت في إفياء دولتها ... ترنح الظل بين الماء والغصن
فالآن قصر باعي وانتهى طربي ... وشمرت في عقابي سطوة الزمن
وقوله من أخرى:

رب ليلٍ مرقت من فحمتيه ... أنا والعيس والقنا والبروق
وقاد كخفقة النبض يغشى ... مقلة راعها الخيال الطروق
واستهلت لمصرع الليل ورقً ... ثاكلات حدادها التطويق
فتضاحكت شامتاً وكأن ال ... صبح جيب على الدجا مشقوق
سبك الشرق منه تبراً مذاباً ... لفرند الشعاع فيه بريق
وتمشت على الرياض النعامى ... وثنى قده القضيب الرشيق
فكان التراب مسكٌ فريكٌ ... وكأن الأصيل صبحٌ فتيق
ليس إلا تطرف العيش حتى ... يتوشى لك المراد الأنيق
إنما العيش رنة من حمامٍ ... وسلافٌ يشجه معشوق
ومهب من الشمال عليلٌ ... ووشاحٌ من الرياض أنيق
وملاء من الشباب جديدٌ ... ورداءٌ من النسيم رقيق
وجمالٌ من الرذاذ نثيرٌ ... في مروج تراجم خلوق
لا ترد مشرع الصباية فالياً ... س رفيق إذا استقل الفريقُ
شافه الهم إن طغى بحريقٍ ... سلهُ من زناده الراووق
صفقته يدٌ كأن عليها ... صدفاً فيه لؤلؤٌ وعقيق
وله أيضاً:

لم أرض باليأس ولكنني ... أسوف الخسران بالريح

تألفتني خطراتُ المنى ... تألف المسبار في الجرح

ومن أبيات في غلام يشتكي من قروح به:

يا أيها الرشأ الموفي على شرفٍ ... ماذا دعاك ولم أذنب إلى تلفي

لا تشكون قروحاً آلمتك فقد ... سرقتها من فؤادي الهائم الدنف

أحب منك وإن لج العوازل في ... لومي دلال الرضا في نخوة الصلف

ومن أبيات في الاعتذار من ترك التوديع:

إن لم أودعك فعن عذرةٍ ... فائن إليها أذناً واعيه

قوت بك العين فترهتها ... عن نظرةٍ ليس لها ثانية

؟أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري قد كان يقع التعجب من إخراج الشاش مثل أبي محمد المطراني في حسن شعره وبراعة كلامه، فلما أخرجت من إسماعيل من ألقى إليه القول الفصل زمامه، وملكه المعنى البديع عنانه، كان كما قيل: " جرى الوادي فطم على القرى " وهو أحد الأفراد بحضرة صاحب، ومن رفعتهم سدته، وشرفتهم خدمته.

ولولا أن الفالج أبطله الآن، لكان قد بلغ من التبريز أعلى مكان. ولكنه بالري لقي، وفي طريق المنية لقي.

وعنده بقية مما استفادة في أيام الصاحب تتماسك معها حال معيشته. وتزاح بها علل نفسه. وهذا النموذج

من شعره قال في الصاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضاً عرض للصاحب:

سرينا إلى العليا فقليل كواكبٌ ... وثرنا إلى الجلى فقليل قواضب

وفاضت لنا فوق السنين نوافلٌ ... فما شك محل أنهن سحائب

خلقنا أشداء القلوب على الهوى ... فما تزدهينا الآنساتُ الربائب

فمن دأبه منا نحولٌ ودقةٌ ... فمما جنى أحبابنا لا الحباب

أبيت أنادي الدهر جدلي بصاحب ... وجل طلاب الدهر ما أنا طالب

فما جاد لي منه بغير مجانبٍ ... وآخر خيرٌ منه ذاك المجانب

خليلٌ تحامته الأبعاد والتوت ... على مهج الأدين منه العقارب

عقارب لا يجرحن غير مودةٍ ... فهن لحبات القلوب لواسب

وما كان ظني أن تبين شبيبي ... وإن بان جيرانٌ وشطت أقارب

فمذ راعني شرخ الشباب بفرقةٍ ... تيقنتُ أن لا يستدام مصاحب

أحلامي أمثال الكواكب كثرةً ... وما كل ما يرمي به الأفق ثاقبٌ

بلى كلهم مثل الزمان تلونا ... إذا سر منهم جانبٌ ساء جانب

مضى الودّ والإنصاف والعهد منهم ... فما بقيت إلا الظنون الكواذب

وكت أرى أن التجارب عدةٌ ... فحانت ثقات الناس حتى التجارب

تدرع لإخوان الزمان مفاضةً ... ولا تلقهم إلا وأنت محارب

إن لم تكن مندوحةً من مصاحبٍ ... فسيفٌ ورمحٌ والفلا والركائب
فهن إلى وفد الخطوب كتائبٌ ... وهن إلى كافي الكفاة صواحب
إلى ملك مذ أشرفت شمس جوده ... تبسم في وجه الرجاء المطالبُ
إلى من حمى عود العلا فهو ناضرٌ ... ورد إليه ماءه وهو ناضب
إلى من رعى بالجود سرب نعميه ... فلا تتمطى في ذراه النوائب
وكل نعيمٍ لم يعوذ بشاكرٍ ... تفنن فيه للذهاب مذهب
لعمرى بني عبادٍ أجْدُ راسياً ... ولكن لإسماعيل منه المناكب
زرارة لم يحلل بواديه مفخرٌ ... ولكن حوى غر المفاخر جانب
وحلت قريشٌ في اليفاع بهاشم ... وإن كان سباقاً إلى المجد غالب
فدينك يا كهف البرية ما الذي ... أعار المعالي سقمك المتناوب
عليها من الإشفاق ثوبٌ كآبةٌ ... وخطبٌ يدانيه الضنى
وفي كل دارٍ للأرامل ضجةٌ ... بأدعيةٍ ضوضاؤها متجاوب
ولو شئت تأديب الليالي فعلتهُ ... فلم يرَ منها في جنبك خراب
ولم تقرب الحمى حماك ولم يكن ... لسورتها في سورة المجد سارب
وحوشيت أن تضري بجسمك علةٌ ... ألا إنها تلك الغروم الثواقب
ولا عج تدبيرٍ وجائش همةٌ ... سرى منهما بني الجوانح لاهبُ
فلا تعذروها أن رأت اشرف الورى ... وحلت به فالحر في الشمس ناشبُ
لقد كانت الأيام حجبَ شمسها ... دياجي همومٍ دجنها متراكب
فلما انتضك البرء عادت كأنها ... غياهب بأس قشعتها مواهب
نظرت إلى دنياك نصره قادر ... فلم يبق فيها سائل ومغال
سواي فإني سائل انتعب لي ... سحائب نعى كلهن ربائب
فما في لساتي شكر ما أنت منعم ... ولا في بناقي حصر ما أنت واهب
أنلني بقدرى لا بقدرك إنما ... تجود على قدر الآتي المذائب
وقال من أخرى فمن البسيط
مستوقفي بين ذل الصد والملل ... لاحظ لي منك إلا لذة الأمل
أرضي بطيفك بل أرضى بذكرك أن ... يتدلّى وذاكري مقرونين في الغزل
لا ترحلن فما أبقيت من جلدي ... ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من الغمض ما أقري الخيال به ... ولا من الدمع ما أبكي على طلل
نعم لي العزمة الغراء إن وجدت ... لم تحتفل بوجيف الخيل والإبل
تخوي مرادي على رغم الهواذل من ... رب الأكاليل لا من ربه الكلل

قد زدت يا ليلة التوديع في حزني ... ولم تنزل يا صباح الوصل في جنل
وأنت يا جسداً لج القضاء به ... حتى برته يد الأوجاع والعلل
كيف احتملت الضنا في الطاعنين ضحى ... وكنت للشوق فيهم غير محتمل
عجبت أن يحل السقم في بدن ... لو شاء جاز الردى سراً من الأجل
لم يبق منه سوى قلب يقلبه ... في ملطب العز بين البيض والأسل
مقسم قلبه في كل مرحلة ... شوقاً إلى العز لا شوقاً إلى الغزل
نفسى الفداء إذا ما الروع صبحني ... للأعين الخزر لا للأعين النجل
لله جسمي فما أبقي حشاشته ... على الحوادث والأسقام والوجل
يعدو سقامي على مثل الخيل ضنى ... ويقرع الخطب مني صفحة الجبل
ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً ... ويحمل الدرع مسلوباً عن البطل
أنا المقيم وأشعاري على سفر ... كادت تؤلف أعلاماً على السبل
سارت شوارد أوصاف الوزير بها ... سير الجنوب بصوب العارض الهطل
يروى القريض ولما يسم قائله ... فيشهد الجند أن المدح فيه ولي
إذا سهرت لتحير المديح له ... راسلت طبعي ومن إحسانه رسلي
ما بعده لشذور القول مدخر ... في مقلة الريم أعلى بغية الكحل
وما به حاجة في المدح تنظمه ... الشمس تكبر عن حلي وعن حلل
لكنه ملك هامت عزائمه ... بالجود فهو يروم البذل بالحيل
ما قال لا قط مذ حلت تمامه ... بخلاً به فوجدنا الجود في البخل
أولى الملوك بتدبير الممالك من ... يغني ويقني ولم يورث ولم يسلب
ومن يبيت من الأيام في خجل ... إن لم يبت والليالي منه في وجل
ومن يطبق وجه الأرض عسكره ... يوم القراع ويلقى القرن في الفضل
ومن يقود الأسود السود بالوعل ... ومن يصيد البزاة الشهب بالحلل
ومن يهم فلا يغزو سوى ملك ... ولا يفرق غير الملك في النقل
يا راحلاً عنه إن البحر معترض ... فما وروذك ظمناً على وشل
لا تترك السيف مشحوداً مضاربه ... وتطلب النصر عند الجفن والخلل
قد وقر الدهر بالتدبير هيئته ... وأرجف الأرض بالغارات والغيل
تجري الجياد من القتلى على جبل ... ومن دمائهم يرحضن في وحل
ومن هاجهم يصعدن في نشز ... ومن ذوائبهم يقمصن في شكل
تحملت صهوة أخرى شواكلها ... من طول ما حملت سيباً على الكفل
قوم إذا ابتلروا يوم الوغى فرقا ... تكاد تعثر آخرهم على الأول
قوم أعفاء عن غير العدو فلو ... غزون بالبحر لم يعلقن بالبلل

إن التحكم في الدنيا بأجمعها ... لفرد الرأي أمرٌ ليس بالجلل
يا من دعتة ملوك الأرض راعيها ... حاشا لما أنت راعيه من الخلل
إن الملوك على أيامنا مقلٌ ... فاخلق برأيك أجفاناً على المقل
ومن أخرى:

رأيت على أكورانا كل ماجدٍ ... يرى كل ما يبقى من المال مغرماً
ندوم أسيفاً، ونعلو عوالياً ... وننقض عقباناً، ونطلع أنجماً
إلى من يسير الدهر تحت لوائه ... وتركز أعلام العلا حيث خيما
ومن أخرى في فخر الدولة:

أما شبا السيف مسلولاً على القمم ... فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم
لا أشتكي الدهر والأيام من حولي ... أسوسها والخطوب الربد من خدمي
فلو رماني بعد النوم ناظرها ... بريئة أطبقت أجفانها قلمي
فالآن أورد ذودي غير محتشمٍ ... وأنزع الغرب ريانا إلى الودم

ولا أواخذ أيامي بما صنعت ... في نعمة البرء ما يعفو عن السقم
فإن برتني غوادبها فلا عجبٌ ... على النفوس جنابات من الهمم
ما زلت منعمس الآمال في عدمٍ ... أو في وجودٍ يداني رتبة العدم
حتى طلعت وعين السعد ترمقني ... كالصبح منبلجاً عن حالك الظلم
آوي إلى ظل شاهنشاه من زمي ... كما أوى الصيد مذعوراً إلى الحرم
زرت الملوك لتدنيبي إليه كما ... يبغي إلى الله زلفى عابدُ الصنم
خلفتهم وهم خطاب خدمته ... ومثل ما بي من وجدٍ بما بهم
يرون بي حشراتٍ في قلوبهم ... لكنما ثمراتُ السعي بالقسم
وكم نصحتُ لمن بغداد موطنه ... والنصح من أجلب الأشياء للتهم
فكان ذا رمثٍ لج الأساة به ... وما اهتدوا أن يداووا عينه فعمي
هي القرابة من لم يرع حرمتها ... فالسيف أولى به وصلاً من الرحم
له تطاع ملوك الأرض قاطبةً ... وللشباب تراعي حرمة الكتم
حاشا له أن أسمى غيره ملكاً ... وأن أقر بفضل الباز للرخم
كل يدل بأشباح يسوسهم ... وما سواه رعاة البهم لا البهم
ما قام من سوق أهل الفضل لم يقم ... لو أن ما دام من نعماه لم يدم
أعطى فأحيا موات الجود نائله ... فالخصب من فعله والاسم للديم
ومنها في ذكر تطهير ابنه:

أمسست شبليك في حق الهدى ألماً ... لولا الهدى لسفكنا فيه ألف دم

جلوت سيفاً ليرتاح الشجاع له ... شذبت غصناً لتمّي قامة النسم
وله من أخرى:

بلوت الليالي فلم يتزن ... بأدنى الإساءة إحسانها
فلا تحمدنها على وصلها ... ففي نفس الوصل هجرانها
وأنشدت له:

تنكب حدة الأحد ... ولا تركز إلى أحد
فما بالري من أحدٍ ... يؤهل لاسم لا أحد

أبو حفص الشهرزوري

من ظرفاء الأدباء والشعراء، ولشعره وحلاوة، وعليه طلاوته، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لي منه، وكان
في بصره سوء فلما ورد حضرة صاحب قدمه إليه كتابه فجاراه الصاحب في مسائل لم يحمد أثره فيه. فقال
له مداعباً:

وكاتبٍ جاءنا بأعمى ... لم يحوِ علماً ولا نفاذاً
فقلت للحاضرين كهوا ... قُلب هذا كعين هذا
ثم استنشد من ملحه، فأنشده أبياتاً أعجب بها، فلما أنشده:
دعوت على ثغره بالقلح ... وفي شعر طرته بالجلح
لعل غرامي به أن يقل ... فقد برحت بي تلك الملح
قال: نسجت على منوال جميل في قوله:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي الغرّم أنيابها بالقوادح
وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله:
يا رب إن لم يكن في وصله طمعٌ ... وليس لي فرجٌ من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جفن مقلته ... واستر ملاحه خديه بحليته
ثم أنشده قوله:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
فأمر أن يكتب في سفينة الملح مع ما أنشده أياه.
ومن قوله في غلام مختط:

الآن أحسن مما كان بستانه ... طابت فواكه فيه وريحانه
فيه من الورد محمر جوانبه ... ونرجسٌ كحلت بالغنج أجفانه
غطت عناقيد أصداغٍ مهدلةٍ ... تفاح حسنٍ به قد زين بستانه
خاف القطاف على بستان وجنته ... فشوكت حذر السراق حيطانه

وقوله:

حكّت السماء ندي يدي ... ك فلم أطلق سعيّاً إليك
وحكيتُها يا سيدي ... بالدمع من أسفي عليك

بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم في أهل العراق، وهذا مكان من يحضرنى شعره منهم، وما منهم إلا أغر نجيب، ولهم
وراقة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء، واختصاص شديد بالصاحب، وفيهم يقول:

لبنى المنجم قطنه لهيبه ... ومحاسن عجيمةً عربيّه
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم ... حتى أقمت بشلة العصبية
وضرب السلام المثل في السماع بأحدهم في قوله لعضد الدولة:
عبد رمى يفعاً إليك مقشعاً ... فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثني عليك فظن أن ... بني المنجم منطّق أوتاره
أنشدت لهبة الله بن المنجم:

شكى إليك ما وجد ... من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ... ظمآن لو شئت ورد
يا أيها الظبي الذي ... ألاحظه تُردّي الأسد
أما لأسراك فدى ... أما لقتلاك قود
الراح في إبريقها ... أحسن روح في جسد
فهاهما نصلح بها ... من الزمان ما فسد
ولأبي عيسى بن المنجم:

آخ من شئت ثم رم شيئاً ... تلف من دون ما تروم الثريا
وسمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي، يقول: أنشدت لأبي عيسى:
رغيف أبي علي حل خوفاً ... من الأسنان ميدان السماء
إذا كسروا رغيف أبي علي ... بكى يبكي فهو باكي
فبنيت عليه قولي لبعض من أطايه:

لنا شيخٌ بفقحته يواسي ... ويخلق شاربيه بالمواسي
إذا بايته من جوف بيتٍ ... فسا يفسو فساً فهو فاسي
ولأبي عيسى:

لوم النديم منغص ... طيب المجالس والندام
وسماحة الحر الكري ... م تزيد في طيب المدام
فإذا شربت الراح فاش ... ربها من نفر الكرام

وتنكبَن ما استطعت أخ ... لاق اللثام بني اللثام

ولأبي الفتح بن المنجم:

كنت أدعو عليه بالشعر حتى ... زاده الشعر في الأنام جمالا

وإذا كان هكذا كان خذلا ... بي دقيقاً وكان شؤمي جلالاً

وأضر الأشياء أن عذولي ... في هواه أشد مني خبالاً

ولأبي محمد بن المنجم:

إذا لم تنل همم الأكرمين ... وسعيهم وادعاً فاغترب

فكم دعةً أتعب أهلها ... وكم راحةً نتجت من تعب

ولأبي الحسن بن المنجم:

هو الدهر لم تبدع علي صروفه ... ولم يأت شيئاً لم أكن أتخيله

وما راعني المكروه إذ هو عادتي ... لديه، ولكن راع قلبي تعجله

تعجل حتى كاد آخر فعله ... يجيء ولما يقطع بعد أوله

وعمى ابن بابك على أبي الحسن بن المنجم بيتاً، هو:

بكرُ العواذل في الصبا ... ح يلمن من فرط اصطباحي

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه:

بأبي وأمي أنت من ... خل أعز أخي سماح

عميت لي بيتاً وجد ... تُك فيه عفت بكور لاحي

فنقرته نقراً فط ... ن ولاح من كل النواحي

ووجدته من قول مغ ... رى بالخلاعة والمزاح

بكرُ العواذل في الصبا ... ح يلمن من فرط اصطباحي

فانشط وأهم غيره ... ليجوب ظلمته صباحي

ويصح عندك في الحجى ... أن المعلى من قداحي

فأجابه ابن بابك:

بأبي محاسن زرتني ... وبديعةً سلت مزاحي

وخلايق كالنور با ... ح بسره نفس الصباح

وخلايق لو صورت ... سكنت أنايبُ الرماح

كشفت ضباب حديقتي ... وأجابها مزون اقتراحي

فأتت تخايل في نظا ... م هز أعطاف ارتياحي

أبو طاهر بن أبي الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن علي الذي ذكره صاحب في كتاب له وقال وأما قصيدة أبي طاهر بن أبي الربيع، فأحسن من الربيع، ومن قطيعة الربيع، وإنما لوثيقة الجزالة، أنيقة الأصالة. تنطق عن أدب مهيد الأسر. شديد الأزر. وله عندنا أسلاف بر أرجو أن لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها، فوعد الكريم ألزم من دين الغريم. وأول قصيدته التي وصفها صاحب:

أما لصاحبي بالعذيب معرج ... على دمنٍ أكنافها تتأرج
وصهباء بكرٍ يرسب الدر قعرها ... ومطفاه أعلى كأسها حين تمزج
سلامٌ على عهد التصابي فإني ... إلى الرتبة العليا بظلك أحوج
إليك ابن عبادٍ شددنا غروضها ... وضوء النهار في دجال الليل يولج
وعبر عن مكنون ما في ضمائري ... خلوص ولائي والثناء المديح
وقوله من قصيدة:

سحبت دلالتها على الغبراء ... سحب تنج ودائع الأنواء
والشمس تلحظ من خروق حجابها ... مرضى الجفون سقيمة الأضواء
وكأنما هتك الحجاب متيماً ... عن غر وجه الغادة الحسناء
وكان مولي الرياض ضرائر ... تزهى بخضرتها على الخضراء
قد أبرزت زهراقتها وازينت ... وتعطرت وتبرجت للرائي
والنور منحسر القناع كما بدت ... للناظرين محاسن العذراء
والنبت ريان المهزة مائل ... شرقاً محاجر زهره بالماء
مسحت بأجنحة الصبا أعرافه ... وجلت مداوسها متون إضاء
فترى الطباء إذا وردن حياها ... ككواعبٍ قابلتهم مرائي
أخذ من قول ابن المعتز:
وترى الرياح إذا مسح غديره ... صفينه وقيين كل قذاة
ما إن يزال عليه ظبيٌّ كارع ... كتطلع الحسناء في المراتة

أبو الفرج الساي

أشهر كتاب صاحب بحسن الخط، مع أخذ من البلاغة بأوفر الحظ، وكان صاحب يقول: خط أبي الفرج يبهز الطرف. ويفوت الوصف، ويجمع صحة الأقسام، ويزيد في نحوه الأقسام. وأما شعره فمن أمثل شعر الكاتب كقوله، في مراثية فخر الدولة:

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغركم حسن ابتسامي ... فقولي مضحكٌ والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فإن ... أخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ... ونظم جمعهم في سلك ملك

فلو شمس الضحى جاءته يوماً ... لقال لها عتواً أف منك
ولو زهر النجوم أبت رضاه ... تأبى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ما قرع البرايا ... أسير القبر في ضيق وضمنك
أقدر أنه لو عاد يوماً ... إلى الدنيا تسربل ثوب نسل
دعي يا نفس فكرك في ملوك ... مضوا بل لانقراضك ويك فابكي
فلا يغني هلاك الليث شيئاً ... عن الظبي السليب قميص مسك
هي الدنيا أشبهها بشهد ... يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثّل الطفل، بينا ... يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
ألا يا قومنا انتبهوا فإننا ... نحاسب في القيامة غير شك
وأنشدت له في وصف البرغوث:
وأصهب في قد شونيزة ... أقفز من فهدٍ على خشف
يسهرني تخمسه دائماً ... وعبته يعمل في حنفي

أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو، من أصحاب الصاحب، ومن تخرجوا بمجاورته وصحبته، فظهر عليهم
حسن أثر الدخول في خدمته، أنشدني أبو حفص عمرو بن علي المطوعي، قال: أنشدني أبو الفرج لنفسه
بالري:

لا يوحشك من مجدٍ تباعده ... فإن للمجد تدريجاً وتدريجاً
إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمي فتصعد أنوباً فأنوباً
وأنشدني أيضاً له:
يسر زماي أن أناط بأهله ... وآنف أن أعزى إليه لجهله

ويعجبني أن أخرجني صروفه ... فتأخيرها الإنسان برهان فضله
فإننا رأينا قائم السيف كلما ... تقلده الأبطال قدام نصله
وله أيضاً في الغزل:
تقول لو كان عاشقاً دنفاً ... إذا بدت صفرةً بخديه
لا تنكريه فإن صفرتة ... غطت عليها دماء عينيه
وله:

عابوه لما التحى فقلنا ... عبتهم وغبتهم عن الجمال
هذا غزالٌ وما عجيبٌ ... تولد المسك في الغزال
وقال:

كم من ملح على أذاه ... يسل في فكه حساما
صب قذى القول في صماخي ... فصار حلمي له فداما
قال مؤلف الكتاب: قد كان اتفق لي في أيام صباي معنى بديع لم أقدر أني سبقت إليه، ولا ظننت أني
شوركت فيه، وهو قولي في آخر هذه الأبيات الأربعة:
قلبي وجداً مشتعل ... على الهموم مشتمل
وقد كستني في الهوى ... ملابس الصب الغزل
إنسانة فتانة ... بدر الدجى منها حجل
إذا زنت عيني بها ... فباللموع تغتسل
وأنشدني أبو حفص من قصيدة لأبي الفرج:
يقولون لي ما بال عينك مذ رأت ... محاسن هذا الطي أدمعها مطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل
فصح عندي تشارك الخواطر وتواردها في المعاني، إذ لم يكن مجال للظن في سرقة أحدنا من الآخر، والله أعلم
بحقيقة الحال.

ومن غرر صاحبياته قصيدته التي أولها:
لها من ضلوعي أن يشب وقودها ... ومن عبراتي أن تنفض عقودها
بذلك لها الدمع المصون وإن غدت ... تمانعي في نظرة أستفيدها
سلام عليها حيث حلت فإنني ... علمت فزادي منذ عز وجودها
وكن ليلة زارت وقد لان أهلها ... وسامح واشيها، وغاب حسودها
فحلت بتضييق العناق عقودها ... وحلي من در المدامع جيدها
وركب أطار والنوم عنهم وأججوا ... من العزم ناراً مستنيراً وقودها
على كل هوجاء النجاة كأنها ... تطير فما يؤذي الصخور وخودها
تؤم بها بحر الفضائل والعلا ... ولا سفن إلا رحلها وقتودها
يجوزون أجواز السبابس باسمه ... فيصفر داجيها ويدرج بيدها
فقد ملكوا العليا إذ عبدوا السرى ... ولن يملك العليا إلى عبيدها
إليك تحملنا أمانى أجذبت ... على ثقة أن النجاح يجودها
ومنها من وصف الجيش والحرب:

وشهباء يثني كمتاً نجيعها ... إذا قارعت والكمث شهباً كديدها
تبدت لنا في روضة القنا ... بماء الطلى أغوارها ونجودها
أدارت سقاة البيض والسمر بيننا ... كزوس المنايا حين غنى حديدها
شفيت غليل الطير منها موسعاً ... قراها وهامات الكماة سهودها
غمائم إيماض السيوف بروقها ... لديها وإرزام الخيول رعودها

ولا غيث إلا أي يصب على العدا ... بنوء الظبا حمر المنايا وسودها
يشرك النيروز باليمن مطلقاً ... وتبدأ أفعال الندى وتعيدها
كسونا بك الأشعار فخراً وزينة ... فخيم بين الشعيرين قصيدها
وسار بها الركبان في كل بلدة ... ولولاك ما جاز اللهاة نشيدها
وملح أبي الفرج كثيرة، ولا يسع هذا الباب إلى هذا الأتمودج منها:

الباب السابع

شعراء الجبل والطارئون عليه من العراق

في ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها

وملح أخبارهم وأشعارهم

أبو الحسين أحمد بن فارس

بن زكريا المقيم

كان بهمدان من أعيان العلم وأفراد الدهر، يجمع إتقان العلماء، وظرف الكتاب والشعراء، وهو بالجبل
كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبي بكر الخوارزمي بخراسان، وله كتب
بديعة، ورسائل مفيدة، وأشعار مليحة، وتلامذة كثيرة، منهم بديع الزمان، وأنا أكتب من رسالة لأبي
الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحاة يناسب كتابي هذا في محاسن أهل
العصر، ويتضمن أتمودجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصرين وظرف أخبارهم، كأبي محمد القزويني
 وابن الرياشي والهمداني المقيم بشيراز وابن المناوي، وأبي عبد الله المغلسي المراغي وغيرهم، ثم أورد ما وقع
إلي من ملح أبي الحسين، إن شاء الله تعالى.

الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد، وأصحبك السداد، وجنبك الخلاف، وحبب إليك الإنصاف. وسبب دعائي بهذا لك
إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظمتك ذلك، ولعله لو فعل حتى
يصيب الغرض الذي يريده، ويرد المنهل الذي يؤمه، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً
مما فات المؤلف الأول، فماذا الإنكار؟ ولمه هذا الاعتراض؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم؟ ولمه
بقول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وتدع قول الآخر: كم ترك الأول للآخر؟ وهل الدنيا إلا أزمان
ولكل زمان منها رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول؟ ومن قصر

الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقت محدود؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل ذلك مثل رأيه؟ ما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نواذر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة؟ ولمه جاز أن يقال بعد أي تمام مثل شعره ولم يجوز أن يؤلف مثل تأليفه؟ ولمه حجرت واسعاً، وحظرت مباحاً، وحرمت حلالاً، وسددت طريقاً مسلوفاً؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم، وأهل النحو في مصنفاتهم، والنظار في موضوعاتهم، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم، ولم يجوز معارضة أي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدري قدره؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لصاع علم كثير، ولذهب أدب غزير، ولضلت أفهام ثاقبة، ولكلت ألسن لسنة، ولما توشى أحد الخطابة، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة، ولجت الأسماع كل مردد مكرر، وللفظت مقلوب كل مرجع ممضغ، وحتام لا يسأم.

ولو كنت من زمان لم تستبح إبلي

وإلى متى

صفحنا عن بني ذهل

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً وإيطاء وإقواء ونقللاً لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة، وأمور علية، ولمه رضيت لنا بغير الرضى؟ وهلا حسبت على إثارة ما غيبت الدهور، وتجديد ما أخلقته الأيام، وتدوين ما نتجت خواطر هذا الدهر، وأفكار هذا العصر، على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله، من جد يروعك، وهزل يروك، واستنباط يعجبك، ومزاح يلهيك! وكان بقروين رجل معروف بأبي محمد الضير القزويني حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكل فأحس أبو حامد بجودة أكله، فقال:

وصاحب لي بطنه كالمهاويه ... كأن في أمعائه معاويه

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد أبو الشمقمق؟ وهل في إثبات ذلك عار على مثبته؟ أو في تدوينه وصمة على مدونه؟ وبقروين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفه أحمر، وهو مع ذلك كله قصير، على برذون أبلق هزيل الخلق طويل الخلق، فقال حين نظر إليه:

وحاكم جاء على أبلق ... كعققي جاء على لقلق

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ قهاوى كواكبه

فما تقول لهذا؟ وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجود تجويده؟ وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني، وهو اليوم حي يرزق، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه:

وفيت الردى وصروف العلل ... ولا عرفت قدماك الزلل
شكا المرض الجمد لما مرض ... ت فلما نهضت سليماً أبل
لك الذنب لا عتب إلا عليك ... لماذا أكلت طعام السفل
طعامٌ يسوي بيتع النييد ... ويصلح من حذر ذاك العمل
وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف:
وأصفر الليون أزرق الحدقه ... في كل ما يدعيه غير ثقة
كأنه مالك الحزين إذا ... هم برزق وقد لوى عنقه
إن قمت في هجوه بقافية ... فكل شعرٍ أقوله صدقه
وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من أهل قروين ويعرف بابن المنادى:
إذا ما جئت أحمد مستميحاً ... فلا يغرك منظره الأنيقُ
له لطفٌ وليس لديه عرفٌ ... كبارقة تروق ولا تريقُ
فما يخشى العدو له وعيداً ... كما بالوعد لا يتق الصديقُ
وليوسف محاسن كثيرة، وهو القائل، ولعلك سمعت به:
حج مثلي زيارة الخمار ... واقتنائي العقار شرب العقار
ووقاري إذا توقر ذو الشي ... بة وسط الندى ترك الوقار
ما أبالي إذا المدامة دامت ... عذل ناهٍ ولا شناعة جاري
رب ليل كأنه فرع ليلى ... ما به كوكبٌ يلوح لساري
قد طويناه فوق خشف كحيل ... أحور الطرف فاتر سحار
وعكفنا على المدامة فيه ... فرأينا النهار في الظهر جاري
وهي مليحة كما ترى، وفي ذكرها كلها تطويل، والإيجاز أمثل، وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً.

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجب سائلاً:

جودت شعرك في الأم ... ير فكيف أمرك قلت فاتر
فكيف تقول لهذا؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام؟ وأنت الذي أنشدتني:
سد الطريق على الزما ... ن وقام في وجه القطوب
كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل:

فديتك ما شبت عن كبرة ... وهذي سني وهذا الحساب
ولكن هُجرتُ فحل المشيب ... ولو قد وصلت لعاد الشباب
فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر؟ وأنشدني
عبد الله المغلسي المراغي لنفسه:

غداة تلوت عيسهم فترحلوا ... بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدت حقوق ودادهم ... ولا أنا عن عيني بذاك رضيت
وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قلمت ذكره، وهو اليوم حتى يرزق:
زارني في الدجي فم عليه ... طيب أردانه لدى الرقباءِ
والثريا كأنها كف خودٍ ... أبرزت من غلالةٍ زرقاء
وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر، فقال فيه صديق لي:
أقول لنعمان وقد ساق طبه ... نفوساً إلى باطن الأرضِ
أبا منذرٍ أفيت فاستيق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض
وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس، منها قوله في الشكوى:
سقى همذان الغيث لست بقائلٍ ... سوى ذا، وفي الأحشاء نارٌ تضرمُ
وما لي لا أصفى الدعاء لبلدةٍ ... أفدت بها نسيان ما كنت أعلمُ
نسيت الذي أحسنته غير أني ... مدينٌ، وما في جوف يتي درهم
وله:

وقالوا كيف حالك قلت خيرٌ ... تقضى حاجةً وتفوت حاجُ
إذا ازدهت هموم الصلر قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي ... دفاتر لي ومعشوقي الشراب
وقوله:

كل يوم لي من سل ... مى عتابٌ وسبابُ
وبأدنى ما ألاقي ... منهما يودي الشبابُ
وقوله:

يا ليت لي ألف دينارٍ موجهةٍ ... وأن حظي منها فلس إفلاسِ
قالوا: فما لك منها؟ قلت: يخدمني ... لها ومن أجلها الحمقى من الناس
وقوله:

مرت بنا هيفاءً مقدودةً ... تركيةٌ تُنمي إلى التركِ
ترنو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ ... أضعف من حجةٍ نحوي
وقوله:

قالوا لي اختر قمت ذا هيف ... بي عن وصالٍ وصله برحُ
بدرٌ مليح القوام معتدلٌ ... قفاه وجهٌ ووجه ربحُ
وقوله:

اسمع مقالة ناصحٍ ... جمع النصيحة والمقه
إياك واحذر أن تبني ... ت من الثقات على ثقته
وقوله:

إذا كان يؤذيك حر المصنف ... وكرب الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع ... فأخذك للعلم قل لي: متى؟
وقوله:

صاحب لي أتاين يستشير وقد ... أدار في جنبات الأرض مضطربا
قلت أطلب أي شيء شئت واسع ورد ... عند الموارد إلا العلم والأدبا
وقوله:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... وأنت بما كلف مغرمُ
فأرسل حكيماً ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم!
وقوله:

عتبتُ عليه حين ساء صنيعه ... وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خبر مجربٍ ... ولم أر خيراً منه عدت إليه
أخذه من قول القائل:

عتبتُ على سلمٍ فلما هجرته ... وجربت أقواماً رجعت إلى سلم
وقوله:

تلبس لباس الرضا بالقضا ... وخل الأمور لمن يملكُ
تقدر أنت وجاري القضا ... مما تقدره يضحك

براكويه الزنجاني المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح و ظرف ونكت لا يسقط منها بيت، أنشدني بديع الزمان له:
مضى العمر الذي لا يستعادُ ... ولما يقض من ليلي مرأُ
بليت وذكرها عندي جديثٌ ... وشاب الرأس واسود الفؤاد
تواصى للرحيل بنو أبيها ... فقلت لغير رأيكم السداد
وأنشدني أبو نصر المجلسي قال: أنشدني براكويه لنفسه في غلامه يوسف:
مضى يوسف عنا بتسعين درهماً ... وعاد وثلث المال في كف يوسف
وكيف يرجي بعد هذا صلاحه ... وقد ضاع ثلثا ماله في التصرف؟

وأنشدني غيره له:

وأهيف نالت الأيام منه ... غداة أظل عارضه السواد
تعرض لي ومرض مقلتيه ... فما وريت له عندي زناد
وقلت ارجع وراءك وابغ نوراً ... أجمت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه ... وغنجهما وغيري من يصاد
وقوله:

أقسم زمانك بين الورد والآس ... واطلب سرورك بين الكيس والكس
واجعل طبيبك ذا، واجعل أنيسك ذا ... واخطب إلى الناس ود الناس باليأس
وقد مضى الناس فانظر ما الذي صنعوا ... ولا تكن لرسوم الناس بالناسي
وقوله:

خرجت مباركاً من باب دراى ... أحاول حاجةً فإذا زهيرٌ
فلم أثن العنان وقلت أمضي ... فوجهك يا زهير خراً وخيرٌ
وقوله:

هلم إلينا يا أخا الفضل والحجى ... فإن لدينا من صنوف الأطياب
أطياب هو من سرور ولنة ... ومن طيبات الرزق قلر لطالب
مطية بكر بخاتم نارها ... وخطابها يأتون من كل جانب
وأنت لها أولاهم بافتضاها ... فحي عليها الآن يا خير صاحب

أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري

أنشدني عون بن الحسين الهمداني، قال: أنشدني ابن مأمون الأبهري لنفسه:
ألا يعجب الناس مما دعو ... ت، يا للأنام لفقد الكرم
تيممت أحمد في حاجة ... فقابلني بحجاب أصم
وإن الفتى لحقيق بأن ... يهان إذا خف منه القدم

ومستخير كنه ما بيننا ... ومن الحال قلت أخ وابن عم
كلانا إلى منسب نعتزي ... وتجمعنا آصرات الرحم
ولكن له الفضل في أنه ... يصول بقرن وأني أجم
وأنشدني أيضاً له:

خليلي ماذا أرتجي من غدٍ امرئ ... طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن امرءاً قد ضن عنك بمنطق ... يسد به فقر امرئ لصنين
وله:

ما كل من جدد الزمان له ... إلفاً تناسى حبيبهُ الأولُ
أكنت يا سيدي ويا أُملي ... شغلت عني فعنك لم أشغلُ
حسبك أني من طول هجرِكَ لا ... أدري نهارِي أم ليلتي أطولُ
وله:

مَتى ترغِب إلى الناس ... تكن للناس مملوكاً
وإن أنت تخففت ... على الناس أحبوكا
وإن ثقلت عافوك ... ومملوك وسبوكا
إذا ما شئت أن تعصي ... فمر من ليس يرجوكا
وسل من ليس يخشاك ... فيدمي عندها فوكا

أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي

من بعض كور الجبل، يقول في وصف مجمرة ومدخنة:
ومنحوتة من جنس قلبك قسوة ... برزت بها في مثل قدك لنا
حوت جمرَةً في لون خدك حمرة ... وفي حر أحشائي هوى وحنينا
يذكرني ما فاح من عرف ندها ... شهوراً مضت في وصلنا وسنينا
وله في وصف الجمرة:

ومبرقة والبر تنوي وما نوت ... جفائي ولا إبراقها بعقوق
لها قسطل في كل نادٍ تنيره ... على كل خل مخلص وصديق
أنت حاملاً شمساً توقد في دجاً ... وأبناء حامٍ في برود عقيق
كأن دخان الند من فوق جمرها ... بقايا ضبابٍ في رياض شقيق
وله:

ولما عدتني عنه بادرة النوى ... أبا القلب مني أن يسير مع الركب
فسرت وقد خلفت قلبي عنده ... فيا من رأى شخصاً يسير بلا قلب
وله في غلام تركي:

أضيغم أم غزال ذاك أم بشر ... شمس تزيت بزي الترك أم قمر
لقد تحير وصفي في حقيقته ... كما تحير في أجفانه الحور
وله:

أنا مملوك لمملو ... ك وللدهر صروف
أيها السائل عن مو ... لاي مولاي وصيف
يا غزالاً لحظ عيني ... ه منايًا وحتوف
ما الذي ورد خدي ... ك ربيع أم خريف

أبو الحسين علي بن الحسين الحسيني الهمداني

من عليّة العلوية، ومحاسن الحسنية، وكان الصاحب صاهره بكريمته التي هي واحדתه، فرزق منها عباد بن علي الذي تقدم ذكره، ولما قال الصاحب قصيدته المعرة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنظوم والمنثور وأولها:

قد ظل يجرح صدرى ... من ليس يعدوه فكري
وهي في مدح أهل البيت، تبلغ سبعين بيتاً - تعجب الناس منها، وتداولتها الرواة:
فسارت مسير الشمس في كل بلدة ... وهبت هبوب الريح في البر والبحر
فاستمر الصاحب على تلك المطية، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حروف من حروف الهجاء، وبقيت عليه واحدة تكون معرة من الواو، فانبرى أبو الحسين لعملها، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو، ومدح الصاحب في عرضها، أولها:

برقٌ ذكرت به الحبايب ... لما بدا فالدمع ساكب
أمدامعي منهلةً ... هاتيك أم غزر السحائب
نثرت لآلي أدمع ... لم يفترعها كف ثاقب
يا ليلة سرت ليلى تخ ... ب لآيها عنا الركائب
جعلت قسي سهامها ... إن ناضلته عقد حاجب
لم يخط سهمٌ أرسلت ... ه، إن سهم اللحظ صائب
تسقيك ريقاً سكره ... إن قسته للخمر غالب
كم قد تشكى خصرها ... من ضعفه ثقل الحقايب
كم أخرجلت بصفائر ... أبدت لنا ظلم الغياهب
إخجال كف الصاحب ال ... قرم المرجى للسحائب
ملك تاللاً من معا ... قد عزه شرف المناصب

نشأ سحائب رفده ... في الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإنني ... نقحتها من كل عائب
ألفيت ما لاقيت من ... إلقائه إحدى المصاعب
حرفاً يعمل كل حر ... ف حل من لفظ المخاطب
ها ذاك ترب الهاء إن ... لم أبده فالنهج لاحب
لكن له تمثال قا ... ف خطه في السطر كاتب
أني اغترفت خليجها ... من بحرك العذب المشارب
فانعم بملكٍ دائباً ... ما حج بيت الله راكب
وله في دار بعض الملوك:

دار علت دار الملوك بجهة ... كعلو صاحبها على الأملك
فكانها من حسننها بمائها ... بنيت قواعدها على الأفلاك

أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم، وعمرُوا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير، وفضل
كثير، ويقول شعراً بارعاً كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره، وحسب الصواب بين طبعه وفكره، وكان الأمير
أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي جاز به عند منصرفه من الحج، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره.
وانعقدت بينهما معاقلة المشالكة، وصدافة المناسبة. ولما أنشده الأمير أبياتاً لأبي الفتح علي بن محمد البستي
مشابهة القوافي، قال أبو سعد أبياتاً فيه، على سبيل أبي الفتح فيها هُج، وعلى منواله نسج، فمنها قوله:

ما سر مولاي نبي الهدى ... بوحى جبريل وميكال
إلا قريباً من سروري بما ... رزقت من ود ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمي ... فالله فيه لدمي كالي
وقوله:

أبي الفضل أن يحظى به غيره أهله ... من الناس فاخص الأمير أبا الفضل
وإني وإن أصبحت حراً فإنني ... عبيد عبيد الله ذي المن والفضل
هل الفضل إلا ما حوته خالاه ... وما بعده فضل يعد من الفضل
ومما وقع إلي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله:
أصرح بالشكوى ولا تأول ... إذا أنت لم تحمل فلم أتجمل؟
أفي كل يوم من هواك تحامل ... علي ومني كل يوم تحمل؟
وإني على ما كان منك لصابر ... وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدعي أنني جليد، وإنما ... هي النفس ما حملتها تتحمل
وأنشدني أبو حفص عمر بن علي له:

زاد غرامي لهباً ... فطر غمام سكباً
فعاقني عن قصدكم ... كما تعوق الرقبا
وكان عهدي قبل ذا ... بالماء يطفى اللهباً
فكيف قد فارق لي ... طباعه وانقلبا
هكذا الدهر يُرى ... في كل يوم عجباً

أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني

شاعر حسن الشعر، كثير الملح والنكت، أنشدني غير واحد له:
عيني مذ شطت الديار بكم ... تحكي سماء والدمع أنجمها
كأن في وجنتي أبالسة ... تسترق السمع وهي ترجمها
وأنشدني أبو منصور اللجيمي الدينوري، قال: أنشدني أبو علي لنفسه في العنب:
نماني عذولي بل لحاني إذ رأى ... ولوعي بالأعنان أكثر قضمها
فقلت له الصهباء كانت عشيتي ... فقد ألزمتني رقة الحال صرمها
فعللت بالأعنان نفسي كمنعظ ... نأت عرسه عنه فواقع أمها
وأنشدني أيضاً، قال: أنشدني أيضاً لنفسه:
يا ليلة جمعي والمدام ومن ... أهواه في روضة تحكي الجنان لنا
لأشكرنك ما ناحت مطوقة ... على الغصون كما طوقتني مننا
وأنشدني غيره لأبي علي:
أليس عجيباً أن جسمي نازل ... نحول خلال بل نحول هلال
وأهل ثقلاً في الهوى لا ثقله ... متون جمال بل متون جبال
وأنشدني أبو حفص عمر بن علي، قال: أنشدت بالري لأبي علي:
قل للذي يظهر التبرم بي ... وبالرقاع التي أسطرها
حاجة مثلي إليك عارفة ... عندك بالله لست تشكرها

أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي

أنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي له:
الريح تحسدني علي ... ك ولم أخلها في العدا
لما هممت بقبلة ... ردت على الوجه الردا
وأنشدني له:
وقالوا أي شيء منه أحلى ... فقلت المثلتان المثلتان
نعم والطرتان هما اللتان ... على عمر الهرندي فنتنان
وأنشدني هرون بن جعفر الصيمري، قال: أنشدني عمر الهرندي لنفسه:
لا أحب المدام إلا العتيقا ... ويكون المزاج من فيك ريقا
إن بين الضلوع مني ناراً ... تلتظي فكيف لي أن أطيقا
بحياقي عليك يا من سقاني ... أرحيقاً سقيتني أم حريقا
وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور:
وعقار عيش من عا ... قرها عيش رشيق
فهو للأنس نظام ... وإلى اللهو طريق

وهي للأرواح في أب ... داننا نعم الصديق
قلتُ لما لاح لي من ... ها شعاعٌ وبريق
أشقيقٌ أم عقيقٌ ... أم رحيقٌ أم حريق؟
وأنشدت له في ذم المتصوفة:
تباً لقوم جعلوا ... ديناً لدنيا مأكله
تستروا بأنهم ... صوفيةٌ محبلة
وما يساوي نسكهم ... قمامةٌ من مزبله
إتخذوا شباكهم ... إحقاءهم للأسبله
وله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي:
رؤياك في أمري روية حازم ... ذي حنكةٍ فأقول قولاً برما
إن تقصني أمسيت مضغة ضيغم ... أو تدني أصبحت ذاك الضيغما
وله فيه من قصيدة وقد كتب به دابته في نمر عميق فهلكت وسلم أبو الفتح:
بنحس أعاديك دار الفلك ... وما دار يوماً بسعدٍ فلك
وإن هم دهرًا بما لا أقول ... فنفسي الفدا وعلي الدرك
بقيت جواداً فلا تحزن ... لفقد الجواد الذي قد هلك
فإن أذنب الدهر في أخذه ... فخير من الطرف ما قد ترك

أبو عبد الله المغلسي المراغي

قد تقدم له ذكر في الفصل من رسالة أبي الحسين بن فارس، وهو القائل في محك الذهب:
ومشتمل من صبغة الليل بردة ... يفوف طوراً بالنضار ويطلسُ
إذا سأله عن عويصٍ ومشكلٍ ... أجاب بما أعيا الورى وهو أخرسُ
وله في اللواء:
ومرتفعٍ للناظرين محارب ... ترى رأسه في بسطه الباع ماثلاً
حكى ثملاً أصغى إلى الين فاعتدى ... يشق عن الأذيال منه الغلائلاً
وأخبرني أبو الحسين النحوي أن له في الأوصاف وما يجري مجرى العويص شيئاً كثيراً، وإذا وقع إلي منه ما
يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته، إن شاء الله تعالى.

القاضي أبو بكر الأسي

من أهل الري، بلغني له أبيات يسيرة في نهاية خفة الروح، كقوله:
يا غزلاً هو للحس ... ن مقر ومحط

لم تكن أنت بهذا الح ... سن والبهجة قط
مذ بدا في عاج خدي ... ك من العبر خط
وقوله:

وزائر زار خائفاً رصداً ... لم أرج منه زيارة أبدا
لو جاز أن يعبد امرؤ أحداً ... من دون رب الورى إذا عبدا
قمت لإكرامه فبلس يدي ... أكرم بها في الهوى علي يدا
يا قبلة أصبحت لها شفتي ... تموت من غيظ راحتي كمدا

فصل في ذكر نفر من الطائرين على بلاد الجبل

الطارئون على بلاد الجبل

أبو عبد الله البطحاوي قال:

يا حمامي وحميمي ... وغرامي وغريمي
وسقيم الود والعه ... د لذي جسم سقيم
لم يزل ذكرك مذفا ... رقت ندماني نديمي
وجهك الزاهر لي رو ... ض ورياك نسيمي
غير أني اشتكي من ... ك إلى غير رحيم
معرض عن وجه إقبا ... لي خلي عن همومي

ابن حماد البصري قال:

إن كان لا بد من أهل ومن وطن ... فحيث آمن من ألقى ويأمني
يا ليتني منكراً من كت أعرفه ... فلست أخشى إذا من ليس يعرفني

لا أشتكي زمي هذا فاظلمه ... وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن
قد كان لي كثر صبرٍ فافتقرتُ إلى ... إنفاقه في مزاراتي لهم وقني
وقد سمعت أفانين الحديث فهل ... سمعت قط بحر غير ممسح
شمسويه البصري قال في غلام يبيع الفرائي:

قلت للقلب ما دهاك: أجبن ... قال لي: بائع الفرائي فراي
ناظراه فيما جنى ناظراه ... أو دعاني أمت بما أو دعاني
أبو الفضل النهر عاسي قال:

لولا تعاليل النفوس وأنها ... مخدوعة ما سرها محبوب
خاب امرؤ محض النصيحة نفسه ... كل يشوب لنفسه ويروب

أحمد بن بندار قال:

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ... عفت منه آثار وجفت مشارعُه
فقلتُ إلى أن يرجع الماء عائداً ... ويعشب شطاه تموت ضفادعه
أبو عبد الله الروزباري قال في وصف الثلج:
ما لابن هم سوى شرب ابنة العنب ... فهاهما قهوة فراجة الكرب
أدهق كؤوسك منها واسقني طرباً ... على الغيوم فقد جاءتك بالطرب
أما ترى الأرض قد شابت مفارقها ... بما نثرن عليها وهي لم تشب
نثار غيثٍ حكى لون الجمان لنا ... فاشرب على منظرٍ مستحسنٍ عجب
جاء الغمام بدمع كاللجين جرى ... فجد لنا بالتي في اللون كالذهب

الباب الثامن

في ذكر من هم

شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز

سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي، وسوى من يتأخر
ذكرهم في الطائرين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان بيخارى وأبي الحسن محمد بن الحسين النحوي
المقيم الآن ياسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي صاحب كتاب القائد والفرائد المقيم كان
بالصغانيات.

أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي

المعروف بابن العلاف كان بفارس للأدب مجمعاً، وللشعر مفزعاً، مع التصرف في مدارج الأحكام، والمعرفة
بشعب الحلال والحرام، والقبول التام، عند الخاص العام، خنق التسعين ولم تبيض له شعرة، وهو القائل في
الترم بشبايه من قصيدة:

إلام وفيم يظلمني شباي ... ويلبس لمتي حلل الغراب
وآمل شعرة بيضاء تبدو ... بدو البدر من خلل السحاب
وأدعى الشيخ ممتلئاً شباباً ... كذي ظمأ يعلل بالسراب
فيا هللكي هنا لك من مشيبي ... ويا خجلي هنا لك واكتنابي
ألا يا خاضب الشيب المعنى ... أعني في الشباب على الخضب
فكافور المشيب أجل عندي ... وفي فودي من مسك الشباب
وأي من الصباح ظلامٌ ليلٍ ... وأي من الرباب دجى ضباب

ألا من يشتري مني شاباً ... بشيبٍ واسوداداً بشهاب
ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله:
يا علم العالم في الجود ... مثل جوداً غير موجود
بيضت من وجه الندى بالندى ... ما اسود في أيامه السود
كم لك في كسبك للحمد من ... سعي على الأيام محمود
بين مطيع لك أصفدتُ ... وبين عاصٍ لك مصفود
بك استوى الجود على خدمة ... كما استوى القلك على الجودي
كم موردٍ منك ندى أو ردى ... بين الرضا والسخط مورود
وسؤددٍ منك بعر العلا ... يا عضد الدولة معصود
والدهر طوعٌ لك في كل ما ... تحله من كل محدود
وكل جارٍ لك من جوره ... في ظل أمنٍ بك ممدود
فعش وعيد سألماً آمناً ... ما عاد لطف الماء في العود
واسعد يد الدهر بما شئت من ... ملكٍ لأبنائك موطود
ومما يستجد من شعره قوله في الغزل:
خداك للخمس السبع العلا فلك ... ومقلتك لشراد الهوى شرك
وفيك نفعٌ وضر يجريان كما ... يجري بما يحتوي في وسعه الفلك
فالضر أجمع مخصوصٌ به بدني ... والنفع بيبي وبين الناس مشترك
وقوله:
أبعد دنو الدار من داركم أحفى ... فلا غلة تشفي ولا لوعة تُطفى
وكت إذا سلسلت في كأس ذي هوى ... من الريق السلسال في كأسه أصفى
فقيم يخون العهد من صنت عهده ... ويمزجني من كان يشربني صرفاً
وقوله في الزهد:
ما عذر من جر غاوباً رسنة ... ما عذره بعد أربعين سنه
أكلمها طالت الحياة به ... أطال عن أخذ حذره رسنه
قل لي إذا مت كيف تقص من ... سيئة أو تزيد في حسنه

أبو بكر بن شوزبة الفارسي

وجدت في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي لأبي بكر بن شوزبة الفارسي:
إذا لم يكن ممن يؤوب هدية ... فلا لقيته بالسعادة داره
وإن يهد أقلاماً ونقساً وكاغداً ... فلا قر يوماً بالمقام قراره

وإن يهدِ برداً أو رداءً محبراً ... فلا زال عنا ظله وجواره
وله:

يا ضماني على البريع وشرطي ... طال شوقي فما ترى في التلاقي
استزرنني بحرمتي، أو فزرنني ... إن هذا الربيع ليس بباق
آفة البدر ما علمت كسوفٌ ... وكسوفُ الحب يوم الفراق
وله:

أنعم بيوم المهرجان فإنه ... يومٌ أتاك به الزمان جديداً
ومضى المصيف وحره وعجاجه ... وأتى الخريف ووقته المحمودُ
وإن كان هذا اليوم عيداً للورى ... فبقاءُ عمرِكَ كل يوم عيدُ
والراحُ طيبةٌ إذا ما عللت ... بسماعٍ أهيف في يديه عودُ
وله:

أكل من كان له نعمةٌ ... أوسع من نعمةِ إخوانه
أم كل من كانت له كسرةٌ ... ييذهها في بعض أحيانه
أم كل من كان له جوسقٌ ... مشرفٌ شديدٌ بأركانه
يرى بها مستكبراً تائهاً ... على أدانيه وخلانه

أحمد بن الفضل الشيرازي

كان يهوى فتى من أولاد الأغنياء المترفين بشيراز، فقال فيه:
ومن البلية والعظائم أنني ... علقتُ واحد أمه وأبيه
فهما ذوا حذرٍ عليه تراهما ... يتلقطان كلامه من فيه
قد دللاه وأورثاه رعونَةً ... من نخوةٍ مشتقةٍ من تيه

المعروف المنبسط الشيرازي

سمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول: أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم خرج وخلاه في منزله، فكتب إليه:
يا خالي الجيب من عقلٍ ومن أدبٍ ... وإن تحليت من خالٍ ومن نسب
تركنتي ومعني في البيت واحدةً ... وأنت تعلم ما يجري به قبي

أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي

قال:

غضبت من قبله بالكره جدت بها ... فيها فمي لك فاقصصيه أضعافا
لم يأمر الله إلا بالقصاص فلا ... تستجوري ما يراه الله إنصافاً

أبو عبد الله الخوزي

قال:

ويل لمن عدله القاضي ... والله عنه ليس بالراضي
تمضي القضايا بشهاداته ... وهو إلى النار غداً ماض

أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني

قال:

مدحت ابن كلثوم صهر الوصي ... فأترلني بالخل القصي
فأطعمه الله سلح الخصي ... وكلل يافوخه بالعصي

أبو علي بن غيلان السيرافي

قال:

قد كنت ألتمس الشرا ... ب فقد بدا لي في الشراب.
وأهمني خبزُ الشعي ... ر ولم يكن ذا في حسابي

ابن خلاد القاضي الرامهرمزي

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد.

من أنياب الكلام، وفرسان الأدب، وأعيان الفضل، وأفراد الدهر، وجملة القضاة الموسومين بمداخلة الوزراء
والرؤساء، وكان مختصاً بابن العميد تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم، وتجري بينهما مكاتبات بالنشر
والنظم، كما تقدم ذكر صدر منهما، وهكذا كانت حاله مع المهلي الوزير، وهو الكاتب إليه لما استوزر:
الآن حين تعاطى القوس باريها ... وأبصر السميت في الظلماء ساريها
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها ... سيف الوزارة بل مصباح داجيها
تضحى الوزارة تزهى في مواكبها ... زهو الرياض إذا جادت غواديها
تاهت علينا بيمون نقييته ... قلّت لمقداره الدنيا وما فيها
معز دولتها هنتتها فلقد ... أيدها بوثق من رواسيها

فأجابه المهلي بهذه الأبيات:

مواهب الله عندي ما يدانيها ... سعيّ ومجهودّ وسعي لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعته ... حتّى يوافق فعلي أمره فيها
وقد أتتني أبياتٌ مهذّبةٌ ... ظريفةٌ جزلةٌ رقتُ حواشيها
ضمّنتها حسن إبداع وهنّة ... أنت المهنا بباديها وتاليها
فثقُ بنيل المنى في كلّ منزلة ... أصبحت تعمّرها مني وتبنيها
فأنت أوّل موثوقٍ بنيتّه ... وأقرب الناس من حالٍ ترجّيها
ومن ملح ابن خلاد قوله في نفسه:

قل لابنٍ خلادٍ إذا جنته ... مستنداً في المسجد الجامع
هذا زمانٌ ليس يحظى به ... حدّثنا الأعمش عن نافع
وقوله وقد طولب بالخراج:

يا أيها المكثّر فينا الزمجره ... ناموسه دفتره واخبره
قد أبطل الديوان كتب السحره ... والجامعين وكتاب الجماهره
هيهات لن يعبر تلك القنطره ... نحو الكسائي وشعر عنتره
ودغفل وابن لسان المره ... ليس سوى المقوشة المدوره
وقوله:

غناء قليلٌ ومحمدٌ ... إذا اختلفت سمر القنا في المعارك
تجملُ بمالٍ واغدُ غير مذمّم ... بمشراط حجّام ومنوال حائك
وما يتغنى به من شعره قوله في غلام من أبناء الديلم:
يا منْ لصبّ قلقي ... بات يراعي الفلكا
جار به مسلطٌ ... يجوز فيمن ملكا
يهزأ من عاشقه ... يضحك منه إن بكى
مرّ بنا يخطر في ... سريحةٍ دلّكا

كشادنٍ ريع من ال ... صياد أبدي شركا
فقلت يا أحسن من ... تبصر عيني من لكا
فقال لي بغنةٍ ... إليك لا أجرحكا

تبّاً لقاضٍ يبتغي ... من المعاصي دركا
فقلت والله الذي ... صيّري عبداً لكا
ما إن أردتُ ريةً ... ولم أرْدُ سوءاً بكا
وأنت في قولك ذا ... آثمٌ من أشركا

وقوله من قصيدة في عضد الدولة أبي شجاع رحمه الله تعالى:

جادت عِرَاصُكَ مَزْنَةً يا دارُ ... وكساك بعد قطينك النّوّار
فلکم أَرَقْتُ بعقوتیک صباةً ... ماء المدامع والجوانح نار
ولقد أُدیل من الجهالة والصبا ... زمنٌ على زنة العقول عيار
ومنها في المدح:

كرّ الفرار يمينه وسعوده ... فعلت به لذوي الحجي أقدارُ
عمُرتُ من الأدب الفقيد دياره ... ودنا من الكرم البعيد مزارُ
والفقه والنظر المعظم شأنه ... ظهرا وناضل عنهما أنصار
عادت إلى الدنيا بنوها واغتدت ... تبني القوافي يعربٌ ونزار
وسمت إلى فصل الخطاب وأهله ... والقائلين بفضله أبصار
آب الحصين وعنترٌ ومهلهلٌ ... والأعشيان وأقبل المرار
والنابغان وجرولاً ومرقشٌ ... وكثيرٌ ومزردٌ وضرار
وسما جريزٌ والفرزدق والذي ... يعزى الصليب إليه والزّنار

وغدا حبيبٌ والوليد ومسلمٌ ... والآخرون يقودهم بشّار
وأتى الخليل وسيويه ومعمرٌ ... والأصمعي ولم يغب عمار
نشرت بفنا خسرو أربابها ... كالأرض ناشرة لها الأمطار
أحيا الأمير أبو شجاع ذكرهم ... فنما القريض وعاشت الأشعار
ولما توفي ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة في نهاية الحسن، أولها:
همم النفوس قصارهنّ همومٌ ... وسرور أبناء الزمان غمومٌ
ومصير ذي الأمل الطويل وإن حوى ... أقصى المنى حنّ عليه يحوم
وسعادة الإنسان على استحالتها ... مرٌّ وعقد وفائها مدموم
وسنيحها برحٌ، وخصب ربيعها ... جذبٌ، وناصع عيشها مسموم
لا سعدا يبقى، ولا لأواؤها ... يفنى، ولا فيها النعيم مقيم
محسودها مرحومها، ورئيسها ... مروّوسها، ووجودها معدوم
وبقاؤها سبب الفناء، ووعدها ... إيعادها، وودادها مصروم
أما الصحيح فإنه من خوف ما ... يعتاده من سقمه لسقيم
وسليمها طي السلامة دائماً ... يرنو إلى الآفات وهو سليم
وغنيها حذر الحوادث والردى ... في ظل أكناف اليسار عديم
سيان في حكم الحمام وربيّه ... عند التناهي جاهلٌ وعليم
أودي ابن خلادٍ قريعُ زمانه ... بحر العلوم وروضها المهروم
لو كان يعرف فضله صرف الردى ... لانحاز عنه ونابه مثلوم

عظمت فوائده علمه في دهره ... فمصابه في العالمين عظيم
إقليم بابل لم يكن إلا به ... فالיום ليس لبابل إقليم
أتى اهتدى ريب المنون لسائر ... فوق النجوم محله المرسوم
ظلم الزمان فبز عنه كماله ... ومن العجائب ظالم مظلوم
لا تعجب من الزمان وغدره ... فحديث غدرات الزمان قديم
لو كان يجو ماجد لتقية ... نحى ابن خلد التقي والحيم
لكنه أمر الإله وحكمه ... وقضاؤه في خلقه الخوم
روض من الآداب عض زهره ... ركذ المهجير عليه فهو هشيم
وحديقة لما تزل ثمراتها ... تحف الملوك أصابهن سموم
شمامة الوزراء حلو حديثه ... تحف لهم دون النديم نديم
ريحانة الكتاب من أفاضله ... يتعلم المشور والمنظوم
أما العزاء فما يحل بساحتي ... والصبر عنك كما علمت ذميم
وإذا أردت تسلياً فكأنني ... فيما أدت من السلو ملهم
فعليك ما غنى الحمام تحية ... ومع التحية نضرة ونعيم

محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس، يقول قصيدة تربي على أربعمئة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصناعات، أولها:

الحمد لله ليس لي بخت ... ولا ثياب يضمها تحت
سيان بيتي لمن تأمله ... والمهمة الصحصان والمرت
أمنت في بيتي اللصوص فما ... للص فيه فوق ولا تحت
فمنزلي مطبق بلا حرس ... صفر من الصفر حيثما درت
إبريقي الكوز إن غسلت يدي ... والطين سعدي وداري الطست
وعاجل الشيب حين صيرني ... فرزدقي المشيب إذ شيت
سلكت في مسلك التصوف تن ... ميساً فكم للذبول قصرت
سويت سجادة يوم وأح ... فيت سبالاً قد كت طولت
وفي مقام الخليل قمت كما ... قام لأني به تبركت
وقلت إني أحرمت من بلدي ... وفي حرامي إن كت أحرمت
ثم كتبت العطوف حتى بتد ... يري بين الرؤوس ألفت

حتى إذا رمت عطف بعل على ... عرس عكست المنى وطلقت
حرفي منقى من التراب فكم ... ذريته مرةً وغربت
يا ليت شعري مالي حرمت ولا ... أعطي من إن رأيته اغتظت
بل ليت شعري لما بدا يقسم ال ... أرزاق في أي مطبق كنت
والحمد لله قاسم الرزق في ال ... خلق كما اختار لا كما اخترت

أبو محمد السوسي

قال:

باكر علي ب بكر ... حمراء من كف بكر
وأحي بالقفص قصفي ... وأفن في العمر عمري
روح براحك روعي ... وجز بسكري شكري

أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسن محمد بن الحسين الفارسي النحوي يقول: ورد أبو الحسن بن غسان البصري الطبيب على
أبي مضر عامل الأهواز في جملة شعراء امتدحوه، ومرض في أثناء ذلك، فعالجه أبو الحسن حتى برئ من
مرضه، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطاً ترويحاً فكتب إليه:
هب الشعراء تعطيهم رقاعاً ... مزورةً كلاماً من كلام
فلم صلة الطبيب تكون زوراً ... وقد أهدى الشفاء من السقام؟
//الباب التاسع

ذكر من هم

شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان

القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز

حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حذقة العلم، ودرة تاج الأدب، وفارس عسكر
الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نشر الجاحظ ونظم البحري، وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما
يتعاطاه، وله يقول صاحب:
إذا نحن سلمنا لك العلم كله ... فدع هذه الألفاظ ننظم شذورها
وكان في صباه خلف الخضر في قطع عرض الأرض، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها، واقتبس من
أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً وفي الكلام عالماً، ثم عرج على حضرة صاحب وألقى بها

عصا المسافر، فاشتد اختصاصه به، وحل منه محلاً بعيداً في رفعتة، قريباً في أسرته، وسير في قصائد أخلصت على قصد، وفرائد أتت من فرد، وما منها إلا صوب العقل، وذوب الفضل، وتقلد قضاء جرجان من يده، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته، بين الولاية والعطلة، وأفضى محله إلى قضاء القضاة، فلم يعزله عنه إلا موته رحمه الله.

وعرض عليّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في معنى القاضي أبي الحسن، وهذه نسخته بعد الصدر والتشيب: قد تقدم وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز أدام الله تعالى عزه فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش أدام الله تعالى علوه من كني ما أعلم أي لم أؤد فيه بعض الحق، وإن كنت دلت على جملة تنطق بلسان الفضل وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم، فأما موقعه مني فالموقع تحطبه هذه المحاسن وتوجه هذه المناقب، وعادته معي أن لا يفارقني مقيماً وطارئاً ومسافراً وقاطناً، واحتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإمام، فطالبني مكاتبي بتعريف الأمير مصدره ومورده، فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد ليستعجل انكفائه إليّ بما يرسم أدام الله أيامه من مظاهرتة على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بدرقة إن احتاج إليها وإلى الإستظهار بها، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتصرف النجح فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عند تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده، فإني ما غاب كالمضل الناشد، وإذا عاد كالغائم الواحد، فعل أن شاء الله تعالى.

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتبني عمل القاضي أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتبني وخصومه في شعره فأحسن وأبدع وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمد في فصل الخطاب وأعرب عن تبحره في الأدب، وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض المصريين من أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنت كتبه ... وإن أصبحت داره شاحطه

كتاب الوساطة في حسنه ... لعقد معاليك كالواسطة

فصل من كتاب الوساطة

؟؟

فصل من هذا الكتاب المذكور

ومتى سمعني أختار للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على الطبع، وأحسن له في التسهيل، فلا تظن أني أريد بالسهل السطح الضعيف الركيك، ولا باللطيف الرشيقي الخنث المؤنث، بل أريد النمط الأوسط، وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط على البدوي الوحشي، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه، ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة وأضرابه، نعم ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غرلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك،

ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقفه، فإن المدح بالشجاعة والبأس، يتميز عن المديح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه، وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصود على الشعر دون الكتابة، ولا بمختص بالنظم دون النثر، بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعد أو الوعيد أو الإعذار، خلاف كتابك في الشوق أو التهنية أو اقتضاء المواصله، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت، فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس، فأما القذف والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم.

فصل آخر منه وكانت العرب ومن تبعها من سلف هذه الأمة تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجزالة المنطق لم تألف غيره ولا عرفت تشبيهاً سواه، وكان الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقه أن يخص بتهذيب ويفرد بزيادة عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزلاً وقوياً متيناً، وقد كان القوم أيضاً يختلفون في ذلك وتباين فيه أحوالهم فيرق شعر الرجل ويصلب شعر الآخر، ويدمث منطق هذا ويتوعر منطق غيره.

وإنما ذلك بحسب اختلاف الطباع وتركيب الخلق. فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع، ودمائة الكلام بقدر دماثة الخلقة، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كثر الألفاظ جهم الكلام وعر الخطاب، حتى إنك ربما وجدت الغضاضة في صوته ونغمته وفي حديثه ولهجته، ومن شأن البداوة أن تظهر بعض ذلك، ومن أجله قال النبي صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ولذلك تجد شهر عدي بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجريز وهما إسلاميان، لملازمة عدي الحاضرة، وإيطانه الريف وبعده عن جلالة البدو وجفاء الأعراب، وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم، والغزل المتهالك. وإذا اتفقت الدماثة والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها.

ولما ضرب الإسلام بجرانة واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والنظرف، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء فاستعملوا أحسنها مسمعاً، وألطفها من القلب موقعاً، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقصروا على أسلسها وأرشفها كما رأيتهم فعلوا في صفات الطويل، فأنهم وجدوا للعرب نحواً من ستين لفظاً أكثرها بشع شع، فنبذوا جميع ذلك وأهملوه، واكتفوا بالطويل خفته على اللسان وقلة نبو السمع عنه في البيان.

قال مؤلف الكتاب: وأنا أكتب من خطبة كتاب القاضي في تهذيب التاريخ فصلين، بعد أن أقول: إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الرواية وحسن التصرف في الانتقادات، وأجريتهما وما تقدمهما من كتاب الوساطة مجرى الأتمودج من نشر كلامه، ثم أقفّي على أثره بلمع من غرر أشعاره، إن شاء الله تعالى.

فصل - ولولا التاريخ، لما تميز ناسخ من منسوخ، ومتقدم من متأخر وما استقر من الشرائع وثبت مما أزيل ورفع، ولا عرف ما كان أسباها وكيف مست الحاجة إليها، وحلست وجوه المصلحة فيها، ولا عرفت مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحروبه وسراياه وبعوثه، ومتى قارب ولا ين وسارر وخافت، وفي أي وقت جاهر وكاشف ونبذ أعداءه وحارب، وكيف دبر أمر الله الذي ابتعثه له، وقام بأعباء الحق الذي طوقه قهله، وأي ذلك قدم وأيها أخر، وبأيها بدأ وبأيها ثنى وثلث، وإن الولد البر ليتفقد من آثار والده، والصاحب الشفيق ليعني بمثله من شأن صاحبه، حتى يعد إن أغلفه مستهيناً به مستوجباً لعبته، فكيف لمن هو رحمة الله المهداة إلينا ونعمته المفاضة علينا، ومن به أقام الله دينانا وديننا وجعله السفير بينه وبيننا؟ وأي أمر أشنع وحاله أقبح من أن يحل الرجل محل المشار إليه المأخوذ عنه ثم يسأل عن الغزوتين المشهورتين من مشهور غزواته والأثرين من مستفيض آثاره، فلا يعرف الأول من الثاني، ولا يفرق بين البادي والتالي.

فصل آخر وهذا كتاب قصدت به غرضي دين ودنيا: أما الدين فان اقتدي به من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعارف أحواله وأيامه، وذكر ما طمس الله من معالم الشرك وأوضح معارف الحق، وما خفض بعلو كلمته وعلى أيدي أنصاره وشيعته، من رايات كانت عالية على الأبد، مكتوفة بحصافة العدد، وكثافة العدد، ما يعلم به العاقل المتوسم أن تلك الفئة القليلة والعدة اليسيرة - على قلة الأهبة، وقصور العدة وحول الذكر وضعف الأيدي وعلو أيدي الأعداء وشدة شوكة الأقران - لا تستمر لها ولا تنفق بها مغالبة الأمم جمعاً. ومقاومة الشعوب طراً، وقهر الجنود الجمة، والجموع الضخمة، وإزالة الممالك المهمة والولايات الموطدة. في الدهر الطويل والزمن المديد - مع وفور العدة وانبساط القدرة. واستقرار الهبة - إلا بالنصرة الإلهية. والمعونة السماوية و إلا بتأييد لا يخص الله به إلا الأنبياء، ولا ينتخب له إلا الأولياء. وإن اختص فيه من معاناة أنصاره وأتباعه، والقائمين بإظهار دينه في حياته، وعمارة سبيله بعد وفاته، من مصابرة اللأواء، ومعالجة البأساء. وبذل النفوس والأموال وأخطار المهج والأرواح، ما يزيد القلوب للإسلام تفخيماً. وبحقه تعريفاً. ولما عساها تستكبر من أفعالها تصغيراً. وفي الإزدياد منه ترغيباً، ما أجريه في خلال ذلك من تذكير بآلاء الله، وتنبيه على نعم الله، بما اقتص من أنباء الأولين، وأبث من أخبار الآخرين، وأبين من الآيات التي أمر الله بالمسير في الأرض لأجلها، وبعث على الاعتبار وبأهلها. فقال أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين قبلهم فيحرص العاقل على استبقاء نعمة الله عنده بالشكر الذي ضيعه من سلبه الله تلك النعم، ويتحرر من غوائل الكفر الذي أحل بهم تلك النقم.

وأما غرض الدين فان أقيم بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلم بدوام أيامه من يخلفني في تجديد ذكرى بحضرته، وتكرير اسمي في مجلسه، وينوب عني في مزاحمة خدمته، على الإعتراف بحق نعمته، وعملت أي لا أستخلف من هو أفس به رحماً، وأقرب منه نسباً، وهو أرفع عنده موضعاً، وألطف منه موقعاً، وأخص به مدخلاً ومخرجاً، وأشرف بحضرته مقاماً وموقفاً، من العلم الذي يزكو عنده غراساً، فيضعف ريعاً ويحلو طعماً. ويطيب عرفاً ويحسن اسماً. فاخترت لذلك هذا الكتاب ثقة بوجهته، وعلماً بقرب منزلته، وكيف لا يكون عنده وجهياً مكيناً، ومقبولاً قريناً. وإنما هو نتاج قديمه، وثمرة تقويمه، وجناء تمثيله، وريع تحريكه؟ فلولاً عنايته لما صدقت النية، ولولاً إرشاده لما نفذت الفطنة. ولولاً معونته لما استجمعت الآلة، وما يبعد به

عن إيثار العلوم وتعظيمها، وعن تقديمها وتقريبها، وهو الذي نصبه الله لها مثالا، وأقامه عليها منارا، وجعله لها سندا، وإحيائها سببا.

ملح من شعره في الغزل والتشبيب وسائر الفنون قال:

أفدي الذي قال وفي كفه ... مثل الذي أشرب من فيه
الورد قد أينع في وجتي قلت ... فمي باللثم يجنيه
وقال:

بالله فضّ العقيق عن برد ... يروي أقاحيه من مدام فمه
وامسح غوالي العذار عن قمر ... نقط بالورد خدّ ملتشمه

وقال من المسرح:

قل للسقام الذي بناظره ... دعه وأشرك حشاي في سقمه
كلّ غرام تخاف فتنته ... فين ألحظه ومبتسمه
وقال:

أنثر على خديّ من وردك ... أودع فمي يقطف من خلك
ارحم قضيب البان وارفق به ... قد خفت أن ينقدّ من قلّك
وقل لعينيك بنفسي هما ... يحفّفان القسم عن عبك
وقال:

قد برّح الشوق بمشتاقك ... فأوله أحسن أخلاقك
لا تجفه واراع له حقّه ... فإنه خاتم عشّاقك
وقال في الفصد:

يا ليت عيني تحملت أملك ... بل ليت نفسي تقسّمت سقمك
وليت كفّ الطيب إذ فصدت ... عرقك أجرت من ناظري دمك
أعرته صيغ وجنتيك كما ... تعيره إن لثمت من لثمك
طرفك أمضى من حدّ مبضعه ... فالحظ به العرق وارتجر أملك
وله:

وفارقت حتى ما أسرُّ بمن دنا ... مخافة نأي أو حذار صدود
وقد جعلت نفسي تقول لمقلتي ... وقد قربوا خوف التبعاد جودي
فليس قريبا من يخاف بعباده ... ولا من يرجّى قربه ببعيد
وله:

من ذا الغزال الفاتن الطرف ... الكامل البهجة والظرف
ما بال عينيّه وألحظه ... دائبة تعمل في حنفي

وهاً لَذاك الورد في خدّه ... لو لم يكن مُمتنع في القطف
أشكو إلى قلبك يا سيدي ... ما يشتكي قلبي من طرفي
وله:

هذا الهلال شبيهة في حسنه ... وبهائه كلاً وفترة جفنه
هبك ادعيت بهاءه وضياؤه ... كيف احتالك في تأود عصنه
لو لاحظتُك جفونه بفتورها ... أقمست أُنك ما رأيت كحسنة
وقال:

يا قبلة نلتها على دهش ... من ذي دلال مهفهف غنج
قد حير الخشف غنج مقتله ... والورد توريد خدّه الضرج
إذا تتى أو قام معتدلاً ... قال له الغصن أنت في حرج
قد قسم الحسن مقلتيك أبا القاسم بين الفتور والدّعج
قل لهما يرفقا بقلب فتى ... طويت أحشائه على وهج
فمنهما لا عدمت ظلمهما ... سقم فؤادي ومنهما فرجي
وله سامحه الله:

وغنج عيتك وما أودعت ... أجفانها قلب شج وامق
ما خلق الرحمن تفاحتي ... خديك إلا لقم العاشق
لكنني أَمنع منها فما ... حظّي إلا خلسة السارق
وله أيضاً:

من عاذري من زمن ظالم ... ليس بمستحي ولا راحم
تفعل بالأحرار أحداثه ... فعل الهوى بالدّنف الهائم
كأنما أصبح يرميهم ... عن جفن مولاي أبي القاسم
وله أيضاً من المسرح:

ولو تراني وقد ظفرت به ... ليلاً وستر الظلام منسل
وللسكرى في الجفون داعية ... وقد حداها حاد له عجل
وحوصت أعين الوشاة كما ... جَمَش معشوقه الفتى الغزل
فذاك مغف وذاك مختلط ... يهذي وهذا كآته ثمل

وقلت يا سيدي بدا علم ال ... صبح وكاد الظلام يرتحل
ثم اننى يبتغي وسادي إذ ... أيقن أن الوشاة قد غفلوا
فبات يشكو وبّت أعذره ... وليس إلا العتاب والعلل
خلتنا نمة شعبي غصن ... يوم صبا نلتوي ونعتدل
يا طيبها ليلة نعمت بها ... غراء أدنى نعيمها القبل

وله سامحه الله تعالى:

يا نسيم الجنوب بالله بلّغ ... ما يقول المتيمّم المستهام
قل لأحبابه فداكم فؤاد ... ليس يسلو ومقلة لا تنام
بنتم فالسهاد عندي مقيم ... مذ نأيتم والعيش عندي حمام
فعلى الكرخ فالقطيعة فالشطّ ... فبات الشعير منّي السلام
يا ديار السرور لازال يبكي ... بك في مضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك عضّ ... وجفون الخطوب عنّا نيام

في ليال كأمنّ أمان ... من زمان كأته أحلام
وكأنّ الأوقات فيها كؤوس ... دائرات وأنسهنّ مدام
زمن مسعد وإلف وصول ... ومنّي تستلذها الأوهام
كلّ أنس ولنة وسرور ... قبل لقياكم عليّ حرام
وله:

سقى جانبي بغداد إخالف مزنة ... تحاكي دموعي صوبها وانحدارها
فلي فيهما قلب شجاني اشتياقه ... ومهجة نفس ما أمل ادكارها
سأغفر للأيام كلّ عزيمة ... لئن قرّبت بعد البعاد مزارها
وله من قصيدة يتشوق فيها بغداد، ويصف موضعه بناحية رامهرمز، ويمدح صديقاً له من أهلها:
أراجعة تلك الليالي كعهدها ... إلى الوصل أم لا يرتحى لي رجوعها؟
وصحبة أقوام ليست لفقدهم ... ثاب حداد مستجدّ خليعها
إذا لاح لي من نحو بغداد بارق ... تجافت جفوني واستطير هجوعها
وإنّ أحلفتها الغاديات رعوّدها ... تكلف تصديق الغمام دموعها
سقى جانبي بغداد كلّ غمامة ... يحاكي دموع المستهام هموعها
معاهد من غزلان أنس تحالفت ... لوحظها أن لا يداوي صريعها
بها تسكن النفس الفور ويغتدي ... بأنس من قلب المقيم نزيعة
يحن إليها كل قلب كأنّما ... يشاد بجّبات القلوب ربوعها
فكلّ ليالي عيشها زمن الصبا ... وكلّ فصول الدهر فيها ربيعها
وما زلت طوع الحادثات تقودني ... على حكمها مستكرهاً فأطيعها
ومنها:

فلما حللت القصر قصر مسرتي ... تفرّقني آيسات جموعها
بدار لها يسلى المشوق اشتياقه ... ويأمن ريب الحادثات مروعهها
بها مسرح للعين فيها يروقهها ... ومستروح للنفس ثمّا يروعهها

يرى كل قلب بينها ما يسره ... إذا زهّرت أشجارها وزروعها
كأنّ خريّر الماء في جنباتها ... رعود تلقّت مزنة تستريعه
إذا ضربتها الريح وانبسطت لها ... ملاة بدر فصلتها وشيعها
رأيت سيوفاً بين أثناء أدرع ... مذهبة يغشى العيون لميعها
فمن صنعة البدر المنير نصولها ... ومن نسج أنفاس الرياح دروعها
صفا عيشنا فيها وكادت لطيبها ... تمازجها الأرواح لو تستطيعها
وله من قصيدة:

من أين للعارض السارق تلهّبه ... وكيف طبّق وجه الأرض صيّبه؟
هل استعان جفوني فهي تنجده ... أم استعار فؤادي فهو يلهبه؟
بجانب الكرخ من بغداد لي سكن ... لولا التجمّل ما أفكك أندبه
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت ... دياره، وأراني لست أصحبه
في كل يوم لعيني ما يؤرقها ... من ذكره، ولقلبي ما يعذّبه
ما زال يبعدي عنه وأتبعه ... ويستمرّ على ظلمي وأعتبه
حتى لوت لي التوى من طول جفوته ... وسهّلت لي سبيلا كنت أرهيه
وما البعاد دهاني بل خلّاقه ... ولا الفراق شجاني بل تجبّيه
لمع من شعره في حسن التخلّص قال من قصيدة في الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد من المتكامل:
أو ما انثيت عن الوداع بلوعة ... ملأت حشاك صباةً وغيلاً
ومدامع تجري فيحسب أنّ في ... آماقهن بنان إسماعيلاً
ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور:

إذا استشرفت عنياك جانب تلعة ... جلت لك أخرى من رباها جوانبا
يضاحكنا نوراًها فكأنما ... نغازل بين الروض منها حبا
تبسم فيها الأقحوان فخلته ... تلقاك مرتاحاً إليك مداعبا
وحلّ نقاب الورد فاهتزّ يدعي ... بواديه في ورد الحدود مناسبا
أقول وما في الأرض غير قرارة ... تصافح روضاً حولها متقارباً

أبأت يد الأستاذ بين رياضها ... تدقّ أم أهدت إليها سحائباً
ألبسها أخلاقه الغرّ فاغتدت ... كواكبها تجلو علينا كواكباً
أوشّت حواشيها خواطر فكره ... فأبدت من الزهر الأنيق غرائباً
أهزّ الصبا قضبانها كاهتزازه ... إذا لمست كفيه كفك طالباً
أحالاته يصو نحوها فتزيّت ... تؤمّل أن يختار منها ملاعباً
ومن قصيدة في دلير من بشكروز:

وما أقيم بدار لا أعز بها ... ولا يقرّ قراري حيث أبتذل
وقد كفاني انتجاع الغيث معرفتي ... بأن دلير لي من سبيه بدل
تجنّب نشوات الخمر همته ... وأعلمتنا العطايا أنه ثمل
ومن قصيدة في شيرزاد بن سرخاب:

ألم تر أنواء الربيع كأنما ... نشرن على الآفاق وشياً مذهّباً
فمن شجر أظهرن فيه طلاقة ... وكان عبوساً قبلهنّ مقطّباً
ومن روضة قضى الشتاء حدادها ... فوشحن عطفيها ملاء مطيّاً
سقاه سلاف الغيث رياً فأصبحت ... تمايل سكرّاً كلّما هبت الصبا
كأن سجايا شيرزاد تمدّها ... فقد أمنت من أن تحول وتشجّبا
ومن قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير:

ولما تداعت للغروب شمسهم ... وقمنا لتوديع الفريق المغرب
تلقين أطراف السجوف بمشرق ... هنّ وأعطاف الخدور بمغرب
فما سرن إلّا بين دمع مضيع ... ولا قمن إلّا فوق قلب معدّب
كأن فؤادي قرن قابوس راعه ... تلاعبه بالفيلق المتأشّب
ومن قصيدة له فيه أيضاً:

ليلة للعيون فيها وللأسماع ما للقلوب والآمال
نظمت للندام فيها الأمانى ... مثل نظم الأمير شمس المعالي
ومن قصيدة في الصاحب:

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي ... على نفس محزون وقلب كثيب
تقسّمني الأيام قسمة جائر ... على نضرة من حالها وشحوب
كأني في كفّ الوزير رغبة ... تقسّم في جدوى أغرّ وهوب
ومن أخرى فيه وصف الإبل:

يقربن طلابّ العلا من سمائها ... ويهدين رواد الندى لجوادها
فلاقين مولانا وقد صنع السرى ... بهنّ صنيع كفّه بتلادها
غور من شعره في المدح، وما يتصل به قال من قصيدة في الصاحب:
يا أيها القرم الذي بعلّوه ... نال العلاء من زمان السولا
قسمت يداك على الورى أرزاقها ... فكنّوك قاسم رزقها المستولا
ومن أخرى فيه:

فتى كيف ما ملنا رأينا له يداً ... بعيدة رمى الشكر مطلبها سهل
خفيف على الأعيان حمل منّها ... ولكن على الأفكار من عدّها ثقل
ووالله ما أفضى من المال مانسنا ... إلى كفّه إلّا العنان أو النصل

ومن أخرى في:

يا من إذا نظر الزما ... ن إليه أكثر عجه
رحل المصيف فلا تزل ... أبداً تودّ ركه
وبدا الخريف فحيّ خا ... لصّة الزمان ولبه
زمن كخلقك ناصر ... إن كان خلقت يشبه
رقّ الهواء فما ترى ... نفساً يعالج كربه
وصفا وإن لاحظت ... أبعد طنتك قربه
فلو استحال مدامة ... ما كت أحظر شربه
فتهنّه يا فردّه ... وتملّه يا قطبه

ومن أخرى فيه:

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها ... إذا احتشدت لن تنفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألفت ... خواطرك الألفاظ بعد شرادها
فإن نحن حاولنا اختراع بديعة ... حصلنا على مسروقها ومعادها
ومن أخرى فيه:

أغرّ أروع تلهينا وقائعه ... في المال والقرن عن صفين والجمال
مستوضع بثدي المجد مفترس ... حجر المكارم مفطوم عن البخل

أمضى من السيف لفظاً غير لجلجة ... تغشّاه إن مال مضطراً إلى العلل
ومنها:

وسائل لي عن نعماك قلت له ... تفصيلها مستحيل فارض بالجمال
هذي صباة ما أبقت يداي وقد ... عرفت حرفهما فانظر ولا تسل
ومن أخرى فيه من المسرح:

لا وجفون يغضها العذل ... عن وجنات تذيبها القبل
ومهجة للهوى معرّضة ... تعيث فيها القدود والمقل
ما عاش من غاب عن ذراك وإن ... آخر ميقات يومه الأجل
ومن قصيدة عيادة له:

بعيني ما يخفي الوزير وما يبدي ... فورهما من فضل نعمائه عندي
سأجهد أن أفدي مواطيء نعله ... فإن أنا لم أقبل فما لي سوى جهدي
لأعدي تشكيك البلاد وأهلها ... وما خلت أن الشكو بعدي على البعد
ولم أدر بالشكوى التي عرضت له ... ونعماءه حتّى أقبل المجد يستعدي
وما أحسب الحمى وإن جلّ قدرها ... لتجسر أن تدنو إلى منبع المجد

وما هي إلا من تلهَّب ذهنه ... توقَّد حتى فاض من شدة الوقد
ليفدك من نعماك مالك رقة ... فكلُّ الورى بل كل ذي مهجة يفدي
وما زالت الأحرار تفدي عبيدها ... لتكفيها ما تنقي مهجة العبد
ومن أخرى التهنئة بالبرء:

بك الدهر يندي ظلُّه ويطيب ... ويقلع عمًا ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربِّما ... ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أفي كلِّ يومٍ للمكارم روعة ... لها في قلوب المكرمات وجيب
تقسَّمت العلياء جسمك كله ... فمن أين فيه للسقام نصيب
إذا ألت نفس الأمير تألَّمت ... لها أنفُس تحيا بها وقلوب
ومنها:

ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه ... حياقي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ... ولكنَّه في المكرمات ندوب
فلا تجزع عن تلك السماء تغيَّمت ... فعماً قليلٍ تبتدي فتصوب
تملُّ وجهه المجد وايتسم الندى ... وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
فلا زالت الدنيا بملكك طليقة ... لا زال فيها من ظلالك طيب
ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور:

هذا أبو مضر كفتنا كفه ... شكوى اللثام فما ندُّم لثيما
هذا الجسم مواهباً هذا الشريف ... مناصباً هذا المهذب خيما
سمكت كهيمته السماء ومثَّلت ... فيها خلائقه الشراف نجوما
نشوان قد جعل المحامد والعلأ ... دون المدامة ساقياً وندىما
أعدى الأنام طباعه فتكرَّموا ... لو جاز أن يدعى سواه كريما
ومن قصيدة في دلير بن بشكروز:

كريمٌ يرى أن الرجاء مواعد ... وان انتظار السائلين من المطل
وخير الموالي من إذا ما مدحته ... مدحت به نفسي وأخبرت عن فضلي
ومن أخرى:

قل للأمير الذي فخر الزمان به ... ما الدهر لولاك إلا منطقٌ خطل
كفتك آثار كفيك التي ابتدعت ... في المجد ما شاده آباؤك الأول
ما زال في الناس أشباه وأمثلة ... حتى ظهرت فغاب الشكُّل والمثل
درر من شعره في وصف الشعر قال من قصيدة:
ومن الشعر إلا ما استغزى ممدَّحاً ... وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضبا
أطاع فلم توجد قوافيه نفراً ... ولم تأته الألفاظ حسرى لواغبا

وفي الناس أتابع القوافي تراهم ... يثّون في آثارهن المقابا
إذ لخطوا حرف الروي تبادروا ... وقد تركوا المعنى مع اللفظ جانباً
وإن منعوا حرّ الكلام تطرّفوا ... حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا
ولكنني أرمي بكلّ بديةٍ ... يبتن بألباب الرجال لواعبا
تسير ولم ترحل وتدنو وقد نأت ... وتكسب حفاظ الرجال المراتبا

ترى الناس إمّا مستهماً بذكرها ... ولوعاً وإمّا مستعيراً وغاضباً
أذود لئام الناس عنها وأتقي ... على حسبي إن لم أصنها المعاييا
وأعضلها حتى إذا جاء كنهؤها ... سمحت بها متشرفات كواعبا
وأيّ غيور لا يجب وقد رأى ... مكارمك اللاتي أتين خواطبا
ومن أخرى:

ووفاك وفد الشكر من كلّ جهة ... ثناء يسدى أو مديحاً ينظم
يزف إلى الأسماع كل خريفة ... تكاد إذا ما أنشدت تنبسم
أطافت بها الأفكار حتى تركنها ... يقال أبايات تراها أو أنجم
ومن أخرى:

أهدن لجذك حلّة موشية ... تكسو الحسود كآبةً وذبولاً
أحيت حبيباً والوليد ففصلاً ... منها وشائع نسجها تفصيلاً
فأفادها الطائي دقة فكرة ... والبحري دماثةً وقبولاً
ومن أخرى:

لو لم أشرف بامتداحك منطقي ... ما انقاد نحوك خاطري مزموماً
لكن رأى شرف المصاهر فاغتنى ... يهدي إليك لبابه المكتوما
فحبك من نسج العقول بغادة ... قطعت إليك مقاصداً وعزوما
لما تبينّت الكفاة أقسمت ... أن لا تغربّ بعدها وتقيما
لا تبغها مهراً فقد أمهرتها ... نعماك عندي حادثاً وقديماً
ألزمت شكرك منطقي وأناملي ... وأقمت فكري بالوفاء زعيماً
من أخرى:

أتننا العذارى الغيد في حلل التهي ... تنشّر عن علم وتطوي على سحر
تلاعب بالأذهان روعة نشرها ... وتشغل بالمرأى اللطيف عن السبر
ألدّ من البشري أتت بعد غيبة ... وأحسن من نعمي تقابل بالشكر
فلم أر عقداً كان أبهى تألقاً ... وأشبه نظاماً متقناً منه بالنشر
ترى كل بيت مستقلاً بنفسه ... تباهى معانيه بألفاظه الغرّ

تخلّت بوصف الجسم ثم تنكّرت ... ومالت مع الأعراض في حيزٍ تجري
أرنتّ سحاب الفكر فيها فأبرزت ... لآلي نور في حدائقها الزهر
فجاءت ومعناها مازج لفظها ... كما امتزجت بنت الغمامة بالخم
أشدّ إليه نسبةً من حروفه ... وأحوج من فعل جميل إلى نشر
نظمتها عقداً كما نظم الحجي ... وفاءك في عقد السباحة والفخر
كأنك إذ مرّت على فيك أفرغت ... ثنايك في ألفاظها بهجة البشر
كفتنا حمياً الخمر رقة لفظها ... وأمنّا تهذيبها هفوة السكر
وكتب إليه بعض أهل رامهرمز أبياتاً يمدحه فيها، وقد كان بلغه عنه أبيات يشكو فيها أهل ناحيته، فقال:
هلا انتقل، واتصل ذلك بقائلها فضمن أبياته اعتذاراً من المقام ليعذر النقلة. فكتب إليه مجيباً له قصيدة منها:
بدأت فأسلفت التفصّل والبرا ... وأوليت إنعاماً ملكت به الشكرا
وللسابق البادي من الفضل رتبة ... تقصّر بالتالي وإن بلغ العذرا
أتنتا عذراك اللواتي بعثتها ... لتوسعنا علماً وتلبسنا فخرا
فأنصحن عن عذر وطوقن منّة ... وقلن كذا من قال فليقل الشعرا
فأوليتها حسن القبول معظماً ... لحق فتى أهدى بمنّ لنا ذكرا
تناهي النهي فيها وأبدع نظمها ... خواطرينقاد البديع لها قسراً
إذا لحظت زادت نواظرننا ضياءً ... وإن نشرت فاحت مجالسنا عطرا
تنازعها قلبي ملياً وناظري ... فأعطيت كلاً من محاسنها شطرا
فنزّهت طرفي في وشي رياضها ... وألقطت فكري بين ألفاظها الدرّ
تضاحكنا فيها المعاني فكلمّا ... تأملت منها لفظاً خلّتها شعرا
فمن ثيب لم تفتزع غير خلسة ... وبكر من الألفاظ قد زوجت بكرا
يظل اجتهادي بينهن مقصراً ... وتمسي ظنوني دون غايتها حسرى
إذا رمت أن أدنو إليها تتمتع ... وحقّ لها في العدل أن تظهر الكبرا
وقد صدرت عن معدن الفضل والعلا ... وقد صحبت تلك الشمائل والتجرا
فتمت لك النعمى وساعدك المنى ... ومليت في خفض أبا عمر العمرا
كفتنا وإياك المعاذير نيّة ... إذا خلصت لم تذكر الوصل والهجرا
مدحت فعلّدت الذي فيك من علاً ... وألبستني أوصافك الزهر الغرّ
وما أنا شعبة مستمدة ... لمغرز فيض منك قد غمر البحرا
وقد كان ما بلغته من مقالة ... أنهت بها للفضل أن يألف الصغرا
إذا البلد المعمور ضاق برحبه ... على ماجد فليسكن البلد القفرا
وكم ماجد لم يرض بالخشف فانبرى ... يقارع عن هماته البيض والسمرا

ومن علقت نيل الأمانى همومه ... تجشّم في آثارها المطلب الوعرا
فلا تشك أحدث الزمان فإني ... أراه بمن يشكو حوادثه مغرى
وهل نصرت من قبل شكواك فاضلاً ... لتأمل منهنّ المعونة والنصرا
وما غلب الأيام مثل مجرّب ... إذا غلبته غاية غلب الصبرا
فقر له من كل فن قال من قصيدة:

يقولون لي فيك انقباض وإثما ... رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ... من الدّم أعتدّ الصيانة مغنما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد رأى ... ولكن نفس الحرّ لا تحمل الظماً
ولم أقض حقّ العلم إن كان كلّما ... بدا طمع صيرته لي سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لا قيت لكن لأخدما
أشقى به غرساً وأجنيه ذلّة ... إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
وقال من أخرى:

وقالوا اضطراب في الأرض فالرزق واسع ... فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حرّ يعينني ... ولم يك لي كسب فمن أين أرزق
ومن أخرى:

على مهجتي تحني الحوادث والدهر ... فأما اصطباري فهو ممتنع وعر
كأنّي ألاقي كلّ يوم ينوبني ... بذنب، وما ذنبي سوى أنّي حرّ
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي ... أضيق به ذرعاً فعندي له الصبر
وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى ... وما علموا أنّ الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرّماً ... على الغنى: نفسي الأبية، والدهر
ومنها:

إذا قال هذا اليسر أبصرت دونه ... مواقف خير من وقوفي بما العسر
إذا قدّموا بالوفر أقدمت قبلهم ... بنفس فقير كلّ أخلاقه وفر
وماذا على مثلي إذا خضعت له ... مطامعه في كفّ من حصل التبر
وكتب على لسان غيره:

أبا حسن طال انتظار عصابة ... رجلك لما يرجى له الماجد الحرّ
وقد حان بل قد هان لولا المطال أن ... يحلّ لهم عن وعلك الموثق الأسر
وقد فاتهم من قربك الأنس والمنى ... وحاربهم فيك اختيارك والدهر
فإن كنت عوّضت عنهم بغيرهم ... فعوضهم راحاً يزول بها الفكر
فأنس الفتى في الدهر خلّ مساعد ... وإن فاته الخلّ المساعد فالخمر
فإمّا رسول بالنبيذ مبادر ... وإلا فلا تغضب إذا غضب الشعر

وقال من قصيدة كتبها إلى أخوين له من انقباضه عنهما وإغبابه زيارتهما:
أيها معهد الأحباب ذكرهم عهدي ... ودم لي، وإن دام البعاد، على الودّ
ولي خلق لا أستطيع فراقه ... يفوتني حظي ويمعني رشدي
نفور عن الإخوان من غير رغبة ... تعدّ جفاءً والوفاء لهم وكدي
غذيت به طفلاً فإن رمت هجره ... تأبى وأغرّني به ألفة المهد
كما ألفت كفاً البنل والندى ... فأعيا كما أن تمنعا كفّ مستجدي

على أنني أقضي الحقوق بنيتي ... وأبلغ أقصى غاية القرب في بعدي
ويخدمهم قلبي وودّي ومنطقي ... وأبلغ في رعي الدّمام لهم جهدي
فإن أئتما لم تقبلا لي عذرة ... وألزمتماني فيه أكثر من وجدي
فقولوا لطبعي أن يزول فإنه ... يرى لكما حق الموالي على العبد
وقال:

جفاؤك كلّ يوم في مزيد ... وما تفكّ تشمت بي حسودي
فإن يكن الصدود رضاك فاذهب ... فأبني قد وهبتك للصدود
فحسبي منك أن يهواك قلبي ... وحسبك أن أزورك كل عيد
وأهدى إلي صديق له بعض إخوانه تحفة وفيها أفرّاح وباكلاء وباذبحان فقال على لسانه يذكر ذلك:
أبي سيد السادات إلاّ تظرفاً ... وإلاّ وصلاً دائماً وتعطفاً
وساعدني فيه الزمان فخلته ... تحرّج من ظلمي فتاب وأسعفاً
وأهيف لو للغصن بعض قوامه ... تقصّف عاراً أن أسميه أهيفاً
تحنّ غفلات الوشاة فزارنا ... يعرّج عن قصد الطريق تخوفاً
فما باشرت نعلاه موضع خطوة ... من الأرض إلاّ أورثاه تصلّفاً
وتلحظ خديّه العيون فتشتي ... تساقط فوق الأرض ورداً مقطفاً
فقلت أحلم أم خواطر صبوة ... تصوره أم أنشر الله يوسفاً
وفيم تجلّى البلر والشمس لم تغب ... أحاول منها أن تحول وتكسفاً
أما خشيت عنيك عنياً تصيبها ... وغصنك ذا إذ مال أن يتقصفاً
ولم يحذر الواشين من لحظاته ... تقلّب سيفاً بين جفنيه مرهفاً
فقال اشيتاقاً جئتكم وصبايةً ... إليكم وإكراماً لكم وتشوقاً
وليس الفتى من كان ينصف حاضراً ... أخاه، ولكن من إذا غاب أنصفاً
ومرّ فلم أعلم لفرط تحيري ... أطيّر سروراً أم أموت تأسفاً
فيازورة لم تشف قلباً متيماً ... ولكتها زادت غرامي فأضعفاً
فلما تمثّلنا الهدية خلته ... تمثّل فيها بهجة وتظرفاً

ولما مددنا نحوهم أناملأ ... براها الضنى في حبه فتحيفها
إلى باقلاء خيف أن لا تقله ... يداي لما بي من هواه فنصفها
حملنا بأطراف البنات ولم نكد ... بنانا زهاها الحسن أن تتطرفا
وسوداً تروّت بالدهان ويدلت ... بتوريدها لوناً من النار أكلفا
كأفواه زنج تبصر الجلد أسوداً ... وتبصر إن فرّت لجينا مؤلفا
كخلق حبيب خاف إكثار حاسد ... فأظهر صرماً وهو يعتقد الوفا
ومنتزع من وكر أم شيفة ... يعزّ عليها أن يصاد فيعسفا
يغذى غذاء الطفل طال سقامه ... فحنّ عليه والداه ورفرفا
فلما بدت أطراف ريش كأنه ... مبادي نبات غبّ قطر تشرّفا
تكلفه من يرتجي عظم نفعه ... فكان به أحفى وأحنى وأرافا
يزقّ بما يهوي ويعلف ما اشتهى ... ويمنع بعد الشيع أن يتصرّفا
فلما تراءته العيون تعجّباً ... وقيل تناهى بل تعدّي وأسرفا
أراق دماً قد كان قبل يصونه ... كدمعة مضنى القلب روعه الجففا
تضرب حتى خلت أن جناحه ... فؤادي حيناً ثم عوجل وانطففا
فجيء به مثل الأسير تمكّنت ... أعاديه منه بعد حرب فكتّفا
له أخوات مثله ألفت ثنى ... على مثل ما كانا زماناً تألففا
وقال لي الفأل المصيب مبشراً ... كذا أبداً ما عشتما فتألففا
فيا لك من أكل على ذكر من به ... تطيب لنا الديننا تعطف أم جفا
ولم أر قبل اليوم تحفة بعده ... ومن عاشر الحرّ الظريف تطرففا

أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري

نجم جرجان في صنائع الصاحب وندمائه وشعرائه، فسكن دورة صناعة الشعر في ريعان عمره، وعفوان
أمره، وتناول المرمى البعيد بقريب سعيه، وكان في إعطاء المحاسن إياه زمامها كما قيل جذع بين على
المذاكي القرح.

وكان الصاحب يعجب أشد الإعجاب بتناسب وجهه وشعره حسناً، وتشابه روحه وشمائله خفة وظرفاً،
ويصطنعه لنفسه، ويصرفه في الأعمال والسفارات، وعهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي
الحسن في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة يملأ العيون جمالاً، والقلوب كمالاً، وحين انكفاً إلى حضرة الصاحب
وجهه إلى أبي العباس الضبي بأصبهان، وزوده كتاباً بخطه ينطق بحقائق أوصافه وأخباره، وهذه نسخته بعد
الصدر.

أوصافي لمولاي - أدام الله تعالى عزه! - تودع الشوق إليه حبات القلوب كما تملأ له بالحبّة أوساط الصدور. فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل وخصل سابق من خصال العلم، إلا ونار الحنين حشو ثيابه أو يرحل إليه، وينبئ ركائب السير لديه، لا جرم أن جلّ من يحضرنى يطالبني بالإذن له في قصده، ويهتبل غرة الزمان في الخطوة بقربه، نعم وذوو التحصيل إذا حظوا لدي بزلقة، وأحفصوا عروة خدمة، واعتقدوا أنهم إن لم يعتمدوا ظله، ولم يعتلقوا حبله، كانوا كمن حج ولم يعتمر، ودخل ظفار ولم يحمر، إلا أن جميعهم إذا دفعته اندفع، وإذا خدعته انخدع، غير واحد ملط ملحف مشطّ يغريه الرد بالمراجعة، ويغويه المنع للمعاودة، ويقول بملء لسانه إلى أن يسأم، ويقتضي طول زمانه حتى يسأم، وكم جررته على شوك المثل، وقتلته من حزن إلى سهل. وصرفته على إنجاز وعد بوعد، ودفعته من استقبال شهر إلى انسلاخ شهر، ثم خوفته كلب الشتاء أجعل الربيع موعداً، وحذرتة وهج المصيف أعطيه للخريف موتقاً. وكم شغلته بعمالة بعد عمالة، ووفادة بعد وفادة، أريد في كل أن أصدفه عن وجهته، وأصدّه عن عزمته، ليس لغرض أكثر من أن السؤال منه والدفاع مني تساجلا، والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا، فلما خشيت صابته بأصبهان أن يردّها، بل بخدمة مولاي أن يعتقدها، تجتئ على قلبه، أو يتخيف بمس من الجنون ثابت عقله، ألقيت حبله على غاربه، وبردت بالإذن جمرات جوانحه، فإن يقل مولاي من ذا الذي هذا خطبه وهذه خطته؟ أقل من فضله برهان حق، وشعره لسان صدق. ومن أطبق أهل جلدته، على أنه معجزة بلدته. فلا يعد لجرجان بعيداً ولا قريباً أو لأختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله، ومن أخذ برقاب النظم أخذه. وملك رق القوافي ملكه، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره، وقبل أن تحدّثه الآداب، وقيل جري المذكيات غلاب، أبو الحسن الجوهري أيده الله وبنائه عند مولاي منذ حين، وخصوصه بي كالصبح المين، إلا أن لمشاهدة الحاضر، ومعاينة الناظر، مزية لا يستقصيها الخبر، وإن امتد نفسه، وطال رعايته ومرسه، وقد ألفت إلى هذه الفضيلة التي فرع بنيتها، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها، نفاذاً في أدب الخدمة، ومعرفة بحق الندام والعشرة، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة، إنصاتها للمتبوع إلا إذا وجب القول، وإعظاماً للمخدوم إلا إذا خرج الأمر، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة، وحديثاً يسكت به العنادب ويطاول البلابل، فإن اتفق أن يفسح له في الفارسية نظماً ونثراً طفح آذيه. وسال أتيه، فألسنة أهل مصره إلا الأفراد بروق إذا وطئوا أعقاب العجم، وقيود إذا تعاطوا لغات العرب، حتى إن الأديب منهم المقدم، والعليم المسوّم، يتلعنم إذا حاضر بمنطقه كأنه لم يدر من عدنان، ولم يسمع من قحطان، ومن فضول أحيانا أو فضله أنه يدعى الكتابة ويدارس البلاغة، ويمارس الإنشاء، ويهذي فيه ما شاء، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم فوفق التوفيق كله صيانة لنفسه، وأمانة في ودائع لسانه ويده، وإظهاراً لنسك لم أعهد في مسكه. حتّى خرج وسلم على نقده، وإن نقده لشديد لمثله. ومولاي يجريه بحضرته مجرة بحضرتي، فطعامه ومنامه وقعوده وقيامه. إما بين يدي، أو بأقرب المجالس لدي. ولا يقولن هذا أديب وشاعر، أو وافد وزائر. بل يحسبه قد تخفف بين يديه أعواماً وأحقاباً، وقضى في التصريف لديه صباً وشباباً. وهذا إنما يحتاج إلى وسيط وشفيعي ما لم ينشر بزه، ولم يظهر طرزه. وإلا فيسكون بعد شفيع من سواه. ووسيط من عداه. فهناك بحمد الله درقه

وحدقه ووجنة مطرفه، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها. ورفارفها وحواشيها، فليملأ مولاي عينه من منتزهات أصبهان، فعسى طمأحه أن يخفف، وجمأحه أن يقل.

وشريطة أخرى في بابه: وهي أنه ليس موضعاً لماله، فسبيل ما يرزأه أن يكون ما أقام في حجره، وإن أذن له مولاي في العود داخلاً في حضر. فما أكثر ما يباري البرامكة تبرماً بجانب الجمع، وتخرفاً في مذاهب البذل. ونسبة للرياح إلى الإمساك والبخل. فبينما تراه والثروة أقرب وصفيه، حتى تلقاه والحاجة أحد خصميه، وكم تداركت أمره فما ازداد الخرق إلا واسعاً لا يقبل رتقاً، وتهاوناً لا يسع تلافياً، وما كنت مع إبراهيم لأفسح له في الخروج وأمد له طول النهوض مع أنسي الشديد بحضوره، واستمتاع النفس بعقله وجنونه، غير أي أزرتة من ينظر بعيني. ويسمع بأذني، ومن إذا ارتاح للأمر فقد ارتحت، وإذا انشرح صدرًا فقد انشرح.

ونكتة أخرى: وهي واسطة التاج، وفتحة الرتاج. مولاي سمح بماله، مقرب لماله، بخيل بجاهه، ضنين بكلامه. وأبو الحسن لا يقبل العذر، أو يصدق النذر، فيجعل جوده بلسانه، أبلغ من جوده ببنانه. وحقاً اخبر أن قصده الأكثر الارتفاع، لا الانتفاع، غير أي أنبات عن سره. وعن سن بكره، وانقضت الخطبة، والسلام. ولما انقلب من أصبهان إلى جرجان، مسروراً لم تطل به الأيام حتى أصبح مقبوراً.

ملح من مقطوعاته في كل فن قال:

ومغلفٍ بالمسك في خديّه ... سطرًا يشوق العاشقين إليه
ما جاءه أحدٌ ليخطف نظرةً ... إلا تصدّق بالفؤاد عليه
وقال:

من عاصمي يا ابن أبي عاصم ... من لحظك المقتدر الظالم
يا خاتم الحسن أغث مدنفاً ... صارت عليه الأرض كالخاتم
وقال:

يا ليل أفدي أختك البارحة ... ما كان أذكى ريجها الفاتحة
كانت لها خاتمة لو درت ... وجدي بها كانت هي الفاتحة
وقوله:

عشقت وكم من كريمٍ عشق ... وخفت وكم من حسودٍ فرق
لقد سرق اللحظ منك الفؤاد ... خلاصاً، وكم مثل قلبي سرق؟
وقال:

يا حبذا الكأس من يديّ قمرٍ ... يخطر في معرض من الشفق
بدا وعين الدجي حمرةً ... أجفانها من سلافة الفلق
وقال يصف حب الرمان:

وحبّات رمانٍ لطافٍ كأنّها ... شوارد ياقوت لطفن عن الثقب

أشبهها في لونها وصفائها ... بقطرات دمعٍ وردّت من دم القلب
وقال يصف الباذنجان:

وباذنجانٍ حشيت حشاها ... صغار الدرّ بالبن الحليب
تقمصت البنفسج واستقلت ... من الآس الرطيب على قضيب
ولابن الرومي:

إذا أجاد الذي يشبهه ... وأحكم الوصف فيه بالعت
قال كرات الأديم قد حشيت ... بسمسم قمعت بكيمخت
وقال في ليلة راكدة الهواء هب فيها نسيم طيب:
بادر الصهباء فالدهر فرص ... ولقد طاب نسيماً وخلص
أهدت الريح إلينا نسيماً ... جَمَشَ الأرواح منّا وقرص
قكأنّ الكأس لما جليت ... طرب الجوّ عليها فرقص
وإذا خصّ زمانٌ بميّ ... فزمان الورد باللهو أخص
وقال:

وعارض كالبنفسج الغض ... يزهي على صحن سوسن فضيّ
سألت عنه فقيل ذا قمرٌ ... درّع ثوب الظلام للعرض
نظرت فيه فصدّ معتدياً ... وكاد بعضي يصدّ عن بعضي
وقال يستدعي صديقاً له:

عفا الدهر عنّا واستقلّت بنا المني ... وحثّ بنا ربعٌ من الأنس عامر
وضّمت أكفّ الراح شمل عصابةٍ ... وجوههم للزهرات ضرائر
فإن زرتني شوقاً وإلاّ فإنّي ... إذا جدّ جدّ السكر والشوق زائر
وقال في معنى لم يسبق إليه:

ألا يا أيها الملك المعلّى ... أنلني من عطايك الجزيله
لعبدك حرمةٌ والذكر فحشٌ ... فلا تحوج إلى ذكر الوسيله
وقال يهجو من الزجر:

انظر إلى أمر عجيب قد حدث ... أبو تميم وهو شيخٌ لا حدث
قد يحبس الأصلع في بيت الحدث وقال في أبي نصر الكاتب النيسابوري:
إني قصدت أبا نصرٍ بمسألةٍ ... يقلّ وصفي إيّاها عن الكلم

فظلّ يرعد خوفاً من مكالمتي ... وكاد يسقط قرناه على القدم
فقلت نفسك إني وفد مكرمةٍ ... واذهب فإنك في حلٍّ من الكرم
وقال فيه:

حكوا لي عن أبي نصر ... وقد أورد من حَقَّق
بأنَّ الشيخ يستدخل أيرين إذا استحلَّق
فما صدقت حتى قلت للشيخ وقد أطرق
أبحوي الغمد سيفين فقال الشيخ يا أحق
وما تنكر أن يعمل ملاحان في زورق
وقال فيه:

أبو النصر قد أبد ... ع في إبنته بدعنه
حكوا لي أنه يبلع عرض الأير في دفعه
وذا من كاتب شيخ ... عميد مثله شنه
ولولا أنه شيخ ... تركنا عدله فظفه
وخليناه يستدخل خمساً شاء جو سبعة
ومن يحسد طست الشمع يا قوم على الشمعة
غرر من قصائده قال من قصيدة:

يا سقيط الندى على الأقحوان ... شأنك الآن في الصبوح وشاني
أنت أذكرني دموعي وقد صوّ ... بن بين العتاب والهجران
إن يكن للخليج فيك أوان ... بتقضي المنى فهذا أوابي
شجرٌ مدنف وجوٌّ عليلٌ ... وصباحٌ يميل كالنشوان
صاح إنَّ الزمان أقصر عمراً ... أن يراع المنى بصرف الزمان
رق عني الليل فأنهض ... بريقٍ من صوب تلك الدنان
قهوةً عَقَّها النواظر لما ... حسبتها عصارة العقيان
كعصير الحدود في يقق الأو ... جه أو كالدموع في الأجفان
ومن قصيدة في الصاحب يمدحه ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه ويعرض بقوم أساءوا الحضر له
بجرجان:

قليل لمثلي أن يقال تغيراً ... وفارق مخضلاً من العيش أخضرا
زمانٌ كعبي من حبيب نودّه ... إذا مرّ منه أدهرٌ كنَّ أشهراً
يقولون بغداد الذي اشتقت برهةً ... دساكرها والعبقريّ المقيراً
إذا فضّ عنه الختم فاح بنفسجاً ... وأشرق مصباحاً ونورٌ عصفرا
ودجلتها الغناء والزوّ نافضاً ... جناحيه يحكي الطائر المتحدّراً
إذا رفع الملاح جنبيه خلته ... تشقّق من غيظٍ على الماء معجرا
وقمرة روضٍ حسنها وحديثها ... إذا الليل من بدر الزجاجه أقمرا
إذا رقصت حول المثاني بناهما ... ترى كلّ جزء من فؤادك مزهرا

وليلٍ على النجميّ شطت نجومه ... عن العين حتى قيل لن يتصورا
تغور ويديها الظلام كأنّها ... عيون سكارى منتشين من الكرا
عكفنا على صهباء لو مرّت الصبا ... بها لا كتست ثوباً من الحسن أحمر
ندامي كأنّ الدهر يعشق شملهم ... فإن عزموا يوماً على البين أنكرا
أذلك خيرٌ أم بساط توفّة ... ندماك فيها الغول والقهوة السرى
فقلت أما والله لولا ثقاته ... لطال على العدّال أن أتسترا
دعوني ومرو الثعلبية إنّي ... أرض بمرّو الثعلبية عنبر
رعى الله مولانا الوزير ورأيه ... جواداً إلى العلياء لن يتغيّر
يمثّل ديناً بين قلبي وناظري ... فلست أرى شيئاً سواه ولا أرى
لقد طويت عن خطبتي صحف الندى ... وقد كنت عنواناً عليها مسطّراً
تخيّر عيشي بالعراق وهمّي ... بمرجان أبدت دهشةً وتخيّراً
حبجت لعمر الله مكّة معذراً ... وكنت بحجّي ذلك الباب أعذراً
رأى الدهر أنّي ناهضٌ بقوادمي ... فطّيرني من قبل أن أتخيّر
وأبصر أيامي تفتح ناظري ... فأعميني من قشيل أن أتبصر
رويدك لم أهجر علاك وإنما ... بخلت بنفسي أن تملّ وتهجرا

وقدت فكنت النار تأكل نفسها ... وسلت فكنت الماء ينصبّ في الشرا
قدرت على قتلي فاقصد ... وكنت على قتلي بسيفك وأثمرا
وأقسم لو روّيت سيفك من دمي ... لأورق بالودّ الصريح وأثمرا
فكم مدبرٍ بالودّ تلقاه مقبلاً ... وكم مقبلٍ تلقاه بالودّ مدبراً
ومن قصيدة كتبها من دهستان إلى صاحب وهو على بعض ضياعها يصف تبرمه بها وخراب مستغله
بمرجان:

يا ليلةً قصرت فطابت وانقضت ... وأفدت منها ظلمة وضياء
حميت بأنفاسي نجومك فانشت ... يجذبني من برد الصباح رداء
أيديّ ضعفت عن الأعنة فاقنعي ... بالكأس طرفاً والهوى بيداء
لو لم تخن قدمي مقاصد همّي ... لم أرض إلاّ الفرقدين حذاء
نكبتني الأيام في مستحضرٍ ... قد كان سبق عدوه النكباء
أبقى الحفا منه ثلاث قوائم ... مثل الأثافي ما يرمن فناء
ولطالما ترك الرياح هبويه ... حسرى تحال أمامهنّ وراء
هذا وقد أخذت بآفاق المدى ... كفّ الوزير توزّع النعماء
وقد استقل سريره بعلائه ... يستعرض الشعراء والندماء

عيدٌ أنو شروان قال لعظمه ... ضحّوا بأكوابٍ وعقّوا الشاء
يتقرّب الدهقان فيه بينته ... فيزقّها في كأسها حمراء
نسج الزمان من الندى لئنائه ... بيد السحاب غلالةً دكناء
واغبرّ وجه الجوّ ممّا رفرفت ... فيه الغيوم فأشبه الغبراء
وسجا أديم الأرض من برد الضحى ... حتى تراه في الإناء إناء
ونعى الشتاء إليّ يتي إذ رأى ... أعلاه ليس يكفكف الأنداء
وسوارياً لو دبّ فوق متونها ... نملّ هوت من أصلهنّ هباء
وعليّةٍ بليت بلاي وأصبحت ... غرفاتها عن أهلهنّ خلاء
أخشى الرياح إذا جرت من حلولها ... أبداً وأحذر فوقها الأنواء
قولاً لمن ذمّ القوافي وادّعى ... أنّ القريض يهجنّ الرؤساء
ويقول بغياً علّ تصرّف شاعرٌ ... أو نافس العمّال والضمنا
سائل دهشتان العتود بمن يلي ... أعمالها عن حملي الأعباء
هيهات لا تحقر عيون قصائدي ... إني خدمت ببعضها الوزراء
ويها وصلت إلى ابن عبّاد العلا ... وخدمت تلك الحضرة الغراء
ومنى لثمت يديه أو أنشدته ... لم أقتنع بالمشرقين حباء
فراقت بطحاء المكارم عنده ... وثرت أرضاً بعده شعاء
مغنى اللصوص ومنيع الشرّ الذي ... أفنى الرجال وجشّم الأمراء
قوم إذا شبّقوا أتوا أنعامهم ... أو أعلموا باعوا البنات إماء
مثل الثعالب ينبعثن فإن عوى ... ذئب دخلن الأيكة العوصاء
كانوا ذوي ثقي فصرت كأني ... عين تقلّب منهم الأقداء
وولائي عزل إذا لم أعتق ... باب الوزير وتلكم الآلاء

ومن أخرى يصف ضيق ذات يده، وخراب حجرته، وكثرة عياله، ويهنيء الصاحب بينائه الجديد بجرّان:
أهش لأنواء الربيع إذا انبرت ... وأكره أبواء الربيع وأنكر
تظّل جفوني كلّما مرّ بارق ... تطول إلى خيط السماء وتقصر
حذاراً على خاوي الجوانب مائل ... يكاد بأنفاسي عليه يقطر
لدى عرصاتٍ أصبحت غرفاتها ... مناخل أمطارٍ تروح وتبكر
أساطين حكتها السنون كأنّها ... قيام تثت للركوع تكبر
رثي لي أعدائي بها وتطيّرت ... برويتها العين التي لا تطير
يقولون هلاًّ تستجدّ مرمّة ... وحالي منها بالمرمة أجدر

إذا كشفت الأيام وجهه تجملني ... وأظهرت الحال التي أنا مضمّر
فكل مكان للتبدّل موقف ... وكل لباسٍ للتهتّك منزر
ثمانيةٌ يرجون صوب قصائدي ... على أنه من صوب طبعي أنزر
يمدّون أعناق النعام إلى يدي ... وتفتح أفواه السباع وتغفر
إذا رحت عن دار الوزير تبسّطت ... أناملهم نحو الندى تتشمرّ
يرون خطيباً ملء بردي ومطرفي ... يحدث عن آلائه ويخبر
بنيت إلى دنياك دنياً جديدةً ... هي الجنّة العليا وأنت المعمر
معارج مجدٍ واحدٍ فوق واحدٍ ... تعثر فيها فكري وتحير
طرائح عزّ لبنة فوق لبنة ... تربّع في صحن العلا وتدور
بنيت لعمرى سؤدداً لا بنيةً ... وهل سؤدداً إلا بربك يعمر
ومن أخرى:

تنشئ إلى برد النسيم المرفرف ... ييث جوى من قلبه المتشوّف
تنسم أنفاس الضحى بحشاشة ... توقّد من حرّ الغرام وتنطفي
تجافيت إلا عن محاسن قهوة ... أجرّ إليها شملة المتطرّف
دعوا رمقي يستنصر الراح إنّها ... سلاله مجدٍ في غلالة مدنف
ومن أخرى:

زرّ الصباح علينا شملة السحب ... ومدّت الريح منها واهي الطنب
صكّ النسيم فراخ فانزعجت ... ينفضن أجنحةً من عنبر الزغب
لو لم يقل هذا البيت لكان أشعر الناس!
تسعى الجنوب بطرفٍ حولها ثملٍ ... من الندى وفؤادٍ نحوها طرب
ومنها:

كفى العواذل أنّي لا أرى قدحاً ... إلّا شققت عليه جلدة الطرب
إن قيل تاب يقول الغي لم يتب ... أو قيل شاب يقول اللهو لم شب
ومن أخرى:

لو ثار ما اقتدحته النفس من هممي ... لصكّ ناصية الجوزاء ملتها
لو أن ساعدي اليمنى تساعدني ... على سوى الجود صغت الأرض لي ذهباً
يا مسرجاً صهوات الريح منتجعاً ... قرّب خطاك فإن الجود قد قربا
لا تركب البحر إلا بحر مكرمة ... يسقي الفرات ولا يودي بمن ركبا
سكنت روعة حالي بعدما أدّرت ... من اعتراض عوادي فقرها رعبا
فصرت منك أقوى بالغنى سبباً ... وأدعى لحلي في العلا سببا
ومن أخرى في فخر الدولة:

سرير بأحداق النجوم مسمر ... وملك بأعراف السحاب معمّم
تقود صروف الدهر في عرصاته ... جياداً بسلطان السياسة تلجم
يزمّ بفخر الدولة الدهر مدعناً ... ويملك أعناق الخطوب ويخزم
مكارمه في جبهة الدهر غرة ... وسؤدده في غرة الدهر ميسم
ومن أخرى:

الصبح يرمق عن جفون مخمّر ... والليل يرفع من ذيول مشمّر
والجوّ في حجب النسيم كأنّما ... تسعى إليه يد الشمال بمجمر
ريحٌ تمايل بين أنفاس الضحى ... بمسك من ثوبها ومعبر
ملك قتيبه النجوم إذا بدا ... وتحرّج بين مهللٍ ومكبر
يكفي القوافي أنّها بعنايتي ... تحتال بين سريره والمنبر
لو أنّها شعرت بعظم مقامها ... لم تقتنع بعمومة في بحر
ما زال يأمل أن يعود إلى المنى ... شعري بتشريفٍ عليه مزرر
فبعثت منه جوهريات أبت ... أن لا تكون ضرائراً للجوهر
ومن أخرى في أبي العباس الضبي بأصبهان:

إني ملكت عنان الرأي من زمن ... إذا سعت لجدي كان لي قدما
إني أهين جمان الدمع منتشراً ... إذا رأيت جمان العزّ منتظما
أفدي بوجه هرند زندروز وإن ... شربت ماء حياقي عندها شبما
تركت فيه على الجسرين دسكرة ... يشدو بذكرى فيشجي طيرها نغما
محلة ما طرقت الدهر جانبها ... إلا عزمت على دهري كما عزما

أني أحجّ بطاح اللهو آونة ... إذا رأيت محليّ عندها حرما
لم تشني لمع للشيب في لمي ... عن أن ألمّ بأطراف المنى لما
وإنما قدم التوفيق تحملني ... إلى فتى ملء حيزوم العلاهما
ومن أخرى:

إذا ما أدلّ السابقون فإنني ... أدلّ الخدمة المتقادم
وربّ مصلّ سابقٍ بوفائه ... وكم قاعدٍ في نصحه ألف قائم
سأخدمه عمري ويخدم بابه ... إذا متّ عني خادمٌ بعد خادم
ومن أخرى:

قد كان أمسك وحي الشعر مذ قطعت ... يد الحوادث عن نعمائه علقي
فما نظمت لمعنى عقد قافية ... إلا نثرت له عقداً من العرق
وهذه لليال قد سهرت لها ... أروى معالي مولانا على نسق

وقلت حين رأيت الطبع ينسجها ... نسج الربيع حواشي روضه العبق
عسى خطرت ببالٍ فاتسقت ... له فرائد نظمي كلّ متسق
ومن أخرى في يوم ميلاده وتحويل سنه:
يوم تبرجت العلا ... فيه ومزقت الحجب
يوم أتاه المشتري ... بشهاب سعدٍ ملتهب
بساللة المجد الفصيح ... وصفوة المجد الزرب
ملكٌ إذا أدّرع العلا ... فالدهر مسلوب السلب
وإذا تنمر في الخطو ... ب فيا لنارٍ في حطب
وإذا تبسّم للندى ... مطرت سحائبه الذهب
يا غرة الحسب الكريم ... وأين مثلك في الحسب
هذا صباحٌ حليت ... بسعوده عطل الحقب
ميلادك الميمون فيه ... وهو ميلاد الأدب
عرج عليه بمجلس ... ريان من ماء العنب
واضرب عليه سراحاً ... للأنس ممتدّ الطنب
فرخ وعشش في المسرّ ... ة منه وأستأنس وطب
ومن أخرى:

بشعلة الرأي تذكي الباس ... ولذة المجد تنسي لذّة الكس
ما كلّ ما احمّر للعينين منظره ... وردّ، ولا كلّ ما يخضر بالأس
ليت الجهول بطرق المجد يتركه ... ما كلّ غصن له ماء بمياس
لا تنفع المرء في الهيجاء شكته ... حتى يشدّ إليها شكة الباس
كل يشنّج عند السيف جبهته ... ولا هواده عند السيف للراس
الحق أبلج بادٍ لا خفاء به ... والملك أشوس لا يعنو لأنكاس
وليس كلّ ابتسام من أخي كرم ... بشراً، ولا كلّ تقريب يابّاس
ومن أخرى في الأستاذ أبي الحسن بن علي بن القاسم العارض يستدعي منه الشراب:
الدهر مخبره مسكٌ ومنظره ... والروض مطرفه وردّ ومعجزه
والجوّ يفتح جفنًا في محاسنه ... من الندى وأديم الغيث محجره
يسعى الشمال بندٍ في جوانبه ... من النسيم وحرّ الشمس مجمره
طاب الصبوح وكأسي جدّ فارغة ... كأنّها خاتم قد غاب خنصره
أشتاقه ونسيم الورد يعذلني ... أن لست اسكر مهتزاً فأسكره
ومن أخرى في الحسن الحسنى:

لا عتب إن بذلت عيني بما أجد ... فقد بكى لي عوادي لما عهدوا

لو أن لي جسداً يقوى لطقت به ... على العزاء ولكن ليس لي جسد
تبعتهم بدماء كان يمسكه ... تعللي بخيال كلما بعدوا
يا ليلة غمضت عني كواكبها ... ترققي بجفون غمضها رمد
أهوى الصباح وما لي فيه منتصف ... من الظلام ولكن طالما أجد
لو أن لي أمداً في الشوق أبلغه ... صبرت عنك، ولكن ليس لي أمد
بكيت بعد دموعي في الهوى جلدي ... وهل سمعت بياك دمه جلد
تذوب نار فوادي في الهوى جلدي ... وهل سمعت بنار ذوبها برد
قالوا: ألفت رباجي، فقلت لهم: ... الحب أهل، وإدراك المنى ولد
أندى محاسن جي أنه بلد ... طلق النهار، ولكن ليله نكد

إذا استحب بلاد للمعاش بما فحيثما نعمت حالي به بلد
وللمكارم قوم لا خفاء بهم ... هم يعرفون بسيماهم إذا شهدوا
لله معشر صدق كلما تليت ... على الورى سورة من مجدهم سجدوا
ذرية أهرت طه مجدهم ... وهل أتى بأبيهم حين ينتقد
وإن تصنع شعراً في ذوي كرم ... يا ابن النبي فشعري فيك مقتصد
أصبت فيك رشادي غير مجتهد ... وليس كل مصيب فيك مجتهد
بسطت عرض فناء الدهر مكربة ... طرائق الحمد في خافاتها قد
ومن أخرى يصف فيها سقامه وكرهه ويشكو تأخر إخوانه عن عيادته ويخاطب بها أبا الفتح محمد بن صالح
ليعرضها في مجلس الصاحب:

قلت لما تأخر العواد ... أي سقم عليه لا يعاد
ما لكم إخوة الرجاء وما لي ... كل أيامكم نوى وبعد
قد صلدتم عني صدود التعالي ... لسقامي كأن سقمي وداد
إن تجنبتم العدوى فلم لم ... أعدكم بالهوى وسقمي سهاد
ملني مضجعي وعاف نديمي ... مجلسي واجتري جفوني الرقاد
طرز السقم ما كسانيه بالعز فهذا حنف وهذا حداد
لي وشاح من الضنا ونجاد ... ووساد من الأسى ومهاد
قلمي يتقي بناي، وسيفي ... وعناي، ويتقيني الجواد
وتناست يدي مناولة الكأ ... س وسمعي ما ينفر العواد
لو سوى العز نالني مرصتي ... خدمة دونها الشباب المفاد
قد لوانني عن جنة العز سقمي ... ويح نفسي كأن سقمي ارتداد
روضة نورها العلا وغدير ... كل أكنافه ندى معتاد

بعد العرُّ بين عيشي وبينى ... فيياض الزمان عندي سواد
يا أبا الفتح قد تفرّدت عني ... بمنى لا تخصها الأعداد
بلغ المجلس الرفيع سلامي ... واشتياقي وقل سقائك العهد
واجتهد أن تقبل الأرض عني ... حيث لا يستطيعه القوادر
حيث يبدو الوزير في معرض ... الفضل ويهترُ غصنه المياد
وتغنم خير التيسم فيه ... إنَّ بشر السلطان غنم مفاد
ثم قل إنَّ حال خادم مولا ... نا حال يملُّها العوادر
سقمَّ محفَّ وعرَّ كربه ... واختصاصُ بكريةٍ وانفراد
كلُّ عضوٍ منِّي له حسرات ... واشتياق كأنَّ كلِّي فؤاد
ومن أخرى:

قولا لعاذلي جمحت فلم أزد ... إلا لجأاً في الهوى وجماجا
جرح الظلام فبادري بمدامةٍ ... بسطت إليك من العقيق جناحا
صهباء لو طافت بها قمريةٌ ... أذكت عليها ريشها مصباحا
رعت الزمان ربيعته وخريفه ... فأتت تبثُّ الورد والتفاحا

أبو معمر الإسماعيلي

أبو معمر بن أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي

جمع الشرف النفس إلى شرف الطبع، وكرم الأدب إلى كرم النسب واستولى على أمد الفقه في اقتبال
العمر، وحسن تصرفه في الشعر، حتى كتب الصاحب في وصف قصيدة نفذت منه فصلاً من كتاب طويل
إلى أبيه أبي سعيد، وهذه نسخة الفصل.

وبعد فهل أتاك حديث الإعجاب منا، وقد طلعت من أرضك فقرة الفقر، وغرة الغرر، وحديقة الزهر،
وخليفة المطر، تلك حسنة انتشرت عن ضوئك، وغمامة نشأت بنوئك. ونار قدحت بزندك. وصفيحة
فضل طبع على نقدك، وإنها لقصيدة ولدنا أبي معمر، عمره الله تعالى ما اختار، وعمر به الرباع والديار.
خطت بأقدام الإجادة، وقطعت مسافة الإصابة، وسعت إلى كعبة القبول، وحلت حرم الأمن خير الحلول.
تلي وقد تعرت من لباس العمل، وتجردت عن عطف التبذل. فلم تدع منسكاً من البر إلا قصته، ولا
مشعراً من الفضل إلا عمرته. ولا معرفاً من العلم إلى شهادته، ولا محصباً من الفهم إلا حضرته، واجتمعنا
حولها وإنا لأعداد جهة، وفيها واحد يقال إنه أمه، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر. ويعلقون الستائر.
ويحتضنون الملتزم، ويلثمون المستلم. وهذا الكتاب يرد عليكم بالخبر أسرع من اللمح البارق، نعم ومن
اللمع الخاطف، وأخف من سابق الحجيج وإن كان المثل الأعلى لبيت الله العتيق. فأحمد الله إذ قرن فضل

فتاك بفضلك، وجعل فرعك كأصلك، وأنبت غصنك على شجرك، واشتق هلالك من قمرك، وأراك من
ظهرك، ومن يجذو على نجر، ويصل فخره بفخر، ويشيد من بناء الدراية ما أسست، ويسقي من شجر
الرواية ما غرست.

قال مؤلف الكتاب: فمن غرر شعر أبي معمر قوله من قصيدة الصاحب:

ما عهدت القضيبي بالحقف ولا البلر للتّمام استسرا
حبذا الطارق الذي زار وهناً ... فأعاد الظلام إذ زار فجرا
مثل العطف وهو ما نال خمراً ... عطر الحبيب وهو ما مسّ عطرا
والحياء الملمّ بالخذّ منه ... صير في بيدل العين أخرى
ضمّني ضمة الوداع فعاد الشفع منا عند التعاق وترا
وسقاني بفيه خمراً بروداً ... عاد بعد الفراق في القلب جمرًا
ملك طوعه الملوك علاء ... وهو طوع العفاهاً وقدرا
ملك أنهب العروض فأضحى العرض منه على البرية حظرا
ملك لا يرى سوى الحمد مالا ... لا ولا الكنز غير ما جرّ شكرا
فإذا اخل حلّ حلّ غماماً ... وإذا النقع ثار ثار هزبرا
وإذا ما أفاد نخل كعباً ... وإذا ما أفات فنه عمرا
وإذا ما سطا تطاول جهراً ... وإذا ما حبا تطوّل سراً
وقوله من قصيدة في وصف الثلج:

لك الخير من سار معانٍ على السرى ... نصبنا قرى الأرض الفضاء له قرى
أجاز الدجى حتى أناخ إلى الضحى ... قلائصه غرّ الشواكل والنرى
فرحنا وقد بات السماء مع الثرى ... وغاب أديم الأرض عنّا فما يرى
كأنّ غيوم الجوّ صوّاغ فضّة ... تواصلوا برد الحلي عمداً إلى الورى
وللقطر نفحات تصوب خلالها ... كصوب دلاء البئر أسلمها العرى
لقد عم إحسان الشتاء وبرده ... بلى خصّ أرباب الدساكر والقرى
وقوله من الرجز:

وليلةٍ من الليالي القاسية ... مدّت ظلاماً كالجبال الراسية
فغادرت كلّ الورى سواسيه ... البيض دهماً والعراة كاسيه
لبستها والصبر من لباسيه ... بهمةٍ على الأسى مواسيه
ونبعة صليبة لا جاسيه ... حتى شممت الصبح في أنفاسيه
فالصبر صبر النفس لا عن ناسيه

وكتب إليه بعض العصريين من أهل نيسابور:

يا فريداً في المجد غير مشارك ... عزّ باريك في الورى وتبارك

يا أبا معمر عمرت ولا زَا ... لت سعود الأفلاك تعمّر دارك
يا هلال الأنام قد كتب الأيام في دفتر العلا آثارك
ولسان الزمان يدرس في كلّ مكانٍ على الورى أخبارك
سيدي أنت من يشقُّ غبارك ... بأيّ أنت من يروم فخارك
أنت من فيه خالق الخلق بارك ... وحبّاك العلا وزكّي نجارك
ما ترى في مناسبٍ في الآ ... داب قد صار دأبه تذكارك
شوَّقته إليك أوصافك الغرُّ فجاب البلاد حتى زارك
هل تراه لديك أهلاً لأن تمنحه يا أخا العلا إيثارك

فهو ضيفٌ قرأه أنفُس علق ... فاقره الودَّ واسقه أشعارك
وتملّ الزمان في ظلّ عيشٍ ... مثمرٍ لا يملُّ قطُّ جوارك
فأجابه بهذه الأبيات:

زارك الغيث وانتحي القطر دارك ... كلّما التفَّ صوبه وتدارك
فلها من نداك ديمة فضلٍ ... طبقتها فأظهرت آثارك
ولها من علاك شمسٌ حوتها ... فهي تجلو على الورى أنوارك
وبها منك للعلوم بحارٌ ... جاورتها فمن يخوض بحارك
يا قريباً في البرّ ما يتجافى ... وبعيداً إلى مدى لا يشارك
وبديعاً ملء الصفات فلو رمت فخاراً لما حصرت فخارك
جاءنا نظمك البديع فقلنا الروض إمّا أعترته أو أعارك
هو روض أطاعك الحسن فيه ... فأطاع الإحسان فيه اختيارك
وسطا بالبيض خطُّك حتى مدَّ ليلاً وما خلعت نهارك
وتناهيت في الخطابة حتى ... عجز القرن أن يشقَّ غبارك
راعاه شأوك البعيد ومن يجري ويجري إذا رأى مضمارك
فانثني جامد القريحة يستشعر أنّ الأشعار باتت شعارك
يا كريماً ضمّت عليه المعالي ... فادّرعها واشدد بها آزارك
قد أتاك الشناء وهو أيّ ... ذاك ثمّا منحته إيثارك
فاصحب الفخر وامض في الخير قدماً ... واقض في طاعة الندى أوطارك

القاضي الجرجاني

القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني

صدر كثير الفضل. جم المناقب، جزل الأدب، فصيح القلم، حريص على اقتناء الكتب. وله يقول
الصاحب وقد اعتل:

تشكّي الفضل من سقمٍ عراه ... فإن الفضل أجمع من أنينه
وعاد يعقوتي يشكو جواه ... كما يحنو القرين على قرينه
فقلت له وقاك الله فيه ... فإن السعد يطلع من جبينه
هو العين التي أبصرت منها ... وصار سواد عيني في جفونه
ستفديهِ يميني لا شمالي ... فعين المرء خيرٌ من يمينه
وكان ولاه جرجان: فلما انقضت أيام الصاحب وعاد الأمير شمس المعالي من خراسان إلى مملكته ولاه قضاء
قضاته مضافاً إلى رئاسة جرجان، وله شعر ينطق به لسان فضله، كقوله من قصيدة في الأمير شمس المعالي من
الخييف:

سنة أقبلت مع الإقبال ... وزمانٌ من الميامن حالي
رُفرت فوقنا سحائب نعى ... مطرتنا السرور في كلِّ حال
حسبي الله في الأمور نصيراً ... ثم حسبي الأمير شمس المعالي
قد رآه خليفة الله في الأر ... ض فريداً فقال للإقبال
ما رأينا له مثلاً وهذا ... لقبٌ مثله فقيد المثال
عانق اللفظ وفق معناه فانظر ... كيف أنس الأشكال بالأشكال
ولدا توأمين كالجسم والرو ... ح بعيدين من سماء المنال
ومعالٍ مشتقة من معانٍ ... ومعانٍ مشتقة من معالي
لم ينل من جداه مثل الذي نلت ولا قيل في علاه مقالي
ويشيع الذي يشيد من المحج ... د وقولي يسير كالأمثال
لي من شبيه ضياعي وأفرا ... سي ودوري وأعبدني وبغالي
حرس الله ملكه ووقاه ... في بقاء يطيب بالإمهال
سايِس الملك سالم النفس طلق العيش مستوفياً شروط الكمال

ابوالقاسم العلوي الأطروش

من نازلي إستراباذ، وأفاضل العلوية، وأعيان أهل الأدب، كتب إلى القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز
رقعة تشمل على النظم والنثر، نسختها:

الشيخ أدام الله عزه من مودته ما لا أزال أحرص عليه، وأفادني حظاً كثرت المنافسة مني فيه، إذ هو الأوحَد
الذي لا يجاري إلى غاية طول وكرم طبع. وإن من اعتلق منه سبباً واستفاد منه ودّاً، فقد أحرز الغنيمة
الباردة، وفاز بالخير والسعادة، ورجوت أن تكون الحال بيننا زائدة، إذ محله عندي الخُل الذي لا يتقدمه فيه

أحد، وشغل قلبي بانقباضه عني مع الثقة الوكيدة بأني مغمور اخل عنده، موفور الحظ من رأيه وعنايته، لا أعدمني الله النعمة ببقائه ودوام سلامته، وأهضني بالحق في شكره، وما هو إلا قصر النفس على تطلب محمدته والسعي بما إلى مرضاته. وقد كتبت في هذه الرقعة أبياتاً، مع قلة بضاعتي في الشعر، وكثرة معرفتي بأن من أهجي إليه الشعر الجيد المطمع الممتنع، المصوب في قلبه، فكمن حمل التمر إلى هجر، والقضب إلى اليمن، وهي هذه:

يا وافر العلم والإنعام والمنن ... ووافر العرض غير الشحم والسمن
لقد تذكرت شعر الموصليّ لما ... سمعت من لفظك العاري عن الدرن
يا سرحة الماء قد سدّت موارده ... أما إليك طريقاً يا أبا الحسن
إني رأيتك أعلى الناس منزلةً ... في العلم والشعر والآراء والظن
فاسمع شكاة ودودٍ ذي محافظةٍ ... يعفي المودة عن السرّ والعلن
لقد نمتك ثقيفاً يا عليّ إلى ... مجد سيبقى على الأيام والزمن
مجدّ لو أنّ رسول الله شاهده ... لقال إيه أبا إسحاق للفتن
صلى الإله على المختار من رجلٍ ... ما نحت الورق فوق الأيك والفن
فإن وقع فيها خطل أو زلل فعلى الشيخ اعتماد في إقالة العثرة وصرف الأمر إلى الجميل الذي يوازي فضله
ويشاكل نبهه. لأني كنت من قبل أهدي البيت والبيتين إلى الإخوان، وبعد العهد به الآن. فإن رأى - اراه الله محابه! - أن يتأمل ما خاطبته به فعل إن شاء الله.
وأنشدت له في بعض رؤساء جرجان:
خليليّ فرّاً من الدهخذا ... خذا خذراً من وداده خذا
يكنّى بسعدٍ، ونحساً خذا ... وكلّ الخلاق منه كذا

ابو نصر عبد الله بن البجلي الإسترابادي

أنشدني أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتيبي قال: وجد بخط البجلي هذه الأبيات من قصيدة في الأمير شمس المعالي:

لله شمسان تذكيرٌ خيرهما ... وللمؤنثة النقصان ملترم
أزرى بتلك سنّاً من غير معرفةٍ ... فيها، وزين هذا المجد والكرم
يا أيّها الملك الميمون طائره ... وخير من في الورى يمشي به قدم
لو كنت من قبل ترعانا وتحرسنا ... لما تهدى إلينا الشيب والهزم
وأنشدني له غيره:
دمعي يفيض ولا يفيض كائماً ... من ماء ذاك الوجه جاد بمده
وأرى فوادي فوق جهرٍ محرقٍ ... فكأته من فوق حمرة خده

وجهٌ أعار الصبح من مبيضته ... شعرٌ أعار الليل من مسودته
وكانٌ وجنته اكتست من وصله ... وكأنما الصدغ اكتسى من صده

فصل في ذكر شعراء طبرستان

أبو العلاء السبروي

واحد طبرستان أدباً وفضلاً، ونظماً ونثراً، وقد تقدم ذكره فيما جمعه وابن العميد من مشاكلة الأدب، وما كان يجري بينهما من المساجلة في المكاتبة، وله كتب وشعر سائر مشهور كثير الظرف والملح، فمنها قوله:
مررنا على الروض الذي قد تبسّمت ... ذراه وأوداج الأبارق تسفك
فلم نر شيئاً كان أحسن منظراً ... من الروض يجري دمه وهو يضحك
وقوله من قصيدة:

أما ترى قضب الأشجار قد لبست ... أنوارها تتشّى بين جلالس
منظومة كسموط الدرّ لابسّة ... حسناً يبيح دم العنقود للحاسي
وغرّدت خطباء الطير ساجعةً ... على منابر من وردٍ ومن آس
وقوله في النرجس:

حيّ الربيع فقد حيّاً بأكور ... من نرجسٍ بهاء الحسن مذكور
كأنما جفنه بالغنج منفتحاً ... كأسٌ من التبر في منديل كافور
وقوله في التفاح:

وتفاحية قد همت وجداً بظرفها ... فما شعر ذي حذق يحيط بوصفها
أشبهه بالمعشوق حمرة نصفها ... وبالعاشق المهجور صفرة نصفها
وقوله في الغزل:

ومعشّق الحركات تحسب نصفه ... لولا التمنطق بائناً من نصفه
يسعى إليك بكأسه فكأنما ... يسعى إليك بخدّه في كفه
يا من يسلم خصره من ردفه ... سلّم فؤاد محبّه من طرفه
ومن قصيدة من الرجز:

ذو طرّة كأنما ركّب في ... صفيحة الفضة شباك سيج
وعارض كالماء في رفته ... تزهّر فيه وجنة ذات وهج
كأنما نساج ديباجته ... من ورق النسرین والورد نسج
وقال:

نبا قلبه من شغل قلبي بغيره ... فقلّت: رويداً إنّما أنت أوّل

فقال: دع العذر الضعيف فليس من ... يوَلِّي على أمرٍ كمن عنه يعزل
وقوله من قصيدة:

حيّ شيئا أتى لغير رحيل ... وشباباً مضى لغير إياب
أيّ شيء يكون أحسن من عا ... ج مشيب في آبنوس شباب
وكتب إليه شاعر غريب يشكو إليه حجابهُ أحياناً أولها:
جئت إلى الباب مراراً فما ... إن زرت إلاّ قيل لي قد ركب
وكان في الواجب يا سيدي ... أن لا ترى عن مثلنا تحتجب
فأجابه على ظهر رقعته:

ليس احتجابي عنك من جفوة ... وغفلة عن حرمة المغترب
لكن لدهرٍ نكدٍ خائنٍ ... مقصّرٍ بالحرّ عمّا يجب
وكتبت لا أحجب عن زائرٍ ... فالآن من ظليّ قد أحجب
ومن سائر شعره قوله في غلام سكران:

بالورد في وجنتيك من لطمك؟ ... ومن سقاك المدام لم ظلمك؟
خلّاك ما تستفيق من سكر ... توسع شتماً وجفوةً خلمك
مشوّش الصدغ قد ثملت فما ... تمنع من لثم عاشقك فمك
تجرّ فضل الرداء منخلع النع ... لين قد لوّث الثرى قلمك
أطلّ من حيرةٍ ومن دهشٍ ... أقول لما رأيت مبتسمك
بالله يا أقحوان مبسمه ... على قضيب العقيق من نظمك

أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري

شاعر مفلق، محسن مبدع، ممتد الأوصاح والغرر في شعر الصاحب، وهو القاتل من قصيدته فيه، أولها:
الدمع يعرب ما لا يعرب الكلم ... والدمع عدلٌ وبعض القوم متّهم
أمّا يد الصاحب اليمنى فأكرم ما ... يدّ تصاحب فيها السيف والقلم
وللأعنة يسري في أنملها ... أعنة الرزق والآجال تتنظم
تخالف الناس إلاّ في محبته ... كأثما بينهم في حبه رحم
ومنها في وصف أفراس قيدت إليه من فارس:
زارتك من فارس الغنّاء ناشرة ... أعرافها قائداتها العتق والكرم
كأنّ أعينها ولّين أرجلها ... فالعين آمرة والرجل ترسم
من كلّ أشهب لم تكحل بشهته ... عينا فتى فدرى ما الظلم والظلم
ومن أغرّ يراع العاشقون له ... كأنّ غرّته نغرّ ومبتسم
وكلّ أدهم عمّت جسمه شيةً ... كجدّ قوم بغوك الشرّ فاضلموا

ومنها في وصف الخلعة والسيف:

وخلعةٍ تأسر الأحداق مخملةً ... بالنور للشمس من لألائها سقم
وصارمٍ لم يودّع قطّ مضجعه ... إلّا وقد ودّعت أعناقها القمم
كالكوكب الفرد لكن إن رجعت به ... شيطان حرب طوت أوصاله الرّجم
يلقى السيوف بوجهٍ مثل وجهك لم ... يطلع من الغمد إلّا قيل يتسم
ومنها قوله في وصف السكين والدواة والأقلام:

ومطفلٍ من بنات الزنج مرضعةٍ ... من لم تلده ولم يخلق لها رحم
حتى إذا وضعت عادت أجنتها ... إلى حشاها فلا طلق ولا وحم
أعجب لأطفالها تبكي عيونهم ... إن أرضعتهم ولا يكون إن فطموا

ألآف منروبة إن تابعت لهم ... في الذبح صحوا وإن أعفّتهم سقموا
ومنها في وصف الدست

وروضةٍ لم تولّ السحب صنعتها ... ولم تحطّ بها أثقالها الدّم
ترنو العيون إليها والشفاه فيجنين ... العلا وهي إلّا منهما حرم
تفتّر عن شبل عباد ولا عجب ... فالأسد تفتّر عنها الروض والأجم
ومن أخرى:

بدويةٍ ضربت على حجراتها ... أيدي العريب من القنا أسداداً
مّن يعد الوحش أهلاً والفلا ... وطناً وأكباد الأعادي زادا
قالت وقد صبّت عليّ ذراعها ... فتمكّنت فوق النجاد نجادا
أوهي قناتك بعدنا حمل القنا ... فطلفت تحمل منأدا
يا هذه منن الوزير جفونه ... وإذا شكوت إليه عاد فرادا
صابت عليّ يمينه فكأثما ... صابت عليّ يمينه حسّادا
فالعزّ ضيف لا يراه برعه ... من لا يرى بذل التلاد تلادا
والجود أعلى كعب وكعب قبلنا ... فمضى جواداً يوم مات جوادا
أغرّت يمين ابن الأمين وفيضها ... بفنائها الورّاد والروادا
ودعت بني الآمال من أوطانهم ... فاستوطنوا الأكوار والأقنادا
ومن قصيدة في أبي علي الحسن بن أحمد:

لأخت بني نمير في فؤادي ... صدىً أعيّا على الماء النمير
ليالي كان عصيان المشير ... ألذّ لديّ من رأي مشور
وينظمنا العناق ولا رقيب ... يروّعنا سوى القمر المنير
وغشتني بمثل الكرم وحف ... وبت أعلّ من أشهى الخمور

ولا كرم سوى شعر أثيث ... ولا خمر سوى خمر الثغور
أروضتنا سقاك الله هل لي ... إلى أفياء دوحك من مصير
غنينا في ذراك على غناء ... يوافق رجعه سج الطيور
وكم في فرع أثلك من صفير ... وكم في أصل أثلك من زفير
وأحشاء تؤلفها الحشايا ... كتأليف العقود على النحور
وشدو ترقص الأعضاء منه ... ويم لا يملّ عراك زير
فيا لك روضة راحت فراحت ... رضى الأبصار من نور و نور
أطاعتها عيون الغيث حتى ... جزقها الشكر السنة الشكور
كسون ظهورها ما تكتسيه ... بطون الصحف من فكر الوزير
إذا الحسن بن أحمد زفّ خيلاً ... يلفّ بها السهول على الوعور
عرانس تحمل الفرسان شوساً ... كعقبان تمطى بالصقور
فقل في حومة تعطى بنيتها ... ببيض الهند بيضات الخدور
أولئك معشر لهم نفوس ... تكلفهم جسيمات الأمور
شعاب انجد سابلة عليهم ... ومن ينهى الشعاب عن البحور
ومن أخرى:

لله ما جمعت على عشاقها ... تلك العيون ولحظها السّحار
فصفاحها أحداقها ورماحها ... ألحاظها وطعناها الآثار
وحراهما في حربها خبّها ... أهدابها وشفارها الأشفار
سارت أمامة فيك سيرة أهلها ... في كلّ من نمت عليه نار
قوم إذا ابتسم الصباح أغاروا ... في كلّ حيّ أنجدوا أم غاروا
يا هذه هلاًّ علقت فعالمهم ... فيمن عنوا بجواره فأجاروا
لن يستجيب خمارها خبّها ... حتى يخاض إلى الخمار غمار
بكرت يشيعها القنا الخطار ... وتعيث في طلابها الأخطار
قالوا سيوجدك الربيع صفاتها ... فلحسنه من حسننها تذكار
فوجدت حبي مكرهاً في فعله ... وكلاهما في فعله مكار
بيكي ويضحك والدموع غزيرة ... ويبين في استغرابه استعبار
فكأنّه هي إذ تفيض دموعها ... بين البكاء والضحك حين تغار

عبرت بما علقتنه من أنفاسها ... ساعاته فكأنّها أسحار
وتبلّجت آصاله وتبرجت ... فكأنّما أبكاره الأبكار
أنظر إلى النوروز كيف تسوقه ... سحب كأجفان المحبّ غزار

سحب متى سحبت على هام الرّبي ... أذيلها فغبارها الأمطار
فالأرض أرض والسماء كأنّها ... روض ولكن زهرها الأزهار
ومصرعّين من الخمار وما بهم ... غير السرور على السرور خمار
جمحوا على الفلك المدار فكأسهم ... فلك بما قهوي النفوس مدار
ولأهم الأستاذ مولانا المنى ... فترشفوا من عيشهم ما اختاروا
يا دولة الحسن بن أحمد خيمي ... ما طارد الليل البهيم نهار
ومنها في وصف القلم:

لما زمت الدهر عن أفعاله ... فله بأثناء الزّمام عثار
حملت عب الدهر أظمى مخطفاً ... تعنو له الأسماع والأبصار
وسيرت غور الدين والدينا به ... فكأنه من ضمير مسبار
أعجب به يجري على يافوخه ... رهواً وتجري تحته الأقدار
فكأنه الفلك المدار بعينه ... وسعوده ونحوسه أطوار
جمعته والرمح الأصمّ ولادة ... وله من السيف الصقيل غرار
وله من أخرى في أبي العباس الضبي:
وإني وأفواف القريض أحوكها ... لأشعر من حاك القريض وأقدرا
كما تضرب الأمثال وهي كثيرة ... بمستبضع قمرأ إلى أهل خير
ولكنني أملت عندك مطلباً ... أنكبه عمّن ورائي من الوري
ألم تر أنّ ابن الأمير أجارني ... ولم يرض من أذرائه لي سوى النري
وأوطاني الشعري بشعري منعماً ... ليفطمني عن خلق السير والسري
ولي أمل شدّت قواي عداته ... ثلاثة أعوام تباعاً وأشهر
عدا الدهر عنه كي يفوز بشكره ... فكن عند ظني شافعاً ومذكراً
ومن أخرى:

أصبحة النبروز خير صبيحة ... حييت بها الأنواء والأنوار
فبكلّ شعب روضة معطار ... تفتّر عنها ديمة مدرار
ماست بها الأفنان في أسحارها ... نشوى فماست تحتها الأشجار
وتبرّجت أزهارها وتبلّجت ... فكأنما أزهارها أبصار
وتحدّثت عنها الرياض كأنما ... بين الرياض، ولا سرار وسرار
وعصابة للروض من قسماقم ... روض ومن أنوارهم نوار
يتذاكرون على علاك فتلتقي الكاسات ... والأوتار والأشعار
؟؟؟؟؟ أبو هاشم العلوي الطبري هو الذي يقول فيه صاحب:
إنّ أبا هاشم يد الشرف ... مادحه آمن من السرف

حلّ من الجند في أواسطه ... وخلف العالمين في طرف

وأبو هاشم هو القائل:

وإذا الكريم نبت به أيامه ... لم ينتعش إلا بعون كريم

فأعن على الخطب العظيم فائماً ... يرجى الكريم لدفع كلّ عظيم

وكتب إليه صاحب، وقد اعتل:

أبا هاشم

ما لي أراك عليلاً ... ترقّ بنفس المكرمات قليلاً

لترفع عن قلب النبي حزاةً ... وتدفع عن صدر الوصي غليلاً

فلو كان من بعد النبيين معجزاً ... لكنت على صدق النبي دليلاً

وكتب أبو هاشم إلى صاحب:

دعوت إله الناس شهراً مجرماً ... ليدفع سقم صاحب المتفضل

إلى بلدي أو مهجتي فاستجاب لي ... فها أنا مولانا من القسم ممّلي

فشكراً لربي حين حوّل سقمه ... إليّ وعافاه ببرء معجل

وأسأل ربي أن يديم علاقه ... فليس سواه مفرع لبني علي

فأجابه صاحب:

أبا هاشم لم أرض هاتيك دعوة ... وإن صدرت عن مخلص متطول

فلا عيش لي حتّى تدوم مسلماً ... وصرف الليالي عن ذراك بمعزل

فإن نزلت يوماً بجسمك علةً ... وحاشاك فيها يا علاء بني علي

فناد بها في الحال غير مؤخر ... إلى جسم إسماعيل دوني تحوّل

وأطال الله بقاء مولاي الشريف ما علمت، ولو علمت لعدت. أغناه الله بحسن العادة عن العيادة، وهو

حسي.

ولأبي هاشم في فخر الدولة:

يا فلک الأرض وبحر الوری ... وشمس ملک ما لها من مغيب

دعوت مولاک نبیل المنی ... وقد أجاب الله وهو المجيب

فقال خذ ما شئت مستولياً ... ودبر الدينا برأي مصيب

يا من كتبنا فوق أعلامه ... نصر من الله وفتح قريب

الباب العاشر

في ذكر الأمير السيد

شمس المعالي قابوس بن وشكير

وإيراد نبذ مما أسفر عنه طبع مجده، وألقاه بحر علمه، على لسان فضله. أختتم بها الجزء الثالث من كتابي هذا، بذكر خاتم الملوك، وغرة الزمان، ونبوع العدل والإحسان، ومن جمع الله له إلى عزة الملك بسطة العلم، وإلى فصل الحكمة نفاذ الحكم. فأوصافه لا تدرك بالعبارات، ولا تدخل تحت العرف والعادات. وإلى أن أعمل كتاباً في أخباره وسيره، وذكر خصائصه وآثره، التي تفرد بها عن ملوك عصره. فإني أتوج هذا الكتاب بلمع من ثمار بلاغته التي هي أقل محاسنه وآثره. وأكتب فصلاً من عالي نشره، مخومة ببعض ما ينسب إليه من شريف نظمه.

ما يجري مجرى الأمثال من كلامه

الكرم إذا وعد لم يخلف، وإذا تمض لفضيلة لم يقف الرجاء كنوز في كمام، والوفاء كنوز في ظلام، ولا بد للنور أن يتفتح، وللنور أن يتوضح العفو عن الجرم من مواجب الكرم، وقبول المذرة من محاسن الشيم بزند الشفيق توری القداح، ومن كف المفيض ينتظر فوز القداح الوسائل أقدام ذوي الحاجات، والشفاعات مفاتيح الطلبات من أقعدته نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرامين ألبسه الليل ثوب ظلمائه، نزع عنه النهار بضائه قوة الجناح بالقوادم والخوافي، وعمل الرماح بالأسنة والعوالي اقتناء المناقب، باحتمال المتاعب، وإحراز الذكر الجميل، بالسعي في الخطب الجليل الدينار دار تغير وخداع، وملتقى ساعة لوداع، وأهلها متصرفون بين ورد وصدر، وصائرون خبراً بعد أثر غاية كل متحرك سكون. ونهاية كل متكون أن لا يكون، وآخر الأحياء فناء، والجزع على الأموات عناء، وإذا كان ذلك كذلك، فلم التهالك على هالكحشو هذا الدهر أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم إذا سمح الدهر بالحياء، فأبشر يوشك الانقضاء، وإذا أعار، فاحسبه قد أعار للدهر طعمان حلو ومر، وللأيام صرفان عسر ويسر، والخلق معروض على طوريه، مقسوم الأحوال بين دوريه لكل شيء غاية ومنتهى، وانقطاع وإن بعد المدى ترك الجواب، داعية الارتباب، والحاجة في الاقتضاء، كسوف في وجه الرجاء هم المنتظر للجواب ثقيل، والمدى فيه وإن كان قصيراً طويلاً النجيب إذا جرى لم يشق غباره، والشهاب إذا سرى لم تلحق آثاره، من أين للضباب، صوت السحاب، وللغراب هوى العقاب هيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء، ويصير البدر كالشمس في الضياء كل غم إلى انحسار، وكل عال إلى انحدار.

فصل - يستحسن الشيخ أن يخرس عنه ألسنة الحمد، وتلتوي عليه حواجب الجحد، فقد احتجب صبح ذلك الأمر. وصار مطلوباً في ليلة القدر فإن كان أنزله من قلبه ناحية النسيان. وباع جليل الريح به في سوق الخسران فيستحي له فضله من فعله، وكفى به نائباً عني في عدله، وإن كان لعذر دعاه إلى التواني، فقد أربي ذلك على سير السواني وكلا فإن كرمه يراوده عن أشرف الخصال، ويأبى له إلا محاسن الأفعال.

فصل - عاد فلان وقد علته بشاشة النجاح، ودبت فيه نشوة الارتياح، تلوح مسرة اليسر على جبينه، وتصيح بانقضاء العسر أسرة يمينه.

فصل – وأما إعجاب ذلك الفاضل بالفضول التي عرضتها عليه، فلم يكن على ما أحسبه إلا لحظة واحدة وهي أنه وجد فناً في غير أهله فاستغربه، وفرعاً في غير أصله فاستبدعه. وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق. ولكنك فيما أقدمت عليه من بسط اللسان بحضرته، وإرخاء العنان فيه بمشهدك كنت كمن صالت بوقاحتها الحجر، وحاسن بقباحته القمر. ولا كلام فيما مضى، ولا عتب فيما اتفق.

فصل – وجرى توقيع له قبيح بمن تسمو همته، إلى قصد من تغلو عنده قيمته، أن تكون على غيره عرجته، أو إلى سوى بيته زيارته وحجته.

ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر، قال:

قل للذي بصروف الدهر غَيْرنا ... هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ... ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عدد ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر
كأنه ألم فيها بقول ابن الرومي:

دهر علا قدر الوضيع به ... وترى الشريف يحطّه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤة ... سفلاً، وتعلو فوقه جيفه
ومثله:

بالله لا تنهضي يادولة السفلى ... وقصري فضل ما أرحيت من طول
أسرفت فاقتدي جاوزت فانصرفي ... عن التهور ثم أمشي على مهل
مخدّومون ولم تخدم أوائلهم ... مخولون وكانوا أُرذل الخول
وينسب له هذان البيتان، وقد يغنى بهما:

خطرات ذكرك تستثير مودّي ... فأحسن منها في القواد ديبا
لا عضولي إلا وفيه صباية ... فكأنّ أعضائي خلقت قلوباً

هذا آخر القسم الثالث من كتاب يتيمة الدهر، في محاسن أهل العصر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى، ويليه القسم الرابع في محاسن أهل خراسان وما رواء النهر نسأل الله تعالى أن يعين على إكماله بمنه وفضله

القسم الرابع

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر

من إنشاء الدولة السامانية والغزينة والطائين على الحضرة ببخاري من

الآفاق والمتصرفين على أعمالها وما يستظرف من أخبارهم وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطائرين عليها والمقيمين بها

قال مؤلف الكتاب: لما كان أول كتاب مرثناً بآخره، وصدره موقوفاً على عجزه، ولم تكد تحصل تمام الفائدة في فاتحته وواسطته، إلا عند الفراغ من خاتمته، واستعنت الله تعالى على عمل هذا الرابع الرابع منه، وأخرجته في عشرة أبواب، والله سبحانه الموفق للصواب.

الباب الأول

أخبار وأشعار السابقين قريبي العهد

في إيراد محاسن وظرف من أخبار وأشعار قوم سبقوا أهل عصرنا هذا قليلاً وتقدموهم يسيراً، ومن أبناء الدولة السامانية، وإنشاء الحضرة البخارية، وسائر شعراء خراسان الذين هم - مع قرب العهد في حكم أهل العصر.

أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب

أبوه أبو بكر بن حامد كان كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد، ووزير الأمير أحمد بن إسماعيل قبل أبي عبد الله الجبهاني الكبير، وكان أبو أحمد ريب النعمة، وغذي الدولة، وسليل الرياسة، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر وحذا في قرض الشعر حذو أهل العراق، وسار كلامه في الآفاق، وهو القائل: لا تعجب من عراقي رأيت له ... بحراً من العلم أو كتراً من الأدب
وأعجب لمن ببلاد الجهل منشؤه ... إن كان يفرق بين الرأس والذنب
وكان يجري في طريق ابن بسام، ويقفو أثره في عبث اللسان، وشكوى الزمان، واستزادة السلطان، وهجاء السادة والإخوان، ويتشبه به في أكثر الأحوال، وكان ابن بسام هجا أباه وأخاه حتى قيل فيه:
من كان يهجو علياً ... فشعره قد هجاه

لو أنه لأبيه ... ما كان يهجو أباه

فضرب أبو أحمد على قلبه، ونسج على منواله، حتى قال في أبيه:

لي والد متحامل ... من غير ما جرم عملته

إن لم يكن أشنى إليّ ... من المنون فلا عدمته

وقال في أخيه منصور:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن ... أبي قد كان يذر في السباخ

تجاريني فلا تجري كجري ... وهل تجري البيادق كالرخاخ

وكان يرى نفسه أحق بالوزارة من الجبهاني والبلغمي لما له فيها من الوراثه مع التبريز في الأدب والكتابة، ولا يزال يطعن عليهما ويصرح بهجائهما، ولا يوفيهما حق الخدمة والحشمة، حتى أوحشاه وأخافاه فذهب

مغاضباً ولجّ وحجّ. ثم أقام ببغداد برهة وحنّ إلى وطنه فعاود بخاري، وحين حصل بقربة يقال لها آمل قال فأحسن:

قطعت من آمل المفازة ... قطعاً به آمل المفازة

ولم ير ببخاري غير ما يكره من إعراض الأمير، واستخفاف الوزير. فلزم منزله، واشتغل باتخاذ الندماء، وعقد مجالس الأنس، والجري في ميدان العزف والقصف، وجعل يتخرق في تبذير ماله، حتى رقت حاشية حاله. وكان مولعاً بشعر العطوي حافظاً لديوانه، مقدماً على نظرائه، كثير المحاضرة بأمثاله وغرره في مخاطبته ومكاتباته، فلقب بالعطوي، وفيه يقول أبو منصور العبدوني وكان من ندمائه مع أبي الطيب الطاهري والمصعبي:

أبا أحمد ضيَّعت بالخرق نعمة ... أفادكها السلطان والأبوان
فقد صرت مهتوك الجوانب كلّها ... ولقيت للإدبار بالعطواني
وأفكرت في عود إلى ما أضعته ... وقد حيل بين العير والتروان
فرايك في الإدبار رأي أخذته ... وعلمته من مشية السرطان

ثم إنه تقلد أعمال هراة وبوشنج و بادغيث، فشخص إلى رأس عمله واستخلف عليه أباطلحة قسورة بن محمد واصطنعه ونوه به حتى صار بعده من رؤساء العمال بخراسان، وكان قسورة من أولع الناس بالتصحيفات فقال له أبو أحمد يوماً: إن أخرجت مصحفاً أسألك عنه وصلتك بمائة دينار، قال: أرجو أن لا أقصر عن إخراجها، فقال أبو أحمد: في قشور هيثم حمد، فوقف حمار قسورة وتبلد طبعه وتقشر فلسه، فقال: إن رأى الشيخ أن يمهلي يوماً فعل، فقال: أمهلتك سنة، فحال الحول ولم يقطع شعرة، فقال له أبو أحمد: هو اسمك قسورة بن محمد، فازداد خجله وأسفه، وعلى ذكر أبي طلحة فإنه كان كوسجاً وفيه يقول اللحام:

ويك أبا طلحة ما تستحي ... بلغت سبعين ولم تلتحي
ولما استعفى أبو أحمد من عمله وخطب بنيسابور أجيب إلى مراده فمن قوله بنيسابور وقد طالب العمال أرباب الضياع ببقايا الخراج:

سلام الله مني كلّ يوم ... على كتاب ديوان الخراج
يرومون البغايا في زمان ... عجرنا فيه عن مال الزواج
وبلغه أن الساجي هجاه بالخرصة فقال:
إنّا أناس إذا أفعالنا مدحت ... أنسابنا فهجينا لم نخف عارا
وإن هجوننا بسوء الفعل أنفسنا ... فليس يرفعنا مدح وإن سارا
وقال للجيهاني:

أيها السيد الرئيس ومن ليس ... عليه فضلاً ونبلاً قياس
أنت سهل الطباع مرتفع القدر ... ولكن منادموك خسل
ومن هجائه قوله فيه:

يا ابن جبهان لا وحقك لا تصلح ... فاغضب أو فارضين بالحراسة
عجباً للجميع إذ نصّبوا مثلك ... في صدر ملكهم للرياسة
ولو أنّ التدبير والحكم في الخلق ... على العدل ما وليت كناسه
ومن أمثاله السائرة قوله:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ ... نصيب ولا حظّ تمتّى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنّه ... يرجي سواها فهو يهوى انتقاها
ومن قوله:

إني وجعفر بعد ما جرّبته ... وبلوت في أحواله أخلاقه
كمعيد شكّ في خرا قد شمه ... فأراد معرفة اليقين فذاقه
وقوله:

أحسن إذا أحسن الزمان ... وصحّ منه لك الضمان
بادر يا حسانك الليالي ... فليس من غلرها أمان
وكتب إلى أبي نصر بن أبي حبة يستزيه فلم يجبه واعتذر بعله فكتب إليه أبو أحمد:
تعاللت حين أتاك الرسول ... وليس كذاك يكون الوصول
وأقسم ما نابك من علة ... ولكن رأيك فينا عليل
ومما يستحسن لأبي أحمد قوله:

اختر لكأسك ندماناً تسرّبهم ... أولاً فنادم عليها جلة الكتب
فالأنس بين ندامي سادة نجب ... منزّهين عن الفحشاء والريب
هذا يفيدك علماً بالنجوم وذا ... يأتيك بالخير المستظرف العجب
وبين كتب إذا غابوا فأنّت بها ... في أنزه الروض بين العلم والأدب
إذا أنست بيت مرّ مقتضب ... أفضى إلى خبر يلهيك منتخب
ويكمل الأنس ساق مرهف غنج ... يسعى بياقوتة سلّت من العنب
فأنّت من جدّ ذا في منظر أنق ... وأنت من هزل ذا في مرتع خصب

وخير عمر الفتى عمر يعيش به ... مقسّم الحال بين الجدّ واللعب
فحظّ ذلك من علم ومن أدب ... وحظّ هذا من اللذات والطرب
وحكي أن أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه.

فقال أبو أحمد: إن فيه أربع فوائد: إحداها: السنة المأثورة من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
كان يتختم في اليمين، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفيين والحكمين ما كان حين
خطب عمرو بن العاص فقال: ألا إني خلعت الخلافة من علي كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية
كما جعلت هذا يساري، فبقيت سنة عمرو بين العامة إلى يومنا هذا.

والثانية من كتاب الله تعالى، وهي قوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ومعلوم أن اليمين أقوى من اليسار، فالواجب أن يكلف حمل الأشياء الأقوى دون الأضعف.

والثالثة من القياس، وهو أن النهي عن الاستنجاء باليمين صحيح، والأدب في الاستنجاء باليسار، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى، فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة.

والرابعة: أن الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسية انكشت أراى فاليمين أولى به من اليسار.

ولما عاود أبو أحمد بخاري من نيسابور، وورد على ماله كدر وأسباب مختلفة وقاسي من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه، وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتي منصور الفقيه، فقال::

قد قلت إذ مدحوا الحياة سرفوا ... في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كلّ معاشر لا ينصف

وقال في معناهما:

من كان يرجو أن يعيش فإتني ... أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أتتها ... عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية في آناء ليله ونهاره وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فقال بعض أصدقائه: إن لله، قتل أبو أحمد نفسه، فكان الأمر على ما قال، فشرب السم فمات.

أبو الطيب الطاهري

هو طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر، من أشعر أهل خراسان وأظرفهم وأجمعهم بين كرم النسب، ومزية الأدب، إلا لسانه كان مقراض الأعراض، فلا تزال تخرج من فيه الكلمة يقطر منها دمه، وتترأ منه نفسه.

وكان وقع في صباه في شردمة من أهل بيته إلى بخاري فارتبط بها وردت عليه ضياع نفسية للطاهرية فتعيش بها، وكان يخدم آل سامان جهراً، ويهجوهم سراً. ويطوي على بعض شديد لهم. ويضع لسانه حيث شاء من ثلبهم، وذم وزرائهم وأركان دولتهم، وهجاء بخاري مقر حضرتهم ومركز عزهم.

فحدثني أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحربي قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي يقول في يوم من أيام وروده نيسابور على ديوانها: إن أصحاب أخبار السر كانوا ينهون إلى كل من الأميرين الشهيد والسعيد في أيامهما ما يقدم عليه هذا الطاهري من هجائهما، فيغضبان عليه ويهيان جرمه لأصله وفضله، ويتذممان من قتل مثله، فدخل يوماً على السعيد نصر بن أحمد فهش له وبسطه وحادثه ثم قال له في عرض الحديث: يا أبا الطيب حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس؟ فنكس رأسه حياء، ثم قام يجر ذيل خجل ووجل.

ولم يعد لعادته في التولع به قال أبو زكرياء: ومما يحكى من كلمات السعيد الوجيزة الدالة على فضله وكرمه قوله لأبي غسان التميمي وقد حمل إلى حضرته في يوم المهرجان كتاباً من تأليفه: ما هذا يا أبا غسان؟ قال: كتاب أدب النفس، قال: فلم لا تعمل به؟ وكان أبو غسان من الأدباء الذين يسيئون آدابهم في المجالس.

ومن ملح هجاء أبي الطيب للشهيد قوله:

طال غزو الأمير للبَطّ حتى ... ما له عن عاداته إقبال
فهنيئاً له هنيئاً مريئاً ... كلّ قرن لقرنه قتال
وقوله:

بخاري من خرى لا شك فيه ... يعزّ بربعها الشيء النظيف
فإن قلت الأمير بما مقيم ... فذا من فخر مفتخر ضعيف
إذا كان الأمير خرا فقل لي ... أليس الخراء موضعه الكنيف
وهو أول من هجا بخاري وذمها ووصف ضيقها وننتها، حتى اقتدى به غيره في ذكرها، فقال أبو أحمد بن
أبي بكر:

لو الفرس العتيق أتى بخاري ... لصار بطبعه فيها حماراً

فلم تر مثلها عيني كنيفاً ... تبوّاه أمير الشرق داراً
وقال، ويروى لأبي الطيب:

بخاري كلّ شيء ... منك يا شوهاء مقلوب
قضاة الناس ركّاب ... فلم قاضيك مركوب
وقال أبو منصور العبدوي:

إذا ما بلاد الله طاب نسيمها ... وفاحت لدى الأسحار ريح البنفسج
رأيت بخاري جيفة الأرض كلّها ... كأنك منها قاعد وسط مخرج
فيا رب أصلح أهلها وانف ننتها ... وإلا فعنها ربّ حوّل وفرّج
وقال أبو منصور الخزرجي، ويروى لأبي أحمد:
فقحة الديننا بخاري ... ولنا فيها اقتحام
ليتها تفسو بنا الآ ... ن فقد طال المقام
وقال الغريامي:

ما بلدة منتنة من خرا ... وأهلها في جوفها دود
تلك بخاري من بخار الخرى ... يضيع فيها الندّ والعود
وقال أبو علي الساجي:

باء بخاري فاعلمن زائده ... والألف الأولى بلا فائده
فهي خرا محض وسكانها ... كالطير في أقفاصها آبد
وقال الحسن بن علي المروودي:

أقمنا في بخاري كارهنيا ... ونخرج إن خرجنا طائعين
فأخرجنا إله الناس منها ... فإن عدنا فإننا ظالمونا
وقوله من قصيدة:

أودى ملوك بني ساسان وانقرضوا ... وأصبح الملك ما يفكّ ينتقص
أضحت إمارتهم فيهم وجوهرهم ... عبيدهم وهم في عرضها عرض
فليك من كان منهم باكياً أبداً ... فما لما فاتهم من ملكهم عوض
من لأن مرقده فالدهر مبدله ... عنه فراشاً له من تحته قضض
هاتيك عادته فيمن تقدّمهم ... وكلّ مرتفع يوماً سينخفض
دعهم إلى سقر واشرب على طرب ... فالفجر في الأفق الغربي معترض
غدا الربيع علينا والنهار به ... يمتدّ منبسّطاً والليل منقبض
والنور يضحك في خضر البنان ضحى ... والبرق مبتسمّ والرعد مؤتمض
وقوّضت دولة قد كنت أكرهها ... وزال ما كان منه الهمّ والمرض
إن أنت لم تصطحب أو تغتبق فمتى ... الآن بادر فإنّ اللهو مفترض
ومن عجيب ما يحكى عن أبي الطيب أنه كتب إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام
بهمدين البيتين:

وإني والمؤذن يوم رام ... لمختلفان في هذه الغداة
أنادي بالصبح كه كياداً ... إذا نادى بجيّ على الصلاة
وإذا برسول أبي طاهر جاءه قبل وصول رقعته برقعة فيها:
وإني والمؤذن يوم رام ... لمختلفان في هذا الصباح
أنادي بالصبح كه كياداً ... إذا نادى بجيّ على الفلاح
وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق.
ومن سائر شعر أبي الطيب قوله في السعيد نصر بن أحمد:
قيماً جرت للناس في الكتب عادة ... إذا كتبوها أن يعادها الصدر
وأول هذا الأمر كان افتتاحه ... بنصر وإن ولّى فأخره نصر
ومما يستحسن من شعره ويغني به ويقع في كل اختيار قوله:
خليليّ لو أنّ همّ النفوس ... دام عليها ثلاثاً قتل
ولكن شيئاً يسمّى السرور ... قديماً سمعنا به ما فعل
وناوله غلام له باقة نرجس فقال فيه:
لما أطلنا عنه تغميضاً ... أهدى لنا النرجس تعريضاً
فدلّنا ذاك على أنّه ... قد اقتضانا الصفر والبيضا
ومن ملحه قوله في الجبهاني من ضادية:
تقلّدت بالوسواس صرفاً وزرتناً ... فزدت بما تيهاً عليّ عريضا
ولست بزوا عنك ودّاً عهدته ... ولا قاتل ما عنه مريضاً
فما كان بملول مع الشتم والحناق ... وقذف النساء المحصنات بغیضا

وقوله في معناه:

ولست بشيء من جفائك حافلاً ... ولا من أذى جرعتيه مغيظاً
فأطيب أحوال المجانين ما رموا ... وزنوا وعاطوك الكلام غليظاً
وكان أبو ذر الحاكم البخاري عرضة لهجائه فقال فيه من قصيدة:

أفّ للدهر أفّ له ... قد أتانا بمعضلة
بأبي ذرّ الذي ... كان ملقى بمزبله
كلما بات ليلةً ... وإسته فيه مهمله
بات يقرأ إلى الصبا ... ح وبئر معطله
وقوله في ابنه:

لأبي ذرّ بّي ... طفس لا كان ذا ابنا
فهو لا يقرأ من القر ... آن إلّا والنس
وقوله في غيرهما:

طلحة يا كبرائي ... سلحة في الأمراء
إن شاهاً أنت فرز ... ان له بادي العراء

أبو منصور الطاهري

لم يرث الفضل والشعر عن كلاله، وهو القائل:

بكيت لفقد الوالدين ومن يعيش ... لفقدهما تصغر لديه المصائب
فعرّيت نفسي موقناً بذهاهما ... وكيف بقاء الفرع والأصل ذاهب
ومن أحسن ما سمعت في المعنى نثراً قول بعض الحكماء لرجل مات أبوه وابنه: لقد مات أبوك وهو أصلك.
ومات ابنك وهو فرعك، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها؟! ومما يستجاد لأبي منصور قوله:
شيئان لو أن ليثاً يُتلى بهما ... في غيله مات من همّ ومن كمد
فقد الشباب الذي ما إن له عوضٌ ... والبعد بالرغم عن أهلٍ وعن ولد
وهو مأخوذ من قول الآخر:

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يقضيا المعشار من حقيهما ... شرخ الشباب وفرقة الأحباب
وقد ملح أبو منصور في قوله:

أقول وقد رأيت له خواناً ... له من لحظ عينيه خفير
أرى خبزاً وبى جوعٌ شديدٌ ... ولكن دونه أسدٌ مزير

ومثله للرشيد وقد رأى جارية سكرى فراودها، فقالت: إن أبك ألم بي، فكف عنها، وقال:
أرى ماءً وبي عطشٌ شديدٌ ... ولكن لا سبيل إلى الورود

أبو الحسين محمد بن محمد المرادي

كان شاعر بخارى وله شعر كثير مدون، ومن مشهور أخباره أن السعيد نصر بن أحمد ركب يوماً للضرب
بالصوالة، فجاءت مطرة رشت السهلة، ولما قضى وطره وأقبل إلى الدار تصدى له المرادي فأنشد:
أشهد أن الأمير نصرا ... يخدمه الغيث والسحاب
رشّ تراب الطريق كي لا ... يؤذيه في الموكب التراب
لا زال يبقى له ثلاث ... العزّ والملك والشباب
فأمر له بثلاثة آلاف درهم، وقال: لو زدت لزدناك، وكان المرادي ينشد لنفسه:
إنما همّي كسيره ... وإدام من قديره
وخميره في زكيره ... بلغني منها سكيره
وصيح أو قبيح ... قد كفى جلد عميره
ودنينيرٍ لدينا ... بات في ضمن صريره
من رأى عيشي هذا ... علش لا يطلب غيره
ثم يقرأ على أثرها تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين.
وورد نيسابور لحاجة في نفسه فرأى من أهلها جفاء فقال:
لا تنزلن بنيسابور مغترباً ... إلّا وحبك موصول بسلطان
أو لا فلا أدب يغني، ولا حسب ... يجدي، ولا حرمة ترعى لإنسان
وقال:
قال المرادي قولاً غير متهم ... والنصح ما كان من ذي اللب مقبول
لا تنزلن بنيسابور مغترباً ... إن الغريب بنيسابور مخدول
وقال من المصعبي:
أرى صحبة الأشراف صعباً مرامها ... وصحبة هذا المصعبي فأصعب
يدلّني فيما يروم اكتسابه ... فأستام عزّاً بالمذلة يكسب
وقال في موت أبي جعفر الصعلوكي:
وقد تلفت نفسه الدّيه ... ما كان أولاه بالمنيه
ما أخطأ الموت حين أفنى ... من كان ميلاده خطيه
وقال لأبي علي الصاغاني من قصيدة:
لم ألق غيرك إلا ازددت معرفة ... بأنّ مثلك في الآفاق معدوم
أرى سيوفك في الأعداء ماضية ... ركن الضلال بها ما عشت مهدوم

يهمي الندى والردى من راحتك فلا ... عاصيك ناج ولا راجيك محروم
وقال في بكر بن مالك:
قلد الجيش سيد ... وهو جيش على حده

يد بكر وسيفه ... ويده الله واحدة
ومن ملحه وظرفه قوله:
هل لكم في مطفل ... شربه شرب قبره
لو رأى في جواره ... خيط زق لأسكره
ولما احتضر أنقذ إليه الجبهاني يثاباً للكفن. فأفاق، وأنشأ يقول:
كساني بنو جبهان حياً وميتاً ... فأحييت آثاراً لهم آخر الزمن
فأول برّ منهم كان خلعة ... وآخر برّ منهم صار لي كفن
ثم أغمي عليه ساعة فأفاق وقال:
عاش المرادي لأضيافه ... فصار ضيفاً لإله السما
والله أولى بقرى ضيفه ... فليدع الباكي عليه البكا
ثم كان كأنه سراج انطفأ.

أبو منصور العبدوني، أحمد بن عبدون

من أظهر كتاب بخارى تحصيلاً، وأظرفهم جملة وتفصيلاً، وكان ريحانة الندماء، وشمامة الفضلاء، ونارنج
الظرفاء، وله شعر عذب المذاق حلوا المساغ في نهاية خفة الروح، وقد تقدمت له أبيات، وبلغني أن صديقاً
له كتب إليه يستعيو منه دابة ويقول:
أردت الركوب إلى حاجة ... فمن لي بفاعلة من دبيت
فوقع تحت البيت:
بردونا يا أخي عامر ... فكُنْ بأبي فاعلاً من غدوت
وقال في صاحب ديوان يطيل المكث فيه:
أقسم بالله وآياته ... أنك في الثقل رحى بزر
وذا كما قلت وإلا فلم ... تقعد في الدار إلى العصر
والناس قد أخلوا دواوينهم ... وانصرف الطير إلى الوكر
وقال:

أكتب ديوان الرسائل ما لكم ... تجملتم بل متمم بالتجمل
وأرزا فكم لا تستين رسومها ... لما نسجتها من جنوب وشمال
إذا ما شكا الإفلاس والضرر بعدكم ... يقولون لا تهلك أسي وتجمل

خلقتكم على باب الأمير كأئكم ... قفا نيك من ذكرى حيب ومنزل

وقال في أبي نصر بن أبي حبة، وكان من تلامذته:

يا قوم إن ابن أبي حبة ... قد سبق الكتاب في الحلة

وأدخل الكتاب من حذقه ... في الكوز والجرة والدبة

وقال في كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة:

أدب الكتاب عندي ... ما له في الكتب ند

ليس للكاتب منه ... إن أراد العلم بد

وقال:

عنقي يا قوم كانت ... عند شربي الراح عبله

فتركت الشرب أياً ... أما على عمد لعلّه

فانحنى الظهر وذاب الجسم ... في أيسر مهله

وحدثني أبو سعيد عن بعض مشايخ الحضرة، وقد ذهب على اسمه، أن مجلساً للأنس جمع يوماً جماعة من

أفاضل بخاري كأبي أحمد بن أبي بكر والطاهر والمصعبي والخزرجي والعبدوني وفيهم فتى من أهل أشروسنه

يسمى يشكر أحسن من نعم الله المقلبة، ومن العافية في البدن، فأفضى به الحديث إلى رواية الأهاجي، وطفق

كل واحد منهم يروى أجود شعره في الهجاء، فقال بعض الحاضرين إن هجاء من هجوتوه ممكن معرض،

فهل فيكم من يهجو هذا الفتى، يعني يشكر، فقالوا: لا والله ما نقدر على هجائه، وليت شعري أيهجي

خلقه أم اسمه، فارتحل العبدوني أبياتاً منها:

ويشكر ويشكر من ناكه ... ويشكر الله لا يشكر

فتعجبوا من سرعة خاطره في ذم مثله، واشتقاقه الهجاء من اسمه وأقروا له بالبراعة، وحين رأى خجل الفتى

لما بدر من هجائه إياه من غير قصد أخرج من يديه زوجي خاتم ياقوت وفيروزج وأعطاها إياه، وقال: هذا

بذلك.

أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم

كان في جميع أدوات المعاشرة والمنادمة وآلات الرياسة والوزارة على ما هو معروف مشهور، وكانت يده في

الكتاب ضرة البرق، وقلمه فلكي الجري، وخطه حديقة الخدق، وبلاغته مستمالة من عطار، وشعره

باللسانين نتاج الفضل، وثمار العقل، ولما غلب على الأمير السعيد نصر بن أحمد بكثرة محاسنه ووفور مناقبه

ووزر له مع اختصاصه بمناذمته لم تطل به الأيام حتى أصابته عين الكمال، وأدركته آفة الوزارة، فسقى

الأرض من دمه.

ومن مشهور شعره وسائر قوله:

إختلس حظك في ديناك من أيدي الدهور

واغتتم يوماً ترجيه بلهو وسرور

واصنع العرف إلى كلّ كفور وشكور
لك ما تصنع والكفران يزري بالكفور

وقوله في ذم الشباب:

لم أقل للشباب في كنف الله وفي ستره غداة استقلاً
زائر زارنا مقيم إلى أن ... سودّ الصّحف بالذنوب وولّى
وقوله في غلام أعجمي:
بأي من لسانه أعجميّ ... وأرى حسنه فصيح الكلام
ويروى له ما كتب به إلى بعض إخوانه:
غبت فلم يأتني رسول ... ولم يقل علّه عليل
هيهات لو كنت لي خليلاً ... فعلت ما يفعل الخليل
وله:

اليوم يوم بكور ... على نظام سرور
ويوم عزف قيان ... مثل التماثيل حور
ولا تكاد جياذ ... تروى بغير صغير
ووقع في كتاب:
قد قلت لما أن قرأت كتابكم ... عض الملل يظر أم الكاتب

أبو علي الساجي

من فضلاء المقيمين ببخارى، ووجوه المتصرفين بها، وفيها يقول في غلام تركي:
لا سمر، لا بياض فيه، لا سمن ... ولا هنال، ولا طول ولا قصر
ذو قامة قام فيها عذر عاشقها ... وصورة قبحت مع حسنها الصور
ويقول:

أنا بالخصرة واقف ... للتعازي والتهاني
ولتشيع فلان ... والتلقي لفلان
وله في مرو:

بلد طيب وماء معين ... وثرى طيبه يفوق العبير
وإذا المرء قلّ السير عنه ... فهوينا باسمه أن يسيرا
وله:

لا تأس من دينا على فائت ... وعندك الإسلام والعافية
إن فات شيء كنت تسعى له ... ففيهما من فائت كافيه

وله:

لست أدري ماذا أقول ولكن ... أبتغي من عريض جاهك نفعاً
والفتى إن أراد نفع أخيه ... فهو يدري في أمره كيف يسعى

أبو منصور الخرجي

أديب شاعر في المرتبطين الذين كانوا ببخارى مع أبي غسان التميمي والبوشنجي والكسروي وأضراهم من
الأفاضل، كتب إلى أبي أحمد بن أبي بكر في أوائل شهر رمضان قصيدة منها:
الصوم ضيف ثوى فداره ... قد يؤجر العبد وهو كاره
وأحمل على النفس في قراره ... في ليله منك أو نهاره
فإن تجافى على كريم ... برّ حريص على مزاره
فالضيف ماض غداً ومثن ... عليك أن حطت من ذماره
ومن ملحه، ويروي لغيره:
أتدخل من تشاء بلا حجاب ... وكلّهم كسير أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى ... كأني خصية وسواي أير
وقال للمصعبي:

يا من تخلّق حتى صار مرتفعاً ... من السماء إلى أعلى مراقبها
لا تأمنّ انحطاطاً وارع حرمتنا ... وانظر إلى الأرض واذكر كوننا فيها
وقال، وأنشديها له أبو زكريا الحربي، وتروى لغيره:
ياذا الكواكب والدوائر ... والعجائب والمجره
أجحفت بالفطن الأريب ... فحاض في الغمرات دهره
يا عرّة في فعله ... أعطيت خيرك كلّ عرّة
أخرفت من طول السرى ... أم زدت للحركات سرّه

أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي

قال في رئيس كان ينام بالنهار ويسهر بالليل:
ينام إذا ما استيقظ الناس بالضّحى ... فإن جنّ ليل فهو يقظان حارس
وذاك كمثل الكلب يسهر ليله ... فإن لاح صبح فهو وسان ناعس
وقال في أبي علي الصاغاني:
الدار داران للباقي وللغاي ... والخلق كلّهم يكفيهم اثنان
فأحمد لمعاش الناس قاطبة ... وأحمد لمعاد الناس سيّان

وقال:

إن الرؤوس يا جما ... ع آكليها ثقلية
وحقها شرب صرف ... قصيرة من طويله

أبو القاسم الكسروي

هو أردستاني من أهل أصفهان من الأدباء الطائرين على بخاري والمربطين بها، وكان جامعاً بين الكتابة والشعر، ضارباً بأوفر السهم في الظرف، وكان يقول: قولي لعدوي أعزه الله إنما أريد أعزه الله حتى لا يوجد في الدينا، وقولي أطل الله بفاك وأدام عزك وتأيدك وجعلني فداك أي من هذا الدعاء كله فصار الدعاء لي دونه.

وكان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشغل بها ويطنب في ذكر عيوبهم ويقول: لا ترى شطرنجاً غنياً إلا بخيلاً ولا فقيراً إلا طفيلياً، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج، فإذا جرى ذكر شيء منها قيل: جاء الزمهرير، ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب وينم ويكره، فإذا جرى السكران قيل: قد فرزن، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل: قيل معه فرزان بيدق، وإذا استحققر قدر الإنسان قيل: كأنه بيدق، ولا سيما إذا اجتمع فيه قصر القدر وصغر القدر كما قال الناجم:

ألا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال عبد الله بن المعتز وأجاد:

قل للشقي وقعت في الفخ ... أدوت بشاهك ضربة الرخ

وإذا روي طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل: انظروا إلى يد الكشاحن كأنها في الرقعة وإذا روي زيادة لا يحتاج إليها قيل: زاد في في الشطرنج بغلة، وإذا سب دخيل ساقط: قيل من أنت في الرقعة؟ وإذا ذكر وضع ارتفع قيل كما قال أبو تمام:

قل لي متى فرزنت سر ... عة ما أرى يا بيدق

ويروى أنه دخل يوماً على عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي وقد ولد له مولود فأنشد:

هنت نجم سعادة ... قد حلّ أول أمس رحلك

فأحلّه المولى من ال ... أدب والعليا محلك

وأطال عزكما وعمركما ... وأكثر منك مثلك

فأمر له بثلاثمائة دينار.

وكتب إلى بعض الرؤساء رسالة في الهز والاقتناء وفي آخرها قوله:

فرأى الشيخ مولى المجد في أن ... يشرفني بإحدى الحسينين

بنقد أرتجيه أو بئاس ... فإن اليأس إحدى الراحيتين

وله من قصيدة:

كسبت ما شئت من مال فأتلفه ... كفّ كسوب بعون الله متلاف
لن يلبث المال عندي أو يفرقه ... طبع امرى همّه بذل وإسراف
إنّ عادتي فيما حوته يدي ... وعاده الله جلّ الله إخالف
فهذه عادتي فيما حوته يدي ... وعادة الله جلّ الله إخالف
إنّ الحقوق ليفني المال واجبها ... وفي قضاء حقوق الناس إنصاف
وله:

كفّك مذكراً وجهي بأمرى ... وحسي أن أراك وأن تراني
وكيف أحتّ من يعنى بشأني ... ويعرف حاجتي ويرى مكاني

أبو بكر محمد بن عثمان

النيسابوري الخازن

وقع إلى بخارى وتصرف بها وتقلد الحزن، وكان من أدباء الكتاب وفضلائهم، واهدى جزءاً بخطه يشتمل
على ملح وغرر بخاريه به ولغيره ممن جاورهم بالحضرة، فمما كتبه قوله:
لكلب عقور أسود اللون رابض ... على صدر سوداء الدوائب كاعب
أحبُّ إليها من معانقة الذي ... له لحية بيضاء فوق الترائب
وله:

وعنين يريد قيام أير ... بأدوية لأوقات الجماع
فقلت له هلاك الزقّ يوماً ... إذا ما احتيج فيه إلى الرقاع
ومما وجدته بخطه، ولست أذكر أكتبه لنفسه أم لغيره من كتاب عصره لغيبة ذاك الجزء عني، هذه الأبيات:
وهت عزماتك عند المشيب ... وما كان من حقها أن تهي
وأنكرت نفسك لما كبرت ... فلا هي أنت ولا أنت هي
فإن ذكرت شهوات النفوس ... فما تشتهي غير أن تشتهي

الحسين بن علي المروروزي

من آدب أصحاب الجيوش بخراسان وأشعرهم وأكرمهم، وفيه يقول بعض الشعراء لما صرف عن مرو بأحمد
بن سهل ويذكر دار الإمارة فيها:
أقام بصحنها لؤم ابن سهل ... وفارق ربعها كرم الحسين
وكانت جنة فغدت جحيماً ... فبا بعد اختلاف الحالين
ومن سائر شعر الحسين قوله في أبي الفضل البلغمي لما تطف لإطلاقه من حبس القمنلر بهراة:
ألا اسقني من زيبب شمس ... عدّو همّي حبيب نفسي

أرقّ من دين آل تيم ... ومن عديّ وعبد شمس
أشرب بتذكار من تولّى ... بناء مجدي بهدم حبسي
وقوله:

ثنتان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فميلهن إلى الهوى ... وأخو الصبا يجري بغير عنان

وقوله من أبيات في بعض قواده:
وجيش يكون أميراً لهم ... قصارى أولئك أن يهزموا

محمد بن موسى الحدادي البلخي

كان يقال: أخرجت بلخ أربعة من الأفراد: أبا القاسم الكعبي في علم الكلام، وأبا زيد البلخي في البلاغة
والتأليف، وسها بن الحسن في شعر الفارسية، ومحمد بن موسى في شعر العربية، وكان يكتب للحسين بن
علي وشعره سائر مدون كثير الأمثال والغرر، كقوله:
إن كنت أشكو من يرقّ ... عن الشكاية في القريض
فالليل يضجر وهو ... أعظم ما رأيت من البعوض
وقوله:

ألقت منه حرمة ... متوقفاً ما تنتج
فإذا رعايته لها ... والله سقط مخدج
وقوله:

لا غرو إن كنت بحراً لا يفيض ندىً ... فالبحر غمر ولكن ليس بالجاري
أمسيت جاري من بين الأنام فلا ... تغفل وصاة رسول الله بالجار
وقوله من قصيدة:

كم فيك من رشا أغن كأنما ... خلقت مفاصله بغير عظام
كم قد غللت يد النديم بقهوة ... شهدت بأن الغلّ من إكرامي
ومن أخرى:

ما بال فرقة شملنا لا تجمع ... وإلى متى يصل الزمان ويقطع
كم خلّقت يلطم خلهً وجداً بنا ... وعيون نرجسه علينا تدمع
فالورد يلطم خلهً وجداً بنا ... وعيون نرجسه علينا تدمع
ومنها:

ولربّ كرم قد رضعت ثديه ... ومن العجائب أن كهلاً يرضع
ومن أخرى:

أذلت فيما بيننا حرمة ... كحرمة الإبريق والكأس
قدك أما يمنعك الفضل أن ... رحت على عرش كنّس
ومن أخرى:

وحكى سواداً في شقائق حمرة ... صلب الغوالي في خدود الروم
ومن أخرى:

إن كان أغلق دوين بابه فلقد ... أعددت صبري لذك الباب مفتاحاً
ومن أخرى:

يسرني من حسد الناس لي ... أتّي فيهم غير محروم
وأتني من كرم لا بس ... وأتني عار من اللوم

أبو الفضل السكري المروزي

أحمد بن محمد بن زيد

شاعر مرو وظريفها، وله شعر مليح خفيف الروح كثير الملح والأمثال، كقوله:
لا تعبتني على الزمان وصرفه ... مادام يقنع منك بالأطراف
وفذا سلمت فلا تكن لك همة ... إلّا دوام سلامة الألف
وقوله:

ما أعجب الزرق وأسبابه ... كلّ له في رزقه بابه
مقدوره من بابه واصل ... والمرء لا يعرف أسبابه
وقوله:

أشرف القصد في المطا ... لب للناس أربعه
كثرة المال والولا ... ية والعز والدعة
فارض منها بواحد ... تلف ما دونه معه
دعة النفس بالكفا ... ف وإن لم تكن سعه
كلّ ما أتعب النفو ... س فما فيه منفعه

وقوله من مزدوجة ترجم فيها أمثالاً للفرس من الرجز
من رام طمس الشمس جهلاً أخطا ... الشمس بالتطين لا تغطى
أحسن ما في صفة الليل وجد ... الليل حبلى ليس يدري ما يلد
من مثل الفرس ذوي الأبصار ... الثوب رهنّ في يد القصار
إنّ البعير يغض الخشاشا ... لكنه في أنفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل ... ما كان يهوى ونجا من العمل

نحن على الشرط القديم المشترط ... لا إلزق منشق ولا العير سقط
في المثل السائر للحمار ... قد ينهق الحمار للبيطار
والعنز لا يسمن إلا بالعلف ... لا يسمن العنز بقول ذي لطف
البحر غمر الماء في العيان ... والكلب يروى منه باللسان
لا تلك من نصحي في اريتاب ... ما بعثك الهرة في الجراب
من لم يكن في بيته طعام ... فما له في محفل مقام
ميتي الإحسان دع إحسانك ... اترك بحشو الله باذنجانك
كان يقال من أتى خوانا ... من غير أن يدعي إليه هانا

وكان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية، فمما اخترته من ذلك بعد المزوجة قوله:
إذا وضعت على الرأس التراب فضع ... من أعظم التل إن النفع منه يقع
وقوله:

إذا الماء فوق غريق طما ... فقاب قناة وألف سوا
وقوله:

إذا لم تطق أن ترتقي ذرة الجبل ... لعجز فقف في سفحه هكذا المثل
وقوله:

في كل مستحسن عيب بلا ريب ... ما يسلم الذهب الإبريز من عيب
وقوله:

إذا حاكم بالأمر كان له خبر ... فقد تم ثلثاه ولم يصعب الأمر
وقوله:

ما كنت لو أكرمت أستعصي ... لا يهرب الكلب من القرص
وقوله:

أدعى الثعلب شيئاً وطلب ... قيل هل من شاهد قال الذنب
وقوله:

هو الثعلب الرواغ في مهمه سلك ... يرى التو فيه وما أن يرى الشبك
وقوله:

من مثل الفرس سار في الناس ... التين يسقى بعلة الآس
وقوله:

تبختر إخفاء لما فيه عرج ... وليس فيما تكلفه فرج

وقد ذكرتني هذه الأمثال الفارسية قصيدة لبعض من ذهب عني اسمه وكتبت ما اخترت منها ليقترن بما
تقدمها وذلك:

ما أقبح الشيطان لكنّه ... ليس كما يتقش أو يذكر
يكفي قليل الماء رطب الثرى ... والطين رطباً بلّه أيسر
إلى شفا النار أماشي أخي ... لكنني إن خاضها أصبر
انتهر الفرصة في وقتها ... وألقط الجوز إذا ينثر
يطلب اصل المرء من فعله ... ففعله عن أصله يخبر
كم ماكر حاق به مكره ... وواقع في بعض ما يحفر
قررت من قطر إلى متعب ... عليّ بالوابل يتعنجر
إن تأت عوراً فتعاور لهم ... وقل أتاكم رجل أعور
خذه بموت تغتنم عنده ... الحى لا تشكو ولا تجار
الباب فانصب حيث ما يشتهي ... صاحبه فهو به أخبر
والكلب لا يذكر في مجلس ... إلا تراءى عندما يذكر

أبو عبد الله الضرير الأنباري

له شعر ذكر في أهل أنبورد، وله القصيدة التي ترجم فيها أمثال الفرس أولها:
صيامي إذا أفطرت بالسحب ضلّة ... وعلمي إذا لم يجد ضرب من الجهل
وتركيقي مالا جمعت من الربا ... رياءً وبعض الجواد أخزى من البخل
كسارقة الرمان من كرم جارها ... تعود به المرضى وتطمع في الفضل
ألا ربّ ذنب مرّ بالقوم خاوياً ... فقالوا: علاه البهر من كثرة الأكل
وكم عقق قد رام مشية قبجة ... فأنسي ممشة ولم يمش كالحجل
يواسي الغراب الذئب في كل صيده ... وما صاده الغرابان في سعف النحل
ومن سائر شعره قوله:

وإذا أراد الله رحلة نعمة ... عن دار قوم أخطأوا التدبيرا
ومن ملحه قوله:

أردت زيارة الملك الملقى ... لأمدحه وآخذ منه رفدا
فعبس حاجباً فقرأت أما ... من استغنى فأنت له تصدى

أبو محمد السلمي

كاتب متصرف في الأعمال، حسن التصرف في ملح الشعر وظرفه، كثير النوادر وسائر التنف، لا يسقط له
بيت واحد.

أنشدي غير واحد له من أهل الأدب في الحاكم الجليل قوله:

لا رواء لا بهاء ... لا بيان لا عبارة
لا يرى ردّ سلام الناس إلّا بالإشارة
أنا أهواك ولكن ... أين آلات الوزارة
وله أيضاً:

أكلّ من كان له نعمة ... أوسع من نعمة إخوانه
أم كلّ من كان له جوسق ... مشرف شيد بأركانه
أم كل من كان له كسوة ... ييذلها في بعض أحيائه
يرى بها مستكبراً تائهاً ... على أدانيه وخلاته
وله:

قد كانت الضيعة فيما مضى ... تغلّ من يملكها دائيه
فأضحت الضيعة في يومنا ... مهجة من يملكها ذائبه
يستغرق الغلّة في خرجها ... ويعرض الكلفة والنائبه
فإن يقم صاحبها كلّ ذا ... ينج وإلا نتفوا شاربه
وله:

يا أبا مالك النا ... س أسباب التصافي
يا دعياً باتفاق ... عربياً باختلاف
هيك في أشرف بيت ... لني عبد مناف
أنا ما ذنبي إذا ما طردت فيك القوافي؟
وله:

وكت أذمّ أبا جعفرٍ ... وأعجبت من أمره المهمل
فلما بلونا أبا جعفرٍ ... أطلت البكاء على الأول
وله:

لو طبخت قدرٌ بمطمورة ... بالروم أو أقصى حدود النغور
وأنت بالصين لوافيتها ... يا عالم الغيب بما في القدور
وله:

قد كان أراؤكم فيما مضى كرهة ... كأنما خرطتها كفّ خرّاط
فالآن تسعون رأياً من وزيركم ... في السوق لا تشتري منكم بقيراط
وله:

رأيت ملكاً كبيراً ... كثير مالٍ وشحنه
يسوس ذاك وزيرٌ ... قليل عقلٍ وفطنه.

وللأمير وزيرا ... ن يرميان بأبنه
فلعنة الله تترى ... على كليل ودمه
وله:

تشكى فقلنا ثابتٌ ويزيد ... وأنّ فقلنا أنّ منه حمود
هي العلة الموصول بالموت حبلها ... فإن ذهبت يوماً فسوف تعود
وله، ويروى لغيره:

تفاقر كي يخفي على الناس أمره ... وللناس أبصارٌ على الغيب نافذه
فأبلغ دهاة الناس في كلّ بلدة ... بأنّا وإن كنتم دهاة جهابذه

أبو ذر البلخي الحاكم

قال من قصيدة في أبي العباس المأموني، وقد وثبت رجله:
إن الجبائر منك قد شدّت على ... قلم لها في المكرمات تقدّم
ولئن غدت مجبورة فلطالما ... جبر الكسير بها وريش معدم

أبو أحمد البيمامي البوشنجي

شاعر بوشنج وغرقها، وشعره مدون سائر، وبلغني أن صاحب كان يحفظ خائية أحمد، ويتعجب من حسننها
وجودتها، وهي:

أقول ونوّار المشيب بعارضي ... قد افتّر لي عن ناب أسود ساخ
أشيباً وحاجات القوادر كأثما ... يحيش بها في الصدر مرجل طابخ
وما كان حزني للشباب وإن هوى ... به الشيب عن طود من الأانس شامخ
ولكن يقول الناس شيخ وليس لي ... على نائبات الدهر صبر المشايخ
ومما يستحسن من شعره:

إنّ تمام السرور للمرء أن ... يأكل من طيّبات غرس يده
وأن يغنى بشعره ويلي ... خدمته من يحبّ من ولده
وقد حوى بعضنا الثلاث وقد ... نقصها كلّها ضنى جسده
وقوله:

لقد فكّرت في أمري طويلاً ... فما أدري أأبخل أم أجود
أحاف البخل من غيري ومني ... وأعلم أنّه عار عتيد
ويعجبني السخاء وأشتهيه ... وذاك لأنّه خلق حميد
فأخشى الفقر إن طاوحت جودي ... وعدم المال في الديننا شديد

فأفضل ما أرى خلق وسيط ... لذات يدي ينقص أو يزيد
وقوله، وهو منقول من كلام بعض السلف:
غابت كل شديدة فغلبتها ... والفقر غالبني فأصبح غالي
إن أبده يفصح، وإن لم أبده ... يقتل فقبح وجهه من صاحب
وقوله لأبي الفضل البلغمي وقد عرض عليه الشراب:
لو كنت واجد عقل أشتريه إذا ... جالست من زينة الدينا محياه
لكنت أطلبه جهدي وأجمعه ... إلى الذي هو عندي حين ألقاه
فكيف أشرب شيئاً لا يفارقي ... حتى أفارق عقلي حين أسقاه
وكتب إلى صديق له في آخر يوم من شعبان:
فديتك هذا اليوم يوم ورائه ... ثلاثون يوماً للذادة تفتك
فإن شئت فأحضرنا وإن شئت فادعنا ... إليك فما للهو في اليوم مترك
وفي الغد إن لم تدفع الشك مجزع ... ومبكي فدعنا اليوم نبكي ونضحك
وله في وصف رامسية آذريون ناوله إياها عبد الحميد الحاكم وأمره بأن يصفها. فقال:
أعطاني الحاكم من كفه ... رامسية تخبر عن ظرفه

من نور آذريون ترجى بأن ... جاءت بما حازته من عرفه
شبّهتها حين تأملتها ... تأمل المبدع في وصفه
بمدن من ذهب أحر ... مضمناً مسكاً إلى نصفه

أبو علي السلامي

من رستاق بيهق من نيسابور، كاتب مؤلف الكتب، موفق للتجويد منخرط في سلك أبي بكر بن محتاج وبأه
أبي علي. وله كتاب التاريخ في أخبار ولاية خراسان، وكتاب تنف الظرف. وكتاب المصباح، وغيرها،
وشعره في أشعار مؤلفي الكتب كشعر الصولي، ومن أشف ما وجدته له:
هذب ما يكتب من يعتقد ... أن جميع الناس يلقونه
وهم مصيخون إلى لفظه ... فرام من قول الحنا صونه
البيتان لم أسمعهما منه، وإنما وجدتهما في نسخته

أبو القاسم علي بن محمد الإسكافي النيسابوري

لسان خراسان وغرقها، وعينها وواحدتها، وأوحدها في الكتابة والبلاغة، ومن لم يخرج مثله في البراعة
والصناعة. وكان تأدب بنيسابور عند مؤدب بها يعرف بالحسن بن المهرجان من أعرف المؤدبين بأسرار
التأديب والتدريس، وأعلمهم وأدراهم بطريق التدريج في التخريج، ثم حرر مدينة في بعض الدواوين،

فخرج منقطع القرين، وواسطة عقد الفضل، ونادرة الزمان، وبكر الفلك، كما قال فيه الهريمي من قصيدة:
سبق الناس بياناً فغدا ... وهو بالإجماع بكر الفلك
أصبح الملك به متسقاً ... لسليل الملك عبد الملك

ووقع في ريعان عمره، وعنفوان أمره، إلى أبي علي الصاغاني فاستأثره فحسن أثره واستخلصه لنفسه، وقلده ديوان الرسائل فحسن خبره، وسافر أثره، وكانت كتبه ترد على الحضرة، في نهاية الحسن والنضرة. وتقع المنافسة فيه، ويكتب أبو علي في إثارة الحضرة به، فيتعلل ويتسلل لو إذا ولا يفرج عنه، إلى أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان، وانهمزاه في وقعة جرجيل إلى الصغانيان كما كان. وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي، فحبس في القمندر وقيد مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه، ثم إن الأمير الحميد نوح بم نصر أراد أن يستكشفه عن سره، ويقف على خبيثة صدره فأمر أن تكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها: إن أبا العباس الصاغاني قد كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش لتتولى له كتابة الكتب السلطانية، فما رأيك في ذلك؟ فوقع تحته في الرقعة ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه.

فلما عرض التوقيع على الحميد حسن موقعه منه، فأعجب به، وأمر بإطلاقه وخلع عليه وأقعده في ديوان الرسائل خليفة لأبي القاسم، وعند ذلك قال بعض مجّان الحضرة:

تبظرم الشيخ كلّه ... ولست أرضى ذاك له

كأنه لم ير من ... أقعد عنه بدله

والله إن دام على ... هذا الجنون والبله

فإنّه أوّل من ... ينتف منه السبله

وكان أبو القاسم يهجوّه كما تقدم ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب ومن شعره قوله:

هذا الذي يدعى كله ... ما شأنه إلا البله

في رأسه عمامة ... مكفوفة مزّمله

كأنها في لونها ... قدر على سفرجله

ولما توفي أبو عبد الله تولى أبو القاسم العمل برأسه، وعلا أمره، وبعد صيته، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة، وازداد على الأنام تبحراً في الصناعة، وقدرة على الإنشاءات التي يؤنس مسمعها، ويؤنس مصنعها.

ويحكى أن الحميد أمره ذات يوم أن يكتب إلى بعض أصحاب الأطراف كتاباً وركب إلى متصيده، واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس أنس عقده وإخوان جمعهم عنده، وحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره بإحضار الكتاب الذي رسم له كتبه ليعرض عليه، ولم يكن كتبه، فأجاب داعية وقد نال منه الشراب ومعه طومار أبيض أوهم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له، فقعد بالبعد منه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه، فارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من مسودات مكتوبة، وأمره بختمه، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله.

ومن عجيب أمره أنه كان أكتب الناس في السلطانيات، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قاصر السعي قصير الباع، وكان يقال: إذا استعمل أبو القاسم نون الكبرياء، تكلم من في السماء. وكان من علو الرتبة في النشر وانحطاطها في النظم كالجاحظ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق لا يسع هذا الكتاب إلا الأتمودج مما يجري مجرى الغرر والأمثال منها.

وهذه فقر من كلامه الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من ذكره كلام، ولم يستمنح بأحسن من صنعه مرام للزمان صروف تحول، وأمور تجول لأخلاق تميمها الأعراق، والثمار تنزعها الأشجار الشكر به ذكاء النعمى، والوفاء معه صلاح العقبيالسيعد من تحلى بزينة الطاعة، واقتدح بزند الجماعة العامة لا تقفه حقائق المذاهب، ولا تعرف عواقب التآلب والتجار بلا يشوقك غرارة الصبا، ولا يروقك زخرف المدي استعذ بالله من نزعات الشيطان ونزقات الشباخن خلا له الجو باض وصفر، ومن تراخى له الليث نرا وطفر المخدول يرفع رأسا ناكسا، ويبل فما يابسا.

وهذه ملح من شعره كتب إلى بعض إخوانه يستدعيه:

كتبت من الباغ يوم الفراغ ... وذا نعمة آذنت بالبلاغ

فأقبل فما دون لقيك للزمان وإحسانه من مساغ

لأنك صفوة أبنائه ... وسائرهم فكمثل الرداغ

رداغ بخاري ولا سيما ... إذا المرء لم يحتجز بالجنائغ

وقال على لسان ماوردية فضة:

الحسن من ظاهري يلوح ... والطيب من باطني يفوح

فالنصف مني نصيب جسم ... والنصف مني نصيب روح

وكتب إلى أبي أحمد العارض مع حب بلور مخلوط أهده له:

بعثت للفأل حبا ... يسقيك صفو المحبة

فعش لزرع المعالي ... ما أنبت الزرع حبة

وكتب إلى بعض الرؤساء:

صديقك غير محتشم ... وأنت فغير مغتنم

وقد أهدي كما يهدي ... أخو ثقة لذي كرم

فرايك في قبول العذر ... في السكين والقلم

ذكر آخر أمره لما انقضت أيام الأمير الحميد وملك عبد الحميد أقر أبا القاسم على ديوان الرسائل، وخلع عليه، وزاد في مرتبته، فلم تطل به المدة حتى مرض مرضه الذي احتضر فيه.

فحدثني أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الفارسي قال: كان أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير وأبو القاسم المقانعي من خلص أصدقاء الإسكافي ومن يكبرون عنده، فلما مرض الإسكافي كتب إليه اللحام وكان أبو جعفر يلقب بطويس والمقانعي بقاشر:

طويس إحدى القواتر ... شؤماً و قاشراً و قاشراً

ومنهما يا أبا قا ... سم عليك أحاذر
فلا يكن واحد منهما ببابك عابر
إن لم يكن بك شوق ... إلى الثرى والمقابر
ثم إنه دخل عليه عائداً فوجده عنده أبا جعفر بن العباس بن الحسين وأبا القاسم المقانعي وابن مطران،
فقال من الرجز:
ثلاثة أودوا بفدّ عصره ... أودوا به في عنفوان أمره
قصده يوماً بعيد فجره ... وكان قلبي مولعاً بذكره
لفضله ونبله وفكره ... إذا طويس جالس في نحره
وقاشر قد انبرى من قشره ... عن سلة الشؤم وعن قمطره
فقلت قد أعوز جبر كسره ... من بعد ما كان دنا من جبره
وقد تقصّى فاطوه بغيره ... الشأن فيمن هم على ثمره
ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شاباً وآدباً وغدت لفراقه الكتابة شعناء. والبلاغة غبراء، أكثر
فضلاء الحضرة رزيتة، وأكثروا مرثيته، فمما أحاضر به الآن قول الهرثمي الأيوردي من قصيدة، منها:
ألم تر ديوان الرسائل عطّلت ... لفقدانه أقلامه ودفاتره
كنغر مضى حاميه ليس يسدّه ... سواه، وكالكسر الذي عزّ جابره
ليك عليه خطّه وبيانه ... فذا مات واشيه إذا مات ساحرة

الباب الثاني

في ذكر

العصرين المقيمين بالحضرة البخارية

والطائرين عليها والمتصرفين في أعمالها

وتوفية الكتاب شرطه من ملح أشعارهم وظرف أخبارهم.

كانت بخاري في الدولة السامانية مثابة الجدد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض،
وموسم فضلاء الدهر.

فحدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال: اتخذ والدي أبو الحسن دعوة بخاري في أيام الأمير السعيد
جمع فيها أفاضل غربائها كأبي الحسن اللحام، وأبي محمد بن مطران، وأبي جعفر بن العباس بن الحسن، وأبي
محمد ابن أبي الثياب، وأبي النصر الهرثمي، وأبي نصر الظريفي، ورجاء بن الوليد الأصبهاني، وعلي بن هرون
الشيبياني، وأبي إسحاق الفارسي، وأبي القاسم الدينوري، وأبي علي الزوزني، ومن ينخرط في سلكهم، فلما

استقر بهم مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أهذاب المذاكرة، ويتهادون رياحين المحاضرة،
ويقطفون نوافذ الأدب، ويتساقطون عقود الدر، وينفثون في عقد السحر. فقال لي أبي: يا بني هذا يوم
مشهود مشهور، فاجعله تاريخاً لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت، وأذكره بعدي في أعياد الدهر،
وأعيان العمر، فما أراك ترى على السنين أمثال هؤلاء مجتمعين، فكان الأمر على ما قال، ولم تكنحل عيني
بمثل ذلك الجمع.

أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراثي
من شياطين الإنس، ورياحين الأنس، وقع إلى بخاري في أيام الحميد، وبقي بها إلى آخر أيام السديد، يطير
ويقعن ويتصرف ويتعطل، ويهجو وقلما يمدح، وكان غزير الحفظ، حسن المحاضرة، حاد البوار، سائر
الذكر، ساحر الشعر، خبيث اللسان، كثير الملح والغرر. رامياً من فيه بالنكت، لا يسلم أحد من الكبراء
والوزراء والرؤساء من هجائه إياه، وكان لا يهجو إلا الصدور.

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال: تحككت وأنا أحدث باللحام فقلت فيه:

رأيت للّحام في حلقة ... للشعر تطبيقاً وتجنيساً

نخوة فرعون ولكّته ... جانس في حمل العصا موسى

قرينه إبليس لكّته ... خالف في السجدة إبليساً

ورأدت بذلك فتح باب إلى مهاجاته، فلم يجبني وجرى على قضية قول المنتبي:

وأغيظ من ناداك من لا تحبيه

قال مؤلف الكتاب: لم أر للحام ديوان شعر مجموعاً، فعنيت بجمع تفاريقه وضم منتشرة، ثم اخترت منه ما

يصلح لكتابي هذا، فمن ذلك قوله في الشكوى:

قد نفدت لا عذمتك النفقة ... منذ ثلاث فمهجتي قلقة

وليس في البيت ما يباع وما ... يرهن إلا درّاعة خلقة

وقوله:

كنت من فرط ذكاء واشتعال ... كتلّظي النار في الجزل البييس

فتلبّدت ولا غرو إذا ... خفّ كيس المرء مع خفّة كيس

وقوله:

أنا من وجوه النحو فيكم أفعال ... ومن اللغات إذا تعد المهمل

حتام لا ينفك لي بفنائكم ... أمل يخيوعود ظن يذيل

حال ترشفت الليالي ماءها ... وتجمّل لم يبق فيه تحمل

هذا واف أقفلت باب مطامعي ... دوني حما لله باب يقفل

ذابت على قوم سماءك بالندى ... ويدي تردد تحت غيم جامد

وأنا الذي إن وجدت لي أو لم تجد ... لك في الشاء على طريق واحد

وقوله لما صرف عن يريد الترمذ بابن مطران:

قد صرفنا وكلّ من ... كان قلبا صرف

وصرفنا بشاعر ... نعته ليس ينصرف

أي أنه أحق، والأحق لا ينصرف.

وقوله لما تقلد عمل الإحصاء دفعات:

قد صار هذا الإحصاء رسماً ... علي كالرسم في المظالم

وصرت أدعي به كأي ... ولدت في طالع البهائم

وقوله:

وأرجو أن يسهل لي وصول ... إلى المنشور من قبل المنشور

مدحه قوله في أبي جعفر العتيبي:

الشيخ أكبر من قولي وإكثاري ... لكن أحلي بذكر الشيخ أشعاري

وأعجب الدهر إذ عاتبته بفتى ... من آل عتبة نفاع وضّرّار

كأنما جاره في كلّ نائبة ... جار الأراقم في أيام ذي قار

يجري المكارم في لا وفي نعم ... فالناس في جنة منه وفي نار

وقوله في الحسن بن مالك:

لبسنا كل داجي اللون حالك ... وقطّعنا المسالك والممالك

وأعملنا السرى حتى نولنا ... بزّم في ذرى الحسن بن مالك

فتى قد حاز إفضالاً وفضلاً ... ولم يحلل بها إلّا لذلك

فقل للدهر كد غيري رجلاً ... فلسنا بعد هذا من رجالك

ما يستملح من أهاجيه قال في الحاكم الجليل من الرجز:

قولاً لنوح ثم للفتكين ... لشؤم هذا الحاكم اللعين

سللتما عن مثل ملك الصين ... كسلّة الشعر من العجين

وقال في القحطبي:

أما الهمام فهمّه ... في صون ملك المشرق

والقحطبي فللذي ... بهواه غير موفّق

ومتى يوفّق من له ... في طيّ ذاك اليلمق

شره يبيع الدين فيه ... بفلنة أو جردق

ويد كأنّ بناها ... قطعت مخازن زبثق

لودق كلّتا مرفيه ... لحبه لم يرقق

أو شكّ حبة قلبه ... في حبه لم ينطق

يختال بين مخنث ... ومواجر مسترّزق

فكأن من يغشاهما ... في جنح ليل مغسق
من ذاكر أضياف جفنة في الزمان الأسبق
وقال وأبدع في تضمين هجائه بيتاً للنابعة في وصف الأحقوان:
يا سائلي عن جعفر علمي به ... رطب العجان وكفه كالجلمد
كالأحقوان غداة غبّ سمائه ... جفّت أعاليه وأسفله ندي
وقال في أبي جعفر العتيبي من الرجز:
تغيرت أخلاق هذا العتيبي ... وصار لا يعرف غير العتب
وغير ضرب دائم وسبّ ... وقد حشا فصار مثل الدبّ
عليه ألف لعنة من ربي وقال فيه:
ما لقينا من ... القيصر العريض المنزّز
كان حرّاً فصار ... نبراً على كلّ أنبر
عذب الله نفسه في حبوس القمنذر
وقال فيه:
برئت من وائل وبكر ... ومفجر وابل وبكر
إن جنتكم طالباً لشغل ... وأحمد بن الحسين صلر
وقال في قوم من صنائعه وأصحابه:
صنائع الشيخ سوى حمد ... بياذق الشطرنج والتّرد
منهم أبو نصر وسبحان من ... براه من أسطمة البرد
ولعنة الله على بعضهم ... وهو أبو بكر بن شهمرذ
وبعد لولا الحفظ للعهد ... لقلت في المضطرب القدّ
فارجع إلى حمد فما فيهم ... يا سيدي أنذل من حمد
ويحكى أن حمد بن شاهمرذ لما سمع الأبيات اهتز لإخراجه إياه من جملة من هجاهم فلما سمع البيت الأخير
استرجع وقال: ليتّه أجراني مجراهم ولم يخصني بالدم.
وقال يوماً أبو أحمد بن منصور للحام: قد هجوتني؟ قال: لا، قال: فاهجني وخلاك الدم، وقدم إليه القرطاس
والدواة، فكتب:
قالوا أبو أحمد حرّ فقلت لهم ... حرّ لعمرى ولكن فاكسروا الحاء
فإن أردتم محالاً أو به سفهاً ... فأبدلوه بياء وانقطوا الراء
وقال لأبي طلحة قسورة بن محمد:
إني أمرء يا أبا طلحة بنصحك صبّ
هذا زمانك فاختم ... بالطين، والطين رطب
وقد وعظمتك إن كنت للمواعظ تصبو

وإن رجوتك من ... بعدها فإني كلب
أحسن فمالك عنر ... وما على الدهر عتب
فإن سقيا الليالي ... فيها أجاج وعذب
وقال:

يا أبا طلحة استمع ... قول من فيك قد صدق
لك وجه كآته ... صيغ من قمقم خلق
وخلال إخالها ... من كيف قد انبتق
قم فلا خير فيك ... يا خلق الخلق و الخلق
وقال في بطة بن كوسيد وفي أبي مازن قيس بن طلحة وأبي يحيى الحمادي:
ملك الديوان قيس ... وأبو يحيى وبطه
كلهم أخزاهم الله على الأحرار سخطه
ليس فيهم من يساوي ... في نفاق السوق شرطه
وفي أبي يحيى:

تكذب الكذبة جهلاً ... ثم تنساها قريباً
كن ذكوراً يا أبا يحيى ... إذا كنت كذوباً
وقال في بطة:
ولا تدع قطّ قفا بطّة ... فإنه قد صار كالبطه
أثري بمرّ بعد أن لم يكن ... يملك إذ حلّ بها شرطه

قال في ابن حسان:
بالراح أقسم صرفاً ... والعود والسرنا
أن ابن حسان في حا ... ل لشدة ورخاء
ما أثر الباغ إلا ... لفرط داء البغاء
حتى إذا عزّ أير ... أنحى على القثاء
وقال في تميم بن حبيش:

يا تميم بن حبيش ... كل ذاك الطيش أيش
غنما أنت وكيل الباب ... لا صاحب جيش
قد تبظرت وقدماً ... كنت في أنكد عيش
كنت ذمياً فصرت اليوم في أعلى قریش
وقال من نتفه:

ويرز للرائين وجهاً كائماً ... كساه إهاباً من قشور الخنافس

وقال في أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين:

محمد بن عليّ ... سبط الحسين بن حامد

وإني فسّر ولي ... به وأكمد حاسد

قد قلت لما بدا لي ... في مسك بعض الأسود

الحمد لله شكراً ... قد زاد في الرطّ واحد

وقال في أبي علي البلعمي:

وزارة البلعميّ منقلبة ... وهو كفقل غدا على خربة

لم يرع للأولياء حرمتهم ... فيها ولا للوجوه والكتبه

قد قلبت وجه كلّ مكرمة ... متى تراها عليه منقلبه

فهو أحقّ الوريّ بداهية ... تضحي لها راسه على خشبة

وقال فيه والعتي منفي إلى بست من الرجز:

متى أرى الشيخ الذي ببست ... كالبلر يبدو طالعاً في الدّست

لحيه هذا البلعمي في استي وقال فيه:

أبا عليّ أنلني بعض آمالي ... يرضيك أيري وإن لم ترض أقوالي

إن كان ساعك أقوال نطقت بها ... فسوف يرضيك عني حسن أفعالي

وقالني ابن عزيز:

إذا فقد البؤس في بلدة ... وأعوز وجدانه في العوير

ولم يوجد الجود في مجلس ... سحيق الأفاصي ولا قعر دير

فمعدن وجدانه حاضر ... خوان محمد بن العزيز

خوان عظيم ولكنه ... خلي الجوانب من كل خير

فتى لا يرجى على الحادثات ... لتقريب خير ولا دفع ضير

كثير التقلّ في داره ... فمن أصل أير إلى أصل أير

فعلّمته بقناديلهم ... يطوفون من دبره حول دير

وقال فيه:

طعام محمد بن عبد العزيز ... تداوى به المعدة الفاسده

حشائش بقراط معجونة ... به وعقاقيره الفارده

جرداقة درّة ذرّة ... على عدد الفتية الوارده

على عدد القوم رغفانه ... فلست ترى لقمة زائده

أرى الصوم في أرضه للفتى ... إذا حلّها أعظم الفائده

وقال فيه:

لقيت أشأم طير ... وسرت أنكد سير

مواصلاً كلّ شرٍ ... إذا مجانباً كلّ خير
طارت عليك نحوس ... تجري بأشأم طير
فأنت خنزير خلقٍ ... تغدو بأخلاقٍ غير
وليس يعرف ما قد ... حوى قميصك غيري
إن ساء فيك مقالي ... فسوف يرضيك أيري
وقال في غيره من البسط:

تشّى بما فيك من سوء التناشيم ... يأوي إليها الحنا والجهل والبيكم
حماك حلّ ومن يأويه مبتذل ... لنايكيك وما في كَفْكَ الحرم
قسمت نصفين علو شأنه بخل ... عند السؤال وسفل زانه كرم
يا كاتباً كلّما أفنى أدراجه ... دس الطوامير في وجائعه الخدم
إن الكتابة أمست غير طاهرة ... مذ حاض في يدك القرطاس والقلم
حدثني أبو القاسم الأليماني، قال: بني أبو الفضل القاشاني داراً سرّاً فلما فرغ منها سأل اللحام وقد دخل
إليها مهتئاً أن يدور فيها ويتأملها ففعل وأنشأ يقول من البسط
متى أراها ينادي حولها اليوم ... وللنساء بها نوح وتلطيم
متى أراها يبأباً لا أنيس بها ... متى يقام على الشيخ المآتيم
إسمع أبا الفضل لا أسمعت صالحةً ... يا كلب يا قرد يا خنزير يا بوم

وأنشدني أبو القاسم قال: أنشدني الحام لنفسه في علي بن الحسين:
إلى الله أشكو أهل يزد بأسرهم ... وألعن شخصاً جاء من جانبي يزد
زنيماً إلى أبناء ساسان ينتمي ... بوجه عريق اللؤم في نسب الهند
إذا عدّ أهل الخير بضدهم ... وإنّ عدّ أهل الشرّ لم يك بالضدّ
لسان إلى البهتان أهدى من القطا ... وكفّ على العدوان أعدى من الفهد
فأخرسه ربّ على ذاك قادر ... وأفرد كفيّه جميعاً من الزند
وأنشدني غيره له في الحاكم الجليل:

بعد الخمول غدوت صدر المواكب ... وجررت كبيراً ذيل كل تسحب
يامن يمر على الورى متبظرماً ... أنظر إلى أطلال دار المصعبي
وله في أبي مازن لما صرف عن الديوان وأمر بلزوم منزله:
أبو مازنٍ لازم منزله ... وأصبح في النلس لا ذكر له
رماه الزمان بأحداثه ... ومن حيث أخرجه أدخله
وله فيه وفي أبي بكر محمد بن سباع من البسط:
مضى أبو مازن لا ضير وارتفعت ... قهّب لا بن سباع ريح إقبال

كذلك الدهر في تصريفه عجب ... ما زوال يبدل أنذالاً بأنذال
وله في أبي جعفر بن العباس وابن مطران:

عاد إلى الحضرة إثنان ... طويس والنذل ابن مطران

إثنان ما إن لهما ثالث ... إلا عصا موسى بن عمران

وقال في ابن مطران:

ما زال بالشاش فوق باكية ... يسقط حتى احتواه مسقطه

وكاد فيمن يموت من سغب ... هنا لولا استه وبربطه

وله فيه:

هذا الشويشي الذي وافى ... لسانه معتقل فافا

يخلف الرحمن في قوله ... لا يسألون الناس إلحافا

وقال في بعض الحكام:

قلنسوة على رأس صليب ... مساحته جريب في جريب

وإن يدي وهامته ونعلي ... قريب من قريب من قريب

وله في أهل حوارزم:

ما أهل خارزم سلالة آدم ... ما هم وحق الله غير بهائم

أترى شبيه رءوسهم ولغاتهم ... وصفاتهم وثيابهم في العالم

إن كان يقبلهم أبونا آدم ... فأنا بريء من أبينا آدم

وله فيهم وقد حصل على عمل البريد بها:

لا نال من ربه منه ... ولا شفاه ولا رعاه

من سامني الكون في بلاد ... رءوس سكانها جباه

أعدو بلا مؤنس وأمسي ... إمساء من ليله ضحاه

لدى خسيس يظنّ تيهاً ... أن ليس في ذا الورى سواه

له ثنايا كأنما قد ... عضّ بأطرافها خراه

وقوله:

وقاتل لي دتست النجاء بمن ... يدتس أن أقي وإن شردا

فقلت أنصفت لكن هل سمعت بمن ... إن هرّ كلب عليه نازل الأسد

وله:

يا رب لا ترضي الذي يرضى ... أخسف به وبداره الأرض

يا رب لا ترضي الذي يرضى ... أخسف به وبداره الأرض

إن لم يكن خسف قلا عجب ... أحله جوف حرامه عرضا

وقة له:

قلقل الله ماضيك وفكّي ... ك وبّت الكفين من زنديكا
كم تصلي على جنائر موتا ... ك أما آن أن نصلي عليكما
وله:

عبدان هامته للصفع معتاده ... لاسيما من أكف السادة القاده
كأن أيدي الندامة في تناولها ... أيدي صيام إلى كيزان برّاده
وله:

سبحان ذي الملكوت من متقدّس ... لم يبق شيء في الورى لم يخس
داءن كانا في الملوك فأدبرا ... وتواضعا داء البغا والنقرس
وله في أبي عبد الله الشبلي يهجوّه من الرجز:
وألّف أيرّ من أيور الزنج ... مضربة في رقعة الشطرنج
بلا حزامٍ وبلا برطنج ... في إست بعض الناس من بوشنج
من شعره في شتى الفنون ماعلق بحفظي في فون شتى قوله في الغزل: ٥
ما على مستقي بآل ... حافظة لو ترّفقا
لك حل دمي فرأ ... يك فيه موفّقا

أنا لا شكّ ميّت ... فلك العمر والبقا
وقال في استهداء الشراب:

عندي يا سيدي ومولائي ... من بهواه قد طال بلوائي
وقد رأى أن يبيت مبتدياً ... وكان ما قد رآه من رائئ
وليس عندي من الشراب له ... وحقّ ما بيننا سوى الماء
وقوله لبعض الوزراء:

إن الذين مشوا إليك على دمي ... لم أصغ فيك لهم وهم عذالي
حتى إذا ما استيأسوا مني سعوا ... ووشوا لم يجر قطّ ببالي
وقوله:

إني اعتللت علّة ... سقطت منها في يدي
وكان في الإخوان من ... لم أرهم في العود
فقلت في كلّهم ... وقل امرئٍ مقتصد
أير الذي قد عادني ... في است الذي لم يعد
وله:

بعثت يا سيدي بقرعه ... فبلّها لي ولو بجرعه
فعندنا أمرّد قبيح ... لكّنّه في الفساد بدعه

وله من قصيدة:

ما إن أرقّت بحرصي قطرةً فجرت ... من ماء وجهي إلّا خلت ذاك دمي
ولا مشّت قدمي في حظّ مطعمةٍ ... إلّا تمتّيت أنّي ما مشّت قدمي
جارت دهرى زماناً راكباً طعمي ... فدمت أجري على حال ولم يدم
فما رأيت بخيلاً حال عن بخلٍ ... يوماً ولم أر مطبوعاً على الكرم
ذكر نبذ من هجائه قال ابن مطران فيه:

أبا حسن ألا قل لي ... ويّين منتهى أدبك
بأية حيلةٍ قوّمت عطف الحاء من لقبك وقال أبو جعفر محمد بن العباس الوزير فيه:
من احتاج إلى السيف ... فما في فيك يكفيك
وما جارحة فيك ... لنا أجرح من فيك
وأطراف المساويك ... لتبني عن مساويك
وقال فيه:

إن الذي أفنى الخطيئة بعدما ... أفنى الهجاء وباء بالآثام
وأباد هجاء الخلائق دعبلاً ... من بعده وفنى بني بسّام
سيرد أعراض الكرام بمنه ... ولطيف قدرته من اللّحام
وقال أبو نصر الهزيمي:

لثم لا تبيع ولم لا تشتري اللحم ... ياشرّ من شتم الأحرار أو شتما
لقد صلدت عن القول الجميل فما ... فتحت مذ كنت إلا بالقبيح فما
عميت من طول ما قهجو الكرام ومن ... عمي الفؤاد بدا في ناظريك عمى
ذكر آخر عمره لما لم تزده الشيخوخة إلا بذاء، وتولعاً بأعراض الأحرار، ومجاهرة بالوقية في المحتشمين
والكبار، ولم يسلم منه أحد من أصحاب السيوف والأقلام، وشاع من شنيع هجائه للبلعمي ما يبقى على
الأيام، وساءت الآراء فيه، واتصلت الشكايات منه، خرج الأمر السلطاني بتأديبه وعرك أديمه. وتطهير
الحضرة من خبث أقاويله، فأنفذ إليه وإلى الشرط مسوداً امتثل فيه الأمر، ولزمه حتى عبر به النهر، فقال فيه
ابن مطران الطويل:

لسانك يا لحام ألقاك في ورطه ... ومزدحم الأسواء لاقاك بالضغطة
لئن كان لم يدبغ لسانك دابغ ... لقد أحسنت بالأمس دبغ استك الشرطه
إلى كم تسوء الناس عيشك سالماً ... فمت هرماً يا كلب إن لم تمت عبطه
ولا نلت ما عمّرت خيراً ولم توال ... لدائرة الأسواء رأسك كالنقطه

ثم إن البلعمي ندم على استحيائه، وخاف بادرة لسانه، وعلم أنه لم يتوجه إلا لتلقاء نيسابور فكتب إلى
صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور وكان قد هجاه أيضاً في إذكاء العيون عليه، والجد في تحصيله،
وكفاية شغله، ووافق ورود الكتاب قدوم اللحم نيسابور ونزوله خان وشمكير، فم يشعر إلا بهجوم من

أزعجه وحمله وضبنه على البغال سائراً به إلى قائن، وهو مريض لا يقل رأسه، فلما شارف المقصد قضى نحبه، ولقي بصحيفته السوداء ربه.

أبو محمد المطراني

الحسن بن علي بن مطران

شاعر الشاش وحسنتها وواحدتها، فإنها وسائر بلاد ما وراء النهر لم تخرج مثله إلا أبا عامر إسماعيل بن أحمد بعده، وكان ابن مطران بخير وحسن حال يرد الحضرة بالمدح، وينصرف بالمنح، ويتصرف في أعمال البرد بما يرتفق به ويرتق منه، وشعره مدون كثير اللطائف.

حدثني السيد أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال: كنت يبخارى كثيراً ما تجمعني وابن مطران، فأرى رجلاً مضطرب الحلقة من أجلاف العجم، فإذا تكلم حكى فصحاء العرب، على حبة يسيرة في لسانه، وكان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس، وأدب الأنس، فيطرب بنثره، كما يطرب بشعره، ويؤنس يهزله، كما يؤنس بجده، وقد عيره اللحم في بعض أهاجيه، وكان بينهما سوق السلاح قائمة فيتهاجيان ويتهاتران ولا يكادان يصطلحان. وكان اللحم يربي عليه في الهجاء، ولا يشق غباره في سائر فون الشعر، وبلغني أن ديوان شعر ابن مطران حمل إلى حضرة صاحب فأعجب به فقال: ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله، ومر له في الشراب المطبوخ:

وراح عذبتها النار حتى ... وقت شرابها نار العذاب
يذيب الهم قبل الحسولون ... لها في مثل ياقوت مذاب
ويمحها المزاج لهيب خد ... تشرب ماؤه ماء الشباب
فيعجب من حسن البيت الأول وتحفظه، وكان كثيراً ما ينشده، ويقول: كأنه مقلوب قول السري في الخمر:

هات التي هي يوم الحشر أوزار ... كالنار في الحسن عقي شربها النار
ومن سائر شعره قوله في أبي علي البلعمي من قصيدة أولها:
ألم المشيب برأسي نديراً ... وولّى الشباب بعيشي نصيراً
وأصبح ضوء صباح المشيب ... لغربان ليل شبابي مطيراً
كذاك إذا لاح ثور البكور ... لسود الطيور هجرن الوكورا
هو الشيب مخبره مظلم ... وإن كان منظره مستنيراً
وقد كان إظلامه في العيون ... ن يجلو العيون ويشفي الصدورا
فأعجب بلون سواد أنار ... ولون بياض أبي أن ينيرا
كأن الغواني رمد العيون ... يطالغن من شيب فودي نورا

إذا هنّ قابلن نور المشيب ... أدرن على ذلك النور نورا
وإن هنّ واجهن زور الخضا ... ب أعرضن عن ذلك الزور زورا
ومنها في المدح:

بلونك حين يرجى الولي ... عرفاً ويخشى العدو النكيرا
فلم تك إلا اختياراً نفوعاً ... ولم تلك إلا اضطراراً ضرورا
ولم ترد الشر إلا جزاءً ... أراد بك الله خيراً كثيراً
ولو لم تخف سوء ظنّ الشكور ... لما كنت بأسوء يجزي الكفورا
وله من قصيدة:

ترمي مكايده العدو ... بما التحفظ منه ضائع
من واقعات بالمقا ... تل قاتلات بالمواقع
وله من تشبيب قصيدة:

أخو الهوى يستطيل الليل في سهره ... والليل في طوله جارٍ على قدره
ليل الهوى سنة في الهجر مدته ... لكنه سنة في الوصل من قصره
وله في مثل هذه الصنعة وإن كانت في معنى آخر:
كان التصرف في خفض وفي دعة ... أقل مدته فيما يقال سنه
فالآن قد صار من شؤم ومن نكد ... بالخفض من سنة حتى يقال سنه
وله في استهداء العنب:

يا أحمد الأكرمين سيره ... فيهم وأذكا هم سريره
من بهماته العوالي ... أضحت عيون العلا قريره
من يرى بشره بشيراً ... أمواجه ثرة غزيره
لترمي راحتك شهياً ... مضلعات ومستديره
أشب العنبر المعلي ... مسكاً به دهمة يسيره
بلاد مجموعها ثلاث ... الهند والترك والجزيره
ولا يكن حبسها طويلاً ... عني وأعدادها قصيره
وله من نيروزيه:

قد أتاك النيروز وهو بعيد ... مرّ من قبله قريباً رسيل
سل سبيلاً فيه إلى راحة النفس براح كأنها سلسيل
واشتمالاً على السرور وهل يجمع شمل السرور إلا الشمول
وهدايا النيروز ما يفعل النا ... س ولكن هديتي ما أقول
وله من تشبيب قصيدة:

مهفهفه لها نصف قضيب ... كخوط البان في نصف رداح

حكّت لينا ولونا واعتدالا... ولحظاً قاتلاً سمر الرماح
وله أيضاً من تشبيب قصيدة أخرى:

كتاب : يتيمة الدهر

المؤلف : الشعالي

ظباء أعارتها المهاحسن مشيها ... كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقلبت ... مواطىء من أقدامهن الصفائر
أخذه من قول ابن الرومي فزاد فيه وحسنه:
ووارد فاحم يقبل ... ممشاه إذا اختال مشية عذره
وقال في استهداء حنطة في سنة قحط بيخارى من الرجز:
يا أيها ذا السيد المؤمل ... أرسى من الدهر عليّ كلكل
يكاد أن يفك منه المفضل ... ثلاثة عيشي بهنّ مثقل
القحط والعيلة والعطل ... لي من بني الروم إمام مقول
قد باسط السادة فيما يؤكل ... ولست ممن لا غتنام يسأل
لكن إذا أعياني التمحلّ ... والحنطة السمرء حين تحمل
أحسن من بيضاء حين ترفل ... واللحب للنفس الحبيب الأول
فليس لي إلا به تعللّ ... تنور داري مهمل معطلّ
ومطبخي مع الخوان مهمل ... والسوق قفر ليس فيها مأكل
والضيق في ذا العام ضيق يشمل ... لا زالت من جاه ومال تبذل
أفضل حرّ يرتجى ويسأل ... لا زالت الدينا عليك تقبل
بخيرها والخير منك يقبل ... ما زرع البرّ وطال السنبل
وقال في أبي حاتم محمد بن الربيع الطوسي:
كأن أبا حاتم لا يزا ... ل يصرف في الصرف لا في العمل
إذا حلّ أرضا دنا طعنه ... توقّع رحيلاً إذا قيل حلّ
فتى لا يبيت على بطنة ... ولا يأكل الخبز إلا بخل
فتى عنده أنه يستقل ... بكل الأمور ولا يستقل
ويوجب تدبيره أن يكون ... رئيساً يعزّ ولا يستنل
وله في ثلجة سقطت بعد النيروز و برد أضر بالأنوار:
عجباً لأذر جاء في آذار ... وتفاوت الأفلاك في الأدوار
طلعت عشاءً للبيات سحائب ... أنواؤهن خسفن بالأنوار
أبدى الربيع لنا شتاءً مضمراً ... يأبي ظهور ضمائر الأشجار
ندم الشتاء على التقضيّ فانثى ... لينال منتقما بقايا النار
وكتب إلى صديق له رأى عنده غلاماً فاستشرطه:

رأيت ظبياً يطوف في حرمك ... أغنّ مستأنساً إلى كرمك
أطمعتني فيه أنّه رشاً ... يرشني ليحشى وليس من خلمك
فاشغله بي ساعة إذا فرغت ... دواته إن رأيت من قلمك
وله وقد سمع قول محمد بن عبد الله بن طاهر: ما جمشت الدينا بأظرف من النبيذ:
ألا إن دنياك معشوقة ... تجمشها كلّ عيش لذيد
ولكنها قطّ ما جمّشت ... من الملهيات بمثل النبيذ
وله من قصيدة:

كم غصت في مدحك فكراً على ... ترّ نفيس غير مقبوب
ولم يغص رأيك يوماً على ... بري ولا رأي لمكذوب
إن كان موعودك الجود لي ... أكذب من موعود عرقوب
فإن إخبارك في مدحتي ... أكذب من ذنب ابن يعقوب
وله من أخرى:

يا من إذا مادح أثني عليه بما ... في نفسه قام من مرآة شاهده
والمرء مرآة مرآة يلوح بها ... في الغيب منه لعينيّ من يشاهده
ألم فيه بقول الرومي:
وإذا ما محابر الناس غابت ... عنك فاستشهد الوجوه الوضاء
بشرّ البرق بالحيا وسنا الصبح بأن يقلب الدجى أضواء
وله من أخرى:

شهر الصيام باليمن طائره ... عليك ما جدّ باديه وعائده
ودام قصرك مرفوعاً مجالسه ... لزائريه ومنصوباً موائده
ودام صدر عظيم أنت ماهده ... وعش لملك عزيز أنت واحده
فأنت منظره الأبهى وناظره ال ... أعلى ومنكبه الأقوى وساعده
وله في أخوين كريم ولئيم:
بين أخلاقه التي هي أخلا ... ق وأخلاقك العتاق مسافه
ولعمري لفي ادعائك إياه ... ابن أم يبطال علم القيافة
وقال في وصف الشتاء:

وشتاء محمق الكلب فلا ... يغلو قديره
كلما رام نباحاً ... زم فاه زمهريه
وله في أكل:

إنّ أبا طالبنا ... له فم كالمعد

يهضم ما يمضغه ... من غير أن يزدرده
وله:

والمودّات ما خلت ... من تهاد مكدره
كطبيخ خلا من اللحم يدعى مزوره
وله، وهو من ظرفه:

ترهى علينا بقوس حاجبها ... زهو تميم بقوس حاجبها
وله في أبي الفضل المعافى بن هزيم الأيوردي:
أصبح الملك مبتلىً بالمعافى ... وهو ثما به ابتلاه معافى
ورد الباب لا نتصاف من الدهر فأفنى الصحاح والأنصاف وقال في اللحام وقد اعتذر إلى بعض الرؤساء من
هجائه:

قل للحيحيم إنّ مدحك عن ... هجوك ما إن يقوم معتذرا
وهل يعفى على إساءته ... تبصيص الكلب بعد ما عقرا
وله من قصيدة:

طال افتتاني بطبي ورد وجنته ... يجنى فؤادي وكّفي ليس تجنيه
نصّ ينمّ على أسرار نعمته ... لباسه فكما يكسوه يعريه
فكيف ألثمه واللحظ يؤلمه ... والشمّ يكلمه والضمّ يدميه
وله من أخرى:

طبي أنس فدته وحش الأطباء ... شف جسمي بطول منع الشفاه
شادن يرتعي سويداء قلبي ... حسن يرنو من مقلة سوداء
شبّ فيه الشباب نار جمال ... عدّلت ناره بماء البهاء
وله في وصف ثوب أهدها إليه صديق:

أبا نصر سمحت لنا بثوب ... حكى في فرط ضيق العرض باعك
سخافة نسجه تحكيك لكن ... غلاطة نسجه تحكي طباعك
وله من قصيدة كتب بها إلى إخوان له بالشاش من رباط كان التجأ إليه من فتنة وقعت بالناحية:

فرّتم بأنس ألفة وخلاط ... وتركتموني في كنيف رباط
وسعت صحون فيه إلا أنما ... من ضيق صدري مثل يمم خياط
جاوت فيها نسوة ساسية ... نسل الحرام حلائل السقاط
سلب الزمان شعورها وشعورها ... طهر السواك وزينة الأماط
يحملن أطفالاً كأنّ وجوههم ... طليت بصمغ من ييس مخاط
فيهن فيئات إذا غنّيني ... غنّيني وقصمن ظهر نشاطي
أمعأوها أوتارها وبطونها ... أعوادها واللحن رجع ضراط

ولهن أزواج عى أكتافهم ... كنف معلقة من الأباط
إن يسهروا لتسامر فكلامهم ... لا يستبان كصرة الوطواط
أو يرقدوا فحلوقهم وأنوفهم ... فما تغطّ كحقة الخراط
وخلال ذلك يسمعونك كارهاً ... صوت الضراط كمثل شقّ رباط
حتى يغص بع الرباط كأنما ... إرساله من غير ذات رباط
ختموا الطريق بطينة بطنية ... ليفكّ ذك الختم رجل الواطي
لا أستطيع تحفظاً منها ولو ... أعملت فيه توقي المحتاط
أمشي بأطراف الأصابع بينها ... حذراً كأني فوق حدّ صرط
وبراغث مثل الخطوب طوارق ... حذب الظهور غليظة الأوساط
يخسون ماء حياتنا فجلودنا ... كمصاحف محمّرة الأنقاط

أبو جعفر محمد بن العباس

بن العباس بن الحسن

هو ابن العباس بن الحسن وزير المكنفى والمتقدر، وأخباره مشهورة، وأيامه في الوزارة مذكورة وأبو جعفر
هذا كاتب بليغ حسن التصرف في النظم والنثر، رمت به حوادث الدهر إلى بخاري، فأكرم مثواه كالعادة
كانت للملوك السامانية في معرفة حقوق الناس وأبناء النعمة و أغذياء الرياسة، لا سيما الجامعين إلى كرم
النسب شرف الأدب، وتقسمت أيامه بين الأولوية السنية، والطلعة الهنية وكان على تماسك حاله وانتعاشه
وارتياشه شاكياً لزمانه مستزيدا لسلطانه، وله القصيدة التي سارت في البلاد وطارَت في الآفاق لحسن
ديباجتها وبراعة تجنيساتها، وكثرة رونقها، وأنشدنيها غير واحد من انشله أبو جعفر إياها، وأولها:

لئن أصبحت منبوذاً ... بأطراف خراسان
ومجفواً نبت عن لدّ ... ة التغميض أجفاني

ومحمولاً على الصعبة من إعراض سلطاني
ومحصوصاً بحرمانٍ ... من الأعيان أعياني
وصرفٍ عند شكواي ... من الآذان آذاني
ومكلوماً بأظفارٍ ... ومكدوماً بأسنان
وملقى بين أخفافٍ ... وأظلافٍ توطّاني
كأنّ القصد من أحدا ... ث ازماني إماني
فكم مارست في إصلا ... ح شاني ما ترى شاني
وعاينت خطوباً جرّ ... عتني ماء خطبان

أفادت شيب فودي ... وأفت نور أفناني
أغصّني بأرياق ... لدى إوراق أغصاني
وقادتني إلى من هو عنيّ عطفه ثاني
سوى أني أرى في الفضل ... فرداً ليس لي ثاني
كأنّ البخت إذ كشّف عنيّ كان غطّاني
وما خلاني إلّا ... زماناً فيه خلّاني
سأسترفد صبري ... إنّه من خير أعواني
وأستتجد عزمي إنّه ... والحزم سيّان
وأنضو الهم عن قلبي ... وإن أنضيت جثماني
وأنجو بنجاتي إن ... قضاء الله نجّاني
إلى أرضي التي أرضى ... وترضيني وترضاني
إلى أرض جناها من ... جنى جنة رضوان
هواء كهوى النفس ... تصافاه صفّيان
رخاء كرخاء شرّ ... د الشدة عن عاني
وماء مثل قلب الصبّ قد ربع بهجران
رفيق الآل كلال ... وفيه أمن إيمان
وترب هو والمسك ... لدى التشيه ترّبان
فإن سلّمني الله ... وبالصنع تولّاني
وأولاني خلاصاً جا ... معاً شملي بخلصاني
وأرآني أودّائي ... وآواني لإيواني
وأوطّائي أوطّاني ... وأعطاني أعطاني
وأخلى ذرعي الدهر ... وخلّاني وخلّاني
فإنّي لا أجدّ العو ... د ما عاد الجديدان
إلى الغربة حتى تغرب الشمس بشروان
فإن عدت لها يوماً ... فسجّاني سجّاني
وللكوت الوحي الأحمر ... القاني ألقاني
وأنشدني أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم قال: أنشدني أبو جعفر بن العباس لنفسه:
لست في ذا العذار والأمرد الحا ... سر عن رأسه العذار بخالغ
الوقايات في الوقاية عندي ... فلهذا مقانعي في المقانع
وأنشدني له أيضاً:
بوجهك يا من منه أديمه ... وراق الدمى حسنا أريق دمي عمدا

فأقسم أن لو قسمت صبوتي على ... بسيم الصبا ما نسّم النسم البردا
وأنشدني أبو القاسم الأليماني قال: أنشدني أبو جعفر لنفسه في أبي جعفر العتيبي
ألا من مبلغ المكروب قولاً ... بدا عن نصح مأمون المغيب
جعلت الدهر حربك وهو سلم ... فلم تسلم عليه من الحروب
وحالفت العبوس لغير بؤس ... فأسلمك القطوب إلى الخطوب
وكان بالخرصة رجل من الظاهرية يقال له أبو العباس الظاهري، ينادم الكبراء، ويتعاطى آلة اللهو، وربما
يشعر، وكان يلقب ببشار لسوء في عينيه وعبث منه بالشعر، فقال فيه أبو جعفر:
إنّ الأمير أباالعباس بشار ... قرّم نمته إلى العلياء أخيار
فما يفارقه في الحجر مزهره ... وما يفارقه في الحجر مزمар
وقال فيه أيضاً:
أضحى أبو العباس مع علمه ... بالقلب والإبدال مفتناً
فعينه غين إذا ما رنا ... وغينه عين إذا غنّا
وقال فيه وكانت له أم ولد مغنية تحضر معه مجالس الأنس:
بشار لولا غناء حرمتك الجامع بين الإحسان والطيب
لكنت مثل المجذوم مجتنباً ... إن لم تصدق فقل لها توبي
٣٤٩٩ - ابن أبي الثياب أبو محمد من ندماء ابن العميد، وله فيه شعر كثير، وكان فسيح مجال الفضل، وافر
الحظ من الظرف، ولما فارق ابن العميد وورد بخارى نجحت سفرته وحظي بالقبول، ونادم فضلاء الصدور،
وهاجى أبا جعفر محمد بن العباس، فمن قوله فيه:

إن ابن عباس أبا جعفر ... يئذل للنّاكة أوراكه
تراه من تيه ومن نخوة ... كأثّه نك الذي ناكه
وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي له في أبي العباس وكان يلقب بطويس:
وقاتل قال سرّاً ... عن غير لب وكيس
لم لا تنيك طويساً ... وأنت جار طويس
فقلت كيف افتراشي ... عتراً ولست بتيس
وأنشدني حاضر بن محمد الطويس لا بن أبي الثياب في كتاب معنون بالحرمة:
هذا كتاب فتى جفاؤك مضرم ... ناراً من الأشجان بين ضلوعه
ودليله في فيض مقلته دماً ... أنّ الكتاب مخضّب بنجيجه
ووجدت له بخط الرئيس أبي محمد الميكالي رحمه الله تعالى:
يا همّاماً يطول كلّ همّام ... بالتقديم المشهود في الأقوام
والحديث الذي أذاع حديثاً ... عن سماء تهمي بغير غمام

أنت بحرٌ يحيش بالدر لكن ... نظم در البحار للنظام
فارغ للشعر ذمة في ولي ... قد كفاه الولاء كل ذمام
وأعد أوجه المنى لبنيتها ... ضحكاً عن مدامع الأقلام
فسواد التوقيع يجلو لعيني بياضاً من الأيدي الجسم
لست أشكو إليك أيام دهر ... أنت فيها ذخيرة للأنام
حسبي الله في إدامة نعماً ... إنك للمسلمين والإسلام
وأنشدني بديع الزمان له من قصيدة:

وهاجرة تشوي الوجوه كأنها ... إذا لفحت خدي نار تأجج
وماء كلون الزيت ملح كأنما ... بوجدي يغلي أو بهجرك يمزج
تعسفها السير الأشد إلى فتى ... سنا وجهه جنح الدجى يتلج
وأنشدني أبو سعد يعقوب له في وصف شمعة:
ومجدولة مثل صدر القناة ... تعرّت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على الرأس كالبرنس
إذا غازلتها الصبا حرّكت ... لساناً من الذهب الأملس
فنحن من النار في أسعد ... وتلك من النار في أنحس
وقد ناب وجهك عن حسننها ... وعن ذا البنفسج والنرجس
فيها حامل العود حثّ الغنا ... ويا حامل الكأس لا تحبس
أبو الحسن علي بن هارون الشيباني

وليس بالمنجم من فضلاء الطوائن على تلك الحضرة، المتحلين بالأدب والشعر، الحاصلين بين أنياب الدهر،
وهو القائل لوزير الوقت:

حمل الرياسة مل عملت ثقيل ... والدهر يعدل مرّة ويميل
ياراكب الآثام في سلطانه ... أنظر إلى الأيام كيف تحول
هي ما سمعت وما رأيت سبيلها ... التحويل والتنقيل والتبديل
لا تعتل بالشغل إنك إنما ... ترجى لأنك دائماً مشغول
وإذا فرغت فغيرك المقصود للحاجات والمأمول

أخذه من قول أبي العباس لما قال له عبد بن سليمان أعذري فيني مشغول فقال:
ولا تعتذر بالشغل عنا فإنما ... تناط بك الآمال ما اتصل الشغل
وله:

أيها النائه في الدولة ... مهلاً في اقتدارك
كم إلى كم تجعل التيه علينا من شعارك
ما تبالي بخراب ال ... أرض في عمران دارك

أي شيء كان لو فكّرت في دار قرارك
ته كما شئت وصل واس ... ط علينا في جوارك
فلنا صبر على ذاك ... إلى يوم بوارك
وله في منصور بن باقرا:
يا مكثراً للعظمة ... أسرفت في الكبر فمه
فكم رأينا من كبير ... كبره قد قصمه
غدت على أبوابه ... مواكب مزدهمة
فراح قد صبّ الردى ... على الثرى جهراً دمه
وانتهبت أمواله ... كذاك عقبى الظلمة
فأحذر وبادر إنّي ... أرى أموراً مظلمة
ترى لها وقت الضحى ... كمثل لون العتمة

أبو النصر الهزيمي المعافى بن هزيم

أديب أيوردي وشاعرها ، وله كتاب محاسن الشعر، وأحاسن المحاسن، وكان يكثر المقام ببخارى، ويخدم فضلاء رؤسائها، ويتروّد حسن آثارها، ثم يعاود أيوردي، وينقلب إلى معيشة صالحة، وقد دّون شعره بخاري وأيوردي.

وحدثني أبو القاسم الأليماني قال: لما احتضر الأمير الرشيد أبو الفوارس عبد الملك بن نوح بالسقطة من مهر صعب غير مروض ركبته، وقام الأمير السديد أبو صالح منصور بن نوح، فقال في تلك الحال القاتلون، وتصرفوا بين التعزية والتهنئة، واجتمعت قصائد كثيرة لم يرتض منها إلا قصيدة الهزيمي التي أولها:

الطرف بالدمع أولى منه بالنظر ... فحلّه لنجيع منه منههم
ألّم خطب عظيم لا كفاء له ... رزء يذمّ كلّ مصطر
هذا الذي كانت الأيام توعدنا ... به وما لم نزل منه على حذر
مدّت إلى الملك الميمون طائفة ... أيدي الحوادث والأيام والغير
تركن حارس دنيانا وفارسها ... فريسةً بين ناب الموت والظفر
ما بين غبطته حيّاً وغبطته ... في الملك والهلك والإيوان والعفر
إلا كرجع الصدى في وشك مدّته ... أو كاهنيهة بين السيل والمطر
يا متيةً لم يمتها قبله ملك ... فيها لكلّ عظيم أعظم العبر
كان الموفق إلاّ عند ركضيته ... وللمنون اعتلالات على البشر
وكان أقدر مخلوق على فرس ... أبو الفوارس لولا قدرة القدر
وكلّ عمر وإن طالّت سلامته ... لا بد يوماً قصاراه إلى قصر
فالحمد لله إذ جلّت مصيبتة ... عن المصيب من الآراء والفكر

في دعوة القائم المنصور دعوته ... منصور المعتلي في القدر والخطر
من كان يصلح للإسلام يحرسه ... والتاج يلبسه والقصر والسرر
سوى أبي صالح غيث الندى المهر ... ليث الوغي المهر غصن العلي الخضر
هذه التصريعات خطأ في صنعة الشعر على أن أبا تمام قال::
يقول فيبدع ويمشي فيسرع ... ويضرب في ذات الإله فيوجع
ومما يستجاد من شعره قوله للبلعمي من قصيدة وصف فيها الشتاء والبرد:
وشتوة شتّ أبناء السبيل لها ... وغار في نفق منها المغاوير
يشكو جليدهم مس الجليد ضحى ... والماء جلده جلدته قرأ قوارير
فللحي من لحاء البرد أغشية ... وللعيون من الشفاف تغوير
إذا تنكّبت النكباء عن أذن ... فللجنوب من الجنين تقوير
وقوله:

إليك ركب البحر والهول والدجى ... فصن أمني يا خير من ركب الطرفا
أذكرك القربى من العلم بيننا ... وقول حبيب يا أكابرنا عطفاً
وقال من أخرى:

لئن قمت في حاجتي آنفاً ... ونفصت عن وجه حالي الغبارا
فكم مئة لك في سالف ... عليّ كبيت من الشعر سارا
وما كان نفعلك لي مرة ... ولا مرتين ولكن مراراً
وله في قصيدة في الإسكافي:

خطّ كما انفتحت أزاهير الربى ... متنزه الألباب قيد الأعين
وبلاغة ملء العيون ملاحه ... نال النبيّ بها صلاة الألسن
ومن قصيدة يشكر فيها بعض الصدور على بذله المنشور في صيانة ضياعه:
أوليتني في ضياعي منك ما وقت ... حمدي عليك وخير الحمد ما وقفا
لما بذلت من المنشور فهي حمى ... لا تعرف النزل والجعل والكلفا
هذا شكري على إسقاطه مؤناً ... فكيف شكري له إن أسقط العلفا
إذا تراني كمن يحيا بزواية ... في الخلد ثم ينال الحور والغرفا
وكتب ببخارى يستهدي التبن:

خير ما يهدى إلى مر ... تبط البرذون تبن
واحتشاميك على ما ... بيننا في الودّ غبن
ما بمن شجّع جو ... ك عن رفدك جبن
أنت للخائف والمع ... دم إيسار وأمن

فللهذا أنت كنز ... ولهذا أنت ركن
وله من أبيات في استهداء الفحم:

هب البرد بالريّ لم ينسج ... وفي سقط البرد لم يدرج
رسولك ذاك الذي قال لي ... أحيء مع الفحم أم لا أجي؟
وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال: أنشدني الهزيمي لنفسه:
من كفّ سيف عليّ عن مقاتله ... كففت غرب لساني عن تناوله
من الفضول دخولي في مظالمه ... وتركى القول في أقصى فضائله
الله يسأل عبداً عن جريته ... وعن جرائم قوم غير سائله
وله أيضاً:

تبه المرور على الزوّار يمنعههم ... عن الزيارة فامنعهم عن التيه
والناس ما لم يروا حرصاً بصاحبهم ... ورغبةً فيهم لم يرغبوا فيه
وله في صيغته:

كفنتي ضعيتي مدح العباد ... وطمعاً في البلاد بغير زاد
غدت سكاني وخادمي وظفري ... وفيها أسرتي وبها تلادي
ألا فليعتمد من شاء شيئاً ... فحزني ليس يعدوه اعتمادي
صديق المرء ضعيتته وكم من ... صديق في الصداقة مستزاد
يخونك في المودة من تؤاخي ... ومالك لا يخونك في الوداد
أخوك على المعاش معين صدق ... ومالك للمعاش وللمعاد
وله، وهو من قلائده السائدة:

لما رأيت الزمان نكساً ... وفيه للرفعة اتضاع
كلّ رئيس له ملال ... وكلّ رأس له صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... به عن الدّلة امتناع
أشرب ممّا ادخرت راحاً ... لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
هذا بيت القصيدة، وهو أمير شعره

وأجيتني من عقول قوم ... قد أقفرت منهم البقاع
بشر وكعب أمام عيني ... هذا يغوث وذا سواع

وحدثني أبو الحسن الحمدي قال: كان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر الجرجاني الملقب بالخرقة طير
مطارق ورد طر أيورد على عمل البندرة، واتخذ الهزيمي خليلاً ونديماً ومدرساً، ثم حدثت بينهما وحشة
وخرج الهزيمي إلى ضيعة له، وبلغ أبا بكر أنه هجاه، فأشخصه بعدة من الفرسان وسيب عليه ما كان سوغه

أباه من خراجته، قال واستقبلني عند دخوله البلد مع المشخصين، فلما وقع بصره علي قال:
بندارنا من أدبه ... أوقعنا في لقبه

فقلت له: يا أبا نصر، من هنا أتيت، وثبتت عناني معه إلى البندار، فأصلحت أمره، ولم أبرح حتى تصالحا
وتماحلا وأنشدني أبو القاسم أحمد بن علي المظفري له:
قد كنت أنظر قبل اليوم في كتب ... فيها الحكايات والأشعار والخطب
ودفتر الطبّ لما لا ألمّ به ... إذا لم يكن فيه لي من صحي أرب
فجاءت التسع والخمسون تحوجني ... إلى العلاج فما لي غيره كتب
وكان للهزيمي أخ يكنى بالوليد لا بأس بشعره، كقوله في رجل يكنى أبا سهل من الرجز:
يكنى بسهل وهو حزن أوعر ... من ذاك قيل للغراب أعور
لأنه من الطيور أبصر وقوله:

في الكذب أنت أبا الفوارس فارس ... وعن الفوارس في الصناعة راجل
فتسابق الأدباء في ميدانهم ... وأبو الفوارس خلفهم متحاجل

أبو نصر الظريفي الأبيوردي

حدثني السيد أبو جعفر الموسوي قال: كان للظريفي علي الهزيمي درس، ومنه اقتبس، فخرج كاتباً شاعراً
ظريفاً كلقبه وكان وارداً على الحضرة كثير الإقامة بها، مداخلة لفضائلها، متصرفاً منها على أعمال البريد،
وكان أبو علي البلعمي يكرمه ويناديه، فاقترح عليه قصيدة يسلك فيها طريق المتقدمين فخامة وجرالة
فأنشده من الغد قصيدة في مدحه كأنها صدرت عن أحد فحولت الشعراء الجاهليين فارتضاها وخيره في
أعمال البريد بلاد خراسان، فاختر بلده أيورد وتنجز المنشور والصلة وشخص.
ومن مشهور سائر شعره قوله:

أرى وطني كعشّ لي ولكن ... أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أنّ كسب القوت فرض ... لما برح الطيور من العشاش
وقوله:

سر الفتى من دمه إن فشا ... فأوله حفظاً وكتماً
واحتط على السر بإخفائه ... فإن للحيطان آذاناً
وقوله:

يكفّ ليلاً ويفسو ... وسط الندى نهاراً
يدم ذلك حتى ... يملا بخاري بخاراً
وقوله:

حوى المصريّ أنواع المخازي ... وراح وماله فيها موازي

ولو جمعت مخازيه لزادت ... بكثرتها على كتب المغازي
وقوله:

يا دولةً خلصت لأعور معورٍ ... ما أنت إلا دولة عوراء
وقوله:

خافوا على الملك عيون العدا ... فصيرّوا عودته أعورا
وحكى أنه تقلد مرة عمل البريد بالجليل، وكان أمراؤها لا يقيمون لأصحاب البريد وزنا، فلما وصل إلى
الوالي بها قال له: أنت صاحب البريد؟ قال: نعم. فاستظرفه ونادمه وأفضل عليه.
ودخل يوما على بعض وزراء الحضرة فجلس في أخريات الناس، فقبل له في ذلك، فقال: لأن يقال لي أرتفع
أحب من أن يقال لي اندفع.

رجاء بن الوليد الإصبهاني، أبو سعد.

من جلة الكتاب والعمال المتصرفين من الحضرة على أعمال خراسان وكان له أدب رائق، وكان به طرش،
فإذا كلمه من لا يسمعه قال له: ارفع صوتك فإن ياذني بعض ما بروحك.
وتنسب هذه النادرة أيضاً إلى الناصر الأطروش صاحب طبرستان ويجوز أن يكون سمعها رجاء عنه
فاستعملها.

وكان في ذكاء القلب وجودة الخدس بحيث يفطن لكل ما يكتب بالأصبع على يده، ويستغنى بذلك عن
السماع، فيجيب عنه.

وفي التبجح بطرشه يقول:

حمدت إلهي إذا بليت بحبه ... على طرش يشفي ويغني عن العذر
إذا ما أراد السرّ ألصق خده ... بخدي اضطراراً ليس يدي الذي أدري
وانما حذا به مثال من قال في أحوال:

حمدت إلهي إذ بليت بحبه ... على حول يغني عن النظر الشرر
نظرت إليه والرقيب يخالي ... نظرت إليه فاسترحت من العذر
ومن ملح رجاء قوله في باقة ريجان:

وشامة محضرة اللون غضة ... حوت منظرًا للناظرين أنيقا
إذا شَمها المعشوق خلت اخضرارها ... ووجنته فيروزجاً وعقيقاً
وقوله:

هذي المدام وهذه التحف ... والكأس بين الشرب تختلف
فكأنهم وكأنّ ساقبيهم ... سين ترى قدّامها ألف
أخذه من قول ابن المعتز:

وكان السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام

وأنشدني أبو نصر سعد بن يعقوب له نتفا مليحة، منها:
خط يريك الوصل في طوماره ... متبسما والمجر في أنفاسه
فكأنما مقل الغواني كحلت ... من حسن أسطره على قرطاسه

أبو القاسم الدينوري

عبد الله بن عبد الرحمن

من رؤساء الأدباء، ورؤس الكتاب، ووجوه العمال بخراسان، وأخبرني منصور ابنه أنه من أولاد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ومصنفاته في محاسن الآداب تربي على الثلاثين، وله شعر كثير يخرج منه الملح، كقوله من قصيدة في وصف الخمر:

كأنها في يد الساقى المدير لها ... عصارة الخمر في ظرف من الآل
لم تبق منها الليالي في تصرفها ... إلا كما أبقت الأيام من حالي
وقوله من أخرى:

يا لعصر الخلاعة المورود ... ولظل الشبية الممدود
وللهوى ولذتي وسروري ... ولسفكي دم ابنة العقود
وارتشافي الرضاب من برد الثغ ... ر وشتي عليه ورد الحدود
وغدوي إلى مجالس علم ... ورواحي إلى كواعب غيد
في قميص من السرور مذل ... ورداء من الثياب جديد
ولأيامي القصار اللواتي ... كنّ بيضاً قد حليت بالسعود
غير الدهر حالها فاستحالت ... مظلمات من الليالي السود
وأتاني من المشيب نذير ... غضّ متي وفتّ في مجلودي
وتدانت له خطامي يرغمي ... ونحاني له خصوصاً عمودي
وتيقنت أنني في مسيري ... إثر شرح الشباب غير بعيد
وقوله:

مضى الأخوان وانقرضوا ... فها أنا للردى غرض
مرضت فقيل لي لا بأس ... عندك إنّه عرض
فأول منزل للمر ... ء نحو معاده المرض

وقوله:

أرقت لضيف من الشيب زارا ... فأهدى إليك التهي والوقارا
وجلّك الحلم ثوب الكرام ... وبزك ثوب الشباب المعارا

وقد كان شرح الشباب الذي ... تولّى عدواً وإن كان جاراً
أملّ على ملكيك الذبّ ... ب حتى أملّهما ثم سارا
أخذه من قول أبي الطيب المصعبي:
زائر لم يزل مقيماً إلى أن ... سوّد الصحف بالذبوب وولّى
وقوله:

شوقي إليك كشوق المدنف الحرص ... إلى الطيب الذي يشفي من المرض
فإن يكن لك عنيّ يا أخي عوض ... فلا وحقك ما لي عنك من عوض
وقوله من قصيدة في بعض الوزراء:
ومطّهم برح العنان معّود ... خوض المهالك كلّ يوم براز
وإذا توقل في ذرى يمنع ... صعب بعيد العهد بالجتاز
تركت سنابله بصمّ صخوره ... أثراً كقش صدر البازي
ومنها:

يا أيّها الشيخ الجليل بحقه ... لا من طريق تملّق ومجاز
إن لم يكن لي في جانبك مرتع ... فالرأي في الإبعاد لي بجواز
وأنشدني ابنه أبو منصور لأبيه في سفرجل وتفاح ورمّان وآذريون أهداها إلى بعض الرؤساء في يوم مهرجان:
بعثت إليك ضحى المهرجان ... بمعشوقة العرف والمنظر
معطرة صائها في الحجال ... مطارف من سندس أخضر
نضت حين زارتك عنها الفريد ... وجاءتك في سرق أصفر
بيسر وبهكة نضّة ... وثدي مبتلّة معصر
وبيضاء رائقة غصّة ... منقطة الوجه بالعصفر
وحقّ عقيق ملاه المهجير ... من الجوهر الرائق الأحمر
وأقداح تبر حشت قعرها ... يد الشمس بالمسك والعنبر
فكن ذا قبول لها إنّها ... هدايا مقلّ إلى مكث
وحيّ على الراح قبل الرواح ... ومطريرة الشدو والمزهر
وعش ما تشاء كما تشتهي ... بعزم يدوم إلى الخشر
وله من نثفة يسترجع بها كتاباً معاراً:

أنا أشكو إليك فقد نديم ... قد فقدت السرور منذ تولّى
كان لي مؤنساً يسليّ همومي ... بأحاديث من منى النفس أحلى
عن أبي حاتم عن ابن قريب ... واليزيدي كلّ ما كان أملّى
وهو رهنّ لديك يشكو ويكي ... ويغني: قد آن لي أن أخلّي
فيفضّل به عليّ فإني ... لست إلّا بمثله أتسلّي

وله من أخرى في معناها:

طلبت مني كتاباً ... ألفتة في شبابي
ألفتة إلف عظمي ... لحمي ولحمي إهابي
وقد تأخر حتى ... ليست ثوب اكتتاب
وقد أتاني عنه ... ما لم يكن في حسابي
من نظم شعر بديع ... مستظرف مستطاب
أما كريم رحيم ... يرثي لطول اغترابي
يا رب يسّر إياي ... قد حان وقت انقلابي
وله في أبي الحسن العتبي:

يا سائلي عن وزير ... مدحرج مستدير
كبط شطّ سمين ... عريض صدر قصير
إن كنت أبصرت قرداً ... منذ كنت فوق سرير
فهو الوزير وإن كا ... ن في عداد الحمير
وله من ننفة في قابض كفه:
الله صوّر كفه ... لما براه فأبدعه
من تسعة في تسعة ... وثلاثة في أربعة
وله من أخرى:

تغيّرت مع الدهر ... لنا يا شاعر البصرة
ولم ترع لنا عهداً ... قديم الودّ والعشرة
عسى صيّرك الشيخ الذي ... يكنى أبا مرة
وله:

لزوم البيت أرواح في زمان ... عدمننا فيه فائدة البروز
فلا السلطان يرفع من محليّ ... ولست على الرعية بالعزير
ولست بواجد حراً كريماً ... أكون لديه في كنف حرير
وله من المسرح:

أشكو إلى الله ضيق ذات يدي ... قد بان صبري وخاني جلدي

وقد جفاني الأنام قاطبةً ... حتى عبيدي، وعقني ولدي
وله في ابنه:

ربيته وهو فرخ لا فهو ض له ... ولا شكير ولا ريش يواريه
حتى إذا ارتاش واشتدّت قوادمه ... وقد رأى أنه أنت خوافية

مد الجناحين مدّاً ثم هزّهما ... وطار عني فقلبي فيه ما فيه
وقد تيقّنت أنّي لو بكيت دماً ... لم يرث لي فهو فظّ القلب قاسيه
وله في ابنه أبي طاهر:

لو كنت أعلم أنّي والد ولدّاً ... يكون، لا كان، في عيني كالرّمّد
فلا أسرّ على طول الحياة به ... جيّت نفسي كي أبقى بلا ولد
كم قد تمّيت لو أنّ المنى نفعت ... ولا مردّ لحكم الواحد الصمد
وقلت لو أنّ قولي كان ينفعني ... يا ليت أنّي لم أولد ولم ألد
وله في النارج:

أما ترى شجر النارج طالعةً ... نجومها في غصون لدنة ميل
كأنّها بين أوراق تحفّ بها ... زهر المصاييح في خضر القناديل
وله في البراغيث:

وحش القوائم حذب الظهور ... طرّق فراشي على غرّة
فنقّطني بخراطيمهن ... كنقط المصاحف بالحمرة
وله في عارض:

وعارض دنس العر ... ض ناقص في الصنّاعة
كلب بل الكلب في لو ... مه يعاف طباعه
قد رامني بالدواهي ... فقصر الله باعه
وله:

إذا الزمان رمايني ... منه بخطب جسيم
صبرت صبر كريم ... على جفاء لئيم
وله:

من عذيري من بديع ال ... حسن ذي قدّ رشيق
أنبت في فمه اللؤ ... لؤ أرض من عتيق
وله:

بأبي أنت لقد طبت ... لنا ضمّاً وشماً
ضاق فوق العذب ... والعين وشيء لا يسمّى
وله من نتفة:

أساء وقد أتاني مستتياً ... أما هذا من العجب العجاب
وله من أخرى:

وما آسى على دهر تولّى ... ولا جسم مباح للسقام
ولا ما فات من عمري ولكن ... أحنّ إلى صلاة من قيام

وله من أخرى:

عشت من الدهر ما كفاني ... ومرّ ما مرّ من زماني
وقد حنتني وقوّستني ... تسع وتسعون واثنتان
وقد سئمت الحياة فما ... ألقى من النذلّ والهوان
ومن أخ كنت أرّجيه ... لحادث الدهر قد قلاني
ومن غلام إذا ينادي ... تصامم النذل وهو داني
مدمدم لا أراه إلّا ... مقطّب الوجه ما رأي
فهذا ما أخرجته من ملح الدينوري فأما ابنه

أبو منصور أحمد بن عبد الله

ففاضل كثير المحاسن، وعهدي به عاماً أول صادراً من أبيورد، وكان على البريد بها ونازلاً داره بسكة
البلخية نيسابور، وأنا على موعد منه في إخراج ما يصلح لكتابي هذا من شعره وإنفاذه إلى إن شاء الله تعالى

أبو منصور أحمد بن محمد البغوي

أحد الصدور الأفراد الأمجاد بخراسان، بلغ من الأدب والكتابة والثروة والمروءة أعلى مكان، وتصرف في
الأعمال الجلائل، ثم ولي ديوان الرسائل، وكان جمع كتاباً مترجماً بزملة السنف يشتمل على ما تشتهي
الأنفس وتلد الأعين من محاسن الأخبار والأشعار، ولطائف الآداب ونتائج الألباب، ويقع في ثلاثين مجلدة
بخطه، وقسمها على شهره فكان لا يخلو من إحدى قطاعها مجلسه وديوانه، وساق حقه لا يكاد يفارقه في
سفره وحضره، ووقع إلى بضع مجلدات منها بعد انقضاء أيامه، فتنزه الطرف في رياضها، واستمتعت النفس
بشمارها، ولم يبلغني عنه شعر إلا ما أنشدنيه السيد أبو جعفر الموسوي قال: أنشدني البغوي لنفسه:

ترأت لنا من خدرها بسوالف ... كما لاح بدر من خلال سحاب
ووجنتها من تحت فاحم صدغها ... كما روحت باز بريش عقاب
وصلر البيت الثاني مما أنسانيه الشيطان أن أذكره، فغرمته من عندي.

أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني

تثنى به الخناصر، وتضرب به الأمثال، في حسن الخط والبلاغة وأدب الكتابة والوزارة، وكان في حدائته
يكتب لأبي منصور محمد بن عبد الرزاق ثم تمكن بالحضرة خمسين سنة يتصرف ولا يعطل حتى قيل فيه:
وقالوا العزل للعمال حيض ... لحاه الله من حيض بغيض
فإن يك هكذا فأبو عليّ ... من اللائي يئسن من الخيض
وولي ديوان الرسائل دفعات و الوزارة مرات، وكان يقول الشعر ولا يظهره، ويجب الأدب ويكرم أهله.

وأنشدني أبو عبد الله بن السري الراعي هذين البيتين له، ثم وجدتهما لغيره:
يا أيها القمر المنير الزاهر ... الأبلج البدر العليّ الباهر
أبلغ شبّهتك السلام وهنّها ... بالنوم وأشهد لي بأني ساهر
وأنشدني السيد الشريف أبو جعفر الموسوي قال: أنشدني أبو علي محمد ابن عيسى ولم يسم قائلاً:
تذكر إذ أرسلته بيداً ... فيك فوافاني فرزانا؟
ثم أخبرني بعض كتابه أن هذا البيت له.
وأنشدني له أيضاً من المسرح:
وكاتب كتبه تذكري القى ... رآن حتى أظّل في عجب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلف ... والخطّ تبت يدا أبي لهب
ولم يذكر أن أحداً من الصدور يسع دعاؤه وتربّيته وكنيته واسمه واسم أبيه وبلده بيتاً واحداً من الشعر
سواه، فإن أبا القاسم الأليماني أنشدني لنفسه قصيدة فيه، ومنها هذا البيت:
إلى الشيخ الجليل أبي عليّ ... محمد بن عيسى الدامغاني

أبو عليّ الزوزني الكاتب

أخبرني الثقة أنه وقع إلى الحضرة ببخارى في ريعان شبابه، وله أدب بارع وخط تأخذه العين ويستولي عليه
الحسن، فما زال يتصرف في ديوان الرسائل ويغرس الدر في أرض القراطيس، وينشر عليه أجنحة
الطواويس، إلى أن ثقلت عليه الحركة، وأخذت منه السن العالية، وكان قصير القد طويل الفضل، وفيه
يقول اللحام وما كان يهجو إلا الكبار:
وقصير من قرى زو ... رن في قامة شبر
يدّعي الكتاب إلا أنه ... في فهم غير
ولقد فكّرت فيه ... وكذا فكّر غيري
كيف يدخل أيراً ... وهو في قامة أير
واقترى باللحام غير واحد من الشعراء فهجوه بالقصر، ووصفوا قامته بالصغر حتى قال المعروف بالمضرب
البوشنجي:

للزوزنيّ أبي عليّ قامة ... قامت بسوق هجائه المتراكم
هي عمدة الشعراء يعتمدونها ... بقواضب من شعرهم وصوارم
والبعض شبّهها بأير قائم ... والبعض شبّهها بجمس جاثم
ياليتها طالت فقصر طولها ... عنه طوال معايب وشتائم
وكان أبو عليّ - مع حسن خطه - كثير التنكيت، وهو القائل في أبي جعفر العبي:
يا قليل الخير موفور الصلّف ... والذي قد حاز في التيه الشرف
كن بخيلاً وتواضع تحتمل ... أو سخياً يحتمل منك الصلّف

ووجدت بخط الرئيس أبي محمد الميكالي لأبي علي في ابنه:
يا من تمتى أن يموت أبوه ... ستذوق موتك قبل ما ترجوه
إنّ المزيد ردى أبيه قبله ... يردى ويسعد بالحياة أبوه
وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له:
الحمد لله وشكراً له ... على المعافاة من الأبنه
فليس فيما المرء يبلى به ... أعظم منها في الورى محنه
وأنشدني حاضر بن محمد له في علوي:
من كان خالق هذا الخلق مادحه ... فإنّ ذلك شيء منه مفروغ
فإنّ أطل أو أقصر في مدائحه ... فليس بعد بلاغ الله تبليغ
وله أيضاً:
إنّ أذني تملّ طول كلامه ... وفؤادي يملّ طول مقامه
إنّ أمري وأمره لعجيب ... متّ من بغضه وحبّ غلامه

أبو عبد الله الشبلي

من حسنات بوشنج وأفرادها، وكان يكتب بخاري للأفتكين الخازن، ويعنون كتبه بمحمد بن أحمد الشبلي، فلما قلد الوزارة لصاحبه وارتفع مقداره أسقط الشبلي من كتبه واقتصر على اسمه واسم أبيه، وقال بعض الشعراء:

محمد أسقط الشبلي من كتبه ... ترفعاً باسمه عن ذكر منتسبه

كأني بقفاه وهو مرتجع ... تصحيف ما قد نفاه الآن عن كتبه
وتنقلت بالشبلي أحوال بعد هلاك صاحبه، فبلرت منه أمور أدت إلى نفي صاحب الجيش أبي الحسن بن سمحور إياه إلى النون من بلاد قهستان فلما طال مقامه بها قال:
تعلمت بالنون أكل الأقط ... وغزل العهون ونسج البسط
وما كنت فيما مضى هكذا ... ولكن من الدهر جاء الغلط
وإنما احتذى فيه قول بابل:

تعلمت في السجن نسج التّكّك ... وقد كنت من قبل حبسي ملك
وقد صرت من بعده عدّة ... وما ذاك إلاّ بدور الفلك

أبو علي المسبخي

هو الذي يقول فيه الحكام من الرجز:
لم أر في الحكام كالمسبخي ... يطمع في الجلد الذي لم يسليخ

وكان باقعة في الحكام، وفي العلوم من الأعلام، وفي نفسه كما بعض العصرين من أهل نيسابور في غيره:
يا طبيباً منجماً وفقياً ... شاعراً شعره غذاء الروح
أنت طوراً كمثل جامع سفيا ... ن وطوراً تحكي سفينة نوح
وتولى المظالم يبلغ مرة فكتب إليه أبو يحيى العمادي يداعبه ويطايبه ويستهديه من ثمرات بلخ، فأهدى إليه
عدل صابون، وكتب إليه كتاباً قال في فصل منه وقد بعثت إلى الشيخ أيده الله تعالى عدل صابون ليغسل به
طمعه عني، والسلام.

وتولى مرة قضاء سجستان فمن قوله فيها:

حلولي سجستان إحدى النوب ... وكوفي بها من عجب العجب
وما بسجستان من طائل ... سوى حسن نرجسها والرطب
وهو القائل فيها:

يا سجستان قد بلوناك دهرأ ... في حراميك من كلا طرفيك
أنت لولا الأمير فبيننا لقلنا ... لعن الله من يصير إليك
وله:

وعدتني وعداً وقرّيته ... تقريب حر ليس بالمستزاد
حتى إذا ما رمت تحصيله ... كان بعيداً مثل يوم المعاد
وله:

هل الدهر إلا ساعة تنقضي ... بما كان فيها من عناء ومن خفض
فهونك لا تحمل مساء عارض ... ولا فرحة سرت فكلتاها تمضي
وعندي له أبيات قد خفي علي مكانها وفيما كتبت من شعره كفاية.

أبو الحسن أحمد بن المؤمل

كاتب أبي الحسن، فائق الخاصة من كبار الكتاب بخراسان، وأكثرهم محاسن وفضائل، وله شعر كثير يجمع
الجزالة والحلاوة، فمن ملحه ما أنشدني وقوافيه متشابهة في طريقة أبي الفتح البستي:
طرا عليّ رسول في الكرى طاري ... من الطيور وأعطاني بمنقار
تركني في بلاد لا أراك بها ... كأنّ قلبك من صخر ومن قاري
وأنشدني أيضاً لنفسه:

إن أسيافا العصاب الدوامي ... تركت ملكنا قرين الدوام
لم نزل نحن في سداد تغور ... وأصطلام الأبطال في وسط لام
واقحام الأهوال من وقت حام ... واقتسام الأموال من وقت سام
وله من قصيدة في أبي نصر بن زيد أولها:

تولى ونار الشوق في القلب واقده ... ونار نشاطي منذ تباعد هامدة

نهارى بلا أنس ويلي كأتني ... إلى الصباح ملقى تحت ساعد ساعده
ومنها:

تراعى طوال الليل عيني فراقده ... وعين الذي لا تفقد الألف راقده
أيامنا هل أنت عائدة لنا ... كما كنت أم هل بكائك عائدة؟
ومنها:

أبا نصر القرم الذي عقلت بمن ... يشاكره في مجده كل والده
هو القمر الفرد الذي لرواته ... تظل نجوم الأفق لا شك ساجدة
ومنها:

له قلم سوق القضاء إذا جرت ... به يده في التهي والأمر كاسدة
ويعلي فيضغي الكاتبان تطرباً ... إلى مبدعات هنّ والسحر واحدة
ولولا خلال يحظر الدين ذكرها ... لقلت الذي يملئ قران على حلة
وله وقد نقل معناه من بيتين للروزكي، وهما:

تصورّ الدينا بعين الحجي ... لا بالتي أنت بها تنظر
الدهر بحر فاتخذ زورقاً ... من عمل الخير به تعبر
وله وقد نقل معناه من بيتين للمعروف، وهما:

إذا لم تكن من لذك مبرة ... وزال رجائي عن نوالك في نفسي

فأنت إذا مثلي أنيس مصور ... فلم أعبد الشيء المصور من جنسي
وله من قصيدة:

سقياً لدهر مضى إذ نحن في شغل ... بالعزف والقصف عن شغل السلاطين
إذ يومنا يوم عيد طول مدتنا ... ولينا كلّ ليل الشعانين
وفية كنجوم الليل طالعة ... شمّ العرائن من شمّ العرائن
غدوا صحاحاً إلى الحانات وانصرفوا ... إلى المنازل في عقل الجانين
عادوا أراجيح من حاناتهم أصلاً ... وقد غدوا نحوها مثل الموازين
وله:

وقائلة لي ما بالك الدهر طافحاً ... وأنت مسنّ لا يليق بك السكر
فقلت لها أفكرت في الخمر مرة ... فأسكرني ذاك التوهم والفكر
وله في معناه:

وسائل عن مقتضى سكري ... وما درى لم هكذا صرت
قلت له استنشقت من متش ... رائحة الخمر فأسكرت

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي قول الأملّي من قصيدة يذكر فيها حنينه إلى أحمد بن حجر:

وحجر على عينيّ أن يطعما الكرى ... إلى أن يرى حجراً يناغي على حجر
فقال: الآن عملت أنه إنما سمي ابنه حجراً ليطرد هذا البيت وقال:
نأى منذ نأيتم نوم عيني فلم يعد ... وغبتم فغابت سرتي و مسرتي
كفى بي اعتباراً أنّي منذ عبرتم ... كيغفوب ما ترقا من الشوق عبرتي

أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي

من الأعيان في علم اللغة والنحو، وورد بخاري فأجل وبجل. ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا
عنه، وولي التصفح في ديوان الرسائل فلم يزل يليه إلى أن استأثر الله به، وله شعر لم يقع إلي منه إلا أنشدني
حاضر بن محمد الطوسي من قصيدة له في بعض رؤساء الحضرة يستهدي منه جبة خر أبيض غير ليس وهو
هذا:

وأعنّ على برد الشتاء بحبة ... تنر الشتاء مقيداً مسجوناً
سوسية بيضاء يترك لوها ... ألوان حسّادي شواحب جونا
عذرا لم تليس فكفك في العلا ... تؤني عذراها وتأي العونا
تسي بهجتها عيوناً لم ترل ... تسي قلوباً في الهوى وعيوناً
مثل القلوب من العداة حرارة ... مثل الحدود من الكواعب لينا

أبو جعفر الرامي

محمد بن موسى بن عمران

من أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة، وحسنات نيسابور خاصة إذ هو من الرام أحد رساتيق نيسابور
وكان مع سبقه في ميادين الفضل راجحاً في موازين العقل، وترقت حاله من التأديب بنيسابور إلى التصفح
في ديوان الرسائل بخاري بعد أبي إسحاق الفارسي، وهبت ريحه وبعد وصيته، وله شعر كعدد الشعر غلب
عليه التجنيس حتى كاد يذهب بماؤه، ويكدر ماؤه وكل كثير عدو الطبيعة فمن ملحه التي تستملح من وجه
ولا تستجد من آخر قوله هذه الأبيات:

مضى رمضان مرمض الذنب فقده ... وأقبل شوال تشول به قهرا
فيا لك شهراً أشهر الله قدره ... لقد شهرت فيه سيوف العدا شهرا
ومن تجنيسه المستجد المرتضى قوله من مقصورة في وصف السيف من الرجز:
مهند كأثما صقيله ... أشربه بالهند ماء الهندا

يختطف الأرواح في الروع كما ... تختطف الأبصار حين ينتضى
وقوله في جارية له توفيت:

لي في المقابر درّة ... أمسى التراب لها صدف

لما غدت هدف البلاء ... أصبحت للبلوى هدف

وقوله من قصيدة:

ومن منصفني من ريب دهر فإتني ... صريح بآدائي يد الدهر للدهر
أسير أسيراً للحوادث مقصداً ... بدهياء مقصوداً بفاقرة الفقر
فإن تكن الأيام أزررت بهمتي ... فلا ضير إني قد شددت لها أزمري
أويت إلى كهف المكارم والعلا ... لأغلي به قدري وأعلى به قدري
أعادت سجاياه اللجين بجوده ... نضاراً وقد أهدت نثاراً إلى التبر
لقد صيغ من ييض السبائك طبعه ... فحال سبيك الصفر صيغ من الصفر
وله من تشبيب قصيدة:

مزجت سوابق عبرة بعير ... وسرت عزائم صبوتي لمسيري
وتيسمت بين البكاء فخلتها ... برقاً تألق من خلال صير
فكأنما هي روضة ممطرة ... ترنو إليّ بنرجس ممطور
ومن أخرى:

لشؤون عيني في البكاء شؤون ... وجفون عيني للبلاء جفون
وخلال أنوالي خلال مذهب ... أضناه هم في الحشى مدفون
أبدت مكنون الهوى لما بدا ... للعين ذاك اللؤلؤ المكنون
وأزاري جنون العقارب بغتة ... وردان فوقهما عقارب جون
والقلب مقرون بكلّ بلية ... منذ لاح ذاك الحاجب المقرون
وله من أخرى:

لزم السخاء فلا يقال ضنين ... ونحنا الوفاء فلا يقال ظنين
ما البائس المسكين غير تلاده ... إذ يعتفيه البائس المسكين
وله من أخرى:

السحر من مقلتيك ينتثر ... والخمر من وجنتيك يعتصر
يا شاذياً سخر الجمال له ... فكلّ أفكارنا له سخر
الريق والطرف منك يا سكاني ... ضدّان ذا سكر وذا سكر
خصرتني خصرك الهضم ولا ... دواء إلا رضابك الخصر
الله فينا فإن رحمته ... حجر على من فؤاده حجر
صورك الله فتنة فعدت ... صوراً إليك العيون والصّور
غادرت في جفن ناظري غدرًا ... يمدّها الغدر منك يا غدر
يسومني الصبر عاذلي سفهاً ... والصبر عن مثل وجهك الصبر

هان على الأملس المسيب ما ... يلقاه من ثقل حمله الدبر
وله من أخرى:

لي حبيب بالشطّ شطّ دياره ... وغدا للأسود زاراً مزاره
كان جاري فجار عني، لا، بل ... جار بغياً عليّ واللّه جاره
فرّ متّي ندلاً ثمت افت ... قر بنفسي فراه وافتراره
رشاً أرسل الرشاء من المس ... لك على عارض يروق احمراره
عاذلي اعذرا فإنّ عذاري ... عانق الشيب حين طرّ عذاره
لم يعانق ظلامي الصبح إلّا ... بعد أن عانق الظلام نهاره
وله من ننفة:

أيها السيد الجليل الذي أصبح ... في المجد والمكارم فرداً
استمع من مريض عبدك بيتاً ... سار في الخافقين غوراً ونجدا
ليس غير الكريم من ينجز الوع ... د ولكن من يجعل الوعد نقداً

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني

المقلب طر مطراق

كاتب شاعر، ظريف فاضل، من أعيان العمال بخاري، وقد تقدم ذكره عند ذكر الهزيمي.
أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال: أنشدني أبو عبد الله لنفسه:
نصيبنا من طول آمالنا ... تعسفّ في خدمة دائية
وحاصل الذلّ بلا طائل ... والشأن في منتظر العاقبة
وما يستظرف ويستلمح من شعره قوله في فتى من أبناء الموالي بخاري وكان متهاكاً في هواه:
أما والصبر فقد بشرني ... نائب المسك بصفحات العقيق
سنة أخرى وقد أخرجني ... شعر خديك من العقد الوثيق
وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب له من قصيدة في وصف الجركاه:
كأنه سحب من فضة ضربت ... وزيت بدنانير مفاصله
إن قرّ ليل كفى النيران ساكبه ... أو جاد غيث بغشاه هاطله
لا تخذر الهدم فيه حين تنزله ... إذا توالى على بيت زلازله

أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني

من ذوي الفضل، الطالبين للفضل بخاري، والمتصرفين على عمل البريد منها، وله شعر حسن مشهور، فمن ذلك قوله:

مقى أشربت ماء الحياة وجوهنا ... تنقل عنها ماؤها وحيائها
إذا كانت الصهباء شمساً فإتما ... يكون أحاديث الرجال هبائها

عبد الرحيم بن محمد الزهري

أديب شاعر، يقول لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عزيز قبل وزارته:
اليمن انشقني نسيمه ... وأزاح عن قلبي همومه
بمكانة الشيخ الرئي ... س وعزّ رتبته العظيمة

فلأغينّ بفضلّه ... عن ذكر خدمتي القديمة
ويقول في مريّة ابن العتي:
مرّ على قبرك أعوانكا ... فكلّهم هاهم شانكا
ولم يزيدوك على قولهم ... عزّ على العليا ففقدانكا

أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري

كاتب شاعر، أدركته حرفة الأدب فأزعجته عن وطنه ورمّت به إلى بخاري، فلم يجد للغربة شافع أدبه
وفضله، ووجد متصرفاً فتماسكت حاله، ولما انقضت الدولة السامانية عاود وطنه ثم فارقه وورد به على أبي
الفتح البستي فأقام عليه مدة ثم قصد الفاريات واستوطنها، ومن ملحه قوله وهو منقول من بيتين بالفارسية
للأعاجم:

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي ... وأني قد عداني العزّ والنعم
فالطّرف والسيّف والأوهاق تشهد لي ... والعود والنرد والشطرنج والقلم
وله وقد دعاه إخوان له إلى بعض المنتزهات ببخارى فخرج فلم يهتد إليهم:
ظننتم في التجشّم بي جيلاً ... وأرجو أن أكون كما ظننتم
وما أعصيكم أمراً ونهياً ... ولكن لست أدري أين أنتم
وله من قصيدة:

نماري ولم أبصر فحياء مظلم ... وليلي إذا أبصرته غير مظلم
أتظلمني الأيام وهي خبيرة بأنّ إلهيان ظلمتظلمي
ومن أخرى:

باب غيرك للأخيار أخبية ... وما بابل إلا الفقر والبوس
أخدمونك لا والله عن مقّة ... وماهم منك مطعوم وملبوس
وله من نثفة:

جميل الحياء، وكالدعص ردّفه ... حميد سجاياء، وليس له خصم

وله من قصيدة في ابنه:

نصحتك في التأدب ألف مرة ... فلم ينفك نصحي فيه ذرة
أؤمل أن تكون لكل باب ... من الآداب للأدباء غرة
فلما خنت فيك رجوت أن لا ... تحلّ بكلّها فتكون غرة
ولست أقول أنت فتى غيبي ... ولكن فيك إعجاب وشرة
ولا أتّي علمت السرّ لكن ... أدلّائي على السرّ الأسرة
وكم من مضمّر أمراً خفياً ... تعرفني الأسرة فيه سره
إذا ما لم تطع من أنت منه ... فلا تأمل تحفيّه وبره
ولا تغفل بحلو هواك وعظي ... فإن مغبة الإغفال مره
وكتب إلى أبي الحسن أحمد بن منصور:

ما لي وكت مقررّاً أقصيت ... وذكرت فيما قبل ثم نسيت
وحجبت بعد الإذن، كت مشرفاً ... بجماله في أيّ وقتٍ شيت
حرمت حظي من تحفيك الذي ... قد كنت مسعوداً به فشقيت
ألزلة فأتوب أم لملالة ... فألوم إذ شمل الملوك شتيت
إن كنت ترضى بالقطيعة شيمة ... فبطاعتي لك حيث كت رضىت
إن لم أكن في خدمتي ومودتي ... لك مخلصاً فمن الإله برت

أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم

صاحب كتاب أشعار الندماء، وكتاب الانتصار للمتنبّي، وغيرهما، وله ديوان شعر كبير، ورأيته ببخارى
شيخاً رث الهيئة تلوح عليه سماء الحرقه، وكان يتطبّب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر، ومما
أنشدني:

وفتية أدباء ما علمتهم ... شبّهتهم بنجوم الليل إذا نجموا
فروا إلى الراح من خطبٍ يلمُّ بهم ... فما درت نوب الأيام أين هم
ومما أنشدني أيضاً:

تلوم على ترك الصلاة خليلتي ... فقلت أغربي عن ناظري أنت طالق
فوالله لا صلّيت لله مفلساً ... يصلي له الشيخ الجليل وفاق
تاش وبكتاش وكنباش بعده ... ونصر بن ملكٍ والشيخو البخارق
وصاحب جيش المشرقين الذي له ... سراديب مال حشوها متضائق
ولا عجب إن كان نوح مصلياً ... لأنّ له قسراً تدين المشارق
لماذا أصلي؟ أين باعي ومنزلي ... وأين خيولي والحلي والمناطق؟

وأين عييدي كالبدور وجوهم ... وأين جوارِيَّ الحسان العواتق؟
أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي ... عليه يميني؟ إني لمنافق

تركت صلاتي للذين ذكرتهم ... فمن عاب فعلي فهو أحق مائق
بلي، إن عليَّ الله وسَّع لم أزل ... أصلي له ما لاح في الجوِّ بارق
فإن صلاة السيِّء الحال كلّها ... مخارق ليست تحتهن حقائق
وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له في فتى صبيح من أولاد الرؤساء خلع عليه دراعة وقد كان
لبسها:

أتت على ماء ظهري ... درّاعة أهديت لي
إذا علتني تذكّر ... ت من علتته فأدلي
وأنشدني له أيضاً:

وصديق جاءني يس ... ألي ما ذا لديك
قلت: عندي بحر خمر ... حوله آجام نيك
ومن ملح الإفريقي في غلام تركي:
قلبي أسير في يدي مقلّة ... تركية ضاق لها صدري
كأنها من ضيقها عروّة ... ليس لها زرّ سوى السحر
وقوله في معناه من المسرح:
قد أكثر الناس في الصفات وقد ... قالوا جميعاً في الأعين النجل
وعين مولاي مثل موعدة ... ضيّقة عن مراود الكحل

أبو الحسين أحمد بن محمد

بن ثابت البغدادي

أحد الفضلاء الطائرين على تلك الحضرة والمقيمين بها، وله شعر كثير النكت، كقوله وأنشدنيه له أبو
الحسن علي بن أحمد بن عبدان:

قال لي من يسره أن يراني ... ناكل الجسم لا أطيق حراكا
قم أضحي يسرّ وجداً ويذري ... دمعة العين منه سحاً دراكا
أين من كان واصلاً لك في الصّحة ... حتى إذا اعتللت جفاكا
كلُّ من لم يعدك في حالة السُّق ... م تمنّي لك الرّدى والملاكا
حذراً أن يراك يوماً من الده ... ر صحيحاً فيستحي أن يراكا
قلت لا تعجلن فإنّ رحا الده ... ر صحيحاً فيستحي أن يراكا

سوف تبرا ويمرضون وتجنو ... هم فإن عاتبوا فقل ذا بذاكا
كل من لم يعدك في حالة السُّق ... م تمتنى لك الردى والملاكا
وله:

هي حالان شلة ورخاء ... وسجالان نعمة وبلاء
والفتى الحازم اللبيب إذا ما ... خانه الدهر لم يخنه العزاء
إن ألت ملة بي فأتني ... في الملمات صخرة صماء
صابر في البلاء طب بأن لي ... س على أهله يدوم البلاء
فالتداني يتلو النائي والإق ... تار يرجي من بعده الإثراء
وأخو المال ماله منه في دنياهللاً مذمة أو ثناء
وإذا ما الرجاء أسقط بين الن ... اس فالناس كلهم أكفاء

أبو منصور البوشنجي

المقلب بمضراب الشعر استغرق أيامه ببخارى يشعر بلا رأس مال في الأدب، وكثيرا ما يأتي بالملح، وجل
قوله في الوزراء، فمن ذلك قول:

أبو علي وأبو جعفر ... ويوسف الهالك بالأمس
ثلاثة لم يك لي منهم ... نفع بدینار ولا فلس
لذاك لم أبك على هالك ... غيب منهم في ثرى رمس
وقوله:

نحن بأبواكم حيارى ... وأنتم مثلنا حيارى
فبعضنا يستجير بعضاً ... وبعضنا عندكم أسارى
وكلنا من شراب جهل ... بوصف أحوالنا سكارى
وأي عذر لنا فحول ... تعد في جملة العذارى
وقوله:

وكنّا زماناً ننمّ الزمان ... ونرثي الوزارة بالبلعمي
فأخّرنا العمر حتى انتهت ... من البلعمي إلى البرعشي
وسوف تؤول على ما أره ... من البرعشي إلى البرمكي
وقوله:

وكنّا نذم الدهر من غير خبرة ... ييوسفه والبلعمي وغيره
إلى أن رمانا بالغفاري بعدهم ... وعاندنا في عبده وعزيره
وما قد رعانا في ابن عيسى وزوره ... وفي ابن أبي زيد السفية وسيره

ولم نرض بالمقدور فيهم فأمنّا ... بكلّ كسيرٍ في الورى وعويره
وأنشدني أبو النصر العتيبي في أبي الحس العتيبي:

قلوب الناس والهة سقاما ... ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن ... تركت بفقدك الدنيا يتيمة

الباب الثالث

في ذكر

المأموني والواقفي

ومحاسن أخبارهما وأشعارهما

لما كان أبو طالب المأموني وأبو محمد الواقفي من جملة الطائرين على بخارى والمقيمين ، ومميزين عنهم بشرف
المنصب، وكرم المنتسب، وفضل المكتسب - أفردت لهما باباً يتلو الباب المقصور عليهم ليجاوراهم
ويقارباهم من جهة، ويفارقاهم ويباعداهم من أخرى:

أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني

من أولاده المأمون أمير المؤمنين. كان أحد - بل أوحده - أفراد الزمان شرف نفس ونسب، وبراعة فضل
وأدب، فياض الخاطر بشعر بديع الصنعة، مليح الصيغة، مفرغ في قلب الحسن والجودة، ولما فارق وطنه
بغداد لحاجة في نفسه وهو حدث لم يقل وجهه ورد الري وامتدح صاحب بقصائد فرائد ملكه العجب
بها، وأبهره التعجب منها، فأكرم مورده ومثواه، وأحسن قراه، ووعدته ومناه، فدبت به عقارب الحسدة من
ندماء صاحب وشعرائه، وطفقوا يركبون الصعب والذلّول في رميّه بالأباطيل، ويقولون عليه أقبح
الأقاويل، فطوراً ينسبونّه إلى الدعوة في بني العباس، ومرة يصفونه بالغلو في النصب واعتقاده تكفير الشيعة
والمعتزلة، وتارة ينحلونه هجاء في صاحب يعرب عن فحش القدح، ويخلفون على اتحاله ما أصدر من
شعره في المدح، حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه، وتكدر مأوه عنده وعليه، وفي ذلك يقول من قصيدة
يستأذنه فيها للرحيل أولها:

يا ربع كنت دمعاً فيك منسكباً ... قضيت نحبي ولم أقض الذي وجبا
لا ينكرن ربعك البالي بلى جسدي ... فقد شربت بكأس الحبّ ما شربا
ولو أفضت دموعي حسب واجبها ... أفضت من كلّ عضوٍ مدمعاً سرباً
عهدي بعدك للذات مرتباً ... فقد غدا لغواذي السحب منتحبا
فيا سقاك أخو جفن السحاب حياً ... يحبو ربا الأرض من نور الرياض حبا

ذو بارق كسيوف الصاحب انتضيت ... ووابل كعطاياه إذا وهبا
ومنها:

فكنت يوسف، والأسباط، وأبو ال ... أسباط أنت، ودعواهم دماً كذبا
وعصبة بات فيها الغيط متقدماً ... إذ شدت لي فوق أعناق العدى رتبا
قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شرى ... حتى إذا ما رأى ليثاً قضى رهبا
أرى مآربكم في نظم قافية ... وما أرى لي في غير العلا أربا
عدّوا عن الشعر إن الشعر منقصة ... لذّب العلاء وهاتوا الجند والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطال به ... إن كان مبتدعاً أو كان مقتضبا
ومنها:

أسير عنك ولي في كلّ جارحة ... فمّ بشرك يجري مقولاً ذربا
ومن يردّ ضياء الشمس إن شرقت ... ومن يردّ طريق الغيث إن سكبا
إني لأهوى مقامي ذي ذراك كما ... تهوى يمينك في العافين أن قبا
لكن لساني يهوى السير عنك لأن ... يطبق الأرض مدحاً فيك منتخبا
أظنني بين أهلي والأنام هم ... إذا ترحّلت عن مغناك مغتربا
ثم إنه فارق الري وقدم نيسابور، فأشار عليه أبو بكر الخوارزمي بإنشاء قصيدة في الشيخ أبي منصور كثير
بن أحمد يسأله فيها تقرير حاله عند صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور، فعملها وأوصلها أبو بكر
ووشعها من الكلام بما أوقعها موقعها، أولها:

أبي طارق الطيف إلا غرورا ... فينوي خيالك أن لا يزورا
فما أكره الطيف في نفسه ... ولكّني أكره الوصل زورا
إلى الله أشكو مني في الحشى ... تضمّن جنباي منها سعيرا
تفارق بي كلّ يوم خبلا ... وتفجع بي كلّ يوم عشيرا
فإن تسألاني يا صاح ... بي نص السرى تجداني خيرا
ففي كل يوم تراني الركاب ... أفارق ربعاً وأحتلّ كورا
إذا سرت عن صاحبي قلت عد ... لعودي السنين وخلّ الشهورا

أراني ابن عشرين أو دونها ... وقد طبق الأرض شعري مسيرا
إذا قلت قافية لم تزل ... تجوب السهول وتطوي الوعورا
ولو كان يفخر ميتٌ بحي ... لكان أبو هاشم بي فخورا
ولو كنت أخطب ما أستحق ... لما كنت أخطب إلا السريرا
ولو سرت صاحبت ملوك البلا ... د بين يديّ النفير الفيرا
ولكنني مكتف باليسير ... إذا سهّل الله ذاك اليسيرا

إذا أكثر الناس شيم الغمام ... فلا شمت في الأرض إلا كثيراً
فتى ملئت بردتاه عللاً ... ونبلأً ومجداً وفضلاً وخيراً
إذا ضمّه اللست ألفيته ... سحاباً مطير وبدرأً منيراً
وإن أبرزته وغى خلته ... حساماً بتوراً وليثاً مصوراً
فطوراً مفيداً وطوراً مبيداً ... وطوراً مجيراً وطوراً مبيراً
ترى في ذراه لسان المنى ... طويلاً وباع الليالي قصير
تضمّ الأسرة منه ذكاً ... وتحمل منه المذكي ثبيراً
إليك من الشعر عذراء قد ... طوت طيناً وأجرت جريراً
إذا أنا أنشدتها أفحم الزمان ... و أسمع قولي الصمّ الصخورا
ولو أن أفئدة السامعي ... ن تستطيع شقّت إليّ الصدورا
ولست أحاول مهراً لها ... سوى أن تبلغ أمري الأميرا
فأنت يد ولسان له ... إذا أحدث الدهر خطباً كبيراً
فلا زلتما للعلا معصمين ... تدعى الأمير ويدعى الوزيرا
فلما وقف على صورة حاله أنماها إلى صاحب الجيش، فاستدعاه وحين وصل إليه استقبله بخطوات مشاها
إليه، وبالغ في إعظامه، وأبلغ في إكرامه، ثم خيره بين المقام بنيسابور وبين الانحدار إلى الحضرة بخاري، فأختار
الخروج فوصله وزوده من الكتب إلى وزير الوقت وغيره من الأركان، ووكله بالباب أبي جعفر الرماني،
فأحسن موقعه وأثره، وحصل معه وطره ولما دخل بخاري لقي أبا الحسن عبد الله بن أحمد بقصيدته التي
منها:

وليل كآتي فيه إنسان ناظر ... يقلّب في الآفاق جفنيه دانيا
إذا ما أمالتي به نشوة الكرى ... تمايل في كفي المثقّف صاحياً
وإن ما طمي لحّ المنى بين أضلعي ... تعسّفت لَجاً من دجى الليل طامياً
فأمسى شجاً في ظلمة الليل والجا ... وأضحى قذفً في مقلة الصبح غادياً
حسامي نديمي والكواكب روضتي ... وبيت السرى ساقي والسير راجياً
ولما رأى الشيخ الجليل إقامتي ... عليه وتطليقي لديه المهاريا
دعاني وأدانني وقرب منزلي ... ورحّب بي وانتاشني واصطفاني
همام ييكّي المشرفية ساخطاً ... ويضحك أبكار الأمانى راضياً
ولو أن بحراً يستطيع ترقياً ... إليه لأمّ البحر جدواه راجياً
وبقصائد غيرها، فقبله بكلتا اليدين، وأعجب منه بقى من أولاد الخلافة يملأ العين جمالاً والقلب كمالاً،
وواصل صلاته، وخلع عليه، وألحقه في الرزق السلطاني بمن كان هناك من أولاد الخلفاء كابن المهدي وابن
المستكفي وغيرهما.

ولما قام أبو الحسن المزني مقام العتي زاد المأموني إكراماً وإجلالاً وأفضل عليه إفضالاً بسبب مناسبة الآداب

التي هي من أوكد الأسباب وأقرب الأنساب.
ولما كانت أيام ابن عزيز وأيام الدامغاني وأيام أبي نصر بن أبي زيد جعل كل منهم يربي على من تقدمه في الإحسان إليه، وإدراك الرزق عليه، وإخراج الخلع السلطانية والحملات بمراكب الذهب له، حتى حسن حاله، وتلاحق ماله، وظهرت مروءته.

فمن شعره في المزي قوله من قصيدة أولها:
أنا بين أحشاء الليالي نار ... هي لي دخان والنجوم شرار
فمتى جلا فجر الفضاء ظلامها ... صليت بي الأقطار والأمطار
بي تحلم الدينا وبالخير الذي ... لي منه بين ضلوعها أسرار

فبكلّ مملكة عليّ تلهف ... وبكلّ معركة إليّ أوار
يا أهل ما شطّت برجلي رحلة ... إلا لتسفر عني الأسفار
لي في ضمير الدهر سرّ كامن ... لا بدّ أن تستلّه الأقدار
حققت يده دم المكارم منذ غداً ... دم كلّ حرّ فاه وهو جبار
طبع مزينة منه عضباً ما له ... في غير هامات الأسود قرار
أراؤه ييض الطّي وحديثه ... روض الرّبي ويمينه تيار
ضمّت على الدينا بدائع لفظه ... فكأنّها زند وهنّ سوار
وإذا العلوم استيهمت طرقاً ... فذووه أعلام لها ومنار
عزماقم قضب وفيض أكفهم ... سحب وبيض وجوههم أقمار
ختم الرياسة بالوزارة فيهم ... أسد له السّم الذوابل زار
ومنها:

يا من إذا طر القبائل شاعر ... صلّت على آبائه الأشعار
فارحم بمنكبك السماء أما ترى ... لسواك في خطط النجوم جوار
والأرض ملكك، والورى لك غلّمة ... والدهر عبدك، والعلا لك دار
ومن شعره في أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عزيز قوله من قصيدة:
سيخلف جفني مخلفات الغمام ... على ما مضى من عمري المتقادم
بأرض رواق العزّ فيها مطنّب ... على هاشم فوق السّهل والنعام
يدين لمن فيها بنو الأرض كلّهم ... وتعنو لهم صيد الملوك الأعاضم
ويهماء لا يخطو بها الوهم خطوة ... تعسّفها بالمرقات الرواسم
وقد نشرت أيدي الدجى من سمائها ... رداء عروس نقطت بالدراهم
فخلنا نجوماً في السماء أسنة ... مذهبة ما بين بيض صوارم
أعطّ قميصي قسطل ودجنة ... بذات الشكّيم أو بذات العزائم

أَيُّمَ عبد الله نجل محمد ... وزير بني سامان تتميم حاتم
فمن مبلغ أهلي بآتي واجد ... طلا بي من بحر الندى والمكارم
وَأَني من الشيخ الجليل وظلّه ... مطّنب بيت تحت ظلّ الغمام
وَأَنْ عيون الجود طوع أناملي ... تدفق حولي بالسيول السواجم
لقد عملت أرض المشارق أنّها ... بيمنك قد عادت بليث صارم
وقد أيقنت أن ليس غيرك يرتحى ... لقمع الأعادي أو لدفع المظالم
فلاذت بلا وأن ولا متقاعس ... ولا نأكل عن نصرة الدّين جاثم
ولا تارك رأياً تَلُونَا ... ولا قارع عند الندى سنّ نادم
يعمّم بالهنديّ حين يسلّه ... أسود الوغى بالضرب فوق العمائم
ويسهم من أعماله في خيارها ... ويشرك من أمواله في الكرائم
فلا ملك إلّا ما أقمت عروشه ... ولا غيث إلّا ما أفضت لشائم
ولا تاج إلّا ما تولّيت عقده ... على جبهة الملك المكتى بقاسم
أبدر العزيزين رفقا فطالما ... كفيت ييـض الرأى ييـض الصوارم
فرايك نجم في دجى الخطب ثاقب ... وعزمك غضب في طلى كل ناجم
ومنها:

وقد كان ملك الأرض قد زال نجمه ... فكنت له بالرأى أفضل ناظم
أخذت بضيع الدين حتى رفعتّه ... إلى حيث لا يسمو له وهم واهم
وكان سرير الملك قبلك باكياً ... فأبدى لنا من خطة ثغر باسم
محوت بما أثبتته من ملاحم ... أعدت بها الإسلام كتب الملاحم
فلا زلت للملك الذي قد أعدته ... حمى واقياً من كلّ خطب وداهم
ومن قصيدة أخرى:

سألت الله مبتهلاً مناكا ... فأضعف ما سألت وقال هاكا
وردّ على يدك الملك لما ... غدا بالترك ينتهك انتهاكا
فأنت لربّ هذا الملك سيف ... إذا ما نابه خطب نضكا

وقد أبت الوزارة في بخاري ... سواك كما أبت إلّا أباك
وكان الصلر منذ أخليت منه ... يمجّ رجاله حتى أحتواكا
وما أخلاه منك الملك إلّا ... لييلي من عداك بما بلاكا
فما أغنوا غنائك في فقير ... وهل يغني غنائك من عداكا
وكتت السيف أعمد يوم سلم ... فلما شبت الحرب انتضاكا
وقد كانت على الأعداء أمضى ... وأقضى من سيوفهم رقاكا

ولو نهضت رجال الأرض طرّاً ... بما كلفت ما أغنوا غناكا
فعلت بعض قولك كلّ فعل ... ونبت بعفو رأيك عن ظباكا
غذيت بدر ضرع العلم طفلاً ... ففقت الخلق في المهد احتناكا
فلا شرب الطلاء أهلك يوماً ... ولا يبض الطلاء عمّا عناكا
وإن غمّ الممالك ليل خطب ... جلّاه صبح رأيك أو سناكا
فأفسح من خطي الخطي قدماً ... إذا أقدمت في حرب خطاكا
وأسمح من ملثّ القطر جوداً ... إذا ما صاب صيّبه نداكا
وما انفتحت بلا، شفتاك يوماً ... ولا انضمت على نشب يداكا
تأخّر عن مدك البحر لما ... جريت، فلم نسّميه أخاكا؟
وما جارك صوب المزن لما ... جرى وجرى نذاك ولا حكاكا
ولكنّ الغمام عني سجوداً ... على وجه الثرى لك إذا راكا
فأنت أجلّ قدراً أن تجارى ... وأرفع رتبة من أن تحاكي
وقد سامي السماء وملس زهواً ... على قرع السهل بلد نماكا
فأهلوه ومن فيه وقار ... لنفسك من جميع من ابتغاكا
فها هم جنة لك فاغتنمها ... وهم لك جنة فما دهاكا
ومنها:

أكاد إلى العزيز أعزي ... لإلحاقني بهم نفسي اشتباكا
فلو أجريت لحظك في فؤادي ... رأيت دليل ذاك كما أراكا
أعبد الله لا خيرت بيتاً ... مدى الأيام إلا في علاكا
فكم لك من يد قلّدتنيها ... فلست أرى لها عني انفكاكا
ولو حملت ما حملتني ... شمام استطاع به حراكا
وقد ألبستني أثواب عزّ ... وقد أوطأت أمضي السّماكا
فحسبك من علا أعليت كعبي ... برفعك فقد بلغ حباكا
سرى كلّ السر في الأرض شعري ... وخيم إذ أرك فما خطاكا
وكت على الثور صممت حتى ... منعت فبت مبتغياً رضاكا
ولو لم تقتصر حالي الليالي ... لما أدمعت سيراً عن حماكا
وقد سميت لي أمرين حسبي ... بعضهما إذا أثرت ذاكا
وإن لم ترض لي بالنجم نعلًا ... ولا خطّ المجرة لي شراكا
فدع ما ترتضيه لنا وخفض ... فأنفسنا وما ملكت فداكا
وما استنكفت من جدواك، لمن ... كفاني بذل ودك عن لهاكا
ولو كان استمّاح البحر خلقاً ... لأملك يستمحيك وانتحاكا

فلا يعمت غير ذاك بحراً ... ولا خيمت إلا في ذراكا
ومن شعره في أبي نصر بن أبي زيد من قصيدة وصف فيها داره التي بناها وانتقل إليها عند تقلده الوزارة:
قد وجدنا خطي الكلام فساخا ... فجعلنا النسيب فيك امتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض المدح ... قبل النسيب فيك انفساحا
وعمدنا إلى علاك فصغنا ... لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من ييض مساعيك بالندى أو أوضاحا
غرس في ثرى الصدور عطايا ... ك غروساً أثمر ودّاً صراحا
كم كسير جبرته وفقير ... مستميح رددته مستماحا
وبلاد جوامح رضتها بالعزم حتى أنسيتهنّ الجماحا
وأمان خرس بسطت لها في القول حتى أعدتهنّ فصاحا
شهرت منك آل سامان عضباً ... ينجح السعي غربه إنجاحا

أحمدت رتبة الوزارة من أخذ ناراً تجري القنا والصفاحا
فلو أن الممالك استنطقت فيه ... لقامت بذكره مداحا
مغرم بالثناء مغرى بكسب الحمد يهترّ للسماح ارتياحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاءً ... أن يرى طيف مستميح رواحا
يا أبا نصر الذي نصر ... الملك فأنسى المنصور والسفاحا
ضاقت الأرض عنك فارتدت ربعاً ... يسع البحر والحيا والسماحا
وإذا ضاقت المصانع بالسيل أبي أن يحلّ إلا البطاحا
فهنيئاً منها بدار حوت منك جبلاً من الحلول رجاحا
كونها تؤم الوزارة فما ... زاد برهان سعدا إيصاحا
ذات صدر كرحب صدرك قد زا ... د على ظنّ آمليك انفساحا
يغرس الصيد في ذراها من التقبيل غرساً فيجتنبه نجاحا
بفناء نطيل فيه خطي اللحظ ونلقي للفكر فيه انسراحا
بموها يملأ العيون بهاءً ... صحنها يملأ الصدور انشراحا
شيدها فضة وقرمدها تبر قد امتيح من نذاك امتياحا
وثرها من عنبر شيب بالمسك فإن هبت الصبا فيه فاحا
مقنعات فيها الأساطين من فو ... ق قصخور قد انبطح انبطاحا
كلّ ناد منها قد اتشح الفر ... ش بثوب الربيع فيه اتشاحا
وأرى بين كلّ نحّين كالرو ... ض خليجاً من البساط مساحا
وسقت ماؤه حدائق غريبه إلى أن غدت به ضحضاحا

صبغة من دم القلوب فمن أبصره اهتزّ صبوة ورايتها
ما بكاء الرياض بالظلّ إلاّ ... خجلاً من رياضها وافتضاحا
شابه القش فرشها مثل ما شا ... به ولدائها دماها الصباح
وكأنّ الأبواب صحب تلاقين انغلاقاً ثم افترقن انفتاحا
وكأنّ الستور قد نشر الطا ... ووس منها في كلّ باب جناحا
وكأنّ الجلمات فيها شمس ... أطلعتها ذرى القباب صباحا
والسواري مثل السواعد كبت ... تحتها من أساسها أقداحا
ويوت كأنهنّ قلاع ... مزروعات للنيرات نطاحا
ورواق كأنما بسطت فيه دعاء أيدي الأساطين راحا
وجنان لو كنت في جنة الفر ... دوس لم أبغ غيرهنّ اقتراحا
وإذا دارت الكؤوس بها أبصرت خلد النعيم ثمّ مباحا
ومنها:

من يدي كلّ ساحر الطرف يجني الورد ... من وجنتيه والتفاحا
وإذا الزير جاوب الناي ضرباً ... جاوب البلب الهزار صياحا
في مقام تمحو الهموم به النشوة عنا وتثبت الأفراحا
تطلع الشمس أنجماً كلّما هنّ ... ت شمس الطسوس منها رماحا
وضياء السقا والخمر والكا ... سات فيه قد عطّل المصباحا
وإذا ما الجامر اضطربت بالجمر أحييت رياحها الأرواحا
فمتى أطعمت أزجة عطر ... أشرعت من دخانها أرماحا
فهنيئاً منها بجنة عدن ... ضمّنت منك سيّداً جحجاحا
فاقطع الدهر في ميادينها الفيج اغتباقاً على الحيا واصطباحا
واملاً الفكر من موشحة فيك ولا تولها قلى واطراحا
فلو أني استوقفت عنياً بما قلت لما اسطاع عن براحي براحا

قال مؤلف الكتاب: رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وعاشرت منه فاضلاً ملء ثوبه.
وذاكرت أديباً شاعراً بحقه وصدقته وسمعت منه قطعة من شعره، ونقلت أكثره من خطه، وكان يسمو بهمته
إلى الخلافة، وبمعي نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها، فاقطعته المنية دون الأمنية،
ولما فارقه لم تطل به الأيام بعدي حتى اعتل علة الاستسقاء وانتقل إلى جوار ربه ولم يكن بلغ الأربعين،
وذلك في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة.

شعره في الاوصاف والتشبيهات وهذا ما اخترته من شعره في الأوصاف والتشبيهات التي لم يسبق إلى
أكثرها.

قال في المنارة:

وقائمة بين الجلوس على شوي ... ثلاث فما تخطو بمن مكانا
على رأسها نجل لها لم تجنّه ... حشاها ولا علته قط لبانا
يشرد في أعلاه كلّ دجنة ... يشقّ جلايب الظلام سنانا
وقال في الكرسي:

ومقعد لي و طيء ... يقوم عند قعودي
يزهي بصدر فسيح ... رجب و بأس شديد
له رواق أديم ... على سوارى حديد
إذا جلست عليه ... خلت الأنام عبيدي
وفيه أيضاً:

ومرتبة من بوادي الملو ... لك بين القيام وبين القعود
تمدّ بساطاً لمستوطيء ... ثبوته عمد من حديد
وفيه أيضاً:

ومستوقف لجلوس الحضور ... على أربع في الشرى موثقه
يمدّ على فرعه مفرشاً ... ويظهر في خصره منطقة
فمن شاء صيره مقعداً ... ومن شاء صيره مرفقه
وقال في طست الشمع:

وحديقة تفتّر فيها دوحة ... لم ينمها ترب ولا أمطار
فصعيدها صفراً ونامي غصنها ... شمع وما قد أثمرته نار
وأيضاً:

وطاعة جلاباب كلّ دجنة ... بماضي سنان في ذؤابة ذابل
تجود على أهل الندامي بنفسها ... وما فوق بذل النفس جود لبازل
ويقرى عيون الناظرين ضياؤها ... وقد قيدت ألاحظها بالأصائل
وقال في النار:

أم القرى عندك أم بوح ... فقد سرى أبوابه اللوح
أم ذات مرط ذهبي لها ... يعقدها في الجوّ تطويح
يسقني أخت لها دها ... جسم لها وهي له روح
كأنها الشمس وما نفّضت ... من شرر عنها المصايح
وله في الحمام:

وبيت كأحشاء الحب دخلته ... وما لي ثياب فيه غير إهابي
أرى محرماً فيه وليس بكعبة ... فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي

بماء كدمع الصبّ في حرّ قلبه ... إذا أذنت أحبابه بذهاب
توهّمت فيه قطعة من جهنم ... ولكنّها من غير مسّ عقاب
يشير ضباباً بالبخار مجللاً ... بدور زجاج في شمس قباب
وله في السطل والكرنب:

لنا من الأسطال سطل ... شأنه عجب
كالشمس إذ عاجلها ... في الطفل المغيّب
كرنيه كمائح ... وهو له قلب
قبضته سبيكة ... في متنها نجيب
ضرب دمشقيّ فما ... يرى لها ضريب
وله في حجر الحمام:

لحجر الحمام عندي يد ... ومنة لست أؤديها
وهو لرجلي صقيل لا يني ... عن طبع في الرجل ينقيها
كأنّها كورة نحل إذا ... غمستها في الحبر تشيها
وفي الليف:

لليف في تنظيف جسم ... المستحم معجزه
فلا يغور درن ... في الجسم إلّا أبرزه
كأنّه ذوائب ... قد مشطت مجرّزه
وفي المنشفة:

منشفة حملها تخال بها ... قد فتّ كافورة على طبق
كأنما أنبتت هائلها ... ما ارتشفت من لآلئ العرق
وفي الزنبيل:

وذي أذنين لا يعيان قولاً ... وجوف للحوائج ذي احتمال
تكلف شغل أهل البيت طراً ... وتحمل فيه أقوات العيال
مطيع في الحوائج غير عاص ... ولا شاك إليك من الكلال
تسرّ إليه في الأسواق سرّاً ... يبيديه إلّا في الرحال
وله في كوز أخضر محرق:

وبديعة للرّيم منها جيدها ... حارت عيون الناس في إبداعها
كخريدة في مرط خزّ أخضر ... رفعت يداً لتردّ فضل قناعها
وله في الشرايبة:

شمس لها من نفسها أرجل ... ستّ إذا ما شئت أو أربع
تنوء بالكوز لظئر له ... تحضنه الدهر ولا ترضع

وله في الجليد:

حجارة من صنيع الدهر تمتعنا ... بردها وضرام الغيظ يستعر

كأنها قطع البلّور ليس بها ... قلب ولا أثر باد ولا كدر

وله في ماء بجليد من الرجز:

ورائق مثل الهواء صافي ... بات بثوب القرّذي التحاف

حتى نفى عنه القذاة نافي ... فرق حتى صار كالسُلاف

أسرع في الجسم من العوافي ... فيه الجليد راسب وطافي

كأنه ودائع الأصداف وله في كأس جلاب من الرجز:

وكأس جلاب بها يطفئ اللهب ... يقضي بها عند الخمار ما وجب

كأنها الفضة شيت بالذهب ... تشابه الجليد فيها والحب

حسبته ذراً من المسك انسرب ... فبعضه طاف وبعض قد رسب

كأنما المخوض فيها يضطرب ... حوت يغوص تارة ثم يشبّ

وفيها:

وكأس من الجلاب أطفأ بردها ... سعيّر خمار الكأس عند التهايه

وكانت كبرد العدل عند طلابه ... وعود وصال الحب بعد ذهابه

وله في السكجيين:

ومستنتج ما بين خلّ وسكرّ ... دوائي من دائي به وشفائي

رأيت به في الكأس أعجب منظر ... مذاب عقيق فيه جامد ماء

في الفقاعة:

ورب فقاعة رأيت بها ... ثدي كهوب مسودّ الحلمه

حللت زنارها فأظهر لي ... شهب بزاة تطير عن أكمه

وفي المعنى أيضاً من الرجز:

أجسام صخر دفنت في صخر ... تناسبا واختلفا في البحر

تحكي ثنايا خفوات غرّ ... تلوح من تحت ثياب خضر

أطرافها قد ضمّخت بالحبر ... كدرّ مقطوم رضاع الدرّ

أقعى على أذناهم التبري ... إقعاء أسد بصرت بنمر

تفور إن حلّت كفور القدر ... بمثل أحداق جراد خزر

أو مثل أنصاف صغار الدرّ ... أو صارم فيه الفرند يجري

يعلو وينقضّ انقضاؤ الزهر ... كأنما الليل انجلي عن فجر

تبدي ذرى هاماتها من جمر ... وما عدا رءوسها قد عرّي

مزنرات لا لدين كفر ... دفائن لا لانقضاء عمر
في تربة من صنع أيدي القرّ ... قد حطت أجيادها بالعطر
وحرمت حرم أخيد الأسر ... دفينها ينشر ميت القبر
وبردها شفاء حرّ الصّدر ... تقسم بالله العظيم القدر
لا أَرْضعت إلا فطيم الخمر ... فهي شفاء السكر بعد السكر
في الأترج المربي من الرجز:

ورب سوس من الأترج ... متقدّ اللون اتقاد السّرج
يعوم من إنائه في مزج ... مجت عليه النحل أيّ مجّ
فقام من رضاها في لجّ ... بظاهر كقطع الخلج
أو العقار اعتللت بالمزج ... غصّت به فوهاء مثل البذج
سليمة من كلف وسحج ... نقيّة كالعاج أو كالثلج
قد خرّطت على قويّ النسج ... حرم ثوب الخيل بالبرطنج
أفضل ما أبغي وما أرجي ... وما أعدّ للطعام الفجّ
وكلّ مأكول بطيء النضج ... وتخم تغصني وتشجي
بهر لها كالسائق المزجي ... يوسع ما ضاق لنا من نهج
يرى من كلّ أذى وينجي ... ويجعل الأفواه ذات أرج
عزاه شاريه إلى الأشجّ ... وخطّه عليه بالتهجيّ
جاء به الحجيح بعد الحجّ ... يفرون كل سبب وفجّ
حتى أتوا منه بما يرجي ... فلت مأمولي به وفلجي
وله في الإهليج المربي:

إهليج خلناه لما بدا ... يمرح في لجّ من الشّهد
وسائط الجوهر قد ألقيت ... في ماء ياقوت من العقد
وله في الترنجين:

وسكّر ليس من ... السكر المستخرج
أبيض كالكاפור أو ... كاللؤلؤ المدحرج
فلو حلفت أنّه ... طرزة لم أخرج
فهو غداء يغتذي وهو شفاء للشجي
ظلّ من السماء بهوي ... فوق نبت العوسج
يسقط مثل اللؤلؤ ... الرطب على الفيروزج
وله في الرطب المعسل في برنية زجاج:
وشقّافة مثل النسيم كأنّها ... مكوّنة الأجرام من ريق القطر

بها من نبات النخل والنحل ملؤها ... يواقيت جمر في مياه التبر
وله فيه:

وربّ ماء من الشّهد في زكيّ زجاج

فيه يواقيت جمر ... يضمّ قطاع عاج

وله في كعاب الغزال في برنية زجاج:

وذات لطف كقطر ضمنت يققاً ... كأنه البرد الربيع تشيها

شفافة من حدائق الزرق قد طبعت ... ومن بياض عيون الحور ما فيها
وفيها أيضاً:

ويض ظنّها و الجام محقق ... بمنّ كصدر هنّ فيه فؤاد

أنامل غيد ما وصل براحة ... وأعين عين ما لهنّ سواد

وفيها أيضاً:

ويض إذا ما لحن في الجام خلقتها ... نجوم سماء في سماء زجاج

وإن ضمنتّهن البراني حسبتها ... أسنة سمر في رقيق عجاج

وقال في بنادق القند الخزائي في برنية زجاج:

وأبيض اللون أودعناه صافية ... تذيع ما استخفيت فيه وتبديه

كأنه برد صاغ الهواء له ... من ريق القطر كيف توقيه

وقال في أعمدة القند الخزائي:

أنابيب من القند ... على الأطباق مبيضة

كأنّ الجام كفّ وهي أطراف لها بضه

حكّت أعمدة صيغت ... من الثلج أو الفضة

حكّت شهباً غدت في ذ ... لك المجلس منقضة

شفاء الشارب الظمأ ... ن من أطرافها عضه

وله في اللوز الرطب:

وافت لتخطر في ثلاث مدارع ... حذاهن في شكل النواظر حادي

تواييت في حصر الحدود تضمنت ... مكفنّ عاج في مصندل لاذي

وله في اللوز اليابس:

ومستجنّ من الجانبين ممتنع ... بحبة لم يحكها كفّ نساج

درّ تضمن من عاج تضمّنه ... والبر لا البحر أصداف من العاج

وقال في الجوز الرطب:

ومحقق التدوير يعرب نفعه ... من كفّ ومن يجنيه ما لم يكسر

دَر يسوغ لآكليہ ضمّہ ... صدف تكون جسمه من وعرعر
متدرع في السلم ثوب غلالة ... درعاً مظهراً بثوب أخضر
وله في الزبيب الطائفي:

وطائفي من الزبيب به ... ينتقل الشرب حين ينتقل
كأنه في الإناء أوعية ال ... نحاس لكنّ ملاءها عسل
وله:

وقششم كخزر ... للنظم لم يتقب
يبلى به الكأس لما ... بينهما من نسب
يحظى به الشارب في النادي ومن لم يشرب
كأنه أوعية ... يحملن ذوب الضرب
أو لؤلؤ قد علّ ... أعلاه بماء الذهب
وقال العناب:

يروقي العناب ... في إليه انصباب
إذا لاح لي منه أطرا ... ف من أحبّ الرطاب
يحكى فرائد درّ ... لها العقيق إهاب
في الباقلاء الأخضر:

وباقلاء أزهر ... مثل سموط الجوهر
تضمّنه أوعية ... من الحرير الأخضر
أوساطه مخطّفة ... مثل خصور ضمّر
أطرافه مذروبة ... مسروقة من أنسر
وطرف كمنحلب ... وطرف كمنسر
وله في الباقلاء المبوت:

وباقلاء عامر طيبها ... من حسنه الناظر مبهوت
كأنه أقطاع عاج لها ... من خشب الساج توابيت
وله في البطيخ:

محقّقة ملء الكهوف كأنها ... من الجرع كبرى لم ترض بنظام
لها حلّة من جئنار و سوس ... مغمّلة بالآس غبّ غمام
تمازج فيها لون صبّ وعاشق ... كساه الهوى و بين ثوب سقام
وأبدي له في التحرّ تخضير كاعب ... علامته ذات اعتدال قوام
رياضية مسكية عسلية ... لها لون ديباج وعرف مدام
إذا فصلت للأكل حاكت أهلة ... وإن لم تفصل فهي بدر تمام

وله في البطيخ الهندي:
ومبيضة فيها طرائق خضرة ... كما اخضر مجرى السيل في صيب الحزن
كحقة عاج ضببت بزبرجد ... حوت قطع الياقوت في عطن القطن
وله في الكمثرى:
وضرب من ثمار الصيف يحكي ... وقد طلعت لنا منه نجوم

قناديلا تضيء لها رءوس ... مثقبة وليس لها جروم
وله في رمانة:
رمانة ما زلت مستخرجاً ... في الجام من حقتها جوهرها
فالجام أرض وبناني حياً ... تمطر منها ذهباً أحمرها
وله:

ليس الإناء بحافظ مستودعاً ... إلا إذا وقته بغطاء
فإذا جعلت له الغطاء فإنه ... بجميع ما استودعت خير إناء
فاحفظ إناءك بالغطاء فإنه ... لا خير في أرض بغير سماء
وله في الملح المطيب:

لا تدن مني الملح إن شبته ... من الأباذير بألوان
وجهه أبرص ذو غشة ... بين ثآليل وخيلان
فإني أحسب أني متى ... أدنيه مني أعدائي
وأته أبيض ما إن له ... في عرصة الصحيفة من ثاني
فهو متى أفرد من صاحب ... إدام زهاد ورهبان
وله في خبز الأباذير:

الملح ما أكثر أضراره ... لا ملح أهل الزهد والنسك
كأن شهدانجه بينه ... حبات رومي من الفلك
كأنما الشيونيز من فوقه ... ما نفت الفضة في السبك
كأنما العتاب في وجهه ... تنقيط قرآن على الصك
بانجدان فض من مهرق ... وسمسم قد فض من سلك
يشبه من ثني أبا زيره ... إذا تأملناه أو يحكي
سحيق كافور مشوب به ... قراضة العبر والمسك
وله في الرقاق:

خبز الأباذير مني كل من ... بترهات الأكل يشتهر
وعندنا منه أتراس من الفضة ... قد رصعها الجواهر؟

كأصحن كافور قد حشدت ... وذرّ في أوجهها العبر
وله في الرقاق:

وخبازة لا تغذي الرقاق ... أرتنا من الخبز أمراً عجابا
تناول بيض كتاب العجين ... فتنسخ في الوقت منها ثياباً
وتأتي بها كصفاح الغدير ... قد كَوّن القطر فيها قباباً
في الجبن و الزيتون:

غرامي بابن المباركة التي ... بها كلم الله الكليم من الرسل؟
فإن نيط بابن الضرع بعد احتياكه ... وبعد اعتصاره الدهر ما فيه من ملل
رأيت أكفأ فضةً وأناملاً ... بهن خضاب حالك اللون ما نصل
وألقيت منها أوجه الروم فوقها ... جعود و شعور الزنج أو حديق المقل
إذا اجتمعنا لي لم أمل معهما إلى ... أطايب أنواع الطبخ ولم أبل
خيالان ضدان الدجى والضحي معاً ... يضمّهما فتر من الأرض أو أقل
فكلني إلى خدنين ذا وضح الدجى ... نقاءً على أرض الخوان وذا طفل
فهذا خد بالعضاض مؤثر ... وذاك كصدغ حالك فوقه انسدل
وله في البوراني والبطيخ:

لدينا نديم لم يزل طول يومه ... له في المقالي فجّة وفشيش
وضرب من البطيخ في راحتيّ من ... خشونته كلم بها خدوش
تخال ربا النواريج أهدقت ... بها خفيفةً من أن تحفّ جيوش؟
ومن لم يكن في الصيف هاتان عنده ... فكيف يرجّي عمره ويعيش
وله في العجة:

عندي للضيف عجةً شرقت ... بدهنها فهي أعجب العجب
قد عصّت النار وجهها فعدت ... لياسمين بالورد منتقب
وله في الجوزابة:

جوزابة فوارة ... في دهنها المنسكب
كأنّها قد ركبت ... في جامها بلولب
لائحة في أهبها ... آثار عضّ اللهب
كنقرة من فضة ... في حقة من ذهب
وله في الشواء السوقي:

طرا طارئ عند العشاء فجنته ... بقرص عضيض من شواء ابن زنبور
تخال قطاع المسك رصّع رصفها ... بفيروزج النعناع في صحن كافور

وله في سمكة مشوية:

ماوية فضية لحمها ... ألد ما يأكله الأكل

يضمها من جلدها جوشن ... مذيل فهو لها شامل
كوئت من فضتها عسجداً ... بالقلي لما ضافني نازل
وله فيها:

ماوية في النار مصلية ... يصبغ من فضتها عسجد
كأتما جلدها جيوش ... من رفن الصنعة أو مبرد
وله في الفاصولياء:

وأسمر قد لفّ السعير إهابه ... ينوء بحجر من ثنياته سمر
إذا ضمّ أنواع السميّط وخطّ في ... بعيدة قعر ماؤها لهب الجمر
أتاك بما في ضمنها فكأته ... محب كوى أحشاءه ألم الهجر
وله في الهريسة:

هريسة خلقتها وقد ملأ الطباخ منها الإناء ما وسعا
درّاً تثيراً أسلاكه قطع ... في ماء ورد وصندل نقعا
وقال في ماء الخردل:

أتخفوني على الخوان بمقطو ... ب يحاكي في الطعم فقد الأليف
يضحك الكأس منه عن شائب المفرق يبيكي من غير ضرب ضيوف
إذا ذيق أسبلت قطرة منه ... سيولاً من أعين وأنوف
وإذا ما أصغى وعني ذوي الأكل تداو منه بشمّ الرغيف
وله في البيض المغلق من الرجز:

وضاحك في البيض من تفصيل ... حبوبه كالجوهر المحلول
زيتونه كالسبح المصقول ... جزره فواصل التنزيل
حمّصه كالدّر في التشكيل ... عدسه منتخب الجليل
كخرز محقق التعديل ... أو ذهب بفضّة قد غولي
ولوبياء كخودود حيل ... أو أعين حذر الحذاق حول
فيها بقايا رمد قليل ... منقط مزين التعسيل
وقال في البيض المغلق من الرجز:

ياقوت ما ضمّها مخنقة ... في درّة في حقه حقه
كأنها وقد غدت مغلقة ... مذ نشرت أنوابها المرققة
تبر حوته من لجين بوتقه وقال في أقراص السحور من الرجز:

عندي للأكل إذا ... ما قمت للتسحر

ملتوية بسمنها ... بسمسم مقشّر

مثل البدر الطالعا ... ت في صدر الأشهر

أو أوجه الترك إذا ... أثر فيها الجدي

وله في اللوزينج اليابس:

ولوزينج يشفي السقيم كآته ... بنان كفّ بضّة لم تغضن

بعثناه بالقطر الركي محنطاً ... ليدفن إلّا أنّه لم يكفّن

وله في اللوزينج الفارسي:

وزنجيل يعزى إلى الفرس خلته ... بنان عروس في رفاق الغلائل

فإن حملت إحداه خمس حسبتها ... زيادة كفّ بين خمس أنامل

وله في الخبيص:

خبيصة في الجام قد قدّمت ... مدفونة في اللوز والسكر

يأكل من يأكلها خمسة ... بكفّه فيها ولم يشعر

وله في الفالوزج المعقود:

فالوزج يمنع من نيله ... ما فيه من عقد وإنضاج

يسبح في لجة ياقوتة ... للوز حيتان من العاج

كأنما أبرز من جامه ... ثوب من اللاذ بدياج

وله في مشاش الخليفة:

جمعت حباب الكأس حتى لحقته ... فكوّنت منه في الإناء بدورا

فإن لمستته الكأس لمساً لكفّه ... رأيت الذي نظّمت منه تثيرا

في أصابع زيب:

أحبّ من الحلواء ما كان مشبهاً ... نبات عروس في حبير معصّب

فما جملت كفّ الفتى متطعماً ... ألدّ وأشهى من أصابع زيب

وفيها:

وضرب من الحلو الذي عزّ اسمه ... لوجدي بمن يعزى إليه وينسب

يصدّق معناه اسمه فكآته ... بناناً بأطراف البنان مخضّب

وله في عنة من المطعومات قال في المرورة:

كم تكون الموررات غذائي ... إن أكل الموررات لزور

وإني ما يكون أدمي خلّ ... وقليل من البقول يسير

فاحجبوا عني الطيب وقولوا ... أنا بالطب الطيب كهو

هات أين الكباب أين القلايا ... أين رخص الشواء أين القدير

أنا لا أترك التدبّيح ولا البطّيح والتّين أو يكون النشور
وقال في المديّة:

وذات شبّ في يديّ قائم ... أمرد ينفي السوء عن قاعد
شبهتها حين تأملتها ... بلحية شدّت إلى ساعد
وله في مجمع الأسنان بما فيه من الخلب والحلال:
أرض من العقيان ... في صورة الطيلسان
الشكل شكل رداء ... والنقش نقش الصواني
بما ثلاث ركايا ... حفت بما بيران
ففي الركايا ثلاث ... رحب ومخوqتان
من الزجاج القديم المستعمل ... المرواني
وكلهن ... ملأى بالسعد والأشنان
والخلب المتروي ... من طيب الأدهان
وفي القليين أيضاً ... زها خلال الرهان
حورين لا لشنانٍ ... أسرع لا لطعان
نوع عراض تحاكي ... مضارب العيدان
وآخر ذو الخذال ... في دقّة السامان
ففي ولاية هذه ال ... ألوان عزّ الخوان
وله في طين الأكل:

علام نقلكم بالذي ... منه خلقنا وإليه نصير؟
ذاك الذي يحسب في شكله ... قطاع كافور عليها عير
وله في الجمر والمدخنة:

وقول من أديم الصخور ... تحميم في حلال الخيرزان
تقري قطاعاً كعرف الحبيب ... وترقى وليس بما مسّ جان
وتمنع عن مثل حرّ القلوب ... من الجمر ما إن لها من دخان
في جمر خبا بعد اشتعاله:

أما ترى النار كيف أشعلها القر فأضحت تخبو وحيناً تسعّر
وغدا الجمر والرماد عليه ... في قميصين مذهبٍ ومعنبر
وله في البرد:

وبيضاء كالبلور جاد بما الحيا ... فأهوت قهادي بين أجنحة القطر
تذوب كقلب الصبّ لكنّه جو ... بنار هواه وهي مثلوجة الصلر

وله في التدرج:

قد بعثنا بذات لون بديع ... كنبات الربيع أو هي أحسن
في قناع من جلنار واسٍ ... وقميص من ياسمين وسوسن
ذبحت وهي بنت درّة برّ ... كلّ عن بعض وصفها كلّ محسن
وله في المحبرة من الرجز:

ركية من الرّجاج الصافي ... قطرة من عارض وكاف
تبرز للعين في تجفاف ... ذي حمرة مثل دم الرعاف
فهى فؤاد وهو كالشغاف ... ينبوعها أسود كالغداف
فهى وما تضمّ من نطاف ... كغسق بالصبح ذي التحاف
وما تضمّنته من غلاف ... كحقّة فيها ابنة الأصداف
وله في المقلّمة والأقلام:

ومجدولة حمر يخيّل منها ... من النفس روض ما يغدّى بوابل
ترى كلّ يوم حاملاً بأجنة ... ولوداً لهم من غير مسّ قوابل
فأولادها ما بين أسمر ذابل ... بأحشائها أو بين أبيض ناصل
تسدّد منها السّمّر لا لمحارب ... وترهف منها البيض لا لمقاتل
فلا السّمّر منها اعتدن حمل عوامل ... ولا البيض منها اعتدن حمل حمائل
وله في السكين المذنب:

ومرهفة أرقّ شباً وأمضى ... وأقطع من شبا السيف الحسام
تعانق في الدوي قناع يراع ... ويبقى ما استكن من السّقام
لها ذنب كصيصيّة أتمّت ... وصدّر مثل خافية الحمام
وله في المقط:

وأسود أحشاء الدويّ مقرّه ... يلوح لنا في حلّة من غياهب
يعانق أشباه الرماح وتعلي ... قواه شبيهات السيوف القواضب
وله في الحراك وهو الملتاق من الرجز:

أهيف قد أبدت ذراه غربا ... متخذاً من الظلام أهما
يخال في يد الغلام شطبا ... يخطو إذا استنهضته مكباً
يقلّب أصواف الدويّ قلبا ... ويكرب النفس عليها كربا
وله في الاضطراب:

وشبيه للشمس يسترق الأخبار من بين لحظها في خفاء

فتراه أدرى وأعرف منها ... وهو في الأرض بالذي في السماء
وفيه:

وعالم بالغيب من غير ما ... سمع ولا قلب ولا ناظر
يقابل الشمس فيأتي بما ... في ضمنها من خير حاضر
كأنما حاجبه مذ بدا ... لعينها بالفكر والخاطر
قد أهتمته علم ما يحتوي ... عليه صدر الفلك الدائر
وله في المقرض:

وصاحين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودّ وال ... إخلاص أن لا افترقا
ضمّهما أزهر كالتجم به قد وثقا
لم يشك في خصريهما مذ ضمّناه قلّقا
من تحته عيان منذ انفتحا ما انطبعا
وفوقه نابان ما حالّا فما خلّقا
يفرقان بين كلّ ما عليه اتّفقا
فأي شيء لا قيا ... ه ألفياه فرقا
وله في مشطي عاج وآبنوس:
لديّ مشطان ذا كباز ... لوناً وهذاك كالغراب
فذا شباب لذي مشيب ... وذا مشيب لذي شباب
وله في المنقاش:

لديّ منقاش بديع له ... مآثر في السف مآثوره
تعمل ناباه إذا أعملا ... في الشعر ما لا تعمل النوره
وله في الزربطانة:
متقّة جوفاً وتحسب زانة ... ولكنها لا زجّ فيها ولا نصل
تسدّد نحو الطير وهو محلق ... وينفذ عنها للردى نحوه رسل
يطير إلى الطير الردى في ضميرها ... فتجري كما يجري وتعلو كما يعلو
تقيّد ما تنجو به فكأّنه ... يمدُّ إليه من بنادقها جبل
وله في القفص:

وبيت لبنات الجوّ لا يستر من فيه
حفيظ للذي استحفّظ لكن لا يواريه
حكّت أعملة الفصّة ... والتبر سواريه
فمن مثل قنا الخطّ ... ثراه وأعاليه

وله في قارورة الماء من الرجز:

ركبة تشف ذات طول ... من الرّجّاج الفائق المغسول
تظهر ما في الجسم من فضول ... مفصحة بالطب لا بقليل
من كلّ داء غامضٍ دخيل ... فهي على التحقيق والتحصيل
مرآة في كبد العليل وله في اللبد:

وواضعة خدّها في الصعيد ... لأربابها عندها حرمة
نسيجة بنت جلود النعاج ... بغير سدى ولا لحمه
تمدّد على الرقّ رقّ الرمال ... وتوفي على الحر في النعمه
ويعمر ذا البيت منها غمام ... به شهبه خالطت أدمه
متاع لمن كان ذا خلّة ... قتيلاً ومن كان ذا نعمه
في قضيب القول:

أهيف قد زاحم الحسان على ... أخصّ أسمائه إذا اقتضيا
من الملاهي وليس ينكره ... ذو ورع حين ينكر اللعا
يلهو به من ولها وما اقترف الذنوب في فعله ولا احتقبا
يضرّب وجه الثرى به فترى ... كلّ فؤاد وجدّاً قد اضطربا
إذا تشبّ القلوب وقد ... أهدي إليها السرور والطربا
ومما قال على ألسنة أشياء مختلفة ما أمر بكتابة على خوان:
فضلت جميع الأواني وفقت ... فما في منقصة واحده
مقري منازل صيد الملوك ... وفي أتت سورة المائدة
وله وأمر بكتابة على فناء دار:

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من ... حكم الخلاف آبائي على الأمم
فكلّ ما فيه مبذول لطارقه ... فلا ذمام له إلا على الحرم
وفي معناه من الرجز:

أبنية فياحة منيره ... في كلّ قطر من بناه كوره
ملك راياته منصوره ... قد مدّ حول الخافقين سورّه
وحطّ فوق زحلٍ سريره ... لو أدرك المختار أو عصوره
لأنزل الرحمن فيه سورّه ... أو نطقت أبنية معمره
لأنطق الله له قصوره ... وقلن أقولاً له مآثوره
لا أفقد الله العلي دوره ... بهاءه وضوءه ونوره
وله في الترس:

إني أنا الترس بنفسي أقي ... من العوالي والطبي حاملي

أردُّ حدَّ السِّيفِ في متنه ... وأقْصص اللهْذم في العامل

أبو محمد عبد الله بن عثمان الواثقى

من أولاد الواثق بالله أمير المؤمنين، ينظم بين شرف الأصل ووفور الفضل، ويجمع أدب اللسان إلى أدب البيان، ويتفقه على مذهب مالك، ويشعره.
ومن خبره أنه كان نزع بأهله إلى الحضرة ببخارى راجياً أن يحل بها محل أقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله، أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعض الكور ما يصلح من حاله، فلم يحصل من طول الإقامة بها وكثرة الخدمة لأركانها على شيء، وضاق الأمر، فذهب مغاضباً يتوغل بلاد الترك، إلى أن ألقى عصاه بحضرة عظيمها نهر أقاخان، وما زال يعمل لطائف حيله ودقائق خدعه حتى استمكن منه واختص به وزين له ما كان في نفسه من إزالة الدولة السامانية والاستيلاء على المملكة:

إنما تنجح المقالة في المر ... ء إذا واقتت هوى في الفؤاد

فألقى إليه التركي مقاليد أمره، وجعل يصدر عن رأيه، وينظر بعينه، حتى كان ما كان من إمامه ببخارى في جيوشه والنحياز الرضى نوح بن منصور عنها إلى أهل الشط على تلك الحال المغنية بشهرتها عن ذكرها، وكان الواثقى سبباً لخرق الهيبة، وكشف لثام الحشمة، وإزالة الدولة. فعلا في بخارى وعظم شأنه، وبنى التدبير على أ، يبايع بالخلافة ويتقلد التركي أعمال خراسان وما وراء النهر من يده، وهو غافل عما في ضمير الغيب، وكان يركب في ثلثمائة غلام وقيم أحسن مروة ويسط من جناحه في الأمر والنهي والحل والعقد، فلم يمض إلا أشهر حتى هجمت على التركي علة الدرب، وكان سببها - على ما حكاه كاتبه أبو الفتح أحمد بن يوسف - إكبابه على فواكه بخارى وكثرة تضلعه منها مع اجتوائه بهوائها ومائها، فاضطر إلى الرجوع لما وراءه.

وما زالت العلة تشتد به في طريقه حتى أتت على نفسه، وعاد الرضى إلى بخارى، واتخذ الواثقى الليل جملاً، بعد أن أتت الغارة عليه وعلى ما معه من ممالكيه وذخائره، ونجا برأسه متنكراً إلى نيسابور ومنها إلى العراق، وتقلبت به الأحوال في معاودة ما وراء النهر ومفارقته. فهذه جمل من خبره.

وهذه لمع من شعره قرأت بخطه في وصف البرد والنار والفحم:

وليلة شاب بما المفرق ... قد جمد الناظر والمنطق

كأنما فحم الغضا بيننا ... والنار فيه ذهب محرق

أو سجع في ذهبٍ أحمر ... بينهما نيلوفر أزرق

وقوله في الغزل:

قمر ضياء وصاله من وجهه ... يبدو وظلمة هجره من شعره

فالمسك خالطه الرحيق رضابه ... سحراً، ودرُّ شنوفه من ثغره

وسدَّته عضدي وبين محاجري ... لوان مثل عقوده في نحره

وبدا الصباح فمدَّ نحو قراطقٍ ... يده وشدَّ مزراً في خصره

ومن قصيدة قالها بكل شجر وصف فيها الثلج والجليد:
كأن الأرض رقَّ صقلته ... أكفَّ صوانع متداققات
وإن غلط الزمان بشمس دحنٍ ... بدت نقط عليه مذهبات
تدوس الخيل إن مرت عليها ... متون سجنجلٍ متراصفات
كأن مياهها ينساب فيها ... أساود من لجينٍ ساريات
ومن نتفه في الغزل:
نفحات الصبا وصوب الغوادي ... ورياض الهوى وماء الكروم
وحديثٌ غصٌّ وخلٌّ كريمٌ ... ومزاج الصبا وماء النعيم

الباب الرابع

في غرر فضلاء خوارزم

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

باقعة الدهر، وبحر الأدب، وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة
والبلاغة المفيدة، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها وداووينها، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر، ويتكلم
بكل نادرة ويأتي بكل فقرة ودرّة، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ، ويغلب على كل محسن بحسن
مشاهدته، وملاحظة عبارته. ونعمة نعمته، وبراعة جده، وحلاوة هزله، وديوان رسائله مخلد سائر، وكذلك
ديوان شعره.

من كلمات له تجري مجرى المثل وهذه كلمات له تجري مجرى الأمثال أخرجتها من رسائله

الشكر على قدر الإحسان، والسلع يازاء الأثمان. الإذكار حيث التناسي، والنقاضي حيث التغاضي. النفس
مائلة إلى أشكائها، والطير واقعة على أمثالها. الأيام مرآة للرجال، والأطوار معيار النقص فيهم والكمال.
العشرة مجاملة لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف، ولا تحمل الحساب والصرف. الكريم يعز
من حيث يهون، والرمح يشتد بأسه حين يلين، الاعتذار في غير موضعه ذنب، والتكلف مع وقع الثقة
عتب. الدواء لغير حاجة إليه داء، كما أنه عند الحاجة إليه شفاء، الاستقالة تأتي على العثرات، كما أن
الحسنات يذهبن السيئات. الذنب للعين العشواء، في محبة الظلماء وكراهية الضياء. فم المريض يستثقل وقع
الغذاء، ويستمرئ طعم الماء، الكريم إذا أساء فعن خطيئة، وإذا أحسن فعن عمد ونية. الحر إذا جرح أساء
وإذا خرق رفا. وإذا ضر من جانب نفع من جوانب، الحر كريم الظفر إذا نال أنال، واللئيم سيء الظفر إذا
نال استتال. الآباء أبوان أبو ولادة وأبو إفادة، فالأول سبب الحياة الجسمانية، والثاني سبب الحياة
الروحانية. الغيرة على الكتب من المكارم، بل هي أخت الغيرة على الخارم، والبخل بالعلم على غير أهله
قضاء لحقه. ومعرفة بفضله، الرجل إذا قيده عقل الرجل لن ينطلق نحو مطية الأمل. الخجوج بكل شيء

ينطق، والغريق بكل حبل يعلق، العاقل يختار خير الشرين، ويميل مع أعدل الثقتين، الجود محتكر بر، لا محتكر بر. والكريم تاجر جمال، لا تاجر مال. والحرّ وقاية الحر من فقره، وسلاحه على دهره. العفو إلى المقر، أسرع منه إلى المصير. الفرس الجواد يجري على عتقه، و الفرع ينزع إلى عرقه. وكيف يخالف الإنسان مقتضى نسبته، ويطيب الثمر مع خبث تربته. المسافة صغيرة البقعة، صغيرة الرقعة، إذ ذرعت بذرع الهوى، ومسحت بيد الذكرى، فهي بعيدة إذا ذرعت ذرع التسلي، ونظر إليها بعين التغافل والتناسي. الغضب ينسي الحرمات، و يدفن الحسنات، ويخلق للبريء جنابات، المدح الكاذب ذم، والبناء على غير أساس هدم، الدهر غريم ربما يفني بما يعد، والزمان حبلى ربما يتم فيما يلد، الدهر أصم عن الكلام، صبور على وقع سهام الملام، يختصر العידان ويعتصر الأغصان ويخترم الشبان، ويولي الآمال و الأبدان، ويلحق من يكون بمن كان، الإنسان بالإحسان، والإحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان، والزمان بالإمكان، والإمكان على قدر المكان، الدنيا عروس كثيرة الخطاب، والملك سلعة كثيرة الطلاب، الحق حق وإن جهله الورى، والنهار نهار وإن لم يره الأعمى، العدل طلاق الرجال، والحنة صقيل الأحوال. الشجاع محب حتى إلى من يحاربه، كما أن الجبان مبغض إلى من يناسبه، وكذلك الجواد خفيف حتى على قلب غريمه، والبخيل ثقيل حتى على قلب وارثه و حيمه. الدهر يمطل وربما عجل، وما شاء الإقبال فعل. الكريم من أكرم الأحرار. والعظيم من صغر الدينار. المصيبة في الولد العاق موهبة، والتعزية عنه قننة. الحبة ثمن كل شيء وإن غلا. وسلم لكل شيء وإن علا، الدهر يفني بعد غدر، ويجبر عقب كسر، ويتوب بعد ذنب، ويعقب بعد عتب. التقدم للغاية تأخر عنها، والزيادة على الكفاية نقصان منها. النسيب أخو النسيب، والأديب صنع الأديب، الشرف بين الأشراف نسب ولحمة، وذمام وحرمة، فالكريم شقيق الكريم، والعظيم أخو العظيم، وإن افرق بلداهما واختلف مولداهما، إن السيوف على مقادير الأعضاء تفري، وإن الخيل على حسب فرسانها تجري إنما السؤود بكثرة الأتباع وكثرة الأتباع بكثرة الاصطناع، وإنما تحوم الآمال حيث الرغبة، ويسقط الطير حيث تنشر الحبة إنما النساء لحم على وضم، وصيد في غير حرم إلا أن يلاحظن بعين غيور، ونفس يقظ جنود، إن الولاية عزل إن لم يعمر جوانبها عدل إنما يتعلل بالمعازف شوقاً إلى الأخوان، ويؤكل لحم الثيران شهوة للحوم الضأن، ويتجوز في الزبيبي على اسم العنبي ويستخدم الصقلي عند غيبة التركي، شراء الكاسد حسبه، وحل المنعقد صدقه، وهدية المتحجر عباده، معاتبة البريء السليم، كمعالجة الصحيح غير السقيم، الفرس الجواد إذا ضرب كبا، والسيوف الحسام إذا استكره نبا، واللسان الصدوق إذا كذب هفا، عين الاستحسان آفة من آفات الإحسان، قبول شكر الشاكر التزام لزيادته، واستماع قول المادح ضمان لحاجته، لسان العين أنطق من لسان البيان، وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال لسان الضجر ناطق بالهذر

صغير البر ألطف وأطيب كما أن قليل الماء أشهى وأعذب، ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمره العلم العمل الصالح طول الخدمة تؤكد الحرمة، وتؤكد الحرمة أعقد قرابة ولحمة، ادعاء الفضل من غير معدنه نقيصة كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة القتال عن العسكر المنهزم ضرب من الخال وتعرض لسهام

الآجال، باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله، وحى الجميل مباح لمن انتهى فعله وليس على المكارم حجاب، ولا يغلق دونهما باب قراءة كتاب الحبيب ترسمهم، شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء، وحفظ الصحة أيسر من علاج العلة قليل السلطان كثير، ومداراته حزم وتدبير كما أن مكاشفته غرور وتعزيز شر من الساعي من أنصت له، وشر من متاع السوء من قبله لا خير في حب لا تحمل أقداره، ولا يشرب على الكدر ماؤه خبر الكلام ما استريح من ضده إلى ضده، تقع بين هزله وجده لا ستر أكثف من إقبال ولا شفيح أنجح من آمال، أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء، وأشد البلوى ما لا يخففه الاشتكاء، أي الله أن يقع في البئر إلا من حفر، وأن يحيق المكر السيء إلا بمن مكر ما تعب من أجدي، ولا استراح من أكدي حبذا كذا أورث نجحا، وشوكة أجت ثمرًا لإثبات على سم الأسود، ولا قرار على زار من أسد وفي الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا إذا عنت المدامة صارت نسبا دانيا. وكانت رضاعا ثانيا، أين يقع فارس من عسكر، ومتى يقوم بناء واحد بهدم بشر نعم الشفيح الحب، ونعم العون على صاحبه القلب هل يبرأ المريض، بين طبيين، وهل يسع الغمد سيفين، لم أر معلما أحسن تعليما من الزمان، ولا متعلما أحسن تعلما من إنسان، من الناس من إذا ولى عزلته نفسه ومنهم من إذا عزل ولاه فضله، ربما أكل الحر وهو شعبان، وشرب وهو ريان، ليس إلا لأن يسر مضيئا ويكون ظريفا، يشكر القمر على أن يلوح والمسك على أن يفوح، نعم العدة المدة، ونعم الواقية العافية، وبس الخصم الزمان، وبس الشفيح الحرمان، وبس الرفيق الخذلان، إن ولاية المرء ثوبه، فإن قصر عنه عرى منه، وإن طال عليه عثر فيه، ما الخنة إلا سيل والسييل إذا وقف فقد انصرف وما الأيام إلا جيش والجيش إذا لم يكر فقد فر وإذا لم يقبل عليك فقد أدبر عنك وراء الغيب أقفال، وللمنح والخن أعمار وآجال ما أكثر من يخطئ بالصنعة طريق المصنع، ويخالف بزعه غير موضع المزدرع أكبر من الأسير من أسره ثم أعنته، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه، أكرم من النبت الزكي من زرعه وأكرم من الكريم من اصطعقه، لا صيد أعظم من إنسان ولا شبكة أصيد من لسان، وشتان بين من اقتنص وحشيا بحالته وبين من اقتنص انسيا بمقالته من أرد أن يصطاد قلوب الرجال، نشر لها حب الإحسان والإجمال، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال، في كتمان الداء عدم الدواء، وفي علم الدواء عدم الشفاء، من لم يذكر أخاه إذا رآه فوجدانه كفقده، ووصله هجرانه، من أجاد الجلب أخذ به ما طلب، من ذا الذي يطمس نجوم الليل ويدفع منسكب السيل، وينضب ماء البحر، ويفنى أمد الدهر؟ من تكامل نحسه لم تنصح نفسه، ومن لم ينه أخاه فقد أغراه، ومن لم يداو عليه فقد أدواه، نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند قدره، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها من طريق الإستحقاق. البر أطف وأطيب كما أن قليل الماء أشهى وأعذب، ثمرة الأدب العقل الراجح، وثمره العلم العمل الصالح طول الخدمة تؤكد الحرمة، وتأكد الحرمة أعقد قرابة ولحمة، ادعاء الفضل من غير معدنه نقيصة كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة القتال عن العسكر المنهزم ضرب من الخال وتعرض لسهام الآجال، باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله، وحى الجميل مباح لمن انتهى فعله وليس على المكارم حجاب، ولا يغلق دونهما باب قراءة كتاب الحبيب ترسمهم، شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء، وحفظ الصحة أيسر من علاج العلة قليل السلطان كثير، ومداراته حزم وتدبير كما أن مكاشفته غرور وتعزيز شر من الساعي من أنصت

له، وشر من متاع السوء من قبله لا خير في حبّ لا تحمل أقذاؤه، ولا يشرب على الكدر ماؤه خبر الكلام ما استريح من ضده إلى ضده، تقع بين هزله وجده لا ستر أكثف من إقبال ولا شفيح أنجح من آمال، أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء، وأشدّ البلوى ما لا يخففه الاشتكاء، ألي الله أن يقع في البئر إلا من حفر، وأن يحيق المكر السيء إلا بمن مكر ما تعب من أجدي، ولا استراح من أكدي حبذا كدّاً أورث نجاحاً، وشوكة أجنب ثمرّاً لإثبات على سمّ الأسود، ولا قرار على زار من أسد وفي الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا إذا عثقت المنادمة صارت نسباً دانياً. وكانت رضاعاً ثانياً، أين يقع فارس من عسكر، ومتى يقوم بناء واحد بهدم بشر نعم الشفيح الحب، ونعم العون على صاحبه القلب هل يبرأ المريض، بين طبيين، وهل يسع العمدة سيفين، لم أر معلماً أحسن تعليمًا من الزمان، ولا متعلماً أحسن تعلماً من إنسان، من الناس من إذا ولى عزله نفسه ومنهم إذا عزل ولاه فضله، ربما أكل الحر وهو شعبان، وشرب وهو ريان، ليس إلا لأن يسر مضيئاً ويكون ظريفاً، يشكر القمر على أن يلوح والمسك على أن يفوح، نعم العدة المدة، ونعم الواقعة العافية، وبئس الخصم الزمان، وبئس الشفيح الحرمان، وبئس الرفيق الخذلان، إن ولاية المرء ثوبه، فإن قصر عنه عرى منه، وإن طال عليه عثر فيه، ما الخنة إلا سيل والسيول إذا وقف فقد انصرف وما الأيام إلا جيش والجيش إذا لم يكر فقد فر وإذا لم يقبل عليك فقد أدبر عنك وراء الغيب أقفال، وللمنح والخن أعمار وآجال ما أكثر من يخطئ بالصنعة طريق المصنع، ويخالف بزعه غير موضع المزدرع أكبر من الأسير من أسره ثم أعنته، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه، أكرم من النبت الزكي من زرعه وأكرم من الكريم من اصطبعه، لا صيد أعظم من إنسان ولا شبكة أصيد من لسان، وشتان بين من اقتص وحشياً بحالته وبين من اقتص انسياً بمقالته من أرد أن يصطاد قلوب الرجال، نشر لها حب الإحسان والإجمال، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال، في كتمان الداء عدم الدواء، وفي عدم الدواء عدم الشفاء، من لم يذكر أخاه إذا رآه فوجدانه كفقده، ووصله هجرانه، من أجاد الجلب أخذ به ما طلب، من ذا الذي يطمس نجوم الليل ويدفع منسكب السيل، وينضب ماء البحر، ويفنى أمد الدهر؟ من تكامل نحسه لم تنصح نفسه، ومن لم ينه أخاه فقد أغراه، ومن لم يداو عليه فقد أدواه، نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند قدره، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها من طريق الإستحقاق.

فصول من غرره وهذه فصول كالانموذج جاءت من غرره وفقره على الكريم واقية من فعله، وله حصن حصين من فضله، فإذا زلّت به النعل زلة، أو صال عليه الدهر صولة، إقامته يد إحسانه، وانتزعت من محالب زمانه.

فصل - الرجال حصون يبنها الإحسان، ويهدمها الحرمان، وتبلغ بثمرها البر واليسر، ويحصدها الجفاء والكبر، وإنه لا مال إلا بالرجال ولا صلح إلا بعد قتال ولا حياة إلا في ناصية خوف، ولا درهم إلا في غمد سيف، والجبان مقتول بالخوف قبل أن يقتل بالسيف، والشجاع حي وإن خانته العمر، وحاضر وإن غيّه القبر، ومن حاكم خصمه إلى السيف فقد رفع إلى حاكم لا يرتشي ولا يفترى فيما يقتضي، ومن طلب المنية هربت منه كل الهرب، ومن هرب منها طلبته أشد الطلب.

فصل لا صغير مع الولاية والعمالة، كما لا كبير مع العطلة والبطالة، وإنما الولاية أتى تصغر وتكبر إليها، ومطية تحسن وتقبح بممتطيها، وإنما الصدر بمن يليه، والندست بمن يجلس فيه، وإنما النساء بالرجال، كما أن الأعمال بالعمال.

فصل إفراط الزيادة يؤدّي إلى النقصان، والمثل في ذلك جار على كل لسان، ولذلك قالوا: صبوة العفيف، وسطوة الحليم، وضربة الجبان، ودعوة البخيل، وجواب السكيت، ونادرة المجنون، وشجاعة الخصي، وظرف الأعراي.

فصل قد يكبر الصغير، ويستغني الفقير، ويتلاحق الرجال، ويعقب النقصان الكمال، وكل واد عظيم فأوله شعبة صغيرة، وكل نخلة سحق فأولها فسيلة حقيرة وقد يتبدى العنب حصرماً حامضاً جاسياً، ثم يخرج الراح التي هي مفتاح اللذات، وأخت الروح والحياة، ويكون حشو الصدفة ماء ملح، ثم يصير جوهرة كريمة، ودرة يتيمة، ويكون أول ابن آدم نطفة، وعلقه ومضغة، ثم يخرج منها العالم الأصغر، والحيوان الأرضي الأكبر، الذي حيت له الأرض، وسخرت له الأنهار، ومن أجله خلقت الجنة والنار.

فصل قد أراحني فلان بين، لا بل أتعبني بشكره، وخفف ظهري من ثقل الخن، لا بل ثقله بأعباء من، وأحياني بتحقيق الرجاء، لا بل أماتني بفرط الحياء، وأنا له رقيق بل عتيق، وأسير بل طليق.

فصل في فضل الحمية من رسالة ملاك الأمر الحمية، فإنه لا يكون قوي الحمية إلا من يكون قوي الحمية، ومن غلبته شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمة، وانخلع من ربه الإنسانية، وحق العاقل أن يأكل ليعيش، لا أن يعيش ليأكل، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله وقيل أنامله، وأن يجني ببعضه على كله، ويعين فرعه على أصله، وكم من نعمة أتلفت نفس حر، وكم من أكلة منعت أكالات دهر، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت، وكم من عذوبة: تحتها بشاعة الفوت وكم شهوة ذهبت بنفس لا يقوى بها العساكر، وقطعت جسداً كانت تنبو عنه السيوف البواتر، وهلمت عمراً أهملت به أعمار، وخربت بخراجه بيوت بل ديار وأمصار فصل في اقتضاء حاجة وعد الشيخ يكتب على الجمد، إذا كتب وعد غيره على الجمد، ولكن صاحب الحاجة شيء الظن بالأيام، مريض الثقة بالأيام، لكثرة ما يلقاه من اللثام، وقلة من يسمع به من الكرام.

فصل في ذكر آفات الكتب هذا والكتاب ملقى لا موقى، تسرع إليه اليد الخاطئة، وتعرض له الآفات الساخنة، فالماء يغرقه، كما أن النار تحرقه والريح تطيره، كما أن الأيام تغيّره، والدخان يسود بياضه، كما أن الخل يبيض سواده، والرطوبة تضره، كما أن اليبوسة لا تنفعه، فأفاته أسرع من آفات الزجاج الذي يسرع إليه الكسر، ومن عليه الجبر، وحوادثه أكثر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة ولكل سبع فريسة، قل آفاته خيانة الحامل، وقوع الشاغل، وعوائق الفتوح والقوافل.

فصل في ذكر إلا ولا الحمد الله الذي جعل الشيخ يضرب في الخاسن بالقدرح المعلى، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ولم يجعل فيه موضع لولا، ولا مجال لا لإفان شيء إذا اعترض في المدح أنصب ماءه وكدر صفاءه وأنطق فيه حساده وأعداءه، وكذلك قالوا: ما أملح الظبي لولا خنث أنفه، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه، وما أطيب الخمر لولا الخمار، وما أشرف الجود لولا الاقتار، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء

العمر، وما أطيب الدنيا لو دامت:

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة ... للحمد لكّنه يأتي على النشب

فصل في الاعتداد

ذكر السيد أن اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعة، والمعتزلي بالأشعرية، واعتدال الحجازيين بالشافعية، واعتداد اليزيدية بزيد بن علي، واعتداد الإمامية بالمهدي.

فصل في ذم عامل تقلد الخراج في هذه الناحية رجل قصده الدرهم لا الكرم وغرضه الشراء لا الشناء، وقبلته البيضاء والصفراء، لا المجد والشناء.

فصل في الاعتذار ذكر سيدي من شوقه إلى ما يتكلم فيه إلا عن لساني، ولم يترجم إلا عن شأني، وقد طويت بساط المدام، وصحيفة المؤانسة والندام، وطلقت الراح ثلاثاً، وفارقت الغناء أبداً، حتى شكنتي الأقداح، واستخفني الراح، ونسي بناني الأترج والنجاح.

فصل في ذكر هلة بلغني ذكر الهدية، فالحمد لله الذي هدم الدار، ولم يهدم المقدار، وثلم المال ولم يثلم الجمال وسلط الحوادث على الخشب والنشب، ولم يسلطها على العرض والحسب، ولا على الدين والأدب، ولا بد للنعمة من عودة، ولا بد لعين الكمال من رقيه، ولأن يكون في دار تبني، ومال يجبر وينمي، خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرها، ولا نهاية لقدرها فصل في ذكر الرمد صادف ورود الكتاب رمداً في عيني حتى حصرتني في الظلمة، وحسبني بين الغم والقمة، وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني، كل سلاح البصر قصير خطر النظر، قد ثكلت مصباح وجهي، وعدمت بعضي الذي هو أثر عندي من كلي، فالأبيض عندي أسود، والقريب مني مبعّد قد خاط الوجع أجفائي، وقبض عن التصرف بناني فطرائي شغل، ونهاري ليل، وطول أحاطي قصار، وأنا ضرير وإن عدت في البصر وأمي وإن كنت من جملة الكتاب والقراء قصرت العلة خطوتي قلمي وبنائي، وقامت بين يدي ولساني وقد كانت العرب تزاح بين كلمات تتجانس مابينها، وتتكافأ مقاطعها ومعانيها، فيقولون: القلة ذلة، والوحدة وحشة، واللحظة لفظة، والهوى هوان، والأقارب عقارب، والمرض حرص، والمروءة، والعلة قلة، والقاعد مقعد.

فصل في مدح الفقر وإنما يكره الفقر لما فيه من الهوان، ويستحب الغنى لما فيه من الصوان، فإذا نبغ الغم من ترربة الغنى فالغنى هو الفقر، واليسر هو العسر، لا بل الفقير على هذه القضية أحسن من الغني، وأقل منه أشغالاً، لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق، منفك الرقبة من كل رق، فلا يحب إخوانه، ولا يطمع فيه جيرانه، ولا تنتظر في الفطر صدقته، ولا في النحر أضحيته، ولا في شهر رمضان مائدته، ولا في الربيع باكورته ولا في الخريف فاكهته، ولا في وقت الغلة شعيره وبره، ولا في وقت الجباية خواجه وعشره، وإنما هو مسجد يحمل إليه، ولا يحمل عنه، وعلوي يؤخذ بيده ولا يؤخذ عنه، اتجها الشرط نهاراً، ويتوقاه العسس ليلاً، فهو إما غانم وإما سالم، وأما الغني فإما هو كالغنم غيمة لكل يد سالبة، وصيد لكل نفس طالبة، وطبق على شوارع النواصب، وعلم منصوب في مدرجة المطالب، تطمع فيه الأخوان ويأخذ منه السلطان، وينتظر فيه الحدثان، ويحيف ملكه النقصان.

فصل في ذم عامل والله ما الذنب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين، ولا السوس في الخز وأن الصيف عنده إلا بعض الحسنين، ولا الحجاج في أهل العراق معه إلا أول العادلين، ولا يزجر الأثيم في أهل فارس بالإضافة إليه من الصديقين والشهداء والصالحين.

فصل في ذكر الآفات

من آفات العلم خيانة الوراقين وتخلف المتعلمين، كما أن آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدین، وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة، وقلة الخاصة، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع، وأن البخل سبب للجمع، وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي السمحاء، وكما أن آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبه، وأن السفیه منيع الحوزة، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنته عرضته للفساد، وإذا أبرزته عرضته للنفاذ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت مناصطك، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أو همت من سمعك، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا قللت منه حاربت مهمتك ولم تقض شهوتك، وإذا أكثرته منه تعرضت للإثم والعار، وأبرزت صفحتك للألم والنار، وكما أن من آفات الممالك أنك إذا بسطتهم أفسدت أديهم وأذاهم، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استقلت منهم لم تصب حاجتك فيهم، وإذا استكثرت منهم لزمك حوائجهم، وثقلت عليك نوائبهم، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من الغذاء، وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميم الطرب، وأن الحاذق منهم ينسي الأدب.

جملة من اخباره وهذه جملة من أخباره تطرق لأشعاره أصله من طبرستان، ومولده ومنشؤه خوارزم، وكان يتسم بالطبري ويعرف بالخوارزمي، ويلقب بالطبر خزمي، فارق وطنه في ريعان عمره وحادثة سنه، وهو قوي المعرفة قويم الأدب، نافذ القريحة حسن الشعر، ولم يزل يقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام، ويأخذ عن العلماء، ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء، حتى تخرج وخرج فرد الدهر في الأدب والشعر، ولقي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب، وشرق بعد أن غرب، وورد بخاري وصحب أبا علي البلعمي، فلم يحمده صحبته وفارقه وهجره بقوله:

إن ذا البلعمي والعين عين ... وهو عار على الزمان وشين

إن يكن جاهلاً يخفي حنين ... فهو الخفّ والزمان حنين

وفي نيسابور فاتصل بالأمير أبي نصر أحمد بن علي المكالي واستكثر من مدحه، ودخل أبا الحسن القرويني، وأبا منصور البغوي، وأبا الحسن الحكم فارتفق بهم وارتفق من الأمير أحمد ومدحه، ونادم كثير بن أحمد ثم قصد سجستان وتمكن من إليها أبي الحسين طاهر بن محمد ومدحه، وأخذ صلته، ثم هجر وأوحشه حتى أطال سجنه، فمما قاله في تلك النكبة قصيدة كتب بها إلى الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي:

كتابي أبا نصر إليك وحالتي ... كحال فريس في مخالب ضيغيم

أرقّ من الشكوى وأدجن من النوى ... وأضعف من قلب الحبّ المتيّم

غدوت أخاً جوع ولست بصائم ... ورحت أخاً عري ولست بمحرم
وقعت بفتح الخوف في يد طاهر ... وقوع سليك في حبال خشم
يعني سليك بن سلكة السعدي حين أسره أنس بن مالك الخثعمي
وما كنت في تركيك إلا كتارك ... يقيناً وراض بعده بالتوهم
وقاطن أرض الشرك يطلب توبة ... ويخرج من أرض الحطيم ومزمزم
وذي علة يأتي عليلاً ليشفي ... بها وهو جار للمسيح ابن مريم
وراوي كلام قعنف إثر بأقل ... ويترك قسماً خائباً وابن إهثم
جناب تجنبان ليس بمحدث ... وبحر تخطيناه ليس بمززم
رزم الماء: إذا انقطع، أرزمه غيره: أي قطعة.
وماء زلال قد تركنا وروده ... زلالاً وبعناه بشربة علقم
لبست ثياب الصبر حتى تمزقت ... جوانبها بين الجوى والتندم
أظل إذا عاتبت نفسي منشداً ... فهلا تلا حاميم الحوامل قبل التقدم
المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل
وأنشد في ذكرى لدارك باكياً ... ألا أنعم صباحاً أيها الربع وأسلم
ولم أر قلبي من يحارب نخته ... ويشكو إلى البؤسي أفتقاد والتنعيم
ولا أحد يحوي مفاتيح جنة ... ويقرع بالنطفيل باب جهنم
وقد كان رأساً للتدبير ملعم ... وقد صرت في الدنيا خليفة بلعم

يعني بلعم بن باعوراء الذي أنزل فيه وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها لأنه كفر بالله بعد تعلمه
الإسم الأعظم، حجد نعم الله سبحانه وتعالى:
وقد عاش بعد الخلد في الأرض آدم ... فإن شئت فاعلني فإني ابن آدم
فيا ليتني أمسيت دهر راقداً ... فإني متى أرقد بذكرك أحلم
مكانك من قلبي عليك موفر ... متى ما يرمه ذكر غيرك يحتمي
لغيرك رديّ الوصال وثيب المقال ... ومزوج المودة فاعلم
وأنت الذي صوّرت لي صورة المني ... وأركبني ظهر الزمان المذم
وصيّرت عند أبحسن الدهر أسعداً ... وكذّبت عندي قول كلّ منجم
وصغّرت قدر الناس عندي وطالما ... لحظت صغيراً عن حماليق معظم
فجعل الله له من مضيق الحبس مخرجاً، فنهض إلى طبرستان ، وكانت حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن
بشار، فمن قوله فيه من قصيدة:

ألا أبلغ بني بشار كلامي ... ومن لم يلقهم فهو السعيد
علام اتبعتم فرساً عتيقاً ... وليس لديكم علف عتيد

وفي حبستم في البيت بازاً ... يحص الطير عنه أو يحسب
فلا فرتموه فعلتموه ... ولا خلّيتم عنه يصيد
وقوله من أخرى:

وقال أنا المليك فقلت حقاً ... بقلب اللام توناً في الهجاء
ولم أر من أداة الملك شيئاً ... لديك سوى احتمالك للواء
ومنها:

أحين قلعت ناي كل أفعى ... وحلات أسد بيشة عن فنائي
وقال الناس إذ سمعوا كلامي ... ألم تكن الكواكب في السماء
يخوفني الكساد على متاعي ... وهل يخشى فساد الكيمياء
وله من أخرى:

لله في كل ما قضاه ... لطائف تحتها بدائع

سبحان من يطعم ابن شار ... ويترك الكلب وهو جائع

ثم إنه عاد نيسابور، وأقام بها إلى أن وفق التوفيق كله بقصد حضرة صاحب بأصبهان صاحبه ولقائه
بمدحه، فأنجحت سفرته، وربحت تجارته، وسعد جده بخدمته ومداخلته والحصول في جملة ندمائه المختصين به،
فلم يخل من ظل إحسانه ووابله وغامر انعامه وقابله، وتزود من كتاب إلى حضرة عضد الدولة بشيراز ما
كان سبباً لارتياشه ويساره، فإنه وجد قبولاً حسناً واستفاد منها مالاً كثيراً ولما انقلب عنها بالغنيمة البادرة
إلى نيسابور استوطنها وقتل بها ضياعاً وعقاراً ودرت عليه أخلاف الدينا من الجهات، وحين عاود شيراز
ورد منها عللاً بعد نخل، فأجري له عند انصرافه رسم يصل إليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان
يحمل من فارس إلى خراسان، ولم يزل يحسن حال من رواء وثروة واستظهار، يقيم للأدب سوقاً، ويعيده
غضاً وريقاً، ويدرس ويملي ويشعر ويروي، ويقسم أيامه بين مجالس الأنس، ويجري على قضية قول
كشاجم:

عجباً فمن تعالت حاله ... فكفاه الله زلات الطلب

كيف لا يقسم شطري عمره ... بين حالين نعيم وأدب

وكان يتعصب لآل بويه تعصباً شديداً، ويغض من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه، إلى أن
كانت أيام تاش الحاجب ورجع من خراسان إلى نيسابور منهزماً، فشمت به وجعل يقول: قبحا له وللوزير
أبي الحسن العتبي، فأبلغ العتبي أبياتاً منسوبة إلى الخوارزمي في هجائه ولم يكن قالها، منها:
قل للوزير أزال الله دولته ... جزيت صرفاً على قول ابن منصور

فكتب إلى علي في أخذه ومصادرته وقطع لسانه، وإلى أبي المظفر الرعيني في معناه، وكان يلي البندرة
بنيسابور إذ ذاك، فتولى حبسه وتقييده وأخذ خطه بمائتي ألف درهم واستخرج بعض المال وأذن له في
الرجوع إلى منزله مع الموكلين به ليحمل الباقي، فاحتال عليهم يوماً، وشغلهم بالطعام والشراب وهرب

متكرراً إلى حضرة صاحب بجران، فتجلت عنه غمة الخطب، وانعش في ذلك الفناء الرب، وعاود العادة المألوفة من المبار والأحبية واتفق قتل أبي الحسن العتي وقيام أبي الحسن المزني مقامه، وكان من أشد الناس حباً للخوارزمي، فاستدعاه وأكرم مورده ومصدره، وكتب إلى نيسابور في ردّ ما أخذ منه عليه، ففعل وزادت حاله وثبت قدمه، ونظر إليه ولالة الأمر بنيسابور بعين الحشمة والاحتشام والإكرام والإعظام، فارتفع مقداره وطاب عيشه، إلى أن رمي في آخر أيامه بحجر من الهمداني الحافظ البديع، وبلي بمساجله ومناظرة ومنازلته، وأعان الهمداني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً، فلاقي ما لم يكن في حسابه من مباراة المزني وقوته به وأنف من تلك الحال، وانخزل انخزالاً شديداً، وكسف باله، وانخفض طرفه ولم يحل عليه الحلول حتى خانه عمره، ونفذ قضاء الله تعالى فيه، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ورثاه الهمداني بأبيات دس فيها سعاية ثانية، وهي هذه:

حنانيك من نفس خافت ... وليك عن كمد ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا ... ولست بمسمعة الصامت
تحمّلت فيك من الحزن ما ... تحمّله ابنك من صامت
حلفت لقد متّ من معشر ... غنيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامت ... قهلت الثرى بفم الشامت
وعزّت عليّ معاداته ... ولا متدارك للفائت
وقال فيه من أحسن على إساءته، وهو أبو الحسن عمر بن أبي عمر الرقاني:
مات أبو بكر وكان أمراً ... أدهم في آدابه القعر
ولم يكن حرّاً، ولكته ... كان أمير المنطق الحرّ
من شعره في النسيب والغزل وهذه ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل قال من قصيدة وأبدع في وصف ما يتزايد من حسن الحبيب على الأيام التي من شأنها تغيير الصور وتقبيح الخاسن:
وشمس ما بدت إلا أرتنا ... بأن الشمس مطلع فضول
تريد على السنين ضياءً وحسناً ... كما رقت على العتق الشمول
ومن أخرى:

مضت الشيبية والحبيبة فالتقى ... دمعان في الأجفان يزدحمان
ما أنصفتني الحادثات رميني ... بمودعين وليس لي قلبان
ومن أخرى:

قلت للعين حين شملت جهالاً ... في وجوه كواذب الإيماض
لا تغرنك هذه الأوجه الغر فيا ربّ حيّة من رياض
ومن أخرى:

عذيري من ضحك غدا سبب البكا ... ومن جنة قد أوقعت في جنهم

لأنك لا تروين بيتاً لشاعر ... سوى بيت من لم يظلم الناس يظلم
ومن أخرى:

عذيري من تلك الوجوه التي غدت ... مناظرها للناظرين معاركا
عذيري من تلك الجسوم التي غدت ... سبائك تفتي الناس فيها السبائكا
ومن أخرى:

خليلي عهدي بالليالي صوافيا ... فما بالها أبدلن جيما بصاها
خليلي هل أبصرتما مثل أدمعي ... نفدن وحقّ الله قبل نفاها
ومن أخرى:

يفلّ غداً جيش النوى عسكر اللقا ... فأريك في سحّ الدموع موقفا
وخذ حجتي في ترك جنبي سالماً ... وقلبي ومن حقيهما أن يشققا
يدي ضعفت عن أن تمزق جبيها ... وما كان قلبي ناظراً فيمزقاً
ومن أخرى:

بسمت فأبدت جيدها فتكشّفت ... عن نظم درّ تحت نظم لآلي
وأرتك خديها ولاح عليهما ... صدغان ذو خال وآخر خالي
فكان ذا ذال خلت من نقطة ... وكان ذا دال ونقطة ذال
ومن أخرى:

قد عصاني دمعي وخلي فخلت الخلّ دمعاً وخلت دمعي خلاً

وأحاطت بي الخصوم فجفنّا ... مستهلاً وصاحباً مستقلاً
وفؤاداً لو ظنّ إبليس أنّ ... النار في حرّه لصام وصلى
ومن أخرى:

هلم الخطا بدر الدجّة وارفقاً ... بعينكما فالضوء قد يورث العمى
ولا تعجباً أن يملك العبد ربه ... فإنّ الدميّ استعبدن من نحت الدمي
ومن أخرى:

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبها ... مخافة أن يتقصّ منّي لها الدهر
سهاد ولكن دونه كلّ رقدة ... وليل ولكن دون إشراقه الفجر
وسكر الهوى لو كان يحكيه لنة ... من الخمر سكر لم يكن حرّم السكر
ولما أدارت مقلة جاهلية ... هلاك امرئ في ضمن ثوبي لها نذر
ومالت كأن قد سقيت خمر خدّها ... وكيف يميل الخمر من ريقه الخمر
حسدت عليها ناظري إذ تحلّه ... كما تحسد الأفلاك نعل فنا خسرو
ومن أخرى:

ولقد ذكرتكَ والنجوم كأنّها ... درّ على أرض من الفيروز
يلمعن من خلل السحاب كأنّها ... شررّ تطاير في دخان العرفج
والأفق أحل من خواطر كاسب ... بالشعر يستجدي اللثام ويرتحي
فمزجت دمعي بالدماء ولم أكن ... صرف الهوى والعهد إن لم أمزج
ومن أخرى:

ليس على القلب للعدول يد ... ولا ليومي من الفراق غد
كلّ فؤاد مع الهوى عرض ... وكلّ يوم مع النوى أمد
يا أيها الطالبون بي رشداً ... متى التقى الحبّ قطّ والرشد
ولي فؤاد مذ صرت أفقده ... لم أنتفع بعده بما أجد
ولي حبيب لو كنت أنصفه ... وجدت فيه أضعاف ما أجد
شهدت للقلب حين علّقه ... بأنه للوجوه منتقد
ومن أخرى:

عليك رقيب ثقیل اللّحاظ ... متى لم يحط علمه يجلس
أتمّ من المسك بالعاشقين ... وألحظ عيناً من النرجس
ومن أخرى:

قلت لما رمدت عيناك ... والدمع سجام
إنما عوقبت عن عيني ... فاعلم يا غلام
لا أصيبت هذه العين ... بعيني والسلام
وهذه لمع من تضميناته التي كانت رشيقة، وطريقة أنيقة، يضعها في مواضعها، ويوقعها أحسن مواقعها،
ويفصح بها عن اتساع روايته وكثرة محفوظاته، فمنها قوله من قصيدة في عضد الدولة:
ولما أكثر الحساد فيه ... وقالوا قد تغصّنت الحدود
أجاب الفضل عنه حاسديه ... لأمر ما يسود من يسود
لأمر ما البيت لبلعام بن قيس الكناني
بوذي لو رأى كنفه يوماً ... ومن قد عاش تحتها لبيد
لأن لييدا يقول: ذهب الذين يعاش في أكنافهم
ولو أنّ الوليد رآه يوماً ... غدا ورجاؤه غضّ ولید
وحلّ عرى الزمان ولم يردّد ... أشرق أم أغرب يا سعيد
وله من أخرى:

حسد السمك سمّيه لما بدا ... في سرجه شخص الهمام الأبلج
السمك: فرس منسوب لعض الدولة.
وغدا فأضحى لا حقاً ضدّ اسمه ... وأراك أعوج وهو عين الأعوج

فلو أن شاعر بحتري في عصره ... ما قال في فرس ولا في أعوج
خفت مواقع وطنه فلو إته ... يجري برملة عاج لم يرهج
البيت كما هو للبحتري.

وقوله من أرجوزة من الرجز:

وقينة أحسن من لقيها ... تملي كتاب الحسن مقلتها
ونقطة وشكله خذاها ... إذا اجتلاها اللحظ أنشدناها
واها لرباً ثم واهاً واهاً المصراع لأبي النجم ومنها في وصف الناقة:
بجسرة قائدتها براها ... في السير بل سائقها رجلاها
قد كتب العتق على ذفراها ... أيّ قلو ص راكب تراها
البيت جاهلي قديم ومن قصيدة:

لعمرك لولا آل بوية في الورى ... لكان نهاري مثل ليل الميتم
وصمت عن الدنيا وأفطرت بالمنى ... ولم لك إلا بالحديث تأدمي
وأنشدت في داري وفيما أرى بها ... أمن أوفى من لم تكلم
المصراع لزهير:

ومن قصيدة في الصاحب:

ومن نصر التوحيد والعدل فعله ... وأيقظ نواام المعالي شمائله
ومن ترك الأخيار ينشد أهله ... أجل أيها الربع خف أهله
المصراع لأبي تمام أيضاً: ومن أخرى:
أخو كلمات ما جلاها لسانه ... على أحد غدا وهو خاطب
متى يروها أهل الصناعة ينشدوا ... عجائب حتى ليس فيها عجائب
المصراع لأبي تمام أيضاً ومن أخرى:

مقابل بين أقوام وألوية ... مردد بين إيوان وديوان
إذا أتى داره الأضياف أنشدهم ... وأخوتي أسوة عندي وإخواني
المصراع لأبي تمام

يا ترجمان الليالي عن معاذرها ... وحجة الزمن الباقي على الفاني
يا أبحث الناس عن شعر وعن كرم ... يا مورث الطبع إحساناً بإحسان
يا تاركي منشداً من ظلّ يحسدني ... ليس الوقوف على الأطلال من شأني
المصراع لعبد الله بن عمار الرقيّ

طلقت بعدك مدح الناس كلهم ... فإن راجع فإني محصن زاني
وكيف أمدحهم والمدح يفضحهم ... إن المسيب للجاني هو الجاني

قوم تراهم غضابي حين تنشدهم ... لكنه يشتهي مدحاً بمجان
البيت من قول القائل:

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن ... لكنه يشتهي مدحاً بمجان
رجع:

ورابي غيظهم في هجو غيرهم ... وإنما الشعر معصوب بعثمان
ما كل غانية هند كما زعموا ... وربما سبّ كشحان بكشحان
فسوف يأتيك مني كل شاردة ... لها من الحسن والإحسان نسجان
يقول من قرعت يوماً مسامعه ... قد عنّ حسان في تفريط غسان
الوشي من أصبهان كان مجتلباً ... فالיום يهدى إليها من خراسان
قد قلت إذ قيل إسماعيل ممتدح ... له من الناس بخت غير وسنان
الناس أليس من أن يمدحوا رجلاً ... حتى يروا عنده آثار إحسان
البيت تضمين ومن أخرى:

كتبت ابن عباد إليك وحالي ... حال صدّ طمع عليه مناهله
وما تركت كفاك في خصاصة ... ولكن شوقاً قد غلت بي مراجله
أبيت إذا أجريت ذكرك منشداً ... كأثك تعطيه الذي أنت سائله
المصراع تضمين.

ومن أخرى في عضد الدولة:

أضحت ثياب فنا خسرو مزرّة ... على هزير وإنسان وصمصام
القائل القول عيّ السامعون به ... فميلوا بين أوهام وأفهام
والفاعل الفعلة الغراء لأمعة ... أوضاحها بين أقلام وأعلام
والتارك التّرك والخذلان ينشدهم ... يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوم
المصراع للنابعة الديباني ومنها:

أغنييني عن أناس كان بعضهم ... عنري ومكثي فيه بعض إجرامي
المبغضين ليوم الفطر جهدهم ... لأنهم قطعوه غير صوام
قوم إذا مرّ ضيف دحرجوا حجراً ... وأسموا اليوم يوم العيد أو رام
قد قدّقوا نفراً قبلي فأنشدهم ... فضلي ونقص الآلي لأقوم يا كرام
قدمت قبلي رجلاً لم يكن لهم ... في الحق أن يلحقوا الأبواب قدامي
تضمين كله.

ومن أخرى:

لو أنّك قد أبصرت تاشاً وفائناً ... على ظهر يخت أدبر الظهر رزام
وقد كتب الاديّار في جبهتهما ... بإنشاء مقمورٍ وتحرير نادم

فلا تأمنن الدهر حرّاً ظلمته ... فإن نمت فاعلم أنّه غير نائم
تضمين كله.

ومن أخرى:

وقائع لو مرّت بسمع ابن غالب ... لما قال ما بين المصلّى راقم
أتني ورحلي بالمدينة وقعة ... لآل تميم أقعدت كلّ قائم
البيت للفرزدق، قاله حين سمع وهو بالمدينة قتل وكيع بن أبي الأسود لقتيبة بن مسلم.
سل الله واسأل آل بوية إنهم ... بحارالمعالي لا بحار الدراهم
تحبهم البلدان فهي نواشز ... على كلّ زوج بعدهم أو محارم

ممالك قد نادى عليه حروبهم ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم
ومن أخرى كتب بها من أرجان إلى صاحب وصف فيها الحمى:
ولو أبصرت في أرجان نفسي ... عليها من أبي يحيى ذمام
ولي من أمّ ملدم كلّ يوم ... ضجيج لا يلدّ له منام
مقبلة وليس لها ثنايا ... معانقة وليس لها التزام

كأنّ لها ضرائر من غذائي ... فيغضبها شرابي والطعام
إذا ما صافحت صفحات وجهي ... غدا ألفاً وأمسى وهو لام
إذا لرأيت عبك والمنايا ... تصيح به تنبه كم تنام

وما أستباك من بعدي أسير ... يرضّ عظامه الحقّ العظام
ولا ترجيع ثكلي خلف نعش ... أحمول على النعش الهمام

التضمين للنابغة الذبياني

ولا ترديد صبّ وهو باك ... سقيت الغيث أيّها الخيام
ولولا فقد وجهك لم أعيس ... على ضيف يقال له الحمام
فما في العيش لولا أنت طيب ... ولا في الموت لولا أنت ذام
وكت ذخرت أفكاري لوقت ... فكان الوقت وقتك والسلام
وكت أطالب الدنيا بحرّ ... فأنت الحرّ، انقطع الكلام
ولم سرت عنك رأيت نفسي ... بين القلب والرجل اختصام
فذاك يقول منك السير عنه ... وتلك تقول منك الاغترام
وسألني بعلمك من أراه ... وقالوا ما وراءك يا عصام
فقلت زكاة ما يحويه علم ... لمن لغلامه مثلي غلام

آخره تضمين ومن أخرى:

ويشرب لكن في إناء من الثرى ... رحيقاً خوابيها الطلاء والمناكب

ويسمع لكنّ الغناء مدائح ... ويكثر لكنّ الكنوز مناقب
لو أن حبيباً كان لاقاه لم يقل ... وأكثر آمال النفوس الكواذب
آخره تضمين ومن أخرى:

وفي اللّست شخص ودّت الأنجم ... التي تقابله لو أنهنّ مجالس
فلا تعجبوا أن يحمل الدست عسكرياً ... فما كلّ أمر تقتضيه المقاييس
وأن يسع الدست اللطيف لعالم ... فقد وسعت إسم الاله قراطس
أمين إذا ما الناس مالوا لغيره ... ومحترس من مثله وهو حارس
المصراع الأخير تضمين لعبد الله بن همام سار مثلاً ومنها:
وكتت أمراً لا أنشد الدهر خالياً ... سوى بيت ضرّ نجمه الدهر ناحس
أقلّي عليّ اللوم يا أمّ مالك ... وذمّي زماناً ساد فيه القلاقس
البيت كما هو لعبد الله بن همام.

فأصبح إنشادي لبيت إذا جرى ... ففيه نديم ممتع ومؤانس
ودار ندامى عطّلوها وأدجلوا ... بها أثر جديد ودارس
البيت لأبي نواس ومن أخرى:

يا من يدرّس خالياً حجابيه ... سهل الحجاب مؤدب الخدام
كم تطرد الدنيا وترجع بعد ما ... قد طلّقت تطليقة الإسلام
المصراع الأخير لابن هرمة

فكأنّها شيعيّة قميّة ... وكأنّ سيدنا الوزير إمامي
ويقول للخطاب غيرك ليس ذا ... وقت الزيادة فارجمي بسلام
من بيت جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجمي بسلام
ومن أخرى:

وجدنا ابن عباد يؤديّ فرائضاً ... من انجد ظنّتها اللثام النوافلا
جدير بأن يغشى الكريهة منشداً ... أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً
المصراع لزيد الخيل ومن أخرى:

تعاصيهم أسيافنا فكأنّما ... يرين بريئاً من سفكن له دما
كأنّ ظباها ساعة الروع علّمت ... ولن تستطيع الحلم حتى تحلّما
المصراع الأخير لحاتم الطائي ومن عضدية:

وكم عصبة قرحي عصوك فأصبحوا ... بهم يومهم خمر وفي غدهم أمر
وصارخة للزوج كان غناؤها ... لها كنية عمرو وليس لها عمرو
من بيت أبي صخر الهذلي:

أبي القلب إلا حَبَّها عامرية ... لها كنية عمرو وليس لها عمرو
رجع:

فصيرَها ثكلى وأصبح قولها ... كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر
المصراع الأخير تضمين ومن قصيدة في أبي نصر بن العميد:
لئن كنت أضحي من عطايك شاعراً ... لقد صرت أمسي من جانبك مفحماً
أبيت إذا جريت ذكرك منشداً ... وأن أعتب الأيام فيه فربما
ومالي من الأصوات مقترح سوى ... أعالج وجداً في الضمير مكتماً
المصراع الأخير للبحري ومن قصيدة في الأمير أبي نصر الميكالي:
نجر ذيول الفخر حتى كأننا ... لعزتنا في آل ميكال ننتمي
هم شحمة الدنيا فإن نتعدّهم ... إلى غيرهم نحصل على الفرت والدم
سقى الله ذاك الروض جوداً كجودهم ... وصير آجال العداة إليهم
وأبقى أبا نصر ليربي عليهم ... سنين كما أربي بنين عليهم
وعاش إلى أن يترك الناس مدحه ... ومن ذا الذي يرجو إياب المثلّم
وفي الأمثال لا أفعل ذاك حتى يؤوب المثلّم
هو الحر لا يجبو بثوب مطّرز ... غسيل ولا يدعو بكيس مخّم
ولا يعدم الراؤون منه ثلاثة ... عطاءً وعذراً وانبساطاً لديهم
ويعذب إن ينصف كما عذبت نعم ... ويتقل إن يظلم كما ثقلت لم
صفوح عن الجهال ينشد فعله ... ويشتم بالأفعال لا بالتكلم
المصراع تضمين، وهو جاهلي معروف ومن قصيدة في المهجاء:
زمن المروعة عهد بفتوة ... عهدي بترك الشرب في شوال
غضبان ينشد حين يصير سائلاً ... كفي دعاءك إنني لك قالي
وله مواعد قد حكّت في طولها ... آلت أمور الشرك شر مآل
البيت ابتداء قصيدة لأبي تمام في المزينين ومن أخرى:
متى ما زرقم أوصيت أهلي ... وصية عائد بالجرم بادي
بتجديد الصنادق للهدايا ... وتوسيع المرباط للجياد
وإن ودّعتهم أنشدت فيهم ... سقى عهد الحمى سيل العهد
المعراع لأبي تمام ومن أخرى شمس المعالي:
شموس هنّ الخدر والبدر مغرب ... فطالعها بالين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالي خلافاً ... مشارقه ليست هنّ مغارب
فما لقبوه الشمس إلا وقد رووا ... بأنك شمس والملوك وكواكب

المصراع الخير من بيت النابغة

أقول لزوار الأمير ترجلوا ... فمن زاره من راجل فهو راكب
وإن زاره الفرسان كت كفيهم ... بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب
إذا رجعوا عن بابه فنشيدهم ... وإن سكتوا أثنت عليه الحقائق
ألا أبلغوا عني الأمير رسالة ... تدل على أنني على الدهر عاتب
إلى كم يحل المرء مثلك بلدة ... بها منبر فيها لغيرك خاطب
لقد هان من امسى ببلدة غيره ... وقد ذل من بالت عليه الثعالب
هذه من سقطاته وعرره، الواقعة في غره فإن فيه سوء أدب، وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريط، وليس مما
يخاطب به الملوك ومما زل فيه أقبح زلة، قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتل:
نعوا لي نفس المجد ساعة أخبروا ... بما يشتكي من سقمه ويمارس
فإن في لفظه النعي ما فيها من الطيرة، إذ هي مما يقع في المريضة لا في العيادة، ثم قال:
فهلاً فداه منه من ليس مثله ... ومن ربعه في ساحة الجود دارس
جزى الله عني الدهر شراً فإته ... يضايقيني في واحد وينافس
ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب من قصيدة:
ومهيّب كأنما أذنب النا ... س إليه فهم مغشون ذلاً
وظريف كأن في كل فعل ... من أفاعيله عرائس تجلى
فإن الكبراء واختشمين لا يوصفون بالظرف، إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان، ولم يرض
بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى، فلو مدح مخنثاً لما زاد، والكامل من عدت سقطاته،
ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة.
غرر من مدحه وهذه غرر من مدحه وما يتصل بها فمن ذلك قوله من عضدية:

غريب على الأيام وجدان مثله ... وأغرب منه بعد رؤيته الفقر
فلا حرّاً إلا وهو عبد لجوده ... ولا عبد إلا وهو في عدله حرّ
عجبت له لم يلبس الكبر حلة ... وفينا لأن جزنا على بابه كبر
وله من أخرى:
متى أشقّ رواق الملك تلحظني ... عين امرئ بغيوب المجد علام
متى أرى قمر الديوان مطّلعاً ... في سطو بهرام بل في ملك بهرام
متى أقبل فرشاً لا يقبله ... عاف فيفرق بين الترب والسام
مالي أبيت بشيزار وأصبح في ... داري فدت يقظتي نومي وأحلامي
ما يطلب الحلم من قلبي يقلبه ... عندي من السقم ما يكفيه أسقامي
أصبحت أشكر ليلاً أشتكي غده ... الليل عوني والأيام غرامي

والأرض تعلم أنني سوف أمسحها ... حتى أرى من يرى بالليل أوهامي
ومن أرجوزة من الرجز:

يا عضد الدولة من يمنها ... يا مهجة قالت لها أعلاها
من أسخط الدرهم أرضى الله ... ومن أزال المال صان الجاهها
وقال من قصيدة:

بحمدك لا بحمد الناس أضحي ... وكيلى ليس يكفيه وكيلى
وكانوا كلّمًا كالوا وزنًا ... فصرنًا كلّمًا وزنوا نكيلى
وزدت من العيال وذاك أنني ... كبت على لقائك من أعول
وعشت ونقص رزقي فأضحى ... مفاعلتن مفاعلتن فعول
وكتت أبيع من سقط القوافي ... وأحجر ما تضمنت الحمول
وأكنتم من أبيع دقّ برّي ... ففاض عليه نائلك الجزيل
ومن أخرى:

ألا حرّك لي أبروزيرو بن هرمز ... وقولا له قم تلق أعجوبة قم
نطّلع إلى الدنيا لتعلم أنّ ما ... ملكت من الدنيا بمقدار درهم
لعمرك لولا آل بوية لم يكن ... فماري إلا مثل ليل المتيمّم
ومنها:

وهم جعلوني بين عبد وقينة ... ودار ودينار وثوب ودرهم
وهم تركوا الأيام تعجب أن رأت ... سلوي ولا أرقى السماء بسلم
وهم حاقوني أوطأوا في صلاقم ... وصلت عن الأبطال شعري فيهم
ومن أخرى:

ختمت بك العجم الملوك وراجعت ... بك تاج ملكهم القديم المنهج
لم يفقدوا بك أزدشير وإثما ... فقدوا نقيصة دينه المستسمح
ومن أخرى:

وغاظ مدحك أقواماً وفي يدهم ... لو طاعوا الجود تقديمي وإحجمامي
وما ظعنت على فمر فأغضبه ... لكن ذكرت عباب الزاخر الطامي
أكلّ فاضل أقوام شهدت له ... يغتاز من ذكره مفضول أقوام
ومن صاحبة:

وأبيض وضاح الجبين كأنما ... محياه قد درّت عليه شمائله
يقبل رجله رجال أقلّهم ... تقبل في اللست الرفيع أنامله
ومنها:

أقبل أشعاري إذ اسمك حشوها ... وأشتم ملبوسي لأنك باذله

وأخطر في حافات دار ملائمتها ... طرائف باقي العيش منها وحاصله
وله من أخرى:

وأنت امرؤ أعطيت ما لو سألتته ... إهلك قال الناس أسرفت سائلاً
وإني وإلزاميك بالشعر بعدما ... تعلّمته منك الدّرى والقواضلا
كملمزم ربّ الدار أجرة داره ... ومثلك أعطى من طريقين سائلاً
ومن أخرى:

ولقد عهدت العلم أكسد من ... بهتان فرعون لدى موسى

فأقام قاعد سوقه رجل ... ميت الرجاء ببابه يحيا
فالعلم أصبح في الورى علماً ... والشعر أمسى يسكن الشّعرى
ومن أخرى:

ببيت الدار عاليةً ... كمثل بنائك الشّرفا

فلا زالت رؤوس عدا ... لك في حيطانها شرفا

ومن قصيدة في مؤيد الدولة ذكر فيها افتتاحه قلعة من أبحار القلاع واستنزاله صاحبها المسمى كورشيبار
منها:

وكت سماء والعجاج سحائباً ... وخيلك أبراجاً وجيشك أنجما

وأنزلت منها كورشيبار وإنما ... تقنّصت من فوق المجرة ضيغما

عرفتك صياد الأسود ولم أكن ... عرفتك صياد الأسود من السما

خدمتكم يا آل بوية مدّة ... غدا بينها فرخ الوسائل قشعما

ومن أخرى في أبي الحسين المزيّني:

كلم هي المثل إلا أنّها ... في الناس قد أضحت بلا أمثال

فإذا لقين فإئنهنّ عوالي ... وإذا شمنن فإئنهم غوالي

ومن صاحبة:

تأخّر عن كنيّ الجواب، وإنّما ... تاخر برد الماء عن كبد حرّى

فلا تفسد عشرين ألفاً وهبتها ... بعشرين حرفاً كلامك تستمرى

ومن ميكالية:

فديتك ما بدا لي قصد حرّ ... سواك من الورى إلا بدا لي

وإنك منهم وكذاك أيضاً ... من الماء الفرائد والآلي

وتسكن دارهم وكذلك سكنى الحجارة والزمرد في الجبال

وهذه فقرة من مراثيه قال من قصيدة رثى بها ركن الدولة أبا علي:

ألست ترى السيف كيف انثلم ... وركن الخلافة كيف انهدم

طوى الحسن بن بويه الردى ... أيدري الردى أيّ جيش هزم
ومنها أيضاً:

طويل القناة قصير العداة ... ذميم العداة حميد الشيم
فصيح اللسان بديع البنان ... رفيع السنان سريع القلم
يكيل الرجال بأقدارها ... ويرعى السيوات رعي الحرم
جواد عليهم بخيل بهم ... إذا ساء خصّ وإن سرّ عم
فيا دهر سحقاً ولا تحتشم ... فقد ذهب الرجل المحتشم
وخطّ الفناء على قبره ... بخطّ البلا وبنان السقم
إذا تمّ أمر دنا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم
ومنها:

إذا كان يبكي الورى بالدموع ... وتبكي بمنّ فأين القيم
وقد ساءني عطل الدهر منك ... وقد كتّ حلياً عليه انتظم
فما يستحق الزمان اللئيم ... مقامك فيه وأنت الكرم
وله من أخرى في مرثية أبي الفتح بن العميد:
يا دهر إنك بالرجال بصير ... فلطالما تجتاحهم وتبیر
يا دهر غيري من خدعت بباطل ... وابن العميد مقبّر
الآن نادتنا التجارب طلقوا ... دنياكم إن السرور غرور
يا دهر ظلّ لمخلّيك فريسة ... رجل لعمرى لو علمت كبير
رجل لو أن الكفر يحسن بعده ... هجي القضاء وآب المقدور
أشكو إليك النفس وهي كئيبة ... وأذمّ فيك الدمع وهو غزير
وأقول للعين الغزير بكاؤها ... خطب لعمرى لو عميت يسير
قد متّ بعدك ميتةً مستورةً ... قد ساقها لي موتك المشهور
ودفت في قبر الموموم وضمني ... كفنان ضيق الصدر والنفكير
ضحكت إليك الحور ضحكك كلّما ... وافاك ضيف أو أذاك فقير
وضفت عليك ذيول رحمة ربنا ... والله برّ بالجواد غفور
وسقى ضربك مستهلّ عمره ... شهر وعمر النبت منه شهر
جود ككفك أو كعيني أو دم ... أجراه سيفك في العدى مشهور
أهوى القيامة لا لشي أن ... ألقاك فيها والأيام حضور
وأحب فيك الموت علماً أنني ... بعد الممات إلى اللقاء نصير
ومن أخرى:

أسرّك أنّ الدهر يجني لما جنى ... ولم يك في الأحبار والنصب يدعي

فيا عجبي من ناصبي وفرحة ... وأعجب منه الحزن في المتشيع
وأعجب من هذين إظهار الأسي ... لمن غاب عن دار الأسي والتوجع
ألم ترى أن الله قال تمتعوا ... قليلاً ولم يبق قليل التمتع
ومن أخرى يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة:
رزئت أخاً لو خير المجد في أخ ... من الناس طهراً ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا إليك كما ترى ... طفيلية قد جاوبت قبل أن تدعى

صبت بك عشقاً وهي معشوقة الورى ... فقد أصبحت قيساً وعهدي بها ليلي
ولما رأت خطأها تركتهم ... ولم ترض إلا زوجها الأول الأولى
ولم تتساهل في الكفّ ولم تقل ... رضيت إذا ما لم تكن إبل معزى
على أنها كانت جفتك تذلاً ... فخليتها حتى أتت تطلب الرجعى
وله من قصيدة رثي بها أبا سعيد الشيب وكان واداً له عاتباً عليه:
أيدري السيف أيّ فتى يبيد ... وأية غاية أضحي يريد
لقد صادت يد الأيام طيراً ... تضيق به حبانة من يصيد
وأصبح في الصعيد أبو سعيد ... ألا إن الصعيد به سعيد
وقد كانت تضيق الأرض عنه ... فلم وسعت لجنته اللحدود
بلى مسّ الثرى قلباً رحيباً ... فأعدى الترب فأتسع الصعيد
فلا أدري أأضحك أم أبكي ... وقهدم المنية أو تشيد
صديق فقد فقدناه قديم ... وثكل قد وجدناه جديد
مصاب وهو عند الناس نعمى ... ونحس وهو عند الناس عيد
تمتني الأنام به ولكن ... تعزّيني الموائق والعهود
وسيف قد ضربت به مراراً ... فمن ضرباته بي لي شهود
فلما أن تملّل ظلت أبكي ... وعندي منه فعد دم جسيد
ومن عجب الليالي أن حمضي ... يبيد وأنّ حزني لا يبيد
وأن النصف من عيني جمود ... وإن النصف من قلبي جليد
إذا سفحت عليه دموع عيني ... فماها الهجر منه والصدود
وآثار له عندي قباح ... يجمّش بينها الرأس الحديد
فنصف من مدامعها سخين ... ونصف من مدامعها برد
فمن هذا رأي في الناس مثلي ... أريد من المنى مالا أريد
ومن نكد المنية فقد حرّ ... تخالف فيه إخواني الشهود
فذا هنّي وقال مضى عدوّ ... وذا عزّى وقال مضى وديد

رأيت العقل ينفع وهو قصد ... ويلقي في المهالك إذ يزيد
كمثل الدرع إن خفت أجتت ... وإن ثقلت فحاملها جهيد
ومثل الماء يروي منه قصد ... ويقتل منه بالغرق المزيد
شهدت بأن دهرًا عشت فيه ... ومّت مقيداً فرداً مبيد
وقالوا البحر جزرٌ ثم مدّ ... فما لك قد جزرت ولا تعود
بكيت عليك بالعين التي لم ... تزل من سوء فعلك بي تجود
فقد أبكيتني حيّاً وميتاً ... فقل لي أيّ فعليك الرّشيد
فها أنا ذا المهنّ والمعزّى ... وها أنا ذا المباغض والودود
وها أنا ذا المصاب بك المعافى ... وها أنا ذا الشقيّ بك السعيد
لقد غادرتني في كلّ حال ... أذمّ الدهر فيك وأستزيد
فلا يوم تموت به مجيد ... ولا يوم تعيش به حميد
وما أصبحت إلّا مثل ضرّس ... تأكلّ فهو موجود فقيد
ففي تركي له داء دويّ ... و في قلعي له ألم شديد
فلا تبعد إقامة رسم حق ... وإنك أنت للشيء البعيد
وإنك أنت للسيف الحديد ... وإنك أنت للعلم السديد
وإنك أنت الدنيا جميعاً ... ولكن ليس للدنيا خلود
وله من قصيدة يرثي بها أبا الحسن المحتسبي:

وصاحب لي لو حلّت رزيتة ... بالطير ما هتفت يوماً على فنن
عاشرته عشرةً لو أنّها وقعت ... بين الضّحى والدّجى سارا على سنن
حتى إذا نلت سؤلي من مواهبه ... و صاد بشباك الوصل والمنن
ثكلته بعد ما سارت محاسنه ... في العظم واللحم سير الماء في الغصن
يا دهر أثكلتني حتى أبا الحسن ... لقد أمنت عليه غير مؤتمن

وصلت سهمك منّي يوم قتلكه ... في مقتل القلب لا في مقتل البدن
جمعت ضّدين من خرق ومن أدب ... بطش الجهول ومكر العاقل القطن
قد كنت أعجب لم أخرت من أجلي ... الآن أدري لماذا كنت تذخري
ولم يكن في الورى ذا منظر حسن ... في مخبر حسن إلّا أبو حسن
وله في عائد بن علي لما ضربته السموم فهلك:
عائد قد دعا به المعبود ... وجميع الورى إليه يعود
أهلكته السموم في أرض مكرا ... ن والله في الرّياح جنود
وله في أبي سهل البستي الكاتب:

مات أبو سهل فواحسرتا ... أن لم يكن قد مات مذ جمعه

ما حزني إلا لأن لم يميت ... بموته من أهله تسعة

مصيبة لا غفر الله لي ... إن أنا أذريت له دمه

وهذه نتف من أهاجيه في خلفاء العصر قال:

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا ... من الكنى ومن الألقاب أبوابا

ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم ... ما كان يرضى به للحش بواب

قل الدراهم في كفي خليفتنا ... هذا فأنفق في الأقبام ألقاباً

وله في علوي ناصبي:

شريف فعله فعل وضع ... دنيء النفس عند ذوي الحدود

عوار في شريعتنا وفتح ... علينا للنصارى واليهود

كأن الله لم يخلقه إلا ... لتنعطف القلوب على يزيد

وله في فقيه:

مجير صير ابنه ناصبياً ... مجبراً مثله وتلك عجيبة

ليس يرضى أن يدخل النار فرداً ... ساعة الحشر أو يقود حبيبه

وله في أبي سعيد بن مله:

أبو سعيد زحل للكرام ... ومنسف ينسف عمر الأنام

لم أره إلا خشيت الردى ... وقلت يا روح عليك السلام

يبقى ويفنى الناس في شؤمه ... قوموا انظروا كيف بخوت اللثام

ثم تراه سالماً آمناً ... يا ملك الموت إلى كم تنام

وله فيه:

أرى لك أفعالاً تناقض أمرها ... على أنها في القبح والعار واحد

نبئك ذا حلو، وجهك حامض، ... وماؤه ذا سخن، وفعلك بارد

وله في أبي الطيب البیهقي:

يبكي من الموت أبو طيب ... دمع لعمرى غير مرحوم

ويشتكي ما يشتهي غيره ... شكاية الخير من الشوم

ساكتنا الشيخ أبو طيب ... والصمت أحياناً من اللوم

وله فيه:

فسار الشيخ سهواً وفي كفه ... شراب فلمناه لوماً قبيحاً

فقال لي الدخل والخرج لي ... فأدخلت راحاً وأخرجت ريحا

وله في نديم حمامي:

قل لمن ينكح بالعيون ... جواري الأصدقاء

والذي يعتقد الملك ... له قبل الشراء
أنت والله نشيط الأ ... ير كسلان الوفاء
ليت قلبي قد من أيرك ... في باب الذكاء
أمهل الساقى ولا تحجله ... بين الندماء
أنا بالساقى كفيل ... لك من بعد العشاء
فإذا ما انصرف لنا ... س فجد لي بالأداء
لك أير جاهلي ... من أيور السفهاء
يا كثير الماء أقرضنا ... ولو حمة ماء
أنت من أيرك هذا في ... عناء وبلاء
أعظم الله لك الأجر ... على هذا العناء
وله في طاهر السجري:

ألا يا سائلي بأبي حسين ... وفي التجريب علم مستفاد
هو ابن سميه والطلاء عين ... وشبه كنيه والسين صاد
وله من قصيدة:

فإن أسكن بلدة ابن شهر ... فإن البدر ينزل في الظلام
أصغرها وإن عظمت ولكن ... لها أهلون ليسوا بالعظام
وفرسا ولكن في الحشايا ... وأجواد ولكن بالكلام
صغار بالمطالب والسجايا ... وإن كانوا كباراً بالعظام
وله أيضاً:

أبو زيد فتى حرّ، ولكن ... لنا في أمر ذاك الحرّ ظنه
أراه يشتري الغلام سوداً ... عفاريت فيوهمني بآئه
وله في فائق وقد قصد الأمير أبا علي لخاربته من الرجز:
قد خطب الصفع قفا الخصي ... فمرحياً بالخاطب الكفي
ورحل البار إلى الكركي ... فأبشروا بلحمه الطري
وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد:
ولما أن رأيت ابني وليد ... وبينهما اختلاف في الفعال
وهبت قبيح ذا الجميل هذا ... وأسلفت العواقب والليالي
إذا اليد أحسنت منها يمين ... فسوّغنا لها ذنب الشمال
وله في رجل جلّيت ابنته على الختن وهي منه حبلى لأشهر:
يا جالي البنت بعد ما تقبت ... تبرر القدر بعد ما قلبت

هذا كما قد يقال في مثل ... جصصت الدار بعد ما خربت
وهذه فقر وظرف له في فون مختلفة قال من قصيدة:

لا يصغر الرجل الكبير ... بعشرة الرجل الصغير

بل يكبر الرجل الصغير ... بخدمة الرجل الكبير

ويركب التبر النفيس على الدني من السيور

ماذا يضرّ البدر قر ... ب النجم منه المستير

بل ما يضرّ السيل مجراه على الأرض الحدود

بل ما عسى صغر السفين يغضّ من عظم البحور

قد زادني شرفاً ولم ... ينقصه من شرف حضوري

كالنار ليس بناقص ... منها اقتباس المستعير

تلقي الفتي سهل الشريعة للجليل وللعشر

أو ما رأيت البحر يغرق ... منه بالخطب اليسير

والناس مثل الجسم يعتمد ... القليل على الديبر

يتحامل العضو الخطير ... بقوة العضو الحقير

كتحامل الرمح الطويل ... بزجه ذاك القصير

ومن أخرى:

يا أيها الخاطب مدحي وهل ... يورد من غيري رشاء قلب

شيئاً لم يجتمعا لأمرىء ... حبّ الدنانير وحبّ الحبيب

ومن أخرى:

ولي والله إخوان كثير ... نصيبي من فعالمهم سواء

ولكنّي رأيتك من أناس ... إذا لم يحسنوا فلقد أساءوا

ومن أخرى:

ومتى شتمت الدهر تشتم صابراً ... تبكي ويضحك ذلك المشتوم

لا ومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش:

فإن ردّني دهري عليك طريدةً ... فلا غرو أن يسترجع القوس حاجب

هو الوكر طرنا والرّيش وافد ... وعدنا إليه الآن والرّيش ذاهب

ومنها:

جزى الله عني أهل سامان ما أتوا ... وفي الله للثأر المضيع طالب

هم زوجوني لهم بعد طلاقه ... وذلك عرس للمآتم جالب

هم اعطشوا زرعي فشمت سحاباً ... غرائب لما أخلفتني القرائب

فأنحوا لزرعي بالحصاد وأنضبوا ... مياهاً لها أيدي سواهم مذائب

أتحصد أيدىكم ويزرع غيركم ... فأنتم جراد والملوك سحائب
أخذه من قول ابن عيينة:

أبوك لنا غيث نعيش بظله ... وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
رجع:

إذا طمع السلطان فيما كسبته ... بشعري فالسلطان بالشعر كاسب
فأنتم مدحتم آل بواب لا أنا ... وأمدح من لفظ اللسان حقائب
ومن أخرى:

لاحت لوجهي أنجم ... للشيب عدن به طوالع
أودعت منهن الصبا ... من لا يرى ردّ الودائع
فقصصتهنّ وإنما ... دهري بمقراضى أخادع
وإذا عدوك كان بعض ... في الخطوب من تقارع
ومن أخرى:

خضبتني الأيام لون بياض ... وخضاب الأيام ليس نباضي
وتخطتني المنون إلى شعري ... فأضحى مكفناً ببياض
ولعمري إني لغير لبيب ... في قتال الأيام بالمقراض
ومن أخرى:

وارك تشكو الشيب تظلمه ... والشيب زرع بزره العمر
كاخمر يجلبها الخمار وقد ... يهجي الخمار ويمدح الخمر
وله في تلميذ عاق:

هذا أبو بكر صقلت حسامه ... فغدا به صلتاً عليّ وأقدما
أمسى يجهلني بما علّمته ... ويريش من ريش لرمي أسهما
يا من قوساً بكفّي أحمكت ... ومسدداً رمحاً بكفّي قوساً
أرقيت بي في سلّم حتى إذا ... نلت الذي تهوى كسرت السلّم
وله يهجو:

أبا نصر رويدك من حجاب ... فلست بذلك الرجل الجليل
ولا تبخل بهذا الوجه عنا ... فليس بذلك الوجه الجميل
والأشعار قوم لست منهم ... ولكي هجرتك في السيل
ومن قصيدة في الشكوى:

ولقد بلوت الأصدقاء فلم ... أر فيهم أوفى من الوفر
وكذاك لم أر في العدا أحداً ... أنكى لمن عادى من الفقر

ذهب الغنى ورثت عادته ... فأنا الغنيّ وغيري المثري
وتجمّعت في اثنتان ولم ... يتجمّعا في سالف الدهر
لا يبرح المقصوص موضعه ... ولقد قصصت فطرت عن وكري
ومن أخرى في نكبة المزني:

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا ... دمعي يحاكي لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكى ... قلبي فؤاد حسودك المحموما
ومن أخرى فيه:

قتل الموحج والعجائب جمّة ... شيخ المشايخ بل فتى الفتيان
لا تعجبوا من صيد صعوٍ بازياً ... إن الأسود تصاد بالخرفان
قد غرقت أملاك حمير فأرة ... وبعوضة قتلت بني كنعان
ومن أخرى في أبي القاسم المزنيّ لما قبض عليه:

وثب الصغير على الكبير وقد ... يطفي التراب حرارة الجمر
لا تعجبنّ فربّ ساقية ... قد كدرت طرفاً من البحر
هذا الحسام يفله حجر ... وبه قوام النهي والأمر
غضبت جديمة نفسه امرأة ... فاصطيد ذاك الحرّ بالحرّ
هيهات هذا الدهر ألأم من ... أن لا يسر العبد بالحرّ
وله، وقد طلبت جارية له بعشرة آلاف درهم:
يا طالباً روعي لبيتاعها ... أنت رسول الغمّ والحسرة
غدوت بالبدره فارجع بها ... لست أبيع البدر بالبدره
وله من أخرى:

أيا من قربه خبره ... ويا من بعده عبره
ويا من وصله يوم ... ويا من الشمال هجره فتره
ويا من وصله أعلى ... من الشمال بالبصرة
ويا من نظرة منه ... تساوي مائتي بدره
ويا من قد حكى خدا ... ه قلبي فيهما جمره
ويا من طرف من أبصر بداراً بعده يكره
ويا من عينه جيش ... كثيف لأبي مرّه
ويا من نخر الشيطا ... ن في مولده نخره
وقال اليوم ألقيت ... بني آدم ي الحفره
ويا من أنذرت عينا ... ه عيني مائتي مرّه
أيا عين ارجعي ما كلّ وقت تسلم الجره

ويا أحسن من يسر ... يلقي صاحب العسره
وما أعذب في الأنفس ... من صفح على قدره
ويا من لست أرضي قط ... بالبحر له قطره
ولا أرضى له البدر ... على إشراقه غره
ولا أرضى له الأرض ... على فسحتها حجره
ولا أرضى له بلقيس ... بجلوها على العذره
ولا أرضى برزق الأنس ... والجن له سفره
ولا أرضى من القلب ... له عشق بني عذره
ولا أرضى له السعد ... غلاماً والمنى سخره
ولا أرضى له الرمل ... نضاراً والحصى نقره
ولا أرضى له إلا ... بنفسى أمة حرّه
قد استخرجت من عيني ... عيناً في الهوى ثره
فلو فجرّتها فجرّ ... ت منها أثني عشره
وقد أضجعتني فوق ... فراش الهم والحسره
وقد علمتني كيف ... يموت المرء من نظره
وله في وصف الخمر من قصيدة:
وصفراء كالدينار نبت ثلاثة ... شمال وأنهار ودهر محرم

مسرة محزون وعذر معربد ... وكبر مجوسي وفتنة مسلم
مات لأحياء حياة لميت ... وعدم لمن أثرى ثراء لمعلم
يدور بها ظبي تدور عيوننا ... على عينه من شرط يحيى بن أكنم
ينزّها من ثغره ومدامه ... وخديّه في شمس ويدر وأنجم
نمض إليها والظلام كأنه ... معاش فقير أو فؤاد معلم
وله، وقد دخل إلى صديق له فبحره وسقاه:
بحرت ثم سقيت في دار امرى ... تصحى القلوب طوالبا لوفاقه
فكأنما سقيت من أفاضله ... وكأنما بحرت من أخلاقه
وله:

يا من يحاول صرف الراح يشربها ... فلا يلفّ لما يهواه قرطاسا
الكأس والكيس لم يقض امتلاؤهما ... فرغ الكيس حتى تملأ الكاسا
وله:

عزل الورد عن أنوف الندامى ... وأتتنا ولاية الريحان

فاقض حق الريحان بالراح فالريحان والراح في الورى أخوان
وأن الورد وابكه بدموع ... من دموع الأقداح لا الأجفان
وله:

رأيتك أن الشرب خيمت عندنا ... مقيماً وإن أعسرت زرت لما
فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوءه ... أغبّ وإن الضياء أقاما
وله:

سقاني الوجه الحسن ... كأساً فخلّيت الرسن
وصار عندي حسناً ... قتل الحسين والحسن
وله في الند:

وطيب لا يخلّ بكلّ طيب ... يخبّينا بأنفاس الحبيب
يظل الذليل يستره ولكن ... تتمّ عليه أضرار الجيوب
متى يشممه أنف حنّ قلب ... كأنّ الأنفاس جاسوس القلوب
وله من قصيدة:

عذر من عين الزمان فإنّها ... إذا استحسنت مستحسناً قلّ طائله
وما أنت إلا البيت غنم دخوله ... كثير عواديه بعيد مراحل
وله في باقة ريحان من الرجز:

وضغت ريحان إذا ما وصفه ... واصفه قيل له زد في الصفة
دقّ صانعه ولطفه كأنّهوشم يد مطّرفه
أو حظّ وراق أدقّ أحرفه ... أو زغبات طائر مصفّفه
أو حلّة بخضرة مفوّقة ومن أرجوزه:

لا تشكر الدهر خير سببه ... فإنّه لم يعتمد بالهبة
وإنما أخطأ فيك مذهبه ... كالسيل إذا يسقي مكاناً خربه
والسمّ يستشفي به من شربه ... ما أثقل الدهر على من ركه
حدّثني عنه لسان التجربة ... ما أهون الشوكة قبل الرّطبة
وأسهل الكد على من أكسبه وله:

لا تيأسن من حبيب ... إذا توعرّ خلقه
فكلّما صلب الخيز ... كان سهلاً مدقّه
وله:

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد
وله:

عليك بإظهار التجلّد للعدى ... ولا تظهر منك الذبول فتحقرا
ألست ترى الريحان يشتم ناضراً ... ويطرح في الميضا إذا ما تغيراً
وله:

تمنيت خلّات على الدهر أريعاً ... ولم أر مستولاً أشحّ من الدهر
جماعاً بلا ضعف، وشرّباً بلا سكر ... وعمراً بلا شيب، وبذلاً بلا فقر
وله:

وأني لأرجو الشيب ثمّ أخافه ... كما يرتحى شرب الدواء ويحذر
هو الضيف إن يسبق فعيش مكدر ... عليّ وإن يسبق فموت مقلّر
وله:

لا تفرطن في حدّة أعملتها ... فيكلّ ذاك الحدّ منك وتفشلا
أو ما ترى الصمصام والسكّين إن ... زادا على حدّ الصقال تفللاً
وله من الرجز:

المملك عندي متعة الشباب ... والعزل عندي فرقة الأحباب
والفقر عندي عدم الشراب ... والشيب عندي كذب الخضاب
والقبح عندي عدم الآداب ... والعرس عندي ليلة الكتاب
والروض عندي ملح الأعراب ... والبغض عندي كثرة الإعراب
والسيف عندي قلم الكتاب ... والنجح عندي سرعة الإياب

والطرد عندي كلحة البواب ... والذلّ عندي وقفة الحجاب
والقحط عندي قلة الأصحاب ... والشؤم عندي كثرة العتاب
والعيّ عندي هذر الخطاب ... والعزّ عندي طاعة الصواب
وإلالّ عندي خلّة القحاب ... والغول عندي طلعة الكذاب
والصفح عندي أبلغ العقاب ... واللوم عندي سغه الشراب
والأمس عندي أسرع الهرب ... والمال عندي أسرع الهرب
والغدّ عندي الحقّ للطلاب ... والفخر عندي أفخر الثياب
والسجن عندي منزل التراب ... والهول عندي موقف الحساب
وله من أخرى:

ولا تغترر بالحلّيم تغضبه ... فربما أحرق الثرى البرد

أبو سعيد أحمد بن شبيب الشيبى

فرد خوارزم ومفخرتها، وكان جامعاً بين أدب القلم والسيف. وفروسية اللسان والسنان، صاحب كتب وكتائب وفضائل ومناقب ولما اخص بالدولة السامانية. والدولة البويهية، سمي صاحب الجيش، وشيخ الدولتين، وقال:

ربّ إنّ ابن شبيب أحمدا ... صاحب الجيشين شيخ الدولتين
واثق بالله يرجو المصطفى ... وأخاه المرتضى والحسين
وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول: كان الشيب في أيام شبابه بخوارزم يقول شعراً غليظاً جاسياً كأشعار المؤدبين، فلما عاشر الناس ولقي الأفاضل لطف طبعه، ورق شعره، كقوله وكتب به إلى:
للشبيبي صنيعتك ... حشرات لفرقتك
واشتياق إلى لقا ... ء تباشر طلع
ربّ سهل لقاءه ... يا إلهي برحمتك
وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد قال: أنشدني أبو سعيد صاحب الجيشين لنفسه في أبي بكر الخوارزمي:
أبو بكر له أدب وفضل ... ولكن لا يدوم على الإخاء
مودّته إذا دامت لخلّ ... فمن وقت الصباح إلى المساء
وأنشدني غيره له في الأمير أبي نصر الميكالي:
يا آل ميكال أنتم غرّة العجم ... لكنّ أحمد فيكم درّة الكرم
لا تحسدوه فإنّ الله فضّله ... منكم عليكم جميعاً، بل على الأمم
لا تحسد رجلاً ما إن له شبه ... فيمن يرى الله من عرب ومن عجم
فمن يحاكيه في الأفضال والكرم ... أم من يناوته في الآداب والقلم
أم من يساجله في كلّ مكرمة ... أم من يعادله في الجود والهمم
يا آل ميكال إنّي قد نصحتكم ... نصح امرئ في هواكم غير متّهم
فاستسلموا لقضاء الله واعترفوا ... بفضل أحمد طوعاً أو على الرغم
وعندي له مقطوعات تصلح لهذا المكان، ولكنها غائبة عني الآن

أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون

له من قصيدة في مدح الأمير أبي العباس مأمون بن محمد أولها:
أعاطني الدهر من إنصافه جنفا ... هل كان غيري من الأيام منتصفا
أشكو إلى غير مشكو ليشكيني ... هل ينفع الدن شفاؤه البدن
ومن أخرى في الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد خوارزم شباه كان:
كم له من يد عليّ إذا ما ... علّدت لم يكن لعدّتها كم
ما لجهلي قصور شكري فمن ... علوم الضرورات شكر من كان منعم
لست والله ناسي البرّ ما أنسا ... ب بطبع الحياة في جسدي الدم

ومن أخرى:

لئن طال عهدي بوجه الأمير ... فقد طال عهدي بأن أسعدا

إذا شئت رؤية ما في الزمان ... فزر شخصه الفاضل الأوحدا

تري الليث والغيث والنيرين ... والنس والبحر والمسندا

ومنها:

وبلّغه الله أقصى مناه ... وأسنى له ملك ما مهّدا

ولا زال فيروزه عائداً ... بأفضل حال كما عودا

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير كان بخوارزم قال من قصيدة في أبي سعيد الشيبلي أولها:

حكم عينيك نافذ في ماضي ... كيفما شئت فاقض ما أنت قاضي

وكأنّ الصباح لما تجلّى ... لي سيف له الشيبلي ناضي

الهنبر الذي له الدرع كاللبنة ... لليث والقنا كالغيض

ومنها في وصف القلم:

ناطق ساكب أصمّ سميع ... قلق ساكن وقوف ماضي

ناحل الجسم نابه الاسم منقّى الوسم ... في كلّ عائد ذاي اعتراض

هاكها يا أبا سعيد عروساً ... بكر فكر فكن لها ذا افتضاض

وابسط العذر في قصوري عن با ... بك في هذه الليالي المواضي

لم يكن عاق عن لقائك مولا ... ي سوى فرط حشمة واتقباض

وله:

في كلّ يوم لك ارتحال ... تصلح للملك فيه حال

ما سرّنا فيك من إياب ... إلّا وقد ساءنا انتقال

فلا نهيك بانقلاب ... إلّا وفي عقبه زيال

حتى كأنّا نراك حلماً ... ومنك يعتادنا خيال

بذلت للملك نفس صون ... ما اعتاقها الأين والكلال

فقف قليلاً فقد تشكّى ... إسارك الخيل والبغال

ودم لخوارزم شاه يمى ... يد لها غيرك الشمال

وقال فيه يستعطفه أيام محنته حين أساء رأيته فيه إذ كان أوحشه في أيام دولته:

يا من له في المعاني نية حسنة ... حتى جفن جفنه من حسننها وسنه

ومن حكى خطّه زهر الربى حسداً ... وودّ سحبان من إغرابه لسنه

أحسنّت رأيك في إسحاق فانفجرت ... عنه الهموم وعادت حاله حسنه

كذاك فاحسبه فينا ننج من كرب ... يمرّ فيها علينا اليوم ألف سنه

وأغض عمّا مضى فالمهر ممتنع ... صعب إلى أن يرى في رأسه رسنه
وأنت بدر دجى، بل أنت شمس ضحى ... بل أنت بحر حجى، بل أنت خصب سنه
وكتب إلى صديق له:

وعدتني بالرجوع ... من قبل وقت الهجوع
وقد تعافلت حتّى ... أضرمتمني بالجوع
فبالرجوع تفضّل ... أولاً في فبالمرجوع

أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي

من أبناء الوزراء بمدينة خوارزم، وكان ككشاجم كاتباً شاعراً منجماً، فمن غرره قوله من قصيدة في الشبيبي:

إن الهوى سبب لكلّ هوان ... وفراق من قواه موت ثاني
سقيّاً لدهر كت حلف أغاني ... فيه وخذن الراح والريحان
لم تبق لي هممي وحسن شمائي ... منها سوى ذكرى على الأزمان
ولقد رضيت بأن أرى متفرداً ... دون القرين مقارعاً أقراني
أرمي إذا حملوا وأظعن إن رموا ... وأقدّ منهم من أراد طعاني
تنفي الحناجر في الحناجر غصّتي ... والبيض في بيض العدا أحراني
وأعدّ عند مواردٍ ومصادري ... حكم الكهول وصوله الشبان
مستبدلاً ضرب الطلا بمصارع الشكوى وضرب الدفّ والعيان
مستغنياً بالرمح أخضب صدره ... عن كلّ مخضوب البنان حصان
مستبدلاً زرد الدموع كأنّها ... شعر تفلفل في الحي الحبشان
مستشعراً باسم الشبيبي الذي ... عمّ الورى بالبرّ والإحسان
يفدي الكماة أبا سعيد إله ... حامي الحماة وفارس الفرسان
يا أحمد بن شبيب المفدى على ... جور الزمان وسطوة الحدثان
أنت القرين لكلّ جد مقبل ... أنت البشير بكل فتح داني
لك عزمة بهرام من أتباعها ... لك همّة تسمو إلى كيوان
فإذا ركبت ضمنت كلّ أمان ... للخائفين ونيل كلّ أمني
وإذا أقمت فإنّ ذكرك طاعن ... تسري به الركبان في البلدان
فقت الأنام حجى وفقت شجاعة ... ورجحت عند الجود في الميزان
إن الفتوح على يديك تتابع ... كتابع الأنوار في نيسان
حفروا الخنادق حولهم فكأنّما ... حفروا مقابرهم لدى الخذلان

تعزّزوا بالماء ثم سقوا به ... سقاوة المطر بالطوفان
غدروا فعود منهم أرواحهم ... في النار والأشباح في الغدر

خفقت بنود حولهم فكأثما ... طارت قلوبهم من الخفقان
وسرت طوارق لطف كيدك فهم ... لطافة الأرواح في الأبدان
ولئن حسد فلست أولّ سابق ... يرميه بالبعض آلام وإن
إنّ الكريم حسد في قومه ... وترى الحسود مطية الأشجان
وله فيه من أخرى:

أمن الملاك أم الحفر ... هذا التاج والضرر؟
أم غرّك الصبح الذي ... أطلعت من ليل الشعر
أم عرّضت أيدي الخطوب ... صفاء ودك للكدر
وأرى المقام بلدة ... لا تشتهي إحدى الكبر
واعد نفسي في الحضر ... لكن همّي في السفر
ومن أخرى:

كف بنحولي عن هواي مترجماً ... وبالدمع متاماً عليّ إذ همّي
تألمت من ثقل الهوى متشبهاً ... بخصر من أردافه إذ تألّما
وكلّ طرفي بالنجوم كأنذني ... لرعي نجوم الليل صرت منجّماً
ومنها في مدح الشيب:

خرجنا فماراً نطلب العد ... فألبسنا ليلاً من النقع مظلماً
أثرنا سحاب النقع لما تجاوزت ... عود سهيل الخيل تستمطر الدّم
فكم من جواد قد حبسناه بعدما ... أثرناهم من كثرة النبل شهماً
وأشهب قد خضنا به الحرب فاكتمسى ... دمّاً وقتال عاد أشقر أدهم
ومن أخرى:

وقين تنطق يمناها ... وتلقط العنب يسرها
إذا سرت ثمّ عليها الحلّي ... وضوء خديها وريّا
لو أن إبليس رأى وجهها ... صلى لها طوعاً ومنام
تظلمني في هجرها مثلما ... أسفلها يظلم أعلاها
ما تفعل الخمر بشراّبها ... ما فعلته فيّ عيناها
ومن أخرى:

لا الراح راحي ولا الريحان ريحاني ... ما لم تررني ولا الندمان ندم
وما العلل والأيام حائلة ... ببني وينك بالآمال من شأني

وما جزعت على شيء سوى جزعي ... إن لم أمت كمداً من فقد خلائي
وقد ذكرتك والأبطال عابسة ... والموت يبسم عن أنياب شيطان
والنبل كالشهب في ليل العجاج وباب ... الأمن ناء صبري والردي داني
والسمر تبكي دماً والبيض ضاحكة ... والجود ولون الملتقى قاني

أبو عبد الله محمد بن حامد

حسنة من حسنات خوارزم، وغرة شاد في جبينها، يرجع إلى كل فضل، ويجمع بين قول فصل وأدب جزل،
ويؤلف بين أشات المناقب، وينظم عقود محمد وله خط يستوفي أقسام الحسن، ونثر كثر الورد، ونظم
كنظم الدر.

وكان في عنوان شبابه يكتب لأبي سعيد الشيب، وهو منه بمنزلة الولد، والعضو من الجسد، فلما انقضت
أيامه واختص بالصاحب أبي القاسم وغلب عليه ببرايعته، وحذفه في صناعته، وتقلد بريد قم من يده وبقي
بها مدة بين حسن حال وتظاهر جمال، وحين حن إلى وطنه وآثر الرجوع إلى بلده قدم من سلطان خوارزم
شاه على ملك مكرم لمورده، عارف بفضله، موجب لحقه، ولم يزل ومن قام مقامه من أبنائه رحم الله
السلف وأبقى عز الخلف يعدو له وإلى الآن من أركان دولتهم، وأعيان حضرتهم، ويعتمدونه للمهمات
السلطانية والسفارات الكبيرة، وكان أنفذ مرة رسولاً إلى حضرة السلطان المعظم يمين الدولة أطل الله بقاءه
يبلغ فاستولى على الأمد في القيام بشروط السفارة، وملك القلوب، وسحر العقول بحسن العبارة، وجمعه
وأبا الفتح علي بن محمد البس الكاتب مناسبة الأدب، ومشاكل الفضل، فتجاورا وتراورا وتصادقا وتعاشرا،
وتجارياً في حلبة المذاكرة، وتجاذا أهداب المحاضرة، وجعل أبو عبد الله يرسل لسانه في ميدانه، ويرخي من
عنانة، فيرمي هدف الإحسان، ويصيب شكل الصواب، فقال فيه أبو الفتح من الرجز:

محمد بن حامد إذا ارتجل ... ومرّ في كلامه على عجل
نقب خدّ كلّ ندب سابق ... بنثره ونظمه ثوب الخجل
أقلامه يسقين كلّ ناصح ... وكاشح كأسيّ حياة وأجل
فناصحوه مشرقون بالأمل ... وكاشحوه مشرون بالوجل

أبقاه للدين والدنيا معاً ... وللمعالي ربنا عزّ وجل
وقال فيه أيضاً:

بنفسي أخ نفسه أمة ... وتدبيره في الورى فيلق
أخ باب إحسانه مطلق ... وباب إساءته مغلق
كريم السجايا فلا رأيه ... بهيم ولا خلقه أبلق
محمد أنت قرى ناظري ... فكيف إذا غبت لا أقلق
رهنت قلبي وحكم القلوب ... إذا رهنت أنّها تغلق

وقال فيه أيضاً من الرجز:

يا من أراه للزمان حسنة ... ومن حوى من كل شيء أحسنه

إن غبت عني سنة فهي سنة ... وسنة تحضر فيها وسنة

وعلى ذكر أبي الفتح بعض العصرين من أهل نيسابور فيه:

إذا قيل من فرد العلى ومحمد ... أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد

همام له في مرتقى المجد مصعد ... يلوح له العيون في ثوب حاسد

كريم حباه المشتري بسعوده ... وأصبح في الآداب بكر عطارد

به سحبت خوارزم ذيل مفاخر ... على خطّة الشعر وربع الفراق

فلا زال في ظلّ السعادة ناعماً ... يحوز جميع الفضل في شخص واحد

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال: لما ورد أبو عبد الله رسولاً على شمس المعالي وصل إلى مجلسه فأبلغ

الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجاباً شديداً، وأفضل عليه فضل كثيراً،

ورغب في جذبه إلى حضرته واستخلاصه لنفسه، فأمرني بمجاراته في ذلك، ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في

حسن الضمان له، وأركب الصعب والذلول في تحري وتحريضه على الانتقال إلى جنبته، فامثل الأمر،

وجهدت جهدي، وأظهرت جدي في إرادته عليه، وإدارته بكل حيلة، وتمني جميلة، فلم يجب ولم يوجب،

وقال: معاذ الله من لبس ثوب الغر والانحراف عن طريق حسن العهد، وانصرف راشداً إلى أوطانه

وحضرة سلطانه.

وقد كتبت لمعاً من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغية عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني، قال من

قصيدة ي صاحب:

غدا دفترى أنساً وخطي روضة ... وحريري مد وارتجالي ساقياً

ولا شدو لي إلا التحفظ قارئاً ... ولا سكر حين أنشد داعياً

تجشّم أوصافاً حسناً لعبده ... فطوّقه عقداً من العزّ حالياً

فلولا امتثال الأمر لا زال عالياً ... لطار مكان النظم رجالان حافياً

على أنني إن سرت أو كنت قاطناً ... فغاية جهدي أن أطول داعياً

رسائله لي كالطعام وشعره ... كما زلال حين أصبح صادياً

فإن ظلت الآمال تشكر ظله ... فإنّ لسان المال قد ظلّ شاكياً

كأنّ له الخلق قال لجوده ... أفضل كلّ ما تحويه ورق عبادياً

ومن أخرى:

ما أنس لا أنس أياماً نعمت بها ... وهذبني طوف وتردادي

أيام أركب متن الريح تحملني ... والطر والنفس والأقلام دون

كافي الكف أدام الله نصرته ... نجل الأمين الكريم الشيخ عباد

غمر الرداء لرواد ورّاد ... سهل الحجاب لزوّار وقاد

لا زالت الدولة العليا تلزمه ... ما قالت العرب حيوا الحي بالوادي
ومن أخرى:

ليهنك هي الملك والعمر ... ما ساير سيران الشعر والسمر
وطال عمر سنك المستضاء به ... ماعمر يقين الكتب والسير
يفدي الوري كلهم كافي الكف فقد ... صفا به أفضل العدل والنظر
له مكارم لا تحصى محاسنها ... أو يحسب أكثر الرمل والشجر
لكيده النصر من دون الحسام وإن ... تمرّد شجع الترك والخز
ما سار موكبه إلا ويخدمه ... في ظلّه شيء الفتح والظفر
وإن أمرّ على طر أنامله ... أغضب له بهجة شيء والزهر
دامت تقبلها صيد الملوك كما ... يقبل الأكرم الركن والحجر
وهي تربي على ثلاثين بيتاً

ومن أخرى كتب بها من الري إلى الزهر يهنئه بدخولها:
بريق الرأي يعبد الحسام ... وبرق السعد يخدمه الأيام
وما اتفقا كما اتفقا لقوم ... هو صم والملك الهمام
همام لا يؤم الخطب إلا ... ونصر الله عزّ له إمام
وما بلدة في الأرض إلا ... إليه بها نزاع أو هيام
فلو أن البلاد أطقن سعيّاً ... لسارع نحوه البلد الحرام
أدام الله أيام المعالي ... وذلك أن يدوم له الدوام
وما لي غير ما هو جهد مثلي ... دعاء أو ثناء لا يرام
وله من أخرى كتب بها إليه:

سلام على نفس هي الأمة الكبر ... وشخص هو المجد المنيف على الشعر
هو الدّين والدنيا فزره تر المني ... وتحصل لك الأولى وتحصل لك الأخرى
وله من قصيدة في أبي سعيد الشيب بزر من جرح بالمضارب ليعسكر بظاهر متوجّهاً إلى الأمير أبي علي
وفائق، فاتفق تعرض أرض في تلك الصحراء، فتبادر الغلمان إليهما فصادوهما فتفاعل أنه يغلب العدوين.
كما اصطاد الغلمان الأرنيين، فقال:

أتاك بما تهوى وترضى المحرم ... وجاءك بالنصر العزيز يترجم
ولا غرو أن تلقى الذي تبتغ وما ... تحاول والأفلاك بالسعد تخدم
وبختك مرفوع وجدك مقبل ... وأمرك متبوع وقدرك معظم
ورأيك في قمع المناوب راية ... وهي الشّماء جيش عر
وحسبك صيد الأرنيين مبشراً ... بصيلك أعداء على الغدر أقدموا

وله فيه من مهرجانية على وزن المصراع الذي أنشده في المنام، وذلك أنه رأى شخصاً مثل بين يديه وقال له: قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم قال:

بين خمر ولكن سكرها سقم ... والحب نعى ولكن في غد نقم
إنّ الحيين أحرار وأنفسهم ... لمن يحبون في حكم الهوى خدم
يا أيّها الطاعون، القلب عندكم ... إن لم يكن عندكم فالقلب عبدكم
لي ينكم قمر في ثغره برد ... في قلّه غصن في وجهه صم
كأنما ابن شيب سلّ في يده ... من مقلي حساماً حدّه خدم
القائل القول لم تنطق به عرب ... والفاعل الفعل لم تقطن به العجم
على الكنوز أمين غير متهم ... وسيفه في رقاب الناس متهم
وقد غدا وهو شيخ الدولي كما ... للحضرتين به عزّ ومنتظم
لذاك في النوم شخص الصدق قال له ... قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم
ومن أخرى في أبي العباس الضّب:

زمن جديد وعيد سعيد ... وقت حميد فماذا تريد
وأحسن من ذاك وجه الرئيس ... وقد طلعت من سنة السعود
وكم حلة خطّها قد غدت ... على برد آل يزيد تريد
وكتب إليه الشيخ أبو سعد الإسماعيلي قصيدة منها:
سلام على شيخ محمد والذي ... له الذروة العليا والشرف العدّ
ومن صحّ منه وده وفأوه ... على حين لم يحمد لذي خلّة عهد
فأجابه بقصيدة منها:

أفخر وذخر أم خطاب له مجد ... أسحر أتى أم نظم من لا له ندّ
شممت من العنوان عند طلوعه ... روائح فضل دونها المسك والندّ
وساعة فكّي الختم أبصرت جنّة ... سقتها غواصي الفكر فهي لها خلد
فأشجارها علم وأغصانها تقى ... وأثمارها فهم وغدر رشد
تجشّمها الشيخ الإمام الذي به ... ومنه وفيه يعرف الكرم العدّ
ومن محل أخلاقه تشرف العلى ... ويلمع في الدنيا بكنيته السعد
ومنها:

وكيف يؤدي حقّ شعر شعاره العلاء ... وراويه ومنشده الجدد
وبي حرفة منذ غبت عن حرّ وجهه ... حرارة نار العشق في جنبها برد
وله إلى أبي العلاء السري بن الشيخ أبي سعد الإسماعيلي من قصيدة:
قرأت لمن له يصفو ودادي ... نظيماً كالشباب المستعاد

سرياً كاسم صاحبه ولكن ... به عاد الحين إلى ازدياد
فكان اللفظ في معنى بديع ... ألدّ لديّ من نيل المراد
وكتب إلى الشيخ الوزير أبي الحسين أحمد بن محمد السهل لما رزق أبو عبد الله ابناً في الحرم سنة اثنتين
وأربعمئة:

عوائد صنع الله تكنفني ترى ... فتورثني ذكراً وتلزمي شكراً
فمنها نجيب جاء كالبدر طالعاً ... سوياً سنياً شدّ لي نوره أزرأ
وما هو إلا خدام وابن خدام ... لسيدنا مدّ الإله له العمر
فما رأيته في الاسم لا زال مسمياً ... مواليه كي يقتنوا الفخر والذخر
فأجابه بهذه الأبيات:

سكنت إلى ما قلته أولاً نثراً ... نعم وإلى ما صنعته آخر شعر
فهتأك الله التجيب فإنه ... من الله فضل يوجب الحمد والشكر
وما جاء إلا أن يكون لصنوه ... ظهيراً قهوى الآن بينهما ظهر
وأثر أن يكنى بكنية جدّه ... أبي أحمد والاسم اختاره نصر
ليحمد منه الله تقواه والهدى ... وينصره في علمه والتّهي نصر

أبو القاسم أحمد بن أبي ضرغام

أحد شعراء خوارزم القلق المذكورين، وكان يهاجي أبا بكر الخوارزمي ويسابه في عنفوان شبابه، من محاسنه
قوله من قصيدة في الشيب:

ابن شيب أبو حروب ... أخو ندى للحفاظ خلّ
ليث قتال وأيّ ليث ... بالسيف والرمح يستقلّ
ومنها:

خذها عروساً أتلك بكر ... لغيرك الدهر لا تحلّ
خذها وسق مهرها إليها ... إن لم يكن وابل فطلّ
ومن أخرى:

يا ملكاً آثر الصواب ... فباكر اللهو والشراب
لا يشرب الراح غير حرّ ... يرفع عن ماله الحساب
طابت لك الراح فاشربها ... صرفاً فصرف الزمان طاب
ستبصر الأرض عن قريب ... تلبس من وشيها ثياب
ما شئت من طائر تراه ... مغرداً ما خلا الغراب
ولست ليلاً ترى بعوضاً ... ولا نهاراً ترى ذباب

ومن أخرى أولها:

ديار بيض من نثار الدرهم ... ويبضك حمر من نثار الجماجم

الباب الخامس

في ذكر

أبي الفضل الهمداني

وحاله

وصفه ومحاسن نثره ونظمه

هو أحمد بن الحسين بديع الزمان، ومعجزة همدان، ونادرة القللك، وبكر عطار، وفرد الدهر، وغرة العصر، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القرينة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته، ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يحزم حرفاً ولا يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهداها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً. وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها.

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها.

وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه في آخر سطر منه ثم هلم جر إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوضح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النثر والنظم ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجل في أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطع.

وكلامه كله عفو ساعة، وفيض البديهة، ومسار القلم، ومسابقة اليد، وهرات الحدة، وثمرات المدة، ومجارات الخاطر للنظر، ومباراة الطبع للسمع، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتعلة على المعاني الغربية، بالأبيات العربية، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع، إلى عجائب كثيرة لا تحصى، ولطائف يطول أن تستقص وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح، حسن العشرة، ناصع الظرف، عظيم الخلق، شريف النفس كريم العهد، خالص الود، حلو الصداقة، مر العداوة وفارق هدم سنة ثمانين وثلاث وهو مقتبل الشيب غض الحداثة، وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستفد علمه واستترف

بحره، ورد حضرة صاحب أبي القاسم فتزود من ثمارها وحسن آثارها، ثم قدم جرح وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكن والاعتباس من أنوار واختص بأبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى، ونفقت بضائعه لديه، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف وأفضل على الأفاضل، ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته، وأزاح علله في سفرته فوافها في سنة اثنين وثمانين وثلاثة، ونشر ما بزه، وأظهر طرزه وأملى أربعمئة مقامة نخلها أبا الفتح الإسكندر في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الأفس وتلد الأعين، من لفظ أنيق قربي المأخذ بعيد المرام، وشجع رشيح المطلاع والمقطع كشج الحمام، وجد يروق فيم القلوب، وهزل يشوق فيسحر العقول، ثم شجر بينه وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهب ريح هدم وعلو أمره وقرب نجح وبعد صيته، إذ لم يكن في الحساب والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينر لمباراته، ويجتر على مجاراته، فلما تصدى هدم لمساجلته، وتعرض لتحك به، وجرت بينهما ما يجري مكاتبات ومباه ومناظرات ومناضلات، وأفضل السنان إلى العنان، وفرع النبع بالنبع، وغلب هذا قوم وذاك آخرون، وجرى من الترحيح بينهما ما يجري بين الخصمين حاكم والقرنين الوصل، طار ذكر الهدم في الآفاق، وارتفع مقدار عند الملوك والرؤساء، وظهرت أمانة الإقبال على أموره، وأثر له خلاف الزرق وأركبه كناف العز، وأجاب الخوارزمي داعي ربه فخلاً للهدم، وتصرفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة، ولم يبق من بلاد خراسان وسجن وغرت بلدة إلا دخلها وجنى وحب ثمرتها، واستفاد خيرها وأميرها، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا مطر منه بنوء، وسرى معه في ضوء، ففاز بر النعم، وحصل على غرائب القسم وألقى عصا بهر واتخذها دار قراره، ومجمع أسبابه، وما زال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفضل، والطهارة والستر والقديم والحديث، حتى وفق التوفيق كله، وخار الله له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشن وهو الفاضل الكريم الأصيل، الذي لا يزداد اختصاراً، إلا زيد اختيار، فانتظمت أحوال أبي الفضل بصهر، وتعرفت الق في عينه والقوة في ظهره، واقتنى بم ومشورته ضياعاً فاخرة وأثر معيشة صالحة وثروة ظاهرة وعاش عيشة راضية، وحين بلغ أشده وأرب على أربعين سنة ناداه الله فلباه وقدم على آخر وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثة، فقالت عليه نواب الأدب، ومثل حد القلم، وفقدت عين الفضل قرنها، وجبهة الدهر غرقتها وبكاه الأفاضل مع الفضائل، وراثه الأكارم مع المكارم، على أنه ما مات من لم يمت ذكره، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونشره، والله يتولاه بعفوه وغفرانه، ويحييه بروحه وريحانه، وأنا كاتب من طرف ملح ولفظ غرره، ما هو غذاء القلب ونسيم العيش وقوت النفس، ومادة الأنس.

فصول من كتاباته

فصل من رقعة له إلى الخوارزمي

وهو أول ما كتبه به

أنا لقرب دار الأستاذ أطل الله بقاءه ... كما طرب النشوان مالت به الخمر

ومن الارتياح للقائه ... كما انتفض العصفور بلله القطر
من الامتزاج بولائه ... كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره ... كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

ومن رقعة له إلى غيره

يعز علي أيد الله الشيخ! أن ينوب في خدمته قلبي، عن قدمي، ويسعد برؤيته رسولي، ويرد مشرع الأنس
به كتابي، قبل ركابي ولكن ما الحيلة والعوائق جم:

وعليّ أن أسعى وليس ... عليّ إدراك النجاح
وقد حضرت داره، وقبلت جداره وما بي حب للحيطان، ولكن شغف بالقطآن، ولا عشق للجدران، ولكن
شوق إلى السكان.

ومن أخرى لا أزال لسوء الانتقاد، وحسن الاعتقاد، أبسط يمين العجل وأمسح جبين الحجل، ولضعف
الحاسة، في الفراسة، أحسب الورم شحماً، والسراب شراباً، حتى إذا تجشّمت موارده، لأشرب باردة، لم
أجده شيئاً.

فصل حضرته التي هي كعبة المحتاج، لا كعبة الحجاج، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم، ومنى الضيف، لا منى
الحرف، وقبلة الصلات، لا قبلة الصلاة.

فصل ورد للخوارزمي يتلق فيه عن جنب الحر وتلقى على جمر الضجر، ويتأوه من خمار الحجل ويتعثر في
أذيال الكلل ويذكر أن الخاصة قد علمت الفل لأي كان فقلت: ست الباب علم والخوارزمي أعرف
والأخبار المتظاهرة أعدل والآثار الظاهرة أصدق وحلبة السباق أحكم وما مضى بيننا أشهد والعود إن نشط
أحمد ومتى استزاد زدناً، وإن عادت العقرب عدناً وله عندي إذا شاء كل ما ساء وناء، ولن يعدم إذا زاد
نقداً يطير فراخه، ونفقاً يصم صمم، وما كنت أظنه يرتقي بنفسه إلى طلب مساماً بعد ما سقيته نقي
الحنظل، وأطعمته آخر بالخردل فإن كان الشقاء قد أستطيع، فالنفس منتظرة، والعين ناظرة، والنعل حاضرة،
وهو منّي على ميعاد، وأنا له بمر.

فصل منه قد شملتني على رغم أطراف النعم، ومطر سحب المنن، ورغم التراب، وللحاسد الحائط والباب،
وللكارة اليد والناب.

فصل من كتاب إلى أبيه

للشيخ لذة في العب والسبّ، وطبيعة في العنف والمنع، فإذا أعوزه من يغضب عليه فأنا بين يديه، وإذا لم يجد
من يصونه، فأنا زبون، والولد عبد ليست له قيمة، والظفر به هزيمة، والوالد مولى أحسن أم أساء، فليفعل
ما شاء.

فصل من كتاب تعزية إلى أبي عامر عدنان بن عامر بن محمد الضب

الموت خطب قد عظم حتى هان، وأمر قد خشن حتى لان، والدنيا قد تنكرت حتى صار الحمام أصغر ذنوبها، فلتنظر يمنة، هل ترى إلا محنة، ثم لعطف يسرة، هل إلا حسرة.

ومن كتاب له إليه أيضا

وإن يشأ الله يفض بنا الأمر إلى حال تسعه مولى وتسعني عبداً وشد ما بخلت بهذه الكلمة، ونفرت عن هذه السمعة، هذا الشيخ الشهيد أبو نصر رحمه الله مد لها الخط، فلم يحظ، وهذا ابن عباد شد لها الرحل، فلم يحل.

ومن رقعة

مثلك في السفارة، الفأرة، طففت تقرض الحديد فقيل لها: ويحك! ما تصنعين؟ الناب ودقة رأسه، والحديد وشدة بأسه، فقالت: أشهد، ولكني أجهد، وإن تنج من تلك الأسباب، فهي الذباب، مقادير لا معاذير.

فصل من رقعة إلى خلف

سمعت منشداً ينشد:

لحي الله صعلوكاً مناه وهمه ... من العيش أن يلقي لبوساً ومطعماً
فقلت: أنا معنى هذا اليت، لأني قاعد في البيت، آكل طيب الطعام، وألبس لين الثياب، ويف عليّ بذل، ولا يفوض إليّ شغل ويملاً لي وطب، ولا يدفع بي خطب، هذا والله عش العجائز، والزمن العاجز.
ومنها: الرأس أيد الله الأمير! كثير الخطب والضيف كثير التخليط، وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا الضيف أولى من قربه، وكأني بالأمير يقول، إذا قرئت عليه هذه الفصول: الهدم رأى بهذه الحضرة من الإنعام، ما لم يره في المنام، فكيف من الأيام، ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران، فعدل به عادل السكر، عن طريق السكر، وكأنه نسي مورده، الذي أشبه مولده، وإنما رفع لحنه، حين أشيع بطنه، واللثيم إذا جاع ابتغى وإذا شبع طغى، والهدم لو ترك بجلدته، يرقص تحت رعدته ما راتق في قعدته ولا تجشّ من معدته ولكنه حين لبس الحلة وركب البغل وملك الخيل والخيول، تمنى الدول، ورأس اليتم يحتمل الوهن، ولا يحتمل الدهن، وظهر الشقي يحتمل عدلي من الفحم، ولا يحمل رطلين من الشحم، ولولا الشعير، ما نهقت الحمير، ولو لم يتسع حاله، لم يتسع مجاله وكذا الكب يزمن، حين يسمن، ولا يتبع، حين يشيع وعند الجوع، يهم بالجوع.

فصل من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرحي في كريم يحضر ذلك الجنب فيحسن المناب ولا أعدم إن شاء الله بتلك الساحة الكريمة، من يتحل بهذه الشيمة، على أن الطباع إلى الدم أميل، والعقرب إلى الشر أقرب، واللسان بالقدح أجرى منه بالمدح، والحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعين تدرك دقائق القبح، والمهر جسد كله حسد، وعقد كله حقد فلا يجذب التخلق بضيعه عن طبعه، ولا يأخذ التكلف بخلقه، عن طريقه.

رقعة له إلى مستح عاوده مرارا

وقال له: لم لا تديم الجود بالذهب كما تديمه بالأدب؟! عافاك الله، مثل الإنسان في الإحسان كمثل الأشجار في الثمار سبيله إذا أتى بالحسنة، أن يرفه إلى السنة، وأنا ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي، أما القواد فيعلق بالوفود، وأما اليد فتول بالجود، لكن هذا الخلق النفيس، ليس يساعده الكيس، وهذا الطبع الكريم، ليس يحتمله الغريم، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما؟ والأدب لا يمكن ثر في قصعة، ولا صرفه في ثمن سلعة، ولي من الأدب نادرة جهدت في هذه الأيام بالطباخ أن يطبخ لي جمع الشم لونا فلم يفعل، وبالقصا أن يسمع أدب الكتاب لم يقبل، وأنشدت في الحمام ديوان أبي تمام فلم ينفذ، ودفعت إلى الحج مقطعات اللجام فلم يأخذ، واحتج في البيت إلى شيء من الزيت، فأنشدت من شعر ألفاً ومائتي بيت، فلم تغن، ولو وقعت أرجو العجاج في توابل السكب ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع فما أصنع، فإن كنت تحسب اختلاف إليّ فضل عليّ فراحت في أن لا تطرق ساحتي، وفرجي في أن لا تجيء، والسلام.

وكتب إلى صديق له رقعة نسختها

قد طبخت لسيدي حاجة إن قضاها وبلغ رضاها ذاق حرارة الإعطاء، أباهما وفلّ شباب لقي مرارة الاستبطاء، فأى الجود أخف عليه: جوده بالعلق النفيس، أم جوده بالعرض الخسيس ونزوله عن الطريف، أم الخلق الشريف؟؟

فأجابه عنها بهذه الرقعة

جعلت فداك هذا طبخ، كله توبيخ، وثريد، كله وعيد، ولقم إلا أنها نقم ولم أر قدراً أكثر منها عظماً، ولا أكل أكثر مني ظماً، ما هذه الحاجة؟ ولتكن حاجتك من بعد ألين جوانب، وألطف مطالب!

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي

كتابي أطال الله بقاء الأمير، وبودي أكونه، فأسعد به دونه، ولكن الحريص محروم، لو بلغ الزرق فاه، لولا قفاه، وبعد فإني في مفاتحته بين ثقة تعد، ويد ترتعد، ولم لا يكون ذلك والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره،

ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره، وإذا لم ألقه، فلم أجهل إلا خلقه، وما وراء ذلك من تال أصل ونشب، وطاف فضل وأدب، فمعلوم تشيد به الدفاتر، والخبر المتواتر، وتنطق به الأشعار، كما تختلف عليه الآثار، والعين أقل الحواس إدراكاً، والآذان أكثرها استماع فصل، من رقعة إلى الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد: أنا أحاطب الشيخ الإمام والكلام مجون، والحديث شجون، وقد يوحش اللفظ وكله ود، ويكره الشيء من فعله بد، هذه العرب تقول لا أبال في الأمر إذ هم، وقاتلة الله ولا يريدون الدم، ويل أمة للمراء إذا هم الأولى الألباب في هذا الباب أن ينظروا من القول إلى قائله، فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشن، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حسن.

وله إليه رقعة

يا لعباد الله القرض، ولا هذا الرخص، والزاد ولا هذا الكساد، أمرض ولا عاد، إذ شيع الزنجي بال على التمر، وهذا بول على الجمر، ويوشك أن يكون له دخان. فصل مثله كمن صام حولاً، ثم لما أنظر شرب بولاً.

ومن أخرى

الماء إذا طال مكثه، ظهر خبثه، وإذا سكن متنه، تحرك ننته، كذلك الضيف يسم لقاءه، إذا طال ثوره، ويثقل ظله، إذا انتهى محله.

فصل من كتاب

نمت الحكماء عن صحبة الملوك، وقالوا: إن إذا خدمتهم ملوك، وإن لم تخدمهم أذلوك، وإهم يعظم في الثواب، رد الجواب، ويستقلون في العقاب، ضرب الرقاب، وإهم ليعثرون على العثرة من خدمهم فيبنون لها مناراً، ثم يوقدون ناراً ويعتقدونها ناراً، وقالوا: كن من الملوك مكانك من الشمس، إنها لتؤذيك والسماء لها مدار، والأرض لك دار، فكيف لو أسفت قليلاً، وتدانت يسيراً، وإن العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتخذ سرباً لو إذا منها وهرباً، ويتغنى في الأرض نفقاً، فراراً منها وفرقاً.

رقعة في التماس الخطب

كم الله من حبر إذا جاع حبر شجع، وإذا اشتهى الفقهاء كتب الرق، هذا تسب بعده تشب، قد عرف الشيخ برد هذا البرد وخروجه في سوء العشرة عن الحد، فإن رأى أن يلبسني من الخطب اليبس فرو، ويكفيني من أمر الوقود شئت، فعل إن شاء الله تعالى.

فصل أما الكتاب فلفظه فسيح، ومعناه فصيح، وأوله بآخره رهيب وآخره لأوله قرين، وبينهما ماء معين وحوار عين.

فصل أنا على بينة من أمري، وبصيرة في ديني، ولا أقول بعلوم أصحاب النجوم، وكما أعلم أن أكثرها زقّ وريح، أرى أن بعضها حق صحيح، وكان لنا صديق لا يؤمن بالصبح إيمانه بالنجوم، قرى عليه إن الله يأمر بالعدل والإحسان، فقال: إن رضي النحس.

فصل والله لولا يد تحت الحجر، وكبد تحت الخنجر، وطفل كفرح يومين قد حببت إلى العيش، وسلب من رأسي الطيش، لشمخت بأنفي عن هذا المقام، ولن صبراً جميلاً والله المستعان.

فصل إنما يجبس البار ولو ترك القط لطار كل مطار.

فصل لم أر مثلي علق مضمّن يرمي به من حالق، ولكن رب حسناء طالق.

فصل من رسالة في ذم الشدق إلى الرئيس أبي عامر

هذا هو العيد، وذلك هو الضلال البعيد، إنهم يشبون ناراً هي موعدهم، والنار في الدنيا عيدهم، والله إلى النار يعيدهم، ومن لم يلبس مع اليهود غيرهم، لم يعقد مع النصارى زناهم، ولم يشب مع الجوس نارهم، إن عيد الوقود لعيد فيك، وإن شعار النار لشعار شرك، وما أنزل الله بالشدق سلطاناً، ولا شرف نير ولا مهرجاناً، وإنما صب الله سيوف العرب على رءوس العجم لماكر من أديانها، وسخط من نيرانها، وأورثكم أرضهم وديارهم وأمواهم حين مقت أفعالهم.

فصل منه إن هذا الدين لذتبات، الصوم والفظام شديد والحج والمرام بعيد والصلاة والمنام لذيد، والزكاة والمال عزيز، وصدق الجهاد والرأس لا يثبت بعد الحصاد، والصبر الحامض والعفاف اليابس، والحد الحشن، والصدق المر، والحق الثقيل والكظم، وفي اللقمة العظم.

فصل الوحشة تقتد في الصدر، اقتد النار في الزند، فإن أطفئ بارت وتلاشت، وإن عاشت طارت وطاشت، واقطر إذا تدرك على الإناء امتلاً وفاض، والعب إذا ترك فرخ وباض.

فصل من لقينا بأنف طويل، لقينا به بخرطوم فيل، ومن لحظنا بنظر سرر، بعناه بثمان نزر.

رقعة إلى خطيب

الجالس أيد الله الخطيب لا تطيب إلا بالمسامرة، والخطيب فضيحة الدنيا ونكل الآخرة، وقد حضر الخطيب كان، فليحضر الخطيب الآن، تصديقاً لقول الله تعالى ومن البقر اثنين.

أخرى سلمت على لان فرد جواب يرد على الوكلاء بشرط الإيمان، واقتصر من البشاشة، على تحريك الشاشة، ومن الاستقبال، على تحريك السب.

فصل جارنا رجل يصحب السرير، ويسحب الحرير، ويفترش الحبر، ويخوض العبير، ويظلم الصغير، ويجالس الفقير، ويؤكل جبر، بعيد بون بينهما بعيد.

فل لو كان حمار لنفتش عليه التبن ونقلت على ظهر اللبن، أفاد عنه الغرامة، لا ولا كرامة، من ذاك الثور، حتى يحتمل عنه الجور؟ الموت والله ولا هذا الصوت، والمنية ولا هذه أمنية الدين.

فصل أما الآن والحال من الضيف يحتال، والأيام كأنها ليال، تولف والوجه بال، والكيس والرأس خال،
واللحم في السوق غال، والقدر حليف خيال.

فصل له من رقعة

يا شبر، ما هذا الكبر يا فتر، ما هذا الستر يا قرد، ما هذا البرد يا أرجو، متى الخروج يا فقاع ويا
فقاع، ويا فراي، متى تراني ويا لقمة الخجل نحن ببابك، ويا بيضة الغد من أتى بك ويا دبة، ويا حبة، ويا من
فوق الكتب، ويا من قربه المذبة ويا من خلقه المسبة ويا دمل ما أوجعك، ويا قمل لنا حديث معك فإن
رأيت آذنت والسلام.

فصل أعجوبة، ولكنها محجوبة، حتى تصلي على النبي بنشاط، وتنزل عن قيراط، ما هي رحمك الله؟ صبراً يا
خيث، إليك يساق الحديث إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحان، روح ولا جسد، وصوت ولا
أحد والعود أحق ومتى فر يا بيد ويا أسخف من ناقد على راقد وشر دهر آخره، ويا عجباً أيلد الأغر
البهيم، ولد آزر إبراهيم:

يا أيها العام الذي قد رابني ... أنت الفداء لذكر عام أولاً
وما أفدى العام، لكن النعام ... ولا أشكو الأيام لكن اللثام عام أول
عدنان، والعام هذا القرنانلنا في كل أوان أمير يملأ بطنه، والجار جائع، ويحفظ ماله والعرض ضائع:

تبدلت الأشياء حتى خلقتها ... ستبدي غروب الشمس من حيث تطلع
كانت السيادة ي المطابخ فصارت في المطبخ، أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشار ولئن سمت أقف،
لقد أمحل في:

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ... ولا يدرّ على مراكم اللبن
فصل من رقعة إلى من اسم شراً في يوم مطر

عافاك الله! العاقل إن وافى أبوه على جهل البريد، من المضرب البعيد في الخطب الشديد يومنا هذا لم يستقبل
حمار وإن مات لم يشيع جنازته وحل إلى الراكب، ومطر كأفواه القرب ورجل ظاهر النفاق يلتمس الشراب
من لا يرى قربه، فكيف شربه، على أنك إلى الشرب أحوج منك إلى السكر ألا ترى كيف من الله على
البيوت بالثبوت، وعلى السقوف بالوقوف، ألا تنظر إلى هذا المطر، أمطر عمارة هو أم مطر خراب، وسقيا
رحمة هو أم سقيا عذاب.

فصل كتابي والتي نقضت غزها بعد قوة أنك، طالق ثلاثاً، مردودة على أهلها من ورائها البقرة، لا ترجع
لخرقاء، أو ترجع العنقاء، والله ما نقض الغزل بعد قوة، أسخف من نقض عهد وأخوة، ليس أرش الغزل إذا
نقض أرش الفضل إذا رفض ولم يجعل الله إضاعة الصوف، ضاع المعروف، والحق ثقيل، وهو خير ما قيل.
فصل حديث الكتاب ما حديث الكتاب، وصل جحيم هائل، ليس وراءه طائل، لا يدري ألف أم نون
وسطور كدي السرطان على الحيطان، وألفاظ أخلاط، لا يدركها استنباط، ولا يفهمها بقر، هذيان الخول،

ودواء المهموم.

فصل ومثلك من ذب، عمن أحب، ولكن لذب أبواباً، ولكل مر جواب، تعلم أنه ليس في أبواب الذنب، أضعف من باب السب، وإذا تلوت قول الله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً علمت أن سلاح خصم أقوى، والناس رجالان كريم ولئيم، وكل بأن لا يسب خليف، إن الكريم لا ينكر الفضل، وإن النذل لا يألم العدل:

يجبك منه عرضاً لم يصنه ... ويرتع منك في عرض مصون

وهل أفرض لك مسألة الذنب في الذباب لتعلم أن اتقائه بال خير من اتقائه بالمذبة، وأن ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذلة، فإن كان لا بد من انتقام واستيفاء فأعنيك بالله أن تجهل أن آذان الأنمل في القتال وهي آذان لا تسمع إلا تسمع إلا من ألسنة نعال الأم، وترجمة أكف الخدم، وعلامة فهمها جحوظ العينين، وخلر اليدين.

فصل وجدتك تعجب أن يجد لئيم فضل صنيعة، فخفض عليك يرحمك الله، إن الذي تعجب منه يسير، في جنب ما يجده من الناس كثير إن الله تعالى خلق أقواماً وشق لهم أبصار وآتاهم بصائر فغاصوا بها على عرق الذهب فقصده ولم يزالوا بالنجم حتى رصد، واحتالوا للطائر فأنزلوه من جو السماء، وللحوت فأخرجوه من الماء، ثم جحدوا مع هذه الأفكار الغائصة والأذهان النافذة صانعهم فقالوا: أين وكيف؟ حتى رأوا السيف، فلم تعجب أن جحدوا فضلاً ليست الأرض بساطه، ولا الجبال سماء، ولا السماء فعل، ولا الليل رباطه، ولا النهار صر، ولا النجوم أشراط، ولا النار سباط.

فصل ما أشبه وعد الشيخ في الخلاف، إلا بشجر الخلاف خضرة في العين، ولا ثمر في العين فما ينفع الوعد، ولا إنجاز من بعد، ومثل الوعد مثل الرعد، ليس له خطر، إن لم ته مطر.

فصل كان عندنا رجل فار الأفراس، فاخر اللباس، لا يعد من الناس ولا تظن أن الإنسانية بساط قوين، ولا ثوب سق طول، ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن، أو وقع من لبن.

فصل معاذ الله لا أشفع لضارب القلب، ولا أرضى له غير الصلب، واعتقد في دار الضرب، أنها دار الحرب، ولكن يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتيبنوا فصل لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين، ما في وقتنا للمهاجرين، وما جاز لعله الأصحاب، ما يجوز لأزواج القح. فصل كثر تردد أصحابي إلى فلان، فما يعيرهم إلا أذنأ صماء وباباً أصم وكان يما بلغني يأذن في باب الخاصة للعامة فصار يأذن في باب العامة للخاصة وإنما تولى جاراها من تولى فار، ومن لم يول منافعها لم يول مضارها.

فصل من كتاب إلى ابن فارس

نعم أيد الله الشيخ، إنه لح المسنون وإن ظلت الظنون، والناس لآدم، وإن كان العهد قد تقادم، وارتكبت الأضداد، واختلط الميلاد، والشيخ يقول: قد فسد الزمان، أفلا يقول: متى كان صالحاً؟ في الدولة العباس فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها، أم الملة المر وفي أخبارها: لا تكس الشوق غبار أم السنين الحربية:

والرمح يركر في الكلى ... والسيف يغمد في الطلاء

ومبيت حجر في الفلا ... والحرتان وكرب

أم البيعة الهاشمية، وعلي يقول: ليت العشرة منكم براس، من بني فراس، أم الأيام الأموية والنفي إلى الحجاز، والعيون إلى العجز؟ أم الأمانة العدو وصاحبها يقول: وهل بعد البدر؟ أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول: طوب لمن مات في أنا الإسلام، أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل: اسكني يا فلانة، فقد ذهبت الأمانة أم في الجاهلية وليد يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجر

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول:

بلاد بما كنّا وكنا نحبها ... إذ الناس نلس والزمان زمان

أم قبل ذلك وروى عن آدم عليه السلام:

تغيرت البلاد ومن عليها ... وجه الأرض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وما فسدت الناس، وإنما طرد القياس، ولا أظلمت

الأيام، وإنما امتد اظلام، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح، ويمسي إلا عن صباح؟ فصل منه وإني على تويخه لي لفقير إلى لقائه، شفيق على بقائه منتسب إلى ولائه، شاكر لآلائه، وإن له على كل نعمة حول الله ناراً، وعلى كل كلمة علمها مناراً ولو عرت لكتابي موقعاً من قلبه لا غنت خدمته به، ولرددت إليه سور كأس، وفضل أنفاسه ولكني خشيت أن يقول: هذه بضاعتنا ردت إلينا، وله أيده الله العب، والمودة في القربى والمر، وما ضمه الجلد ونال الباع، وما ضمنه المشط:

والله ما هي عندي رضى ... ولكنها جلّ ما أملك

واثنان قلما يجتمعان الخراسان والإنسانية، وأنا وإن لم أكن خراساني الطين، فإني خراساني المدنية، والمرء من حيث وجد، لا من حيث يولد، والإنسان من حيث يثب، لا من حيث ينبت، فإن نضع إلى خراسان ولادة هدم ارتفع القلم وسقط التكليف، فالجرح جبار، والجاني حمار ولا جنة ولا نار، فليحتمل الشيخ على هنا، أليس صاحبنا يقول:

لا تلمي على ركافة عقل ... إن تيقنت أنني هدم

فصل بعض الظن إثم، ولكن بعض الإثم حزم، وبلغني أن القاضي يريد أن يسجل، فأريد أن لا يجعل، حتى أحضر فينظر فيم الخصومة، وأنظر كيف الحكومة.

فصل أنت أيلك الله إذ قلدت البريد، وبردت هذا البريد، تؤذن أنك لو وليت الديوان، لحجبت الدبر، ولو قلدت الوزارة ما كنت تصنع، كنت أول من تصفح، وإن هان على سبل الطباع وهو الحليفة فمن الجيفة؟ يا شيخ حشمة في الرأس، وعرة بين الناس، وإذا ارتفعت فألاقتها نيمة، وليس للناس قيمة، ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت إلا حائك، وإلا من جملة أولئك.

فصل شراب من ذاقه أخ، وصوت من يسمعه أخ، وشرف من ناله أخ.

فصل ألا وإنّ في صدري لغصّة، وإن في رأسي لقصة، وإن لكل مسلم فيها لحصة، وإن هذا المقام فيها لفرصة.

فصل من كتاب إلى عدنان

أشهد لو خير الرئيس ما اختار فوق ما اختار له، وما الغيب، أكثر مما في الجيب، وما بقي، أحسن من الذي لقي:

هنيئاً وزاد الله ضبّ سؤدداً ... وذلك مجد يملأ العين واليد

لك اليوم أسباب السموات مظهراً ... وما اليوم مما سوف تبلغه غداً

فصل أنا، وأنا غرس الشيخ، ألف العمامة، على فضول لا تقلها جبال تهامة، ثم أسبح في الماء الغزير، وأعتقد بالأمر والوزير، ثم استظهر بسجل القاضي، ثم الشيخ هو المتعصب، ولا حلية مع ابن جميلية، العار والله والنار، والقتل والدمار، والعسل والزن، والشباب والتراب المسار.

فصل وحرب تريد جنهم حطب، وعجب تريد أسوا منها منقلباً.

فصل أبق الله بقاء الشيخ الرئيس عدنان: أحدهما الذي أنبت عليه شجرة من يعطي، والآخر الذي قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، وأنج هذا من الظلم، ومد لذلك في الحياة، فعرف لكل عاى مقدار حرمة حق خدمته.

فصل مضى العيد فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر، ولا فضل القدر، ولا لفظات الذكر، وأسمع الناس، يقولون إن الشيخ مستبد لي موحش مني وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية وأنا كالحية ضمن أن لا ألسع ولا ضمن أن لا يفرع.

فصل وصلت رقعة الشيخ فسرت شوها، ونطقت وراء تعثر في أذيالها تقول خذوني، والطاعون المذنب سكران يتغافل.

فصل يعجبني أن يكون الشيخ عريض اللسان طويلة، حسن البيان جميلة، ولا يعجبني أن يطول لسانه حتى يمس به جبينه، ويضرب به صدره، ويحك به قفاه، فخير الأمور أوساطها، وأمام الساعة أشرط والغاية سوية، وتقضي فرقة.

فصل لولا شفيت من القلب، لربطتك مع الكلب، ولكن لا حيلة حصارك، وكلّي نصار.

فصل مغرز إبرة وألفا عبرة، رعاة رع، ورعايا شجاع، أمير ولكنه في الحمير، ووزير ولكنه خنزير وما شئت من البرد تحمل، ولا شيء من الحمية.

فصل أراي أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس وهبت الريح أو نجم النجم أو لمع البرق أو عرض الغيث أو ذكر الليث أو ضحك الروض، إن للشمس محيا وللريح رياح وللنجم حلاوة وعلاه وللبرق سنة و سنة و للغيث يده ونداه ولليث حماة و للروض سجاياه، ففي كل صالحة ذكراه، وفي كل حادثة أراه، فمتى أنساه، وأشد شوقاً، عسى الله أن يجمعني وإياه.

فصل سألني العم عن حالي بهذه البلاد وإنني في بلاد وإن لم يكن لأهلها تمييز، فأنا بينهم عزيز يطعمونني تقليد، ويردونني فريداً، والمال يجتنب فيضاً لكن لا أبلعه ريقاً، ولا أكره لو تفريقاً، فهو يأتي مداً ويذهب جزر.

فصل خلق ابن آدم خلقة الفراش مماته في المعاش، ومساره طي المضار، وإلا بين لمثلي إذا خرج من بلدة أن تبسّد خلقة الحصاة، وتكسب بعده العرض وتوقد في أثره النار، ويثار في قفاه الغبار، ويحن لفراقه الكلب، ويسد لأوبته الأذنان، وتغمض عن رجعتة العيان، ويقول كم سنة تعد، ورب سلم لا يرد، وما قدرت أن الشيخ بعد ما كفاه الله شر مقام، وأصح سماؤه من أشغالي وصفا جوه من لقائي، يشتاقت طلعت شوقاً بيعته على عتابي، وبهزه لاستعطائي، ولا شك في أنه اشتته كما يشتهي الجرب الحك، وله العتي فستأتيه كني تباعاً ورسلي ولاء، وحاجاتي قطاراً.

فصل إلى الأستاذ أبي بكر بن إسحاق

الأستاذ المهدي يأمر غاشية مجلسه، أن يفتشوا أعطاف المقبرة وزواياها، فإن وجدوا قلباً قري، يحمل وداً صحيحاً، وكبداً دامية، تقل محبة نامية، فأنا ضيعتهما بالأمس، عاى ذلك الرمس، رضي الله تعالى عن وديعته، وعنا معشر شيعته، فليأمر بردهما إليّ، فلا خير في الأجساد خالية من القوادر، وعاطلة عن الأكباد.

فصل إلى ابن أخيه

أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والدفتر أليفك، وحليفك، فإن قصرت ولا أخ، فغيري خالك.

فصل من كتاب إلى ابن فريغون

كتابي والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألقه، فقد تصورت خلقه، والملك العادل إن لم أكن لقيته، فقد بلغني صيته.

فصل إن لي في القناعة وقتاً، وفي الصناعة بختاً، لا يبعد عن منال المال، بل يجين فيضاً، ويتطفل علي أيضاً، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون ولم يستغن عنها قارون، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال، لا قصد سؤال، والرجوع عنها بحال، أحب إليّ من الرجوع بمال، قدمت التعريف، وانتظر الجواب الشريف.

فصل إن أيامي منذ لم أره ليال، وإن من حبسي لفي طل بال وإن العيش لا يلتئم إلا بعزه، والعافية لا تطيب إلا في ظله.

فصل إن الجميل عندهم من وراء جدار، والقبيح نار على منار، فإذا مدحوا سيرة رجل فقد حمدوا عشرته، ولم يبق فيه طمع للسبك، ولا موضع للشك.

فصل ليست التجربة خمسة جرب، إنما هي دفعة والتقدم ولفظة، ثم إن العاقل بفطنته كي فيقيس، والجاهل

بغفلته يخس ويخس، يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك، وليست هذه الدار بدارك، ولا السوق سوق متاعك،
ناسب الكتابة وما وسقت، والأقلام وما نسفت، والخابر وما بسقت، وشجاع إذا اتسقت، واللوم ولا هذه
العلوم.

فصل إني والله لأرحم عقل طرفة إذ قال:

وليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوئاً حول قبتنا تخور
كيف ضرب المثل في الشر وقلة الخير، بما هو خير كله وإن رعت لتعذره برسلها، وتحبوه بنسلها، وتكسوه
بصوفها، وتنفعه بغيرها، وتغيظ عدوه بسراحها، وتقر عينه برواحها:

وتملأ بيته قطرة وسمناً ... وحبسك من غنى شبع وري
ثم أرجع إلى حديثك: تمنى مكانه رغوئاً، وأتمنى مكانك برغوئ، إن البرغوئ، أجدر منك أن يغوص، أعلم
أنك غرس، والغرس تيس، وحش، وما حسبتني أفقد منك منافع التيس، ولكن ما أصنع والعقل ليس.

فصل ما أعرف لعمار مثلاً إلا الغراب بقي، مذموماً على أي جنب وقع، إن طار فيقسم الضمير، وإن وقع
فروع النذير، وإن حجل فمشي الأسير، وإن شح فصوت الحمير، وإن أكل فدبر البعير، وإن سرق فبلغة
الفقير، كذلك ابن عمار، إن حذفت عينه فالحين وإن حذفت ميمه فالشين وإن حذفت راؤه فالرين، وإن
صحف خطة فال وإن زرتة فالحجاب الثقيل، وإن لم يزره فالعتاب الطويل.

فصل بلغني أن الشيخ دائم العبث بلحمي، والنقل بشتمي، وأنه حسن البصيرة في نقضي، كثير التناول من
عرضي، ولحم الودي، لا يصلح للقد، ودم الصديق، لا يشرب على الريق، والولي لا يقل، ولا يتخذ نقل،
وحسب الغريم أن لا يوفى، ومن منع الصدقة فليقل قولاً معروفاً.

فصل لولا ود الفقيه، وأنا أستيقه، لشتمت العام والخاص، وذكرت العاض والماص، ولتجاوزت دار
الرجال إلى حجرة العيال، ما هذه الأشعار التي كتبها، والفصاحة التي عرفها، بكر وتألم الطلق، أعلى رأسي
يتعلم الخلق.

فصل وحرب، وإليك شكوى الحرب، وأظن أجلي قد أقرب، ربّ توفي مسلماً، وألحقن بالصالحين.

فصل حرس الله هذه الدنانير، ورزقنا منها الكثير، إنما لتفعل ما لا تفعل التوراة والإنجيل، وتغني ما لا يغني
التنزيل والتأويل، وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل.

فصل من تعزية بحرمة

على أن النساء كالصدف، إذا انتزعت منه درّة الشرف لم يصلح إلا للتلف، والسعيد من حمل من دار
الأمير نعشه، وأسعد منه من جدد فرشته، ولا خلة بالرجل أليق من الصبر، ولا حصن للنساء أمتع من القبر،
أسأل الله الذي سلبه الكرم أن يمتعه بعينها، ولا خير في النخلة وراء رطبها.

فصل قد توسطت الشباب، وتطرفت المشيب، وقبضت من أثر الزمان ونظرت في أعقاب الأمور، وطرت
مع الملوك، ووقعت مع الخطوب، والحي يأمر وينهى وفارقتها والموت حزن ينظر.

فصل لو أني مولاي وأنا في قميص بأذنين، وقباء ضيق الرد، وعمامة كالقبة، وخف تركي أعلاه جراب، وأسفله غراب، على بر مضطرب التقطيع، يرقصني كالرضيع لعلم كيف تجري الفرسان، وكيف تمسح الأذنان.

صل من كتاب إلى أبيه

ولسيدنا أسوة بيعقوب في ولده، إذ ظعن إليه من بلده وليس العائق سور الأعراف، ولا رمل الأحق، ولا جبل قاف، أخاف والله أن أموت، وفي النفس مني حاجة لم أفضها، أو منية لم أحظ بعضها.

فصل مثل الشيخ في التماس الخل، مثل المكر في التماس الخل، تقدم إلى الخل فقال: يا منكر العيال صب قليلاً من الخل، في هذا الإناء الجل فقال الخل: قبح الله الكسل، هل التمتست بهذا اللفظ العسل؟ فصل يا هؤلاء تكبروا الله في بلاده، ولا ترد في مرد، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وما أرى آل فلان إلا مقدرين أنهم لم يأخذوا خراسان قهر، إنما كانت لأهمهم مهراً فلم حولها تخيط، والله من ورائهم محيط.

فصل إني لأعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق، ومن عنق يقل ذلك الرأس فلا يند.

فصل كتابي كتاب من نسي الأيام وتذكره، ويطوي العالم وينشره، ثم ينبذ أبناه دهر، وراء ظهره.

فصل أنا على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الأرض، وعاشرت أجناس الناس، فما أحد إلا بالجهل تبعه، وبالبعثه، وبالظن أخذته وبالنبذته، وما مدح وضعته في أحد إلا أضعته، ولا حمد صرفته في أحد إلا عرفته، ومن احتاج إلى الناس، وزنهم بالقسط ومن طاف نصف الشرق، لقي ريع الخلق.

فصل في مدح الأمير حلف

جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى مخدوماً عن خدمه، ومنعماً على نعمه، وأعانه على همه فلو أن البحار عدده، والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه، فوا الله ما التمر بالبصرة، أقل خطراً من البدرة، بهذه الحضرة أني لا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جنح الليل، ولا شيء أيسر من الدينار، بهذه الديار، بينما المرء في سنة من نومه لعب يومه وقصار قوت يومه، إذ يقرع الباب عليه قرعاً خفياً ويسأل به سؤلاً خفياً ويعطي ألفاً خلفياً.

فصل للشيخ من الصدور ما ليس للفقراء، ومن القلوب ما ليس للأولاد فكأنما اشتق من جميع كبد، وولد بجميع البلاد سواء الحاضر فيه والبلاد وكل أفعاله غرة في ناصية الأيام، وزهرة في جنح الظلام، إلا أن ما أوجبه لفلان من روض أنا وسميه، وطوق أنا قمريه وعود جمر لساني، وخر سكره ضماني.

فصل إلى أبيه

إن الإبل على غلط أكبادها لتحن إلى أوطانها، وغن الطير لتقع عرض البحر إلى منظر، وبلغني أن ابن ذي اليمين طاهر بن الحسين لما ولي مصر داخلها مضروبة قباها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركب

ورجالاً والنشر يميناً وشمالاً، فأطرق لا ينطق حرفاً، ولا يرفع طرفاً، فقليل له في ذلك فقال: ما أصنع بهذا كله، وليس في النظارة عجائز بوشن.

والعجب من حاضر أنطو صاحب آل ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله واهلك قومه من أجله، وقيل له أدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فكأنه تمنى الجنة قلق قومه على سوء جوارهم، وقبح آثارهم. وهذا أخو كندة يقول:

وهل ينعم من كان أقرب عهده ... ثلاثين شهراً أو ثلاثة أحوال

فما ظنه بي لاثنتي عشرة سنة، على أن لي في رسول الله أسوة حسنة، وعسى الله أن يأتيني بكم جميعاً، أو يأتيكم بي سريعاً.

فصل وأجدن إذا قرأت قصة الخليل، والذبيح إسماعيل، أحسن من نفسي لسيدنا بتلك الطاعة، لو وقع البلاء، والعافية أوسع، وأظنه لو تلّني للجبن، وأخذ مني باليمين، لقطع لوتد، لصنته عن الأذنين، علي بذلك ميثاق من الله غليظ، والله على ما نقوله حفيظ.

فصل فتن تشن، ونار تلظى، وناس يأكل بعضهم بعضاً، فالنهار مصادرة، والليل مكابرة، وقتل عمرو وسلب زيد، ونج سعد، وهلك سعيد، وثمن الرأس منديل، والبينة العادلة سكين ودار الحكم بيت القار، واليمين الغم فلان الحمار، والجامع حانة الخمار ولا شيء إلا السلاح والصياح وكل شيء إلا السكون والصالح.

فصل قد أهديت له فارت مسك تصلان بوصول كتابي هذا، وبينهما من السلام أطيب منهما عرفاً، وأحسن وصفاً.

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجرم والصدق، وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود، وأراه البسطة في مراده، والغبطة في أولاده، والرشد في اعتقاده، ومكن له في بلاده، وله في غده أكثر مما في يده، وما بقي أطيب مما لقي، وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه، والقصاص تقرأ لديه، وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد، فأرى في المنام فيما يرى النائم كان قاتلاً يقول إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك، أضجرتك بانقطاعها عنك.

فصل وأظن الشيخ لو أُنِيَ لفلان، وما أقضي لأقصي العجب من وفيه.

فصل حج البيت مخ فستل عما رأى فقال: رأيت الصفا والجنون وقوماً يموج، وكعبة تزف عليها الستر، وترفرف حولها الطيور، وبيتاً كتبي ولكن سل عن البخت، لا عن البيت.

وابتاع بعض الهنود هذا اللحمي المشوي فاترن بدان أرطالاً، ثم وجد الكمثرى تباع من اللحمي، إن لم يعرفوا الدينار من الدرهم، فأنا اليوم حتى ينتصف المظلوم، سكن أبو شعر المقابر، فقال: أجاور قوماً لا يغدرون، فقليل له: مهل يا أبا موسى، إنما لا يغدو لأنهم لا يقدررون.

فصل من رقعة إلى تقيل ستأذن للخروج

نعم ولا حمر النعم، قاعة قع، كأنها ملساء، ومنهج عريان، تسلكه العميان، وسمت لا عوج فيه ولا أمت، وماء برد الشتاء، ولا يكدره الرشا، فاذهب حيث تشاء، والدنيا والعراق، والحبة بلا، ولك بالصين تحت والغنى غنى البحر، ولك ما سألت بمصر، وشر الحمام الداجن، ومقيم الماء آسن والكسل إضاعة، والطريق بضاعة، وإنك لتؤذن بالبين، وتصيح عن سري القين، ويلك ما هذه الرعونة، وما هذه الأخلاق الملعونة، تلمح بدلال، والله إنك مجاناً لغال، فابعد كما بعدت ثمود، وبرح فقد طال القعود، وأذهب ذهاباً لا تعود. فصل كتبت وليس الشوق إلى لقائه بشوق، إنما هو العظم الكسير، والنزع العسير، والسم يسري ويسير والنار تطيش وتطير وليس الصبر عن رؤياك بالصبر إنما هو الصبر معجوناً بالصاب، وتشريح العروق والأعصاب والقلب في الميسر والأنصاب والكبد في يد القصاب.

فصل مرحباً بالشيخ وبناقة تحمل رحله، وبأرض تلبس ظله، ويوم يطلع علينا وجهه وبليلة تلد قربه، وإنه يا خطي الناقة، فوق قوى الطاقة وبأرض نروي كما تنروي الجلدة في النار وبأمنظر انطو انطواء الحية والطور، وعجل إلى الظل ببارد الماء، ومن على البلد القفر بصائب القطر.

فصل أثني عليه لو رمى به الشتاء لعاد ربيعاً، أو دع الشباب لأب سريعاً، أو صب على الفراق لا نقلب شمالاً جميعاً.

فصل جرح وما أدراك ما جرح، أكلة من التين وموت في الحين، ونظرة إلى الثمار والأخرى إلى التابوت والخفار، ونجار إذا رأى الخراساني نجر التابوت على قده، وأسلف الحفار على لحده وعطار يعد بين الخنو يرسمه وبها للغريب ثلاث فتحات: أولها لكرام البيوت، والثانية لا بيت القوت، والثالثة لثمن التابوت.

فصل كأنما خلق للدنيا تحجي، وللوكةا تحجل، وكأنما خلق ليقبل المستحيل مانعه، وليصدق الخال سمعه فليؤمن أن البحر يمشي على رجلين، وأن الجند يتصور للعين وإن العدل يتسم، والدهر يتكرم، والشمس تتكلم.

فصل إن طلبت كريماً في أخلاقه متّ ولم ألقه، أو حكيماً في جوده، مت قبل جوده ولقد أفسدني على الناس وأفسدهم علي، فما أرضى بعده أحداً، ولم أجده مثله أبداً وهذا وصف إن أطلته طال، ونشر الأذيال، واستغرق القرطاس، والأنفاس، واستنفد الأعمار، والأعصار، ولم تبلغ التمام، والسلام.

فصل - كتبت ونصفي الراحل، والأحمال تشد، والعلوفات تعد، والجمال تقدم والجمال يشتم. وما أشبه نفسي في هذه الأسفار إلا بالخيال الطارق، أو بلمع البارق أو الغلام الآبق، أو الجواد السابق، أو بهرب السارق، أو السهم المارق، وإنما الشد والترحال، والخيال والبغال، والحمير والجمال.

فصل - عنوان الأحق كنيته، ثم بنيته، ثم حليته، ثم مشيته، والله لأعرف البحري، فهلا أبو حامد وأبو خالد. وإن امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها، وتعد يومها وشهرها. فهلا تجعل سرها وجهها، ثم تسميه البحري لرعناء لاستحق مهرها، وخليقة أن يطعم الله نهرها، فلا تلد دهرها ثم الوجه اللحيم، لا يحتمله الكريم، والأنف السمين، لا يحتمله الأمين. والقطف سير الحمير، والهرولة مشية الخنازير.

فصل - وما زالت جفنة آل تدور على الضيف، في الشتاء والصيف. حتى عثرت بحسان، فارقت ذلك اللسان. فسير فيهم القصائد الحسان. فهذا الزمان يخلق وهي جديدة، وتلك العظام بالية، وهذه محاسن باقية. وحق على الله أن لا يخلي كرما من لسان يث أحدوثته.

فصل - لسان كمقراض الخفاجي يضعه حيث يشاء، وبحر لا تكدره الدلاء، وصدر كأنه الدهناء وقلب كأنه الأرض والسماء، وشرف دونه الجوزاء.

فصل - الإنسان يولد على القطرة من ظرفه استظرفه، ومن لحه استملحه، ثم لا يسمى قرطباناً. حتى يسعى زماناً، فإذا تعب دهرًا طويلاً سمي كشحانا ثقيلًا، وإذا شب الصبي كان بالخيار، إن شاء سمي لحم الحوار، ولقب ذنب الحمار، وكنى كذب الخار وشبه بالجدار، وأطلال الدار وإن شاء نزهة الألباب، ومتعة الأحباب، ودمية الخراب، وفرحة الأياب وعلى الأم أن تلد البنين، وتغذوهم سنين، وتلهيهم الليل والنهار، وتقيم المار والنار، فإن خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها، وإن قرم السرّم، فليغيرها الجرم، وإن احتك السرج، فعلى الله الفرج، وعلى ابنها الحرج.

فصل - الوجه الحسن عنوان مخيل، وضمان جميل. فإن عضده أصل كريم، فأنا به زعيم، وإن نصره بيت قديم، فأنا له نديم، والشيخ بحمد الله دارة البدر حسن إشراق، وفارة المسك طيب أخلاق، وشجر الأترج طيب أعراق، وطيب مذاق، وطيب ورق وساق. وخرج على من هذه خصاله، أن ينبغي وصاله. فأنا أخطب إليه مودته. وأبذل روحي لها مهرا، فإن رأى أن يزوجنيها فعل إن شاء الله تعالى.

فصل - يلقي الشيخ بكتابي هذا من ذكر حريته فلقد أجدت، وثمره الغراب وجدت. ونعم ما اخترت، والخير فيمن ذكرت. وأجبتة إلى ما سأل، وسفنتجت له إلى الكريم بما أمل، وقلت: أده الآن، وخاط كيساً على ماله، وضمنت له قنينة آماله، فإن رأى أن يفك لساني، من سر ضماني، فعل إن شاء الله تعالى.

فصل - إن رضي الشيخ أن يواكل من لا يشاكل ويجانس من لا يؤانس.

فصل - مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والخراب تقدم إلى القصاب يسأله فلذة كبذ، فسد باليسرى فاه، وأوقع بالأخرى قفاه. فلما رجع إلى منزله بعث توقيعاً، يطلب جهلاً رضيعاً. كذاك أنا وردت فلا أكرم بسلام، ولا أتعهد بغلام، فلما وجدته لا يبالي بسبالي كاتبته أشفع لسواي.

فصل - سقاها الله من بلد، وأهلها من عدد، وفلانا من بينهم، ولا نصصت إلا على عينهم. وحذا كتابه واصلاً، ورسوله حاصلاً، فأني تحفة لم تصل بوصوله، وفضل لم يستفد من فصوله.

فصل - اليوم طلق، والهواء رطب، والماء عذب، والبستان رحب، والسماء مصحبة، والريح رخاء. فأين سيدي فلان؟ أشهد ما اليوم جميلاً، ولا الظل ظليلاً ولا الماء يبرد غليلاً. ولا النسيم يشفي عليلاً. وأقسم ما الروض إلا ثقيل، والأنس إلا دحيل، والدهر إلا بخيل. وفي ذلك يقول:

وإني لتعروني لذكراك روعة... كما انتفض العصفور بلله القطر

وليس الشوق إلى مولاي بشوق إنما هو وقع السهام، ولا الصبر عن لقياه بصبر إنما هو كأس الحمام، وما للسم سلطان هذا الهم، ولا للخمير طغيان هذا الأمر.

فصل - إن للشبان نزوة، وللأحداث رقة. ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون. ويفزعون، وإن كانوا لا يجزعون، ولقد نظرت في المرأة فرأيت الشيب يتلهب وينهب، والشباب يتأهب ويذهب، وما أسرج الأشهب إلا لخبر، وأسأل الله عاقبة خير.

فصل - أجديني قد اكتهلت، والكهل قبيح به الجهل، ولاحت الشعرات البيض، وجعلت تفرّخ وتبيض.

فصل - جرى الله المشيب خيراً فإنه أناة، ولا ورد الشباب فإنه هنات، وبئس الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه، وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار. أظن الشباب والشيب لو مثلاً لمثل الأول كلباً عقوراً، والآجر شيخاً وقوراً، ولاشتعل الأول ناراً والآجر نوراً، فالحمد لله الذي يبيض القار، وسماه الوقار، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد، إن السعيد من شابته جملة لم تخص بالبيض لحيته.

فصل من تهنته بمولود

حقاً لقد أنجز الإقبال وعده، ووافق الطالع سعده، والشأن فيما بعده، وحبذا الأصل وفرعه، وبورك الغيث وصوب، والروض ونوره، وسما أطلعت فرقداً، وغابة أبرزت أسداً، وظهر وافق سنداً، وذكر يبقى أبداً، ومجد سمي ولداً، وشرف لحمة وسدى.

فصل - كتابي من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه الخن كما يطحن الدقيقن وقلبتها كما يقلب الرقيق. وبلعتها كما يلع الريق، والحمد لله عل المكروه والخبوب وصلواته على نبيه وآله وقد خدمت الشيخ سنين، والله لا يضيع أجر الحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان، ومالحتة والمخالحة نسب دان، وسافرت معه والسفر والأخوة رضيها لبان، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان، وأثيت عليه والثناء من الله من الله عز وجل بمكان، وأخلصت له والإخلاص محمود بكل لسان، أفبعد هذه الحرمات، أنا طعمة فلان وفلان يتناولني سبعا في ثمان.

فصل - لعن الله فلاناً لا أراه في النوم، إلا أصاب في ذلك اليوم.

فصل - ورأى أفوهاً فاغرة. وأضراساً طاحنة، وعيالاً وأذيالاً الله وكيلهم، وأنا أزهم وأكيلهم.

فصل من كتاب تعزية

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ... ولكن نكء القرع بالقرح أوجع والله ما يضرب الكلب، كما يضرب هذا القلب. ولا يقطر الشمع، كما يقطر هذا الدمع، وما للسم سلطان على ها الغم، ونفسي إلى القبر، اعجل منها إلى الصبر. وأني بالموت، آنس منها بهذا الصوت. أولم يكفنا الجرح، حتى ذر عليه الملح؟ ألم أكن من فلان مثقل الظهر، فما هذه العلاوة على الحمل، ولم هذه الزيادة في الثقل؟ فصل - وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعراياً نام ليلاً عن جملة ففقده، فلما طلع القمر وجدته، فرفع إلى الله يده. فقال: أشهد لقد أعليته، وجعلت السماء بيته. ثم نظر إلى القمر فقال: إن الله صورك ونورك، وعلى البروج دروك. وإذا شاء قورك وإذا شاء كورك، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ولئن

أهديت إلى قلبي سروراً، لقد أهدى إليك الله نوراً، والشيخ ذلك القمر المنير، ولقد أعلى الله قدره، وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره. ونظر إليه وإلى الذين يحسدونه، فجعله فوقهم وجعلهم دونه. فصل المرء جزوع لكنه حمول، والإنسان في النوائب شמוש ثم ذلول. ولقد عشت بعد فراق الشيخ عيشة الحوت في البر، وبقيت ولكن بقاء الثلج في الحر.

فصل - توجه فلان إلى الحضرة، ويريد أن يقرن الحج بالعمرة، ولا يقتصر على المشتري دون الزهرة، ولا يقنع بالماء إلا مع الحضرة. وقصد من لشيخ الجليل يزخر بحره. وجعل الشيخ سفينة نجاته، وذريعة حاجاته. فصل - إن ذكر الجمال طلع بدرأ، أو السحاب زخر بجرأ، أو العهد رسخ صخرأ، أو الرأي أسفر فجرأ. أو الحياء رشح حمراً، أو الذكاء توقد جهرأ.

فصل - جرى الله خيراً عن بطن الساعب، وكف الراغب. وأعانه على همته ووفقه، وأخلف عليه خيراً مما أنفق، فليس لمثل هذا العام، إلا مثل ذلك الإنعام العام. فلو انتقر، هلك من افتقر، ولكنه أجفل وغمر الأعلى والأسفل، فكأنما عاد الشتاء ربيعاً ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً.

رقعة له إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد

جواباً عن رقعة صدرت إليه وقد ورد هراة مرحباً بسيدي إسماعيل، وجد يفعل الأفاعيل، ولا رقعة أرقع من هذه، ما نصنع برقعة، ونحن في بقعة. فليجعلها زيادة، ثم الحاجة مقضية، والحرمان مرعية. رقعة إليه أيضاً عند انصرافه

أنت يا سيدي أقرب رحماً، وأنفذ حكماً، ودونك الدار، ولك فيها المقدار، ويسرني أن لا تغيب ولا تغب، وتحب الخروج وأحب أن لا تحب. ولو علمت أي إذا ناصبتك أقمت، فعلت ذلك ولو نقت. فأقم ريثما تنقضي هذه الأشغال وتنقشع هذه الضبابات. فتفرغ لقضاء حقك، وتتسع لواجب لك. ثم إن آيت إلا الرج، وإلا الصد، فإني أراك قبل أن حصلت سرت، وقبل أن حوصلت طرت. وما قابلنا حقوقك إلا بالعقوق، والسلام.

فصل - لعلك يا سيدي لم تسمع بيتي الناصح حيث قال:

اسمع مقالة ناصح ... جمع النصيحة والمقه

إياك واحذر أن تكو ... ن من الثقة على ثقته

صدق الشاعر والله وأجاد فللثقة خيانة في بعض الأوقات. هذه العين تريك السراب شراباً، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً. فلست بمعذور، إن وثقت بمعذور. وهذه حال السامع من أذنه، الواثق بعينه. ورأى فلاناً يكشر غشيانك هو الدين دخلته، الرديء نخلته، السيء وصلته، الخيث جهلته، وقد قاسمته في أزرك، وجعلته موضع شرك، فأرني موضع غلطك فيه، حتى أريك موضع تلافيه. ما أبعد غلطك عن غلط إبراهيم عليه السلام! إنه رأى كوكباً، وبصر القمر وأبصرت القدر، وغلط في الشمس،

وغلطت في الرسم، أظاهاه غرك أم باطنه سرك؟ ومن هذا الفصل - وافتتح صلواتك بلعنه، وإذا استعذت من الشيطان فاعنه.

فصل من رقعة إلى وارث مال

العزاء عن الأعرزة رشد كأنه الغي، وقد مات الميت فليحي الحي، واشدد على حالك بالخمس، فأنت اليوم غريك بالأمس، قد كان ذلك الشيخ وكيلك يضحك ويكي لك، وسيعجم الشيطان الآن عودك، فإن استنالك رماك يقوم يقولون: خير المال متلفة بين الشراب والشباب، ومنفقة بين الحباب والأحباب. والعيش بين القداح والأقداح، ولولا الاستعمال ما أريد المال، فإن أطعتهم فاليوم في الشراب، وغدا في الخراب، واليوم واطربا للناس، وغدا واحرابا من الإفلاس.

يا مولاي، ذلك المسموع من العود، يسميه الجاهل نقرا، ويسميه العاقل عقرا، وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الآذان زمر، وهو غدا في الأبواب سمر، والعمر مع هذه الآلات ساعة، والقنطار في هذا العمل بضاعة.

فصل منه - ولله في مالك قسط للمروءة قسم، فصل الرحم ما استطعت، وقلدر إذا قطعت، ولأن تكون من جانب التقدير، خير لك من أن تكون من جانب التبذير.

فصل - أشار إلى ضالة الأحرار، وهي الكرم مع اليسار، ونبه على قدر الكرام، وهو البشر مع الإنعام، وحدث عن برد الأكباد، وهو مساعدة الزمان للجواد، ودل على نزهة الأبصار وهو الثرى. ومتعة الأسماع وهو الثنا. وقلما اجتماعا ووجدا معاً.

فصل - الأمير الفاضل الرئيس رفيع مناط المهمة، بعيد منال الخدمة، فسيح مجال الفضل، رحيب مخترق الجود، طيب معجم العود:

قلو نظمت الثريا ... والشعرين قريضا

وكاهل الأرض ضرباً ... وشعب رضوى عروضاً

وصغت للدرّ ضدّاً ... أو للهواء نقيضاً

بل لو جلوت عليه ... سود النوائب بيضا

أو ادّعت الثريا ... لأخصيه حضيضاً

والبحر عبداً لها ... عند العطاء مغيضاً

لما كنت إلا في ذمة القصور وجانب التقصير. ولكني أقول الشاء منجح أنى سلك، والسخي جوده بما ملك، وإن لم تكن غرة لائحة فلمحة دالة، أو إن لم يكن صداء فماء. أو لم يكن خمر فخل، وإن لم يصب وابل فطل. وبذل الموجود، غاية الجود وبعض الحمية آخر الجهود، وملش خير من لاش ووجود ما قل، خير من عدم ما جل، وقليل في الجيب، خير من كثير في الغيب، وجهد المقل، أحسن من عنز المخل، وما كان أجود من لو كان، لأن تقطف، خير من أن تقف. ومن لم يجد الجميم، رعى الهشيم.

فصول قصار وألفاظ أمثال

المرء لا يعرف برده، كالسيف لا يعرف بغمده، جرح الجور، بعيد الغور نار الخفاء سريعة الانطفاء، الحذق لا يزيد الرزق. والدعة لا تحجب السعة احتكم إلى الحجارة، فالتقير نصف التجارة، غضب العاشق أقصر عمرا، من أن ينتظر عذرا، إن بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحواً. الراجع في شيبه كالراجع في قيئه. المرء من ضره في شغل، ومن نفسه في كل. الحبل لا يبرم إلا بالقتل، والثور لا يربي إلى للقتل، أرخص ما يكون النفط إذا غلا، وأسفل ما يكون الأريب إذا علا. لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة، ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة، إن للمتعة حداً، وإن للعارية رداً. ما كل مائع ماء، ولا كل سقف سماء. ولا كل بيت بيت الله، ولا كل محمد رسول الله، الكريم عند أهل اللوم، كالماء في فم الخموم، وسم المبرسم في الشهد، والشمس تقبح في العيون الرمدم. الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل، كلفة الفضل متعينة، وأرض العشرة لينة، وطرقها بينة. إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل. المدبر يحسب النسيئة عطية، ويعتد بها هدية. الدهر بيننا جرع، وفيما بعد متسع، لا ماء بعد الشط، ولا سطح بعد الخط، من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. ود الحضر إخاء ومروءة، وود السفر وفاء وفوة. قلت قسماً إن فيه لدسماً، ليلة يضل بها القطا، ولا يبصر فيها الطوطا، شحاذ أخاذ، وفي الصنعة نفاذ، وهو فيها أستاذ. فارقنا خشفاً وأتى جلفاً أرب ساقه، لا نزاع شاقه، أبعد المشيب أخذع الآخرة خمارها طويل الحرب سجال: فيوماً غنم، ويوماً غرم. ومطل الغنى ظلم. كذب القميص لا ذنب للذئب في تلك الأكاذيب. من الكبائر طفيلي يدب، ومن النوادر ذباب ييب، إنما يجرب السيف على الكلب، لا على القلب. إذا رضيت أن أخدم ولا أخدم، فإن العبودية لا تعدم. الجواد لا يجزع من الأكاف جزعي من المخاطبة بالكاف. ما بي المكن لولا السكان، والله ما أرضى ولو صارت السماء أرضاً، ولا أريد ولو قطع الوريد. لا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد لبهائم تختلف. إن اللئيم لا يخلو من خلة خير، وكذلك الكريم لا يخلو من خلة ضير. عزيز على أن لا أسعد دون الرقعة بتلك البقعة. العيب بهن الحمار، من المخاطر الكبار. ولو شئت للفظت وأفضت، ولو أردت لسردت وأوردت.

ملح وغرر

من شعره في كل فن

أنشدني لنفسه في ابن فريغون:

ألم تر أنني في نهضتي ... لقيت المنى والغنى والأميرا
ولما التقينا شمت التراب ... وكنت امراءاً لا أشمُ العبيرا
لقيت امراءاً ملء عين الزما ... ن يعلو سحاباً ويرسو ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات ... يذُّ أولاً واعتذار أخيرا

إذا ما حللت بمغناهم ... رأيت نعيماً وملكاً كبيراً
وأنشدني من قصيدة في أبي عامر عدنان بن محمد الضبي:
ليل الصبا ونهاره سكران ... حدثان لم يعرفهما حدثان
يا زمفره لي لا يكاد أزيها ... يسع الضلوع إليك يا همدان
قسماً لقد فقد العراق بي امرأة ... ليس تجود برده البلدان
يا دهر إنك لا محالة مزعجي ... عن خطي ولكل دهر شان
فاعمد براحلي هراة فإنها ... عدن وإن رئيسها عدنان
وله من قصيدة في الأمير أبي علي أولها:
على أن لا ريح العيس والقتبا ... وألس البيد والظلماء واليلبا
ومنها:

حسبي الفلا مجلساً والبوم مطربة ... والسير يسكري من مسه تعباً
وطفلة كفضيب البان منعطفاً ... إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تشر من أجفائها درراً ... دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني ... والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا درّ درّ المعالي لا يزال لها ... برق يشوقك لا هوناً ولا كثبا
يا مشرعاً للمنى عذاباً موارده ... بيناه مبتسم الأرجاء إذ نصبا
أطلعت لي قمراً سعداً منازلته ... حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت ... وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهباً
ومنها:

أبي المقام بدار الدّل بي كرم ... وهمة تصل التوحيد والحبيا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة ... دون الأمير وفوق المشتري طنيا
يا سيد الأمراء فخر فلا ملك ... إلا تمناك مولى واشتباك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً ... لو كان طلق الحميا يمطر الذهباً
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
ومن أخرى في أبي القاسم بن ناصر الدولة:
غُضّي جفونك يا ريا ... ض فقد فتنت الحور غمزا
واقني حياءك يا ريا ... ح فقد كدت الغصن هزاً
وارفق بجفونك يا غما ... م فقد خلشت الورد وخزا
خلع الربيع على الربى ... وربوعها خزاً وبزاً
ومطاراً قد نقشت ... فيها يد الأمطار طرزا

أسر المطيَّ إلى المدا ... م على جنيَّ الورد جزاً
أو ما ترى الأقطار قد ... أخذت من الأمطار عزاً
أو ليس عجزاً أن يفو ... تك حسّها؟ أو ليس عجزاً
حلّت عزاليها السما ... ء فعادت البيداء نرّاً
وكأنّ أمطار الربى ... ع إلى ندى كفيك تُعزى
يا أيها الملك الذي ... بعساكر الآمال يُغزى
خلقت يداك على العدا ... سيفاً وللعافين كترّاً
والمدح طلق ما عنا ... ك فإن عداك تجده كترّاً
لا زلت يا كف الأمير لنا من الأحداث حرزاً
ومن أخرى:

خرج الأمير ومن وراء ركابه ... غيري، وعزّ عليّ أن لم أخرج
أصبحت لا أدري أأدعو طغمتي ... أم بكتكين أم أصبح بيزعج
وبقيت لا أدري أأركب أبرشي ... أم أدهمي أم أشهبي أم ديرجي
يا سيد الأمراء مالي خيمة ... إلّا السماء إلى ذراها ألتجي
كنفي بعيري إن ظننت، ومفرشي ... كمّي، وجنح الليل مطرح هودجي
يا منحنون بحذف ثاني حرفه ... إن كنت فاعل ما أرى فتحرّج
ومن أخرى في الرئيس أبي جعفر الميكالي:

أذهب الكأس فعرف الفجر قد كان يلوح
وهو للناس صباح ... ولذي الرأي صباح
والذي يمرح بي في حلبة اللهو جهوح
اسقينها والأمانى ... لها عرف يفوح
إن في الأيام أسرا ... رأ بها سوف تبوح
لا يغرنك جسم ... صادق الحسن وروح
إنما نحن إلى الآ ... جال نغدو ونروح
ويك هذا العمر تفريخ وهذا الروح ريح
بينما أنت صحيح الجسم إذ أنت طريح
فاسقينها مثل ما يلفظه الديك الذبيح
هكذا الدنيا فسيحوا ... ووقعنا لا نصيح
إنما الدهر عدو ... ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيح
نستمح الدهر والأيام ممّا تستمّح

ضاع ما نحميه من أنفسنا وهو يبيح
نحن لاهون وآجا ... ل المنى لا تستريح
يا غلام الكأس فاليلس من الناس مريح
أنا يا دهر بأنا ... لك شقّ وسطيح
وبأبكار القوافي ... لا على كفء شحيح
يا بني ميكال والجو ... د لعلاّتي مزيج
شرفاً إنّ مجال الفضل فيكم لفسيح

وعلى قدر الممدوح يأتيك المديح
فهناك الشرق الأرم ... فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا ... هر والوجه الصبيح
ومن أخرى في غيره:
طرباً لقتد رقّ الظلا ... م ورقّ أنفاس الصبح
وسرى إلى القلب العليل عليل أنفاس الرياح
ومليحة ترنو بنر ... جسة وتبسم عن أقاح
قامت وقد برد الحللي تيمس في ثني الوشاح
تشدو وكل غنائها ... بردّ على كبد اقتراحي
يا ليل هل لك من صبا ... ح أم لنجمك من براح
سأريق ماء شيبتي ... ما بين ريجان وراح
فيم العتاب ولا هم ... غمي ولا لهم صلاح
وكعاذلاتي في المني ... حة عاذلاتك في السماح
وهواي للبيض الصبا ... ح هواك للبيض الصفاح
وولوع كفي بالقدا ... ح ولوع كفك بالرماح
وعليك إدمان الندى ... وعليّ إدمان امتداحي
فليعل رأيك إنه ... يلوي يد القدر المتاح
وافخر فإنك في الملو ... ك لك المعلى في القдах
ومن أخرى:

قسماً لا دعر الشيب عن اللهو رتاعي
ويميناً لا تمثلت له فقعاً بقاع
إنما الدهر الذي يصدقني حرّ المصاع
كالني مدا وأجزيه من الحلم بصاع

واغنم الأيام ما ألفتها خضر المراعي
لا تدع من لذة العيش عياناً لسماع
ومن أخرى في السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أطل الله بقاه:

تعالى الله ما شاء ... وزاد الله إيماني
أأفريدون في التاج ... أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت ... إلينا بسليمان
أظلت شمس محمود ... على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام ... عبيداً لابن خاقان
إذا ما ركب الفيل ... لحرب أو لميدان
رأت عينك سلطاناً ... على منكب شيطان
أمن واسطة الهند ... إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السند ... إلى أقصى خراسان
على مقتبل العمر ... وفي مفتتح الشان
لك السرج إذا شحت ... على كاهل كيوان
يمين الدولة العقبى ... لبغداد وغمدان
وما يقعد بالمغر ... ب عن طاعتك اثنان
إذا شئت ففي أمن ... وفي يمن وإيمان
ومن أخرى أجاب بها عن قصيدة وردت عليه:

لعمر المعالي إن مطلبها سهل ... سوى أنها دارٌ وليس لها أهل
حنانيك من حر؟ ألم بمشعر ... هم الشاء رسلٌ إن أدرت ولا رسل
فحاول أن يستل بالشعر ما لهم ... وذلك ما لم يفعل اليد والفعل
شكا الجد والأيام إذ لم تواته ... فلم يشك إلا ما شكى الناس من قبل
عزاء فقي هذا السواد لنا نخل ... وصبراً فقي هذا القطيع لنا سخل
ألم تر أن الجود والجد والعلی ... أمانی إن تحلم بها يجب الغسل
ألا لا يغرّك الحسین وجوده ... فترجو قوماً ليس في كأسهم فضل
فما كل وقتٍ مثله أنت واجد ... ولا كل أرضٍ للحسين بها مثل
وما كل جنسٍ تحته النوع داخل ... ولا كل مأبصرت من شجرٍ نخل
ولن تفعل الأقوام مثل فعالة ... ولا سائر الذبان ما تفعل النحل
ومن أرجوزة عدنانية من الرجز:

يا آل عصم أنتم أولو العصم ... لم توسموا إلا بيران الكرم
لا ينزع الله سراييل النعم ... عنكم فلا تخطوا بها دون الأهم

طابت مبانيكم وطبتم لا جرم ... يا سادة السيف وأرباب القلم
تحمي سجايكم بعقيان ودم ... أنتم فصاح ما خلا في لا ولم
الجار والعرض لديكم في حرم ... والمال للآمال نهب مقتسم

أنتم أسود المجد لا أسد الأجم ... يا سيداً نيط له بيت القدم
بالعمد الأطول والفرع الأشم ... هل لك أن تعقد في بحر الشيم
عارفةً تضرم ناراً في علم ... ويقصر الشكر عليها قل نعم
أما وإنعامك إته قسم ... وثغر مجدٍ عن معاليك ابتسم
إتلك في الناس كبرء في سقم ... يا فرق ما بين الوجود والعدم
وبعد ما بين الموالي والخدم ... ما أحدٌ كهاشم وإن هشم
ولا امرؤ كحاتم وإن حتم ... ليس الحدوث في المعالي كالقدم
ولا شباب النبت فيها كاهرم ... شتان ما بين الدنانى والقمم
وله من قصيدة في الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان:

لسهل في العلا غرر ... فهلاً عندكم ملح
وفيه من التدى بدع ... فهلاً فيكم ملح
تضمّن أمة رجل ... وأودع عالماً شبح
فمن جاره منقطع ... ومن باراه مفتضح

وله من قصيدة في إسماعيل بن أحمد الدبراني وفيمن جمعه وإياهم الحبس من العمال:
قبحاً لهذا الزمان ما أربه ... في عمل لا يلوح لي سبيه
ماذا عليه من الكرام فما ... تظهر إلا عليهم نوبه
ألم يجد في سواكم سعة ... فمن يسوي برأسه ذنبه
لا يعرف الضيف أين منزله ... ولا يرى المجد أين منقلبه
مالي أر الحرّ ذاهباً دمه ... ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه
أراحنا الله منك يا زمناً ... أرعن يصطاد صقره خربه
يا ساعياً جائع الجوارح لا ... يسكن إلا لفاضل سغبه
يا ضرمماً في الأنام متقلداً ... والجود والمجد والنهي خطبه
يا خاطباً ساكتاً وليس سوى ... نعي فتى أو فتوة خطبه
يا صائداً والعلی فريسته ... وناهياً والجمال منتهبه
يا سادتي لا تلن عظامكم ... لعصّة الدّهر إن يهيج كلبه
فالدّهر لوان لا يدوم على ... حالٍ سريعٍ بالناس مضطربه
أتى بشرّ لم ترتقبه، كذا ... يأتي بخيرٍ وليس نحتسبه

وله من قصيدة في أبي نصر بن أبي زيد:
خلقت كما ترى صعب الثقاف ... أردّ يد الخليفة في الخلاف
ولي جسدٌ كواحدة المثاني ... ولي كبدق كئالفة الأثافي
هلمّ إلى نحيف الجسم منّي ... لتتظر كيف آثار النحاف
ألم تر أن طائشةً لظاها ... نتيجة هذه القضب الضعاف
صحبت الدهر قبل نبات فيه ... فلا تغررك خافية الغداف
نزلت من الزمان ومن بنيّه ... على غصنين من شجر الخلاف
ولو شاء الزمان قرار جأشى ... لأسمعي نداء أخ مصافي
أبا نصرٍ نقصتك صاع قولي ... وصاع الفعل من نعماك وافي
متى يستطيع عدّ علاك لفظي ... متى ينحي على البحر اغترافي
وله من أخرى في خلف بن أحمد:

وليلٍ كذكره كمنه كاسمه ... كدين ابن عبادٍ كإدبار فائق
شققنا بأيدي العيس برد ظلامه ... وبتنا على وعدٍ من السير صادق
ترجّ بنا الأسفار في كلّ شاهر ... وترمي بنا الآمال من كلّ حائق
كأنّ مطايانا شفاراً كأنما ... تمدُّ إليهنّ الفلا كفّ سارق
كأنّ نجوم الليل نظارة لنا ... تعجّب من آمالنا والعوائق
كأنّ نسيم الصبح فرصة آيس ... كأنّ سراب القيط خجلة واثق
ومن أخرى:

سماء الدجى ما هذه الحدق النّجل ... أصدر الدجى حالٌ وجيد الضحى عطل
لك الله من عزم أجوب جيو به ... كأني في أجفان عين الدجى كحل
كأنّ الدجى نقعٌ وفي الجو حومة ... كواكبها جندٌ طوائرها رسل
كأنّ مطايانا سماء كأننا ... نجومٌ على أفتابها برجنا الرحل

كأنّ السرى ساق كان الكرى كلا ... كأنها لها شرب كأنّ المنى نقلا
كأنّ الفلا نادٍ به الجنّ فتية ... عليه الثرى فرشٌ حشيتة الرمل
كأنّ أبانا أودع الملك الذي ... قصدناه كنزاً لم يسع روة مطل
ولمّا بلوناكم تلونا مديحكم ... فيا طيب ما نبلو ويا حسن ما نتلو
ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى ... وأيسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر إلا أنّه البحر زاخراً ... سوى أنّه الضرعام لكنه الوبل
محاسن يديها العيان كماترى ... وإنّ نحن حدثنا بما دفع العقل
ومن أحاجيه قوله في فص برحشاني:

أحاجيك أناجيك ... بما يهجس في صدري
بما يجمد من خمر ... وما يحمد من جمر
بما يجمة من خمر ... وما يحمد من جمر
وما يورد معناه ... إذا قلت على أمري
ونجم كاد ذو الحاج ... ة في الليل به يسري
وحرف من حروف النصب لولا خفة الظهر
أجب إن شئت بالنظم ... وإن شئت فبالنثر

الباب السادس

في ذكر

أبي الفتح البستي وسائر أهل بست

وسجستان وإيراد غرهم

أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي

صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس. البديع التأسيس، وكان يسميه المتشابه، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة، وقد كان يعجبني من شعره العجيب الصنعة البديع الصيغة قوله:
من كل معنى يكاد الميت يفهمه ... حسناً ويعبده القرطاس والقلم
ما أراه فأرويه، وألحظه فأحفظه. أسأل الله بقاءه، حتى أرزق لقاءه. وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة وإن لم يتقدم لها الرؤية، حتى وافقت الأمنية حكم القدر وطلع علي بنيسابور طلوع القمر. فزاد العين على الأثر، والاختبار على الخبر. ورأيتنه يغرف في الأدب من البحر، وكأنما يوحى إليه في النظم والنثر، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز، وأخذه منها بالخط الوافر، وجمعته وإياي لحمه الأوب التي هي أقوى من قرينة النسب. فما زلت في قدماته الثلاث نيسابور بين سرور وأنس مقيم، من حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضراته، في جنة نعيم أجتني ثمر الغراب من فوائده، وأنظم العقود من فرائده. ولم يكن تغني كتبه في غيبته، ولا أكاد أخلو من آثار وده، وكرم عهده.
ومن خبره أنه كان في عنفوان شبابه وأمره كاتب الباتبور، صاحب بست، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين رضي الله تعالى عنه وأسفرت الواقعة بينه وبين باتبور عن استمرار الكشفة بباتبور أعيت أبا الفتح صحبته، وتخلف عنه، ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمداً له، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آله وكفايته، ومعرفته وهدايته، وحنكته ودرايته.

فحدثني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي قال: حدثني أبو الفتح رحمه الله تعالى قال: لما استخدمني الأمير سبكتكين وأحلني محل الثقة الأمين، عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه، وكان باتيور بعد حياً، وحسادي يلوون ألسنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي لياً، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال، ويقرطس عرض القبول بعض تلك النبال، فحضرته ذات يوم وقلت: إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رأي الأمير أهلاً له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسراره، غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير بنقض ما بقي من شغله يقتضياني أن أستأذنه للاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الأمر في نصابه، فيكون ما آتية من هذه الخدمة أسلم من التهمة، وأقرب إلى السداد، وأبعد من كيد الحساد، فارتاح لما سمعته، وأوقعه من الإحماذ موقعه، وأشار علي بناحية الرخج، وحكممني في أرضها أتبوا منها حيث أشاء، إلى أن يأتيني الاستدعاء، فتوجهت نحوها فارغ البال، رافع العيش والحال، سليم اللسان والقلم، بعيد القدم من مخاضات التهم، وكنت أدلجت ذات ليلة، وذلك في فصل الربيع، أوم منزلاً أمامي، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمينه محفوفة بالخضرة. معمومة بالنور والزهري. وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منضد بالدر والمرجان، مرصع بالعقيق والعقيان. ينساب بينها أنهار كبطون الحيات، في صفاء ماء الحياة، وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق، بالعنبر العتيق. فاستطبت المكان، وتصورت منه الجنان، وفرعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال، ففتحت أول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو:

وإذا انتهيت إلى السلا ... مة في مداك فلا تجاوز

فقلت: هذا والله الوحي الناطق، والفأل الصادق، وقد تقدمت بعطف ضبني إليها. وعشت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه، وأهناً شرب وأمره. إلى أن اتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرت بتبجيل وتأميل، وترتيب وترحيل، فنهضت وحظيت بما حظيت منها إلى يومي هذا، فكان اختياره ذلك أحد ما استل به ذلك الأمير على رأيه تدبيره ورزاقته، ودرجه به إلى محله ومكانته، وصار من بعد ينظم بأقلامه، منتور الآثار عن حسامه، وينسج بعباراته. وشي فتوحه ومقاماته، وهلم جرا إلى زمان السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة.

وقد كتب له عدة فنوح، قال في أحد كتبها: كتبت وقد هبت ريح النصر من مهبها، والأرض مشرقة بنور ربها.

إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته، فانقل بها إلى جوار ربه في سنة اربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

؟؟ما أخرج من فصوله القصار ومن ألفاظه أمثاله

من أصلح فاسده، أرغم حاسده، من أطاع غضبه، أضاع أدبه. عادات السادات، سادات العادات، من سعادة جدك، وقوفك عند حدك. أفحش الإضاءة الإذاعة، الخيبة تهتك الهيبة. الدعة رائد الضعة. من لم يكن لك نسيباً، فلا ترج منه نصيباً. الرشوة رشاء الحاجة. اشتغل عن لذاتك، بعمارة ذاتك. أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً، وعلى السلطان مدلاً. حبيبك لا يعيبك. الآثار ألسنة الأقدار، إذا بقي ما قاتك، فلا تأس على ما فاتك. الدنيا فناء الفناء. البشر عنوان الكرم، ربما كانت الفطنة فتنة، والمهنة محنة. من حسن أطرافه، حسن أوصافه من تبرج برؤه. تأرج ذكره. من كان عبد الحق فهو حر، المرء يهدم المروءة. الفهم شعاع العقل. رضي المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه. الحدة والندامة فرسا رهان، والجود والشجاعة شريكا عنان، والتواني والخبية رضيعا لبان. الفكر رائد العقل. الجود وضع الموجود، بموضع الجود. نعم الشفيع إلى عدوك عقله، لا تغتر بصحة مزاجك في الهواء الوبيء، ولا تغتر بقوة بصرك في الظلمة الراكدة، إفراط التعاقل تناقل الحدة تريك صورة الجهل. رب مقال لا تقال عثرته. حسن الأخلاق، أنفس الأعلاق، المرء من غرر الأيام في غرر ومن صفوها في كدر، أفصح الفضيحة عدم القريحة، الحلم مطية وطية لكل علو، يوشك أن يقصر من يغلو ويسفل من يعلو. كيف القرار، على الشرار، المنية تضحك من الأمانة. مسلك الحزن حزن، ضيق الصدر، من صغر القدر، أحصن الجثة، لزوم السنة، الرد الهائل، خير من الوعد الحائل. الخلاف غلاف الشر، من كان رأيه صحيحاً، لم يكن بميسور البر شحيحاً، نعم العدة، طول المدة، عسى تحظى في غدك برغدك، زمام العمل بيد الأمل، البرايا أهداف البلايا. طلوع العقوق، أقول الحقوق. حد العفاف، الرضى بالكفاف، لا ضمان على الزمان، من لزم السلم سلم. ليكن قرينك من يزينك. الخرق آفة الخلق. إفراط السخاوة رخاوة. ربما كانت العطية خطية. لا يعلم لصرة، ذو السرعة. الفلسفة فُلُّ السفه. لكل حادث حديث، وربما أغنت المداراة عن المباراة. البشر نور الإيجاب، ما كل خاطر بعاطر. البخل سوس السياسة. العفو يطمس الغفو. العقل جهيد النقل، التبذل تبذل. العفيف يكفيه الطفيف، ثقل العفيف خفيف. لسان النصيح فصيح، التصلف ترجمان التخلف، كفى بالنهي ناهياً، بالهدى هادياً من تعطل تبطل. أدهى المصائب المعاييب، ربما تشوّر من تهوّر. إفراط الدماثة غثاثة، إفراط الفخامة وخامة رب معبوط مغبوط إفراط التأني تواني. لا ضياع بين الصناعة والقناعة. الإنصاف أحسن الأوصاف. عليك بالحنر من الهذر، ربما تكون المنية هنية. معنى المعاشرة ترك المعاشرة، ما لخرق الرقيق مرقع. ربما تكون العناية جناية. من أفرط أورط. رب مورد هو مورط، ورب مصعد هو مهبط. قدر الأمين ثمين. من قصر أمله ظهر عمله، التصريب زند العداوة، الشكر جنة الفارس. والصبر جنة الملابس. ظل الجفاء يكسف شمس الصفاء، من لزم الأدب أمن العطب. قوتك قوّبك. البيان علم العلم، ليكن إقدامك توكلًا وإحجامك تأملاً. إخوان هذا الزمان خوان، الناس عبيد الخواطر، الغيث لا يخلو من العيث. الحر نحل السكر إن أجناه المرء من برء شكداً، أجناه من سكره شهداً. إن لم يكن لنا مطعم في درك دركف فأعفنا من شرك شرك. لفلان طبع غير طبع، وقريحة غير قريحة، وخيم، وخيم، باع فلان الباسقات. واشترى الفاسقات.

فصل من كتاب له عن السلطان المعظم

إلى شمس المعالي في شأن الشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي.
من علم الأمير شمس المعالي آدام الله عزه الكريم، فكأنما علة الغيث سجاما، والليث إقداما. وذلك لأن
المكارم من خصائص معانيه، ونتائج مساعيه ومعاليه. غير أن العادة جارية بهز السيِّف وإن كان ماضي
الغرار. وقدح الزند لانتضاء ما فيه من الأنوار.

ومساق هذا القول إلى ذكر شيخينا أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي أيدهما الله تعالى
ورحم أباهما وإفهما غصنا دوحة شريفة، وفرعا نبعة صليبة، ولكلّ منها الفضائل التي سارت أخبارها،
والخاسن التي سألت أوضاعها. ولئن جرى منهما فيما تقدم زلل فقد يكبو الحليم، وينبو الحسام ومن عادته
التصميم، ولو لم يكن هفو، لما عرف عفو. والكريم إذا قدر غفر وشكر الظفر، وأنا أسأل الأمير أن يمن عليّ
فيهما بما يعيد جاههما، ويقلل عثرتهما، وينيل بغيتهما، إن شاء الله تبارك وتعالى.

وما أخرج

؟؟من ملحه في الغزل والخمر قال:

يا يوسف الحسن ليلى بعد فرقتكم ... يحكي سني يوسف طولا وتعديا
والشأن في أنّي أرمى من اجلكم ... بمثل ما قد رمى إخوانك الذبا
وله:

ومهفهف غنج الشمائل أزعجت ... قلبي محاسن وجهه إزعاجا
درت الطبيعة أن فاحم شعره ... ليل فأذكت وجنتيه سراجا
وله: ؟ قالت وقد راودتها عن قبلة اشفي بها قلباً كئيباً مغرماً
لاقلّم يداً من قبل أن تدني يداً ... ومبرّة من قبل أن تدني فما
إن الغرام غرامة فمتى تكن ... بي مغرماً فلتحتمل بي مغرماً
وله:

ومهفهف يسعى بكأس مدامة ... والكأس فوه والرضاب مدامه
وإذا تثنّى مائساً في مشيه ... فالسرو في ريح الشمال قوامه
وله:

أرأيت قد قال لي بدر الدجى ... لما رأى طرفي يديم سهودا
حتّام ترمقني بعيني ساهدٍ ... أقصر فلست حببيك المفقودا
وله من الدمل:

وغزتغل كلّ من شبهه ... بلال أو بيدر ظلمه
قال إ قَبَلْتُ بالوهم فمه ... قد تعلّيت وأسرفت فمه
وله:

بأي من أدار من خديه ... مثل ما قد أداره بيديه
قمر يقمر العقول بسحر ... ماله مركز سوى عينيه
هو أغنى الأنام عني ولكن ... أنا من أفقر الأنام إليه
وله:

يا غزلاً أراه نذّ وصدّاً ... بعد ما كان للوصال تصدّى
بيننا للرقيب سد فلا تجمع ذي الهوى مع السدّ صدّاً
وله:

أوان أنت في هذا الأوان ... عن الراح المروّق في الأواني
تعال إلى الصواني مترعات ... وأبرز نورهن من الصواني
وفكّ إسر لذات عوان ... ببكر من كؤوسك أو عوان
وله:

ربّ يومٍ للأنس فيه فراغ ... ولكأس السرور فيه مساغ
قد فرغنا له من البثّ والشك ... وى وما للكؤس فيه فراغ
عند حرّ له قلائد في الأعناق من جوهر الأيادي تصاغ
بيننا للبخور غيم وللماء ورد طيش وللغوالي رداغ
وله:

يومٌ له فضلٌ على الأيام ... مزج السحاب ضيائه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم ... والغيم يبكي مثل طرفٍ هامى
وكان وجه الأرض خدّ متيّم ... وصلت دموع سحابه بسجام
فاطلب لومك أربعاً هنّ المنى ... وبهنّ تصفو لذّة الأيام
وجه الحبيب، ونظراً مستشرقاً ... ومغنياً غرداً، وكأس مدام
وله في وصف الكتب والخط والبلاغة:

كتابك سيدي جلّى همومي ... وجلّ به اغتباطي وابتهاجي
كتاب في سرائره سرور ... مناجيه من الأحزان ناجي
فكم معنى لطيفٍ ضمن لفظٍ ... هنك تراوجا أيّ ازدواج
كراج في زجاج بل كروح ... سرت في جسم معتدل المزاج
وله:

بنفسي من أهدى إليّ كتابه ... فاهدى لي الدنيا مع الدين في درج
كتاب معانيه خلال سطوره ... لآلى في درج كواكب في برج
وله:

لما أتاني كتاب منك مبتسم ... عن كلّ برّ وفضل غير محدود

حكّت معانيه في أثناء أسطره ... آثارك البيض في أحوالي السود
وله من نطفة:

إن سلّ أعلامه يوماً ليعملها ... أنساك كلّ كمّي هزّ عامله

وإن أمرّ على رق آنامله ... أقرّ بالرق كتاب الأنام له
وله:

لم تر عيني مثله كاتباً ... لكلّ شيء شاء أو شاء
يبدع في الكتب وفي غيرها ... بدائعاً إن شاء إنشاء
وله:

ما إن سمعت بنوّار له ثمرّ ... في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
حتى أتاني كتاب منك مبتسم ... عن كلّ لفظ ومعنى يشبه التّرا
فكان لفظك من لآلئه زهراً ... وكان معناه في أثنائهِ ثمراً
تسابقاً فأصاباً القصد في طلق ... لله من ثمر قد سبق الزهرا
وله:

بأيّ كلامك أيها السحر ... النقيّ من العيوب
يجنيك من ثمر الكلام ... ويجتني ثمر القلوب
وله:

بأيّ كلامك إنّني نظرت ... منه إلى صورة الفاتن
كلام قهشّ إليه النفوس ... و يلقي القلوب بلا آذن
بدا بالمعاني وتهذيبها ... فأبرزها بالوجوه الحسان
وقلّتر ألفاظه بعد ذاك ... على ما اقتضته قدود المعاني
وله في أبي نصر بن أبي زيد:

له قلم غرب لا يكلّ ... إذا كان حدّ حسام يكل
فيوجز لكنه لا يخلّ ... ويطنب لكنه لا يمل
وكيف يملّ وتوفيق من ... أفاد العلوم عليه يمل
وله:

كتاب مولاي أوفى بي على أمل ... وصار في كلّ ناد قبلة القبل
فقلت لما تراءت لي محاسنه ... وبرّدت بغوادي صوبها علي
أما المعاني فأجسام منعمة ... و اللفظ أوشحة الديباج والحلل
وله:

إذا أحييت أن تحظى بسحر ... فلا تختز على لفظي وشعري

فأحسن من نظام الدرّ نظمي ... وآثق من نثار الورد نثري
ومن ملحه في؟؟الفقهيات وقوله:

عليك بمطبوخ التبيذ فإنه ... حلال إذا لم يخطف العقل والفهما
ودع قول من قد قال إن قليلة ... معين على الإسكار فاستويا حكماً
فليس لما دون التصاب قضية التصاب ... وإن كان التصاب به ثماً
وله في معناه:

معاشر الناس أصحو قد نصحت لكم ... في الراح حكماً ملحياً غير ممقوت
قليل مستباح، والكثير حمى ... كغرفة فرده من مهر طالوت
وله من قصيدة:

يا بديع الفضل لا فينا ولكن ... في كرام الناس خير الناس ناس
أنت عين الجود نصاً وقياساً ... وبيان الفقه نصّ وقياس
وله من قصيدة:

زفّت إليك لنا عرائس أربع ... ففضضتها بالسمع وهي قصائد
فابعث إليّ مهورهنّ بأسرها ... إنّ النكاح بغير مهر فاسد
وله:

تخطب ودي وليس كفواً ... لودك المبدع النبيه
فهل نكاح بلا نكاف ... يجوز في مذهب الفقيه
وله من
؟؟

الأدبيات

قال:

وبصير بمعاني الشعر ... والإعراب جدّاً
قال لي لما رأيّ ... طالباً ملاً ورُفداً
إن مالي يا حبيبي ... لازم لا يتعدى
وله:

عذلت ولم أذنب ولم أرك جانباً ... وهذا الإنصاف الوزير خلاف
حذفت وغيري مثبت في مكانه ... كأني نون الجمع حين يضاف
وله:

إن عبد العزيز شيخ ... به يكشف الشبه
وترى للخليل فيه ... وأقرانه شبه

وهو لا شك شاهد ... أن إبريقنا شبه

وله:

أدرجت في أثناء نسيانكم ... حتى كأني ألف الوصل

ومن أخرى:

أفدي الغزال الذي في النحو كلمني ... مناظراً فاجتيت الشهد من شفته

وأورد الحجاج المقبول شاهدها ... محققاً لبريني فضل معرفته

ثم افترقنا على رأي رضيت به ... والرفع من صفتي والنصب من صفته

ومن؟؟ الطيبات والفلسفيات قال:

لا يغرنك أنني لئن المسّ ... فغربي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وله:

وإني لأخصّ بعض الرجال ... وإن كان قدماً ثقيلاً عيماً

فإن الجبن على أنه ... ثقیل وخیم يشهي الطعاماً

وله من قصيدة:

فلا تكن عجلاً بالأمر تطلبه ... فليس يحمد بعد النضح بحران

وله من تنفة:

وقد يلبس المرء حرّ الثياب ... ومن دونها حالة مضنيه

كمن يكتسي خده حمرة ... وعلتها ورم في الرية

وله:

إن الجهول تضربني أخلاقه ... ضرر السعال بمن به استسقاء

وله:

أقبل مشورة ناصح نفاع ... و تلقّ ما يهدي بسمع واعي

لا تعتمد إلا رئيساً فاضلاً ... إن الكيان أطبّ للأوجاع

وله:

عذرتك يا إنسان إن كنت مغرماً ... بعذر ومغرى بالتّحليل والنكت

وكيف ألوم المرء في خبث فعله ... وأول شيء قد غداه دم الطمث

وله:

عدّل قطوبك بالبشاشة يعتدل ... وزناهما فيمن يذلّ ويكرم

فاحرّ طلق ضاحك ولربّما ... تلقاه وهو العابس المتجهّم

كالورد فيه غفوصة ومرارة ... وهو الذكيّ الناضر المتبسّم

وله:

خف الله وأطلب هدى دينه ... وبعدهما فأطلب الفلسفة

لئلا يغرك قوم رضوا ... من الدين بالزور والفلسفة

ودع عنك قوماً يعيدونها ... ففلسفة المرء فلّ السفه

وله من

؟؟

النجوميات

قال:

قد غصّ من أمني أي أرى عملي ... أقوى من المشتري في أوّل الحمل

وأني راحل عما أحاوله ... كأني أستر الخطّ من زحل

وله:

إذا غدا ملك باللهو مشغلاً ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا برج نجم اللهو والطرب

وله:

لا تعجنّ لدهر ظلّ في صيب ... أشرافه وعلا في أوجه السقل

ونقد لأحكامه أني تقاربها ... فالمشتري السعد عال فوقه زحل

وله:

سل الله العظيم تسل جواداً ... أمنت على خزائنه التّفادا

وإن أدناك سلطان لفضل ... فلا تغفل ترقيك البعادا

فقد تدني الملوك لدى رضاها ... وتبعد حين تحف احتفادا

كما المريخ في التثليث يعطي ... وفي التربيع يسلب ما أمادا

وله:

ألا فقهوا بي فيني كما ... تمدّحت فليمتحن من يجب

فلا كوكبي راجع في الوفا ... ولا برج قلبي بالمقلب

وله:

لئن كسفونا بلا علة ... وفازت قداهم بالظفر

فقد يكسف المرء من دونه ... كما تكسف الشمس جرم القمر

وله:

شرف الوعد بوعد مثله ... مثله ما فيه زيغ وخلل

ودليل الصديق فيما قلته ... شرف المريخ في بيت زحل

وله:

قل للذي غرّته عزّة ملكه ... حتّى أخلّ بطاعة النصحاء
شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم ... وكذلك أوج الشمس في الجوزاء
وله من ننفقة:

وقد يفسد المرء بعد الصلاح ... فساد الأماكن والشرّ يعدي
كما السعد يقبل طبع النحوس ... إذا كان في موضع غير سعد
وله من الرجز:

ما أنس ظمأً بعذب بارد ... من بعد طول العهد بالموارد
إلاّ كأنسي بكتاب وارد ... من سيد محض النجار ماجد
كأنما استملاه من عطارده ... وله من ننفقة:
طبعي كطبع المشتري ما فيه من ... شرب فهل من مشتر للمشتري
ومن أخرى:

يا من تولّى المشتري تدبيره ... حاشاك أن تنقاد للمريخ
ومن أخرى:
لا تفزعن من كلّ شيء مفزع ... ما كلّ تربيع البروج بضرب
ومن أخرى:

أيّ عذر أن صام عنه ثنائي ... وأنا الدهر منه في يوم فطر
وأتمّ الأشياء نوراً وحسناً ... بكر شكر زقت إلى صهر برّ
ما قران السعدي في الحوت أبهى ... منظرًا من قران برّ وشكر
وله:

دعاني إلى بيته سيّد ... له الخلق شرف الأظرف
فلازمت بيتي ولا طفته ... بعذر هو الألفظ الأظرف
عطارده نجمي ولا شك أن ... عطارده في بيته أظرف
وله:

يا معشر الكتاب لا تتعرضوا ... لرياسة وتصاغروا وتحادموا
إنّ الكواكب كنّ في أشراقها ... إلاّ عطارده حين صور آدم
؟؟ من شعره في المدح ومن ملح مدحه وما يتصل بها قال:
بسيف الدولة اتسقت أمور ... رأيناها مبدّدة التّظام
سما وحمى بني سام وحم ... فليس كمثله سام وحم
وله:

يا من أعاد رميم الملك منشورا ... وضمّ بالرأي ملكاً كان منشوراً
أنت الأمير وإن لم تؤت منشورا ... والأمر بعدك إن لم تؤمن شورى
وله من نثفة:

وسائل الناس شتى عند سادتهم ... ولي وسائلي آدائي وآمالي
فاسحب لبرك أذيلاً على أملي ... أسحب بشكوك ما عمّرت أذيالي
ومن أخرى:

مدحتك فالتامت قلائد لم يفز ... بأمثالها الصيد الكرام الأعظم
لأنك بحر والمعاني لآلىء ... فطبعي غواص وقولي ناظم
وقوله:

فرواؤه ملء العيون، وفضله ... ملء القلوب، وسيبه ملء اليد
ومن أخرى:

أقول لمن يعلمه المعالي ... ويذكره لذي حقّ ذماما
أراك تعلم الصدر التزاماً ... لمن يهواه، والشعر ابتساما
ومن أخرى:

رعى الله دولة كافي الكفاة ... وبلغه كنه آماله
ولا زال إقبال هذا الزمان ... يقبل أطراف أقباله
ومن أخرى:

أفعاله غرر، أقواله سور ... أقلامه قصب، آراؤه شهب.
ومن أخرى:

كأنّ الغصون وقد أثقلت ... بما حملت من بديع الثمار
رقاب الأنام وقد أصبحت ... مثقلة بالأيادي الكبار
ومن أخرى:

لا تعظمن عليك مدحة خادم ... إياك يقصر عن مداك مديحه
فالظفر وهو أحسن أجزاء الفتى ... يشفي بحكّ جسمه فيريحه
ومن أخرى:

فتى جمع العلياء علماً وعفة ... وبأساً وجوداً لا يفيق فواقا
كما جمع التفاح حسناً ونصرة ... ورائحةً محبوبةً ومذاقا
ومن أخرى:

شكوت إلى جوده خلتي ... ورقة حالي وتقصير قسمي
ففزع من رقة الحال قلبي ... وأفرغ في قالب الرقّ جسمي
ومن أخرى في الأمير أبي نصر بن علي الميكالي:

جمع الله في الأمير أبي نصر خصالاً تعلو بها الأقدار
راحة ثروة وصلوا فضاء ... وذكاء تبدو له الأسرار
خطه روضة وألفاظه الأز ... هار يضحكن والمعاني ثمار
وله:

ولما رأيت الناس إلا أقلهم ... وأطيب ما مجوا من السكر أخبث
نشرت ثناء عطر الأفق طيبه ... كذاك ثناء الحر نذ مثلث
وألفت أحناء بشكرك لم يصب ... تناسبها زير ومثنى ومثلث
وله:

يا سيد الأمراء يا من جوده ... أوفى على الغيث المطير إذا همى
الغيث يعطي باكيا متجهما ... ونداك يعطي ضاحكا متبسما
وله:

سقى الله امرأ إن كف دارت ... صروف زماننا فما يليه
فلم أر مثله حرّاً تولّى ... فولّى ما يليه ما يليه
وله:

لا يسوءك إن برا ... بي دهر فلم يرش
أنت عش سالماً فإتاك إن عشت أنتعش
وله:

ملك يفيض على العفاة سجالة ... وعلى العداة بسطوه سجّيلة
وإذا حباك بغرة من ماله ... ثنى وأعقب غرة تحجيلا
وله:

أبوك حوى العليا وأنت مبرز ... عليه إذا نازعته قصب المجد
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله ... وللنار نور ليس يوجد للزند
وخير من القول المقدم فاعترف ... نتيجه، والنحل يكرم للشهد
وله:

لا تظن بي وبرك حي ... أن شكري كشكر غيري موات
أنا أرض، وراحتك سماء ... والأيدي وبل وشكري نبات
ومن؟؟ الإخوانيات قال:

تحمل أخاك على ما به ... فما في استقامته مطمع
وأتى له خلق واحد ... وفيه طبائعه الأربع
وله في مؤلف هذا الكتاب:

قلبي مقيم بنيسابور عند أخ ... ما مثل حين تستقري البلاد أخ
له صحائف أخلاق مهذبة ... منها الحجى والعلی والظرف تنتسخ
وله فيه أيضاً:

أخ لي زكي النفس والأصل والفرع ... يحل محل العين مني والسمع
تمسكت منه إذ بلوت إحائه ... على حالي وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقل وآنس من هوى ... وأرق من طبع وأنفع من شرع
وله فيه أيضاً:

إذا نسي الناس إخوانهم ... وخان المودة خوآنها
فعندي لإخواني الغائبين ... صحائف ذكرك عنوانها
وله في أبي النصر العتي:

كلام لأبي النصر ... موفى واجب النحل
فما أدري جنى النحل ... أأاني أم جنى النحل
وكتب إلى بعض إخوانه:

لقاؤك يديني من المرتجى ... ويفتح باب الهوى المرتج
فأسرع إلينا ولا تبطن ... فإنا صيام إلى أن تحي
وكتب أيضاً:

عندي فديتك سادة أحرار ... وقلوبهم شوقاً إليك حرار
وشرابنا شرب العلوم، وروضنا ... نزه الحديث وتقلنا الأشعار
فامنن علينا بالبدار، فإتما ... أعمار أوقات السرور قصار
وله من نتفة:

عرج عليّ فما في رونقي رنق ... لمن أصافي، ولا في خلتي خلل
وله من أخرى:

ولا أصالح أنسي بعد فرقتكم ... حتى يصافح كفّ اللامس القمر
ولا أمل مدى الأيام ذكركم ... حتى يمل نسيم الروضة السحرا
وله من المسرح:

إن لم تكن نيتي مصورة ... ولم تكن واثقاً بناجيتي
فسل ثنائي فإنه علن ... تشهد على نيتي علانيتي
وله:

قل للذي يرجو ثبات مودتي ... ودوام ما أعطيه من إخلاصي
أيدوم إخلاص بغير مودة ... كلاً ومنزلة سورة الإخلاص
وله:

فهمت كتابك يا سيدي ... فهمت ولا عجب أن أهيم
وذاك لأني تأملت منه ... درّاً نظيماً وبراً عظيماً
وصادفته صدفاً للعلوم ... ضمّن منها البديع اليتيما
فكم من كواكب تجلو البهيم ... وكم من مشارع يروين هيم
وكم روضة تستفيد الرياض ... منهن نوراً ونبثاً عميماً
وكم قد قراني لفظاً وسيماً ... عليه من الطبع حسن وسيماً
وله:

لا تحقرن أخاً وإن أبصرته ... لك جافياً ولما تحبّ منافياً
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضراً ... والماء يكدر ثم يرجع صافياً
وله:

ذكر أخاك إذا تناسى واجباً ... أو عن في آرائه تقصير
فالرأي يصدأ كالحسام لعارض ... يطراً عليه وصقله التذكير
وله:

أتاني كتاب من أخ لي ماجد ... فأكرم به بين المواهب وافدا
وقلت لروحي كن له من جميع ما ... يخاف من الأيام أو يختشي فدا
وله:

كم من أخ قد هدمت أخلاقه ... من آخر ما قد نسي في الأوّل
نسي الوفاء وليست أنسى عهد ما ... شاهدت منه في الزمان الأطول
يرمي سهاماً إن أسرّ المقت لي ... بالكيد لا يقصدن غير المقتل
وله:

أرقت حتّى كأنّ عيني ... قد وهبت لي بلا جفون
ففاض في الخدماء عيني ... فحلته فاض من عيون
وذاك أنّ الزمان أفضى ... بي من سهول إلى حزون
وسامني البعد عن أناس ... هم فارقوني فأرقوني
وله:

بأبي من شفى فزاداً عليلاً ... بكلام حكى النسيم عليلاً
زاد في طوله ارتياحاً إليه ... وغراماً به عريضاً طويلاً
كرضاب الحبيب يروي عليلاً ... ثم ينشئ إلى المزيد عليلاً
وله:

فديتك قلّ الصديق الصدوق ... وقلّ الخليل الحظيّ الوفي

ولي رغبة فيك إن ما وفيت ... فهل راغب أنت في أن تفني
وله من باب
؟؟

الشكوى والعتاب

قال:

عفا على هذا الزمان فإنه ... زمان عقوق لا زمان حقوق
وكل رفيق فيه غير موافق ... وكل صديق فيه غير صدوق
وله:

رأيتك تكويني بميسم منة ... كائنك قد أصبحت علة تكويني
وتلويني الحق الذي أنا أهله ... وتخرج في أمري إلى كل تلوين
فمهلاً ولا تمن عليّ فبلغة ... من العيش تكفيني إلى يوم تكفيني
وله:

ومن عجب أنني لغيرك شافع ... إليك، وبى فقر إلى ألف شافع
ولكن أحرار الزمان وإن جفوا ... فشيمتهم أن يسمحوا بالمنافع
وله:

يا من عقدت به الرجاء فلم يكن ... لي منه إرفاد ولا إيناس
إن كان قد جرح المطامع عفتي ... فوراء ذاك الجرح جرح يأسو
وله:

لقاء أكثر من يلقاك أوزار ... فلا تبال أصدوا عنك أو زاروا
لهم لديك إذا جاءوك أوطار ... فإن قضوها تنحوا عنك أو طاروا
أخلاقهم فتجنهنّ أوعار ... ووصلهم ماتم للمرء أو عار
وله:

لا تغبنّ ولا تخدعك بارقة ... من ذي خداع يرى بشراً والطافا
فلو قلبت جميع الناس قاطبة ... وسرت في الأرض أوساطاً وأطرافا
لم تلف فيها صديقاً أبداً ... ولا أخاً ينزل الإنصاف إن صافى
وله:

أبا قاسم كم ظالم متعجرف ... نضالي حدي سيفه وسنانه
فسلمني الله الكريم بلطفه ... وصيرني في لطفه وضمانه
ومنهم أبوك إن سلّ مصلتاً ... عليّ حسامي كيده ولسانه
فلما غلا في ظلمه وعتوه ... وأشبهه عيراً لجّ في نروانه

صبرت على مكروهه فتكشفت ... عواقبه عن عزتي وهوانه
فإن تنقيه أو صبرت فإثما ... زمانك أيضاً منقض كزمانه
وله:

يا ذا الذي ركب الفساد وعنده ... أنني أسود إذا ركب فسادا
أضللت رأيك عامداً أو ساهياً ... من ذا الذي ركب الفساد فسادا
وله:

كتاب بست كم نناجزكم على ... وزارة بست وهي سخنة عين
وخفّ حين فوق ما تطلبونه ... فكم بينكم يا قوم حرب حين
وله:

لله نيسابور من حلّة ... ما مثلها دار ولا حلّة
للخير والمير بها كثرة ... للشّر والضيرّ بها قلة
فيها كرام سادة أجلة ... سادوا على السادة والجلّة
ما عيبها إلّا بعمالها ... فالبخل والمنع لهم ملة
جفوا فما في طينهم للذي ... يعصره من بلة و بلة
فهذه أولى خطاب لهم ... وبعدها ما يهتك الكلة
وله:

قلت لطرف الطبع لما وني ... ولم يطع أمري ولا زجري
مالك لا تجري وأنت الذي ... تحوي مدى الغايات إذ تجري
فقال لي دعني ولا تؤذني ... حتى متى أجري بلا أجر
وله:

للناس في محن الزمان مراتب ... ولكلّهم فيها نصيب راتب
وكأن أوفرهم إذا استقربتهم ... منها نصيبا شاعر أو كاتب
فأقلّ عتبك والعتاب معاً فلم ... يسعد باعتاب الزمان معاتب
وله:

جعلنا أجنيين ... بلا جرم ولا تبّل
وأقصينا وما خنّا ... وما زغنا عن العدل
فقل لي يا أخا السؤ ... د والهمّة والفضل
إلى كم نحن في ضيق ... وفي عزل وفي أزل
أما تنشط أن تملي ... على الكاتب أتم لي
وله:

وجدت ما قد بعثت غثاً ... مستحقراً ليس بالثمين
فليت شعري قليت شعري ... فكان غثاً بلا سمين
وله:

إذا ملكٌ لم يكن ذاهبه ... فدعه فدولته ذاهبه
وله:

إلى حنفي مشى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي
فكم أنقذُ من ندمٍ ... وليس ينافعي ندمي
وله:

ألم تر ما ارتآه أبو عليٍّ ... وكنت أراه ذا لبٍّ وكيس
عصى السلطان فابتدرت إليه ... جنودٌ يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فأمس ... عليه طوس أشأم من طويس
وله:

قل للذي غرّه عزٌّ وساعده ... فيما يحاوله نقضٌ وإمرار
لا تفتخر بغنى أمطيت كاهله ... فإن أصلك يا فخر فخر
وله:

قل للوزير الكريم قولاً ... يعضُّ من ناظر الكريم
دارك لي جنة ولكن ... بوابها مالك الجحيم
وله:

إلى الله أشكو اتصال الخطوب ... وصرف زمانٍ بلينا به
وقد كان ييسم عن ثغره ... فأصبح يكشر عن نابه
وله:

الدهر خداعٌ خلوب ... وصفو بالقذى مشوب
وأكثر الناس فاعتزلهم ... قوالبٌ مالها قلوب
فلا تغرّنك الليالي ... وبرقها الخلب الكذوب
ففي قفا أنسها كروب ... وفي حشى سلمها حروب
وله:

نحن والله في زمان سفيه ... يصفع النائبات من كأس فيه
فتشكّل بشكله يكُّ أحفى ... بك، إن السفيه صنو السفيه
وله:

الدهر سلمٌ لكل نذلٍ ... لكنه للكريم حرب
فارت لذي حكمة وإرب ... فحظة غمة وكرب

همته للسماك سمك ... وخله للتراب ترب

وله:

إذا أحسست في لفظي فتوراً ... وخطي والبلاغة والبيان

فلا ترتب بفهمي. إن رقصي ... على مقدار إيقاع الزمان

وله:

أراح الله قلبي من زمانٍ ... محت يده سروري بالإساءة

فإن حمد الكريم صباح يومٍ ... وأني ذاك لم يحمد مساءه

وله من باب ١؟؟ لدم والهجاء قال:

شيخ لنا يُقطعنا عرضه ... من قبل أن يُقطعنا ماله

أحيب خلق الله من خاله ... حرّاً ومن شام صدى خاله

وأكثر الفتيان بثاً فتى ... يبيته معتفياً حاله

شيخ كثير المال لكنّه ... ملّك ما يملك أقفاله

وكلّ ما عنّ له مشكلٌ ... وراح أن يوضح أشكاله

يبنى على الفكرة أعماله ... وذاك في التحقيق أعمى له

فقيّض الرحمن أفعى له ... تريبه في الخلوة أفعاله

وله:

من مبلغ الأشرار عني أنني ... ما دام لي حسٌّ وعرقٌ ينبض

أقليهم طراً لأتني ضدّهم ... والضدّ للضدّ المنافر مبغض

فإذا رأوني مقبلاً فليعلموا ... أنني بوجه الجدّ عنهم معرض

وله:

إذا اتخذت أحمأ فاسبر خلائقه ... فإن ذا الحزم والتدبير من سبرا

ولا تعول على شخص له عم ... وصورة ذات حسن تبهر القمر

فكم فتى راق منه ظاهرٌ حسنٌ ... وكان باطنه ضدّ الذي ظهرا

أعدده لصروف الدهر مدّخراً ... فكان في السبك والتحقيق مدّخرا

وله:

يا قوم أروعوني أسماعكم ... حتى أؤدي واجب الفرض

أشهد حقاً أنّ سلطانكم ... ليس بظلّ الله في الأرض

وله:

لي صاحبٌ أحقّ هلباجه ... دعوته الكبرى بلا باجه

يقري الأخلاء. ولكنّه ... يطبخ في خديه سكباجه

وله من لسريع:

قلت له لما وانقضى ... لا ردك الرحمن من هالك
أما وقد فارقتنا فانتقل ... من ملك الموت إلى مالك
وله:

لي جاز فيه حيره ... عرسه تلعن أيره
خلق الله إله الناس للغيرة غيره
وله:

في الناس من تجنيسه تجنيس ... أبداً كما تدرسه تدليس
ومن باب؟؟ الشيب والكبر قال:

دع دموعي تسيل سيلاً بداراً ... وضلوعي يصلين بالوجد نارا
قد أعاد الأسي ناري ليلاً ... مذ أعاد المشيب ليلى نهارا
وفة:

سا شيبتي دومي ولا تترحلي ... وتيقني أني بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مرة ... فالآن من حذر ارتحالك أجزع
وله:

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعد ما قوس المشيب قناتي
وله:

أرى المرء يرجو أن يطول بقاؤه ... ليدرك ما يرجو بطول بقائه
فأية جدوى في البقاء وقد هت ... قواه وأقوى قلبه من زكائه
إذا ما نبا حسٌ وكلت بصيرة ... فطول بقاء المرء طول شقائه
ومن باب؟؟ الأمثال والنوادر والحكم المواعظ وما يجري مجراها قال:

بين من يعطي ومن يأ ... خذ في التقدير عرض

فيد المعطي سماء ... ويد الآخذ أرض
وعلى الآخذ أن يشكر إن الشكر فرض
وله:

كنت في نعمة وظل رخاء ... ونسيم من النعيم رخاء
فاتبعته الهوى وخالفت رأيي ... واتباع الهوى وبىء الهوى
وله:

حبست ومن بعد الكسوف تبلج ... تضيء به الآفاق للبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس غمّاً ووحشة ... فأول كون المرء في أضيق الحبس
وله:

أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... تجمّ وعلّله بشيء من المرح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح
وله:

لا تنكرنّ إذا أهديت نحوك من ... علومك الغرّ أو آدابك النتفا
فقيّم الباغ قد يهدى لمالكة ... برسم خدمته من باغه التحفا
وله:

لا تحسبني إذا أوليتني نعماً ... أي أخو وهنّ في الشكر أو كسل
فإنني نحل شكرٍ إن جنى ثراً ... أجنالك من قوله أحلى من العسل
وله:

لا درّ درّ نوازل الأحداث ... نقلت أحبتنا إلى الأحداث
فعدت مآنسنا وهنّ مقابرّ ... وغدت مدائحنا وهنّ مراثي
وله:

توقّ خلافاً إن سمحت بموعديّ ... لتسلم من هجو الورى وتعافى
فلو أثمر الصفصاف من بعد نوره ... وإبراقه ما لقّبه خلافا
وله:

من شاء عيشاً رخيّاً يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا
فالينظرنّ إلى من فوقه أدباً ... ولينظرنّ إلى من دونه مالا
وله:

إن كنت تطلب ثروةً وغنى ... فعليك بالإجمال في الطلب
فالرّسل ليس يدرّ في العلب ... من غير إيساس ولا حلب
وله:

لا تحقر المرء إن رأيت به ... دمامةً أو رثاة الحلل
فالنحل شيءٌ على ضؤولته ... يشتر منه الفتى جنى العسل
وله:

إذا ما اصطفت امرءاً فليكن ... شريف التّجار زكي الحسب
فنذل الرجال كندل النبات ... فلا للثمار ولا للحطب
وله:

رضيت بعيش كفافٍ حلال ... وبعث المدام بماء زلال
فمن يك يحلو له ما يصيب ... حراماً فإنّ حلالى حلالى
وله:

دعني فلن أخلق ديباجتي ... ولست ابدي للورى حاجتي

عليّ أن ألزم يتي وأن ... أرضى بما يحضر من باجتي
منزلي يحفظها منزلي ... وباجتي تحفظ ديباجتي
وله:

يا أيّها السائل عن مذهبي ... ليقتردي فيه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى ... فهل لمناجي من هاجي
وله:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكرٌ إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فإن فاتنا نسلٌ فإنّا بما نسلو
وله:

صحتك جامل الإخوان طرّاً ... على عذب سقوه أو أجاج
ولا ترج الصفاء بغير مذاق ... فلا يخلو السراج من السناج
وله:

إذا ما هممت بكشف الظلم ... وحفظ الغور وسدّ الثلم
فعول على خلتين اثنتي ... ن خرق الحسام ورفق القلم
وله:

لا يعدم المرء كنّاً يستكنُّ به ... ومنعةً بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم قلّت مهابته ... كالليث يحقر إمّا غاب عن غابه
وله من الرجز:

ألدُّ من رشف رضاب الحور ... ومن رضاع درّة السّرور
والبارد الزلال للمخمور ... رشف الشاء من فم الشكور
وله:

تأخّرت عن قومٍ ولا غرو أنّي ... سأسبقهم بالجدّ والجدّ معوان
ألست ترى العنوان يكتب آخراً ... وأوّل مقروء من الكتب عنوان
وله:

إذا حيوان كان طعمه ضده ... توقّاه كالفار الذي يتقي الهراً
ولا شك أن المرء طعمه دهره ... فما باله يا ويحه يأمن الدهرا
وله:

لا يستخفنّ الفتى بعدوّه ... أبداً وإن كان العدو ضيّلا
إن القذى يؤذى العيون قليله ... ولربّما جرح البعوض الفيلا
وله:

أحرّك بالتذكير قوماً لعلّه ... يفتّح من أسماعهم شدّه الوقر
وإن كان تحريكه يشقّ عليهم ... فإنّ طنين الزير والبمّ بالنقر
وله:

لقد هنت من طول المقام ومن يقيم ... طويلاً يهن من بعد ما كان مكرماً
وطول جمام الماء في مستقرّه ... يغيّره لوناً وريحاً ومطعماً
وله:

لئن تقلّت من دارٍ إلى دار ... وصرت بعد ثواءٍ رهن أسفار
فالحرّ حرٌّ عزيز النفس حيث ثوى ... والشمس في كلّ برجٍ ذات أنوار
وله:

إذا تحدّثت في قومٍ لتؤنسهم ... بما تحدّث من ماضٍ ومن آتي
فلا تعيدن حديثاً إنّ طبعهم ... موكلٌ بمعادة المعادات
وله:

إذا خلل المرء من نفسه ... فليس له من سواه نصير
وشرّ سلاحٍ يحامي به ... لسانٌ طويلٌ وباعٌ قصير
وله:

دعوني وأمري واختياري فإنّني ... عليّ بما أفري وأخلق من أمري
إذا مرّ بي يومٌ ولم أصطنع يداً ... ولم أستفد علماً فما هو من عمري
وله:

أشفق على الدرهم والعين ... تسلم من العينة والدّين
فقوّة العين يأنساها ... وقوّة الإنسان بالعين
وله:

يا من يرجّى أن يعيش مسلماً ... جذلان لا يدهى بخطبٍ يحزن
أفرطت في شطط الأمانى فاقصد ... واعلم بأنّ من المنى ما يفتن
ليس الأمان من الزمان بممكن ... ومن المحال وجود ما لا يمكن
معنى للزمان على الحقيقة كاسمه ... فعلام ترجو أنّه لا يزمن
وله:

وثقت برّبي وفوضت أمري ... إليه وحسي به من معين
فلا تبتسّ لصروف الزمان ... ودعني فإنّ يقيني يقيني
؟؟

أبو سليمان الخطابي

أحمد بن محمد بن إبراهيم

كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفحماً. ولأبي سليمان كتب من تأليفه وأشهرها وأسيرها كتاب في غريب الحديث وهو في غاية الحسن والبلاغة.

وأنشدني غير واحد له:

وما غمة الإنسان في شقة التوى ... ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال:
وليس اغترابي في سجستان أنني ... علمت بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنني ما لي بها من مشاكل ... وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا
وأنشدني أبو الفتح قال: أنشدني أبو سليمان لنفسه من البسيوع
شر السباع العوادي دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤزهم سجع ... وما نرى بشراً لم يؤذه بشر
وأنشدني له أيضاً:

ما دمت حياً فدار الناس كلهم ... فإتما أنت في دار المدارة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديماً للندامات
وله:

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا عليها غير ربح مستعاره
وما للريح دائمة هبوب ... ولكن تارة تجري وتاره
وله:

وقائل ورأى من حجتي عجباً: ... كم ذا التواري وأنت الدهر محبوب
فقلت: حلت نجوم العمر منذ بدا ... نجم المشيب ودين الله مطلوب
فلذت من رجل بالاستتار عن ال ... أبصار إن غريم الموت مرعوب
وله:

تغنم سكون الحادثات فإنها ... وإن سكنت عما قليل تحرك
وبادر بأيام السلامة إنها ... رهو وهل للرهن عندك مترك
وله:

قل للذي ظل يلحاني ويعذلني ... لنائل فاته، والخير مأمول
لا تطلب السمن إلا عند ذي سمن ... نال الولاية فالمعزول مهزول
وله:

قد جاء طوفان البلاء ولا أرى ... في الأرض ويحي للنجاة سفينه
فاصعد إلى وزر السماء فإن يكن ... يعيبك فابك لنفسك المسكينه
وله:

تسامح ولا تستوف حقك كله ... وابق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصاد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم
وله:

قد أولع الناس بالتلاقي ... والمرء صبُّ إلى هواه
وإنما منهم صديقي ... من لا يراني ولا أراه
وله:

سلكت عقاباً في طريقي كأنها ... صياصي ديوك أو أكفّ عقاب
وما ذاك إلا إن ذنباً أحاط بي ... كان عقابي في سلوك عقاب
وله:

إذا خلوت صفا ذهني وعارضني ... خواطرٌ كطراز البرق في الظلم
وإن توالى صياح الناعقين على ... أذني عرتني منه حكمة العجم
؟؟

أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي

سمعت أبا الفتح البستي يقول: لما أنشدني شعبة قوله:
فديت من زارني على حذرٍ ... من الأعادي وقلبه يجب
فلو خلعت الدنيا عليه لما ... قضيت من حقه الذي يجب
استحسنته، وأنا إذ ذاك في زمان الصبا، فأخذت نفسي سلوك طريقته في المتشابه حتى قلت ما قلت: قال:
وأنشدني أيضاً لنفسه من الامل:

إن كنت أزمعت الفراق فلا تدع ... نفسي تعاجلني بوشك فراق
واصل بكتبك ميتاً يحيه ما ... يلقاه فيها من غداة تلاقي
وأنشدني غيره له:

نفسى الفداء لمن لم أحل مذ عقلت ... نفسى بذكره من حسن وإحسان
ما إن تزال أياديه تواصلني كأنه وأنا أهواهي هواني
وله:

لكل من بني الدنيا مرادٌ ... ومالي غير وصلك من إراده
فلو شاهدت قلبي لم تجده ... تضمّن غير حبك والشهادة
أخذه من قول القائل:

لو شقَّ قلبي لرأوا بينه ... حبك والتوحيد في سطر
وله:

ضقت ذرعاً بذلتي واغتربني ... وفراق الإخوان والأحباب
جاوز الدهر حلة في اهتضامي ... وكأن الزمان يهوى عذابي
لايني في حشاي مسموم ناب ... لليلي وفي فمي كأس صاب
زمنٌ جائرٌ وجدُّ عثور ... وأسى لازمٌ وزندٌ كابي
؟؟

أبو بكر النحوي البستي

له شعر كثير، لا يحضرنى الآن منه إلا قوله لأبي بكر الخوارزمي، وكان هجاء بقوله:
نحويكم في حقه معرفة لا نكره
ذو حية مبسوطة وفطنة مختصرة وغير ذلك، فقال:
وعاوى عوى مناهل خوارزم خيفة ... كذا الكلب عند الخوف مجتهداً يعوي
تعاطم فعلي أهل ودِّي أن رأوا ... سكوتي وهجري هجو من دأبه هجوي
فقلت: اسكنوا فاهجو نجوً وإنِّي ... حلفت بأن لا أغسل التجو بالنجو
؟؟

الخليل بن أحمد السجزي

كان أحد الأئمة في فقه الحنفية، ومن شعراء الفقهاء، وتقلد القضاء لآل سامان بسجستان وغيرها سنين
كثيرة، وهو القائل لأبي جعفر صاحب سجستان في تهنئة بقصر بناه:

شيدت قصرًا عاليًا مشرفاً ... بطائريّ سعدٍ ومسعود
كلأتما يرفع بنيانه ... جنُّ سليمان بن داود
لا زلت فيه باقياً ناعماً ... على اختلاف البيض والسود
وكان مكتوباً في صدر الإيوان الذي فيه:
من سرّه أن يرى الفردوس عاجلةً ... فلينظر اليوم في بستان إيواني
أو سرّه أن يرى رضوان عن كتب ... بملء عينيه فلينظر إلى الباني
ولما قتل أبو جعفر أمر الخليل أن يكتب تحتها من قبله:
لو كانت الدار فردوساً وساكنها ... رضوان لم يبل فيها جسم رضوان
الموت أسرع في هذا فأهلكه ... والدهر أسرع في تخريب إيوان
وأنشد الخليل قول التوحي القاضي:

خذ الفلاس من كفّ اللئيم فإنّه ... أعزّ عليه من حشاشته نفسه
ولا تحتشم ما عشت من كل سفلةٍ ... فليس له قدر بمقدار فلسه
فعارضه بقوله:

صن لنفس عن ذلّ السؤال ونحسه ... فأحسن أحوال الفتى صون نفسه
ولا تتعرض للئيم فإنّه ... أذلّ لديه الحرّ من شطر فلسه
وكتب إليه أبو القاسم السجزي الذي تقدم ذكره يستفتيه:
هاك سؤالاً ففيه شرق ... هات فأحضر له الجوابا
هل في اضطبار لذي اشتياقٍ ... على فراق ترى ثوابا
فأجابه بهذين البيتين:

أحضرت عن قولك الجوابا ... أتلو برهانه الكتابا
الله وفيّ الصبور أجراً ... يفوت في فضله الحسابا
وكتب إليه مرة أخرى يكتفى عن القبله:

إمام الورى هل للفتى في اختياره ... من الأرى ما يقيّ حشاشته وزر
فأجابه بهذا البيت:

أرى الأرى في حكم الشريعة شورةً ... مباحاً لمن كان قد كان في ملكه الدبر
؟؟

أبو زهير بن قابوس السجزي القاضي

من شعره من قوله:

نظرت إلى رأسي فقالت ما له ... قد ضمّ فوديه قناع أدكن
يا هذه لولا النجوم وحسنها ... لم تألف الليل البهيم الأعين
فتضاحكت عجباً وقالت يا فتى ... نقصان عقلك في قياسك يّين
الليل يحسن بالنجوم وإنما ... ليل الشباب بلا نجوم أحسن
ولم:

إذا المرء لم يركب الأشقرا ... ولم يصد الشادن الأحورا
ولم يتمتّع بطيب الطعام ... ولين اللباس وقد أيسرا
فقد عدم الربع من عمره ... وقد حصد المتجر الأخسرا
؟؟

أبو القاسم محمد بن محمد

بن جبير السجري

كاتب الأمير خلف، والآخذ من النثر والنظم بطرفيهما، وله شعر كثير وقع إلي بخطه فلم أستصلح منه لكتابي هذا غير مقطوعات سلك فيها طريقة أبي الفتح وضرب فيها على قلبه، فمنها قوله:

بأبي غلام لست غير غلامه ... مذ جاد لي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما إن رأيت كونه ... أبداً، وصدغ ما رأيت كلامه
وقوله:

وحديقة صَبَّحتُها في فتية ... كحديقة، والطير في أوكارها
كم ماجنٍ فينا وكم متعَفِّفٍ ... قد صار يمجن طائعاً أوكارها
وقوله:

أرى الدهر ينسي ذنوب الرجال ... ويذكر ذنبي وذنب كمال
يرمون شأوي، وما إن لهم ... من الفضل قول وفعل كمال
فأموهم قد تصان كعرضي ... وأعراضهم تستباح كمال
وقوله:

يا ماكرأبي وبخلآته ... مهلاً فما المكر من المكرات
عليك بالصحة فهي التي ... تحيا فتحبك إذا المكرات
؟؟

أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي

كاتب فيلسوف مهندس شاعر، من كتاب الأمير خلف، وتنقلت به الأحوال والأسفار بعده، فوقع إلى نيسابور في عوده إلى بلاده، ومن مشهور شعره قوله:

رحلت وذاهب عقلي ورأيي ... لبعذك بادٍ ودانٍ ورأيي
أسير أسير الهوى سادراً ... فعزمي أمامي ورأيي ورأيي
وقوله مع الإشارة:

أنا من لست أعرف لي سواه ... من الأقوام ركناً أو ملاذاً

أحبُّك حبَّ صبٍّ مستهَامٍ ... وفي است أمّ الذي يقلبك هذا
وكتب لي بإسفرائين من شعره، فمن قوله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي، أولها:
غيري يطلُّ اللموع في الطلل ... مولّها بالغزال والغزل
كنت عروفاً عن الملاعب في ... غدوة عمري فكيف في الطفل
ولم يكن لي من الهوى نهل ... فكيف تسمو نفسي إلى علل

ولم أقبل زهواً يدي ملك ... فأين لعس الشفاه من قبلي
ومنها:

يا عاذلي في قصور حظي قد ترى ... اجتهادي فاكفف عن العذل
إن فلّ مالي فذاك من قبل الأقدار ... ما اعتبرت لا قبلي
ومنها:

ويلزم اللوم في الخصاصة لو ... كانت تنال الحظوظ بالحيل
لو كان يسمو بفضله أحد ... لما تأخرت عن مدى زحل
ومنها:

إن زال ما كنت فيه من عمل ... فإنّ ما كان فيّ لم يزل
وإني بعد من معاودة ال ... إقبال لي آنفاً على أمل
بيمن جدّ الأستاذ مولاي بشر بن علي بن يوسف بن علي
؟؟

أبو الحسن عمر بن أبي عمر

السجزي النوقاني

أديب شاعر فقيه، من حسنات سجستان، وله غير رحلة واحدة إل خراسان والعراق في طلب الأدب والعلم. وكان أقام على حضرة صاحب برهة يستفيد من مجالسها ويقتبس من محاسنها وحين استأذنه لمعاودة بلده والتمس الكتاب بالوصاية به. وقع على ظهر رقعة: كنا نؤثر - أطال الله تعالى بقاءك! - ألن تقيم ولا تريم، فقد جمعت من آلات الفضل ما يقتضي اصطناعك في خواص الأصحاب: العقل صحيح الطابع، والدين سليم الباطن، والعلم غزير المشرع، والطبع فياض المورد، سلسال المكرع، وأما الشعر فريح المباءة مشرق المطلع، كثير البديع، واسع الخط، يترقق فيه ماء القبول. قد صينت جزالته عن صلابة القسوة، وسلاسته عن رقة الركة، وعمدنا الأدب النحو واللغة، ولك ي كل منهما قدح يجول، حتى يجلب إليك أعشار الجزول، وقد استفدت بحمد الله من علم الكلام ما يدعى كفاية المتحقق إن لم يكن مذخورة المتلهف، ولولا ما وراءك من فرض لا يستحل صدك عن أدائه، ثم إن لسانك رهينة عندنا على إيابك، لطال تشبث من لدينا من إخوانك بعطفي مقامك، ففي دعة الله وحفظه وبركته وعونه، ومن يقرأ هذا الجواب وخطي عليه مهيمن ولفظي به شاهد يستغنى به عن لقاءه بكتاب فاجعله عصرة المبين وعمدة اليقين.

ومن ملح شعره قوله:

يا ويح قلبي لا يزال يروعه ... فمن يعزّ عليه وشك فراق
تتقاذف البلدان بي فكأنّي ... وليت أمر مساحة الآفاق

وقوله:

أبت نفسي الدنيا فأففس ماها ... كتاب أبي إلا إليه سكونها
أصون كتابي عن يد لا تصونه ... صيانة نفسي عن أخ لا يصونها
وقوله:

غلا الشعر في بغداد من بعد رخصه ... وإني في الحالين بالله واثق
فلست أحاف الضيق والله واسع ... غناه، ولا الحرمان والله رازق
وقوله:

الفقر والإفلاس والضُرُّ ... ثلاثة أيسرها مرُّ
أحسن بالحرُّ على قبحها ... من جدّة ذلّ لها الحرُّ
وقوله:

إذا بخلت يرى ... ولم أنل منك رفدا
فأنت مثلي عبدٌ ... وفيم أخدم عبدا
وقوله:

إن الدماميل برّحت بي ... وأقعدتني عن التحرُّك
أزحف مهما أردت مشياً ... وإن أردت القعود أبرك
وقوله:

وإني لأعرف كيف الحقوق ... وكيف يرُّ الصديق الصديق
ورحب فؤاد الفتى محنةً ... عليه إذا كان في المال ضيق
وقوله من نشفة:

يعزّ عليّ إنفاقي شبّابي ... على حرق الهوى والإغتراب
ولاح بعارضي كافور شيب ... يكابرني على مسك الشباب
وقوله:

لعمرك إن العمر ما لا يسرّني ... لموت. وبعض الموت خيرٌ من العمر
وإن غنى لا يأمن الفقر ربُّه ... لفقر. وخوف الفقر شرٌّ من الفقر
وله من قصيدة في الأمير خلف:

لك الدنيا ومن فيها ولكن ... تلاحظها بعينيك احتقارا

تكبرّ ذا الزمان على بنيّه ... فعش حتى تعلّمه الصغار
وصار صغارهم فيه كباراً ... فدم حتى تردّهم صغارا
خدمت لك الملوك أروض نفسي ... لأمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت لك الدنيا جعلنا ... لك الدنيا وما فيها نثارا

الباب السابع

في تفارق من ملح أهل بلاد خراسان

سوى نيسابور وغرهم

؟؟

أبو القاسم الداودي

هو اليوم صدر أهل الفضل، وفرد أعيان الأدب والعلم بهراة، يضرب في المحاسن بالقدح المعلى، ويسمو
منها إلى الشرف الأعلى، وأخباره في الكرم مذكورة، ومآثره في الرياسة مأثورة.
وهو القائل وكتب به إلى صديق له من الغرباء أنفذ إليه مبرة:
ربما قصر الصديق المقل ... عن حقوق بمن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاء ... في وداد ومنة لا تقل
أرخ سترًا على حقارة بري ... هتك ستر الصديق ليس يحل
وأنشدني يحيى بن علي البخاري لأبي القاسم:
قالوا ترقق في الأمور فإنه ... يجدي ويمري الدر بالإسلس
ولقد رفقت فما حظيت بطائل ... ما ينفع الإساس بالأتياس
وأنشدني غيره له، ويجوز أن يكون تمثل به:
وإذا الذئاب استنعت لك مرة ... فحذار منها أن تعود ذئابا
فالذئب أخبت ما يكون إذا بدا ... متلبسًا بين النعاج إهابا

أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى

؟؟

الداودي الهروي الفقيه

أنشدني له أبو سعد نصر بن يعقوب في التفاح المنقط:
ناولني تفاحةً وسمتها ... دائرات بحسن نقط عجيب
كدموعي مزوجةً بدماء ... قاطرات في صحن خد حبيبي
وله في السفرجل:
غصون السفرجل ملتفة ... فمعتدل القد أو منثنى

وقد لاح في زئبرٍ شاملٍ ... كصفراءٍ في معجرٍ أدكن
وله:

أما شائقك روضةٍ دستجرد ... كعقدٍ أو كوي أو كبرد
تطير فراشها بيضاً وحمراً ... كريحٍ طيّرت أوراق ورد
؟؟

أبو الحسن المزني

هو أشهر بالشرف والجد، وذكره أسير في الأدب والفضل، من أن ينبه على محله في الواجهة والسيادة
والرياسة والوزارة، وله شعر كثير لم يعلق بخفي منه إلا بيت واحد قاله في الأمير أبي الحسن بن سيمجور،
وهو هذا البيت:
ولو أر ظلماً مثل ظلمٍ يمستأ ... يساء إلينا ثم نؤخذ بالشكر
؟؟

أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي

أحد بلغاء خراسان المذكورين، وفضلائها المشهورين، وعقلائها الموصوفين، وكان في آخر عمره مرتبطاً
بالخضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلم الخطوب، وكان
متبحراً في النثر، مقلاً من قول الشعر، وهو القائل:
وكان الصديق يزور الصديق ... لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق ... لبثَّ الهموم وشكوى الزمان
وله في نفسه من لطويل:
له همٌّ ما إن تزال سوفها ... قواطع لو كانت لهنَّ مقاطع
؟؟

أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي

فاضل بحقه وصدقته، كاتب شاعر فقيه ملء ثوبه، ممدوح بألسنة الفضلاء من أهل عصره، وفيه يقول أبو
الفتح:
أبو روح أدام الله عزّه ... ألدُّ إذا انبرى للخصم عزّه
وذاك لأنه هجر الملاهي ... فصار كثيراً والعلم عزّه
وله أيضاً:
قل لذي العزِّ واخل النبيه ... لأبي روح الفقيه الوجيه

من دعاء إخوانه فتباطى ... لا لعذرٍ عنهم ففيه وفيه
وولى قضاء عدة من بلاد خراسان، وشعره كثير مدون، يجمع الجزالة والسهولة، والمتانة والعدوبة، ويخرج
منه الفقر والغرر، كقوله من قصيدة:

السيف يعلم أنّ لي في حلة ... سرّاً نهاء الدهر عن إفشائه
والدهر يعلم أنّ لي في صدره ... ناراً مضرمّة على أحشائه
هممٌ مؤرّقة جفوني كلّما ... أرخى الظلام عليّ ذيل خبائه
ولو أنّ أطراف الرماح وفين لي ... لأخذت حقّ الدهر من أبنائه

همم النفوس منوطة بعنائها ... والمرء يخدعه لسان رجائه
وقوله ولم يسبق إليه في مدح الطفيلي:
إنّ الطفيلي له حرمة ... زادت على حرمة ندماني
لأنّه جاء ولم أدعه ... فليأتها القاصي مع الداني
أحبب بمن أنساه لا عن قلى ... وهو يجني ليس ينساني
وقوله وهو في نهاية الملاحاة:

يا من تذكّرني شمائله ... ريح الشمال تنفّست سحرا
وإذا امتطى قلماً أنامله ... سحر العيون به وما سحرا
وقوله لبعض أضداده:

حقيق بك أن تطعم عقصاً وهو معكوس
وأن يلبس جنباك الذي مقلوبه طوس
فهذا لك مطعوم وهذا لك ملبوس
؟؟

منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي

قد حسن الله شمائلهن وكثر فضائله من أعيان هراة، وآحادهها، ومفاخرها وأفرادها، وشعره مدون كثير
الملح، كقوله:

يوم دجن هواؤه ... فاختي رواؤه
مطرتنا مسرة ... حين صابت سماؤه
أشبه الماء راحة ... وحكى الراح ماؤه
داو بالقهوة الحما ... رففيها دواؤه
لا تعاتب زماننا ... إن عرانا جفاؤه
شدة الدهر تنقصي ... ثم يأتي رخاؤه

كدر العيش للفتى ... يقتفيه صفاؤه
وكذا الماء يسبق ... الصفو منه جفاؤه
وقوله:

معتقة أرق من التصابي ... من وصل أتى بعد التناهي
يطوف بها قضيب في كثيب ... تطلع فوقه بدر السماء
لواظله تبث السحر فينا ... وفي شفتيه أسباب الشفاء
وله:

قرن الزمن إلى البنفسج نرجساً ... متبرجاً في حلة الإعجاب
كخدود عشاق بدت ملطومة ... نظرت إليها أعين الأحباب
وله:

وأغيد ساحر الأخطأ أدعج ... يتيه به على الخد المضرج
أضاف إلى فؤداي السقم لما ... أضاف إلى شقائقه البنفسج
وله:

قم يا غلام فهاهما حمراء ... كالنار يورث شربها السراء
فاليوم قد نشر الهواء بأرضنا ... من ثلجه ديباجة بيضاء
وله:

خشف من الترك مثل البدر طلعتة ... تحوز ضدين من ليل وإضاح
كأن عينيه والفتير كحللها ... آثار ظفريدت في صحن تفاح
وله:

الله جار عصابة رحلوا ... عني وقلب الصب عندهم
ما الشأن ويلك في رحيلهم ... الشأن أتى عشت بعدهم
وقوله في المرأة من الراجز:

زاهية تشبه كل صوره ... أسرارها مستورة مشهورة
تنم إلا أنها معذوره ... نفس أخي الحسن بها مسروره
وله:

روضة غصة علاها ضباب ... قد تجلت خلالها الأنوار
فهي تحكي مجامراً مذكيات ... قد علاها من البخور بخار
وله:

أبا عبد الإله العلم روح ... وجدتك دون كل الناس شخصه
لذلك كل أهالفضل أمسوا ... كحلقة خاتم وغدوت فصه
وله من الراجز:

وشادنٍ في الحسن فوق المثل ... أبصر مني بوجوه العمل
قَبَلت كَفِّه فقال انتقل ... إلى فمي فهو محلُّ القبل
وله:

بقيت مدى الزمان أبا عليّ ... رفيع الشأن ذا جدِّ عليّ
لأنت من الكارم والمعالي ... بمنزلة الوصيِّ من النبيِّ
وله:

يا أيُّها العاذل المردود حجَّتْه ... أقصر فعذري قد أبدته طلعتَه
ماذا بقلبي من بدرٍ بليت به ... لليث أخلاقه، والحشف خلقتَه
؟؟

أبو أحمد الساي الهروي

قال:

هراة ارض خصبها واسع ... ونبتها اللِّفاح والنجس
ما أحد منها إلى غيرها ... يخرج إلا بعد ما يفلس
؟؟

أبو الربيع البلخي

من المتصرفين على أعمال المظالم من الحضرة السامانية، وهو القائل في الشاش:
الشاش في الصيف جنّه ... ومن أذى الحر جنّه

لكنّه يعتريني ... بما لدى البرد جنّه
وله:

ما يوم منكوب حزين مستهَام القلب خائف
بأمد من يوم الظُّريف إذا تجوَّع للقطائف
وإنما نسج فيه على منوال من قال:
ما ليلة المهجوّ با ... عدت التوى عنه أنيسه
أو ليلة الملسوع حا ... ذر ميتة النفس النفيسه
بأمدً من ليل الظريف إذا تجوَّع للهريسه
؟؟

أبو المظفر البلخي

من شعره قوله:

بلوتك يا دنيا مراراً كثيرةً ... فلم ترعيني في هواك قريه
فإن كنت في عين اللئيم خطيرةً ... فإنك في عين الكريم حقيره
وإن تصرفني عني أذاك فخيرة ... وإن تصرفني نحوي أذاك فحيره
وله:

قال الحكيم الفارسي ... بزرجمهر ثم مزدك
لا ترضين من الصديق ... بكيف أنت ومرحباً بك
حتى تجرب ما لديه ... لحاجةٍ إمّا بدت لك
فإذا وجدت فعالة ... كمقاله فيه تمسك
؟؟

أبو بكر بن الوليد البلخي

من شعره قوله:

ثلاثة فقدوها كبير ... الخبز واللحم والشعير
والبيت من كلها خلاء ... فجد بها أيها الأمير
وله من نتفة:

أحسن الأشعار عندي ... وآنف بالخمير الحمارا
وألد الآي عندي ... وتري الناس سكارى
وله:

خلة في من خلال الحمير ... لم يطب لي شرب بغير صفيير
وله:

ما سمّت العجم الهميان هميانا ... إلا لإجلال ضيفٍ كان من كانا
فالمة أكبرهم، والمان منزلهم، ... والضيف سيدهم ما لازم المانا
؟؟

الحسن الضرير المروزي

في غلام نصراني:

وما أنس لا أنس ظبي الكناس ... يريد الكنيسة من داره
يحوط بزواره خصره ... ومرعى الجمال بأزراره
فيا حسن ما فوق أزراره ... ويا طيب ما تحت زناره

أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل

؟؟

الفقيه الطوسي

افتتن بـغلام من الشطار فقال فيه:
أتوعدني بالقتل والقتل راحتي ... فلا تخلف الإيعاد خلفك ميعادي
وقال في غلام أعطاه كتاب العين:
كتاب العين ظلّ يقرُّ عيني ... ويصلح بين من أهوى وبيني
كتاب العين قرّاد لطيف ... يحلُّ إليك عصم التفلتين
؟؟

أبو محمد الطوسي

قال:
أبوك في الناس سلّ سيفاً ... بمضريه يفلّ صفّاً
وذلك الصفّ كان غزلاً ... وذلك السيف كان خفّاً
؟؟

أبو سهل المعقلي الطوسي

قال:
يا دولة ليس فيها ... من المعالي شطيّه
زولي فما أنت إلا ... على الكرام بليه
؟؟

أبو نصر الروزبازي الفقيه الطوسي

من شعره قوله:
لي خمسون صديقاً ... بين قاضي وشريف
وأمرٍ ووزير ... وفقهٍ وظريف
فإذا احتجت إليهم ... لم يفوا لي برغيف

الباب لثامن

في ذكر الأمير

أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

وإيراد محاسن من نثره ونظمه

وما محاسن شيء كله حسن

القول في آل ميكال وقدم بيتهم، وشرف أصلهم، وتقدم أقدامهم، وكرم أسلافهم وأطرافهم، وجمعهم بين أول المجد وأخيره، وقديم الفضل وحديثه وتليد الأدب وطريفه، يستغرق الكتب، ويملا الأدرج، ويحفي الأفلام، وما ظنك بقوم مدحهم البحتري، وخدمهم الدريدي وألف لهم كتاب الجمهرة وسير فيهم المقصورة التي لا يليها الجديدان، وانخرط في سلكهم أبو بكر الخوارزمي وغيره من أعيان الفضل وأفراد الدهر، وكان كل من الشيخ أبي العباس إسماعيل بن عبد الله وابنيه الرئيس أبي محمد عبد الله والأمير أبي القاسم علي أمة على حدة، وعالمًا في شخص واحد، وما منهم إلى من يضرب به المثل في الشرف، والأمير أبو نصر أحمد بن علي الآن بقية الأماجد وغلاة الأكارم وعملة الأفاضل وواحد خراسان ومفخرتها وجمالها وزينتها، من لا نظير له في شرف النفس وعد المهمة ورفعة الشأن وتكامل آلات السيادة. والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد يزيد عى الأسلاف والأخلاق من آل ميكال زيادة الشمس على البدر، ومكانه منهم الواطة من العقد، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم وفضائلهم ومناقبهم وخصائصهم، ويتفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته وأبو عنزته وأخو جملته، وما على ظهره اليوم أحسن منه كتابة وأتم بلاغة، وكأنما أوحى بالتوفيق والتسديد إلى قلبه. وحبست الفقر والغرر بين طبعه وفكره، فهو من ابن العميد عوض، ومن الصاحب خلف، ومن الصابي بدل، ثم إذا تعاطى النظم فكأن عبد الله بن المعتز وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وأبا فراس الحمداني قد نشروا بعد ما قبروا، وأوردوا إلى الدنيا بعد ما انقرضوا. وهؤلاء أمراء الأدباء، وملوك الشعراء، وقد أنصف من وصف بلاغته في النثر وبراعته في النظم حيث قال من قصيدة:

يا من كساه الله أردية العلى ... وحباه عطر ثنائها المضوّع
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه المسعود قلت لمقلتي فيها ارتعي
وإذا قرئت الأذن شهد كلامه ... قلت اسمعي وتمتعي وارعي وعي
وكأنما يوحى إلى خطراته ... في مطلع أو مخلص أو مقطع
لك في المحاسن معجزاتٌ جمة ... أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه ... شعر الوليد وحسن حفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوه ... خطُّ ابن مقلة ذي الخلل الأرفع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى ... وافى الكريم بعيد فقر مدقع
وإذا تفتّق نور شعرك ناضراً ... فالحسن بين مرصّع ومضرّع

أرجلت فرسان القريض ورضت أف ... راس البديع وأنت أفرس مبدع
ونقشت في فصّ الزمان بدائعاً ... تزي بأثار الربيع المرع
وحويت ما تكنى به طراً فلم تترك لغيرك فيه بعض المطمع
وقال من أخرى:

يا من له كلّ الذي يكنى به ... ومفرق العليا لديه مؤلف
غنّت بسؤددك الحمام الهتّف ... وحكت أناملك الغيوم الوكّف
وتصرفت بك في المكارم والعلى ... همم على قمم النجوم تصرّف
وملكت أحرار الكلام كأنّها ... خدم وغلمان لأمرك وقّف
وكأنما نور الربيع وزهره ... من وشي خطك في المهارق أخرف
وقال:

إني أرى ألفاظك الغرّاً ... عطّلت الياقوت والدرّاً
لك الكلام الحرّ يا من غدا ... معروفه يستعبد الحرّاً
وقال:

سبحان ربي تبارك الله ما ... أشبه بعض الكلام بالعسل
والمسك والسحر والرقى وابنه الكرم وحلي الحسن والحلل
مثل كلام الأمير سيدنا نثراً ونظماً يسير كالمثل
وقال من أخرى:

يا كعبة المعالي ... وقبلة الآمال
وغرّة الجمال ... وصورة الكمال
وطالع الإقبال ... وعارض الإفضال
وآفة الأموال ... بلر بني ميكال
كم لك من مقال ... أصفى من الزلال
أزكى من الغوالي ... أمضى من العوالي
أقضى من النصال ... أضوا من الهلال
أسرى من الخيال ... أبقى من الجبال

فاسلم على الليالي ... ودم بخير حال
وقد أوردت في هذا الباب من فصوص فصوله التي أخرجها من رسائله وبوبها في كتاب له وسمه بالمنخرون ما
يؤرخ به محاسن الكلام، ويزيد في مآخر الأقلام، ويستحق أن يدعي لفظ الدر، وعقد السحر، وأتبعته من
غور شعره، وثمار فكره، بما تجمع منه اليد على البازي الأبيض والحجر الأسود والكبريت الأحمر، والعيش

الأخضر، وملك بني لأصفر.

؟؟

فصول من باب وصف الكتب

- بالحسن والبلاغة ولطف المواقع من الكتاب المخزون المستخرج من رسائله فصل - إنه ألقى إلي كريم، عنوانه غم جسيم، وعيانه فضل عميم، فلو استطاع قلبي لسعى إليه إغناقاً، والتف عليه عناقا.
- فصل - وصل كتابه به بغية الحريص، وخلتني يعقوب وقد بشر بالقميمص.
- فصل - كتابه تعلقة الرجاء. وقوت النفس. وعلة النشاط وقوة الأنس.
- فصل - كتابه أوصل الأنس إلى سواد القلب وصميمه، وأماط الوجد وقد ألح في تصميمه.
- فصل - أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله ووشمت بوارق فضائله، من راعي القفر وقد رأى القطر سكباً، بعد سنين تتابعت جدبا
- فأضاح يرجو أن يكون حياً ... ويقول من فرح هياً رياً
- فصل - الحمد لله ملء القلوب والضمائر، وفوق وسع الحامد الشاكر، إذا أقبلت غمامة من ناحيتك برقها خلق كريم، وقطرها برعميم، فروت روض الأنس وقد اكتسى ذبولاً وأهدى إيه من نسيم عهده صبا وقبولا، حتى انجلت عنه غبرته، وعادت إليه نصرته.
- فصل - كتابك قيمة فضلان وثمينة عقد، ولطيمة خلقتن ويثيمة مجدنو غنيمة بر.
- فصل - كتابك يجلو صفحة العهد، ويحيل قداح الأنسن ويجل عن قدر الشكر.
- فصل - نشرت من كتابك عصب اليمن. ونظرت منه إلى الطالع الأسعد والطائر الأيمن.
- فصل - لقيت كتابك تحلية الإحسان والإبداع، وحلية النواظر والأسماع ومسمن الخواطر والطباعن وصيقل الأفكار والألباب، وعيار المعارف والآداب.
- فصل - كتاب سلب الماء رفته، والنحل ريقته.
- فصل - كلامك شهادة النحل، وثمره الغراب، وبيضة العقر، وزبدة الأحقاب.
- فصل - وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف، واختلفت لألسن في تشبيهه بدائع الأوصاف، فمن مدع أنه رقية الوصل، وريقة النحل، ومنتحل أنه سلاف العنقود، وقائل هو نور هائل، وسحر بابل، فأما أنا فتركت التمثيل، وسلكت التحصيل، وقلت: هو سماء فضل جادت بصوب الحكم، ووشى طبع حاكته سن القلم، ونسيم خلق تنفست عنه روضة الكرم.
- فصل - سررت بكتابك سرور من فدي بذبح عظيم، وبشر بغلام عليم.
- فصل - قلمك ترب البروق ونظيرها، ويدك أم البلاغة وظئرها وكلامك هو الدر يستغني عن السلك، والإبريز يجل عن السبكن والسحر إلا أنه بريء من الشرك.
- فصل - كتابك شريعة وردي، ومهب شمالي، ومرمى طرفي. ومسرح آمالي، ونحي فكري، وحلم هجودي،

وأرض خصبي، وسماء سعودي.

؟؟

ومن باب الإخوانيات

فصل - أيام ظل العيش رطبوكنف الهوى رحب. وشرب الصبا عذبن وما لشرق الأنس غرب.

فصل - أنا في مقاساة حر الشوق إليك كما اعتاد محموداً بخير صالب وفي تذكر الاجتماع معك كما اهتز من صرف المدامة شارب وفي تكلف الصبر عنك كطالب جدوى خلة لا تواصل وفي القلق لفراقك كطائر جو أعلقتة الحبال.

فصل - أيامي معك بين غرة ولمعة، وعيد وجمعة.

فصل - أنا أخو مودتك الذي لا يخشى نبوه وعقوقه، وسم نصرتك الذي نحو العدى نصله ونحوك فوقه.

فصل - إني لأجد ريح مولاي فأتنسم روح السكونن ولا أقول لولا أن تفندون.

فصل - كنت كمن خرج يبغي قبساً، فرجع نبياً مقدساً.

فصل - أشكو إليك شوقاً لو عاجله الأعراي لما صبا رمل عاج، أو كابله الخلي لانتني على كبد ذاتحرق ولواعج.

فصل - وددت لو أنه ركب الفلك الدائر، وامتنطى النجم السائر. وكان البرق زاملته، والبراق راحلته، والسماك هاديه، والخضر حاديه والصبا إحدى مراكبه، والجنوب بعض جنائبه، لينقصيعمر الانتظار، ونسعد بالقرب والجوار.

فصل - لا خير في ود لا يعرف إلا بشاهد، ولا ينهض إلا براقد مشرق السحنة، واضح السنة، بعيد من الظنة.

فصل - طالعت عهدي لديه ضاحي البشر، ضاحك الزهر، طلق الوجه، باسم الثغرن قد رفت عليه ظلال كرمه، ورقّت له حواشي أخلاقه وشيمه، فحمى وجهه بهائه أن يشجن وروثق مائه أن ينضب.

فصل - وصل كتابه لا أقبل دعوى ولا يعدله شهود، ولا يعدله يوم مشهود.

فصل - أنا أتوقع كتابك أطول من ليلة الميлад، وأمتع من نسيم ريح الأولاد.

فصل - كتبت هذه الأحرف وأنا أود أن مدادها سواد طرقي، وبياضها جللة بين عيني وأنفي، وحملها دون سائر الناس كفي.

فصل - لا تفارق نفسي فيك أشواقها، حتى تفارق الحمائم أطواقها.

فصل - لولا النعل باللقاء لتصدعت أكباد وقلوبن وكانت بيني وبين النوى شؤون وخطوب.

فصل - ما آسى إلا على أيام أمتعتني منمؤانستك بالعين طلقا ما عليه رقوب، وأسعفتني من مجالستك بالدهر فيه خطوب.

فصل - بي إليك شوق لم يكابده قلب متيم، ووجد لم يدعه مالك لمتهم.

فصل - أنا في مفارقتة كبنات نضب عنها الغدير، ونبات الأرض أخطأه النوء المطير.

فصل - شوق عابث أفاسيه. وامتنع عنه الصبر فما يواسيه.

فصل - ذمام ودك عندي لا يخفرون وإن أتيت بما لا يغفر.

؟؟

من باب الشكر والثناء

فصل - للنعم عماد من الشكر يحرسها أن تميل وتميدن وعقال من الثناء والحمد يمنعها أن تبيد وتحيّد، وكثيراً ما يسكر الشارب بكأس سرورها. ويعشى عينه بشعاع نورها، فيذهل عن حفظ ذمارها، ويذهب عنواجب مرتبتها واستثمارها، ويكون كمن أزعجها بعد الاستقرار، وعرضها للنفار، فلا يلبث أن يزل عن مراقبها قدمه، ويطول على ترك موجباتها ندمه، ويحصل منها في برجمقلب، وينظر مننعيمها في أعجاز نجم مغترب.

فصل - كم لك عندي من يد غصّة ما لي بشكرها يدان، وعلى عاتقي من ثقل منّة يعجز عن حملها الثقلان.

فصل - لولا أن من عاداته متابعة النعم لقلت رفقا بكاهلي، فقد أثقله الرفد، وأناملي فقد أعيأها العدّ، لكنه الغيث لا يستكف واكف سحابه، والبحر لا يزحم زاخر عبابه.

فصل - لو ملكت من مقاود البيان، ما يملك من مقالة الإحسان، لأجلبت عليه من شكري بخيل ورجل، وجلبت إليه من فيض بناني سجلا بعد سجلن وكلاً فقد خذلني عبارتي مذ تناصرت ندي مواهبه، ونزفت بلاغي منذ درت على سحائبه.

فصل - لا أعدهم الله نعمة يطوق الشكر جيدها، ويمتري بلطافة الحمد مزيدها.

فصل - قلدي منّة تندي ألسنة الشكر، وتنادي بذكرها أندية الفضل.

فصل - ذاك فضل ملك عنانه ومقاداته، فقهر أعيانه وقاداته.

فصل - لو استطعت لطرت إليه بأجنحة الجنايب، وخطبت بالشكر على متون الكواكب.

فصل - ما هو إلا صوب كرم إذافاضت منه سجال تلتها سجال، وإذا جادت بما يمين رقدتها شمال.

فصل - خدمته أيام كانت رياسته سراً في ضمير لأيام، ونوراً في أكمال الظنون والأوهام.

فصل - أنامله فرصة كل وارد، وعرضة كل قاصد.

فصل - يذب عن حرم المعالي بذباب حسامه، ويحمي غربها بغرار أقلامه.

فصل - كم له من مكارم جدد منهج أطمارها، وأذكي سنا أقمارها.

فصل - له الأمر المطاع، والشرف اليفاع، والعرض المصون والمال المضاع.

فصل - مساعيه ضرائر النجوم وأنامله ضرائر الغيوم.

فصل - أملى محاسنه وأيدي الأيام تكتبن وأثني بأياده وألسنة الحال تشهد وتخطب.

فصل - وهو واحد العصرن وثاني القطرن وثالث الشمس والبدر.

فصل - ذاك سلطان فضل هو عرابة رايته، وميدان سباق وهو عكاشة عنايته.

فصل - ما هو إلا صفيحة فضل طبعت من سكتك، وسبيكة مجد ضربت على سكتك.
فصل - ما هو إلا نجم طلع في سمائك، ومعنى اشتق من أسمائك.
فصل - أفاض عليه من صوب رشاشه، ما أروى غلة مشاشه.
فصل - ثناء أطيب من فوح الأزاهر، وأطيب من ترجيع المزاهر.
فصل - ثناء كما يتفق المسك من أكمامه، وينتفض الروض غبّ رهامه.
فصل - ما هو لا لمعة من برقك، ورذاذ من ودقك، ونجم طلع في أفقكن وشعلة قدحت من نارك، ورشاش
ارفض من سحابك.
فصل - أحيا كتابك مني نفساً مواتاً، وأنشر أملاً رفاتاً، وتلافى حشاشة كانت مناهلك علة شفا، وبلّ ريقاً لم
يدع للناس فيه مرتشفا.

ومن باب

؟؟

العتاب والذم وشكوى الحال

فصل - عتاب من قلب خالص، وصدر سليم من القوارص، خير منود سامري، وعرض سائري.
فصل - لو تكللت بالشعري العبور، وتلثمت بالفجر المنير، واتخذت الثريا وشاحاً، والجوزاء نطاقاً،
واستعرت من الشمس ضياء، ومن البدر إشراقاً، لما كتتمغموراً خاملاً، وعقداً عاطلاً.
فصل - لست أدري سبب عتبك فأتوب إليك توبة سحرة فرعونن وأخلص وأعتذر إليك اعتذار النابغة إلى
النعمان، وأبلغ وأخضع لك خضوع المعزول للوالي، بل خضوع الجرب للطالي، وأضرع إليك ضراع الصبي
للمعلم، بل الذمي للمسلم.
فصل - كيف ترميني بظنة؟ وقد علمت أن قلبي لودك غير مظنة.
فصل - صدعت بالعتاب أعشار فؤادي، وتركني بمنزلة ماء سال به الوادي.
فصل - سحب على ذنبه أذنان التجوّز، وستره بأجحة التجاوز.
فصل - طويت ودي طي الطوامير، ونبذت عهدي في المطامير.
فصل - عاد شرر عتبه ضرامان وقوارص قوله سهاماً.
فصل - إذا نطق لسان الاعتذار، فليوسع نطاق الاغتفار.
فصل - جربني تجديني سهل الرجعة سمح المقادة، قريب لمنالة، دائب الصنيعة، جامد السكينة، سريعاً إلى
الخافضة، بطيئاً عن الحفيظة.
فصل - رددني من جفائهم ماناً بين إعراض وقطيعة، وأوردني منها أوحم شريعة، حتى إذا ورد كتابه وبني
فرحة الظمان وافق بالان والعليل صادف إبلاناً تضمن من مر العتاب، ما ما هو أمض من القذف

والسباب، وكان كئاشة مدت بماء، وجررة أعينت بمحلفاء.

فصل - وما زلت أداريه وألطفه، وأمل أن تلين لي مكاسره ومعاففه، حتى إذا كشف لي قناع الجفوة، ومد إلي فراع لسطوة، جزيته صاعاً بصاع، وبسطت له باعاً بباع، وسعيت إلى معارضته بخطى وساع، وكذلك من ساء سمعا ساء جابة، ومن زرع مكرراً حصده خلافة.

فصل - كشف لي قناع المجادلن ورماني من عتبه بالجنادل.

فصل - قد تجاريت والدهر في الظلم إل غاية واحدة، واخترعتها في العقوق كل بدعة وآبدة، لعلك تريد عليه وطأ في الظلم ثقيلاً، وسبحا في التحيل طويلاً، بل أنت أبعد منه في الإساءة غوراً، وأحد في النكائية غرباً، وأجرى في المناكير قلباً، لا بل أنت أكثر من مذاق، وأمرّ مذاقاً، وأظهر خلافاً، وأقل وفاقاً فما هذه المكاشفة والمخاشنة؟ وأين المهادنة والمداهنة؟ وأين الحياء والتذمم؟ والعفاف والتكرم، وأين لين المكر، ولدونة المعطف، وحلاوة المذاق، وسهولة المقطف؟ فصل - أنا من حاضر جفائك بين ناب ومخلب، ومن منتظر وعدك بالرجعى بين جام ومخلب.

فصل - كتابك أقصر من نبقه، وأصغر من بقه، وأخون من دره، وأخفى من ذره.

فصل - النعمة عنده تكتسي من لؤمه أطماراً. وتشتكي غربة وإساراً.

فصل - طواني فيأدرج نسيانه، وألقاني في مدارج هجرانه.

فصل - حاجتي عنده في سر الوعد وإضماره، وميدان المثل ومضماره.

فصل - ناديت منه من لا يمكن لفظي من سمعه، ودعوت من ضره أقرب من نفعه. فقلت إذ أخلف التقدير، لبئس المولى وليئس العشير.

فصل - قرأت كلاماً خير منه تعاطي السكوت، وحجاباً أقوى منه نسج العنكبوت.

فصل - لو خلع الصباح على عنري كسوته، وأمله البلغاء من البيان ما يجلو صفحته، ثم صلى منه بنار انتقاد، ولم يرد من صفحه وإغضائه على لين مهاده، لأتى بنيانه من القواعد وقطع زنده من الساعد.

فصل - يأبى الدهر إلا ولوعاً بشمل وصل يشرده، ونظام أنس يبدده، ومخلب ظلم يحدده، ولو انبسطت فيه يدي لكسرت جناحه، وخفضت جماحه، ولكنه الحية الصماء لا تستجيب لراقي، والداء العضال لا يشفى منه طيب ولا وافي.

فصل - ما أقول في دهر يعطي تفاريق ويسترجمعها جملاً، ويرجع أفاريق وقطعها عجللاً، يأتي شره دفعا، ويواني خيره لمعاً، إن هاجت نوازه خصت الأحرار بالبطش، وإن سكنت زلازله فكالصل ينبطح بالأرض ثم يثور للنهش.

فصل - لا تجر عن من عتاي فالمسك إذا سحق ازداد عبثاً، والورد إذا ملأ طاب عرقاً.

ومن باب

التهاني

- فصل - أهنأ النعم شرباً، وأمرعها شعباً، ما جاء عفواً منغير التماس، ودر سمحا بلا إيساس.
- فصل - النعم إذ حلت بفنائها فاضت على الأحرار فيضان وكانت بينه وبينهم فوضى.
- فصل - عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً منيراً، وبلراً مستديراً، يكثر به عدد أحفادك، ويعظم به كمد حسادك.
- فصل - الحمد لله على النجل الموهوبين ومرحباً بقرن العيون وريحانة القلوب، ولد سعيد به أكرم والد، ومجد طريف أضيف إلى شرف تالد، فأبقاه الله لك بسطة عضد تتصل بذراعك، وخب كبد تطول به مدة إمتاعك.
- فصل - ما ارتعنا لفقد الفقيد، حتى ارتحنا لقيام الخلف الحميد، ولا استهل الباكي منا للرزية مستعبراً، حتى تقلل للعطية مستبشراً.
- فصل - من كانت النعم تزينه فإنها تلبس بك فخر وخيلاء، وتخل من أفيتك بطاح مجد وسناء.

ومن باب

؟؟

العيادة

- فصل - أما علته فقد أرتني الفضل ترجف أحشاؤه فرقاً، والصبر تنقطع أجزاؤه فرقاً.
- فصل - كأني به وقد طلع كالحسام مجرداً، والهلال مجدداً.
- فصل - صادفني كتابه فيه علة أجحفت بالجد، وتحيفت جوانب الصبر والجلد، واستأنفت به برد الحياة، ولبست عنه برد المعافاة.
- فصل - كنت صريع سقم قد أولتني عقبه، وزالت بالبرء عواقبه.
- فصل - كنت رهين علل لا أرجو من صرعتها استقلالاً، ولا أومل من أسر وثاقها انحلالاً، فلم لطف الله منها في العقد، ويمسح جانب الداء والألمن حتى أنشطني من عقال، وأهضني من كبوة وعثار.
- فصل - برز من علته بروز السيف الخلى، وفاز باعافية فوز القدخ المعلى.
- فصل - لو استطعت خلعت عليه سلامتي سربالاً، وأعرته من جسمي صحة وإقبالاً، فلست أهنأ بالعافية مع سقمه، ولا أتمتع بنضارة عيشي مع شحوب جسمه.
- فصل - كان من العلة بين أنياب وأظفار. ومن الردى على شفا جرف هار، فتداركه الله برحمة رشت على سقمه ماء الشفاء، ومجت برد العافية في حرّ الأحشاء.

التعازي

فصل - للهتعالى في خلقه أقدار ماضية لا ترد أحكامهان ولا تصد عن الأغراض سهامهانوالناس فيما بين موهبة تدعو إلى الشكر المفترض، ومرزية يوثق فيها بجميل العوض.

فصل - الموت منهل مورودن وسيان فيه والد ومولود.

فصل - كتبت والقلم هائم والدمع هام، والكرب دائم والجفن دام.

فصل - كتبت وسكرات المنية بي محدقة، ولحظات الأجل نحوي محدقة.

فصل - أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارط نقمته، ويحجب عن موارد رحمته.

فصل - مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجالن طرقت شرب الأمانى والآمال، وأعادت سرب العيش نافرأ، ووجه الحزن سافرا.

فصل - يا لها من مصيبة أصمى سهم راميهها، وأصمّ صوت ناعيهها.

فصل - وفقه الله للصبر الذي إليه يرجع الجازع، وإن أغرق في قوسه النازع.

فصل - هو من لا تستتر له النوازل عزيمة أناته، ولا تفجعه الفجائع بسكسنة حزمه وثباته.

فصل - طال تلهفي على هلال استسرّ قبل أن يقمر، وغصن خضد قبل أن يثمر.

فصل - ما سلامة من يرى كل يوم راحلاً مشيعا. وشملا مصدعا، وصديقا مودعا.

فصل - شابت بعده لم الأقلام، وضلّت مفاتيح الكلام، ونضبت غدر الأفهام.

فصل لا أملك في مصييته إلا عبرات ترق ولا ترقأ، وزفرات تهدذ ولا تهدأ.

فصل - قد نغص الموت كلّ طيب، وأعيا داؤه كل طيب.

فصل - الموت يكتال الأرواح بلا حساب، ويغتال النفوس بلا حجاب.

فصل - لئن طواه الردى طي الرداء، لقد نشرته ألسنة الشاء.

السلطانيات

فصل - بين ضرب يصدع جنوبا، وطعن الصدور جيوبا.

فصل - إذا عبأ للغزو كتائبه، وأخرج نحو العدا مضاربه، خفقت بنصره الأعلام، ونطقت وراء رماحه

الأقلام.

فصل - بين صفوف ترصف. وسيوف تقصف، ورماح تنصف، وأرواح تخطف، حيث الدواهي سود المناظر،
والمنايا حمر الأظافر.

فصل - لا يقف لمناجزته عدوٌ إلا عاد موطىء قدمه شفيراً. وكان سهم الردى إليه سفيراً.

فصل - أصبحوا كغشاء احتمله ظهر سيل جارف، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

فصل - لما مشى إليهم مشت قلوبهم في الصدور، وحلت بهم قاصمة الظهر، فهم أعمار تباح، ودماء
تساح، وأجسام تطاح، وأرواح تسفي بها الرياح.

؟؟

نبد من شعره في الغزل

قال:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ... ووكل جفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلاً عساه يعود لي ... ويا كبدي صبراً على ما كواك به

وقال:

أنكرت من أدمعي ... تترى سواكبها
سلي جفوني هل ... أبكي سواك بها

وقال:

إن لي في الهوى لساناً كتوما ... وفؤاداً يخفي حريق جواه
غير آتي أخاف دمعي عليه ... ستره يفشي الذي ستره

وقال:

يا من يبيت محبه ... منه بليلة أنقد
إن غبت عني سمتني ... وشك الردى وكأن قد

وقال:

عذيري من رامٍ بسهمه ... فلم يخط ما بين الحشا والترائب
فأصداه يلسعني كالعقارب ... وأحاطه يفعلن فعل العقاري

وقال:

ومهفهف يهفو بلب المرء منه شمائل
فالردف دعص هائل ... والقُدُ غصن كائل
والحد نور شقائق ... تنشق عنه شمائل
والعرف مثل حدائق ... نمت بهن شمائل

والطرف سيف ما له ... إلا العذار هائل

وقال في مخمور جمش وجهه:

هبه تغير حائلاً عن عهده ... ورمى فؤادي بالصدود فأزعجا

ما بال نرجسه تحوّل وردة ... والورد في خديّ عاد بنفسجا

وقال:

ومهفهف أبدى الجمّا ... ل بخدّه روضاً مريعا

فقد الطيب ذراعه ... فجرى له دمعي ذريعا

وأمني رقع الحديد ... بعرقه ألما وجيعا

فأريته من عبرتي ... ما سال من دمه نجيعا

وقال:

وغزال منحتّه خالص الو ... دّ فجازى بالصدّ والإجتنا

لم ألمه أن أتقى بحجاب ... ردّني واله الفؤاد لما بي

هو روحي وليس ينكر للرو ... توار عن الوري بالحجاب

وله:

كتبت إليه أستهدي وصالاً ... فعلّني بوعدٍ في الجواب

ألا ليت الجواب يكون خيراً ... فيشفي ما أحاط من الجوى بي

وقال من الرجز:

ظبيّ يحار البرق في بريقه ... غنيت عن إريقه بريقه

فلم أزل أُرشف من رحيقه ... حتى شفيت القلب من حريقه

وقال:

شافه كفيّ رشاً ... بقبلة ما شفت

فقلت إذ قبلها ... يا ليت كفيّ شفّتي

وقال:

من لي كفيلاً بشمل الأنس أجمعه ... بشاذن حلّ فيه الأنس أجمعه

ما زال يعرض عن وصلي فأخذه ... فالآن لي لان بعد الصدّ أخذه

وقال:

ويح جسمي من غزال ... مقلّته شفتاه

هو إن جاد بلثم ... شفتاه شفتاه

وقال:

صدف الحبيب وصله ... فجفا رقادي إذ صدف

ونثرت لؤلؤ أدمع ... أضحى له جفني صدف

وقال من الرجز:

ماذا عليه لو أباح ريقه ... لقلب صبّ يشتكي حريقه

وقال:

بنفسي غزال صار للحسن كعبةً ... يحجّ من الفجّ العميق ويعبد
دعاني الهوى فيه فليت طائعاً وأحرمت بالإخلاص والسعي يشهد
فجفني للتسهيّد والدمع قارن ... وقلبي فيه بالصبابة مفرد
؟؟

قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات

قال في الريحان:

أعددت محفلاً ليوم فراغي ... روضاً غداً إنسان عين الباغ
روضاً يروض هموم قلبي حينة ... فيه لكأس الإنس أي مساغ
وإذا بدت قضبان ريحان به ... حيث بمثل سلاسل الأصداغ
يصوغ لنا كفّ الربيع حدائقاً ... كعقد عقيق بين سمط لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكّت ... حدود عذارى تقطت بغوالي
وقال فيه:

كأنّ الشقائق إذ برّزت ... غلالة لاذٍ وثوباً أحّم
قطاع من الجمر مشبوبةً ... بأطرافها لمع من حمم
وقال:

لاح لي في الرياض نور الشقيق ... فحكى لي غلائلاً من عقيق
ما يشقّ الهموم مثل شقيقٍ ... عند راحٍ لكلّ روحٍ شقيق
وقال في النرجس:

وما ضمّ شمل الأُنس يوماً كنرجسٍ ... يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فأحداقه أقداح تبرّ وساقه ... كقامة ساقٍ في غلائله الحضر
وقال:

أهلاً بنرجس روضٍ ... يزهي بحسنٍ وطيب
يرنو بعينيّ غزالٍ ... على قضيبٍ رطيب
وفيه معنىّ خفيّ ... يزينه في القلوب
تصحيفه إن نسقت الحروف برّ حبيب وقال في التيمن بالبنفسج من المنسرح:
يا مهدياً لي بنفسجاً أرجأ ... يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلاً مصحفه ... بأنّ ضيق الأمور ينفسح

وقال في ضد ذلك:

يا مهدياً بنفسجاً سمجاً ... وددت لو أن أرضه سيخ
ينذرني عاجلاً مصحفه ... بأن عهد الحبيب ينفخ
وقال:

ومدامة زفت إلى سلسال ... يختال بين ملابس كالآل
فبنى بها حتى إذا ما افتصّها ... بالمرج أمهرها عقود لآلي
وقال في اقتران الزهرة والهلل من الرجز:
أما ترى الزهرة قد لاحت لنا ... تحت هلال لونه يحكي اللهب
ككرة من فضة مجلوة ... أوفى عليها صولجان من ذهب
وقال في الفجر:

أهلاً بفجر قد نضا ثوب الدجى ... كالسيف جرّد من سواد قراب
أو غادة شقت صداراً أزرقاً ... ما بين ثغرها إلى الأتراب
وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر:
نثر السحاب على الغصون ذريّة ... أهدت لها نوراً يروق ونورا
شابت ذوائبها فعدن كأنها ... أجفان عين تحمل الكافورا
وقال في الحمد من الرجز:

ربّ جنين من جنى غير ... مهتّك الأستار والضمير
سللته من رحم الغدير ... كأنه صحائف البلور
أو أكر تجمّست من نور ... أو قطع من خالص الكافور
لو بقيت سلكاً على الدهور ... لعطّلت قلائد النحور
وأحجّلت جواهر البحور ... وسمّيت ضرائر الثغور
يا حسنه في زمن الحدور ... إذ فيضنه مثل حشى المهجور
يهدي إلى الأكباد والصدور ... روحاً تحاكي نفثة المصدور
وقال في مديّة وألقاه على طريق الإلغاز:
مأسورة أبدع في ... تركيبها أصحابها
تركبها الأيدي وفي ... هاماتها أذنانها
وقال في الخمر:

عيرتني ترك المدام وقالت ... هل جفاها من الكرام لبيب
هي تحت الظلام نوراً وفي الأكباد ... برد وفي الحدود لبيب
قلت يا هنه عدلت عن النصيح ... أما للرشاد فيك نصيب

إنها للستور هتك وبالألباب فتك وفي المعاد ذنوب

وقال في السيف:

لي رفيق شهم الفؤاد يمانى ... غزل في قصافة القضبان

لا يعني في العظم إلا إذا أصبح نشوان من نحيب قاني

وقال فيه:

خير ما استعصمت به الكفُّ يوماً ... في سواد الخطوب عصب صقيل

عن سؤال اللثام مغنٍ وفي العظم ... مغنٍ وللمنايا رسول

وقال الفرس:

خير ما استظرف الفوارس طرف ... كلُّ طرفٍ لحسنه مبهوت

هو فوق الجبال وعل وفي السهل عقاب وفي المعابر حوت

؟؟

غرر من شعره في الإخوان

قال:

وأخ إذا ما شطَّ عني رحله ... أدنى إليَّ على النور معروفة

إذا غاب يوماً لم ينب عنه شاهد ... وإن شهد ارتاحت إليه المشاهد

وقال فيه:

قد أتاني من صديق كلام ... كلالٍ وانحنٍ نظام

فسرى في القلب مني سرورٌ ... مطرب يعجز عنه المدام

مثلما يرتاح شيخ بناتٍ ... حوله من جمعهن زحام

فدعا الله طوبلاً يرجي ... خلفاً من نسله ما يرام

وآتاه بعد يأسٍ بشير ... قال يا بشراي هذا غلام

وقال:

بنفسي أخ قد برّني بشكاته ... ولم يجعل الحمى دون ماله

فطاب ثناءً بين أثناء سقمه ... كطيب نسيم الريح عند اعتلاله

بوذي لو نفّست عنه سقامه ... بنفسي لو نافسته في احتماله

فلم تصب الأوصاب راحة جسمه ... ولم تخطر الأشجان يوماً بباله

وقال:

تمت محاسنه فما يزري بها ... مع فضله وسخائه وكماله

إلا قصور وجوده عن جوده ... لا عون للرجل الكريم كماله

؟؟

لمع من شعره في المداعاة

وما يشاكلها

كتب إلى كاتب له:

أبا جعفر هل فضضت الصدف ... وهل إذ رميت أصبت الهدف
وهل جئت ليلاً بلا حشمة ... لهول السرى سدفاً في سدف
وقال:

يريد يوسع في بيته ... ويأبى به الصيق في صدره
فحنى سخط النصب في قدره ... كما رضي الخفض في قدره
وقال:

لنا صديق يجيد لقما ... راحتنا في أذى قفاه
ما ذاق من كسبه ولكن ... أذى قفاه أذاق فاه
وقال:

يا من دهاه شعره ... وكان غصناً أمرداً
سيان فاجأ أمرداً ... في الخدّ شعر أم ردى
وقال:

لنا مغنّ سمج وجهه ... أبدع في القبح أبازيره
رام غناءً فأبى صوته ... ورام ضرباً فأبى زيّره
وقال:

هو السؤل لا يعطيك وافر مئة ... يد الدهر إلّا حين أبصرته جلد

وفي

؟؟

المراثي

قال يرثي أبا بكر بن حامد البخاري:

يا بؤس للدهر أيّ خطب ... دها به الناس في ابن حامد
قد استوى الناس منذ تولّى ... فما يرى موقف الحامد
بيكي على فقده ثلاث ... العلم والزهد والحامد

وله من قصيدة يرثي بها أبا القاسم علي بن محمد الكرخي:
هل إلى سلوة وصبر سبيل ... كيف والرزء ما علمت جليل
فجعتني الأيام لما ألت ... بصديق وجدي عليه طويل
بأبي القاسم الذي أقسم المجد ... يميناً أن ليس منه بديل
كان معنى الوفاء والبرّ إن حال ... زمان فودّه ما يحول
كان زين الندى في العلم والآن ... داب ترعى رياضهنّ العقول
كان بدر النهى فحان أفول ... كان شمس الحجي فحان أصيل
ومنها:

خلق كالزلزال زلّ عن الصخر ... ونفس للعب عنها زليل
واجتناب لما يعيب من الأمر ... وعرض عن الدنيا صقيل
من يكن بعده العزاء جميلاً ... فاجتناب العزاء فيه جميل
ومنها:

أيّ مرأى ومنظر لا يهول ... من خليل عليه ترب مهيل
فعليه سلام ذي العرش يهديه ... إلى حشو قبره جبريل
وأناه من رحمة الله كفل ... هو بالخلد في الجنان كفيل
وقال في غلام له توفي في دهستان:

لي في دهستان لا جاد الغمام لها ... إلا صواعق ترمي النار والشهباء
ثاو ثوى منه في قلبي جوى ضرم ... يشبّ كالسيف حلاًّ والسنان شباً
دعاه داعي المنايا غير محتسب ... فراح يرقل عند الله محتساً
هلال حسن بدا في خوط أسلحة ... قد كاد يقمر بأنفس لولا أنه غرباً
لو يقبل الموت عنه فدية سمحت ... بنفسي بأنفس ذخر دون ما سلباً
لكن أبي الدهر أن ترزا فجائعه ... إلّا عقائل ما نحويه والنخبا
تراه قد نشبت فينا محالبه ... فليس يبغي لنا علماً ولا نشباً
لئن أناخ على وفري بنكبته ... فالدين والعرض موفوران ما نكب
أقابل المرّ من أحكامه جلدأ ... بالحلم والصبر حتى يقضي العجب

وفي

؟؟

التوجع وشكوى الدهر

قال:

يا دهر ما أقسى يا دهر ... لم يحظ فيك بطائل حرّ
أما اللئام فأنت صاحبهم ... ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا ... يرتاح منه لحادث صدر
تصفو له الدنيا بلا كدر ... ويطيعه في عيشه اليسر
فمرامه سهل وكوكبه ... سعد وغصن سروره نضر
وعلى الكريم يد يسّطها ... منك الجفاء المرّ والقسر
إن ناب حطب فهو عرضته ... يفريه منه الناب والظفر
أو يبيع معروفاً لديك غدا ... ينجي عليه حادث نكر
وجناه شوك والبحور له ... وشل وحشو فؤاده جمر
يا دهر دع ظلم الكرام فهم ... عقد لنحرك لو درى النذحر
سالمهم واستيق ودّهم ... فهم نجوم ظلامك الزّهر
وله في النكبة كفاناها الله تعالى:

جفون قد تملكها السهاد ... وجنب لا يلائمه مهاد
وأحداث أصابني وقومي ... ينلّ من الحليم لها القياد

فقد شطّت بنا وبهم ديار ... وفرّق جامع الشّمل البعاد
أقول وفي فؤادي نار وجد ... لها ما بين أحشائي اتقاد
وللأحزان في صدري اعتلاج ... وللأفكار في قلبي اطراد
ألا هل بالأحبة من لمام ... وهل شمل السرور بهم معاد
ولا والله ما اجتمعت ثلاث ... فراقهم وجفني والرقاد
فإن تجمع شئيت الشمل منّا ... وفي الأيام جور واقتصاد
تنجّزنا من الأحداث عهداً ... أكيداً لا يزاغ ولا يكاد
وكيف يصحّ للأيام عهد ... وشيبتها التّعير والفساد
وقال:

ما لليالي ولي كأنّ لها ... في مهجتي إن لقيتها غرضاً
أظنّها قد تراهنت جملاً ... في رميها واتخذني غرضاً

وفي

الحكمة والأمثال والزهد

قال في معنى لم يسبق إليه:

كم والمد يحرم أولاده ... وخيره يحظى به الأبعد
كالعين لا تبصر ما حولها ... ولحظها يدرك ما يبعد
وقال في معنى آخر اخترعه:

لا تمنع الفضل من مال حبيت به ... فالبلبل ينميه بعد الأجر يدخر
والكرم يؤخذ من أطرافه طمعاً ... في أن يضاعف منه الكل والشر
وقوله:

أحورك من إن كنت في ... نعمي وبؤس عادلك
وإن بدا لك منعماً ... بالبرّ منه عادلك
وقوله:

جامل النلس في المعش ... وخلّ المراحة
وتنصّح وقل لمن ... يتعاطى المزاح منه
وقوله:

يشقى الفتى بخلاف كلّ معاند ... يؤذيه حتى بالقذى في مائه
يهوى إذا أصفى الإناء لشربه ... ويروغ عنه عند صبّ إنائه
وله:

دع الحرص واقنع بالكفاف من الغنى ... فزرق الفتى ما عاش عند معيشه
وقد يهلك الإنسان كثرة ماله ... كما يذبح الطاووس من أجل ريشه
وقوله:

أمتع شبابك من هو ومن طرب ... ولا تصخ للملام سمع مكترث
فخير عيش الفتى ريعان جدّته ... فالعمر من فضة والشيب كالحبث
وقوله:

أتركض في ميادين التصابي ... وقد ركض المشيب على الشباب
وتأمن نوبة الحداث نفسي ... وما ناب لها عني بناي
وكيف تلذّ طعم العيش نفس ... غدت أتراها تحت التراب
وقوله:

قد أبي لي خضاب شبيبي فؤاد ... فيه وجد بكتهم سرّي ولوع
خاف أن يعقب الخضاب نصول ... ونصول الخضاب سير بديع
وقوله:

ذو الفضل لا يسلم من قدح ... وإن غدا أقوم من قدح
وقال وقد نظم كلام سيدنا علي أبي طالب رضي الله عنه:
تقصيرك الذيل حقاً ... أبقى ولأتقى وأنقى
وقال:

عمر الفتى ذكره لا طول مدته ... وموته خزيه لا يومه الداني
فأحي ذكرك بالإحسان تودعه ... تجمع بذلك في الدنيا حياتان

الباب التاسع

في ذكر الطارئین علی نيسابور

من بلدان شتى على اختلاف مراتبهم

فمنهم من فارقها، ومنهم من استوطنها وسياقة الملح من كلامهم سوى من تقدم ذكره منهم في سائر
الأبواب

أبو عبد الله الوضاحي

البشري محمد بن الحسين

شاعر ظريف الجملة والتفصيل، ورد نيسابور فاستوطنها إلى أن توفي بها، وله شعر كثير أخرجت منه ملحاً
قليلة، كقوله في وصف الشموع.
وهو معنى مبتذل:

عرانس تستضيء بها الكؤوس ... كأن ضياء أوجهها الشمس
لنا من حسننها أبداً نعيم ... لها منه مدى الأيام بوس
تذوق الموت ما سلمت وتحيا ... إذا ما قطعت منها الرؤوس
وقوله في الغزل:

بمثل هواك تنتهك الستور ... ويبدو ما تضمّنه الضمير
يسرُّ بما يسرُّك كلُّ شيء ... يرى حتى يسرُّ بك السرور
ولست البدر لكن فيك حسن ... تلاشى في دقائقه البدور
وله من أخرى:

وما الناس إلا الرقُّ منه مصاحف ... ومنه بأعناق النساء طبول
وله من قصيدة:

عالم الغيب شاهد أنّ غيبي ... لك كالظاهر الذي ترتضيه
ليس فخري ولا اعتدادي بشيء ... غير أنني في عالم أنت فيه

أبو طاهر بن الخيز أرزي

قد تقدم ذكره عن ذكر أبيهوعمه، وكان - على انتحاله كثيراً من أشعار أهل عصره - شاعراً لا بأس
بكلامه، وقب في بلاد خراسان، وأقام بنيسابور مدة، ومن شعره السائر بنيسابور قوله لحاكمها:
كم من سعيدٍ على الأيام قد نحسا ... وصاعدٍ قد رماه الدهر فانتكسا
وحاكمٍ ظنَّ أنّي دون ثروته ... مذبذب فقرا لي وجه عبسا
سنستجدُّ خلاف الحالين فلا ... أبقى فقيراً ولا تبقى لكم نسا
وقول:

لي ثياب فوق قيمتها الفلس ... وفيهم نفس دزن قيمتها الإنس
ثوبك مثل الشمس من تحتها الدجى ... وثوبي مثل الغيم من تحته الشمس
وقوله:

وروضة راضها الندى فغدت ... لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا ... ثوباً من الوشي حاكه القطر
كأنما شقّ من شقائقها ... على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق ... أجفانها من دمانها حر

أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري

المعروف بالناهي

ورد نيسابور فأقام بها سنين يشعر، ثم فارقها إلى جرجان، وألقى عصاه بها مدة إلى أن سار منها، فأنشدني
الدهخدا أبو سعيد محمد بن منصور، قال: أنشدني الناهي لنفسه في البعوض والبرغوث:
لا أعز اللّيل في تطاوله ... لو كان يلدي ما نحن فيه نقص
لي والبراغيث والبعوض إذا ... ألحفنا حنلس الظلام قصص
إذا تغنى بعوضه طرباً ... ساعد برغوته الغنا فرقص
المعنى جيد وفي اللفظ خلل.
وقوله:

كنت إذا أصبحت في حاجةٍ ... أستعمل القويم والزيجا
فأصبح الزيج كتصحيفه ... وأصبح القويم تعويجا

الفارسي النحوي

أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق علمه، واستحق مكانه، وكان أبو علي أوفده على صاحب فارتضاه، وأكرم مشواه، وقرب مجلسه. وكتب إليه في بعض أيامه عنده هذه المعماة ليستخرجها. ما اسود غريب، بعيد الدار قريب، يقدم فحواه على نجواه، ويتأخر لفظه عن معناه. لهطرفان فأحدهما جناح نسر، والآخر خافية صقر، يلقيك من مياسره سائح، ومن ميامنه بارح. تجودك أنواره والسنون جماد، وتسقيك سماءه والعيش جاد، بينا تراه على كواهل الجبال، حتى يتهيل الرمال، قد تجافي قطراه عن واسطته، وانضم ساقاه على راحلته. يخونك إن وفي لك الشباب، وفي لك إن جهدك الخضاب، رفعتة رفعة المنابر، ورفقته رفقة المخابر، يروي عن الأحمر، وإن شئت عن يحيى بن يعمر. قد أفضى بك إلى روضة غناء ينعم رائدها، وشريعة زرقاء يكرع واردها، أخرجته أبا الحسين، أسرع من خطفة عين: وذاك له إذا العنقاء صارت ... مربيةً وشبّ ابن لخصي! ولما استأذنه للصلر وقع في رفقته: لا استدلال يا أخي على الملل، أقوى من سرعة الارتحال، لكننا نقبل العذر وإن كان مرفوضاً، ونبسطه وإن كان مقبوضاً، ولا أمتعك عن مرادك ووفاك. وإن منعت نفسي مرادها بفراقك، فاعزم على ذلك وفقك الله في اختيارك، ووصل النجح بإيثارك. وأصحبه كتاباً إلى خالة أبي علي هذه نسخته:

كتابي أطال الله بقاء الشيخ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته، وتنفيس مهلته، وأنا سالم والله حامد، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب، ولبر الشيخ أيدى الله كتابه الوارد شاكر، فأما أخونا أبو الحسين قريبه أيدى الله فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منه، وأخفني من قربه بعلق مضنة، لولا أنه قلل الأيام، واختصر المقام، ومن هذا الذي لا يشتاقي إلى ذلك المجلس؟ وأنا أحوج من كافة حاضرتة إليه، وأحق منهم بالمناظرة عليه، ولكن لأمر مقدرة، وبحسب المصالح ميسرة، غير أنا ننتسب إليه على البعد، ونقتبس فوائده عن قرب، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله، والشيخ أدام الله عزه يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبتة. ونقتصر على الخطاب الوسط، دون خروج في إعطاء الرتب إلى الشطط، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه، وينبسط إلي في حاجاته، فإنني أظني أجدر إخوانه بقضاء مهماته، إن شاء الله تعالى.

وتصرفت بأبي الحسين أحوال جميلة في معاودته حضرة صاحب، وأخذ به بالحظ الوافر من حسن آثارها، ثم وروده خراسان ونزوله نيسابور دفعات وإملائه بها في الأدب والنحو ما سارت به الركبان، ثم قدومه على الشار صاحب غرسان وحظوته عنده ووزارته له، ثم وزارته للأمير إسماعيل بن سبكتكين، ثم اختصاصه

بعده بالشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني وأبنائه بغزنة ورجوعه منها إلى نيسابور وإقامته
بإسفرائين، ثم مفارقتها إياها إلى جرجان واستقراره بها الآن، ومحلّه يكبر عن الشعر إلا أن بحر علمه ربما يلقي
الشعر على لسان فضله.

فمما أنشدنيه وحدثنيه أن مرور الروز سأله أن يميز قول الشاعر:
سرى يخطب الظلماء والليل عاكف ... غزال بأوقات الزيارة عارف
فقال:

وما خلت أن الشمس تطلع في الدجى ... وما خلت أن الوحش للإس آلف
وجلج إذ قال السلام عليكم ... ولا عجب إن لجلج القول خائف
وقمت أفديه وقلبي كآته ... من الرعب مقصوص من الطير جادف
ولما سرى عه اللثام بدت لنا ... محاسن وجه حسنه متناصف
وطال تناجينا ورق حديثنا ... ودارت علينا بالرحيق المرافف
ولا غرو أن لا باخل بخياله ... يسامحنا في وصله ويجازف
فيا لك لبلاً قد بلغت به المنى ... يمانعي طوراً وطوراً يساعف
كأن يد الأيام عندي بوصله ... أيادي ابن حسانٍ لديّ السّوالف
إذا ادخر الأموال قوم فذخره ... صنائع إحسانٍ له وعوارف
ومن شغف البيض الأوانس قلبه ... فليس له إلا المكارم شاغف
وله من قصيدة في الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس الإسفرائيني:
فتى ساد في عصر الفتاء وقد حوى ... شتيت من ساد عصر فتائه
يصدّق ظنّ المرتجى ويُریده ... بأدنى لهاه فوق أقصى رجائه
فلا مطله يمتدّ قدّام نيله ... ولا منه يشتدّ خلف عطائه
من الشد، وهو: العدو ومنها:

ألا أبلغ الشيخ الجليل رسالة ... مترجمة عن شكره وثنائه
تقلّبت في نعماك عشراً كواملاً ... حلبت بمن العيش ملء إنائه
وأنقذت شلوي من يد الموت بعدما ... ترامته من قدامه وورائه
وسببت لي عيشاً يسدّ خصاصتي ... ووجهي محقون صباية مائه
أأكفر من صغري أياديه مهجتي ... وبلغة عيشي من دقاق حبائه
أعدت قوى جبلي وشيّدت بنيتي ... وكم رمّ بان مسترماً بنائه
وتربية المعروف شرط تمامه ... وهل تمّ شرط دون ذكر جزائه
الشرط والجزاء في النحو معروفان.
ولا بدّ من سرّ إليك أبته ... ففي نفثة المصدور بعض شفاؤه

تمادى عليّ في الجفاء ولم أكن ... خليقاً بما أبداه لي من جفائه
كأنّي يوماً عقتنه عن سماحه ... كأنّي يوماً لمته في سخائه؟

طوى كشحة من دون عتبٍ أسره ... وجهل أمرىء بالداء جهل دوائه
تكدر بالإدمان صفو وداده ... فحاولت بالإعتاب عود صفائه
فإن جرّ تخفيفي عليّ قطعة ... فربّ سقيمٍ سقمه لاحتمائه
وله من قصيدة:

ولا غصن إلا ما حواه فباؤه ... ولا دعص إلا ما خبته مآزره
وأمنى من السيف المنوط بخصره ... إذا شيم سيف تننضيه محاجره
وله من أخرى في الأمير خلف:

وما كتبت سطرًا من الوجد أدمعي ... لنحوك إلا وهو بالدم معجم
وما لي ألقى في جنبك غلة ... وحوضك للعافين غيري مفعم
وقد يغتدي الوراد يبعون نجعة ... فيرزق مرتاد وآخر يحوم
وله من أخرى:

كم أعقبت نوب الزمان جمياً ... وكفين خطباً قد ألمّ جليلاً
لا تستقل جميل دهرك إنّه ... ليس القليل من الجميل قليلاً
واسأل بي الأيام حين جسسنني ... بخطوبها جسّ الطيب عليلاً
أقريتها لما نزلن بساحتي ... صبراً على ريب الزمان جمياً
ومنها:

يرعى محياه الجميل رواؤه ... ثمر القلوب محبةً وقبولا
حلو الكلام كأنما أنفاسه ... ألفت عليه خلقه المعسولا
ومنها:

يا راكباً والجوسقان قصاره ... يحفو مبيتاً دونه ومقيلاً
قل للأمير إذا سعدت بوجهه ... وقضيت حقّ بساطه تقبيلاً
لا تياسن من الإله فروحه ... إن لم يغادك بكرة فأصيلاً
وأمل لطائف صنعه فلطالما ... كشف المموم وبلغ المأمولا
يا ربّ مكروهٍ تعرّ حلّه ... ليلاً فأصبح عقده محلولا
وملمّة أعيانها خطبها ... أمست فسهل خطبها تسهلاً
ذكرتكَ الصبر الجميل وإنّي ... كمذكرٍ غزل النسيب جمياً
وله في وصف الفرس من قصيدة:

ومطهّم ما كت أحسب قبله ... أن السروج على البوارق توضع
وكأثما الجوزاء حين تصوّت ... لب عليه والثريا برقع

أبو سعد نصر بن يعقوب

تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة، والبراعة في الصناعة. وله في الأدب تقدم محمود، وفي المروعة قدم مشهورة، وفي المعالي همة بعيدة، وشهادة الصاحب له بالفضل، تسجل بها أحكام العدل. وفيما أحكيه من كتابه إليه في ارتضاء تأليفه ونظمه ونشره، غنى عن الإسهاب في ذكره، والإطناب في وصفه. ولما بعث إلى حضرته بكتابه المترجم بروائع التوجيهات، من بدائع التشبيهات، مقروناً بكتاب على كل صواب، وقصيدة في فنّها فريدة، ورد عليه كتاب هذه نسخته: كتابي - أطال الله بقاءك يا ولدي - وقد شارفت أصبهان سالماً، والحمد لله حمداً دائماً. ووصل كتابك أيدك الله فأنبأ من محاسنك عن مجال فسيح، ونطق في فضائلك بلسان فصيح، وأذكر بحرماتك وإنها لخصدة المرائر. وخبر بقرباتك وإنها لخالصة السرائر. فأما كتاب التشبيهات فقد فرغت به كافة الأشباه، وأنبهت على سبقك كل الإنباه. إذ تعاطاه ابن أبي عون فلم يطاول يدك. وحمزة بن الحسن فلم يبلغ أمدك، وهذا شيخان مقدمان، وفحلان مقرمان، وما ظنك بكتاب نفرتة على نظائره، وصار ألزم لجلسي من مساوره، وحين هزني نثرك حتى كأنه نثر الورد، عطفت على نظمك فإذا هو نظم العقد. وإني ليعجبي أن يكون الكاتب شاعراً، كما يعجبي أن يكون الشعر سائراً فيها نحن ندعيك في فضلاء هذا الصقع، ونجتذبك اجتذاب لأصل للفرع، فاكذب متى شئت، عامراً من الحال ما أسست، ومستثمراً من الخصوص ما غرست، إن شاء الله. خاطبت أيدك الله في معنى الضيعة وليس حلها لك بمستنكر، ولا إطعامك إياها بمستنكر إلا أن الرأي والرسم أوجبا أن يجعل بدء النظر تسويغاً، يعود من بعد تمليكا وتخويلاً. فليقبض المرسوم، ليتنظر الموعود، إن الهلال يدور بعد ليال بداراً كاملاً، والطل يكسب ثم يعود وابلاً، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله.

ولأبي سعد كتب كثيرة سوى ما تقدم ذكره، فمنها كتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفرس، وكتاب الجامع الكبير في التعبير، وكتاب الأدعية، وحقّة الجواهر في المفاخر، وهي من مزدوجة بهجة في الأمير خلف، وهو الآن يتولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور، وإذا احتاج السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة الإجابة عن كتب الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءهما اعتمد فيها عليهن لما يتحققه من حسن كلامه، وقوة بيانه، وغزارة بجره، وشرف طبعه.

وله شعر كثير قد كتبت منه ما حضرني الآن إلى أن الحق به أخواته.

فمن ذلك قوله للصاحب من قصيدة أولها:

أبي لي أن أبالي بالليالي ... وأحشى صرفها فيمن يبالي

حلولي في ذري ملك كطود ... رفيع مشرف الأعلام عالي

إلى شمس الشتاء إلى ظلال المصيف إلى الغمام إلى الهلال

إذا ما جاءه المذعور يوماً ... وحلّ ببابه عقد الرحال
تبوّاً من ذراه خير دارٍ فلم يخطر لمكروهٍ ببالٍ ومنها عند ذكر القصيدة:
بوذي لو نهضت بها ولكن ... ضعفت عن الحراك لضعف حالي
وله إليه في صدر كتابه من الرجز:
نعمر رسول الخادم اختشم ... إلى الوزير السيد المحترم
الصاحب البرّ الأجل الأكرم ... كافي الكفاة وليّ النعم
مدبّر الأرض وراعي الأمم ... بلّغه الله أقاصي المهمم
ما في الكتاب من ثمار القلم وله من قصيدة إلى أبي محمد الخازن:
أتاني كتاب الشيخ مولاي بغنة ... فطار له غمّي كما طاب موردي
وفيه معانٍ لا تدين لكاتب ... وتعنو لعبد الله أعني ابن أحمد
لا أسكرن حتّى دوّنها خمر بابل ... وأطربن حتّى دوّنها لحن معبد
قرأت سواداً في بياض كائه ... طراز عذارٍ لاح في خدّ أمرد
وله من أبيات ي وصف الزلزلة:
أسقني كأساً كلون الذهب ... وأمزج الريق بماء العنب
فقد ارتجت بنا الأرض ضحىً ... كارتجاج الرّبّق المنسرب
وكأنّ الأرض في أرجوحة ... وكأنا فوقها في لولب
وقوله في كسوف القمر من الرجز:
كأنما البدر به الكسوف ... جام لجينٍ راتقٍ نظيف
في نصفه بنفسج قطيف

أبو نصر سهل بن المرزبان

أصله من أصبهان. ومولده ومنشؤه قاين ومستوطنه الآن نيسابور وهو غرة في جبهة عصره، وتاج على رأس أهل مصره، وخارج بمحاسنه وفضائله عن المعتاد، إلى مالا يدرك بالاجتهاد. واقف من الآداب على أسرارها، قاطف من العلوم أحلى ثمارها، وبلغ من غلوه في محبتها، وشدة حرصه على اقتناء كتبها. أن ركب إلى قرارتها بغداد الشقة، وتحمل فيها المشقة، ولم يرض بذلك مرة، حتى كر إليها كرة، ليس له بها غير الأدب أرب، ولا سوى الكتب طلب، أنفق على تلك القوائد، من الطارف والتالد، ما عوضه عنه صنوف الخامد، وقديما قيل: إنفاق الفضة، على كتب الآدب، يخلقك عليها ذهب الألباب.
وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف، إلا ومن عقله انتشر، ومن يده انتشر، ولا بها سواه من تسمو همته على يساره، لا رتباط الوراقين في داره، وله من مؤلفاته كتاب أخبار أبي العيناء وفيه يقول من المهرج:
تفاءلت على علم ... بأخبار أبي العينا

إذا ما قرأ القاري ... بها قرَّ بها عينا

وله كتاب أخبار ابن الرومي مما ألفه لي، وكتاب أخبار جحظة البرمكي، وكتاب ذكر الأحوال في شعبان وشهر رمضان وشوال، وكتاب الآداب في الطعام والشراب، وله شعر كثير النكت، وقد كتبت أنموذجا منه، كقوله:

كم ليلة أحيتها وموانسي ... طرف الحديث وطيب حثّ الأكوش
شبهت بدر سمائها دنت ... منه الثريا في قميص سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة ... حياه بعض الزائرين بترجس
وقوله:

قال لما قلت لم تهجرنا ... إن أتى بردٌ وإن ثلج وقع
أنا كالحية أشتو كامناً ... ثم أنساب إذا الصيف رجع
وقوله لبعض الرؤساء:

إذا ما سكت على ما أسام ... فننسي بتكليفه لا تنفي

وإما نطقت فعيبٌ يمضُ ... ولومٌ يجدُّ ولم أنصف
فهل من سبيلٍ إلى ثالثٍ ... لأسلكه وهو عني خفي
وقوله:

ولم ألق مثل أبي بكر معدلكم ... في الآدميين شباناً ولا شيبا
حكى عليّ أحاديثاً أكاذيباً ... وفي اختلاس حقوقي قد حكى ذيبا
وقوله:

تسبّ صديقي في المجالس عائياً ... ومن عابه يوماً كمن هو عائياً
فدع مثل هذا جانباً في الملاعب ... وإلاّ فدعني مثله في الملاعب
وقوله في لدغة عقرب أصابته:

تداويت من أوجاع لدغٍ أصابني ... براحٍ شفني من سموم العقارب
فحمداً للطف الله حين أزالها ... ومن بعده حمدٌ لفعل العقاري
وله من كتاب الذخيرة:

لإذا أنت عاجلت ذا علةٍ ... فخذ لعلاج كتاب الذخيره
فنعم الذخيرة للمقتني ... ونعم الغياث نفسٍ خطيره
وله:

لا تجزعن من كلّ خطب عرى ... ولا تر الأعداء ما يشمت
أما سمعت الله في قوله ... إذا تقيتم فئة فاثبتوا
وقوله:

مجاوزه الحدّ والاعتدال ... إلى ما يقود المنايا سريعه
فلا تفرطن في جميع الأمور ... فكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطبيعة
وقوله:

تجنّب شرا الناس واصحب خيارهم ... لتحذوهم في جلّ أفعالهم حذوا
فإنّ لأخلاق الرجال وفعلهم ... إلى غيرهم عدوى توافيهم عدوا
وكتب إليه مؤلف هذا الكتاب يحاجيه من الرجز:
حاجيت شمس العلم فرد العصر ... نديم مولانا الأمير نصر
ما حاجة لأهل كلّ مصر ... في كلّ ما دار وكلّ قصر
يباع في الأسواق بعد العصر فكتب إليه من الرجز:
يا بحر آداب بغير جزر ... وحظه في العلم غير نزر
حزرت ما قلت وكان حزري ... أنّ الذي عنيت دهن البزر
يعصره ذو قوة وأزر

أبو محمد الحسن بن أحمد اليرجودي

كاتب حقه وصدقه، منبحر في ترسله، منقطع القرين في كتاب عصره، آخذ بأزمة الكلام البارع يقودها
كيف أراد ويجذّيها كيف شاء، قد خدم الصاحب في عفوان شبابه، وتأدب بآدابه، واختص به، وراض
طبعه على أخذ نمطه، ومن جانبه وقع إلى بلاد خراسان فاشتهر بها، وسار كلامه فيها، وهو الآن صدر
كتاب الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي، ولعل ما قد ارتفع من سواد رسائله إلى هذه الغاية يقع في أربعة
آلاف ورقة وتزيد أبوابها على خمسة وعشرين، وله محاضرة حسنة مفيدة. وشعر كتابي كثير الحاسن مستمر
النظام، ومن أوائله أن الصاحب اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة كتبه، فقال:

سرت يا ظبي كتبي ... ألحقت كتبي بقلبي

وأمر أبا محمد بإجازته فقال:

فلو فعلت جميلاً ... رددت قلبي وكتبي

وأنشدني بحضرته يوماً هذا البيتان:

يا نسيم الريح في بلدٍ ... خبري بالله كيف هم

ليس لي صبر ولا جلد ... ليت شعري كيف صبرهم

فأمره بإجازتهما، فقال:

ولسان الدمع يشهد لي ... وهو ممن ليس يتهم

ومن ملحه قوله:

قد سمعنا بكل آبلٍ نك ... راء تبلى بمثلها الأحرار

وغفرنا للجميع للدهر لكن ... ما سمعنا بكاتبٍ يستعار

وقوله في حوض لبعض الرؤساء:

حوض يجود بجوهر متسلسل ... ساد الجواهر كلّها بنفاسته
لا زال عذاباً جارياً ببقاء من ... هو مثله في طبعه وسلاسته
وقوله من مزدوجة كتب بها إلى أبي سعد نصر بن يعقوب من الرجز:
أهلاً بمن أهلى إلينا الجونه ... ولا عدمننا أبداً مجونه
فقد أعاد منزلي خصيباً ... وازددت في الخير به نصيباً
فمن فراخ رخصة مسمّنة ... قد جعلت برسمها مطجته
وبالقلاء كالليالي عظمت ... معقودة في سلكها قد نظمت
إذا التقطت حبّها من الأقط ... حسبتني بها اللآلي ألنقط
وبعضها في خله منقوع ... جوع الفتى بطيه مدفوع

وفلك بالروع يدعى رازي ... خطفته باللقم خطف البازي
وبعد هذا كلّه شهد العسل ... ينزع عن ذائقه ثوب الكسل
شكرت مولاي على ما حمّلا ... ولا يساوي كلّ هذا جملا
وكتب إلى صديق له:

بساط الأرض مسك أو عبير ... وزهر الروض وشي أو حريز
وللعيدان عيدان عليها ... بمنطق طيرها ثمّ وزير
وقد صفّى الزمان الخمر حتى ... لقد عادت لدينا وهي نور
ومن يرد السرور يعيش هنيئاً ... إذ العيش الهنيء هو السرور
وعندي اليوم فتیان كرام ... وجوههم شمس أو بدور
وقطب الأمر أنت وهل لأمرٍ ... بغير القطب فيه رحى تدور
فرائيك في الحضور فحقّ يومي ... عليك وقد دعيت له الحضور
وكتب إلى آخر:

حضرت مولاي للسلام ... وقت الضجر وهو في المنام
فقلت هذا دليل صدق ... عندي على جودة المدام
والعجب في تركه دعائي ... إليه في جملة الندام
كتب:

يوم الثلاثا للسرور فلا تكن ... عنه بغير السرور مشتغلا
والدهر في غفلة وعيشك لا ... يطيب إلّا والدهر قد غفلا
عجل وبادر بدار مغتنم ... فاللست والله لأمرى عجلا
وله في سكين:

سكين عزّ لمن مداه ... في العزّ يغنيه عن مداه
فلو سطا ضارب بعود ... لعاد سيفاً على عداه
؟؟

أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي

هو لخاسن الأدب وبدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم كالينبوع للماء، والزند للنار، يرجع معها إلى اصل كريم، وخلق عظيم.

وكان فارق وطنه في اقتبال شبابه. وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتيبي، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم، فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشفيق، إلى أن مضى أبو نصر لسيله، وتنقلت بأبي النصر أحوال وأسفار في الكتابة للأمر أبي علي، ثم للأمر أبي منصور سبكتين مع أبي الفتح البستي، ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي، واستوطن نيسابور، وأقبل على خدمة الآداب والعلوم. وله كتاب لطائف الكتاب وغيره من المؤلفات. وله من الفصول القصار شيء كثير، كقوله: تعز الدنيا، الشباب باكورة الحياة، للهم في حوز النفوس، أثر النفوس في خز السوس، لسان التقصير قصير. ولا بأس أن أورد أتمودجاً من سائر نثره البهج. وكلامه الغنج الأرج.

؟؟نماذج من نثره رقعة في إهداء نصل خير ما تقارب به الأصاغر إلى الأكابر. ما وافق شكل الحال، وقام مقام الفال، وقد بعثت بنصل هندي إن لم يكن له في قيم الأشياء خطر، فله في قيم الأعداء أثر، والنصل أخوان، والإقبال والقبول قرينان والشيخ أجل من أن يرى إبطال الفال، ورد الإقبال.

رقعة في الاستزارة يوم النحر أمتع الله مولاي بهذا العيد واليوم الجديد، وأطال بقاءه في الجد السعيد والعيش الرغيد. هذا يوم كما عرفه التاريخ العام، وغرة الأيام، قد قضيت فيه المناسك، وأقيمت المشاعر، وأديت الفرائض والنوافل، وحطت عن الظهور بها الأصار والمثاقيل، فالصدور مشروحة، وأبواب السماء مفتوحة والרגبات مرفوعة، والدعوات مسموعة. وليت المقادير أسعدتنا بتلك المواقف الكرام والمشاعر العظام، فنحظى بعوائد خيراتها، ونستهم في محاسن بركاتها، وإذ قد فاتنا ذاك فما أحوجنا إلى أن نحرم من ميقات الطرب. ونغتسل من دنس الكرب، ونلبس إزار الجون، ونلبي على تلبية الأوتار، ونطوف بكعبة المراح، ونستلم ركن النشاط، ونسعى بين صفاء القصف ومروة العزف، ونقف بعرفة الخلاعة، ونرمي جمرات الهموم، ونقضي ثقت الوسوس، ونضحى ببدن الأفكار في العواقب، فإن رأى أن يتفضل بالحضور، لتتميم حجة السرور، فعل إن شاء الله.

رقعة في خطبة الود

أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده، على صداق قلب معمور بذكره، مقصور على شكره. معترف بفضلته، عالم بتبريز خصلته. على أن أصونها من غواشي الصدر في سجوف. وأمسكها مدى الدهر بمعروف، وأحلها من عادة الرفق، ودمائة الخلق، ووطاة الجناح، ولطافة العشرة والاصطحاب، ما لا تكتسي معه نفوراً

وانقباضاً، ولا تشتكي نشوزاً وإعراضاً، فإن وجدني مولاي كفؤاً له بعد أن جئت راغباً، وبلسان الخطبة خاطباً، أنعم بالإسعاف، وجعل الجواب مقدمة بين يدي هذه النجوى صدقة، طلباً للتحاب لا على حكم الاستحقاق والاستيجاب، ومهما أنعم مولاي بقبولها أيقنت استكفائه إياي لوده، واستغرقت الوسع والإمكان في شكره. والتحدث بعظيم بره، إن شاء الله تعالى.

وله كتاب هذا كتاب من ديوان العتب والاستبطاء، إليك يا عامل الصدود والجفاء. أما بعد، فقد خالفت ما أوجه التقدير فك، وأخلفت ما وعدده الظن بك، وافتتحت ما توليته من عمل الوداد بمجران أطار وادع القرار. وأودع القلب أحر من النار. وتقبته بخلع عذار الوفاء أصلاً، ومعاقرة ندمان الجفاء نهاراً وليلاً. وشغلك خمر المهجران، وخمار النسيان، عن ترتيب أمور المودة وتهذيب جرائد الوصال والمقة، واستعراض روزنامة الكرم، واسترفاع ختمات العهد المقدم، وتأمل مبلغ اورد والإخراج من الود، تعرف مقدار الحاصل والباقي من أثر الرعاية في القلب، وسلطت أيدي خلفائك، وهم علة من إعراضك وصلك وجفائك، على رعية النفس وهي التي جعلت أمانة عندك ووديعة قبلك، فأسرفوا في استيكاها، وهما باجتياحها واغتيالها، غير راع حرمة الثقة بك، ولا واف بشرط الاعتماد عليك، ولا قاض حق الإيثار لك، والاستئمان إليك، ولا ناظر لغدك إذل استعدت إلى الباب، وطولبت برفع الحساب، واستعرضت جريدة أفعالك، واستقرت صحيفة أعمالك، هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك، وما الذي جاش إليك فرط تضييعك، فتصحو تارة عن سكرو جفائك، وتسكرو أخرى عن سورة أحبائك، وكم تفرغ من ندم اسنانك، وتعض من سدم بنانك. هيهات! لا ينفع إذ ذاك إلا القلب السليم، والعهد الكريم، والعمل القويم، والسنن المستقيم، من لك بها وقد دت وجوه آثارك، وتلقيت أمانة العهد بسوء جوارك، وقبح إخفارك، لولا التأميل لفيأتك وارعواك، وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك، ويكفك عن فرط جهالك، فأجل أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك، واطرح القذى عن شرب مخالصتك، وارع ما استحفظته من أمانة القواد، واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد، واكتب في الجواب بما نراعيه منك، وتعذر إن كان فيما أقلمت عليه لك، إن شاء الله تعالى.

رقعة استزارة هذا يوم رقت غلائل صحوه، وخشت شمائل جوّه، وضحكت ثغور رياضه، واطرد زرد الحسن فوق حياضه. وفاحت مجاهر الأزهار، وانتشرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار. وقام خطباء الأطيّار. فوق منابر الأشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح، في بروج الأقداح، وقد سبينا العقل في مرج الجون، وخلعنا العذار بأيدي الجنون. فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين، طالع فتيانا كالشياطين، ونصارى يوم الشعانين، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك، والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك، إلا تفضلت بالحضور ونظمت لنا بك عقد السرور.

رقعة أخرى أمتع الله الشيخ بعنوان الشتاء، وباكورة الدم والأنواء، وهنأه الله اليوم الذي هو نسخة جوده، ومجاجة ماء أرواه الله بماء الحمد من عوده. وعرفه من بركاته، أضعاف قطر السماء بأقطاره وساحاته، وأضحك قلوبنا ببقائه، كما أضحك الرياض بأندائه، وحجب عنه صروف الأيام، كما حجب السماء عنا بأجنحة الغمام، قد حضرني أيد الله الشيخ علة من شركائي في خدمته، فارتحت لاشتراكهم إياي فيما

آردعته من فضل نعمته، وأشفقت منسمة التقصير لديه، فقدت هذه الرقعة جنيبة عذر بين يدي عارض
التقدير إليه، وفي فائض كرمه ما حفظ شمل الأنس على خدمه، لا زال مأنوس الجنب، بالنعم الرغاب،
مأهول المعاهد، بالقسم الخوالد.

فصل في الإنكار على من يذم الدهر

عتبك على الدهر داع إى العتب عليك، واستبطاؤك إياه صارف عنان اللوم إليك، فالدهر سهم من سهام
الله منزعه عن مقابض أحكامه، ومطلعه من جانب ما حررته مجاري أقلامه. والوقية فيه بمرس بحكم خالقه
وباريه، ومجاري الأشياء على قدر طباعها، وبحسب ما في قواها وأوضاعها. ومن ذا الذي يلوم الأرقام على
النهش بالأنياب، والعقارب على اللسع بالأذنان، وأنى لها أن تدم، وقد أشربت خلقتها السم، وحكم الله
في كل حال مطاع، وبأمره رضى واقتناع، فاعف الزمان عن قوارص لسانك، واضرب عليها حجاب
الحرص بأسنانك، واذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " وعليك
بالتسليم، لحكم العلي العظيم، فذاك أحمد عقيب، وأرشد ديناً ودنيا.

رقعة إلى صديق له قامر على كتب لها خطر فقمر الخن - أيدك الله - معلقة بين جناحي تقدير، وسوء تدبير.
فأما التي تطلع من جانب المقدار، فالمرء فيه معفى عن كلفة الاعتذار، وأما التي أوكنتها يده ونفخها فوه،
فليس لخرقها أحد يرفوه. وفي فصوص الأفلاك الدائرة، ما يغني عن فصوص العظام الناخرة، اللهم إلا إذا
عميت عين الاختبار، وصمت أذن الروية والاعتبار، والله ولي الإرشاد إلى طريق الصواب والسداد. وبلغني
ما كان من خطارك بما اعتدته غرة الغرر، ودرة الدرر. ونهبة الأدب، وزبدة الحقب، حتى قمرة الأيدي
الخاطفة، واخطفتها الأطماع الجارفة، فأعلمت من غير لص قاطع، وأصبت بغير موت فاجع. فيا له من غبن
يلزم المغرم، ويحرق الأرم. ويقطع البنان، ويحير العين واللسان، نعم يا سيدي قد مسني من القلق لسوء
اختيارك، وقبح آثارك، ما يمس من يراك بضعة من لحمه، ودفعة من دمه، ولا يميزك عن نفسه، في حالتي
وحشته وأنسه، لكن من طباع لنفوس الناطقة أن تنفر عن يسيء لنظر لذاته، وتذهب عن عمل الفكر في
مصالح أموره وجهاته.

ومن غفل عن صلاح نفسه فهو أغفل عن صلاح من سواه، ومن عجز عن تدبير يخصه فهو أعجز عن تدبير
من عداه. والله يلهمك الصبر على ما جنته يدك، ويدركك اسلوة عما أورطتك فيه نفسك، ويجعل هذا
الواحدة منبهة لك من سنة الضلال، ومزجرة عن سنة الجهال. وبعد فلم ينقص من عمرك ما أيقظك ولا
ذهب من مالك ما وعظك، فإياك أن يطمعك اللجاج في معاودة تلك الخطئة الشوهاء فإنها تأخذ منها أكثر
مما تعطيك، وتسخطك فوق ما ترضيك، وإن يرد الله بك خيراً يهدك، ويسعدك بيومك وغدك.

ملح وغرر من شعره قال:

له من الهلال لنصف شهرٍ ... وأجفان مكحلة بسحر

فعند الابتسام كليل بدرٍ ... وعند الانتقام كيوم بدر

وقال:

بنفسي من إذا ضيفاً عزيزاً ... عليّ وإن لقيت به عذاباً
ينال هواه من كبدي كباباً ... ويشرب من دمي أبداً شراباً
وقال:

أيا ضرّة الشمس المنيرة بالضحي ... ومن عجزت عن كنهها صفة الورى
عذرتك إن لم أحظ منك برؤية ... فأنت لعمرى الروح والروح لا ترى
وقال:

لي شادن ما أطيق الدهر هجرته ... أمّن يجرعني داءً يداويني
شمس تظللني، نجم يضلّلني ... ماء يسكّرني، راح تصحيني
وقال:

إني أضنّ على سقمي ... وليس والله داء الحبّ بالألم
قال الطبيب اقتصد يوماً فقلت له ... أخشى خروج هواه مع خروج دمي
وقال:

فتكت بمهجتي عمداً، فهلا ... طويت الجرم في ثني اعتذارك
أرى نار الصدود على فؤادي ... فما بال الدخان على عذارك
وقال:

بنفسي من نفسي لديه رهينة ... يجرعها صبراً ويمنعها الصبرا
أغار على قلبي فلما استباحه ... أغار على دمي فنظّمه ثغرا
وقال:

وقاتلة ما بال حدك كلّما ... رآني يلقاني بصفرة جلباب
فقلت كذا بدر السماء إذا بدا ... أفاض على الغبراء صفرة زرياب
وقال:

عجبت لفاقع سحنتي ومدامعي ... منهلة، ورأته قبل مورداً
فأجبتها لا تعجبني فإنه ... يصفر لون الزعفران من النداء
وقال:

يا ذا الذي فتن الورى وبوجهه ... أخيا رسوماً للمحاسن عافيه

يحكي محياه خلال عذاره ... علم السلامة في طراز العافيه
وقال:

إذا رمت من سيّد حاجة ... فراع لديه الرضا والغضب
فإن التهجم ليل المنى ... وإن الطلاقة صبح الأدب
وقال:

لا تحسبن هشا شتي لك عن رضى ... فوحق فضلك اني اتملق
ولقد نطقت بشكر برك مفصحا ... ولسان حالي بالشكاية أنطق.
وقال:

شكرتك طول الدهر غير مقابل ... ندى لك، بل جريا على طول منتي
ومن لك بالطرف الجواد بمسكه ... بلا سنبل يرعاه في أرض تبّت
وقال:

أدل على ثقة بالهوى ... وقلب تضمّن صفو المقه
فلا تنكرن دلالا له ... فإن الدلال دليل الثقة
وقال:

أدى الخلاف لك الخلاف تشابها ... وكلاهما في الاختيار ذميم
لو كان خيرا في الخلاف لزانه ... ثمر، ولكن الخلاف عقيم
وقال:

الله يعلم أنني لست ذا بخل ... ولست مطّلبا في البخل لي عللا
لكن طاقة مثلي غير خافية ... والنمل يعنر في القدر الذي حملا
وقال:

ما أنت في الأخذ من دون العطاء سوى ... صابون غاسلة معنى ومرتسما
فما ترى دسما يوما بظاهره ... ودأبه أن يغسل الدسما
وقال:

لما سئلت عن المشيب أجبتهم ... قول امرئ في أمره لم يمدق
طحن الزمان بريبه وصروفه ... عمري فثار طحينه في مفرقي
وقال:

شبي عزيز غير أن شبيتي ... علق كريم لا يجاوزه الأمل
من ذا الذي ساوى سواد لحاظه ... ببياض عينيه وحسبك ذا المثل
وقال:

تعلم من الأفعى أمالي طبعها ... وآنس إذا أوحشت تعف عن النّم
لئن كان سمّ نافع تحت نابها ... ففي لحمها ترياق غائلة السمّ
وقال:

يا من يقابل ديناري بلرهمه ... أقصر فدعواك طاووس بلا ريش
وأي عيب لعين الشمس إن عميت ... أو قصرت عنه أبصار الخفافيش
وقال:

عليك يا غباب الوصال فضدّه يعيد حبال الودّ منك رثا

ولو كلف الإنسان رؤية وجهه ... لطلّقه بعد الثلاث ثلاثاً
وقال:

أظنّ زمان سوء قارف أبنه ... فإني أراه يتبع العليّ والعمرا
زففت إلى دهري عروس كفايتي ... فطلّقتها قبل الدخول بها عشرا
وقال يعزي الشيخ أبا الطيب سهل بن أحمد بن سليمان عن ابنه:
من مبلغ شيخ أهل العلم قاطبة ... عني رسالة محزون وأواه
أولى البرايا بحسن الصبر ممتحناً ... من كل فتياه توقيع عن الله
وقال:

عليك عند اعتراض الهمّ بالقدرح ... فإنه أبداً قدّاحه الفرح
وقال من الرجز:

عبس لما أن مسست نقله ... كأنني نرعت منه مقله
وقال له يوماً أبو الفتح البستي: يا شيخ، ما تقول في الكرب؟ فقال مرتجلاً: أطعمه إن لم يكن كاري بي

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا، وذلك أنه من الفاراياحدى بلاد الترك، وهو إمام في علم لغة العرب، وخطه يضرب به
المثل في الحسن ويذكر في الخطوط لمنسوبة لخط ابن مقلة ومهلل واليزيدي، ثم هو من فرسان الكلام، ومن
آتاه الله قوة وبصيرة، وحسن سريرة وسيرة، وكان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السكن والمسكن،
ويحترق البدو والحضر، ويدخل دريار ربيعة ومضر، في طلب الأدب، وإتقان لغة العرب. وحين قضى وطره
من قطع الآفاق، والاقْتباس من علماء الشام والعراق، عاود خراسان، وتطرق الدامغان، فأثرله أبو علي
الحسن ابن علي - وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء - عنده وبذل في إكرام مثواه وإحسان قراه
جهده. وأخذ من أدبه وخطه حظه، ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيماً بها على التدريس
والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف، والدفاتر اللطائف، حتى مضى لسبيله، عن آثار
جميلة، وأخبار حميدة.

وله كتاب الصحاح في اللغة، وهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من مجمل
اللغة، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابوري وعنده الكتاب بخط مؤلفه:

هذا كتاب الصحاح سيّد ما ... صنّف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما ... فرق في غيره من الكتب

وللجوهري شعر العلماء، لا شعر مفلقى الشعراء، وأنا كاتب من لمعه ما أنشدني أبو سعد دوست وإسماعيل
بن محمد، فمن ذلك قوله:

لو كان لي بدٌّ من الناس ... قطعت حبل الناس باليس

العزُّ في العزلة لكنَّه ... لا بدّ للناس من الناس
وقوله من نغمة:

فها أنا يونس في بطن حوتٍ ... بنيسابور في ظلل الغمام
فبيتي والفؤاد ويوم دجنٍ ظلامٍ في ظلامٍ في ظلامٍ
وقوله:

رأيت أشقراً أزرقاً ... قليل الدماغ كثير الفضول
يفضل من حمقه دائماً ... يزيد بن هندٍ على ابن البتول
وقوله:

يا صاحب الدَّعوة لا تجرعن ... فكلُّنا أزهد من كرز
والماء كالعبر في قومسٍ ... من عزّه يجعل فب الحرز
فسقنا ماءً بلا منّةٍ ... وأنت في حلٍّ من الخيز

أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

أديب كاتب شاعر، خدم الصاحب ومدحه ورثاه، ووقع من الدينور إلى نيسابور فتصرف بها وتأهل، ومما
أنشدنيه لنفسه قوله:

وقفت يوم النوى منهم على بعد ... ولم أودعهم وجداً وإشفاقاً
إني خشيت على الأظعان من نفسي ... ومن دموعي إحراقاً وإغراقاً
وقوله:

ودّعت إلفي وفي يدي يده ... مثل غريقٍ به تمسكت
فرحت عنه وراحتي عطرت ... كأني بعده تمسكت
وقوله من قصيدة كتب بها إلى ابن بابك:

يا من يجددني مع الأوهام ... عهداً ويطرقي مع الأحلام
ومجال ودك إنّه متحصنٌ ... بمجال أفكاري مع اللّوام
أومضت نحو العراق تحيةً ... تحيي قتيل صبايةٍ وغرام
ومحيمٌ للأنس حفّ بفتيةٍ ... يبض الخلائق والوجوه كرام
تابعت فيه بادّكارك مترعاً ... حامى بوابل دمعي السجّام
وتركت عرضته بذكرك روضةً ... نابت عن النسرين والتمام
بأبي خلانفك التي لو أنّها ... في الراح لم يك شرّها
أوفى الزمان غداً نهاراً كلّهُ ... لا يعقب الإصباح بالإظلام
أهدى إليّ لك الحبيج عرائساً ... تجلي فتجلو نقبة الأفهام
غراً إذا شدخ الرواة بها الفلا ... أغنت مجاهلها عن الأعلام

فسرحت فيها ناظريّ مفدياً ... خلاّ يصون على البعاد ذمامي
وغدت صحيفتها عليّ تيممة ... تشفي من الأسقام والآلام
فاجعل أخاك لأختها أهلاً فما ... يخشى عليك عواقب الإفحام
وقوله في مريثة الصاحب وقد حمل تابوته من الري إلى أصبهان ودفن في ملحّة تعرف بباب ذرية:
مضى من إذا أعوز العلم والندى ... أصيبا جميعاً من يديه وفيه
مضى من إذا أفكرت في الخلق كلّهم ... رجعت ولم أظفر له بشبيه
ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة ... حفيرة ليأنس كلّ منهما بأخيه
هما اصطحبا حين ثم تعانقا ... ضجعين في قبرٍ بباب ذريه
وقال أيضاً فيه:

أكافينا العظيم إذا وردنا ... ومولينا الجسيم إذا فقدنا
أردنا منك ما أبت الليالي ... فأبطل ما أرادت ما أردنا
شقت عليك جيبي غير راضٍ ... به لك فأتخذت الوجد خدنا
ولو آتني قتلت عليك نفسي ... لكان إلى قضاء الحق أدنى
أفدنا شرح أمر فيه ليس ... فإنا طالما كنّا استفدنا
ألم تك منصفاً عدلاً فأني ... عمرت حفيرةً وقلبت مدنا
وكيف تركت هذا الخلق حالته فليس كما عهدنا

تملكنا اللثام وصيرونا ... عبيداً بعد ما كنّا عبدنا
لئن بلغت رزيتّه قابلاً ... فذبن منّا فجدا
لما بلغت حقائقها ولكن ... على الأيام نعرف من فقدنا
وله من صيدة:

ولربّ مخطفة تضمّ جفونها ... عيني مهابة بالصريمة خاذل
تغتال راقعها بقدر راحٍ ... وتصيد وراقعها بطرفٍ نابل
ومن أخرى:

يا ليلة حزنت فيها كواكبها ... وضاعفت كمدي أذيالها السّود
أنت الفداء لليلٍ شرّدت حزني ... فيع الأغاريد والغيد الأماليد
وقهوة في احمرار الورد شعشعها ... مورّد الثوب في خديه توريد
تمرّ مخنونةً حث الركاب بنا ... تحدو بها نغم القينات والعود
ما أنس لا أنس ذات الحال إذا حسرت ... قناعتها فبدت تلك العناقيد
وأطلعت بمحيّاها وجتتها ... شمساً عليها رواق الليل ممدود
بي من هواها رسيس لا يزال له ... في حبّه القلب تصويب وتصعيد

ومن أخرى:

لا تلمني على الدموع التي لو ... لآك لم تدم من جفوني غربا
طرف الغصن لا تلام على القطر إذا النار شعلت فيه رطبا وله:
لو ضم قلب الدهر ما ضمّه ... قلبي من حرّ النوى والبعاد
لاحترق الحوتان من دونه ... فصار ما بينهما كالرماد

أبو جعفر بن الحسين القمي

كاتب، شاعر، أقام بنيسابور يكتب للعمال، ويتصرف في الأعمال، وهو القائل:
أرى عمال نيسابور ... دهر الله في التحس
فمن يعمل بها يوماً ... يقع شهرين في الحبس
بها يضرب بالقلس أعزّ الناس في فلس
وقال في معقل وكان بNDAR نيسابور:
يا أيها الشيخ الكبير المفضّل ... أقبض يديه فمعقل لا يعقل
ظلموه إذ ودعوا دواة عنده ... ولديه يوضع منجل أو معول
وقال لأبي محمد بن أبي سلمة:
أيها الشيخ الذي كلّ الوري ... يتلقى وجهه بالتفديه
هل يوازي فضلك المشهر أن ... تحضر الديوان يوم الترويه
وقال:

يا من إليه المعالي ... من كلّ أوب تحاز
إن لم يكن لي فيه ... شغل لديكم فجازوا
وقال:

يقول الناس لي جامع ... خطيب المسجد الجامع
ومن ذا يأكل الميتة ... إلا الجائع النائع
وقال:

أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

أعرابي جهوري، متقعر في كلامه، كثير الشعر، قليل الملح، ومن ثقل حتى خف، وقبح حتى ملح، طراً على
نيسابور أطواراً وأقام بها في المرة الأولى بضع سنين ينتسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقرأ
القرآن بجهارة شديدة، ويشعر ويتعاطى الفواحش، فإذا قيل له: كيف أصبحت أيها الشريف؟ قال:
أصبحت جوالاً في السكك، حلالاً للتك، على رأسه طائر كم معكم سرمداً، وعلى جبينه ولن تفلحوا إذا

أبداً، وكثيراً ما ينشد لنفسه:

تبسّ عملاق بن غيداق للشقا ... وللحزن والإفلاس أثواب حارس

يطوف بنيسابور في كل سكةٍ ... خليفة مولاه طفيل العرائش

وذلك أن طفيل العرائش الذي ينسب إليه الطفيليون من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومدح عملاق فائق الخاصة بقصيدة أولها وهو أمير شعره:

يا دولةً آيدت بخالقها ... وبالأمر الجليل فائقها

فأمر بإثبات اسمه في جملته واستصحبه ووصله ولم يزل معه إلى أن فرق الدهر بينهما، ثم إن الشيخ الجليل أبا

العباس أحسن النظر لمن وأجرى إنعامه عليه، ووصله وهو الآن ممن يعيش في كنفه، ومما سمعته ينشد لنفسه

قصيدة أولها:

لبسنا لهذا الفصل حمر المطارف ... وفيه انسلخنا من لباس المصايف

وفاقم صقلاب وأفتاك خدج حذار رياح الزمهرير العواصف

وسنجاب خرخيد وسمور بلغر ... وأوبار عباء الحصين التوالف

مع الخز والدياج حيكاً بتستر ... وبالسقلاطوني تحت الملاحف

أبو المعلى بن الصلت

المعروف بناقذ الكلام اليماني

ورد نيسابور متطرفاً لها إلى غزنة، وادعى أكثر مما يحسن، وأنشد لنفسه شعراً كثيراً أخرجت منه قوله في

ممهد الدولة هذه:

بعدت صفاتك يا ممهد وأدنت ... كغموض معنى في كلام ظاهر

خفيت وأظهرها الطباع خفية ... كالنور يوجد في سواد الناظر

ويقول:

لم يكفني بالريّ خيبة مطلبي ... حتى حرمت لذادة الإيناس

كالأعور المسكين أعدم عينه ... وأعيض عنها بغضة في الناس

وقوله:

إذا فكر الإنسان فكرة عاقل ... رأى عيشه معنىً لمغنى مماته

إذا نال يوماً زائداً في معاشه ... فذلك يوم ناقص من حياته

وقوله:

أنت لعمرى خير شرّ الورى ... ترضاك من ترضى بإقلال

والأعور المقوت مع قبحه ... خير من الأعمى على حال

وقوله:

في ثغر عبد الكريم شيء ... من فمه ليس بالكريم
تحسب طول الحياة فاه ... يمحُّ حمراً بغير ميم
وقوله:

ربَّ صديقٍ قلمت من سفرٍ ... فجئت من مقدمي أهنيه
لا حق لي عنده فيقضيه ... وحقّه لا أزال أقضيه
وقوله:

ظلم امرؤ نذب التجار إلى العلى ... حسب التجار دفاتر الحسبان
همم لهم بين النقود وصرفها ... والسعر والمكيال والميزان
وقوله:

لسان الحق أفصح من لساني ... وصمتي عن كلامي ترجماني
وأنت لمن رماه الدهر عون ... فكن عوني على صرف الزمان

عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور

فقيه وجه، نبيه قليل الشبيه، يفقه على مذهب الشافعي، ويتكلم على مذهب الأشعري، ويرجع إلى رأس
مال في الأدب، والنحو، وكان أبوه عبد الله انتقل من بغداد إلى نيسابور ومعه أبو منصور فتفقه بها وبرع
وبلغ ما بلغن وله شعر يحذو في أكثره حذو منصور الفقيه البصريين كقوله:

يا سائلي عن قصتي ... دعني أمت بغصتي
المال في أيدي الورى ... واليأس منهم حصتي
وقوله:

يا ماجداً فاق الورى ... لا زلت مأوىً للقرى
عليّ دين مانع ... عينيّ من طيب الكرى
فكن لديني قاضياً ... يا خير من فوق الثرى
وقوله:

ألا إنّ دنيك مثل الوديعة ... جميع أمانيك فيها خديعة
فلا تغترر بالذي نلت منها ... فما هو إلاّ سراب بقيعة
وقوله:

إذا ضاق صدري وحفت العدى ... تمثّلت بيتاً بحالي يليق
فبالله نبلغ ما نرتجي ... وبالله ندفع ما لا نطيق
وقوله:

سقتني لتروي الروح راحاً وحققّت ... مواعدها ذات الوشاح بالنجاز
على نرجسٍ حيّت به فكأنما ... أناملها أنضمت على حلق البازي

أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر

كان فراق بلدته في صباه، وركب الأسفار إلى العراق والشام، تلقب بالزاهر مقتديا بقوم من الشعراء تلقبوا بالناجم والناشي والنامي والزاهي والطالع والطاهر، ثم كر إلى خراسان، وألقى عصاه بنيسابور، وتكسب بالشعر، واستكثر منه، فمما علق بحفظي مما أنشدنيه لنفسه قوله ويروي لأبي الحسن علي بن محمد الغزنوي: أقول وقد فارقت بغداد مكرهاً ... سلام على عهد القطيعة والكرخ هوأي ورائي والمسير خلافة ... فقلبي إلى كرخٍ ووجهي إلى بلخ وقوله:

قولوا لقوم بنيسابور أمدحهم ... عند الضرورة والإفلاس والضيق أصبحت فيهم وحقَّ الله خالقنا ... كمصحف دارسٍ في بيت زنديق

أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

من أبناء التجار ببخارى، وورد مع أبيه نيسابور متفقهاً، وهو من آدب الفقهاء وأحفظهم لما يصلح للمحاضرة، فبقي بها مدة، واختير للامامة في المسجد الجامع ولم يزل يتولاها إلى أن أثر العزلة فقاده زهده وورعه إلى المراقبة بدهستان وهو بها الآن، وكان أنشدني وكتب لي من شعره غرراً لا يحضرنى منها إلا قوله:

أيا من همَّه الجمع لما حاصله القوت
كأني بك يا نائم قد أيقظك الموت

فصل

كان من هذا الباب أن يتضمن ذكر أبي الحسين الرخجي، وأبي الحسن الممتاخي صاحب كتاب من غاب عند النديم، وأبي الحسن الحنظلي السهروردي، وأبي سعيد البلدي، وأبي القاسم علي بن محمد الكرخي، وأبي الحسن محمد بن عيسى الكرخي، وأبي المظفر الكمال بن آدم الهروي، وأبي الحسن علي بن محمد الحميري، ولكن لم يحضرنى شيء من أشعارهم في هذه الغربة، وإن نفس الله المهمل، وعادت الوطن، جبرت كسره بما يصلح له من كلامهم، وإن عاق محتوم الأجل عن ذلك فإني أرغب إلى من ينظر بعدي في هذا الكتاب من الفضلاء الذين يصيدون شوارد الكلم وينظمون قلائد الأدب، أن ينوب عن أخيه فيه، ويلحق ما يجده منه بمواضعه من هذا الباب، إن شاء الله تعالى، وربّه التوفيق، ومنه الإعانة.

الباب العاشر

النيسابوريون ومحاسن اقوالهم

في ذكر النيسابوريين الذين تقع محاسن أقوالهم في هذا الباب وكتبة لطائفهم

وظرائفهم.

رئيس نيسابور

أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي

هو أشهر، وذكره أسير، وفضله أكثر، من أن ينبه وله - مع كرم حسبه وتكامل شرفه - فضيلة علمه وأدبه. وكان من الكتابة والبلاغة بالحل الأعلى، وله من سائر الحاسن القدح المعلى، فكان يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والحدثين يهدها في محاضراته، ويجلها في مكاتباتهن وله شعر كتابي يشير لشرف قائله، لا لكثرة طائله، فمن ذلك ما قاله على لسان كاتبه أبي الطيب:

يوم دجن قد تناهى طيبه ... وحقيق أن يجينا بالمطر
والثلاثاء ينادي غدوة ... ما للهو بعد هذا منتظر
هل يجوز الصحو في أثنائه ... إن هذا الرأي من إحدى الكبر
وقوله في النكبة التي عرضت له في آخر أيامه:

خانني الأير حين خان زماني ... وجفاني كآته إخواني
وثني عني العنان غزال ... كان قبل المشيب طوع عاني
يتجنى علي من غير جرم ... يراني كآته لا يراني
كيف يصبو إلي وهو عليم ... أن أيري كعظمة الصولجان
ليس يرجي له انتباه من النو ... م ولا صبوة لذكر الغواني
كان من قبل سامعاً مستجيباً ... مسعداً لي فعقني وجفاني
بل رآني مصادراً مستكيناً ... فرثي لي من انقلاب الزمان
ولوى جيده فأصبح لدناً ... يتثنى تتني الخيزران
لا يحيب الصريح في غسق الليل ولا دعوة الوجه الحسان
لم أكلّفه حمل غرمٍ ثقل ... لا ولا دفع معضل قد عراني
إنما الغرم والوبال على الما ... ل فماذا عليه ثماً دهاني
هل سمعتم بمقمع من حديد ... ذاب من فرط خيفة السلطان
ليته عاد تابعاً لمرادي ... فأسلّي به جوى الأحران
أيها العاذلان حسبي ما بي ... فدعاني من الملام دعاني
وارثيا لي من البلاء وكفّاً ... إني في يد الحوادث عاني

إن يكن خاني الأُحبة طراً ... فشجاني جفاؤهم وبراني
فعلى الله في الأمور اتكالي ... وبه الاعتصام لما أعاني

ابنه

أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل

كان متقدماً في الأدب. متبحراً في علم اللغة والعروض، مصنفاً للكتب مستكثراً من قول الشعر، ولعل شعره يربى على عشرة آلاف بيتن ولما أنشد أباه قوله في مقصورة له هذا البيت من الرجز:
إذا ركبت كنت خير راكب ... وإن نزلت كنت خير من مشى
قال له: استحييت لك يا بني، ما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأمره بإسقاط هذا البيت من القصيدة، فلم يفعل، وعندى أن أمير شعره قوله من الرجز:
إذا أراد الله أمراً بامرئ ... وكان ذا عقلٍ ورأيٍ وبصر
وحيلةٍ يعملها في كلِّ ما ... يأتي به جميع أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى قلبه ... وسله من رأيه سلَّ الشعر
حتى إذا أنفذ فيه أمره ... ردَّ عليه عقله ليعتبر

الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان

الصعلوكي

معلوم أنه كان في العلم علماً وفي الكمال عالماً، ومن شاهد الآن ابنه الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رأى شجرة للعلم نمت على عروقتها ونفساً غذيت في حجر الفضل فحرت على سنن أولها. وأحيت فضائله بفضائلها. وولدا أشبه والده في الإمامة، عند الخاصة والعامة. وله شعر كثير يذكر في شعر الأئمة ويروى لشرف صاحبه وتحسين الكتب بذكره، فمن ذلك ما أنشدنيه الشيخ الإمام أبو الطيب قال: أنشدني والدي لنفسه:

سلوت عنالدين عزيزاً فلنتها ... وجدت بما لما تناهت بآمالي
علمت مصير الدهر كيف سيبه ... فزايته قبل الزوال بأحوال
وأنشدني له أبو الحسن الفارسي الماوردي الفقيه:
دع الدنيا لعاشقها ... ستصبح من ذبائحها
ولا تغرك رائحة ... تصيبك من روائحها
فمادحها بغفلته ... يصير إلى فضائحها

علي بن أبي علي العلوي

كان في نهاية النجاة فاحتضر في عنفوان شبابه، وله شعر علق بحفظي منه ما أنشدنيه أخوه أبو إبراهيم له:
همم الرجال تبين في أفعالهم ... والفعل عدل شاهد للغائب
ولنا تراث المجد حزنا فضله ... عن خير ماشٍ في الأنام وراكب
والآن أخوه أحمد نعم العوض عنه، والخلف منه: والشمس تسليك عمّا حلّ بالقمر وله شعر حسن لا
يحضرنى منه إلا قوله:

هواك من الدنيا نصيبي، وإني ... إليك لمشتاق كجفني إلى الغمض
فررني وبادر يوم تلج كآئه ... شمائم كافور نثرن على الأرض

أبو البركات علي بن الحسين العلوي

يزين تالد أصله، بطارف فضله، ويحلي طهارة نسبه، براعة أدبه، ويرجع من حسن المروعة وكرم الشيمة
وعفة الطعمة إلى ما تتواتر به أخباره. وتشهد عليه آثاره، ويقول شعراً صادراً عن طبع شريف، وفكر
لطيف كهوله من قصيدة:

مدامعي تهتك أستاري ... تعلن بين الناس أسراري
أنكرت ما بي، غير أن البكا ... قرّر بالإقرار إقرار
ومنها:

أحببت خشفاً ليس في مثله ... تحمّل العار من العار
ومنها:

كأنما إبريقنا طائر ... يحمل ياقوتاً بمنقار
ومنها:

كأنّ ريح الروض لما أتت ... فتّت علينا مسك عطار
وقوله:

وأغيد سحرًا بأحاط عينه ... حكى لي تشيّه من البان أملودا
سلخت بذكراه عن الصبح ليلة ... أنادمه والكأس والناس والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها ... كباسط كفيّه ليقطف عنقودا
وله:

مكذب الظنّ ناقص الأمل ... يقطر من خدّه دم الخجل
يكاد ينفض فصّ وجنته ... إذا علاه الحياء للقبل
وقوله:

يا عصابة الأتراك أولادكم ... من يوسف الحسن وبلقيس

أحاذكم تحي وتردي الورى ... وحسنكم فتنة إبليس
لا تقربوا مني ففي قربكم ... هلاك دين المرء والكيس
وقوله من قصيدة:

وكأني ركبت للصيد ريحاً ... لا يبالي بحرّها والسهول
أدهم اللون مثل ليلٍ بهيمٍ ... ذي صباحٍ من غرةٍ وحجول
فهو يطوي البسيط كاليسط طياً ... يديّ طالبٍ ورجليّ عجول
وقوله من نثفة:

الشيخ ينجز وعداً منه قد سبقا ... وليس الغصن من إفضاله الورقا
إني غريق ببحر المطل منتظر ... حالاً تكشف عني الموج والغرقا

أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي

شريف فاضل، عالم زاهد، يلبس الصوف، وكان في صباه يقول الشعر، فمن ذلك قوله:
أسكرني طرفه ولكن ... حمار أجفانه حمام
إنّ دمي عنده حلال ... وهو لدى غيره حرام
وهكذا سحر كلّ طرفٍ ... يصنع ما تصنع المدام
وله من الرجز:
وأمرد أزهد من صهيب ... في علم موسى وتقى شعيب
إذا رأى شعر أبي ذؤيب ... أو فارسيات أبي شعيب
تحسبه أشعر من نصيب ... إن لم تساعدني فوي بي ووي
وله:

إذا عصّك الدهر الخؤون بنابه ... وأسلمك الخدن الشقيق إلى الهجر
فلا تأسفن يا صاح واصبر تجلّداً ... فلا شيء عن الهجر أجدى من الصبر

أبو العباس محمد بن يحيى العنبري

من أبناء نيسابور، وأهل البيوتات بها، وله شعر كثير، منه:
لا يشغلنك حديث ما في الكلس ... شرب المدام محلّ في الناس
الله حرم سكرها لا شربها ... فاشرب هنيئاً يا أبا العباس
صفراء صافية كأنّ شعاعها ... ضوء الصباح وشعلة المقلب
تنفي بها داءً وحرناً كامناً ... في القلب ليس بشرها من بس
وإذا قميصك بلّته مدامة ... وعرتك منه وساوس الخناس

فدع القميص يشمُّ منه ريحها ... واغسل فؤادك من أذى الوسواس
وقوله:

متفقه شغف الفؤاد بحبّه ... خضعت محاسن وجهه لحبّه
أحببت كروة زوزون من أجله ... ورجالها ونساءها من حبّه
وله:

يقول الناس لي رجل سديد ... وما فعلي بفعل فتى سديد
إذا ما كنت لا أخشى وعيدا ... فما يغني مقالي بالوعيد

أبو سلمة بن أحمد المعاذي

حضر بعض مجالس الأنس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليح على ثوبه فحجل الفتى، فقال أبو سلمة:
صبّ المدام وما تعمّد صبّه ... فتورّد الحدُّ البديع الأزهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا ... تأثير لحظك في فؤادي أكثر

أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلي

من أدباء نيسابور وفضلاء المتصرفين بها، يقول:
وكان فوادي جامحاً في عنانه ... إذا انتابه العذال في غيّه أبي
وأقصر عن قصد التصابي وصلّه ... مقال بنيّ بعد خمسين يا أبا
وقوله:

هموم تفيض وصبر يغيض ... وجسم صحيح وقلب مريض
يبيض ما اسود من لمي ... خطوط حداهن سود وبيض
ورؤية من يدّعي أنّه ... علا فلك الشمس وهو الحضيض
فإن سكتوا فشفاه تغيض ... وإن نطقوا فبطور تحيض
وأمتع من شرب كأس الحمام ... حياة يشارك فيها بغيض
وقوله:

ألا قالت أمانة إذ رأيتني ... وماء الوجه بالجاديّ شيبا
تعرتك الهموم فقلت حقّاً ... هموم اجعل الولدان شيبا
وقوله:

إن المهص في الحضور لخدمة ... في مثل هذا اليوم للمعذور
يوم كأنّ الأرض فيه سنججل ... والجو فيه صارم مأثور

القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد البستي

آدب قضاة نيسابور وأشعرهم، ولما تقلد قضاءها في أيام شببته مضافاً إلى ما كان يليه من قضاء كورة نسا
لقب بالكمال، وله شعر كثير كتب لي بخطه صدرا منه وأنشدني بعضهن فمن ذلك قوله:

أنظر إلى النفس وهي واقفة ... نصب عيون الوشاة والحرس
يخفى على الناظرين موقفها ... كأنها نفس آخر النفس

وله:

قل للذي حبس الفؤاد بصله ... فوددت أتي عند ذاك فؤادي
مسترخص المبتاع لا يغلى به ... ولذاك ما أرخصت بيع ودادي
وقوله:

يقولون أبل العذر فيما ترومه ... فإبلاء عذر في الأمور نجاح
فقلت لهم إبلاء عذر وخيبة ... نجاح كما افتض العروس نجاح
وله في وصف طين الأكل من الرجز:

وتحفة قلبيها غاليه ... ذو همم في المكرمات عاليه
شبهتها من بعد ما أهدى ليه ... قطاع كافور عليها غاليه
وله في البندق:

وبندق لبّه عجيب ... للدر والمسك فيه شركه
أشبه شيء به يقينا ... لؤلؤة ضمخت بمسكه
وله في الورد الموجه:

حباني بورد جامع بين وصفه ... ووصفي لما زرتهم وجفوني
على جانب منه تورّد خلّه ... وفي جانب منه تلون لوني
وله في البهار:

حكاني بهار الروض حتى ألفتّه ... وكلّ مشوق لبهار مصاحب
وقلت له ما بال لونك شاحباً ... فقال لأني حين أقلب راهب

وله:

يا من قنعت بحس رأ ... ي منه لو أعطيت رايه
إن قمت في أمري برأ ... ي أعطيت رايه

وله:

مستبد برأيه ... عازب الرأي معجب
وتماديه بعد ما ... عرف الغي أعجب
وله من الرجز:

يعجبني من كلّ شعرٍ جزل ... جيّد جدّ وركيك هزل

أبو سعد عبد الرحمن بن محمد

بن دوست

من أعيان الفضلاء بنيسابور وأفرادهم، يجمع من الفقه والأدب، بين التمر والرطب. ومن النظم والنثر، بين الياقوت والدر، وشعره كثير الملح والنكت، حسن الديباجة، كأنه عن طباع المقلقين من شعراء العراق وهذا أنموذج منه:

ألا يا ريم خبيري ... عن التفاح من عضّه
وحدّث بأبي عن حسنك البكر من افتضّه
وختم الله بالورد ... على خدّك من فضّه
لقد أثّرت العضّه في وجنتك الغضّه
ولاح الدرّ إذ بضّ ... على جللتك البضّه
كلون العبر الوردِيّ ... إذا فضّ عن الفضّه
وله:

ولقد مررت على الأطباء فصادني ... ظني وعهدي بالطباء تصاد
نفذت لواحظه إليّ بأسهم ... أغراضها الأرواح والأجساد
وله:

جعلت هديتي لكم سواكاً ... ولم أقصد به أحداً سواكاً
بعثت إليك عوداً من أراك ... رجاء أن أعود وأن أراكا
وله:

ومهفهف ملك القلوب وحازا ... خطّ الجمال بعارضيه طرازا
شبّهته قمراً فكان حقيقةً وغداً له قمر السماء مجازا
ما باع براً قطّ إلاّ أنّه ... بزّ القلوب فلقب البرّازا
وله:

وشادن نادمت في مجلس ... قد مطرت راحاً أباريقه
طلبت ورداً فأبي خله ... ورمزت راحاً فأبي ريقه
وله:

وشادن قلت له ... هل لك في المناديه
فقال ربّ عاشق ... سفكت بالني دمه
ول:

يغيب البدر يوماً ثم يبدو ... فما لك غبت عن عيني ثلاثا
فإن لم تطلع الأثنين عصراً ... فلست بواجدي يوم الثلاثاءا

وله:

وقالوا اصفرّ وجهك إذ تراءى ... وقد صار الفؤاد له شعاعا
فقلت لأتني قابلت بدرأ ... فقد ألقى على وجهي الشعاعا

وله:

الدهر دهر الجاهلين وأمر أهل العلم فاتر
لا سوق أكسد فيه من ... سوق الخابر والدفاتر

وله:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب ... فإن للكتب آفات تفرّقها
الماء يغرقها، والنار تحرقها ... والفار يخرقها، واللص يسرقها
وله في القصد من الرجز:

لما رأيت الجسم ذا اعتلال ... ودبّت الآلام في أوصالي
دعوت شيخاً من بني الجوالي ... بطريق عمّ جاثليق خال
فسلّ سيفاً ليس للقتال ... ومرهفاً ليس من العوالي
أدقّ في العين من الخيال ... أقطع من هجر ومن ملال
أحسن من وصل ومن إقبال ... كأنه نصف من الملال
ففتّح القفل عن القيفال ... بضربة تشبه نصف الدال
أو شكلة في موضع الأشكال ... ولجّ دمع العرق في انهمال
كقهوة تبزل بالمبزال ... فولّت العلة في انفلال
فأقبلت عساكر الإقبال ... مخوفةً بالبرء والإبال
ومثل الجسم من المثال ... كأنما أنشط من عقال
وله:

قل للأمير الأريحي الذي ... نغديه بالأنفاس إن جازا
جودك قد أورك لي موعداً ... فكيف لا يثمر إنجازا
وقوله:

أيها البدر الذي يجلو الدجى ... قل لنجمي في الهوى كم تحترق
أنا من جملة أحرار الهوى ... غير أنّي من هواكم تحت رق

أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي

هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور ومفاخرها، فأبو عبد الرحمن من الأعيان الأفراد في الفقه، وأبو سهل من الأعيان الأفراد في الطب. وما منهما إلا أديب شاعر آخذ بأطراف الفضائل، فمن ملح شعر أبي عبد الرحمن قوله:

وذي جدالٍ لنا كشفت له ... عن خطأ كان قد تعسّفه
فلم يجني بغير ما ضحك ... والضحك في غير حينه سفه
وله:

أدرك بقية نفس روحها رفق ... فقد أذابت هموم الناس أكثرها
وإنما سلمت منها بقيتها ... لأنّها خفيت ضعفاً فلم ترها
وله:

أعرضت لما عرضت ... سهام تلك الحلق
ظننت أنّي هاب ... منها بأدنى رفق
فقال لي فيها الهوى ... هيهات مما تتقي
إن سهام الحلق ... لا تتقي بالدّرق
وله:

نحن في مجلس أنس ... بك تحقيق مجازه
لطف الدّهر عزيز ... فتجلّد لانتهازه
قد نسجنا الأنس ثوباً ... فتفضّل بطرازه
وله:

يوم غيمٍ زاد قلبي شجناً ... ذو نشيجٍ وهو قد أنشجنا
وسحابٍ قد حكى لما بكى ... يوم قالوا عارض ممطرنا
وله:

تغاض عن البخيل ولا تلمه ... ودع ما في يديه ولا ترمه
ومن لم يحو غير المال فضلاً ... وجاد بفضله جهلاً فلمه
وله:

خلعت خفي من خلع ذا السحاب عذاره
فالיום ليل ظلام ... والأرض حشّ قذاره
من حق ذا العقل فيه ... أن لا يفارق داره
وله:

أما تراني على بغى العلاء لأجمال العناء حمولاً دائم النصب
فما استوى شرف إلا على كلفٍ ... ولا صفا ذهب إلا على هب
وله:

أفدي الذي أكره أن أفديه ... لأنّه جلّ عن التفديه
يقتل بالعين، ولا بدّ لي ... من طلي من شفّتيه الدّيه
وله:

إذا رأيت الوداع فاصبر ... ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب ... فإن قلب الوداع عادوا
وله من نتفة:
للنار في وجه من أحبيته أثر ... فاللون في خلة والفعل في كبدي

أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي

قد تقدم ذكره، وجاء الآن شعره، قال:
قد رضيت باليأس نفسي ... فعل الليب الحكيم
قنعتها بكفاف ... وفيه كل النعيم
فما يد لكريم ... عندي ولا للئيم
وللقناعة روح ... يا طيبه من نسيم
وقال:

يا مفدًى العذار والحدّ والقدر بنفسي وما أراها كثيراً
ومعيري من سقم عينيه سقماً ... دمت مضى به ودمت معيراً
سقى الراح تنف لوعة قلب ... بات مذ بنت للهموم سميراً
هي في الكأس حمرة فإذا ما ... أفرغت فيالحشى استحالت سروراً
وقال:

رجوت دهرًا طويلاً في التماس أخ ... يرعى ودادي إذا ذو خلة خانا
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ ... وكم تبدلت بالإخوان إخوانا
فما زكى لي على الأيام ذو ثقة ... ولا رعى أحد ودّي ولا صانا
فقلت للنفس لما عزّ مطلبها ... بالله لا تألّفي ما عشت إنسانا
وقال:

دب المشيب إلي فوديّ مبتكراً ... وللشباب رداء ليس بالخلق
فقلت يا نفس حثي للرحيل ضحى ... فأقصر الليل أدناه من الفلق
وقال:

نشر الربيع الغض قبل أوانه ... لما نشرت كتاب فرد زمانه
أنوار لفظ من جناب جنبه ... ونسيم ورد من غراس بنانه
فأراح أنساً عازباً بوروده ... وأراح قلب الصب من أشجانه
وأرى بني الآداب معجز نظمه ... أن ليس في الإمكان نيل مكانه
فأسرّت الآلباب إجلالاً له ... وفدي المسامع ترجمان جهانه
وقوله:

رقّ لمن قد ملكت رَقّه ... حقّ له لو رعيت حقّه
ذاب فما مثله خلال ... ولا هلال ضياء ورقه
وقال:

الله في متيّم ... عذّبته فراقب
يكفيك ما أبقيته ... من ألم الفراق بي
وقال من الرجز:

من وجهه يطلع نجم المشتري ... ياقوتة تتمر شهداً فاشتر
يا من نضا باللحظ سيف الأشر ... إذا وجدت الحرّ عبداً فاشتر

أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان

أنفق ماله على الأدب، فتقدم فيه، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض، وأخذ عن الجوهري الذي تقدم ذكره، واستكثر منه، وحصل كتابه كتاب الصحيح في اللغة بخطه، واختص بالأمر أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه بشعر كثير، ثم أثر عن أعراض الدنيا، وقال لما أزمع الحج والزيارة:
أتيتك راجلاً ووددت أنّي ... ملكت سواد عيني امتطيه
وما لي لا أسير على المآقي ... إلى قبر رسول الله فيه
وقال:

أيا خير مبعوثٍ إلى خير أمةٍ ... نصحت وبلغت الرسالة والوحيا
فلو كان بالإمكان بمقلتي ... إليك رسول الله أنصيتها سعيًا
وقال:

عبد عصى ربّه ولكن ... ليس سوى واحدٍ يقول
لا سوق أنفق فيه من ... سوق المكارم والمعالى
وقال لصديق له:

نصحتك يا أبا إسحاق فاقبل ... فإني ناصح لك ذو صداقه
تعلم ما بدا لك من علوم ... فما الآداب إلا في الوراقه
وقال من قصيدة في مراثية البديع:

وما الإنسان في دنياه إلا ... كبارقة تروق إذا تلوح
نفيسة نفسه نفس توالى ... ومدته مدى، والروح ريح
وقال من أخرى:

عز الغزال بمسكه لا مسكه ... والصرف للدينار لا الصرّفان
شبه الزمرّد لا يكون زمرّداً ... ولئن تقارب منهما اللونان

وقال:

خف إذا أصبحت ترجو ... وارج إن أمسيت خائف
ربّ مكروهٍ مخوفٍ ... فيه لله لطائف
ولولا أنه سألني أن لا أورد في كتابي هذا شيئاً من شعره في الغزل والمدح لكتبت من ذلك جملةً صالحةً،
لكنني انتهيت إلى رأيه، وعملت بما سألني به ولم أتعده.

أبو حفص عمر بن علي المطوعي

شاب لبس برد شبابه على عقل مكتهل، وفضل مقتبل. وسما إلى مراتب أعيان الأدباء والشعراء، التي لا
تدرك إلا مع الانتهاء، واتصل بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالي، فتخرج بالافتباس من نوره، والاعتراف من
بحره، وألف كتاب درج الغرر، ودرج الدرر، في محاسن نظم الأمير ونثره وحين ألف صاحب هذا الكتاب
كتاب فضل من اسمه الفضل عارضه بكتاب حمد من اسمه أحمد وله كتاب أجناس التجنيس وغيرهن وشعره
كثير الملح والظرف، لا يكاد يخلو من لفظ أنيق، ومعنى بديع، كقوله في وصف النارنج:

أهلاً بنارنج أانا غدوةً ... في منظرٍ مستحسنٍ مرموق
أصبحت أعشقه ويحكي عاشقاً ... يا حسنه من عاشقٍ معشوق
وقال:

ومعشوق الشمال قام يسعى ... وفي يده رحيق كالرحيق
فسقاني عقيقاً حشو درّ ... ونقلني بدرّ في عقيق
وقال:

ألست ترى أطباق وردٍ وحوها ... من النرجس الغصّ الطري قدود
فتلك خدود ما عليهن أعين ... وهذي عيون ما لهنّ خدود
وقال:

وشادن ما مثله في الصبّاح ... كالشمس أو كالبلر أو كالصباح
لي من ثناباه ومن طرفه ... وخلّه راح وراح وراح
وقال:

سحر العيون غداة خطّت كفّه ... في رائق القرطاس رائق سطره
فأتى بمثل الوشي واحد نسجه ... أو مثل زهر الروض ثاني قطره
خطّ يحاكي منه سحر جفونه ... وطرّاز عارضه ولؤلؤ ثغره
وقال:

بنفسي من تمّت محاسن وجهه ... فما هو إلا البدر عند تمام
وأرسل صدغاً فوق خطّ كآته ... جناح غرابٍ فوف طوق حمام
وقال:

انظر إلى وجه صديق لنا ... كيف محا الشوك به النقشا
قد كتب الدهر على خدّه ... بالشعر والليل إذا يغشى
وقال:

غدا منذ التحى ليلاً بهيماً ... وكان كأنّه البدر المنير
فقد كتب السواد بعارضه ... لمن يقرأ وجاءكم النذير
وقال:

تكبر لما رأى نفسه ... على هيئة الشمس قد صورت
سيندم ألفا على كبره ... إذا الشمس في خده كورت
وقال:

قل للذي يهواه ... أذاقني كأس صاب
تركتني مستهماً ... أصلي بحرّ التصابي
ما بين دمع مصوب ... وبين قلب مصاب
وقال:

إني علقت غزلاً قلبه علق ... بمثله في كمال الحسن واللين
فالحمد لله حمداً لا أنقصاء له ... أصبحت جدّاً وسني دون عشرين
وقال:

لما استقلت بهم غير النوى أصلاً ... وشتتهم صروف الين تشيتنا
جلست أنظم في وصف الهوى درراً ... والعين تنثر من دمعي يواقيتنا
وقال:

أيا منية المشتاق فيم تركني ... كئيباً بلا عقلٍ قتيلاً بلا عقل
فإن كنت أنكرت الذي بي من الهوى ... أقمت به من أدمعي شاهدي عدل
وقال:

يا ليل هل للصبح فيك وميض ... فعليّ غم من دجال عريض
ليل حكى الغربان سوداً لونه ... وكأنّ أنجمه البزاة البيض
وقال:

يكفيك أن الهوى لم يبق في جسدي ... من الجوارح عضواً غير مجروح
إني نحت الهوى قلبي فأخلني ... حتى غدا جسدي أخفى من الروح
وقال:

نفسى فداء غزال ما اكتحلت به ... إلا تصوّرتّه أنموذج الحور
وكلما رام نطقاً وهو مبتسم ... فاللرّ ما بين منظومٍ ومثور

أضحى جنى النحل ممزوجاً بريقتة ... لكنّما الخصر منه زنبور
وقال:

أرى القطر عيد الناس في كلّ بلدة ... ووجههم لي عيدٌ ورؤيته فطري
إذا ما أعدّ الناس للقطر عطرهم ... فحسبي بما في عارضيك من العطر
وقال:

قم إلى الراح فاسقنيها ففيها ... قوة للفتى وقرّة عين
ما ترى الصوم صار بالأسودين ... وأتانا شوال بالأحمرين
وقال:

صديقك قد ألمّ به صديق ... وأعوزه الشراب الأرجواني
وقد بعثا إليك وليس شيئاً ... سوى معهود فضلك يرجوان
وقال:

لا تعرضنّ على الرواة قصيدةً ... ما لم تبالغ قبل تمزيقها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب ... عدّوه منك وساوساً تمزيقها
وله من ننفة في ذكر جوين حين كان بها مع الأمير أبي الفضل الميكالي:
طابت جوين لنا وطاب هواؤها ... فسقى السحاب الجون أرض جوين
أرض أقام بها الأمير فألبست ... بمقامه فيها ملابس زين
فكأنما أنهارها من كفّه ... تجري وقد جادت لنا بلجين
وكأنّ زهر رياضها من بشره ... يهدي الضياء لكلّ ناظر عين
وله فيها:

ومرّت في جوين لنا ليالٍ ... علدناهنّ من عيش الجنان
رضعنا في حجور الأمن فيها ... بأفواه الرضى ثدي الأمان
لدى قرمٍ خلّاقه نجوم ... ولكن وجهه للبدر ثاني

أبو العباس الفضل بن علي الإسفرائيني

إسفرائين من كور نيسابور، مخصوصة بإخراج الأفراد، كانوا شروان الذي افتخر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " ولدت في زمن الملك العادل " فهو أفضل ملوك العجم وأعدّهم بالإجماع وإن كانت لأزدشير فضيلة السبق. ومسقط رأس أو شروان مشهور بإسفرائين.
وكأبي جعفر حمويه بن علي الذي أحيا دولة آل ساسان وحاطها، واجتاح أعداءها، وتولى لهم أربعين حرباً لم ترد له فيها راية، ولم تفته من مطالبه غاية، حتى وطأ الله لهم على يده مهاد الملك، وجبى إليهم ثمرات الأرض، هذا مع رجوعه إلى نفس أماراة بالعدل والخير، بعيدة منالجور والشر، مدلولة على سبل البر، تشهد بها آثاره بنيسابور وأوقافه وأخباره.

وكالشيخ الجليل أبي العباس الفضل بن أحمد، فإنه هو الذي ربي الملك السلطان المعظم أبي القاسم محمود بن سبكتكين، أدام الله تأييده! كما يربي الطفل الصغير حتى يشتد عظمه، ويؤنس رشده. وما زال يدرجه بحسن هدايته وكفايته إلى الزيادة، وبلوغ الإرادة، حتى تثبت أركانه، وما زال يدرجه بحسن هدايته وكفايته إلى الزيادة، وبلوغ الإرادة، حتى تثبت أركانه، وعلا مكانه. وتلاحقت رجاله، وتكاثرت أمواله. وتوالت فتوحه، وارتقت فتوقه وكأبي حامد بن أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني إمام أصحاب الحديث ببغداد وصدر فقهاءها، فإنه بلغ من الفقه والتدريس مبلغا تشني به الخناصر، وتشني عليه الأفاضل. وكأبي العباس علي، فإنه من بقية الكرام الأجواد الذين لا تخرج أوصافهم إلا من الدفاتر وكتب المآثر، فهو من حسنات نيسابور ومفاخرها وهو الآن الحاكم والزعيم بأسفرائين والناظرين في أمورها، والمناضل عن أهلها، والمتكفل بمصالحها ومناجحتها، يرجع إلى أدب غزير، وفضل كثير، وطبع كريم وخلق عظيم، ومن حسن أثره ويمن نقيبته أن إسفرائين حرم أمن، وجنة عدن، عامرة به، وقد شمل سائر كور نيسابور نواحيها الخراب وعمها الاختلال وكانت إسفرائين فيها لمعة في ظلم وغرة في غرر، ومن عجيب شأنه أنه - على إقلاله وكثرة ديونه وقصور دخله عن خروجه - يقيم من المروعة وسعة الرحل ما لا عهد لمن فوقه في الجاه والمال بمثله، ويبدل للزوار والعفاة ما لا يقدم أجواد المياسير على بذله، وكأن الأشجع السلمي عناه بقوله: وليس بأوسعهم في الغنى ... ولكن معروفه أوسع

وله كتابه حسنة، ومحاضرة مفيدة، وفصاحة مرضية، وشعر كثير لا يحضرني منه الآن إلا قوله:

وكتبت إذا ما سرح المشط عارضي ... رأيت سحق المسك بين يدياً

فصرت إذا ما خللته أناملني ... تناثر كافور بمنّ علياً

وقوله لبعض أصدقائه:

أراني إذا ما سرت نحوك زائراً ... خطاي وساع، والمسير ذميل

وإن ما أرح بالإنصراف مودّعاً ... فأدم مشياً والحراك قليل

وقوله في شعبة نصبت في بركة:

وشعبة وسط أيمن البرك ... قميس في الماء ميس مرتبك

كأنها البدر في السماء سرى ... فحار في أوجه من الفلك

وقوله في فوارة أقلت تفاحة:

وفوارة سائل ماؤها ... بتفاحة مثل خدّ العشيق

كمنفخة من رقيق الرّجاج ... تدار بها كرة من عقيق

أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب

من رستاق جوين، وقع إلى بخارى في آخر الدولة السامانية، واتصل بالخانية، فتولى ديوان الرسائل لبغرا قراخان ونازع أبا علي الدامغاني في الرتب، ثم زال أمره وانحطت حاله، قصد غزنة فلم يحظ بطائل، وعاود نيسابور فمات بها، وكان أعطاني من شعره مجلدة أخرجت منها قوله:

تزوجت ويحك عوادةً ... ليطعمك الناس من أجلها
لقد جئت في اللوم أعجوبة ... أرى الكلب يأنف من مثلها
وقوله:

شعري متين وخطي حين تلحظه ... كالروض حسناً وما في منزلي قوت
لا الدرّ عندهما درٌّ إذا جمعا ... عند الأديب ولا الياقوت ياقوت
لكنّ عيبي أني لست ذا قحةٍ ... لذاكم أنا مهجور ومقوت
وله:

ما للبراغيث طول الليل راتعةً ... أجل وطول نهار الصيف في جسدي
بليت منها بما تبلى الكرام به ... من اللثام وأهل البغي والحسد
وله:

لما رأيت الشيخ قد ملّني ... وأزورّ عني واذدرى قلدي
رضيت بالفقر ولازمته ... في منزلٍ أضيق من صدي
وله:

سقاك الله نيسابور غثياً ... يبرّد غلة الهيم العطش
فقد أحدث كتاباً ظرافاً ... لطافاً طاب بينهم معاشي
إذا أبصرتم أنشدت بيتاً ... رواه لنا زهير عن خراش
خريتم في البياض وكان عهدي ... بكم تخرون قبل على الفراش
وله:

جفاني وهاجاني ولم يخش صولتي ... ولا سطوتي الشيخ العميد أبو نصر
وكان حريّ ألاّ يكشف شاعراً ... وفي داره يجري من الخزي ما يجري
وقد خاف أولاد العفائف جاني ... فما أمنه إياي وهو ابن من يلدي
وله:

ولحية للشيخ إن تلقها ... لقيت من حاملها مائتاً
سلط عليها ربُّنا نادفاً ... بل ناتفاً بل حالفاً حاذفاً
وله:

سيرة الشيخ سيرة مذكوره ... وأياديه بيننا مشكوره
إذ لديه محلٌ كلُّ كريمٍ ... كمحلّ الكلاب في المقصوره
وله:

من كان ذا جارية بضّةٍ ... ولحمها عارٍ من الشّحم
فهذه يا إخوتي فاعجبوا ... جاريتي عظم بلا لحم

عظم بلا لحمٍ ولكنّها ... مولعة بالمضغ للحم
وله:

أقول للشيخ إذا جئته ... والشيخ لا يفكر في الهجو
سبحان من أعطاك هلّوفة ... تصلح للهجو وللنحو
وله:

لقد جلّ ارتياحي واغتيابي ... بما يلقاه من ألم السقام
وأرجو أن يتمم لي سروري ... بما سقاه من كأس الحمام
وحاشا أن يذوق الموت إلّا ... بمحدّ مهتدٍ ذكر حسام
على أن الحسام يزلّ عنه ... ولكن بالحجارة والسلام
وله:

جهل الرئيس وحقّ الله يضحكننا ... وفعله وإله الناس يبكينا

أبو القاسم الحسين بن أسد العامري

من رستاق خواف، أحد الأدباء المذكورين، والمؤدبين المشهورين بنيسابور وكان يؤدب أولاد الرؤساء بها،
وله شعر كثير اقتصرت منه على قوله:

يدي على كبدي من شلّة الكمد ... كأثما حلقت كفّاي من كبدي
نظرت فاحترقت أحشائي من نظري ... فمن ألوم وقد أحرقتها بيدي
الشوق يجمعني والهّم في قرنٍ ... جمعاً يفرّق بين الروح والجسد
جودي لي اليوم أو عودي غداً دنفاً ... أو آندي لقتيل الحبّ بعد غد
وقوله من الرجز:
فرسكة همراء كالعقيق ... هدية جاءتك من صديق

ابنه أبو النصر طاهر بن الحسين

كتب إلى أبي الحسين بن فراسكين، وكان يؤدب ولده:
حثّ الكريم على التفضّل بدعة ... يا خير من يمشي على وجه الثرى
جاء الشتاء ولست أملك درهماً ... والاعتماد عليك، فانظر ما ترى

أبو عبد الله الغواص

من قرية الجنيد، من رستاق بنيسابور، أديب متبحر في اللغة شاعر باللسانين كثير الخاسن، وهو الآن حي
يرزق، وله نعمة ودهقنة وديوان شعره عظيم الحجم، ومن ملحه قوله:

من عذيري من عذولي في قمر ... قامر القلب هو اه فقم
قمر لم يبق مَنّي حبه ... وهواه غير مقلوب قمر
وقوله في دار السيد أبي جعفر الموسوي:

يا دار سعدٍ قد علت شرفاتها ... بنيت شبيهة قبلة للناس
لورود وفدٍ، أو لدفع ملامة ... أو بذل مالٍ، أو إدارة كلس
وقوله في قوم من المتفكّهة وسخى الثياب جيدي الأكل:

أناس ننتهم يربى ... على نتن الظرايين

وأكل لهم يربى ... على أكل النعاين

وقوله:

الخيريون في أستاذهم سعة ... وفي أكفهم ما شئت من ضيق
ومنهم أحمد المذموم، مذهبه ... بلع الأيور بلا ريق على الريق

أبو حاتم الوراق

من قرية من رستاق نيسابور، ورق نيسابور خمسين سنة، وهو القاتل:

إنّ الوراق حرفة منمومة ... محرومة، عيشي بها زمن

إن عشت عشت وليس لي أكل ... أو متُّ متُّ وليس لي كفن

ومن ملحه قوله في نور الخلاف المسكي من الرجز:

كأن نور شجر الخلاف ... أكفُّ شنور بلا خلاف

أبو جعفر البحات

محمد بن الحسين بن سليمان

من زوزن إحدى كورنيسابورن مشهور بالأدب والعلم، وكان له محل من الشعر وتصرف في القضاء ببلاد

خراسان، وأنشد قول ابن المنجم:

فلا تجعلني للقضاة فريسة ... فإنّ قضاة العالمين لصوص

مجالسهم فينا مجالس شرطة ... وأيديهم دون الشصوص شصوص

فقال مجيزاً لهما:

سوى عصبية منهم تخصّ بعفة ... والله في حكم العموم خصوص

خصوصهم زان البلاد، وإنما ... يزبن خواتيم الملوك فصوص

ومن ملحه السائرة قوله:

هدية بنسبة ... أذية أو بليّة
بالله قل لي أكانت ... هدية أم وصيّة
إن أخرت عن حياتي ... وعاجلتني المنية
فأعطها بعد موتي ... أقاري بالسوية
وهذه قصيدة له كتبها كلها لحسن ديباجتها:
شباب كلامع برق رحل ... وشيب كمثل غريم نزل
وقد قويم جفاه الزمان ... كخوط تحاني وغصن ذبل
وشعر تطاير فيه البياض ... يحاكي سواه خضاب نصل
وثغر تناثر كالأقحوا ... ن غازله الليل رشّ وظل
ووجه نبت عنه بجل العيون ... وقد كان روضاً لحور المقل
وخطو كخطو القطا في الرما ... ل من بعد وثب كوثر الإبل
وجسم تراجع بعد النماء ... كرع تناهى وبرد سمل
ترحل ما سرّ مستعجلاً ... وشيك الرحيل وما ساء حلّ
مضت وانقضت غفلات الشباب ... وجاء الكشيب وبس البدل
كأني رأيت الصبا في المنام ... خيلاً تمثّل ثم اضمحل
أمالك فيما ترى عبرة ... وشاهد صدق بقرب الأجل
إلى كم تطوف بباب الملوك ... كطير الفراش بضوء الشعل
فطوراً تجلّ وطوراً تغلّ ... وطوراً تعزّ وطوراً تذلل
أتغفل عن نائبات الزمان ... وهنّ سراع إلى من غفل
زمان يدير على أهله ... بسعدٍ ونحسٍ كؤوس الدول
فإحدى يديه تمجّ الذعانف ... وإحدى يديه تمجّ العسل
ألم تعتبر بقصور الملوك ... خلت منهم بوشيك الرحل
فسلها وقل أين سكاتها ... وأين الملوك وأين الخول
وأين الجيوش وأين الخيول ... وأين السيوف وأين الأسل
وأين الجيوش وأين الخيول ... وأين السيوف وأين الأسل
وأين الذين حكوا بالقدود ... غصوناً ثناها الندى والبلل
كجنّ على الجنّ قد أقبلوا ... بسود القلائس حشو الحلل
طوهم عن الأرض آجالهم ... ولم تغن عنهم صنوف الحيل
وما ذاك من كوكب قد بدا ... من الشرق أو كوكب قد أفل
ولا الخير يأتي به المشتري ... ولا الشرّ يقضي علينا زحل
وما الأمر إلا لرب السماء ... وقاضي القضاة تعالى وجلّ

قليل جميع متاع الغرور ... وطالبه من قليل أقلّ
وضل عن الرشد جماعه ... وحاسده منه فيه أضلّ
سباع حوالبه زرق العيون ... كلاب وأسد وذئب أذلّ
فهذا يجاذب ما قد حواه ... وهذا يخالسه ما فضل
إذا وضعوه على نعشه ... اشاعوا البكا وأسروا الجذل
وإن دفعوه نسوه معاً ... وكلّ بميراثه مشغل
فهذا قصارى جميع الأنا ... م من جلّ أو قلّ منهم وذلّ
أقول وللدمع في وجنتي ... سوابق قطر له مستهلّ
سلام على طيب عيش مضى ... وأنسٍ ياخوان صدق نيل
سلام على قوتي للقيام ... إلى الفرض في وقته والنفل
سلام على الختم في ليلة ... بقلب كئيب حليف الوجل
سلام على الكتب ألفتها ... ووشحتها بصحاح العلل
سلام على مدح صغتها ... وحرّتها ي الليالي الطول
سلام امرئ ما انتهى لم يجد ... وما رام مجتهداً لم ينل
أناب إلى ربه تائباً ... ومستغفراً للخطا والزّلل
وله وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب فقال:
يا من ينبّهني عن رقبة جمعت ... بيني وبين خيال منه مأنوس
دعني فإنك محروس ومرتقب ... وخلّني وخيالاً غير محروس

أبو منصور محمد بن علي

الإسماعيلي الجويني

أحد أفاضل الأدباء، بل أوحدهم، يجمع تفاريق الاخاسن بناحيه إلى دهقنة وكفاية، ويتحلى بستر وقناعة، وله
شعر كثير يحضرنى منه قوله:
يا واصفاً لي شوقه ... وما سما منه فوقه
حسوت من ذاك مالا ... مشنوق يستطيع ذوقه
وفوق ظهري منه ... ما يشتكي قلس أوقه
وقوله:
إن الزيارة يزري ... إدمانها بالخبّه
وعادة الغبّ فيها ... ألوى بحسن المغبّه

وقوله:

ما أئين العنر في كتاب ... في الظهر حيث البياض يعوز
أليس عند افتقاد ماء ... تيمم بالصعيد يجوز

وقوله:

اعذر صديقاً في بياض حكي ... كاتبه في دقة الجسم
كأثما أعدته أشواقه ... فصبرته ناكل الجرم

أبو نصر بن علي بن أبي بكر الروزي

كان غرة في وجه زوزن، وورد نيسابور وهو غلام يتناسب وجهه وشعره حسناً، فأخذته العيون، وقبلته
القلوب، وارتاحت له الأرواح، واستكثر من أبي بكر الخوارزمي وأخذ عنه الفصاحة حتى كاد يحكيه،
وتفتحت له أبواب الشعر وتفتقت أنواره فقال، من قصيدة الطويل:
ولا أقبل الدنيا جميعاً بمئة ... ولا أشتري عزّ المراتب بالذلّ
وأعشق كحلاء المدامع خلقة ... لثلاً يرى في عينها منّة الكحل
وقال:

ألا حلّ بي عجب عجب ... تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من ... رأيت الهلال على وجهه
وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال: أنفذ إلى أبو نصر الروزي رقعة وسألني أن أعرضها على والدي فإذا
فيها هذه الأبيات:

يا أيها السيّد المرجّى ... إن حلّ صعب وجلّ خطب
عندي ضيف وليس عندي ... ما هو للمهليات قطب
فالصدر مني لذاك ضيق ... لكن رجائي لديك رحب
أقم علينا سماء هو ... أنجمها بالمزاح شهب
نشرب ونوقظ به قلوباً ... ويصبح الجسم وهو قلب
ولما استوى شبابه وشعره ورد العراق وانخرط في سلك شعراء عضد الدولة، فهب عليه نسيم الثروة، وتمهد
له فراش العمة، ثم إنه احتضر أحسن ما كان شاباً، وأكمل ما كان آداباً، وكتب إلى والده قصيدة وهو في
سكرة الموت أولها:

ألا أهل من فتى يهب الهوينا ... لمؤثرها ويعتسف السّهوبا
فيلغ والأمور إلى مجاز ... بزوزن ذلك الشيخ الأريبا
بأن يد الردى هصرت بأرض العراق من ابنه غصناً رطيبا
وليس يحضرني باقيها

أبو العباس محمد بن أحمد المأموني

كان من علماء المؤدبين وخواصهم، وانتقل من زوزن إلى نيسابور واشتغل بالتدريس والتأديب، وله شعر كثير وقصائد مسمطة، كقوله من قصيدة أولها:
لعل سعاد تسعد من ... أضرَّ به الفراق وأنَّ
تكف يد الصباية عن ... فؤاد شيق تعب
ومنها:

وفقد الغمد لا يزري ... بعضب فيصل يري
وإن الطَّرف قد يجري ... بغير ثيابه القشب
وقوله من أخرى في التوحيد ألوها:
إله الخلق معبودي ... وفي الحاجات مقصودي
ودين الكفر مردودي ... وعصمة خالقي وزري
وأنشدني لنفسه في وصف تفاحة:

وتفاحة من سوسن صيغ نصفها ... ومن جَلَنار نصفها وشقائق
كأنَّ الذي فيها من الحسن صائح ... بأن آمنوا يا جاحدون بخالقي
وأنشدني أيضاً لنفسه:

لا العسر يبقى على حال ولا اليسر ... ألا ترى أن من يعلو سينحدر
لا تسخطن على دهر لحادثة ... فكلُّ حادثة يأتي بها القدر
وكن برِّك في الأحوال ذا ثقة ... بآنه دافع الآفات لا الحذر

أبو القاسم علي بن أحمد

بن مبروك الروزني

كان متفنناً في العلوم، قاتلاً بالاعتزال والزهد والتصوف، وله شعر كثير من أشهره قوله:

سواد صدغين من كفر يقابله ... بياض خدين من عدل وتوحيد
قد حلت الزنج ارض الروم فاصطلحا ... يا ويح روحي بين البيض والسود

أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني

أديب شاعر، ظريف الجملة، خفيف روح الشعر، كثير الملح والظرف، فمما أنشدني في دار الأمير أبي الفضل الميكالي قوله قوله في بعض الصدور بنيسابور:

لو كنت أعظم في الولا ... ية من يزيد بن المهلب
أو كنت أعلم بالروا ... ية من سعيد بن المسيب
ولقيتني بتجهّم ... فالكلب منك إليّ أعجب
وقوله:

يا ربُّ وقتني للخير ... واقتل عدوي بيديّ غيري
وقوَّ أيري فإنّ الفقى ... لذّته في قوة الأير
وقوله:

يا سيدي نحن في زمان ... أبدلنا الله منه غيره
كلُّ خسيسٍ وكلُّ نذلٍ ... متّع بالطيبات أيره
وكل ذي فطنةٍ وكيسٍ ... يجلد في بيته عميره
وقوله:

يا كاسباً من إسته ... ومنفقاً على الذّكر
استك تشكوك فلا ... تفرح إذا الأير شكر
وقوله:

يا مادم الشعر جهلاً ... أعن أخاك بصمت
لو كان في الشعر خيرٌ ... ما كان يبت في استي
وقوله:

له أنف حكى خرطوم فيل ... إلى شفتين مثل الكلبتين
فلا تغررك مردته فإني ... رأيت القبح إحدى اللحيتين
وأنشدني الأمير أبو الفضل له:
إذا كنت معتقداً ضيعةً ... فإياك والشّوه الوجوها
لأنك تقرأ إنّ الملوك ... إذا دخلوا قرية أفسدوها
وله:

إليس ثياباً وكن حمّاراً ... فإنّما تكرم الثياب

انتهى الباب العاشر فتم به الكتابين وبقي على ذكر قوم من أهل نيسابور لم تحضرنى أشعارهم، وهم: أبو
سلمة المؤدب، وأبو حامد الخارزنجي، وأبو سهل البستي، وأبو الحسن العبدوني الفقيه، وأبو بكر الجلاباذي،
وأبو القاسم العلوي، وأبو سعد الخيزرودي، وأبو سعيد مسعود بن محمد الجرجاني، والفقيه أبو القاسم بن
حبيب المذكر، وأبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفى الوزير، والشيخ أبو الحسن الكرخي، والشيخ أبو
نصر بن مشكان، وأبو العلاء بن حنبل، وأبو العلاء بن حنبل، وله الحمد والمنة والشكر، وصلواته على النبي
المصطفى محمد وآله الطاهرين، والصحابة أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، والصلاة على
جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين، آمين.

وهذه زيادة ألحقها الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله تعالى! بخطه في آخر المجلدة الرابعة من نسخته على لسان المؤلف ولقد قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى لبعض تلامذته أوان القراءة: قد أجزت ما فعله الأمير، وإن شئت أن تثبته في موضعه من الكتاب فاعل فقد أجزتك بذلك.

أبو الحسن علي بن محمد

الغزنوي مولدا، الأصهباني منشأ، حسنة أرضه، ونادرة دهره، ونجم أفقه، وعقد قلائد الفضل وأهله، والجامع بين كرم الخيم والخير، والمكتفي بالفهم الثاقب والطبع الغزير، والمتفنن في محاسن الآداب والعلوم، والناظم حواشي المنظوم والمنثور، ومما حضر في الوقت من بارع نظمه:

إذا سلم الله دين امرئ ... وعرضاً له من دواعي الخلل
فما بعد هذين من حادثٍ ... تلقاه أو ريب دهرٍ جلل
وقوله في بغداد:

سقى الله بغداد مجنى العلوم ... ومغنى الأمانى ومثوى الأدب
على أنها حسرة الفلسين ... وجنة عدنٍ لأهل النشب
إذا ما استتبّت لنا عودة ... إليها قضينا أقاصي الأرب
وقوله:

سقى الله أياماً ببغداد لي مضت ... خلت فألذّت وانقضت فأمضت
ولم يك إلا عقد عمري وعلاقة ... تقصّى فكانت عيشتي قد تقصّت
وقوله في نكبته:

ليس إلا الرضى بما قدّر الله وإلا الإذعان والتسليم
والعزاء الجميل والصبر والإيقان أنّ المولى رحيم كريم
ومصير المظلوم عقبى نجاة ... ومعاد البغاة مرعى وخيم

ومصير المظلوم عقبى نجاة ... ومعاد البغاة مرعى وخيم
ليس فيما مضى من الخير خير ... إنّما الخير في الذي لا يريم
وكذا الشر ينقضي ليس شراً ... إنّما الشرُّ شرٌّ من يستديم
فاحمد الله إن حصلت مصيراً ... واشكرنه أن لست ممن تضميم
واتق الله واستعنه وأيقن ... إن أجر الصبور أجر عظيم
وقوله:

الزجر والفأل والرؤيا تعاليل ... وللمنجم أحكام أباطيل
والله بالغيب والتقدير منفرد ... وما سوى حكمه غيٌّ وتضليل
فلا معجل للمقضيّ آجله ... وليس للعاجل المقضي تأجيل

ثق بالعليم الذي يقضي الأمور ولا ... يغررك ما دونه فالكلُّ تعليل
وقوله::

يا من يثمر للحوادث ماله ... فوّت نفسك حظّها من مالها
كن واحداً منها لسهم واحد ... لك إن حرمت سهامها بكما لها
وقوله في مرثية وجيه بن أحمد:
أتى نبأ من نحو دينور مصعداً ... أقام جميع السامعين وأقعدا
وأورث أحناء القلوب تمللاً ... وأودع أحشاء الضلوع توقداً
وذوب من بحر المدامع جامداً ... وجرد من سيف الكآبة مغمداً
وغادر وجه الفضل والنبيل أغبراً ... وطرف الحجي والعقل واللبّ أرمداً
وأبقى أساه كلّ دمع مهلهلاً ... وأبقى بكاه كلّ خدّ مخدداً
فعاد به شمل المهموم مجمّعاً ... وآض به شمل السرور مبّداً
ففي كلّ دارٍ منه نوح ورتة ... وفي كلّ قلبٍ منه كلم تجدداً
بأن الردى أنحى على المجد والعلى ... وأودى بحزم العلم والحلم والندى
بمن كان للإحسان والفضل مألّفاً ... ومن كان للإنعام والطول معهدا
فويح الردى كيف انبرى دفعةً له ... وكان به من قبل يستدفع الردى
عساه آتاه في معارض سائلٍ ... فراوده عن روجه باسطاً يدا
فما ردّه لما اجتداه تكرّماً ... وكان قديماً لا يردُّ من اجتدى
عفاء على دهرٍ عفا رسم مجده ... فغادر شلو المكرّمات مقدّداً
وأنف المعالي والكمال مجدّعاً ... ووجه المساعي والفعال مسودّداً
لقد كان حقاً غرّةً في جبينه ... فعاد بهيماً بعد أكلف أربداً
سلام عليه فائض برّكاته ... من الله والرضوان مثني وموحداً
ولا زال ربحان الجنان وروحها ... يصافحه في كلّ ممسى ومغتدى
وقوله في علة عرضت له فحلف الطيب أنّها سليمة:
حلف الطيب لأبرأ من علتي ... ومتى يريح من الممات يمين
هون عليك فكلُّ ما هو كائن ... سيكون إمّا حان منه الحين
ولئن نجوت مسلماً من هذه ... إني بأخرى بعدها لرهين
وقوله:

سقى الله الصّبا ونعيمها ... إذ القلب صابٍ في هوى المرد شيق
وإذ لا أحاشى لذة كيفما انبرت ... وأني ويم العيش غصّان ريق
لئن كان عنري في شباي واسعاً ... عليّ فصبري في مشيبي ضيق
وله في نكبة:

لئن غصبت أيدي المظالم ضيعتي ... فلم تغتصب ديني وعلمي وأخلاقي
وإن ثمدت مالي الجوائح فالذي ... تكفل بالأرزاق يوسع أرزاق
فديني موفور، وعقلي راجح ... ووزري منور، وعلمي لي باقي
وعرضي مصون عن مخازٍ تظاهرت ... على هاضمي، والحمد لله خلاقي
وما أرتجي في آجلي من مثوبة ... وذخر جزيلٍ فهو أنفسي أعلاقي
فسبحان من في كلِّ عارض محنة ... له منحة يقضي لها الشكر أطواقي
/بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي وقفنا لغرس الدر والياقوت في ارض الكتاب واستثمار الغرر والنكت من أنوار
الصحف والاستظهار على كرب الدهر بتنسم الأدب والصلوة على سيدنا محمد غرة العالم وسيد بني آدم
فاني لما رأيت كتابي المعنون بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر يسحر العقول ويملك القلوب ويعجب الملوك
كما يعجب الرعية ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ويسير في الآفاق مسير الأمثال
ويسري في البلاد مسرى الخيال ولقيت أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء و احرض
عليه من المرضى على الشفاء ووقع إلي على الأيام ما ينخرط في سلوكه ويصلح للالحاق به ولا يسوغ تأخير
عن أخواته، لا سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبرا لامتك لثمار خواطهم ووسائط قلائد
عن لي حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه وايداعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه اجراؤه مجرى الفرخ له
والعلاوة عليه فعملت من ذلك ما لم احمر الرأي فيه ولم أوفيه حقه من التهذيب لاستعجالي وايتاري تخاف
الشيخ أبي الحسن محمد بن عيسى الكرجي أيده الله تعالى به وهو على جناح السفر ناهض النية سائر العزيمة
فارتفع كعجالة الراكب فانضم إلى ما صحبه من أخائر الدفاتر وقد أنشأته الآن نشأة أخرى وسبكته ثانية
بعد أولى وكررت فيه ابناء قوم سبق ذكرهم في البيتمة ولم يحضرن في وقت تاليف البيتمة الا القطر من سبيح
وابلهم واللمعة اليسيرة من أبكار أفكارهم كأبي المطاع ذي القرنين من ناصر الدولة أبي محمد الحمداني وأبي
العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة وأبي علي مكسويه، وأبي بكر القاضي السكي وأبي القاسم بن العلاء
الاصبهاني وأبي سعد بن خلف الحمداني وأبي البركات العلوي وأبي محمد منصور بن محمد الهروي وغيرهم،
فأردت الآن أن أسد الثلم واجبر الكسر وأتمم النقص وأورد ذكر كل منهم في مكانه على الرسم في مثله،
وقد قررت عنوان الكتاب تمة - البيتمة ولم اخله من ملح النوادر وفصوص الفصول وبنيتها على الانتخاب
والاختصار والاختصار على اللبوب وعيون العيون وسلوك طريق منصور الفقيه في قوله:

قالو خذ العين من كل فقلت لهم ... في الفصل عين ولكن ناظر العين

حرفين من ألف طومار مسودة ... وربما لم تجد في الألف حرفين

والعذر في تأخير المقدمة وتقديم المؤخر وكتابة مالا يتم المعنى دون وما يشرف بالانتساب إلى قائله لا بكثرة

طائله ما سبق ذكره ملخصا صدر كتاب البيتمة ومن هاهنا سياق أبواب الكتاب:

تمة القسم الأول في

محاسن أهل الشام والجزيرة

الأمير أبو المطاع قد قدمت العذر في تكرير ذكره وكتبت ما لم يقع في التيمة من شعره فمن ذلك ما أنشدني أبو محمد خلف بن محمد بن يعقوب الشرمقاني بها، قال أنشدني أبو المطاع لنفسه:
أفدي الذي زرته بالسيف مشتملاً ... ولخط عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له ... حتى لبست نجاداً من ذوائبه
وكان أسعدنا في نيل بغيته ... من كان في الحب أشقانا بصاحبه
وأنشدني الشرمقاني عن الجوهرى عن أبي المطاع لنفسه:
لما التقينا معاً والليل يسترنا ... من جنحه ظلم في طيها نعم
بتنا أعف مييت باته بشر ... ولا مراقب إلا الظرف والكرم
فلا مشى من وشى عند العدو بنا ... ولا سعى بالذي يسعى بنا قدم
وأنشدني أيضاً بهذه الاسناد:

تقول لما رأني ... نضوا كمثل الخلال
هذا اللقاء منام ... وأنت طيف الخيال
فقلت كلا ولكن ... أساء بينك حالي
فليس يعرف مني ... حقيقتي من محالي
وأنشدني أيضاً بهذه الاسناد:

ترى الثياب من الكتان يلمحها ... نور من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها ... والبدر في كل وقت طالع فيها
وأراه أخذ هذا المعنى من أبي الحسن بن طباطبا العلوي في قوله من نشفة:
لا تعجبوا من بلى غلالته ... إذا زر كتانها على القمر
وأخذه أيضاً الرضى بن الموسوي النقيب فقال من قصيدة:
كيف لا يتبلى غلالته ... وهو بدر وهي كتان

وللقمر خاصية في قرض الكتان ولذلك قال من ذكر عيوب القمر: يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجره المنزل ويسخن الماء ويفسد اللحم ويشحب الألوان ويقرض الكتان ويضل الساري لأنه يخفي الكواكب ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق. ولأبي محمد طاهر بن الحسين المخزومي البصري في نظم نبذة من معاييب البدر وتحذير بعض الرؤساء سوء أثر هجاءه من قصيدة:

لو أراد الأديب أن يهجو البد ... ر رماه بالخطه الشنعاء
قال يا بدر أنت تغدر بالسا ... ري وتغري بزورة الحسناء
كلف في شحوب وجهك يحكي ... نكتاً فوق وجنة برصاء
ويريك السرار في آخر الشه ... ر شبيه القلامه الحجناء

وإذا البدر نيل الهجو فليخ ... ش أولو العقل ألسن الشعراء
وأنشدني أبو يعلى محمد بن الحسن الصوفي قال أنشدني أبو المطاع لنفسه:
لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... وشهدت حين نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثاً ... وعلمت أن من الحديث دموعاً
وله في هذا المعنى بعينه:

غير مستنكر وغير بديع ... أن يبين الذي تجن ضلوعي
لي دموعٌ كأنها من حديثٍ ... وحديثٌ كأنه من دموعي
وكت احسب أن شعره مقطعات دون القصايد حتى مطلع علينا الشيخ أبو بكر علي بن حسن فأعازني من
ديوان شعره ما نقله بالشام من خطه وفيه الطوال والقصار ولم يكن رفع إلى خراسان من ذلك غير ما كتبه،
فمن احاسنه ولطائفه قوله:

ومفارق نفسي الفداء لنفسه ... ودعت صبري عنه في توديعه
ورأيت منه مثل لؤلؤ عقده ... من ثغره وحديثه ودموعه
وقوله في معناه:

رأيت عند الفراق لما ... جم لحيني وشؤم جدي
اربعةً ماها شبيهه ... فيمن به صبوتي ووجدي
من در لفظٍ ودر ثغرٍ ... ودر دمعٍ ودر عقدٍ
وقوله:

اليوم يوم السرور والطرب ... فاقض به على ما تحب من أرب
أما ترى الجو في سحائبه ... وبرقه المستطير في السحب
يحتال في حلة ممسكةٍ ... قد طرزتها البروق بالذهب
ولأبي المطاع من قصيدة:

ولما اجتمعنا للفرق سلمت ... سلام فراق لا سلام تلاق
فحليت من نظم الصباية ... جيدها فريد دموعٍ في عقود عناق
فيا ليت روحينا جرت في دموعنا ... تسيل باجفان لنا ومأق
فقد يستلذ الصب فرقة نفسه ... إذا جد بالأحباب وشك فراق
وله ايضاً:

أيها الشادن الذي صاغه الـ ... ه بديعاً من كل حسنٍ وطيبٍ
ظل بين اللحاظ لحظك يحكي ... سقم قلبي عليك بين القلوب
وله في يوم مضى في دير دمشق:

ما انس لا انس يوم الدير مجلسنا ... ونحن في نعم توفي على النعم
وافيته غلساً في فتيةٍ زهرٍ ... مارشت من ادب فيهم ومن كرم

والفجر يتلو في أثره زهرته ... كطاعن بستان إائه منهزم
قال كانت الزهرة تطلع في ذلك الوقت قبيل طلوع الفجر:
فلم نزل بمطي الراح نعملها ... محدودة بيننا بالزمر والنغم
حتى إنثنينا ونور الشمس يطرده ... جنح من الليل في جيش من الظلم
وليس فينا لفعل الخندريس بنا ... من تستقل به ساقٌ على قدم
وله من قصيدة:

جناحي إن رمت النهوض مهيض ... وحة قلبي للهموم مفيض
وقد هاج لي حزناً تألق بارقٌ ... له بأعالي الرقمتين وميض
كما سارقت بالخط مقلّة ارمد ... يقلبها جفن عليه غضيض
فلو أن ما بي بالحديد إذا به ... أو الصخر عاد الصخر وهو رضيض
ولي همة لو ساعدتها سعادة ... لكانت سماءً والسماء حضيض
وتحكم في مالي حقوق مروءة ... نوافلها عند الكرام فروض
أبو الحسين أحمد بن محمد المعري

معرة النعمان من بلاد الشام، وكان يلقب بالتنوع لأنه قال يوماً في كلام له قد قنعت والله من الدنيا
بكسرة وكسوة ووصف بعض العمال فقال: ما هو إلا ماء كدر وعود وقفل عسر، وأنشدني أبو يعلى محمد
بن الحسن البصري قال أنشدني التنوع لنفسه ملحاً وغراً ونكتاً وطرقاً وكان قد استكثر منه وروى جل
شعره عنه، فمن ذلك قوله:

رب هم قطعته من دجى اللي ... ل بهجر الكرى ووصل الشراب
والثريا قد غربت تطلب البد ... ر بسير المروع المرتاب
كزليخاً وقد بدت كفها تط ... لب اذيال يوسف بالباب
وقوله في الغزل:

ومجرد ابدأ عل ... قلبي حسامي مقلتيه
جسمي على حالين من ... حذرٍ ومقيمٍ في يديه
فإذا امت الخوف من ... ه بقيت في خوفٍ عليه
وقوله في رئيس جالس على رأس بركة مع ندمائه:
قل للرئيس أبي الرضاء محمد ... قول امرءٍ يوليه حسن ولاء
من حول بركتك البهية سادة ال ... قراء والعلماء والشعراء
لو انصفوك وهم قيام اشبهت ... اشخاصهم امثالها في الماء
أي لقاموا على رؤسهم كما يتراوون في الماء، وقوله في قوم بنوا مسجداً في محلته:
يا من بنى مسجداً ضراراً ... والبخل منه يليه لوم

لو كان إسلامكم قديماً ... كان لكم مسجد قديم
وقوله في بعض العدول:

يا بن علي قالوا ولو صدقوا ... لكنت تجري مجراه في الخلق
دينك ذا لو كشف باطنه ... أرق من طيلسانك الخلق
أبو الخير المفضل بن سعيد

بن عمرو

هو من معرة النعمان أيضاً ويلقب بالعزيري لاختصاصه بعزير الدولة أبي شجاع فاتك ومن شعره فيه قوله
من قصيدة وقد خلع عليه وأعطاه سيفاً ومنطقة ذهب:

يا ذا الصنائع بعدهن صنائع ... وأخا الأيادي بعدهن اياد
لم ترض لي حتى ارتديت بصارم ... وعقدت مربوط عاتقي بنجاد
واذرت في خصري سبيكة عسجد ... اوهت عداي وأمسكت من آدي
فلأرضينك من بلاغة منطقي ... ولأعجبنيك من مضاء فؤادي
ولأخدمنك فاعلاً أو قاتلاً ... بالضرب بين يديك والأنشاد
وإذا شككت فلا تشك بانني ... في الدهر ثالث عنتر وزباد
ومما يستحسن له قوله في جارية سوداء ويروى لغيره:
ومسكينة النشر مسكينة ال ... غدائر مسكينة المنظر
تننى وقامتها للقضي ... ب وتنظر واللحظ للجور
وتحسبها في خلال الحدي ... ث تنشر عقداً من الجوهر
وقوله في الهجاء:

أبو الرضا القاري له منظر ... يعرب عن بنيه تأنيث
مخنت الطبع وليست له ... خفة أرواح المخانيث
وله ويروى لغيره:

ايرى على جسمي امير وقد ... دان له بالسمع والطاعة
تكسب أعضاي جميعاً له ... في الشهر ما ينفقا في الساعة

أبو العلاء المعري قد جمعت بين أهل معرة النعمان التي أخرجت هؤلاء الفضلاء وهي غير مشهورة بخراسان،
وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال لقيت
بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من
الجد والهزل يكنى أبا العلاء وسميته يقول انا أحمد الله على العمى كما يحمد غيري على البصر، فقد صنع لي
واحسن بي إذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء قال وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض
الرؤساء:

وافى الكتاب فاجب الشكرا ... فضمته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فاذا ... أحلة كتاب في الورى يفرا
فمحاه دمعى من تحدره ... شوقاً إليك فلم يدع سطرأ.
فحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الأخوان.
أبو القاسم المحسن بن عمرو

ابن المعلى

أنشدني أبو يعلى له في منتحل:
لو قيل للشعر الذي يدعي ... الحق بمن قالت يا شعر
لم يبق في ديوان اشعاره ... قصيدة لا ولا سطر
وأظرف والطف منه قول القاضي أبي الحسن بن عبد العزيز في أبي بكر الخوارزمي:
لو نفضت اشعاره نفضة ... لانتشرت تطلب اصحابها
قال وأنشدني لنفسه واحسن واجاد جداً:
لست أدري ولا المنجم يدري ... ما يريد القضاء بالانسان
غير أني اقول قول محق ... وأرى الغيب فيه مثل العيان
إن من كان محسناً قابله ... بجميل عواقب الاحسان
وأنشدني المصيصي مرة له واخرى لغيره هذين البيتين وهما مما يدخل على الأذن بلا اذن:
ليالي اللذات سقياً لك ... ما كنت إلا فرحاً كلك
عودي كما كنت مرة ... فنحن إن عدت عبيد لك
وله ايضاً:
ايا بارداً جداً ... ويا من يشبه القردا
لقد اشتبهت من بردك ... مخضراً ومسودا
لأن البرد من بردك ... أضحى يجد البردا.
أبو الحسين المستهام الحلبي غلام أبي الطيب المتنبى والبيغاء أنشدني أبو يعلى له في بعض الامراء اخترت
منها:
ذو منظر دل على مخبر ... دلالة اللفظ على المعنى
ما زال يني كعبة للعلا ... ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا به ... واستلموا راحته اليمنى
ومنها:
تطربه الاشعار في مدحه ... ولم يضع قائلها لحنا

فليس يدري ان اتى شاعر ... ينشده انشد أم غنا
وهذا معنى حسن قد تصرف فيه العقلاء فمنهم أبو تمام حيث يقول ولعله أول من فتح هذا الباب:

ونعمة معترفٍ تاتيه احلى ... على اذنيه من نغم السماع
ثم البحري حيث يقول:

نشوان يطرب للمديح كأنما ... غناه مالك طيئ او معبد
ثم ابن الرومي حيث يقول:

كأنه وهو مستول ومتمدح ... غناه اسحق واللاتار في الصخب
ثم القاضي ابن عبد العزيز حيث يقول في الصاحب:

نشوان يلقي المعنفى متهللاً ... يهتر من مدح به عطفاه
وإذا اصاخ إلى المديح رأيته ... وكأنه مالك طيئ غناه

وقول المستهام احسن والطف من أقوال هؤلاء كلهم وله في الخمر أنشدنيه أبو يعلى:
وقهوة ذات حبيب ... كالنار ترمي باللهب

تحسب من طول الحقب ... مخلوفة قبل العنب

أبو محمد الماهر الحلبي شاعر بحقه وصدقته محسن ملء ثوبه يقول من قصيدة:

ترى منهم يوم الوغى كل ناشر ... من النقع فوق الدار عين مطاردا

ينالون ما امسى بعيداً مناله ... كأنهم أعطوا الرماح سواعدا

ومن اخرى يشب فيها بعلام اثرت فيه الحمى ويحسن في التخلص إلى المدح ويظرف جداً:

واسيل الخد شاحبه ... كحلت عيناه بالفتن

تركت حماه وجنته ... في اصفرار اللون تشبهي

وارى خديه وردهما ... ما جني ذنباً فكيف جنى

نبا حتى كأنهما ... ما حوت كفا أبي الحسن

ومنها:

ذو جفون تشتري ابدأ ... غبرات النقع بالوسن

ويد تندى ندى وردى ... تجمع الضدين في قرن

ومن اخرى:

مجدي وقد يثبت في نفسه ... فضيلة المجدي على المجدي

لو كان من احببته بعض ما ... في يده زار بلا وعد

وله من أخرى:

إذا امتطى قلم يوماً انامله ... سد المفاقر واستولى على الفقر

وله في الغزل:

جس الطبيب يدي جهلاً فقلت له ... عني إليك فهذا يوم بحراني

فقال ماذا الذي تشكوه قلت له ... اشكو إليك هوى من بعض جيرانى
فظل يعجب من قولى وقال لهم ... إنسان ظرف فداووه بانسان
ومن مشور كلامه: خلص من سبل النقد خلوص الذهب من اللهب، واللجين من يد القين، والمدام من
نسيج القدم، وقوله: اين السمك من السماك والغرقد من الفرقد والسراب من الشراب.
أبو الفتح الموازيني الحلبي: لم أسمع في هجاء قوال املح من قوله:

ومغن عن غيره غير مغن ... جاء في لحنه القبيح بلحن
كاد في كفه القشيب من الغي ... ظ ينادي يا اثقل الناس دعني.
أنشدني المصيصي له وهو متنازع بينه وبين نفر من اهل الشام والجزيرة لجودته وأنشدني أبو يعلى البصري
لبعضهم وقد نسيت اسمه:

لا يظن الحسود ذلك وإن د ... ب ديب التوريد في وجنتيه
أما خده غلالة ورد ... نفضت صبغها على مقلتيه
وقوله من قصيدة:

الجمع العجاج إلى المقنع حاسراً ... وأزورها خوف الوشاة مقنعاً
وقد كتبت قلت في صباي بيتين في تشبيه كسوف البدر بالتحاء الغلام وضمنها أبو سعيد بن أبي الفرج
كتابه في التشبيهات وهما:

انظر إلى البدر في اسر الكسوف بدا ... متسلماً لقضاء الله والقدر
كأنه وجه معشوق ادل على ... عشاقه فابتلاه الدهر بالشعر
أبو أحمد محمد بن حماد البصري: أنشدني أبو القاسم يحيى بن علاء البخاري الفقيه قال أنشدني ابن حماد
البصري لنفسه بها:

إن كان لا بد من أهل ومن وطن ... فحيث آمن من أهوى ويأمني
يا ليتني منكر من كت أعرفه ... فلست أخشى اذى مة ليس يعرفني
لا أشتكي زمني هذا فأظلمه ... وانما أتشكى أهل ذا الزمن
وقد سمعت افانين الحدجيث فهل ... سمعت قط بحر غير ممتحن
وحدثني هذا أبو الفضل قال قلت يوماً بالبصرة لا بن حماد في كلام جرى بيني وبينه انت بحر وأنا نهر فقال
لاجرم انت عذب وانا ملح وقرظته يوماً آخر واثبت عليه فقال ما أحسن هذا المدح لولا أن العارية مؤداه.
أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار: هو بصري المولد والمنشأ الا أنه استوطن بغداد ولما رأى سخف
الزمان واهله وميلهم من الكلام إلى هزله اخذ في طريق السخف ونزع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء
وتشبه بابن الحجاج وهيهات، ولما أنشد فخر الملك قصيدته التي منها:

يا ذا الجلالات ويا ... ذا النعم المستسقه

يا نعمة الله على ... جميع من قد خلقه

لو فاخر الدهر الورى ... علوت منه عنقه
قد والذي يقيقك لي ... انقطعت بي النفقه
وبعت من دفاتري ... ما كان جدي ورقه
وهي هزلية طويلة اعطاه ما اغناه فهبت ريحه ونفقت سوقه ودرت الصلاة له وتداول اهل بغدادا قصيدته
التي عارض بها أبي العنيس في تأخير المنفعة وذكر التميمي انه قالها واكثر شعره في داره ببغداد وانه كان
يسميتها باديته واول القصيدة:

قلقل احشاي تباريح الجوى ... وبان صبري حين حالقت الأسي
ومنها وهي مطمعة مويسة:

يا سادة بانوا وقلبي عندهم ... مذ غبتم قد غاب عن عيني الكرى
وسوف أسلي عنكم صابتي ... بحمقة يعجب منها من وعى
في طرف نظمته مقصورة ... اذ كنت قصاراً صريعاً للدلا
من صفع الناس ولم يمكنهم ... أن يصفعوه بدلا قد اعتدى
من مضغ الأحجار ادمت فكه ... فالضرس لم تخلق لتلين الحصى
من نام لم يبصر بعيني راسه ... ومن تطأطأ راکعاً قد انحنى
من راح الخيل كسرن ساقه ... ومن حدى في نومه فقد هذى
من صام اسبوعاً تماماً ليله ... مع النهار لم يوافقه الخوى
من قطع النخل وظل راجيا ... ثمارها فذاك مقطوع الرجا
ومن طلى بالخبر صحن وجهه ... حكا بما سود ليلاً قد دجا
وهي طويلة تربي على المائة وقد اعجز الشعراء ان يزيدوا فيها بيتاً من حسننها.

أبو عبد الله بن الحسين بن أحمد المفلس: قد ذكرته في كتاب اليتيمة واوردت يسيراً من شعره وهو ما ذكر
أبو الحسن محمد بن الحسين الفارسي النحوي من ان له شعراً كثيراً في اللغز والاحاجي قد ظفرت الآن به
وكتبت ما استحسنته واخترته وكان عمله لبهاء الدولة فاستخرجه كله، فمن ذلك قوله في نخلة على شاطئ
من نهر دجلة:

وغيداء تهنط طوع النسيم ... إذا جد معتله أو مزح

إذا الماء مثل لي ظلها ... توهمتها مخوضاً في قدح
وقوله في السفرة:

ورافعة إليك بلا جنون ... عيوناً لا تطيق لها انطباقا
تبسم في المنازل عن وجوه ... رماها الحسن تأتلق أئتلاقا
مزخرفة كأن الروض فيها ... إذا استجلبت لحظاً وانتشاقا
جصصناها بزوار ظريف ... ففاقت كل مجصص وفاق

إذا وضعت يكون لها نطاقاً ... وإن رفعت يكون لها خناقاً
فلم نر مثلها بدمراً منيراً ... ولم نر مثل أيدينا محاقاً
وقوله في البيضة:

وصفراء في بيضاء رقت غلالة ... لها وجفا ما فوقها من ثيابها
جماد ولكن بعد عشرين ليلة ... ترى نفسها معمورة من خرابها
وقوله في باقي البقل:

وغضة رطبة يضمنها ... نحاسها حين تجلي ملحاً
إذا اشتروها تنصرت فإذا ... ادخلت البيت اسلمت مرحاً
وقوله في الزبور:

واعجمي لابس ليس العرب ... لا يستفيق من غناء إن ركب
مبرقع بربقع من الذهب ... يضحى ويمسي بحقائب محتقب
وخنجر يسله عند الغضب ... كأنه شعلة نار تلتهب
وقوله في المقرض:

وذي جسمين لا يفر ... ق ما بينهما ناظر
إذا ما بخصوا عيني ... ه امسي فمه فاغر
وقوله في السيف:

ومستعرض صاحباً لا يزا ... ل يحمي من الذل أطواقه
فطوراً يطول من وجهه ... وطوراً يعرض أشداقه
وقوله في الميزاب:

ومخطف قد ابرزوه بادياً ... تلقاه في الصيف فقيراً عارياً
وفي الشتاء باللجين حالياً ... إذا يدها التقطت لألياً
صاغت لنا منه حساماً ماضياً.
وقوله في الكتب:

ومستودع سرّاً تضمن صونه ... فاصبح منه في الضمير مكتماً
إذا ما طوى كشحاً على سر صاحب ... تمنطق حزماً فوقه وتختماً
وقوله في صورته التي يراها في المرآة:

وزائر لست في عشقي ولا شغفي ... بوجهه حين ألقاه بمحجوج
يظل يلحظني عجباً والحظه ... وبيننا سد يأجوج ومأجوج
وقوله في الحمام:

ومنزلة اقوام إذا ما التفوا به ... تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه ... ويضحى عدو المرء وهو جليسه

ينفس كربي أن تريد كروبه ... ويونس قلب أن يقل أنيسه
إذا ما أعرت الجو طرفاً تكاثرت ... علك به أقماره وشموسه
أبو المكارم المطهر بن محمد البصري: أحد من طوف في الآفاق ولا راحلة له إلا الرحلة ولا حرفة إلا شحذ
المديّة في الجدية، وهو شاعر سريع الخاطر كثير النوادر في الجد والهزل وهو القائل:
رأيت الشعر للسادات عزاً ... ومنقبة وصيتاً وارتفاعا
وللشعراء هونا وانخفاضاً ... ومجلبه للذل واتضاعا
وذكر بعض الرؤساء فقال: حضرته عوذة من الفقر وطلعته أمان من الزمان، وشكى بعضهم فقال: توقعت
إيجاباً فلم أر إلا حجاباً واعجاباً، وذكر آخر فقال: ما هو إلا ثقل الدين على وجع العين، وحدثني الدهقان
أبو علي القومسي قال حضر عندي بالدامغان وقد إلينا المشمش فقال في الوقت مرتجلاً:
ومشمش سوء قد أكلنا غديّة ... بمجلس حر وهو خير صديق
إذا ما منحنا العيون حسبته ... رؤس أيور ضمخت بخلوق
فتنغصت باليوم والمشمش وفرضت على نفسي ترك تناوله، وقال لي في كلام له: لم افدك بنفسي لأنها قيمة
لك وزنة بك ولكنها طاقة المجتهد.
أبو القاسم علي بن محمد البهلي الأيلي: ذكر صديقاً له فقال: ان اتيته حجب وان قعدت عنه عتب وان
عاتبته غضب، ولمؤلف الكتاب في هذا المني:
ان غبت عنك شكوتي ... وإذا وصلت هجرتني
وتظل لي مستبطاً ... وإذا حضرت حجيتني
ووجدت في تعليقاتي بعد فراغي من كتاب اليتيمة للبهلي وقد نسيت اسم من أنشدنيه:
للناس بيت يديمون الطواف به ... ولي بمكة دون الناس بيتان
فواحد لجلال الله أعظمه ... وآخر فيه لي شغل بانسان
وأنشدني أبو يعلى البصري له:
من أنا عند الله حتى إذا ... اذنبت لا يغفر لي ذنبي
العفو يرجي من بني آدم ... فكيف لا يرحى من الرب
وله وقد سأله صديق له غير مرة عن نيسابور:
تغري بنيسابور تسئل دائماً ... عن حالها وهوائها ورجالها
نعم المدينة لو وقيت جفائها ... من أهلها وسلمت من أوحائها
أبو القاسم السعدي ابن عم نباتة: هو القائل في الخمر:
جاءتك كالنار في زجاجتها ... حمراء ما تستقر من نرق
حتى اذا ما المزاج خالطها ... رأيتها مثل صفرة الشفق
كالبكرة تصفر من معانقة ال ... زوج اذا ضمها من الفرق

وهو القائل ويروي لغيره:

أعاذلني على اتعاب نفسي ... ورعيي في السرى روض السهاد
إذا شام الفتى برق المعالي ... فاهون فائت طيب الرقاد

أبو محمد طاهر بن الحسين بن يحيى المخرومي البصري: هو بصري المولد والمنشا رازي الوطن حسن
التصرف في الشعر موف على أكثر شعراء العصر يعدل من أهل العراق بابت نباتة وابن بابك ومن أهل
الجليل بالرسامي والهازن وله مصنفات منها كتاب فتن الكرائم في تفسير شعر المتبي، وبقي إلى طلوع الراية
العلية بالري ثم انتقل إلى جوار ربه وقد كتبت غرراً. من شعره الذي هو روح الشعر وذوب السحر فمنها
قوله ما احسنه وابدعه واصدقه:

نفسك لا تعطيك كل الرضا ... فكيف ترجو ذاك من صاحب
اجل مصحوب حياة صفت ... فهل خلت من هرم عاتب
وقوله في معنى لم يسبق إليه:

العيب في الخامل المغمور مغمور ... وعيب ذي الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفي من مهانتها ... ومثلها في سواد العين مشهور
وقوله في الغزل وما أملحه وافصحته:

عرضت قلبي للحتوف بعارض ... كالورد نداه الصباح بطله
متوحشاً زغب العذار كأنما ... القى عليه الصدغ سمة ظله
وقوله وقد قدم عليه بعض المتأخرين عن رتبته:
جل قلدي وخس قلر زماي ... فأنا العصب في يمين الأشل
وقوله في وصف الدنيا:

إذا تبرجت الدنيا فعاهرة ... خضابها دم من تصبي فتغثال
كأنها حية راقية منقشة ... ولأن ملمسها والسقم قتال

أخذه من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: الدنيا كالحية لين مسها قاتل سم يحلها
العقل ويهوي إليها الجاهل، وأنشدني أبو غانم القصري للمخرومي في وصف الفرصاد وهو احسن وابدع ما
قيل فيه:

هلم فساعد في تحية فرصاد ... كأعجاز نمل يجتمع على زاد
وزادني غيره:

وموز كانعاط الايور اذا مشى ... ميل بعطفه علي بن حماد
ومن أحسن بدايعه قوله:

لا تحرم الخفض رب فائدة ... جائتك عفواً ولم تسم تبعاً
أما رأيت الغدير يملؤه ... سيل الحيا غير جاشم طلبا
وقوله لأبي العلاء بن حصول ايدده الله:

قالوا وداد أبي العلاء يحول ... كالظل يقصر مرة ويطول
فسأستشف لقاء فأميل في ... وصل وهجر منه حيث يميل
فاذا دعاني بشره قاربته ... وإذا تجعد فالعزاء جميل
وقوله:

ودع أخاك اذا جفاك فقبله ... ودعت مألوف الصبا بسلام
ودع العتاب اذا استربت بصاحب ... ليست تنال مودة بخصام
معنى البيت الأول ينظر إلى قول ابن الرومي:
سلوت الرضاع والشباب كليهما ... فكيف تراني ساليا ما سواهما
والبيت الثاني منقول من قول اشجع السلمي:
اقلل عتاب من استربت بوده ... ما أن تنال مودة بقتال
وللمخرومي في معنى بديع لطيف:
اتحاول الحظ السني بقوة ... هيهات انت بباطل مشغوف
رعت العقاب قوية جيف الفلا ... ورعى الذباب النور وهو ضعيف
وقال يدعو صديقاً له إلى منزله:
غلس نباكر في الجزيرة روضةً ... عقت باذيال الصبا حوذاها

فكأنهن مع الصباح مجامر ... سحرت بند والضباب دخالها
ولنا هناك عتيقة قد طلست ... بشفوف نسج عنكبوت دنانها
تعدي يد السارق الشعاع كأنما ... عقدت له مما يدير بنائها
ما صفو عيش المرء إلا فرصةً ... والغبن إن فات الفتى إمكانها
وقال في النصف:

ليس النصف إن يلاقيك الفتى ... وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائق سود وبيض لفقت ... وكأنه فيها غراب أبقع
ان النصف ملبس متعارف ... يخشى الفتى فيه الإله ويخشع
وكان يهذ شعر بلديه البحري هذا وكان في بصره سوء فرمدت مرة عينه فقال له والي منيج يا أبا الغوث
قد اشرفت على العمى فما الذي تعمل اذا عميت قال أقرأ على قبرك ايها الأمير فاستظرف قوة جوابه
وتعجب من ظرفه، قال ومن شعره قوله في غلام له النحى:
في سبيل الله خدّ ... كان في الملمس خزا
خانه الدهر فأضحى ... يوسع اللامم وخزا
وقوله:

أوجه المرد وضيئه ... وثناياهم شهية

ولهم دل وعنج ... وشفاعات قوية
وإذا الشعر بدا في ... صفحة الخد النقية
فرق الالف عن الالف ... كتفريق المنية
وقوله:

أيها الظبي الذي اع ... رض عني وجفاني
وهو من أعظم همي ... حين اخلو بالاماني
ابتلاك الله مني ... بالذي منك ابتلاني
ساعة حتى ترى كي ... ف الهوى ثم كفاني
القاضي أبو عبد الله محمد بن علي: المعروف بابن حشيشة المقدسي ويقال له الهاشمي، أنشدني أبو يعلى
البصري قال أنشدني ابن حشيشة لنفسه في الغزل:
رشأ غريو لا يؤلف بي ... ن طرفي والغرار
لا صرحن بحبه جه ... دي ولو ذهب اصطباري
تصريح منخلع العذا ... ر بحب فتان العذار
وله ايضاً:

يا من بصحة هجره ... وجفائه قلبي عليل
أنت الجميل وكل ما ... تأتي به حسن جميل
وأنشدني أبو الحسن القزويني له:
طول اللحى زين القضاة وفخرهم ... وتميز عن غائمة سفهاء
لو كان في قصر لها فخر لها ... لم يرو فيها سنة الاعفاء
أبو سويد الصوفي: دعا لرئيس فقال جعل الله ما ألبسك من ثوب الجمال وقلدك من طوق الكمال موصولاً
بالحجاب من النار. وانشد لنفسه:

إذا رضيت بقوت ... ولبس ثوب مرقع
ولم يكن لي صديق ... فراقه اتوقع
وبان عني شباي ... فما عسى الدهر يصنع
وله ايضاً ويروى لغيره:

ليس للراحة قيمه ... ساعة منها غنيمه
والذى اختار عليها ... تعب النفس بهيمه
أبو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي: أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن أيده الله تعالى قال
أنشدني أبو الحسن محمد بن الحسين العثماني قال أنشدني ابن المغربي الوزير لنفسه في بلوغ الغاية من
السلوة، ولم اسمع في معناه ابلغ منه:

حبيب ملكت الصبر بعد فراقه ... على انني علقتة والفته

محي حسن ياسي شخصه من تفكري ... فلو اني لاقيته ما عرفته
قال وأنشدني أيضاً لنفسه:

اني ابثك من حدي ... ثي والحديث له شجون
فارقت موضع مرقدي ... ليلاً فنافرني السكون
قل لي فاوّل ليلة ... في القبر كيف ترى أكون

وأنشدني أبو طالب محمود بن الحسن الطبري قال أنشدني ابن المغربي الوزير في أيام انتقاله إلى بغداد:
عجبت هند من تسرع شيبي ... قلت هذا عقيي فطام السرور
عوضتني يد الثلاثين من مس ... لك عذارى رشا من الكافور
كان لي في انتظار شيبي حساب ... غالطتني فيه صروف الدهور
وله ايضاً:

إذا ما الامور اضطربن اعتلى ... سفيه تضام العلى باعتلائه
كذاك إذا الماء حركته ... طغا عكر راسب في انائه
وله أيضاً:

كن حاقداً ما دمت لست بقادر ... فإذا قدرت فخل حقك واغفر
واعذر أخاك إذا اساء فرجاً ... لجت اساءته إذا لم تعذر

وكان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثراً وبجاذبه طرفيهما، فمن لطيف كلامه ما كتب إلى بعض الرؤساء:
تقتي بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي باشغالك يبعث على اذكارك، وهذه قصيرة من طويلة، وكان يقول:
لا تعتذر إلى من لا يجد لك عذراً ولا تستعن إلا بمن يجب أن تظفر بحاجتك، ومر بمكتب والمعلم يضرب
صبيّاً ضرباً مبرحاً فالتفت إلى من معه وقال: إن الله تعالى أعان على عرامة الصبيان برقاعة المعلمين، ومن
كلامه: العمر علق نفيس لا ينفقه العاقل إلا فيما هو افس منه.

أبو سعيد الغفيري: حدثني أبو عبد الله بن هرمزدان الفارسي رحمه الله تعالى قال حدثني فلان يعني شيخاً من
الفرس سماه لي ونسيت اسمه مع ملكه النسيان رقي، قال كان بيت المقدس شاعر ماهر ساحر يعرف بأبي
سعيد الغفيري يقرع باب الأخاد وله أخ يلقب رمادة من عبد الناس وازهدهم ومن الابدال الذين يسد الله
بهم اوتاد الأرض ليقوم مقامه وينوب منابه في العبادة فبلغه عن أخيه أبي سعيد أنه قال:

هي الدنيا وليس لها تناء ... ونوم القبر ليس له انتباه

وليس يخرب الدنيا الحكيم ال ... قديم القادر الأحد الاله

إلى شعر كثير في معناهما فما زال به حتى اسمعهما اياه ما يجري مجراها فغضب الله سبحانه وامتنع وتنمر ولم
يذق البارد حتى بات عنده ليلة وترصد نومه وغطيطه فحنقه بيده وخرج هائماً على وجهه حتى ألم بمتعبده.

أبو نصر الحمصي: أنشدني الشيخ أبا بكر لأبي نصر كاتب اليمن صاحب اليمن في محمد ابن حوسب ولم
اسمع في معناه أظرف منه:

قليل لي ما افدت ممن اليه ... صرت تحذو قلانس الآمال
قلت جتناء في شهور شراف ... وهو فيها بنكسه ذو اشتغال
والفتى لا يجود الاعلى الس ... كر فامهله إلى شوال
وله فيه ايضاً:

قد لعمرى عرفت ذنبي اليه ... إذا جفاني من غير جرم لديه
ذاك أني ناديته يا كريماً ... أخذ الجود نسخة من يديه
فجفاني ولم اله لأني ... في الذي قلته كذبت عليه

وسرقت له دريهما فقيل لا تهتم فانها في ميزانك فقال في الميزان سرقت، ومدح العزيز فقال: وجه صباح
البشرى ومفتاح النعمي وطليعة الخير وعنوان الرحمة وعذر الزمان المذنب، وذم رجلا فقال له: لحيه التيس
ونكهة الليث وصوت العير ولق البغل ولؤم الذئب وبخل الكلب وقبح القرد وحرص الخنزير وزهو الغراب
ونتن الظربان، ووصف فرساً فقال: كأنه اذا علا دعاء واذا هبط قضاء، ومن كلامه: ليس بيسير تقويم
الكسير.

أبو الضياء الحمصي: حدثني أبو عبد الله الحامدي قال أنشدني أبو محمد الخازن قال: من الفوائد التي سرقتها
من السفينة الصاحب التي كان لا يمكن منها أحداً قول أبي الضياء في بعض الرؤساء:
وما خلقت كفاك الا لاربع ... وما في عباد الله مثلك ثاني
لتجريد هندي واسداء نائل ... وتقيل افواه وأخذ عنان
قال وكتب على ظهر دفتر له يشتمل على فوائده:
هذا كتاب فوائد مجموعة ... جمعت بكد جوارح الأبدان
وبدائم الادلاج في ظلم الدجى ... والسير بين مناكب البلدان
وله ويروي لغيره:

قد يبعد الشيء عن شيء يشابهه ... أن السماء نظير الماء في اللون
وأنشدني له بعض الغرباء ثم وجدته للرضي الموسوي من قصيدة:
وإن لم تكن عندي كسمعي وناظري ... فلا نظرت عيني ولا سمعت اذني
وانك احلى في جفوني من الكرى ... واعذب طعماً في فؤادي من الأمن
قليل ودخل إلى صديق له في مجلس انسه وهويشرب النبيذ صرفاً بغير مزاج ويسقي ندماءه كذلك المغني يغني
ويقول:

يديروني عن سالم واديرهم ... وجللة (ما) بين العين والأنف سالم
فقال أبو الضياء لو اسقط المطرب الما من الشعر وجعله في قدحي صلح الشعر والنبيذ معاً.

أبو منصور الصوري أخو أبي عمارة: الذي ذكرت له في كتاب اليتيمة ابلغ ما قيل في وصف الثقيل، حدثني
أبو طالب محمد بن علي بن عبد الله المعروف بالبغدادي وهو من واسط قال كان الصوري في عفوان امره

معلماً مرجواً يتكلم من جنس صناعته كما كتب إلى صديق له في الشوق كهيعص اني الي جد صاد
والصافات ان شوقي اليك فوق الصفات والخواصم أني من الحين في عذاب أليم، ثم ارتفع عن التعليم إلى
التأديب والشعر فكان يقول مثل قوله:

نثرت لآلي دمعها وجداً على ... ديباج خد في الدياجي اشرفا
ما هذه العبرات يا بنه فارس ... لسنا باول عاشقين تفرقا
وقوله في قصيدة لم يعلق بحفظي الا البيت الأول منها:
تأخر برد الماء عن كبدي حرى ... وهذا لهيب النار في مقلة عبري
قال وأنشدني لنفسه:

من كف عنك شره ... فافعل به ما سره
محمد بن أيمن الرهاوي: كان يعارض أبا العتاهية ويجري في طريقه ويقول مثل قوله:
قنعت بالقوت في زمامي ... فصنت نفسي عن الهوان
من كت عن ماله غنياً ... رأيته كالذي يراني
ومثل قوله وارانى سمعته لغيره:

إنا ننافس في الدنيا مفارقة ... ونحن قد نكتفي منها بأدناها
حذرتك الكبر لا يعلقك ميسمه ... فإنه ملبس نازعته اللاها
وقوله:

إن المكارم كلها لو حصلت ... رجعت جملتها إلى شيئين
تعظيم امر الله جل جلاله ... والسعي في اصلاح ذات الين
ابن وكيع التنيسي: أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن ايده الله تعالى قال أنشدني أبو الحسن محمد
بن الحسين العثماني قال انشدنا القاضي ابن البساط البغدادي لابن وكيع التنيسي وهو احسن ما قيل في
مدح السفر:

تغرب على اسم الله والتمس الغنا ... وسافر ففي السفار خمس فوائد
تفرج نفس والتمس معيشة ... وعلم وآداب ورفعة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل وغربة ... وتشيت شمل وارتكاب شذائد
فللموت خير للفتى من مقامه ... بدار هوان بين ضد وحاسد
وأنشدني الشيخ أبو بكر ايده الله قال أنشدني أبو يعلى سعيد بن احمد الشروطي بالرملة لابن وكيع:
يحسن النحو في الخطابة والشع ... ر وفي لفظ سورة وكتاب
فاذا ما تجاوز النحو هذي ... فهو شيء من المسامع ناب
وله ايضاً:

إن شئت ان تصبح بين الورى ... ما بين شتام ومغتاب
فكن عبوساً حين تلقاهم ... وخاطب الناس بإعراب

أبو جعفر الجعفري العطار الحرائي: وصف غلاما وشبه بما هو من جنس صناعته فقال: صدغه مسك وخطه
عبر كافور وعرفة عود، ومن شعره قوله:

أنا ممن إذا النوائب نابت ... شاورتني الرجال في النائبات

وإذا ما نظرت في امر نفسي ... خانني الراي واستكنت قناتي

وهكذا كان إبراهيم بن المهدي وذكر العلة في ذلك فقال: لأني أدبر امر نفسي بالهوى و امر غيري بالرأي

وشتان ما بينهما، وجمعه وقوماً من المتكلمين مجلس أنس فأخذوا في الجلد فقال: مجلس النبيذ للجدل لا

للجدل، وجرى ذكر مسيلمة الكذاب فقال: لا بني صادق ولا متنى حاذق، ووصف إنساناً طروباً فقال:

اطرب من زنجي عاشق سكران على عود بنان وناي زنام وطبل سلمان، ودعا لصديق له فقال: صان الله

كرمك عن لؤم الرزمان وادام اتعاب الفلك لراحتك.

أبو العباس ابن أحمد بن جعفر البديعي: ذكره لي الشيخ أبو بكر وسمى بلده مع اسمه فلم يعلق بحفظي وقال

انه الآن حي يرزق وأنشدني من شعره قوله من قصيدة:

بدرت زلة الحكيم وقبلي ... زل داود سيد الزهاد

ثم نادى الأمان يارب قد تب ... ت فهب لي خطيئي واعتمادي

والليالي كما علمت حبالى ... كل يوم تحين بالاولاد

وقوله:

الصق صدري بصدرة فشكى ... قلبي إلى قلبه الذي يجد

فاعجب لقلب شكى هواه إلى ... قلب سواه وما درى الجسد

وقوله:

ارق الليل موني ... فدع النوم واجلس

ما ترى الجو بالصفا ... ونسيم الصباء كسي

ونجوماً تحاها ... بندقاً طاح عن قسي

فاغتنم رقة الهوا ... ء وطيب التنفس

وأجب داعي الصبو ... ح بكأس وغلس

واشربن واطربن ما است ... طعت فيه وعرس

من يضيع ساعة تسر ... من العمر يخس

وقوله ايضاً:

يا من تباشرت الدنيا بطلعته ... تباشر الأرض ذات الحمل بالمطر

إني غدوت بآمالي على ثقة ... إذا لقيتك أني أسعد البشر

وقوله في ذم خدمة السلطان ويروى لغيره:

ومن خدم السلطان أكرم نفسه ... ولكنه عما قليل اهانها

ومن عبد النيران لم ينتفع بها ... ولم يلق إلا حرها ودخانها

محمد بن حماد الكاتب: كتب إلى صديق له : يا أخي العطله سكون والحياة بركة والعمل حركة فان استطعت أن تخرج من سكون الموت إلى حركة الحياة فافعل: وكتب في ذم رئيس: هو والله عيث في دينه، قدر في دنياه، رث في مرونته، سمج في هيئته، منقطع إلى نفسه، راض عن عقله، بخيل بما وسع الله عليه رزقه، كتوم لما أتاه الله من فضله، لجوج لا ينصف إلا صاغراً، ولا يعدل إلا راغماً، ولا يرفع نفسه عن منزلة إلا ذل بعد تعززه فيها، ومن ملح شعره قوله في نديم كان يخطئ القينة في غنائها ويأخذها بالحو والاعراب فينغص بذلك على أهل المجلس:

يا قاطع الصوت على ... قوم كرام نجب
يأخذه اللحن على ال ... قينة عند الطرب
تريد أن تفهمها ... حد كلام العرب
احلف بالله وما ... اتزله في الكتب
للكلب خير ادباً ... من بعض أهل الأدب
ومما ينسب إليه ويروى لغيره قوله:

يا حبذا ليلة نعمت بها ... أشرب فضل الحبيب في القدح
سألته قبلة فجاء بها ... فلم اصدق بها من الفرح
وقوله:

عجبت لقلبك كيف أقلب ... ومن فرط حبك أني أذهب
فأعجب من ذا وذا أنني ... اراك بعين الرضا في الغضب
أبو سهيل الحراني: كان ينادم قردة له ف قيل له في ذلك فقال:
ملت إلى القردة أنادمها ... فانكرت ذاك زمرة الحسد
فقلت يا بله لا عقول لكم ... من عدم الناس عاشر القردة
وقوله:

ألف الحوادث مهجتي فالفتها ... بعد التنافر والكريم الوف
ليس البلاء علي صنفاً واحداً ... لكن علي اليوم منه صنوف
أبو علي الحسين بن بشر الرملي: حدثني القزويني وغيره قالوا كان الحسين في حياة أبيه بشر يهوى فتى من أهل الرملة في نهاية الملاحة والصباحة لا يرى الدنيا به وابوه يعدله وينهاه عن الإشتغال بأمثال فبينما هو ذات يوم قاعد مع أبيه على باب دارة إذ اجتاز به الفتى الموموق وكأنه ينظر بمقلة يوسف ولم يكن بشر رآه فأخذته عيناه فقال للحسين يا بني إن كان لابد من الحب فهلا أحبيت مثل هذا فأطرق حسين ولبس قناع الخجل ثم قال في حكاية الحال:

ابصره عاذلي عليه ... ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو هويت هذا ... ما لامك الناس في هواه

فظل من حيث ليس يدري ... يأمر بالحب من نهاء
ثم رأيت هذه الأبيات في ديوان أبي الفرج بن هند ولست ادري ايهما المنتجل ولنا من الحديث طيبه
وانشدت للحسين بن بشر في عزيز مصر:
يا واهب الدنيا ويا غافراً ... ذنوب أهل الأرض لو أجرموا
قد نال إحسانك باديهم ... وحضرهم والترك والديلم
وها أنا قد صرت فرداً فلا ... تحو على ضعفي ولا ترحم
أبو ذفافة المصري: هو القائل لبعض الرؤساء:
وما السحاب إذا ما انجاب عن بلد ... ولم يلم به يوماً بمذموم
إن جدت فالجود شيء قد عرفت به ... وإن تحافيت لم تنسب إلى اللوم
وله أيضاً:
ازورك ايها الشيخ المعلى ... لا طمع ولكن للمحبه
إليك علاك قادتني والا ... فطيري ليس تلتقط كل حبه
وله أيضاً:

يقول الناس قد شبت ... ولا والله ما شبت
ولا اترك تقبيل ... خدود المرء ما عشت
جعفر بن هاني الأندلسي: هو القائل في رجل يلعب الطمشيش:
أما ترى لحيه الطمشيش حين بدت ... حمراء قانية دلت على حمقه
كأنما سرق الملعون جبرته ... ديكاً فعلقه الشرطي في عنقه
ومما ينسب إليه في الحكم قوله ويروى لغيره:
إذا افنيت بعض اليوم فاحزن ... فقد افنيت من محياك بعضاً
وما من ساعة إلا وتنعى ... إليك نصيب عمر قد تقضى
أبو محمد بن عبد المحسن بن محمد بن طالب الصوري: انتخب من ديوان شعره الذي أعارنيه الشيخ أبو بكر
قوله في قصيدة:
يا حاران الركب قد حاروا ... فاذهب تجسس لمن النار
تخبوا وتبدو ان خبت وقفوا ... وإن اضاءت لهم ساروا
كأنه اقتبسه من قول الله عز وجل: كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا، ومنها:
ما نظرة إلا لها سكرة ... كأنما طرفك حمار
ومنها في وصف الرياح:
ما شاجروا إلا اظلمتم ... من قضب المران اشجار
ومنها:

وأظهروا نوراً لها أزرقاً ... له من الأنفس أثمار
عجبت كيف استبعدك العلى ... والناس من ذلك أحرار
فكيف ساجلت الغمام الذي ... ليست له في المصيف أمطار
وقوله في أبي الجيش حامد بن ملهم وقد ركب معه في بحيرة الطبرية:
وقالوا التقى الوردان ورد من الندى ... وورد من الماء القراح الذي تجري
فقلت لهم وفوا أبو الجيش حقه ... ولا تظلموه ما البحيرة كالبحر
وقوله فيه من أخرى وقد خلع عليه:

ما زال ينحني أبا الجيش الندى ... كيما يجدد كل يوم جودا
حتى غدوت أنا المسمى حامداً ... وغداً يسمى حامداً محمودا
وقوله من أخرى:

ومتى ذُمت الدهر بعد لقائه ... وعطائه فعلى حد المفترى
ومنها:

من معشر يتخيرون كلامهم ... حتى كأنهم تجار الجوهر
وكأنما أقلامهم من حذقها ... بالقتل فضلات القنا المتكسر
وقوله من أخرى:

يا ثالث القمرين النيرين أرى ... أمام حالي سوداً ماله هاد
أنت الأمير بأرضي والزمان بما ... عاد وقد جئت استعدي على العادي
ومن أخرى في منير الدولة ابن حمدان:

كنت من قبل أن تلقيت كالبد ... ر واعلى ذكراً وقدرأ ونورا
ثم اشكلتما علي بأن صر ... ت تسمى كما يسمى منيرا
ومن أخرى فيه:

الحال مظلمة وليس ينيرها ... إلا منير الدولة الغراء
والناس كالمتعجبين لهائم ... ظمآن وهو على شفير الماء
وقوله في ترك الغيرة:

تعلقتة سكران من حمرة الصبا ... به غفلة عن لوعي وهبي
وشاركني في حبه كل ماجد ... يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما عرفتها ... فإن حبيبي من أحب حبيبي
أبو الحسن علي بن محمد التهامي: يقول من قصيدة:
يخبرنا عن جوده بشر وجهه ... وقبل طلوع الشمس تأتي بشائره
ويصدق فيه المدح حتى كأنما ... يسبح من صدق المقالة شاعره
ومنها:

يكاد لإدمان القراع حسامه ... يسابقه نحو الطلى ويبادره
ومن أخرى:

جرت عبراتهن على عيبر ... كما انشق الحجاب على المدام
برود ريقهن وكيف يحمي ... ومجراه على برد توأم
سقام جفونهن شفاء قلبي ... وهل يجني الشفاء من السقام
ومنها:

فتى جبلت يدها على العطايا ... كما جبل اللسان على الكلام
فسيراه لنيل أو عنان ... ويمناه لرمح أو حسام
لقد أحى المكارم بعد موت ... وشاد بناءها بعد انهدام
سواء عنده قول المنادى ... هلم إلى الطعان أو الطعام
ومن أخرى:

هل الوجد أن تلوح خيامها ... فيقضى باهداء السلام ذمامها

وقفت بها ابكي وترزم انيقى ... وتسهل افراسي وتدعو حمامها
ومنها:

ولو بكت الورق الحمايم شجوها ... بعيني محا اطواقهن انسجامها
ومنها:

ولم أنسها يوم التقى در دمعها ... ودر الثنايا فذها وتوامها
إذا كان حظي حيث حط خيامها ... فسيان عندي نأيها ومقامها
وهل نافعي أن تجمع الدرا بيننا ... بكل مكان وهي صعب مرامها
ومنها:

كأني في البيداء بيت قصيدة ... تناشده غيطانها واکامها
إلى ان لثمتنا كف حسان إنما ... أمان من الفقر المضر الثامها
ومنها:

هم الأسد إلا أنها تبذل القرى ... لطارقها والأسد يحمي طعامها
هم يمزجون الدر للطفل بالعلی ... فينشوا عليها لحمها وعظامها
وإن فطموا أطفالهم بعد برهة ... فعن درها لا علاها فطامها
جلاد على حر الجلال إذا النقت ... كلام الأعادي بالدماء وكلامها
علائلها أذراعها وسماعها ... صليل المرامي والدماء مدامها
ومنها:

ألا أن طياً للمكارم كعبةً ... وحسان منها ركنها ومقامها

ومنها:

وليس بمشغول اليدين عن الندى ... إذا شغل الكف اليمين حسامها
لقد أمسكت قحطان منك أبا الندى ... بعروة مجد لا يخاف انفصالها
فإن كابدت جدباً فأنت ربيعها ... وإن باشرت حرباً فأنت حسامها
قليل لك الأرضون ملكاً وأهلها ... عيلاً فهل مستكثر لك شامها
ألا أن أوصاف الأمير جواهرٌ ... وإن مديحي سلكها ونظامها
ومن أخرى في نهاية الحسن:

تهميم بيدر والتنقل والنوى ... على البدر محتم فهل أنت صابر
له من سنا البدر المورد غرة ... ومن حلال الليل البهيم غدائر
ومنها:

ينال من الأعداء خوف أبي الندى ... وهيبته ما لا تنال العساكر
وما مات طائيٌ وحسان خالد ... ولا غاب منهم غاب وهو حاضر
أحاط بك التوفيق من كل وجهة ... وجاءتك من كل البلاد البشائر
فإنك مغناطيس كل فضيلة ... فلا فضل إلا وهو نحوك صائر
ومن أخرى:

حبيب جلا من ثغره يوم ودعا ... عقوداً وألفاظها وثغراً وأدمعا
وأبدى لنا من دله وحديثه ... ومنطقه ملقى ومرأى ومسمعا
ومنها:

لقد خلقت عينك للسحر معدنا ... كما خلق الطيموم للجود منبعا
إذا ما مدحناه ببعض صفاته ... وأفعاله لم تبق للمدح موضعا
ولو أن إنساناً بعظم محله ... ترفع عن قلر الشاء ترفعا
ومنها:

ويطرب للعافين حتى كأنما ... برؤيتهم يسقى الرحيق المشعشا
ولم أر كالطيوم إلا أبا الندى ... كريمين من اصل كريم تفرعا
إذا انبريا ابصرت شمسين في الوغى ... فإن شهرا سيفيهما صرن اربعا
لكل بهاء منكما غير أنني ... رايتكما أبها إذا كتتما معا
لو أنكما بعد التوازر رمتما ... تضعضع رضوي أو شروري تضعضعا
فلا زلتما كالنيرين محلة ... ونوراً ومثل الفرقدين تجمعا
ومن أخرى:

بكيت فحنت ناقتي فأجابها ... سهيل جوادي حين لاحت ديارها
خططنا بأطراف المخاطر أرضها ... فاهدت إلينا مسك دارين دراها

ولاحت ثنايا الأحقوان ولو رأيت ... عوارض من أهوى لطل استتارها
أرى الحب ناراً في القلوب وإنما ... تصعد انفاس الحب شرارها
توق عيون الغانيات فإنها ... شغار واشغار الجفون شغارها
ومن أخرى:

غدوا بهلال من هلال بن عامر ... مرام هلال الأفق دون مرامه
تردد فيه الحسن من عن يمينه ... ويسرته وخلفه وأمامه
ومنها:

وموت الفتى في العز مثل حيوته ... وعيشته في الذل مثل حمامه
ومن فاته نيل العلى بعلومه ... وأقلامه فليبعها بحسامه
ومن أخرى:

يقضي بحكم الجور في أمواله ... وقضى بحكم الله في الأيتام
تتيقن الأموال حين تحل في ... كفيه ان لست بدار مقام
أبو شرحبيل الكندي: قد أكثر الشعراء في الحث على إضطراب في الإغتراب لالتمس الرزق وقضاء الوطر
من السفر ومن أشف ما قالوا فيه واشفاه قول هذا الإعرابي - الشامي:

سر في بلاد الله والتمس الغنا ... ودع الجلوس مع العيال مخيما
لا خير في حر يجالس حرة ... ويبيع قرطها إذا ما أعدما
الحسن الدقاق من أهل دمشق: يقول في صديق له أجحف في مسئلته وهو ضيفه:
ودعوتني وأكلت عنك لقمة ... وشربت شرب من استتم خروفا
وسألني من أثر ذلك حاجة ... ذهبت بمالي تالداً وطريفا
فجعلت أفكر فيك باقي ليلتي ... ما كنت تفعل لو أكلت رغيفا
ويقول في تغيير صديق له اكل احسن عنده طباهجة:
ما جئت ذنباً إليه أعلمه ... ولا تطرف للفتى نسباً
بلى أكلنا له طباهجة ... كانت إلى قطع ودنا سبياً

وكان هذا الحسن أحد ظرفاء الأدباء أنشدني له المصيصي في استهداء الشراب:
عندي أناس ظراف ... بهم تجلى الدهور

واليوم يوم مطير ... تلذ فيه الخمر

فرمه بيسير ... حتى يتم السرور

ولا تشبه بماء ... فالماء عندي كثير

سرقه من قول البحتري:

فانفذ ما استطعت بهير مزج ... فإن الماء ليس يضيق عندي

وأنا استظرف قول غيره فيمن أهدى إليه شراباً ممزوجاً:
ليس هذا من عادة الأحرار ... بيع ماء الأنهار بالأشعار
إنما قلت سقني ماء كرم ... لم أقل سقني من النهار
قد رددناه فاسقه من يري ... د الماء لا من يريد صرف العقار
ولئن كنت قانعاً منك بالما ... فعندي في الدار نهر جار
أبو محمد البوصر آبادي: وجدت ذكره في رسائل أبي إسحق الصابي وعرفت في لحن كلامه أنه شاعر فاضل
ظريف الجملة والتفصيل ثم قرأت شعره في سفينة لأبي عبد الله الحامدي ذكر فيها أنه استملاه من أبي محمد
الخازن وأنه سرق من سفينة لأبي عبد الله الحامدي ذكر فيها أنه استملاه من أبي محمد الخازن وأنه سرق من
سفينة الصاحب بخطه فمن ذلك قوله وهو وأخوانه في نهاية الظرف والملاحية:
ايا دهر ويحك ماذا جميل ... فوادي عليك وإلني بخيل
كأنني أرى وجهه في المرأة ... يلوح ومالي إليه سبيل
وقوله في معتم بعمامه سوداء:
وكاتب من قومنا شاعرٌ ... ليس بذاك الكاتب الماهر
عمامة سوداء في رأسه ... كلجنة الله على الكافر
وقوله في الهجاء الآفة الكبرى:
قد قال لي زيرك لي سيد ... مستدخل في بعضه بعضي
يأمرني بالنحو في نيكة ... بالرفع والنصب وبالخفض
ولست أدري أبو صر آباد من قرى الشام أم من العراق وقد أدخلتها على ما خيلت إلي في القرى الشامية
وأياماً ما كانت فقد حصلت النكتة وهذه حال خرما باذ المنسوب العلوي خرما باذي إليها وقد مرت بي
أبيات له يقطر ماء الظرف منها كقوله:
أشارت إلى بعنابة ... مخضبة من دم الأفند
أأنت على العهد يا سيدي ... فقلت إلى الحشر يا سيده
وقوله ما لحسنه غاية في معناه:
قالوا هجاءك محمد فأجبتهم ... إن الهجاء من الصديق ثناء
ولربما جعل الحبيب سبابه ... سبب اللقاء لكي يتاح لقاء
ولئن هجوت كما هجيت فإننا ... رجالان في سوء الصنيع سواء
لكنني أثنى عليه جاهداً ... فإذا رأيته صدته استحياء
لم يلقيني إلا بشخص ذائب ... عرقاً ووجه ليس فيه ماء
أبو الفتح بن دردان اليهودي الوزير: أنشدني أبو الحسن البرمكي أيده الله له:
ماذا أظلك قل لي ... لا أعلم الله ظلك
عش لي وبعدي فإني ... أرضي وإن لم أعش لك

فالدهر يخلف مثلي ... وليس يخلف مثلك

وأنشدني أبو الحسن القزويني له:

سهرت والشوق يطويني وينشرني ... إلى غزال بديع الحسن مغنوج

حتى رأيت نجوم الصبح لائحة ... كأنها زيق في كف مفلوج

وأنشدني له أيضاً:

دعوني وقومي والسمو إلى العلى ... فإن لهم شأنًا إذا ما سموا ولي

ولا تستحلوا بالوفاء فإنه ... تراث لنا دون الورى عن سمو علي

يعني ابن عاديء اليهودي الذي يضرب المثل في الوفاء: أبو الأعين الأنطاكي: من ولد المعتصم شاعر أنطاكية يقول في الغزل:

لا وحلو الهوى ومن التجني ... وبخط العذار في ورد خده

لأذنين وجنتيه بلحظي ... مثل ما قد أذاب قلبي بصله

ويقول:

نفسى فداؤك أيها القمر الذي ... يجلو الدجى بمحاسن الأنوار

لما اخطف عصيت فيك عواذلي ... وخلعت في حب العذار عذارى

ويقول من تنفه:

ورأيت للحموي بي ... ن يديه ديواناً مجلد

وسمعت بعضهم يقو ... ل الشيخ أحق قلت اشهد

ابن با منصور الديلمي: هو ديلمى الأصل عراقي المنشأ شامي الوطن بارع الشعر بديعه يقول:

ناديت وجنته وقد رقمت ... بالمسك رقم الثوب بالقر

يا ارفع البز اختصصت على ... رغم العذول بارفع الطراز

ويقول:

يا من فقدت سروري بعد بعدهم ... قد صار بعدكم طول الأسى سكنا

لو كان يعرف انسان بلا جلٍ ... يموت من شدة الأثواق مت أنا

ويقول:

في ابتداء الشباب عاجلني الشي ... ب فهذا من أول الدن دردي

ويقول:

سقاني شمول الراح ساق كأنما ... سوافه مسروقة من سلافها

بليلة فطر قام فيها طوايفٌ ... فصلوا وقمنا جهرة بخلافها

وراح هلال الفطر نضوا كأنه ... مرآة تجلى بعضها عن غلافها

ويقول:

بالهند تطبع اسياف الحديد وفي ... بغداد تطبع أسياف من الحلق

جريح المقل: قد نسيت اسمه ولم أنس شعره الذي أنشدنيه أبو نصر بن المرزبان رحمه الله تعالى:
الرجل المهذب ابن نفسه ... أغناه فضل نفسه عن نفسه
كم بين من تكرمه لغيره ... وبين من تكرمه لنفسه
وقوله أيضاً:

ربما يرجو الفتى نفع فتى ... خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع الأذى ... سوف ياتيك الأذى من قبله
وله يروى لغيره:

ورب كريمٍ تعتريه كزازة ... كما قد رأيت الشوك في أكثر الثمر
ورب جوادٍ ممسك عند جوده ... كما يمسك الله السحاب عن المطر
أبو القاسم الحموي من حماة: وهي بلدة من العواصم يقول:
لا تقل بيت هجاء ... لا ولا بيت مديح
سبق الناس إلى ... كل مليح وقبيح
ويقول ويروى للخالدي الأصغر:

لما فرغت إلى الخضاب استهزأت ... سعدى وقالت واحب لما به
ما كان ينفعه لدي شبابه ... فعلام يتعب نفسه بخضابه
ويقول في معنى من أحب شيئاً أكثر ذكره:

يا من حديثي حيث كن ... ت فكله عنه يكون
حتى يقال فكم إذا ... ماذا هوى هذا جنون

الطاهر الجزري: عالي السن ادرك سيف الدولة وفيه يقول:
وحاجة قيل لي نيه لها عمراً ... ونم فقلت عليّ قد تنبه لي
حسبي عليان ان ناب الزمان وان ... جاء المعاد بما في القول والعمل
فلي علي بن عبد الله منتجع ... ولي علي أمير المؤمنين علي
وله في فتى تأدب بأدبه:

هذا علي بالمشاكلة التي ... ما بيننا لي مالك مستأثر
قالوا صديقك قلت بل ولدي وقد ... أعداه طبعي فهو مثلي شاعر
وقوله في قوس قرح:

ألست ترى الجو مستعبراً ... يضاحكه برقه الخلب
وقد لاح من قرح قوسه ... بعيداً وتحسبه يقرب
كطافي عقيق وفيروزج ... وبينهما آخر مذهب

أبو الغنائم بن حمدان الموصلبي: يقول في أبي مضر ويروى لأحد الخالدين في المهلبى الوزير وهو غاية في وصف قصب القلم من قصيده:
له قلم كقضاء الإله ... فبالسعد طوراً وبالنحس ماض
وما فارق الأسد في حالتيه ... يبيساً وذا ورقات غضاض
ففي كف ليث العلى في الندى ... وفي وجه ليث الشرى في الغياض
وله في الربيع وأحسن ما قيل فيه وذكر أبو عبد الله محمد بن علي بن حفص العموري النوقاني ان السرى الرفاء أورده في كتابه، كتاب الحب والحبوب والمشموم والمشروب، لأبي القاسم الزاهي وهو ممن ذكرته في كتاب اليتيمة:

هذا الربيع وهذه أنواره ... طابت ليلاله وطاب نهاره
فضية أنهاره ذهبية ... أزهاره درية أنواره
متبلج غدواته متبرج ... ضحواته متأرج أسحاره
والماء فضي القميص مفروز ... بينفسج واللازود شعاره
والسرو ممتد القوام كأنه ... قد الغلام تشقه أنهاره
وترنمت عجم الطيور كأنها ... شرب القيان ترنمت أوتاره
فاشرب على ورد الحدود بجنبه ... ورد الربيع تحقه أنواره
من كف أحور كالقضيب منعم ... قد سد خوط قوامه زناره
أبو الحرث بن التمار الواسطي: ظريف بلاده يقول لسيدوك بلديه:
قد أتيناك مراراً ومراراً ومراراً ... فإذا أنت كمثل البدر لا يبدو نهاراً
وكان متزيداً لأبيه فلما توفي وورثه ماله قال فديت من أحيائي موته وأراه نقله من قول علي بن المهجم:
لما أتاني خبر الزيات ... وأنه قد صار في الموات
ايقنت أن موته حيائي

ومن ملح شعر أبي الحرث قوله:
يا اعدل الناس إلا في معاملتي ... وأصدق الناس إلا في عداتك لي
وقوله:

وهل يذخر الضرغام قوتاً ليومه ... إذا ادخر النمل الطعام لعامه
وقوله:

جئته زائراً فقال لي ابو ... اب صبراً فإنه يتغدى
قلت سمعاً فقد سمعت قديماً ... خبره لازم ولا يتعدى
ابن الزمكدم الموصلبي: أنشدني الشيخ أبو بكر له فيمن دعاه وسقاه الحامض:

كنت في دعوة علي ... بما كان قد دعي
طال من خل خمرها ... طول يومي تجرعي

وإذا ربها يكا ... بد طول التصنع
بين اضلاعه الس ... هام كما بين أضلعي
قلت لما رأيته ... كارعاً مثل مكرعي
اقتلوني ومالكاً ... واقتلوا مالكاً معي
وأنشدني له:

يا غلامي على الجاز ولو خا ... لف قلبي في الدعاء لساني
عاطني من يديك ضرة خدي ... ك وحل اللجين بالعقيان
واقصر في مزاجها لي على ما ... شربته من ماء تلك البنان
أبو محمد الحسن بن محمد الرقي: طراً على خراسان وتصرفت به اسفار واحوال افضت إلى أن تقبله الشيخ
أبو بكر علي بن الحسن القهستاني ايده الله وأحسن به وافضل عليه كعاداته عند أمثاله وأوطنه الجوزجان
فمن قوله فيه:

لو قيل لي هل للنهى مالك ... يعرف أم هل للعلى صاحب
لقلت والصادق في قوله ... ممدح اذ هجى الكاذب
عميدها الشيخ أبو بكرها ... علي بن الحسن الكاتب
وله من قصيدة:

الجود يشهد والأنام معاً ... والعصر انك واحد العصر
وله في الغزل:

أتضحك يا فديتك من كتأبي ... فتظهر مثل ما اظهرت درا
وقي عيني كما في فيك منه ... أرى هذا وذا نظماً ونثرا
فتغرك لو يذوب كان دمعاً ... ودمعي لو يجمد كان ثغرا
أوجز وأحلى منه قول أبي الفضل بن أبي جعفر الميكالي:
يا شادناً جمع الله المنى فيه ... وأبنت الدر من عيني ومن فيه
وللرقي من قصيدة:

وكم ليلة طال التعانق بيننا ... كالانا به بتنا غريم غرام
ومنطقتي كفاه والليل ادهمني ... وقامته رمحي وفوه لثامي
وقوله من أخرى:

لقد جل خطبي في التي دق خصرها ... وأسهر جفني جفنها وهو نائم
إذا كن أصداع الحدود عقاربا ... فإن ذوابات الرؤس الأراقم
هذا البيت معيب عندي إذا جمع فيه بين العقارب والحيات في الغزل والطبع ينفر منها ولو كان في الهجاء
لكان جيداً كما قال ابن الرومي في هجاء قتيبه:

فقرطها بعقرب شهر زورٍ ... إذا غنت وطوقها بأفعى
وذكر عقرب الصدغ مألوف ولا سيما إذا كانت فيه صنعة كما قال ابن المعتز:
وكأن عقرب صدغه احترقت ... لما دنت من نار وجنته
وكما قال السري:
في خده وردحها ... ه من القطاف بعقرب
وكما قال صاحب:
لئن هو لم يكف عقارب صدغه ... فقولوا له يسمح بترياق وبقه
فإذا اقترن به ذكر الحية في بيتٍ واحدٍ لم يهش له السمع ولم يقبله القلب وللرقي من قصيدة:
كن رسولي وبلغ الأهل عني ... ما على المرسلين إلا البلاغ
ما دهنتي عقارب بنصبي ... ن دهنتي بواسطِ اصداغ
وله في غلام ذي ذؤابتين:
ظبي تغل الظبي اجفانه وله ... من سمرة اللون ما تثني به السمر
ذؤابته نجادا سيف ناظره ... وجفنه جفنه والشفرة الشفر
ضفירתاه على قلبي تضافرتا ... فمن رأى شاعراً أودى به الشعر
أبو الدرداء الموصلي: يجري في طريق السري ويتشبه به وهو القائل ويروي للسري:
تصرم شهر الصوم شهر الزلازل ... وشال به شوال شهر الفضائل
ولاح هلال الفطر حنواً كأنه ... سنان لواه الطعن في راس عامل
ودارت علينا الكأس بين أهلةٍ ... تضيء وأغصانٍ رطابٍ موائل
فرحنا وفي أجسامنا سحر بابل ... يدب وفي أيماننا خمر بابل
وقال وقد حضر مع قوم مجلس الأُنس فتذاكروا في المذاهب والآراء وتناظروا في التنجيم:
دعوا المراء والجلد ... فهو عثار وزلل
وصافحوا الكأس على ... حسن احاديث الغزل
ما النصب والرفض وما ... يوم الهريز والجمال
لما لم يستقم له في البيت ذكر صفين جعل مكانه يوم الهريز وانما هي ليلة الهريز من ايام صفين.
وشتم قوم قسمت ... بينهم الدنيا دول
وما النجوم لا جرى ... مريحتها ولا زحل
وسقطت جوزاؤها ... وريع بالذبح الحمل
لا نجم إلا ناجم الر ... اح بدا ثم أفل
يطلع من كفٍ خصيد ... ب الكف ثم ينتقل
والرفض إن ترفض ما ... جاء به أهل الملل
والنصب إن تنصب لل ... ذات اشراك الحيل

مالي وللشرب لهم ... بغير ما أهوى شغل
يغمد ما بينهم ... سيف الجدال ويسل
إذا بدا يوم خفي ... ف الروح ردوه جيل
محمد بن عبيد الله البلدي: قد ذكره أباه عبيد الله في اليتيمة وأورده نبذاً من ملح شعره وهذا ابنه أشعر منه
وأنشدني أبو طالب الشهرزوري قال أنشدني ابن البلدي لنفسه وكان حلف أن لا يشرب حولا فبرت يمينه
غرة شوال:

برت على هجر الكؤوس يميني ... شهر الصيام فما امتطين يميني
قم هاتماً حمراء في مبيضة ... كالجلنارة في جني نسرين
أو ما رأيت هلال فطرك قد بدا ... في الأفق مثل شعيرة السكين
أحسن منه قول كشاجم:
كشعيرة من فضة ... قد ركبت في خنجر
قسماً بجبك لا مزجت كؤوسها ... إلا بريقك أو بماء جفوني
وله أيضاً وقد حضرت مع اخوانه بيت صديق له فاشتد جوعهم فيه:
ويت خلا من كل خير فناؤه ... فضاق علينا وهو ربح الأماكن
كأنا مع الجلدرا في جنباته ... دمي في انقطاع الرزق لا في المحاسن

تتمة القسم الثاني في

محاسن اشعار أهل العراق

بل أحاسانها وما يتصل بها من ملح أخبارهم

الشریف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي النقيب ايلده الله تعالى: هو أخو الرضي أبي الحسن
الذي تضمن كتاب اليتيمة شعره وقد انتهت الرياسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم
والأدب والفضل والكرم وله شعر في نهاية الحسن فمنه ما أنشدني أبو الحسن محمد بن الحسن البرمكي
الفقيه ايله الله تعالى قال أنشدني المرتضى لنفسه ببغداد وهو مما يغني به لرقته وحلاوته:
يا خليلي من ذؤابة بكر ... في التصابي رياضة الأخلاق
غنياني بذكرهم تطرباني ... وأسيافي دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم عن جفوني فإني ... قد خلعت الكرى على العشاق
وله من قصيدة وهو مما يسكر بلا شراب ويطرب بلا سماع:
أحب ترى نجد ونجد بعيدة ... ألا حبذا نجد وإن لم تغد قربا
يقولون نجد لست من شعب أهلها ... وقد صدقوا لكنني منهم حبا

كأني وقد فارقت نجداً شقاوة ... فتى ضل عنه قلبه ينشد القلبيا
وله من أخرى في الشيب وذمه:

يقولون لا تجزع من الشيب ضلة ... وأسهمه أيادي دونهم تصمي
وما سري حلم يفيء على الردى ... كفاني ما قبل المشيب من الحلم
إذا كان ما يعطيني الحزم سالباً ... حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي
وقد جربت نفسي الغداة وقاره ... فما شد من وهني ولا سد من ثلمي
وأني مذ أضحي عذاري قراره ... أعاد بلا سقم وأجفى بلا جرم
ومن أخرى في ذم الشباب:

ومعيري شيب العذار وما درى ... أن الشيات مطية للفاسق
وأقول إذا غيرت منه لونه ... هيهات ابلد مؤمناً بمنافق
ومن أخرى وهو مما يغني به:

ألا يا نسيم الريح من ارض بابل ... تحمل إلى أهل الخيام سلامي
وقل لحبيب فيك بعض نسيمه ... أما آن أن نستطيع رجوع كالامي
أني لأهوى أن أكون بأرضكم ... على أنني منها استفدت سقامي
وله من قصيدة مرئية:

تجري دموع عيون ود صاحبها ... لو أنهن على خد المصاب دم
كأننا اليوم من هم تقسمنا ... نهب بأيدي ولالة السوء مقتسم
نثني الأكف حياء عن ملاطمنا ... وفي الحشا زفرات الحزن تلتطم
ونكتم الناس وجداً في جوانحنا ... وكيف نكتم شيئاً ليس ينكتم
ومنها:

أين الذين خد الثرى وطنوا ... وحكوا في لذيذ العيش فاحتكموا
لم تبق منهم على صن النفوس بهم ... إلا رسوم قبور حشوها رمم
ولا يغرنك في الموتى وجوده ... فإن ذاك وجود كله عدم
وقد مضى ما اقتضاه الرزء من جزع ... فابن ما يقتضيه العلم والكرم
وله من أخرى:

كأني لما صك سمعي نعيه ... صككت بمسنون الغرايين قاضب
طواه الردى طي الرداء وعطلت ... مغاني الحجى عنه وغر المناقب
ولما بلوت الأصدقاء وودهم ... خلصت عليه من خلال التجارب
ومن أخرى:

كم ذا تطيش سهام الموت مخطئة ... عني وتصمي أخلائي وأخدائي
ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي ... علمت أن الذي اصماه اصماني

سود وبيض من الأيام لوئهما ... لا يستحيل وقد بدلن الواني
هيهات حكم فينا أزلم جذع ... يفنى الورى بين جذعان وقرحان
ومن أخرى:

شد غروض المطي مغترباً ... فلم يفز طالب وما طلبا
لا در في الناس در مقتصدٍ ... يأخذ من رزقه الذي قربا
وما مقام الكريم في بلدٍ ... ينفق فيه الحياء والأدبا
لا تعطني بالزمان معرفةً ... كم ضاق بي مرة وكم رحبا
اي خطوب لم تولني عظةً ... واي دهر لم أفنه عجبا
ساعات دهر قمر مسرعةً ... عنا وتبقى الهموم والتعبا

الأشرف ابن فخر الملك: قدم من بغداد اصبهان علي ابن كاكوية ظاناً به الجميل فخاب ظنه وأدركته حرفة
الأدب فبينما هو ذات يوم يشرب على شاطئ زر نروذ إذا هزت الراح عطفه ودبت ارجيه النشوة فدعا
بالدواة القرطاس وكتب إلى أخيه الأعز انب فخر الملك وهو ببغداد في نعمة وحسن حال:

إن الذي قسم الوراثة بيننا ... جعل الحلاوة والمرارة فينا
لكن اراك وددت ماء صافيا ... ووردت من جور الحوادث طينا
أوليس بجمعي ونفسك دوحهٌ ... طابت لنا دنيا وطابت دينا
إن كنت أنت أخي فقل لي يا أخي ... لم بت جدلاًناً وبت حزيناً
هلا قسمنا بيننا الفرح الذي ... كنا أقتسمنا في حياة أبينا
فلما قرأ الأعز كتابه اذرى دموع الرقة لأخيه وسفتج بالقي دينار وكتب بيت ليبد:
فامتنع بما قسم المليك فإنما ... قسم المعاش بيننا علامها
ولم أجد للأشرف بعدما كتبه إلا قوله:

مر بي الموكب لكنني ... لم أر فيه قمر الموكب
قتل لأمير الجيش يا سيدي ... ما لأمير الحسن لم يركب
ابن المطرز: وهو اليوم بقية الشعراء ببغداد ويكنى أبا القاسم واسمه عبد الرحمن بن محمد أنشدني أبو الفضل
عبد الواحد بن محمد البغدادي التميمي قال أنشدني ابن المطرز لنفسه من قصيدة:
سرى مغرمًا بالعيش يفتجع الركبا ... يسايل عن بدر الدجى الشرق والغربا
إذا لم تبلغني إليكم ركائي فلا ... وردت ماءً ولا رعت العشباً
على عذبات الجزع من ماء تغلب ... غزال يرى ماء القلوب له شرباً
إذا ملأ البدر العيون فإنه ... لعينك بدرٌ يملأ العين والقلبا
وأنشدني أبو يعلى البصري له من أخرى:

يا صاحبي بأعلام المدينة لي ... ظبي إذا أنست عيني به نفرا

لولا أحتشامي منه حين يلحظني ... إذا تأملتته أفنيته نظرا
إذا تبسم واستجلى محاسنه ... طرفي خلعت عليه السمع والبصرا
فإن رنا قلت عن عين الغزال رنا ... وإن مشى قلت غصنٌ يحمل القمر
وله في رئيس:

يوم عيدتك نحوسه ... وغدت عليك كزوسه
وتغايرت أقماره ... إذا غازلتك شمسو
يا سيداً ما مله ... مذ كان قط جليسه
ما من رئيسٍ سيدٍ ... إلا وأنت رئيسه
وله ايضاً:

سلام على بغداد من كل بلدة ... وحق لها مني سلام مضاعف
لعمرك ما تركي لها عن قلبي ها ... وإني بحسنى جانيها لعارف
ولكنها ضاقت علي برحبها ... ولم تكن الرزاق فيها تساعف
فكانت كخل كنت أهوى دنوه ... وأخلاقه تنأى به وتخالف
وله في الخمر ويروى لأبن نحرير:

يا ساقى اسقياني من دم العنب ... فقد طربت إليها غاية الطرب
حمراء صافية صرناً مشعشة ... كالنار طوراً وطوراً ذائب الذهب
تجلى على الشرب في ضدين ما اجتماعا ... إلا لها فهي من ماء ومن هب
بكر إذا اقتضتها السلقي بكت خجلاً ... وكللت رأسها دراً من الحب
وله في استهداء قطعة الشطرنج:

أبا طاهر أنت لي جنة ... أجل وأعظم من شأنها
ونحن العيون وأنت الجفون ... وحسن العيون بأجفانها
وعندي خيول قد استنهضت ... معلقة رهن أرسانها
وقد حضرت قصبات الرهان ... فمن علي بميدانها
وله:

ظالم ما منه منتصر ... أبداً يجنى وأعتذر
حل من قلبي بمنزلة ... لم ينلها قلبه بشر
بات يسقيني المدام ولي ... وله من طرفه سكر
ويحيني بسائلة ... حار في أرجائها الشعر
يا حبيباً كله حسن ... لخب كله نظر
وجه من كل ناحية ... حيث ما قابلته قمر
إن تفرقنا على قدر ... وسعت ما بيننا الغير

كتاب : يتيمة الدهر

المؤلف : الشعالي

فلعل الدهر يجمعنا ... والهوى ماضي ومنتظر

وله في المجون:

فقحة مثل عجنة الحوارى ... حسننها يترك الصحاة سكارى

لفتاة لسانها أعجمي ... عبلقة عندها الملوك اسارى

ورمتها من العيون ومالت ... فقلوب الزناة فيها حيارى

أبرزتها من الثياب وقالت ... يا خواجه أتشتهي قلت آرى

وقال:

كأنما أنجم الجوزاء فاصلة ... عن الثريا وبدر التم لم يغب

ممنطق ساق في ميدانه كرة ... من اللجين بططاب من الذهب

وله:

تغن بيوم بالسعادة مبهج ... تحلى بوجه مسفر متبلج

يميل بأعطاف النسيم ممثلاً ... بطلعته وشى الربيع المديح

أتاك بشير بالسعود وكل ما ... تؤلمه في كل حال وترتحي

فعش وابق واسلم في سرور وغبطة ... وعيد ونورز ألف عام ومهرج

وله من قصيدة:

عجبت لمن يصفى الوداد لغادر ... يميل مع الأيام حيث تميل

ودود إذا حياك أما لسانه ... فواق وأما قلبه فملول

فلو صحت الأيام صح وفاؤنا ... ودام ولكن الزمان عليل

وله من أخرى:

بيني وبين يد الزمان إذا نبا ... صنع الإله وناصر السلطان

يلقاك بالوجه الطليق لعلمه ... إن الكتاب بظاهر اللعنوان

فلو أنني استنجدت رائق بشره ... وتركت نائل كفه لكفاني

ومنها في وصف النوق:

شرب المهجير دماءها ولحومها ... فأتين كالأرسان في الأرسان

يكرعن في لمع الشراب وقلما ... ضمن الشراب الري للعطشان

أبو الحسن علي بن الريان الجرهمي: ذكر أبو الفضل التميمي إنه يغني بشعر نفسه ويصوغ له الألحان فمن

ذلك

يا هاجري في أوسع العذر ... قد رقت عيني على المهجر

علمني غدرك اسلو الهوى ... أي هوى يبقى على الغدر
و كنت من صبري جزوعاً فمذ ... خنت تجاسرت على الصبر
وقوله:

يا ويح قلبي من تقلبه ... أبداً يحن إلى معذبه
قالوا كتمت هواك من جلدٍ ... لو أن لي رمقاً لبحث به
وقوله:

بات بليلي فيك من يعذل ... جفن همول وحشاً مشعل
ومقلة ما اكتحلت بالكر ... مذ غاب ذاك الرشأ الأكل
يا قوم ما أحلى واشهى الهوى ... للمرء إلا أنه يقتل
وله شعر كثير من هذا النمط.

أبو بكر العنبري: ذكر التميمي أنه من مشيخه الصوفية ببغداد ومن ظرفاء شعرائها ومن شعره الذي يغنى به
قوله:

يا من إلى وجهه جحي ومعتري ... إن حج قوم إلى ترب وأحجار
أنت الصلاة التي أرجو النجاة بها ... وأنت صومي الذي يزكو أفطاري
إني وإن بعدت عني دياركم ... فأنتم في سواد القلب سماري
فإن تكلمت لم الفظ بغيركم ... وإن سكت فأنتم عقد اضماري
ومن سائر شعره:

كم تغدينا بصوم ... وتعشينا بنوم
وتأدينا بقوم ... فانقلنا نحو قوم

ومن مشور كلامه: نعم السلاح الدعاء ونعم المطية الوفاء ونعم الشفيع البكاء وكان يقول: الصوف
اجتناب المحارم واجتناء المكارم، وينشد:

ليس الصوف بالقوط ... من قال ذاك فقد غلط
إن الصوف يا فتى ... صفو الفؤاد من السقط
وله :

وليس الذي يجري من العين ماؤها ... ولكنه روح يذوب ويقطر

أبو الحسن النعيمي : أنشدني أبو القاسم عبد الصمد بن علي الطبري قال أنشدني مكي بن البغدادي قال
أنشدني النعيمي وكان شيخاً قد نالت الأيام من جسمه وحاله:

أحلت الأيام كأسّي من الرا ... ح كما خلا من المال كيسي
وغرانا الشتاء من بلد الرو ... م على غفلةٍ بلا ناقوس

فتحامي الألى لباسهم من ... صوف مصر ومن خزوز السوس
ومضى حكمه من الأسر والقه ... ر على كل مدبر منحوس

ماله جنة سوى النار باللي ... ل ولا بالنهار غير الشموس
فهو في السر مسلم وعلى الظا ... هر مستمسك بدين مجوس
قال وكان يجلس في الجامع الشرقي ببغداد أيام البرد فسمعه يوماً وهو جالس فيه والمساء متغيمة يقول: قد
سرقت إحدى الجنتين يعني احتجاب الشمس، قال وسمعته في اجتماع قوم لا خلاق لهم ولا خير فيهم:
كسير وعوير ومفتاح الدبر وآخر ليس فيه خير، قال وسمعته يقول في قوم شرار نزلوا في شر منزل وتجعله
مثلاً: ركب زنبور عقرباً إلى جحر حية فقيل ابصر من الحامل والحمول وفي أي خان نزلوا، قال وأنشدني
لنفسه:

إذا أظمأتك أكف اللثام ... كفتك القناعة شعباً ورياً
فكن رجلاً رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا
فإن أراقه ماء الحيا ... ة دون إراقة ماء الحيا
أبو الحسن الهاشمي المأموني: أنشدني أبو الحسن البرمكي قال أنشدني أبو الحسن هذا المذكور لنفسه:
إذا لم تنصفونا يا كرام ... وفي أيديكم اليوم الزمام
فكيف بكم إذا قلنا صرفتم ... وزال البوش وانقطع الزحام
وكنتم معشراً ملكوا فحسوا ... فنام الحظ عنهم حين ناموا
وكانوا يخدمون وهم قعود ... فصاروا يصفعون وهم قيام
أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي: أيداه الله تعالى، طلع على نيسابور منذ سنين وهو في
ربيعان شبابه فملاً العيون جمالاً والقلوب كمالاً وأفادنا كثيراً ثم امتطى أمله إلى الحضرة الكبرى بغزنة حرسها
الله تعالى فعاشر السادة بها ووصل إلى السلطان الماضي أبي القاسم رضي الله عنه وخدمه في مجلس الانس ثم
انقلب عنها وقد أسفرت سفرتة عن صفقه الرابع وغنيمة الفائز وله شعر الأديب الظريف الذي شرب ماء
دجلة وتغذى بنسيم العراق فمما أنشدني لنفسه قوله:
هام قلبي بحسن ذاك العذار ... حين لاح اخضراره في احمرار
عز رب اذا رب أراد تعالى ... أنبت المرزجوش في الجلتار
وقوله:

جد وإن شئت لا تجد ... إن تخلصت لم أعد
إنما منك غرني ... كلم طعمها الشهد
لست في الناس واحداً ... قتله اللحى الجلد
وقوله في خط اللحية:
بدا خط من أهواه كالبلر طالماً ... وعارضه قد لاح فيه وزغبا
فكان كمل دب في العاج قاصداً ... ليحتر في رفق من الصدغ عقربا
قوله:

إن زارني لم أنم من طيب زورته ... وإن جفا لم أنم من شدة الحرق

ففي الوصال جفوني غير راقدة ... من السرور وفي الهجران من قلق
إني لأخشى حريقاً إن علا نفسي ... وأتقى أن جرى دمعي من الغرق
وقوله:

نظرت تشوقاً يوماً إليه ... فأثر ناظري في وجنتيه
وجرد من لواحق حساماً ... همايله بنفسج عارضيه
وقوله في رمد الخبواب:
قلت إذا قيل لي حبيبك يشكو ... رمداً سلط السهاد عليه
وقوله:

الشعر كالبحر في تلاطمه ... ما بين ملفوظه وسائغه
فمنه كالمسك في لطائمه ... ومن كالمسك في مدايقه
وللموازي في فصد بعض رؤسائه:
على اليمن باكرت الفصاد مشمراً ... يمين جوادٍ للعطاء مشمره
مددت أبا سعد إلى صدر مبضع ... يدا تصلر الآمال عنه منشره
وما خلت إن الجود تجري له دم ... فما كان أجري ذا الطيب وأجسره
أظن له من لطفه بلباقه ... بصيرة بقراط وأقدام عنتره
وله في مراثية القاضي الهاشمي بحلب:
ناعى أبي جعفر القاضي دعوت إلى ال ... ردى فلم يدر ناع أنت من داع
تنعى العظيمين من مجدٍ ومن شرفٍ ... ببعد الرحيين من خلق ومن باع
مهلاً فلم تنق عيناً غير باكية ... ولا تركت فؤاداً غير مرتاع
قد كان ملأ عيون بعده امتلأت ... جزناً ونزهة ابصارٍ وأسماع
وله:

كم حمار هو أولى ... ببنهيقٍ وشهيقٍ

يكتسى في الشتوة الخز ... وفي الصيف الديقي
وعلى هذين اليتين فقد تذكرت بيتين على وزنهما وقافيتهما واشتمالهما ذكر الديقي ولا أدري لمن هما
وهما:

ضاع في الشوك دقيقي ... حين أملت صديقي
بفعال كالبخاري ... وقول كالدقيقي
أبو الغنائم بن أبي المكارم الرملي هو ابن الذي يقول فيه ابن لنكك:
إن الرميلي بعيد خاطره ... يشعر ما دامت له دفاتره
فالشعراء كلهم خواطره

ويقول فيه ايضاً:

خلف الرملي فيما اق ... تص عني وحكاه

يدعي يوم اصطلحنا ... أنني قبلت فاه

لم أقبل فاه لكن ... قبلت كفي قفاه

فأما أبو الغنایم فإنه يقول لصديق له ولي عملاً:

جعلت فداك لا تجف الأخلا ... فينأوا عن ذراك وهو اذلا

وكانوا يطرحون لنا مصلی ... فمند وليت قد رفع المصلی

ويقول في شهر رمضان:

شهر الصيام مبارك ... لكنه في شهر آب

خفت العذاب فصمته ... فوقعت في نفس العذاب

ويقول في الهجا بيتاً نادراً كالمعجز في فنه وهو:

خوان لا يلم به ضيوف ... وعرض مثل منديل الخوان

أبو الحسن علي المعروف بابن كويرات الرملي: حدثني المصيصي قال كان ابن كويرات من أظرف الناس

وأملحهم نواذر حضرت معه دعوة برأس العين فقدم إلينا جمل مهزول ومددنا أيدينا إليه وهو قابض يده

فقلنا له في ذلك فقال يا سادتي هذا كان عاشقاً والعاشق لا يأكل العاشق، وأنشدني له أبو يعلى في طيب

من أهل مصر يدعى أبا الربيع وهو من أحسن ما قيل في مدح طيب:

أبو الربيع ربيع ... لكل جسم وروح

إذا رأى الداء داوا ... ه بالدواء الصريح

كأنه في البريا ... خليفة للمسيح

وله من قصيدة:

رثاً سمعت لحنه وعذاره ... في هذه الدنيا حديثاً سائراً

فإذا رأيت عليه طرفاً واقعاً ... فأعلم بأن هناك قلباً طائراً

عبد المنعم بن عبد المحسن الصوري من ملحه وطرفه قوله في غلام ينظر في المرأة:

جلا المرأة صيقلها لوجه ... تولى الله خلقته لحني

فلو أبصرته يرنو إليها ... عرفت الفرق بين الصقيلين

وقوله لنيهان الجعفري وهو في غاية الملاحظة:

زحفت إلى نيهان من غفو خاطري ... عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا

فقبلها عشراً وأظهر حبها ... فلما طلبت المهر طلقها عشرا

وأنشدني المصيصي وأبو يعلى له:

أرى الليالي إذا عاتبتها جعلت ... تمن إن جعلتني من ذوي الأدب

وليس عندي الليالي أن أقبح ما ... فعلى بي أن جعلن الشعر مكتسبي

ومما يستحسن ويستظف له قوله:

لي مولى احسانه يتجدد ... كل يومٍ لدي وانجد يشهد
أحسن الفعل بي واحسنت قولاً ... واشتبها فقيل جاد وجود
وقوله وهو من أمثاله السائرة:

أرى الله يعطيني ودهري يأخذ ... وفي كل يوم سيف قلبي يشحذ
وكيف سلوى عن شبأبي وفقده ... طريق إلى ما سمت المنية ينفذ
أبو الفرج بن أبي حصين القاضي الحلبي: من أظرف الناس وأحلام أدباً وأبوه الذي كاتبه أبو فراس
وساجله ومدحه السري وأخذ جائزته ونطق كتاب اليتيمة بنبذ من شعره في عرض شعر أبي فراس ولم أسمع
لأبي الفرج من قوله فيمن أبي أن يضيفه:

وأخ مسه ثرولي يقرح ... مثل ما مسني من الجوع قرح
بت ضيفاً له كما حكم الده ... ر وفي حكمه على الحر قبح
فابتداني يقول وهو من السكر ... ة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول ال ... له والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا ... ل عليه السلام صوموا تصحوا
ولم أسمع في عموم الخيانة ووراثه الناس آباهم آدم إياها غير قوله:
كيف نرجو الوفاء من نسل من لم ... يف لله في جنان بحبه

وعزير في العالمين أمين ... خان عهداً أبوه في الخلد ربه
وله في عتاب الدهر على قصده الكرام:

يا دهر مالك طول عهدك ترتعي ... روض المعالي بارضاً وحيما
يا دهر مالك والكرام ذوي العلى ... ماذا يضرك لو تركت كريما
أبو الفرج عبد الصمد بن علي الصوري: قال من قصيدة:
وإذا ما احتوت أنامله الرق ... ش كما تحوي القنا الفرسان
فعلت في الخطوب ما تفعل السم ... ر إذا جد بالكماة الطعان
وقال من اخرى:

حاتم أرجو أناساً ما مدحتهم ... إلا ذنباً ليس تغتفر
لئن بحثت عن المعروف عندهم ... إن الثرى في طلاب الماء يفتقر
وقال لصديق له يعمر داره:

دع عمل الطين للسلطين ... لا تك من أخوة الشياطين
فما بقاء الدريهمات إذا ... انفقن حيناً في الماء والطين
وقال:

ومن يغش قوماً الشيبه برده ... فيليه فيما بينهم عد منهم
وكانت له امرأة قبيحة سليطة فقالت له في يوم مطر وثلج أي شيء يطيب في مثل هذا اليوم فقال
التطليقات الثلاث.

ابو الفهم عبد السلام النصيبي: هو الذي يقول:
قبلته اشتفي بقبلته ... فرادني ذلك اللمى ألما
وسائل لي عن مبتدي سقمي ... مسقم عينيه مسقمي بهما
ويقول ما يشدو به القوالون كما ذكر المصيصي وأنا أشك فيه وقد كتبته لحلاوته وظرفه:

لما تألمته يفتر عن بردٍ ... ولاح لي في قميصٍ غير مزرور
أرسلت دمعني على الخدين منسكباً ... وصحت وأحربا من هتك مستور
أبو السمط الرسعني وأخوه أبو مالك: حدثني أبو الحسن علي بن فارس القزويني قال كان أبو السمط
وأخوه من أهل رأس عين وهما من أطرف الناس وأمجهم وأملحهم فأما أبو السمط فإنه ذكر رجلاً يأكل
وحده فقال يأكل وهو في أربعة فاستفسر فقال هو وظله والملكان وهذا كما قال أبو الحرث جمين وقد سئل
عن مائدة محمد بن يحيى فقيل من يحضرها فقال أكرم الخلق والأمهم يعني الملائكة والذباب، وسأل عن غلام
استشرطه فقيل هو فاسد فقال: في فساد صلاحه، ومن نواذر شعره قوله:
والذي أرسل إبراهيم بالحق وعيسى ... إن إسحق بن عمرو يشتهي آية موسى
وله في الجون:

ويحك يا ايرى اما تستحي ... تفضحني ما بين جلالي
تخرج من جيبي بلا حشمة ... وتطرح المنديل عن رأسي
وأما أبو مالك فإنه يقول:

جعلنا النرد ورداً كل يوم ... وأعملنا معتقة المدام
لنجعل نقلنا مما أفاءت ... فننتقل الحرام على الحرام
وهو القائل:

ملكك مجامع الظبي الريب ... أرى ما شئت من حسن وطيب
وفيه ما اصون كتابي عنه.

ابو الثريا الشمشاطي: حكى المصيصي كان أبو الثريا صديقي وكان يستكثر من الجواني ولا يصبر على
واحدة منهن حتى يبيعها ويستبدل بها فرأيت منهن جارية رومية تسمى ظريفة فقدمت يوماً إليه المائدة وقد
نسيت الملح فقال لها اين الملح فاشارت إلى وجهها وقالت هنا قال فعزمت على امساكها وقلت لها أتحسين
الحشو قالت ذاك إليك، قال وما علق بخفي من شعره ما أنشدني في أبي الأعين أنطاكى:

لي صديق منجم وطيب ... شاعر شعره غذاء الروح
فهو طوراً كمثلاً جامع سفياً ... ن وطوراً يحكى سفينة نوح
حدثني الحامدي أن من ألبيات التي علقها صاحب في سفينته قول أبي الثريا في مقطعة في مخط:

كأنه البدر في لألاء غرته ... قد زار جبريل في عيد فغلفه
أبو الفتح المحسن بن علي البديع: من أهل حمص يقول في الغزل:
بالذي المهم تعذي ... بي ثناياك العذابا
مالذي قالته عينا ... ك لقلبي فأجابا
ويقول في عزم صارم الدولة:
من كان يستعلى بتقليد ما ... يسوسه بالرأي أو بالبديه
فصارم الدولة ما حطه ... عزل ولا يرفعه ما يليه
فلا تطب أنفـس حساده ... فإنما أغمدته منتضيه
أبو الفرج بن حيدر الحمصي: قال من قصيدة:

ما كنت مفتخراً بما قلعت من ... مدحي لغيرك إذ مديحك ارتحى
فالبيت لم يفخر مجاوره إذا ... ما طوف الآفاق ما لم يحجج
ومن أخرى:

له من بين العوالي والمعالي ... وبين شبا المهندة الذكور
مقامات شرفن فما يبالي ... أمات على جوادٍ أم سرير
وقد أخطأ في ذكر موت الممدوح ومن حقه صيانتـه عنه.
ابو الوفا الدمياطي: يقول في المصريين من أصحاب عزيز:
إذا قطم ليلكم بمنام ... وأفيتـم ايامكم بمدام
فمن ذا الذي يـرجوكم للممة ... ومن ذا الذي يأتيكم لسلام
رضيت من الدنيا بأهون بلغة ... بشرب مدام أو بنيك علام
ويقول في عزيز مصر:

يا مالك الوقت والزمان ... ومن علا في عظيم شان
ضدان ما استجمعا لخلق ... وجهك والفقر في مكان
ويقول نثراً في أمرد النحى: قد صدئت مرآته وكسف بدره وتشوك زعفرانه وتسبيح زمرده.
ابو معشر الكاتب من أهل البحرين قال له العلوي الوسي: يا أبا معشر إنك كالمسك إن أمسك عبق وأن
بيع نفق، فقال: وأنت يا أيها السيد كالقطران وقع على البحر اخرج الدر أو علي البر أخرج البر، وقال
بعض السؤال واسونا يرحمكم الله فقال: إن واسيناكم ساويناكم، ومن بارع شعره من قصيدة:
وليلة خضتها على عجل ... وصبحها ببالظلام معتصم
كأنما الدجن في تراحمه ... خيل لها من بروقها لجم
وقوله:

أتاني زائراً فحكى هلالاً ... واتبعه صدوداً مستظلالاً

فقلت ألا تعود فقال لا لا ... دوام الوصل يورثك الملا
أبو الرماح الفصيحي: يقول في البرق:
إذا ما لاح أحر مستطيلاً ... حسبت الليل زنجياً جريحاً
ويقول في الفستق ما هو من أحسن ما قيل فيه:
مثل الزبرجد في حرير أحر ... في حق عاج في غشاء أديم
ونظيره قول أبي اسحق الصابي ولست أدري من السارق والمسروق منه:
والنقل من فستق حديث ... رطب تبدى به الجفاف
لي فيه تسبيه فيلسوف ... ألفاظه عذبة خفاف
زمرد صانه حرير ... في حق عاج له غلاف
والإمام السابق إلى وصفه الصنوبري في قوله:
وحظي من نقله إذ ما نعته ... نعت لعمرى منه أحسن منعوت
من الفستق الشامي كل مصونة ... تصان عن الأحداث في جوف تابوت
زمردة ملفوفة في حرير ... مضمنة درراً مغشى بياقوت
وأنشدني له بعض الغرباء وقد نسيت اسمه ويروى لابن سكرة:
ورد البشير مع الصباح بأنه ... لي زائر فاستعبرت أجفاني
يا عين قد صار البكا لك عادة ... تبكين في فرحي وفي أحزاني
ومن أمثاله الجيدة قوله:
قد يبعد الشيء عن شيء يشابهه ... إن السماء نظير الماء في اللون
أبو الغوث بن نحرير الميحي: ذكر المصيبي أنه أظرف الناس وأملحهم شعراً وأحضرهم جواباً وقال في
صديق جفاه:
هجر المعلى واستمر جفاؤه ... نفسي وان قرض العهود فداؤه
خل إذا الإغباب جدد غيره ... أضحي تجدده لدى لقاءه
وقال:
كان حناءها براحتها ... دماء من قتلت بهجرتها
وسودته فحلها لبست ... شباب من شاب في محبتها
نقشاً كأعطاف تدرح اخذت ... من زخرف الريش حسن زينتها
كأنها قد توسدت يدها ... فأودعتها واوات طرفها
وقال في الشقائق والنجس:
فتح الشقائق في منابت نرجس ... فلكل خد مخجل طرف أرق
كخرايط الديباج حمراً ختمت ... بالمسك بين شارعين مع ورق
وقال في الغزل المؤنث:

نظرت إلي بمقلتين فنمتا ... بضميرها الخافي ونحن سكوت
وكان في يمناهما هاروت يس ... حرني وفي يسراها ما روت
وقال:

إليك فمثلي لا يوحد في الهوى ... لمشركة في الود رث حباها
فلو نال عين الشمس كل محاول ... لما كان مغبوطاً بها من يناها
وقال:

إن كنت تبكي لحبيب مضى ... فابك شباباً قد مضى وانقضى
عوضني الدهر مشبي به ... وليته سوغ ما عوضا
سخطته والموت في أثره ... يحيل بالاكراه سخطي رضا
وقال في الغزل المؤنث:

طلعت بوجه عاذل لعواذلي ... يني بعذري لاحتيا للاحى
دربة البشرات إلا أنها ... مسكية النفحات والارواح
وقال:

مبدولة للعيون قد حظرت ... عما سواها من سائر الوطر
كأنها صورة مصورة ... لاحظ فيها لنا سوى النظر
وقال يشكر:

يوفر حالي أبو حازم ... كما وفر الغيث روض البطاح
خفيت على الدهر في ظله ... كخافية الريش تحت الجناح
سرقة من قول أبي نواس:

تسترت من دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
وقال:

بحثت لتعرف فتني فاستخبرت ... حبي إذا ما قلت حبك فاتني
حجبت حياء وجهها بأنامل ... حجبت بيهن محاسناً بمحاسن
وقال:

إن كنت تفجع مقلتي برقادي ... ضناً علي بطيفك المعتاد
فامنع سهادي أن شخصك مائل ... لتفكري نصب لعين سهاد
أغياك بخلك باللقاء على امرئ ... متصور لك في ضمير فؤاد
وقال في الحمى:

وحى حمتي النوم حتى كأنما ... شقوق جفوني في الصفاة صدوع
قرب شتاء ثم تعقب صايفاً ... أما لسنيك المنكرات ربيع

ادثر عنها بالحشايا تعللاً ... وليس لها عما تريد رجوع
إذا كان نبض السهم من باطن الحشا ... فكيف تجن المرء منه دروع
وقال:

أأرى عيوب العالمين ولا أرى ... عيبي خصوصاً وهو مني أقرب
كالطرف يستجلي الوجوه ووجهه ... أدنى إليه وهو عنه مغيب
وللاميرابي أبي الفضل الميكالي أيده الله تعالى في مثل هذا التشبيه وغير هذا المعنى:
كم والد يحرم اولاده ... وخيره يحظى به الأبعد
كالعين لا تبصر ما حولها ... ولحظها يدرك ما يبعد
وله قصيدة في مجد الدولة وقد خرج في حرب:
وقد بدأت اصوغ الفتح عن ثقة ... بغاية لك تجلو الدهر في حلل
أنال ما نلت من جدواك مبتدلاً ... حتى إذا قلت فيك القول لم يقل
لكل مصغٍ لشعري حين أنشده ... في محفلٍ طرب العنري للغزل
وقال:

صل السعي فيما تبغيه مثابراً ... لعل الذي استبعدت منه قريب
وعاوده إن اكدى بك السعي مرة ... فبين السهام المخطيات مصيب
وقال:

يا واحد الكافين والملك الذي ... دانت لعز علاه أملاك الورى
درت رسوم معاشر لم يدركوا ... شأوى ولا شقو العجاج الاكدرا
وييت بائتهم يغط موسداً ... وأبيت ليلى كالسليم مسهراً
اتنقد القول الرصين واجتني ... غرر المعالي منجداً أو مغورا
إن كنت تعطيه على الشعر اللهى ... فالشعر يقتضي أن تخص الاشعرا
إن كنت تبغي مدحهم أو شكرهم ... فعليك من إن قال قولاً ستر
وقال يستهدي شراباً:

دعوت أبا الفضل الورى ونسيتني ... ولي الف عين بالصديق موكله
فلا تطو انباء الذين دعوتهم ... فقد نقلت مشروحةً ومفصله
ولي قدح في كل دور ادرته ... فمر لي بهاتيك التفاريق مجمله
وقال من قصيدة:

ورب ليل غدافٍ خلت أنجمه ... فيه بواقي خمر لمعت فحما
معمراً طلع الجوزاء راکعةً ... كأنها قوست في طوله هرما
ومنها:

ابارق صدع الظلماء مضطرباً ... أم الوزير الخطير ارتاح مبتسماً

وقال في النرجس:

قد ضحك النرجس في الأقطار ... تجمع بين الزهر والنوار
لم ير شخص قبل في الإعصار ... ألف ضدي بردٍ ونار

كأنه إذ شيم بالأبصار ... يخدم يوم مهرجانٍ طاري
بدرهمٍ ضم إلى دينار

وقال:

لا غرو للزمن البخيل إذا سخا ... قد يرسل الحجز العيون النضخا
كأنه من قول الله عز وجل: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وقال:
قد فات أمس ولم اتق بغدٍ فما ... اعتد وقتي غير يومي الحاضر
والعيش وقتي وهو مني آخذ ... فالراي أخذي منه حظ مسافر
وقال من قصيدة:

لا يغرنك تجملتي فلقد ... اسبلته سترًا على سغب
هو كالخضاب على المشيب متى ... ما تبله تكشفه عن كذب
وقال وقد قبض على الوزير يوم الأربعاء:

يوم تمأوت شمس من عال ... مسخت به الأيام فهي ليال
وإذا اخبرت الأربعاء لأمهم ... فدبار في الأدبار اصدق فال
يا واحد الكافين بل يا كعبة ال ... عافين بل يا غاية الآمال
ما كنت الا العضب فلل حده ... بشياة مدرى الكاعب المكسال
فعلى قوافي الشعر حتى تنجلي ... شمس الضحى مني سلام القال
وقال:

وغضبي في الرضى بالتيه وسني ... وفترة لحظها نشوى القوام
نفث عن مقلتي نومي بوصلٍ ... وعن قلبي همومي بالمدام
فبت وعطفها في ضيق ضم ... كهطف الاعوجية في الحزام
وله:

عطر الماء نشر نور وزهرٍ ... غازلته به ذيول النسيم
وتحلت بهارها الأرض حتى ... حسدتها السماء ذات النجوم
ومن قصيدة:

اسف غيم وعلا سيله ال ... راعب حتى النقي بالنجاد
فقد اعار الروض وسمين من ... الحاظ سعدى وثنايا سعاد
تمله وابق مزجي الندى ... ومتقى السطوة حتى التناد

واستجبل سحراً وارداً لفظه ... في حالة سمع الفتى والفؤاد
ومن أخرى:

وعزام حمى عني المقام كأنني ... أجوب به الدنيا على قدم الخضر
ومن أخرى:

كفى القطر في الأعياد فخراً بأننا ... نرف لمغناك التهاني بالقطر
فعاوده ما حل بالزمان معاوداً ... وعامره ما امتدت به فسحه العمر
أأفرق ردي دون قوتٍ أرومه ... ورأيك مجبول على طولك الغمر
ولو أن للافلاك مالك في العلى ... غدا بلدها كالشمس والنجم كالبلد
تعلمت قول الشعر طفاً وصغته ... لكم اشياً حتى انقضى فيكم العمر
فلا غرو إن اسعتموني بطايلٍ ... يثبت في أبوابكم قدم الشكر
إذا كان خير الذخر ابقاه في الورى ... فإن قريض الحمد من اكرم الذخر
ومن أخرى:

ورب ليل خضته رامياً ... حمى ذراريه بفجرٍ مغير
والشرق قد مزق ظلماءه ... خط عمودٍ من صباحٍ منير
كسدة الملك جلا ليلها ... عن أفقها رأى الوزير الخطير
سما به الملك إلى أن غدا ... فرق السهى ترب مقر السرير
ومنها:

موحد السعى اتى مشياً ... للشمس يعلو قدرها عن نظير
دل على أنعامه صيته ... كالبحر يدعوك إليه الخريز
في هبة لا البرق رافي الخطى ... فيه ولا الرعد خطيب جهير
ومنها:

وغايقي ما يقنع الحظ من ... نشارة المترب نزر يسير
ومن يكن همك في صدره ... فالخلق والدهر لديه حقير
ومن أخرى:

غدا جيشه فضلاً عليه كما غدا ... له السيف فضلاً جفنه والحمائل
فما يرزق الأحرار إلا لعادةٍ ... تحكم أنعامٍ عليها ونائل
عزير السجايا تعتريه لاجة ... إذا لاهه في الجود والبأس عاذل
لئن جهل الأعداء ما قد منوا به ... فإن فراش النار بالنار جاهل
ومنها:

وشى بالربيع الطلق ورق هواتف ... تدانى الشرى أغصانهم الموائل
تميد بها في جانبيها كأنها ... طلي رجحتها بالنعاس الرواحل

يقبل بعض النور افواه بعضه ... إذا اعتنقت فيه الغصون الشوايل
وتصطفق الأوراق من نفس الصبا ... كما رفرف الطيار والليل قافل
سأشكرك النعمى التي تركت يدي ... يمن بها صوب الحيا وهو آمل
فسوف يبين العتق عندي بشكرها ... كما بان عتق الطرف والطرف صاهل
وقال:

بك استعيت ايامي قديماً ... كما فزع الغريم إلى الكفيل
بسابقة اختصاص صار فيها ... سيل عشيرك الأدنى سيلي
شريت بسالف الأنعام رقي ... ولم تك بالملول المستقبل
فاما أن تعين على مقام ... وأما أن تعين على رحيل
وقال:

ارضى بكل الذل في طلب الغنا ... وأعاف بعض مذلة الاقلال
كمن استراح إلى العمى حذر العشى ... وإلى المنية خوف قذال
ومن قصيدة:

زارتك أيام الربيع فاصبحت ... مستعديات منك بث مواهب
بغمائم نشرت على الحصباء كال ... حصباء من قطرات وبل صائب
لبس الغصون النور وشياً واغتدا ... درر القطار لها حلى ترائب
لفت منورها بمورقها الصبا ... لف العناق مطارفاً بذوائب
فتملها والمالك ما رقت صبا ... في الماء رقم حوافر في لاحب
واستجلها تحف النفوس كأنها ... نجوى المنى وعدت بوصل حباب
كأزاهرٍ بحمائِلٍ ووسائطٍ ... لقلائدٍ ومباسم لكواعب
وقال يهجو أبا الفضل زيد بن محمد بن علي بن القاسم:
أأبا النقيض ففي الفضيل مزية ... اربابها عن لمع برق جهام
من همة لك ليس فيها فضلة ... عن كأس مشمول واير غلام
تبدي اللواط بهم فلم تختارهم ... بفياشل زقية الاورام
وزعمت تعفجهم فلم خرجوا وقد ... رفعوا ذيول القمص من قدام
في فخر الملك وزير الوزراء أبي غالب محمد بن علي:
ما جاد بالوفر إلا وهو معتذر ... ولا عفا قط إلا وهو مقتدر
وكلما طرقوه زاد ناثله ... كالنار يؤخذ منها وهي تستعر
وله:

قد قلت لما ضعفت حيلتي ... وأشدت شوقي وجفاني الخليل
أصبحت مكروباً بلدا الهوى ... فحسبي الله ونعم الوكيل

أبومنصور عبد العزيز بن طلحة بن لؤلؤ: صاحب بريد الخليفة القادر بالله، من مشهور قوله السائر:

سألته قبله فبادر بالت ... قبيل مستبشراً إلى قدمي
فقلت مولاي إن أردت بما ... سرور قلبي جعلتها لفي
فقال كلا للعبد منزلة ... لزومها من حراسة النعم
وله من قصيدة في القادر عند جلوسه للحجيج:
عش سليماً أخرى الليالي البواقي ... لك من سطوة الحوادث واق
يا بديع الفعال بين ملوك ... ذكرهم ناقد وذكرك باق
نظر الله للعباد فولاً ... ك واعطاك قسمة الرزاق
ايها القادر الذي فوق قرن الش ... مس في بعدها وفي الأشراق
أنت للمجد هضبة رتب لنا ... س إليها في المكرمات مراق
طال ما فت طالبيك وغبر ... ت قديماً في أوجه السباق
وعمرت البيت الحرام واهدي ... ت إليه طرائف الآفاق
يسلك الراكب المكل إليه ... وهو فرد من امنه في رفاق
إنما وراث الخلافة من سا ... س الرعايا باللين والإشفاق
هذه بردة النبي التي كا ... نت إلى منكبيك بالأشواق
والقضيبي الذي يحن إلى كف ... ك لا بل يتوق كل متاق
في يفاع السرير اروع ما تع ... لق فيه الألاحظ غير استراق
اشبه الناس بالنبي أبي القا ... سم في خلقه وفي الأخلاق
يرعد القلب والفرائض خوفاً ... بين فسطاطه وبين الرواق

فلو أنا نستطيع يسن السماطي ... ن مشينا له على الأحداق
وله في فخر المملك أبي غالب:

أطال الله في عمرك للمعالي ... وكفك للعطيات الرغاب
ولا زالت سيوفك كل يوم ... تحكم في الجماجم والرقاب
فإنك أكمل الثقلين طراً ... وأكرم من مشى فوق التراب
ومن كلامه: ان النعمة لا تستدام بمثل الأنعام، والقدرة لا تستبقي بمثل العفو. ودعا لصديق فقال: صان الله
عن سماع المكاره سمعك وعن البكاء على الأحباب دمعك.
ابن أبي مرة المكي: يقول في أبي الفتوح والي مكة:
يا سيداً فديته بروحي ... خولك الله أبا الفتوح ملك سليمان وعمر ونوح
ويقول عند مقامه ببغداد:

أصوم شهراً ثم أخرج غادياً ... نحو المصلى اقطع الأميالا

فيجر ذا ثوبي وأجذب ثوب ذا ... وازاحم السقاط والأنذالا
شربي صبوحةً واستماعي قينةً ... أولى بأن ألقى به شوالا
ويقول في أبي خلف التكريتي:
رأيت أبا خلفٍ راكباً ... وقدامه تحمل الغاشيه
فلم ادر ايهما حية ... ولم أدر ايهما الغاشيه
أبو حمزة الذهلي: من اهل الطائف المقيمين بالعراق شاعر مليح الشعر ظريفه، أنشدني القزويني له من الغزل:
ومستريح لقتلي ... ما إن يمر ويحلي
سنوه عشر وخمس ... كالبدر عند التجلي
مصححي حين يدنو ... وفي الثاني معلي
ما شوش الصدغ إلا ... لكي يشوش عقلي
وله:

أظهر الكبرياء تيهاً وزهواً ... فقلقيه بذل الخضوع
وحباني ربيع خديه بالور ... د فامطرته سحاب دموعي
وأنشدني أبو طالب الطبري له في حمى رئيس ثم وجدته في شعر الرستمي من قصيدة ولم اسمع في معناه أحسن
وابدع منه:

وزائرة أتت من غير وعدٍ ... لتأخذ منك حظاً من نوال
هي الحمى التي تضحي وتمسي ... على ليث الشرى في كل حال
رأت سطوات بأسك في الأعادي ... فظتلك الهزبر من الرجال
فلما فاح عرفك من بعيدٍ ... تولت بانكسار وانخذال
أبوشبل الشعيري: من باب الشعر يتطيب ويتماجن ويشعر وسأله بعض من يعاديه عن دواء لعينه العلييلة
فقال خذ ورق الحجارة وغبار الماء وعصارة الشمس ودهن الجليد واجعلها شيافاً واكتحل به، وانشدت له
شعراً لم يعلق بحفظي منه إلا أول بيت:

إذا ما مت فلتمطر فؤوس ... ولا برحت عراقكم النحوس
وذكر علة رئيس كان يعالجه فقال: هي بيضة الديك وواحدة الدهر وساقاة الجيش وخاتمة السقم. العصفري
يقول في السلامي:

رأيت في الجامع حواقه ... في وسطها شيخ له شأن
عليه طرطور ودراعة ... لها ذيول وجربان
فقلت من هذا العظيم الذي ... كأنه في التيه سلطان
أجاءه جبريل عن ربه ... أم عنده وحي وتبيان
فقيل هذا شاعر مفلق ... له أماديح وديوان
فقلت أمرؤ القيس فقالوا صه ... فقلت هذا الشيخ حسان

قالوا ولا حسان هذا إذا ... قلت فذو الرمة غيلان
قالوا السلامي فقلت أطبقي ... ذا محلبان الصرع لبان
الشعر لا يسوى ولا أهله ... هذا فلم ذا الشيخ غضبان
وإنما الشاعر مستنزه ... تلهو به النفس وبستان
أما مجيد فهو مسترفد ... أو بارد الشعر فصفعان
أبو مسلم الجهني: يقول:
أمهّد لنفسك يا أبا الفياض ... وأعلم بأنك عن قليل ماض
ويحوز مالك وارث للمال أو ... موصى إليه أو وكيل القاضي
إن الكبير إذا تناهت سنه ... أعيت رياضته على الرواض
ويقول:
وإذا بليت تجاهل متحكّم ... يجد الخال من الأمور صواباً
أوليته مني السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جواباً
وله:

أتيت أخاً لي في حاجة ... وكنت عليه خفيف المؤن
فأنكر معرفته لم تزل ... وابدئ منكرة لم تكن
وقال وجاهدني وده ... أبو من ومن ومن وابن من
أبو الفضل الفضلي الكسكري قال يهجو:
عيناه عنوان شوم ... والشوم في العنوان
في صلب آدم سمي ... مبشر الأحران
وقال يحكي عن ماجنة ظريفة دواء الخمار:
يا لعيارة تقصر للعا ... شق بالظرف والنوار يومه
سئلت عن دواء الخمار فقالت ... كومة ثم نومة ثم عومة
وأنشدني له من لا أثق به:
كل أمر وإن تضايق جداً ... فله بعد ما يتضايق فسحه
فارج كشف البلاء عنك وشيكاً ... إن كشف البلاء في قدر لحه
أبوقيس التميمي: من أهل النهروان من أهل الحيرة أحد الظرفاء المجان ولشعره حلاوة وطلاوة كقوله:
نزلت على أبي سعدٍ فجي ... وهيا عنده فرش المقيّل
وقال علي بالطباخ حتى ... يزيد من البوازد والبقول
فعداني برايمحة الأمانى ... وعشاني بميعاد جميل
وقوله:

سوءة سوءة لوجه كتاب ... كل ألفاظه لدي زيوف
وكان الحروف منه سياط ... وكان السيوف منه سيوف
وقوله:

عد عمن شئت واندم ... تربح الأمن وتسلم
ما يساوي من إخلا ... لك انسان بدرهم
أبو الخطاب محمد بن علي الجبلي: هو حي يرزق وشعره عذب متناسب ومدح الشيخ أبا بكر القهستاني أيده
الله فاطب واللهي تفتح الله وأعطاه ديوان شعره بخطه فشاركني في فوائده كعادته في غيره فاخترت منها
قوله في قصيدة:

رويدك قد أصبحت جارا لأحمد ... وحسب امرئ أن يستجير بجاره
لأفضل من يغشى على بعد داره ... وأكرم من يعشى إلى ضوء ناره
ومنها:

ليهنك عيد بالسعادات طالع ... طلوع حبيب مسعف بمزاره
ومن أخرى:

توالت سعودي حين واليت مجده ... وفرغت قلبي إذا ملأت به كفي
صفا خلقه للمكرمات من القذى ... فأضحت له العليا مودنة تصفي
يدل على عليه حسن ثنائه ... كذلك فضل الطيب يعرف بالعرف
ومن أخرى:

معلل لي بوعد غير منجزه ... ومطمع في وصال غير باذله
ومستحل بسيف اللحظ سفك دمي ... أحجب بذلك من سيف وحامله
ومن ربعية:

ورياض مختالة من ثراها ... في برود من زهرها وعقود
وكان الغصون فيه عوان ... تتبارى زهواً بحسن القدود
وكان الأطيار فيها قيان ... تتغنى في كل عود بعود
وكان المياه في خلل الرو ... ض سيوف تسل تحت بنود
وكان النوار تغمز بالأع ... ين منه على ابنة العنقود
وله من قصيدة يهنيء بعض الرؤساء بالسلامة من نهب الغاغة داره:

تدل على تفضلك الرعايا ... كإدلال العبيد على الموالي
ولولا شبهة دخلت عليهم ... لما عرضوا لديك لنهب مال
إذا سوغت مالك كل عاف ... توهم سايغاً في كل حال
فلا يطمع ترققك الأعادي ... فإن الليث يلبد للصيال
ولا تستقصرن قرب حلم ... عن الأعداء أبلغ من نكال

وما ترضى مساعيك انتصافاً ... من السفهاء إلا باحتمال
إذا وقع القصاص على التساوي ... فما فضل العلاء على السفال
ومن أخرى في التهنية بالمصاهرة:

موهبة لم تزل لسؤدها ... تسمو الأمانى وتطمح الهمم
وعقد مهر جمال مفخره ... أولى به أن يهنأ الكرم
فيا لها وصلةً إليك بما ... ظلت وفود السعد تزدحم
إلى علاها الفخار منتسبٌ ... وعن سناها الزمان مبتسم
مجد حوى كهوه وما اقترن الس ... عدان إلا تلاقت النعم
لما أمرت عقود لحمتها ... ظلت عرى الحادثات تنفصم

إن كان وقفاً عليك مفخرها ... فسعدها في الأنام مقتسم
أبو يعلى محمد بن الحسن البصري: من شيوخ الصوفية وظراف الشعراء وفضلاء الغرباء وخلفاء الخضر
والأقذاء في عين الأرض قد نقب في البلاء ولقي أفضالها واستكثر من فوائدهم وحفظ الغرر من ظرائفهم
ولطائفهم وطراً على نيسابور في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة فأفادنا مما لم نجد عند أمثاله واستكثر عند
كتابه وأصحابه من تعليق القوائد والاقتبس من نوره وحين أراد الأمير على الإقامة بحضرته وازمع ارتباطه
في جملته لم يصبر عما ألفه من الإضطراب في الإغتراب وتعوده من عيش الحجرة وخبز السفرة وتروود من
بره وكتبه واقلب مسروراً إلى أهله فمن ملح ما انشدنيه لنفسه قوله من قصيدة في المدح هي غرة شعره:
طربوا إلى نغم القيان فبذهم ... طرب إلى نغم الوغى مرتاح
تمحو دجى الاعداء راحة كفه ... كرمًا كما يمحو الهموم الراح
يا ناصر الملك الذي آراؤه ... في كل خطب مظلم مصباح
قبلت ثغرا من مديحك نشره ... كالمسك فاح وطعمه التفاح
ومن أخرى:

يا أبا القاسم الذي قسم الرح ... من من راحتيه رزق الأنام
أنا في الشعر مثل مولاي في الجو ... د حليفاً مكارماً ونظام
وإذا ما وصلتني فأمر الج ... ود أعطى المنى أمير الكلام
وقوله من أخرى:

إذا المجد وافاني فليس بضائري ... نفور العذارى من بياض عذارى
عفوف عن الليل الطويل بذى الغضا ... لم ليالٍ بالشأم قصار
وقوله في دواة آبنوس:

ومغموسة مثل لون لعابها ... يضم حشاها ساكتا متكلماً
على مثل قيد الشبر لكن بأسه ... إذا طال طال السمهري المقوقاً

قرنت به هماً بعيداً وهمّة ... شروداً وفضلاً كاملاً متقدماً
وقوله في عجوز أكل:

لي عجوز كأنها الب ... در في ليلة المطر
ناطق عن جميع أع ... ضاءها شاهد الكبير
غير اضراسها ففي ... ها لذي اللب معتبر
أعظم غير أنما ... أعظم تطحن الحجر

أبو الحسن علي بن غسان البصري: حدثني أبو الحسن محمد بن الحسين الفسوي النحوي قال ورد ابن غسان
البصري الشاعر الطيب على أبو مضر عامل الأهواز في جملة الشعراء الذين امتدحوه ومرض أبو مضر في
ثناء ذلك فعالجه ابن غسان حتى برأ من مرضه فكتب للشعراء ولابن غسان خطوطاً بصلاتٍ تأخر ترويجها
فقال فيه و ملح وظرف:

هب الشعراء تعطيه رقااً ... مزورةً كلاماً عن كلام
فلم صلة الطيب تكون زوراً ... وقد أهدى الشفاء من السقام
قال وقد كتب إلى طلحة بن عبد الأعلى يحاجيه:
زعموا طلحة اضحى فطناً ... فسلموه الآن إن كان فطن
أي شيء هو مهزول إذا ... أشبعوه فإذا جاع سمن
فكتب إليه يا سيدي أبا الحسن هو ما أخرجنا منه.

تنمة القسم الثالث في

محاسن أهل الري وهمدان واصبهان

وسائر بلاد الجبل وما يجاورها من جرجان وطبرستان

الأمير أبو العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة: قد سبق ذكره في كتاب اليتيمة وتكررها هنا للعذر الذي
أشرت إليه وكان أوحد أبناء الملوك فضلاً وأدباً فأدركته حرقة الأدب وأصابته عين الكمال ولما خافه أخوه
فخر الدولة على الملك بعده أمر باغتياله نظراً لولده ولم يعلم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله وأن الملك لا
يلبث أن ينتقل بعده إلى من قدره الله له وقد كتبت لمعاً من شعر أبي العباس يلوح عليها وراء الملك كقوله
من قصيدة:

إني أنا الأسد الهزبر لدى الوغى ... خيسي القنا ومخالي أسيافي
والدهر عبدي والسماحة خادمي ... والأرض دارى والورى اضيافي
وله في الشيب وذكر جارية له تسمى الثريا:
ولما أن تنفس صبح شيبى ... طوى عني رداء الحسن طيا

تولت منيتي عني فراراً ... ترى وصلي لدى الفتيات غياً
فقلت هجرت يا سولي فقلت ... وهل تبقى مع الصبح الثريا
وقوله أيضاً في الشيب:

ولما رأت لمع المشيب بعارضي ... وقد جردت من جانبيه قواضيه
بكت ثم قالت للعذارى تجلداً ... وما خير ليل لا تلوح كواكبه
وقوله فيه ويروي لغيره:

وقالوا أفق عن رقدة اللهو والصبا ... فقد لاح صبحٌ في دجالك عجيب
فقلت أخلائي دعوني ولذني ... فإن الكرى عند الصباح يطيب
وقد سرقه من ابن طباطبا حيث يقول:

وقالوا لي استيقظ فصبحك لايح ... فقلت لهم طيب الكرى ساعة الفجر
ولأبي العباس:

أنا ابن ركن الدولة الجنبى ... لا تهمس الأقدار من خوفه
عدوه أهلك من ماله ... وعزمة أنقذ من سيفه
وله:

لئن ملك الدنيا على الجور قبلنا ... ملوك فما للعالمين لنا مثل
وإن سقاة الشرب لا عن كرامةٍ ... إذا دارت الصهباء تشرب من قبل
وله أيضاً

سأصبر حتى يجمع الله بيننا ... ولم ار حوتاً فارق الماء يصبر
وله من قصيدة:

تراهم تحت جبح النقع اسداً ... تهمهم في معاركها غضابا
تقول له العداة إذا تراءت ... ألا ياليتنا كنا ترابا

وحدثني أبو غانم معروف بن محمد القصري قال اشتط بعض المنجمين على أبي العباس في مشاهرتة وقد اراد
ارتباطه واستخلاصه لنفسه فلما اشرف ولج واحتج وأصر على أنه لا يقنع في الشهر بأقل من مائة دينار
نكت أبو العباس بأن قال إذا كان الظن يخطيء ويصيب والنجم يخطيء ويصيب فاستعمال الظن أولى فهو
أخف مؤنة من المنجم قال ولما بلغه أن فخر الدولة يتهمة باضممار السؤلة قال لبيته يعلم أن شجر الآس
يرضى من الفاس رأساً براس.

القاضي أبوبكر عبد الله محمد بن جعفر الأسكي: قد تضمن كتاب اليتيمة نبذاً يسيراً من شعره وهذا مكان
ما وقع إلي من بعد كقوليه وهو غاية في الظرف وانشدنيه أبو الفتح محمد بن أحمد الدباوندي أيده الله تعالى
قال أنشدني القاضي أبوبكر الأسكي لنفسه:

دمع تكمن في الجفون فرعته ... حذر الوشاة فلاذ بالأشفار

فكان اسيف الغواة تكده ... وكأنه عثمان يوم الدار
فتعجبت من مواردتي إياه بقولي منذ عشرين سنة:
إني بليت بسيدٍ كالدهر إذ ... ينحى بسوته على الأحرار
فرط الفظاظلة والصلابة دأبه ... وأنا لديه بذلة وصغار
فكأنه عمر بن خطاب إذا ... وكأنني عثمان يوم الدار
ولم اشك في أنه لم يسمع بقولي كما لم اسمع بقوله وحسبت قولي أمثل وارجح لجمعي بين عمر وعثمان رضي
الله تعالى عنهما وما أشبه الحال في هذه الموارد الا بمواردتي أباالفرج بن هند وبقولي في صباي من ننتفة:

إنسانة فتانة ... بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عيني بها ... فباللموع تغتسل
ثم وقعت إلي قصيدة له وفيها:
يقولون لي ما بال عينك مذ رأيت ... محاسن هذا الطي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل
وكت قلت في صباي أبياتاً منها:

كم حيلة للوصل أعملتها ... وكم خداع قد تمحلته
اسر حسواً في ارتغاء إذا ... ناجيت من أهوى فقبلته
فأنشدني الأستاذ أبو العلاء ابن حسول أيدده الله بعد مدة طويلة لنفسه في هذا المعنى بعينه:
جذبت كفي الغدائر منه ... فشممتنا منها نسيم العرار
الشم الصدع والسوالف منه ... احتجاجاً بأننا في سرار
فتعجبت من اشتراك الخواطر والتوارد في البدايع. عاد شعر القاضي أبوبكر الأسكي أنشدني أبو الفتح
الدباوندي له في زوال الدولة وانقراض أهلها:
تحيل شلة الأيام لنا ... وكن بصروف دهرك مستهينا
ألم تر دورهم تبكي عليهم ... وكانت مألفاً للعز حيناً
وقفنا معجبين بما إلى أن ... وقفنا عندها متعجبين
وله في فتى مليح صلى إلى جنبه:
صلى بجني قمر طالع ... وقد توجهت إلى القبلة
فقال شيطان التصابي انحرَف ... فإن هذي قبلة القبلة
وله في الغزل أيضاً:

لما لحاني العذال قلت لهم ... والدمع ينظم والصبر مبثوث
مروا دعوني كذا على اسفي ... بيني وبين الهوى أحاديث
وله في الصاحب:

كل بر ونوال وصله ... واصل منك إلى المعتزله
يا بن عبادٍ ستلقى ندماً ... لفراق الجيرة المرتحلة
أبو علي مسكويه الخازن: في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر وكان في ريعان شبابه متصلاً
بابن العميد مختصاً به وفيه يقول هذين البيتين ووقعاً في اليتيمة بلا ثالث:
لا يعجبك حسن القصر تنزله ... فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ... ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
ثم تقلت به أحوال جلييلة في خدمة بني بويه والاختصاص ببهاء الدولة وعظم شأنه وارتفع مقداره وترفع
عن خدمة صاحب ولم ير نفسه دونه ولم يخل من نوائب الدهر حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من
الفضلاء

من عذيري من حادثات الزمان ... وجفاء الإخوان والخلان
شاب رأسي وقل مالي وصدت ... عني البيض والتحى غلmani
وله من قصيدة في عميد الملك تفنن فيها وهناهه بإتقان الأضحى والمهرجان في يوم وشكا سوء أثر الهرم
وبلوغه أرذل العمر:

قل للعميد عميد الملك والأدب ... أسعد بعيديك عيد العجم والعرب
هذا يشير بشرب ابن الغمام ضحىً ... وذا يشير عشياً بآبنة العنب
ومنها:

خلائق خبرت في كل صالحة ... فلو دعاها لغير الخير لم تجب
هي التي غمستني في مودته ... بالجسم والروح أفديهن لا بأبي
أعدن شرخ شباب لست أذكره ... بعداً وردت علي العمر من كئيب
فطاب لي هرمي والموت يلحطني ... لحظ المريب ولولاهن لم يطب
فإن تمرس بي خصم تعصب لي ... وإن اساء إلي الدهر أحسن بي
ومنها

أدركت بالقلم الخطي من قصب ... ما ليس بالخطي والقضب
ونلت بالجد والجد اللذين هما ... امنيتا كل نفس كل مطلب
فلو أدت رحي الدنيا مفوضةً ... إليك اقطارها دارت بلا قطب
ومنها:

وقد بلغت إلى أقصى مدى عمري ... وكل غربي وأستأنست بالنوب
ومنها:

إذا تملأت من غيظي على زمي ... وجدتي نافخاً في جذوة الاله
ومنها:

ما الدهر إلا كيوم واحد غده ... كأمس يومك والماضي كمرقب

فإن تميت عيش الدهر أجمعه ... وإن تعين ما ولى من الحقب
فانظر إلى سير القوم الذين مضوا ... والخط كتائبهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم في الفضل مختلفاً ... وإن قاربت الأحوال في النسب
هذا كتاج على رأس تعظمه ... وذاك كالشعر الجافي على الذنب
والنفس في العين أشباه وبينهم ... ما بين عامر بيت الله والحرب
في العود ما يقرن المسك الذكي به ... طيباً وفيه لقي ملقى مع الخطب
لا تطلبوا المال من حول ومن حيل ... فرما جاء مطلوب بلا طلب
يأتي الفتى رزقه المقسوم عن سبب ... باد يراه وقد يأتي بلا سبب
واستخصموا الفلك الدوار يلقكم ... بحجتي رغب إن شاء أو رهب
أراه يسكن عني وهو يرخص بي ... ركض الفوارس بالتقريب والخب
كالنار تأكل ما تحبى به لهما ... وليس تفرق بين النبع والغرب
أصبحت أجرد والأحداث تجردني ... دأب الجراد إذا استولى على العشب
وصرت ديناً على الدنيا لآخري ... رسل المنايا تقاضاها وتمطل بي
قاسيت أحوال هذا الدهر مرتكباً ... أهوالها وصريعاً غير مرتكب
ومن تعود عض السيف هامته ... هانت على إلبته عضه القب
وهي طويلة وكأنه جمع إحسانه فيها، وكتب إلى أبي العلا بن حسول قصيدة منها:
ولقد نفضت بهذه الد ... نيا يدي وحسمت داء

ماذا يغرنى الزما ... ن وقد قضيت به قضاءي
أو بعد ما استوفيت عم ... ري واطلعت على فناءي
أصطاد بالدنيا وين ... صب لي بها شرك الرجاء
هيهات قد افضيت من ... صبح الحياة إلى المساء
وبلغت من سفري إلى أقصاه مذموم العناء
وله من قصيدة في أبي العباس الضبي كأنها قول ابن الرومي:
ما كان أغنى أبا العباس عن شره ... إلى لحوم سباع كن في الأجم
يسترجع القوت أمضاه سواه لنا ... لوماً ويبدله للشاء والنعم
صبرت حولاً على مكروه نغمته ... فليصبر الآن لي حولاً على النقم
سيعلم الوغد إن لم تؤت فطنته ... من كثرة أهم أو من قلة الفهم
إني لألقاه مما استعد له ... بكل عجاء لكن ليس من سلم
إذا خبطت بها عرض امرء لحجت ... في سمعه يده شوقاً إلى الصمم
ومنها:

إذا اضطجعت أتاني الشعر يقدح لي ... من ناره وأتاني الليل بالفحم
وصائع الشعر لا يرضى سيكته ... حتى يفرغها في قالب الحكم
يصب في مسمعيه ما أذيب له ... كالقطر افرغه الباني على الردم
إذا تورم غيظاً ضاق مضطره ... حتى يوسعه الإطراق للندم
إني وإن كنت لا أَرْضى الخنى لقمي ... ولا أحط لقول فاحشٍ هممي
ليستريح إلي القول احوجه ... حر السكوت إلى الترويح بالنسم
إن القوافي كفتني نظم أنفسها ... فهن ينظمن لي من كل منتظم
تدنو شواردها حتى يعض لها ... ذهني فأنفضها منه على قلبي
خذها إليك أبا العباس جامعة ... شنعاء توقد نار الحجر في علم
لقتيني بوقار العلم محتشما ... وهجتي فائق جهلي غير محتشم
ومنها في هجاء الصاحب بعد موته بزمان:

لا كان ابن عباد وغلتمته ... ما كان اسرعه في كل مغتلم
دمي جبين أبا العباس فهو يرى ... تغيير كل جبين واضح بدم
أحفاه بالقلم الحافي وعلمه ... خلاف ما علم الرحمن بالقلم
قد كان أهوج رث العقل مقتحماً ... على الدنيات وقافاً لدى التهم
ومن يدر مثل عيني طيشه لمّا ... لم يرض من فخذ الأحداث باللمم
لأهدين لأفواه الرواة له ... لحماً تمضغه الأفواه عن بشم
وختم القصيدة بقوله للضيبي:

مازلت مذ كنت سلاحاً على كمر الن ... ازي عليك وبوالا على القدم
الأستاذ أبوسعده منصور بن الحسين الآبي: هو الذي يقول فيه الصاحب:
قل لأبي سعد فتى الآبي ... أنت لأنواع الخنى آب
الناس من كانوا أخلاقهم ... وخلقك المعسول من آب

وتقلد الوزارة بالري وكان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة وهو الآن في ولاية فضله وسروره
وهناك من شرف النفس وكرم الطبع وعلو المهمة وعظم الحشمة ما الأخبار به سائرة والدلائل عليه ظاهرة
ثم هو من أجمع أهل زمانه لحاسن الآداب وأغوصهم على خبايا العلوم وله من المصنفات كتاب التاريخ الذي
لم يسبق إلى تصنيف مثله وكتاب نشر الدر وله بلاغة بالغة وشعر بارع كقوله على طريقة أهل الحجاز:

على التلعات البيض من ابرق اللوا ... تالؤ برق مثل ما ابتسمت سعدا
واتلع ان ناش الأراكة لم يدع ... لها فننا سبطاً ولا ورقاً جعدا
إذا وردت ماء العذيب ركائي ... فقد أعشبت مرعى وقد أعذبت وردا
يرف عليها الإقحوان غدية ... وقد عله طل كدمعي أو أندى

هنا لك قوم كلما زرت حيهم ... لقيت أبا سعد به الطائر السعدا
عقائله يفرشن بالورد طرقة ... لتوطئه أن جئته الفرس الورد

وكتب إلى أبي سعد الزنجاني وقد اصطحبا في استقبال وكانت مع غلام أبي سعد سفرة فردها بعكمها إلى
المنزل وتركهم جيعاً ويقال أن هذه الأبيات فيما تشتمل عليه سفرة الزنجاني أحسن واظرف من أبيات
كشاجم فيما تضمنته جونتته:

بئس المصاحب في السفر ... من ليس يسمح بالسفر
يا سفرة رجعت على ... أعقابها تمشي الخمر
الوى بها ريب الزما ... ن ومن يطيق يدا القدر
كم كان فيك من النوا ... هض والدجاج وما حضر
من لحم جدي أن نظر ... ت إليه امتعت البصر
فإذا كشطت الجلد عنه ... كشفت عن بيض الجبر
ما بين ارغفه السمي ... ذ كمثل دارات القمر
وقدير سكباح من ال ... ملحاء او زور البقر
قد زعفره وقطعوا ... فيه مع البصل الجزر
كسبائك العقيان قد ... قرنت إلى أكر النقر
يا حبذا تلك القطا ... ع وحبذا تلك القدر
ومطاول اللغات في ... ها مسبطاً ذا عجر
مثل الأيور بلا فيا ... ش والزباب بلا كمر
قد داعبه بهذا البيت لأنه كان ينسب إلى الابنة:
والبيض مسلوفاً على ... شكل اليتيمة في الدر
فمشدخ فيه كنس ... رين يغاديه المطر
ومنصف كالترجس ال ... ربان في وقت السحر
ومدحرج من قشر جو ... ز الهند تحكيه الأكر
فيه من الملح المطي ... ب والأبازير الآخر
والجن والزيتو ... ن والليمون وشيراز أغر
ضحك العيال لعودها ... ومشيت ابكي في الأثر
وله في غلام هندي:

يا عائي بالهند إن ... فناههم أضحي بليه
أحرق نفسي في هوا ... ه لأن ذاك لهم سجي
كالصعدة السمرء غا ... در صعدتي مثل الحنيه

صنوا الألوة والالآ ... لى والقنا والمشرفية
زين المجالس والموا ... كب والندامى والسريه
في الحرب ليث خادر ... والسلم مخدرة حيه
ملء المفاضة بكرة ... ملء الحشية بالعشيه
ما إن أخاف عليه ثما ... ماً سوى وضح الشيه
وكتب إلى الإستاذ أبي العلا هذه القصيدة الكتابية من فيروز كويه يصف البرد الشديد ويذكر اصدقاه
بالري ويجد مرة ويهزل أخرى ويفصح عن كل ظرف مليح ومزح لطيف وتدل على اقتدار وتوسع وتجري
القصيدة مجرى الكتاب:

يا كاتبي ألق الدوا ... ة وقط حافية الأباء
ارهف يراعتك التي ... تزي مضاء بالقضاء
وأجمع خواطرك التي اك ... تسبت ذكاء من ذكاء
و انقع عليك دواتك ال ... حرى بنقس أو بماء
وتناول الدرج الملط ... ف واتخبه ذا صفاء
واكتب لسيدنا صفي ... الحضرتين أبي العلا
من عبده الآبي مع ... طيه القياد بلا إباء
أنعم صباحاً أيها الأس ... تاذ وأنعم بالمساء
وقمل عزاً دائماً ... مرخى له طول الرخاء
وابلغ نهايات المنى ... وتعد أرجاء الرجاء
لإني كتبت وقد لوت ... عضد السرور يد الشاء
واسالت العبرات من ... عيني دمائي بل ذمائي
والبين يخطر بيننا ... وتجر أهذاب الرداء
متبخراً أي أني ... أقضي واطلم في القضاء
فكتبت من فيروز كو ... ه مفر عزى وارتقائي
من مورد الملك الأشم ... ومصدر النعم الرواء
لثلاث عشرة جزن من ... شعبان يوم الأربعاء
عن نعمة وسعادة ... ومزيد عز واعتلاء
وسلامة لو لم يكد ... رها تراخي الإلتقاء
والحمد لله الذي ... أولى الجزيل من العطاء
وعلى النبي وآله الص ... لوات نامية الزكاء
مالي كتبت وما اجب ... ت تنكباً سنن السواء

أأنفت من رد الجوا ... ب وما أنفت من ابتدائي
إني انتميت إلى ولائ ... ك فارع لي حق الولاء
ظهر اعترازي باعتراي ... وبدا نماي بانتمائي
ومنها في وصف البرد:

في موضع خفتت به ال ... أصوات برداً في النداء
فالريق يجمد في اللهـا ... والصوت يجمد في الهواء
نطاً الزجاج من الزجاجـا ... ج إذا مشينا في فضاء
والجو يلمع في نوا ... حيه ضريب كالهباء
وكأثما صقلت به ... يـض السيوف أو المراء
جمدت له الصهباء حتـ ... ى قد أتك بلا إناء
فإذا أردت خرطت فصـ ... ك من رحيق أو طلاء
لو عاين العذرى مـث ... وى قد رضيت به بوائي
أو حله الهاه عن حرـ ... الهوى برد الهواء
ومنها

فالآن قل لي كيف أنـ ... ت وكيف إخوان الصفاء
من كل مشبوح الذرا ... ع مشيع غمر الرداء
سام تنوس ذؤابتـا ... ه على شطاط كاللواء
واعلد فتى زنجان فيـ ... هم فهو عين الأصدقاء
فهو السليم على انتفا ... دي والصحيح على انتفائي
عين الصديق بلا امترا ... ء والشفيق بلا مرء
وعصابة أخرى أحـا ... شيهـم من الداء العياء
ومعاذ ربي أن يرـ ... ن فقيه قوم بالبغاء
أو أن يقال لخازن السـ ... لطان لص ذو ارتشاء
بلغ جميعهم السلا ... م وقل لقاؤكم شفائي
لا تبلغني إن كتبـ ... ت سلام أولاد الزناد
وإليك ألف تحية ... من حاجتي لا بل كيائي
من جنـتي يوم التلاقي ... جنـتي يوم اللقاء
شمس الندى إذا بدا ... أسد الوغا رشأ الخباء
جدي وهزلي منه ما ... بين الغناء إلى الغناء
واراك تشمت إن عرفـ ... دنوه للإلتحاء
رفقاً فقد زاد العنا ... ر برغمكم ضعفي بلائي

والشاطر العيار بل ... غه سلامي في خفاء
لا يفطنن لذك من ... تلري فيغري بالجفاء
قمر كأن جبينه ... فلق العمود من الضياء
أفديه بالعمر العزيز ... إن ارتضاني للفداء
أبلغه مالكتي وني ... ك بالرسول من الشقاء
أبلغه أنك نائب ... عني على جهة الإخاء
قبله عني لو يرو ... ي غلتي ويسك دائي
رد من مراشفه العذا ... ب مشارب العذب الرواء
واحلل قراطقه برف ... ق وأسر أعطاف القباء
وإذا هممت بغيره ... لقيت لاذعة الخصاء
وسقيت كافوراً وسا ... ثر ما يطفي من دواء
وجزيت عن وهي ووق ... دة لوعتي شر الجزاء
أدعو عليك وما أرا ... ك تخاف عادية الدعاء
ولدعوة المظلوم مض ... طرب فسيح في السماء
وله قصيدة في هجاء أهل الري قالها على لسان أبي القاسم ابن حريش كهذه التي قد مرت في الطول
والجودة والتناسب وأولها:
تباً لرجرجة من الكتاب ... ما علموا الآداب في الكتاب
ما بين مأبون يوارى سوءة ... لأخيه مقتدياً بفعل غراب
ومنها:

أنا إن شعرت أنيك أم كشاجم ... وإذا كتبت اشق سرم الصابي
وهي أطول من أن يتسع هذا الكتاب للجمع بينهما وبين التي تقدمتها ونشد أبوالفتح الدباوندي له:
إذا الليل اسبل اذياله ... وضم أبا حسن والحسن
فإني بريء من المصطفى ... لئن كنت أعلم من ناك من

الأستاذ أبو العلاء محمد بن علي بن الحسين صفى الحضرتين: أصله من همدان ومنشأؤه الري وابوه أبو القاسم
من يضرب به المثل في الكتابة والبلاغة وكلامه في غاية البراعة يصعب على التعاطي ويسهل على الفطنة
وقد علق تحفظي فصل من رسالة له في علو السن وتناهي العمر فكتبته وهو: ما الظن بمن خلق عمره
وانطوى عيشه وبلغ ساحل الحياة ووقف على ثنية الوداع واشرف على دار المقام ولم تبق منه إلا أنفاس
معدودة وحركات محصورة ومدة فانية وعدة متناهية. وسمعت أبا العلاء يقول سمعت أبي يقول لما حبسني
الصاحب وطال لبثي في حبسه وكاد اليأس يستولي عليّ اتاني آت في منامي وقال لي الخير باق والاحسان
واق والمرء ما قدم لاق، فلم يدر الإسيوع حتى فرج الله عني ويسر خلاصي. قال مؤلف الكتاب وأبو العلاء

اليوم من افراد الدهر في النظم والنثر وطال ما تقلد ديوان الرسائل وتصرف في الأعمال الجلائل وحين طلعت الراية المحمودية بالري أجل وبجل وشرف وصرف وانفض في صحبتها إلى الحضرة بغزنة حرسها الله رغبة في اصطناعه وتكثرأ بمكانه ولما ألفت الدولة المسعودية شعاع سعادتها على مقر الملك ومركز العزيز في أكرام أبي العلاء والإنعام عليه وأوجب الراي أن يرد إلى الري على ديوان الرسائل بها فخلع عليه وسرح احسن سراح ولقيته بنيسابور فاقتبست من نوره واغترفت من بحره وهو الآن بالري من أجل حال وأنعم بال وقد كتبت ها هنا غرراً من شعره الكتابي البعيد المرام المستمر النظام، فما قوله لأبي منصور الآبي من قصيدة:

وي إلى الدهن هذا شوق يورقني ... وإن تغير عما كنت أعهده
فيه سجايا من المعشوق أعرفها ... تجنى على عاشقيه ثم يجرد هو
وفي آخرها:

خذها إليك بلا لفظ تكدره ... على الرواة ولا معنى تجعده
كالماء تسكبه والمسك تفتقه ... والوشي تنشره والتبر تنقده
وأنشدني له أبو الفتح الدبائندي في الغزل:

أتاني ممسياً من غير وعدٍ ... كذاك البدر موعده الأصيل
كحيل الطرف ذو خط خفي ... كأن عذاره أيضاً كحيل
وله في الاعتذار من الاخلال بالخدمة لعارض رمد من قصيدة:
قد صدي رمد ألم بناظري ... عن قصد خدمة بابه ولقائه
أو يستطيع الرمد أن يستقبلوا ... لمعان نور الشمس في لألائه
وله في الهجاء:

يا بن بدر أن اغفلت لك الليالي ... فللوم ودقة وهوان
إنما استقدرتك مساً فحتى ... جرت لؤماً على صروف الليالي
وله في أمرد علوي ولم يسبق إليه:

وازهروا من بني الزهراء يرو ... إلي كما رنا الطي الكحيل
فهاهي الدين والاسلام عنه ... فليس إلى مقبله سبيل
إذا أرسلت الحاظي إليه ... فهاهي الله عنه والرسول
وله في الحكمة:

قد فليت البلاد غوراً ونجداً ... وقبلت الأمور ظهراً لبطن
فرايت المعروف خير سلاح ... ورأيت الإحسان خير محن
وله في رئيس معزول قعد فوقه في مجلس الوزير:
تقعد فوقني لأي معنى ... للفضل للهمة النفسه
إن غلط الدهر فيك يوماً ... فليس في الشرط أن تقيسه

كنت لنا مسجدا ولكن ... قد صرت من بعده كنيسة
كم فارس أفضت الليالي ... به إلى أن غدا فريسه
فلا تفاخر بما تقضي ... كان الحرا مرة هريسه
وله وقد دخل إلى رئيس فلم يقم له:
دخلت على الشيخ مستأنساً ... به وهو في دسسته الرفع
وقد دخل الناس مثل الجراد ... فمن ساجدين ومن ركع
فهش ولكن لمردانه ... وقام ولكن على أربع
وأرسل في كمة مخطئة ... بدت لي على صورة الضفدع
فهو عني ما تأملته ... وزعزع روعي من أضلعي
وأعرض إعراض مستنكر ... تصدر مثلي ومستبدع
فأقبلت اضطر من خيفة ... وافسو على السيد الأروع
وقمت فجددت فرض الوضوء ... وكنت قعدت وطهري معي

ورام الخضوع الذي رامه ... أبي من أبيه فلم اخضع
وكيف أقبل كف امرئ ... إذا صنع الخير لم يصنع
فيقبضها عند بذل اللهى ... ويسطها في الجدا الرضع
واني وإن كنت ممن يهون ... عليه تكبر مستوضع
ليعجبني تنف شيب السبال ... وصفع فمحدودة الأصلع
خراها ولو أنه ابن الفرات ... وحرها ولو أنه الأصمعي
وله من قصيدة مداعبة إلى أبي سعد الزنجاني في نهاية الفصاحة والملاحاة:
يا أبا سعد الموالي المعادي ... والمصافي لخله والمصاد
والذي لا يكاد يفسق إلا ... بالرتوت الأجلة القواد
والذي قد اقام ما بين فخذي ... ه عموداً يزري بذات العماد
فهو شر على الأعادي شمر ... وبلاء بال على الأجناد
والذي تعمش الندامى من الصو ... ع ويسقي الأضياف من غير زاد
والذي يرسل الرياح على الكت ... اب حتى كأنهم قوم عاد
فيصيب العناق الشيب من قو ... م كبار وسادة أمجاد
لا يحاشي من عارض العارض الش ... يخ ولا يستحي من الأنداد
بل يعم اللحى فليس ييالي ... ببياض وشمطس وسواد
والذي قد يرى التطفل ديناً ... فهو دين الآباء والأجداد
لا ترراه في داره قط يوماً ... في النوايز لا ولا الأعياد

فهو وقف على الطريق متى يس ... مع وطىء الداعي وصوت المنادي
ومنها:

أنت فرعوننا وذو وتدٍ فر ... د وفرعون كان ذا أوتاد
أنت نار في مرتقى نفس الحا ... سد ماء جار لأهل الوداد
قد كذبنا فالضد أنت أبا سع ... دٍ فخذ ما يقال في الأضداد
أنت ماء لكنه في سواد ال ... عين نار لكنها في القوَاد
وإذا ما أردت أن يسكن الخط ... ب وتنجو من حية بالواد
ويعود العتاب عندي عني ... وتعاد السيوف في الأعماد
فاستزري أو زرني اليوم أو كن ... للتلاقي غداً على ميعادٍ
وله من قصيدة عبيدة:

تبلى الأفق الغربي وابتسما ... وأظهر القلك السر الذي كنما
ولاح ذو هيفٍ حلو شمائله ... منحف نجم اللذات إذ نجما
مرت ثلاثون يوماً كلها حقب ... ألقى بمن الصدى والبارد الشبما
القي المعازف والقيان سداً ... والكس مهجورة والرطل مهتضما
وله من قصيدة قنينة بمولود:

افتر ربك عن هالكٍ باد ... فأضاء مطلعته وفاح الناد
وافك ترب على وخذن مكارم ... وسرور أحباب وغيظ أعادي
متقيلاً لك مذهباً في الفضل وال ... أفضال والإسعاف والاسعاد
قد أفصحت أخلاقه عن همة ... بعدت على قرب من الميлад
فبقيت منصوراً به مستسعداً ... بمكانه ناراً على الحساد
حتى تبدل مهده بمسوم ... طرفٍ وطوق سخبه بنجاد
فيشيد لاحق فضله بسوابق ... قدمت وطارف مجده بتلاد
وله في المداعبة باقتضاء رسم:

يا من له في الجود تبريز ... وفيت بي اين الشواريز
صنفان ذا يعجمه بقله ... وينقط الآخر شونيز
والسمن لم يشترط ولكن لكي ... يكون بالثالث تعزيز
من قوله تعالى فعززنا بثالث:
فأنت عند الخل مزن لنا ... يهمني وعند النقد ابريز
ومطلب المأكول مستظرف ... وهو إلى الكدنة دهليز
وله من نثفة إلى وزيرين أخوين داعب فيها بذكر رجل يعرف بالسويسى ووصفه بالبحر:
تفديكما نفسي التي ... بكما وعندكما تسر

هذا السويسي الذي ... في وجهه من فيه دبر
يقرأ السلام عليكما ... بفم به التسبيح كفر

وله من قصيدة ذكر فيها همدان:

يا ايها الملك الذي وصل العلى ... بالجود والأنعام والاحسان
قد خفت في سفر أطل علي في ... كانون في رمضان من همدان
بلد إليه أنتمي بمناسبي ... لكنه قنر من البلدان
صبيان في القبح مثل شيوخه ... وشيخه في العقل كالصبيان

الاستاذ أبو عبد القاسم عبد الواحد بن محمد بن علي بن الحريش الإصبهاني رحمه الله تعالى: بقية الشعراء
المفلقين وافراد الدهر المبرزين وأقمار الأرض الجامعين بين بلاغة النثر وبراعة النظم وهو اصبهاني المولد
رازي الموطن غزنوي النعمة نيسابوري التربة ولم يزل بالري في ظل الكفاية يطير ويقع ويفيد ويحقق إلى أن
طلعت الدولة المحمودية فانضاف إليها وصرف إلى خدمتها وارتبط في جملتها وتوفر حظه من نعمتها ورسم له
الانتقال في صحبة الراية العالية إلى خراسان ومنها إلى الحضرة بغزنة حرسها الله ففعل ولم يزل مقيماً بها
عزيزاً مكرماً ولجلائل الأعمال مرشحاً إلى أن طلعت الراية المسعودية به أدام الله رفعتها فزيد في اجلاله إلى
أن كر الركاب العالي إلى نيسابور وهو مشرف بخدمته مرتبط في جملته موفر الحظ من نعمه ومواهبه
فجمعني بها وإياه مناسبة الأدب وفتقنا نوافج المذاكرة وتجاذبنا أهداب المحاضرة والمناشدة ولد لنا العيش
وطاب الوقت بالمعاشرة فأنشدني يوماً لنفسه قصيدة منها هذا البيت:

وليل خداري الجناح مخدر الص ... باح حرون النجم طاولته فكرا

فاستعدته إياه فأعاد فقلت له أو علمت أنه مرصع وفيه تجنيس وتسجيع واستعارة وطباق فاستفسرني فقلت:
أما التجنيس فقولك خداري الجناح ومخدر، وأما التسجيع فقولك خداري الجناح ومخدر، وأما التسجيع
فقولك خداري الجناح مخدر الصباح، وأما الاستعارة فقولك حرون النجم، وأما الطباق فجمعك بين الليل
والصباح، فقال والله قد نبهتني على ما غفلت عنه، وقام إلي فقبل راسي وقال لي كل حسن، ووصفني بكل
جميل وقبل رأسي مرة أخرى وذلك أنني أنشدته مرثيتي للملك الماضي رضي الله عنه وأرضاه:

عجباً من تماسك الأفلاك ... ومساغ الزلال في الأحناك

وثبات الجبال بعد زوال الطو ... د ذي الطول مالك الأملاك

فلسان الزمان شاكٍ وطرف الد ... هر باكٍ والرزء في الملك ناك

وأنشدته قولي مرة في السلطان الأعظم ادام الله ملكه:

نثرت عليك سعودها الأفلاك ... وعنت لغرة وجهك الأملاك

زوجت بالدنيا لأنك كفؤها ... فاسعد بها وليهك الأملاك

فالأرض دارك والورى لك اعبد ... والبدر نعلك والسماك شرك

فأراد أن يفعل فعلته الأولى والثانية حتى ناشدته الله وحياة السلطان فاعفاني وجرت بيننا فوائد وقلائد يطول

الكتاب بذكرها ولم تطل أيامنا حتى أصابته عين الكمال فلحق باللطيف الخبير في جهادي الأولى سنة اربع وعشرين واربع مائة.

فمن عزر شعره وعقد سحره قوله وكنت سمعته قديماً:

سألت زماني وهو بالجهل عالمٌ ... وللسخف مهتر وبالنقص مختص
فقلت له هل من طريق إلى الغنا ... فقال طريقان: الوقاية والنقص
وقوله:

يا ايها الرجل الذي جربته ... فرأيت شخص النقص كيف يكون
والله ما يختار مثلك عاقل ... لكن علامات الزوال فنون
ومن الغرر التي أنشدنيها لنفسه قوله:

يكلفني أعضاء عيني على القذى ... زمان غبي جائر الحكم جائره
وأعظم ما بي أنني غير واجدٍ ... نظيراً اباريه وقرناً ابارزه
وقوله:

يطالب الصدق من ذات الوشاح لعاً ... من عشرة الظن أو من خيبة الطلب
هيئات أن تجد الحسنة ناطقةً ... بالصدق ما وجدت باباً إلى الكذب
وقوله:

المسك من عرفه والراح من فمه ... والورد من خله والرمل من ازره
تعجبت بابل من سحر مقلته ... والروم من وجهه والزنج من شعره
وقوله من قصيدة:

نظرنا فمن قلب تضرم وقده ... أنيناً ومن جفنٍ تسلسل ودقه
أنادي غزلاً مصرع الأسد دابه ... به وهاللاً مصنع الوشي أفقه

فللشمس مرآة وللجو لطفه ... للمسك رياه وللراح خلفه
وقوله وقد استشعر خوفاً:

يضيق صلري فيسليني اعتلاق يدي ... حبلاً من الله مشتداً مرائره
إذا تبينت من ألطافه أثراً ... على طليعة أمري هان سائره
وقوله في أبي العباس الضبي من قصيدة طويلة كلها غرر:

بنفسي وأهلي شعب وادٍ تحله ... ودهر مضى لم يجد إلا أقله
وعطفه صدغ يهتدي فوق خده ... ويضربه روح الصبا فيضله
عطيب عناقي منه بدرأ أضمه ... إلي وأهوى لثمه فاجله
وقفنا معاً واللوم يصفق رعده ... ومنا سحاب الدمع يسجم وبله
ترق على ديباجته دموعه ... كما غازل الورد المضرج طله

وينأى رقيب عن مقام وداعنا ... وتبلغه أنفاسنا فتذله
يقلقني عتب الحبيب وعذره ... ويقلقني جد الرقيب وهزله
وكيف اقي قلبي مواقع رمية ... ولست ارى من أين ينثال نبلة
يولي وبالأحداق تفرش أرضه ... ويفدي وبالأفواه ترشف رجله
فلو طاف في دارين ما طاب مسكه ... ولو ماج في بثرين ما ماج رمله
ومنها:

فيا من يكد النفس في طلب العلا ... إذا كبرت نفس الفتى طال شغله
أخذ من قول أبي الطيب المتبي:
وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام
ومنها:

فان ما ثلوه صورة وتخيلاً ... فاعمارنا بالماء والأكل شكله
ومنها:
وليس الفتى يرجى إذا ابيض رأسه ... ولكنه يرجى إذا ابيض فعله
ومنها:

إليك زففت الشعر يقرب فهمه ... وينأى على طبع المساجل سهله
يرق فلا اذن الفصيح تمجه ... كريهاً ولا نفس البليد تمه
إذا شتم جزلي تلاطم موجه ... وإن شتم عذبي ترقرق طله
ولهم سيفٌ في فؤادي مغمد ... يكاد على رأسي وعنقي يسله
ويا ليتني إذ لم أنل بفضيلتي ... على كت منقوصاً يسليه جهله
ومنها:

وغير قليل ما بلغت بعزكم ... ولكنني في جودكم استقله
وقوله:

فيا ليتني إذ ضعت لم أك مخلصاً ... وليتك إذ ضيعت لم تك ناقدًا
وقوله من قصيدة:

لكل إلى شأو العلى حركات ... ولكن عزيز في الرجال ثبات
وما بي عن شأو من انجد نبوة ... ولا عند خطب يدهم إنات
ولكن إذا ما الطرف ضاق مجاله ... به فخطاه كلها عثرات
ومنها:

تصرم شهر الصوم عنك مزوداً ... من الخير ما تركو به البركات
ومنها:

ولاح هلال الفطر نضوا كأنه ... على جرمه من صومنا وطأت

فقل لرواة المعبدية مرحباً ... وقل لسقاة البابلية هاتوا
وقوله في مهرجانية:

لك اليوم من عند كسرى مقام ... على مضحك الدهر منه ابتسام
بسطت يدك قهنا الفرات ... جرى وثبت فقلنا شمام
يقر برأيك ركن العلى ... ويجيا بفضل نذاك الأنام
فجودك أدنى مرادٍ يراد ... وعزك ابعد شأوٍ يرام
إذا دهت الناس سود الخطوب ... تبلجت فأنجاب عنها الظلام
ففي حب مثلك يزكو الولاء ... وفي وصف فضلك يحلو الكلام
فإن صلت ذلت لديك الكرامة ... وإن جدت قصر عنك الكرام
تمنا بمورد ذا المهرجان ... سعوذاً حوالياً منها زحام
وعش والسعادات تترى إليك ... إذا مر عام بها كر عام
فلولا بقاؤك ملته ... لقلنا على الأكرمين السلام
إذا كنت تمنع من ان أسير ... ولم تكف أمري فكيف المقام
أرى نعماً لك عندي قد من ... ولتلك إن كنت ممن يلام
يقلن اصطعت فلم لم ترب الن ... دى وابتدأت فأين التمام
وقوله من أخرى:

غدت للعلی منه سیوب للطی ... سیوف وللحرب العوان سیول

كفاني من الأيام أنك سالم ... وإن لم تجني من جنابك سول
وقوله من سلطانية وهي آخر شعره:

لقد اقبل النبروز جذلان فاسعد ... وإن كنت مسعوداً كما أنت فازدد
وزف كؤوس الراح خمراً تسلياً ... عن الدم في حد الحسام المهند
فهذي الصبا غناجة دون نومة ... مرنقة في مقلة الترجس الندي
تقبل ثغر الأقحوان وتنتهي ... إلى لطم خد الوردة المتورد
ومنها:

غدا الملك يرجو آل محمود الرضى ... كما يترجى الدين آل محمد
أناصر دين الله حافظ خلقه ... ظهير أمير المؤمنين اسع واسعد
خذ السيف واملك لا تدع متغلباً ... على الأرض إلا في وثاق مقيد
فليس صلاح الأمر إلا بواحدٍ ... فإن ينتصب للأمر اثنان يفسد
وأعظم غبن أن يرى الملك مغصياً ... على شر أرضٍ من بلادك مفرد

أبوالقاسم غانم بن محمد بن أبي العلاء الإصبهاني: تتضمن كتاب اليتيمة قليلاً من شعره وكررت ذكره في

التتمة لما سبق من العذر فيه وكبت غرراً من شعره مقفية على أثر شعر بلدية ابن حريش، واخبرني الشيخ أبو الفتح مسعود بن محمد بن الليث أيده الله أنه حي يرزق وأنشدني أبوبكر المرجي له:

إشرب أبا قاسم على الوادي ... وانبذ إلى الأنس جبل مقتاد

لا تخل من قهوة ومن رشاء ... وزامر مطرب وعواد

وثق بكافي الكفاة وارج ندى ... يديه من رائح ومن غاد

والله ما في الأنام محتشم ... سوى أبي القاسم بن عباد

وأنشدني له في غلام بيده باشق:

واهيف كالقمر المجتلى ... يهيم به العاشق المبتلى

بدا وعلى يده باشق ... إذا طلبا قنصاً حصلاً

فذاك يصيد قلوب الرجال ... وهذا يصيد طيور الفلا

وقد سرقه من أبي الفتح كشاجم حيث قال:

مر بنا في كفه باشق ... فيه وفي الباشق شيء عجيب

هذا يصيد الطير من حالق ... وذا بعينه يصيد القلوب

قال وكان يساير الصاحب يوماً فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلاً:

طرف تحاول شأوه ريح الصبا ... سفهاً فتعجز أن تشق غباره

بارى بشمس قميصه شمس الضحى ... صبغاً ورض حجارةً بحجارة

ومن مراثيه في الصاحب قوله:

مضى نجل عباد المرتحي ... فمات جميع بني آدم

أوازي بقبرك اهل الزمان ... فيرجح قبرك بالعالم

وله من قصيدة:

هي نفس فرقته زفراقي ... ودماء أرقته عبراقي

لشباب عذب المشارع ماضٍ ... ومشيبٍ جذب المراتع آت

زمن أذرت الجفون عليه ... من شؤوني ما كان ذوب حياقي

تتلاقى من ذكره في ضلوعي ... ودموعي مصايف ومشاتي

جاد تلك العهود كل أجش ال ... ودق ثر الأخلاف جون السرات

بل ندى الصاحب الجليل أبا القا ... سم نجل الأمير كافي الكفاة

تتبارى كلتا يديه عطايا ... ومنايا حتماً لعافٍ وعات

ضامناً سيبه لغنم مفادٍ ... موذنًا سيفه بروج مفات

وارتياح يريك في كل عطفٍ ... ألف ألفٍ كطلحة الطلحات

ويد لا تزال تحت شكورٍ ... لاثمٍ ظهرها وفوق دواة

أراد أن يقول مثل قول أبي الفياض الطبري فلم يشق غباره:

يد تراها ابداً ... تحت يدٍ وتحت فم
ما خلقت بناها ... إلا لسيفٍ وقلم

أبو الفضل يوسف بن محمد بن أحمد الجلودى الرازى: بحر العلم وروضة الأدب ولطيمة الشعر وظرف
الظرف، وقد حدثني أبو الحسن عبد الرحمن بن أبي عبيد الشيرازى أيدى الله تعالى بفضله وبراعته وأمامته إذا
اقتبس في اليسير من مدة إقامته عليه بالري كثيراً من نور فوائده وأنشدني غرراً ودرراً نظمها من عقود
قلائده كعادته في اقتناء جواهر الخاسن واصطياد شوارد اللطائف على حداثة سنه وغضاضة عوده وللدهر
مواعيد فيه ستجزها مساعيه، فمما أنشدني لهذا الشيخ أبي الفضل أيدى الله قوله في سقوط السن عند
الشيخوخة:

ثناياي أخنى عليه الزما ... ن والدهر مازال مذ كان يخنى
وينقص سنأ وسناً يزي ... د والدهر يغرب في كل فن
اراني الزمان نقيصين لى ... زيادة سنٍ ونقصان سن
وقوله من قصيدة صاحبة:

رياض كان صاحب القرم جادها ... بأنوائه أو صاغها من طباعه
يجلي غيابات الخطوب برأيه ... كما صدع الصبح الدجى بشعاعه
ومنها:

سحاب كيمناه وليل كباسه ... وبرق كماضيه وخرق كباعه
وقوله في معارضة قول الشاعر:

لكل شيءٍ عدمته خلف ... وما لفقد الحبيب من خلف
منعم معجبٍ بليت به ... صب بتعذيب مهجتي كلف
لا يرعوي عن صدوده صلفاً ... فديته من مدلل صلف
إذا أردت السلو منصرفاً ... فأن أحاطه بقول قف
لا تعجبوا من تذليلي ابداً فذلتي من هواه من شرفي
وقوله في نقل مثل بالفارسية إلى العربية:

ياعجباً من جدي الهابط ... وما مضى في زمن فارط
ظننت أني راكب مرةً ... غيراً فأصبحت على حائط

ومما أنشدني غيره قوله من قصيدة إلى الأستاذ أبي العلاء بن حنبل أيدى الله تعالى:
ما ماء منكم الغمام مجلجل ... تزجيه أنفاس الرياح لبسطه
اشفى لحامي غلةٍ من رقعةٍ ... من عند سيدنا تكون بخطه
وقوله من أخرى فيه وقد كان لزم منزله لحالٍ أوجب ذلك
صفي الحضرتين أبا العلاء ... يدال المرء في ضمن البلاء

وليث الغاب يلبد لامتيح ... وغرب السيف يغمد لانتضاء
لساموك الخفاء وكيف تخفى ... وأنت الشمس في رآد الضحاء
أبي الإصباح أن يخفى سنه ... ضباب أو يغشى في غطاء
ومن يشي الجدالة عن ركون ... ويختزل الغزالة عن ضياء
وحد الزاعية عن نفاذ ... وغرب المشرفية عن مضاء
ومن سلب السماك علو سمك ... ومن حجر الذكاء على ذكاء
وإن السيل مستن طريقاً ... إذا امتلأت به شعب الإضاء
وكيف تسوم دنياك استواء ... وهذا الدهر اعصل ذو التواء
فلا ترع العذول السمع واعتض ... ثناء المعتفين عن الشراء
وعش ما مال بالورقاء غصن ... وما كر الصباح على المساء
وقوله في فتى حلق صدغه:
أبا نعيم ايا فرد الجمال ومن ... له في الحسن معناه وجملته
لا تجزعن لصدغ قد فجعت به ... فإن عارضك الأحوى خليفته
إن كان صدغك معزولاً فلا أسف ... هذا عذارك قد جاءت ولايته
وقوله في أبي الفتح الضراب لما أستوزر:
أيا للناس من رجل سمين ... نسيناه فتار من الكمين
تلعب بالأمين بلا احتشام ... ولم نسمع بخوان أمين
وقوله زعم:
ما أن نظرت إلى محاسن وجهه ... وفنور مقلته وحسن قوامه
إلا وددت بأن تقدر نواظري ... بيد الهوى شسعاً لنعل غلامه
وقوله وأنا اشك فيه:
لا يصحبن ملوكنا إلا امرؤ ... لص مغن مفلس قواد
فله لديهم زلفة ومنالة ... ولمن تخرج واستعف كساد
ما ذلك إلا أنهم أشكالهم ... والقرد يعرف قدره القراد
وله من قصيدة:
جمعت نفاذاً في العلوم وفي الوغى ... ومثلك في الهيجاء والعلم فارس

أبو علي محمد بن حمد بن فورجة البدوجردى: لم اسمع ذكره وشعره إلا من الفقيه أبي الحسن بن أبي عبيد
أيضاً إذ ذكر أنه من أهل إصبهان المقيمين بالري المتقدمين بالفضل المبرزين في النظم والنثر وعرض علي
جزءاً بخطه من شعره كالروض الممطور والوشي المنشور، وانشدني. قال أنشدني:
ألم تطرب لهذا اليوم صاح ... إلى نغم وأوتار فصاح

كأن اليك يوسعنا نثاراً ... من الورق المكسر والصحاح
تميد كأنها علت براح ... ومت شربت سوى الماء القراح
كأن غصونها شرب نشاوي ... يصفق كلها راحاً براح
وأنشدني له في فستق مملح:

فلو ترى نفلي وما أبدعت ... فيه بماء الملح كف الصنع
قلت حمامات على منهل ... شحت مناقير تسيغ الجرع
وله فيه مملح:

أعجب إلي بفستق أعدده ... عوناً على العادية الخرطوم
مثل الزبرجد في حرير أخضر ... في حق عاج في غشاء أديم
وله في الغزل:

أيها القتالي بعينه رفقا ... إنما يستحق ذا من قلاكا
أكثر اللاتمون فيك عتاي ... أنا واللائمون فيك فداكا
إن بي غيرة عليك من اسمي ... أنه دائماً يقبل فاكا
وله:

أكرم اسيرك أن يكون مبادا ... وهب الفتى عبداً لديك مفادا
وأخبر مودته بقلبك أنه ... حجر الصيارف شدة وسوادا
وله في ترجمة بيت بالفارسية للمعروف:

يظنون ما تنري جفوني أدماً ... بل الدم منها يستحيل فيقطر
تعيد بياضاً حمرة الدم لوعي ... كما ابيض ماء الورد والورد أحر
وله:

أما ترون إلى الأصداغ كيف جرى ... لها نسيم فواقت خله قدرا
كأنما مد زنجي أنامله ... يريد قبضاً على جمر فما قدرا
وله:

نومي وعيشي والقرار وصحتي ... مما فقدت فليت شعري ما الردا
بالله ربك هل سمعت بشادن ... ضحى بأنفس عاشقيه معيدا
وله من نتفة:

ماذا عليك غزال آل العارض ... من أن أكون فداء ذاك العارض
أبوالحسن محمد بن أحمد بن رامين: حدثني أبو الفتح الدباوندي أيده الله تعالى قال جمعني وإياه بعض مجالس
الأنس وفيه نفر من الفضلاء فسألوه أن يجيز قول مجنون بني عامر:
اقول لظي مر بي وهو راتع ... أنت أخو ليلى فقال يقال
فارتجل على النفس:

فقلت يقال المستقيل من الهوى ... إذا مسه ضر فقال يقال
فتعجب القوم من حدة ذهنه وإسراعه في تجنب القافية. وله أرجوزة أجاب بها أبا سعد الآبي من أرجوزته
الصادرة إليه من ويمة:

وافتني القصيدة الكريمة ... من كل ما يشينها سليمه
وهي لعمرى درة يتيمة ... قد اسفرت عنها ظلال ويمه
وله:

سرت فؤاداً ولقرت عينا ... وفجرت من السرور عينا
وأصبحت للأخوات عينا ... حتى لقد خفنا عليها عينا
أبو محمد النظام الخزرجي: حدثني أبو الفتح الدباوندي قال أمر له الأستاذ أبو العلاء بجائزة فاطلق نصفها
فكتب إليه:

سألتك أيها الأستاذ حاجه ... ولا شططاً طلبت ولا لحاجه
فقمتم ببعضها وتركت بعضاً ... ومن حق المقصر أن يواجه
جزاك الله عني نصف خير ... فإنك قد فحضت بنصف حاجه
أبوسعد علي بن محمد بن خلف الهمداني: قد تقدم ذكره في اليتيمة وتكرر في التهمة ملح وغرر من بدائع
وقعت إلى باخرة وليس لها منزل فمتها ما أنشدني أبو اليقظان عمار بن الحسين أيده الله تعالى قال أنشدني
أبو سعد لنفسه في غلام يشكني ضرسه ولم اسمع في معناه أحسن وأبدع منه:
عجباً لضرسك كيف تشكو علة ... وبجنبها من ريقك الترياق
هلا كمثل سقام ناظر الذي ... عفاك وابتليت به العشاق
أو عقربي صدغيك إذا لدغا الورى ... وحماك من حميتهما الخلاق
ومنها قوله:

ولما شربناها ودب ديبها ... إلى موضع السرار قلت لها قفي

مخافة أن تلقي عليك شعاعاً ... فينظر جلاسي إلى ودك الخفي
وله من قصيدة في فخر الدولة يذكر فيها بدر بن حسنويه:
هو سيف دولتك الذي أغنيته ... بطويل باعك من وسيع خطاه
فغدا بطول يديك لو كلفته ... شق السحاب ببرقه لفراه
وإذا هفت به لرأس متوج ... بالروم من شابور خواست مراة
فالرخ بدر والعدة بيادق ... والأرض رقعتها وأنت الشاه
ومنها:

وتملك رق السعود بوجه ... بسعود طالعه الذي جلاه
فالزهرة الزهراء بعض أمائه ... والمشتري مملوكه وشراه

سعدان ذاك لجده ولجده ... ابدأ وتلك للهوه ولهه
فإذا تجلى للعيون جلاله ... يوم السلام إنجاب حجب دجاء
وقفا بمنطقتي رضاه وقلدا ... كيوان والمريخ سيف سطا
واستكتبا عنه عطار د كل ما ... ينهى ويأمر رأيه ونهه
وله من قصيدة فريدة عجيبة في بهاء الدولة وذكر ما شجر بينه وبين الأخوة:
كتبت إلي من العراق كتابي ... عن صبوة وصباة وتصاي
وسلامة إلى من الشوق الذي ... منه تكون منية الأحباب
وخفوق قلب ليس ينكر خيفة ... أن يظن العذال فيك لما بي
ودموع عين يرتعدن مخافة ... أن يشعر الغيران بالتسكاب
هذا حديثي بالعراق وأنت بال ... أهواز معتكف على الأطراب
وعلى استماعات المغاني داتبا ... من عود عودة أو رباب رباب
والحمد لله الذي قسم الهوى ... قسمين بين عذوبة وعذاب
فأجبتها والدمع يحو كل ما ... نشرته كفي من سطور كتابي
وصل الكتاب فما فضضت ختامه ... حتى شققت من السرور ثيابي
ثم اضطلعت على الكتاب فكدت من ... قلق له أطفا ولا يدرى بي
وحلفت من ثمرات غصن قوامها ... بالورد والرمال والعناب
النايات بجدها وبصرها ... وبنائها لشفاه ذي الأوصاب
ما اعتضت منها خلة نحلة ابدأ ولو ... خطبت إلي الشمس في الخطاب
الله في فاني ثقة الهوى ... لا تأثني يا هذه في باي
أروم غيرك خلة من بعد ما ... أفنيت فيك نصاري وشبابي
كلا ولكني سلوت عن الهوى ... بالمجد وهو من الهوى أولى بي
فركت هادية الدجى متلثما ... بعزيم اروع للدجى ركاب
وجعلت ريحاني القتادة والصدى ... نغمي ورقراق السراب شرابي
حتى أنحت على السماك رواحي ... وضربت فوق الفرقدين قبالي
في ظل مولانا بهاء الدولة ال ... ملك الأجل السيد الوهاب
ملك الملوك برغم كل منافس ... أغراه فضل سنيه بالإعجاب
الفضل يكسبه الفتى بنفاسة ... ونجاة لا شية ولا شباب
وكذا بنوا يعقوب يوسف خيرهم ... وأن استروا في ذروة الأنساب
وبغوا له كيدا فكان له إلى ... درك النرى من أوكد الأسباب
وتشابه الأمرين يؤذن ايها ال ... ملك الأجل بجذك الغلاب
وبأن قومك سوف يسجد كلهم ... لك سجدة الأتباع للأرباب

مستغفرين ذنوبهم بضراعةٍ ... ومغفرين وجوههم لتراب
وتقول لا تثريب عند سجودهم ... كرمًا تمن به مكان عقاب
فاغفر لهم جهلاتهم وألن لهم ... كفف الرعاية منك والإيجاب
وابذل لهم الأمان ليسرعوا ... متزاحمين على ورود الباب

فإن استمر على الضلال مريدهم ... لشقائه وسفاهة الألباب
فأذن للسنّة الطّبي فيهم بأن ... يخطبن فوق منابر الأرقاب
إن السفیه إذا أبي إصلاحه ... بالحلّم لم يكن الحسام بآبي
وادخل إلى شیراز ايمن مدخلٍ ... دخلت به أسد الشرى في الغاب
ثم ارم بي بعض البلاد وخلي ... انقضض فوق عقابها كعقاب
واهز منبرها بدعوتك التي ... يصل الخطيب بها إلى المحراب
لي نجدة الفتاك في الهيجا وأن ... خالفتهم في نسبة الكتاب
ولو اختبرت موافقي لوجدتني ... في الخدمتين معاً من الإنجاب
ووجدت في درعي وفي دراعتي ... أو في فتىً بكتيبة وكتاب
لا ابن العميد ولا ابن عبادٍ ولا ... عبد الحميد يعد من إضرابي
أنا فوقيهم بعلو جدك كلهم ... بشهادة الأدياء والآداب
وإذا كتبت كتاب فتحك فارساً ... ارضك حسن بلاغتي وخطابي
وقد ابتدأت أعد آلات الوغى ... من مرهفات اسنة وحراب
وسوابق من نسل عوج ضميرٍ ... صم الفصوص لواحق الأقراب
وأنشدني أبو جعفر محمد بن أبي علي الطبري قال أنشدني أبو فرج حمد بن أبي سعد بن خلف الهمداني
لنفسه:

لئن كنت في نظم القريض مبرزاً ... وليست جدودي يعرب وإياد
فقد تسجع الورقاء وهي حمّامة ... وقد تنطق الأوتار وهي جماد
أبو غانم معروف بن محمد القصري: كان من رؤوس الرؤساء وكرام البلغاء والغالين في محبة الأدب واقتناء
الكتب وجمعتي وإياه في اجتيازه بنيسابور صحبة يسيرة المدة كثيرة الفائدة وقد كان سمع بي ولم يرن
فاستنسخ كتباً لي وأنشدني ابياتاً لنفسه علق بحفظي منها قوله:
إذا لبس التفاح خلعة طله ... وقابل فيها البدر أصبح محمراً
فما بال خدي في سقيط دموعه ... إذا هو لا قى وجهك البدر مصفراً
وقوله في الشيب:

إن للشيب حساماً ... حاسماً طيب الرقاد
سل في فودي ما اغ ... مد منه في فؤادي

وقوله في الفرس:

حكى فرسي الليل في لونه ... ولازمه البدر عند اضطرار
فكان له غرة في التمام ... ونعلاً لحافره في السرار

وقوله في الهلال:

أقبل الليل والظلا ... م عن الأفق منجلي
فرأيت الهلال في ... ه كتعفيف منجل
وقوله :

إذا ما تبيت ضعف العدو ... فتناوره تجربه عند الثبات
وسالمه إن عصفت ريجه ... كما سالم الريح نجم النبات
وقوله في الغزل:

ارى شفتيك من مسكٍ وخمر ... وطعمهما إذا ما ذيق مر
فإن يمرر كلامك ليس بدعاً ... فإن ممره مسكٍ وخمر
وقوله في الأمير أبي أحمد محمد وبكائه على ابيه:

لا غرو أن تأسى على ملكٍ مضى ... اذرت مدامعها عليه عيون
ولئن بكيت وأنت طود للنهى ... فلقد تسيل من الجبال عيون

أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله الكاتب الطائي: من أفراد الكتاب وفضلاء الزمان نقل من الري إلى الحضرة
بغزنة حرسها الله تعالى واستخدم في ديوان الرسائل بما ثم ضم إلى الشيخ العميد أبي الطيب طاهر بن عبد الله
ليكتب في ديوانه بالري فهو أعلم بشمس ارضه وهو القائل له بمرأة من قصيدة:

البرد يا فرد العلى آت ... يجز ذيل الظالم العاتي
والعبد لم يأخذ له أهبة ... يأخذها المشتو والشاتي
والحال قد رقعت فلا مرفق ... يجبرها أو راتب آتي
وأنت لي عون على كل ما ... تجمع في السرعة أشتاتي
وله من قصيدة:

واشرب معتقةً كأن وميضها ... نار على قلال الجبال تسعر
يسقيكها رشاً أغن جفونه ... قبل الكؤوس المسكر أنك تسكر
أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الكاتب: يقول من قصيدة اولها:

صبا قلبي وحن إلى سعاد ... ودون لقائها خرط القتاد
أمرود لنا ماضي زمانٍ ... ومن لي بالزمان المستعاد
ليالي رصعت تيجان عيشي ... بدر اللهو في سلك المراد
تعب صبا صباي علي رهواً ... وتلفح شرقي وجه الرشاد

ومنها:

سأمتلك المعالي بالعوالي ... وأشحد غرب عزمي واجتهادي
فقد مل اعتزامي من مقامي ... وعاف جمامه الموزي جوادي
وكم من ليلة طحياء عادت ... على السارين واضحة الهوادي
وهل خاب امرؤ أسرى ورجى ... أبا منصور الواري الزناد
ثمال عشيرة وغنى عفاة ... وحامل مغرم وهلال ناد
له شيم لو اكتست الليالي ... محاسنها لما دجت الدء آدي
أبو النجم مسافر بن محمد القزويني: يقول
لا يغرنكم علو لئيم ... فعلو لا يستحق سفال
وارتفاع القرين فيه فضوح ... وعلة المصلوب فيه كمال
ويقول:

أيدك الله لا قمني ... حقق رجائي وحسن ظني
لو حجراً كت أو حديداً ... اذابني الهجر والتجني
ويقول:

تصافحت الأكف وكان أشهى ... إلينا لو تصافحت الحدود
تسر إذا التقت كف وكف ... فكيف إذا التقى جيد وجيد
أبو الفتح محمد بن أحمد الدباوندي: ربحانة الرؤساء وشمامة الوزراء يستوطن الري ويرجع إلى فضل كثير
وأدب عزيز وحفظ عجيب وبلاغة بالغة ولسان كأنما أغناه إبراهيم بن سياه الصبهاني بقوله في أبي مسلم بن
بحر:

لسان محمد أمضى غراراً ... وأذرب من شبا السيف الحسام
إذا ارتجل الخطاب بدا خليج ... بفيه يمد بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام ... من الياقوت بل قطر الغمام
وورد نيسابور في صحبة الراية العالية أدام الله علوها فنشربها طرز فضله وملاها من فوائده واعرب عن
محاسنه ودرت عليه المشاهرة السلطانية والمبار السنية، ثم جذبه الشيخ العميد أبو الطيب طاهر بن عبد الله
إلى الري ورده في صحبته إلى مستوطنه، فمما أنشدني لنفسه قوله في الغزل:
كلف من أهوى تجشم قبلة ... ظرفاً فأولى غاية الايجاب
ولثمت عارضه فكان كخلقه ... عطراً يذيع سرائر الأحباب
وله من رئيسٍ ممتحن:
بأي يد أصول على الليالي ... وقد خانت أناملها الذراع
بودي لو تبيت على جفوني ... ولكن عز ما لا يستطيع
وله في الاستزارة:

أيا ملك الدنيا كسوت عراصها ... مكارم في وجه الزمان تنقش
وظلت كأني في الأنام خطيطة ... سقت جاريته ديمة وهي تعطش
وله في قوال يكنى أبا الخطاب يهجو:

أبا الخطاب يا قمر الزمان ... به برص يشاهد بالعيان
وآباط يفوح لها صنان ... وايزار العمى شم الضنان
وداخل ثوبه جرب عتيق ... توارثه على قدم الزمان
فذا يعمي وذا يعدي فأن ... تنادم من يكون بذا المكان
وفيه ابنة قدمت وشاعت ... مع الشوم المنزل في قران
وما درا ألم بها فأبقى ... سوء الطلال فيها والمغاني
فأشأم حين يضحى من قدار ... وأطفل حين يمسي من بنان
واثقل من قضاء السوء وجهاً ... وأوسخ من قدور الباقلائي
وإن ابصرته يوماً يغني ... فإن الفقر في تلك الأغاني
وإن أخذ القضيبي يروم صوتاً ... بكى منه قضيبي الخيرزان
إذا غنى ووقع مستطيلاً ... علاه قبل اصوات الأغاني
دوار الرأس حشرجة التراقي ... سعال الحلق تفقيع البنان
فابعده فإنك سوف تلقى ... ندماً ليس فيه ذي المعاني

الإستاذ أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو: هو من ضربه في الآداب والعلوم بالسهم الفائزة وملكه رق
البراعة في البلاغة، فرد الدهر في الشعر وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ونظم القلائد والفرائد
مع تمهيد الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة وتذكير الذين يسمعون ويروون أفسح هذا أم أنتم لا
تبصرون. وكنت ضمننت اليتيمة نبذاً يسيراً من شعره لم أظفر بغيره وهذا مكان ما وقع إلي بعد ذلك من
وسائط عقوده وفوارد ابائته بل معجزاته فمنها قوله في الغزل وما يجري مجراه:

تعانقنا لتوديع عشاء ... وقد شرقت بأدمعها الحداق
فما زال العناق يضيق حتى ... توهماً عناق أم خناق
وقوله:

وحسبك ما أخرت كني عنكم ... لقالة واش أم ملام محرش
ولكن دمعي أن كتبت مشوش ... كتابي وما نفع الكتاب المشوش
وقوله:

أصبح من ودي على حرف ... من لم أخنه قط من خرف
أسقمني طرفك من سقمه ... وصحتي من سقم الطرف
منك صلاحي وفسادي معاً ... والنفع مذكي النار والمطفي

صورت من لطف فلم أرى ... منك سوى الجفوة والقنف
وقوله:

عارض ورد الغصون وجنته ... فاتفقا في الجمال واختلفا
يزداد بالقطف ورد وجنته ... وينقص الورد كلما قطفا
وقوله:

ايا بدرأ بلا كلفٍ ... به دون الورى كلفي
بما في الطرف من كحلٍ ... وما في الخصر من هيف
أبن لي در ثغرك ما ... بهاء الدر في الصدف
وقوله:

ألا ليت شعري اشكر بعض ما ... تطوقت من منّ الحمام المطوق
فدت مهجتي ايكاً عليه سقوطه ... وفرخاً بدا من بيضه المتفلق
لساعد نوحى نوحه حين ملني ... خليلي وخلي صحبتي كل مشفق
كلانا سواء في البكا غير أنني ... بكيت لأشواقي ولم يتشوق
وقوله:

ليت أن الليل دامت ظلمه ... فلقد جلت لدينا نعمه
مثلت صدغيك لي ظلمته ... وارت خديك عيني أنجمه
وقوله:

لم يستجيب لحياي بعدكم فرح ... ولم يلق بينائي بعدكم قدح
شوقي إليكم أعاد الله عهدكم ... شوق له في ميادين الهوى مرح
يخفى مراراً ويديه تلفته ... والنار تكمن حيناً ثم تنقح
وقوله:

ظبي إذا قتل النفوس بصارمٍ ... من طرفه رضيت بقبلته ديه
وإذا دعوت عليه عند تعبي ... فأشد ما أدعو به أن أفديه
وقوله:

ليس بي من اذى الفراق اكتياب ... قد كفتني عيني جميع اكتيابي
كلما شئت أسبلت دم قلبي ... فأرى فيه صورة الحباب
وقوله:

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم ... وخادع النفس إن النفس تنخدع
قد صيغ قلبي عن مقدار حبههم ... فما حبٍ سواهم فيه متسع
وقوله:

خلعت عذارى في شادنٍ ... عيون الأنام به تعقد

إذا وجهه كعبةً للجمال ... ولي قلبه الحجر السود
وقوله:

قولا لهذا القمر البادي ... مالك اصلاحي وافسادي
زود فؤاداً راحلاً قبله ... لا بد للراحل من زاد
وقوله:

أحلك حتى صرت اغسل ناظري ... من النوم خوفاً أن يراك خيالها
ولو قدرت نفسي لضني بسرهم ... إذا حجت سر الهوى عن فؤادها
وقوله:

يطلب الغائص في بحره الـ ... وُلُوْ والعاشق في حجره
فإن يكن عبدك ذا فاقةٍ ... أغناه دمع العين عن دره
وقوله:

وجريح وجهه قل ... بي بحبه جريح
أنا أفدي من محيا ... ه على الجرح مليح
ومنها قوله في الحظ والعدار:

أيها الكاتب الذي خير الخل ... ق بخطين من مسكٍ ونقس
فجلا المسك في صحيفة عاج ... وجلا النقس في صحيفة طرس
ليت جسمي النحيف من بعض ... اقلامك أضحي وليت نفسك نفسي

فلعلي يوماً أمس بناناً ... منك يا سيد فيذهب مسي
وقوله:

ارخي لعارضه العذار فما ... ابقي على ورعي ولا نسكي
فكان نملًا قد دبن به ... غمست أكارعهن في مسك
وقوله:

قالوا صحا قلب الحب وما صحا ... ومحا العذار سنا الحبيب وما محا
ما ضره شعر العذار وإنما ... وافى بسلسل حسنه أن يبرحا
وقوله في ذم العذار:

كفى فؤادي عذاره حرقه ... وكف عينا بدمعها غرقه
ما خط حرف من العذار به ... إلا محا من جماله ورقة
وقوله:

يا من محياه كأسمه حسن ... إن نمت عني فليس لي وسن
قد كنت قبل العذار في محن ... حتى تبدى فرادت المحن

يا شعراتٍ جميعها فتن ... تتيه في وصف كنهها الفتن
ما عيروا من عذاره سفهاً ... قد كان غصناً فأورق الغصن
وقوله لبعض الرؤساء وقد انصبت الخمر على كمه في مجلس الشراب:
انصبت الخمر على كمه ... تلثم منه كمه خدمه
ولو لم ترد خدمته بالتي ... قد فعلت ما خصصت كمه
وكتب على عود:

رأيت العود مشتقاً ... من العود باتقان
فهذا طيب آنافٍ ... وهذا طيب آذان
وكتب على طنبور:

ودوحة أنسٍ أصبحت ثمراتها ... أغاريد تجنيها ندامى وجلاس
تغنى عليها الطير وهي رطبية ... فلما عست غنى على عودها الناس
وقال في ذم الخمر:

قد كفاني من المدام شميم ... صالحتي النهى وثاب الغريم
هي جهد العقول سمي راحاً ... مثل ما قيل للديغ السليم
إن تكن جنة النعيم ففيها ... من أذى الجهل والخمار جحيم
ومنها قوله في الهجاء:

لنا ملك ما فيه للملك آلة ... سوى أنه يوم السلام متوج
اقم لاصلاح الورى وهو فاسد ... وكيف استواء الظل والعود أعوج
وقوله:

قل لابن عبدان الدين الدون ... وزرت من دوبي وقدرك دوبي
ألحظك الملعون أم لكلامك ال ... ملحون أم لعجانتك المطعون
وقوله لجد الدولة وكان اتخذ له ابن فضال دعوة عظيمة:
ومن مبلغ عنى الأمير بن بويه ... ومن عجب الدنيا أمير ولا أمر
أسرك من فضالان أصلاح دعوة ... بأموالك اللاتي تخونها الغدر
كمهورة من حقها بعض حليها ... تسر بأن نيكت ومن كيسها المهر
وقوله:

لم يئس الكلب من ملكٍ وسلطان ... وقد علوت إلى دست وديوان
لا عار باستك أن أزري بها قلع ... من يابس السلخ فاستاكت بجردان
وقوله:

عجبت لقولنج هذا الوزى ... ر أنى ومن اين قد جاءه
وفي كل يوم له حقنة ... تنظب بالزب أمعاه

وقوله في اقرع:

أَكفنا زحمة الذباب بآبعا ... د قَدَالٍ تَتَبَاهِ الذِّبَابُ
هَبْكَ أَوْتَيْتَ تَاجَ مُلْكٍ فَإِنِّي ... لَكَ رَأْسٌ لِلتَّاجِ فِيهِ مَكَانٌ
لَيْسَ مَا حَزَنَتْهُ مِنَ الْمَالِ بَدْعًا ... هَالِكٌ قَدْ خَازَتْ السَّلَافُ دَنَانُ
وقوله في الصلاح:

كَيْفَ أَرْجُو السَّمَاحَ أَوْ ابْتِغِيهِ ... فِي زَمَانٍ عَمَّ الْبَغَاءُ بَنِيهِ
يُولَدُ التَّوَأْمَانُ فِيهِ وَكُلٌّ ... مِنْهُمَا مُمْسِكٌ بِأَمْرِ أَخِيهِ
فَنُونَ مُخْتَلِفَةٌ التَّرْتِيبُ مِنْ بَدَايِعِ شَعْرِهِ: قَالَ فِي مَعْنَى نَظْمٍ سَبَقَ إِلَيْهِ نَشْرًا:
لَيْتَ الْعِنَاقَ وَشَرِبَ الرَّاحَ قَدْ عَقَدَا ... بِالنَّجْمِ أَوْ خَزَنًا فِي ذُرْوَةِ الْفَلَكَ
فَلَمْ يِعَاتِقْ مَلِيحًا غَيْرَ ذِي كَرَمٍ ... وَلَمْ يَجِبْ إِلَى كَأْسٍ سِوَى مُلْكٍ
شَيْئَانِ نَعَصَ أَهْلَ الْفَضْلِ طَيِّبُهُمَا ... تَشَارِكُ النَّاسَ لَا طَيِّبٌ لِمُشْتَرَكٍ
وَقَالَ فِي مَدْحِ الْجَرَبِ وَمِلْحِ وَظَرْفٍ:
يَهْيِجُ مَسْرُقِي جَرَبٍ بِكَفِّي ... إِذَا مَا عَدَّ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامُ
تَجَنَّبَنِي اللَّتَامَ لَذَاكَ حَتَّى ... كَفَيْتُ بِهِ مَصَافِحَةَ اللَّتَامِ
وَقَالَ يَهْجُو:

لَوْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِذَا ... مَا كَانَ ذَاكَ الطَّعَامُ مِنْ كَيْسِهِ
إِنْ لَمْ نَشَاهِدْ دِخَانَ مَطْبَخِهِ ... فَقَدْ شَهِدْنَا دِخَانَ تَعْيِيْسِهِ

وقال في أحمد القطان القوال الرازي:

إِذَا أَحْمَدُ الْقَطَانُ غَنَى تَوَقَّعْتُ ... لَهُ الطَّيْرُ فِي جَوْ السَّمَاءِ تَصِيخُ
وَكَادَ حَيَاءٌ كُلَّ لَحْنٍ وَنَغْمَةٍ ... وَعُودٍ وَنَايٍ فِي التَّرَابِ يَسِيخُ
لَقُرْطٍ سَمْعِي مِنْ جَلَا جَلِّ صَوْتِهِ ... فَشَبَّ سُرُورِي وَالْهَمُومُ تَشِيخُ
وَقَالَ فِي مَرَاجَعَتِهِ الشَّعْرَ بَعْدَ تَرْكِهِ إِيَّاهُ:
وَكُنْتُ تَرَكْتُ الشَّعْرَ أَنْفَ مِنْ خَنَى ... وَأَكْبَرُ عَنْ مَدْحٍ وَأَزْهَدُ فِي غَزَلٍ
فَمَا زَالَ بِي حَيِّكُ حَتَّى تَطْلَعْتُ ... خَوَاطِرُ شَعْرٍ كَانَ طَالِعُهُ أَفْلُ
تَزَلُّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهُ ... يَفَاعُ يَزِلُّ السَّبِيلَ عَنْهُ عَلَى عَجَلٍ
فَأَصْبَحَ شَعْرُ الْأَعَشِيِّينَ مِنَ الْعَشَى ... لَدَيْهِ وَشَعْرُ الْأَخْطَلِينَ مِنَ الْخَطَلِ
وَقَالَ فِي الْخَطِّ:

الْآنَ قَدْ صَحَّتْ لَدَيَّ شَهَادَةٌ ... أَنَّ لَيْسَ مِثْلَ جَمَالِهِ بِمَصُورٍ
خَطٌّ يَكْتُبُهُ حَوَالِي خَدِهِ ... قَلَمُ الْإِلَهِ بِقَلَسٍ مَسْكٍ أَذْقُرُ
وَقَالَ فِي الْآذِرِيِّينَ:

رب روضٍ خلت آذريونه لما توقد ... ذهاباً اشعل مسكاً في كوانين زبرجد
وقال في وصف الباذنجان مذموماً:

يا ذا الذي يعتد با ... ذنجانة في المطعم

أثمك عن صور الحما ... جم قد ملين من الدم
وقال فيه ايضاً:

يا ذا الذي يلقي بباذنجانة خير المآكل ... أثمك عن صور الحاجم ألبست لون الدمامل
وقال في طين الأكل:

دع الطين معتقداً مذهبي ... فقد صح فيه حديث النبي
من الطين ربي براً آدمياً ... فأكله أكل الأب
وقال في الرزق:

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجين
وقال في عز الكمال:

وإذا رأيت الفضل فاز به الفتى ... فأعلم بأن هنك نقصاً خافياً
فالله أكمل قدرةً من أن ترى ... لكماله ممن براه ثانياً
وقال في الشكوى:

ضعف بأرض الري في أهلها ... ضياع حرف الراء في اللثغة
صرت بما بعد بلوغ الغنا ... يعجبني أن ابلغ البلغة
وقال في الحث على الحركة والسعي:

خليلي ليس الرأي ما تريان ... فشانكما أي ذهبت لشاني
خليلي لولا أن في السعي نفعاً ... لما كان يوماً يدأب القمران
وقال في مثله:

صح بخيل العلى إلى الغايات ... ما غناء الأسود في الغابات
لا يرى الردى لزوم بيوت ... لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدر حمأة فإذا سا ... فر حلّى التيجان واللبات
أف للدهر ما يني يتعس الفا ... ضل في بدئه وفي العقبات
يسكن المسك سرّة الطي بدأ ... ثم يصليه وقده الجمرات
وقال في ذم البخيل:

يسر بخزن المال قوم ولم أكن ... لدى الخزن إلا مثل تصحيفه حزنا
وقال في النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة:

ما للمميل والمعالي إنما ... يسعى اليهن الوحيد الفارد

فالشمس تجتاب السماء وحيدة ... وأبو بنات النعش فيها راكد
وقال في الصبر:

تصبر إذا هم اسرى إليك ... فلا هم يبقى ولا صاحبه

وله رسالة هزلية مترجمة بالوساطة بين زناة واللاطاة لا يتسع الكتاب إلا لهذا الفضل منها: قالوا قد علمت أن أصحابنا بلغ من جلالة قدرهم وفخامة أمرهم إن لم يقتصروا على الجسمانيين حتى سمت بهم همهمهم إلى الروحانيين فارادوا الملائكة بالوصمة لولا أن الله خصهم بالعصمة ثم بلغ من تناهي هذا الفعل من الطيب وأخذ بمجامع القلوب أن لو طأ استتر لهم بكرائمه عنه فلم يقلعوا وابدلهم عقائله منهم فلم يقلعوا فما ظنك بممة تسمو إلى ملائكة السماء ولذة تؤثر على مصاهرة الأنبياء ولا سبيل إلى أن ينكر فضل الذكور على الإناث وقد فضلهم الله في الميراث وشتان ما بين العلام الذي يصحبك في سفرك كما يصحبك في حضرِكَ كما يصحبك في حضرِكَ فإذا ركبت زان موكبك وإذا مشيت صك منكبك وإذا احتفلت خدمك وإذا خلوت نادمك ثم هو فوق الجواد أسد لا بد ولا تحت اللحاف رشاً فارد وبين المرأة التي تشيب أنفاسها العناق وتكاليفها المفارق وتعدم المفارق وتنقص الجسم وتنقص العمر وتكثر النسل وتقل الوفرة بلى ما شئت من فادح ثقل الصداق وهم الإمساك والطلاق ونفقة الأعراس والأخراس وشفقة الوحوم والنفاس. الشيخ أبو الحسن سعد بن محمد بن منصور: رئيس جرجان أيده الله تعالى: أجمع أهل زماننا أجمع على أنه أجمع الرؤسا لما يكنى به وأجمعهم بين العلوم والآداب وشر في الانتساب والإكتساب وأنه عالم في ثوب عالم وبحر في شخص حبر وماله نظير وغصن شبابه نصير وكانت النائبة رجب بي إلى جرجان في سنة ثلاث وأربعمائة فأنزلني أبوه الرئيس أبو سعد محمد بن منصور رضي الله تعالى عنه وارضاه وجعل الجنة مأواه منزله وأخدمني خدمة وأوسعني فضله وكرمه وكانت حالي عنده ومعه حال من قال:

نزلت على آل المهلب شاتياً ... غريباً من الأوطان في زمنٍ محل

فما زال بي أكرامهم واقتفاؤهم ... وألطفهم حتى حسبتهم أهلي

وأبو الحسن إذ ذاك صبي لم يبلغ الحلم وقد آتاه الله في إقبال العمر جوامع الفضل وسوغه في ريعان الصبا محامد العلى فكنا نجتمع في جماعة من الفضلاء والأدباء والشعراء في كل يوم وليلة على المدارس والمذاكرة والمناشدة فيبذلنا أبو الحسن بحسن محاضراته ومبادئه ويعجبنا من بلاغته وبراعته على حدوث ميلاده وقرب اسناده وكتب لي جزءاً من شعره بخطه هو حتى الآن عندي وأتممت كتاب اليتيمة بحضرته فافض عذرتة وتحفظ أكثره ولم يفرق بيننا إلا أن جاعني داعي الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه تغمله الله بغفرانه ومهد له أعلى جنانه فنهضت من جرجان إلى الجرجانية وضرب الدهر ضرباته ودارت الأدوار ومرت الأعوام وتنقلت الأحوال وكتبت للرئيس أبي سعد سعادة المختصر وأمضى به الأمر إلى الأجل المتظر وقال الشيخ أبو الحسن أيده الله تعالى مقامه في الرياسة واربى عليه في السياسة والسفارة القبول التام عند الخاص والعام وبلغ من البلاغة والتقدم نحو سيبويه وفي الفقه والشعر تننى به الخناصر وتننى عليه الشابات وطلع في سنة أربع وعشرين على نيسابور رسولاً إلى حضرة السلطان الأعظم أدام الله تعالى ملكه ومؤدياً

ودیعة الکیا الأجل أبی کالیجار أدام الله عزه فملاً العیون جمالاً والقلوب کمالاً واوسع أهلها فضلاً وافضلاً
واقر عینی منه بلقاء شخص المجد وتجديد العهد القديم بأوحد الدهر ولم یتفق لی تعلیق شعره الجدید لعارض
من المرض الم ی حتی فاتنی ما مددت عینی إلیه من عقود دره وعقد سحره مع انقلابه إلی مرکز عزه وعلى
کل نبح رقیب من الآفات وأنا اقتصر هاهنا على کتبه نبذ من بنات خاطره القدیمة إلی أن الحق بها وسائط
من قلائده الحدیثة، وهذه نسخة فصل من نشره بدأت به ولم اقرأ ابرع وابدع منه فی فنه: کنت خاطبت
الشیخ بخطاب دللت فیہ على علوی فی دین وده وضربی سکه الإخلاص باسمه وتلاوتی سور معالیه الی تکد
لطولها لسان راویها وایمانی بشریعة مکارمه الی بعث والحمد لله نبیاً فیها فدعا إلیها دعوة استجابت لها
الکرماء وحجت کعبة فضله الآمال الأنضاء وخلد ذکره فی صحف المکرمات تخلیداً واعتقد الخلود من
سودده علماً لا تقلیداً وقضى حکام المجد بأنه الذی تلقى رایات المجد بالیمین وتوخی نظم شاردها بعرق
الجبین. وهذه نسخة رسالة إلی بعض خواص الشیخ شمس الکفاة رحمه الله:

اقرأ على الوشل السلام وقل له ... کل المشارب مذ هجرت ذمیم
سقیاً لظلك بالعشی وبالضحی ... ولبرد مائک والمیاه حمیم
ما أحسبني مذ فارقت الشیخ أدام الله عزه خلوت ساعة من تمثل شخصه والتلفت بأحداع الذکر نحو کریم
عهده واستسقاء صوب الربیع المربع لأنیس ربعه والثناء على الدهر الذی وصل حبلی بجبله والف شملي
بمجموع شمله:

وإن لم یکن إلا معرج ساعة ... قلیلاً فإنی نافع لی قلیلها
ولیت شعری هل یجول ذکری فی میدان فکره أم طواه طی الرداء فلیس تهمر لنشره وأقبل على بث الأوطار
الفساح بین مناجاة الأوتار الفصاح ومناغاة الوجوه الصباح وارتشاف ثنایا الکؤوس إذا تجتلتها ایدی السقاة
جلوة العروس وصلة عری الصبح بعری الغبوق والجری فی میدان اللهو جری السابق لا المسبوق واستغفر
الله مما طاش به سن القلم وأعوذ به أن یسخط هذه الکلم وإلیه أرغب فی امتاعی بخلته الی هی من جلائل
النعم ولا یسرني بها وحق المجد حمر النعم وهذه المخاطبة واصله فی صحبة فلان وهو من اقارب فلان تجاوز
الله عن الماضي وأدام الله عز الباقي ولا خفا بهذا النسب الذی نظم من الکرم عقوداً وكان علیه من شمس
الضحی نوراً ومن فلق الصباح عموداً وما أشک فی استغنائه عن هذا الذکر فقد عرف أحوالهم أيام اجتيازہ
بالری وكان هذا الشیخ نائباً عن أمیرها ومنوطاً به جمیع أمورہا حتی انخی علیه صرف الدهر واضطره إلی
مفارقة المستقر وقصد حضرة تمنع به جانبه فلا یرام ویلرع ثوب العز فلا یضام وهذه صفة حضرة
الصاحب الأجل فإنها الحضرة تخدمها الأيام کما تخدمها السیوف والأقلام وارجو أن یحظى بهذا القصد
ویسعد بساحة المجد فالبحر یعم بفیضه الخلق والربیع یمنح من شام برقه الودق وهذه غرر من شعره فی صباه
نقلتها من خطه فمنها قوله من قصیده فی مدح أبیه رحمه الله:

قدح النوى زند الغرام ... ومری دموع المستهام

وبنفسي الطبی الذی ... عاطيته كأس المدام

ففرّعه ليل التمام ... ووجهه بدر التمام
طاوى الحشا عب اللمى ... عبل الشوى عنج القوام
لم أدر قبل لحاظه ... أن اللحاظ من السهام
لاحظته فحملت من ... أجفانه بعض السقام
وفديت محجره وأن ... خلع الفتور على عظامي
أعدي تضرج خده ... قلبي فاضحى وهو دام
فكأن في قلبي الذي ... في وجنتيه من الضرام
سقياً بعش باللوى ... عذب الجنى صافي الجمام
أيام اسحب في التصابي ... فصل اذيل العرام
والعيش عذب الورد رط ... ب العود غض الغصن نامي
والأنس قهمي مزنه ... كندى محمد الهمام
ذاك الذي اضحى وغي ... م نداه سح القطر هام
لله همته التي ... غضت من الهمم العظام
كم موقف نشر العوالي ... فيه عقد طلى وهام
وتبسمت فيه الطيى ... عن ناجذ الموت الزؤام
وأهله الاسياف قهتك ... ستر ظلماء القتام
مزقته بحسام رأي ... شيم من غمد اعترام
فالمال عندك في انثنا ... ر والمعالي في انتظام
ما كان غيمك بالجهايم ... ولا حسامك بالكهام
فاسعد بنروز ينب ... ه جفن أنوار نيام
نشر الرذاذ على الثرى ... دراً يشد على النظام
وتفتح الأنوار إذ رش ... ف الثرى ريق الغمام
وتعصب بعصائب ال ... أنوار هامات الأكام
وجلى الربيع ضحى عرو ... س الورد من كلل الكمام
وكأنما سرق الصبا ريا ... شمائلك الكرام
يا من تدفق جوده ... كتدفق الغيم الركام
لا زلت في ظل المعالي ... بالغاً أقصى المرام
واسحب ذيول العز سجي ... ذيكل أنعمك الجسام
وقوله من أخرى:

قفوا لنمري در الدمع في الدور ... فالدمع يشفي انسكاباً قلب مهجور
فإن عفا الربع أو اقوى بينهم ... فربعمهم في فؤادي جد معمر
ومنها:

فلو ترى القلم المنروب في يده ... يمضي مضاء صقيل المتن مأثور
عجبت من صارم ماضي الفرند غداً ... في كف ماضٍ جديد الحد مشهور
ومنها:

أسعد فقد جاءك النيروز وانتهت ... من بعد ما رقدت عين الأزاهير
تبكي السماء مساء فعل ذي شجن ... يضحك الدهر صباحاً فعل مسرور
والليل يبدي نجومًا مثل ما انتثرت ... لآلي فوق صرح من قوارير
والبرق يصبغ خد الغيم حين سرى ... صبغ الحياء حدود النفر النور
والروض بجلوه قرن الشمس ضاحية ... في مطرف بيد الأنوار منشور
تشققت فيه أجفان الشقيق ضحى ... كأنها إذ بدت أجفان مخمور
ولاح فيه الأفاحي كاللراهم إذ ... ألاح حوذانه مثل الدنانير
والنرجس الرطب أضحى في حدائقه ... يرنو إلينا بعين الخرد الحور
كأنه إذ جللاه طله سحراً ... صهباء مژوجة في كأس بلور
والجو يسرق أنفاس النسيم إذا ... جرى على صفحات الورد والخير
كأن ري الرياض الزاهرات حكمت ... ريا خلافتك الفز المشاهير
فاسلم فإنك ليث في الوغى وحيًا ... عند المحول وبدر في الدياجير
وإذا كان شعره هكذا في عنفوان الصبا فما الظن به عند قضاء باكورة الشباب وبلوغ حد الإكتهال سقى
الله ربه وعهده وابعده عنا بعده أبو المظفر بن القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني أيده الله ورحم
أباه: جامع بين شرف النفس والوالد وطريف المجد والتالذ وبين الأدب والفقه والنحو والشعر ترامت به
الحوادث إلى نيسابور، فأنشدني لنفسه:

كأن العين مني يوم بانوا ... سماء فيض أدمعها نجوم
إذا ما هم جفن باستراق ... لغمض صله عنه وجوم
وأنشدني أيضاً لنفسه:

كرام الناس بين ظلام عسر ... وعند لئامهم ضوء يسار
كإيمان إليها عقد عشر ... ومجموع الماتين إلى اليسار
وأنشدني أيضاً لنفسه:

إني إليك لمشتاق وي ظمًا ... إلى لقاءك والرحمن يشهد لي
ولو قدرت لكتب الخط تقرؤه ... لكن عجزني عنه ليس من قبلي
وأنشدني أيضاً لنفسه:

قوم إذ غسلوا ثياب جهالم ... لبسوا البيوت إلى ثياب الغاسل
صاعد بن محمد الجرجاني: أنشدني أبو الفتح الدباوندي له في المخزومي الذي مر ذكره:
وجدت مخزوميكم هذا ... يا شعراء الناس استاذاً
قد صار بالري لكم شاعراً ... وكان بالبصرة نبذاً
وجدت بنداراً على ظهره ... يلقيه أقرع نفاذاً
لما رأيت الشيخ مستدخلاً ... قلت له من عجي ماذا
فقال لي لا تعجبين يا فتى ... فإنما الناس على هذا
وكتب إلى العباس الضبي:
ولو أنني حسب اشتياقي وميتي ... منحتك شيئاً لم يكن غير ملقتي
ولكنني أهدي على قدر طاقتي ... وأحمل ديواناً بخط ابن مقلة
وله:

مغضبة المرء بلا مملكه ... منخلةً للجسم أو مهلكة
أبو بكر عبد القاهر بن محمد بن الحسن: كتب إلى أبي الفرج بن حسنيلاً جواباً عن شعر له:
أجاب ودي وطبع الشعر لم تجب ... إذ كان ما قلته في غاية العجب
يشتم منه نسيم المسك قارئه ... ويجتلي كوكب العلياء والحسب
ابدي الأنام من الأشعار رغوتها ... وأنت اخرجت منها زبدة الحقب
أبو الحسن علي بن جبلة الغساني: يقول في أبي الفتح اخي الوزير أبي غالب محمد بن علي بن خلف من
قصيدة:

وسرنا نتبع الركب ونقفو أسر السرح
إلى أن أسفر الصبح لنا عن أحسن اللمح
وابدت طلعة الشمس لنا وجه أبي الفتح

أبو علي الحسن بن محمد الدامغاني: من دهاقين قومس وافراد أدبائها وشعراءها ومن افضل فضائلها يرجع
إلى كفاية ومروءة صالحة، ويقول:
إذا عشق الفتى يوماً عروباً ... ولم يتعدّها منه الوداد
فلي في كل غانية مراد ... ولي في كل زاوية فؤاد
وما فكّت فؤاداً بعد سعدي ... رأته رهن مقلتها سعاد
وليس الغدر من شيمي ولكن ... بهيج كراحتي الشيء المعاد
ومن لم يسبه حدق الغواني ... فما هو في الوري إلا جماد
ويقول:

العقل والحرف مقرونان في قرنٍ ... والجهل والحظ منظومان في رسن

الفضل علم ولا قعبان في لبن ... حلو المذاق ولا بردان من عدن
ويقول:

قالوا مدحت إناساً لا خلاق لهم ... مدحاً يناسب أنواع الأزاهير
فقلت لا تعذروني إني رجل ... أقلد الدر أعناق الخنازير
ويقول:

ايا حليت الدنيا ويا زينت الورى ... ومن أنا بالفضل الذي فيه افخر
تسيء وأني شاكر لك حامد ... ومن قاتل لليث أنك ابخر
ويقول في قصيدة أولها:

صحا عن هواه واستراح عواذله ... محب شفاه الغانيات مناهله
ومنها في مدح شمس الكفاة:

وما الفقر من اكناف قومس قاده ... إليك ولكن فضل عز يحاوله
ولولاك ما صرت لديك نعاله ... ولولاك ما أطت إليك محامله
ولا غادر الكشف الكحيل جفونه ... بلا اثمٍ جادت بذاك مكاحله
ومنها:

ولم يبق في هذا الزمان الذي أرى ... من الشعر إلا منطق قل طائله
فعارض وزير الشرق شعري بغيره ... بين لك نفاق الحمير وصاهله
ويقول في مراثية السلطان الماضي أبي القسم محمود أنار الله برهانه:
مضى الافعوان الصل والأسد الورد ... وتاج ملوك الأرض والفارس النجد
فقل لحوا في الخيل لا تشتكي الوجى ... فما خلتها من بعده طلقاً تعدو
وقل لملوك الأرض قد نامت القطا ... ووحش الفلا والليل أليل مسود
ولا ترهبوا منه بياتاً على العدى ... بمردٍ على جردٍ يضمهم جند
ولم أدر أن الشمس يسترها ثرى ... ولا الفلك الأعلى يغيبه لحد
ويقول في الشيب:

أنور الاقحوان أسأت جداً ... بلا عمدٍ إلى زهر الخزام
فصار الرأس حزا فرط ليس ... وعاد ألمخ داراً في السلام
ويقول ايضاً:

يا بياضاً في مقلتي سواد ... هل لعهد الصبا إلي معاد
يا خزامي العذار بدلت بعدي ... أقحواناً يند منك القوَاد
لم أعظم قدر الشباب إلى أن ... أنكرتني من المشيب معاد
ودعني عما وهذا لعمرى ... لقب للمحب لا يستجد
يا زمان الشباب زرني فإني ... مذ تقضيت لم يزرنى الرقاد

ويقول:

سقى الله أجداث ماضي الملوك ... رعاة الرعايا غياث الأمم
وبعداً لأملأ كنا أنهم ... ذئاب عواسل حنف الغنم

ويقول:

اين خط ابن مقلة عن جمال الخ ... ط في صحن خده المعشوق
ذاك صنع الاله فرداً من الخل ... ق وهاذاك صنعة المخلوق

ويقول:

ألا يا لقوم للخلال الخسائس ... ورفعة ارجلس برغم المعاطس
قفوا فانظروا إذ ضمت الشمل ندوة ... لحادثة من في صدور المجالس
تروا من شيوخ السوء فيها عصابة ... ابالس اضحوا في خلال الطيالس
صعاليك أموال اليتامى ذئابها ... قراطبة البيداء حنف الفوارس
وهم شهداء الزور من قلة التقى ... لحوز منالات إليهم خسائس
يعدون ما دون البتيكات وضحا ... رشى لهم من ترهات البسائس
بما حللوا عين الحرام وحرموا ال ... حلال اتساعاً في فنون المقياس
كما غصبوا الأملاك معشوقة الورى ... وما سجلوا أيضاً بها في الحبائس

فيا وحشتي منهم إذا اكتحلت بهم ... جفوني وأنسى بالوحوش الكوانس
مضى الرؤساء الأولون واصبحت ... عراض المعالي كالطلول الدوارس
ويقول:

خوان ربه أبدأ خلاء ... من الخيرات بادية قواء
إذا ما جاءت الأضياف غنى ... وما يغني من الغرث الغناء
عفا من آل فاطمة الجواء ... فيمن فالقوادم فالخساء
وإن مفازة لا ماء فيها ... ومائلة بلا خبز سواء
أيا معن السخاء بلا عطاء ... وحاتم طائي والتاء راء
وله وقد عبر بترك التعرض لعمل السلطان:
ذروني أكن حلس البييت مكرماً ... قنوعاً بقوت لا يدر له ضرع
ففقر الفتى خلف السلامة كالغنا ... ولا خير في نفع على عقبه صفع
وله يرثي الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمندي وقد كان يكرمه عند اتصاله به:
يا غرة لائحة ... فوق جبين الزمن
يا درة قد ادرجت ... في حبرات الكفن
يا اسداً أعداؤه ال ... مهجة دون البدن

يا عالماً مجتمعاً ... في أحمد بن الحسن
جزيت عني حسناً ... بكل صنع حسن
وأنعم بوسمي النداء ... يحيث ترب الجنن
ما ناحت الورقاء في ... دوح فوق القنن
وله في الشيب:

هجرت الهوى وشففت المدامة ... وعبت الغلام وعفت الغلامه
فلا في أميمة لي مطمع ... يحن ولا مرغب في أمامه
ولا قلت إذا بكر العاذلات ... بمر الملامة كفى الملامه
وعهدي بها حين رأسي الغداف ... وها هو كالنسر تحت العمامه
وما عنر ذي نمية في الصبا ... إذا ما خزاماه صارت ثغامه
وله:

خضبت أناملها بحمرة خدها ... إذا دمعتي يوم الفراق عليها
إن كان من ماء الحياة حقيقة ... فهو الذي سقيت من شفتيها
وله في الشريحي القاضي بقومس:

خليلي ما بال التلوج كأنها ... قناع على وجه البسيطة مغدف
أينتف عشون الشريحي في الهوا ... لعمر كما أم صوف لحبيه يندف
أبو الفرج أحمد بن محمد بن يحيى بن حسنيل الهمداني: يرفعه نفسه واصله وفضله ويخفضه دهره وقد لفظته
الغربة إلى بلاد خراسان فأدركته حرفة الأدب وهو شاعر حسن البديهة كثير الغرر فمنها قوله:
ما أن رأيت وأن سمعت بحمرة ... من وردة ودخانها من عنبر
حتى أكتحلت بخده وبخطه ... وغدوت بينهما حريق الجمر
وقوله من قصيدة:

ها أني من اسود طعمهما كرمًا ... وحش المعالي فلا ترتاح للجيف
وأني واقتياني خبث طعمتكم ... كالطرف ساف الثرى من غرة العلف
لو كان يعلم دري أن مثلكم ... يكون أعناق نظمي غاص في الصدف
مقاطر القلم الصفصاف تشهد لي ... أن الوزارة سهمي والعلی هدي
وسوف يطلع دستي شمس مكرمي ... وترتدي بي الثريا عمة الشرف
فأملأ الأرض عدلاً والزمان حجباً ... والسحب نواً ودرعي جوهر الظلف
لله شكري وللسلطان خالصتي ... وللعفاة الجنى المعسول في كف
وقوله من أخرى:

إذا قلت شعراً فالنجوم رواه ... ومن ذراً رأى الشعرى روت لأمرئ شعرا
وما أنا من يركب الشعر قدره ... ولكن قلدي يركب الشعر والشعري

وقوله في غلام جلس في أخريات الناس وتنقب بكمه:
جلست في أخريات الناس يا قمري ... بخلاً علي بأن أروى من النظر
فصرت من فرج الأشخاص تلمع لي ... كحاجب الشمس ناغى طرة الشجر
لم تقتنع بقناعي زحمة ونوى ... حتى تنقبت بالأكماء عن بصري

تتمة القسم الرابع في

محاسن أهل خراسان

وما يتصل بها من سائر بلدان

قد اعتمدت بهذا القسم الأخير من كتاب تتممة اليتيمة أن أبدأ بأهل نيسابور ونواحيها ثم أمتد إلى سائر
البلدان خراسان ثم أذكر أركان الدولة وأعيان الحضرة العالية حرسها الله تعالى وآنسها والمتصرفين على
أعمالها والمتصلين بخدمتها من المقيمين بها وغيرها وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.
السيد أبو البركات علي بن الحسين العلوي: قد تتوج كتاب اليتيمة بذكره، وصباية من شعره ولا غنية بهذا
الكتاب عن غر له من نكت دهره وما أقول في بقية الشرف وبحر الأدب وربيع الكرم وغرة نيسابور
وشيوخ العلوية وحسنة الحسينية وأمام الشيعة بها ومن له صدر تضيق عنه الدهناء وتفزع إليه الدهماء.
وكلام كدمع صب غريب ... رق حتى الهوا يكشف عنده
رق لفظاً ودق معنى فاضحى ... كل سحر من البلاغة عبده
فصل في عيادة: ما عرفت لعلني هذه سبباً إلا أنني رأيت نفس الكرم مشتكية فشاركتها في شكواها ووجدت
عين الكمال قذية فاحتملت عنها قذاها وقلت يا عجباً كيف يشتكي من لم يزل يشكي ولا يشكي ولم يمرض
من صحت به آمالنا المرضى.
فصل: كرم الشيخ يطمعني وتقصيري يؤنسني وفضله يقدمني وتقريطي يؤخرني ولن كان استصغار الصغيرة
كبيرة فالأصرار على الكبيرة أكبر وإن كان سكوت المعذر وجهاً فالاعتذار منه أحرى وأجدر.
فصل: بعض الوقت ممت وبعض الحين حين والطالب عجول والمطلوب منه ملول وكل أناء يرشح بما فيه
وكل جان يله إلى فيه.
لفظه: يا أسفي على وفاة الوفاء. ولو كتبت أحاسن شعره لأستغرقت الكتاب كله ولكني أكتب لمعاً منها
تفي بشرط الاختصار والاقتصار كقوله من قصيدة:
كم شادن قد كان بديراً فاكتسى ... خطين فوق مداره لم يكتب
دارت مكان القرط عقرب صدغه ... يا من رأى بديراً تقرط عقرباً
وقوله:
هنيئاً لكم يا أهل غزنة قسمة ... خصصتم بها في الناس من هذه الدنيا

دراهمنا تجي إليكم وتلجكم ... يرد إلينا هذه قسمة ضيزى
وقوله من قصيدة سخرية:

أفاني الدهر ولم افته ... وجد في كيدي الجليدان
حتى رماني الدهر عن قوسه ... وشق قلبي فهو نصفان
فنصفه نهب سجستان ... ونصفه نهب خراسان
وقوله:

تقضى الشباب فما أفرح ... وبان الحبيب فما أفرح
وهذا زمان كما ترى ... فقل لي فديتك ما أمدح
كتبت على اسمك يا سيدي ... على اليلس منك ولن تغلحوا
وقوله:

اسرب القطا هل من معير جناحه ... فيوسعني براً وأوسعته شكراً
لعلي ألقى من أحب لقاءه ... فقد فرق الأيام ما بيننا دهرًا
وقوله في يوم باردٍ ثالج:

يوم عبوس كالح وجهه ... بزمهري البرد موصوف
كأن فيه ثلجه ساقطاً ... قطن على الصحراء مندوف
وقوله في الأشجار والقمر:

ألا صرف لنا خمرًا ... فنفس الصب مدهوشه
فصرفها وقربها ... وغرب وهي مغشوشه
على أنواع ريحانٍ ... بماء الطل مرشوشه
ترى الشجرء في القمر ... ء بالأفياء منقوشه
كأن الأرض من حسنٍ ... بجلد النمر مفروشه
وقوله من ارجوزة:

والجم في مطلعه ... كريبق قد اضطرب
والبدر في نقصانه ... كنصف طستٍ من ذهب
وقوله في البدر:

أما ترى البدر في السماء ... من قرع الغيم في غشاء
دور قدأ كترس تبرٍ ... مغرق في غدير الماء
أو وجه حسناء في نقاب ... تمشي الهوينا من الحياء
وقوله في الدم:

اشكو إلى الشيخ أذى دمل ... ارقني ليلى من وخزته
أشد من لدعته أنه ... اقعدني يومي عن حضرته

وقوله في اللاحشة:

لاخشة في الطبق ... كالصبح بين الغسق
منضودة أوراقها ... واضحة كالورق
حسبتها من لطفها ... وجرمها المرقق
غريقي تبيض رقة ... أو قطعاً من شرق

أكلت لما قدمت ... أكل امرءٍ ذي حق
وخلتني الفضل وقد ... نال المنا من عبق
وقوله في البرد المجحف بالثمار:

يقولون أن البرد يجحف بالثمر ... وإن معاش الناس منه على خطر
فقلت لهم ما دام ربي رازقاً ... فلست أبالي بالجوائح والضرر
الأمير أبو إبراهيم نصر بن أحمد الميكالي أدام الله عزه: فرد خراسان وبدرها وصدورها وفخرها ومن لم ير
مثله في الجميع بين شرف الأصل وكمال الجند وكرم الطبع وبين الآداب العربية والفارسية والآداب الملوكية
وله شعر بارع قل ما يظهره ولكن درره تلتقط من مجلسه وغرره تختلس من فمه كقوله:

إتق الله لا الاعداء واعلم يقينا ... بأن الذي لم يقضه لن يصيبكا
وحظك لا يعدوك إن كت قاعداً ... ولا أنت تعدو حين تعدو نصيبكا
وقوله:

ما قبيح كالبلخل قبحاً ولا كال ... جود كل الخصال حسناً يفوت
ثم بخل مع التواضع خير ... من سخاء يشويه جبروت
ولعمري إن المرند ذا البخ ... ل لئيم مذمم ممقوت
وقوله:

لعمرك من ولاك وجه اعتذاره ... من الفعل يأتي وهو في الحال فاعله
كمنتذر من أكله ذات بطنه ... إلى آكله وهو في الحال آكله
وقوله في مرثية أبي العباس بن طاهر بن زينب:
نعوالي أبا العباس شمس المفاخر ... وبدر المعالي كلها والمآثر
فقلت لهم والقلب مني خافق ... أناشدكم لا تجعلوه ابن طاهر
وقوله وله قصة:

عجباً للزمان حين بلاني ... بأناس لهم عقول سخيغه
حسدوني على تزولي خصاً ... بعد سكاني في قصور منيفه
حسد الكلب والغراب إذا ما ... رأيا الباز واقفاً فوق جيفه
وقوله في تراجع الشرب:

شربت الراح شرب الهيم دهرًا ... فصرت الآن اشرب بالتكلف
ويكفيني غمير دون صحنٍ ... وما ضر التخلف في التخلف
وقوله لبعض أصحابه:

حسبتك لب الجود بذلاً وهمّة ... فأدخلت فيما كنت أحسبه وهنا
وكت كما قدرت لب سماحةٍ ... ولكن كلب الجوز إذا فارق الدهنا
وقوله في قنينة تسمى دهناره:

تبدى النور والقمرى اضحى ... يجاوب في ترنمه هزازه
فطاب الوقت والدنيا ولكن ... امر العيش فرقة دهناره
وقوله:

إذا منحة ضاقت بدرعك فاصطبر ... وثق بتفضيها إذا ساعد العمر
فرأسك غصن الصبر والصبر دوحة ... وما دام غصن الدوح ينتظر الثمر
الشيخ الامام الموفق أبو محمد هبة الله بن محمد بن الحسين أدام الله تعالى عزه: لسان الشريعة وحصن الأمة
وشمس الملة، ومحله في السؤدد والزعامة وأمامة الخاصة والعامة أجل وارفع من أن يذكر بالشعر الذي هو
أدنى فضائله واصغر خصائصه ولكني ازين كتابي باسمه وأتوجه بذكره وأنشد له ابياتاً نطق بها لسان مجده،
فمنها قوله في صباه كالعادة للأدباء السادة:

سمحت بروحي في هواها لأنني ... ارى الموت في حب الحسان يسيراً
اسير وقلبي في هواها مقيد ... فأعجب بإنسان يسير اسيراً
وقوله:

ولما بدا لي منها الفجور ... غدوت اصيح النفير النفير
وقوله في ذم حمام:

وحمام له طبع عجيب ... يميل إلى البرودة واليوسه
فنجم البرد منه في سعود ... ونجم الحر منه في غوسه
وكتب إلى بعض اصحابه الحكام:

يا ايها الحاكم الحاكي شماتله ... حيا الربيع وبدراً لي محياه
أظن نار اشتياقي نحوه اشتعلت ... حتى أعارته حماه حمياه

ابو سعد الكنجروذي: يذكر نيسابور في خمس طبقات من اهلها وهم الفقهاء والأدباء والشعراء والدهاقين
والعراق، ويعد في كل منها متقدم القدم ممتد الغرة والتحجيل ويتسع كتابي هذا من تفصيل هذه الجملة إلا
لنبذ من شعره يعرب عن سعة فضله كقوله في الغزل:
إذا انتنى ورننا سلت محاجره ... قواضياً وبدا مياس قضبان

ردف كحقف وقد من تمايله ... خوط وخصر حكاه خيط كتان
وقوله:

يكسر ظهر الصب تكسيره ... للصدغ والجنن لدى الغمزه
كأنما التجعيد من شعره ... في ألفت صورة الهمزه
وقوله:

بين مخط العارض امتد من ... خال وشعر فاحم خط
كأنه خط الكتاب الذي ... لاح عليه العجم والنقط
وقوله:

في وجهك الزاهر لي نزهة ... فهو بما يجمع بستان
لي نرجس منه وورد ومن ... شاربه الخضر ريحان
وقوله في الخلاف الأحمر:

انظر إلى أحمر الصفصاف تحسبه ... بين الرياض إذا تلقاه ممطورا
حمر البواقيت والأوراق بارزة ... زمرداً ونداه الدر منشوراً
وقوله في الثلج:

ألا ترى اليوم قد أصحت سحائبه ... دكناً واصبح يأتي ثلجه دفعا
كأنه ورق جمال عدن هائجة ... يرمين بين لغام تنهمي قطعاً
وفيه ايضاً:

حمد الثلج فلي من ... ه على العاج معاج
وعلى الأرض لنا من ... ه زجاج وزجاج

أبو القاسم بن عبد الصمد بن علي الطبري رحمه الله: ولد بنيسابور ونشأ بها وتأدب فيها مستظلاً بظل الكفاية وتخرج فخرج منقطع القرين في اصول الأدب وفروعه والجمع بين ثماره ورياحينه وإضافة نثره الذي هو سحر البيان إلى نظمه الذي هو قطع الجنان وخدع الزمان على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده وهو الآن بالحضرة حرسها الله تعالى في اعيان كتاب الرسائل وهذه فصول من نسخة كتاب له يعرب عن تقدم قدمه في الكتابة واتساع باعه في البلاغة كتبه إلى الأديب أبي علي الحسين المروروذي وكان خرج على جرجان بعد معاشرته إياه بنيسابور: خرج الأستاذ أدام الله عزه والقلب بجناح الشوق نحوه طائر إلا وهو معه سائر مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال استنشق نسيم سلامته من كل واد واهدي إليه سلامي مع كل رائح أو غاد وها هنا مقصد بسهم فراقه موثق في قيد اشتياقه فالسلام على العيش حتى اراه ولا مرحباً بالحياة أو احيا بمحياه وسقى الله ايامنا في ظله واستسعادنا بقربه وانتهازنا فرص اللذة به إذ العيش غص والزمان غلام ولقاؤه برد على أكبادنا وسلام اذكره الله منتهنا بآخرة والسماء زرقاء اللباس والشمال ندية الأنفاس والروض مخضل الازار والغيم منحل الآزرار وكأن السماء تجلو عروسا وكأنا من قطرها من نثار والربى أرجة الآرجاء شاكرة صنيع الأنداء ذهب حيثما ذهبنا ودر حيث درنا

وفضه بالفضاء والجبال قد تركت نواصيها الثلوج شيباً والصحارى قد لبست من نسيج الربيع برداً قشيباً
ولا ربع إلا وللأنس فيه مربع ولا جزع إلا وفيه للعاشق مجزع والكؤوس تدور بيننا بالرحيق والأباريق تنهل
مثل ذوب العقيق وتفتت عن فار المسك وخذ الشقيق والجيوب تستغيث من اكف العشاق وسقيط الطل
يعبث بالأغصان عبث الدل بالغصون الرشاق والذن يجرح بالميزال فتل الصايغ طوق الخللخال:
إذا فض عنه الختم فاح بنفسجاً ... واشرق مصباحاً ونور عصفراً
ولا نقل إلا من رياض أدبه ومحاسن فضله وخضايص خلقه ومكارم طبعه إلى كلام طويل، فهذا نموذج من
نثره وهذه غرر من نظمه كقوله:

ومعذر نقش الجمال بمسكه ... خدأ له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه ... من نرجس جعل النجاد بنفسجا
وله من قصيدة:

ورب ببضاء ريا الجلد فاء لها ... ريعان من ترف غصن وريعان
طرقتها والسرى والعزم قد شهرا ... وهناً غرارين من جفني وأجفاني
وقوله من قصيدة:

بانوا بهيفاء يعزو سيف مقلتها ... قلب المتيم في جيش من الفتن
شمس على غصن هام الفؤاد بها ... يا ويح قلبي من شمس على غصن
وطال ما غاب عن جفني لزورها ... وجفن سيفي غرار النصل والوسن
وقوله من قصيدة في التوحيد والأنس بالوحدة والكتب والاستغناء به عن معاشره الناس:
ولقد الفت قناء بيتي لا بساً ... حلل الغنا ألف القطا إلا فحوصاً
لم ادرع طعاماً ولم أمدد يداً ... نحو النوال ولا زجرت قلوفا

أجتاب أن خصرت أنامل راحتي ... من نسيج دني جبنه وقميصا
وإذا أردت منادماً لم تلقني ... إلا على عز العلوم حريصا
وترى الكتاب مجالساً لي مودعاً ... سمعي فصولاً تنقي وفصولا
لامفشيلاً سري ولا متنمراً ... جهم اللقاء ولا علي خروصا
وقوله من نثفه:

كم جاهل أحصى علي بزعمه ... شيماً يظن بها علي مناقصا
فأجبتة ويد النوائب سلدت ... عن قوسها نحو الفؤاد مشاقصا
لو كان إيقاع الزمان مساعدي ... لوجدتني في سكر عيشي راقصا
الذنب للأيام حين تركني ... ظلماً على جيدي لها متراقصا
وقوله من نثفه:

شباب هز عطفك لم ترقه ... خليع الرأس في طرب وهو

فأنت إذاً وقد ولى حثيثاً ... لأخسر صفقةً من شيخ مهو
أبو حفص عمرو بن المطوعي الحاكم: قد نطق كتاب اليتيمة بذكره والإفصاح عن حاله ومحله وتضمن
باكورة شعره وهذا مكان ملح بديعه وإفراد معاني أنيقة من غرر سحره التي سنحت له بعد فراغي من
تأليف ذلك الكتاب ولا غنية بهذا الكتاب عن التزين بما وهذا ألفاظ له على مقدمتها كقوله: الهوى كثير
الهوى والخمر ملاذ الملاذ، وقوله: بينهما من الصرف ما بين الولاية والصرف، وقوله: ليس للشاتي كجلد
الشاة، ومن بدايع شعره قوله في الغزل:

يا خادماً يملك مني خادماً ... قد صير الدنيا علي خاتماً
كم دم صب قد صيت ظالماً ... أخدمأ أصبحت أخدمأ
وقوله:

خليلي إني واحد العصر في الهوى ... لمن قد غدا في الحسن واحد عصره
قضيبي ولكن مبسم النور ثغره ... وبدر ولكن الحاق لخصره وقوله:
قالت عهدتك تبكي ... دماً حذار التناء
فما لعينيك جادت ... بعد الدماء بماء
فقلت ما ذاك عندي ... لسلوة أو عزاء
لكن دموعي شابت ... لطول عمر بكائي
وقوله:

بانوا فامطرت الأجفان بعدهم ... من نور عيني على خدي نوعين
حتى نفضت عيني مدامعها ... بقيت ابكيهم دمعاً بلا عين
وقوله:

اضحك كزوسك بالصهباء ميتكراً ... فقد أذاك سحاب باكر شاكي
يكي ويضحك فيه البرق مبتسماً ... كأنه حين يبدو شاكر شاكي
وقوله في نور الخلاف المسكي:
قم هاك دهقانية ... وعليك بالكاس الدهاق
أو ما ترى نور الخلاف ... كأنه نور الوفاق
وقوله فيه ايضاً:

أو ما ترى نور الخلاف كأنه ... لما بدا للعين نور وفاق
كالكف سنور ولكن نشره ... يسعى بفار المسك في الافاق
وقوله في الرياس والبقلاء:

يا حسن ريبس أذاك مزاجاً ... للبقلاء الغض أي زواج
كأنامل قد غشيت بزرجد ... وصلت بمن سواعد من عاج
وقوله في الاسفاناخية:

قد قلت للطباخ لما جاء في ... مرضي بلونٍ ليس فيه طباخ
هلا طبخت لنا سواه فإنه ... أسف أناح فقيل اسافاناج
وقوله في السلطان الأعظم أدام الله تعالى ملكه:
أرى حضرة السلطان يفضي عفاً ... إلى روض مجدٍ بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من ... مجال سجودٍ في مجالس جود
وقوله في التلفيق بين ستة من الطير:
يا رب ليلٍ لو تجس ... لم يكن غير الغداف
بتنا به وشرابنا ... صرف كعين الديك صاف
يسعى بذاك مهفهف ... بمحاسن الطاووس واف
ولنا مغنٍ لحنه ... للعندليب بلا خلاف
حتى سمعت تجاوب ال ... عصفور في قبض الخرف
ورأيت باز الصبح من ... شور القوادم والخوافي
وقوله في مؤلف هذا الكتاب:
كلام أبي منصور فيه عذوبة ... ينوب عن الماء الزلال لمن يظما
فنروي متى نروي بدائع نظمه ... ونظما إذا لم نرو يوماً له نظما
وقوله:
من كان في الحشر له شافع ... فليس في الحشر من شافع
غير النبي المرسل المصطفى ... ثم اعتقادي مذهب الشافعي
أبو منصور يحيى بن يحيى الكاتب: فاضل ملء ثوبه كاتب بحقه وصدقه شديد الاختصاص بالأمير أبي الفضل
الميكالي أدام الله تعالى عزه مقتبس من نوره يقول:
حدثت أحاك إذا عدمت مطية ... إن الحديث مطية للرجال
وأصحب ذوي الآداب أنك لن ترى ... زلفاً لرجلك مثل صحبة جاهل
ابنه أبو الوفاء محمد بن يحيى: قد حاز في عنفوان شبابه واقتبال زمانه محاسن الأدب وبرع في النشر والنظم
وأخذ بأطراف الفضل، فمن بارع شعره قوله في الأمير أبي الفضل أدام الله عزه من قصيدة:
سعادة خدمة الأرباب أولى ... بمثلي من سعادٍ أو رباب
عنيت به بني ميكال من لا ... يداني جودهم جود السحاب
هم رخصوا خموال الدهر عني ... وأعطوني وقد صفرت وطايي
ودلوني على العلياء حتى ... دخلت على العلي من كل باب
ومن يمدح عبيد الله يقدر ... بزندٍ في المعالي غير كاب
ويستمسك بحبلٍ ليس يخشى ... عليه قط داعية انقضاب

سأستغني به عمن سواه ... كما استغنى الشاب عن الخضاب
أدام الله دولته وأجنى ... يديه ثمار عيشٍ مستطاب
وعوده سعادة كل عيدٍ ... يعاوده إلى يوم الحساب
وكتب إليه أبو عبد الله الحسين بن علي الغوي الكاتب:
رأيت الفضل يحى يا بن يحى ... فجانبه أبو يحى طويلا
مودته ممازجة لقلبي ... كما قد مازج الماء الشمولا
فأجابه أبو الوفاء:

ابا عبد الإله بقيت جزل ال ... كلام تنيلنا براً جزيلا
فما ابن المزن زوج بنت كرمٍ ... ليمهرها أخو الكرم الغفولا
باشهى من كلامك في فؤادي ... وقد سلى الجوى وشفى الغليلا
وقال ايضاً:

سقى عهد الصبا مطر اللموع ... وإيام الحمى غيث الربيع
سنين طويتها شهراً فشهرًا ... ولم أعرف جمادى من ربيع
وقال :

قل للأمير ومن لي ... بأن يرد جوابي
سللت جسمي لما ... سللت سيف العتاب
وقال:

بقيت بمرور الرود في عدة المطر ... وطول مقام المرء في مثلها خطر
إذا ما أذان الرعد آذاننا وعت ... لقينا بها الحيطان تسجد للمطر
وقال من أخرى أميرية:

لله در الصبا ما كان أطيبه ... لو أن صرف الليالي لم يصب درره
أيام غصن شبابي ناصر خضل ... مرفرف الظل تجني راحتي ثمره
لا أزجر الطير مهما زرت غانيةً ... ولا تطيرني العذال والزجره
إذا مررت بخدرٍ دون هودجه ... خوادر الأسد آبي أو ارى قمره
أرى السعادة في سعدي وطلعتها ... واليمن في حر وشى اليمنة الحبره
يا رب يومٍ بحر الشمس منتقدٍ ... أزارنيها اشتياقي وهي منتظره
فاستقبلني في كحلي معجرها ... كسنة البدر بالظلماء معتجرة
إذا خطت خطوةً نحوي لتكرمني ... رأيت خلخالها يستخدم الشعره
ورب ليل يكاد الصبح يسبقه ... أعار شطر إهام القطا قصره
قد ضمنا تحت أذيال السرور معاً ... كالورد قد ضم في أكمامه زهره
سقياً له من زمانٍ لست أذكره ... إلا رأيت دموع العين مبتدره

هيهات ماللفتى في دهره عوض ... عن الشباب فخذ عن عالم خبره
إلا لقاء عبيد الله سيدنا ... هذا الأمير فذاك العيشة النضرة

وهي طويلة. أخوه أبو سلمة أيده الله تعالى: خلق أبيه وشبيه أخيه وكتب الأمير أبي الفضل ادام الله تعالى
عزه زالمخلوق بخلقه والجاري في طرقه والمستملي صحف فضله ومن لا يتميز خطه من خطه وهو اشبه به من
الغراب بالغراب والتمرة بالتمرة وله شعر كخطه مثل قوله في الغزل:

ظلم الحبيبة من يشبه قدها ... بالغصن عند تبخر وعناق

فالغصن يسمح حين يسقط نوره ... وجمالها في كل وقت باق

وكتب إليه أبو يعلى البصري يستهديه حبراً فأجابه إلى ما طلب وعما كتب بأبيات منها:

وبعد فقط أنفدت حبراً كأنه ... يحاكي ظلام الليل أو منة الوغد

إذا ما جرى في الطرس خلت سواده ... على الرق نور الحق مع ظلمة الجحد

وحق الهوى لو كان أسود ناظري ... وحية قلبي كنت أهلاً لها عندي

أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن الكرابيسي الحاكم أيده الله تعالى: من اشعر الفقهاء وأفقه الشعراء

ومن العلم حشو ثيابه والعقل والفضل من أوصافه يقول ويحسن:

تمت أن تحي حياة هنيئة ... وأن لا ترى كر الزمان بلا بلا

رويدك هذي الدار سجن وقل ما ... يمر على المسجون يوم بلا بلا

أبو مسعود أحمد بن عثمان الحشنامي أيده الله: من حسنات نيسابور وفضلائها وشعرائها وكلامه كثير

الرونق ظريف الجملة والتفضيل كقوله:

وجاهل لج في مشاتي ... والحلم يكن مبقياً على جاهي

سكت عنه ولم ابال به ... والحلم مما يزين اشباهي

وبين فكي صارم ذكر ... أعمله عنه خشية الله

وقوله:

يا والياً عز الولاية عره ... فسطا لذلك على الأنام وتاها

اقصر فذل العزل يتبع عزه ... عصر الولاية لا يفي بفساها

وقوله:

يا سيداً أثر المعالي ... فليس عنها له انخياز

حقيقة المجد في يديه ... وفي يدي غيره مجاز

فهو لذنب الزمان عنر ... وهو لثوب العلى طراز

وقوله:

اقول لمن يعد الشيب نوراً ... ويزعم أنه يكسو وقارا

وقوله:

أقول وقد عوتبت حين شربتها ... وحيداً ومن أنس النديم عديماً
عدمت نديماً سالماً لي غيبه ... فصيرت كاسي مونساً ونديماً
وقوله في الغزل:

وجه أبي الفتح إذا ما بدا ... يغني عن البدر إذا ما طلع
لولا دفاع الله عن خصره ... إذا ثناه راکعاً لانقطع
وقوله في الحكمة:

أترجو في زمانك صفو عيش ... وقد عري الزمان من الصفاء
وتأمل من بني الدنيا وفاء ... وما شيء أعز من الوفاء
وقوله في فتي يشتكي وهو يعارض أبا سعد بن خلف:
شكت اقاحيك فاشتكت لها ... يا قبلة الحسن فتنة البلد
وجهك شمس الضحى إذا ما طلعت ... تضر بالقحوان والبرد

ابو الحسن محمد بن الشيخ أبي علي الحسين بن محمد بن طلحة ايدهما الله تعالى: كريم الطرفين شريف
الجانين عريق في الأدب والفضل والكرم وسنه الآن دون العشرين وشعره فوق شعر المفلقين المبدعين وقد
مرت بي قصيدة له في أبيه لو قالها البحري أو أبو فراس الحمداني لما زادا، وأولها:
أعاتب صرف الدهر والدهر عاتب ... وأطلب منه رد ما هو ذاهب
وأرجو من دهري نمت الأيام بالوصل عودة ... وتلك أمانني النفوس الكواذب
شكائي من دهري فمن ذا ألومه ... وعتي على عيني فمن ذا أعاتب
كفا حزناً أرى البحر جانباً ... وبي ظمأ عن منهل الري جانب
وهون وجددي أنني لست واحداً ... من الناس حرراً لم تصبه النوائب
وأني على ما بي ليجذب همتي ... إلى ساكني نجدٍ من الشوق جاذب
رعى الله داراً بالحمى هي دارنا ... وقوماً هم أحبابنا والحباب
فكم بالحمى من مرهف القد ناعم ... قد اختلفت للشعر فيه المناسب
ومنها:

محياء للورد الجني ملابس ... ورياه للمسك الذكي مسالب
ومنها:

فيا دار بل دائرة البدر في الدجى ... سقتك دموعي لا سقتك السحائب
أما والذي تنضي إلى حج بيته ... مخيسة قب البطون شواذب
لقد خانني إلا اشتياق مبرح ... واسلمني إلا دموع سواكب
قضى ربنا أن يصدع الشعب صاعد ... فما طمعي أن يشعب الصدع شاعب
ومنها:

سأضرب في أقصى البلاد وأني ... إلى الأمد الأقصى من المجد ضارب
وللدهر أنياب ضواح ضواحك ... إلي واسياف قواضٍ قواضب
ومنها:

وردية لا ماء إلا سراهما ... ولا ركب إلا آلهما المترابك
كأن مطايانا مخاريق لاعب ... تالِق فوق الأكم والأكم لاعب
ومنها:

قطعنا إلى الشيخ الرئيس مجاهلاً ... وجبنا الفيافي وهي قفر سباب
وسار بنا رحل وكور ونمرق ... وساع وساع خطوه متعاقب
ليفرح محزون ويقبل مدبر ... ويأمن مرتاع ويظفر طالب
وتدرك حاجات وتحوى رغائب ... وتبلغ آمال وتقضي مآرب
ومنها:

بعيد مناط المهم أقرب همه ... فدع ذكر اقصاه النجوم الثواقب
وكم اقرأ الأعداء كتباً حروفها ... ظمى ورماح والسطور مقانِب
وأطر فاخضرت بقاع نجوده ... ولا حسنهما ناضٍ ولا الماء ناضب
وللمجد أعلام سوامٍ سوابق ... إليه وأقدام رواسٍ رواسب
وختم القصيدة بقوله:

فلا زلت يا شمس المكارم طالعاً ... بافق المعالي والشموس غوارب
ولا زلت مخضر الجنبان فإنما ... بجودك يخضر السنون الأشاهب

ابو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد أيداه الله: قد امتزج الأدب بطبعه ونطق الزمان بلسان فضله ولئن
أحوجه الزمان إلى التأديب على كراهيته غياه وتبرمه به لإرتفاع محله عنه أن له اسوة في المؤدبين الذين بلغوا
معالي الأمور وبعد صيتهم بعد الخمول كالحجاج بن يوسف وعبد الحميد بن يحيى وأبي عبيد الله الأشعري
كاتب المهدي وأبي زيد البلخي وأبي سعيد الشيبلي وأبي الفتح البستي وغيرهم، ومأليق قول البحري بحاله:
مواعد للأيام فيه ورغبتي ... غلى الله في إنجاز تلك اللمواعد
وكذلك قول ابن الرومي:

أما ترى المسك بينا هو على حجر ... يذله كل ذل فهو عطار
إذ ابلغته صروف الدهر غايته ... فحل منزله من رأس جبار
وله نثر حسن وشعر بارع كقوله في مؤلف هذا الكتاب:

لئن كنت يا مولاي أغليت قيمتي ... وأغليت مقدارني واورثني مجدا
وقصرت في شكريك فالعذر واضح ... وهل يشكر المولى إذا أكرم العبد
وكتب على ظهر كتاب سحر البلاغة له:

سحرت الناس في تأليف سحرك ... فجاء قلادة في جيد دهرك

وكم لك من معالي من معانٍ ... شواهد عندنا بعلو قدرك
وقيت نوائب الدنيا جميعاً ... فأنت اليوم جاحظ أهل عصرك
وقال في الحجاب:

يا من غدا سابقاً في كل مكرمةٍ ... ودون رتبته الغايات والرتب
إن كنت محتجباً عنا فلا عجب ... فالشمس في حجرات السحب تحتجب
وقال يهجو:

وقال لي أبو حسنٍ كريمٍ ... قُلت الميم هاء في العبارة
وما لجلاله أهجوه لكن ... رأيت الكلب يرمى بالحجارة
وقال:

لأبارك الرحمن في عمري ... أن سرتني قرب أبي عمرو
وهو صعيد قد تيمته ... إذ ليس يجري الماء في النهر
وقال

عرضت على الخباز نحو المبرد ... وكتباً حسناً للخليل بن أحمد
ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهل ... وتوحيد جهنم بعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول ... وغنيته لحن الغريض ومعبد
فما نفعني دون أن قلت هاكها ... مدورةً بيضاً تطن على اليد
وقال في مرأى:

يرى الناس أني كالمسيح بن مريمٍ ... وفي ثوبه المسيح أو هو أغدر
أغرهم منه تقلص ثوبه ... وذلك حب تحته الفخ فاحذروا
وقال:

لم تقعدوا فوقني لفرط نباهةٍ ... وجلال قدرٍ أو علو مكان
والنار يعلوها الدخان وطالما ... ركب الغبار عمام الفرسان
وقال:

إني بليت بحرفةٍ ... بوساً لها من حرفه
هي حرفة لكنها ... مقرونة بالحرفه
وقال:

نغوض للسيادة يشتهيها ... وليس هناك آلات السيادة
كعينٍ أراد نكاح بكرٍ ... ولم يقدر فمال إلى القياده
وقال من كان يعشق منكم شادناً غنجاً ... البدر يشبه والشمس تحكيه
فلست أعشق إلا كل ذي أدبٍ ... الوشي كم يده والدر من فيه

ابو محمد الحسن بن المؤمل الحريري: من أولاد أحمد بن حرب الذي يضرب به المثل في الزهد والنسك ويزار قبره بنيسابور من مائتي سنة وترفع الحاجات إلى الله عز ذكره وهو أعمر المشاهد بها وقد لبس أبو محمد برد شبابه على فضل مكتهل وظرف مقتبل وشعر مقبول وادب معسول فهو كما وصفه صاحب بعض فضلاء الندماء فقال: أن اردت فهو سبحة ناسك او أحبيت فهو تفاحة فاتك او اقترحت فهو مدرعة راهب أو آثرت فهو تحية شارب، من ملح شعره قوله:

ايا من فضله عم البرايا ... ونال المجتدون به المباغي
ترفق بالرسول فذلك نفسي ... فليس على الرسول سوى البلاغ
وقوله في النيروز:

يا شمس أهل المشرق أسعد فقد ... حلت برأس الحمل الشمس
واشرب على طلعة نيروزها ... كأس مدام يدم الأوس
وقوله من قصيدة:

ثار الغبار غداة ثارت عيسهم ... فشمتت من ذاك الغبار عبيرا
تالله لو شاهدت وقت وداعهم ... لرأيت دمعا في الحدود غزيرا
ولقيت منهم من يشق صدره ... ولقيت منا من يشق صدورا
وقوله:

قالوا التحي فبدا الظلام بوجهه ... فتسل عنه فإنه لا يرتحي
فأجبتهم كيف التسلي بعدما ... زادت محاسن وجه لما دجي
فالنجم يحسن في الظلام وقل ما ... يبدو بهاء البدر إلا في الدجي
وقوله لمؤلف الكتاب:

قد اشرقت أرجاء نيسابور ... وأطلعت طلائع السرور
بعود مولانا أبي منصور ... لا زال في عز وفي حبور
ودولة تبقى على الدهور.

ابو الفضل أحمد بن محمد العروضي المعروف بالصفار: أمام في الأدب خنق التسعين في خدمة الكتب وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس متأدي نيسابور وإحراز الفضائل والחסن وهو القائل في صباه:

أوفى على الديوان بدر الدجي ... فسل نجوم السعد ماحظه
أخطه أملح أم خده ... ولحظه أفتن أم قمظه

وأنشدني لنفسه في جمع اسماء الكواكب السبعة في بيت واحد
يا من يقدر الدهر ينصره ... بكوكب عاجز بالله فانتصر

لا تشركن رب العرش تجهله ... كواكباً كلها تجري على قدر

عطارد زهرة والشمس مع زحل ... كالمشتري الفرد والمريخ كالقمر وأنشدني رحمه الله لنفسه:

لعزة الفضة المبرة ... أودعها الله قلب صخره

حتى إذا النار أخرجتها ... بألف كد و ألف كره
أودعها الله كف وغدٍ ... أقسى من الصخر الف مرة

ابو بكر أحمد بن علي الصبغي: من أهل البيوتات بنيسابور وكان يجمع أدباً وظرفاً ويناسب شعره روحه
خفةً ويخرج من العشرة من القشرة فاحتضر في عفوان شبابه وتقطعت به اسباب آدابه ورثاه الفاضل
الظريف صديقه أبو منصور علي بن أحمد الحلاب الكاتب أيده الله تعالى بقوله:

ولما نعى الناعي أبا بكر الذي ... رمى الدهر عين الفضل حين اصابه
تقطع قلبي حسرةً وتلهفاً ... ولم ابكه لكن بكيت شبابه
غزته المنايا من قريبٍ وحللت ... لأترا به طفر الحمام ونابه
ويوشك أن ينحو بنا نحوه الردى ... ويسكننا ربع البلى وجنابه
سقى الله صوب الغاديات ضريحه ... وأكرم من دار البقاء مآبه
خليلي صبراً للرزايا فكل من ... من الترب مخلوق سيلقي ترا به
ومن ملح أبي بكر قوله:

باكر أبا بكر بكس ... واشرب على وردٍ وآس
واخلع عذارك جامحاً ... ما بين إبريقٍ وطلس
فالعيش عيش ذوي الصبا ... والدين دين أبي نواس
وقوله:

رحم الله من رأى نظم شعري ... فدعا لي بما اشرت إليه
قال يا رب نجني من هواه ... أو فرد الذي يحب عليه
وقوله في إنسان رازي كان يدعي أنه من اللاسكية وينتحل شعر ابن بابك:
أم الذي يزعم أبي لاسكي ... حجامه تزوجت بحائك
وكل ما ينشد من اشعاره ... في شعر عبد الصمد بن بابكا

ابو منصور بن أبي علي الكاتب أيده الله تعالى: من آدب الكتاب بنيسابور وأعرفهم بالرسوم وله خط حسن
وشعر كتابي كقوله في ترجمة شعر فارسي حيث قال:
ليس كل الذي انتظى من دواة ... قلماً بالغ العلى بالأداة
إن حمل العصا لغير بديع ... قلبها حية من المعجزات
فارسيته:

نه هر كو قلم بر كرفت ازدواة ... شفا كرد داند جهانرا زادا
عصا بر كرفتن نه معجز بود ... همي ازدها كرد بايد عصا
وكتب إلى صديق له استعار منه كتاباً في شعر:
وقفت على ابياتك الغر إنها ... بدايع ما قدمت لي من نثاركا

وإني وأجزاي وماملكت يدي ... فداء رسولٍ جاء من باب داركا
أمامك ما تختار منها وغيرها ... فبادر إلى ما تشتهي باختياركا
ودمت لأهل الود دوح مكارم ... تفيدهم طيب الجنى من ثماركا
وقال في قنينة بعض العمال بولاية الديوان:
ليهنك يا بدر المجالس والصدر ... طلوعك في الديوان للنهي والأمر
قننا بك الأعمال إذ أنت فخرها ... وقدرك عما نلته أرفع القدر
وزيت بك الأيام إذ أنت حليها ... والعصر أنت الفخر لعصر والمصر
فلا زلت في ربع العلى متربعا ... تساعد الأيام في أنها العمر
عبد الرحمن الدوغي الفقيه أيده الله تعالى: يقول في المدح:
جنابك مثل روضات الجنان ... ومنك تنال غايات الأمان
حللت من المكارم في ذراها ... ففيها أنت كالسبع المثاني
وأنت لفرط فضلك صرت فينا ... أحب من الشباب إلى الغواني
إذا عدت محاسنك القوافي ... غفرنا ما جنته يد الزمان
فلا زالت من الرحمن يعمى ... لديك قطوفها ابداً دوان
وله في مخنط يتف:

لما رأى شعر العذا ... ربحه قد جاز حده
وابتر بهجة وجهه ... أمضى ببسوط التنف حده
وله من قصيدة:

برزت إليك عرايس الأشجار ... في حلية الأنوار والأزهار
تحلى سجايك الحميدة كلما ... عاتق وفد الريح بالأسحار
وكأنما الطيار في ترجيعها ... تنثى إليكم بلحن موسيقار
وكان صوب القطر كل عشية ... أثار سبك في ذوي الأقتار

ذكر الزواجنة وملح أشعارهم فمنهم: أبو بكر محمد بن أحمد اليوسفي: كان من افرادهم أدبياً وفضلاً
ومفلقهم نظماً ونثراً، ولفظته زورن إلى اقطار الأرض وآفاق البلاد وحرقة الأدب زميله وتنزيله وحليفه
واليفه وتصرفت به احوال في تاديب ولد ابن ينفع وانتجاع الصاحب وغيره وطالت مدته في الغربة ثم عاد
إلى الوطن على غير قضاء الوطر ولم يلبث إن انتقل من ضيق العيش إلى ضيق القبر لم يلق بين الضيقين
فسحة ورحمة الله تعالى حسبه، وهذه فصوص من كلامه ورسائله: فصل: تحيرت فما أدري افارة مسك
فتقت أم شامة كافور نفحت أم لطيمة فض ختامها أم قسيمة فرقت أقسامها أم محاسن وصال كأنهن محامد
نظمن عقداً وفضائل نسقن عقداً وكان زمانها عطار ولياليها اسحار. فصل: نحن اليوم في باغ وفي زمن غير
باغ وظلال اشجار موقرة بالثمار نرود بينها كما نريد بين قيان تجود عليها فتجيد. فصل: في وصف اطعمة

وحلاوى صحاف أنقى من الفضة بشرةً تتناوب على المائدة عشرةً عشرةً بعد بواذر ومخللات تحسبها
الجواهر محلات وقل يا سيدي في الفالوذج المعك والقرص السكري المفكك والقاطولي الذي يقال عنده
للبد طولى والقرص العسلي الذي يهون لبس العسلى أوصاف ارق من أوصافي مفصص بفيروزج الفستق
مفصص بلباب اللوز في مثله يتنافس المتنافسون وله يعمل العاملون. فصل: بخور لها في مجلس بخار وعقار
يهون فيها العقار. فصل: صحو يكاد من الغضارة يمطر وازهار تكاد من الاهتزاز تنظر. فصل: أما والحدق
المراض وسهام الأحاظ والروض غب القطر فإن لها حقاً وأنفاس السحر فإني عبداً رفاً أي منذ حرمت
منك حلاوة الرضى ودعت العيش المرتضى وبت على مثال جمر الغضا وحد السيف المنتضى ويا ليتني كنت
نسياً منسياً قبل أن أعد لديك مجرماً ومسيئاً وليت الطير يخطفني والذن تحطمني فإن ذلك أهون من تفريع
ذلك القريع وعته الذي صنع بي صنع السيف الصنيع. فصل: اراني الله بما أهلاً كانو للفضل أهلاً فصل:
الشوق الذي اقاسي يصدع الحجر القاسي والذي مر براسي يهد الجبل الراسي من نواكب أهوت المناكب
وعوارض شبيت العوارض ومحن عظام أثرت في العظام وللأنام دول متعاقبة وللصبر الجميل عاقبة.
فصل: بلدة هي من أخلاقه جونة العطر من محاسنه عيد الفطر: فصل: ما أولاه بمثل ما أولاه وأحراه بمثل
الذي تحراه وأحقه بالشكر الذي استحقه. فصل: هذه وسميه فلا يجرمني ولية وقد سر بالإبتداء فليسر
بالعودة ولية. وهذه غرر ودرر من شعره فمناها قوله من قصيدة أولها:

تبدلت من بعد الحبيب المفارق ... سواد الليالي وابيضاض مفارقي
ومنها:

سقى البارق الغوري عذباً من الحيا ... محللتنا بين العذيب وبارق
وأغنى مغانيها وارضى رياضها ... وشق بلطم القطر خد الشقائق
محلة ايناسي ومغنى أوانس ... ومركز رايات ومرعى أياتق
فيا يومها كم من مناف منافي ... ويا ليلها كم من موافٍ موافق
ومنها:

كأني شهد مجتئى لفم الردى ... وكل مصيبات الزمان ذوائقي
ومنها:

ولم أنتبه إلا ذكرك صاحبي ... ولم أغتمض إلا وطيفك طارقي
وقوله من قصيدة صاحبة في العيادة والتهنئة بالاقبال:
أطلع الله للمعالي سعوداً ... وأعاد الزمان غصاً جديداً
ومنها:

ببعث الدهر جنده وبعثنا ... نحو دعوة الآله جنودا
يا عميد الزمان إن الليالي ... كدن يتركن كل قلب عميدا
حادثاتٍ أردن إحداث هدم ... لعلاه فأحدثت تشييدا
وقوله من أخرى:

سلام عليها أن عيني عندما ... اشارت بلحظ الطرف تخضب عندما
ومنها:

وزرت به كافي الكفاة وعنده ... ارى الفضل فذاص والتفضيل توأما
ومنها:

ينال لديه معنقى الفضل أجراً ... ما سقى وينال العفو من كان أجراً
ومنها:

وما السيف صمصام ولا الرمح في الوغا ... أجم إذا لم يلف عزمًا مصممًا
وقال يهجو:

امسى اجل الشعر لا ينتقي ... وأجهل الناس به من نقد
إن الذي ميز اشعارنا ... أولى من النقد برعى النقد

وقال مطارحة الوسائد في النوادي ... مميزة اللثام من الكرام
يطاهن الكريم بأخصيه ... وهن يطأن اقفاء اللثام
وقال من أخرى:

وكلفني من بلايا الفرا ... ق حكماً يطاع وما أن يطاق
رقيب يعوق وخل يعق ... وحسن يروق ودمع يراق
وقلب يصب ودمع يصب ... ونفس تشاق وروح تساق
سقى الله حالين من دهرنا ... طراد العتاق وطيب العناق
وقال:

اثنان أجمع أهل ال ... آداب أن لا يعابا
المستميح شراباً ... والمستعير كتاباً

أبو جعفر محمد بن اسحق بن علي البخائي: زينة زوزن وظرف الظرف وريحان الروح يقول في هجاء لحيته
الطويلة:

يا لحيّة قد علقت من عارضي ... لا استطيع لقبحها تشبيها
طالت فلم تغلح ولم تك لحيّة ... لتطول إلا والحمافة فيها
إني لأظهر للبرية حبها ... والله أعلم أنني اقلها
ويقول في ذم خال علي وجهه بعض من يهجو:

ابو طاهر في الشوم واللوم غاية ... بعيد عن الإسلام والعقل الدين
على وجهه خال قريب من أنفه ... كمثل ذباب واقع فوق سرقين
وله في مرثية أبي بكر الصبغي الذي تقدم ذكره من نثقة:
وارحمنا لشبابه ... إذ لم يمتع بالشباب

وكأن في قبره ... شمس توارت بالحجاب

وله في الغزل:

لما ترحل من أهوى وودعني ... وصرت من بعده حيران مبهوتا
نظمت دراً على القرطاس من غزلي ... ومن دموعي على الخدين ياقوتا

وله:

ينكون غزلان الحسان ولا ارى ... غزالاً من الغزلان فرداً بساحتي
فمن يك قد لاقى من النيك راحة ... ففي راحتي والريق انسى وراحتي

وله:

ولما رأيت الفقر ضربة لازب ... ولم يك لي في الكف عقد على عقد
ولا لي غلام قد يناك ولم يكن ... سبيل إلى الترك المكحلة الجرد
شريت قبيحاً من بني الهند أسوداً ... ونيك هنود السود خير من الجلد
ومن أحسن ما قيل في وصف البطيخ قوله:

وزائرة تاهت علي بردها ... ويعجني منها خشونة جلدها

ثقيلة ما بين الآهاب قصيرة ... وصفرتها تبدو بظاهر خدها

وفاح لها طيب يسير أمامها ... فيحيي لنفس الصب ميت وجدها

فقمتم إليها مسرعاً فافترعته ... وذقت لذيذاً من عسيلة شهدها

وقال في قصر بنه ضد له:

بنى أبو العباس في داره ... قصرأ فلا متعه الله به

نام عن الجود ولكنه ... في بخله مستيقظ منتبه وقال في التبرم بالأدب:

إني أقول وخير القول أصدقه ... والصدق يحمل أحياناً على الكذب

لا تجمعن ابداً علماً ولا أدباً ... وجد في طلب الأموال واغترب

في المال زين وفخر أن ظفرت به ... والبؤس والنحس والادبار في الأدب

وله عند خروجه في سفر:

خرجت مع الركب الغداة مسافراً ... فيا ليت شعري ها أأوب مع الركب

إذا ذكرت نفسي ديار عشيرتي ... تحدر دمع العين سكباً على سكب

وقال:

اقول إذا رمت الحادثاً ... ت بي من بحار السى في لجج

ايا نفس صبراً عسى الله أن ... يقدر لي عن قريب فرج

وقال في أحمد الحشنامي:

وذي أدب بر رميت ببعده ... معين على الأيام افديه من أخ

به ارخ المعروف والمجد والعلی ... ولولا تناهى مجده لم يؤرخ

وكت اشكو البين في ربع فرسخ ... فكيف وفيما بيننا الف فرسخ
وقال في غلام تركي:
بليت بقنص الضراغم شادن ... من الترك لم تحلل تئامه بعد
تضيق علي الأرض من ضيق عينه ... وينزف شعري شعره الفاحم الجعد
وقال من قصيدة:

لا وأفخاذ الصغار ... وأحيراح الجواري
وستية من صبي ... بالغ حد العشاي
وصغير من بني التر ... ك يسقي بالكبار
لا أطيع العاذل الجا ... هل في ترك العقار
همتي شرب خمور ... من يدي ذات خمار
أو يدي ظبي غري ... رخو معقود الازار
لست والله على الي ... م مع الزير بزاري
أبو بكر أحمد بن محمد القوهي: أحد فضلاء الزوازنة وشعرائها يقول في شكاية فقهاها لما اختاروا لزعامتهم
إسرافيل الغزنوي:

لنا فقهاء شرهم جد محكم ... وإن زل خير منهم فهو ينسخ
اقاموا على الناس القيامة جهرة ... وجاؤوا بإسرافيل في الصور ينفخ
وله من قصيدة:
كم من مود له عقار ... عقاره شد وهو خفا
أي صار عقار بالتشديد وصار هو مودياً بالتخفيف. أبو يعلى الروزني: من اشهر فضلائها وظرفائها وهو
القائل من نشئة:

لم أزل قائلاً بفضلك في الس ... راء فانظر إلي في الصراء
وهو القائل:
أنلني يا حليف الحمد سؤلي ... ولا تنظر إلى ثقل الرسول
فإن ضرورة الأيام تلجى ... أحياناً إلى الرجل الثقيل
أبو الحسن العبد لكاني: والد محمد العبد لكاني الذي طبق الدنيا بشعره المليح الطريف وكتاب اليتيمة مختوم
به وعهدي بملكين يجري شعره على لسان كل منهما وهما الأمير أبو العباس بن مأمون خوارزم شاه والأمير
صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين رضي الله تعالى عنهما وارضاهما، فأما والده أبو الحسن فإنه
يقول في قرية بهذاذين من قرى زوزن ما استظرف البيت الأخير منه وهو:
اشرف ببهذاذين من قرية ... عن شائبات العيب في حرز
لكنهما من لؤم سكانها ... حطت إلى الذل من العز

ما إن ترى فيها سوى حاملٍ ... جلفٍ ديني أصله كر
لا تعجبوا منها ومن أهلها ... فالسوس لا ينكر في الخُر
ويقول في التماجن:

رجل أسدى إلينا صالحاً ... فمعاذ الله إن نجعله
بل نكافيه به أضعافه ... أن من يفس لنا نخر له
أبو علي بن أبي بكر بن حشوية الزوزني: أنشدني أبو القاسم بن أبي منصور له:
تعجب من مشيبي في شبابي ... كأن لم تلق من قبلي مشيبا
فقلت في ذرى التعجب إن هذا ... زمان يجعل الولدان شيبا
وأنشدني غيره له ايضاً:

ليس من قلة العقول أتينا ... بل لما ساقه الجدود العوائر
كيف نرجو نجاحنا من رئيسٍ ... ليس يحظى لديه إلا مواجرا
ابو الحسن علي بن أبي علي بن جعفر المعروف بابن سيسنبر الزوزني: يقول في معنى تفرد به وهو يقع في
باب تكلم كل إنسان من صناعته وقد مر مثله في ذكر أبي بكر القوهي وغيره:
كفى الشيب عيباً أن صاحبه إذا ... أردت له وصفاً به قلت أشيب
وكان قياس الأصل أن قست شائباً ... ولكنه في جملة العيب يحسب
يعني أن معائب خلق الإنسان في كلام العرب يجئ أكثرها على الفعل مثل أعمى وأعرج وأعور وأزرق
وأحول وأقرع وأصم وأبخر وأوقص.
أبو علي الحسين بن أحمد رزغيل: له:

إلى الله اشكو ما لقيت من النوى ... فلم يلق منها ما لقيت متيم
فراق وهجر واشتياق وغربة ... فلله قلب بينهن مقسم
وله:

ولي همة فوق نجم السماء ... ولكن حالي تحت الثرى
فلو ساعدت حالي همتي ... لكنت ترى غير ما قد ترى
وله:

أبا الفضل ياعين الفضائل إنني ... عليك لمثنٍ غير أني قاصر
وإن الذي يرنو إلى الشمس ناضراً ... ليرجع عنها طرفه وهو حاسر
ذكر سائر أهل نواحي نيسابور منهم: طاهر بن عبد الله البيهقي: كتب إلى أحمد بن عثمان الحشنامي الذي
تقدم ذكره:

يا بن عثمان يا كريم السجايا ... صانك الله عن جميع البلايا
أنت في الفضل والبراعة والظر ... ف وكل الخصال فقت البرايا

صح لما رايتك اليوم عندي ... قولهم إن في الزوايا خبايا
ابو الهيجاء علي بن حمدان الخوافي: يقول في الشيخ الإمام الموفق أدام الله عزه:
إن الموفق لو كانت أنامله ... بحرًا لآذن أهل الأرض بالغرق
ولو نثرت على الدنيا محاسنه ... ما أنبتت غير حسن الخلق والخلق
ويقول في مطايبه أهل زوزن:
إن التكهرش عادة يحظى بها ... أهل المروة والذي يتظرف
لكنه في أهل زوزن عادة ... مطبوعة ولأهل خواف تكلف
ابو العباس محمد بن إبراهيم الباخري: غرة شادخة في وجه ناحيته مرغوب في شعره، أنشدني أبو القاسم
علي بن الفضل القائي رحمه الله قال أنشدني أبو العباس الباخري الكاتب لنفسه وكان إذ ذاك يكتب
للشيخ العميد أبي القاسم منصور بن محمد بن كثير أدام الله عزه بغزنة:
قل للأمير السيد التحرير ... فقت الورى وفضلت كل أمير
إن شئت أن يزداد ملكك بسطةً ... بوزير ابن وزير ابن وزير
فعليك بالشيخ العميد المرتجى ... منصور بن محمد بن كثير
فيكون في الديوان صدر وسادة ... ويكون في الأيوان صدر سرير
وذكر اسم الممدوح واسم أبيه وجده معاً صنعةً حسنةً في محاسن الشعر فإذا اتفق مع ذلك ذكر الكنية
فناهيك به كما قال الأصمعي الشاعر للشيخ أبي الحسين محمد بن كثير رحمه الله تعالى يوم استوزر ببخارا:
صدر الوزارة أنت غير أنت غير أنت ... لأبي الحسين محمد بن كثير
فاحسن في الجمع بين الكنية والاسم واسم الب وجنس بذكر كثير وكثير فإن كان الباخري قصر في ذكر
الكنية فد برع في ذكر اسم الجد وقول الأصمعي أبرع وأحلى ولم أسمع في مثل هذا اشف من قول أبي
القاسم الأليماني من قصيدة إلي الشيخ الجليل أبي علي محمد بن عيسى الدامغاني فإنه ذكر بلدة الممدوح وبها
كان يعرف فأتى بالاسم والكنية واسم الب والبلدة ولي في مثل هذا النقد واشبهه من صنعة الشعر وصيغته
ومحاسنه ومعانيه كتاب يقع في مائة باب وقد ابتدأته ولم أتمه بعد وارجو أن يوفق الله لإتمامه ومن عزمي أن
لا اقتصر فيه على النظم دون النثر وأن أعنونه بسر الصناعة إن شاء الله تعالى. عاد ذكر أبي العباس ،
حدثني أبو علي بن أبي الطيب قال كتبت إلى أبي العباس وهو بغزنة هذين البيتين:
الله اسأل أن اراك قريباً ... ويعود عود الوصل منك رطيباً
حتى تكون لداء فرقتك الذي ... شق القلوب وطيباً
فأجابني بهذه الأبيات:
استودع الله الحفيظ حبيباً ... يحكى إذا نظم القريض حبيباً
متطعاً طبع الشأم مبرزاً ... متدرعاً طرف العراق أديباً
صافي المروءة ناشياً أو يانعاً ... صافي الأخوة مشهداً ومغيباً
حققت به لأبيه كنيته التي ... يزداد فيها كل يوم طيباً

فخرًا به يا أهل مالين التي ... لولاه كان به الأديب غريباً
وأنشدني له أيضاً من نغمة في الهجاء:

ما فيه فضل ولا عقل ولا أدب ... ولا حياء ولا دين وإيمان
لو خط في الخبز حرف من معائبه ... لم يأكل الكلب منه وهو غرثان
أو شيب بالماء شيء من خللاته ... لم يشرب القرد منه وهو عطشان
وله في الشكر والاستغفاء من كثرة البر:

مهلاً فما بعد هذا البر امكان ... وليس فوق الذي أحسنت أحسان
فالماء أن جاوز المقدر مهلكة ... والعدل أن جاوز المرسوم عدوان
أن الصابع خمس وهي كاملة ... فإن يزدن قذاك الفضل نقصان

أبو علي الحسن بن أبي الطيب الباخري أيداه الله تعالى: فتي كثر الله فضائله وحسن شمائله فالوجه جميل
تصونه نعمة صالحة والخلق عظيم تزيينه آداب راجحة والنثر بليغ تضمنه أمثال بارعة والنظم بديع كله
أحاسن لامعة وأنا كاتب من نثره ما يربي على الدر المشور ومن نظمه ما يأخذ بمجامع القلوب، جملة من
الفاظه في كل فن:

نعم العادة للإنسان إعادة الإحسان. لا تجعل الجزع كسوة فتكون للنسوة أسوة. طوبى لمن عقله يغنيه عما لا
يعنيه. من قنع بما يكفيه فرايك فيه. العذل على البذل فعل النذل. السعيد من يبدئ البر ثم يعيد. الشقي من
شكاه التقى. لا تضطرب في مخالف المحنة فتمزقك بأنياب الاحنة. من تروذ التقى استمسك بالعورة الوثقى.
من دفىء بجمر الخمر عري من برد البرد. أنزه المناظر والمجالس ما سافر فيه ناظر الجالس. الوصب نتيجة
النصب والراحة ثمرة الإستراحة. الصبر على الأوصاب أمر من الصاب. ردائة الملبوس شعار البوس وجودة
البزة علامة العزة. من نكد الدنيا طول حياة الحيات وقصر آجال الرجال. الرحيق على الريق حريق وبعد
الطعام برد وسلام. لا يستبدع العبوس من الخبوس. لو كان الهدد طيباً لصير بيته طيباً. من يعدم خيرك
يخدم غيرك. الطبع على الرخيص حريص وللغالي قال. فلان لا يمسكني فافر ولا يتركني فافر. فلان يخلف
عداتي ويشمت عداتي. ماشئت من لفظ بار ورزق غير داري. لا اشتغل بوصف الشوق فقد كبر عمرو عن
الطوق ولا بشرح. المودة الجانين فقد بين الصبح لذي عينين. فصل: لحي الله زماننا من زمان سقط فيه
سعر الشعر وظهرت كآبة الكتابة وانخفض علم العلم ونصب نهي النهي وعز وجود الوجود وانسد باب
الألباب وانطوى بساط الإنبساط وارتفع قدر القدر وانقطعت فائدة المائدة وخابت وسائل السائل وقامت
سوق الفسوق. ومن بدايع شعره ولطائفه قوله في غلام صوفي لم يسبق إليه:

وشادن يدعى التصوف قد ... أورثت الحور حيرة صفته
أصفى له مهجته تصوفه ... ورفعت توبتي مرقعته
قوله في غلام خياط:

قولا لخياطنا خفياً ... يا أوحده العصر في الجمال

قد مزق الهجر ثوب صبري ... فجذب بحيطٍ من الوصال
وقوله في غلامٍ مزين:

مزين زانه حسن وإحسان ... فما يشاكله في الشكل إنسان
حمامة كجحيم من حرارته ... لكن متى تأتته يخدمك رضوان
ومن افراد معانيه قوله في التلفيق بين النبل والقوس:
وبدر اعير قوام النبال ... تقوست من هجره كالهلال
ولما تراءى غداة الودا ... ع كالنعمه اقتربت من زوال
أطلت الحنين وزدت الأنين ... واصبحت من سوء حالي بحال
كذاك القسي تطيل الأنين ... إذا كلفوها فراق النبال
وقال في مختطٍ قارب الالتحاء:

يا بدر أنك قد بلغ ... ت من الجمال مدى كمالك
أخشى عليك دجى الكسو ... ف وقد بدت آثار ذلك
عهدي بخالك وهو عي ... ن الدهر يشغل عن جمالك
فباي عذر قد ستر ... ت بكم خطك وجه خالك
وقوله في مختطٍ خطاط:

قد قلت لما فاق خط عذاره ... في الحسن خط يمينه المستملحا
من يكتب الخط المليح لغيره ... فلنفسه لا شك يكتب أملحا
وقوله في صبية مليحة توفي أبوها فأفطرت في الجزع:
ودرة حسن أنفدت حسن صبرها ... وفاة أبيها فهي تبكي وتجزع
فقلت اصبري فالتيمم زادك قيمةً ... اليس يتيم الدر أهى وابدع
وقوله في قينة بيدها كاس:

ظلمت افكر طول النهار ... وقد حملت ذهبي العقار
افي يدها ذهبي العقار ... باحسن أم ذهبي السوار
وقوله:

سأعمر بالشراب شباب عمري ... وترك الشرب قبل الشيب لوم
ابذل فضل مالي قبل موتي ... فمورث مالي عندي ملوم
وأهزم بالعقار جنود عقلي ... لكيلا يشغل القلب الهموم
ولا أختار قبل الشيب زهداً ... لأن البقل قبل الخبز شوم
ولا ارجو دوام العمر علماً ... بأن العمر شيء لا يدوم
وقوله في ذم الشراب:

لاتسقيني فإني أيها الساقى ... اخاف يوم النفاف الساق بالساق

هذا الشراب يهيج الشر نشوته ... فميز الشر عنه واسقني الباقي
سعني اسقني الماء القراح بالفارسية، وقوله في غلام اصهب الشارب:
بدت صهبة في مسك شارب مالكي ... فأطرق عشاق وعابته أعداء

وشاربه لا غرو إن كان اصهباً ... فمرتعه ورد وسقياه صهباء
وقوله:

حشوت قلوبنا بقلی ومقت ... لفرط رعونة في كل وقت
فإن تك قد جلست اليوم فوقی ... فربت ليلة قد نمت تحتي
وقوله:

لنا صاحب للزاد آكل من رحي ... ولكنه للراح أشرب من قمع
إذا نحن ضفناه تغير وجهه ... ومهما اصفناه تالاً كالشمع
وقوله:

دعاني أحمد قبل الشروق ... وأمسكني إلى وقت الطروق
ولما جعت عشائي لديه ... بقرص الشمس مع ييض الأنوق
ابو جعفر أحمد بن الحسن بن الأمير الباخري الخطيب: قاضي الطراف، يقول في زعيم ناحيته أبي سعيد
خداش بن أحمد:

ولي أبداً امران يكتفاني ... هما عدتا ديني ودنياي سرمداً
شهادتي التوحيد لله خالصاً ... وحيي في الدنيا خداش بن أحمداً
ويقول:

اهيم بذكر التيرشاذ صباة ... وما بي إلا حب من حل واديها
وإن نسيماً من رياح جبالها؟؟ ... أحب من الدنيا إلي وما فيها
ويقول:

بحق النبي وحق الوصي ... وحق المشاعر والقبلة
أنلني مرادي يا منيتي ... وما أن أروم سوى قبلة
؟؟؟؟؟؟؟؟ سائر اهل بلاد خراسان ابو نصر أحمد بن علي بن حفص العمروي ايده الله: فرد طوس وغرقها
وحسنة النوقان ونكتتها وأدب غزير يجمع الفضل أطرافه ومجد قويم تحرس المروة أكنافه وأنا كاتب من
شهره ما هو أدنى فضائله كقوله في الغزل:

مشوش الصدغ ساحر الخدق ... معشق الخلق فاتن الخلق
كأن صدغيه فوق عارضه ... من غسقٍ رفرِفِ على فلق
وقوله في فتى جاءه بآلات البخور ليبحره:
ومورد الخدين با ... در نحو عاشقه بمحمر

بالنفخ صير عوده ... ما بين مجمره معنبر
وبماء ورد خلته ... من ورد عارضه المنور
حييته ولعاً وقل ... ت له مقالاً ليس ينكر
نفحات نذك دون مس ... ك فوق عارضك المكفر
والورد في خديك نا ... ب عن ابنة الصافي المطر
فاحمر وجنته واظ ... هر حسنه ماكان مضممر
وبدت لآل منه في ... صدف من الياقوت أحمر
وقول:

تحت القلنسوة السوداء لي قمر ... تحار في حسنه الألاحظ والفكر
في سرجه غصن بان منه بان لنا ... من العقيق كمام نوره درر
في وسطع أنجم الجوزاء لائحة ... فوق الكتيب ومن أعلاه لي قمر
وقوله:

وبنفسجي الثوب حياً مدنفاً ... بينفسجي بستانه وعذاره
غصن بدى لي في قباء بنفسج ... منه وبدر لاح من أزراره
ولو حضرتي شعر أخويه أبي عمر حفص وأبي عبد الله محمد ابني علي بن حفص أيدهما الله لكتبته فهما هما في
الفضل والأدب والغض والكرم الخض وإذا حصلت ألحقته ولم أشن كتابي بالخلو منه إن شاء الله تعالى
أبو علي الفضل بن محمد بن الحسين الطبرستي : من أنجب شبان طوس وأجمعهم للمحاسن والفضائل
وابرعهم في النظم والنثر على غضاضة عوده واقتبال شبابه وهو خلف من أبيه أبي الحسين رحمه الله إذ كان
عزة شادخة في وجه بلدته جامعاً بين الأدب والشعر والفقه فاحتضر وما مات من خلف مثله ومثل أخيه أبي
القاسم وقد كتبت بعض ما وقع إلي من شعر أبي علي كقوله:
فديت من قد جفاني في مودته ... لكنني لهواه لا أكافيه
إني نظرت إلى فيه فلم اره ... حتى رنوي إلى فيه نكي فيه
لو صيغ خاتمه للخصر منطقة ... منه لكان للطف الخصر كافيه
وقال ايضاً

سبي القلب بدر سر عيني طلوعه ... صباحاً فوا قلباه عند غروبه
إذا استل سيف الهجر فاضت توجعاً ... غروب شؤوني من شؤون غروبه
وله أيضاً في الهجو:

غير المعقول عيوبه كالواو من ... عمرو يرى واللفظ عنه قصير
كالون من زيد يقال مديحه ... باللفظ لكن لا يراه بصير
وله في شكوى الزمان:

لقد ضقت ذرعاً من عجائب ذا الدهر ... يوافق نزلاً ثم يسطو على حر
ترى الحر فيه معسراً ليس عنده ... ولو بلغ انجھود غير اذى الفقر
وكل لئيم في رخاء ونعمة ... كذلك أمور الدهر تجري على القدر
على ذاك أن الحر يلقي افتخاره ... ورفعته في الفضل لا اليسر لا اليسر والعسر
وكم معسر فيه الفضائل همة ... وكم موسر لا فضل فيه مع اليسر
وله في نسيب قصيدة:

أبيت مسهداً أبكي انفرادي ... بمن هو في رقاد من سهادي
تعاطى الجسم من عينيه سقماً ... فعاضت عينه مني رقادى
وصوبني انحاء الصدغ منه ... فعلم صدغه قللاً فؤادى
وفي هذه القصيدة قال للمدوح:

خلاتقه الحميدة حين تحصى ... على الأيام تأبى عن نفاذ
ابر من الأنام وأن يفدى ... له طوعاً إذا ما عن فاد
لئن قبلت يد الأعسار حراً ... تجده لما جنت يميناه وادي
فصار المجتدون إليه طراً ... من الآفاق طامحه الهوادي
واقفوا من يديه ما تمنوا ... وبشرهم نداه بالمعاد
يبالغ جاهداً في الجود حتى ... ينيل نوال كفيه الأعادي

ابو القاسم عمر بن عبد العزيز السرخسي الملقب بالجرزى من أطرف خلق الله وأحلاهم مذاق معاشرة
وأعذبهم مساعً منادمةً وأجمعهم بين جدٍ كعملو الجد وهزل كحديقة الورد ومجونٍ الطف من نسيم الصبا
وشعر كعهد الصبا كقوله:

ما قولكم من ماجن ... النيك أكبر همه
لم يلق في الدنيا حراً مذ كان غير حرامه
وقوله:

هبت رياح معاشر عاشرتهم ... ووجدت ريجي أو لعت بسكون
فعجبت منه وقلت بعد تلهف ... يا ليت قوماً نكتهم ناكوني
وقوله:

قالوا التحى قلت مهلاً ... حديثنا ذو شجون
قد كان بدر تمام ... فعاد كالعرجون
ولست أعمى ولكن ... أنيكه لجوني
وكتب إلى صديق له مع عراضة هروية أهداها له:

ايها الفاضل الذي قد كستني ... غر آدابه من العز ريطا
في است قاليك الف زب من القلب ... ط وهنيت فستقاً وقيطا

وقال للشيخ الحجاج بن الشيخ أبي العباس الإسفرايني وقد خر سقفا دهليزه بسنا فطير من ذلك
أتاك السعد مشدود النطاق ... ييشرنا بعزك فهو باق
وشيد عند بابك للمعالي ... رواقاً رائعاً عالي المراق
وأحكم صنع هيكله فاضحى ... رواق الطين قالب ذا الرواق
فلما تم واستعلى مشيداً ... على حسن التمام وإتساف
تولى السعد نفص رواق طين ... كذاك يهد قالب كل طاق
وكتب إلى صديق مع هدية:

النمل تعذر في مقدار ما حملت ... والعبد يعذر في مقدار ما ملكا
ولو أطاق لأهدى الفرقدين معاً ... والشمس والبدر والعيوق والهلكا
وكتب إلى صديق له دعاه في يوم فطر:

إن شهر الصوم ضيف نازل ... فإذا ما حل فانشط لقراه
وقمد الفيل يوم الفطر في ... سرم من يفطر في بيت سواه
العمركي الميهني اشهر شعره وأجوده قوله:

إذا أردت أن تعيش سالماً ... فكل ما لم يك يعينك فدع
وإن طلبت الرزق فاقنع بالذي ... أوتيته واقطع من الناس الطمع
سل رب مسؤوليك تعط إنه ... من سأل المسائل خاب واتضع
فأنت والناس عبيدٌ واحد ... من شاء أعطاه ومن شاء منع
أبو بكر النوسي الفقيه: هو محمد بن القاسم وقد ظرف وملح في قوله لغلام صانع ولم اسمع فيه غيره:
وشادن صانع هام القواد به ... وحبه في سواد القلب قد رسخا
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه ... كيما اقبل فاه كل ما نفخا
وله أيضاً فيه:

وقد كنت ذا قلب رخي فارغ ... حتى ابتليت بحب بدر بازغ

ولقد رضيت بأن أكون سبيكة ... فاصاغ في حانوت ذاك الصانع
أبو منصور قسيم بن إبراهيم القائي الملقب ببزرجهر: شاعر مفلق مبدع باللسانين من شعراء السلطان
الأجل أدامه الله تعالى ملكه، يقول في استطالة الشتاء واستبطاء الربيع ما تفرد بمعناه وأحسن كل الإحسان
في التشبيه البديع حيث قال:

لقد حال دون الورد برد مطاول ... كأن سعوداً غيبت في مناحس
وحجب في الثلج الربيع وحسنه ... كما اكنن في يعض فراخ الطواوس
وله في الهجاء البديع:

بخلتهم فود المشركون لو أنهم ... فدورهم كيلا تمسهم النار

وقال ايضاً:

رايتك تبغي بسوء الصنيع ... ثناءً جميلاً مسوقاً إليك
وتغسل قبل الضيوف اليدين ... كأنك تغسل منهم يديك
ابو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي : أديب كاتب شاعر كثير المحاسن سمع قولي في كتاب المبهج كأن ورق
الترجس ورقٌ وعينه عين فظمه بقوله:

ونرجس قد له القد من ... زبرجدٍ في قدر شبرين
فالورق الغض مصوغ له ... من ورقٍ والعين من عين
وأنشدني لنفسه في الورد :

قلت للورد هل ترى لك بدأ ... من رحيل يسوءنا منك جدا
قال احكي الحبيب لونا ولينا ... ونسيماً كما أحاكه صدا
وأنشدني لنفسه في معنا تفرد به:

الله اشهد والملائك انني ... لعظيم ما أوليت غير كفور
نفسي وقاؤك لا لقدري بل ارى ... إن الشعر وقاية الكفور
وفي هذا المعنى بعينه:

نفسي فداؤك وهي غير عزيزة ... في جنب نفسك وهي جد عزيز
ولقد بقي الخز الثمين اذاته ... في وقته كف من الشونيز
وله في الشيب:

فرشت لشبي أجل البساط ... فلم يستطب مجلساً غير راسي
فقلت لنفسي لا تنكريه ... فكم للمشيب كراسي
وأنشدني لنفسه:

عسى المهم المخوف يكفي ... لطيفة من لطائف الله
فلطف صنع الآله عندي ... وظيفة من وظائف الله

القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدى الهروي : قد ضمنت كتاب اليتيمة ذكره إلا أني لم أعطه حقه ولم
اقدر قدر لعنتين إحداهما إني في ذلك الوقت لم يكن وقعت بيني وبينه معرفة ولا اتفقت لي بعظم محله وعلو
فضله إحاطة والأخرى إن محاسن نظمه وبدائع نثره قلت لدي إذ ذاك بل عزت واعوذت ثم طلع علي من
بعد وتقدر لي النقاء به بعد فراغي من كتاب اليتيمة فأحدثت مناسبة الأدب وذمة المعرفة وحرمة الغربة بيننا
حالاً هي القرابة أو اخص وامتزاج النفوس أو أمس وشملني من جلال مننه ودقائق كرمه ما أثقل ظهري
واستنفد شكري وجمعت يدي من غرر كلامه ودرر نظامه على ما يميز له الليل المظلم ويتصف به الدهر
الظالم وقد أودعت الآن كتابي هذا لمعاً من نثرة ونظمه تتلافى الفائت وتجبر الكسر إن شاء الله تعالى وبه
الحول والقوة. فقر ولطائف ونكت من منشور كلامه: فصل: كتبت ويدي واحية وعيني ماحية فسل بي
الأرق وأنا لا أحمل الورق ولا افل القلم فاصف الالم

فصل: بي أيد الله الشيخ رمد وفي الهواء ومد ولقاء الشيخ فرج ولكن ليس على الأعمى حرج لا سيما والجلس وطى والمركب بطي ووهج الصيف يثير الريح ويذيب المهج. فصل: عبده الذي يحب الحياة لخدمته وينشر محاسن دولته بلسان فيضه المدح والثناء وقلب حشوه الود الدعاء. وكتب إلى صديق له حياً بأكورة وردة فردة. وصلت أيد الله الشيخ الوردة الفردة لا زال ذكره كريها عرفا ودهره كفضلها ظرفاً وحال أوليائه كأصلها خضرة ووجوه أعدائه كلونها صفرة فسرت الكرب وسرت القلب وأدت الأدب وأهدت الطرب ودعت إلى الرسم المألوف وأمرت بالمنكر المعروف وافتنا والليل قد حط رواقه وحل نطاقه والصبح قد بسط رداءه ورفع لواءه والجو قد أخذ زيه الأحسن ونشر مطرفه الأدكن والندى طل والنسيم مبتل والمزن منسجم وثرغ الصبح مبتسم ونحن نبوح بما في الصدور ونطير بأجنحة السرور فوضعت الوردة على الرؤوس وأديرت مع الكؤوس ونطقت الأوتار فمع كل نفرة نبرة ومع كل نبرة نغمة ومع كل ضربة طربة ومع كل طربة شربة ولكل ذي فطنة فطنة ولكل ذي توبة أوبة ومع كل ذكرمة فترة وعند كل لفنة حسرة ومع كل دورة سكرة. وله من كتاب صدر من بغداد: كتابي أطال الله تعالى بقاء الشيخ وقد مح الشوق اصطباري وحل الشيب يلعب في عذارى

وما إن شبت من كبر ولكن ... لقيت من الحوادث ما أشابا
والهموم إذا لقيت الصخر أذايته ففيما أتعجب ومنها إن لقيت الشعر فأشابهته ووصل كتابه فأعاد الروض
المطور والوشي المنشور ووجدت كلامه يستفيد تحت مر الأيام ما يستفيد الروض تحت صوب الغمام
فيزداد قوة اصول وبهجة فصول

مثل الهلال بدا فلم يبرح به ... صوغ الليالي فيه حتى أقمرا
فهو بحمد الله كما يلتقي الوشيان وشي الربا ووشي البرود ويجتمع الوردان ورد الجنى وورد الحدود غير أن
رقعة الشكوى تركته دمعاً ينسكب وجهاً يلتهب وعلمت أنه صدر عن صدر وافٍ وودٍ صافٍ فإن اللسان
يؤدي عن القلب ما يخفيه وإنما يرشح كل إناء بما فيه وبحسن الكلام تعرف صدق الوداد وفي خضرة
الروض تحسن آثار العهد

ومما قالت الحكماء قدماً ... لسان المرء من خدم القواد
وما أنا معه إلا الطرف والرقاد والصدر والفؤاد، ذكرى مدينة السلم وحضرة الإسلام ولونطق عن اختبار
لأجرى القول إلى الاختصار وما أبعد الطعوم من الألوان وما أبين البون بين السماع والعيان فإن طرة
رأفك فأخبر فربما أمر مذاق العود والعود أخضر بلى ما شئت من أشواق وأندية وأطواق وأردية ثم قف
العطايا ولا تبدي الخفايا فإن جازت كسوتهم إليهم فليس وراء عبادان قرية وأنا في اجتواء بغداد للإجماع
خارق وللجماعة مفارق ولكنه اجماع ما انعقد على تحصيل ولا استند إلى اصل اصيل وها أنا اقيس هراة
إليها بل افضلها عليها

فوالله ما أدري أزيدت ملاحاة ... على الأرض أم رأي الحب فلا أدري
نسخة كتاب له إلى شمس الكفاة رحمه الله تعالى عند عود الوزارة إليه ولم يقصد الشعر
الشمكس في راد الضحى ... والبدر في جنح الدجى

والماء في حر الصدى ... والغيث جاد على الثرى
والمرن يضحك في الربى ... والورد جمشه الندى
والصبح يقدمه الصبا ... والعيش في زمن الصبا
والقرب صب على النوى ... والقلب رق مع الهوى
والطرف غازله الكرى ... والصفو باعده القذى
والحلى في ثغر الدمى ... ومنازل لك بالحمى
وعهود سعدى باللوى ... والدهر يسعد بالمى
والبرء في عقب الضنا ... والفقر يطويه الغنا
والبشر يتبعه الندى ... والنشر من بعد البلى
والود في أثر القلى ... واغل يطرده الحيا
والعجب يمحوه الرضى ... والكف تسمح باللهي
ومذاكرات ذوي النهى ... والرأي يعضده الحجي
والجد ساعد فاعتلى بها وما لها من الأمثال سارت سوائر الأمثال فيما يونق النفوس والطباع ويونس الأبصار
والأسماع وأحسن من هذا كله أيام الشيخ الجليل وقد أتاه اسم ما لم يزل معناه
فيا حسن الزمان وقد تجلى ... بهذا الفخر والإقبال صدره

وكان الدهر يعذر قبل هذا ... فحل وفاؤه وانحل عذره
تصدر للوزارة مستحق ... تساوى قدرها شرفاً وقدره
فقل في النصل وافقه نصاب ... وقل في الأفق اشرق بدره
فالحمد لله الذي زان الشجر بالثمر وحلى البرج بالقمر وأنس العرين بالأسد وأهدى الروح إلى الجسد لم
انس أدام الله علو مولانا رسم التصدير وما يجب من مراعاته على الصغير والكبير ولكن التهنية المرسومة
تتهادها الأكفاء وتتعاها النظراء فأما الخدم مع الصدور والنجم التاليات مع الأهلة والبدور فالعادة فيها
الوفادة ثم إن تعذرت الإرادة ولم تساعد السعادة فالدعاء موصولاً منشوراً والثناء منظوماً منشوراً وعلى هذه
الجملة عملت وإلى هذا الجانب عدلت فأصدرت كلمة تتجها الود الصريح ونسجها الولاء الصحيح
فجاءت تودي وجوه الريا ... ض اضحكها العارض الهامع
وليس لها غير عين الرضى ... لديك زمام ولا شافع
وهذه ملح وظرف من شعره كتب إلى بعض ندمائه قصيدة منها:
كتبت ولي بذكراك انتعاش ... ولكن بي من السكر ارتعاش
ولللشادي نشاط وانبساط ... وللساقى احتثاث وانكماش
وما يروى العطاش بغير ماء ... وأنت الماء إذ نحن العطاش
فإن تسرع فوجهي والندامى ... وإن تبطئ فحيني والفراش

وقال في فتي فأمرة

رشاً فنور جفونه ... يهدي الفتور إلى البشر

ورد الجمال بخده ... ينبث في ورد الحفر

قامرته بالكعبي ... ن مساهلاً حتى قمر

فازداد حسناً وجهه ... لما رأى وجه الظفر

فنعت نعة عاشق ... قمر القمر قمر القمر

وله:

أفدى الذي كلما تأمله ... طر في كاد الضمير يلتهب

ينتهب اللحظ ورد وجنته ... ولحظه للقلوب منتهب

وله في النرجس:

ومهفهف لما تننى خلته ... غصناً يجد به النسيم ويلعب

أومى إلي بكاسه فشربتها ... وحسبني من وجنتيه اشرب

ودنا إلي بطاقة من نرجس ... فحسبت بدرأ في يديه كوكب

وله أيضاً في الورد الصفرة:

أنسيت إذ نبهت من نبهته ... والفجر من خلل الدجى يتنفس

يسعى إليك مع المدام بوردة ... صفراء يحكيها لمن يتفرد

كعب من الميناء ركب فوقه ... جام من الذهب السيك مسلس

وله فيه أيضاً:

أدر المدامة يا غلام فإننا ... في مجلس بيد الربيع منجد

والورد أصغره يلوح كأنه ... أقدام تبر كعبت بزبرجد

وله في الشراب على الثلج:

قم لاعدمتك فاسقني من قهوة ... لو أبرزت للشمس أخفت نورها

وانثر على الذهب اللجين أما ترى ... نثر السماء على الثرى كافورها

وله في البنفسج:

طلع البنفسج زائراً أهلاً به ... من وافد سر القلوب وزائر

فكأنما النقاش قطع لي به ... من أزرق الديباج صورة طائر

وله في ترجمة فارسية:

رأيت غذاء الطفل درة أمه ... وإن غذاء الشيخ صرف من الخمر

فراجع من الجام الفراش عشية ... وفارق من الجام الفراش مع الفجر

وله في مطرب محتط:

وشادن تفعل أحاطه ... بالقلب ما لا يفعل السحر قط

لم أنسه يكسر أعطافه ... والورد من وجنته يلتقط
مرتبط البربط في حجره ... يا ليتني بربطه المرتبط
معتدلاً ضرباً وصوتاً معا ... كما التقى للعين خد وخط
وله:

حتى متى وإلي متى ... أقصر بذرعك يا فتى
فكأنني بك ناظراً ... في أثر صيد أفلتنا
لا تحسبن جمال وج ... هك دائماً لك مشيتنا
فالخط يفعل ما عمل ... ت وما علمت وقد أتى
وكتب ببغداد إلى صديق له يدعوهُ في أيام الورد وبلغه أنه متشاغل بالرد:
نحن بالنجمي في يو ... م كما ترضاه ابلج

ناضر النبت رقيق الجو ... رطب الطل سجسج
بين مشور وخيري ... وورد وبنفسج
ولنا وجه من الجو ... نة كالروض مديج
ومع اللقات وسط ... وشواء وملهوج
ولنا راح كمثل النا ... ر في الكلس تأجج
ومغن ساحر الألحا ... ظ ساجي الطرف أدعج
فإذا شاء تغنى ... وإذا شاء تغنج
فاختر الورد على النر ... د وجننا نتفرج
وله في أمر التحي:

يا من أناف بلحية تيسية ... بدلتنا بالورد شوك العوسج
قد كنت تونسنا بطلعة كوكب ... فرجعت توحشنا بطلعة كوسج
وله:

الله جار عصابة رحلوا ... ساروا وقلب الصب عندهم
مالشان ويحك أنهم رحلوا ... الشان إني عشت بعدهم
وله:

سكوتي كلام والكلام سكوت ... ولي طمع أحياء به وأموت
وليس لروحي غير قربك راحة ... ولا لفؤادي غير حبك قوت
وصبري قليل والهموم كثيرة ... وأنت بخيل والزمان يفوت
ومن لي بحسن الصبر عنك وإنما ... وصالك لي ماء وقلبي حوت
وله أيضاً:

من وجهه كالقمر الفرد ... أقبل في قرطقة الورد
يسعى على الورد برودية ... يكسد سوق العنبر الورد
فاغد علينا تر ما شئت من ... ورد على ورد على ورد
وله من قصيدة:

شمائل مشرقة عذبة ... تعادل رقتها والصفاء
فهن العتاب وهن الدموع ... وهن المدام وهن الهواء
وكتب إلى مؤلف الكتاب:

جعلت لك الفداء لو أن كتي ... بحسب تكثري بك واعتدادي
إذا لجعت أقلامي عظامي ... وطرسي مقلتي ودمي مداوي
أبو القاسم طاهر بن أحمد الهروي: صاحب البريد كان بنيسابور رحمه الله تعالى غزير الأدب حسن الترسيل
مليح الشعر منفرد عن أقرانه بالفضل أنشدني لنفسه:
اعيد علاه أن يكون ابتداءه ... زيادة عليه بنقص صديقه
وأنشدني أيضاً لنفسه:

إذا انتهز الأحرار للجود فرصة ... فللمنع والتعويق ينتهز الفرص
وإن ذكرت يعض الأيادي فإنما ... يد لك لا تبيض إلا من البرص
وأنشدني له بعض بلديه وأنا اشك فيه:

ضمان على الإقبال ما أنت طالب ... وحتم على الأيام أنك غالب
وما هذه الدنيا لغيرك فانتظر ... مواعد ما تومي إليه العواقب
رواقك ممدود وجدك صاعد ... وجنك منصور ونجمك ثاقب

وهذه فصوص من فصول رسائله: من شكر البحر على التدفق والشمس على التألق والمسك على التارج
والصبح على التبليج فقد عاد بتكلف غير مريح وسعي غير منجح فصل: قصر كتاب الشيخ قصوراً ترك
اهم طويلاً والصبر قصيراً وأورث القلب تفكيراً والعيش تكديراً. فصل: وصل كتابه فحكى الرياض مجودة
والأمانى موجودة والمسرات آتية والنعم مواتية. فصل: توقعت اتجاها فلم أر إلا حجاباً وتوسلت بالحقوق
السالفة فلم أحصل إلا على المعاذير العائرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
أبو مسعود عصم بن يحيى الهروي: من حسنات هراة وامزاد أدبائها وفضلائها، أنشدني لنفسه:

يهنني الأنام بخضب روض ... حللت بجنبه خضل مطير

وما خضب الرياض بنافع لي ... إذا ما كنت في طول قصير

وله على لسان صديق قدح النار بحضرته فلم يور:

إن كان زندي كبا في مهنة عرضت ... وصادفت غيبة الخدام عن داري

فإن سيفي لا تكبو مطاربه ... يوم الجلال وزندي في العلى وار

وله في العيادة:

مولاي إن فؤادي جمة تقد ... والدمع مني على الخدين مطرد
إني لأكره أن القاك مشتكياً ... فلا أقاسمك الشكوى التي تجد
المعروف بن أبي الفضل الدباغ الهروي: أنشدني له أبو علي الحسين بن محمد الكاتب النسفي المقيم كان
بهرارة في هجاء بوشنج وأهلها:
إذا سقى الله أهل منزلة ... فلا سقى الله أرض بوشنج

كأنما في اشتباك بقعتها ... خربها الله نطع شطرنج
قد ملئت فاجراً وفاجرة ... أكرم منهم خوولة اللزنج
كأنما صوهم إذا نطقوا ... صوت قمد يدس في فرج
الأستاذ أبو زكريا يحيى بن عماد السجزي: المقيم كان بهرة رحمه الله تعالى هو أشهر وذكره أسير من أن ينبه
على محله وكان أمة في علم التذكير والقصص ومنفرداً عن أهل طبقة بفضل الأدب وبلغني أنه كان في
ابتداء أمره يتكسب بالشعر حتى رفع الله عنه قدره وأعلى أمره. ورفعت إليه قصة فيها:

أيها العالم أنت ال ... يوم للعالم قبلة
عاشق خاطر حتى ... سلب المعشوق قبله
أفتنا لا زلت تفتي ... أبيع السلب قبله
فوقع تحتها:

أيها السائل عما ... قد يبيح الظرف فعله
قبلة العاشق للمع ... شوق ولا توجب قتله
وقال للشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان رضي الله عنه:
سقى الله نيسابور صوب غمامه ... وخص أمام الدين سهلاً بوابله
تنبيه على البلدان أرض ثوى بها ... كما تاهت الدنيا بطيب شمائله
ومن أشهر شعره وأسيره قوله:

أرى على الأدبار هما ... وبالإقبال مهلكة لديني
فما أجد بأعبط من نقي ... تمدد في الضريح على اليقين
نجا من باطل الدنيا سليماً ... وفاز برحمة الحق الميين
أبو علي البوشنجي الفلجرجي: يقول لما حج:
كتبت إلى سادتي من منى ... وإني لفي غاية من منى
ابطحاء مكة هذي التي ... أراها عياناً وهذا أنا
وهو القائل:

وكان ببوشنج وال مهيب ... إذا ما رآه البري اقشعر
فمر وأمر من بعده ... فتى لو رآه الخصي انتشر

أحمد بن حمّج بن الأشعث البوشنجي: عربي المختلّد بوشنجي المولّد طوسي الموطّن دخل إلى فانشدته بيتاً جمع كنية الممدوح واسمه واسم أبيه فكتب إلى صديقه أبي يوسف يعقوب بن أحمد وهو أحد من يتضمّن الكتاب ذكره وشعره:

فلئن غيّت عن منزل أهلي ... وغدا جسمي عن الأوطان مبعّد

فلقد بلت يميني بكريم ... من أبي يعقوب بن أحمد

ابو عبد الله الحسين بن عليّ البغوي: كان مفخرة كنج رستاق ولم تخرج مثله في الجمع بين الإحسان في الترسل والإتيان في الشعر بالدّر وكان كما قال الصاحب إني ليعجبني أن يكون الكاتب شاعراً كما يعجبني أن يكون الشعر سائراً. وأنا كاتب غرراً من نثره تقدّم ملحاً من شعره بإذن الله ومشيتته: فصل: وصل كتاب الشيخ ووضعته على عيني فكان لها بروداً ونشرته فكأنني انشر بروداً وتذكرت زماننا إذ الأيام عز والدهر غر والعيش غض وطرف الحدّثان مغضوض. فصل: أنا أهدي إليه من السلام ما يحكي النسيم السحري والعنبر الشحري والنرجس الطري والأترج الطبري والورد الجني والعيش الهني. فصل: ليتّه جاد علي بكلامه كما جاد بأنعامه ومن علي بثمار أقلامه كما من بآثار غمامه وأوسعني من غرائب بنانه كما أوسعني من رغائب إحسانه فيكون أوصافه في الجوى متناسبة متناسقة وبوارقة في جميع حالاته صادقة وادقة. فصل: وصل كتابه بالفاظ يكثف عندما الهواء ويقف عليها الأهواء وتقبح معها الحسناء. فصل: نظرت إلى دجلة فرأيت كفه وإلى الفرات فذكرت خلفه وتوسّط الدهناء فتصوّرت صدره. فصل: قد صار الوقت اضيق من بياض الميم ومن صدر اللّيم. وهذه ملح من شعره كهو له:

إن كان يظلمني دهري فإن له ... سجية ظلم أهل الفضل والشرف

أو كنت في سملٍ فالبدّر في سدفٍ ... والخمر في خرفٍ والدّر في صدف
وقوله في عقاب طريق غزّة من قصيدة:

عقاب كأيّ بها في خوافي ال ... عقاب تطيرني في الفلك

فطوراً أراني فوق السماك ... وطوراً أراني تحت السمك
وقوله من أخرى:

غمائم من جفوني وهي منشأة ... مما بقلبي من غم ومن غمم

وبرقها نار شوقٍ ريحها نفسي ... ورعدها أنني والقطر فيض دمي

وارضها صحن خدي وهي ممحلة ... أعجب بمحل يرى من صيب الدم
وقوله في ذم الزمان وأهله:

زمان كله ضيم وضير ... ونلس كلهم ذيم وذام

وما فيهم سوى حزّ لّيم ... شحاح الزند ما فيه ضرام

وأعراض لها جيها حلال ... وأمّوال لراجيها حرام

وقوله في الشيب والخضاب:

تقول لقد خضبت الشيب زوراً ... فقلت بلى سترت عن العيون
فقلت هبك قد اخفيت عنا ... فهل تخفيه عن عين المنون
وقوله من قصيدة:

ايا عامر الدنيا ويا عامر أهلها ... بجودٍ له فيض كفيض سحب
عمرت جميع العالمين وها أنا ... غدوت بحال في ذراك خراب
ومن أخرى:

طلبت بجهدي العز والمجد مغضياً ... ظهور المطايا في بطون الفدافد
وما كنت في كسب المعالي مقصراً ... ولا مقصراً لو كان دهري مساعد
فليس بياض المجد إلا لمكس ... سواد الليالي ساهداً غير راقد
وكم ليلة راعيت فيها فراقداً ... لكسب على فوق السهى والفراق
ابو سعد أحمد بن محمد بن جمل العميدي: يقول في استهداء الخطبة:
يا سيداً لم تزل مبرته ... تعم أهل العلوم والكتبه
أنعم بر بضم أوله ... وابعث إلى الخادم الذي كبتة
وفي التماس الخطب:

ألا يا ايها الشيخ المفدى ... وفيت اذى المكاره والرزيه
قد احببنا لفرط البرد جداً ... إلى مقلوب ما يدعى مزيه
وله في الهزل والمداعبة:

ألا أن هذي المباغي قسم ... وللناس في الشهوات الهمم
فبعض يجب أداة الدواة ... وبعض يجب أداة القلم
وله في الجد:

يا هارباً من جنود الموت منهزماً ... عنها توقف إلى اين المفر لكا
هب عشت أكثر من نوح فحين نجا ... بقدرة الله من طوفانه هلكا
أبو بكر العنبري السجزي: هو القائل:

أفدي أبا نصر وأفدي له ... خلقاً جميع الناس عشاقه
كم مدحة لي فيه كالدر لا ... يخفى على العالم إشراقه
من كل لفظ سيء حساده ... به ومعنى سر سراقه

ولم اسمع في قهنة من زوج ابنته غير قوله وهو من الفراد:
أنكحت حرتك الكري ... مة عامداً إجلالها
من لم يكن كفواً سوا ... ه اليوم في الدنيا لها
ما كنت إلا منكحاً ... شمس السماء هلالها
فضممت محمود الفعا ... ل إلى اليمين شمالها

ستقر عينك عن قري ... ب إذ ترى اشبالها
وله في الشيب:

اشكو إلى الله ظلم شيبي ... اشق منه على جبي
غير مني جميل وجهي ... اظهر مني جميع عبي

؟ ذكر أركان الدولة واعيان الحضرة والمتصرفين بها ومنها المنتسبين إلى خدمتها واختيار غرر من أنوار نظمهم
وثمار نشرهم: الشيخ العميد أبو سهل أحمد بن الحسن الحمدوني أدام الله تأييده: سليل الرياسة وغذي
السيادة وبدر الأرض وشمس الفضل وعمدة الملك وبحر الأدب وطود الكرم ومن ارتفع محله عن الوزارة
الكبرى وهي الرتبة العظمى فرغب عنها وقد رغبت فيه وصد عنها وقد تصدت له ونظر فيها أيام الفترة
بمؤخرة عينه فهذبها وسلدها ورمها وزمها ثم جاد عنها وعافها حتى قال فيه الأستاذ أبو القاسم بن الحريش
رحمه الله:

وزارة ضاعت فشرفتها ... بالفضل وآنادت فتفتتها
ولم تزل تصبر مظلومة ... حتى تصدبت وأنصفتها
فارتح لها تدرك طمانينة ... فإنها تغلق مذ عفتها

من خائص فضله وبدائع مجده أنه والي الري وسائر بلاد الجبال وهي في سعة المملكة كالعراق والملوك
يخدمونه والصدور يقبلون ارضه وهو يقول في الكف عن زخرف الدنيا ونضرتها واعداد الزاد للمعاد ما لو
قالها ازهد الزهاد لما زاد:

الخمر عنوان الفساد ... ورتاج ابواب السداد
أمانها اصل الضلا ... ل وحبها راس العناد
والعمر زورة طائف ... يأتيك ما بين الرقاد
فقد زل من ركب الفسا ... د عن الطريقة والرشاد

فاحذر أبا سهل وتب ... من قبل ميعاد الميعاد
والبس لباس تضرع ... وتندم قبل التنادي
واقبل إلى النور الهدى ... قلباً به اثر السداد
من قبل عجزك باللسا ... ن وقبل ضعفك بالقؤاد
وكأنني بك راكباً ... أجيادهم بدل الجياد
ترد القيامة فارغاً ... متخلياً من خير زاد
كيف الجواب عن السؤا ... ل متى يناديك المنادي
لا ذخري بين الجمي ... ع من الحواضر والبوادي
إلا شهادة واثق ... بالله عن صفو اعتقادي
ومشفع عند السؤا ... ل بعفو أمته ينادي

ثم هناك من النفس الأمانة بالخير واليد الفياضة بالنيل والخلق الذي لو مزج بالبحر لنفي ملوحته وصفا
كدورته ومن الطلاقة التي يترقرق فيها ماء الكرم وتقرأ منها صحيفة حسن الشيم ما يجمع الأهواء على محبته
ويؤلف الآراء في مولاته ومشايخته. ومن شعره الدال على مجده وحسن عهده قوله:

لا تنتزع عن عادة عودتها ... أحداً فذاك من الفطام اشد

واصبر عليها ما حييت ولا تنزل ... عنها فذاك من الجفاء يعد

ومن شعره البديع الصنعة المليح الصيغة الذي يغبر فغي وجه أبي الفتح البستي قوله في سراج غير مضيء:

ظلمتك الليل يا سراجي ... ظلمة كفرٍ ويأس راجي

الشيخ العميد أبو منصور بن مشكان أدام الله عزه: الكتاب ألسنة الزمان وصدور الناس وهو صدرهم
وبدرهم وبنوع الفضائل وشمس ديوان الرسائل وما أظنك بأبلغ الصدور يكتب لملك الملوك أدام الله
سلطانه وحرس عزه ومكانه وقد رفع الله محله عن الشعر الذي ينخفض عن قدره وأتاه البلاغة العالية التي
هي أليق به وما هي إلا غفو خطراته وفي التمثيل بسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه. يقول كأنه لفظ ابن مشكان
في توقيعه عن ملك المشرق ويوقل في وصف آثار الربيع من أبيات:

باح الصباح بأسرار البساتين ... وأحييت النفس أنفاس الرياحين

وقد حسبت نسيم الروض يقرئني ... كتب ابن مشكان عن صدر السلاطين

ويقول أيضاً في فتى صبيح مليح طرز الشعر ديباجة وجهه وأحرق فضة خده وقش فص عارضه

وشادن فائن الأخطار طلعت ... ترياق سم لأحزاني وأشجاني

كأن خط عذار شق عارضه ... في الحسن خط أبي نصر بن مشكان

ويقول أيضاً:

من رأى غرة العميد ابن مشكا ... ن ازدرى المشتري برج القوس

من يطالع آدابه وعلاه ... يطلع في نموذج الفردوس

عين ربي عليه من بدر صدر ... وده خزر جي ولقياه أوسي

ليس لي طاقة بوصف معالي ... ه وإن كنت مفلقاً كابن أوس

وهذه غرر ولع من فصول رسائله السلطانية. فصل: العاقل من لا يرفع رأيه إلا بعد الثقة باستقلالها ولا
يقدر ناراً إلا بعد التأهب لإذكائها. فصل: لكل حال من تصارييف الزمان رسم لا يؤخر إمضاؤه وحق لا
يضيع قضاؤه. فصل: الألقاب نعوت أن حققت والت وآلت قلانداً وعقوداً، وإن كذبت عادت وعادت
على المساوي شهوداً. فصل: إذا قدر الله أمراً يسر أسبابه ومهد أحواله وأتاح له الدواعي وأماط دونه
العوائق والعوادي. فصل: صلة الرحم واجبة في الدين والتجاوز عن زلة الشمال قوة اليمين. فصل: لا
منشور كالسيف المشهور والجد المنصور. فصل: رب منع افضل من اسعاف يشينه تقصير ويكدره تسويف.
فصل: نقل الطبائع شديد المرام بعيد الحصول في الأوهام. فصل: من نصب للغواية شركاً اختق بجله ولا
يحقق المكر السوء إلا بأهله. فصل: الآجال تجري على أحكام المقادير وتمتنع على التقديم والتأخير. فصل:

الاصغاء إلى رأي من لم يبلغ رتبة التدبير ربما أدى إلى خلل لا يدرك سابقه واقترن بضرر لا يضبط جامعهم.

فصل: تقويم الأخوة بالاحسان ابلغ من تأديبهم بالحرمان ما لم يجاوزوا قدر الدالة إلى حد الشقاق والعصيان.

فصل: العسكر الكثير إذا وجد الخلاف بينهم مجالا عادت كثرتهم مع عدم الوفاق وبالأمر والعسكر القليل إذا اختلفوا لم يتولد منهم غير الفساد والاعوجاج ولم يصلحوا للسكون والاهتياج. فصل: الولي من امترى الزيادة بالخدمة ورعى حق العارفة والنعمة في ايام الفترة ولم يهتك عند إمكان الفرصة ستر المراقبة والحشمة ليسلم من غوائل الضغينة عند زوال الفتنة ونزول السكينة. فصل: من جعله الله بأمر من أمور دينه كفيلاً فقد أعطاه من كرامته حظاً جزيلاً وفضله على كثير من عباده تفضيلاً. فصل: قوام الملك بالمال والرجال واستمالة القلوب في وقت الاستعطاف أولى من تحصين الأموال وأما المال عدة لدفع النوائب وعمدة لكشف الكرائب وليس بحازم من يمسكه عند وجوب انفاقه كما أنه ليس بعاقل من يتلفه عند جواز إمساكه وإنما جمع الملوك ما جمعوا من أموالهم وأخذوا ما اتخذوه من عتادهم ليفرقوه في أوليائهم على حكم الوجوب عند الإشتغال بمنازلة الخطوب. فصل: إن الله جعل القرآن نور القلوب وشفاء الصدور والعروة الوثقى لأهل دينه إلى يوم الحشر والنشور قد بين فيه آثار الأمم الخالية فيما أخطأوا فيه وأصابوا وأخبار القرون الماضية فيما أحسنوا فيه واساءوا ليختار السعيد من عباده ما حمده الله من سائر الأمم ويحتسب ما ذمه من غيرهم من الخصال والشميم. فهذا نموذج من نثره الجزل السهل وقوله الفصل. وهو القائل من نثفة في الأعراس عن قرص الشعر:

لما تركت الشعر نكب معرضاً ... عني فقل في معرضٍ عن معرض
وأدهشني أبو القاسم عبد الصمد بن علي الطبري أيده الله تعالى له من قصيدة كتبها إلى الأستاذ أبي العلاء بي حصول ايده الله وعليه زعمه أعني أبا القاسم:

جمال الورى ما المجد إلا مطية ... يمينك أضحت مالكا لقيادها
جلت بك قسرا عن بلادك عصية ... رأت لك فضلاً لم يكن في سوادها
كذا عادة الغربان تكره أن ترى ... بياض البزاة الشهب بين سوادها
وأنشدني الحاكم أبو جعفر محمد بن اسحاق البجلي له:
ما دام يسبح في الأفلاك أنجمها ... فليسعدن بملك الشرق مسعود
وليفتحن بلاد الغرب قاطبةً ... سيوفه البيض بل راياته السود
لا زال في نعمة يخضر جانبها ... ما أورد العود بل ما أطرب العود
وأنشدني غيره لك في غلام بازاء حرب كتب يسأل مدداً
كبت البدر واستمد معونه ... وتوخي صلاحه وسكونه
فأجبنه إن لحظك جيش ... تتمنى جيوشنا أن تكونه
كيف أغفلته واقبلت تبغي ... مدداً قدره يعارض دونه
وله ايضاً:

ظلمناك لما طلبنا قراك ... وما للقرى والفقى الباخل
وسمناك مالم تكن تستطيع ... وتابى الطباع على النافل

الشيخ العميد أبو سهل محمد بن الحسن أدام الله عزه: صدر يملأ الصدر جمالاً وكمالاً وتناسب صورته
حسناً كما يتشابه محله وهمته علواً وتكاثر فضائله وإياديه وفوراً كما يتبارى نثره ونظمه براعة ومما علق
ب حفظ من الفاظه قوله في أبي القاسم الميكالي من كتاب إلي: هو ثقيل روح الحركة جامد هواء الراحة حار ظل
الشجرة وقوله في رقعة أعادنا الله للإلتقاء فما أرق نسيمه وألد نعيمه وقوله في ذكر الحضرة: ملقى الرحال
وملقى الرجال وقبلة الآمال. ومن سحر شعره قوله في نشيب قصيدة وهو أحسن وأجود ما قيل في معناه
على كثرته لأنه جمع في بيت واحد ما فرق في أبيات كثيرة وفاز بحسن الترتيب حيث قال
لقد نثرت درين لفظاً وعبرة ... وقد نظمت درين عقداً ومبسماً
وله في غلام هندي:

ولي اسود في أسود القلب حاضر ... ولكنه عن أسود العين غائب
وأنشدني لنفسه في نثفة خيرية:

كشعاع في هواء ... تتحاماها العيون
هي في الدن جنين ... وهي في الرأس جنون
وله من قصيدة:

تقولين أني قد سلوت عن الهوى ... لعلك قد قايسيت حالي بحالك
وله من قصيدة شمسية:

عجبت من الأقلام لم تبدو خضرة ... وباشرن منه كفه والأناملا
ولو أن الورى كانوا كلاماً وأحرفاً ... لكان نعم منها وباقي الأنام لا
وله في إنسان ساعٍ يقال له حميد مات بوزن:

يا ويح أهل القبور لما ... حل حميد بهم جوارا

لو راج عند الإله ساعٍ ... أشعل فيهم هناك ناراً

الشيخ العميد أبو الطيب طاهر بن عبد الله أدام الله عزه: صدر واسع الصدر ممتد باع الفضل قد بايعته يد
المجد ومالت فيه الشورى إلى النص واشرقت بنوره ارض الري وطال ما تولى ديوان الرسائل إلى سائر
الأعمال الجلائل، وله شعر في غاية الحلاوة كقوله:

إذا بلغ الحوادث منتهاها ... فرج بعيدها الفرج المطلا

وكم كربٍ تولى إذ توالى ... وكم خطبٍ تجلى حين جلا
وقوله:

قالوا تبدى شعره فأجبتهم ... لا بد من علم على ديباج
والبدر أهى ما يكون إذا بدا ... متلحفاً بظلام ليلٍ داج

وقوله في الهجاء:

ابو سعد بن حمدان ... كرية الخلق والخلق

فهذا الشيب في الفرق ... وهذا العظم في الخلق

الشيخ أبو الحسن محمد بن عيسى الكرجي أدام الله عزه: جامع تفاريق وناظم عقود الفضائل ومالك رقاب المكارم ومعلوم أن السلطان الماضي أبا القاسم رضي الله عنه وارضاه كان أعلى الملوك رايًا كما كان أعلاهم ملكاً وأنه كان ينظر بعين التوفيق إلى اسرار الضمائر ويرمي بسهام خطراته أغراض المقاصد ولا يصرف تدبيره إلا على موقع الأصالة ولا يضع رأيه إلا موضع الإصابة فلم يتخذ الشيخ أبا الحسن ايده الله مصباح مجلسه ومفتاح انسه وثمره قلبه وريحانة روحه ومستودع سره وأخص بطانته إلا لأنه في الفضلاء والكبراء كهو في الملوك والأمراء، وقد كتبت من شعره ما نطق به لسان فضله كقوله البديع الذي تفرد به:

بدا معدن الياقوت في حبة الحشا ... وفي الخد والعين والشوق يغلب

فيعناني حمراوان من كثرة البكا ... وخدي مصفر وقلبي أكهب

وقوله في الهلال والثريا:

كأن الهلال المستدير وقد بدا ... ونجم الثريا واقف فوق هالته

ملك على أعلاه تاج مرصع ... ويزهى على من دونه بجلالته

وقوله في السلطان الأعظم أدام الله ملكه:

يا سيد الناس كيف يمدحك ال ... خادم في شعره كما يجب

ما يتأتى له من المدح لا ... يرضى وما يرتضيه يحتجب

وقوله في الاقلاع عن التصابي عند الشيب:

هجرت اللهو إذ عقلي ... على نفسي اشار به

وحلاني حلول الشي ... ب كرهاً عن مشاربه

فما اسعى إلى راح ... وساقيه وشاربه

وإما عن لي هو ... هت كفي بشاربه

فهل يا نفس أنت على ... ملازمة المشار به

وقوله في مدح نيسابور من قصيدة:

وماذا يصنع المرء ... ببغداد وكوفان

ونيسابور في الأرض ... كإنسان في انسان

ولا غرو فقد اضحت ... لنا عين خراسان

إذا ما دوخ المرء ... بلاداً بعد بلدان

يراها عندها شاهاً ... وباقيها كفرزان

وقوله في حمام مصور:

أعجب بيت يريك باطنه ... جوراحاً أرسلت على الوحش
تعدو لصيد الطباء مسرعةً ... كأنها في غياضها تمشي
طيوره قد تقابلت نسقاً ... كأنها وقع على العش
فضاؤه طاب فسحةً وهوى ... مصقل الأرض مؤنق الفرش
وأنت في خلوة مساعدة ... تولع بالدلك ثم بالرش
الشيخ العارض أبو الحسن مسافر بن الحسن أدام الله عزه: طال ما لقيت في شبيبي وكهولتي وعند
شيخوختي وعلو سني أعيان الفضل وأفراد الدهر ونجوم الأرض وبدور الصدور من اصحاب الأقلام
والسيوف فلو حلفت بالله الذي لا يحلف بأعظم منه أي لم اشاهد مثله في امتزاج الكرم والأدب بطبعه
 واجتماع الحسن في قوله وفعله وانتظام الات الرياسة وأدوات السياسة في عقد فضله واقتران الطيب
بالخلاوة في ثمار نظمه ونثره لما خشيت أحنث ولما تعدى الصدق، ويحسبك أي كتبت إليه في هذه الأيام:
يا من تشابهت الحاسن والعلی ... فيه واصبحت القلوب برسمه
فالخلق منه كخلقه والخلق من ... ه كلفظه والشعر منه كاسمه
وغذاء جسمي من سماح يمينه ... وغذاء روحي من بدائع نظمه
لا زلت بين سعادة وزیادة ... وسلمت من سيف الزمان وسهمه
فأجاب في الوقت والساعة بهذه الأبيات:
أفدى الامام الأوحـد الذي ... من شاء فرد زمانه فليسمه
لا زال منصوراً كما يكنى به ... ولتفتخر روح غدت في جسمه
فغذاء أرواح الوری من كتبه ... والظرف فيهم من لطائف رسمه
وبنظمه عطل الفضائل أليست ... حلـى العرائس مذ غدت في قسمه
وكان قضی لي حوائج مثمرة واسقط عني مؤناً مجحفة وكتب إلي رقاعاً مونقة فكتبت إليه:
من مبلغ الصدر مولانا أبي الحسن ... مسافر نكتة الأيام والزمن
خففت ظهري من ثقل الخطوب كما ... اثقلته بالأیادي الغر والمن
صنائع منك جلت في الأنام وقد ... دقت معانيك في الأشعار والفطن
وقد أتاني قريض قد نفثت به ... كالسحر والراح والريحان في قرن
والله يجزيك عن عبدٍ ومصطنع ... قد كان ميتاص بأیدی البث والحزن
فعاش عن كلمات منك كن له ... كالروح عائدةً منه إلى البدن
فا أجابه في رقعة غير قصيرة
ياصدر أهل النهی يا أوحـد الزمن ... أوهت علاك قوی الأقوال واللسن
أهديت نظماً فقد اهدت لطافته ... روحاً إلى بدين روحاً إلى أذني
أحيي الخواطر مني بعد ميتتها ... وقام عندي مقام البرء للزمن
أزاح عني مقيم الهم والحزن ... نعم وصيرني والأنس في قرن

فصفو ودك للحسنى يؤهلني ... وبعد شأوك في الأفضال يكرمني
وليس في الشرط أن تولى الجميل وإن ... تفيد علماً غزيراً ثم تمدحني
ولي في الإستطراد بذكره:

سقى الله أياماً أشبه حسنها ... وقد كنت في روض من العيش ناضر
بشعر ابن معتز وخط ابن مقلة ... ودولة مسعود وخلق مسافر
ولي أيضاً فيما يناسبه:

ومهفهف فتن الآله عباده ... إذ ساق حسن العالمين إليه
فكان بابل أصبحت في طرفه ... وكأنا الأهواز في شفتيه
وكان توقيع الرئيس مسافر ... في عرض عارضه يلوح عليه
ولي ايضاً:

قد سقتنا السماء ماء الغيوم ... فاسقنا يا غلام ماء الكروم
نشرب الراح ياذكار الرئيس ال ... فرد في الجود والعلو والعلوم
وإذا ما مسافر سافرت أخ ... بار عليها أسفرت عن نجوم
وأيضاً:

يا سائلي وصف مولانا أبي حسن ... مسافر في بديع القول محكمه

المسك من ذكره والمزن من يده ... والروض من خلقه والدر من فمه
إلى أشباه كثيرة لها. ومن ثمار خاطره قوله:

لقد لامني قومي على أن صبوتي ... تدوم وليل الشعر صرح بالفجر
فقلت اعذروني في تلذذ لحظة ... لدى الفجر إن الفجر يؤذن بالهجر
وقوله:

أجود بجل مالي لا أبالي ... وأبخل عند مسئلة الكتاب
وذاك لأنني انفقت حرصاً ... على تحصيله شرخ الشباب
وقوله:

مدادك في الكتاب يقوم عندي ... مقام سواد عيني لا المداد
لأن كتابك الخبواب عندي ... اسر موانس وأجل زاد
وقوله:

ارغب في العلم ولا أدعي ... أني إلى غايته أهتدي
لأنني آنف من جهل ما ... يقبح أن يجهله المبتدي
وقال يوبخ نفسه وصديقاً له:

تريد وصل رفيق ... وطيب عيش رفيق

بقينة وبكأس ... من كف ساق رشيق
والهم منك صبح ... مواصل لغبوق
والمال من ظلم حر ... وضعته في الحريق
ومن مطاعم قوم ... ضعفي وقوت فريق
وأنت واثق نفس ... بخدمة المخلوق
ولست عن سكر هو ... وقهوة بمفوق
فما تصيح لنصح ... ولا لقول شفيق
فما تظن خليلي ... بكل هذا الفسوق
لقد ضللت فنكب ... إلى سواء الطريق

الشيخ أبو الفتح مسعود بن الليث أدام الله عزه قد لبس برد شبابه على عقل الشيخ الأفضل وحاز في
حادثة سنه آداب المبرز الأكمل وفاز بالخطوة الثامنة عند السلطان الأعظم أدام الله ملكه فهو من خلص
ثقاته وخدمه ومتحملي نعمه وأعيان ديوان رسائله وأكابر رسله وهذه قصيرة من طويلة ونكتة من جملة وله
نثر يضحك عن زهر وغرر ونظم ينطوي على خبر ودرر هذه فصوص من فصوله القصار تجمع بين الأنوار
والثمار: فصل: راحت الروح في الراح وقرة العين في الوجوه الصباح وقوة النار في الدراهم الصحاح.
فصل: دواء الخمار قبل الحبيب وطرف الحديث. فصل: الدنيا كريق المعشوق كلما ازدادت منه رياء ازدادت
إليه عطشاً فصل: من خدم الملوك ولم يستخدموه ذبل عوده وغربت سعوده فصل: مثل نائل الملك
كالسحاب كلما ابطأ سيراً كان أكثر خيراً فصل: من سلب الرفعة لغير رفع الأولياء وقمع الأعداء فهو
طالب مال لا طالب جلال فصل: من تردى بالقناعة رثت حاله وكسف هلاله وهذه لمع من ملح شعره
كقوله:

حبيب زارني والليل داج ... وفي عينيه تفتير المدام
وقد نال الكرى من مقلتيه ... منال الحادثات من الكوام
وقوله:

يا رامياً عن لحظ طرفك اسهماً ... تقبيل وردة وجنتيك شفائي
عجباً لطرفك كيف دائي كامن ... فيه وثرغك كيف فيه دوائي
وقوله من نشة:

ولبست من صدر السرور ... بيت وفي صدر السرير
في مجلس قد رش ما ... ء الورد من سحب البخور
طلعت علينا أنجم ال ... كاسات من ايدي البدور
وقوله:

نم في ورد وجنتيك من العن ... بر خط فازددت تيهاً ودلا
ولقد حق أن تزيد دلالاً ... ولقد حق أن أزيك ذلاً

وقوله في غلام طيب:

متطبب كالغصن في حر كاته ... صيرت روحي في هواه سبيلا

ما جاءني متطبباً إلى لأن ... أهوى السقام لكي اراه قليلا

عجباً له ييري السقيم بطبه ... وبلحظه يدعو الصحيح عليلا

الشيخ أبو بكر علي بن الحسن القهستاني شخص الفضل وصورته وينيوع الكرم ومعدنه ورفضه الأدب وغديره وعذر الزمان المذنب وزينته وقد لفظته بلاد المشرق وترامت به الحوادث والنوائب حتى كأنه خليفة الخضر وقذاة في عين الأرض وما هو إلا السيف يزداد على الصروف أثراً والمسك يزداد على السحق طيباً وماء البحر إذا ساغر عذب وكأني به الآن وكأنا يوحى إليه في النثر والنظم ويعرف آدابه من البحر وأنا كانت من غرر ألفاظه نبذاً علق بحفظي فمنها قوله: من طلب شيئاً وجد وجد ومن قرع باباً ولج ولج وقوله في تواتر الفتوح: هذه فتوح ألفتها النفوس والطباع ومرنت عليها الأبصار والأسماع فهي لا تستغرب غرائبها ولا تستعجب عجائبها وقوله في وصف بنية كأن الشياطين نصبت تلك الأساطين وقوله في حكاية: ما قيل لبيداء الملك أنك لا تسلم حتى تسلم ولا تأمن حتى تؤمن وهذه بدائع من شعره كقوله:

أقمت لي قيمةً مذ صرت تلحظني ... شمس الكفاة بعيني محسن النظر

كذا اليواقيت فيما قد سمعت به ... من لطف تائثر عين الشمس في الحجر

وكهوله في الشيخ العميد أبي سهل الحمدوي أدام الله تعالى عزه:

يا ما لهذا القلب لا يرعوي ... وقد درى أن قد هوى من هوى

هوى ببستٍ وبلخٍ هوى ... ثانٍ فما هذا الهوى الغزنوي

ثلاثة والحق في واحدٍ ... والقول في الإثنين للمانوي

وإن تليت النصارى لمن ... يدين بالإسلام لا يستوي

ومنها:

هيهات إن الدهر ما قد ترى ... أعصل قرنٍ عسر ملتوي

فأحمد الله ومن بعده ... فأحمد بن الحسن الحمدوي

من بره استبعد شكري له ... والحر عبد البر فيما روي

قد نشر الله تعالى به ... ما كان في صحف المعالي طوي

ومنها:

اشهد بالله وآياته ... يمين حقٍ غير ذي مشنوي

لو بصرت بنت شعيب به ... قالت له هذا الأمين القوي

وقوله من أخرى:

تمتع من الدنيا فأوقاتها خلس ... وعمر الفتى من مليت أطوله نفس

وسارع إلى سهم من العيش فايز ... فما ارتد سهم قط يوماً ولا أحتبس

وقض زمان الأنس بالأنس وانتبه ... لحظك إذ لاحظ قيلا لمن نعس
ولا تنقض اليوم هم غدٍ ودع ... حديث غدٍ فالإشتغال به هوس
هي الروح كالمصباح والراح زيتها ... فدونك عني إنما الراي يقتبس
أنبيك عن نفسي وعما اختبرت لا ... أحاديث تروي عن فتادة عن انس
وقوله من أخرى:

وأنت على ما فيك من منعة الصبا ... وقلة أعداد السنين أريب
كيحيى الذي قد أوتي الحكم كله ... صيباً كذاك ابن النجيب نجيب
وقوله من أخرى:

سما بك من فوق السموات رتبة ... أب لك يدعو الله في السر والجهر
كما قد دعى موسى لهرون ربه ... إن اشد به أزري واشركه في أمري
ومما يستظرف من شعره قوله:

وشيبني وأعمدني هواه ... لذاك يقال لي الشيخ العميد
وكتب إلى عمر بن عبد العزيز الجكرزي يتشوقه ويستزيره:
يا قمر الوجه ويا وجه القمر ... حوشيت طال ذا السرار واستمر
فاطلع وجل ما بجوى من قتر ... فطال ما اشتاق أبو بكر عمر
وقال في عجة اتخذت بين يديه

ما انس ولا أنس يوماً بارداً كلباً ... وشر دهر الشتاء البارد الكلب
إذ لا تقرنا أطرافنا خصرأ ... وقد تمكن من أحشائنا السغب
جاء الغلام بمقلاة فافرشها ... جمرا وجمر الطوى في الجوف تلهب
وجاء بالبيض مثل الدر يفلقه ... فيها وللهن صوت بينها لجب
فأخرجت مثل قرص الشمس مشرقة ... كأنها فضة قد مسها ذهب

القاضي أبو الحسن المؤمل بن الخليل بن أحمد البستي: هو في الأدباء والعلماء علم وفي الجود والمروة عالم
وكان خطيب غزنة حيناً من الدهر ثم تقلد قضاء بست والرخج وهو عليهما الآن كما كان ابوه وجده فهو
قاضي بن قاضي بن قاض وهناك من الكرم والفضل وسعة الرحل وحسن السيرة وقوة البصيرة ما تشهد به
أخباره الأروحة وآثاره البهجة وتجمعه وإياي حال في المودة طويلة المدة وعشرة في الغربة مزجت المهجة
بالمهجة وطال ما تلاقينا وتصافينا بغزنة وجرينا على حكم مناسبة الأدب وتكاتبنا بالنثر والنظم وسمعته يقول
وقد سئل عن بست: صفتها تشيتها يعني أنها بستان وأجاز قول الشاعر:

قبل أنامله فليس أناملاً ... لكنهن مفاتيح الأرزاق

بما وازنه فقال:

واذكر صنائعه فلسن صانعاً ... لكنهن قلائد الأعناق

ولي في الإستطراد بذكره من نبتة:

يا زماناً نعيمه ... لم يعرج على يدي

كنسيمٍ معقد ... وشعاع مجسد

طيبه كالكرى يلم ... بجفن المسهد

أو كخلق المؤمل ب ... ن الخليل بن أحمد

ومما أنشدني لنفسه:

ساعد زمانك تسعد ... واقنع بحظك ترشد

وهون الأمر فيما ... ايقنت أن سوف ينفد

فما مضى فكأن لم ... وما يكون كأن قد

القاضي أبو القاسم عالي بن علي بن عبد الله الشيرازي أيدته الله تعالى: قد آتاه الله تعالى في اقتبال العمر

جوامع الفضل وسوغه في ريعان الشباب محاسن الإستكمال فهو مع أصله الشريف وعرقه الكريم أديب

فقيه شاعر خطيب فصيح القلم واللسان عارف بأمور السلطان وكأن أبا الفتح كشاجم عنه بقوله:

ما كان أحوج ذا الكمال إلى ... عيب يوقيه من العين

وكت اقتبست من نورره واستمليت منه أبياتاً له في نهاية الحسن وأعددتها لهذا الكتاب فضاعت نسختها،

وسهم الرزايا بالدخائر مولع، وهذا ما علق بحفظي من قصيدة سلطانية فريدة، أولها:

أيام ملكك للورى اعياد ... وثبات سعدك للورى استسعاد

وإذا بقيت على الأنام مملكاً ... فالأرض روض والسما عهاد

يا من تضعضعت الحدود لجله ... وعنا لراسخ مجده الأمجاد

هذي السعادة قد أتتك وفودها ... بمقالد الدنيا إليك تقاد

ولها لواحق قد قربن وإنما ... هذا أتتك سوابقاً رواد

ابشر بملك لا يزال مؤيداً ... بعلى تشاد وبسطة ترداد

ومر الزمان بما تريد فإنه ... عبد لأمرك سامع منقاد

القاضي أبو الفضل أحمد بن محمد الرشيدى اللوكري: له شرف عميم وطبع كريم وخلق عظيم ولسان

فصيح ومجد صريح وأدب جزل ومنطلق فصل وهو من أولاد هرون الرشيد ولي القضاء بسجستان

والوزارة بغرشستان والسفارة بين السلطان الماضي وأمير المؤمنين القادر بالله رضي الله تعالى عنهما فلم يزل

فيما نيط به واعتمد عليه وأجل وبجل ولقب بتاج القضاء وزين الكفاة رضي أمير المؤمنين وهو القائل:

قالوا اقتصد في الجود إنك منصف ... عدل وذو الإنصاف ليس يجور

فأجبتهم أني سلاله معشر ... لهم لواء في العلى منشور

بالله شائد ما قد بنى ... جدي الرشيد وقبله المنصور

وأنشدني لنفسه:

الدهر يلعب بالفتى ... لعب الصوالج بالكره

أو لعب ريجٍ عاصفٍ ... عصفت بكف من ذره
ويقوده نحو السعا ... دة والشقاء بلا بره
الدهر قنص وما ال ... إنسان إلا قنبره
وله ايام الخانية بيلخ:

ارى الأحرار كلهم حيارى ... كأفهم وحياتهم سكارى
واضحى الأفضلون من البرايا ... بأيدي الترك في بلخ اسارى
كأن المسلمين وقد جبوهم ... مجوس أو يهود أو نصارى
كأن الترك فوقهم صقور ... وهم من فرط خوفهم حبارى
وله في الشيخ شمس الكفاة
إذا قيل من للعلی و الندى ... و من للمكارم في ذا الزمن
ومن للعلوم و من للرسوم ... و من للفروض و من للسنن

اجبنا و قلنا باجماعنا ... أبو قاسم احمد بن الحسن
الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الأربعى من أفراد دهره وحسنات وقته لابس برد شبابه على كهولة فضله
جامع بين شرف أصله وكرم طبعه حائز حسن نشره إلى جودة نظمه وأبوه الشيخ أبو عبد الله أيدى الله وجهه
أمناء للسلطان الأجل السيد الملك الأعظم ولي النعم أدام الله ملكه بخراسان يتقلد له بريد نيسابور وطوس
وعلة من بلاد خراسان مع الإشراف عليها وقد كتبت من شعر أبي الحسن ما أنشدني كقوله من قصيدة في
الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن رحمه الله لما أعيدت الوزارة إليه
علت الوزارة إذ علوت محلها ... يا خير من عقد الأمور وحلها
هذي الأمور تلاحت فتهنها ... وهي السعود تلاحت فتملها
إن الوزارة رتبة مرموقة ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها
صعبت على أيدي سواك أمورها ... فأظلمها استقلالكم فاذلها
فالان عاد وعاذ منك بعقوة ... حلف المكارم لا يريم محلها
هذي الوزارة في الحقيقة لا التي ... كانت تقاسمها الأراذل قبلها
وأنشدني لنفسه في الشكوى ابياتاً منها:

يشارطني دهري لأن صرت جاهلاً ... رفعتك يا دهري فقد مشارطاً
مخابرنا يا ليت كنت محاجاً ... وأقلامنا يا ليت كنت مشارطاً
وأنشدني ايضاً لنفسه:

يا رب حقق دعوة العبد ... وارحم دعائي واشفني وحدي
وارحم لبيد الشعر حين شكا ... زمناً يروح عليه بالنكد
قد كان يشكو جلد اجره ... وبقيت في زمنٍ بلا جلد

وله ايضاً:

كل معاشٍ إلى فناء ... كل نعيمٍ إلى زوال
كم أخذ الدهر باغتصاب ... قوت فقيرٍ وكنزٍ وال
كم هش لي وجهه زمانا ... حتى إذا ما انقضى زوى لي
وله ايضاً في الشيخ الأجل أكفى الكفاة أدام الله تأييده من قصيدة
بلغت السماء إذاً فاقصر ... وحزت الشاء إذاً فاقصد
وأعليت من طالعي ما هوى ... وأصلحت من حالة ما فسد

ومن مشور كلامه ما كتب إليه يهنيه بالوزارة شن وافق طبقاً وفضل عائق عباً وخائم فأجأ ماءً وزرع
صادف سماءً وصدر شرف تحلى بصدر وليل تم تجلى ببدر وسيد مملكة سادها وصدر وسادها أحلماً أرى أم
حقاً وكذباً أسمع أم صدقاً إن كان حقاً فهو طالع الميمون وإن كان حلماً فخيراً رأيت وخيراً يكون وما
شئت وما شاء فالق الدلو وارسل الرشاد وجدت وأجدت فهل شكرت وسجدت هناك هناك ثم عنك
ومناك وايها يا زمان أيها فقد أخرجت نبيهاً دنياً أراها عطرة وكانت دقراء وسماءً أراها مطرة وكانت جرباء
وفضل يفتر عن برد وقد كان في حرد وعلم يسفر عن شمس وقد كان في رمس وزمان صالح عنواً وقد كان
حرباً ودهر سالم كرهاً وقد كان ألباً دولة أضحكت بما جد وكان في حسرة ومملكة تربح بسيد وكانت في
خسرة ومولانا يقول ما هذا التعريض والتصريح والتمريض والتصحيح نعم هو حياة البشر يبهره القمر
واضطراب الأسماع لمضارب السماع ودهشة العاشق لنجاة الخيال الطارق وجلجلة كلام عبد ظفر بعد
القنوط وارتفع بعد الهبوط ورأى كالسعد الذي له تجدد والجد الذي به تفرد فاقول مرحباً بفلك اطلع علينا
سعدك واهلاً بهذا اليوم وما بعده والحمد لله الذي صدقنا وعده وأورث مولانا ملك الدست والصدر وملك
الحياة والقدر وزمام النهي والأمر يتوأم منها حيث يشاء فنعم أجر العاملين أبو بكر عبد المجيد بن أفلاح
الغزنوي كثير المحاسن والفضائل جم المحامد والمناقب وكان السلطان الماضي رحمه الله يكرمه ويفضله على
الصاحب وقلده بريدطوس وهو الآن مرتب في أعيان كتاب الرسائل ومرشح للأعمال الجلائل وله شعر
يروق ويشوق كقوله:

انظر إلى حسن الربيع ققطره ... يحلى على الأغصان دراً نابتا
وكأن غيم الجو يسكب دمه ... من حزنه والروض يضحك شامتا
وقوله في معنى آخر:

وراوي في انشاد شعري مقصراً ... ولو كنت قد هذبت في الدفاتر
مخافة أن يلقي امرؤ من عيوبه ... بخاطره ما لا أراه بخاطري
وقوله في الحكمة والموعظة الحسنة من نتفةٍ

قل لمن تاه في الورى بغناه ... لا يساوي الغنى حذار زواله
مرن النفس للقناعة كرهاً ... اي مال يفني بذل سؤاله

وقوله:

تبين أهل الحجى أن لي ... لساناً فصيحاً وقولا صحيحا
ولكنني ابدأ ساكت ... أعالج بالصبر قلباً جريحا
فما لي عدو يساوي الهجاء ... ومالي صديق يساوي المديحا

وقوله:

لقد كنت حيناً أقصد الناس مادحا ... لجهل بهم فالآن أصبحت تائبا
أدافع آمالي ببأس لأنني ... نظرت فما ابصرت في الحمد راغبا

وقوله:

رأيت الدهر يسعد كل نذل ... ويقصد كل حر بامتهان
فقلت لقلبي استمسك بصير ... فإن الدهر دهر بني الزواني

وقوله:

أرى مثل النجوم دموع عيني ... إذا ما غاب وجهك عن فنائي
كذاك الشمس حين تغيب تبدو ... لنجوم الليل في أفق السماء

وقوله:

سلام على بدر الدجى كوكب الحجى ... سماء العلى شمس الفخار أبي الخير
على من إذا استطلعت قلبي لا أرى ... لعقلي برهاناً على أنه غيري

وقوله:

أقول لسار في الخرونة والسهل ... ليصر أعيان البلاد ذوي الفضل
تيمم أبا الفضل بن ميكال واترك ... سواه فكل الفضل حيث أبو الفضل
أبو محمد عبد الله بن محمد الدوغابادي أعجوبة العصر وبكر عطارذ وذلك أنه حديث السن رطيب الغصن
ولو قلت أنه معجز بلدته في الشعر لما قلت شططا ومن خبره أنه استظهر كتاب اليتيمة كله وله طبع نافذ
وخاطر عامر وقريحة ثاقبة وكياسة نادرة فانتجع بدائع الخواطر واجتني ثمار الأفكار وحمل على الروح حتى
تطبع بطباع أفكار الشعراء العصريين وجرى في طرق المفلقين المبدعين وكسا المعاني والبديعة الخفية معارض
اللفاظ الرشيقة الجليلة فإن شاء فالسري والخالدي وإن أراد فالبيغاء والسلامي وإن نشط تعزل وأطرب وإن
آثر مدح فأعجب وعجب وهو الآن بالخرصة في ديوان الرسائل مرشح للأعمال الجلائل ومن شعره في
الغزل قوله من قصيدة:

ونمل عذاره نقلت إليه ... وهن ضعائف حب القلوب
نقلن له القلوب وهن ضعفى ... فكيف إذا قدرن على الديب
وقوله في معناه من أخرى

فحذار من ذاك العذار فإنما ... نقلت له حب القلوب نمل
ومن أخرى:

مري جفئك المراض من غير علة ... يشم سيفه إنا آتيناه عوداً
وقوله من أخرى

وظبية إنس بين أسد طرققتها ... على حنر والليل في لون خالها
وما غرضي منها سوى ورد خدها ... وبرق ثناياها وبرد زلالها
وقوله:

سلى صدغه المسكي كيف قراره ... على نار خديه وكيف يكون
ويشرب من فيه المدام معلقاً ... على هب أن الجنون فون
ومن سلطانيات شعره قوله من قصيدة:

الملك بعد نظام الدين محمود ... للقائم الملك المنصور مسعود
إن كان داود زار الغيث تربته ... ولي فهذا سليمان بن داود
من كان شمس ملوك الأرض وارثه ... ونجله فهو حي غير مفقود
ومنها:

لا يطمعن أحد في الملك يملكه ... والسيف في يد مسعود بن محمود
سقى الكماة كؤوس الموت مترعة ... على غناء سهيل الضمر القود
ومنها:

طويل عمر المساعي والندى أبدا ... قصير عمر الأعادي والمواعيد
يداه فوق أكف الناس كلهم ... عزاً وتحت شفاة السادة الصيد
أخذه من قول أبي الفياض الطبري
يد تراها ابداً ... فوق يد وتحت فم

تبارك الله ما إهباك من ملك ... في تاج عز بكف الله مقعود
زلقت قدمه في ذكر الكف فإنما لا تضاف إلى الله عز اسمه وتعالى عما لم يصف به نفسه ولولا أنه أضاف اليد
إلى نفسه وإن كان تأويلها غير ظاهرها لما استجيز قول من قال يد الله وقد نعى على ابن باته قوله وعيب
بذلك:

إذا تمتت تمت أن تعيش لها ... يا راكب العرش بارك في أمانيتها

لأنه قال ما لم يقل أحد من ركوب العرش وإنما جاز افستواء لأنه جل ذكره وصف به نفسه وإن كان
بعضهم تأول فيه الإستيلاء واحتج بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق
عاد الشعر

قرم يعيد حدود البيض مصلته ... من الدماء عليها ذات توريد
تخالها وهي كابن الغيم صافية ... كأنما زجيتها بنت عنقود

لا تستقر ظباها فهي راحلة ... من الجفون إلى هام الصناديد
ومنها:

مغناك روض أريض مونق خضل ... وأنني عندليب جد غريد
أخذه من أبي القاسم الزعفراني وزاد عليه
وتغنيك في الندي طيور ... أنا وحدي ما بينهن الهزار
لا زال ملكحك مخصوصاً بأربعة ... أمن ويمن وتأيد وتأيد
فأنت للملك لا فارقه أبداً ... كالنار للعود بل كالماء في العود
وعشت للدين والدنيا وأهلها ... للعلا والندی والبأس والجود
وله من قصيدة في الشيخ أبي الطيب طاهر بن عبد الله أيده الله أولها:
سقام عينيك للعواد قتال ... ففي العيادة قل لي كيف أحتال
ومنها:

ويح المحين لما سار عيسكم ... في صحبة الدمع من أجفانهم سالوا
لم يرزقوا الخير منكم غير أنهم ... فضل الشهادة في سبل الهوى نالوا
ناديت دمعي وصبو المزن يسعده ... كلاكما خضل الشؤبوب هطل
ولستما كيد الشيخ العميد ندى ... هي الغمام ولكن وبلها المال
كم أنبت يد مولانا وسيدنا ... من روضة نبتها مجد وافضال
ومنها:

قل للذي يتمنى نيل رتبته ... ما كل ماشية بالرجل شمال
في دسسته عارض هام وبحر ندى ... طام يفيض وصمصام ونبال
كاف إذا ما امتضى الأقالم أمثله ... فالمرهفات له والثمر عمال
يا فارس الدست إن الناس كلهم ... سواك في دست هذا الملك أكفال
مر عبدك الدهر يجبني نوائبه ... فالدهر طوع لما تقضيه فعال
وأول ثغري بتقبيلي ثراك ندى ... فإن تقبيل ذاك الترب إقبال
واسلم فإنك في افق العلى قمر ... وافخر فأنت على خد الندى خال
وأنت نبع العلى إذ غيرك الضال ... وأنت بحر الندى إذ غيرك الآل
وكتب إلى أبي القاسم الطائي الكاتب يسأله تذكيره وعداً له عليه
أأبراهيم دام صفاء ودك ... على غير الزمان وصفو عهلك
دعوتك دعوة التعب المعنى ... لتذكرني بفضلك عند ربك

أبو الحسن محمد بن الحسن البرمكي: كثير الفضائل جم المحاسن جامع من العلم والأدب بين العنب والرطب
فصيح اللسان والقلم وهو من رياحين الحضرة وطال ما نفذ منها رسولاً إلى الخليفة القادر بالله رضي الله
عنه فأحسن السفارة واستوفى العبارة وهو الآن يتولى اوقاف الهند وله شعر يدخل على الأذن بلا أذن كقوله

إن شاب راسي فالمشيب موقر ... وذوو العلوم بشييبهم يتبرك
والشيب تغتفر الغواني ذنبه ... ما دام ذاك الشيء فيه يحرك
وله:

وذي عينين كحلّوين يرمي ... بسهمهما سويدياء الفؤائد
الم بعارضيه نصف لام ... وهم بشاربيه نصف صاد
وله في الهجاء:

ابو بكر بن حمدان ... بلا أصل ولا فصل
كأن الله صوره ... من الأعجاب والبخل
إذا شاهدت طلعتنه ... دعوت عليه بالنكل
ترى ما شئت من حق ... ترى ما شئت من جهل
ترى نغلا على بغل ... ترى ندلا بلا بذل

أبو الفتح المظفر بن الحسن الدليغاني: كان من وجوه خدم الحضرة وأعيانها يرجع إلى أدب وفضل وحسن
نظم ونثر وتقلد الأشراف بنيسابور فلم يلبث أن اشرف على الآخرة واختصر بالحتل منذ أشهر وكان قرأ
كتابي في النغزل بمآتي غلام مختلف الأوصاف والأحوال والصناعات والمذاهب فأنشدني لنفسه في غلام
كرامي

وريم اصار الخانقاه كناسه ... وعارض عمداً رغبتى فيه بالزهد

أطال مواعيدي فقلت له أما ... تعبت في دين الهوا بسوى الوعد
فقال اقتصر مني على الوعد في الهوى ... فقد صح إيماني على قولي الفرد
وأنشدني لنفسه في قصيدة في شمس الكفاة رضي الله عنه والإشارة عليه باصطلام أعدائه الذين سعوا به
وأعانوا عليه

فسد الزمان فما ترى ... إلا ذئاباً أو ذباباً
هذا يصول فإن يصب ... لم يأل عقراً وإنهاها
ويحوم ذاك على اذا ... ك فلا تزال به مصابا
فابسط حسامك في الذئب ... ب فلا تدع ظفراً وناها
واصيب على الذبان من ... عذبات مفرعك العذابا
وله من قصيدة في الشيخ العميد أبي سهل الحمدوئي أدام الله عزه
بابي طلوعك ايها القمر ... حتى متى يا بدر تنتظر
يا مجماً في الجمال له ... خضر كحظي منه مختصر
العشق أول مرة نظر ... كم خاض في دم عاشق نظر
ومنها:

والجد يحمد فعل أحده ... في كل ما يأتي وما ينذر
الحمدي المكثفي بندي ... كفيه إما أمسك المطر
ومنها:

وكفى الوزير مهمة فغدا ... منه بحيث السمع والبصر
فإذا دجا خطب يفرجه ... عن وجهه أراؤه الزهر
بعزيمة كالسهم ماضية ... يرتد عنها الصارم الذكر
غرس الصنائع في الوري فغدا ... يجتنى له من شكرهم ثمر
لا يخش صرف الدهر زائره ... فذاره من أحداثه وزر
يا مثرياً من كل مكreme ... إني إلى جدواك مفتقر
لي حاجة وقضاؤها أمم ... سهل عليك وما لها خطر
ومتى يكن عمراً لها أحد ... فالشيخ سيدنا لها عمر
لا زلت ما سجع الحمام وما ... نفح النسيم ونور الزهر
في عيشة لا جوها قطر ... فيه ولا في صفوها كدر
وقال:

ولقد ينست من الرئي ... سو من بنيه زائله
وضربتهم عرض الجدا ... ر فليس فيهم فائده
وغسلت من معروفهم ... كلتا يدي بواحدة
وقال:

أثرنا خبايا العيش في جنب خاييه ... بأجذب حنان وحدباء حانيه
أبو نصر أحمد بن محمد الخالدي أديب بارع شاعر حسن الشعر من المقيمين بغزنة يقول:
متى شملتني صحة وفراغ ... وقوت به لي غنية وبلاغ
واصبحت لهفاناً على مالا يفوتني ... فراسي رأس ليس فيه دماغ
ويقول:

قل للنأوم عن النفض ... ل وادعاً وسط الكرى مه
أحست فإن الحر عب ... د للمبرة والكرامه
وله:

قاضي لنا إبليس يشهد أنه ... ما في الفضائح مثله إبليس
فكانه زبر الحديد فياشل ... وكأنا مفساه مغناطيس
أبو الفتح المظفر بن صالح الرازي المدير: أحد من انتقل من الري من صحبة الراية السلطانية أدام الله نصرتها
وتصرف على خدمة الحضرة وهو القائل في سبل أتى بالري بعيد ارتحال الموكب العالي عنها:
أتى كالطود أهر في اصفرار ... كأن قراه ضمخ بالخلوق

أتانا تجرف الدنيا بليل ... لحاه الله من زور طروق
تغنم فرصة ونوى بياتاً ... لأن البحر مال عن الطريق
ولولا رحلة الملك المرجى ... لما جسر السيول على الطروق
خاتمة الكتاب يشتمل على ذكر أقوام مختلفي الترتيب متفاوتي التاريخ غير معطين حقوقهم من التقديم
والتأخير وهم من كل الأقسام الأربعة فمنهم من استفدتم بآخرة ومنهم قوم ما أنسانيهم إلا الشيطان أن
اذكرهم في أماكنهم فقد جمعت في هذا الفصل محاسنهم على ما خيلت وكتبت من لطائف غررهم وملحهم
ما يجري مجرى الحلواء التي تقدم في أواخر الموائد ويكمل به الكتاب والله ولي التوفيق ابو محمد لطف الله بن
المعافي يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وهم الكرام السادة الأشراف
وبقيت من خلف كأن وجوههم ... خبز الشعير إذا علاه جفاف
ويقول:

ارى ما اشتبهه يفر مني ... وما لا اشتبهه إلي يأتي
ومن أهواه يبغضني عناداً ومن أهواه شص في لهاني
كأن الدهر يطلبني بثأر ... فليس يسره إلا وفاي
وهو القائل:

وهل يذخر الضرغام قوتاً ليومه ... إذا اذخر النمل الطعام لعامه
هذا البيت لأبي العلاء المعري. أبو القاسم علي بن مسرة البغدادي يقول:
زعمت أنما هواي محال ... أتراها ظننت نحولي انتحالا
ولقد زارني الخيال فماصا ... دف مني الخيال إلا خيالا
بت أرعى النجوم فيها وباتت ... من وراء السجوف تنعم بالا
وشكوت الهوى إليها فقالت ... حضري ينمق الأقوالا
وقوله:

الف الحوادث مهجتي فالفتها ... بعد التنافر والكريم الوف
ليس البلاء علي صنفاً واحداً ... لكن علي اليوم منه صنوف
محمد بن أحمد الشيرجي أديب فقيه ظريف شاعر خليع يقول:
يا خليلي عرجاً بي إلى القف ... ص وحط الرحال بالبردان
واتركاني من التفقه في الدي ... ن فحسب تعلمي ما كفاني
واسقياني على وجوه الغواني ... واصطفاق النايات والعيدان
ويقول:

لقى الدساكر والمعاصر والسواحر والزوامر

ودع الدفاتر والخابر والقماطر والمساطر
وكتب إلى صديق له يستديره:
اليوم يوم النجار ... ويوم إيقاد نار
ويوم عزف وقصف ... ويوم شرب عقار
وكل هذا لدينا ... فاحضر مع الحصار
وكان كثيراً ما يقول لأخوانه: أنعم الله صباحك وأدام لرأسك الخضرة ولوجهك الحمرة ولوجه حاسدك
الصفرة ابو الفضل أحمد بن محمد الكاتب: ثقیل وزن الفضل خفيف روح الشعر يقول:
دخلت إلى النحاس يوماً وعنده ... غلام صبيح الوجه أتلع أحور
فقلت له هذا الغلام تبيعه ... فقال به عيب وذلك يستر
فقلت فأظهره فقال إياقه ... فقلت رضى بالعب فالظبي ينفر
ويقول:

قد قلت والصدغ على خده ... كالليل يبدو تحته الفجر
البدر من أبراجه ... عقرب فصار برج العقرب البدر
ابو المظفر عبد الجبار بن الحسن البيهقي الجمحي: كثير اخاسن حلو الأدب مليح الشعر يعيش في ظل
الكفاية ويخدم السلطان ويعاشر الأخوان ويقول مثل قوله في بعض الصدور
وإن أبا سعد لعائن ربنا ... عليه لشيخ حامض في المشايخ
فلو أنني ولت شغل وكالة ... لو فرت في خديه خل المطايخ
وقوله:

وجه أبي العباس ما أصله ... نعم ويوم البعث ما أسوده
يخب من يرجوه في يومه ... ثم مع الحنية يخشى غده
قل للمليك الشرق هذا الذي ... يكتب في الديوان ما أبرده
إن شئت أن تبسط بين الورى ... عدل أنوشروان فاقبض يده
وقوله:

دخلت على أبي سعد وإني ... ادخله على ود سقيم
رأيت لديه كتاباً ظرافاً ... حيارى حول محزون كظيم
تصور لي ملائكة كرام ... فعود حول شيطان رجيم
ففي ديوانه كرم ولكن ... مدارعه تزر على لنيم
يعز علي أن يلقاه شتمي ... بلا ضرب أكره اليم
وقوله في قصيدة

عقب بكفي من خيال طارق ... عند الكرى متصافح متعاق
فأبيت أضحك من وصال كاذب ... وأظل ابكي من فراق صادق

إني اصافحه بكفي صائن ... لكن ألاحظه بعيني فاسق
ما للهموم ألفن كل متيم ... اعشقن مهجة كل صب عاشق
أبو منصور علي بن أحمد الحلاب: شاب كان متقدم في الفضل والأدب كتب في ديواني الرسائل بنيسابور
والري وبرع وخدم وخدم وقد ذكرت له أبياتاً في مراثية صديقه أبي بكر الصبغي وكتبت الآن ما أنشدني
لنفسه قوله في خط العذار:

كم سقيت الدموع عارض حتى ... اشتهي خطه على غير حين
فتباطى النبات حتى إذا ما ... رويت خده وجفت شروني

دار فيها السواد وهو شبيه ... بخطى النمل في جنى الياسمين
كيف استنكر العذار نباتاً ... وهو في عبرتي زرع جفوني
وقوله:

حلى المشيب محلاً ... عن كل ورد التصابي
ما للغواية والصبا ... به غير ريعان الشباب

أبو سهيل الجندي الكاتب: من كتاب الرسائل في ديوان السلطان الأعظم ولي النعم أدام الله ملكه ومن
الأدب والفضل بحيث يضرب به المثل وله شعر يجمع الحسن والطف والظفر كما أنشدني الحاكم أبو جعفر
محمد بن إسحق البحاثي قال أنشدني هذا الشيخ لنفسه:

أفدى فتاة حرمت ... ظلماً علي جماها

ود الهلال بأن يكو ... ن لساقبها خلخالها

قد واعدتني زورة ... تشفى الجوى فبدالها

وأنشدني أيضاً قال أنشدني لنفسه:

سقياً لزائرة زارت على عجل ... والليل ألبس غيطان الفلا غسقا

في ليلة بات شمل الأنس مجتمعاً ... فيها وشمل الأسى والحزن مفترقا

قطعت أولها شرباً وأوسطها ... سكرأ وآخرها ضمأ ومعتقأ

حتى بدا الصبح محمراً ذوائبه ... كأنه موقد في افقه سذقا

قالت تودعني والعين باكية ... يا ليت أن بياض الصبح ما خلقا

أبو طالب محمد بن علي بن عبد الله المعروف بالبغدادي المستوفي: أخبرني أنه واسطي خدم الصاحب والأجل

واقبتبس من أنوارهم في صباه وانتقل إلى خراسان فشاخ بها على الإستهفاء في الديوان وكان أديباً كاتباً

حاسباً كريماً فاضلاً به طرش يسير وله حفظ كثير وطلع بنيسابور فاطلع شمس فضله وأنشدني لنفسه:

إن كنت عنلك يا مولاي مطرحاً ... فعند غيرك محمولاً على الحدق

وأنشدني لنفسه في قائد اسمه فولاذ:

قالوا أمتدح فولاذ فاسعد به ... فالحر بالأحرار يعتاذ

فقلت لا يغركم بره ... فإنه في اللوم استاذ
لو أنه الزبيق لم يجري لي ... فكيف تجري وهو فولاذ
وله في الأمير حسنك رحمه الله تعالى
أبدى لك الدهر في أحواله عبرا ... لو كنت يوماً بما تلقاه معتبرا
انظر بعين النهى في حسنك لترى ... سحب كل بلاء ارضه مطرا
صلب ورجم وحز الراس بعدهما ... من يقهو الناس في سلطانه قهراً
وانتقل إلى جوار ربه منذ سنين وله نجيب أديب في ديوان الإستيفاء بالحضرة يكنى أبا غالب أبو عدي
الشهر زوري له شعر مدون فقد انتخبته منه قوله
حصلت وعدك سيدي ... وكفى به ثقة لآمل
لكنني كالنفس مش ... غوف الفؤاد بكل عاجل
وقوله :

بما كان واحد ... يغلب الألف زائداً
رب ألف رأيتهم ... لا يساوون واحداً
وقوله:

وأنت كالماء يروي الناس كلهم ... وربما شرق الإنسان بالماء
أبو منصور محمود بن علي المهلب العماني: حدثني أبو الحسن علي بن محمد الحاجبي بالجرجانية قال كنت في
أواخر أيام السامانية أحرر في ديوان الرسائل بخارا مع جماعة من المحررين وصاحب الديوان إذ ذاك أبو علي
بن عيسى الدامغاني ومعنا في الجملة أبو منصور المهلب وكان أشعر القوم وكان فينا واحد يعرف بأبي
الفوارس النيسابوري ردي الخط غليظ الطبع كثير الكتب قليل الأدب يتعاطى الشعر ويفتضح فيه فمدح
أبا علي بما اضحكه والقوم فامر المهلب بمجائه ووصف خطه وبلاغته فقال أبياتاً منها:
وكتب كتبه تذكروني ال ... قرآن حتى أظل في عجب
فاللفظ:

قالوا قلوبنا غلف ... والخط: تبت يدي أبي لهب
فأعجب أبو علي بقوله وأمر بصلته ولما رأى المهلب ميل أبي علي إلى وصف خط أبي الفوارس فقال فيه
يخاطب أبا علي:

يا سيد السادات في المجالس ... أما ترى خط أبي الفوارس
كأنما يكتب بالمكانس ... فميمه كمنخر الأفاطس
وجيمه كرجل بغل رافس ... وسينه كأرجل الخنافس
وواوه مغرفة الهرائس ... ولامه شريحة المحابس
وما تراه الدهر غير عابس ... أو ناكساً لرأسه كالناعس

يدرس طوماراً بفهم دارس ... أو قاتلاً شعراً بشق هاجس
أو غايضاً في لجة الوساسوس ... كأنه من جملة الأبالس
فارم به في شلق ليث ناهس ... فبئس الكتاب من مجالس
قال ولما قلد أبو محمد عبد الله بن محمد بن عزيز الوزارة ببخارا مدحه أبو منصور المهلي ببيتين فوصله بالفى
درهم وهما:

ارى الله البرية كل خير ... وجنيهم بفضل على ضير
ورد حياهم ببني عزيز ... كما رد الحياة على عزيز
وأنشدني غيره للمهلي:
قد أولع الناس في الدنيا بأربعة ... أكل وشرب وملبوس ومنكوح
وغاية الكل إن فكرت فيه إلى ... رروث وبول ومطروح ومفضوح
وله:

إذا اعتل برزون الفتى وهو واحد ... فصاحبه حتى يصح عليل
ابو منصور نصر بن أحمد بن سعد السعدي: أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن ايده الله له:
أكرم أليفك ما استطعت فإنه ... ما دمت تكرمه فأنت كريم
فإذا أضعت ذمامه وتركته ... تركتك الفتنة وأنت ملهم
وله في ذم صديق:

الفلك تجري في البحار واني ... أجرية منك على الصفا والجندل
الله يعلم ما اقاسي دائماً ... من سوء خلقك يا نقيع الخنظل
وله:

يا جامع المال كي تضمن به ... تطمع والله في الخلود معه
هل حمل المال ميت معه ... أما تراه لغير من جمعه
ومما ينخرط في سلك هذا النظام قول بعضهم:
يا جامعاً للمال يا مانعاً ... الم تتق بالرازق الباعث
من شح بالمال على نفسه ... جاد قهراً على الوارث
ابو الفرج أحمد بن علي بن خلف الهمداني: في نهاية الفضل وحسن النثر وملاحة الشعر وقد ذكرت له عند
أبيه هذين البيتين المرتفعين في الحسن عن النعت الجارين مجرى السحر:
لئن كنت القريض مبرزاً ... وليست جدودي يعرب وايد
فقد تسجع الوررقاء وهي حمامة ... وقد تنطق الأوتارر وهي جماد
ولم أكن أحفظ إذ ذاك غيرهم م اكتني الشيخ أبو بكر أيده الله بعد حين من الدهر ما كتبه في سويداء
القلب كهوله:

تعبرني وخط المشيب بعارضي ... ولولا الحجول البيض لم تحسن الدهم

حتى الشيب ظهري فاستمرت عزيمتي ... ولولا انحاء القوس ما نفذ السهم
وكهوله:

ولرب كرم نقلنا أعنابه ... وشرابنا حلب مختوم
فجمعت بين ألام فيه وبنتها ... عمداً لكي يتضاعف التحريم
وكهوله من قصيدة فريدة بديعة جداً:
لا تعذليني إن ذكرت كنييا ... ومنعماً غص الجمال ريبا
ومنازلاً قضيت بين خيامها ... عيشاً كما يرضى التصابي طيبا
لولا اشتياق الألف لم تر طائراً ... يوفي على غصن الأراك خطيبا
ولقد ترن القوس وهي صليبة ... من أن تفارق سهمها فتغيبا
وكفأك من شرف الهوى تقديمنا ... ابداً على مدح الملوك نسيبا
مهلاً فلست ترى الفتى هذا همة ... طماحة حتى تراه طروبا
أما تراني فقد وهت صباة ... ورأيت رأى العاشقين مصيبا
فلرب يوم قد حجبت سماءه ... بعجاجة تذر الشباب مشيبا
غادرت صدر السمهرية مرعداً ... وثبتت في قلب الخميس وجيبا
سرنا فسارت للنسور عصائب ... ترجو مقاماً للكمامة عصيبا
وقيننا شمس النهار وصرن من ... دون الهجير سرادقاً مضروبا
فليجزين صنيعها بفوارس ... تفتات منهم أعيناً وقلوبا
وأبي الذي شهد الكرام بأنه ... أوفاهم في المكرمات نصيبا
هويي إذا الأبناء عدوا منجب ... وبه أعد إذا افتخرت حسيبا
كالبحر وله دره والغيث أن ... بت روضه ابدي طيبا
اصل وفرع طيبان كلاهما ... ما فيهما أمر تراه معيبا
وكهوله في حال انقضت:

قربا الشقر الأغر فإني ... يا خليلي قد مللت المقاما
ورأيت الثواء في بلد الذل ... حماما وأن أمنت الحماما
وتخبرت للحروب قناة ... صعلقة صدقة وسيفاً حساما
فأجيزا عني الكؤوس فإني ... قد الفت السرى وعفت المداما
ودعائي من الأغاريد إلا ... من طنين السيوف يفلقن هامما
ولخير من أن نعيش لئاماً ... مستذلين إن نموت كراما
وقوله من قصيدة:

نشفت بأنفاسي نطاف المناهل ... فاخلفتها دمعي بسحب هواطل

ورحت بقلب في الطعائن سائر ... حيث ودمع بالأباطح سائل
وأنكر جارقي خضاب ذوائي ... وهن به زين بيض الأنامل
فيا عجباً منهن بنكرن باطلاً ... علي ولم يحلين إلا باطل
وكنت متى أبدي النصول بياضها ... رأيت نصولاً ركبت في مقاتلي
فسل مشيبي من خضابي كأنما ... تسل من الأغمد بيض المناصل
وقوله من أخرى:

شكر لآلاء الوزير فإنه ... أحبى نفوساً قد كمدن تروعا
ولئن تبقت لي مآرب لم أزل ... لنداه في انجازها متوقعا
يأبى حيائي أن اطيق بياها ... وعزوف نفسي أن أرى متوجعا
ولأنت تعلم ما أريد فوقني ... ذل السؤال وجد به متبرعا
وإلا الفتى سبق السؤال بفعله ... كان الذي يأتيه أحسن موقعا
وقوله:

تلوم اميمة أني سخوت ... سيصغي إلى لومها الألام
أمنع ما ملكته يدي ... ويخلع خلته الأرقم
فيمنح من جسمه بعضه ... ويعظم في عيني الدرهم
إذاً هو أولى بنيل العلى ... وموقفه في الندى أكرم
وقوله:

ولي أعمل تغني وتغني كأنما ... مسار غمام أو مثار حمام
فما انبسطت إلا لاغناء مقتر ... ولا انقضت إلا لهن حسام
وقوله في الزهد:

في ظلام الدجى وضوء النهار ... آية للمهيمن الجبار
فلك دائر وقطب مقيم ... ونجوم تجري بغير اختيار
وسماء قلمت بغير عماد ... فوق أرض رست بغير قرار
وصعيد يحول نباتاً نضيراً ... مونق الروض موزق الأشجار
شربه واحد والوانه شت ... ي فمن اصفر ومن جلنار
شهد الراسخون في العلم طراً ... إن هذا من صنعة الجبار
خالق الخلق باسط الرزق فيهم ... مالك الملك عالم الأسرار
فهو الواحد الحكيم تعالى ... عن شبيهه وعن شريك وجار
هو ذاك الذي إذا خفت أمراً ... قلت يا رب نجني من حذار
فإذا زال ما أخاف وأخشى ... عدت في سكرة وفي إصرار
أيها الغافلون عن نوب الده ... ر وناسون سطوة الأقدار

إن هذي الديار قد نزلت قب ... ل وحلت فأين أهل الديار
أين اين الملوك في سالف الده ... ر وما أثروا على الآثار
كل ذي نخوة وأمر مطاع ... وامتناع وعسكر جرار
ملكوا برهةً فسادوا وقادوا ... ثم صاروا أجدوة السمار
لم تخلدهم الكنوز التي قد ... كنوزها من فضة ونضار
لم تغنهم يوم الحساب ولكن ... حملوا وزرها مع الأوزار
أبو الحسين الحسيني الهمداني: هو والد عباد سبط صاحب وكان بهمدان في الشرف والجاه واليسار كيحيى
ابن عمر العلوي ببغداد وفي الأدب والشعر كالرضي والمرضى والموسويين

بها وكان صاحب يفتخر بمصاهرته ويتشرف بمواصلته وكان من أعظم الرؤساء مروءة وأوسعهم رحلاً
وكان له ندماء فضلاء أدباء لا يغبونه ولا يغيبون عن مائدته وكان يسأل كل واحد منهم عما يتشاه من
الأطعمة فيأمر الطباخ باتخاذ وإحضار جميعه فيأكل بشهواتهم وقال لهم يوماً تعالوا بنا نتكرم اليوم فقالوا أي
يوم لا يتكرم سيدنا فيه قال نتكرم من الكرم لا من الكرم قالوا كيف تعمل قال نستغرق مرافق الكرم
ومنافعه ومصالحه فنستوقد بقضبان الكرم نتخذ سكباجة وقلية حصرمية وحلواء دبسية ونشرب العيني
وننقل الزبيب فقالوا لا اختيار على هذا الرأي فأمر بذلك كله وطاب يومهم وكت علقته له أبياتاً
ضاعت وعلق بخفي منها قوله في جارية تحمل شمعة
خطرت لنا قبل العشاء بشمعة ... تحكي بها شكل القنا الخطار
فكأنما طعنت بها عشاقها ... فتكللت بدل النجيع بنار
وقوله من قصيدة:

أعينا على تسويفه واعتلاله ... وتكديرها بالهجر ماء وصاله
لئن كانت الأيام ضنت بقر بها ... فإن الليالي اسعفت بخيالها
ومنها:

ينفر عنه النفس سوء فعالة ... ويدعو إليه القلب فرط جماله
ألا رب يوم قد نعمت بقر به ... إذا العيش في ريعانه واقتباله
ومنها قوله من قصيدة صاحبة:

إني وإن كنت من يدنيه ابطحه ... إلى الفخار وتنمية أخاشبه
حتى تعليه طوراً فواطمه ... إلى النبي وأطواراً زيانبه
لعبد أنعمك اللاتي ملأن يدي ... طولاً وميزني عن أناسبه
وكتب إلى صاحب مع طبق فضة فيه من ند الملوك وذلك قبل العيد
العيد زارك نازلاً برواقك ... يستببط الأشراف مع إشراقك
فاقبل من الند الذي أهديته ... ما يسرق العطار من أخلاقك

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه ... فأضف به طبقاً إلى أطباقك
والجواب عنه في نهاية الظرف وقد ضاع في جملة ما ضاع، وسهم الرزايا في الذخائر مولع، ولئن عثرت عليه
الحقته بحاشية هذه الورقة إن شاء الله تعالى أبو الحسين التغلبي أنشدني الشيخ أبو بكر أيده الله قال أنشدني
ابن أبي علان الأهوازي لأبي الحسين التغلبي في مدح الصغار من قصيدة
وإذ ارمقت بحلظ طرفك في العلى ... نجماً صغيراً فهو فوق الأنجم
وصغيرة الخمس الأصابع إنما ... أولى بزينة خاتم المتختم
والرمح اصغر عقلة فيه التي ... عند السنان وذاك صدر الهزم
وكذلك الدينار يصغر حجمه ... وهو الثمين تراه فوق الدرهم
وأنشدني غيره في أمرود متكبر

تكبر لما رأى نفسه ... على هيئة الشمس قد صورت
سيندم ألفاً على كبره ... إذا الشمس في وجهه كورت
الخليل بن أحمد القاضي السجزي: من افضل القضاة وأشهر أدبائهم وله شعر الفقهاء كقوله:
الشيب أبهى من الشباب ... فلا تمجنه بالخضاب
هذا غراب وذاك باز ... والباز خير من الغراب
وقوله:

من اراني في غلو في الجفا ما لم اره ... فانتقامي منه أن أخجله بالبر به
وقوله في الهزل:

إذا نامت العينان من متيقظ ... تراخت بلا شك تشانيج فقحته
فمن كان ذا عقل سيعذر ضارطاً ... ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته
وقوله في الجدل

جنبي تجافى عن المهاد ... خوفاً من الموت والمعاد
من خاف من سكرة المنايا ... لم يدر ما لذة الرقاد
قد بلغ الزرع منتهاه ... لا بد للزرع من حصاد
أبو درهم البندنجي: أنشدني الشيخ أبو بكر أيده الله تعالى له من نثغة
متى ما اقل مولاي افضل منهم ... أكن للذي فضله منتقفا
الم ترى أن السيف يزري به الفتى ... إذا قال هذا السيف أمضى من العصا
وله ايضاً:

الم ترى هذه الدنيا حطاماً ... توقد بيننا فيه الحروب
إذا نافست فيه كساك ذلاً ... ومسك في مطالبه اللغوب

ابو محمد يحيى بن عبد الله الأرزني أحد مدرسي اللغة ببغداد وأصحاب الخطوط بها حدثني أبو الفضل التميمي قال كنت يوماً معه في دار بهاء الدولة فجلسنا على برج منها مطل على دجلة مع فتى اسم مريح واخذنا نشرب من نبيذ التمر فارتجل أبياتا منها

كأن على البرج المطل غذية ... لنا منزل بين المساكين والنجم
من دوننا فيحاء قد نسجت لها ... يد المرن أفواقاً من الوشي والرقم
ودجلة تحكي في اطراد حباها ... مضاعفة التسجين محكمة النظم
وكاساتنا تجري بسوداء ما لها ... إذا انتسبت غير الإشاعة من أم
ولو كان من عمر الحيس معرسي ... إذا لأت صهباء من حلب الكرم
الحيس كان في بلاد الشام او الجزيرة

ولكنما افري بنا أن دارنا ... يبلدة لا خال يعد ولا عم
بلا قد زهاها أن لونك لوفا ... فجاءت تضاهي المسك في اللون والشم
وأشدي غيره له في امرأة تزوجها فلم تحمدها وشبهها بالرجس ذاماً لها
أبنت أبي اسحق هل أنت نرجس ... فإننا كلا شخصيكما متماثل
فساقاك خضروان والرأس أبيض ... ووجهك مصفر وجسمك ناحل
أوحد الملك أبو طاهر الحسن بن أحمد بن حسول يلقب بالأستاذ أوحد الملك ويرشح للوزارة ومحله محل
الوزراء وهو ابن عم الأستاذ صفى الملك أبي العلاء وله بلاغة بالغة وشعر مع قرب لفظه بعيد المرام مستمر
النظام كقوله

اشرب فقد اقبل الربيع بلا ... مطل وخل العذول في تعب
وسقني قهوة معتقة ... وكأنها جذوة من اللهب
وانظر إلى السن الرياض وقد ... نضنضن يتلو عوارف السحب
كأن اشجارها منورة ... منقوطة بالكواكب الشهب
تسري إليها الشمال مدنفة ... مسرى شفاء إلى اخ وصب
كأنما النرجس الجني إذا ... منحته اللحظ طرف مرتقب
والورق مثل القيان في كلل ال ... أغصان يوقظن هاجد الطرب
وخلني وأسخ على رشاً ... خللي دموعي مفضوذة السحب
وكقوله:

وأغيد يهجرني دائماً ... ويمنحني الطيف من سخطه
كأن الثريا وقد صوبت ... قبيل التبليج من قرطه
وله من رسالة: عاقني عن زيارة مولاء الأنواء مضاهية تدفق بنانه بالعطاء وتموج ببحره بالحباء المرتوية من
الأنداء ارتواه من الكرم والحياء ثم صدي أيضاً ما نحن بصده في المعسكر المأهول من الخطر الم هول
والوحوال التي تسوخ فيها اثباج الفيول فضلاً عن الخيول ومن أخرى: غرست في فنا مولاي آمالا متهدلة

الأفنان مغضلة الأغصان فلم استثمر منها إلا التأخر عن جماعة لم يجروا في الخدمة والطاعة إلى أمدٍ معي ولم يضربوا في الغناء بمثل قدمي ومن أخرى ومعاذ الله أن استعدى على كرمه إلا بكرمه ولو أحوجت إلى استغاف الثرى أو يشاهد مني غير الثناء ولو أزار نعتي حد الطي ومن أخرى: قد شاهدت عهود الصبا حاضرة وأغصان الشبيبة ناضرة القاضي أبو علي عبد الوهاب بن محمد: أمام قد غزر علمه ونقى جيبه وسلم غيبه ولم يدنس ذيله واستوى في النزاهة فماره وليله ولا عهود لنيسابور بمثله في الزهد والورع والبعد عن الطمع وربما يقول شعر ادباء الأئمة كقوله وأنشدني له الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دست أيده الله قال أنشدني لنفسه

شباب أنست بأيامه ... فولى بأيامه وانقضى
وأورثني عنه شيباً أضاء ... كصبح أتى بعد ليل مضى
قال وأنشدني أيضاً لنفسه:
ما في شكاية من به ... بعض الأذية من حرج
والصبر أجمل بالفتى ... والصبر مفتاح الفرج
الحاكم أبو علي الحسن بن منصور بن العلاء الدراجدي النيسابوري من شبان الحكام سناً ومشايخهم علماً
وفضلاً وكان البحترى يعينه بقوله:
وشبيبة فيها النهى فإذا بدت ... لذوي التوسم فهو شيب أسود
وله أدب من ثماره شعر حسن كقوله في الغزل:
تجلت كمثل الشمس فوق جبينها ... سلاسل من مسك عقدن على در

كتاب : يتيمة الدهر

المؤلف : الشعالي

إذا نظمت تحت العقيق لئالنا ... نثرت يواقيت الجفون على تبر
وقوله:

وإذا مررت بموضع مرت به ... خلعت التراب غدا فتيت العبر
أرجأً على أرجائه وكأنما ... خلط العبر به بمسكٍ اذفر
وقوله:

ولما تداعوا للرحيل وودعوا ... وظل حداقة العيس توضع بالوخد
ترددت في تلك المواقف باكياً ... ومعكت في آثار أحمصها خدي
وقوله في الربيع من نثفة:

لقد طال لبثك في البيوت كثيراً ... فاعزم إلى صحن الفضاء مسيراً
وانهض إلى حسن الرياض وطيبها ... تشتم مسكاً بينها وعبيراً
راقت بدائعها فصرن كأنما ... ألبسن من حلل الجنان حبيراً
فاحت روائحها وفاح نابتها ... في القلب نوراً ساطعاً وسروراً
وقوله في الخريف:

جمع الزمان محاسن الألوان ... وافتر عن بشر وطيب أوان
واهتز أعطاف الهواء كأنما ... تحكي الهواء تمايل النشوان
وامتد ظل الليل في أطرافها ... مثل امتداد مواقف المهجران
فانظر إلى حسن الزمان وطيبه ... وتلون الأشجار بالألوان
من بين أحر قد علاه واصفر ... مثل العقيق تظمن بالعقيان
وتمايلت تلك الغصون فاشبهت ... يوم الوداع تعاقب الخلان
تنطير الأوراق في أفق هوا ... قلقاً كقلب الهائم الحيران
خلع الرياح على الرياض نثارها ... في اطيب الأوقات والأزمان
يا طيب ذاك العيش في أرجائها ... لو نام عنها أعين الحدثان

أبو الحسن علي بن محمد الحميري من وجوه العمال بنيسابور واديب فاضل شاعر يقول في أبي علي الزاهر
الشاعر البلخي الذي وقع يسير من شعره في اليتيمة
لنا صديق شعره داجن ... لا يآلف الأسفار والغربة
لكنني أنشدته راعياً ... لحقه في قدم الصحبة
ويقول في الغزل:

وأعيد ساحر الألفاظ أدعج ... يتيه علي بالخذ المضرج

افاض على فؤادي الوجد لما ... أضاف إلى شقائقه البنفسج
ويقول ايضاً:

ابو الفضل اخو النق ... ص وعم الخرق والجهل

حمار بني آ ... دم محمول على بغل

أبو القاسم علي بن الحسين الاليماني: أصله من الري وكان مقامه بنيسابور بعد تركه التصرف وكان يقول
شعراً مليحاً ظريفاً كقوله في استقبال رئيس

كيف استقبل من حيث مضى ... طار قلبي معه في سفره

فهو في غيبته يخدمه ... مثلما يخدمه في حضره

وكقوله في وزير:

سيرة الشيخ سيرة مذكوره ... واياديه بيننا مشكوره

إذ لديه محل كل كريم ... كمحل الكلاب في المقصوره

الأمير أبو القاسم علي بن عبد الله الميكالي أكبر أبناء الأمير السيد أبي الفضل أدام الله عزه وأدبهم وأعلمهم

وهو في الكرم همام وفي الطب أمام وله شعر لم يخرج بعده لأنه لا يظهره ترفعاعنه وسوء ظن به فمما

اختلسه حفظي منه قوله في شدة الحر

كأننا والهجير يطبخنا ... والبق تقتات كلما نضجا

طبخ صيام يراقبون به ... أدراكه والظلام أن يلجا

وسألحق ما أجده من غرره بهذا الكتاب إن شاء الله تعالى الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله كثير الحاسن

غزير الفضائل كريم النفس شريف الطبع كتب إلى الأمير أبيه أيدهما الله وكان خرج إلى ناحية أبياتاً منها

ولو أني غداة البين أغدو ... أمام الخيل في خدم الأمير

للاحت لي تباشير الأماني ... وهشت اسارير السرور

ولكني لقيد الأذن منه ... أقمت وجد قلبي في المسير

أبو الحسن علي بن عبد الله الدلشادي من كتاب ديوان الرسائل بالحصرة حرسها الله يتناسب وجهه وخطه

وشعره حسنا وسنه فويق العشرين وهو من أهل البيوتات بنيسابور ويقول في غلام جندي:

يا من حوى جد القتال وهزله ... وسى الورى بحسام طرف سله

صدغاه مثل الصولجان وخده ... ميدانه وقلوبنا كره له

أبو منصور عبد الرحمن بن سعيد القائي: أنشدني الشيخ أبو بكر أيده الله له

يا من تخطى إلى داري فأخطاني ... طوباي طوباي لو قد كت في الدار

لو أن لي الف دينار وكان معي ... نثرت بين يديه الف دينار

السلامي المقيم يخارا: له ملح ظريفة كقوله:

قال السلامي محتي عجب ... أصغرها في القياس أعظمها

من ذاك أني اشتريت جارية ... خادمة لي فصرت أخدمها
وكقوله:

قال السلامي إن شئت أن ... تبصر محروفاً ومسكيناً

فذاك من لم تر في كفه ... في زمن البطيخ سكيناً

الأصمعي المقيم بها: لما استوزر الشيخ أبو الحسين محمد بن كثير رحمه الله ببخارا قال الأصمعي:

صدر الوزارة أنت غير كثير ... لأبي الحسين محمد بن كثير

فأعجب به الصدور والسامعون واستحسنوا قرب المأخذ وسهولة المطلع ومن ذكر الكنية الإسم واسم

الوالد والبلدة في بيت واحد أبو القاسم الأليماني حيث قال:

إلى الشيخ الجليل أبي علي ... محمد بن عيسى الدامغاني

ومن ذكر الاسم واسم الأب واسم الجد واسم جد الأب أبو حسين بن بلقين في قوله لأبي الفضل العارض
بالري

أنا نرى للملك بعد حوادث ... حدثت به وتصرفت أطواراً

في ظل راية زيد بن محمد ب ... ن علي بن القاسم استقاراً

والأصل في مثله قول الأول

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم ... بعتيبة بن الحرث بن شهاب

ومما يستظرف من شعر هذا الأصمعي قوله:

قد ارتفعت قلبي غداة لقيتها ... وقد هيجت شوقي إلى القمر السعد

سرخسية الأخطار مروية الحشا ... بخارية الألفاظ بلخية القد

أبو علي الحسين بن أحمد الأسفرائني من حسنات أسفرائن وأفرادها عقلاً وفضلاً وكتابةً وظرفاً ومعرفةً
بالنجوم يقول :

يا أيها الشيخ الجليل الذي ... من غير مغناه ينزل العزيز

طال مقامي وانتهت غربتي ... ومسني الضر وأنت العزيز

ويقوله:

قد قلت لما أن كساه الردى ... يوم الثلاثا بردة الهالك

يا ملك الموت تسلمته ... مني فسلمه إلى مالك

أبو نصر المهلب القائد شاعر أسفرائني المولد عراقي المنشأ : صحب أعراب البوادي وأخذ عنهم وتصافح

متشبهاً بهم وكتب إلى الشيخ الإمام الموفق أيده الله وقد تتابعت عليه أمراض في شببته:

أقول لأصحابي وقد قال بعضهم ... أرى نفسه في لجة الموت تغرق

عزيز عليكم أن يموت فتى له ... لسان بحد الهند وأنى ينطق

لئن غبت عن مغناك يا ابن محمد ... بموت فكم جيب علي يشقق

وكم من سرير زينته يد العلى ... بريحان فضلي في القاليم يحرق

ولم ارى من دنيائي بعد لذاذة ... ولم يتمتع بي الغزال المطوق
وما سريني دست العلا وأنا الذي ... بأنجم فضلى سنة الشمس تشرق
ابو القاسم هبة الله بن محمد الأسفرايني الفقيه: أنشدت له في غلام صيدلاني
قد صاد باللحظ مهجتي غنج ... عذار خديه صولجاني
ما خلت كي اتقي مخائله ... أن يحسن الصيد صيدلاني
ابن هلال العسكري أنشدت له من قصيدة:
شقائنا من تحت اغصان بان ... كمثل العرايس من تحت كله
ودجلة زرقاء مثل السماء ... وفيها زبازبها كالأهلة
ابو صالح سهل بن أحمد النيسابوري المستوفي: هناك من الجمع بين الأدب الديواني والشعر الكتابي وتقد
القدم في براعة الصنعة مالا خفاء بمكانه وله ديوان شعر كتبت منه قوله في أبي سعد بن أرمك من قصيدة
مهرجانية مطبوعة مصنوعة:
سلك ابن ارمك للسماح مسالكا ... لو مر فيها خاتم لم يهتد
وسما بهمته التي قد ذلت ... هام السماك وقرن سعد الأسعد
ومنها:
تهدى إليك طرائف وهديتي ... حلل الشاء عليك تنشرها يدي
تفنى الهدايا وهي باقية على ... مر الزمان بقاء نقش الجلمد
غراء بكراً صنتها عن غيره ... وزففتها نحو الأغر الأصيل
مهرج على يمن وطول سلامة ... ودوام عافية وعز سرمد
وقوله في سنة الأفاضل من قصيدة:
دهاني الشتاء بضيق اليد ... وأنساني الشغل بالخرد
ومنها:
ومما أساء له عطلتي ... ودين أقض له مر قدي
كأن الزمان وهجر الحبيب ... وبرد الشتاء وضيق اليد
تجمعن ثم ترصن لي ... فوافين مني على موعد
وهي طويلة في السهولة والعدوبة ومن حقها أن تكتب كلها دون بعضها وكذلك سائر فقره وله من سدقية
في بعض اصحاب الدواوين
إذا حدث المرء عن فضله ... أصاخوا إليه وقالوا صدق
كفى أمر ديوانه وحده ... وقام بواجبه فاتسق
ودبر أعمال سلطانه ... ودوج من ماله ما أنغلق
ومنها:

ولو لم يقيض لتدبيرها ... لأضحت معالمها تنحرق
وبات الرعية في شقوة ... وواليهم لم يكن يرتفق
ومنها:

ارى الناس يهدون ما استطرفوا ... من البر ما جل منه ودق
وكل بمقدار أمكانهم ... يقيمون رسماً لهذا السلق
واصبحت كل شأوهم قاصراً ... فجئت السكيت غداة السيق
ولو كان في قبضتي مهجتي ... لأنفذتها نحوكم في طبق
ولما تعذر ما رمته ... تركت تكلف ما لم اطق
ولست لأقده في همتي ... ولكن تقاصر عنها الورق
وله من قصيدة ربعية فهي كما تراه كتابة معقودة بالقوافي كشعر البحري
أما ترى الدهر في أثواب جدته ... قد عاد فينا فتياً بعدما هرما
تحكي البسيطة جاما من زبر جده ... خضراء حيث وضعت النعل والقدم
كأنما البس الدنيا لبهجتها ... حلياً من النور والنوار منتظما
فاشرب على وجهها صهباء صافية ... واستسمع الطير والأوتار والنغما
وأنعم بيومك هذا وارع ذمته ... فإن مثلك يرعى الحق والذمما
أما الربيع فقد أحى الربى فغدا ... وجه الثرى عن صنوف الدهر مبتسما
كأنما الأرض تجلى وهي ضاحكة ... والجو من غيره تبكي لها ديما
واصبح الروض ذا شكر لنعمته ... كمثل شكريك إذا أوليتني نعما
وله في مهرجانية:

جآءك المهررجان أطيب وقت ... يتقاضاك ما هو المعهود
من سماع يزيد في الروح روحاً ... وغناء يصبو إليه الوليد
وشراب كأنه المسك نفحا ... طيب الطعم زانه التوريد
وكتب إلى صديق له في حاجة:

يا قاضي الحاج لأخوانه ... ومشتري الحمد بإحسانه
يا من إذا عن لنا مشكل ... فرجه عنا بإمكانه
خادمه يساله حاجة ... تخف في كفة ميزانه
وله في أيام العجوز:

اليوم يوم اعتكاف ... وليس يوم بروز
ويوم بيت دفئ ... ويوم لبس الخروز
ويوم عزف وقصف ... ويوم شرب بكوز
فإن يومك هذا ... عنوان برد العجوز

وله في إستيطاء عامل في إقامة مرسومة لحق الحساب
يا ايها الشيخ الذي بره ... ابطأ عني بعد طول انتظار
أغفلة الهتك أم نية ... نويت في تأخير رمي الجمار
إذا انقضى الغرس فلا مرحباً ... بالحرفيات التي تستعار
وله في المهرجان:

اسعد يوم المهرجان ... واشرب على نغم القيان
لا زلت يا عين الزما ... ن تصان عن عين الزمان
وله في رئيس منكوب
يا سيد الصدر الذي ... شهد الصدور على بمائه
إنكان نابك حادث ... فلنصبرن على بلائه
فالبرد يكسف ساعة ... لكي يعود إلى انجلاته
وله في الشرب الدواء:

شربت الدواء فهنيته ... والبست من شربه عافيه
ولا زال جسمك في صحة ... وأثار اسقامه عافيه
وله ترجمة فارسية:

خط بنا الماء مع الخف ... تركتنا نغرق في جرف
وله في محرر رديء الخط:

اقبح بخط محرر اقلامه ... لعنت أنامله إذا ما حررا
فكأنما مجت به اقلامه ... أثار ابقع حيث يبحث عن خرا
وله في كاتب ادعى الحساب:

يا كاتباً يدعي الحساب وقد ... أوتي عجباً بحسن تخطيط
دع عنك العجب لست تفرق ... ما بين القناطير والقراريط
إذا أخذت الحساب تكتبه ... مقيداً شكله بتقنيط
حكيت ذا حرفة يقال لها الت ... وقيع في الظهر بالمشاريط
حيدر الخجندي استصفع بقوله:

ما إن سألت الله مذ أيقنت ... نفسي إن الذل تحت السؤال
وإنما كتبته تعجباً من خرقه وحقه في الترفع عما يدين به افضل العالم وسيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله
عليه وآله وصحبه وسلم ونظيره في الجهل الكثيف والعقل السخيف الصوفي الذي كان إذا ذكر الله سبحانه
لا يقول تبارك وتعالى ولا عز وجل فإذا قيل له في ذلك انشد
إذا صفت المودة بين قوم ... ودام إخوانهم سمح الشاء

أبو الحسن الأغاجي هو أشهر من شعر الفارسية وفساهم من الجرة وله ديوان شعر سائر في بلاد خراسان
وربما ترجم شعر نفسه بالعربية كقوله

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي ... وإنني قد غذاني العز والنعم
فالطرف والقوس والأوهاق تشهد لي ... والسيف والنرد والشطرنج والقلم
وقوله في بلخ:

وبلدة قد ركب اسم لها ... من أحر البخل هي بلخ
والعيش فيها كاسمها مبدلاً ... من بائها تاء وذا تلخ

أبو بكر محمد بن علي بن أحمد العبداني: جمع غضاضة الشبان إلى أهمة المشايخ ولم يرث الفضل والأدب عن
كلالة فقد كان أبوه أبو الحسن رحمه الله تعالى روضة الأدب وغدير العلم مع وجاهته عند الملوك والصدور
وأبو بكر من أهل بيت المعاذية بنيسابور وهم هم وله شرف الإنتساب إلى شرف الإكتساب وشعره في
صباه مليح لطيف ووراء طبعه على الأيام غرر ودرر وقد كتبت لمعاً من بنات خاطره كقوله من قصيدة
شموس مغارهن الكلل ... شققنا فؤادي بسهم المقل
وحملني ثقل أردافهن ... يا ويح قلبي مما حمل
ونادين قلبي فلي وقال ... عزاي مع الطاعنين ارتحل
فيا عين جودي ولا تبخلي ... وإن كان بالصبر قلبي بخل
وأدمعها كاثر في الورى ... ايادي الوزير الكبير الأجل
وله من أخرى:

فيا طول أنشادي غداة رحيلهم ... حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا
لئن ضاع سري بعدما قد كتمته ... كذلك سر العاشقين مضيع
وإن طال أنشادي مديح محمد ... فمن طرب ورق الحمائم تسجع
وله من أخرى:

إذا ما كنت ذا رأي سديد ... فلا تغتر بالدهر الخثون
ولا تغضب فإنك بين قوم ... يقيسون الملائك بالقيون
أبو الحسن علي بن محمد بن عبدونة: يقول من قصيدة:
دموع بما ألقى من الوجد تنطق ... وقلب بنيران الصباة محرق
ولو كان لي طرف يحل به الكرى ... رأيت خيالاً للحبيبة يطرق
وهذه خاتمة الخاتمة في ذكر الأستاذ الأوحى أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: وهو هو في الإمامة
والإنفراد على النظرآء وتقدم القدم في الخطباء ومما حاضر به من شعره قوله:
طيب الحياة لمن خفت مؤونته
هذا يزجي بيسر عمره طرباً
فاجهد لترهد في الدنيا وزينتها

يخوض في غمرات الشغل ليس له
فارغب إلى الرب في تيسيره سبباً
فإنه خير مرغوب إليه ومن